الربع الثاني من تفسير العلامة نظام الدين النيسابوري قدس الله روحه

ونفعنا ضر... محبه آمين

من عوارف الزمان عند الفقير جمال الدين اكتو... عفي عنه

قد انتظم في سلك تملكات ... الفقير ...

در تفسير سوره كه درين جلد است

نصف الحزب

سورة الاعراف مكية وحروفها اربعة عشر الفا وثلثمائة وعشرة وكلماتها ثلاثة الاف وثلثمائة وخمس وعشرون
آياتها مائتان وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

المص ٥ كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين ٥ اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء
قليلا ما تذكرون ٥ وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم
قائلون ٥ فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ٥
فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ٥ فلنقصن عليهم بعلم وما
كنا غائبين ٥ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ٥

القراءة يتذكرون بيا الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر الباقون كما مر في اخر الانعام **الوقوف** المص كوفي للمؤمنين او لياء تذكرون قايلون نصف الجزء والربع الثاني من القرآن ظالمين المرسلين لعطف غايبين يومئذ الحق لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون يظلمون معايش يشكرون **التفسير** قد تقدم في اول الكتاب مباحث هذه الحروف المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل وعن السدي انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل قوله فلا يكن في صدرك حرج منه كما مر في الرعد وانما لم يبدأ بعده برفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها للاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ و كتاب خبره ويعني به السورة مجموعها والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اي هذه المص هو كتاب انزل اليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعين سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والاخرين فلم يبق شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القايلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب ان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلعم ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرحه ومعنى منه اي من شان الكتاب اي لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق صدرك من الاداء و توجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تع ولا يجد وا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين وانه في

الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على الانذار غيرك لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفئوا وفي موضع اخر ليطفئوا والتقدير لا يضيق صدرك ولا يضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب انزل الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تع فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق من القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين به وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر وقال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها لانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم يقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحد ولو صح ذلك لكان محل النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر الانداد الجسمانيات فيحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى الانذار والتخويف واما الصنف الثاني فاذا استمع دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تع تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه ثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طايفة وذكرى في شان طايفة ثم لما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل يتناول القرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا يا اولي الابصار عمل بالقرآن ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء اولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون الله اولياء احتج نفاة القياس بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تع والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل الله فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتوا القياس بان كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلعم لا تجتمع امتي على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف ينكرونه ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيد للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيدا ضربته وتقدير النصب ايضا غير جيد وفي الاية حذف لا القرينة الا اهلاك فعطفان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهل انسب ولقوله او هم قائلون لان الزجر والتحذير لا يقع للمخلوقين الا باهلاكهم ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا منهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وههنا سؤال وهو ان قوله فجاءها باسنا يقتضي ان يكون الاهلاك متقدما على مجيء الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها او اردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد كانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلعم لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين لا لتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس

قبل ح

جار مجرى التنبيه للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب من قول الفراء لا يبعد ان
يقال الباس والهلاك يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف
المعطوف والتقدير اهلكناها فحكم بمجي الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجي الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع على امر البالك
كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا فالكلام البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا
حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بايتين او بيتين ثم قال او هم قايلون والجملة حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا بايتين
او بايتين او قايلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لانه والحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها
للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا وهو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان
ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا امامعنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة
نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقت البيات والقيلولة لانهما
وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاه والامن والسكون فان عذاب الله انما
يجي دفعة من غير سبق امارة شعر يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا فقوم لوط اهلكوا وقت السحر وقوم شعيب
وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجي الباس فقال فما كان دعويهم اي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده
والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال اهل
الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكي سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء
لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم ومن طواينه ومحل دعواهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز ان يكون نصبا او رفعا كما
سبق في اعراب قوله فلم يكن فتنتهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجلا فقال فلنسئلن الذين ارسل اليهم فنسل الجزاء عليهم عما اجابوا
به رسلهم كقوله ويوم ينا ديهم فيقول ما ذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم
اي على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل
ما الفايدة في سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك عن سبب
الظلم والتقصير تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفايدة في سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف
الكرام اشح في حق الرسل لظهور براتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قلت الجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة
عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها والمراد بنفي سؤال الاستفادة والاسترشاد وبالاثبات سؤال التوبيخ والا
هانة فلا تناقض وفي الآية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شي
في الارض ولا في السماء فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشي من الاحياز والجهات والاكوان غايبا عن شي ثم بين ان من جملة احوال
يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن هو مبتدا خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدا اي الوزن العدل يوم يسأل الله الامم ورسلهم وقيل لا يجوز الاخبار
عن شي وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كاين لا محالة وفي كيفية الميزان قولان الاول ما جاء
في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان احدهما المومن يتصور اعماله
حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروي
ان رسول الله صلعم سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين تنصب بين الجن والانس يستقل به العرش احدى
كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله
بن عمرو رض قال قال رسول الله صلعم يوتي برجل يوم القيمة الى الميزان ويوتي له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه
فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى فترجح قال القاضي يجب
ان يحمل هذا على انه ياتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اعزاء على المعصية ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة
الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال وروي الواحدي في البسيط اذا خفت حسنات المومن اخرج

رسول الله صلعم من حجزته بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلعم بابي انت
وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصليها علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها **القول الثاني** قول مجاهد
والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد
جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يوكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قول
الموزون صحايف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فيقول المكلف يوم القيمة اما ان يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير
الثواب والعقاب في علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان لجواز ان لا يكون
بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفايدة في وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح
السرور للمومن وبالعكس للكافر واختلف العلماء ايضا في كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات
وقال اخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف ايضا في الموازين فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد وتبرسلم
انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقول خرج فلان الى مكة على الافراس او البغال قال الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع
اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قايل ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان اخر ثم ان
المرجية الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله تعالى حصر اهل الموقف في قسمين منهم من يزيد حسناته على سياته ومنهم من على العكس
ولا ريب ان هذا القسم اهل الكفر لانه حكم عليهم بان الذين خسروا انفسهم بسبب الظلم بايات الله اي التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن
سلم ان العاصي معاقب لكنه معاقب اياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الاباد من غير
زوال ولا انقطاع قيل في الاية دلالة على ان الذي يكون حسناته وسياته متعادلتين متساويتين غير موجود والله تعالى اعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب
الاجل رغب الخلايق في قبول دعوة الانبياء بطريق اخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال ولقد مكناكم في الارض اقدرناكم
على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش هي جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع
التي تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة كالاكتساب والوجه في معايش تصريح اليا لانها اصلية لا زايدة كصحايف بالهمز في صحيفة
وعن ابن عامر انه نافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحايف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغي
فقال قليلا ما تشكرون وفيه اشارة الى انهم قوم يشكرون وقليل من عبادي الشكور **التاويل** المعني هو الله من لطفه مجيبا للمجتبين
المعرفة وانعم عليهم بالصدق والصبر لتقبل كالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج كحال
ما انزل على الكتب في الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطف فالقي الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القران
بشرفا امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب افسدنا استعدادها فجاءها باسنا اي اذاعت قلوبهم باصبع القهر
واهلها نايمون على فراش الحسبان قايلون في نهار الخذلان فما كان ادعاؤهم الان قالوا من قصر نظر بانسهم لو من طريق الادب انا كنا ظالمين
فنسبوا التصرف الى انفسهم ولم يعلموا ان الله تعالى يقلب افيدتهم وابصارهم فلنسئلن الذين ارسل اليهم وهم عامة الخلايق هل قبلتم الدعوة وعلمتم
بما امرتم ام لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيبا وهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال
انعام والزام هل بلغتم هل وجدتم اهماما الى الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فيعلمون انا ما ارسلنا الرسل اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب
جسيم وما كنا غايبين اي وما كنا غايبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا للباطل
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا روي يوتى يوم القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال
الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة فاولئك هم المفلحون من شر انانيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به
اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به احواله ولروحه ميزانا يوزن به صفاته ولسره ميزانا يوزن به لعوته ولخفيه
ميزانا يوزن به اخلاقه والخفي لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال ما وضع في الميزان شي اثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس
نعوت المخلوقين وانما هو خلق لرب العالمين والعباد مامورون بالتخلق باخلاقه فخسروا انفسهم افسدوا استعدادها لقد مكناكم هيانا لكم
خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوان معيشة واحدة وذلك ان الانسان

مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فعيشة الملك هي معيشة روحه ومعيشة الحيوان وهي معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هي معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم يكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهي القلب والسر والخفي فعيشة قلبه هي الشهود ومعيشة سره هي الكشوف ومعيشة خفيه هي الوصال والوصول

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها
فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما
مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس
لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون

القراءة لاملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج **الوقف** الا ابليس لانه معرفة فلا يصلح الجملة صفة الساجدين اذ امرتك منه لانقطاع

بلغ مقابله

النظم مع اتحاذ القول لمن الصاغرين يبعثون المستقيم للعطف شمائلهم شاكرين مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين الظالمين الخالدين الناصحين بغرور جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة لان الواو للاستئناف مبين انفسنا سكتة للادب اعلاما بانقطاع الحجة وقيل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو لعطف المختلفتين الى حين تخرجون **التفسير** من جملة نعم الله علينا ان خلق ابانا ادم فحظه بسجود الملائكة فلذلك ذكر النعمة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الايات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منبها على المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل ادم خليفة في الارض وسجود الملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة ادم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله تعالى في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وطه وفي ص ويتبين بعض حكمة اختلاف العبارات فيها في موضعها ان شاء الله وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان ادم هو اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من ادم ثم صورناكم اي صورنا ذرية ادم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته تخصيص كل شيء بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه صور كل ما كان وما يكون الى يوم القيامة كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رحمه الله وهذا التاويل عندي اقرب الوجوه وتاويل هذه الجملة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم في اوائل سورة البقرة فلا وجه للاعادة اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رحمهم الله اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لا اقسم وكما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادته توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب وفي ما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله اراد ان زيادة لا اشارة الى نفي ما عدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه الامور فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع واراد الداعي وكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك ان لا تسجد اي لو لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب وفائدة هذا السؤال مع علام الغيوب توبيخه واظهار معاندته وجحوده واستدل العلماء بالاية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب والا لم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتكبر الخبرية التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجوهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام الفلكية اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس تناسب الموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن الصبي والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان وبخلافه سن الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والخلق من الافضل لا فضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه

الذي جعل لكم الارض فراشا وقف علي بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولولم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار
والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به ردا للكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع
لان الفضيلة عطية من الله تع ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المومن ويحصل الدخان من النار والتكليف
يتناول الحي بعد انتهائه الي حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهي اليه لا بما خلق منه وقد قال ايتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم
عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالهمم البالية فثبت ان دعوي اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن
سلم فلم يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال او تشريف المفضول
والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تع للملائكة اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ان ابليس اخرج نفسه من هذا
العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في زمرة المتكبرين علي الله فدل ذلك علي انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد
ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولي بابليس من القياس فعصي ربه وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس
الدين بشيء من رايه قرنه الله تع مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه
لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا من الارض لكان قبح امر من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق
من الارض اولي ويحتمل ان يرتب هذا الجواب بان التزيين اذا رضي بتلك الحكمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة
رضوا بذلك ولا باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا
ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تع كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال علي لسان بعض ملائكته
فاهبط بفاء التعقيب لانكم تمتثل امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم وقال بعض المعتزلة امره
بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الي الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك ان تتكبر فيها
وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر
فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال النبي عم من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه قال انظرني الي يوم يبعثون طلب الانظار من الله تع الي وقت
البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تع ذلك بل قال مطلقا انك من
المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد لقوله في موضع آخر الي يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولي
وقال آخرون لم يوقت الله تع له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تع والدليل علي ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله
لانه يقدم علي المعصية بقلب فارغ حتي اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء علي المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم
الله تع من حاله انه يموت علي الطهارة والعصمة كالانبياء او علي الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء علي المعصية
لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم
فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن انه يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تابي ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما
يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تصد من حيث المعني لا من حيث اللفظ فانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها
وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن
ومعني القسم بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو
تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال المشايخ العراق الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ونعني بصفات الفعل ما يجوز
ان يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن
ويرد علي هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر علي ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الي الله تع وفي قوله فبعزتك
لاغوينهم اضاف الاغواء الي نفسه والاول يدل علي الجبر والثاني علي القدر وهذا دليل علي انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما
اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تع لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفره فلهذا المعني اضاف الغي الي الله تع
وقد يقال لا تحملني علي ضربك اي لا تفعل ما اضربك عنده او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الاشاعرة نحن لا ننازع في ان المراد

بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف ما كان يرجع الي حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انه انقطع بان الغاوي لا بد له من مغوي
وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونه غواية والدور او التسلسل محال فلا بد ان ينتهي الي خالق الكل وهو المقصود اما قوله لا
قعدن لهم صراطك فانتصابه علي الظرف كقوله منتعرض لدن يهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن اي علي الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم علي طريق الاسلام كما يعترض
العدو علي الطريق ليقطعه علي السابلة والحاصل انه يواظب علي الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة
في تكميل امر من الامور قعد حتي يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود وعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول
لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل الثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك علي انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما
وصف الصراط بالمستقيم بناء علي زعم الخصم واعتقاده ورد بانه متي علم انه مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره بانكار اللسان
لا القلب وهو المعني بكفر العناد ويمكن ان يجاب بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الآية دلالة علي انه لا يجب علي الله رعاية
مصالح العبد في دينه ولا في دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة علي ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة
للخلق الي الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الي الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقي ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع ان يفعل
ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان
يضل ايضا بدليل قوله تع ثم انكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل
به قوم ويكون خلقه جاريا مجري زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة في الثواب وضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان
الانسان اذا حصل عنده جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخري فانه لا يكون حاله في الاقدام علي ذلك الفعل كحاله اذا لم
يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة جهة اخري لانه في
انه تع لا يراعي المصلحة وتقرير الحجة ان خلق تلك الزيادة توقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه
حصول هذه الزيادة شيء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد ولم يهمل الاهم
لطلب الزيادة التي لا ضرورة اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه الاول من بين ايديهم اي اشككهم في صحة البعث والقيمة ومن خلفهم
الق اليهم ان الدنيا قديمة ازلية والثاني من بين ايديهم افترهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات الدنيا و
طيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردونها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها والثالث قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لان
بين يدي الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم اقوي دواعيهم الي الشر قال
ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين وعن الاصمعي
هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوي اربعا هي الموجبة لفوت السعادات الروحانية احدها
القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية التي
تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد التي عن
يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوي الاربع لم تقدر علي
القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية علي التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبه المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة والتجويز
والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات في بين يديه ويحضرها فيعتقد ان الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل
لان هذه بازاء الاولي وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق ما من صباح الا ويأتيني
الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من
وقوع اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها واما عن يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين
واما من شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله عم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد
له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتغترب فعصاه فهاجر فقعد له بطريق
الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل وعلي هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويلهم

بل ما يمكنه ويتيسر لكقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك و رجلك بقي مهنا بحث وهو انه كيف قال من بين ايديهم

ومن خلفهم بحرف الابتداء، و عن شمايلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف قد يختلف حروف الظرف كما يختلف حروف التعدية في حسب السماع نقال

جلس عن يمينه وعلى يمينه ومعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلي عليه ومعنى عن انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا

غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت عن القوس و على القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها

ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه

ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جيته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد

المباينة على جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا يدان يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت

الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هو الوهم والخيال كما مر والناشي منها العقايد الباطلة والكفر عن ايمانهم وعن شمايلهم خص الشهوة و الغضب

والناشي منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دايم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين

بكلمة من تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوي التي منها تتولد

ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام

رقت قلوب الملايكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلايه عليهم من الجهات فاوحي الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهتان

الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل التضرع والخضوع او وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة

قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن آدم ويخالطه لانه لو امكنه ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق

قلت هذا ينافي ما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فقيل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم

بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات

وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق اشير في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور

وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوي السبع النباتية والجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة

والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان

استيلا تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لا سيما وهن في اول الخلقة تكن قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها جميعا جعلها منعقة

فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اسد في جوابه اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذؤوما مدحورا الذام العيب الذم بعيني ولا يهمز

والدحو الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطية للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط

لان هذا قوله لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كان الكافر يتبعه وكذلك الفاسق يتبعه فلذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار

واجيب بشرط عدم العفو قوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها من المسايل ان تقول اسكن امر تعبد وامر اباحة من حيث ان الاستقرار

لا يتعلق به التكليف فان زوج آدم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا امر اباحة

لا امر تكليف وان قوله لا تقربا نهي تنزيه او نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب

كان صغيرا او كبيرا وان الظلم بقوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها ونحن قد قضينا الوطر عن جميعها

في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذيب

والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل لاجله الوسوسة لم يتعد

بالوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لان الشيطان

لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي غرضه

او لعله راى في اللوح المحفوظ او سمع من الملايكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط حشمته قوله ووري اي ستر والسوأة

فرج الرجل والمراة ثم بين وسوسة ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا اي الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله لمن الناصحين

سؤال كيف يطمع ابليس آدم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملايكة ساجدين له معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه

الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملايكة ان هذا احد ما يدل على ان الملايكة الذين سجدوا لادم هم ملايكة الارض واما ملايكة السموات

وملايكة العرش والكرسي وملايكة المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا وربما يجاب بانه اراد ان يصير مثل الملك في البقاء

والدوام وزين بلزوم التكرار من قوله او يكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرا ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك

كقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان آدم

لعله رغب في ان يصير من الملايكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جرما نورانيا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن

آدم وحواء هل صدقا في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقا لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه

كفر ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود معنى بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم

بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم و فيه ذم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم لا قطعا

ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان يقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال

ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف تصور

التقاسم بين آدم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له اتقسم بالله انك ناصح واقسم لهما بالنصيحة واقسما بقبوله او اخرج قسم

ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما بغرور اي اوقعهما فيما اراد من تغرير واصله ان الرجل العطشان يدلى رجليه

في البير ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه وقيل اي جراهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدلي على اقرانه

في الحرب كالبازي يدلي على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان آدم يظن انه لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبيده

طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما

فيه دلالة على انهما اولا ليس قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في آية اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من غير اكل اي

ظهرت عورتاهما لهما اي عورتاهما مثل مغشيتين تحو كان مكان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق مكان كاد قال الزجاج اي

يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بها كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح

لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقليهما من قبح كشف العورة فبهو المهلك عتاب من الله وتوبيخ ومبالغة في الايات معتوقة

في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضر الوفاة احاطت به الملايكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملايكة ربي فانما اصابني

الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملايكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب

بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وبقي علينا من التفسير احراز المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله قال ما منعك

وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر ابليس ما لك حذف المنادي في هذه السورة لانه مضى ذكره هنا بقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله

ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب

ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما منعك ان تسجد وما لك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف ما لك لدلالة

الحال ودلالة السورتين عليه وبقي ما منعك ان لا تسجد قوله انا خير منه الاية في ص مثلها في جواب ما منعك ظاهر وانه زاد في الحجر لفظ الكون

فقال لم اكن لاسجد لبشر ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل ما لك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه

لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر هنا ايضا على الخطاب دون المنادي بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين

دون هذه السورة فلان داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعو وانادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة تركت

الفاء وكذلك قوله قال انك من المنظرين ليطابق الجواب والسؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يكن دخول الفاء

في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤوما وليس في القرآن غيره وانما اختص الموضع بكله لانه اللعين

بالغ في العزم على الاغواء فقال لا تقعدن لهم الى آخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذ الذم اشد الذم فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن

ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة

من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو وان معنى اجمعا بين الاقامة والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى

الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسايل ان اقتصاص

ما مضى اذا لم يقصد به اداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادي المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت

موته السهو الى السحر **التاويل** ولقد خلقناكم ارواحكم ثم صورناكم اي خلقنا ارواحكم اجساداً في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد
بالفي عام ولتصوير الاجساد بداية وهو قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية على المقدرين ووسط يصوركم في الارحام
كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولة في الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وانتم في صلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود
ولا يتهادم بامر الله الا ابليس لم يكن من الساجدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاق اللعن فانه لو كان
ذا بصيرة لقال في الجواب تقديري وقضاؤك ولكنه كان اعور عين اليقين بصيرا بالعين التي راي بها انانيته فقال انا خير منه اي معنى خيريتي منه ان اسجد لمن
هو دوني واستدل على خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الا
حراق والفناء والطين من خاصيته النشو والنماء والاستمساك الذي تقويه بصيرة الانسان مستمكنا للنفخ الالهي ونفخ في الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لا
مباركته حقيقته فلما ابتلى ابليس بالصغار وطرد من الجوار اخذ في النوح وليس من الروح ووقع بالعناد ماطمان بالحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سال ليكون وبالا
عليه ويزيد في شقوته ولكن لم يجب بان لا يذيقه الم الموت لقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن حوالة الاغواء الى الله منه من
نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم لاقعدن لهم ثم لآتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ
والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين
الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم
من قبل الصلف والعجز وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال ومن بين
ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة
الشيخ والرد بعد القبول او بين ايديهم اثر عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثر عليهم اباءهم ولعمهم وعن ايمانهم اثر
عليهم احباءهم وعن شمائلهم واثر عليهم اعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطيعة المحبة فتكونا من الظالمين على انفسكما
ان المحبة نور ونار فمن يرد نارها يجد نورها ويرد نارهم احترقت انانيته فيبقى بلا هوية نفسه مع هوية ربه فحينئذ يجد نور المحبة ويعرفونه كقوله
يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعهما عنها كان تحريصا لهما عليها
فان الانسان حريص على ما منع ولم يكن الشجر طعمة لبني آدم ... الا ان تكونا ملكين اي من اهل السدو تكلكين في زوايا الجنة او تكونا من الخا
لدين في الجنة كالحور والرضوان نسقاهما ابليس كاس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا في لجة المحبة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوآتهما
نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة في البداية وطفقا لاشتغال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهب احترقت بلظاها
راحة الراصلة ونعت غراب البين بالفرقة **شعر** فبينما نحن في لهو وفي طرب ٭ بلا سحاب فراق صوبه هطلا ٭ واذ كنت مشغوفا بطلعته ٭ معني
واقفر منه الرسم والطلل ٭ فالصبر مرتحل والوجد متصل ٭ والدمع منهمل والقلب مشتغل ٭ ونادهما ربهما نداء العز والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها
تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين **شعر**
واخجلتا من وقوفي باب داركم ٭ اذ قيل لي مغضبا من انت يا رجل ٭ ... الجملة منها رعونات البشرية ولوث العجب الانانية ورجعا ... قالا
ربنا ظلمنا انفسنا ... لا منجا ولا ملجا منك الا اليك فقالا لا ادب ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحبة لتعبنا ولا المحبة تغنينا بالزوال وان لم تغفر لنا
بنوال الوصال وترحمنا بالجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو
النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعداد الطريقة للوصول
الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق لخطاب ارجعي من الهبوط وارتقي بعد السقوط **شعر** ان الامور اذا انسدت مسالكها ٭ فالصبر يفتح منها كلما ارتتجا ٭
لا تياسن وان طالت مطالبة ٭ اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا ٭ اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ٭ ومدمن القرع للابواب ان يلجا ٭ قال فيها
اي في الجنة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة والله اعلم

يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك
من آيات الله لعلهم يذكرون ٥ يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من

بلغ مقابلة

الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ٥ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ٥
قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم
تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ٥ يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ٥ قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا
خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ٥ قل انما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ٥
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ٥ **القراءة**

وريشا ابو زيد عن المفضل الباقون وريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب
ربي الفواحش مرسلة الياء حمزة **الوقوف** وريشا لمن قرا ولباس مرفوعا ومن قرا النصب وقف على التقوى خير يذكرون سوآتهما لا يؤمنون
امرنا بها بالفحشاء ما لا تعلمون الدين تعودون على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الفاء فيها
ولا يستقدمون **التفسير** لما ذكر ان الارض مستقر لبني آدم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني آدم قد انزلنا وايضا لما ذكر واقعة
آدم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان الستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال اللباس
انه قضى ثمة او انه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزل الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش
الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ومن
قرا رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش كاللبس واللباس وهو اللباس الفاخر ويقال الريش والرياش
المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش
قد يطلق على سائر الاموال اما قوله لباس التقوى فمن قرا بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه
قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر في صلوح العود بسببها واما المفرد الذي هو خير لكم وذلك بدل او عطف بيان او صفة تاويل ولباس

التقوي المشار اليه خير والعدول الي الاشارة اما للتعظيم لباس التقوي واما ان يكون المراد بلباس التقوي هو اللباس المواري للسوأة من التقوي تفضيله
علي لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوي علي نفس الملبوس اي اللباس الذي انزل الله ليواري به السوأة هو لباس التقوي لان قوما
من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القايل قد عرفتك الصدق في ابواب البر والصدق خير
لك من غيره تتعبد به او المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات المعدة لاجل اقامة الصلوات
ومنهم من حمله علي لباس التقوي مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو
العفاف والتوحيد لان المومن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحيا وقيل
هو ما يظهر علي الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلي هذا معني الاية لباس التقوي خير لصاحبه اذا اخذ به وقربه الي الله تعالى مما
خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الي التقوي كما اضيف الي الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من
ايات الله الدالة علي فضله ورحمته علي عباده لعلهم يذكرون فيعرفون عظم النعمة فيه ثم حذر اولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود
من قصص الانبياء ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار
لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين اي فضة محرقة قال تعالى يوم هم علي النار يفتنون من قدر علي اخراج الا[بوين]
من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من ينقضان ربه فهو علي اولاده ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب علي المصدر اي فتنة مثل اخراج
ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام
في ليريهما سوآتهما لام العاقبة ولام الغرض كما تقدم في قوله ليبدي لهما قال ابن عباس يري آدم سوأة حوا وتري حوا سوأة آدم وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عايشة رضي ما رايت منه ولا راي مني وحمله العلماء علي الكراهية لا علي التحريم واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقيل النور
الحايل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة علي ان
المعاصي والفتن كلها منسوبة الي الشيطان واجيب بانه لا بد من الانتهاء الي خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله
انه يريكم هو وقبيله اي جماعته النسل فاعلوا القبيلة بنات واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله اي جماعته من حيث
لا ترونهم اي يكيدونه ويقتالون من حيث لا يشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن
ولطافتها والوجه في روية الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو
زاد الله تعالى في ابصارنا لرايناهم كما يري بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا علي هذه الحالة لم يخلق هذا الادراك في عيون
الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال وان زعم من يدعي روبتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن علي تغيير صور انفسهم
باي صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن معرفة الناس حتي الزوجة والولد وكانوا قادرين علي تخبيط الناس وازالة العقل عنهم كان اولي الناس بذلك
المشايخ والعلماء لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال ابليس اعطينا اربع خصال نري ولا نري ونخرج من تحت الثري ويعود
شيخنا فتي والضمير في انه للشان وهو تاكيد ليصح العطف علي المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين اولياء احتج اهل السنة علي انه تعالى هو الذي سلط
الشيطان عليهم حتي اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله انا ارسلنا الشياطين علي الكافرين تؤزهم ازا وعند القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان
الشيطان ولي لمن لا يومن او المراد التخلية بينهم وكمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب علي الداخل واجيب بان حمل الجعل علي الحكم خلاف
الظاهر وهب انه حكم ذلك فلا يمكن مخالفة حكم الله وبان الارسال انما يصدق علي التسليط لا علي التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم
نزلت في اتخاذهم البحاير والسوايب وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولي التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا
يفعلون اشياء هي في انفسها فواحش ويعتقدون انها طاعات فوبخوا علي ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكي عنهم حجتين الاول التقليد ولم يذكر جوابها
لظهور بطلانها عند كل عاقل والثاني ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء فللمعتزلة ان يحتجوا علي ان الشي انما يقبح
لوجه عايد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي به ولهذا اكد هذا المعني بقوله اتقولون علي الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم
الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيتها ونحن لا ندعي الا انه تعالى يريد لجميع الكاينات وان شيا منها لا يخرج من حكمه وارادته وتقديره مع انه
لا يامر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدي اي العدل وما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله
ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه واقيموا فليس من باب عطف الطلب علي الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم وقال ابن عباس المراد

اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اني لا اصلي الا في مسجد قومي ثم لما امر بالتوجه الي القبلة امر بعده بالدعاء والا
ظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء والذكر ويمكن ان يقال الدعاء بمعني العبادة فيكون كقوله وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن علي المعاد ليتحقق الجزاء فقال كما بداكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بداكم خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا
كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدا خلقكم مومنا او كافرا تعودون فيبعث المومن مومنا والكافر كافرا فان من خلقه الله في اول الامر للشقاوة
يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويويد هذا التفسير قوله عقيب ذلك
فريقا هدي وفريقا حق عليه الضلالة وانتصاب فريق الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا
مررت به قال القاضي المعني فريقا هدي الي الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحدود المستحقة واجيب
بان قوله هدي وحق ماض وحمله علي المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدي الي الجنة او الضلال عنها لا بد ان يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه
محال ثم بين ما لاجله حقت علي هذه الفرقة الضلالة اعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الي مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتاملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم مهتدون وفيه ان
مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملة امر اللباس والماكول والمشروب وايضا امر باقامة
الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتي
ان كانت المراة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق علي سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون علي وجه الحمر من الذباب وهي تقول شعر
اليوم يبدو كله او بعضه ... وما بدا منه فلا احله ... وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان
طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب
وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك فانزل
الله الاية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الثياب وايضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات
ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوي اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة علي اللبس عملا بالنص بقدر
الامكان والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاية تقتضي وجوب
اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا فبقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلوة
والا فسدت صلوته قال اصحاب ابي حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد علي اتقي وجوه النظافة اخذ الزينة فيكفي في صحة الصلوة واجيب بان
اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الي المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلعم فلم قلتم انه صلي في الثوب المغسول بماء الورد واما قوله وكلوا اي اللحم
والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا علي الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف
تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما يشتملان جميع المطعومات والمشروبات وقتا وكذا الاحوال والاوقات
الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل ايضا موكد لهذا المعني لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان اولهما ان ياكل ويشرب بحيث
لا يتعدي الي الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثانية وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف
قولهم بتحريم البحيرة والسايبة وانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا علي انفسهم في وقت الحج ما احلها الله لهم قال بعض العلماء ان حمل
الاسراف علي الاستكثار مما لا ينبغي اولي من حمله علي المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شيت والبس ما شيت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة
يحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم علم الطب والعلم علمان علم ابدان وعلم
اديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال جمع رسولنا
صلعم الطب الفاظ يسيرة قال وما هي قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يوثر من رسولكم شي من الطب فقال النصراني ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن
عباس وكثير من المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال الآخرون انها تتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمركب والحلي وكذا كل ما يستطاب
ويستلذ من الماكل والمشارب والنكاح والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتي رسول الله صلعم وقال غلبني حديث النفس عزمت علي ان اختصي فقال

مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب قال ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثني نفسي
بالسياحة قال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولي ان تبقي لنفسك وعيالك وان ترحم المسكين
واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال
ان المسلم اذا غشي اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله او بعده كان له قرة عين
وفرح يوم القيامة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال مهلا فاني اكل اللحم اذا وجدته
ولو سالت الله ان يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا فان جبرئيل يامرني بالطيب غبا وقال لا تتركوا يوم الجمعة
ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فان من رغب عن سنتي ومات فليس مني ولو مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة
تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوي ضرها ونفعها وجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان علي ما كان وان كان النفع خالصا وجب الاطلاق
لهذه الاية وان كان الضرر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا يقابل المثل بالمثل ويبقي القدر
الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا وبهذا الطريق صارت هذه الاية دالة علي الاحكام
التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان يجد خاصا في الواقعة فنقضي به تقديما للخاص علي العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان
حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضائعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس مخصصا
لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولي من العمل بالقياس فان في القرآن وافيا بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات
خلقت في الحيوة لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة
الدنيا خالصة ومن قرا بالرفع فلانه خبر بعد خبر قال ابو علي وعلي الخبر للذين امنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم القيمة
علي هذا يكون ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلي الاول يكون في الحيوة ظرفا لمحذوف
اي هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة ومن قرا بالنصب فعلي الحال وباقي التقدير كما ذكرنا نفصل الايات لقوم يعلمون
اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتي يتوصلوا به الي تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة انواع لان الجناية اما
علي الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون علي العقول وهي شرب الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل
الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه خصص ثم عمم واما ان يكون الجناية علي
النفوس والاموال او الاعراض واليهن الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعني بغير الحق ان لا يقدموا علي ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه
حق فحينئذ يخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية علي الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا
سلطان حجة ينزل واما بالافتراء علي الله وذلك قوله وان تقولوا علي الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهي الله تعالى عنها فيصير تقدير الاية
انما حرم ربي المحرمات وهذا الكلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته علي امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال
ثم شدد امر التكاليف بالاجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها
الي وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخر عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر سواء الهالك والمقتول او رد علي
القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستيصال وعلي الثاني انه كان ينبغي ان يقال ولكل انسان واحد اجل ويمكن
ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر علي تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا
يقدر علي ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اخبر ان الامر
يقع علي هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة
وعشرين جزءا من يوم وليلة قيل عند حضوره يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فامتنع قوله ولا يستقدمون واجيب بان جاء الاجل بمعني قرب
حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم علي ذلك الوقت تارة والتاخر عنه اخري والله اعلم **التاويل**
قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوات الافعال القبيحة في الظاهر وسوات الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بادب الطريقة في الباطن
وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوي وهو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوي هو الصدق في طلبه يواري به
سوات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوي هو محبة المولي فتواري به سوات التعلق بغير المولي ولباس السر من التقوي هو رؤية المولي

يتواري بها رؤية غير المولي ولباس الخفي من البقي بقاؤه بهوية المولي يتواري بها هوية غير المولي ذلك خير لان لباس البدن بالتقوي وهو
الشريعة ولباس القلب بالتقوي هو الحقيقة ذلك من ايات الله اي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل علي المولي لا يفتنكم الشيطان بالدنيا وما فيها ومتابعة الهوي
فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سواتهما من مخالفة الحق
وما علما ان في هذه الصفة ومن جملة سواتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا صورة
لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في آدم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث التي هي منشا علم الاسماء
والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين اولياء خلقناهم مستعدين بالتولية امور اهل الغفلة و
الطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجمعها قالوا انا وجدنا اباءنا علي محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء
وانما يامر بالكسب الحلال لسد الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بداكم لطفا وقهرا
تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار علي وجوههم خذوا
زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد علي
الباب بنعت العبودية والعارف علي البساط بالحكم وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة
الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع واثارها والنفوس بالاداب واسرارها وزين القلوب
بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثارها لمن تصدي لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تحجير وتعويق
وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الافات النفسانية وكدورات
الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع علي العبد طريق السلوك الي الرب فاحشة
العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن حظوظها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما لا قسمهم نصيب منه ولو ذرة وما بطن الصبر علي الحكم
ولو لحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون الي شي في الدارين والالتفات الي غير الله من
العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي وهو حب غير الله فانه وضع في غير موضوعه وان يستغيثوا بغير الله ما لم يكن فيه رخصة
وحجة من الشريعة وان تقولوا بفتوي النفس وهواها وبنظر العقل علي الله ما لا تعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله وبيان احوال السا
ترين ما لستم به عارفون ولكل امة من السائرين الي الله والي الجنة مدة مضروبة في الازل وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسيان لنفوسهم

يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقي واصلح فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ فمن اظلم ممن افتري علي الله كذبا او كذب
باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتي اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا
اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا علي انفسهم انهم كانوا
كافرين ۝ قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما
دخلت امة لعنت اختها حتي اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولىهم

ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون

وقالت اوليهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان

الذين كذبوا بايٰتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى

يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش

وكذلك نجزي الظالمين والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا

الا وسعها اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في

صدورهم من غل تجري من تحتها الانهار وقالوا الحمد لله الذي

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل

ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون

القراءة حتى اذا اداركوا فيها كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدي تداركوا بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى اناقلتم وقالوا اطيرنا وافق الكسائي في ثاقلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو غير ابرهيم بن حماد اوليهم بالامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجاري والخزاز عن هبيرة في اخريهم بالامالة الشديدة فانهم يفتح الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الاولى ولكن يعلمون لا يعلمون بياء الغيبة ابو بكر وحماد ولا تفتح لهم بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرا حمزة وعلي وخلف بفتح بياء تحتانية وبالتخفيف الباقون بتا التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذلك كلمة سقطت الياء او الواو لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد بالتاء بغير واو العطف ابن عامر الاخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام التاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام **الوقوف** ايات لان الفاء بعده لجواب الشرط وهم يحزنون النار خالدون باياته من الكتب يتوفونهم لان ما بعده جواب اذا من دون الله كافرين في النار اختها جميعا لما تلنا من النار لا يعلمون يكسبون الخياط المجرمين وسعها وجعل اولئك خبر الموصول اوجه بناء على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة خالدون الانهار للعطف مع العارض هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لابتداء النداء لا بجزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على انها عطاء تعملون **التفسير** لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا ممن قد قبلوا الشرايع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا معرضين ومتعرضين لها وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما يأتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما يأتينكم مني هدى والراجع محذوف اي فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى ايات احكامي وشرايعي الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم قال شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم اخبر عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل ما اليهود والنصارى يجب علينا ان كانوا في ذمتنا ان ننصفهم ولا نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك حظهم النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمار والاعمال كانه سبحانه بين لهم ان

بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الآن ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ويوكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وانما ههنا جملة شرطية فدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الاخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفونهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد وفي الكشاف ما وقعت موصولة باين في خط المصحف قلت واني رايت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب ومعنى الاية اين الالهة التي تدعون اي تعبدونهم او تدعونهم في الشدائد ليدفعوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف ضلوا عنا اي غابوا وذهبوا ولم تنفع بهم وشهدوا على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اي الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا في امم قد خلت اي ادخلوا في النار مع امم والاولى ان لا يلتزم الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة امم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس وسائر اهل الضلالة نظيرها فلان يلعن غيرها اولى حتى اذا اداركوا فيها اي تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا فاستقر معه قالت اخريهم دخولا في النار لاوليهم دخولا فيها واتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنى متاخرين زمانا عندي لان المضل لا بد ان يكون متقدما على الضال في دخول النار واللام بمعنى لاجل او لام وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في اعينهم والسعي في اخفاء الدلايل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة وهو قول الشافعي في رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطي مثل نصيبه مرتين وقال الازهري العرب تريد بالضعف المثال الى ما زاد وليس بمقصور على المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقله ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما قال لا تعلمون ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال اي الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما القادة فلانهم كفروا واما الاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم ودوخوا امرهم سيل ههنا ان تضعيف العذاب الذي يستحقه الشخص ظلم واجيب في تفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل الم يحصل فانه يعقبه حصول الم آخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص ببعض من الكفار دون بعض فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زايد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيث ان الاسم يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرا على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب ولا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اوليهم لاخريهم اذا قد حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اي فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مواخذون بالاتباع كما نحن مواخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان الرؤسا لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيمة والكذب عليهم جائز عند القاضي كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا الكلام لا يجوز ان يكون كذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال ان الذين كذبوا بآياتنا وهي الدلايل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اي ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن عباس اي لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعاداتها كما جاء في الحديث ان روح المومن يعرج بها الى السماء فتفتح لها ابوابها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة ويستفتح لروح فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه لا يوذن لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط والولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط وما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل اعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال شعر لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلام العصافير فكان سم الابرة مثلا في ضيق المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة وقالوا الدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة

باخرات الابرار نقد اسد دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليعلم باسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول
العرب لا افعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل على وزن القمل وكذا الجمل بوزن الجبل وبمعناه وهو القلس وان الجمل مناسب للخيط الذي
يسلك في سم الابرة والبعيد لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت في ابدان البشرية لما عصيت واقترفت الذنوب بعد موت الابدان ترد
من بدن الى بدن ولا يزال تبقى في التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الذرة فينتقل في سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فيدخل الجنة و
الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة
عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم
غواش هي جمع غاشية وهي كل ما يغشاك اي يجللك والمراد الاحاطة عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين
في غواش مثلها في جوار عند انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض لما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك
نجزي الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد
تقدم تفسيره في اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبي والاعتراض فيه تنبيه للمقتدين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل
من غير حرج وصعوبة بمبذل من فاتته وحققا ومن جعل خبرا فالعائد محذوف اي لا نكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما في
صدورهم من غل نزع الشيء قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر في تفسير قوله وما كان لنبي ان يغل والاية تفسير
احدهما ازلنا الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول
بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوساوس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن علي كرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم الثاني
ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة
فيكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبري بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال اهل الجنة فان اولياء الله
في دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ومزيد عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل الطبع الى زوال
وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب السماء يموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة اولئك الكرام تجري
من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والترفه ان اجري على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف
التجليات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا النعيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعي ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وارسل
الرسل وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله من قرا بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكانها تفسير لها فلا حاجة الى العطف
المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة لاهتدائنا او لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا و
اغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا لان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونها بمعنى اي في
النداء في معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز ان يكون التبعيد للتعظيم ومعنى اورثتموها
انكم بيرثونها كما يصير الميراث الى اهله وقد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحي كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل
من غير تعب في الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روي ان رسول الله صلعم قال ليس من مؤمن الا وله منزل في الجنة و
منزل في النار فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل
الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل
الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادي هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك **التأويل** يا بني ادم اما يأتينكم رسل
الهامات منكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بني ادم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهامات افتري على الله كذبا بان يقول اكرمني الله بالكرامات
والمقامات ولم يعط او كذب بمقامات اعطاه بعض اولياءه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذي كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات
الربانية بعد ان كان هايما في تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها
وشهدوا هولاء المجرمون المحرومون انهم كانوا ساترين الحق بالباطل فيها ام استع ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
وقدم الجن لان الله خلقه ولا بني الجان منهم مومن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل بعث نبيهم فاستأصلوهم
ثم خلق ادم وذريته منهم مومن ومنهم كافر كلما دخلت امة في اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة في تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا اداركوا اي تداركوا

الكل في الاعمال الموجبة النار عذابا ضعفا لانهم سنوه لنا ووزرها ووزر من عمل بها الى ان الساخر ايضا يتقدم الذي يتلوه ويستن ولكن لا
تعلمون انكم مستقدمون لمتاخريكم كما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتاخريكم كما سنتم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة
القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة في سم خياط احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى تصير بالتربية في ازالة الصفات الذميمة
وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالف مرة فيلج في سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزي المجرمين الذين صارت
انفسهم في جمل الادنى كما لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفة النفس وقمع الهوى لحاف فيذيبهم ويحرق انانيتهم
لا نكلف نفسا الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر العبودية بجذبة التوفيق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى
الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى
عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ
يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ
هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝

القراءة نعم بكسر العين حيث كان علي الباقون بالفتح مؤذن بغير الهمزة الجاري عن ورش ويزيد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة

الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب ابن مجاهد وابن عون من قنبل البا قون مشددة وبالنصب الوقوف حقا لابتداء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الحال والاستئناف او الحال كافرون لا بما بعده لم يدخلوها التادين ولم يجز ان يكون حالا لاجاب لتنافي حال التمني اتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان ما بعده جواب اذ الظالمين تستكبرون برحمة لتنافي الاستفهام والاقسام تحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا انما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير فنساهم اتيانهم وجحودهم يجحدون يومنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء التعقيب كما نعمل يفترون التفسير ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادي وانما ذكره بلفظ الماضي دون المستقبل الذي يجبر اسم عند موجب لتحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عند الله من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم لا يسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لان الجمع اذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد وكل فرد من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار دوان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار الشماتة الاعتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمومنين وترغيب كما في سائر الآيات وانما حذف المفعول وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولانهم كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد نوع مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المومنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي تستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل انه للتصديق في الخبر والحقيقي في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه قام زيد او لم يقم زيد قلت نعم لان المعنى قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا وهذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقولك اليس لي عليك دين فقلت نعم اذ ثبت الدين بناء على العرف الطاري بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروي عن عمر رضي الله عنه انه سال قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيدة فاذن مؤذن قال ابن عباس هو ملك صاحب الصور بامر الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التاذين النداء والتصويت للاعلام بالعلو وبوقتها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر في الآخرة كلقاء ما او معاد الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا للفواصل الآي ولم يرد لنفقدهم هنا على القياس واما في سورة هود فانهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك التحبس انهم هم عينهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجز الى هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الآخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع العرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين على الاعراف منهم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكورا لا اناث ويرد عليه ان الرجل يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق على الذكور من بني آدم وقيل هم الانبياء وهم اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله تعالى على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يدخلهم آخر الامر الى الجنة برحمة من الله وفضل قال حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصص بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن اباهم فاستشهدوا فتساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحارث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة الحسن والله لا ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار

قالوا هم يعرفون اهل الجنة بهم وجوههم ضاحكة مستبشرة وبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة ابين وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشرك والكفر والفساق وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل احد بما يليق به ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر تعالى انهم لم يدخلوها وهم يطمعون كان سائلا سال عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال في دخولها فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فالمعنى ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلوها بعد ذلك ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العالية في الجنة كما روي عن النبي صلعم انه قال ان اهل الدرجات العلي ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولو تحقق ما في هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون لفضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يات من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانه في الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله انه لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي انه صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتحققوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما يليق بهم ونادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قوله ادخلوا الجنة الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا ويجلسوا ويقولوا قال المفسرون الرجال هنا الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وامثالهم لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلنا النار وكلهم وانتم لا يفضل علينا احد منا وعاش اقسموا انه لا يخصهم بفضل دونهم فنادوا هم اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرة بقوله ونادي اصحاب النار اصحاب الجنة قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فتزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء اولا لما في بطونهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قولا او مما رزقكم الله قيل اي ساير الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الآية دلالة على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسأل فماذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه فهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف الكافرين بانهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة وقد مر تفسير الوصفين في اوسط هذه الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجذب الامر الانسان يقع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا وشهواتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننسيهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون وقيل اي نعاملهم معاملة من نسي بتركهم في النار كما فعلوهم في الاعراض عن اياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الآية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل في كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم الف باب فاذا رواسلح دخل من كل باب ملك معهم هدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فتاهب لايهما شئت والله الموفق ولما

لقد حال الطايفتين والمناظرات الجارية بينهم ليكون حاملاً للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في ستنعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال ولقد جيناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييز يهدي الى الرشد ويومن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيف اتفق بل على علم بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوايد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريا من كل خلل وقدح مجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكون مفعولا لهما لقوم يومنون لانه فايدته تعود اليهم ثم بين انتظار ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعد حال من كذب به فقال هل ينظرون الا تاويله والنظر ههنا بمعنى الا والتوقع كيف ينظرون مع جحدهم وانكارهم للجواب لعل فيهم اقواما تشككوا وتوقفوا فلهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تاويله للكتاب اي الا عاقبة امره ومايؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به الوعد والوعيد او يريد عاقبة ما وعد وابه على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتاويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول يوم ياتي يريد يوم القيمة واستقباله على انه ظرف يقول وهو نسوه تركوا العمل به والايمان به اما انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي ملتبسين بما هو الحق او الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر والنشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل ثمت لنا شفيع بشفاعة او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فنوحد الله بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للجبائي ومن يتبعه والا لم يسالوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم حكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة وقال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس ينفعهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها

التاويل

نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان وجدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن موذن القطيعة والعزة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه يطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وكذا بين اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظاير القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم من انوار القلب وظلمته ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن همة اهل الاعراف فقال لم يدخلوها يعني الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون في الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من اية دركة خلصهم وباي كرامة خصهم ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعني اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل النار من الطاعات واهل النار من الدنيا والشهوات وماكنتم تستكبرون عن السير في حقيقة لا اله الا الله اهولاء الذين اقسمتم يعني ان المومنين والعلماء الظاهرين بعض الاوقات من يقول الواقفة حجبة لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعني الجنة المضافة اليه في قوله ادخلي جنتي في حظاير القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان لله حظاير القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فانه يحكى ان ابا جعفر الابهري انه دخل على ابا طاهر الهمداني فقال اين كنت فاني حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رايتك فقال يا باطاهر صدقت كنت عند الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رايتني افيضوا علينا من الماء كما فراغ الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان اهل الجنة لما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس والمصاحبة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفي الحقيقة انما حرمهما عليهم في الازل فلم يرزقوا المعاملة توصل الجنة هل ينظرون الا تاويله اي مايؤول اليه عاقبة في شانهم فللمومنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء وللاهل الحجب الفرقة والافتقار وعذاب النار ۝

إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بطلبه حنيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر

تبارك الله رب العالمين ۝ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين ۝ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ۝ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ۝

القراءة

يغشي بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غير روح الشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلي وخلف وابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير ابي زيد الباقون بضم النون والشين بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها

التفسير

لما بالغ سبحانه في تقرير امر المعاد على عادته الى بيان المبدا وهو ذكر الدلايل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيدا للمعاد والمعاد الذي به يكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذي يبلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام فاودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد وكيف يليق ان يرجع الى غيره في طلب الخيرات ويعول على غيره في تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ست سدس بدليل سديس واسداس ثم ان العرب كما نزلنا في الظن اليهود فالظاهر انهم سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سيكم من عقلاء الناس انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتها ونهاية جلالتها في ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفايدة في ذكر انه خلقها في ستة ايام في اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتاني في الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تاخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشيء اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق اما اذا حدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى في الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى يخلق العاقل اولا ثم يخلق السموات والارض لان خلق ما لا ينتفع به في الحال يجر الى العبث والجزاف ثم ان ذلك العاقل مثلا كان اوجميا اذا شاهد في كل ساعة وحين حدوث شيء آخر على سبيل التعاقب بالتوالي كان ذلك اقوى في افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلايل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السوال يعود في ان مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التي نيط بها تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بحاضر والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن ان يحمل الايام الستة على الاطوار الستة للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيوان والله تعالى اعلم بمراده اما قوله ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك المقدار المعين يستند لا محالة الى محدث ومخصص فلا يكون واجبا القائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الله تعالى نورا غير متناه ويراد بالاستقرار على العرش

تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي ولا كنفوذ النور المحسوس بل على نحو آخر تعجز العبارة عنها ومنها انه تعالى لو كان
في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات
ومع ذلك فالشيء الذي محل السموات اما ان يكون عين الشيء الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالتين في محل واحد
فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزية في ذاته تعالى واما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان
حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لما يقابلها
وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب او جوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال خالق
العالم هو الشمس او القمر او كوكب آخر وايضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام
الماهية كل ما يصح على واحد منها صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا او واجبا
قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء المحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحينئذ
اختلاطه بالقاذورات تخييل لا اصل له عند العقل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن
موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب
بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله تعالى فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة منقطع الاشارة
الحسية وهذا في حقه محال لقدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك
ولا امتداد ولو فرض فلا يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في
تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من استصحابه المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى لها الا الفراغ المحض
ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان
فعلا لفاعل مختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما لا يتناهى لا يعقل له حيز معين
ولو فرض لا تناهي الاحياز اينما فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك لا تفتقر ومنها لو كان في
الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا كان نقطة او جوهرا فردا ولا يبعد ان يقال ان اله العالم جزء من الف جزء من
راس ابرة ملتصقة بذنب قملة او نملة ولقائل ان يقول لا نسلم انه لو كان مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يحكم
ام رأيه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بحسب الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله
فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا له او اصغر
منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل به عليه مغاير لما ساواه
ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم ونور الانوار فيستحيل هذه التقادير ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهي
الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان براهين تناهي الابعاد لا تتم ولو تم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه
لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم آخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه
وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه ما صح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة
فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك
فان كان محلا لزم كون البعد جوهرا قائما بنفسه والامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل
ما يصح على بعضها يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة
محلا وذاتا وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له ايضا اختصاص بحيز وجهة يجب ان يكون متحيزا لا الى نهاية وان كان موجودا مجردا فلا يكون
بعدا او امتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان اجنبيا من ان تكون ذات اشتق مساوية لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليها هذا محال وعلى التقدير
الثاني وهو ان ذاته تعالى لما امتنع من حصول جسم آخر في حيزه لزم سريانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر وانه محال فالمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال و
لقائل ان يقول كون الباري تعالى في الحيز مغاير لكون الجسم في الحيز فاين الاشتراك فلو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات ومن اين يلزم النقص
كيف قوله فان كان محلا لزم كون البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي حصلت المخالفة اعراض

وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بل من وجوه
والملائم في سريانه في الموجودات قدمه ومنها انه لو كان في حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل
مختار فهو محدث وما لا يخلو عن الحدث اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى
مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على انه كذلك ولقائل ان يقول ان الحركة
والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى الاحياز فاما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا
يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز
آخر ولان العالم النوراني الذي لا نهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلو حيز منه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق
وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا في الحيز العالي وان كان نورا محضا جاز ان نفرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الهواء وايضا ان كان له طرف وحد
فان كان ذا عمق وثخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا في غاية الدقة مثل قشر الثوم بل ارق منه الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق
بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد ادعى من جمهور العقلاء
ان الاجرام الفلكية لا يطلق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون في انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع اجل واشرف من ان
يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو اشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه او غير
متناه وعلى الاول فان لم يكن له تحقق فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم التركيب وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى امر يباينه ويعود
الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهي محصورا بين الحاصرين ولقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى
نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجزئية كلما كانت اقوى
كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار وتاثير النار بالا
حراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك والمؤثرات في العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة و
الرزانة قلت في الاستقراء انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع في ان واجب الوجود تعالى شانه بري عن التجسيم والكثافة وعن كل شيء يقدح في قيوميته وهذه حجج
قد اوردت في اوائل سورة الانعام في تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية صال بها الامام فخر الدين الرازي في تفسيره
الكبير وقد اوردنا عليها ما كانت ترد من الخضوع والاعتراض لا لاعتقاد التشبيه والتجسيم او تقليد الاوائل الاقوام بل لتشحيذ الاذهان ورمز الى المعارف و
الحقائق وجذبا لطبع المتأمل في المضايق والمزالق فليحرر المصنف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال عنه غير الخيال والله اعلم
بحقيقة الحال ثم قال رح واما الدلائل السمعية فمنها قوله تعالى قل هو الله احد والاحد مبالغة في كونه واحدا والذي يمتلئ منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا
من اجزاء وذلك ينافي كونه واحدا واجيب بانه ذات واحدة حصلت في كل الاحياز دفعة واحدة وزيف من هذا المعلوم الفنا وبالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا
يجوز ان يقال جميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد او موجود واحد الا انه ذلك الجزء الذي لا يتجزى حصل في جملة الاحياز فيظن انه اشياء كثيرة قلت و
مغالطة فان الجزء الذي لا يتجزى لصغره غير الشيء الذي لا يقبل التجزية والانقسام لغايته وايضا للمتحيز الذي مقداره ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما
ذراع في ذراع يلزم منه ان لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم في ذاته حاصل في جميع الاشياء لا منفصل
عنها انفصال المحيط عن المحاط فلا يتصل بها اتصال العرض الساري في الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية ويلزم منه ان يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب انه ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغني فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان
والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله في قوله وما رب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف واما فرعون
فقد طلب الاله في السماء قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع في حقيقة ذاته تعالى
لا يعلمها الا هو والسابقة المحيطة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تفرد ان يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم
من اله غيري ومنها هذه الآية لانها تدل على انه استوى على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستواء انه كان ولم
يكن معه شيء فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط بقي ما وراءه نورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتنزيهه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا في
افق الامكان والجواب ان نور الانوار هو اجل من ذلك فلا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع جميع ما سواها ان يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول فيها
ان اول الآية اعني قوله ان ربكم الله خلق السموات والارض تدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشي الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء

هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء
كال قدرته على الملك والملكوت حتى يصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستواء بالتفسير الذي ذكرناه ادل شي على المدح والثناء وحديث
البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بناء او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في
ايات كثيرة بانه اله سما السالكين العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمي السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما
وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور وجسم ان ذاته مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شي هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة
في الاية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تاويل الاية وتفويض علمها الى الله والثاني الخوض في التاويل وذلك من
وجوه احدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء اي استولى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر شعر قد استوى بشر
على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها ذكره ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال
استوى على سرير ملكه اذا استقام له امره واطرد وفي ضده خاد عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفيته وتدبيره للعالم
بالوجه الكامل الذي الفوه من ملوكهم وروسائهم استقرت عظمة الله تع في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تع لا
يخفى عليه شي ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكاينات وتكوين
المكنات ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الالات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل ما من معنا
واذا اخبر انه له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لما ربهم وحوايجهم كما يقصدون بيوت الملوك والروساء لهذا المطلوب
ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية
تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش
فهموا منه انه بعد ان خلقهما استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان التاثير الفاعل
لا يظهر الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء والعاريش البانى قال تعم ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقهما قصد الى تعريشها
وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قال سبحانه يغشي الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما القفال
قال القفال لما اخبر باستوائه على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر
الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة فيهما يتم امر الحيوة ثم وصف الحركة التي يحصلون منها بالسرعة حتى انه في مقدار ما يقول واحد واحد يحرك
الفلك سبعمائة واثنين وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى مستانفة كانه قيل فماذا يفعل بعد خلق
السموات والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف لها يحتمل ان تكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل النصب
على الحال من الملكي كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قراءهما مرفوعات فعلى الابتدا
والخبر وكلتا القراتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا مستفهم ان يقال زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره
قال في الكشاف سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر وهو كلام وعلى هذا لا يبعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدا الشمس
لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر كالنايب وثلث بساير النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر
تاثيره في الترطيب والتوليد بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلم بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور
القاهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من ساير الكواكب السيارات ومن الثوابت بقوة اخرى
لابد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق الى
المغرب وسيرا اخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى
بالعرش اودع في جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وايضا ان امثال الاجسام
ثلثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك من الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكوا
كب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعم ولامر ما اكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة
والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس والقمر والنجوم وامر بالتفكر في ملكوت
السماء والغبراء بالتفكر فيها تاكيدا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها اولم يتفكروا في انفسهم

ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقايق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم
من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والثاني لا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول
من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال عالم الملكوت
والسفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان يصير عالما معقولا مضاهيا
لما عليه الوجود ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات اشتمل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب
واما قوله عز من قايل الا له الخلق والامر فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم وجسماني ومختص بمقدار معين وكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار
فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على
الجسمانيات بتقديره وههنا مسايل ذكرها العلماء الاولى انه تع متكلم امرناه فحجة مستخرجون قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي
وساير انواع الكلام ضرورة انه لا قايل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة
انه خالق بعض الاشياء وحينئذ يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في المكنات وانه علة للحاجة الى موجد معين فجميع
المكنات محتاجة الى ذلك المعين فلا يكون موثرا في جميع المكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك او ملك او جني او انسي فخالقه ذلك الاثر
في الحقيقة هو الله تع لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكوكب في احوال هذا العالم
ان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة سفه واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تع وان القول بان العلم يوجب العالمية
والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك ليلا يلزم خالق وموثر غير الله تع الرابعة كلام الله قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح
هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل معارض
الكعبي بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب تغاير المعطوف والمعطوف عليه لزم ان تكون الكلمات غير الله تع فانه محدث ومخلوق وكلمات
الله تع مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تع بل المراد نفاذ ارادته والهائه وقدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر
داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر
والتكليف في المرتبة الثانية ومعنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ويلزم منه
ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن الامر بحسب مشيته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف واجيب بانه لو كان
الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيا الا
الله فنفعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح بوجه
عايد اليه والا لم يامر الا حاصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق وجه القبح فلا يكون متمكنا من
الامر والنهي كيف شاء واراد والامر فيعلم انه لو اراد لو خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة
والحق تعالى قادر على كل المكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعم وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر لله انه صفة له فكذا
الخلق صفة قايم بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا
فيفتقر الى خلق اخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلعم اذا امرتكم بشي فاتوا منه
ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لامره في الحقيقة هو امر الله تعم العاشرة في الاية دلالة على ان الله تعم امرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف
قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع كان واجب الوقوع والا فلا فايدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعم
يعلم انه لا يومن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا تحصيل استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحكيم وايضا التكليف ان لم يكن لفايدة فهو
عبث وان كان لفايدة فلا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني وجميع الفوايد منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضر والله تعم قادر على تحصيلها للمكلف من
غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب ان ارادة الاية دل على انه تع هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم ويتصرف
المالك في ملكه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعم ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صالحا او من كونه موجبا عوضا او ثوابا
ولما بين ان له الامر والنهي والحكم والتكليف ذكر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسر ان احدهما الثبات والدوام وكل ربه انه
الواجب لذاته القايم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كلما سواه وثانيهما كثرة الاثار الفاضلة ولا شك ان كل الخيرات والالاء فايضة من جوده

واحاطه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله واحسانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان على
تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا
يحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقري والتضرع التذلل واظهار ذل النفس والخفية بالضم او الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء هنا بمعنى
العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشي على نفسه وقوله ادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع
او كان مرادا في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضاء بالقضاء وقد يطلب
ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط
والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فايدة ولهذا روي عنه صلعم ما من شي اكرم على الله سبحانه من الدعاء الا انه لابد
فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة واذا سالك عبادي عني
ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين وللمتكلمين اتفاق على انه ليس معنى المحبة عند الله تعالى شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب
او ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشي لا يوجب العلم بعدم ذلك الشي نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا
ثم يقولون ان تلك الرؤية مخالفة لرؤية الاجسام والالوان ونعني بالمعتدين المجاوزين ما امروا به فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه قال الكلبي وابن جريج
من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر الامر للوجوب وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي
صلعم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلعم خير الذكر ما يخفى وخير الرزق ما يكفي وعنه صلعم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ثم ههنا اختلف ارباب
الطريقة ان الاولى في العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط
الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الرياء فالاولى الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شوائب
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فايدة الاقتداء قال الشافعي الجهار بالتامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه
لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبة ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء
المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنى واللواطة والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات وافساد
الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله ولا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعها وقوله بعد
اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على وجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل
الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن في الارض وفي الآية دلالة على ان الاصل
في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به
بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالا
خص فجميع احكام الله تعالى داخل تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل في المضار والالام الحرمة لا لانها داخلة تحت قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق فان كانت تدل على ان الاصل في المنافع واللذات الاباحة والحل وكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى لما بين
ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم الفساد وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فايدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من
العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت لمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها وكوننا عبيدا له فله
ان يحكم منا ما يريد ويامر بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انما وردت لانها في انفسها مصالح [illegible]
من اتى بها للخوف من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها بوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير
في بعض الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا انكم وان اجتهدتم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية التكليف من الامر غايته
من المامور فغايته ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله
ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران
والعفو والانعام بمعنى واحد وكان المراد بالرحمة هو الترحم وقيل انه صفة موصوف محذوف اي شي قريب او شبه بفعيل الذي بمعنى المفعول كما شبه ذلك به

فقيل قتلاء واسراء وقيل انه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان او الدجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر وروى
الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريب مني لانه في تاويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب
ان الانسان يزداد كل يوم بعدا عن الماضي وقربا من المستقبل اي الآخرة التي هي مقام رحمة الله تعالى ويمكن ان يقال المراد به قرب الوصول سواء كان في الدنيا
وفي الآخرة كقوله الا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شي والعفو عن صاحب
الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد
احسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا
ان قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم انه سبحانه لما ذكر دلايل
الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه ذكر الدلايل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح والسحب
والامطار لما اقام الدلالة في الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر الاتي
تنزيل الابداء للمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا لدام بدوام الذات فهو تحريك الفاعل المختار
قالت الحكماء من اسباب الريح ان يرتفع من الارض اجزاء ارضية تسخنت لتسخينها بسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قرب الفلك
فان الهواء الملتصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فحينئذ ترجع
الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح اقوى وزيف
بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما تكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة
العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض فكيف تتحرك
يمنة ويسرة وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون قاهرة فان الرياح اذا صعدت الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها فكيف تحرك
هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكان انتشاء وجب ان يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية التي هي
كذلك فقد توجد الرياح العاصفة في مجاري البحر وليس فيها شي من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة
مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا حرك الهواء حدث فيما بينها وما بينه من الهواء تحرك واضطراب وتموج شبه ما يحدث
في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة
وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني انما يوجب تحرك الهواء لتسخين او تلطيف وتكثيف يحدث في
بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يندفع الى
ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتعالى
وانما قال في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن آياته
ان يرسل وقال في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبنيا على اول السورة فاطر السموات والارض و
جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي واعلم ان قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر
متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد يخفف كرسل ومن قرا بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه
مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح
يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب تستعمل اليدين بدل قدام وامام مجازا لان اليدين من الحيوان متقدمين على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه
من القل لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب
على لفظه وغير المتكلم في سقناه على اصله انما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقال نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه
العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوايد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان يتحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الراسبة عن النزول فيبقى معلقا في الهواء ومنها
ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجه الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة
لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة كالشديدة الحر كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية والحقيقة

تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فنقديشاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح في وجه البحر وعن ابي عمرو الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلعم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وجي المطر وسقنه لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامرا او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجائز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد اي بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمرات غير متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى والتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيى هذا البلد وانبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال الماء كذلك بواسطة انزال مطره على الاجساد الرميمة روي انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطرا كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد تمطر السماء عليهم حتى تنشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة غاية التفرق والتمزق وختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والاثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القران بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا نزل بها المطر حصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القران ظهرت عليها انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي صغير وقيل ليس المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الاخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن جملتها اداء الطاعات كان اولى وفي الاية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان تعرف الحق بذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا تقبل المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والازهار والثمار وما يتوي بها الكلام ان النفوس تراها مختلفة في سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من على العكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لو نوعه في طباق نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقديرا لاية ونبات البلد الخبيث او البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا ومن قرا نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصرف تعود عليهم وانما ختم الاية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو انه تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذي هو سبب للاغذية والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر

التأويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخلقية والمدبرية والحكمة والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية والمكونات منها الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة النفوس السماوية والارضية والاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار والاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة ان الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها الاصغير انيه كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات يغشي اي استولي ليل ظلمات النفس وصفاتها على انوار القلب وبالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلب او تضرعا

بادآء حق العبودية وخفية بمطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في ارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسائط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال ان المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية حتى اذا اقلت سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لبلد القلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا به ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج الموتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي يتخلق بخلائقه الحميدة كذلك نصرف الايات الى النفوس وصفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه

لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنريك في ضلال مبين
قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا
لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم
تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فأتنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا

وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مومنين ٥

القراءة غير بالجر علي الوصف حيث كان يزيد وعلي الباقون بالرفع حملا علي محل من آله اي اخاف بفتح اليا ابو عمرو وابو جعفر ونافع ابن كثير ابلغكم
بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عوف عن قنبل
وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم علي ابن ذكوان الحلواني عن قالون يحيي الوقوف غير عظيم مبين العالمين لا يعلمون ترحمون باياتنا
عمين هودا غيره تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم لتناهي الاستفهام بسطة تنبيها علي الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون
اباونا الصادقين وغضب من سلطان لانتقال الاستفهام الي امر التهديد المنتظرين مومنين التفسير لما ذكر في تقرير
المبدا والمعاد دلايل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وذلك فوائد منها التنبيه علي ان اعراض الناس عن قبول الدلايل عادة معتادة فيكون فيه تسلية
لرسول الله صلعم ومنها بيان سوء عاقبة المتكبرين وحسن عقبي المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه علي ان استيجاب لا يهمل المبطلين
وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة علي نبوة محمد صلعم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرا الكتب
فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة ثم القصص اولاها قصة آدم وقد مرت في اول السورة ثانيها قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ اسم ادريس قيل
كان اسمه يشكر سمي نوحا لكثرة ما ناح علي نفسه حين دعا علي قومه فاهلكوا فندم او حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال اخسا يا قبيح فعوتب علي
ذلك قال الله له اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمي والصحيح انه اسم اعجمي قال ابن عباس معني ارسلنا بعثنا قال الاخرون
معناه انه تعالي حمله رسالة يوديها فالرسالة علي هذا التقدير تكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لانه اصل قال في التفسير الكبير ومنها البحث بني علي اصول
هي ان الرسول ارسل الي قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الي معرفتها بعقولهم او الغرض من بعثته مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف يتفرع علي قواعد المعتزلة انه
امر نوح بعبادة الله تعالي ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيمة او الطوفان ولم يذكر دليلا علي هذه الدعاوي الثلث لان قول النبي بعد
ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجة وما حكاها الله تعالي لانه قد علم من القران ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض واصنا
قد مر من دلايل التوحيد والنبوة وصحة القران من اول سورة البقرة الي ههنا غير مرة فوقع التعويل علي ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم
يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا
يحسن منا عبادة الله قبل العلم بانه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فتقع العبادة ضايعا والاله معناه المستحق للعبادة والاظهر في الآية غير معبود
ومعني الخوف في الآية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا او آجلا وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا
النحويون كيف يجزم بالعذاب او لعل السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب علي جواز انه تردد في وصف العذاب بالعظم لا في نفس العذاب
وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي الي عبادة لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملا من قومه اي الاشراف وصدور المجالس
الذين يملاون العيون بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والروية روية القلب بمعني الاعتقاد والظن دون المشاهدة
والبديهة نسبوه الي الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال ليكون ابلغ لعموم السلب فانه قال
ليس بي نوع من الضلال ثم لما نفي عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها فاستدرك قايلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمي في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث وصفوا من هذه المنزلة والهدي بالضلال الظاهر الذي
لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه انما لا ذم في موضع الضرورة جايز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني
تقرير النصيحة فقال ابلغكم الآية الجملة استيناف بيانا لكونه رسول رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غايب نظرا الي المعني كقوله
انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح معاديره وان كان جنابه
او لكن تقول نصحت لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة علي امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الي المصلحة مع خلوص النية من شوايب المكروه
الآية ابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الي الاصلح الاصوب وادعوكم الي ما دعاني الله واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم
بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الآخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون فيكون المقصود حمل القوم
علي ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم اوعجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به
قال اخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب وقيل هي الموعظة علي رجل اي علي لسانه قاله ابن قتيبة ونظيره آتنا ما وعدتنا علي رسلك وقال الفراء علي بمعني مع كقول العرب

ذكر قصة نوح

١٧

جاءنا الخير علي وجهك ومع وجهك كلاهما جايز وقيل اي منزل علي رجل ومعني منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الي خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الا
رسال التكليف وان التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المآل فان الله تعالي قادر علي تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا سيوي
العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير انه لا بد من الرسول فارسال الملائكة اولي
لقوتهم وشدة عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فانكروا عليه
لكن هذه الاشياء لانه تعالي خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك
ينتهي الي حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الي الجنس اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لينذركم
الآية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار ومن الانذار التقوي ومن التقوي الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الآية دلالة علي انه تعالي لم يرد
من المبعوث اليهم الا التقوي والفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف واصروا قال بعض العلماء في
حق العقلاء منها التكذيب بغير البا نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالبا نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد وكذبوا رسلنا برد اياتنا فانجيناه والذين
استقروا معه في الفلك وانجاهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وانما قال
في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من دل علي العموم ولهذا تقع علي الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمونث بخلاف الذين انهم
كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن المعرفة والتوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال للرجل عم في البصيرة واعمي في البصر قال زهير يدل علي ثبات
العمي علي عمي حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والي عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الي قومه وارسلنا الي عاد اخاهم هودا
اتفقوا علي ان هودا ما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل اراد واحدا منهم قال الكلبي وهو
من قولك يا اخا العرب للواحد وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالح بن ارفخشد بن
سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الي حضرموت واعلم ان الفاظ هذه
القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان جده الي هذا الحد فلا جرم جاء
بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود فانها كانت مسبوقة بواقعة نوح نوع الاقتصاد علي قوله افلا تتقون اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العظيم الذي
اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملا من قومه في قصة هود قال الملا الذين كفروا من قومه اما ان هذا وصف وارد للذم لا غير ولعله انه لم يكن في اشراف قوم نوح
من يومن وكان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك في ضلال مبين
وقوم هود قالوا انا لنريك في سفاهة اي متمكنا فيها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة
طويلة فوصفوه بضعف الراي والبعد عن السداد واما هود فما ذكر شيا الآن يشغلهم في عبادة الاصنام ويطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الي السفاهة وخفة العقل
حيث فارق دين قومه ثم قالوا انا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة وقيل الظن بمعني الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج انهم
كانوا شاكين فعلم منه ان الشك والتجويز في اصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود وانا لكم ناصح وذلك انه كان من عادة نوح العود الي تجديد
تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل علي التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الي آخر الايات واما هود فكان ثابتا علي النصح غير مجدد
اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالي ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه
اقتصر علي وصف نفسه بكونه امينا ثقة اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اوصف بالكذب والغش والمراد تقرير الرسالة بانها تدور علي الامانة
اي انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين علي ما اقول لكم لا الكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك التخصيص مع جلالة قدرهما دليل علي ان الحكيم يجب ان لا يقابل
السفهاء الا بالكلام الحق المبني علي الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر علي قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار هي حصول التقوي والتقوي للرحمة فلم يكن
حاجة الي الاعادة ولكنه ضم الي ذلك شيئا اخر يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا قد استخلفكم
فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم ما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم خلفاء وزادكم في الخلق بسطة فالخلق
التقدير قامة وقيل الا علي الشي الذي له مقدار وجثة والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والآلم يذكر في معرض الامتنان قال الكلبي
كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هي مقدار ما يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون علي اهل زمانهم
بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ علي الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة
والشدة والجلادة متناصرين فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والآلاء النعم واحدها الي ونحو اني واناء كتب

الي الجنس

ذكر قصة هود

واعناب قال الجوهري واحدها الي بالفتح وقد تكسر وتكتب بالياء. استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالآية قالوا انه تعم رتب حصول الفلاح على مجرد التذكير والجيب بان الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلكما لانعام لعلكم تفلحون ذكرهم بنعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا لمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعم لانها جماد والجماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة لانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء اوجه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلعم بحراء قبل البعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت حالا بتاويل ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وحده وقال والله وحده لان الغرض انهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا فاجابهم بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد وقع ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعضهم يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة في ذلك الوقت وقيل اراد هود انه اخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب لك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم انكر عليهم قبح افعالهم فقال اتجادلونني في اسماء تناظرونني في شان آلهة اشياء ما هي الا اسماء سميتموها احدثتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي لا حجة على حقيقتها فينزل والحاصل انها اسماء بلا مسميات ومعنى الالهية فيها معدوم محال وسمى واحد بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسمى آخر منها باللات وليس فيها من الالهية اثر وانما قال في هذه السورة نزل وفي غيرها ما سيجيء انزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجري ما بعده مجرى التفصيل للجملة وانواع الجنس والله اعلم ثم انه عليه وكرم وعيدا بقوله فانتظروا فانجيناه والذين معه برحمة بسبب رحمة كانوا يستحقونها منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم عن آخرهم وقد مر تكلم في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات ربهم ان يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كانه قيل وقطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من آمن منهم او يعني وما كانوا مؤمنين في علم الله تعالى اي لم يكونوا من المكذبين ولو بقوا لا صروا قال في الكشاف ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم واشرفهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم بمكة وبها العماليق واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية احديهما وردة والاخرى جرادة فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على امام عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية شعر

الا يا قيل ويحك قم فهينم ❊ لعل الله يسقينا غماما ❊ فيسقي ارض عاد ان عادا ❊ قد امسوا ما يبينون الكلاما

الهينمة اخفاء الكلام في الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود ثم نادى داع من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادلهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا التاويل لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بيلد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتهما الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصيحته والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فانجيناه والذين معه في الفلك

التخصيص الشريعة ما غرتنا النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما اوقع التفاوت بين التخصيص فيما يعود الى المباني اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض رد العبد الى شهود الاعيان وتفرقته في بحار الكون والاوهام والخيال نعوذ بالله من الجهل والغي ورد والضلال ع

بلغ مقابلة

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم ۝ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ۝ قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ۝ فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ۝ فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ۝ ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ۝ وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ۝ فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين ۝ وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ۝

القراآت وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص كيلا انكم بتخفيفها ابن عامر وخلف وعاصم غير حفص وهشام يدخل بينهما مدة اينكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد اينكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد **الوقوف** صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة لا علم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره من ربكم اليم بيوتا للمرحلة قصة هود في بسطة مفسدين من ربه مؤمنون كافرون

المرسلين جاثمين الناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم يتطهرون لاحتمال التعليل استهزاء الامانة ولاحتمال الا
ستثناء والاشبه الحال المراد من الغابرين مطر المجرمين التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قوم ثمود قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من
الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى انه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي وباعتبار الاصل
لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخو جديس وطسم وقد ورد القرآن بالصرف ومنعه جميعا قال الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة آية ظاهرة دالة على صدقي وكانه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وانتصابها على الحال والعامل فيها اما
في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها وانبه عليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام
بها مع انها آية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل
الاقتراح فاظهرها الله لهم فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة
آية من آياته كما تقول آية الله وبيت الله وبالحقيقة هي آية تشتمل على آيات خروجها من الجبل آية وكونها لا من ذكر وانثى آية وكمال خلقها من غير تدريج
ومهلة آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام في فرط المناسبة لها وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن
قط ويروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم
فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها وما انبت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر
انواع الاذى اكراما لآية الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستيصال والاستيصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسير كما في قصة هود وبواكم في
الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا وآجرا و
جصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز ان يكون
من مقدرة البقاء يقول من سهولها كما جاءت في موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر
الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين استحقروهم
رؤساء الكفار وقوله لمن آمن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل
بدل البعض ودل على ان المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان
يحرم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة
المال والجاه والتصديق والانقياد ينشآن من قلتها اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل التهكم والسخرية او للاستعلام والاسترشاد
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام في وجوب الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين
استكبروا في جوابهم انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب
على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضا جميعهم وان ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله
واذ قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه اي دينهم المراد ما امر به صالح من قوله فذروها
ولا تمسوها والمقصود عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هذا السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين اطلقوا الوعد وارادوا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم للعذاب انما كان لاجل تكذيبهم بكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا
ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير
تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا رجعتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي آخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان
مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة الحركة الخارجة عن المعتاد والغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة فاصبحوا في دارهم
اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار ما لكل واحد من منزله الخاص لا انه حيث ذكر الرجفة
وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير
بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى
فتولى عنهم ثم الفاء للتعقيب والظاهر انه اذا دبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي

ذكر قصة صالح

ذي
وهذه الرسالة يخالف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء كانا يامران بها فوقهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في آخر القصة فاراد بها مجموع ما ادي
من الرسالة واراد بذلك اداء حديث الناقة فقط ونصحت لكم لم آل جهدا في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية الحال الماضية واعترض على هذا التفسير بانه
كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يقبل يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني حتى القيت نفسك الى
التهلكة والفائدة في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل ايضا يتسلى بذلك ويزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان
رسول الله صلعم وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فقيل له كيف تكلم هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم
لا يقدرون على الجواب وتفسير آخر وهو ان يكون تولي عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي انها
لما هلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا
في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال اي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة
فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم فدعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم
جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان
فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانا
صدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها
يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي الذي يشربون الماء لا تاتيهم
وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد
في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام فقال الغلام هل لكم
في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فزروها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت الناقة بمواشيهما وكانتا
كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة والثالث وجوهكم مسودة ثم يغشاكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم
صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة هذه المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة
العلامات خرجوا عن حد التكليف وان تكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلعم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الآيات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم
الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى
قوم فخالف امره وروي انه نبينا صلعم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه
وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزول بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ويروى رسول الله صلعم حين مر بالحجر
في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم
وقال صلعم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك القصة
الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكر لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول
به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لانه ساكن وسطه قادم احد السببين اتاتون الفاحشة اتفعلون الخصلة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عمل ما قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه مثل كتبت بالقلم
قوله تنبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة

قالت

ذكر قصة لوط

ايتان لانه انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انكم اول من عملها وهو جواب سؤال مقدر كانه قيل لم لا تأتها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به يجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ومنها سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تكن الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات او المراد ان الابتلاء بالكلية على ذلك العمل لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض انكم لتأتون الرجال بيان لما اجمله في قوله اتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني اكثر ولهذا زيد فيه ان ومثله في النمل اتأتون الفاحشة انكم لتأتون الرجال جمع بين ان وان لموافقة آخر القصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اي لا حامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا فقال شيء يشتهي شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الزاجرة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء ختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقدمت وهي العالمين الناصحين جاءتهم المرسلين وفي النمل بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فليوافق ما قبلها من الآيات كلها افعال يبصرون تتقون تعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى انه لا تطلب تلك اللذة وتقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الحيوان وكل لذة لا تؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه سعى في الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته اما اذا وقع الذكر فانه يبقى شيء من اجزاء المني في المجاري فيتعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضي حل وطي المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله اتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون فتخصيص احديهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل بمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلعم ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه بالواو وكيف يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل تجهلون فما كان وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفاء الفعل الآن قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا آل لوط لتكون ما في النمل تفسيرا لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية قال في الكشاف يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاءوا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظه ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والآثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتصلين به في النسب بدليل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل اي زوجته ولا يقال مرأة المرء يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا في ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب الذكر وكانت كافرة موالية لاهل سدوم روي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال وامطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد او كل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الآية وان اشتملت عذاب الاستئصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الآخرة اشد وابقى وعلم بانه بعد سائر قصته بقصة شعيب لان اللواطة

فقدرناها من الغابرين

يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط والاصل بقاؤه الى ظهور الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن لما روي انه صلعم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي والثالث يهدم عليه جدار ويرمى من شاهق ليموت اخذا من عذاب قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتي فيجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا حده حد الزنى بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة

التأويل يعني ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء فتفتقت سر الروح الخفي وناقة الله تحمل امانة معرفته ويعطي سالكي بلد القالب من القوى والحواس لتزداد ذات الالهية تدروها فذروها تأكل في ارض الله ترتع في رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بخلاف الشرع بقيود معارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال الهوى القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والآلاء خلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجوه المبادئ والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في ارض القلب بالفساد للاستعداد الفطري الذين استكبروا من الاوصاف البشرية والاخلاق النفسية الذين استضعفوا من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفحة الحق الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دار قالبهم جاثمين والله العزيز الحكيم الرحيم قوله تعالى

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض
بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون
عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة
لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا
من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في
ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد
إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا

الجزء التاسع

كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ۝ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ۝ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ۝ الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ۝ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ۝

القراءة

القراءة كماتم الوقوف شعيبا غيره اصلاحها مؤمنين لعطف المتفقين وتوع العارض اذا راس الاية عوجا لا تفاق الجملتين بطول الكلام فكثركم لعطف المتفقين المفسدين بيننا لاحتمال الواو الحال والاستئناف الحاكمين الجزو التاسع ملتنا كارهين قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا يتبح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلق لشرط يعقبه منها الله ربنا علما توكلنا للعدوان الفاتحين لخاسرون جاثمين اذ يوصل وتف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا عن الضمير في اصبحوا وكان لم يغنوا حالا لمعنى الفعل في جاثمين وان جعل الذين مبتدا وخبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومنهم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب اوبيتات وكانوا لا يخلون من تعسف الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين

التفسير القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لان شعيب من اولاد مدين بن ابرهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبياء الثاني تصديق ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على نبوتي فوالاية دلالة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة والا كان متنبيا غير ان معجزته ولم تذكر في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه محلي الزمخ الى موسى عصا سوداء وسايرها ابيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما اخبر منه وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور كانت من ... نبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ان يبدوا في الموعظة بما يكون قومهم منقلبين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكانوا يقولون البخس عبارة عن الخيانة بالشي القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف فلم قيل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا كيل المكيال ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال الغلبي وان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة ضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجوبه حمقا ولانه عمم ليشتمل جميع انواع الظلم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال يروى انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بالنقصان الظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دينية ودنيوية بعد اصلاحها بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف او هو كقوله بل مكر الليل والنهار اي بعد الاصلاح فيها بعد اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرايعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمس خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجراتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الحسنة يرجع الى

التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتننكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وزعم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اي التصق به وعلى مكان كذا اي علاه وكذا المكان وفيه اذا حل وحروف الجر تتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل منها في نفسه سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به يرجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف او يكون تهكما بهم تطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اي وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة العدد بعد النزارة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرين في العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ثم ان المؤمنين والكفار كانوا ... تجهم او لأنه رحمهم ثانيا واكد التهديد بقوله وان كان طائفة الاية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي احد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه والجواب ان قول الكفار ليس بحجة الا قول شعيب حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام مبني على التغليب فان شيعته اراد عودهم الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفقه لا الايهام او انه كان في اول امره يخفي مذهبه فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله شعر وان تلك الايام احسن مرة الى فعادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود في ملتكم يناقض ذلك والمعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها او المراد نجى قومه تغليبا والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشروط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الآية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم يزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل صلوات الرحمن عليه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اي من يشاء بعد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق التبعيد كما يقال لا يفعل ذلك الا ان يبيض القار ويشيب الغراب الثالث لعل المراد ما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وما كان جائزا صح ان يكون مرادا لله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال ان اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشية عند اهل السنة لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز له لانما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامرنا الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يأمر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلاة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله عودنا بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما انه قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا الى ما كان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى وجوده كان فعله جائزا ماذونا فيه ولما كان الحرام ممنوعا منه لم يكن مرادا لله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود يخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه فلمّ يشتمل على ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء فوجه تعلقه بما تقدم على قول الجبائي هو ان التكليف يجب للمصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الا ان يختلف المصلحة في تلك العبادات فيشتد يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا لمن وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال

شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على
الله توكلنا اي لا على غيره وانتصاب علما على التمييز وفي قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه كان في الازل عالما بجميع المعلومات فانه يمتنع شيء عن متعلق علمه
وهو بعين جفاف الاقلام وطي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم من كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه
لو كان كيف يكون فهذه اقسام اربعة يقع منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا فانه كيف
يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس او نوع او شخص من الجواهر ومن الاعراض صار مبلغا تتحير فيه
عقول العقلاء بل يقف دونه اول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الي مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم واقض وعن ابن عباس ما ادري معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها
تعال افاتحك اي احاكمك جوز الزجاج ان يكون معنى الآية اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين
وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات
المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد لكان خير الفاتحين هو العبد والمعتزلة ان يقولوا لولا الالطاف المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من العبد فصح ان الله
هو خير الفاتحين ثم بين ان رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم
من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يقال غني القوم في دارهم اذا طال
مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اي كان لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال
المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله شعر كان لم يكن بين الحجون الي الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان
لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في ديارهم لان
الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المختصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء والتكرار مبالغة في
مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم تلك والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول اخوك الذي ظلمنا اخوك الذي
هتك اعراضنا الدين ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد منها ان ذلك
العذاب انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك اثر الكواكب والطبيعة والا حصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات
حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم انه هذا
التولي جاز ان يكون بعده قال الطيبي خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع
منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت
اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التأويل ولا تبخسوا فيه الخيانة
والدناءة والحرص والظلم من الصفات التي يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطيبة التي جبل الانسان
عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريقة على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور بكثرة العدد نعم تأتيه ان
يصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اي الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا
للنفس الكافرة في العذاب واذا قدام الهجران او لتعودن في ملتنا اشارة الي ان كل جنس لا يميلون الي اشكالهم والا وجد في بابه من ابن نوح امرأته بعد ان نجاه
الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت من خاتمة الخير واظهار ما قدرت من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة بغارت
صورتهم تبعا لقلوبهم فانهم كانوا جاثمي الارواح في ديار الاشباح كان لم يغنوا فيها الا الباطل زاهق لا محالة والله اعلم بالصواب قوله تعالى

وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء

فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بركات

بلغ مقابلة

بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ۝

افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ۝ او امن اهل القرى ان

يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ۝ افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا

القوم الخاسرون ۝ اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء

اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ۝ تلك القرى نقص عليك من

انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله

على قلوب الكافرين ۝ وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ۝

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرأه ورش بنقل حركتها الي الساكن الذي
قبلها اولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون
يكسبون نائمون لمن قرأ او امن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فله وقف لان الواو والعطف يلعبون لكون الفصل بين الاخبار والاستخبار ان
الفاء للتعقيب الخاسرون بذنوبهم للفصل بين الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع بها تحادا لقصة لا يسمعون من انبائها لعطف المختلفين بالبينات
لان ضمير لما كانوا ليؤمنوا الاهلاكة ومن قبلها تم للام الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل الكافرين من عهد لعطف الجملتين المختلفتين لفاسقين
التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم وبين العلة
التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبه اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء و
الضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اي يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى
ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويتبعوا نبيهم ثم بين ان تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه
الحسنة وهي كل ما يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والعسر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم
عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلعم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم
نحس ويوم سعد والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة ومن امن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون
ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها وعلمها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان من الخيرات
وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية آمنوا بما يجب الايمان في باب
المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لاتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات
عليهم تيسير اسباب النجاح كتوقع فتح على القاري اذا يسر القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والتقرير بعد
ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا
وجب تعلقه بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرأ او ساكنة الواو فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الي قولنا
فامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب فلا تقول انا اخرج ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج والاثبات لك قامة اي لا بل اقيم وبيتا بياتا
قد تقدم في اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة تذكر على انه المفرد
كصرد لان ذلك كالعبث في انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران انه عذاب بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له

مالهم اي الناس نائمون ولا اراك تنام قال يا بنتاه انه اباك يخاف البيات يعني المذكور في الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم
لما بين حال المهلكين مفصلا او مجملا وكان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرأ بالياء فمعناه ان لو نشاء والمعنى اولم يهد للذين
يخلفون اولئك المتقدمين في ديارهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي نعاقبهم كما اصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء
منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير اولم يكشف لهم الحال الشان المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون
منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال في الكشاف وذلك هو يرد ون ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع
قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو
كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب اولا ويكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو
شئنا لزدنا في طبعهم ولادمناه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلعم فقال تلك القرى وهي مبتدا وخبر
وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة وان على الاولين
فيرجع الفائدة الى الحال والخبر الثاني كما يرجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم فالحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء
غيرها لم نقصها عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا
احوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله لقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام لتاكيد النفي فان الايمان
كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم اقروا
باللسان ذكرها واضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا عند
مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل فما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا
مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم و
الرين والكنان والقساوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو انه يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها انهم لا يؤمنون
وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال
المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا ونقضوا
سعودهم الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفا
بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شان مقدر والتقدير وان الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة
والآية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر

التاويل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء الولي يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل من الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل
القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا شهوات النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح و
ارض القلب فاخذناهم بما قدموا بعذاب اليم البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع اما في صورة القهر حتى في صورة اللطف بسطوات
الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدين

ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ۝ وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين ۝ حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل ۝ قال
ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين ۝ فالقى عصاه فاذا

بلغ مقابلة

هي ثعبان مبين ۝ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ۝ قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم ۝ يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون ۝ قالوا ارجه
واخاه وارسل في المداين حاشرين ۝ ياتوك بكل سحار عليم ۝ وجاء السحرة
فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۝ قال نعم وانكم لمن المقربين ۝
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ۝ قال القوا فلما القوا
سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ۝ واوحينا الى
موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون ۝ فوقع الحق وبطل
ما كانوا يعملون ۝ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ۝ والقي السحرة
ساجدين ۝ قالوا امنا برب العالمين ۝ رب موسى وهارون ۝
قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر
مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ۝ لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ۝ قالوا انا الى ربنا منقلبون ۝

القراءات حقيق علي بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف معي بفتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الفتحوي حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر
الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون ارجهي بالاشباع نافع غير قالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب
وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش وعن ابن ذكوان سحار بالمبالغة
حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرا قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام
ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ائن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو
عمرو وزيد ابن باليا ولا مدة وسهل يعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل وهي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي
وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص آمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف و
عاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون والبرنديي
عن قنبل فرعون وآمنتم بالواو الخالصة الهاشمي من قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون والبرنديي عن قنبل الوقوف فظلموا
بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين العالمين وقف على التشديد اي واجب علي ومن قرا مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصف
الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق بني اسرائيل الصادقين مبين للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين الحجتين الناظرين عليم لان ما بعده وصف لساحر

من ربكم لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الملاء فرعون وجنده والجمع للتعظيم اولهم ولعظماء حضرة وان يكون ابتداء جواب من فرعون الى فماذا تامرون تامرون
حاشرين لان ما بعده جواب الامر عليم العالمين المقربين الملقين الحق الى للعطف عظيم عصاك لحق المحذوف لان التقدير فالقاهر اولها لعظماء حضرته
فاذا هي تلقف ما يافكون وكذلك يعملون صاغرين لمكان حروف العطف ساجدين لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين للبدل وهرون لان ربكم لا...
مع اتحاد القائل اهلها لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون للاية مع اتحاد القول جاءتنا للعدول عن الخطاب الى مناجاة للسلمين
التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى ... وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قوم اعظم وحمق
من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته اقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل او الامم المذكورين
وفي قوله باياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع
الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان ومنع الحق في غير موضعه او ظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها فانظر ايها
المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم وهذه اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين اي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل
اي واجب علي ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق علي وكذلك تقول العرب اني لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على ان لا ... فلا ... ففيه
ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكده
هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول الا الحق اي انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدايم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته
وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يشجع عليه امن الالباس فيول المعنى
الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا في الوصف ومبالغة في بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي واجب عليه ان اكون انا قائله والقايم به
ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها ان يكون على هذه هي التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تع فطرة الله التي فطر الناس عليها وتقال جاني
فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم تحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى الا اله
القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي معجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل
اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عم لما توفي وانقرضت الاسباط غلب
فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فيه سوال لان احدهما الفطي وهو ان ههنا
شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ متقدم في المعنى نظيره قول القايل ان دخلت الدار فانت طالق اذا كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت
باية وقوله فات بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احد بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها النفي دعواك
ثم ان فرعون لما طالب موسى عم باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا يشك في انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويه
بها وانما عونين قبيل المعجزات او المراد انه ابان قول موسى الكاذب والثعبان في اللغة الحية الضخم الذكر روي انه كان اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحيته الاسفل على الارض والحية الاعلى على اعلى القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذ البطن يومئذ اربعمائة
مرة وكان لم يرضه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس وانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في موضع
آخر وادخل يدك في جيبك تخرج روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية
غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا
خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجايب واعلم ان القول بتجويز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال
العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار جوزوا في الانسان وسائر انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة
مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل
البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حايل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض الصور دون بعض من غير
ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون والمتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا

على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد
شك انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المخصص في ذلك
الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لم يقف على ذلك الدليل يبقى في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي
التجويز سهلنا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كان لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة
موسى كانت قوية ظاهرة من حيث ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي تلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت قوية ظاهرة في نفسها وصفت باليد
البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام
متماثلة في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل ودفع ثم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك وزعم اتباع فرعون ان موسى عليه لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصنعة وانه كان يطلب بذلك الملك و
الرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تع في سورة الشعراء انه قال ذلك
فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقته الملاء منه فقالوه لغيرهم او قالوه عنه لساير الناس على طريق التبليغ
فان الملوك اذا راوا رايا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون اتى الان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى
لانه من قولهم آمرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي ولهذا قال الملاء قالوا في جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل القضاء في شانهما فيصير
عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجيت الامر اخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي وقتادة ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبس المرء نوع من التاخير
في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وارسل في المداين حاشرين المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا
اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مداين لانه كصحايف وقيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مداين وقال المبرد اصلها مديونة من دانه
اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بمبيع في مبيوع وليس المراد مداين الارض كلها ولكن المقصود مداين صعيد مصر قال ابن عباس وكان رؤساء
السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين جامعين ياتوك بكل سحار الباء بمعنى او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين
ساحرا سوى رئيسهم وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب موصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وانما جاء بعد موسى وفي الآية
دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على اهل زمن عيسى كان معجزه
من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا صلعم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهي القران من جنس الفصاحة
وتحقيق السحر وساير ما يتعلق به تقدم في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا ام قيل فقالوا انما الكلام على سوال مقدر كان سائلا سال
ما قالوا اذا جاؤه فاجيب قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصد الكثرة قال نعم وانكم لمن
وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنا اذا كان مقرونا
بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل
الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الآية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الحجر ذهبا ولم يطلبوا ملك فرعون
الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فيعلم العاقل انه لا ينتفع بما في ايديهم ومن ظرافاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب فخيروا موسى اولا وقدموه في الذكر ثانيا
حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو داب المتناظرين والمتصارعين مع ان في قولهم واما ان نكون نحن الملقين ما يدل على رغبتهم في ان
يلقوا قبله تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ومن جهة تعريف الخبر واقحام الفصل قال الفراء قد يجيء بمثلها وان في هذه الآية بخلاف قوله اما ان نلقي
واما ان تتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الآية فان
الامر لم يصح هناك وقال موسى للسحرة القوا جعل لهم ما رغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بان الامر الالهي يغلب ولن يغلب فان قيل ان الامر
الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا في فعلهم ان يكون حقا فاذا
لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى عم علم انهم جاؤا لذلك فلا بد
ان يفعلوه ووقع النزاع في التقديم والتاخير الثالث انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف
عن ضعفها فتقول له هات وقل مراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد
سحروا قلوبهم لا اعينهم فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي

انهم اتوا بالحبال والعصي وللطخ ا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس تحركت والتوي بعضها على بعض فخيل الي الناس انها تسعي واسترهبوهم اي ارهبوهم والسين زائدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس بعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاوا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الي موسي عليه ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسي فاوحي الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي هاهنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر ألقفه لقفا وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الي الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك قال المفسرون لما القي موسي العصا صارت حية عظيمة حتي الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسي صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه فوقع الحق قال مجاهد والحسن اي ظهر وهو امر الله ونبوة موسي عم وقال القاضي معناه ثبت لظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومن ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوه او عملهم فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من ظهور بطلانه وروي ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسي وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم لاجل كمالهم في السحر ميزوا السحر عن غيره فانقلبوا بحركة ذلك من الكفر الي الايمان فما ظنك باحسان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل علي ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والعقد وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان متقدم علي السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الي السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا في الحال شكرا علي الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياي تعنون فلما قالوا رب موسي قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم آمنوا باله السماء وكفروا بفرعون وقيل افردوا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الي ايمانهم هو موسي وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما راي ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسي بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقي في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما الانكار فذلك قوله آمنتم به من لم يزد حرف الاستفهام فعلي انه اخبار توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفي قوله قبل ان آذن لكم دلالة علي مناقضة فرعون في ادعاء الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان ياذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والوصف الذي يظهر علي المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة احتلتموها انتم وموسي وتواطاتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروي احمد بن جرير عن السدي في حديث عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة ان موسي وامير السحرة التقيا فقال له موسي ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به حق فقال الساحر لاتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمالي وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن قال لم يقع لانهم سالوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكي عن الملا انهم قالوا لفرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه تركه او لم يكن السحرة لذكرهم وحذرهم اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر علي الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الي وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم حكي عن القوم انهم قالوا عند الوعيد انا الي ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الي لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الي الله يوم الجزاء فيثيبنا علي شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الي الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فلا نقدر ان تفعل بنا ما لا بد منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما ايتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات القاهرة التي لا يقدر علي مثلها الا الله تعالي وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله شعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ثم لجاوا الي الدعاء كما هو داب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ صبرا افض علينا سجال الثبات علي متابعة الدين او علي ما يوعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين علي الدين الذي جاء به موسي اخبروا عن ايمانهم اولا وسالوا التوفي علي الاسلام ثانيا فيمكن ان تستدل بذلك علي ان الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية علي ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالي والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك علي منح الالطاف واعلم ان مبني القصة في هذه السورة علي الاختصار وفي الشعراء علي التطويل فلهذا قيل

هناك يريد ان يخرجكم منها بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الي ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله هنا وارسل في المدائن وهناك وابعث فلان الارسال يفيد معني البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال هاهنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الي رب العالمين وفي السورتين الي موسي وقيل آمنت به وآمنت له واحد وقال هاهنا لاصلبنكم لانه لما قام الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثيرا من متشابهات هذه السورة الثلاث يعود الي رعاية الفواصل فتبينه **التاويل** فتلقوا بها بان جعلوها سحرا او وضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الي الدنيا ولذا حقيق علي لا اقول لاني قائم بحقائق الجمع فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الي نفسه في قوله هي عصاي وبعلمه ان كل شيء اضفته الي نفسك وجعلته حاجتك فانه ثعبان يبتعك ولهذا قيل القها يا موسي فاذا هي بيضاء في الايدي قبل تعلقها بالاثياب كانت بيضاء نقية نورانية لروحانية موسي كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالي في بعض الاوقات خرقا للعادات علي يده الجسمانية يريد ان يخرجكم لاشك ان موسي اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الي النور والروحانية توهموا ان التاخير وحسن التدبير يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم انّ لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجري الله تعالي هذا علي لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسي اما ان تلقي اكرموا موسي بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالي بالسجود والايمان بسحر عظيم في الاثم كما قال سبحانه هذا لبهتان عظيم وعظم اثم السحر لمعارضته المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان عصا الذكر اذا القيت عند القاء سحرة صفات النفس بتبليغ نعم لا التي جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق باثبات الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا في القلب فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية موسي الروح وهرون القلب واعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها في بحر الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة دلالة علي انه تعالي قدير ان يعذب في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان آذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان لا باذن الله لمكر مكرتموه في موافقة موسي الروح في المدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها ٤

وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا

مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض

ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون

قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء

من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا

قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد

اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم

الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه الا

انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من آية

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ۝ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ۝ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ۝ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ۝ فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ۝ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ۝ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ۝ ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ۝ قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ۝ واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝

القراءة سنقتل بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يونس بها بالتشديد الخزاز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وعلي وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع **الوقوف** والهتك نساؤهم للابتداء بان العطف واتحاد القائل قاهرون واصبروا لما قلنا من عباده المتقين ما جئتنا تطيرون يذكرون لنا هذه لبيان تباين الاسنادين على الناقض ومن معه لا يعلمون بمؤمنين مجرمين بما عهد عندك لئن سنتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل لا نجواب لما منتظر مع دخول الفا فيه ينكثون غافلين باركنا فيها للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا والعكس يعرشون اصنام لهم لاتحاد القائل بالعطف الهة تجهلون يعملون العالمين سوء لاحتمال كون ما بعده مستانفا او حالا ابناءكم عظيم **التفسير** ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما يرى موسى يخافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه متوسلين بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك معطوف معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى ان يكون منكان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب على ان الكواكب مدبرات العالم السفلي وانا مخدوم الخلق في هذا العالم والمربي فهو نفسه فيقول انا ربكم الاعلى انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن

لنسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي ستعيد عليهم ما كنا محناهم به قبل من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من علم انه لا مدبر في العالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كلما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية القبط وهذا من الكلام للصنف ولا تعلموه ان القبط لا تتوفى لهم والمراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازاح ما خامرهم من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره بعد وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب يعملون لا ينظرون الا ستهام لا يعمل فيه ما تقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بالقحط والسنة من الاسماء الغالبة غلبت على سنة الجدب كالدابة والنجم وتقديرها في غير هذا الموضع الحول والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب تقول هذه سنين ورايت سنينا فتعرب النون ومنه قول الشاعر شعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا فالنون من الجموع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم تنتقص بعضها العلهم يذكرون فينتهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر ما يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية وقال القاضي في الآية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه بيان انهم عاملهم معاملة المختبر لا اختبار في الحقيقة ولا اختيار الا بركوبهم عن الكفر والطغيان الا من شاء واراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة هكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمته وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجها وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعها كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل قد عودتنا ايام البلاء فهل عودتنا ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري قيل للشؤم طائر وطير وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في خطه وكان النبي صلعم يتفاءل ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي رح وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الآية ان كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل بقضائه وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلعم في المدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا مذ اتانا محمد قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم لجهلهم اسند واحوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وغيهم لم يميزوا بين المعجز والسحر وقالوا لموسى مهما تاتنا به من آية وفي مهما قولان فعن البصريين ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي ان مه بمعنى اكفف وما الشرط كانه قيل كف ما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية بيان لمهما والضمير في به وكناية بها يعودان الى مهما لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شيء ما امكن العود الى المبين لان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما وتمهيدا اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر واصله ما طاف وغلب من مطر وسيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك

يكشف عنا ومحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع مالم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم فلم يشعروا ابو فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الي موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الي الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فاخرج الي النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرا الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن جبير كان الي جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري وصاحوا وصرخوا وفزعوا الي موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الا انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم ولسلات منها آنيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الي فيه وكان يمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون علي الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الي موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي علي اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشرف علي الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله ايات مفصلات نصب علي الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا يشكل علي عاقل انها معجزات او فصل بين بعضها وبين بعض يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد ام ينكثون كما روي ان موسى مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجز آخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين علي الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء تتعلق بادع تعلق القلم بالكتابة في قولك كتبت بالقلم اي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق القسم به بالفعل فيكون بالاستعطاف اي استعطفنا الي ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي نخليهم وشانهم تذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا في جميع الوقائع بل الي اجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما اي لما كشفت عنهم فاجاوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجة البحر ومعظم مائه سمي باليم لان المستنفعين به يتيممونه اي يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب التكذيب وبانهم كانوا عنها اي عن الايات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اي كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اي معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعل بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام لانها هي التي كانت تحت تصرف فرعون ولقوله التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تانيث الاحسن وصفة للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة الي تمام الآيتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولكم تم علي الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشيء جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اي بسبب صبرهم وفيه ان الصبر عنوان الظفر ومفتاح النصر والفرج ودمرنا اي اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله علي العموم فيتناول المعاني والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذي انشا جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى علي بني اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا علي قوم اي فمروا بقوم يعكفون مواظبون علي اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزولا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت علي الجملة وكانهم طلبوا

من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الي الله كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد في المعبود انه آله او اعتقد انه مقرب الي الله ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بني اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن اعوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم علي اثر ما راوا من الايات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن علي كرم الله وجهه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال علي رض اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر اي مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اي متبر الله اصنامهم فيهدم دينهم الذي هم عليه فيصير الي الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الي ان عبدة الاصنام ليسوا علي شيء البتة وان مصيرهم الي النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير علي الحال المتقدمة التي لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها غير الله وانتصب الها علي المفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيئا وبغيت له قال النحويون ... الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم علي العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من اقتراحهم مع كونهم مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر علي الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الثانية قد مر تفسيرها في البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب اشتغلوا بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله سنقتل ابناءهم **التاويل** وقال الملا من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر بفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب والبر والعقل ليفسدوا في الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعني اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيي نساءهم اي الصفات التي منها يتولد الاعمال نورثها ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاتها ونورثها ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فيتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتاذى منها ومن صفات البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ فنتاذى من دواعي البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة ان الواردات الروحانية لا يكفي فناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكشوف لا يرى النعم **شعر** وكذا الملوك اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكانا ولكن اكثرهم لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعيونهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل والالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرياضات آيات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا بعد حين فاستكبروا عن قبولها والعمل وكانوا قوما مجرمين في الازل ولهذا لم ينفعهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة فاغرقناهم في يم الدنيا وشهواتها ولما كانوا يعرشون اي يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم فيال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحه علي فرخه وجاوزنا بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الي صفات الروح يعكفون علي اصنام من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها واراد والعكوف علي عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الي الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته فيكم انهؤلاء يعني صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف علي استحلاء المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق والوصول الي المعارف الربانية وهو فضلكم علي العالمين يعني الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الي المعاني والحقائق الالهيات ٩

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ٥ قال

يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من
الشاكرين ۝ وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها
بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين ۝ ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ۝ ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ۝ والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ۝ واتخذ قوم موسى من بعده من
حليهم عجلا جسدا له خوار ۝ الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
اتخذوه وكانوا ظالمين ۝ ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ۝ ولما رجع موسى
الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر
ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم
الظالمين ۝ قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ۝ ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ۝
والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ۝ ولما سكت
عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ۝

القراآت ارني انظر بسكون الرا ... وفتح اليا ابن فليح وزمعة والحزاعي عن البزي الباقون بكسر الرا وسكون اليا دكا بالمد حمزة وعلي وخلف اني
اصطفيتك بفتح يا المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون برسالاتي اياتي الذين مرسلة اليا ابن عامر وحمزة الرشد

بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الرا وسكون الشين من حليهم بفتح الحا وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد اليا حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم
الحا ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والندا حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير
وابو عمرو قال ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه **الوقوف** اربعين ليلة للعطف لاختلاف
القايل المفسدين ربه لان ما بعده جواب لما اليك فسوف تراني صعقا المومنين الشاكرين لكل شيء للعدول مع فا التعقيب باحسنها الفاسقين بغير الحق بها
لابتدا شرط آخر وبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا كذلك سبيلا غافلين اعمالهم يعملون خوار سبيلا لئلا تصير الجملة صفة السبيل فان الها
ضمير العجل ظالمين ضلوا لان ما بعده جواب الخاسرين اسفا ما من بعدي للابتدا بالاستفهام مع اتحاد القايل امر ربكم لان قوله والقى معطوف على قوله
قال بيسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه يقتلونني والوصل اولى لان الفا للجواب اي اذا هم هموا بقتلي فلا تشمتهم بعقوبتي الظالمين في رحمتك الاول
ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعا بالثنا الراحمين الدنيا المفترين امنوا للظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعايد محذوف والتقدير
ان ربك من بعد توبتهم لغفور رحيم الالواح لاحتمال ما بعده الحال يرهبون **التفسير** لما اهلك الله سبحانه اعدا بني اسرائيل سال موسى ربه ان يوتيه الكتاب
الذي وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته
بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فايدة
التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني من الجايز ان يكون موسى
عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم
عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن
فوايد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات
ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشي قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرى بالضم على
الندا اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه ولما جعله خليفته مع انه شريكه
في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح
تاكيدا واطمينانا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له وكلمه
ايته لتشرفون من شهر كنا وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المولفة المنظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات
وعلى الاول فحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان
موسى سمع تلك الصفة الازلية لانه لا يتعذر رويته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور
الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام اصوات متقطعة وحروف مولفة قايمة بالشجرة واختلف العلما ايضا في ان الله تعالى كلم موسى وحده وهو ظاهر الاية او مع
السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعجز لهم قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك و
اجعلني متمكنا من رويتك فانظر اليك واراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب
له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سال الروية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع
على الله فلو كانت الروية ممتنعة لما سالها قال القاضي فللمحصلين من العلما في هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الروية غير جايزة
على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الروية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علما
المعتزلة العالمين بامتناع الروية على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرييا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا
لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي هاشم وابي علي ان موسى عليه السلام سال
الروية عن لسان قومه فقد كانوا ايكررون المسئلة عليه بقولهم لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك لقال موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله
لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تاخيره بانهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى
كفاهم في الامتناع عن السوال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو
اختيار ابي القسم الكعبي ان موسى سال ربه المعرفة الضرورية بحيث يزول عنده الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الاخرة ورد بانه تعالى اراه من الايات
كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها فكيف لا يليق به ان يقول اظهر لي اية تدل على انك موجود ولو فرض انه لايق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقايل

كذلك

ان يقول سنعد في الدنيا لحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي و
تعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه حينئذ ان يقول اريد يا الهي ان يقوي امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقايل
ان يقول ههنا تغيير الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي لتناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما
طلب النظر الذي معه الادراك بدليل ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق الرؤية على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بانه علق حصول
الرؤية على استقرار الجبل حال الحركة بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال الحركة محال ومنها
فلما تجلى وتبدى اي ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها او ظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول و
الدك والدق اخوان ومن قرا بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء ايضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض
من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتاييده وقالت المعتزلة الغرض امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التابيد
فلا اقل من التاكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر الى الجبل لتشاهد تدكدك اجزائه وتفرقها
من عظمة التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قال الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية قوله وخر
موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه با
رجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك انزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك
اني تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص مسموع من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي
ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعها الله
اياها اخذ في تعداد سائر نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل
على جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير
واسطة كما سمعه موسى والغرض انه خصه من دون الناس بمجموع الامرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بلا توسط سببا
للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لنا شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب والحجاب
وحال بينه وبين المقصود بواب وبواب والمراد بالرسالات ههنا اسفار التورية فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على
ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وذكروا
في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة اذرع وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرائيل وقيل من زبرجد خضراء
وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده وشقها باصبعه وقيل طولها عشرة
اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج
كتبها جبرائيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض [illegible]
وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين
كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له في الالواح موعظة من كل شيء
وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا له خذها وبدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء
او للرسالات او للتورية بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التورية وجب كون
الكل مامورا به وظاهر قوله ياخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن وانه لا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان منها ما هو حسن ومنها
ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح
والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد
والتهديد فقال ساريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم لتحذروا ان تكونوا منهم

وعن قتادة يريد منازل الجبابرة والفراعنة العادية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما اصابهم وقال الكلبي
هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا والامم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيورثهم ارض اعدائهم ويؤيده ما قرئ
ساورثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر بانه بما يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف عن آياتي الآية فاحتجت الاشاعرة
بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله ساصرف للاستقبال والمصرفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان
الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف والعصمة اي اصرفهم ويجب تاويل
الآية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصر ولا تكون العقوبة عن آياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها
كما قال في حق نبينا صلعم بلغ ما انزل اليك الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل ساصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة المعد
للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن
الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى
اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان
من الكفار من يبالغ في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه ومنه بالطبع والختم لان المراد بالصرف وغير هؤلاء عن رسول الله صلعم
اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى
يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الذي لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد والرشد طريق الهدى والحق والغي
كلاهما واحد قاله الكسائي وفرق ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحتين الاستقامة في الدين قال تعالى مما
علمت رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتكليس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بالآيات وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك
الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة
الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي بمجيئها والمعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتج الاشاعرة بها
على فساد قول ابي هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الآية دلت على انه لا جزاء الا على عمل و
ترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي ذلك العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن النهي او في الحث على المامور به لكن العقاب
على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروها
مرة فاغرق القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا يصحح الاضافة والحلي جمع حلي
كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدرة وكانوا قد سالوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه
فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد اخذ تراب حافر فرس جبريل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه
الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب
على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال آخرون انه جعل ذلك التمثال اجوف وجعل تحته في موضع
من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه
او لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية
ولقول موسى في الدعاء رب اغفر لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال آخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه
لقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم بالاول لانه تعالى
قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا لصورته واستبعده بعضهم وناقش في ان الجسد يختص
بالروح ثم قال ان ذلك الصوت لما اشتبه بالخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرا علي كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح و
جسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا
الى سبيل الحق ومناهجه بما ذكر في العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا ان كان مضلا عن الدين لا يصح ان يكون الها قالت
الاشاعرة لو صح ان الاله يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا الها والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله فانه يجب ان

يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا
ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم
وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا في وجه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان
كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شان من اشتد
ندمه ان يعض يده فصارت يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فاصل الكلام سقط فوه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فيه كما يحذف
الفعل ويبني للمفعول به في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يندم المرء عليه فذلك
لاعتقاد انه ذلك العمل خير وصواب وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان ذلك العمل باطلا وكانه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل
اذا اخطا كان ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه يتدارك الحالة التي لاجلها حصل الندم فكانه قد سقط في يده
من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وفي الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع
في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا من خسر في عاقبته ولم يحصل على طايل من سعيه وقال بعضهم الآلة
الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف صد يده ورجله لم يهتدي الى وجه
وقيل انه في بمعنى على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطي راسه ويضع على يده تحت ذقنه ثم قال نعم وراوا انهم قد ضلوا اي
قد تبينوا ضلالهم كانهم ابصروه بعيونهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطاء والترتيب
الاصلي ولما راوا انهم قد ضلوا وسقط في ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب او يقال الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطا سبب
للندم وقد يتكامل العلم بظهور انه خطاء جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحوا لئن لم يرحمنا ربنا
الآية فلما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول ابي مسلم انه كان عارفا
بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من
بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن
عباس والحسن والسدي انه الحزين وقال الواحدي وهما متقاربان فاذا جاءك ما تكرهه ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان
موسى غضبان على قومه اسفا من جهة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل
بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد
ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق
الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم
امر ربكم كما قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه
لما يات على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها
اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين
لعهده وما وصاكم به والقى الالواح التي فيها التورية لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلعم انه قال يرحم الله اخي موسى ليس الخبر
كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله به حق وانه مع ذلك يتمسك بما في يده وروي ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى
الالواح مكتوبة فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح
ثابت بالقرآن فاما انه القاها بحيث تكسرت فلا لانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء الا بالتكسير الذي لا
يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسير واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوابته واعلم ان موسى
عم كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد يستكشف من كيفية
الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها فعلى طرح
ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر كانهما لاستعمال او على حذف الالف المبدل من الياء والاضافة الى الام اشارة الى ان امهما واحدة على ما روي

انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني
استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين نهيتهم عن عبادة العجل ونفيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدين للعجل فانهم
يحملون هذا الذي تفعل على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد الى واحد منهم ولا يخفى ما في
بعض هذا التفسير من التعسف والتكليف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشية من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته انه يكون من تبديل ترك
الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي ما اقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخي ان عساه فرط في شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال
ان الذين اتخذوا العجل الى قوله سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحيوة الدنيا فالغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة
لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الآية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى في الميقات
من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة تلك ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين يبعد
عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكليف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الآية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا
اباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي عم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما في الدنيا
بالقتل والجلاء كما فعل في بني قريظة والنضير او التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم لاولادهم وكذلك نجزي المفترين اي كل مفتر في دين
الله يجزونه الغضب والذلة قال مالك ابن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الآية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا
ظاهر الآية يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا ينفع التوبة من تجديد الايمان واصحابنا ان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من يجمع
المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت فان
عفوه وكرمه اعظم واجل لما سكت ملخاه موسى مع الغضب بقي ما انه تمه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون
الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة انه المعنى سكت موسى عن الغضب
تقلب كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكون بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التي القاها منبها على زوال
غضبه لانه اوكد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتب بمعنى مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح
لم تتكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح
تكسرت فصام اربعين يوما فاعادها الله تعالى الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في
المفعول لتقدمه فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لك ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة
وجوز بعضهم ان يكون اللام بمعنى من لكم التاويل ثلثين ليلة لان تسكين النفس الاربعين من ضعف البشرية وانما هي بعشر لخصوصية الاربعين
في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية
واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من
ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلام فطار
لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارني انظر اليك فقيل هيهات انت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني ببصر انانيتك ولكن
موسى مصعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن
جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والرجوع الى الوجود
ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلي ولا بالتجلي فانهم فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هوية سبحانك تبت
اليك من خلقك وانفصال الخلق بك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بوصويتك برسالاتي وبكلامي بجود رؤيتي من الشاكرين
فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هي الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة
الصدق والاخلاص او بنبوة واعانة منا ساريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة او الدنيا ساصرف عن اياتي بحجاب التكبر يعني
المتكبر رؤية الايات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات
البشرية عجلا استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط في ايديهم عند رجوع
موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص له قائلة ان لم يرحمنا بجذبات

العناية ربنا الآية غضبان ما عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فاتها من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق
بها تبدلا وانه من غير ان يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفازة النفس
والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني ما لاح للروح من اللوايح الربانية
عند استيلاء الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه من اعداء سيتك بطبيعة الروحانية قال ابن ام انهما من اب وام واحد
ابوهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني الاوصاف البشرية استذ
لوني بالغلبات عند غيبتك وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه ان صفات
القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ودعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض
بتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والمطمئنة و
الرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى ان الروح والقلب محل استعداد قبول الجذبة
الالهية يخلصهما في السير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان اسرا عظام قوته لا يفرح عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ع

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب
به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة
والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

القراءة عذابي اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع آصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد
الوقوف لميقاتنا ج لابتداء بطلب الجزاء مع فاء التعقيب واياي ط منا ج لتقدير النافية مع اتحاد القائل فتنتك ط لان ما بعده مستانف وتهدي
من تشاء ط الغافرين ه اليك ط من اشاء ج للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق في اللفظ كل شيء ط للتمييز واختلاف الجملتين والفاء للاستيناف وان
المخصوص يؤمنون ج لاحتمال ما بعده النصب او الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ج لان يامرهم يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو يامرهم
يكون نعتا اي مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اي يجدونه امرا او يكون التقدير الامي الذي يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة
كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون ه والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اي استحق ملك السموات غير مشارك ويميت
ص لطول الكلام ولا فاء لفاء الجواب اي اذا كنت رسولا فامنوا اجابة تهتدون ه يعدلون ه **التفسير** الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء
اذا اخذ خيره وخياره ومن هنا سمي فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من
تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف
من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز بعضهم في الآية ان
مراده بالقوم السبعون ومنهم اطلاق اسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اولا من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل اختار من اثني عشر
سبطا من كل سبط ستة فصار اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحا فقال لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه
لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدى العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين
قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وللمفسرين خلاف في ان هذا الميقات
غير ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة في هذه الآية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في
تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك ان منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال
انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام
بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا اختل التناسب وعن علي رضي الله عنه ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل
فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله فقال ما قتلني
احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة حتى كادت تنبت مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى
وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال في الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة
لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما
بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف
اي لا تهلكنا قيل لو كان سفههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب ان يقال اتهلكنا بما قال السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر
عنهم كعبادة العجل او غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان
هي الا هند قاله الواحدي ولعله يعود الى معتقد هي ما المعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا
كلامك او حين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيضلون ويهدي به من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة في الآية دلالة ظاهرة على مذ
هبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها او لعدم الايمان بانها من عندك
تشاء وتهدي الى الجنة بها لا ضداد ما قبلها من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتنقذ منها من تشاء انت ولينا بتقييد الحصر
اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جراءة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه في طلب المغفرة والرحمة الى
وانت خير الغافرين لان غفرانك بغير حق تقدم ولا على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة
المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم انه كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه
دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم
رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك قال اهل اللغة الهود التوبة اي تبنا ورجعنا اليك

وبعهد ذلة العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين
قال الله تعالى جواب موسى عذابي من حاله وصفته اي اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في
الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرا الحسن اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من
العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر المحققين ان رحمته في الدنيا يعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الا
خرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب
بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير
واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعي التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين
يتقون اشارة التروك والتكليف الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب
على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى اخره وصف محمدا صلعم في هذه الاية بصفات تسع الاولى الرسالة والثانية النبوة فا
قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر قلنا لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملا
ئكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون احد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح بما علم
ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال صلعم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على
هيئة يوم ولد لم يكتب خطا ودراسة وكان نعتا من جملة معجزات نبينا صلعم وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرا عليهم كتاب الله منظوما مرة
بعد اخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد ان يزيد فيها وينقص فهذا المعنى امر معجز كقوله سنقرئك
فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة كان متهما بانه طالع كتب الاولين ولما اتى بهذا القران العظيم المشتمل على اجل العلوم من غير تعلم ومطا
لعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا
يتعسر الا على فطنة قليلة ومع ذلك كان لا يحفظ الخط شاهد عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بين هاتين
الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الضمير في يجدون للذين
يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته في التورية اذ لا يمكن ان يتبعوه في
شرايعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل لمن المحال ان يجدوه في الانجيل قبل انزال
الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكوة وامن بالدلائل في زمن موسى واتبع في
اخر الزمان في شرايعه وهذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التورية والانجيل والا لما كان ذكر هذا الكلام من اعظم القوادح والمنفرات لاهل
الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعي فلو لم يكن كذلك لما اصر على ذكر ذلك على ان الامر في نفسه كذلك الخا
والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران ومجامع ذلك محصورة في قوله صلعم ما
الدين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا تاما وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب
النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء التي
حرم الله تعالى عليهم بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم الحلال لات وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد ويبين لهم المحللات وفائدة العدول
ان يعلم كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع لا يحل الا بدليل منفصل وقيل يعني ما يحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم
وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل ما يستخبثه الطبع والاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل
التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة
التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل
وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم في اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها
على السارية يحبس نفسه على العبادة والاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلعم
بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الايمان به بقوله والذين امنوا به قال ابن عباس

يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لانه منع
معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي انزل معه وهو القران
اي انزل مع نبوته ظهرت مع ظهور القران او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القران كما اتبعوا النبي مصاحبين
له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فساكتبها للذين يتقون بين ان من شرائط تلك الرحمة لاولئك
المتقين كونهم متبعين لرسول آخر الزمان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على
الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلعم مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لها العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني ان محمدا رسول
صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب
عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير
المكلفين لقوله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العالم
لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم من الاصناف الثلثة ينافي كونهم عليهم بهذا الاعتبار لخلوهم تحت
الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه مبعوث الى كل الخلق فليس فيها
دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان
بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وحينئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية
اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى
لانه عرف التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا ثم لما امر رسول الله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانه لا
تتم الا بتقرير اصول اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان
له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يكن القول ببعثة الرسل وحمل الذي نصب او رفع على المدح اوجه لا او ومنها انه وثانيها ان اله العالم واحد
وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الآخر وثالثها انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والحساب كما قال
يحيي ويميت وانما لم يتوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبتت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى
ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان فردا منزها
عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من الطاعة ايضا لا الى الجزاء والى لذة الا
بدونه كونه لجزاء ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها اجل الاو
صاف وادلها على حقيقة وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لان مكة كانت بلدة الجهال وما غاب عنها رسول الله غيبة طويلة يمكن التعلم
فيها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القران الذي يشتمل على علوم الاولين والاخرين فليس ذلك الا بتأييد سماوي وفيض
الهي ثم وصف بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي يجب ان يكون من آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله بل عدل الى
المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكلمات اما نظرية واشار اليها بقوله فامنوا واما عملية
واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من اقواله والثانية اشارة الى المستفادة من افعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد وا
ظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر الوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك
الفعل من خصائصه معنى الترجي في لعلكم تهتدون وقد مر في نظائره لاسيما اول البقرة في قوله لعلكم تتقون لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته ذكر
ان في قوم موسى من اتبع الحق ويهدي اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون
وبهذه الامة متحصلة وفي اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم كعبد الله بن سلام وابن صوريا
وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شان كما اطلق على الواحد في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى
ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل في زمن تفرق بني اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا اقاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في

وبه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا اليه وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم ان المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن نبأ ان خبر نبيا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع انتشار هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نيق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي صلعم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم التاويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترتك والذي اختاره موسى كانوا مستحقين لسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان قلب موسى عليه لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك فتم عزة الربوبية وظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشرك بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة تدنسا بالجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم صعقة القهر عند الظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عم ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى صاعقة القوم من آثار صفة قهره واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلعم فسأكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نقاب هذا المقام الزكوة الى طلابه والذين هم بانوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلثة وهي الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال صلعم اول ما خلق الله روحي وقال لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة فبان تاخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك وهو ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن وللعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح ببركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤول بحاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولكن يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلعم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام امته فذلك لاخص الخواص وذلك انه صلعم يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي انزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم لختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير من متابعته من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد حظي من مقام امته مكتوبا عندهم وبالحقيقة هو مكتوب عنده في مقعد صدق يامرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كلما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم اي العهد الذي بين الله وبين حبيبه ان لا يوصل الى مقام امته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم فكان هذا العهد عليهم شدة واغلالا يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي صلعم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته اشار الى هذا المقام بقوله فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه بانفسنا واختصاص هذا المقام بدون ساير الانبيا والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذي به ملك سموات القلوب وارض النفوس لا مدبر فيها غيره يحيي قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته هي ما اوحي اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون في الحكم بين العوام فشتان بين امة غايتهم البقوى هداية الخلق وكان بينهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية بلن تراني وبين امة امته بلغوا بجذبات انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى استوى امة ابيض وقال في حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى عم اللهم اجعلني من امة محمد شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا

عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون

القراءة تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم بجمع جمع

الكسائي ابو عمرو خطيتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطائكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع السلامة المؤنث يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بيس مثل ريم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل كسيد ابن عامر بايس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمي الباقون بيس على فيعل تأذن بالتليين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تتقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد الاخرون بالتشديد

الوقوف امما وان اتفقت الجملتان لان اوحينا عامل اذا استسقيه دون قطعنا فان تعريق الاسباط لم يكن في زمان الاستسقاء الحجر للحذف مع اتحاد الكلام اي فضرب فانبجست عينا والسلوى ما رزقناكم للحذف فيجلاي قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون خطيئاتكم المحسنين يظلمون البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا للقول وسئلهم فان محال لا تأتيهم لاحتمال تعلق كذلك بما اي يوم لا يسبتون لا تأتيهم اتيانا كاتيانها يوم السبت والاصح كذلك صفة مصدر محذوف اي نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون قوما لان الجملة بعده صفة شديدا تتقون ينتقون خا سئين العذاب رحيم نصف الجزء امما لاحتمال كون ما بعده صفة اوستانفا دون ذلك للعطف قطعنا فان يجعل الجار صفة للامم كما نعطفا على يرجعون سيغفرلنا ياخذوه مافيه تتقون تعقلون الصلوة على تقدير حذف اي لا نضيع اجرهم انا لا نضيع اجر المصلحين ولا نضيع اجر المصلحين ولا وصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اي انا لا نضيع اجرهم المصلحين السبع الثالث واقع بهم لحق المحذوف تتقون

التفسير انه سبحانه قص في بني اسرائيل تعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا وفرقا وميزنا بعضهم عن بعض كيلا يتحاسدوا وينازعوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط بمعنى التتابع فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنتي عشرة سبطا واجيب بانه كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله **شعر** تبقلت في اول التبقل بين رماحي مالك ونهشل وهذا لان اثنتي عشرة وقال الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة والمميز محذوف كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد وكل قوم خلاف ما لمات ثم تمة الاخرى وباقي الآية الى قوله بما كانوا يظلمون تقدم تفسيره في البقرة وكنا بان التشابه فنذكر النوع الآخر من احوالهم قوله سبحانه وسئلهم عن القرية اي عن اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلعم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم انهم قد اقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك وليس كفرهم بمحمد اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم به ثم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا والاكثر على ان القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة منه وعلى شاطئه اذ يعدون في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اي وسئلهم عن وقت عدوهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اي دنت من المغيب والحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والآخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن وقالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر ابواب الشرور النوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكم في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك في الفساد لا يكاد ينفع قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا الله معذرة الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة او وعظناهم معذرة الى ربكم اي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فيكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولا تأويل تنقطع بعض الاتقاء فتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من يؤس يبؤس باسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر في قوله فلما عتوا اتكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد امر التكوين والايجاد لا ان هناك قولا وقيل

فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه قد بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون قوما فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او يعذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجمع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة لم تعظوا اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة نقل عن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الآية يبكي وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله سيهلكهم او يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يحكموا بانهم بعدكما حكم به هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لانه العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بانه يفعله واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين الا على ان لهم نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المعتدين والحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلعم ودعاهم الى شريعته فتتابعوا على الكفر واصروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلعم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستحقاق والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بخت نصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير وان قلنا اخبر الله بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح معناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهية فذكروا بالاسم الاول وانما يلحقه ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق والذين وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلعم وامنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف محطوط عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان دون صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة موضوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات الجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلفت من بعد اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء الناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف صدق وفي الذم بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد **شعر** ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الرذي من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطأ ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع بها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقولهم الادنى تحقير وتخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذون من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع بيان للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا تقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطفا على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال من ترك التمسك بالتورية ابتها حال من تمسك اي اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير وفي افراد اقامة الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة

ما شعارها بانها عاد الدين النوع السادس واذ نتقنا الجبل قال ابو عبيدة اصل النتق قلع الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امراة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي بالاولاد رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة وهي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا وتيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا وروي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية فرفع الله الطور على راسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه خذوا على ارادة القول اي قلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب او المراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء

التاويل القرية التي كانت حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحاني كصفات الروح وصنف قلبي كصفات القلب وصنف نفساني كصفات النفس الامارة بالسوء وكلهم نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم تهتك للحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فيتخذ الدواعي المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفة عند استيفاء اللذات والشهوات او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا هكذا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا لعلم انا ما تغيرنا من اوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فيتصف بالمامور به والاطمينان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس هو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذل الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن قبل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعدهم الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة للعروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية تماما يعان على القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر الحق بالتجلي ينجيهم بالقدرة الى ان يا خذوا ما اتاهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم واذ كرهم

بلغ مقابلة

واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست

بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما

اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون

وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا

فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه

اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه

يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا

القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك

هم الخاسرون ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين

لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون

ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون

ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين

كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين

القراءة ذرياتهم على التوحيد حمزة وعلي وخلف وابن كثير وعاصم سوى المفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو ويلهث ذلك بالادغام حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز

الوقوف انفسهم لان التقدير وقال الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم لفصل بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق ان بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من كلمة بلى ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون يرجعون الغاوين هوية لان قوله فمثله مبتداء ولدخول الفاء فيه تحتمل الطلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل او تتركه يلهث باياتنا يتفكرون يظلمون المهتدي للعطف ولان التفصيل بين الجملتين ابلغ في التنبيه الخاسرون والانس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها لان العطف صحيح ولكن الوقفة لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم اولئك لا يسمعون بها اضل الغافلون فادعوه بها لعطف المتفقين في اسمائه يعملون يعدلون لا يعلمون ومعطوفا على سنستدرجهم احسن من جعله استئنافا فتو تقع على المهلة متين

التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه ذكر ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رض قال سئل عنها رسول الله صلعم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلعم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس اما المعتزلة ومن اصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر امتلا الحوض وقال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون في نفسه انما هو الكلام في صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم

بدل من بني آدم بدل البعض من الكل والمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهور آدم شيا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الجمع
اللذين يتولدون من آدم ومن فلان فلان آخر على الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فبثت اخراج الذرية من ظهور بني آدم
بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن
اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وهو انا
اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع زمان فلم يبعد حصول
النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل
والفهم فكل واحدة من اولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الحجمية واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحيوة والعقل
ومن الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت او في الدنيا والاجماع منعقد على انهم بسبب
ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر واجيب بانه لا يبعد انما
يفعل والمعتزلة اذا اراد وا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت الميثاق
لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر انا سا ينافي كون الانسان مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرية من الماء
ثم منها ذرية اخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل او يميتها فيحصل للانسان اربع مراتب اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر
ورابعها في القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين الحيوتين ولحد لا ينافي هذا الكلام الكلفة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على
حسب ظنونهم اما قوله ان يقولوا فالتقدير واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين ومن قرا
بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله بني آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرا على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو
الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى او يقولوا يعني الكفار انما اشركنا لان اباءنا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك وكنا ذرية
لاسلافنا فكيف يعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر
وعند المعتزلة معناه اشهدنا عليهم كراهة ان تقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الا
عراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله
وبذريتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بابائهم لان الايات السابقة في شان اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبا
الذي اتيناه اما قوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعون الى الحق ويرضوا عن الباطل
او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار
بوجود الاله من لوازم ذاتها وحقايقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان
يشغلها التعلق عن معلومها فربما تتذكر بالتذكير وربما لا تتذكر واتل عليهم على بني آدم واليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد
نزلت في بلعم بن باعورا وذلك ان موسى عم قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب
الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب ووقع موسى عم وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب
باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعاءي عليه ثم دعا موسى عم ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله تعالى
ما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا موسى عم انتزع الله تعالى منه الايمان
فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد
الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت
كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون فلما ارسل الله محمدا صلعم حسده ثم مات كافرا ولم يومن بالنبي عم وهو
الذي قال فيه النبي عم ولقد كاد ان يسلم وذلك انه يوحد في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل
نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلعم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد
الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي عم فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي عم عن الحسن والاصم وروح

عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل اعطي ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امراة يقال لها البسوس وكان له منها اولاد وكانت له محبة فقالت اجعل لي منها
دعوة واحدة قال لك واحدة فما ذا تامرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيا
آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها
الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلث وبها يضرب المثل فيقال اشام من
البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله اتيناه اياتنا عند الاكثرين علماء
في التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيا
بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم اتيناه اياتنا فانسلخ منها اي بيناها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شان كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على
الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان في شيء موجود فيهم ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا واينما ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في
انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان
خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل
الابرار بها اي بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم
الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا وقال الواحدي فهو لاء فسروا الارض
بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع
هويه انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشا الا ان قوله ولكنه اخلد الى
الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قال الاشاعرة لفظه لو يدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائي معناه ولو
شئنا لرفعناه باعماله بان يخترمه ويزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر
على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان يحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب
الكشاف معناه ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله تعالى رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشية والمراد ما هي
تابعة لها ومسببة عنها كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو
فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنا ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله
وارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا
للمثل كما مر قال الليث اللهث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش
الا الكلب اللاهث فانه يلهث في جميع احواله الا حاجة ولا ضرورة بل الطبيعة خسيسة ففي الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك ايضا
لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة اصلية له وعن ابن عباس الكلب منقطع الفواد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون نهاية التمثيل واعلم ان التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات
هو الكلب واخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر
عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز
بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخسيسة وايضا هذا الحريص الضال
وعظته فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع
المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة
الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قراوا نعت رسول الله في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي هو نحو قصص المكذبين
لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا آخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص
بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم وساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الآية يقتضي كون المثل مذموما كيف
يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب

اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون
كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان
الهداية والضلال بتقديره فقال من يهدي الله فهو المهتدي وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن
يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوعه ولو الخسار لازم
اللازم ولا يخفى ان ظاهر الآية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلالة بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من
يهديه الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهديه الله فيقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل
بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهديه الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب
تلك الالطاف من ان يؤثر فيه فهو الخاسر وزيف بالعلم والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله عند
المعتزلة في حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهي قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل
وخلاف معلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر والجهل لدخول النار لحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل
غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقال العبد انما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه فظنه
اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام
قالت المعتزلة الآيات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة والخير كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه
قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له
نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدايم لكن القرآن مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلق وايضا لو خلقهم
للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فايدة في التكليف والترغيب والترهيب فايدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يكون المدح والذم والثواب والعقاب
في ان يستند دخولهم الى النار بخلق الكفر فيهم وايضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيدها الآذا قدر ولقد ذرأنا لكن يكون دخول
جهنم يجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب ان يأول الآية بان اللام فيها
لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ويقال انهم جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكايمهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا
لكذا اذا كان عريقا في بعض الامور والجواب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسايط معتبرة وبان
حمل اللام على العاقبة يجوز ولكن لا يصار اليه الا لضرورة تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلايل العقلية كالعلم والداعي والنقلية
كآيات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى طرف الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الآية وهو قوله من يهدي الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وايضا لا ريب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا اعين يبصرون واذان
سامعة فالمراد انهم لا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار
بلغوا في عداوة الرسول عم وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنه كتمه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس
باختيار الانسان بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان او اراد فحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشفعوي
ان علي ابن ابي طالب رض خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء وله الطمع وان هاج الطمع اهلكه
الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اشتد الرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته
المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له
مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلوب فانها مستندة
الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم ان لا خلاص من الاعتراف بالجبر وهو لا يجري اجبنا وقلنا هب انك وجدت
من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئته وان شئت ان لا تشاء لم تشاء ما اظنك تقول ذلك والا لذهب الامر
الى ما لا نهاية له فاذن مشيتك بك وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلته وان شئت الترك تركته
فيكون فعلي حاصلا بي ولا حصول فعلك بعد حصول مشيتك بك وانما انت مضطر في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه و
الفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون

الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشارك سائر الحيوانات في قوى الطبيعة
الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى
معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم يحصل هذه العلة للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عما كتب له من الفضائل
والقدرة على تحصيلها من حيث النوع كانه احسن حالا ممن لا يكتسب مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر
غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتميز منافعها ومضارها وتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها
تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تفسد اذا كان معها مرشد والكافر يفسد بعد ارسال الرسل وانزال
الكتب اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله الا
على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب
اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا
انفتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وحرمان الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلثة مواضع اخرى في بني
اسرائيل في اواخرها وفي طه وفي آخر الحشر ويعني حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة
في نوعين عدم افتقاره الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تخرج بحسب السلوب والاضافات وكذا
وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى والآن نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله تعالى ثلثة
انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وكان معناها في حق الله مغايرا
لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز وهي الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين
او يا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت
وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا
لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول
باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثاني هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم
يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مرتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء
لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلال يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلال
فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون متحققا
لا محمودا بين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات
والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء والكبير من ان يقال له اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل
عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي
يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى اللحد والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه
المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه بالرحمن الثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه
كما سمع من البدو قولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي بناء على ان السخاء مدح الثالث ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال
بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء
وكذا في حق الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون
ثم لما اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى ان بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد تقدم مثل هذه الآية في قصة
موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد في الآية امة محمد وروى الربيع ان النبي صلعم كان يقول اذا قرأ هذه الآية لكم وقد اعطي القوم بين
ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلعم قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب و
الجبلي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة

والظاهر انه علم والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنستدرجهم
بهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك انهم كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا
وانهماكا في الغي والفساد ثم ياخذهم اغفل ما يكونون واملي لهم الحيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين
من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضا والقدر حيث قال بعض المجبرة
سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة و
زيف بان هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لنكال الز
يادة من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للمصالح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكليف وامهله
ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم الآية التاويل
واذ اخذ ربك لم يقل ربهم لان في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره وغير من انعم الله به عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا
بني آدم كلمهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون يجري بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا ينتهي نهايتهم بان يكون
سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رجعوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد
الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع في ظلمة الطبيعة عن
ذكر طلب الحق محبته فادركته غواية الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يامن مكر
الله فلا يفتح على نفسه ابواب التنعم والترفه ويميل الى حب المال والجاه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فادعوه بها بان يتصفوا
بصفاتها بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم يتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب وتزكيته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا باياتنا
بان لم يوافق اثارهم افعالهم سنستدرجهم فيتخلفون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم بالصواب قوله تعالى

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ﴿٥﴾ اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿٥﴾ يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات
والارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ﴿٥﴾ قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴿٥﴾ هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا
فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ﴿٥﴾
فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتيهما فتعالى الله عما يشركون ﴿٥﴾

باثنينية

بلغ مقابلة

ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴿٥﴾ ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون ﴿٥﴾ وان
تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ﴿٥﴾ ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴿٥﴾
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون ﴿٥﴾ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين ﴿٥﴾ والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون ﴿٥﴾ وان تدعوهم الى الهدى لا
يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون

القراءة بنباي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم
بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد ال
اخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس و
الاخرون بالضم للاتباع كيدون فيها بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل ولي الله
بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان ولي الله بياءين روبس والبرجمي الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة
الوقوف من جنة مبين من شيء لان التقدير وفي ان عسى اجلهم لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون هادي له لمن قرا ويذرهم بالرفع على الاستيناف ومن
جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون مرسيها عند ربي لاختلاف الجملتين الا هو والارض بغتة عنها لا يعلمون ما شاء الله من الخير
لاحتمال ان يتصل السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب ما واحتمال ان يتصل بالجنون الذي نسبوه اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون اليها لاجل الفاء فمرت به لئن
الشاكرين فيما اتاهما لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون وهم يخلقون والوصل اولى للعطف ينصرون لا يتبعوكم صامتون صادقين
يمشون بها لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ينظرون الكتاب والوصل اولى لكون الواو للحال
الصالحين ينصرون لا يسمعوا لا يبصرون التفسير انه تعالى لما بالغ في تهديد الملحدين المعرضين عن ايات الغافلين عن التامل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم
فقال اولم يتفكروا واعلم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى الجهة المرئية كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة
بالعلم واليقين حالة متعينة في الوضوح والانارة ولها مقدمة تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ
محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم كان
تغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي يتربد وجهه ويتغير لونه والثاني انه فعل وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله

كل

مجالسنا لنعلمهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلعم قام ليلة على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا
لمجنون واظب على الصياح الى الصباح فامرهم الله بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه صلعم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القا
طعة بالفاظ فصيحة يعجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء
العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤ
منين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي ملكوتهما والملكوت الملك العظيم وفي انكار
عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة
عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء اي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلائل على
التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين
من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد
من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل
وانه عسى على ان الضمير للشان وفي ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت والقيمة
واذا كان احد هذين الاحتمالين قائما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما
قوله فباي حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على القرآن على انه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما يرادف
الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله ومن يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر
اتبعه الكلام في المعاد فقال يسألونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلف على
المسارعة الى التوبة واداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش
قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيمة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق ايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مر
سيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل من اويت اليه لان البعض ياوي الى الكل
والكلام ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان ولقلة فعلال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي آن وان حذفت الهمزة بعد الياء الاخيرة
فبقي ايان فادغم بعد القلب وقيل اصله اي آن يعني اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون باي ودونا بآن الاتيان او يستعمل الابدال والتعريض في
معنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارسيت السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلائق
قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكاد يخفيها من نفسها ليكون ادعى الى الطاعة
فانزجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي للجزع عن وقتها ولا يجليها احدا الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها
المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل
الارض لانه في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلائق لعظم ما فيه من الشدائد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي اشكل
واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف روي عن
النبي صلعم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلعم
انه قال والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتأكيد ولما نيط به من
زيادة قوله كانك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا خص
باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لانه اعظم الاسماء اسمها به هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه قيل
انه البار اللطيف وعن مجاهد الباء اي كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عائد الى قريش لانها ادعت القرابة
وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغا التبليغ البعيد
من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام

او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصى فالمعنى كانك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا
التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسئلة اذا بالغ فيه وقيل المراد كانك حفي بالسؤال عنها اي تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال
عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيمة حق وانما يقولون ان هي الا حياتنا الدنيا
او لا يعلمون السبب الذي لاجله اخفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم اكد تبرئته باظهار ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم
العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة
والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشيئة الله تعالى واجا
المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الآية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة
النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري فنربح وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل
الى ما قد اخصب فانزل الله هذه الآية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح
والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق يؤثر في هذا ولا يؤثر في ذلك فكنت اشتغل بدعوة
هذا دون ذلك وقال بعضهم لما رجع صلعم من غزوة بني المصطلق فاخبرهم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله
بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال صلعم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب
قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب و
في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير وهو للكافرين محذوف للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر ويتعلق بالمؤمنين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا
هم المنتفعين به اختصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو
لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلالة في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبا تقدم البسط
في قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس
انها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان
اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا اي ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها
النقاد لوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى آخر الآية وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنا
ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم صلعم كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاق عليه الاسم كيف لم يعرف ان ابليس كان حاضرا
ام كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان اسماء الاعلام لا تفيد في
المسميات فائدة فلا يلزم الاشتراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها انه عند مثل كانه
يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على
المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها وكان التذكير احسن طباقا للمعنى فلما تغشاها اي جامعها لان ذلك اعلاها صار كالغاشية لها حملت حملا
خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او على رأس الشجر وبالكسر ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت ومضت على ذلك الحمل من غير ازلاق
وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما يلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا
ولادتها دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان
الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف المضاف اي ذوي شرك وهم الشر
كاء ايضا والمراد احداث الله اشراكا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها ان
يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم وهم آل قصي هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا
من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا
بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الآية وردت في قصة آدم الا انه لا يجوز ان يكون قوله جعلا واردا في معنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال

فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم ع م كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع
الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم
فعلت في حق فلان كذا واحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة تعالى بري من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد ويقول لم لا
يجوز ان يكون قوله جعلا على حذف المضاف اي جعلا اولادهما شركا وكذا فيما اتاهما اي اتى اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين
ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا ان الضمير في جعلا وفي اتاهما لآدم وحواء لانهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على
خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح الدنيا فاريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال فتعالى الله عما يشركون لان حسنات
الابرار سيئات المقربين او نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعاية وتدبير المنعم عليه عبد المؤمن ومنه
قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلم يحصل الاشراك في لفظ العبد اصلا معاتبين بذلك والله اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية
فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتج
الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وحال
الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهي المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد
كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل ان الاصنام لا تضر من اطاعها ولا تنفع من عصاها فالعبدة هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم
ذكر انها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشيء من الاشياء وانها لا يتبع منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال الخطاب لهم من
يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا
يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله فيما بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه
بما تقدم في اوائل سورة البقرة في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم
معضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم ثم اكد
بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فقيل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد واجيب بعد تسليم اختصاص
العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم
عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتموها آلهة لكم وأربابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها آلهة ولام الامر
للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للمعبودية وانها والعباد سواء بل هم اخس وادون بدليل قوله الهم ارجل
يمشون بها الآية وذلك ان كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه
عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدني وانما قلنا كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن
ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له نعم هذه الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة كان اشرف ممن يفتقر
في افعاله الى الآلات فضلا عمن لا فعل له ولا آلة فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم يكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على
عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلعم بآلهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون امر الكيد المكر فلا تنظرون نهي من الانتظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله انه لا يبالي بغيرهم كما ينبئ كان
ثم لما صرح بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي الله الآية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين اما الدينية الاخروية
فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة واما الدنيوية فهي المراد بقوله وهو يتولى الصالحين اي من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم
وفي ذلك ييأس المشركين ان ينفع كيدهم حكي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه
الله فلا حاجة له الى مالي واما ان يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاحه ثم قال وفي التقريب الا
الثانية تطول لانها حكاية كلام موسى الهم الا ان يقال التقريب في التقرير ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه
الآية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الآلة المعبود يجب ان يكون
بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا يكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لا اسماع سمع ولا اسماع اجابة وتريهم يحسبهم ينظرون
اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون لا بد ان تكون المرئي وقيل الضمير في قوله وان

تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين المذكورين في قوله قل ادعوا والمراد انهم لغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم
يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم ينظرون الى الناس واليك ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي بعيد قوله في
موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور **التأويل** اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والنظر والاستدلال
لتحصيل الايمان ولارباب القلوب الولوج والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت
الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجلهم نياتهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر والاستدلال فبأي حديث بعده
بعد النظر يؤمنون يسئلونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلم يبق منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحيوة الابدية ودفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة وهي الروح وخلق منها زوجها
وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يتشم من القلب نسايم نفحات الطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية بظهور اوائل
اثر من آثار الصفات البشرية في القلب الروحاني فلما اثقلت كثرت آثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية
الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا
جعلا اي الروح والقلب لهما شركاء اي جعله وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصار عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدنيا ولا يستطيعون
لهم نصرا اي لا يستطيع الدنيا ومن فيها الروح والقلب والنفس تقوية وتربية الا بالله ولا انفسهم ينصرون للفناء والدوام والله الموفق ع

خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ۝ واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ۝ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون ۝ واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ۝ واذا لم تأتهم
بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون ۝ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ۝ واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من
الغافلين ۝ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ۝

القراءات طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الآخرون
بفتح الياء وضم الميم من العفو ومدغما ابو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة بالوقف **الوقوف** الجاهلين بالله عليم مبصرون
لان قوله واخوانهم مبتدأ الآية المعنى يقتضي الوصل لبيان الاختلاف حال الفريقين لا يقصرون اجتبيتها من ربي لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد
المقول يؤمنون ترحمون من الغافلين يسجدون سجدة **التفسير** لما ذكرنا طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد
الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله
خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال لنبيه
فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالمعروف وهو المعروف والعارفة وانه كل امر عرف انه لا بد
من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر في هذا القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا
امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت

هذه الآية قال رسول الله يا جبريل ما هذا فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك قال اهل العلم تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا
عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهلين وعن جعفر الصادق رض ليس في القران العزيز آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين
في تفسير الآية طريق آخر قال خذ العفو اي ما امرك به عفوا اي خذه ولا تسأل عما وراء ذلك فنسخت بآية الزكوة وامر بالمعروف اي باظهار الدين الحق وهو
غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذه منسوخة بآية القتال والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم
فايجاب الزكوة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان اخذ الزكوة مامور بان لا ياخذ كرايم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع
ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابو زيد لما نزل قوله واعرض
عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد
نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة اي الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول
للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته لا اعراض عن مقتضى الطبع
والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها
لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الابتلاء بوسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة
والجواب ان كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه نبئ تلك الوسوسة منه ولو لم تحمل على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان
القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني
عليم ثم ان حال المتقين قد يزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم
الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف قال الفراء الطايف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعافية والكاذبة وكثير يلاحظ الاصح انه اسم
فاعل من طاف يطوف او من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرا طيفا فهو اما مصدر اي لمة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف
كلين او من طاف يطوف كهين قال في الكشاف وهذا تقرير وتاكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم
اذا اصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسة ومفعول تذكروا محذوف اي تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج
بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات
عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور فاما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما تقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة
وقدرا منه تلك في الازل وحتم لان كذلك فلا سبيل له الى تركها فحينئذ يفتر غضبه كما قال عم من عرف الله في القدر هانت عليه المصايب وايضا انه كم
في العمل وقد يتجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه وانه اذا بقي الغضب كان شريكا للسباع المؤذية فاذا اختار العفو كان مشابها للانبياء والاولياء
ومستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا بالجملة فالمراد من قوله اذا مسهم طايف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد من
قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات واما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدونهم قد يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يمدون شياطين الجن في الاغواء والاضلال او الى الشياطين فيكون الخبر
جاريا على من هو له والمعنى واخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اي يكونون مددا لهم في الغي وجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال
الواحدي عامة ما جاء في التنزيل ما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وامددناكم باموال وبنين وما كان بخلافه فانه
يجيء على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الثاني الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله لا يقصرون فالاقصار
الكف عن الشيء قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا ابتلي
بغي ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوايهم فقال واذا
لم تاتهم باية وذلك انهم كانوا يطلبون ايات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ثم انه صلعم اذا لم
ياتهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها قال اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه وجبى اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا افتعلتها واجتبيتها
من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر والمراد هلا اخذتها ما اقترحنا على الهك ويعطوك ان كنت

صادقا في ان الله يجيب دعاك ويسعفك باقتراحك وعند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي فلست بمفتعل للايات
بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية في تصحيح
النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فقال هذا يعني القران بصاير اطلاق لاسم السبب على المسبب وذلك ان بها تجلى بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا
وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصاير لاصحاب عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لعوام الخلق
لحين المقلدين والجميع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القرآن بتلك الاوصاف علم المكلفين او باحسانه بابه واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا الا
نصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن
واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل ياتي وهم في الصلوة فيسالهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في
الصلوة لحوايجهم فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلوة ~~فنزلت وقال قتادة كان الرجل ياتي وهم في الصلوة~~ وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام كما
روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا في الصلوة المكتوبة وقرا اصحابه وراءه فرفعوا اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء
وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة او على الخطبة بعينها
بناء على انها قد تسمى قرانا لاشتمالها عليه واجيب بان كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه لو قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية
بدخول الدار مرة اخرى وبدليل ان الشافعي اوجب على الماموم ان يقرا الفاتحة ورد بان الماموم انما يقرا الفاتحة في خلال سكتة الامام كما قال ابو سلمة للا
مام سكتتان فاغتنم القراءة فيهما سكتة بين التكبير الى ان يقرا واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت الامام واجب ام لا
والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وحينئذ يلزم ان يحصل قراءة الماموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس
له حد محدود والماموم مختلفون في بطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن الماموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور
وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالتابع للماموم وذلك غير جايز قال الواحدي الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرا في نفسه اذا لم يسمع
احد واورد عليه انه غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن انما نحصل الاستماع مع قراءة ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث
يحيط بذلك الكلام المسموع على وجه الكامل ولعل الانصاف ان الاستماع على تقدير الانصات المفسر يمكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء
عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القران بخبر الواحد وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم
للشافعي انه لا يجوز للماموم القراءة الفاتحة في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوة السرية لان الآية لا دلالة لها على هذه الحالة
وفي هذه الآية تفسير آخر وهو ان الخطاب في الآية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصاير وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا قرا
عليهم القران عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مبانيه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب ساير المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله في
اخر الآية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الآية
من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القران العمل بما فيه ثم امر نبيه وامته بتبعيته بالذكر العام قرانا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع
القران كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي الآية قيود الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام
وليبدل على الطمع والرجاء الثاني ذكر الرب في النفس ليكون ادخل في الاخلاص وابعد عن الرياء وقيل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي
يذكرها بلسانه قال المتكلمون الذكر النفساني هو الكلام النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخايفا فالتضرع
لاظهار ذلة العبودية والخوف اما مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذكر شغفوا بالجمال عاشوا واذا شغلوا بالجلال طاشوا وانما
خوف الخاتمة بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يتخذ لكل الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء لان
هوانه يذكر به على وجه يسمع نفسه وانما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتاثر من الذكر القلبي فيوجب تقوي النفس ولا يزال تتزايد في ذلك الى ان يجري
على لسانه بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه سريانا معنويا لا يخلو عنه ذرة من الكثيف بريا من الكثيف السادس قوله بالغدو والاصال والغدو
مصدر غدا يغدو اي لما وقت الغدو كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الاصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت الذي بعد العصر
الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدي في الشرع من اول الليل فيبقى اخر النهار اصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل في اليوم
الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدوة عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي
طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية وفي الاصال الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع

ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القرآن

قديم حكيم غير خبير فوجب ان يكون الملك فيهما مشتغلا بالذكر والخضوع ويمكن ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبي يجب ان يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس وتستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى عندية الشرق والغرب من عنايته والطاقة لا يستكبرون عن عبادته فيعرفون على ذلك ويسبحونه ينزهونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون يختصونه بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يرجع الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد مواظبون على العبادة والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يواظب على ذكر معبوده ويجذب ما امكن الى العالم العقلي ويحرك الاصابع وليصفي مرآة قلبه عن اصداء الهواجس وينتقش بالجلايا القدسية والمعاني الخفية والله ولي النعم **التأويل** ولي بالمعروف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان والدنيا في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب كما قال عم التقوى ههنا واشار الى صدره طايف من الشيطان نزغ من العمل الشيطان يراه القلوب بنور التقوى ويعرفه فيتذكر انه يفسده ويكدر صفائه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تاتهم اي لم تات القلوب باية من الله لتجزئ النفوس عن تكذيبها قالوا اي النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصيتك قلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا قدرة لي على تزكية النفوس الا بتوفيق الالهام الرباني فاستمعوا بآذانكم الظاهرة وانصتوا بالبالمنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقي وخلقكم لم كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع من القرآن من بارئه فقد سمع من قاريه وهنا الرحمن علم القرآن وهي للسعد لخطاب واذكر ربك في نفسك بان تتذكر اخلاق الله فتحيا بها اخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسطة ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فان انشاء سر الربوبية كفر في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى

سورة الانفال مدنية حروفها خمسة الاف ومائتان واربعة وسبعون كلمها الف ومائتان وثلاثون اياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما

بلغ مقابلة

يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم

القراءات مردفين بفتح الدال ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر **الوقوف** عن الانفال والرسول لعطف المختلفتين مع الفاء ذات بينكم مؤمنين يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدا والوصل اولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بجملة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا كريم لما يجيء في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون ينظرون الكافرين المجرمون لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر او بقوله ليحق مردفين قلوبكم لابتداء النفي مع احتمال عند الله حكيم **التفسير** روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلعم من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستاثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلعم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلعم والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذنا واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلعم بينهم بالسواء وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلعم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلعم وقد نزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الامور الماخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل سميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سال والضمير في يسألونك عائد الى جمع معين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد انهم سالوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سالوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الآية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسالوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعده وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلعم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سالوا عن الخمس فنزلت الآية امر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله والرسول يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي واحد وقال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الآية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة فقال واتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي التي هي بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان تنبيها

على ان كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان
يكون على ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل مركب لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة
بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اجلى واتم وكذا من يحصل له المطلوب وليله كان علمه اتم ممن لا يجد على المطلوب
سوى دليل واحد فلهذا يورد العلماء لاثبات متعددة على مدلول واحد ويشهد له قول القائل شعر وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الثاني بتجدد التصديق
وتجدده فمن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه ازيد من تصديق من صدقه في شيء واحد ففي الاية انهم كلما سمعوا اية بتجددة اتوا باقرار جديد
الثالث انه لما كان الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الاية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال اولئك هم المؤمنون فدل على ان
الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبي صلعم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة فبسبب دخول التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم
يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب
فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل
شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها واساسها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل
وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك
اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز له ان
يضيف اليه حقا او لا بل يستثني فيقول ان شاء الله والاول مذهب ابي حنيفة لما ورد في الاية والشك في الايمان لا يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق
والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل انا مؤمن هل هو موصوف
بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلاثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك
في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك انما هو لرعاية الادب ولعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع
الادب فيه تفويض الامر الى حكم الله سبحانه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وانه تعالى منزه عن الشك روي عن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الا
يمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما
المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه
من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وحكي عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى وقيل كان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي فيما فيه ثم اخبر عن ماء لهم فقال لهم درجات عند ربهم
اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التالم من حال من فوقه كما قال سبحانه
ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن يذب به نقله
الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقران كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال
من كل زوج كريم وقيل لعلها لا تكون كما قال بعض العارفين للعقود ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته و
محبته قوله عز من قائل كما اخرجك تحقيق تشبيه شيء بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول ان المشبه مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك
المعني ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلعم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل
قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله ان اعطيتهم لم يبق لاصحابك شيء
فنزل قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي النفس بعض شيء من الكراهة الثاني ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي يثبت الحكم واستقر ان الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا
المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله الحقة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه اقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو ان
الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف يتعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك

ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته بالمدينة تشبيها لانها مهاجره ومسكنه فلها باختصاصه كاختصاص
صاحب البيت بمسكنه وقيل بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم
ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر وروي ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خروجهم فنادى
ابو جهل اللعين فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلعم لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات عاتكة بنت عبد المطلب
رؤيا فقالت لاخيها العباس اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث
بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير وفي المثل السائر لا في العير ولا في
النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلعم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا
من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فقام عند غضب النبي صلعم ابو بكر وعمر فاحسنا اي الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل
من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون ولكنا اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا
فكان النبي صلعم يتخوف ان يكون الانصار لا يرى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلعم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم ولمرجع الى التفسير قوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين اي بعد اعلام النبي صلعم بانهم ينصرون
قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد
وروي انه ما كان فيهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقوله انها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته
ويعليه بكلماته واياته المنزلة لتتفق محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم والدابر
الاخر يعني انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي لا
ظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل وقيل يتعلق
بيقطع فان قيل الحق حق لذاته فكيف يمتنع تحصيل جعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية
رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بتثبيت ما وعده في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الا
سلام ومحق الكفر الحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي تحصل في ضمنه
اثبات كلمة الحق ودفع كلمة الكفر واحتج الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقايد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال المراد
من اظهار الحق ومنع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالاية
على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل واجيب بان اللام في الحق ينصرف الى المعهود
السابق اي في هذه القصة فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون والمشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون
وفي موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا
يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه

يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل لعنه الله اللهم اولانا بالحق فانصره ودعى رسول
الله صلعم بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة كقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
بكسر الدال وفتحها من اردفته اياه اذا اتبعته متعديا الى مفعولين او من اردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين
بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعضهم او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم والملائكة اخرى ومعنى الثاني تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين يتقدمونهم
على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة
على الميسرة وفيها علي ابن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب
ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة ... لا انتم وروي ان رجلا
من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول
الله صلعم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي
وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير آل عمران وكذا
تفسير قوله وما جعله الله الاية وقدم هنالك وقد بقي علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين يعلمون ان قوله فاستجاب لكم وقدم به قلوبكم و...
بر في آل عمران ازدواجا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعل في آل عمران
صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم **التاويل** كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما سألوا وقيل الانفال لله
والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايتمار زادتهم ايمانا
تزايد الانوار كما اخرجك فيه ان اخراج المؤمن الحقيقي عن اوصاف البشرية الى مقام العندية بجذبات العندية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي
صفات الجمال والجلال وان فريقا من القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في الحق بعد
ما تبين بحجة كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما
غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى واختيار الوا
ردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير ... سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على
عنقاء الجذبات الى ... وقاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مقام المكالمة وكان محمد من المجذوبين
وكان سيره على جناح جبريل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السالك
الى موافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب
من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها فما ... من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية ... بتبديل الاخلاق وما النصر الا ... هلاك النفس وصفاتها
الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد افناء الوجود حكيم في كل ما يفعل بمن يفعل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين

امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان
الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو
خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ۴

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن
كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشديد وهي بالامالة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة
حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر **الوقوف** الاقدام لتعلق ان
بمحذوف هو اذكر الذين امنوا كل بنان ورسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم المصير قتلهم لعطف المتفقتين رمى لاحتمال ان يكون الواو
مقحمة واللام متعلقا بما قبلها واحتمال ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي ليبشرها وليبلي حسنا عليم الكافرين الفتح للفصل بين الجملتين
المتضادتين مع العطف خير لكم لذلك نعد كثرت لمن قرا وان بالكسر المؤمنين **التفسير** قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر
او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس كنا
اغشائه وتغشيته متضمنا لمعنى يتغشونكم كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او يغشيكم النعاس
فتنعسون آمنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي يغشيكم ايمانا منه وجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو
فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انه انامكم في وقت كان من
حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقد مر فوائد هذا
النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل
هي الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاول عام وهذا خاص وقيل المراد انه لا شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الاية دلالة
على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ
فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة قد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا
بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله صلعم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام
وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا لم يقف
فلما ربط الله على قلوبهم اي سواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان
يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من اليقين وروي ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع
التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم اذ يوحي
ربك الى الملائكة وهو بدل ثالث اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوا وقيل الخطاب للمؤمنين
لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين امنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انهم عرفوا بقوله
سالقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا
ويلقوا لهم ما يتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالهام من الملائكة كما ان الوسوسة من الشيطان وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور قوم

عن معادهم وكادوا ابعد وفهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل وكان ايقاع الضرب فيها ازالة الراس عن الجسد
وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح احوال الانسان التي يريدان يقيمها من ابن بالمكان اي اقام به و
المراد بها الاطراف من البدن والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاء والآن ما فوق العنق هو الراس وهو اشرف الاعضاء والبنان
عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم
النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء الآية للمدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وعن الكشاف ان يكون
قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به اي قولوا لهم قولي او يكون في ارادة على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولي سالقي و
الضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب شاقهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي
نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقدر نزر في جنب ما اعد الله لهم وله مثالهم في الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي له او الكاف
في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب في ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم
او النصب والتقدير عليكم ذلكم اي الزموه فذوقوه وهو كقولك زيدا فاضربه قال الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى
مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز ان يكون مبتدأ ومحذوف الخبر اي وان للكافرين
عذاب النار حق او بالعكس اي والحكم والشان ان للكافرين وفي ذكر الذوق اشارة الى عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين يمشي كل فئة مشيا رويدا
الى الفئة الاخرى يتدانى للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اذ لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم
الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة
والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار ولا تجعلوا ظهوركم تليهم او من
تقدمة نعي لهم عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا في قوله ومن يولهم يومئذ دبره ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين
قتال الآخر فالقتال وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا اي منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين
سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهر هو انه في معنى النفي كانه قيل لا
يولهم ولا يعطفهم في حال من الاحوال الا في حال التحيز ويجوز ان يكون استثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل به ما فعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر انه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا
الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف وغيرها من
الصورتين من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالآية على القطع بوعيد الفساق من اهل الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة
والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلعم كان حاضرا بنفسه ولانه نقم ونعدم النصرة ولانه كان اول جهاد فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ
الفداء واكثر المفسرين على انه عام في جميع الحروب لان العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين لان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا
اقبلوا على التفاخر فكان القايل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب الشرط المحذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه قريش قد جاءت
بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي اعطني قبضة من حصباء
الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية لرسول
الله صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد تاثير القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت
حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلعم تلك الحصاة فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلعم يريده فاعترض
له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلعم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلعم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع
فطعنه بحربته فسقط ابي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال
والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم مكة فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل
نزلت في خيبر حين رمى رسول الله بسهم فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه والصحيح من الاقوال هو الاول لان ما قبله وما بعده

اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل لا
لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان البلاء ههنا النعمة لا مكان يحتمل المحنة اي الذي فعله يوم بدر كان بالسبب حصول تحقيق شاق عليهم
فيما بعد ذلك من المغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض اي الغرض ذلكم وان
الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس يقول لرسول الله صلعم ويقول اني قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبا
برتهم واسرت اشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى النبي صلعم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد
فافتح بيننا وبينه فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين
استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم
ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان يكفوا عن المنازعة في امر القتال او عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم
الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك التأويل اذ يغشيكم النعاس امنة فيه تقليب الحال الى ضده بامر التكوين
كما قال كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من د
نس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب وساوس الشيطان وهواجسه وليربط قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على
طريق الطلب اني معكم فثبتوا انبه ان التثبيت من امر الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب في قلوبهم وغيره كما اذا لقيتم الذين كفروا او لقيتم كفار النفوس وصفاتها
مجتمعين على تهيج القلوب وصفاتها فلا تنهزموا ولا ينقطعوا عن صراط الطلب الا متحرفا لاقبال يحرم فلتهيئوا اسباب القتال مع النفس او راجعا الى استمداد من الروح وصفاتها
او الى ولاية الشيخ او الى حضرة الله تعالى يستمد في قمع النفس وقهرها بالتوفيق للمجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفي القتل عن الصحابة بالكلية ولها ان الى
نفسه تعالى ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى بالقدرة كان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى بصفة الاحياء
كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ليجتهدوا في متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى
الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته ازلا وابدا وانما التغير في احوال الخلق فمن عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح
ابوابها محظوظون وان ينتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم وترككم الى انفسكم واعمالهم ولن تغني عنكم
شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما من نعيم مما اعد لاهل الله وخاصته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٥

يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ٥ ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ٥ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين
لا يعقلون ٥ ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ٥ يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
وانه اليه تحشرون ٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا
ان الله شديد العقاب ٥ واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون
ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ٥

يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ٥ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ٥ يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ٥ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٥ ع

القراة ولا تولوا بالادغام البزي وابن فليح **الوقوف** يسمعون للاية وللعطف لا يسمعون لا يعقلون لا سمعهم معرضون لما يحييكم لعطف المتفقتين مع اعتراض الظرف يحشرون خاصة لمامر العقاب تشكرون تعلمون فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم العظيم او يخرجوك ويمكر الله الماكرين **التفسير** انه سبحانه بعد ذكر جبر قصة بدر والغنايم ادب المومنين احسن ادب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنايم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد او لان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد وكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان وجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه يعني انه ماذا يسمعون الا انه يعلم من سياق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم لامر المذكور اوانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ولا يرتضيه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم ختم التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي ان شر من يدب على الارض او ان شر البهايم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهايم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هولاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار ابن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سالوا النبي صلعم ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هولاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله على اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها في صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لاجل انتفاء غيره فيكون التولي منفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والنام القبول والمراد بالاسماع الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقوله صلعم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر انه على تقدير الاسماع معرضون وخلاف معلومه وخبره محال وقال في الكشاف ولو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او لو لطف بهم فصدقوا لارتدوا وبعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وترتيب هذا التفسير على مذهب المعتزلة ظاهر ثم امر المؤمنين او بامر اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير لان المراد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي صلعم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على ان ظاهر الامر للوجوب

والافلم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاية لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المومن من الكافر وقال قتادة يعني القران لان فيه العلم الذي به الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لانه وهن لاحد العدوين سبب حيوة الاخر او لان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدايمة لقوله بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القران والايمان والجهاد وكل اعمال الخيرات والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسيلة الجبر والقدر ينقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقايد حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله واليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا اشقياء بين معاقبين اما الجنة او للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يامر بها ولو كان الامر بغير المقدور جايز لكان القران حجة للكفار على الرسول لا عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قال اهل الجبر فتاويله ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الحد يدل عليه قوله وانه اي وان الشان اوالله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تستبقي اسم محله كناية تبادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل والمراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز الى حالة القوة والشجاعة وقد يبدل الامن خوفا والخوف امنا والذكر نسيانا والنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جايز على الله تعالى واما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تامنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على مكنون القلوب وضماير وان قربه من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل هو افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لانه فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شيت لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وشرط الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او الاشتمال ذلك على نوع من اصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر للبيان كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا لتلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلعم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلعم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونهم لكونهم اعداء لكم فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء والنعماء والالاء حتى تشتغلوا بالطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال ثم منعهم من الخيانة في الامانة يروى ان رسول الله صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلعم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح اي حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلعم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي اشياء فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان تخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلعم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم

فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في ابي لبابة حين بعثه الي بني قريظة لينزلوا علي حكمه ... نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الي اهل مكة خروج النبي صلعم فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل ان يراد بالامانة كل ما
تعبّد به وكان معني الآية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها علي سبيل التمام والكمال من غير نقص ولاخلال ومعني الخون النقص كما ان معني الآية يجاب
اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها علي سبيل التمام فقيل خان الدلو الكرب وخان المشار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون علي الطرفة
سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه واشتداد العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان
كقوله وتكتموا الحق ومعني الآية علي الوجه العام لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون
تبعة ذلك ووباله او تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الي الخيانة
هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابي لبابة كان لسبب ذلك نبه الله سبحانه علي انه يجب علي العاقل ان يحترز عن المضار والمتولدة منها كذلك
الحب فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اي انها سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او هي محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون علي حدوده في
ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا في الدنيا وما يتعلق بها وتحرصوا علي ما يفضي الي السعادات الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك
بالآية في بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الي الاجر العظيم عند الله افضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الي الفتنة ثم رغب في التقوي التي توجب
الاعراض عن محبة الاموال والاولاد وعن التهالك في شانهم فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله في ارتكاب الكباير والاصرار علي الصغاير يجعل
لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار في الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والكبر وساير الاخلاق الذميمة
والاوصاف السبعية والبهيمية وفي الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار علي اهل الاديان كلهم وفي احوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة
والتعظيم من الله والملايكة ويكفر عنكم سيأتكم ان يستر عليكم في الدنيا صغايركم ان فرطت منكم ويغفر لكم والتعظيم من الله والملايكة ويغفر لكم في دار الجزاء والله
ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشيء وفي به باحسن الايفاء ومن عظيم فضله ان يتفضل بذاته من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سوي الله
لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان تمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمدا في
تلك وقته طبع او عصبية ولاء فلا فضل في الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله
نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وبنيانه لا من حسن العاقبة والمعني واذكر وقت مكرهم قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ان قريشا اجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امر رسول الله صلعم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما
انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا بأس به عليكم فقال ابو البختري من بني عبد
الدار رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي
... فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه علي جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي ...
... فقال ابو جهل انا اري ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا
يقوي بنو هاشم علي حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتي هو اجودكم رأيا فتفرقوا علي رأي ابي جهل مجتمعين علي قتله فاتي
جبرئيل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه وبيّت عليا في مضجعه وقال له تسج ببردي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الي
مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعني ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويشدوك لانه لا يقدر علي الحركة وهو
اشارة الي رواية البختري وقوله او يقتلوك اشارة الي رأي ابي جهل وقوله او يخرجوك اي من مكة اشارة الي رأي هشام وانكر القاضي حديث ابليس في
القصة وتصوره بصورة الانسان لان ذلك التغيير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار علي المكر وان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالي
لان اقدار ابليس علي تغيير صورة نفسه اعانة علي الاغراء والتلبيس وهذا ما حكي عن القاضي وذهب عليه ان هذا الاعتراض وارد علي خلق ابليس نفسه وعلي
خلق ساير اسباب الشرور والآثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر في سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا في ابطال امر محمد والله
نصره وقوّاه فضاع فعلهم وظهر صنع الله قيل لا خير في مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد اقوي الماكرين او المراد لو كان الخير في مكرهم
لكان او المراد انه في نفسه خير والله اعلم التأويل ان شر من دب في الوجود الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والحلم
الحق والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصهما بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم يؤل حالهم من ان يكونوا خير البرية الي ان يكونوا شر
الدواب استجيبوا لله انه تعالي يطلب الحج من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة للنفوس اجابة الاوامر بالشهود واجابة القلوب بالشوق
واجابة الاسرار بالمشاهدة واجابة الخفي في الفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بالفناء عنكم والبقاء به والترقي الي الوصول فتنة

ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية الاخروية لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل يصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فيجذبها من حظاير
القدس ورياض الانس الي خصايص صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الي ما سواه
واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد لكم الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبيان
اداب الطريقة والانعدام جريان احكام الشريعة عليهم الي اوان البلوغ تخافون اي تخافون ان تسلكم النفس بصفاتها والشيطان ولغوايته فآواكم
الي حظائر القدس وايدكم بالواردات الربانية ورزقكم من المواهب فتجعلوها شبكة الاصطياد الدنيا ولا تخونوا الي الوصول بترك السنن والقيام بالبدعة
وتخونوا اماناتكم التي هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولي بالاولي فتنة يختبركم الله
بها ليتميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين امنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم
من سبحات جماله وجلاله القديم ما تفرقون بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيأتكم وجودكم الفاني ويغفر لكم بيسترکم بانوار جماله وجلاله في بقائه
ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك ايها الروح في اسفل سافلين الطبيعة ويعدموك بانعدام آثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله

واذا تتلي عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين ۝
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او
ائتنا بعذاب اليم ۝ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون ۝ وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما
كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ۝ ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة ثم يغلبون ۝ والذين كفروا الي جهنم يحشرون ۝ ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك
هم الخاسرون ۝ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا
فقد مضت سنة الاولين ۝ وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا
فان الله بما يعملون بصير ۝ وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولي ونعم النصير ۝

القراءة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين قبيح الاولين ۝ اليم ۝ وانت فيهم ۝ يستغفرون ۝
وما كانوا اولياءه ۝ لا يعلمون ۝ وتصدية ۝ تكفرون ۝ عن سبيل الله ۝ يغلبون ۝ لان ما بعده مبتداء يحشرون ۝ لتعلق اللام في جهنم ۝ الخاسرون ۝ سلف ۝

لابتداء الشر مع العطف الا كلمة امة بصير مولكم النصير الجزء العاشر التفسير لما حكى الله مكرهم في ذات محمد صلعم حكى مكرهم في دينه روي ان النضر
الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل
ما يذكره من قصص الاولين ولو نشاء لقلنا مثل قوله وهذا منه وغرا شاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة و
يروى عن النضر وعن ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا اسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق
بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة العذاب اي ان كان القران هو
المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى بحقيقة العذاب
كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال
اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلعم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه ثم شرع في
الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان
النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفرون من الكفر لما عذبهم وقيل
القطعام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلعم من المستضعفين المؤمنين نحو قولك قتل اهل المحلة وانما قتل واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا
بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله يعذب هؤلاء الكفار وفي علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه بل وفي علم الله ان فيهم من يؤول امره الى الايمان
كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدة كثيرة ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الآية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان
النبي والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم
في انتفاء العذاب عنهم يعني ولا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة قيل لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون
اي كيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلعم والمؤمنين من الصد
وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الآخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى
الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من يعلم
وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل بمعنى الاقدام
او من صد يصد مضاعفا اي صاح نقلبت الدال الاخيرة ياء كما في التقضي والتصفق وانكر هذا الاشتقاق بعضهم ومنهم الازهري وابو عبيدة قال
بن ربيعة سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع لفتين ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال في الفم
ويصفر به وقيل التصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب
لقاك عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلعم في الطواف والصلوة عند المسجد الحرام يستهزؤون به
ويخلطون عليه فعل المكاء والتصدية صلوتهم كقولك زرت الامير فجعل جفائي صلتي اي اقام الجفا مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا
العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات
البدنية اتبعها بشرح احوالهم في الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الآية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر
رجلا ابو جهل وهشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف و
زمعة بن اسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل منهم عشر جزور وقال سعيد بن جبير وابن ابزي
نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش من الناس ليس من قبيلة واحدة واتفق عليهم اربعين اوقية والاوقية
اثنان واربعون مثقالا قاله في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله
بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك
العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك ثارا بمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله فيهم الآية ومعنى
ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها

اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين
المؤمنين سجالا الى ان يكتب الله لاغلبن انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد
واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون الى جهنم يحشرون لان منهم
من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم ودون من اسلم منهم ثم بين الغاية او ما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم
فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم و
فرط الازدحام يتراكم وكم الشيء يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال
الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله والمؤمنون من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم تلك الاموال
بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعلى هذا فاللام في قوله ليميز يتعلق بقوله ثم تكون عليهم
حسرة قاله في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عبادتهم البدنية والمالية ارشدهم
الى الطريق المستقيم وما يبعثهم من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في
السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قراء بذلك ابن مسعود وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر وسنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة بالآية على ان الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد
زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وضربوا ان يعودوا العود
الى الردة واختلفوا الى ان الزنديق هل تقبل توبته ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الآية وقد مر تفسيره في البقرة الا انه زاد
ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما
تعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرا بالتاء فالخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته
قالوا قد سمعنا وما سمعوا في الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوقين لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف احتج الله منهم عقيب قولهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا
منقلبه وبانوائه واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون
يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك دأب الكفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطرية في طلب الله
ولذائذ في استيفاء اللذات والشهوات فتندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بشهوات النفس كلها ولا جلها والذين كفروا من الارواح
والقلوب التابعة للنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطبيعة التي لا تركن الى الدنيا ولا تخدع بالخداع
النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقي الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب استرها النور الروحاني
بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور العرفان وان يعودوا الى اتباع النفوس حتى لا تكون آفة
مانعة من الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الجود وكرامة الشهود والله الموفق والملهم والمخبر عليه نتوكل

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا

التأويل

جزء العاشر

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ۝ اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم
بذات الصدور ۝ واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله
امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ۝ يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ۝ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ۝ واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب ۝
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء
دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ۝

القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بيائين ابو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي
نصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح ويذهب بالجزم الخزاز عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة
في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمرو وهشام اني اري اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو تراءت الفئتان بالامالة
الوقوف وابن السبيل لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذا الاقسام ان كنتم الجمعان قدير اسفل منكم في الميعاد لعطف
لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حي عن بينة عليم لتعلق اذ قليلا منكم الصدور مفعولا الامور تفلحون للاية والعطف واصبروا الصابرين
لما ذكر على سبيل الله محيط جار لكم اخاف الله العقاب دينهم حكيم **التفسير** لما امر الله سبحانه بالثبات في قوله وقاتلوهم والقاتلة مظنة حصول الغنيمة
بين احكامها وشرع فقال واعلموا انما غنمتم الذي غنمتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والخياط
فان خمسه بالفتح مبتدا محذوف الخبر وروي الجعفي عن ابي عمرو فان خمسه بالكسر قال في الكشاف والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه
ولا سبيل الى الاخلال به لاسناد احد الجزاء احتمل شيئا واحدا من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الاية
نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي
اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على اقوال اشهرها انه كان الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون
للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها بالاحتطاب والاصطياد واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله يصرفه الى ما كان يصرف اليه من مصالح المسلمين

الثغور وعمارة الحصون والقناطير وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله صلعم من اولاد هاشم والمطلب بني عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول
الله صلعم هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وهو شيء انما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال
صلعم انهم لم يفارقونا في الجاهلية ولا الاسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان الذكر مثل
حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله سقط
بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم والذي عليه مذهب الامامين يعني قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لرسول الله
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم اخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل انه ذلك
السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه صلعم كان ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن
عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي
عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فالغني منكم فهو بمنزلة
ابن السبيل الغني لا يعطى ولا يهم يتيم من الصدقة شيئا وروي عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس
كله للقرابة لما روي عن علي كرم الله وجهه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه يؤتى الامر
بعده وعند مالك بن انس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان
راى غيرهم اولى واهم فذاك فعلى هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا
لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الاية ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من
الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه فرق بين اهل الحق والباطل والجمعان فريقا الكفار والذين
انزل عليه يومئذ الايات والملائكة والنصر والتاييد والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالضم والكسر شط الوادي
اي جانبه وحافته وقال ابو عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلبت الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من
بنات الواو تقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى ما يلي مكة والركب
يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر المبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز
الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة التي اناخ بها المشركون كان فيها
الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا ففي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية
دونها تضاعف حميتهم وتجدد همتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب به عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا
وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد هيبة منهم لقلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد
وتثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا من اعزاز
دين الاسلام واهله واذلال الكفر واهله وقوله ليهلك بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة
بدر كان فيها من الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلم في حقية
دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك من دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة وان الله لسميع
لدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم تدابيركم اذ يريكهم في منامك اي في رؤياك وذلك ان الله اراه
في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينيك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو
اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيحدث فيها من موجبات الاقدام والاحجام واذ يريكموهم يبصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية البصر لا القلب وقد
استوفت الارادة مفعولية فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع انه في ذلك تصديقا لرؤيا
النبي صلعم واما تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة فيه ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما في ليقضي الله امرا كان مفعولا
فعلنا ما فعلنا من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زاد المعاد ثم اعلم

المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا القتال اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك
والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له ان يفتر عن ذكر ربه في شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق
منفقا امواله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو اللهم
اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك ولا وليحل على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات
ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله ويذهب ريحكم على القراءتين والريح ههنا الدولة شبهت
في نفوذ امرها وجريها على وفق المشية بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها
الله ومنه الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلعم احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضي
غالبا الى التنازع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان
وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم كالطعام ونحوه فقال
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآية وصفهم بما وصفهم اولها البطر وهو الطغيان في النعمة ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله
على العبد فادى شكرها الى مرضات ربه فيها فذلك هو الشكر وان توصل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على العباد فذلك هو البطر وثانيها رئاء الناس
وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الصلاح مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله
ويصدون عن سبيل الله اي يعدلون عن قبول دين محمد قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله فيكون عطفا للكلام على الكلام او يكون الكل احوالا اي بطرين
مرائين صادين او يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح لكون الكلمة معطوفا
على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين
على البطر والرياء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو
قرئ ويصدون على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية
مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين او هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي
هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها
في معاداة رسول الله صلعم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا التي بينهم وبين كنانة
الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا غالب كائن لكم ولو كان لكم معمولا بمعنى لا غالب الا اياكم لا نتصب كما يقال لا ضاربا زيدا واني جار لكم اي مجيركم من بني كنانة
او من كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الواقع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان بحيث رات كل واحدة
الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشيء اي رجع عن الجار وقال اني بريء منكم قيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الى اين اتخذ
لنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون اي من نزول الملائكة ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا احقر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى
من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر واما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خاف وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت
الذي نظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية
كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول او لا ظرف واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم
من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا
ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلعم قالوا اولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق
قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل

المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله وكل باموره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب
يسلط الضعيف على القوي الكبير حكيم وصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه **التأويل** واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجاب من
انوار الشاهدات واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها في الله خلقا وللرسول متابعة ولذي
القربى يعني الاخوان في الله من اهله واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين يتمسكون بايدي الارادة
باذيال ارشادكم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من الصدق والارادة مما يجانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم
صلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا في سفر فاوحى الى عبده ما اوحى يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان
جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلعم مع الله خلوة لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير فيقدر على ان يوصل
في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا اي الملك وهم بالعدوة القصوى
اي الارواح باقية في عالم الملكوت باسرة والركب اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس و
جاد لاختلفتم في الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي الله امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبة التي
استعد لها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة ويحيى من حي عن بينة لم يزل الاشقياء يبقون في سجن الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء فارواحهم في
صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي و
سميع لمن دعاه للوصول والوصال بالله وما لا يصال عليم بمن يستحق الاذلال او يستاهل الاجلال اذ يريكهم في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة لئلا
على ملتهم في المعنى لتشتملوا على عادة طبع الانسان لكن الله سلم عن الخوف البشري ويقللكم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم
ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم اوصافهم وتركوا الدنيا ودار البلاد ورادوا العبادة رياء هو بذكر على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
ظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المناهي بل ينفعه في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان
فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وامدهما الله بفئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها
نكص على عقبيه وهو باطل وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون لانه يرى تنظر الروحانية بتجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع
على الشيطان من ذلك شيء ولو لاحرقه ولهذا قال اني اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين

ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ۝ ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ۝ كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد
العقاب ۝ ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وان الله سميع عليم ۝ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ۝ ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون ۝ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة

وهم لا يتقون ۝ فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ۝ واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ۝ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ۝ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ۝ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۝ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين ۝ والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ۝ يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين ۝ يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ۝ الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين

القراءة تتوفي بتاء التانيث شامي الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل لا يحزنون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم بضم العين ... ضعفاء بالمد جمعا يزيد وقرا حمزة وعاصم غير المفضل ضعفا بفتح الضاد الاخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف **الوقوف** كفروا لان فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان التوقف هنا ... لاختلاف النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة ... للعبيد لتعلق الكاف ... فرعون ... لان الواو ... للاستئناف والحال الظالمين يومنون لاحتمال الوصف واحتمال النصب او الرفع على الذم لا يتقون يذكرون ... سبقوا لمن قرا انهم بالكسر لا يعجزون ... من دونهم لاحتمال الجملة ... الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ... يعلمهم لا تظلمون ... على الله العليم حسبك الله ... بين قلوبهم الاول بينهم حكيم من المومنين على القتال ... لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا مائتين باذن الله الصابرين

التفسير لما شرح احوال هولاء الكفار في حياتهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب الشرط لو محذوف ... لو كذا لتوفي لحاصيتهم ... الطرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون معنى لا به والمعنى لو رايت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار لرايت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج الروح ... عذاب الحريق مقدمة عذاب النار ... في الاخرة ... عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها في اخر ال عمران ... ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ... الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته في فرق الكفرة كلهم فقال كداب ال فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة ال فرعون يجوزي هولاء بالقتل والسبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم

ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينتقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان ال فرعون ومشركي مكة قد فتح الله عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبيل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال فيجزي كل فريق بما يليق به ثم ذكر مرة اخرى كداب ال فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لبيان حال الموت والثاني لما بعد الموت ... ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كداب ال فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب ال فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله والثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردهم ايات ربهم ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل التوحيد ... كفروا وكذبوا لكفار قريش اي كفروا بايات الله كما ان ال فرعون كذبوا بايات ربهم ... الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي كل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش ... ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلا جرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية ... الكفار المصرون منهم واشار الى هذا بقوله فهم لا يومنون ... الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ... ومفعول عاهدت محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين نعتهم بنقض المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة ... المعاهدة ... ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم ... عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد بعدهم ... قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ... ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شان العهد اذ ذاك ... قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اما ان تظهر ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله ... فحصل لرسول الله خوف الغدر منهم به وباصحابه ففيها يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويوذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله باهل مكة لما نقضوا العهد ... من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال ولا يحسبن ... في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب واراد قتالهم ... وبعث رسول الله عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان ... فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رايته ذكرت الشيطان ... قال رسول الله ... وقال عكرمة ... فلما دنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت من العرب سمعت بك وبجمعك ... الرجال ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد ... والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ بحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على لفظ الخبر ... الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين ... واذا كان لقوله الاول الذين كفروا ... سبقوا اي فاتوا وافلتوا ... انهم لا يعجزون كان ... ان المكسورة والمفتوحة تعليلا الا ان المكسورة على طريق الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اي لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا ... بعد فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء ... ان المراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر ... جعله عاجزا

التحتانية وذكر فيه وجوه منها ان فاعله الذين كفروا ومفعولاه سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان الاصل وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم او لا يحسبن انفسهم الذين ومنها ان فاعله محذوف اي ولا يحسبن قبيل المومنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلعم في نفقة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله وان يتاهبوا للقتال الاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قرأ هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلعم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال او مصدر ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال ولا شك ان ربط الخيل من اقوى الات الجهاد وروي عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على تجنبي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتفيد النسل والنماء وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اي بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجترؤا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة واخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالاخرين اليهود وعلى قول ولكن لا يجاوبه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقون على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان الحال اذا زاد كلما اشتد شوكة المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى انهم كفرة الجن وفي الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد من الاخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم يوخذ به مسلم آخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اي ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم رخص في المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الاية جنح له واليه جنوحا اذا مال فاجنح لها لان السلم يونث تانيث نقيضها وهي الحرب او بتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس وغيره ان هذه الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة ولكن الحكم يختلف المشركون ابدا ويجابوا الى الهزيمة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا راى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال او بعد العدو وقد يكون مع القوة للطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين وبان يعينوا على قتال غيرهم ولما من المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف وراى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلعم من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بقدر الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلعم حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة فان انقضت المدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما فعل بنو قريظة والنضير عن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع لما قال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان امر الايمان يبنى على الظاهر ولا ينافي هذه الاية قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغدر والنفاق وذلك الخوف محمول على امارات قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله كافيا بقوله هو الذي ايدك بنصره من غير واسطة اسباب معتادة وبالمومنين اي بواسطة الانصار ثم بين كيف ايده بالمومنين فقال والف بين قلوبهم قال جمهور المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فنزع الله ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلعم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المحتقرة لم يكد تجتمع وتتسق كلمتهم ثم الفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلعم حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق في هذا الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا سريع التغير كالمال والجاه واللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد التحول والاضمحلال لا تحصل الا عند تصور حصول المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فمهما حصل مرادهم كانوا متحابين ومتى لم يحصل عادوا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور له تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم رسول الله صلعم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والتنافر فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين اخرى فلما جاءهم رسول الله صلعم ودعاهم الى عبادة الله والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله انه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان

حب الصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى ابيه نعم لاجل انه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته واجيب بانه عدول عن الظاهر والاية صريحة ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك قادر على ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء ان وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك منصوب لانه مفعول معه كقولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك واخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب اخيك باعادة الجار وهو كان قوله ومن اتبعك مجرورا فقيل حسبك الله وحسب من اتبعك وفي الاية كفاك وكفى اتباعك من المومنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المومنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي صلعم ثلاثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله فيهم ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد فقال يا ايها النبي حرض المومنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه وجوها قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المومنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلف لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر بمعنى الامر كقوله والوالدات يرضعن اولادهن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر اليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الاية ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وانما كرر المعنى مرتين لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلعم كان لا ينتقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كرر المعنى للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيتحول من العشرات والمئات الى الوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا ولا يتصورون السعادة والبهجة عندهم في هذه الحيوة العاجلة وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد ووجه آخر وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وخشية ويكونون في انفسهم اقوياء اشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال ابن عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلعم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فارادوا قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلعم عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رايته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فخرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمع بك وبجمعك فمشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله صلعم وذكرت اني قتلته فاعطاني عصا وقال امسكها فانها اية بيني وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكره ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على لفظ الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل فلا يجب كقوله وعلم ان فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء وتمسك في عدم النسخ بتقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان فهذا حاصل قول ابي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا **التأويل** يضربون وجوههم وادبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ومقبل على الاخرة وليس له نور يبصر به ما امامه فيحصل له تالم من قدام لم يك مغيرا لم يك ابد الاحسن تقويم واستعداد اعطاهم بصنعه حتى غيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نور الاستعداد الفطري الذين عاهدت منهم يا روح في الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد بهم من خلفهم اي بالغ في تبديل صفات النفس في تزكيتها بحيث يوثر نور رشدها في الصفات التي ورائها فانبذ اليهم على سواء اي اظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون اي النفوس الكا

نحت نقربي فلا تنتعلوا من رحمتي في اصلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداد بمدا ومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن رباط القلب بطريق المراقبة ليلا تلتفت الي الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان وعدوكم النفس والهوي واخرين من دونهم من شياطين الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاحباب والاصدقا والاقربا الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شيء من وجود النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والنفس وبين النفس وصفاتها لو انفقت ما في الارض جميعا من وجودك من السعي والجد والاجتهاد كما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح وبين القلب والقلب ليكون الشخص الانساني طلسما علي كنز وجوده ثم يكسر الطلسم للوصول الي الكنز والله اعلم ه

ما كان لنبي ان يكون له اسري حتي يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ٥ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
فيه عذاب عظيم ٥ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ٥ يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسري ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ
منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ٥ وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم
والله عليم حكيم ٥ ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا علي قوم بينكم وبينهم
ميثاق والله بما تعملون بصير ٥ والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن
فتنة في الارض وفساد كبير ٥ والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ٥
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض
في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ٥

القراءات ان تكون بالتاء الفوقانية ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اساري يزيد وللمفضل الاخرون اسري من الاساري يزيد وابو عمرو والمفضل

الباقون

من الاسري سهل ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض لتقدير الاستفهام اي اتريدون الاخرة حكيم عظيم واتقوا الله رحيم ويغفر لكم رحيم منهم حكيم اولياء بعض حتي يهاجروا ميثاق بصير اولياء بعض كبير حقا كريم منكم في كتاب الله عليم التفسير هذا حكم اخر من احكام الجهاد ومعني ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعني فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلعم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك فقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان من نسيب له فليضرب اعناقهم فقال النبي عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتي يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتي يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاساري عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما فلما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر علي رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت فقال ابكي علي اصحابك في اخذ الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادني من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء قد تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ان قوله ما كان لنبي صريح في النهي وقد حصل الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسري الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان قوله حتي يثخن يدل علي ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطاوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسير بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقرئ بجر الاخرة اي عرض الاخرة علي التقابل والله عزيز يغلب اولياءه علي اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويقهرونهم ويلجئونهم الي القتل والفداء بعد الحكم ولكنه حكم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد اثخان القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول علي ترك الاولي وكان الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاتب احدا بخطائه في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوي به علي الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم بعد ذلك في الاساري حتي اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضي الايتين مختلفان وليس كذلك فان كلتيهما تدل علي انه لا بد من تقديم الاثخان علي الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه سيحل لكم الفدية وكان قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العتاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق بانه لا يعذب باخذ الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الي ترك الاولي وذلك ان الاول وغير الاولي يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب علي ترك الاولي لا علي سبيل العقوبة بل علي سبيل الحث علي فعل الاولي وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب علي الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا وروي انهم امسكوا عن الغنائم او عن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب والسبب محذوف معني الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا وحلالا نصب علي الحال من المغنوم او صفة المصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما تستقبلون فلا تقدموا علي امر لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولي رحيم فلذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاساري يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسري ان يعلم الله اي يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم علي طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم علي نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من الفداء في العاجلة ويغفر لكم في الاخرة والمراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر من بعد اثاه الله في الدنيا خيرا لدلالة الاية علي ذلك اجمالا وذكر بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلعم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلي حتي فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر ... المراد ان كان دينيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدين الايمان اعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الامارة

على حمله وكان يقول هذا خيرهما اخذ مني وانا ارجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر
ومعه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما
الا انهم استكرهوني فقال صلعم ان يكن ما تذكر حقا والله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله ان يترك ذلك الذهب علي فقال
اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل ابن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني
يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلعم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه روي انه صلعم لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معا
ضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ
على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم
فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله صلعم اظهر نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة ثم المؤمنين من وافقه
في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم جميع
انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين امنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لاحكامه بحكم
هاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم لما
فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك الغزوة والسفر وفي الغزوات والمحاربات
واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على
انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه السابقة اثر
عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويتقوى
دواعيهم بما يرون منهم والخير يحث على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة تقدم في الاسلام ذكر الله ثم الانصار بعدهم فقال والذين آووا
ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بيوتهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض الطبري عن غيره من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد
بهذه الولاية الارث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد
الامام فخر الدين الرازي رح هذا التفسير لانه يستلزم النسخ والتزام النسخ محذور منه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دونها الارث
كقولهم السلطان ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد في المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر
انهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل احد لغيره جار مجرى حبه لنفسه اما قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة
بانه تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحب الاوقد امرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الو
لاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما هو واجب بانا لو حملنا على التعظيم والاجلال زال
الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض اهل الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا
تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على
الكفار والمعاهدين لانهم لا يبدأون بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب
وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلعم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب
بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من اول الدلائل على ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد
من جعل الولاية في هذه الولاية بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني
المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الا
ستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي يحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر

ثم ثنى بشأن المؤمنين واثنى عليهم فقوله والذين هاجروا الآية وصفهم بانهم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة لكن
والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى
تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين امنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس انه بعد
بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين
تشريفا للآخرين وتعظيما لشان السابقين ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى
ببعض اي احق بهم واجدر في كتاب الله اي في حكمه وقسمته او في اللوح او في القران وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة
اما الذين منعوا تلك الولاية والنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية ان ولاية الارث
انما يحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم يعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه
الآية في توريث ذوي الارحام وهم ذو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة ولا ترتيب يخرج عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل
جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم من الام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات
في انه اذا لم يوجد ذو فرض او عصبة فهل يورث ذوو الارحام او يوضع المال في بيت المال قد تمسك ابو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعي قال ان الآية
مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام الميراث
فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام واعلم انه سبحانه قال في اول هذه الآيات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة بتقديم في سبيل الله
لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة
تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم او في قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية
باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله ايضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد ان
هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عبث وغيث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب وانظروا ان الملائكة لما
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ماسورة وقوى موجهة الى تدبير امور القالب و
الدعوة الى الله ان كان نفره ما بالحق حتى يثخن في ارض البشرية فتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلعم قبل الوحي يتحنث
في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا واغيارها والله يريد الآخرة منكم اي ليس لكم
نسيان من جبلته وطبعه ان يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله وعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا نحو عالم الارواح بالكلية
وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من غذاء النفس المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة و
البعد عن عالم النور مما غنمتم من اوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات
الى الله فهو شرك وضم واتقوا الله ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث ينجيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
النفس الملهمة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمينان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما
اخذ منكم من اللذات الفانية ولباسها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الرجاز فقد
فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حد والشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها
وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير
الى الله والذين امنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوطانهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم لم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين فعليكم النصر
تدلوهم على طريق الحق بمعاملاتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم مما اصحتم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسلمتموها وامنتم
شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان المتأخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين من الواصلين
فهم منهم وانهم ذوو رحم الوصول لانه ليس عند ربك صباح ولا مساء ولهذا قال صلعم امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره والله اعلم بحقيقة الحال

سورة التوبة مكية حروفها عشرة الاف وثمانماية وسبعة وثمانون كلمها الفان واربعماية وسبع وتسعون آياتها ماية وتسع وعشرون اية

برآة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ۝ فسيحوا في الارض اربعة اشهر
واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ۝ واذان من الله ورسوله الى الناس
يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم
فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا
لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ۝
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه
ذلك بانهم قوم لا يعلمون ۝ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا
الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
المتقين ۝ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم
وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون ۝ اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن
سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة
واولئك هم المعتدون ۝ فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون ۝ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم فقاتلوا ايمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ۝ الا
تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدوكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين ۝ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم

٥٥

عليهم ويشف صدور قوم مومنين ۝ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من
يشاء والله عليم حكيم ۝ ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا
المومنين وليجة والله خبير بما تعملون ۝

القراءات ورسوله بالنصب يعقوب وزيد الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة الباقون بالقلب يعملون
بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين معجزي الله للعطف الكافرين من المشركين للعطف ورسوله خير لكم لابتداء الشرط مع الواو معجزي
الله اليم للاية مدتهم المتقين مرصد سبيلهم رحيم مامنه لا يعلمون المسجد الحرام لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم المتقين ولا ذمة قلوبهم فا
سقون لان ما بعده يصلح وصفا قليلا سبيله يعملون ولا ذمة المعتدين في الدين يعلمون ائمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون
اول مرة تخشونهم لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مومنين لا للعطف قلوبهم من يشاء حكيم وليجة تعملون التفسير قد عد في الكشاف من اسماء
هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المومنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اي تبري منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم
عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى خشينا ان لا
تدع وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلعم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها
في موضع كذا وكان براءة من اخر القران نزولا وتوفي رسول الله صلعم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكان نزاد والمشابهة
ما روي عن ابي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا ان يكون بعض
السور لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن
على ما يقوله الامامية وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما معا بمنزلة
احدى الطوال وكلتاهما وردتا في القتال والمغازي فلما كان بينهما الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها
على قول من يرى انهما واحدة فطوا على انه يدل على هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين في ضبط الدين
وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة اية من كل سورة والا جازت كتبتها هنا بل عند كل مقطع كلام
وعن ابن عباس سالت علي بن ابي طالب عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفين بن عيينة هذا
المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا فقيل له اليس ان النبي صلعم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم
الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يوكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة هو ان ختم الانفال وقع بايجاب ان
يوالي المومنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي
خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء الغاية يتعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان
يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في معاهدة المشركين فاتفق لهم
مع رسول الله صلعم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فكانه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا
عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا اناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر
آمنين اين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة من الاقلال
من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان
رسول الله صلعم قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في الموقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع
وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني

الا رجل فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير ام مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط
جبرئيل وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الي رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت
علي الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الي كل ذي عهد عهده فقالوا يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا
وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف استدلت الامامية بهذه القصة علي تفضيل علي كرم الله وجهه وعلي تقديمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا
بكر علي الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتي يصلي علي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجري التنبيه علي امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل
مني فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير بينهم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهد فازيلت عليهم بتولية ذلك عليا وقيل لما خص ابو بكر لتولية امر الموسم احب عليا
لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولم يلتفت الي التفتيش قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة
الي الحضور كقوله وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري ان براءة نزلت في شوال والمراد شوال وذو
القعدة وذو الحجة ومحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم وسميت
حرما علي التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الي عشر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان
فيه ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الي اربعة ومن كانت
مدته اقل رفعت اليها والمقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام
او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم علي قبول الاسلام ظاهرا والي هذا المعني اشار بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان هذه الامهال
ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الالات والادوات فانكم لا تفوتون
الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعقاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الي الغيبة ومن وضع الظاهر موضع
المضمر ليكون فيه اشارة الي ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة علي الوجهين ثم
الجملة معطوفة علي مثلها وخطي الزجاج في قوله انه معطوف علي براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الي الذين عاهدتم لكنه غير
مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الي الناس والاذان اسم بمعني الايذان اي الاعلام كالامان والعطاء بمعني الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر
الله تعالي بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الي جميع الاطراف ويشتهر
وكان النبي صلعم يريد ان يحج من السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه
اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلعم الحج عرفة وهو قول عمر بن سعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدي الروايتين
عن علي وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلعم انه قال خطب رسول الله عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس
في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي
والنحر وعن ابن عمران رسول الله صلعم وقف يوم النحر في حجة الوداع عند الجمرات فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام مني كلها
وهو قول سفين الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما
كثيرة وعلي هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمي الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد وعن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي
صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله بريء من المشركين قوله ورسوله بالرفع مبتداء محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف علي المنوي في بريء اي بريء
هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقري بالجر علي الجوار او علي ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله
براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثاني اعلام جميع الناس ما حصل وثبت
وايضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها علي ان
الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة
وان توليتم اعرضتم عن التوبة او بقيتم علي التولي والاعراض عن الايمان فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم

غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه نوع التهكم والتهديد بما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا
لو فات وزال خلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد معه لهم يوم القيمة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج انه الاستثناء يعود الي قوله براءة والتقدير براءة من الله
ورسوله الي المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثني من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الي الذين عاهدتم ومعني لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا
ولم يضروكم قط ومعني لم يظاهروا لم يعاونوا اي لم يقدموا علي المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا اقواما اخرين وقري لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم
ومعني فاتموا اليهم ادوا اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين يعني
قضية التقوي ان لا يسوي بين القبيلين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر غدروا علي خزاعة عيبة رسول الله صلعم من قولهم الانصار كرشي وعيبتي
اي انهم بطانته وموضع سره وامانته وظاهرهم قريش بالسلاح حتي وفد عمرو بن سالم الخزاعي علي رسول الله صلعم فانشده شعر لاهم اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيك الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا
فقال صلعم لا نصرت ان لم انصركم ومعني
ناشد محمدا ذكره الحلف العهد لانه كان بين ابيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم
التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزاء فجزاء الي ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه
فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم في اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم امنعوهم من التصرف في
البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجتاز ترقبونهم هناك وانتصاب كل علي الظرف كانه
في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا علي شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم او اطلاقهم من الاسر
والحصر عن البيت الحرام وعن التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالي اباح دماء الكفار بجميع الطرق
والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور لم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقي اباحة الدم علي الاصل وتارك
الصلوة يقتل ولعل ابا بكر الصديق رض استدل بمثل ذلك علي جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا علي اعتقاد وجوبهما والا
... قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب ان كمال
السعادة منوط بهذه اللتي جعلنا الله من اهلها ولما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك علي ان حجة الله قد قامت عليهم وان ما ذكره
الرسول قبل ذلك من انواع الدلايل والبينات كفي في ازاحة علتهم فبين ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالقتل
فازال الله تعالي هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر وايضا
وان استجارك احد استجارك كره الجمع بين المفسر والمفسر والغرض بناء الكلام علي الابهام ثم التفسير من حيث ان من ظنه وقوع الفعل بعده
وذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل علي مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ويقال استجرت فلانا اي طلبت
منه ان يكون جارا لي اي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعني وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ
اشهر الحرم لا عهد بينك وبينه فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران فامنه حتي يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع علي حقيقة الامر ثم ابلغه دار امنه التي
يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود من شرع القتال قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلي المقامات فان الكافر الذي
دمه مهدر لما اظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال ذكر الاهدار ووجب علي الرسول ان يبلغه ما منه امانه مهلة النظر فليس في الاية
ما يدل علي ذلك ولعله مفوض الي اجتهاد الامام فمتي ظهر علي المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتي ظهر عليه كونه معرضا
عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه والحد اللازم ويشبه ان يقال المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور في الاية كونه طالبا
لسماع القران الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلايل والجواب الشبهات لانه تعالي علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال في اخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته في سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القران لان تمام الدلايل فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها
مشتملة علي كيفية المعاملة مع المشركين والاول حمله علي كل الدلايل وانما خص القران بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم الدلايل واعلان الامان قد يكون عاما
باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد الهادنة ويختص بالامام وقد مر تفسير قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يجوز من
الولاة ومن احاد المسلمين ايضا وبهذا يقصد الاية وانه ثابت غير منسوخ وروي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الي علي رض فقال ان اراد الرجل منا

ان يأتي محمدا بعد انقضاء الاجل لسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدي منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط الامان الاسلام
والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه صلعم قال يجير بذمتهم ادناهم وعن ام هاني قالت اجرت رجلين من احمائي فقال صلعم آمنا من امنت
ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقولك
انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل اليه
ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى
الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فلا والارجح انه لا يتعدى الامان الى ذلك وتدفع في الآية مسئلة اصولية هي ان المعتزلة
استدلوا بالآية على ان كلام الله هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلام الله محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه
المسموعة فعل الانسان وليست هي المخلوقة اسمع اولا عندكم فعلمنا ان هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب المجاز البتة ونحن نحمله على انه
الدال على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قاري وتم بعض
الناس حين رأوا انه لقد جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم ... قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة في اول السورة الى ههنا
فقال على سبيل الاستبعاد والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين
ظرف للعهد او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم
اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتفكروا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة
وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان احدهما ان تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق اي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانية شرطية
اي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال
كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم ان يظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند التحصر ولكن هم بغير
كما لا فائدة بريان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الا ولا ذمة قال في الصحاح الال العهد و
القرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجؤار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم وصفت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا
يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل اشتق الال بمعنى القرابة
كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير
خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمتك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اي ما يجتنب فيه الذم
قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد ثباتهم على العهد وابى القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما
يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل
والظاهر انه اراد ان اكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل اشتروا واستبدلوا بآيات الله بالقران وبالا
سلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين جمعهم ابو سفين واطعمهم وقيل لا يبعد
ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القران كالامر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا وايضا اولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الدين في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فان كان هذا في اليهود وما ذكرهم قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم
اي فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء اهل القبلة ونفصل الآيات نبينها لقوم يعلمون لانهم المنتفعون بالبيان
وهذه جملة معترضة يفيد البعث على التأمل في احكام المشركين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا يعني هؤلاء التائبين ايمانهم بعد عهدهم اي من بعد اسلامهم
حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيطان بعد ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر جمع امام
واصلها اأممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لانه يعني ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة
الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص ساداتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ابدى غرض القتال بقوله
لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو عودهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا امر نفساني وداع شهواني وتوسط بين الامر بالقتال والعامل عليه قوله انهم

لا ايمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاه عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست مما يعتد بها اذا
لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة في ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يصح وصفها بالنكث ومن قرأ لا ايمان
بالكسر اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على
ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا
فانما يستعمل ذلك في فعل تقدر وجوده واذا قلت الست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفي بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار
لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين خرج وقيل
من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفين عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يخرجوه من مكة ثم يحرجوه قبل
ان يتم حجه استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدأوكم اول مرة بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل
محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه خزاعة او المراد ان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة
والبادي اظلم والحاصل ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال
اتخشونهم فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه
فقال فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد
في الفاء نوع تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا
الا الله ثم زاد في تأكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اي بالقتل والاسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافي قوله وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم لان المراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الآية دلالة على ان الذي يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله تعالى يظهرها على ايدي
العباد واعترض الجبائي بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما
لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنى واللواطة ويا رافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما
نزل من الذلة والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول او هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليه ان النصر
يستتبع اخزاء الخصم فاي حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراده كلا من المثال رد بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤ
منين الا ان المؤمنين يحصل لهم آفة بسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس بطون
من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلعم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم
قيل شفاء الصدور وذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر كقوله يا داء ليته بالعليا فانه اشد او شفا الصدور لبشارة
اي الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى وقوع الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها
وكان ذلك دليلا على صدق النبي ومعجزه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم و
حسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف يعجز المقاتلة عن
ذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا للتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة
عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة
المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فيتنبى عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لا
نقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي بعد حصوله لا
ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون قوما الآية
ترغيب في فتح مكة لا الفتائح المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال
نفس القتال وانما المقصود ان تبلى به اتقياء في امر الله ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج
كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجي وهم وليجتي يستوي الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم
عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين المنافقين من المجاهدين المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسوله

والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فيجدوا في استقامة السير ويجتهدوا
في بقاء السير **التاويل** براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فيها دونه الروح والقلب اذا
الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في الارض البشرية اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية
واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال
حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من بقائكم بالناسوت وان توليتم وكنتم الى غيرها فاعلموا انكم
غير معجزي الله عن التصرف فيكم لا لاهل السعادة بالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة بالم القطيعة الا الذين عاهدتم ايها القلوب والارواح من مشركي النفوس
في التوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى اوان
طلوع شمس العناية ونجم الجذبة والهداية نهوها اياها في المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل
مرصد واتبعوهم في الاحوال كلها فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف فاقتلوا النفس المشركة بسيف النهي عن الشهوات وحدهم في
الطاعة فان تابوا رجعوا الى طلب الحق واقاموا الصلوة ادوا حق العبودية واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم
بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية الرجوع الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك بترك ما هو المخصوص به من الصفات
الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الله حتى تلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو مورد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع
صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات على العهد وقد جبلت النفوس
ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة
وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على
الصراط المستقيم فاستقيموا لهم لسرحها في مستمع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب مزدوجة في عالمي
الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا وابدلوا لا توصلهم الى الله
ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فادعوا حقوقهم فان
لنفسك عليك حقا القوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر هم النفوس وهموا باخراج
الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها فالله احق ان تخشوه بنوا تحقوقها
ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل [illegible]
شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايتها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة وليجة اولياء من الشيطان من الدنيا والاخرة

ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ٥ انما يعمر مساجد الله من امن
بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين ٥ اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن
امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله
لا يهدي القوم الظالمين ٥ الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ٥

يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ٥ خالدين فيها ابدا ان الله
عنده اجر عظيم ٥ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر
على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ٥ قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين ٥ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ٥
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين
كفروا وذلك جزاء الكافرين ٥ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
والله غفور رحيم ٥ يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ٥

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وجبلة وفتحت نحو [illegible]
بالكفر اعمالهم لعطف المختلفين خالدون المهتدين في سبيل الله **الوقوف** غير الاعشى وعاصم ويعقوب وخلف وابن كثير ونافع وابو جعفر نظرا ثم رحبت
الظالمون بالكفر عند الله لا ان ما بعده حالا ابدا عظيم في الايمان الفائزون مقيم لان ما بعده خبر الذين عند الله وانفسهم بالوصف لئلا يشتبه والظالمين
عند الله حكيم ان شاء فصل الجزء وهذا يشاء رحيم الكافرين من كفروا والعطف للآية مدبرين نصركم اذ ظرف لان حنين الظرف على الظرف لعطف كثيرة الفاسقين
التفسير انه سبحانه بدا بالسورة بذكر براءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان
هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس
ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي رضي الله عنه الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا
عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا يعني المسجد الحرام ومن قرا في الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها
ويؤكد لانه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك او يراد المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها واما مها فعامره
كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله
لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما مرمته وتعهده واما كنسه وتنظيفه اتيانه للصلوة والاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك وليس للمشرك هذا ايضا
لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على اهل الاسلام ولانه دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما
يحترز عن النجاسات وما روي انه صلى الله عليه وسلم انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه وكان ذلك في اول

يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله
مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت
قال النصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن يقول عابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس
انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم
الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد فلهذا قال وفي النار هم خالدون
ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له ابتداء العمارة للمساجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد
في الحديث للمصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره وقيل دل عليه
بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة لا ريب فيها عمارة
المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان ايتاء الزكوة واجب وبناء
المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يتفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المساجد ثم قال ولم
يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان دخل لوقع في العاجل
فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة لعل في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه
عن غير العبادة فقد روي عن النبي ع م انه قال يأتي في آخر الزمان من امتي ناس يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس
لله بهم حاجة وعنه ع م الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال ع م قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها الذكر فيها وقمها وتطييبها وتنويرها بالمصابيح وعن
انس عن النبي ع م من اسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى
ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومعهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب
وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه
الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن كعلي وآخر
وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج وروي
ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم بل انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله
اعظم درجة فههنا يتفق ان يكون المفضول ايضا ذا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل لا ابالي
ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة
ولكن اذا صليت دخلت فاستفتيته رسول الله فيما اختلفتم فانزل الاية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه
وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولون لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت
وعن ابن سيرين قال علي للعباس الا تهاجر الا تلحق بالنبي فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه
الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال له النبي ع م اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير
مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كفعال من آمن ثم كان لسائل ان يقول ما الحكم في الفريقين
او يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم
اشنع من وضع اخس الموجودات وهي الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه فانما يهديهم الله لو صنعوا قابلية وقوة في استعدادهم النظري وذلك لكونهم نظار
القصر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم درجة يوجب ان يكون
للمفضول ايضا درجة ولكن ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرون لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله اذلك خير اما
شجرة الزقوم والمراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر والمراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية

والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخيرات موجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون
لدلالته على اختصاص الفوز بهم بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصفين قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة
دائمة مقرونة بالتعظيم والتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال وبالجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم
اشارة الى خلوص تلك المنافع من شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة الفاظ موكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها ابدا وقال اهل التحقيق الفرح
بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون
عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى
المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله وجنات اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مراتع اللذات الحسية
وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي رباكم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة
الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الهموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المقام المذكور بقوله
ان الله عنده اجر عظيم وفي تقدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عند وتقديمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلعم بالهجرة الى
المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله
ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزلت فيهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الى تمام الآيتين وذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة
اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والا
خوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد ان يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي ع م لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله
ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من لم يتم ايمانه الا بان
يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا
وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض قرابته فلا يلتفت اليه
ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في سبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله
الادنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الواحد فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان لكل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا تكاد العرب
تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعون على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب ومادة التركيب تدور على الدنو والمكتسب يدني من نفسه ويخلطه
والترتيب المذكور في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة
ثم الى التجارات المثمرة وفي آخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت للسكنى فبين الله تعالى انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية
هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا ما تحبون حتى يأتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة
عاجلة او آجلة وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وضعف بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن الدنيا لاجل صالح دينه
فان الله تعالى يوصل اليه مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة
والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وموطن الحرب مقاماتها ومواقفها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع
ومواطن الكثيرة غزوات الرسول ع م وعن علي ما في الصحاح ثلث عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة الخندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق
وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم
حنين وجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين قال على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين لان قوله اذ
اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها وجوز ان يكون اذ
منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان وما حصل بعد عطف الزمان يكون بدلا عن المكان حتى يكون
الفعل الاول متعلقا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح مكة رسول الله ع م وقد بقيت ايام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين
لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلعم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة والفان

من الطلقاء والاساري الذين اعتقهم رسول الله صلعم وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عدد اكثيرين وكانوا هوازن وثقيف اربعة الاف فالتقوا وقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلعم وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر وقيل رسول الله وهو بعيد لانه كان في الاحوال كلها متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم تنفعكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع الحال اي ملتبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لفراركم اليه فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلعم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي لا اله الا هو ما ولي رسول الله دبره قط ولقد رايته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار ولا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلعم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احدا الا وقد امتلات عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية الاف او خمسة الاف على اختلاف الرواية وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المومنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري واحتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الآية بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان غيره يكون مشروعا معه واجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمي العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم منهم روي ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال رسول الله صلعم ان هولاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان في يده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انه قد رضوا ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا كرم الله وجهه حين قرا عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر وصفوا به ذو نجس وقال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس ورجلان نجس وامراة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف واختلفوا في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضا وهو قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روي انه صلعم شرب من آنيتهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث او انهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم وان كفرهم الذي صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة وفيها وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا في هذا النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية والدليل عليه قول علي رضه في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقال مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم يتقد وموسم عليهم من الارفاق والمكاسب فلعلها خافوا الفقر وعدم اسباب ازالة الفقر فسوف يغنيكم الله من فضله اي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم بالفيء

نعم مثالك اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذه الاخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء وليعلم ان حصول ذلك لو يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الاسلام ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **التاويل** ما كان لمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتقييد الهوى حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحظوظ الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال البدنية لا سيما القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين آمنوا اي القلوب المومنة وهاجروا الى الارواح للمهاجرة الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والجود اعظم درجة عند الله اي من وصل الى مقام العندية فان الله عنده اجر عظيم اي من جمال الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم حتى جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلي صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم لا تتخذوا اباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد ابطل استعداده الفطري بقبول الفيض الالهي ويوم حنين اي حنين قلوبكم شوقا اليه الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم عرضتم عن الطلب اذا احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردة ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى قلوب المومنين وانزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما المشركون يعني النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا تقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهي القلوب عن اتباع النفوس وامرها بتقبيحها ومنعها عن طوافها لئلا يتنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عن اتباع النفس فسوف يغنيكم الله عن انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس ه

قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله

ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله

ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا

الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا

نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها

الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون

عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله
يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر
يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما
حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

القراءة عزير ابن الله بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمز عاصم غير الخزاز الاخرون فيهما بحذف الهمزة ان يطفئوا ليواطئوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان سكن الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسي بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي واوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد **الوقوف** عزير ابن الله بافواههم لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف قبل قاتلهم الله يؤفكون ابن مريم لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا واستئنافا واحدا لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو يشركون الكافرون كله لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله في سبيل الله لتعلق الفاء اليم اي في يوم وظهورهم تكنزون حرم يقاتلونكم كافة المتقين فيحلوا ما حرم الله اعمالهم الكافرون **التفسير** انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل ذلك على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فاورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فان الاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه والقاضي اثبت ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي اثبت للصفات سبعة احوال معللة بتلك الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروه وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف المعلوم هل هو مقدور ام لا واما اختلاف المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى هنا واجيب بان المجسم مخالف في الذات لانه يقول ان لا اله الا الجسم والبرهان دل على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فيرجع الى الصفة فظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى يحل في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان اهل الجنة يأكلون ويشربون وبالحور يتمتعون اما السعادات الروحانية فيتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال الوراق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام من قبل انفسهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون في صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء من القتل ومعنى عن يد ان اريد بها يد المعطي اي عن يد مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب او المراد يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة

مستولية اي بسببها الكونه يديهن عن الاعز وعن شر اي يتناهون في التمنن لسببها او المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود من جحدة فاوجبوا ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به في حق الكل لعدم الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلعم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى ما قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب على ابراهيم صلوات الله عليه قد رفعت الى السماء لاحداث قد احدثوها وليس المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفر على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم ليعرفوا صدق محمد ورسالته عاصم اليه وايضا فيحرمة ابنائهم وحرمة كتابهم وحرمة ابائهم الذين انتسبوا الى الحق من شريعة التوراة والانجيل واما قوله وهم صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر ان يحمله ذلك على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الآية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي ياخذ الجزية قاعدا ويامره بان يخرج من جيبه ويحمله على عنقه ويعطي باسمه فيقبض ما معه في كفة الميزان ويأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانما تؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي لا يؤخذ في اخرها ولا تؤخذ من امراة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد ولا من سيده بسببه ويضرب على الزمن والعف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من فقير لا كسب له ولا من امراة ولا صبي ولا مجنون وعبد تقال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول اخذنا ان ايسر والا اقرت في ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول اقررتكم على انكم الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيره قال الشافعي ولا يمكن اهل الكتاب من الاقامة في دار الاسلام على ان يبذلوا الكتاب ويتقبلوا الاحكام التي يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض الحجاز لما روي انه صلعم قال اخرجوا اليهود من الحجاز جميعا من المدينتين وقد بقي في الآية نكتة قالها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي لان قوله قاتلوا يشتمل على الاخذ بدمهم على عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم قال فلما حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتهى عند انتفاء الحرمة ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء احد اجزائه ولكن ولقائل ان يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن الجزء وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الاخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعدما اعطوا الجزية كما كان فقالت وما الدليل على عدم وجوب القصاص وانت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله العلم مبتدا والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم عجمي زائد على ثلثة احرف فيمتنع من الصرف لعجمته وقيل لكونه على بناء التصغير فان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال الغرض الى الجحود من الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم انه كفر ولهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا انه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول او يجالس الملوك ولعله لم يركب ولم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء الى رسول الله صلعم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه ايضا ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله اصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب واما النصارى فلا شك انهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدي فيه سببا وهو ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع الحرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعة من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا ان تتنصر فقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف رجلا اسمه نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه ابن الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابرهيم صلوات الله عليه وقال المسيح عليه

النجم ثم
للحواريين احبوا اعدايكم وتركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضكم وصلوا من يوذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء يشرق شمسه على الصالحين
ان القوم دجل علماء اليهود ولاجل ان يتبا بلوا غلوهم الفاسد احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية واسع اغلا تحقيقه
الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة هذا التخصيص وكل قول انما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لا تحاد
اثبات الولد لمن هو منزه عن الحاجة والشهوة والمصاحبة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لاتحاد
الحناجر ويؤثر معناها في القلب اذ لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او تقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح
به ولا يذكره بلسانه اما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان في نهاية في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب لفهم يصرحون
ثم لا يخفونه البتة او انه مذهب لا ساعده دليل فلا تاثير له في القلوب ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت له الافواه والالسنة
يضاهون من قرا بغير همز فظاهره انه من ضاهى منقوصا اي شاكل ومن قراه بالهمز فلعله ضاهات وتقولهم ضهيا على فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها
لا تحيض ومن صحيحا فعلة بزيادة الهمزة كما في عرقاء لغيرة البيض السفلى الحي منها معدوما بمعناه فلا يثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي
هي قولهم قول الذين حذف المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لتقدما الجار والمعنى ان قول هولاء المعاصرين من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر قديم فيهم
غير مستحدث او يضاهي قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهون للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله
قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستبعدا على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق اي اخفاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن خلع عن الطريق اين تذهبهم ومنهم
بضرب آخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يحبر على بما يحسن بيان والراهب الذي ظهر اثار الرهبة من قلبه
على وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود وللدهبون والرهبان على النصارى من اصحاب الصوامع ولفظ الامر فيهما اخذهم اياهم
اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم الهة العالم فقال اكثر المفسرون المراد انهم اطاعوهم باوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان
نصرانيا فانتهى الى النبي وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله
فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار
والرهبان فكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لان الفاسق كان يتبع
دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعهم قال الامام فخر الدين الرازي رح قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرات
عليهم ايات كثيرة من كتاب الله في مسايل كانت تلك الايات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب يعني كيف يمكن
العمل بظواهر تلك الايات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت ولعلهم ترقوا لحسن ظنهم
بالسلف لانهم وتعوا من تلك الاي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل
طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان خرز طالبا وقد يرى لسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله ولولا ان هذا
مشاهد في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فهو انهم جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والاهلية والسبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم
في الاحبار والرهبان اولان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم والمسيح بن مريم اربابا لاوهم اشراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا واما
الغير للتهذيب والنبي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي القران حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار
والرهبان اي وما امر هولاء الذين هم عندهم ارباب الا بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا اخر من قبايح افعال اهل
الكتاب في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء الدلايل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفئوا نور الله اي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء
وذلك ان دين محمد مويد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى ولا سيما بالقران وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لقضائه
وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بجهالاتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلايل كما لو كان يريد ابطال
نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويابى الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله
الا ذلك لان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا واطلقنا ابينا امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتنع ما به كل الظلم الا انه كذلك يستوي
فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصر والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي بكثرة الدلايل والمعجزات ودين الحق
وهو اشتماله على امور تظهر لكل احد كونه موسوما بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حاله فقال ليظهره على الدين

كله
اي ليجعل الرسول او دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان و
تمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك
الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وانه يزداد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص اوجبه ضيق الطعن وقيل ليطلع
الرسول على جميع شرايط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة وقيل
ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعوهم من اظهار شعاير الاسلام والتزام احكامه قوله هو
الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معارض
ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة العظيمة التي لا يوازيها نعمة وهي نعمة الهدى والاسلام وقوله ولو كره المشركون وفي الاية الثانية ولو
كره المشركون اما متساويا في الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله نعم لان من مشركي قريش ثم ثما وصف
رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الاية
تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رح ولعمري ان من تامل في احوال اهل الناموس
والتزوير في زماننا وجد هذه الايات كانها ما انزلت الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا تعلق خاطره بجميع المخلوقات و
انه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله ومن قوله كثيرا دلالة على
ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق والباقي الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كان اجماع هذه الامة على
الباطل لا يحصل فكذلك في ساير الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه
من الوصول الى غيره كما لواخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فان المطلوب برخصها قال الاكتها وما يشتهاه وقدرتي في على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها
انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع وفي اخفاء نعت محمد وتاويل الدلايل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يدعون عند الحمقى
الحمقى انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا التوراة كذا
وينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه انهم لعزو
في المنع من متابعة محمد كيلا يكون جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الذهب الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه و
التركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم والكنز التي اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالاشحاح
من اخراج الواجبات من اموالهم وقيل المقصود مانعو الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك ماله عنه بالباطل كذلك فاشنع بحال من يحيي في اخذ ما لغيره
بالباطل بالخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الآية فقال
معوية نزلت في اهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب يشكوني الى عثمان فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف
الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا قلت اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال ما قدمت المدينة
فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل ... الناس حتى كانهم لم يروني ... يبشر الكانزين بكي يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه
رايت ابا ذر ويقول بشر الكانزين بوصف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون
فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رايت هولاء كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يبغي قريش واختلف ... وكل مال لم تؤد زكوته فهو
هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب ما ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت ارضين وكل مال لم تؤد زكوته فهو
كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس في قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين
لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه ساير الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وارش
الجنايات وقال الاولون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته اولم تؤد حجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسئلكم اموالكم وقوله كل امرئ احق بكسبه نعم
المال الصالح للرجل الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان تزكى ولم تزك فهو كنز وان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله جمع من الاغنياء
كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من اكابر المومنين وقد ندب الى اخراج الثلث او الاقل في المرض ولو كان جمع المال حراما لكان يامر المريض
بتصدق الكل بل الصحيح في حال صحته حجة الاقلين عموم الآية وما روي سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلعم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي
مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في ميزره دينار فقال رسول الله صلعم كية

ستبق في آخر توجد في بيته دينار او دنانير فقال كيتان وعن علي كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكوة اولم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الا
موال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منها قدر ما يدفع قدر حاجته ومنع منه الفقير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبده وقد دعم
طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فان الله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي عنه ما
وجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هناك فيحتاج الى تضييع العمر في تحصيله
واخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البته وقد يفضي الى الطغيان والحقد لان كنوزه ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى ولو لم يكن في النفوس سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله فلم يكن في سبيل الله فقد مدخر من وجوده واما
ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا يجب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعي الزكوة النقود فلا زكوة في المواشي عليه وقد
ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو مشهود ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور
عليهما ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم اوجب الزكوة في الحلي المباح ولم يصح ابن عيسى الترمذي
وتقديرا انه يصح على الآلي لقوله نعم وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على الذي لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه ذكر
شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال او لان كل واحد منهما جملة قيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير
فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي ولا ينفقوا من الفضة وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين
ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الآخر كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا واما لان
التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيارا كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم وقيل
البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او الغم كان حقيقته يوم يحمى عليها معناه ان النار تحمى عليها اي توقد عليها
نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى اي الكنوز كقولك احميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند
الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي
وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب فظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعوملوا
بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تالمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكونون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى
الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين او اليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع على كل الاعضاء لانها اما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة او في
غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسط ومثاله الجنبان ومنها ان الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة
نعوذ بالله منها ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان ذا المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولاه ظهره واقول
يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف
المال في مرضاة الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتاويل اليق ثم الذي جعل كيا هو كل ماله او النقد او الزكوة الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق
كان ذلك الجزء شايعا في كل ماله فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال لهم هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ وتعيير بانهم
رضوا بنقيض ما قصدوا واكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم تكنزونه
ثم ذكر نوعا آخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الآية وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات
بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان المعاني الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية
الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال
ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل
من الاول وهو من عند الله والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم
منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا
فيجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول اي
فيما اثبت في ذلك اليوم اللهم اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن
منها اربعة حرم ثلثة سرد اي متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي

كان

كان عليه ابرهيم واسمعيل وقد توارثه العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في
الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن
مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا
فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب
كالامكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى وهي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الا
طلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بمزيد التعظيم ليسهل عليه الاحتراز فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى
الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد او الاعتقاد ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك
من الشارع اقرب الى اتحاد الآراء ولطائف الكلم وقيل الضمير في قوله فيهن عائد الى الاثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد عموما والمراد
المنع من النسيء على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب
يختارون فيما بين الثلثة والعشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة يختارون ضمير الواحدة قال حسان شعر لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا
يقطرن من نجدة دما وتقول لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الآية يدل على اباحة القتال في جميع
الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على اباحته ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا كف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل
العاقبة والعافية قال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا جميعا وقاموا جماعة في وجه التشبيه قولك كما يقاتلونكم كافة
فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تخشوهم بترك القتال كما انهم يستحلون مقاتلة جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء وتقاتلهم فعلى
الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد لضمان النصر والمعونة
ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة وهو النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نسأه اذا اخره كالنذير والنكير وقال قطرب اصله الزيادة من قولهم نسأت المرأة
اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة
في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائية ههنا بان الكفر يقبل الزيادة
فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا
العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله بالمجاز او
بالحقيقة وقد مر مرارا يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التا
عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما آخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب
وغارات وكان يشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متوالية من غير قتال وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او المحرم حرب وغارة اخروا تحريمه الى شهر آخر قال الكلبي
الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر ويروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف
مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والا
كثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها ولم يعلموا
انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله فيحلوا ما حرم الله من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا
عليه كان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان ياتي في القصيدة بقافيتين ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما احلوا
من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل ان يكون عدة الحرم اربعة مطابقة لما
ذكر الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس السنين بشهر حتى يلحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعني اثني
عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم على ما علم في الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض
من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة
تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع والخريف وكان يشق
الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب اجمعوا على الكبيسة بحيث يقع الحج
دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية حقيقة تسع عشرة

سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب وهو يخرج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزايد هو الكبيس وسمي بالنسيء لانه المواخر والزايد عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي انه عم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب به الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التغيير لانهم اذا احلوا بعض السنين بان جعلوها ثلاثة عشر شهرا كان ذلك خلاف الحكم الذي عدة الشهور اثنا عشر شهرا لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اي يحلون النسيء في عام الكبس ويحرمونه عاما اي في غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب ويقول انا الذي لا اعاب ولا يرد لي قضاء فيقولون انسئنا شهرا وكذا تفعل في كل سنتين او ثلاث سنين فيحكم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت الى الشهر الحرام فيكون محرم عليهم واحدا برابعة على وفق مصلحتهم واخر الآخر وباقي الآية قدم تفسيره مرارا والله اعلم

التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر اي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق اي لا يطلبون الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك انعكس من مرآة القلب آثار انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كالذين اليهود لملاحظة التورية والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة تمتعا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكفرة الذين اتخذوا احبارهم اي قلوبهم ورهبانهم اي ارواحهم اربابا والمسيح بن مريم وهو الحق وذلك ان الحق هو اول مظهر الفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الاثر من الحق فان رؤية ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون اي النفوس ان يطفئوا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي ارسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد من الله بقدمي ترك الدنيا ومخالفة الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم اشتغلوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن المضاجع المكونات وظهورهم حيث لم ينتصبوا في التواضع والخشوع فيما امرتم هذا الذي اصابكم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن الم كنز ما دار الحرص لانكم لم تدوقوا في الدنيا حيث كنتم في مقام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوة نفسه وعياله يجب ان يجعل اوقاته ثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الآخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع في خاطر غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه اعوجاج ثم ذكر ان من شان النفوس المشركة انها ان ابتليت بطاعة اخرتها عن وقتها وهو النسيء الموجب لا زدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انه اعتقدت ان ذلك التأخير مما لا باس به

يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم
بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا
تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ

يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا
وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون
لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل
وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين

القراءة وكلمة الله في النصب يعقوب الباقون بالرفع **الوقوف** الى الارض من الآخرة قليل شيا قدير معنا لعطف انزل على نصره مع عوارض الكون السفلى الاولى ثم وكلمة بالنصب العليا حكيم في سبيل الله تعلمون الشقة معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لكاذبون عنك لحق الاستفهام مع اتصال الكلام بعض الكاذبين وانفسهم بالمتقين يترددون القاعدين الفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتني سقطوا بالكافرين

التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم قال ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلعم لما رجع من الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقلوا ذلك لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر والخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله صلعم ما خرج في غزوة الا نها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه اسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في ادارءتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل الى الارض اي مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرى اثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا فيكون جواب اذا فعلا آخر مدلولا عليه باثاقلتم كانه قيل ما لكم تثاقلتم وكان جواب اذا عاملا فيه اذا والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ويجوز عليه ان يكون الخبر الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في من الآخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون كانه قيل قد ذكرنا المرى

كثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع نضايحهم الى يحل علي شيئا انتهم ولو لم يكن فيها الا طاعة المعبود المتسلى من ثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة
الدنيا في الاخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الى الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المكلفين
لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه لما اعطي للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد بعرض الثواب عليهم رهبهم
بله بعرض العقاب فقال الا تنفروا ورتب ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلعم فتثاقلوا
فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق
الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم يعني قوما آخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل
يحتمل ان يراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال
الحسن الضمير لله وغيره انه غني عنهم في نصرة دينه بلا شيء وقال اخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفي قوله والله على
كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة
بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلعم فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الاية دلالة على ابطال مذهب المرجية
من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا لقوله ثم ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول
ومن قال ان الضمير في قوله لا تضروه عائد الى الرسول يجيبه ان خصوص آخر الاية لا يمنع من عموم اوله اما ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتقرير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصرة فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد والاقل من الواحد
وفيه لانه اذا حصرا اثنان وكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منها وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد
ههنا نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلعم واذ
يمكر بك الذين كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس ما في الغار
فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران ماوي السباع والهوام فان كان فيه شيء كان لابي بكر فخرق وشد الجحر وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا
يخرج منه ما يؤذي الرسول صلعم فلما طلب المشركون الاثر قربوا بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلعم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال ان نقب اليوم ذهب دين الله فقال صلعم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت نسجت عليه وقال رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله بابصارهم عنه واستدل اهل العلم
بالاية على افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقته باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله في الغار وفي
لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلعم عرض الايمان اولا على ابي بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير
وعثمن بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان رضه لا يفارق الرسول صلعم في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد اقامه في مرضه
مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلعم فكان ثاني اثنين من اول امره الى اخره ولو قدر انه توفي رسول الله صلعم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره
ولا يكون وصيته الا ابو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار
فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر
صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن اجابت الشيعة بان كونه ثاني
اثنين ليس بعظم من كون الله رابع كل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومعه من وكون الصاحبة موجبة التشريف معارض بقوله
تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه صلعم استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف
ان يدل الكفار عليه او يوقعهم على اسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان لاحتمال يتعلق به فهو ذنب وخطاء سلمنا ولا دلالة في الاية على فضل ابي بكر الا ان افضلها على كرم الله وجهه على
فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب من اهل السنة بان كون الله تعالى رابعا للثلثة امر مشترك وكونه ثاني اثنين تشريف زائد اختص الله ابا بكر به على ان المعية
هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والموافقة فاين احديهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما يقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله اكفرت وفي
هذه الاية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل ولا يقولون
انه تعالى وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روي ان ابا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابي بكر واسما بنت ابي بكر
كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروي ان جبرائيل وهو جابع اسما فقال اسما قد ايتك بحية فخرج بذلك

آية الغار

رسول الله صلعم واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابعد ما بينه ونحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية
معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك انت الاعلى وبقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع علي على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا انه بحيث ابي
بكر رضي الله عنه في الغار ايام ما واما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر بعد دعوته
اغضبهم لان الحاضر اعلى حالا من الغائب ولانه علي ما يحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث في الغار ايام واما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر بعد دعوته
لم يليه الجهة والجهاد بالسيف والسنان بخلاف ابي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على ابي بكر اشد من
غضبهم على علي ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم المامون ان المضطجع هو تقرر زعم اهل السنة ان الضمير في قوله فانزل الله سكينته عليه على ابي بكر لا الى الرسول لانه اقرب
المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه ابي بكر وانما الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة
الخوف عن غيره ويقول له لا تحزن ولناسب ان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وايده عطف على فانزل فوجب ان يتحد الضمير انهما حكم
واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره الله في واقعة الغار وايده في واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر ان
يكون فانزل الله سكينته عليه اذ يقول اوكون فانزل معطوف
الخزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبي ايضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا او يكون في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته على رسوله قوله لا تحزن بعضه في يوم بدر
على نصره والمراد بالسكينة ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم انزل الله سكينته على رسوله وقيل وكلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا في
سائر الوقائع وكلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته الى الاسلام او كلمة التوحيد لان الوجود حينئذ ان يقال وكلمته هي
ساقطة الفصل انحي هي تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها مختصة بالعلو دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب الكلمة لان الوجود حينئذ ان يقال وكلمته هي
العليا الا تري انك تقول اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفي الرفع ايضا الاستيناف وما في الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب
لا يفعل الا الصواب ثم لما وعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اي خفافا في النفور
لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضي تناوله جميع الناس حتى
المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن مكتوم انه قال لرسول الله صلعم اعلي ان انفر قال ما انت الا خفيف وثقيل فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله
ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا مع الرسول صلعم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا
او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه
وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من احبه ابتلاه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن انس قال قرا ابو طلحة هذه الاية فقال ما اسمع الله عذر احدا فخرج مجاهدا
الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلعم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وساله ان ياذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها
على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك انه
صلعم خلف من النساء والرجال اقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن امره الرسول بان يخرج لزمه ذلك ومن امره
ان يبقى لزمه ان يبقى ولقائل ان يقول لا نزاع فيها وانما النزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا باموالكم وانفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس
ان لم يكن مال زايد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم يكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني انه خير
في نفسه او انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه
الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو نحوه الى الغنيمة
ما تقدم عليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا
بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده ما الشقة المسافة الشاقة ووصف البعيد بالبعد مبالغة
ونحو جد جده ويجري الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولما كانوا لا ييأسون من الفوز بالغنيمة ثم اخبر عنه
انهم اذا رجعتم من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون
او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي
القسم ولو جميعا قيل في الاية دلالة على ان قوله انفروا خطابا للمستطيعين والا لما مكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة
قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عنده حتى يجعل مع الفعل وقال الكعبي نايبا عليه فان قيل لم لا يجوز ان يراد

انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولم يرد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له تعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة
البدن واذا اريد به المال فلا بد معين علي ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة علي الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد
فان الانسان الجالس في مكانه لا يكون قادرا في اول الزمان علي ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر علي فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم
الذين تخلفوا ما كانوا قادرين علي القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الي تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط
السوال ولقائل ان يقول انهم وان كانوا غير قادرين علي القتال الا انهم كانوا قادرين علي الاشتغال باسباب القتال فيعود السوال قال في الكشاف
يهلكون بدل من يحلفون او حال اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب او حال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة وانما
جاء به علي لفظ الغائب لانه مخبر عنهم يقال احلف بالله ليفعلن او لافعلن فالغيبة علي الاخبار والتكلم علي الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم تنافر
اول الكلام علي التكلم واخره علي الغيبة ولعل الصحيح حينئذ ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان
باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار
وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون
والذي عليه المحققون انه محمول علي ترك الاولى وقوله عفا الله عنك افتتاح علي عادة العرب في التعظيم والتوقير يقدمون امثال ذلك بين يدي
الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي ويبعد حصول العفو من الله
تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم وارد علي سبيل الذم والانكار بل يحمل علي ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما
يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الاية دلالة علي جواز الاجتهاد لانه صلعم اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله
في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع ولا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من
الاجتهاد مطلقا وانما منع الي غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين بطريق الوحي والا كان
ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبيين علي استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله من اجتهد و
اخطأ فله اجر واحد وفي الاية دلالة علي وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في
سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله لم اذنت لهم الاذن في الخروج لان التعويق
فقد يكون الخروج غير صواب لكونه عينا للمنافقين علي المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين للاية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان
سياق الاية يدل علي ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوا لان الاستئذان من علامات النفاق
فقال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن
النبي صلعم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي ابن ابي طالب رض لما امره الرسول صلعم بان يبقى في المدينة شق عليه
ذلك ولم يرض الي ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا لان سياق الاية
يلزم من يستأذن في القعود وعلي هذا يمكن ان يقال معناه كراهة ان يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الي انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين
الذين من شأنهم الاستئذان فقال انما يستأذنك الاية وفيه ان الشاك في امر الدين وفي اصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب
واليقين هو القلب ليس بمجرد الاداء به باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد بين النفي والاثبات غير حاكم
باحد الطرفين وتحريره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما او لا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم والا فهو
اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة
والتردد من شأن صاحبه كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون ان الذين استأذنوا هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى علي المنافقين
سوء افعالهم فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فتركهم العدة دليل علي
انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الي انهم كانوا مياسير قادرين علي تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم اي انطلاقهم فثبطهم و
التثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى ثبطهم
عن ذلك كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع صيغة الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سوال وهو ان
خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيبه لو خرجوا

فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد علي الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحي وكذا علي قول ابي مسلم ومما يوهم انه صلعم اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الي طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول المخلفون اذا انطلقتم الي مغانم الي قوله قل لن تتبعونا واما عندنا فانما خاطب الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علما علي نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الي اظهار نفاقهم بوجوه اخر علي ان الاية ... هتك استارهم وكشف اسرارهم قال معتزلة البصرة في الاية دلالة علي انه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصح ان يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيل الحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة تقتضي ترجيح احد طرفي الممكن علي الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بالارادة فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيل الحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة وقول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجتماع علي التخلف او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استأذنوه فقال علي سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الي تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذمهم وتعجيزهم والحاقهم بالنساء والصبيان الذين شانهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال المفسرون لما خرج رسول الله صلعم ضرب عسكره علي ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي معسكره علي ذي جدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلعم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا والتقدير ما زادوكم شيئا الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله علي الاستثناء المنقطع بناء علي ان التقدير ما زادوكم قوة ولا خيرا ولكن خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المجنون للمعتوه والمعتوه عبالا قال الكلبي الا شرا وقال سليمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الخبال الاضطراب في الراي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه لاخرين ليختلفوا ويتفرقوا كلهم قالت المعتزلة دلت الاية علي انه كره انبعاثهم لاشتمالهم علي هذا الخبال والشر وفيه دليل علي انه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل ان يقول اثبات الحكم بحكم جزئي غير معقول واعلم ان ... ثلثة الاول قوله ما زادوكم الا خبالا الثاني ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف فزيدت الف في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه ولا اذبحنه في النمل ولا تؤتوها في الاحزاب ولا رابع لها في القرآن وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال اكثرهم متعد يقال وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله علي العدو وعلي هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وابو عبيدة انه جاء لازما ويقال وضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي انه صلعم افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع في وادي محسر اي اسرع قال الواحدي والاية تشهد للاخفش وابي عبيدة وعلي القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي ومعنى خلالكم اي فيما بينكم والخلل الفرجة بين الشيئين ويبغونكم الفتنة اي يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا وابغ لي اي اطلب لي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول تحصيل اختلاف الاراء ومن الثاني السعي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد القاعد والقابل وقع الاثر علي اكمل الوجوه لا محالة واعترض علي هذا القول بانه كيف يجوز ذلك علي المؤمنين مع قوة دينهم ونيتهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام او لمن جبل علي الجبن والفشل او لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف او اهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه ... عين كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا علي ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلعم وقيل المراد ما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف عن النبي صلعم مع اصحابه ومعنى الفتنة السعي في تشتيت المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور صرفوها ودبروا لك الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذي هو القرآن وظهر امر الله غلبة دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم في نحورهم ولما كان الامر كذلك في الماضي وكذا يكون الحال في المستقبل لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره علي سبيل السخرية او علي سبيل الجد بان كان يغلب علي ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني اي لا تلقني في التهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمالي فاتركني فاعرض عنه النبي صلعم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله صلعم لبني سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال

البني صلعم رأي داء ادوى من البخل بل سيدهم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن المعرور الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق
والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من النعي عليهم بالنفاق
وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما في الاخرة فلمآل حالهم الى الدرك الاسفل من النار **التأويل** ايتها الارواح والقلوب المؤمنة
ما لكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى الارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا و
قيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل
قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروه رسول الوارد الرباني فقد نصره الله اذ اخرجه الذين
كفروا اي النفوس الامارة الكافرة من ارض القبول ثاني اثنين النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هي العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعي
واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد وثقالا ملتبسين بها او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين
بالهداية وجاهدوا بتقديم بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على
الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو
الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا العقبى وسيحلفون يعني لارباب القلوب لو استطعنا لخرجنا
معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك فيه تقديم العفو على العقاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية
والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له عدة وهي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا اشارة الى ان قعود اهل
الطبيعة في حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا لا عن نية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوام والعوام
ولهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو
التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود عن الارتقاء في مدارج المعارف والمناهج ولا تفتني يا روح بتكليف ما ليس من شاني وذلك
ان الهوى مركب المحبة يستطيع الروح في تصاعده الى ذروة الكمال والوصال الا في الفتنة سقطوا اي ان فتنة الهبوط هي الفتنة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم النفس

ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا
وهم فرحون ۝ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المومنون ۝
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون ۝ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم انكم كنتم قوما فاسقين ۝ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ۝ فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ۝
ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ۝ لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا
لولوا اليه وهم يجمحون ۝ ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقرا حمزة وعلي وهشام مدغما في لا يجتمع ساكنان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء ان يتقبل با
ليا التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب
الاخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير **الوقوف** تسوؤهم لا لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون لنا للابتداء لانقطاع الاتحاد معنى هو مولانا لا لابتداء
اخبار من الله والحكاية عنهم المومنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا والوصل اصح لان الفاء جواب متربصون منكم فاسقين
ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف
اي لكان خيرا لهم **التفسير** نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم احد والاولى حمله على العموم اي المعلوم
من حال المنافقين انهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكره الله تعالى ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز
حسن الراي والتدبير من قبل ما وقع ويتولوا اي عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه بان
يقول في جوابهم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اي في اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجاء او شدة او رخاء ونحو ذلك انه اذا علم الانسان ان الذي
وقع امتنع ان لا يقع لانه خلاف معلوم الله ومقدوره زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل اي في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو والمعاد
ودين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة يكون لهم والظفر يقع من جانبهم
وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم او الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الآية الثانية كالمكرر
لفرح المنافقين في الحال هو مولانا لا يتولى امورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من اسباب التناهي والتعازي لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المومنون فيه تنبيه على ان المومن يجب
ان لا يعلق الرجاء الا برب الارباب خلاف حال المنافقين فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث الاحسن وهي صفة الحالة او الخصلة او العاقبة يعني
النصرة او الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعيم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشتمل عذاب الدارين او بايدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ونامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا امر للتهديد
ذق انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم اتوا بشيء من صورة البر لن يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة
عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلعم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا
والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم
ترى اختلاف قولي حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة والمعنى لا يكون كما تقول متبرئي لطف حالك عندي وعاملني بالاساءة والاحسان
فانظري هل تجدين مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة
طوعا او كرها في الحال ومعناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملتزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق
شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طايعين من غير اكراه من رؤسائكم او مكرهين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق ولذا بين فيه
مصلحة ومعنى لن يتقبل ان الرسول لا يتقبله منكم او انه لا يتقبل عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق
يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا يعني الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك فانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان تقبل منهم الآية
على منع القبول بامور ثلثة الاول الكفر بالله وبرسوله الثاني ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل
وفيه انه يعلي الناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا الزم معهم الكفر الثالث ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب
الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان انفقوا مختارين بعدول الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قوله صلعم ادوا
زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز تواردها الامارات التعدد
ويجوز تراجع الامارات اولا تم فيه بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع كفرهم هذين تنبيها لشأن
تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلعم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية وان كسل من صفة المنافق وقال
بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر وهو ان يجري ذلك على

تارة من تخفيف وتقايل ان يقول لكم يكن مقبولا بعجم لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الآية دلالة على ان الصلوة لا تزكية للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من القبول فاما تيقن كان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالاتفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول ولكل احد فلا يعجبك الآية وتطرح ولا تمتعن عينيك وانما قال فلا يعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل صيغ الشرط اي ان يكن ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤهم وهذا بخلاف ما يجي في الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشيء مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشيء عنه ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه حصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته في قدرة الله ولهذا قال عم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصبا الى الدنيا والمنهمك في حبها فان السكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعراب كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الآية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكون عذابا بل هما من نعم الله على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الآخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب في الدنيا ايضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاي فائدة ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكون سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك ان كل من كان حبه للشيء اشد كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه اعظم فصاحب المال اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتنميته ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انجذب بكليته اليه وربما يفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله وذكر الاخرة ثم انه يبقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحساب حلاله حساب وحرامه عذاب فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق للحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا العقد ان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الاخر علم انه خلق للاخرة لا للدنيا فيفرح حيث للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون نفع في ذلك فاية تكليف وكانوا في اشق تكليف وكانوا مبغضين النبي مع انهم كانوا مضطرين الى المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من ان يقتلهم ويأخذ اموالهم واولادهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد انقيا مخلصون كحنظلة ابن عامر غسيل الملائكة وكعبد الله شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق ابائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تاذى الاب به ولاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان الرجل قال للطبيب ان تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا لمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قراين الحال فمن قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب كون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريدان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ يتحصنون فيه اسيرا على النعم منكم لتوالوا اليه ولفارقوكم فلا تظنوا انهم منكم ايكم في الدار والسكن من جهة القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغار الانسان فيه اي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال للقرب مخرجهما والمدخل مفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يتكلف بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو يجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرده وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تاذيهم وتنفرهم عن الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه ذكر ثلاثة الاشيا والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالابار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل اذا عبته وهمزته الغيبة وكذلك همزته ولمزته وفرق الليث فقال اللمز العيب في الوجه والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها لا مدخل في اخذها وذلك بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم واما الثانية ان يقال هب انك باخذ الزكوة الا ان اخذ كثيرة حرام ان يقتنع باخذ من ذلك الثالثة هب انك تاخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير موضعه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه عن ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله م قسما جاء

ابن ذي الخويصرة راس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله م لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله م استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فجاءوا بمخطون وفائدته ان تعلم ان الشرط مغاير للجزاء ومتعجب عليهم ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتب على اربع مراتب الاولى الرضاء بما اتيهم الله ورسوله لعلمهم انه تعالى حكيم عليم بعواقب الامور فكل ما كان من حكمه وقضائه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على اللسان وهو وليهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال واما الرضاء والتسليم وذكو الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان مأتانا الله لا يهملنا وسيؤتينا من فضله وعنه اخرى الرابعة الرغبة الى الله فانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون **التاويل** ان يعيبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها لطف الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من الموانع الحيوانية للخالقة الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لانه ما كان الفترات والوقفات للحرج لا للرد والطرد قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اللسان والعواطف الربانية والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب كالخوف والجوع وغيرها المتنوعة منها الاحدى الحسنيين رياضات المخالفات بكثرة الرياضات والمجاهدات اي رياء وكرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله نية المومن ابلغ من عمله وبالاية اشارة الى ان من امارات النفاق عدم الرضاء بتمتع الخلوات وحال المخلص بالعكس والله اعلم

إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ۝ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ۝ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ۝ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ۝ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ۝ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۝ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ۝ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ۝ وعد الله المنافقين

والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم

كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما

استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون

القراءات

اذا جيء كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل والباقون بالاضافة فرحمة بالجر حمزة الاخرون بالرفع الم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعفوا نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التانيث في الثاني الوقوف ابن السبيل

اي فرض الله فريضة من الله حكيم هو اذن امنوا منكم اليم يرضوكم لاحتمال الواو الحال والاستئناف مؤمنين خالدا فيها العظيم بما في قلوبهم استهزؤا لاحتمال الفاء من ان التعليل تحذرون ونلعب تستهزؤن بعد ايمانكم مجرمين من بعض لئلا يصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم ايديهم فنسيهم الفاسقون فيها حسبهم لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله لتلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا خاضوا والاخرة الخاسرون التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلعم في قسمة الصدقات بين الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن افاد جد وافعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الاية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لاحق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويقويه ما روي انه صلعم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هذه الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفي دخلهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويا الدلالة او احدهما اسوا حالا فعن ابي يوسف ومحمد الجبائي انهما واحد حتى لو وصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين لتوكيد امرهم في الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير اسوء حالا لانه تعالى اثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى يظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشرور والدواهي وروي انه صلعم كان يتعوذ من الفقر وقد سال المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سال توسط الحال وهذا المنافي في ورود انه صلعم ترك اشياء معلومة مع انه تعالى اجاب دعاءه ظاهرا فانما انه مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله او مسكينا ذا متربة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس رض يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذي يسال الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا في المحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان اتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوأ حالا لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم ٥ الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابو عمرو وابن الزبير والشعبي يعطى هؤلاء اجر امثالهم لانها اجرة العمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلعم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لاحق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلعم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق اعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راي الائمة ان المؤلفة ثلاثة اقسام ضعيف النية في الاسلام شريف يتوقع باعطائه اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من بعث جيش كل واحد منهم

ما راي الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع شرهم فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلعم يعطيهم من خمس الخمس والان لا يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك الرقاب وللائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال اذا عجز عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شيء او لا يفي ما في ايديهم بنجوم صرف اليهم او الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشتري به عبيدا فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطي منها في رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففي الرقاب يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف من المال الى قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال في الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم فيمن سبق لان في للوعاء فنبه به على انهم احقاء بان يجعلوا مظنة للصدقة ومصبا وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اصل الغرم لزوم ما يشق ومنه سمي العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متحملا والضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الاية روي الامام في تفسيره انه صلعم لما وصى بالغزاة في حنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله صلعم فقال احمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان تحل الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على بعض اعطي الباقي الصنف السابع قوله وفي سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيدة وقال ابو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن قوله وابن السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشاء للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة لقوله م ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة ان يعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكوة ولان الصدقات تنصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوة ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه جائز الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول حذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من اجزائها صدقة مثلا جاريا على كل واحد ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا اذا اخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين لتوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل منهم حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو في الحديد المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة ظاهر الاية وعن النبي صلعم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بتقدير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن هنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف بلفظ الجمع واقل الجمع ثلثة فاذا دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم الثالث اقل متمول

على انه تيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف جائز لا ان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف
الثمانية لانهم محصورون فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فينبغي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة الباقية
كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط برعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي اما
اذا لم يفعل ذلك فانه يجزيه عند ساير الايمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول
القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق في حبه يصد النفس عن حب الله وعن التاهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال باخراج
طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات تدعو الانسان
الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال في مرضاة الله ليصرف
النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا آخر له ويفضي في الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في
التعظيم لامر الله وعملية وكمالها في الشفقة على خلق الله فاوجب الله الزكوة لتتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق و
داعيا له بالدعاء والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد وهو غاد ورايح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي
بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبه بالمجردات والملائكة وليس الغنى الا عن الشيء لانه لان الاستغناء عن الشيء صفة الحق والاستغناء بالشيء صفة الخلق
العاجزين فلا امر بالزكوة نقل الانسان من درجة الادنى الى درجة الاعلى وايضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار
معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة له فكيف يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل المال من قدر الحاجة وحضر انسان
آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو سعيه في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فكه
الموجب للتعلق به وقد وجد هذان السببان المتدافعان فاقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان حق الاكتساب و
حق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فانه معطل في الو
جود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملؤ بطنه وكم من جاهل دانت له
الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مالي في خزائني الى المحتاجين من عبيدي وايضا ان الاغنياء لو لم يلزموا الصدقة
مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيله من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها وعلى اللحاق باعداء المسلمين وقال عم الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر وكان الله تعالى يقول للغني اعطيتك المال فشكرته فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصير عند فقده من الصابرين
ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف طائفة من المال اليك فتكون من الشاكرين وايضا
اراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من
عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من المنافقين وهو انهم كانوا يؤذون رسول الله صلعم على وجه الطعن والذم هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي ويقولون
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ما تقولون يبلغه فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة
فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة
وهو الذي قال فيه عم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي عم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد
اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن صامت ووديعة بن ثابت
فارادوا ان يقعوا في النبي عم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير
فغضب الغلام وقال والله انما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي صلعم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال
اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل
احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين فمرادهم ايذاء النبي بانهم يقولون هو اذن وذلك انهم قصدوا به
المذمة والتقصير لذكائه والبعد عوبل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بالاذى انواعا اخر سوى هذا القول اي يؤذيه بالغيبة
والنميمة وساير انواع الاذية ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كل ما يسمع فنحن ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه اجاب
عن قولهم فقال قل اذن خير لكم كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو الملابسة كانه قيل نعم هو اذن ذلك نعم الاذن

او اريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على
العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه خيرا بانه يؤمن بالله اي يقربه ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
يسلم فيهم قولهم لوثوقه بقوله وعلمه باخلاصهم لا لكونهم من اهل العزة والذل وهو رحمة للذين آمنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امرهم على
الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ولما قرئ
اذن خير بالرفع فيما نقل ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن خير والمعنى هو موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل
عن جهالاتكم فيحفظ بذلك دماؤكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على انتفاء
هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان دفعا في الظاهر لكنه نقض
في الحقيقة على الحال وتاويله قل هو اذن خير لكم ثم ذكر ان من قبايح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله
احق ان يرضوه اي كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يسترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد
بالذكر او المراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك او وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضا رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشني وجبرني ان
كنتم مؤمنين اي بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال لمن بولغ في تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان النبي صلعم طال مكثه فيهم وكثر
تحذيره عن معصية الله وترغيبه في طاعة الله والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد
غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق آخر وقال ابو مسلم هي من الحديد حديد السلاح ثم ذكر الجزاء فقوله فان له بالفتح اي فحق ان له نار جهنم وقيل
ان تكرير للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه سؤال وجواب من محذوف وهو ويحك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستئناف
بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قد قرئ بالكسر قال السدي قال بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة
ولا ينزل فينا شيء فيفضحنا فانزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير
في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين بدلالة قرينة الحال ويجوز ان يكون كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة وكانها
تخبر عما في بطونهم وتذيع عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او لكونهم كفروا عنادا وكانوا
شاكين في صحة نبوته والشاك في امر خائف من وقوعه وهذا الخبر معنى الامر اي ليحذر المنافقون وقيل انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء بعد
ولهذا اجابهم الله بقوله قل استهزؤا وهو امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون تظهرون ما تخفون من نفاقكم ومحصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد
عدمه فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله ولئن سالتهم الآية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء القراء
ارغب بطونا واوسع ولا اكذب ولا اجبن عند اللقاء يعني رسول الله عم واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلعم
فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلعم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله صلعم انما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به
الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي يشتد قدام رسول الله صلعم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي عم يقول ابالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينما رسول الله يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى وكنا
نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق فامر نبيه بان يقول في جوابهم ابالله اي بتكاليفه او بالصحابة او بقدرته حيث استبعدتم اعانته اياهم في فتح
قصور الشام وآياته يعني القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لم
الانكار على استهزائهم بالله بان اولي الاستفهام الذي يفيد التقرير النبي واصحابه على فتح قصور الشام ثم قال لا تعتذروا نقل الواحدي عن ائمة اللغة ان معنى
يعياء باعتذارهم فعلوا كانهم معترفون بوقوع الاستهزاء والمستهزا به ولم يقل المستهزئ بالله
الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومعذرة الجارية لانها تعذر اي تقطع والعذر سبب
لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اي ظهر كفركم بعد ايمانكم اي
بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالتصريح لان العزة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله والشفقة على خلقه ان نعف عن
طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه لو لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا
الله عنه وفيه اشارة الى ان من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له بترك ذلك القليل ان يعفو الله عنه

الكل قال الزجاج الطايفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكن ان يطوف بالشي ثم يجوز ان يسمي الواحد بالطايفة قال الله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين واقله الواحد وروي الفرا باسناده عن ابن عباس انه قال الطايفة الواحد فما فوقها ووجهه بانه من احاط من هنا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمي ثانيا بهذا السبب والهاء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال الله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطايفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطايفة الاولي احداثهم التوبة واخلاص الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد العذاب العاجل ومن قرا ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه يستند الي الظرف كما تقول سير بالدابة وسيرت ومن قرا بالتانيث ذهابا الي المعني كانه قيل ان ترحم طايفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اناثهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي في صفة النفاق واريد به نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم في توطيهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المومنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك تكذيب الله ورسوله وينهون عن المعروف وهو كل حسن عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلاص في الايمان ويقبضون ايديهم من كل خير او عن واجب كصدقة او زكوة او انفاق في سبيل الله وهذا اولي لتوجه الذم بتركه وقبض الايدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان الحقيقي لا يتوجه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيا لم يذكره فلبذلك الموجوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكتسبه هذا الاسم ثم بين مال حال النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعني خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل ان يراد بها ملزمين الخلود وهي حسبهم كافيهم في الحق والايلام ومع ذلك فقد لعنهم ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع آخر من العذاب الدايم سوي عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الي الخطاب كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلي الاول محل الكاف رفع وعلي الثاني نصب ثم وصف اوليك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اي جماعة من هولاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وما خلق الله للانسان اي قدر له من خير كما قدر قسم ونصيب اي ليث فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا واجيب بانه تقدم ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما تقرر تقدم هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمات مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستندا اليه باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعني كالذي خاضوا اي كالفوج الذي خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اوليك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال في الدنيا بسبب الفقر والانتقال من العز الي الذل ومن القوة الي الضعف واما في الآخرة فلانهم هلكوا وبادروا وانتقلوا الي العذاب الدايم وخسران الدارين فهولاء المنافقين المشاركون لهم في هذه الاعمال والقبايح مع ضعف بناهم وقلة عددهم اولي بخزي الدارين وحاز الامرين **التاويل** انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال صلعم ما من يوم وليلة ولا ساعة الا الله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية اوصاف الوجود كالسفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين اصحاب الاحوال والمولفة قلوبهم الذين يتالف قلوبهم بذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا من رق الموجودات بجر عبودية موجدها والمكاتب عند ما بقي عليه درهم والغارمين الذين استغرقوا في مراتب المكونات اوصافها ولطايفها وحجابها وهم محبوسون في سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدون الجهاد الاكبر مع كفار النفس والهوي والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السايرون الي الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله وجبها على ذمة كرمه كما قال الا من طلبني وجدني والله عليم بطالبيه حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن را وامحاسد بنظرمذته والعيب قل اذن خير لكم اي سامعة خير لكم لانه في مقام النامعية يسمع ما يوحي اليه يومن بالله عيانا ويومن للمومنين لان فوايد ايمانه تعود اليهم كما تعود الي نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم لا يعتدون الابعاد والذين

لا يغني عن القدر ان نعفو عن طائفة الهاد الفضل والرافة نعذب طايفة الهاد القهر والعزة ولكن الهادا للطف بلا سبب والهاد القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين بعضهم من بعض لان ارواحهم يوذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر كانت في صف واحد في الازل فعاملا تهم من نتايج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه بعد الاتيان لا ستغفروا فغفر لهم هي حسبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد الفطري فضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا راس المال ولم يربحوا

الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اوليك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ٥ وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ٥ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير ٥ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ٥ ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ٥ فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ٥ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب ٥ الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون

ومالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا ثم عاد مرة اخرى الي شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين

[illegible]

منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ۴۹۹۹

القراءة ولا المؤتفكات وباير بغير همز ابو عمرو وغيره نجاع ورويش والحلواني عن قالون وما لاعش وحمزة في الوقف الوقوف والمؤتفكات
بالبينات لانتهاء النفي مع فائدة التعقيب من بعض لما مر ويسوله سيرحمهم الله حكيم عدن اكبر العظيم واغلظ عليهم جهنم المصير ما قالوا
لم ينالوا من فضله خيرا لهم والاخرة ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لاختلاف النصب والرفع على الذم وكونه بدلا
من الضمير في نجويهم فيسخرون منهم سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في ترك
الايمان والاشتغال بالنعيم العاجل بين انه اولئك الكفار منهم وذكر طوايف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم
وقد بقيت اثارهم شاهدة ولمقاصد الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فاولهم قوم نوح وقد هلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وقد هلكوا بالريح
العقيم وثالثهم ثمود اخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكون ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها الله على دماغه
وخامسهم اصحاب مدين قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل عاليها سافلها
والايتفاك الانقلاب نسبت مداينهم الي ذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات انقلاب احوالهم من الخير الي الشر ثم قال
اتتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة ماصح منه الظلم
لكنهم ظلموا ذلك بسبب كفرهم وقد مر الكلام في امثال ذلك ثم بين ان شان المؤمنين في الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون
الاية قال بعض العلماء انما قال هنا اولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم ومقتضى الطبيعة والعادة
بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية وايضا لو كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم
في امر من الامور بالجملة كذا وكذا وحكم من الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون لحيف بطريق النفاق لان سبب
انعقاده عرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فلو ذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك اللفظ منهم لكان الاحتمال المذكور وان تشارك المؤمنين في
السيرة فلما كان سببه محض الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الي سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله بذلك ثم
وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان بالنسبة الي غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وبازائه قوله في صفة المنافقين ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالي ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم
بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اي في كل ما ياتون ويذرون ثم ذكر ما عدلهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله
والسين يفيد المبالغة في انجاز الوعد بالرحمة كما يؤكد الوعيد به كما اذا كان لك ولد وعصاك تقول له سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطا
ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب المؤمنين وترهيب الكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة
والحكيم هو الذي يدبر امر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر كلام اصحاب الاثار في
جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلعم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه
سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور
العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطي المؤمن القوة ما ياتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها
دار الله والله لم يرها عين احد ولا يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي
يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة
الهدى وساير الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال
عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي
هذه الاخبار دلالة على ان علم وتعيينها قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده لو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصل صفته من قولك عدن
بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان الذي يخلق فيه الجواهر وعامة فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم بعضها ورضوان من الله شيء يسير من
رضاه اكبر من ذلك كله لانه اشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الي هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث
الشرع ذلك الموعود او الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وفي الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون

ما احد من الخلفاء اقتدى الا برسول الله صلعم اقول وما ذكر الا بشوم البخل اولاً واخراً قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان او بالقلب وقال
المحققون انما لابد من التلفظ بها لما روي انه عم قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به لان قوله عز من قايل ومنهم من عاهد الله لئن
آتانا من فضله لنصدقن ظاهر مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل اتيان السؤال بطريق التجارة او الاستغناء ونحوهما واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت
التاء في الصاد والمتصدق للمعطي لا السائل كقوله تعم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله لنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه اراد الحج
ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض اراد به الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة ولما يتجه الذم
على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هو الصدقة
الواجبة وان الرجل قد عاهد به ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وضع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر او المندوبات اذ لا
دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النذر وليا به فان قيل الزكوة لا يلزم بسبب الالتزام وانما يلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله
لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلماً ثم انه لما بخل بالمال
ولم يف بالعهد صار منافقاً ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقاً عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم
لانه كان سبباً فيه وباعثاً عليه وكذا التولي ان جعل عائداً الى التولي او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركاً لاداء الواجب فكيف
يمكن ان جعله موثراً في حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يوثر في الوجود ولان هذا الترك
قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو وجب حصول الكفر في القلب لا وجه سواء كان الترك جايزاً شرعاً او محرماً
فبسبب اختلاف الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه موثراً ولان البخل او التولي او الاعراض هو بعينه اخلاف ما وعده الله به فيصير تقدير الآية
ان التولي اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعم فيكون فيه دليل على انه خالق الكفر في القلوب هو الله
ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعم يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد هذا القول ان الضمير في اعقب لله ان الضمير في قوله الى يوم
يلقونه عايد الى الله والمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي ولكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء محدث منه امارة عليه وايضاً الترك المقرون بالتولي
والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجباً للكفر جعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف
الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد كما عود الضمير الى الله لكن من ابي يلزم كونه خالقاً للكفر والنفاق لم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله
العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر ولم ينالهم من الذل والخوف وبراد بخذلهم الله حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها
الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلايل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره يعضد ما قلناه قال العلماء
ظاهر الآية تدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق محتجاً
بهذه الآية وبقوله صلعم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وان صام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء
بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلعم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلعم
فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه
ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله تعم فيمن عاهد واذا ائتمن على دين الله خان في السر فكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل
الى الحسن رجلاً فقال له انا ولاد يعقوب حدثوه في قولهم واكله الذيب فكذبوه ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه
فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه دل على ان ذلك المعاهد يموت على النفاق وكان كما اخبر فيكون اخباراً
بالغيب ومعجزاً قال الجبائي هذا لاشك انه ليس بمعنى الروية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الروية وضعف بانه لا يلزم
من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الروية يكون على لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم على النجاة والعدم العلم بعلم الله
بضمايرهم ومناجيهم فقال الم يعلموا الآية والسر ما تنطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين او اكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على الخلوص
كما تري الاخفاء كان المتناجين قطعا عن غيرهما ومنه خلصوا نجياً ومعنى الآية كيف يجترون على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم
مع انه تعم يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على اي وجه يعرض عن ابن عباس ان رسول الله صلعم
خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها في

سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال له رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين
يوم مات فبلغ ثمن ماله مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على ثمانين الفاً وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق تمر وجاء ابو
عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واقرضت
الاخر لربي فامر رسول الله صلعم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وان ابا عقيل فانه جاء
بصاعه ليذكر مع ساير الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله
ما ليس بواجب والجهد بالضم وبالفتح شيء قليل يعيش به المقل قال الليث قال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال
الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول والثاني في القوة سخر الله منهم جزاء دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من
قبيل المشاكلة المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد انه تعم يكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على
المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن وعاصم على بواطن الامور وذلك امر استاثر الله ورسوله وايضاً اللمز الفقير على جهد
المقل سفه لانه لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ماله وعلم منه غالباً انه ان قدر على اكثر من ذلك لم يكن فيه منع وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى اهل
الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم يكن فيه الا التقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
لكفى به منقبة وفضلاً التاويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف في عالم الارواح يوجب التالف في عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقي اي بطلبه
المعروف الحقيقي اي بطلبه والمعروف هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة
في ما فضل من كفافهم الضروري ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان
الطيبات للطيبين يا ايها النبي في القلب الذي نباه من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون
الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتموا نفوسهم والا فمأويهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي
التي توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم ينالوا اي ابتغوا لانفسهم مرتبة الشيخوخية قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم ليناوا فضل الله
من حكمة الولاية فلم يحتملوا الفتى حوصلة الهمة ومرتد الطريقة اعظم من مرتد الشريعة فلهذا يكون عذابه الاليم في الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى
الله سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطري انا ايتنا من فضله جعلنا متمكنين من الكتاب الكمال لنصدقن كل ما
اعطانا فيما اعطي لاجله يوم يلقونه اي يلقون جزاء النفاق والله علام الغيوب يعلم ما يوسوس به انفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يسكن في قلوبهم
وهو غيب في نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم بلفظ الماضي ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم في الازل

اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ

ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ ۝ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُوْلِ اللهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ

وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا

قَلِيْلًا وَلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ۝ فَاِنْ رَجَعَكَ اللهُ اِلٰى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ

فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوْا مَعِيَ اَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِيَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ

بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخَالِفِيْنَ ۝ وَلَا تُصَلِّ عَلٰى اَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ اَبَدًا

ولا تقم علي قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ه ولا تعجبك اموالهم و

اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ه واذا

انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول

منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ه رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع علي

قلوبهم فهم لا يفقهون ه لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا

باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم

المفلحون ه اعد الله لهم جنات تجري من

تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ه

القراة معي ابدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معي عدوا بالفتح حفص **الوقوف** او لا تستغفر لهم
فلن يغفر الله لهم ورسوله الفاسقين ه في الحر حرا لان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا في الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم
لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدر محذوف الفعل اي يجزون جزاء يكسبون ه معي عدوا
الخالفين ه علي قبره فاسقون ه واولادهم كافرون ه القاعدين ه لا يفقهون ه وانفسهم الخيرات لابتداء وعد الفلاح علي التعظيم بدليل تكرار اولئك مع
اتفاق الجملتين المفلحون ه خالدين فيها العظيم ه **التفسير** عن ابن عباس ان عند نزول الاية الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال
بالاستغفار لهم فنزلت الاية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول صلعم ان يستغفر لهم وانه تعالى نهاه عنه والنهي عن الشيء لا يدل علي ان النهي
اقدم علي ذلك الفعل ثم ان الدليل تدل علي انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعه ان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الا
ستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه علي مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبي غير مجاب الدعوة وان اكثر في التحذير ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد
المعين يدل علي ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روي انه لما نزلت الاية قال ع م لازيدن علي سبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بخلافه لم يقل لازيدن علي ذلك واجيب بانه
اراد اظهار الرحمة والرافة بامته ودعاهم ان يرحم بعضهم لبعض الا انه فهم منه ذلك كيف وقال تع فلن يغفر الله لهم وارد فه بقوله ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسئله حاجة لو سالتني سبعين مرة لم اقضها ولهذا نبه علي العلة
التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة علي السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها وهو ان السبعة
عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وايام الاسبوع فضرب السبعة في العشرة لان الحسنة بعشرة
امثالها وقيل خص بالذكر لانه صلعم كبر علي حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيرك علي حمزة هذا وقد عرفت في تفسير قوله
قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم ام لا وانتصاب سبعين علي المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر
نوعا اخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا ان يتخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استاذنوا رسول الله
صلعم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او اريد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يوافقوهم في القعود وكانهم خلفوهم
او اطلقوا عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الاية فان رجعك الله الي قوله ولن تقاتلوا معي عدوا وبخلاف مقعدهم بقعودهم

قاله مقاتل وبموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس يعني خلاف رسول الله خلفه الرسول حين ساروا
قاموا اي له قطرب والزجاج وابن عباس علي انه مفعول له اي قعدوا لاجل خلافه او علي الحال مثل وارسلها
العراك اي مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله وذلك ان جهة
الامام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا لانهم لا يكرهون وليس فيهم باعث
الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم
في الله المؤثرين ذلك علي الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل علي كراهة الذهاب الا انه صرح بذلك
للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الي الاقامة لالفهم بالبلد واستيناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى
الغزو لانه تعريض بالنفس والمال والعقل والاهل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه
الدار دارا اخرى وبعد هذه الحيوة حيوة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم
مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب
وكانه صاحب الكشاف فليضحكوا قليلا اي ضحكا
وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا اذ هو خبر لانه اخرج علي لفظ الامر للدلالة علي انه حتم لا يكون غيره ومعناه ثم عرف نبيه وجه الصلاح في
قليلا او زمانا قليلا وسيكون كثيرا يروي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الي طائفة لان منهم
الغزوات فقال فان رجعك الله الي طائفة منهم اي ان ردك الي المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم فاستاذنوك للخروج الي غزوة
من تاب عن النفاق وندم واعتذر بعد وصحح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين من المخلفين وصلاحا لامر الجهاد لما في استصحابهم
اخرى بعد غزوة فقل لن تخرجوا معي ابدا عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء علي تخلفهم لما فيه من الذم والطرد لان المعنى اول فعلة
من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ومعنى باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا مجموعا فاقعدوا مع القاعدين والخالف
المرات مرة كانت هذه اولها كقولك هو افضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان الخالفين كقوله وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين امروا
من يخلف الرجل في قوله وعن الاصمعي انه الفاسد من النبز والنبيذ اذا فسد لما توفي عبد الله بن ابي اتى رسول الله صلعم للصلوة فقام اليه
بالقعود وكانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رض يقول علي عدو الله عبد الله بن ابي القائل يوم كذا وكذا وكذا اعدد ايامه
فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
ورسول الله يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت فقام علي قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جراتي
فلن يغفر الله لهم واعلم اني لو ازدت علي السبعين غفر له لزدت ثم اقام صلعم ومشى معه الاية فما صلى رسول الله صلعم بعده علي منافق
علي رسول الله صلعم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل علي احد منهم مات ابدا وما يغني عنه قميصي وصلوتي من الله والله
ولا قام علي قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلعم فيما فعل بعبد الله بن ابي وقال قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب علي ظنه
ان كنت لارجو ان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا
الرسول انتهى اخذا سيرا بيده ولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه
ناذن لك فقال ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صنيعه ومنها اظهار الرافة والرقة كما تقدم قوله منهم صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل لانه يحتمل تابيد
عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه واما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم علي قبره
النفي ونفي التابيد والظاهر الاول لان القراين تدل علي منعه من ان يصلي علي احد منهم منعا كليا وانهم كفروا تعليل النهي ويرد
ان رسول الله صلعم كان اذا دفن الموتى وقف علي قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الحلبي لا تقم باصلاح مهمات قبره
عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة للحكم في الكشاف لانه قيل مات وماتوا بلفظ
الماضي والمعنى علي الاستقبال علي تقدير الكون والوجود لانه كاين موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون
عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله في هذه
السورة تفاوت الناظر يجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم جوابه انما ذكر النهي ههنا بالواو وهناك بالفاء
لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو من تعم علي حالة الفسق خلاف ما هناك وقد مر وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هناك التعقيب

من الادون الجزء الاعلى تعضواب الحجاب اولئك الاقوام باولادهم نوقع اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبني امر النائب ولا امر المنوب وهنا ارا
المعيشة فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هولاء اقوام اخرون لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب ولما في
الآية المتقدمة والمفعول محذوف وقدم وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما
حذف الحيوة هنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا تستحق ان تسمى حيوة لخستها واما فائدة التكرار فهي المبالغة في التحذير من الا
موال والاولاد لانها جاذبة القلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل ان تكون الاولى في قوم والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى
في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين واذا انزلت سورة اي تمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها
الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة لان في انزال السورة معنى القول وقال الواحدي تقديره بان آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال
بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا وهذا قول ابن عباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور
اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي
يتخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان على المنافقين يعيب تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم
كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول آية
الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التأثير في الطين ونحوه ومنه الطبع السجية التي طبع عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكم الله
في الجهاد او ما في الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاوة وفي قوله لكن الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير
منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال اولئك لهم الخيرات
وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هو الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله اولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المحارم ثم فصلها اجمل
فقال اعد الله وقيل الخيرات والفلاح في الدنيا والجنة في الآخرة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية **التأويل**
انما الرئيس لاستغفار الرسول صلعم في حقهم لقصور في القابل لا لنقص في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون
من رين القلوب وكدورة الارواح لظلمة الصفات الحيوانية وهم كما يزعمون مستعدون والقلوب بحجاب حب الاموال والاولاد فهم الخزانة لما سعوا
في العبودية بالواجبات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس ٥

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم ٥ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم ٥ ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا
واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ٥ انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ٥
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من
اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة

الجزء الحادي عشر

فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ٥ يحلفون لكم لترضوا
عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ٥ الاعراب اشد كفرا
ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ٥ ومن
الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ٥
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات
الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم ٥

القراءات المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الآخرون بفتحها
قربات بضم الراء نافع غير قالون الآخرون باسكانها وكلاهما جمع **الوقوف** ورسوله اليم لله ورسوله من سبيل رحيم لعطف ما ينفقون
اغنياء لاحتمال ان يكون ومن استئنافا او ومنافع الحال لان الواو العطف او الحال لا يعلمون الجزء الحادي عشر مشروع تلك القرآن اليهم من اخباركم
يعلمون لتعرضوا عنهم عنهم رجس لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى في اتمام الوعيد جهنم لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا
مطلقا لمحذوف اي يجزون مطلقا جزاء يكسبون لترضوا عنهم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين على رسوله الدوائر دائرة السوء عليم الرسول
لهم في رحمته رحيم **التفسير** لما شرح احوال منافقي المدينة شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرأ بالتخفيف فهو
من اعذر اذا اجتهد العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر وكانوا هم بني اصحاب العذر وهم الصادقون فالمعذرون هم الذين اتوا
بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب
طي على اهالينا ومواشينا فقال النبي صلعم سيغني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول ان يكون من التعذير وهو
التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الا
عتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون
صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون وروى الواحدي باسناده عن ابي عمرو انه قال ان قوما تكلفوا عذرا بالباطل وهم
الذين عناهم بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا يعذب ولا بشبهة عذر جراءة على الله تعالى وهم الذين اراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم اي من الا
عراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف الجهاد ساقط عن
اصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل الخلقة او لهم مرض ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى
والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو وعلى انفسهم حرج قيل هم مزينة و
جهينة وبني عذرة وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار القدرة لحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه
طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ولرسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا

علي معمات بيوتهم وبالجملة علي كل ماله مدخل في طاعة الله ورسوله من موافقة السر والعلن كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ثم قال ما علي المحسنين اي
المعذورين الناصحين من سبيل العقاب والمواخذة قال بعض اهل الظاهر كذا رواه الاصبهاني وعزوه ان المحسنين هو الاتي بالاحسان ورأس الاحسان
وسنامه هو قوله لا اله الا الله فهذا يدل علي ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة بدت دينه نفسه وماله الا بدليل منفصل كان السلطان لو قال لاهل
مملكته تكليف عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لاسبيل لاحد عليكم كان ذلك دليله علي انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك الامر والنهي لا نهاية له فلا ينضبط الا
بهذا الطريق وعلي هذا لو ورد في القرآن الف تكليف او اقل او اكثر كان ذلك تخصيصا علي ان اكثر التكاليف محصور فيها وفيما وراءها لبس تدعي الخلق
تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة والقرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الي التمسك بالقياس لان هذا النص دل علي ان
الاصل براءة الذمة فان كان القياس مثبتا لبراءة صار ضايعا وان كان يفيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص لانه لا يجوز ان النص اقوي
من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضي والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون وان قدروا علي الزاد بمال ولا علي الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي علي
المركوب قلت قال في الكشاف وهو حال من الكاف باضمار قد اي اذا ما اتوك قايلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا وجوز ان يكون واقعا بين الشرط والجزاء كالا
عتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال مجاهد انباء معرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسي الاشعري واصحابه اتو رسول الله صلعم يستحملونه
ووافقته ذلك غضبا فقال ما احملكم عليه فتولوا وهم مدبرين اي يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا عن الورع فقال ابو موسي الست حلفت يا رسول الله
فقال اما اني ان شاء الله لا احلف بيمين فاري غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وقيل هم البكاؤن سبعة نفر من الانصار ومعقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله صلعم فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل
قد ندبنا الخروج معك فاحملنا علي الخفاف المرقعة والنعال المخصوفة نغزوا معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله تفيض من الدمع
كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كلها فائضة ومن للبيان والجار هو المجرور في محل النصب علي التمييز حزنا الا يجدوا اي علي
ان لا يجدوا انما السبيل اي سبيل الخطاب والعتاب في امر الغزو والجهاد علي الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء ثم قال علي سبيل الاستيناف رضوا كانه
قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون علي الاستعداد فقيل رضوا بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان ان طبع الله علي قلوبهم
قال اهل العلم لما قال في الآية الاولي واذا انزلت سورة قال هناك وطبع فيكون المجهول مبنيا علي المجهول بخلافه في هذه الآية ثم ان العلم فوق الفقه وكان
انسب بالمقام الذي جري فيه اسم الله ان قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة للنهي من الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصير عذره مقبولا
فاذا علم ان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبانا الله علة لانتفاء التصديق وسيري الله عملكم يعني لا بد من وقوع اي سيقع انكم هل
تبقون علي الحالة التي تظهرونها ام لا وفي قوله ثم تردون الي عالم الغيب تخويف شديد وفيه انه مطلع علي بواطنهم الخبيثة وضمايرهم المملوة من النفاق
والكذب وانما لم يقل في هذه الآية والمؤمنون كما في الآية التي تجي لانه هذه موانع المنافقين ولا يطلع علي ما في بواطنهم الا الله ثم رسوله بالاطلاع
اياه او بنور نبوته كما قال قد نبانا الله من اخباركم والآية الاخري في المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم الله المنافقين بقوله ثم تردون لانه
وعيد يقطعه عن الاول بخلاف آية المؤمنين حيث وصلها بالواو وعد والله اعلم ثم ذكر ان منافقي الاعراب يعود لدون اعتذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكي
عن منافقي المدينة فقال سيحلفون بالله لكم اذا رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم يحلفون علي انهم ما قدروا علي الخروج ولكن بين غرضهم
من الحلف فقال لتعرضوا عنهم اراد والصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن علي سبيل المقت لا الصفح ولهذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام
والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم
بين علة الاجتناب عنهم فقال انهم رجس وكانهم نجس العين فلا سبيل الي تطهيرهم بالعتاب والتوبيخ وقال في امثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة
المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر منه وانما يعاد الي الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته مثلا يضرب لمن فيه مراجعة ويستعتب واذا لم
تكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب وجهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض الصفح بقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم ثم نهاهم
عن الرضا بقوله فان ترضوا عنهم الآية وذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله واي فايدة في رضي المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا
عليهم ثم عدد مثالب الاعراب واراد بهم جماعة معينين كما نوي الاولون منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الي العرب ثابتا وجمعه عرب كا
لمجوسي والمجوس واليهودي واليهود وقال الاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك من استوطن القرية فهو عربي ومن نزل
البادية فهو اعرابي ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال صلعم لا تؤمن امراة رجلا ولا فاسق مومنا ولا اعرابي
مهاجرا قيل انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل ع م نشاؤا بينهم او بالعرب وهي من تهامة فنسبوا الي بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق

بلسانهم فهو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما في ضمايرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكي عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في ادمغتهم وذلك
لانهم يقدرون علي التركيبات وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افيدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحثة العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة
الفاظهم وعذوبة عباراتهم انما حكم علي الاعراب بانهم اشد كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البرية لا يحتاجون الي
الطبيب فقال كالوحوش لا تحتاج الي البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وكان مشوقا عليه
انوار النبوة ومشوقا باستماع المواعظ وادابه كيف يكون مساويا لمن نشا كما شاء من غير سياسة سايس ولا تاديب مؤدب وان شئت فقابل الفواكه
الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال صلعم ان الجفاء والقسوة في الفدادين لانهم بعيدون في الآية واحد رواوي الحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقادير تكاليفه واحكامه وما تقتضي الادلة العقلية والسمعية والله عليم بما في اهل البدو والحضر واصحاب المدد
حكيم في كل ما قدره من الشرايع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعني
الجعل والاعتقاد والنعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسرانا وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كانه اعتقد انه لزمه لامر من
خارج كيفية اورياء ليس مما ينبعث من النفس والغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتقاديره ودوله وكانها لا تستطيع
الا في المكروه تشبيها بالدايرة التي يحيط فيها في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام ودونه بان دعا عليهم بقوله عليهم
دايرة السوء وانها جملة معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر واضيف اليه الدايرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف وهو ذم
للدايرة لان من دارت عليه دام لها وبالضم اسم بمعني البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنيا
تهم ثم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن الاعراب الآية والمعني انهم يعتقدون ما ينفقون سبب الحصول
القرب عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل علي آل ابي اوفي ثم انه تعالي شهد لهم
ولامثالهم بصحة ما اعتقدوه فقال علي طريق الاستيناف موكدا بحرف التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم والسين
لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذت امه بجادا وكسا مخطط فشقته نصفين فردته باحدهما واسرت به بالثاني فبعثته
الي رسول الله صلعم فكان بدا **التاويل** الناس ثلثة المفرطون المعذورون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب ولكن
فيهم الضعفاء والمرضي والفقراء فلا حرج عليهم في القعود عن الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا علي الذين اذا ما
اتوك بطريق المتابعة لتحملهم علي جناح الهمة النبوية وتوصلهم الي مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم عليه ثم رفعا
ودلالا وابتلاء لزيادة اشواقهم كما قيل لموسي لن تراني زيادة لشوقه وهم اغنياء لهم الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها في طلب الكمال
كسلا وميلا الي اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا لان في عالم الانسانية بدوا هو نفسه وحضرا هو قلبه والكفر والنفاق للنفس منتهي الذات
كان الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس وقد تصير النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون اشد كفرا من القلب
الكافر كان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله علي رسوله يعني الواردات النازلة علي الروح فان القلب حضر الروح
كان المدينة حضر الرسول صلعم ومن النفوس من يعتقد ان ما يصرف من اوقاته في طلب ضايع وينتظر بالقلب اشتغالا او فترة عليهم دايرة
السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغي ان يسمع في حقه

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا علي النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم
مرتين ثم يردون الي عذاب عظيم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر

عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ۝ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم

بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ۝ الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة

عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم ۝ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ وآخرون مرجون

لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ۝ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا

بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله

يشهد انهم لكاذبون ۝ لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم

فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ۝

افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من

اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم

والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ لا يزال بنيانهم

الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا

ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۝

القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجر انصلوتك على التوحيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى ابي بكر وحماد الباقون بالهمز مضمومة بعد الجيم ابو جعفر والذين اتخذوا ابو جعفر ونافع وابن عامر بالجمع والباقون بالتوحيد استس بنيانه مجهولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابي عمرو وعلي غير الليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان غير ابي مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قراءها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا ماضيا او مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا مجهولا من القطع وعن الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع **الوقف** باحسان لان

قوله وممن حولكم خبر والسابقون ابتداء العظيم منافقون لمن قدرون من اهل المدينة قوم مردوا ومن وصلوا وقف على اهل المدينة تقديره هم مردوا على النفاق ومن قدرون من اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عظيم لاحتمال ان يكون التقدير ومنهم آخرون وان يكون معطوفا على المنافقين او على التقدير سيا عليهم رحيم وصل عليهم لهم عليم الرحيم والمؤمنون يعلمون يتوب عليهم حكيم من قبل الحسنى لكاذبون ابدا ان تقوم فيه ان يتطهروا المطهرين في نار جهنم الظالمين قلوبهم حكيم **التفسير** لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهي منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر ان الآية عامة في كل من سبق الى الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق في الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي ولا شك ان الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء من في قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوي الاسلام بسببهم وكثرة عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروي عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب محمد رسول الله صلعم فقال لي ان الله قد غفر لجميعهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت في اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله والسابقون الاولون اولها الى آخر الآية اوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة لا السيئة او باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا وان يحفظوا السنتهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء ويعني رضا الله قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتدأ ومن اهل المدينة عطف على الخبر وهو خبر المبتدأ اخر بناء على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملابسة والثبات على الحالة الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا بقوله على حذقا فاستعودين الى حيث لا تعلمهم انت تعلمهم مع وفور حدسك وصدق فراستك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة والعذاب في القبر روى السدي عن ابن مالك انه صلعم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالدبيلة وعذاب القبر وقال الحسن باخذ الزكاة من اموالهم وبعذاب القبر وقيل احدهما وقال محمد بن اسحاق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبر ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار وقال المعذبين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث توكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم قال الكلبي ممن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال وآخرون وهو معطوف على منافقون او مبتدأ اعترفوا صفته وخلطوا خبره عسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبره وللمفسرين خلاف في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس في رواية الواحدي نزلت في قوم كانوا تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله واصحابه في الجهاد روي انهم كانوا ثلاثة ابو لبابة مروان واوس بن ثعلبة ووديعة بن خذام وقيل كانوا عشرة منهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا في الهلاك اوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد وصلى ركعتين فكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلعم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اي خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن بالماء وهذا ابلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت في الاول كلا منهما خلوطا ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فبينهما تقارب ويحوزان يقال الخلط هنا بمعنى الباء من قولك

الشاة شاتان ود رهما اي شاة بدرهم ويجوز ان يقال الخلط بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل على نفي القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور
اخلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع التوبة التي اخبر بحصول مقدمتها وهي الاعتراف منهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان
عسى من الكريم اطماع واجب فائدته ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معناه ان يتوب
ان يقبل التوبة ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام هو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من اموالهم
صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنه وبهذا يحصل النظم بينها
وبين ما قبلها كامر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا
لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهر في الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر المأخوذ
بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة
بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول القاضي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الآخذ و
تزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة
فالتزكية مبالغة في التطهير او هو بمعنى الانماء كانه تم جعل النقصان سببا لله نماء والزيادة والبركة والمراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال
ابو حنيفة ظاهر الآية يدل على ان الزكوة مطهرة للآثام فلا يتقرر الا حيث يمكن حصول الآثام وذلك لا يصح الا في حق البالغ العاقل دون الصبي
والمجنون وقال الشافعي يجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم من هنا قال
الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال آخرون بظاهر اللفظ
لما روي عن عبد الله بن ابي اوفى كان من اصحاب الشجرة وكان النبي صلعم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل ابي اوفى واكثر الائمة على
ان لا يحسن الصلوة لغير النبي على غير الاتباع واطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة
فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق آل البيت ايضا كعلي واولاده وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم
وقالوا انها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكوة فكيف يمتنع ذكرها او لا يحسن في اهل البيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق
واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه
وذلك ان دعاءه مستجاب البتة فيستظهرون بها وكيف لا وينبعث اشراق نفسه عليهم بتوجيهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكوة بها في زمان
ابي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والآن لا سكن ورد عليهم بسائر الآيات روي ان النبي صلعم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم
يتوبوا هؤلاء الذين كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين فنزلت وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل
ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقة الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الله
هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين واذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه
قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله عن عباده دون منه اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب
العصيان اول بتبعيد نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اخذ الصدقات اضافة الى الله بعد ان امر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة ولانها من
الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله اعظم من احد وقد جاء بهذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين ترغيبا
لهم في التوبة اعملوا فيه نوع تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسيره مثله من قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا
حكما وهو ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الآخرة حكما وهو الجزاء بوجه آخر كانه قيل ان كنت من المحقين فاعمل لله وان كنت من الظاهرين فاعمل
لتفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب
والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل افعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه وافشائه واعلم انه تعالى قسم المتخلفين الى ثلاثة اقسام
الاول منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق الثاني التائبون المعترفون بذنوبهم الثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله وآخرون واعرابه
كاعراب قوله وآخرون اعترفوا ومعنى مرجون اي مؤخرون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه قولهم رجل واخاه كامر وبه سميت المرجئة لانهم
يجزمون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل عن الايمان قال
ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو

لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم وعلى الثلثة
الذين خلفوا كما يجيء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين صدهم الله بهذه الآية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك راجع الى العباد اي ليكن امرهم على
الخوف والرجاء وكان يقول اناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل امرهم دائرا بين التعذيب والتوبة
يدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير توبة واجيب بانه لم لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طرائقهم
المختلفة قال والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفي الكشاف ان محله الرفع على الابتداء وخبره محذوف اي ممن وصفوا هؤلاء الاقوام
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر رجلا بنوا مسجدا يضاهون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بنوا مسجدا وبعثوا الى رسول
الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث على ذلك ان المنافقين ارادوا
تقوية اهل النفاق الاول التفريق بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى
اختلاف الكلمة وبطلان الالفة الثاني قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار وقال في الكشاف
انه يتعلق باتخذ والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون
ان الارصاد الاعداد والمراد بمن حارب ابو عامر الراهب والد حنظلة الذي غسلته الملائكة سماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب
العلم فلما ظهر رسول الله صلعم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما
انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا
مع اصحابه من المدينة وبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الا
ارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله صلعم قالوا بنينا
مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تاتينا فتصلي فيه وتدعو بالبركة فقال صلعم اني على جناح سفر وحال شغل واذا
قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سالوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الآية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر
بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله صلعم ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ويروى ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم
بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من ايام وجوده احق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله
على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول
يوم اي من ايام وجوده فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا في هذا
المسجد فقيل مسجد رسول الله صلعم بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلعم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء وضرب بها الارض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلعم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم
الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجد قباء اوفق وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان
تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد ضرار ثم ذكر لمسجد
التقوى وصفا آخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا
باضداد الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان الطهارة الباطنة اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم
كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله صلعم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار
جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلعم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلعم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار بالماء فتلا النبي صلعم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان
يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنه والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم [illegible]
بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر كالغفران واريد به المبني والمعنى ان من اسس بناء دينه
على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير والجرف هو ما اذا سال السيل وانحفر الوادي ويبقى

علي طرق السيل طين شرف علي السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهاد والهاير وهو ايضا المتصدع الذي اشفي علي
التهدم والسقوط قال الليث الهاد مصدر هاد الجرف بهار اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة
نقرت علي فاعل كخلف علي خالف والتذليت بالف فاعل انما هي عند واصله هو دعلي فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل علي حقيقة الباطل
وكونه علي شفا جرف هار كان مشرفا علي السقوط ولكونه علي طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر جهنم يروي انه حفرت بقعة من مسجد الضرار
فراي يخرج منها نار ثم ذكر بنيانهم ذلك لا زدياد ريبهم فقال لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة مع كونه سببا للريبة في قلوبهم وجوه منها ان
هذا صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ص ومنها تخريبهم ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم فصاروا مرتابين في انه هل يتركهم علي ما هم فيه او يامر
بقتلهم ونهب الاموال فلا يزول تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبكاء فحينئذ يضمحل اثرها عنها والمقصود
ان هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا ويموتون علي النفاق قال في الكشاف فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة
تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم او في القبور او النار وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا علي تفريطهم التاويل والسا
بقون الاولون الذين سبقت لهم عناية الازلية والسابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون
في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا الخطاب او السابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق الربوبية
في يحبونه او السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذواتهم يد القدرة الاولون باستكمال تشريف القدرة في كمال الاربعين صباحا السابقون من الحضرة
عند رجوعهم بقدم السلوك الي مقام الرجعة الاولون بالوصول الي سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبي ص وبامته كما قال نحن الاخرون السا
من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذل جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي باعطاء الا
ستعدادات الكاملة ورضوا عنه باداء حقوقها ومن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن اهل المدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق
كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب علي النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الي الشهوة اذا خليت وطبعها ولهذا قال ص ان اخوف ما اخاف علي امتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في طلب الغذاء فانها باقية علي طلبها
ما دام البدن باقيا لاحتياجه الي بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها تحتمل ان تتبدل
باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل
بالكلية او لم تكن مغلوبة بانوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلعم اربع من كن فيه منافق وان صام وصلي وزعم انه مسلم اذا حدث كذب
واذا ائتمن خان واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني
هذه الاحوال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة ومرة باداب الطريقة ثم
يردون بجذبات اللطف اي عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الي اسباب حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة و
اخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوب صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى
في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الي طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا
وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا راس كل خطيئة ويأخذ الصدقات فيه ان المعطي يجب ان لا ينظر الا الي الله ولا يمن علي الفقير اصلا وستردون باقدام
اعمالكم الي الله الذي يعلم ما غاب عنكم من نتايج اعمالكم وما غاب عنه من التقدير الازلي وما يشاهدونه بالعيون والقلوب في عالمي الملك والملكوت واخرون
مرجون امره توبتهم بين الخوف والرجاء فيطيروا بجناحي القبض والبسط الي ان يصلوا الي سرادقات الهيبة والانس والله اعلم بتربية
عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالمي الطبيعة والنفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا بجراءتهم لمن حارب الله
هم اهل الاباحة من مدعي الفقر يا رسول الروح اسس علي التقوى هو مسجد القلب جبل العبودية والطاعة من اول يوم الميثاق رجال
يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكاة عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن
اسس اي جبل علي الخير وما فيه رضي الله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة لانهم جبلوا علي الشقاء الا ان تقطع قلوبهم غيروا عن طباعهم
وكذلك ولا يزال يسري من مزبلة النفس ووسخ وظلمة الي قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

بقون

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التايبون
العابدون الحامدون السايحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابراهيم لاواه حليم وما
كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله
بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والا
نصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم
ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

لساجدون

القراة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الآخرون علي العكس ويقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابن لهام وكذلك ما بعده
يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روي ابن رومي عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا
الوقوف الجنة ويقتلون والقران بايعتم به العظيم لحدود الله المومنين الجحيم اياه منه حليم ما يتقون عليم والارض ويميت نصير تاب
عليهم رحيم للعطف علي النبي خلفوا الا اليه ليتوبوا الرحيم الصادقين التفسير لما شرح فضايح المنافقين وقبايحهم بسبب تخلفهم عن غزوة
تبوك وذكر اقسامهم وفرع كل قسم مكانه لا يليق به عاد الي بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله
ص ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم فقالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله

اشتري الآية قال مجاهد والحسن ويقاتلون فيقتلون فاعلمتهم وقال جعفر الصادق رض ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء
وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم
النفوس المجاهدة وباموالهم التي ينفقونها في اسباب الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل لما ان يبيع
مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البايع والمشتري هو الله ففيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي لا يهتدي الي مصالح نفسه وانه تع
هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الي انواع الخيرات واصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الارواح
وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالآلات والوسايط لتحصيل الكمالات الموصلة الي الدرجات العاليات فالبايع هو جوهر الروح
القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادة الدايمة فالربح حاصل والخسران زايل ولهذا
قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وهو كالتفسير لتلك المبالغة فيقتلون و
يقتلون اي انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان طايفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصد ذلك را
دعا الباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد تدخل فيه لان
الجهاد بالحجة والدعوة الي دلايل التوحيد اكمل آثارا من القتال ولهذا قال صلعم لعلي رض لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد
بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع بقاء ذاته الشريفة كان اولى عن افناء
ذاته الا تري ان جلد الميتة لما كان منتفعا من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه قال
الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر موكد وكذا قوله حقا او هو نعت للمصدر موكد وما الذي حصل
في التورية والانجيل والقرآن وقيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الا
نكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر المقدور وفي الآية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشتري واذا كان المشتري
هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشري حتى يكون حقا موكدا ومنها انه قال
بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها
قوله في التورية والانجيل والقرآن وانه يجري مجرى الاشهاد بجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده
من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم ان هذه
الخاتمة تقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو
الاخر ذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخري براءة موضعين ويونس والمومن والدخان والحديد وما في براءة احدهما بزيادة الوا
و وهو خاتمة هذه الآية وكذلك ما في المومن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما
بكناية تعود من الثانية الي الاولي واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين والثلثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية
التوكيد والمبالغة اولا انه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المومن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر لهم وادخلهم قال
ابو القاسم البلخي لابد من حصول الاعواض على الآلام للاطفال والبهايم قياسا على ما اثبته الله للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان صفاتهم كسائر
المومنين كذلك فقال التايبون قال الزجاج انه مبتدا محذوف الخبر اي التايبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل
التايبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدا خبره العابدون وما بعده اي التايبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال لما تقرر هذه
الاوصاف فيه قال ابن عباس والحسن التايبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق وقال آخرون الي التعميم ليشمل المعاصي ايضا اذ لا دليل على التخصيص
والعابدون قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا شك انها عبارة عن
نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك
عادة لهم وذلك ان الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون
بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسايحون قال عامة المفسرين هم الصايمون لقوله صلعم سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض
وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصايم وقيل اصل
السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء والذي يسيح والصايم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع

من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكمة وتجلت له انوار المعارف والحقايق فيحصل له سياحة في عالم المعقول وقيل السايحون طلاب العلم
ينتقلون من بلد الي بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قاله عكرمة عن وهب بن منبه ولا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس
لانه تلقي انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات
وليستفيد ممن هو فوقه ويفيد من دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار والراكعون والساجدون يعني المصلين قال
بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان ساير هيآت المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المطيع والمتمرد بالر
كوع والسجود وقيل اولي مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع
ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون ولما قطعت
دون ساير الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب او المراد ان الموصوفين بالصفات المتقدمة
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر بالله والجهاد يوجب حصول الايمان
وازالة الكفر والنهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الي الخصومة وثوران الغضب فادخل عليه الواو تنبيها على هذه المخا
لفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت
ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قايلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في
القرآن والاخبار والثامنة تجري مجري استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فاجمال بعد تفصيل وذلك ان التكاليف اما ان
يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات
اما لجلب المنافع ولدفع المضار والمنافع اما ان تكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس
وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبايح والضحايا والملبوسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها ما يفيد حله
وهو كتاب النكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والكفو واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن
احكام الملبوسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما
يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الا
حرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كا
لارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط واخذ الفيء والغنايم والزكوة وكالبيع بيع العين بالعين او بيع الدين بالعين وهو السلم او بالعكس كا اذا
شيا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو البيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد
المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك من التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والحجر
والتفليس واما دفع المضار فالمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهي باب احكام الزنا
والقذف واللعان واما في العقل كباب تحريم الخمر واما في المال فالضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو
السرقة وههنا باب آخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد
يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير بمقبول الا بحجة وهي الشهادة والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القاضي وباب الدعاوي والبينات فهذا
ما امكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى وباحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله والحافظون
لحدود الله يشمل ذلك ايضا بل رعايتها اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الآية بتكرير البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما بين اول السورة الي ههنا وجوب
البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء والاموات ووجوب البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه اي ما صح له وما استقام وما
ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار مجري
طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط المرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وبهذه العلة لا فصل بان يكونوا من الاباعد والاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو
كانوا اولي قربي روي الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلعم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال
اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به انا على ملة
عبد المطلب فقال النبي صلعم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فاستغفر له بعدما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا قد استغفر ابرهيم لا

وهنا محمد ليستغفر لهم فاستغفروا للمشركين ونزلت ما كان للنبي الآية وقيل عن ابن عباس لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا اي آخرهما موتا فقيل امه آمنة فزار قبرها ثم قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل ما كان للنبي الآية قال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا بعيد لانها من آخر القرآن نزولا وكانت وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه لعله بقي مستغفرا الي حين نزول الآية ثم اعتذر عن استغفار ابرهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يومن فكان يستغفر له بناء علي ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو الله اما باصراره علي الكفر او بموته علي ذلك وبطريق الوحي تبرا منه وترك الاستغفار ويجوز ان يكون الوعد ابرهيم ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لاستغفرن لك وعدة ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابرهيم لابيه دعاؤه الي الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الي الله ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل علي احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الآية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل اللغة اواه فعال ماخوذ من حروف اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان النفس الطويل يختنق عند الحزن في داخل القلب وتشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها اخرج ذلك النفس المختنق فخف بعض ما به وعن النبي انه قال الاواه الخاشع المتضرع والحليم ضد السفيه وصفه بهما لشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل يعني ان ابرهيم مع هذه العادة تبرا منه بعد ما انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولي ثم ان المسلمين خافوا ان يواخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فانزل الله تعالي وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة او يحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتي يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتي يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهديين ما لم يقدموا علي شي بعد حظره وما قبل النهي والبيان فلا يواخذهم كما لم يواخذ شرب الخمر والربا قبل تحريمهما وفي الآية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم علي بعض المحظورات داخلا في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شي عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد من كان عالما قادرا هكذا لم يحتج الي ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة فيه دليل علي انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غاية ما في الباب انه لا يفعله الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات والارض فائدة اخري هي انه لما امر بالبراءة من الكافرين غاية قدرته ونهاية نصرته لنا واستظهار المسلمين كيلا يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار وايضا كانه قال وجب عليكم ان تنقادوا الي حكمه وتكاليفه لاني الهكم وانتم عبيدي ثم عاد الي بقية احكام الكفار وقال لقد تاب الله علي النبي الآية ولنشير تفسيرا الاية علي اسولة بجواباتها السؤال الاول ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان اللائق بحالهم ان يثني عليهم والجواب ما من مؤمن الا وهو محتاج الي التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولي والافضل كما اشير الي ذلك في حق النبي بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المومنين نوع نفرة من تلك السفر لما عاينوا المتاعب ولا اقل من الوساوس والخواطر فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات صدرت عنهم في ذلك السفر او في مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة الجواب قد تستعمل الساعة في معني الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة علي بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الي ان اقتسم التمرة اثنان ثم ان مصاحبة جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتي نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالي في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معني كاد تزيغ وكيف اعرابه الجواب هما استعمالان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعني الاول كاد زيد خارجا اي قارب الخروج ومعني الثاني كاد الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخروج وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله اي ليس الشان ذاك ولكن صفته والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم وقيل بعضهم عند تلك الشدائد بالمفارقة ثم صبر القسم وصبروا وندموا وقيل مالوا الي حديث نفس بلا عزم ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الآية ثم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير عليهم الي الفريق فلا تكرار وان عاد الي النبي والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع زيادة وهي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل علي العفو عنه تاكيدا كما يقول السلطان لعبده كان الوضع عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم ويشبه ان يراد بالرافة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة والاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر مخلفين كاسلوب جيبتين اي موخرين عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعد اولئك وقيل

يقول

لانهم خلفوا عن الغزو وشذ قراءة من قرا بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم اي فسدوا وقراءة جعفر الصادق رضي خالفوا حتي اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا وتيقنوا ان لا ملجا من سخط الله الا اليه استغفارا ثم كقوله صلى اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرآنا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتي اذا كان كذا وكذا ثم تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك لما رجع رسول الله صلى سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهي عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الي رسول الله صلى فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي فصافحني وقال ليهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق علي التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا علي توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب علي من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا الي حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمومنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها الا الانتفاع بها الحاصل الابعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالي حتي انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا قالوا في الآية دلالة علي ان قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هولاء قد حصلت في اول مرة ثم انه صلى لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والندم وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة منا قول الامر فلهذا تاخر القبول دليله قوله حتي اذا ضاقت الآية ثم حث سبحانه المومنين علي ملازمة سيرة التقوى والانتظام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين امنوا الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب علي المومنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعني ان يكونوا علي طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعني المصاحبة والكون مع الشي مشروط بوجود ذلك الشي فلا بد من وجود الصادقين ثم انه بتقييم من دين محمد صلى ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة علي المكلفين الي يوم القيمة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل لا بد من ذلك الصادق لا يجوز ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقول الشيعة لان كل واحد من المومنين مع ذلك الصادق مامور بتحري الصدق فيجب علي بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا علي شي كانوا صادقين فيه كونوا مع الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الذين مع الثلثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن شدوا انفسهم علي السواري وفي الآية دلالة علي فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الي رسول الله صلى وقال اني اريد ان اومن بك الا اني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها فان قنعت مني بترك واحد منها فقال ان شرطت فانه لا يسالني رسول الله صلى عن شي منها وكذبت فقد نقضت العهد فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فان سالني رسول الله صلى وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرض عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الي رسول الله صلى وقال لما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسد ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتي استثنى في قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الي المفاسد عند المعتزلة والله اعلم

التاويل

ان الله اشترى في التقدير الازلي ولهذا يبشرهم الا ان بذل النفس والمال في الجهاد الاكبر والاصغر وانه كالمشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشتري من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه علي قدم العبودية الحامدون علي وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمي الصبر والشكر والترضي والتولي الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الي القيام بموجدهم الساجدون الساقطون علي عتبة الوحدة بلا هم الامرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الي طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابرهيم لاواه الاواه المتبري عن الخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه ههنا ولا يورد واردات الحق منا علي نطاق الحق فتياه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الي الحق حليم عما اصابه من الخلق للحق رجوع له من الحق الي الخلق بمجالس الاحوال ولهذا قال جبرئيل

لة

حين ساله الحاجة اما اليك فلا وبما نادانه ليصلوهم ليردهم بالمكر الي الاثنينة والبعد بعد اذ هديهم الي الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يتبين لهم ما يتقون من افات البشرية وعاهات الدنيا في راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا باستدراجي الي حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور او نقول ان الله بعد اذ هديهم بالاثناء من الوجود الي البقاء بالجود لا يردهم الي بناء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يتبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك سموات القلب وارض يحيي بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات البشرية من يشاء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فلا يشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي على المهاجرين ليكون وصوله فضل اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين في ساعة عسر الدنيا وترك الشهوات او نقول لقد تاب الله اي فاض ابواب عرفانه على نبي الروح ومهاجر صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الي مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجعه الي عالم العلم بالعسر لانهم من السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الي عالم ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم ارض البشرية شوقا الي الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تمنيا الي نيل تلك المقامات معقولهم بنور القران لو بقوا في السفل لا ملجا لهم من عذاب البعد الا الله الا الفرار اليه ثم تاب عليه بجذبة العناية ولو وكلهم الي طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق اتباع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله
لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المومنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الي رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الي بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله

قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

القراءة موطيا بغير همز بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها اولا ترون بتاء الخطاب للمومنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة **الوقف** عن نفسه صالح للمحسنين للعطف يعملون كافة يحذرون غلظة المتقين ايمانا يستبشرون كافرون يذكرون الي بعض لحق المحذوف اي يقولون هل يريكم ثم نصرفوا لا يفقهون عزيز حالا وان عليه شفاعة باعنتم والصحيح الرمل لان المعنى شديد عليه ما عنتم اولا وقف في الاية الي قوله رحيم حسبي الله الا هو الاصح الوصل على جعل الجملة حالا اي يكفيني الله غير مشارك في الالوهية الامر العظيم **التفسير** لما امر بموافقة النبي واصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة اي لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكانه اراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ويعني ولا يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي بخلت عليه ولم اتركه والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله ومصاحبته في اسلم بقائها بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع لان اصحاب الاعذار من الضعفاء والزمنى وغيرهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقي ما وراءها بين الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال ذلك بانهم اي الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم يثابون على انواع المتاعب واصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات من الذهاب والاياب والظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي يظهر ضمور البطن والموطي اما مصدر كالمورد او مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عايد الي الوطي الصريح او المقدر ثم الوطي يجوز ان يكون حقيقة فيراد بالدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا ارزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ولا يرزؤنهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شوم المعصية وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطي ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال الشافعي لا يشاركون القادمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان في المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك يجب من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا للمدعوين ان يتقاعدوا لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الي تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما اربى عليها مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب لا تكاد تقول لغير ذلك وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذ السيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المذكور في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة ورباقيها من اعمالهم وهو الوطي والنيل والانفاق وقطع الارض وختم هذا الباقي بتمييز فضيلة الي ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا بدا بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر هاهنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الي التصريح بذكره والبقاء بما هو اولا ان الضمير عائد الي المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المومنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمين اذا بعث رسول الله سرية الي الكفار

يغزون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قاله ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باجمعهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين
احديهما الى الحرب وخدمة الرسول والاخرى للنبي الى الغزو ثم هنا لان قال مرحضا فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين تذهب
الاكثرون الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلعم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرائع على انها
فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة للتفقه في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله
عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر الدين بهاتين الطائفتين والاضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتنبههم
هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فينبهوا لذا توضيحا سيئ اعلاء
كلمة فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو
حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلعم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد منه
لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه قد يعجز عن التفقه الا بالسفر ويجب عليه وان امكنه في الحضر فلا شك ان للسفر
بركة اخرى يعرفها كل من زوال الاسفار وحال الاخطار وفي ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح
هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول
الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاية تعلمها يجب الاعيان النوعي او الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار و
الارشاد وما تسبق اليه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والتفاخر اعاذنا الله بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا من الذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل
باخبارهم بقوله ولينذروا واجيب بانه ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بان قوله لعلهم
يحذرون يدل ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم شيئا فشيئا من الاقرب فالاقرب الى الابعد
والقتال واجب مع كافة الكفرة باية القتال ولكن هذه الاية احض لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا تكون هذه
منسوخة باية القتال على ما نقل عن الحسن ولما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في
سائر المهمات مثل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالحي الحاضر ثم ينتقل الى الغائبين وايضا المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل
والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري الفتنة وقد حارب
رسول الله صلعم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم عرب الشام ويروى ان اعرابيا جلس الى المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلعم كل مما يليك
فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول ضرورة قوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظيره قوله واغلظ عليهم
الغين في المصدر يضاها لسخطة وهي لغة جامعة للجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ولا ذلك ما يتصل بالدعوة الى الدين اما با
قامة الحجة واما بالسيف انما فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة فلا وليكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع
المتقين فان قتله قتل لله وان تركه على الجزية تركه لله والكسر عدوه واكان الامر الى اخذ الغنيمة حراعي ينجذ وداسه ثم حكى بقية قبائح اعمال المنافقين فقال و
اذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به ايكم
لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء وجملة زادته خبر ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما
ازديادا الايمان وقد مر معناه في اول سورة الانفال الثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالفتح والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون
بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين في قلوبهم عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران احدهما زيادة الرجس على الرجس
لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر ولانه حصول دغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة امران اتصالها زيادة الرجس على الرجس
تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر ولانه حصول حسد وغل ونفاق الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر
والايمان في العبد فلا يبعد اضافة السوء فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل
ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن دون الدنيا باستيلاء حب الله والاخرة اذا سمعها صار سماعها موجبا لا
زديادا رغبته في الاخرة ونفرته عن الدنيا واما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق المولى اذا سمعها اشتملت على تعريض
النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكلما تجدد ذلك تجدد ثم تعجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين

فا

قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فذلك ايمانا وخوفا
وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فانهم ان تخلفوا وقعوا في السنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل
اموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبر جبرئيل عليه السلام بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قائلين هل يريكم من احد
من المسلمين لينصرفوا فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد واراد وان كان يراكم
احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل ثم انصرفوا اي من مكان الوحي الى مكانهم او عن استماع القران الى الطعن وفي صرف الله قلوبهم
قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع
وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح او الاخبار بانه صرفهم عن الالطاف التي يختص بها من آمن بها والمراد صرف قلوبهم عما
اوتيهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه لا تقولوا انصرفنا من
الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد في الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله في هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يقوي الخلف في تحملها فقال لقد جاءكم رسول
من انفسكم اي من جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس اميل وبه الف وانس او الخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم في نصرته والقيام بخدمته لانه لا يحصل لهم
الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزتهم وفخرهم لانه من ابناء بلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم
ويقومون باصلاح مهماتهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين في خدمة اهل الله فلم تتكاسلون في هدايته مع انه لا نسبة لهم في الشرف اليه او المقصود من ذكر
هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فا
رسال من هذه حالته وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اي من اشرافكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبي صلعم والوصي واهل
البيت عم ثم وصفه بما يستبعد المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع في المكروه
والاثم وما مصدرية اي شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقائكم المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص
يمتنع ان يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم في الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال
الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس سماه الله
باسمين من اسمائه الاله وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم وكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق والاعرف
ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة
الدارين ثم قال للرسول فان لم يقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع في جميع امورك الى الله الذي بالحق ارسلك فهو كافيك وهو رب
العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شيء لانه محيط بالعرش وبما يحويه العرش والله اعلم التفسير ما كان لاهل المدينة القالب وهو
النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فانه
ذلك بانهم لا يصيبهم ظما من ماء الشهوات ولا نصب من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا في طلب الله ولا يطاؤن موطئا من مقام الفناء يغيظ
الكفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بعد الفناء
في الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هي بذل الصفات ولا كبيرة هي بذل الذات في سبيل الله وفي ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب
والروح احسن ما كانوا يعملون لان عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وما كان المؤمنون لينفروا في السير الى الله وبالله وفي
الله فلولا نفر من كل قوم وقبيلة وفرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليعلموا السلوك ويجدوا ولينذروا قومهم لعلهم يحذرون والفتنة موجبة لاتيان
القلب الحي ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي قلب حي هل يريكم من احد في مقام الانكار والنفاق اي هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقران فان كان رسولا رآنا
بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب من انفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه واشارة للخواص الى
ان البشرية لهم باستعداد الوصول والوصال فانه لم يكن بالاتفاق فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من انفسكم اي اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى او اول ما خلق
الله وحي ما لاختصاصه بالخلاص من تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين او ادنى وتجليه بجلية فاوحى الى عبده ما اوحى ولعكوس حمته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤية
سر القدر ولقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رأفته امره بالرفق كما قال ان هذا الدين فادخلوا فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم

وهنا نكتة وهي ان رافة ورحمة لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط وكانت رحمة نفع ورافة الناس عامة ان الله بالناس لروف رحيم ونكتة اخرى وهي ان رحمته عامة للعالمين لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واما رحمة المضمومة الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكان الرافة اشارة الى ظهور الدعوة في حقهم فالمؤمنون اعلم الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم امة الدعوة فقط فقلا جيب انه لان المقصود من التبليغ تحصل لك فهو حولك الى الله اعرضوا عن دعوتك او قبلوا وانتم

سورة يونس مكية الا ثلث ايات قوله تعالى فان كنت في شك الى اخرهن حروفها خمسة الاف وخمسمائة وسبعة وستون كلماتها الف وثمانمائة واثنان وثلثون اياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك

ايات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر

الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر

الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون

اليه مرجعكم انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط

جميعا وعد الله حقا

والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي

جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب

ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل

والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان الذين لا

يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون

اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم

بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

القراءة الر بالامالة وكذلك ما بعده ابو عمرو وخلف وحمزة وعلي والمزاز عن هبيرة والبخاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمزة حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبطي الباقون بالنون واطمانوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة الوقف كوفي الحكيم عند ربهم مبين يدبر الامر اذنه فاعبدوه تذكرون

جميعا حقا الا من قرا انه بالفتح بالقسط يكفرون والحساب الا بالحق لمن قرا نفصل بالنون ومن قرا بالياء امكن ان يجعل نفصل حالا يعلمون يتقون غافلون

لا ان اولئك خبر ان ايمانهم للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع النجاة المقصود وتمام الموعود النعيم سلام لان الجملتين واذا تفقنا فتارة جعلت

جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين التفسير اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه آية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل

مقاطع الاي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا رب غيري وقيل الر وحم ون اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنه السورة من الايات والتبعيد

للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل

او يحكم بان محمدا صادق لان القران المظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد

وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية

متوافقة في الاصول ويجوز ان تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من

انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك ان حروف القران من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلو لا انه من عند الله لما عجزوا عن

وملايين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله انكر على الكفار وقريش تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمها ان اوحينا

وفائدة اللام في قوله للناس مع تقديمه هي انهم جعلوه لهم اعجوبة يحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد بالوحي والنبوة

فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه

ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله

غني عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان محمد في ذلك قبل بعثته

اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان في قوله ان انذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد علمت في ضمير الشان نعتا

اي انه الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم اي بان لهم الانذار عام مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل

ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى

سال الرسل امر ما خلق الله نوع المكلفين عند شيء من الازمنة وبعثهم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان

الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية متقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبقت لهم عند

الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كنايتها عن العمل الذي يقع فيه تأخر ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان

السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على انها من السوابق

العظيمة اي القدم التي يصدق ويحق ان يسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة

محمد اما قوله قال الكافرون فقد قال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرا لساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي ومن قرا لسحر فهو اشارة

الى القران وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الا

تيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبدا والمعاد وذلك في

ايتين متواليتين وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما

يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فسد العالم لانه لما التفسير

والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الى آخره والامر الشان اراد به احوال الخلق واحوال الملكوت والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر بمقتضى الحكمة ويفعل

ما يفعل المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا بهذه الاية كانوا يقولون

ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسالوا

ما لا يعلمون انه صواب وصلاح وفي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدا وفي قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله فيه طرف المعاد

ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى العباد مريد

الخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر اي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك

معينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال

ذلكم الله ربكم الذي يستاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر

كل

في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا
ترجعون في العاقبة الا الى اجزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيد ان كلا منهما ثم قال انه يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه
معنى التعليل كانه قال ان الذي قادر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم
على انشاء اجزائكم حال الحيوة ثم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان يكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق
ومن قراءة بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بداء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا
بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدئ الخلق ليامرهم
بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وما احسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا تكون الا بعد الامانة والاعدام وقوله بالقسط متعلق
بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او ليجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله و
الذين كفروا منعنيا انه يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب بعرض وقوعهم في طريق القهر
والجحيم الملك الذي استحق بالنار رحمته انتهى ح وقالت الاشاعرة في الاية ولا دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم
ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة
من يقول لا يجب على الله تعالى شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا
فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المامورات والعكس في
المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي
الاية فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والوعد ما وعد الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان
يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم الا انه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله تعالى تخصصون الكثير مما في القرآن فهم تزعمون انه لا
سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى
فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعيد
والوعد على الافعال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد نرى ازهد
الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات واسفههم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم
والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه واطاعه وليس بهذه التفرقة في الدنيا كما قيل شعر كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال
باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ
المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا
ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا رادع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه
الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم
امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى
فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة ولا فائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك لانهم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه
خيرات عظيمة والا لما كان ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان
الروث في مذاق الجعل كالوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية ويتاسف و
يتامل في الاحوال الاتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله وتظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها ان ايصال النعم
اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة و
الرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الهموم والغموم والافات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين
كونه جنينا في بطن امه الى ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة
والمشي والعدو والى ان يصير اميرا نافذ الحكم او عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف وابهى من اللذات

يكون

العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا
الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه تضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا
الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا نعتقد مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء
العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان تجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغير
العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده هملا يكذبون عليه ويجوزون فلا بد ان يكون له امر ونهي ووعد
ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الاخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون
المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان الله العالم قادر على جميع الممكنات عالم بجميع المعلومات الكليات
والجزئيات فلا يعجز تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الا
نبياء وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بايات البعث والجزاء فوجب علينا
القطع بالمعاد الجسماني اما شبه المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الاخرة ان كانت شرا من هذه فالبعث سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما
ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولا ثم تركه وفعل الادون وذلك سفه او يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة وذلك انتقال من العجز الى القدرة
ومن الجهل الى الحكمة وهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبل العلم والعمل
والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل
جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلم انها ازلية فحركاتها غير ازلية لان الحركة عبارة عن التغير من حال الى حال وهذه الماهية تقتضي المسبوقية بالحالة
المنتقلة منها والازلية تنافي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا
لاعادة المعدوم من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص
لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود
المعدوم محال واجيب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال
البدن من الصبي الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي تسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا اغتذى انسان بانسان آخر فهذه خلاصة
لزم ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال واجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان آخر
بما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي مهموز اللام
قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو
اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان
على المبالغة بجعلها نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها
واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس ولذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله يسألونك عن الاهلة وقدره
منازل اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل ومنزل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون واساميها
مشهورة الشرطين البطين الثريا الى آخرها وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلا بقرب احدها وذكر انهم
قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت التسمية
بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة الى المكلفين لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية
وكيفية دوران احديهما على الاخرى وتفسير في قوله ان عدة الشهور الاية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى سائر منافعهما وخواصهما بقوله ما خلق الله
ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الا
ربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحقق معايش الخلائق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور ونقصانه تختلف احوال
الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر فلهذا قال نفصل الايات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا
العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الاية وبقي قوله
وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق الله من شيء وقد مر في اخر الاعراف وانما خص كونها ايات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر

نري

يجعل

الى التدبر والتفكر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبنا، الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان
كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدا والمعاد ثم شرع في احوال من لا يؤمن
بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون
تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب
اللذات الحقيقية فارغون من التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا عوض ذلك بالحيوة الدنيا الخسيسة واطمانوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه
وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن اياتنا غافلون فلا يعتبرون بالايات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد
فلم يتلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد اولئك ماويهم النار وفيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في
حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المالوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من اخرج
من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا انس بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حالة من لا
يؤمن بالمعاد فيكمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين امنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية
او صدقوا بتولهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله وشغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم
بالخدمة حتى تكون حيوتهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله يهديهم ربهم بايمانهم كما قال اكثر المفسرين معناه
يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله صلعم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى
الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الاية ان ايمانهم يهديهم الى خزايات الالطاف
ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فيؤدي الى حصول الثوابات وكذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان
التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد والزوائد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم
بايمانهم تجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستانفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة
والروح كاللوح والعلوم كالمعارف كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تراكم النقوش الجسمانية يكدر اللوح والانسان اذا امن بالله قد
اشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الاخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال يتزايد اشراقا هذه المعارف
والملكات ويرتقي في معارجها لحظة فلحظة وكما انه لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل
لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنها تعد الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجري من تحتهم انهم يكونون في البساتين على
مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعويهم فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد
وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل
الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والاخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار بالالهية قال القفال واصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى
من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك ان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى
وقيل اي تمنيهم كقوله ولهم ما يدعون وتقول العرب ادع ما شئت على اي تمن فكان تمنيهم في الجنة الا تسبيح الله وتقديسه ولعلهم كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من
يلتجئون اليه ويستنصرون به فيقولون يا ال فلان فاخبر الله تعالى عنهم انهم في الجنة يذكرون الله ويدعونه بتحميده وتحيتهم فيها سلام اي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل
هي تحية الله او الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول واخر دعويهم ان الحمد لله ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد على ان الضمير للشان قال اهل التحقيق
من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم اتوهم بما يشتهونه قال ابن جريج ورد
في الاخبار انه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتهي فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجد واتلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اي نسبحك عن الخلف في الوعد وقيل اللهم بني ادم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما
افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله قال سبحانك واذا
ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المطار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ودفع المخاوف
والمكاره عنهم بكل ما امكن وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهد اثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتم الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا

بيّد

التاويل الرفيانشا وانما علم ان تموتون وكما تموتون تبعثون وكما تعيشون تموتون وكما تعيشون لقولهم كذلك حالهم في العقبى لقولهم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون
يدبر امرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى ويلطف عليك في الوجود برحمته ورأفته لك من الازل الى الابد وانشا
ثان احدهما من الحق للحق الى حبيبه محمد صلعم كانه قال بالآية عليك في الازل وانت في العدم ويلطف عليك في الوجود برحمته ورافته لك من الازل الى الابد
من الحق لنبيه اليه فيقول بانك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث ويليك الذي احببتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت يا سين اي يا سيد فقلت لبيك
وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بالجذبة ارجعي الى ربك تلك اي هذه الايات المنزلة عليك ايات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الازل
وانشدكم ولاتك والحكيم الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرايع والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه رجولية قبول الوحي دون غيره ويحتمل انه
يكون معنى للناس الناس عند الله قدم صدق محمد صلعم لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدق قولهم انهم
مسحورون الا انه سحرهم سحر صفات فرعون النفس ان الذي ربكم هو الذي خلق سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني
والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجوع المقبولين بجذبات العناية التي
صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن
يجد تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اي لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة
ارض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا لتقلب احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سني المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات
ان في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدلها الاحوال
لايات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن اياتنا غافلون وانهم ركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالبهائم والانعام وبعض الفلاسفة

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون ۝ واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما
فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما
كانوا يعملون ۝ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما
كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ۝ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
لننظر كيف تعملون ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى
الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ۝ فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ۝ ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم

في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ۝ وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ۝ ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۝

القراءة لقضي اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الاخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم ادريكم بضم اللام وسكون الهاء روي خلف عن الكسائي والاختيار عنه وعن حمزة الاشمام اي ان يفتح الياء وكذلك ابن اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ونفسي ان يفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع لادريكم بلام الابتداء فقله ما فيا سنبا روى ابو ربيعة عن البزي وحمزة وقرا حمزة وعلي وابو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والخزاز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابي حمدون بالامالة فعاد ماضيا مستقبلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتا الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم لان ما بعده مستقبل مستانف اي فنحن نذرهم يعمهون او قايما سه يعملون ظلموا لان الواو للحال ليؤمنوا المجرمين بينات لان ما بعده جواب اذا او بدله نفسي لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القايل متحد الى لمثله ما تلونا عليكم به والوصل اولى للفا ولمثله المعنى من قبله تعقلون باية المجرمون عند الله في الارض تشركون فاختلفوا يختلفون من ربه للابتداء بالامر مع الفا فانتظروا لاحتمال الا بتداء او التعليل المنتظرون التفسير انه سبحانه ابتداء في هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانذار وبالدلائل الدالة على صحة المبداء والمعاد فكانه قيل انه ما جاء الا بدلائل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد احقا فامطر علينا حجارة فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبداء والمعاد وذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحياة الدنيا والاتاه التكليف وقال القفال لما وصفهم بانهم رب الغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم انا كرامه انه وهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنوا او يخرج من اصلابهم من يومن كما في عند نزول الشدايد بعوذ الله بكشفها كما يجي في الاية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو يعجل لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لاتيتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله الناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر ومعنى الاية لو اراد الله بعجلة الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير ولهم وقيل ما قبله بان فعل يعجل يلزمه الاستعجال الا انه تم وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللايق به التكوين واللايق بهم الطلب وسمى العذاب في الاية شرا لانه اذى ولالم في حق المعاقب ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل ولكن لا نعجل فنذرهم في الزلة الحد او لها في اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ماطلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا مس الانسان الضر اي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في الوقت كقولك جيئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال لنا خيان فيصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخرى دعانا مضطجعا او قاعدا او قايما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يديم الدعاء في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قايما لا يطيق المشي او المضطر الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المضرورين من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضر قال بعض المفسرين الانسان هيهنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم لو رده قوله هل اتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم الذين تلزمهم في جميع الاحوال على المعتقد المعجل لله معتجب ارادته ومشيئته فلا جرم اذا اصابهم السراء شكروا وان اصابهم الضراء صبروا فانهم ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر لجنبه او قاعدا او قايما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في الوقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته الاولى قبل مس الضراء ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ويجي كان لم يدعنا مخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله او النفس او الشيطان متفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه انفق ماله من الاستعداد الشريف من القوي البدنية والاموال

النفسية في الامور الخسيسة الزايلة من الاصنام التي هي احقر من لاشي ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن التمادي في الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مر تفسير القرن في اول الانعام ولما الموقف لا هلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلايل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر فالسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله بقوله ثم جعلناكم خلايف اي استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير النظر للعلم المحقق الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كامر في العشر قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من لا يؤمن بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا احد الامرين اما الاتيان بقران غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الايات ووضع اخرى في مكانها فامر الله تعالى الرسول ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي نفي عن نفسه احد القسمين الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا الاكثر نفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعها ايضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية فقد روي مقاتل والكلبي نقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة او هم المستهزءون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كان كاذبا واراد ان هذا القرآن مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القرآن من عند الله وانه غير مبتدع في ابرازه فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرا بلام الابتداء فمعناه ما تلوته انا عليكم ولا اخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرايي اهلا لذلك دون غيري ودريت بالشي وادريت غيري به الاية او نحو ذلك ومن قرا ادراتكم بالهمزة فله وجهان ان يكون الهمزة منقلبة من الالف او يكون من الدرء الدفع ومعنى ارادته جعلته داريا اي لم اجعلكم بتلاوته خصماء تدرونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل نزول هذا القرآن افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لانه لا يخفى على من له عقل من حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا اتى بمثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على ان من هو كذلك لا يكون الا من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا الضرورة وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم بعبارته لم يستفيض مقصود هم من الالهية فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانه جماد والمعبود لا بد ان يكون الاله الباقي والمالك للنافع والضار وكلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوايل سورة البقرة وفي قوله وجعلوا لله انداد اتنبئون الله بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تنزيها لنفسه عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسيره في البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود هيهنا تقبيح صورة الشرك في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل الامر المستحدث القبيح ولولا كلمة سبقت من ربك من امر الثواب والعقاب على التكليف لا الالجاء والتراوي من تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وتميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اباطيلهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن اية فاقترحوا غيرها تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه وهذا امر فيه تهديد ووعيد ۝

واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ۝ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم

في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان
وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع
الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان
كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا
الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

نصف الحزب

القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية يسيركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص
والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب الاخرون بفتحها تبلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح ورويس عن
عاصم تبلوا بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع **الوقف** اياتنا مكرا يمكرون والبحر في الفلك للعدول عن الخطاب الى الغيبة جواب اذا

منتظر احيط بهم لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به وان جعل دعوا جوابا عن سوال سائل فما صنعوا
كان للوقف وجه الدين لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير الحق على انفسكم الا لمن جعل متعلقا ببغيكم تعملون والانعام
عليها لان ما بعده جواب اذا الامس تتفكرون السلام مستقيم وزيادة ولا ذلة الجنة خالدون بمثلها لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي
يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبلها معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما اغشيت مظلما
اصحاب النار خالدون شركاؤكم للعدول مع فاء التعقيب تعبدون لغافلين يفترون نصف الجزء **التفسير** لما بين في الآية المتقدمة انهم يطلبون الآيات
الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم
اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفر فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من الطعن
شبه او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية

[illegible]

وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد ساخبركم بما فعلت ثم مثله لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا
اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الي حد الكمال كليهما
بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز ولا متين فاذا نزل المطر عليه اهتز وربي حتى اختلط بعضه ببعض الانواع
مما تنبت حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت اصله تزينت فادغمت واجتلبت لذلك همزة الوصل
وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تأخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الالوان المعهودة لها من
حمرة وبياض ونحوهما وظن اهلها اي غلب علي ظنهم انهم اي تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها اتيها امرنا هلاكها واستيصالها ومن بها
ببعض العاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع
في قطعه واستيصاله كأن لم تغن اي كأن الشان لم يلبث زرعها بالامس في زمان قريب يقال غني بالمكان بالكسر يغني بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت
القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض
في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد انه عاقبة هذه الحيوة التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة
هذا النبات التي حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم امره بعضا لانتظام اتاه الموت
وتلخيصه انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض
المنبتة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة اخرى فكذا النشور وكذلك نفصل الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى ليكون كثرتها وتفاوت اساليبها اقوى في البينة
وموجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الي الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعوا
الي دار السلام ومثله ما روي عن النبي صلعم انه قال سيد بني دارا وصنع مأدبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل
ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمأدبة الجنة والداعي محمد وعنه صلعم ما من يوم طلع فيه الشمس ونحوها ملكان يناديان يسمعهما
كل الخلق الا الثقلين ايها الناس هلموا الي ربكم والله يدعوا الي دار السلام واتفقوا علي ان دار السلام الجنة واختلفوا في سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله
والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما اطلق السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو الذي يسلم
[illegible] المضطرين عن المكاره والآفات والمخافات وكفى بدار اضافها الله الي نفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات
والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن
الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الي صراط مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الي ان الهداية والضلال والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته
وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء اجابة تلك الدعوة يعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها او المراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل
الدعوة الي قسمين وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا الله وعن غيره
الي ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا يليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع
هذه اللفظة علي الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وذلك ترك موصوفها واما الزيادة فحملها اهل السنة علي رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود بين
المسلمين من المنافع التي اعدها الله لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية
الله بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد علي المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة انما
كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة فاذا كان غير مقدر كما لو قال
اعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس الحنطة والمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل ما في
الجنة وعن علي كرم الله وجهه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الي سبعمائة ضعف وعن مجاهد
مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وهذا شأن المنافع ثم
لما بين انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال ثم اشار
الي كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا مبني قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم
ثم ذكر حال الفريق الآخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف
علي عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل علي ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة الفضل لانه

ولم يترك الزيادة علي السيئة علي عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة علي المثوبة علي فضله وترهقهم ذلة ثم ما لهم حين ما توانا وصف خالص المكلف
الحية كما تسعودهم بذلك سيئا لذنهم وهوانهم في انفسهم بما علي قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة لان العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي
شعر كل بيت انت ساكنه غير محتاج الي السرج وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم
احد من عذابه وسخطه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا بالله الا ان هذا
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم لما بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كأنما اغشيت اي البست وجوههم قطعا من الليل من قرأ
بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرأ بفتحها علي انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل واغشيت
لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضى العامل الي الموصوف كان مفضيا الي الصفة قال في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الي ان المراد بقوله والذين
كسبوا السيئات هم الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك
هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الي هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات المذكورة
محققة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بنبلوا اي في يوم كذا تبلوا كل نفس وحاصل الكلام انه يحشر العابد
والمعبود ليتبرأ المعبود عن العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا وفيه اشارة الي ان الممكن لا نسبة له الي الواجب الحق فاذا اتخذ
الممكن معبودا بريء من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند ابي علي هو اسم من اسماء الافعال
وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم لتأكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل
التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي زيولنا مثل بيطر فاعل اعلال سيد وقيل هو من زلت الشيء
ازيله فيعيد علي هذا والوزن فعل وتعليم زيلنا قوله ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها
انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم يتشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها انهم اتخذوها شركاء والشركاء قيل هم الملائكة
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل علي التهديد وانه لا يليق بالملائكة
المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم على تقديرهم او يقيمهم الا لامحالة ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط
وهذا الخطاب تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومثله لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل
اما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا او لم نكن بالله شهيدا الآية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها
جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة وذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم
اقاموا الاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال عنده اي في ذلك
المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت علي استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل من قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر
او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الي طريق الجنة او الي طريق
النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الي الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته وضل عنهم ضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وما كانوا يختلقون

التاويل واذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة او ذوق كشف
من مشاعد الالهية والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك
عن ذلك الي عيرا هلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول
شهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف لذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الي غير اهلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول
قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم من تلك المقامات الي دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذي يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية
حتى اذا كنتم في الفلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلايا والمحن من
اماكن النعم البلاء موكلا بالانبياء ثم الامثل فالامثل فظنوا الهلاك فيه اشارة الي ان ارباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الي شهود الجمال والاستغراق في لجج
بحر الجلال استقبلتهم عواصف القهر والكبرياء فيستدرجهم الي البغي وهو الطلب في ارض ماسوى الحق بغير الحق كماء انزلناه من سماء القلب الي ارض البشرية
فاختلط به الصفات المتولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس من الصفات الحيوانية والانعام من الصفات الحيوانية الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا اي بعيد
استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا اي عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وتوقع ورطة العقائد الباطلة كالبعض
الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الي دار السلام وهي مقام الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب او مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم من آفة
الاشتية والجهالة يهدي من يشاء بجذبات العناية الي صراط مستقيم يؤدي الي السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى

هي شواهد الحق والتكلف اليد والزيادة الجنة وما فيها من النعيم او هي ما زاد على النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم
الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين
فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق
ثم يعيده قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى
الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم
الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان
يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من
دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم
من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون

فانى تؤفكون

القراءة كلمات ربك وكذلك في آخر السورة على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي بتشديد الدال حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو وغير عباس باشمام الفتحة قليله يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ويعقوب يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر الله تتقون ربكم الحق للاستفهام مع الفاء الاضلال تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده الاول يؤفكون الى الحق للحق ان يهدى لماش فما لكم لحق الاستفهام الثاني تحكمون الا ظنا شيئا يفعلون العالمين افتريه صادقين تاويله الظالمين لا يؤمن به بالمفسدين عملكم لان انتم مبتداء والقايل واحد تعملون التفسير لما بين فضايح

مبدء الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابدآء والاعادة والارشاد والهداية وتذنيب الحجج بالاستفهام وتعريض الجواب الى المسؤل ليكون ابلغ في الزام الحجة او قوة النكوص فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية في الارض بعد رعاية شرايط ترتيبها وانمائها وحفظها من العاهات امن يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقها وتسويتها من الفطرة العجيبة وكان عم يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحفيظهما من الآفات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء مزيد قدرة ورافة ومن يخرج الحي من الميت الحيوان المآكي والطاير من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان القسام تدبير العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة وامور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاء وشهود وانها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل افلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه مسبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم به مثل الجمادات التي لا تقدر على نفع وضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ذا مزيدة وما نافية او استفهامية او مجموع ماذا كلمة واحدة معناها اي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا ودعوى الهيته لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم انتهاؤه الى ما انتم اليه فلا يكون واجبا هذا خلف محال ولهذا ختم الآية بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر فتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن تخطى احدهما وقع في الآخر كذلك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمت ربك انهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام وتفسير الكلمة انهم يؤمنون على الابد اي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون احتجت المعتزلة بمثل قوله فانى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يبق منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيهم بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك في اللوح واشهد عليه ملائكته وانبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلايل الاعادة بحيث لا يمكن العاقل من دفعها اذا تامل وانصف فبنى الامر على ذلك وانما امر نبيه ان ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الآية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه قيل لهم منهم ان لم يسعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر في الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن يحكي عن الخليل عم الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى عم ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامر محمدا صلعم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح واقتنام العلوم والمعارف فيه باستعداد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة والوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والانسي والجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها فتقرير الحجة قال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القراآت اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرة لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها في الآية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل العقلية والدلائل النقلية وما يمكنهم شيء من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها آلهة وصفوها كانه تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان تهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة والعقل فيمكن من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الا اذا نقل اليه ثم تعجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه امر دينهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم او في قولهم للاصنام انها آلهة وشفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الاغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال او عدم على اتباع الظن في تقليد الآباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلزم ان يجب اتباعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلايل التوحيد شرع في اثبات النبوة ومكانة هذا القرآن ان يفترى

اي افتراه من دون الله او كلمة ان جميع اللام اي ما ينبغي لمثله استقام ان يكون مفتري والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفتري به على انه لا
معجز لا يقدر البشر على الاتيان بمثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لانه معجزة دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها
وتستن هذا التصديق ايضا معجز لانه اقاصيص موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولانه بشارة تجارت في تلك الكتب على وفق دعواه
ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك
قوله وتفصيل الكتاب اي تبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع كقوله كتاب الله عليكم قوله في الكشاف قوله لاريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الا
ستدراك كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولاريب فيه اعتراض كقولك زيد لاشك فيه كريم
والمعنى ولكن تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتراه بل قل ان كان الامر
كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا
بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدي بها هذه
السورة والاصوات المتحدث واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على
القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف
والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا واسارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما ياتهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا
به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم واستيقانهم عجزهم عن مثله بغيا وحسدا وعنادا ولددا
وانما حملهم على التكذيب اولا واخرا وجوه منها انهم وجدوا في القرآن اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض
منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى فيها ويغتر بها من حركة وسكون وعاية
كما سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء
ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى واخر متشابهات الآية ومنها انهم راوا القرآن يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا
لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا بالمحسوسات فاستبعدوا ذلك ومنها ان القرآن
فيه تكاليف كثيرة من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر
في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الآية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد
تتعارض فيفتقر هناك الى تطبيق النص على التاويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار
بالغيوب ومن جملتها احوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى تسرعهم الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه ويبلغوا حد الاعجاز وقوله ولما
ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا غيوبه هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم الآية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا و
اعرضوا عن الآخرة فلم يبق عليهم الدنيا وما تهم الآخرة فخسروا الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم ثم طوائف
المكذبين فقال ومنهم من يومن به اي بالقرآن او بالرسول اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا
ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمتهم في الاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الآية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم
وربك اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في الكذب ويعلم طوياتهم بتو بوا او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله وبنتايج اعماله من
الثواب والعقاب وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والحق
ان آية القتال لما لم ترفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ التاويل قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من ارض البدن
نبات الافعال والاعمال او ينزل من سماء القلب مطر اثار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء
الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر الفيض الرباني ويخرج من ارض الروح الحميدة
والاخلاق الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله ام من يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب وبالعكس
ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه المراتب
العلية وما فاعتبه باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم في الازل

على الذين خرجوا من بتول بنعمة التوحيد رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في ام
الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا الاستعداد الفطري اعوذ بالله

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن
يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا
وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا
جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْ
خِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ
مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ
هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ
لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ۝ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم
مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝
قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُم

ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله
تفترون ۝ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان
الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ۝

القراءة ارانيت بتليين الهمز وبحذفه الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلي وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك او نتوفينك بالنون الخفيفة رويس الآن بوزن عالان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع فليفرحوا بياء الغيبة مما يجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ يزيد بالصاد وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف اليك لا يعقلون اليك لا يبصرون يظلمون بينهم مهتدين يفعلون رسول لا يظلمون صادقين ما شاء الله اجل ولا يستقدمون المجرمون انتم به تستعجلون الخلد للاستفهام مع ان القائل واحد تكسبون احق هو بمعجزين لافتدت به العذاب للعطف على اسروا دون راوا لا يظلمون والارض لا يعلمون ترجعون للمؤمنين فليفرحوا يجمعون وحلالا تفترون القيمة لا يشكرون التفسير لان الانسان لغاية بعضها لا ينفسا آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه في كلامه معرضة عن محاسنه فيه وكما ان الصمم في الاذن معنى يتأتى في حصول ادراك الصوت والعمى في العين امر يتأتى في حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد ينافي وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان في اولئك الكفار من بلغت حاله في النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع الى البهيمة بخلاف الناظر فكان في المستمع كثرة تجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثر كثرتهم ثم قال انت تسمع الصم ان تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمي ولا سيما ان اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال الخالق القدير والقوي وحده وهذا الحصر انما يفهم من فحوى انت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلعم فان الطبيب اذا راى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من جانب المريض لا من الصنعة والحذق ثم اكد عدم قابليتهم في النطق مع اشارة الى ما يحتم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسر المعتزلة بان المراد نفي الظلم ما الجاءهم احدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم قدموا عليها واجاب الواحدي عنه بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع من وقع في طريق الهلاك من وريق ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم اي واذكر يوم نحشرهم كأنه لم يلبثوا في محل النصب على الحال اي يشبهين من لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال اخرى او بيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في الدنيا وقيل في القبور استقلوا المدد الطوال اما لانهم ضيعوا اعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم او استقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم في الحشر او لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا كما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بينها وبين قوله ولا يسأل حميم حميما انه تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت اضللتني يوم كذا واغويتني ثم ينقطعون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الآية اكتفاء بما في الآية السالفة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الآية سبقتها لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله اعلم قوله قد خسر استئناف وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اي في رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف الباقي وتقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كمن راى زجاجة حسنة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقد خاب سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جوابا ونتوفينك والمعنى واما نرينك في اعدائك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده فقد راه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاجلاء عليهم والاستيلاء على ديارهم واموالهم والذي سيريه في الآخرة واد وم يدل عليه لفظة ثم لتقييد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما تفعلون ولا يخفى نتيجة هذه

الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد انطاق جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم ووقوع موجبات التخليط فيشهد فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذب به قوم وصدق آخرون قضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون وبهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون فكأنه تعالى يقول انا شهيد على اعمالهم ومع ذلك فانه احضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاءت رسولهم وشهدوا او لهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والنصفة فتكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة اخرى من شبهات الكفرة وذلك انهم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر كانوا يقولون متى هذا الوعد استبعاد النزول وتحديا في ثبوته وهذا ما يؤكد القول الاول في الآية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار الاخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وايضا قوله ان كنتم صادقين لقطعهم موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امر ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ثم بين ان هذا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الآية وتقدم تفسير الآية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بني الشرط على الاستئناف او البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رايهم في استعجال العذاب مرة اخرى فقال ارايتم اي اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا اي حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر في اول الاعراف ماذا يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا تستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطاء مجيئه فضلا ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال او المراد التعجب كأنه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط اثم اذا ما وقع آمنتم به والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الآن والحاصل ان الذي تطلبونه من العذاب ضرر محض عاري عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك واما قال انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان لا يؤمنوا واما ان يؤمنوا وايمان اليأس غير مقبول واما ان لا يؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر اشد وادوم وهو المشار اليه بقوله على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلت المناسبات الغنى عن الكل فكيف يليق برحمته هذا الوعيد والتهديد اجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقول الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وفي تفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم انهم بعد هذا البيان استنبؤوا مرة اخرى في تحقق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عنه من وعد ووعيد وقيل المراد ما جئت به من القرآن والشرائع وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيمة ثم امره الله ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم ولكنه يستعمل مع القسم في جوابه ان يكون قد ابرز الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد اخرجه من حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون بهذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الذي تعمد التهم عليه بقوله وما انتم بمعجزين فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراده وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الآية وقد مر مثله في آل عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاخفاء والمعنى للسلب اي اظهروا الندامة حينئذ لضعفهم قيس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء او اخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التعذير في اول ما يرون العذاب واما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم اتوا بذلك في غير وقته وقضي بينهم بالقسط اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في آيتين ان له جميع ما في الكون بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء ملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان دليله اثباتها او اراد ان يصححها بالبرهان المنير فذكر ان كل ما في

هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي بسيط ومركب فهو ملكه ومالكه لكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الكل الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص والافات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الاتنبيه ايقاظ للنايمين وتقريع للناظرين في الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري وودايع ولابد يوم ان ترد الودايع واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها ظهور المعجز على يده مطابقا للدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة على احسن الوجوه حيث قال ومالكان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الآيتين والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق بقوله يا ايها الناس الآية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض او لا عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بزوال اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بعد المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجة الصايبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك انه اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمومنين وذلك بان تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث يفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المومنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضي بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تفيض مكملة للناقصين وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية وكانها هي التي يجب ان يحل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية قال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتقرير والتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا مما نراه قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرا فبذلك فلتفرحوا على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ويثبت هذه القراءة الى النبي صلعم وهو الاصل والقياس لانه اول على الامر بالفرح واشد تصريحا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغايب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارع الاستعانة اضطروا الى همزة الوصل ومن قرا يجمعون بتاء الخطاب فانه عني المخاطبين والغايبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب او كما نادى المومنين وفيه بحث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على الدواعي النفسانية الجسدانية لانه لا مبغى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمي الذي يستحق به ويستدير ان يكون مستا ثبوتية ولان المتفرد بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وبابه الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومدخل الالام كل جزء من اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا ثباتها لها اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكذا بالابقاء لا يشتهي العاقل بحصوله ولو لم يحصل لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في تحصيلها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري شعر ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد ثبت بهذه الوجوه ان الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزايلات اما المنسوبة فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن ابي كعب ان رسول الله صلعم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الآية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فهل كان هذا بمجرد التشهي فذلك طريق باطل بعيد بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم بما عرفتم فكيف عرفتم لا بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الآية اشارة الى نفاة طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوايب والبحاير وغير ذلك وما انزل الجملة في محل الرفع بالابتداء وخبره الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدأ والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج انما في انزل بمعنى الا ان انزل مستفهما او بانزل وانه مع معموله مفعول ارايتم بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وذلك انه كل ما في الارض من زرع اوضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للتقرير وام منقطعة بمعنى بل اتفترون

على الله تقرير للافتراء ثم قال وما ظن الذين يفترون اي شيء ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به لاجل الفتى في الاحكام بغير علم فليتق الله وليحتط ان الله لذو فضل على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجد بينة او مخالفة التاويل افانت تسمع الصم متى اذان القلوب افانت تهدي العمي عمي ابصار البصاير ويوم يحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج ارواحهم الاخروية من قبور قوالبهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبود الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقاما كل صنف واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فيبلغك اقصى المراتب ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خدمة الدارين ولكل امة رسول في الظاهر من الانبياء والباطن من الهام الحق فاذا جاء في استكمال السعادة والشقاوة بياتا اي في الازل او نهارا اي يظهر الآن ما قدر لهم في الازل قل اي وربي انه الحق اي اقسم بربك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك برة على الجنة والنار ليلة المعراج بافناء الاستعداد الان سماء السموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل او يحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي صفة الجمال ويميت الجلال يا ايها الناس يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما في الصدور وهو القلب فانها في صدر الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى ان يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو سماع الخطاب وبرحمته وهو الابتلاء على معلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه اهل الدنيا في الدنيا ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على انفسكم وحلالا لغيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادة ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان الانبياء وخواص الاولياء قل الله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دونكم ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري

وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم

شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا

في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف

عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا

وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان

العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض

وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي

جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون قالوا اتخذ

الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم

من سلطان بهذا اتقولون علي الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون علي الله الكذب لا يفلحون

متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

القراة شان بعيد حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشي ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعرب بالكسر حيث كان علي الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب وللفضل الاخرون بالنصب **الوقوف** تفيضون فيه مبين يحزنون لان الذين يصلح نعتا او رفعا علي المدح فيوقف علي يتقون او مبتدأ خبره لهم البشري فلا يوقف علي يتقون في الاخرة لكلمات الله العظيم لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عايد الي الاولياء وقول الانبياء لا يحزن الرسول قولهم لئلا يوهم ان قوله ان العزة مقول الكفار جميعا العليم الارض شركاء يخرصون مبصرا يسمعون سبحانه الغني وما في الارض بهذا لا تعلمون لا يفلحون يكفرون **التفسير** لما بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغيره ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان الشان من الامور واصله الهمز بمعني القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر وقال الحسن في شان الدنيا وحوايجها وما تتلوا منه وما تتلوا فيه والضمير في منه اما لله عز وجل اي ما تتلوا من عنده وانما الشان لان تلاوة القرآن شان من شؤون رسول الله بل هو معظم شانه ولهذا افرده بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل واما للقران والا ضمار قبل الذكر تفخيم له كانه قيل وما تتلوا من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عم الخطاب فقال ولا تعملون اي انما المخاطبون من عمل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل علي جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا افضتم من عرفات قيل شهادة الله علم فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق علي الشي كما اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلا عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده من الاهل ومعني مثقال ذرة تقدم في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب من علمه شي اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبا وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته علي شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قراه بالنصب علي نفي الجنس او بالرفع علي الابتداء ليكون كلاما براسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا علي لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا علي محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه اشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يعزب عنه شي في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه ان يكون ذلك الشي الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شي في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد علي من يزعم انه غير عالم بالجزئيات او نقول ان الاستثناء منقطع بمعني لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعني الواو علي ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب اي هو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل علي القرب فكانهم قربوا منه لاستغراقهم في نور معرفته وجلال جلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولي الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني علي الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالي في وصفهم الذين آمنوا وهو اشارة الي كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الي كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان علي مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فبان يقدس ذاته عن ان يكون مقصورا علي ما عرفه او يكون كما وصفه واما في مقام العمل فان يري عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فتقدم تفسيره في اوايل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلعم سيل من اولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم تذكر امر الاخرة لما فيهم من الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر رض سمعت النبي صلعم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله

علي غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلي منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا هذه الاية يحكي ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق علي راس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة علي يده فاظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف يليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملنا بسبب القوة الواردة الغيبية فلما غاب ذلك الوارد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشري في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر قلت لرسول الله صلعم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشري المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد ولا كمال للعبد اشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله بعرفانه عاملا ونور الله مخدوم بالذات فمن اي قلب حصل كان مخدوما بالطبع الصنف ولم يجحده وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او تري له وعنه صلعم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وعنه صلعم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلعم استنبي بعد اربعين سنة الي استكماله وهو ثلث وستون سنة كان ياتيه الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الي ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الي ستة واربعين واما الرؤيا الصادقة توجيه البشارة فانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الي العالم القدسي والاطلاع علي بعض ما هنالك وعن عطاء البشري في الدنيا وهي البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة والبشري في الاخرة تلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤن منها الي آخر احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الي كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال الا لا تبديل الكلمات الله يدل علي انها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع ان يكون قديما وحمل المنع ظاهر فانه نفي شي عن شي لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلي رسوله صلعم عن تكذيبهم وكيد المكذبين فقال ولا يحزنك او نقول انه كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف قوله ان العزة كانه قيل مالي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر والقوة له كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرىء ان بالفتح لا علي انه بدل فان ذلك يودي الي ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة علي صريح التعليل وكان رسول الله صلعم واثقا بوعد الله تعالي في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الي فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سبقت لبيان فساد مقالة اهل الاشراك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم من لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولي بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعني بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة انما هي اسما لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعني اي شي يتبعون وشركاء علي هذا نصب بيدعون ولا حاجة الي اضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة علي من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون وقد مر مثله في الانعام ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع الاشارة الي بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اي ابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به نحو ايجكم يعني ان طرفا من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فيقبلوا ثم حكي نوعا آخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة وللمانعية نفسه عن اتخاذ الولد برهن علي ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغني التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الي النبات وايضا انما يحتاج الي الولد والي توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانصرام فالازلي القديم لا يفتقر الي الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الي الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الي الشهوة ولا الي اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعي هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شي منها ولدا له لان الاب يساوي الولد في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم علي ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك

ماعندكم بارضكم موزكانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اقود كانه تطرالي ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى عليهم ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على افترائهم فقال الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الحسية من رياسة ظاهرة وعرض نايل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاوة المؤبدة والعذاب الاليم اعاذنا الله منه

التاويل وما تكون في شان من النبوة وما تتلوا من شان النبوة من قرآن ولا تعملون يا امة محمد من عمل من اعمال الامة من قبول القرآن ورده من مثقال ذرة مما ظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اي في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد ومن الفعل ولا اكبر من النية وهو الهم الا ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من مخافة النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الشهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولي كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في تدارك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلذلك يمنعهم نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل ربما يعينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني ان من عبادي لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من في السموات والارض اي القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اي يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم الليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب المجاهدات وترول عنكم الملالة ونهار الروحانية واضيا ومبصرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القرآن بسمع القلوب ثم اخبر عن الشبهات التي تقع في اثناء السلوك قالوا اي مشركوا النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية مقترن بتجلي صفة ابداع الحق ومبديته الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حيث الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والاشتباه هو مبدا مقالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما في الارض البشرية من الوهم والخيال وما نشأ من الشبهات والآفات الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقايق ثم تديم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولحسوا بالالم والله اعلم

واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات

الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي

ولا تنظرون ۝ فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان

اكون من المسلمين ۝ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا

الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ۝ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم

بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ۝ ثم

بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا وكانوا

قوما مجرمين ۝ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين ۝ قال موسى اتقولون

للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ۝ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا

ونكونا

وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين ۝ وقال فرعون ايتوني بكل ساحر

عليم ۝ فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ۝ فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ۝ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ۝

فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون

لعال في الارض وانه لمن المسرفين ۝ وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا

ان كنتم مسلمين ۝ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ۝ ونجنا

برحمتك من القوم الكافرين ۝ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما

بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ۝ وقال موسى ربنا

انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك

ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا

العذاب الاليم ۝ قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ۝

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا

حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت

به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ۝ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ۝ فاليوم

ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ۝

القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان اجري بفتح الياء حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بالياء التحتانية حماد ويزيد وشريك الباقون بتاء التانيث السحر بالمد يزيد وابو عمرو ان تبوءا بالياء الحراز وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخرون بالهمزة ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وبه كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام بتشديدهما في الحالين امنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف حمزة وعلي وخلف الآخرون بالفتح بحيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الآخرون بالتشديد **الوقوف** نبأ نوح ليكون يوم اناذكر قولهم له

الى بل التقدير واذكروا اذ قال ولا تنظرون مناجر على الله لان التقدير وقد امرت ان اكون من المسلمين باياتنا الفناء ولان امر النظر للعزة تحقيق التثبت للمدبر المنذرين من
قبل المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم بناء على ان التقدير اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر هذا للتوبيخ الابتداء ويجيء لمزيد بيان لهذا الفصل
الاجلاد والاستخبار الساحرين في الارض بمؤمنين عليم ملقون ماجئتم به ان قراءة السحر سيبطله المعتدين المجرمين ان فتنتهم في الارض لانقطال الكلام
المسرفين مسلمين توكلنا العدول مع اتحاد القايل القائلين للعطف الكافرين واقيموا الصلوة لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلعم وان اريد به موسى فلا بد من العدول
المؤمنين الدنيا لتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت و ربنا تكرار للاول لاجل التفرع عنه سبيلك لابتداء النداء مع اتحاد القايل الاليم لا يعلمون وعدوا الرتة
لان قال جواب المسلمين المعتدين اية لغافلون التفسير لما بالغ في تقرير الدلايل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لانه نقل
الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدر وروح الملال مع ان في تذكرها تسلية للرسول ص م وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوايد التي سبق ذكرها
في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وكقوله تعم ولمن خاف مقام ربه اي ربه
ومثله مقام نبي ان زيادة لقتيل الظل ومنها انه يراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم مدة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك ان من الطريقة ويدعي الى
خلافها ولاسيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة
ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى ع م انه كان يعظ الحواريين
قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت اي ان شق بعضكم في فحكمكم على الاقدام على ايذاي ملنا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله
فان ذلك عادتي قديما اي قديما وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك شعر ان كنت انكرت على شيئا فابتدئني فانا ما اتوقع
ولا يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال ابو الهيثم
اجمع امره اي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع
ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه
اي مع شركايكم ومن قرأ بالرفع عطفا على الضمير المتصل فانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الالهة
وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه ثم قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على انه واثق بوعد ربه جازم بانه يقويه
ايا اياه بالتنكيل لا يفتح ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كانه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ادعوا
الى تمسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالكم يتقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم
اي التبس وقال الليث يقال انه لفي غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي اجمعتم ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر
العيش والحال اي اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي اي ادوا قطعه واحكموا امضاءه من القضاء او فيه تضمينا والمعنى ثم انتهوا الي بما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون
اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين انه لا مالي به فان ذلك تاريخ
من الطمع الدنيوي والوهن الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لاجله من طمع او غرض ان
اجري الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجهه فلا ينبغي الاعراض في الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى
الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين
الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما ياتي من هذه الدعوة وكذبوه بتوالي تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين
هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلايف يخلفون الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صم
ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الاية
وقد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد هنا لفظة به لعله لتناسب ما قبله وهو كذبوا باياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا
بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل او الامم باياتنا يعني الايات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام فلذلك اجترؤا على رد الا
يات اما قوله اسحر هذا فليس مفعولا لقوله اتقولون لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول هاهنا بمعنى الطعن
والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة اي مطاعن الخلق فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا
او يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين او يقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانه قالوا منكرين لما جاء به

قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افعال
جيتنا بالسحر تطلبا نابه الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه لا نه اكبر ما يطلب من امور الدنيا وايضا فان
من اللفت وهو الصرف والثني وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا
ذا الغرض القوم بصدقه صارت مقاليد امامته اليه وصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين
التمسك بالتقليد وهو عبادة ابايهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما بانهما ان ملكا الارض صرحوا بالتكذيب
ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون
وقومه سحرا من ايات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر
فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في وهمه انه يسأله عن
الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فاستفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ السحر جئتم به ان الله سيبطله بالاظهار
عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده بحيل الخاتمة ويحق الله الحق يثبته بحجته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما آمن لموسى اي في اول امره
الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد هاهنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل
المراد اولاد من اولاد قومه كانه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يفتنهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء
عليهم وقيل ان الذرية اقوام كان اباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته والضمير في قومه
على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في ملئهم للفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب
يأتمرون له او المراد آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم يدل على ذلك قوله
يفتنهم اي يعذبهم فرعون ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال في الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من اخس
العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تثبيتا لقومه ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا خصوه بتفويض اموركم اليه ان كنتم مسلمين قال العلماء الحكم
في مثل هذه الصورة معلق في المعنى بتطاول امرين كقولك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربت زيدا فاضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم انكم
منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم
اليه وحده فقالوا مؤتمرين لموسى على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قايلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم
او المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان
تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الآية وفي ذلك دليل على
ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما اتخذا مباءة
ومرجعا لتركيبه اي اتخذا وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع
العدول عنها بامر الله تعالى في ايام نبينا صلعم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا
بيوتكم متقابلة اما السبب في اتخاذ البيوت فان يصلوا في بيوتهم خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية واعتضاد البعض
بالبعض وقيل على التقدير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم
وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جمع الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة
واقامة الصلاة واجب على الجمهور ثم خص موسى ع م بالبشارة في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لايقة الا بالموحى الذي
هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر لنبينا محمد صلى الله عليه
لا يليق الالتفات والاعتراض ومعنى البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون ساير الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يجمعون اليه ليصلوا
والله اعلم بمراده ثم ان موسى ع م لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة وراى القوم مصرين على الجحود والعناد اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا
سبب الدعاء عليه فلهذا قال انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا الزينة عبارة عن الصحة والجمال والملابس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد
على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله
ليضلوا لام التعليل كان موسى ع م قال يا رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ودل ذلك على انه تعالى يريد ضلالهم واراد منهم ذلك الامر ويجيء

ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في
شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية
حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا
قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره
الناس حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يومنون فهل ينتظرون الا مثل الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا

إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ۝ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ۝ قل يا أيها
الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي
يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ۝ وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ۝
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ۝ وإن يمسسك
الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم ۝ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما
يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ۝ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ۝

القراءة يونانا مثل انشاءنا ويجعل بالنون يحيى وحماد الآخرون بالياء التحتانية ثم ننجي من الانجاء نضير وروح ويزيد ننجي المؤمنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون التشديد فيهما **الوقوف** الطيبات لا للابتداء بالنفي مع الفاء العلم يختلفون من قبلك لانقطاع النظم مع اتفاق الجملتين للعطف الخاسرين لا يؤمنون لتعلق لو بما قبلها الأليم يونس حين جميعا مؤمنين بإذن الله أي وهو يجعل لا يعقلون والأرض لا للفصل بين الاستخبار والأخبار لا يؤمنون من قبلهم من المنتظرين كذلك لاحتمال أن يراد ينجيهم كانجاء الرسل أو يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المؤمنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين يتوفيكم لاحتمال أن يراد وقد أمرت المؤمنين للعطف حنيفا للعطف مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف المشركين ولا يضرك للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين الا هو للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله من عباده الرحيم من ربكم لنفسه عليها للعطف مع النفي بوكيل يحكم الله لاحتمال العطف والاستئناف الحاكمين **التفسير** لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده أراد أن يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني إسرائيل فقال ولقد بوأنا أي أسكناهم مسكن صدق فيكون المبوأ اسم مكان أو مصدرا والعرب إذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق ليعلم أن كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فإنه يصدق ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني إسرائيل إما اليهود الذين كانوا في زمن موسى فيحمل صدق الشام ومصر وما بين أيهما فلانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الأرزاق وبعد ذلك فقد أورثهم الله جميع ما كانت تحت أيدي قوم فرعون من الناطق والصامت فاختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرءوا التوراة فعلموا بها بعد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف وأحدثوا المذاهب المتعددة وأما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبني قينقاع أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وآمن به قوم وبقي على الكفر آخرون وبالجملة فإن الله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لأن دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شأن كتابهم أو في شأن رسول حقق حقيته وحقية ما أنزل عليه بقوله فإن كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه إلى بعض ومنه شك الجوهر في العقد وشكته بالرمح أي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكاك البيوت المصطفة والشاك إلى ما يتوهمه شيئا آخر خلافه والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد أمته كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني ولأنه لو كان شاكا في شأنه لكان غيره بالشك أولى ويمكن أن يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكنه ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا إشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الأول للثاني على تقدير وقوع الأول وقد يكونان محالين كقول القائل إن كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الإرشاد إلى طلب الدليل لأجل مزيد اليقين وحصول الطمأنينة وفيه إمالة لأمته والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه أن أهل الكتاب من الإحاطة بما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة شك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق عن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل إن إن نافية أي فما كنت في شك

لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتأتى منه الشك ومن المسؤول عنه قال المحققون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الأحبار لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لأنهم إذا بلغوا عدد التواتر وقرءوا آية من التوراة والإنجيل تدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لأن الآية لما بقيت مع توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من أقوى الدلائل والظاهر أن المقصود من السؤال معرفة حقية القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما أنزلنا إليك وقيل السؤال راجع إلى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم إنه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم إن فرق المكلفين بعد المصدقين اثنان متوقف في صدقه وإما مكذبون فنهى الفريقين بالمبالغة الظاهر لنبيه فقال فلا تكونن من الممترين ولا تكونن الآية أما المراد فاثبت ودم على ما أنتم عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين أن له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة أما الأولون فأشار إليهم بقوله إن الذين حقت الآية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة إن عدم إيمان هذا الفريق إلى حين وقوع اليأس وتوتهم على الكفر مكتوب عند الله تعالى وثبت عليهم قوله في الأزل بما يجري عليهم لكنها كناية معلوم لا كناية مقدر ومراد وقالت الأشاعرة كلمة حكم وإرادة وخلقه فيهم الكفر وقد مر أمثال هذه الأبحاث مرارا كثيرة وأما الآخرون فذلك قوله فلولا كانت أي فهلا حصلت قرية واحدة آمنت تائبة عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل معاينة العذاب فنفعها إيمانها لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون أوان الإلجاء والاضطرار إلا قوم يونس هو استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس لأن أول الكلام جرى على القرية وإن كان المراد أهلها وقيل إن لولا في هذا المقام بمعنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس روي أن يونس بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما يجيء في سورة الأنبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم ومتعنا بالإيمان والأعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية إلى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله بين أن الإيمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا قالت الأشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والإحاطة لكنه ما حصل إيمان أهل الأرض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد إيمان الكل وأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الإلجاء والقسر واحتج بأن الكلام في الإيمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الإيمان المنوط به التكليف لا الإيمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الإيمان المذكور في الآية وكذا على إيمان الإلجاء ومشيئة القسر ينتظم الكلام ثم ذكر أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست إلا للحق سبحانه فقال أفأنت تكره فأوليها الهمزة لأن حرف الاستفهام على إيمان الإلجاء وعلى الإلجاء ومعناه أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وحمل الأشاعرة الإكراه على خلق الإيمان ومعناه أنه قادر على خلق الإيمان والكفر فيهم لأنه بدليل قوله وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس أي الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الإذن بمنح الألطاف والرجس بالخذلان لأن الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم إيمانها والذين لا يعقلون بغير المصرين على الكفر واستدلت الأشاعرة بقوله وما كان لنفس على أنه لا حكم للأشياء قبل ورود الشرع لأن الإذن عبارة الإطلاق في الفعل ورفع الحرج إذا كان أصل الشرع وهو الإيمان بإذن الله فما ترتب عليه أولى وأجابت المعتزلة بأن المراد بالإذن التوفيق والتسهيل والألطاف ولما بين أن الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله أمر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والأرضية حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في السماوات والأرض أي شيء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر أن التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الأزل بالشقاء فقال وما تغني يحتمل أن تكون ما نافية أي لا تفيد هذه الآيات والنذر وهي جمع نذير صفة أو مصدرا في حق المحكوم عليهم بعدم الإيمان وأن تكون استفهامية للإنكار بمعنى أي شيء يغني عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد أن الأنبياء المتقدمين كانوا يتواعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب أو بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بأنه سيحل بهولاء مثل ما نزل بأولئك من الإهلاك بعد إنجاء الرسول وأتباعه كما حكى تلك الحال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الآية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب والاستحقاق إذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الأشاعرة إنه حق بحسب الوعد والحكم فإن العبد لا يستحق على خالق الأشياء

ثم امر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا اني بريء من اديانكم
الباطلة ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا والاعادة ثانيا كما مر مرارا او لان الموت اشد الاحوال مهابة في
القلوب فكان اقوى في الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقايع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذي وعدني باهلاككم ونجاتي وذو الآية
الى انه لن يوافقهم فيما هم فيه يشكوا في امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اي بان اكون
من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم ولا يمتنع نظرا الى المعنى لانه قيل لكن مومنا ثم اقم ولا يمتنع او المراد وامرت بهذا ما وحي الي ان اقم قال في الكشاف تدوخ سيبويه
ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي والآن على المصدر لا ان غيرهما
من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه هاهنا وجه العقل او المراد توجه بالكلية
الى طلب الدين لمن يريد ان ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهي عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اي فان دعوته من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل للاختصار واذن جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر
كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى مملوك مدبر ظلم ووضع للشيء في غير موضعه ثم صرح انه مبدأ
الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير فقال وان يمسسك الآية وقد مر تفسير مثلها في اوائل سورة الانعام قال الواحدي وان يردك بخير في القلب ولعله وان يرد بك
الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد منهما واقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصيد بعضه بالذات
والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضايه وقدره في الهداية والضلال فقال قل يا ايها الناس الآية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له في الازل بالاهتداء
فيتبع له ذلك ومن حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة
وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فانه ينتفع باختياره الانفس ومن آثر الضلالة فلا يعود وبال على غيره يروى عن ابن عباس ان الآية منسوخة بآية القتال
ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحي والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر عليه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم في الصبر **شعر**
سابصر حتى يعجز الصبر عن صبري ۞ واصبر حتى يحكم الله في امري ۞ سابصر حتى يعلم الصبر انني ۞ صبرت على شيء امر من الصبر **التاويل** ولقد بوأنا بني اسرائيل
يعني متولدات الروح العلوية من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليها في العالم النوري ورزقناهم من الطيبات
من الفيض الرباني الفايض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكلما فاض من الصفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على القلب فكرنا فاختلف
القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر مبوأ صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فاختلفوا في
كل علم الله الازلي بالسعادة والشقاء فان كنت في شك خلق الانسان مغبونا فاذا انتهى على ابواب الكرامات وهبت رياح السعادة من تاذن انه ما يفعل
به الافعال فلا يدري بل هو من كرامة الاجتباء او من وخامة الابتلاء فكان النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصيته انما انا بشر مثلكم يوحى في هذه الرياض وباختصاص يوحى الي ان
يسقى بكاسات المنى ولات من تلك الحياض فشك من كونه انها من شهود التلوين او من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن بل كان بهذا النهي بعين التكوين فلما تمحض بالهذا قال والله لا اشك ولا اسال الا مثل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا
ظهور ما تدركم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سواه والله الموفق والملهم

سورة هود مكية غير آية قوله واقم الصلوة طرفي النهار كلماتها الف وسبعمائة وخمس عشرة آياتها مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر ۝ كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ۝ الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ۝ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ۝

الى

الجزء الثاني عشر

الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ۝ الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ۝ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ۝ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ۝ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ۝ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير ۝ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ۝ ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝ فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ۝ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۝ اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ۝ افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من

ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون

على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ۝

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ۝ اولئك لم يكونوا

معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب

ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ۝ اولئك الذين خسروا انفسهم

وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ لا جرم انهم في الاخرة

هم الاخسرون ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا

الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۝ مثل

الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۝

القراءة فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح واني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو **الوقوف** الركوع خبير بناء على انه يتعلق بما قبله الا الله وبشير للعطف فضله كبير مرجعكم لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه يثابهم بناء على انه عامل حين قوله يعلم الثوب الصدور الجزء الثاني عشر ومستودعها مبين عمله مبين ما يحبسه يستهزءون منه لحذف جواب لئن اي ليا من وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عني فخور للاستثناء الصالحات كبير ملك نذير وكيل له نام استفهام تقريع افتريه صادقين الا للاستفهام مع الفا مسلمون يبخسون الا النار بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو ما عطف عليه المجموع جزا يعملون ورحمة يؤمنون به موعده لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا على ربهم الثاني لان ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين عوجا من اولياء ليكون ما بعده صفة اولياء العذاب يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لان ما بعده خبر ان الجنة خالدون والسميع مثلا يذ

التفسير الركان اسماء السورة فما بعده خبر وان كان واردا على سبيل التعديد او كان معناه انا الله اري فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب والارشاد اما الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص او جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد والبطلان من قولهم احكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح اي لم تنسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على العلوم النظرية والعملية والظاهرة والباطنة وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور وجوه الجبائي بقوله احكمت ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وتقولهما لان القديم لا يصدر من القديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وقوله ان لا تعبدوا الا مفعول له اي لاجل ذلك او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدا

منقطعا عما قبله محكيا من لسان النبي صلعم يغري امته على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي اني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه ويجوز ان يكون منه صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ويكون صلة بشير محذوفا اي ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي به تطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في ذلك والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستقلال سبحانه بسعي النفس ثم رتب على الامتثال امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حياة طيبة وسئل كيف الجمع بين هذا وبين قوله لولا ان يكون الناس امة واحدة وقول النبي صلعم الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد بانه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال او يرزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا بنفسه مسرورا في ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات الزايلة الثاني قوله ويؤت الاخرة كل ذي فضل فضله اي موجب فضله في الشخص ومقتضاه وهو الجزاء المرتب على عمله وتشبيه العمل الحسن فضله تشريف ويجوز ان يعود الضمير في فضله الى الله وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اي تتولوا فحذفت احدى التاءين والمعنى وان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة الموصوف بالعظم والثقل ايضا ويدوم ونه وداوم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اي لا حكم في ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة ينفذ الحكم فاحكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الآية يتضمن البشارة من وجه آخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحمه ولا يقيم لعذابه وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا انك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وهنا اضمار اي يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اي من الله ثم كرر كلمة الاتنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اي يريدون الاستخفاء في وقت استغشاء الثياب قال الكلبي يثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روي ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا فلا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله وما يتلوا من القرآن وليقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استانف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم بالظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات كما فعله لا رازق جميع الحيوانات مناما لما كان وما يهاما فضله واحسانا وكرما واحسانا فقال وما من دابة الآية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الاماكن من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها حيث يأوي اليه ليلا ونهارا ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام استدل الاشاعرة بالآية على ان الايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة ثم الله دم ثم انا نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله رزقا لا نها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله يحسب الوعد عندنا ثم ختم الآية بقوله كل في كتاب مبين اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ثابت في علم او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وروي ان موسى عند نزول الوحي اليه تعلق قلبه بامر فامر ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت منها صخرة ثانية فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء وسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ولا ينساني ثم اكد دلايل قدرته بقوله وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال كعب الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش خلق سوى الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالاخرى وعلى هذا فيكون الآن ايضا عرشه على الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والا لزم ان يكون خلقهما قبل من يعتبر بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه نعم وقال ابو مسلم العرش البناء اي بناؤه السموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحرك شبه سيلان الماء اي كان عرشه يتحرك وبالجملة فمقصود الآية بيان كمال القدرة في امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله ليبلوكم فالمعتزلة قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان من يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو

لكل النظر والاستماع في قوله انظر ايهم احسن وجهًا واسمع ايهم احسن صوتا قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر
من وراءهم من الفساق والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال الحسن يعني يشمل الخطاب جميع المكلفين فلما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع ذلك قوله ولئن
قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اي هو باطل كبطلان السحر او الى القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من
البعث وقال القفال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة
الى النبي صلعم ثم بين انه لما تاخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم الاية والامة
اشتقاقها من الام وهو القصد واريد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت
عند فلان صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد الى حين ينقضي امة معدودة من الناس وقال في الكشاف اي جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الاخرة وقيل هو
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين ومعنى ما يحبسه اي شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء والتكذيب فاجابهم الله تعالى بقوله الا
يوم بدر وعن مجاهد ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم واستدل به من جوز تقديم خبر ليس على ليس لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم
الخبر عليها اولى لان الاصل ان لا يتقدم التابع الا حيث يتقدم المتبوع ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وضع يستهزؤن موضعه لان استعجالهم كان
على وجه الاستهزاء وانما قال وحاق بلفظ الماضي لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان الاية واختلف
المفسرون وقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين صبروا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد
الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد وتقدم ذكر الكافر ولان وصف اليأس والكفران والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه لا
يعتقد ان السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها لا ينتبه الى الاتفاق فلا
يشكر الله بل يكفر واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى نعمة اشتد فرحه بذلك والفخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية والروحانية يظن انه قد فاز
بغاية الاماني ونهاية المقاصد واما المؤمن فحاله على العكس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق اقل ما يوجد
به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتداد وسرعة الزوال يشبه حلم النائم وخيال المبرسمين
والرحمة النعمة من صحة او امن او جدة ونزعها سلبها واليؤوس والكفور بنا آن للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدي
لانها خرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي سائته ثم سلى نبيه صلعم بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤسا مكة قالوا
لئن كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض
فعن ابن عباس هو ان المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك ذكر قوله ان الساعة آتية
واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان هذه
التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في اداء الوحي ولهذا خوطب بها ولعله كان دائرا بين امرين احدهما اداء جميع الوحي الثاني انهم كانوا يتلقونه
بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب تقول لمن اراد ابعاده عن امر
لعلك تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك ليدل على انه ضيق عارض لانه صلعم كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا
لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال
المقترحات والذي ارسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شيء ومن كان قد رتب انزال القرآن المعجز لدهاء المصالح واشار الى ذلك بقوله ام يقولون افتريه
وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر هي من اول القرآن الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة مكية وبعض السور المتقدمة عليها مدنية
فكيف يمكن ان يشار الى ما ليس بمنزل بعد فالاولى ان يقال التحدي وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه ثم تحداهم اولا بجميع القرآن في قوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية ثم بعشر سور في هذه الاية وذكر ان العشر اول عقد من العقود ثم في سورة
يونس وفي البقرة بسورة واحدة كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كتابا مثل ما اكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال قد اقتصرت
منك على سطر واحد مثله ثم اذا اراد غاية المبالغة قال فتحديتك ان تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين
عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا لكم الى معارضة القرآن او الى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع
لتعظيم رسول الله فاعلموا انما انزل بعلم الله اي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة وبعض الامر راجع الى الاتباع
ايما اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشأن القرآن ومواظبة التوحيد الذي استفيد من القرآن ودل على عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله

فعل

فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا ثبتت صحة قول محمد وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتفسير
وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم
بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبتهم في اصل الاسلام وحثهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من
كان همته مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا وعنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون
كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال الاخرون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي وقال القاضي المراد من
يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا ونوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر
اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه اناء الليل و
النهار فيقول الله كذبت اردت ان يقال فلان قاري وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت
فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت
ان يقال فلان جرئ وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلعم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روي ان ابا هريرة ذكر هذا
الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا
وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا
يقاربونهم نظيره اذا قال العلماء والجهال فاستاذن الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال نحن العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء ينبغي ان يدخلوا ولكنهم الجهال
ويمكن ان يقال التقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الاخرة واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث
ما معنى يتلوه او من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال احدها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق و
الذي هو على البينة مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد
بالشاهد القرآن ومنه اي من الله او من القرآن لتقدم ذكره في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب
موسى وهو التورية حال كونه اماما اي كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية للكتب
اما ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل منهما بالاخر كان المطلوب
اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل
العقلية اليقينية والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليها الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور
لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل افمن كان محمد صلعم والبينة القرآن ويتلوه يقرأه شاهد هو جبرئيل نزل امر الله وقرأ القرآن
على محمد او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه او يتلوه اي يعقب ذلك البرهان شاهد منه اي هو صورته ومخايله
فان من نظر اليه بعقله تفرس انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القرآن ويتلوه يعقبه القرآن شاهد
من الله هو محمد والانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله وذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه
لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يضيع عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون
به اي بالقرآن ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده فلا تك في مرية
منه من القرآن او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا وانكارهم نبوة محمد وذلك قوله
افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم من انها تشفعهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يحمل العرض لانهم مخصوصون بالعرض
فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون عن الاماكن المعدة حينا
للسؤال او المراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد
الملائكة الحفظة وقال قتادة الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسالن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب و
اصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض

اي لم يكن تمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا يتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون
الله من اولياء ينصرهم ويمنعهم من عقابه جمع ثم بين ما يرجع اليهم وبينا ما يرجع الى مزيدهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا في عذاب
الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنهم ارادوا انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر
والصد اي الضلال والاضلال وما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تعالى
حيث صيرهم عاجزين ممتنعين من الوقوف على دلائل العقل ويوافقه ما روي عن ابن عباس قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك كقوله تعالى فلا
يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل بهذا الكلام
لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان انظر اليه او المراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموهم اولياء ليسوا في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء لانهم لا يسمعون
ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا بعيدا واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الايات بصفات كثيرة الاولى
ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم
الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالاخرة الثامنة كونهم عاجزين عن
الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشر والثانية عشر ما كانوا يستطيعون الثالثة
عشر اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشر وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها
بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الاخرة هم الا
خسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا
احسن ما قيل في هذه اللفظة قوله في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وهذا
اشارة الى ان الاعمال لا تفيدها الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد خشيتهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب وضده وقيل المراد
كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما تارة بالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع و
تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن الجامع بين البصير والسميع ولا شك ان الفريق الاول هو
الذي وصفه بالصفات الخمس عشر واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين امنوا ثم انكر تساويهما في الا
حكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على انه علاج لهذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله
وتوفيقه **التاويل** الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب من لدن حكيم لقوله
وعلمناه من لدنا وعلى العلم اللدني ان تقولوا لا تشركوا بالله لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما فيه منع من ربكم في طلب غيره ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك
ليكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو التمتع في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انتهاء المقامات وابتداء درجات
الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان الكشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن في
مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الاحين يستغشون ثيابهم الجسمية على وجه
الروح كانه يعلم ما يسرون من جريان النور المرشش ومن نقش الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من نية الصدور انه عليم بذات من القلوب الطا
هرة وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاء يجب ان يكون ملائما بمزاجه فلا يعلم ذلك
الا الله كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافق لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو وافق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف
قدرها مستعدة للصور المختصة الذي يولد اليه غير لهو وما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم مياه محل الابتلاء ومحك السعداء والا
شقياء وليزكيكم الله شيئا موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية بعد الموت عن
الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا واستر احسن استعدادهم النظري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا
اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى امة الى حين ظهور ذوق العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا صدق ولي الله

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ۵ ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم

عذاب

١٠١

عذاب يوم اليم ۵ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ۵ قال يا
قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم
انلزمكموها وانتم لها كارهون ۵ ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على
الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون ۵ ويا
قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ۵ ولا اقول لكم عندي خزائن
الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم
الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ۵ قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ۵ قال انما ياتيكم
به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ۵ ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ۵ ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ۵ واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ۵ واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ۵ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ۵ فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ۵ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما
امن معه الا قليل ۵ وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم ۵

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا
ولا تكن مع الكافرين ۞ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله
إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ۞ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء
أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ۞ ونادى
نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ۞ قال يا نوح إنه ليس
من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ۞ قال رب
إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ۞ قيل يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ۞ تلك من أنباء الغيب
نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ۞

القراءة إني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة الآخرون بفتحها بادي بالهمزة أبو عمرو ونصير الرأي بالياء أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأ
عشى والأصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف عميت مجهولا مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بتخفيفها أنلزمكموها باختلاس ضم الميم عباس مجريها
بالفتح أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص وكذا أريكم بالفتح حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ونصحي إني أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بأعيننا مدغما حيث
كان قتيبة من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالإمالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم والإمالة أبو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح
الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة على أنه فعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الآخرون على غير بالرفع فيهما تسألن بالنون المشددة المكسورة لا أدغم النون
المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون بإثبات الياء في الوصل أبو جعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة تسألني بغير
نون التأكيد وإثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغير ياء في الحالين إني أعظك إني أعوذ بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو **الوقوف**
مبين الا الله أليم الرأي كاذبين عميت عليكم كارهون ما الا آمنوا تجهلون طردتهم تذكرون خيرا أنفسهم الظالمين الصادقين بمعجزين أن يغويكم ترجعون
افتريته مجرمون يفعلون للآية والعطف كليهما لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه تسخرون يعملون لأن ما بعده مفعول مقيم التنور لأن ما بعده جواب
إذا ومن آمن قليل ومرسيها رحيم الكافرين من الماء رحم لاتفاق الجملتين مع اختلاف القائل المغرقين الظالمين الحاكمين من أهلك على الخاسرين معك أليم
إليك لاحتمال ما بعده الحال أو الاستئناف هنا وعلى قوله فاصبر أحسن للابتداء بأن المتقين **التفسير** لما أورد على الكفار أنواع الدلائل أكدها بالقصص على عادته
من التفنن في الكلام وللنقل من أسلوب إلى أسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح إني لكم أي متلبسا بهذا الكلام وهو قوله إني لكم فلما اتصل به الجار فتح وكسر
القول فإن لا تعبدوا بدل من إليكم نذير أي أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله أو تكون مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم لوقوع الألم فيه
فيكون مجازا وكذا الوجه إن الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى أنه طعن أشراف قومه في نبوته ثلث جهات الأولى أنه بشر مثلهم الثانية أنه لم يتبعه إلا الأراذل
يعنون أصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الأكياس من الناس والأشراف منهم والأراذل جمع أرذل وقيل جمع أراذل جمع رذل وهو
الدون من كل شيء مستقذر وحالاته ونحن بادي الرأي الأول الرأي وهو نصب على الظرف أي اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية أو معناه ظاهر
الرأي من قولك بدا الشيء إذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد أنهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم
بخلافه أو اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يتعلق بادي الرأي بقوله أراذلنا أي كونهم كذلك ظاهر لكل

من

من يراهم عيانا ويتأكد هذا التأويل بما نقل عن مجاهد أنه قرأ إلا الذين ... إنما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم أن المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه
ولم يعلموا أن ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وأن الأنبياء ما بعثوا إلا لترك الدنيا والإقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وقد تابع النبي
الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ومن آمن به تبعية أو خطاب للأراذل
كأنهم نسبوهم إلى الكذب في ادعاء الإيمان ثم حكى ما أجاب به نوح قومه وهو أن حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك
قوله أرأيتم إن كنت على بينة برهان من ربي وآتاني رحمة من عنده وتلك البينة رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجز وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس
فعميت خفيت أو خفيت البينة أو كل من البينة والرحمة أي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالإبصار والعمى مجازا باعتبار ذويها كما أن دليل القوم
بصيرا هاديا وإن كان أعمى يقوده خابطا في تيه متحيرين ثم قال أنلزمكموها أي أنكرهكم على قبول البينة وأنتم لها كارهون والمراد أنا لا نقدر على إيصال حقيقة البينة
إليكم وإنما يقدر على ذلك من هو قادر على الإيجاد والإعدام وتغيير الأحوال وتبديل الأخلاق ثم ذكر أنه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بين كون
المجيب غنيا أو فقيرا وما أنا بطارد الذين آمنوا عن ابن جريج أنهم قالوا إن أحببت يا نوح أن نتبعك فاطردهم فإنا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك
بقوله إنهم ملاقو ربهم فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الإيمان الصحيح أو النفاق بزعمكم أو المراد أنهم معتقدون لقاء ربهم ولكني أراكم
قوما تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم أو قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين أراذل ثم أكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من عقابه إن طردتهم
لأن العقل والشرع توافقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي ومن إهانة الكافر والفاجر فكيف يليق بنبي الله أن يقلب هذه القضية سؤال إن كان طرد المؤمنين
لطلب مرضاة الكفار معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلعم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب أنه لم يكن ذلك طردا مطلقا وإنما عين لأجلهم
أوقاتا مخصوصة ولأشراف قريش أوقاتا أخرى فعوتب على ذلك القدر احتجت المعتزلة بالآية على عدم الشفاعة للفاسق إذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح
أولى فلم قيل من الذي يخلصني من عذابه وأجيب بأنه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر أنه كما لا يسألهم مالا فإنه لا يدعي أن عنده خزائن الله حتى يجحدوا أنه لم يفضل
عليهم من هذه الجهة ولا أعلم الغيب حتى أصل به إلى ما أريده لنفسي ولأتباعي وأطلع على الضمائر ولا أقول إني ملك أتعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع و
التواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الأنعام سائر ما يتعلق بالآية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه
وفي قوله الله أعلم بما في أنفسهم لا لتمني أنهم كما تنسبون أتباعه مع الفقر والذلة إلى النفاق أي إني إذا إن قلت شيئا من ذلك كنت من الظالمين لنفسي أو أن
قلت إن الله لن يؤتيهم خيرا مع أنه لا وقوف لي على باطنهم ثم إن قومه ملوا من كثرة الجدال قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا قال أهل المعاني معناه أردت جدالنا
الناس وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاء فلان فأكثر ... أن الوصف تارة للموصوف وفي الآية دلالة على أن الجدال في تقرير
دلائل التوحيد من دأب الأنبياء ثم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فأجابهم بأن ذلك ليس إلي وإنما هو بمشيئة الله وإرادته ولا يعجز عن ذلك
أحد وقوله ولا ينفعكم نصحي إلى آخره كقول القائل لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار إن أكلت الخبز لم يقع الطلاق إلا إذا دخل الدار فأكلت الخبز قال الفقهاء
المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى فكأنه قيل إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الأشاعرة بالآية ظاهر ولجانب المعتزلة
بأنه لا يلزم من فرضا من توعد ولعل نوحا إنما قال ذلك ليبين لهم أنه لا يتم أمر التكليف إلا بالاختيار والإكراه لم يكن للنصح فائدة وليتشبث الخصم بالجبر ولزم إفحام
النبي ومن الجائز أن يراد بالإغواء التعذيب من غوى الفصيل إذا بشم فهلك ويراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا أي خيبة من خير الآخرة أو يراد به منع الألطاف
وقد تقدم أمثال ذلك مرارا ثم أشار إلى المبدأ والمعاد بقوله هو ربكم وإليه ترجعون ثم أنكر الله سبحانه عليهم قولهم إن ما أوحي إلى نوح أنه أوحي إليه مفترى وهو
فقال أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي أي عقاب إثمي وهو الافتراء وأنا بريء مما تجرمون وأكثر المفسرين على أن هذه الآية من تمام قصة نوح وقيل
إسناد الافتراء إليه وههنا إضمار كأنه قيل لكن ما افتريته فالإجرام وعقابه عليكم وأنا بريء منه قد
أنها من قصة محمد وقعت في أثناء قصة نوح قوله سبحانه وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إياس له من إيمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله إلا من قد آمن فإنه قد
للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له أي لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد كان وقت الانتقام منهم قال أكثر المعتزلة إنه لا يجوز أن ينزل الله عذاب الاستئصال إلا
استئصال على قوم يعلم أن فيهم من يؤمن ... بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا أي قوله فاجرا كفارا على الأصلح كجميع الأمر
قد ذكر على أنهم لم يصادفوا بجز الإهلاك وذهب كثير منهم إلى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب الوقوع ثم كل ما يقع يجب أن يكون على الوجه الأصلح ومذهب الأشاعرة
فيهما اللطف ظاهر ... ... وهو أمر إيجاب على الأظهر لأنه لا سبيل إلى صون الروح عن الهلاك في الطوفان
إلا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقيل أمر إباحة كمن أمكنه أن يتخذ الإنسان لنفسه دارا يسكنها والأظهر أن الأمر للوجوب وإن
قطع النظر عن فائدة وغاية وقوله بأعيننا ووحينا في موضع الحال أي ملتبسا بذلك والتحقيق فيه أن إقدامه على صنعة السفينة مشروط بأمرين أحدهما أنه لا يمنعه

اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين
آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وعن ابن عباس لم يعلم كيف الفلك فاوحى الله عز وجل ان اصنعه على مثال جؤجؤ الطير
وقيل المراد اعين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي في شانهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اي انه
محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت اللازم لكن لا فائدة في الاستعجال
فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امراته وابنه كنعان ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ويحتمل ان يكون
هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استئناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح حينئذ ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا قيل كانوا
يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا او لو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم ما راوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون
وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر
فغلب على ظنهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة او ان علمتم
علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل
بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمي جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم لازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة واستفهامية وقد مر في الانعام روي ان نوحا
اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش و
السباع والاصلام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس ولما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم وفار التنور اي نبع الماء منه بشدة و
سرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هو الذي يخبز فيه فقيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن
عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لادم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قال مجاهد والشعبي وعن علي كرم الله وجهه انه في مسجد
الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قال مقاتل وقيل بالهند روي ان امراته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك
التنور واشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء بالسفينة فكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لوقوع الطوفان ويروى عن علي ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض
كقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه ايضا ان معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رايت الامر يشتد والماء
يكثر فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى فمن قرا بالاضافة فمعناه احمل من كل
صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرا بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين واثنين للتاكيد ولا يبعد ان يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الحيوانات اليه و
اهلك معطوف على مفعول احمل وكذا ومن امن وقوله الا من سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامراته فقد دلت الاية ان الكفر او علم منهما ذلك ثم قال وما امن معه الا
قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سموا قرية الثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامراة واولاد نوح سام
حام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه
الثلثة ونساؤهم قيل في بعض الروايات ان ابليس دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه جسم ناري فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح وقال اركبوا
فيها باسم الله مجريها ومرسيها الاية فيه ابحاث الاول ان الركوب يتعدى بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اي علوتها فالفائدة في زيادة لفظة
في قال الواحدي فائدته ان يعلم انه امرهم بان يكونوا في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله باسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا فيكون حالا من الواو اي مسمين
الله او قائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج او يراد مكان الاجراء والارساء
او زمانهما وانتصابهما بما في باسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر على التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا وانما
يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلاما آخر من مبتدا وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال باسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو
قال باسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امرهم بالركوب او لانه اخبرهم
بان اجراؤها وارساؤها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز في الكشاف ان تكون هذه الجملة في موضع الحال عن ضمير الفلك فلا تكون جملة مستانفة ولكن فضلة
من تتمة الكلام الاول كانه قيل اركبوا فيها مقدرين ان اجراؤها وارساؤها باسم الله يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره يروى انها سارت لاول
يوم من رجب او لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودي اليوم العاشر من المحرم ويروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا واعتقها من الغرق
الثالث قوله ان ربي لغفور رحيم كيف ناسب الاهلاك واطلاق الغرق والجواب كان القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم فعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر

وان الانسان في كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطا والزلل فيحتاج الى مغفرة الله ورحمته وفي الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب في سفينة
الفكر ينبغي ان يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها و
مرسيها حتى يصل سفينة فكره الى ساحل الايقان وتخلص عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف وهي تجري بهم متصل بمحذوف كانه قيل
فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال في التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصار كانها في داخل
تلك الامواج واختلف المفسرون في قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابن له في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ولا
استبعاد في كون ولد النبي كافرا كالعكس واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واجيب بانه كان
منافقا فظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين او لعل الشفقة الابوية حملته على ذلك
النداء وعن محمد بن علي الباقر والحسن البصري انه كان ابن امراته ويؤيده ما روي ان عليا كرم الله وجهه قرا ونادى نوح ابنها وتاكد هذا القول بقوله انه ليس من
اهلي دون ان يقول انه مني وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله فخانتاهما ورد هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة
لقوله الخبيثات للخبيثين وعن ابن عباس ما كانت تلك الخيانة الا ان امراة نوح كانت تقول زوجي مجنون وامراة لوط دلت الناس على ضيفه قوله وكان في معزل هو مفعل من
عزله عنه اذا نحاه وابعده اي كان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن السفينة ونحو منها وكان في معزل عن دين ابيه وقيل في معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه
يريد مفارقة الكفرة ولكن قوله مع الكافرين لا يساعد هذا القول وقوله يا بني بكسر الباء لاجل الاكتفاء عن الاضافة وبفتحها الاكتفاء عن الالف المبدلة من الياء
ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطين من اللفظ فقط لاجل التقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بانه قال ساوي اي جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
الا من رحم ما عترض عليه بانه يعني من رحمه الله وهو معصوم فكيف استثنى من العاصم واجيب بان من في محل النصب لا مفعول والمراد نوح لا نه سبب
والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى او الرحيم الذي هو الله في قوله الا من رحم وهو عام لا معصوم او استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله
الا من رحم او العاصم بمعنى ذو العصمة كلابن وتامر وذو العصمة معصوم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله وهو مكان السفينة او هو
استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح فصار من جملة الغرقى ثم حكى تعالى
يا ارض الاية ما خص بمزيد البلاغة حتى صارت منذ اولئك بين العقلاء المعاني فتكلموا فيها وفي وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول
النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهتي الفصاحتين المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيها من المجاز والا
ستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان
تغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي وهو جبل بقرب الموصل
فاستوت وابقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذي لا يتاتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في
تكون المقصود تصويرا لاقتداره وان السماء والارض مع جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون قد احاطوا علما بوجوب الامتثال
والاذعان لحكمه فاستعمل قيل بدلا ارید مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان مصدر القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا ارض ويا سماء
ايضا على سبيل الاستعارة المشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمامورين المنقادين وايضا استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة
في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفي جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لان
تشبيه الماء بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في
الغذاء دون الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر دون ان يقول ابلعي ترشيحا للاستعارة الندائية ذكره خطابا من شانه الحكاية
كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقال ابلعي ماءها
لاجل الترشيح المذكور ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر
ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة النداء ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا
فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتاتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره وبلد في صدر الاية ليبتدئ من ذكر الفعل
هو اللازم على الفاعل وهو اللازم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن جملة قيامة الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعاني
وهو النظر في فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا ولدلالتها على تبعيد المنادي الذي يستدعيه
مقام اظهار العزة والهيبة ولهذا قيل يا ارض بالاضافة نها ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون

ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا

ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه

فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان

ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا

تضرونه شيا ان ربي على كل شي حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة

منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا

امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا

ربهم الا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك

مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة

فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم

اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها

فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا

والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا

الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود

القراءة فطرني بالفتح ابو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي اني اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح ويستخلف

بالجزم الخزاز عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا

ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود وبالتنوين في الوصل علي **الوقف** هودا

غيره مفترون اجرا فطرني تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوء تشركون لا تنظرون وربكم بناصيتها مستقيم به اليكم للاستيناف الا قرا ويستخلف

بالجزم غيركم لاحتمال ما بعده الاستيناف او الحال شيا حفيظ منا لحق المحذوف اي وقد نجيناهم غليظ عنيد ويوم القيمة ربهم هود صالحا غيره الا

... تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قولكم ان انتم الا مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام يحسن عبادتها مع انها لا تحس ولا تشعر

ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون التهمة في

شيء بنا انما قال هنا في قصة نوح ما لا وهنا اجرا لذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف ويا

قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الامام المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم من اسرافكم ثم اعزموا على ان لا تعودوا الى مثله ثم

قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا احرص شيء على جمع الاموال من وجوه العمارة والزراعة متخذين بما اوتوا من البطش

والقوة تقدم اليهم في باب الدعوة الى الدين والترغيب فيه فلما كانت همتهم معقودة بتحصيله جعله الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات

الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في

المال وقيل في النكاح روي انه حبس عنهم القطر بشوم التكذيب ثلث سنين واعقم نساؤهم فوعدهم انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد

المدرار الكثير الدر كما مر في الانعام عن الحسن بن علي رضه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل

الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم سبعمائة مرة فولد له عشرة فبلغ ذلك معوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسال الرجل

فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على الاجرام

والاثام وجحدوا هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلعم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشتهر منه معجز ولكن العلماء قالوا المعاد

البعث بين اولئك الاقوام منخرما لانه ما اتى باية في الايات الله وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

لا يصدق مثلنا مثلك الا ان نقول الا زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي خبال وجنون لانه كان يسب الهتهم وذلك قولهم ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا

والا للغواي ما نقول شيئا الا هذا القول ثم تكلم بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته على سوء فعله بسوء الجزاء فاجابهم بالجلادة والثقة بامره فيما

هو بصدده وتبرا منهم ومن شركهم فاشهد الله وذلك اشهاد صحيح واشهدهم ايضا وهذا اشهاد قلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن تهدده بالحلية انه

لا اجل تهكمابه وتقدم قوله فكيدوني الاية في اخر سورة الاعراف وقوله وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل على انه لا مالك

الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاستقامة قالوا معناه وكانوا اذا اسروا الاسير فارادوا الطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة

قالت المعتزلة هنا دليل التوحيد لدلالته على انه لا مالك معنى ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الا

فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني قد قضيت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلق بعدهم من هو

اطوع منهم فانه لا ينقص من ملكه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركم وكيدكم او يحفظني من الهلاك والذين امنوا

معه قيل كانوا اربعة الاف برحمة منا اي بفضل ما منا او بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق النجاة اولا ثم قيدها

ببيان ما كانت تلك النجاة من عذاب غليظ سموم تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية النجاة من عذاب الاخرة

ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فكانه قال تاملوا واعتبروا واثارها ثم وصف احوالهم بجملة فقال جحدوا

بايات ربهم فلم يلتفتوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب لذاته وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وجمع لان عصيان

رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لانفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد لما عاوروساهم وكبراءهم التمرد والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة

لهم في الدارين وفي تكرار الا والنداء على كفرهم والدعاء عليهم بالبعد بعد هلاكهم دلالة على انه لا يستطيع شانهم وانهم كانوا اهلا للدعاء عليهم بالهلاك وقوله

قوم هود عطف لبيان لعاد وانما للتاكيد ومزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى وهي ارم قوله قصة ثمود هو انشاكم من الارض

اي لم ينشئكم الا هو ومعنى انشاكم من الارض ان الكل مخلوق من صلب ادم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء

والغذاء ينتهي الى النبات اي الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمارها امركم بالعمارة فيها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس

قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من الظلم فسال نبي من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا

بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر اي استبقاكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين

دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه نعم قريبا قد مر في قوله واذا سالك عبادي عني فاني

قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة

واصابة الراي وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقطعنا الكن من الاغنياء والاحباب والمراقعة في الدين فكيف لمن العداوة والبغضاء

ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء ثم مرجوا بالتوقف والريب من ادابه اذ اوقعه في الريبة امن اريب الرجل اذا كان ذا ريبة

وهو من الاسناد المجازي واعلم ان قوله وانا لفي شك بنون الوقاية هاهنا على الاصل وما في سورة ابراهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا

على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم صالح بقوله ان كنت بينة الآية وبني امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول كانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها اوفما تزيدونني بما تحملونني عليه الا اني انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول اقرب لانه كالدلالة على انه بتقدير متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل لا يستأخر الا ثلثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي مكذوب فيه فحذف واجري الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان الوعد اذا وفي فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو لكان التعقيب هاهنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة شعيب سوف تعلمون من يأتيه عذاب يجري التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا في ساير المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم وقوله ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا وغيره من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم ويتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وللعينان كما قلنا هناك والقراتان في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من المضاف اليه الجملة والتقدير اذ كان كذا وكذا الذال للساكنين ان ربك هو القوي الغني القادر الغالب من قدرته تمييز المؤمن من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما تصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد يوجب تاذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمودا الى آخره شبيه بما مر في قصة هود عليه والتاويل كما مر في سورة الاعراف والله اعلم

ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ ۝ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ۝
قالت يا ويلتى ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب ۝ قالوا اتعجبين من
امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ۝ فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب ۝ يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ۝ ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ۝ وجاءه قومه يهرعون
اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا
تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ۝ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك
لتعلم ما نريد ۝ قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد ۝ قالوا يا لوط انا رسل

نصف الحزب

ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح اليس الصبح بقريب ۝ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ۝ مسومة عند
ربك وما هي من الظالمين ببعيد ۝

القراآت سلم بكسر السين بلا الف منهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الآخرون بالرفع شيء ايهم وبابه كعزيب مجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس والآخرون سيء مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد ونافع في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل ابو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف وان شاء الله الا امراتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو والباقون بالنصب الوقوف سلاما حنيذ خيفة قوم لوط بالحق لمن قرا يعقوب بالرفع يعقوب شيخا عجيب اهل البيت مجيد قوم لوط منيب عن هذا لاحتمال التعليل امر ربك للابتداء بان مع اتفاق المعنى مردود عصيب ايهم للعطف ولاختلاف النظم السيئات ضيفي رشيد من حق ما نريد شديد الا امراتك اصابهم الصبح بقريب منضود لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ببعيد التفسير الرسل هاهنا الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكرهم الله في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه بالاضافة الى المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرا سلم فمعناه السلام ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قال فما لبث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا ياتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرآى اضيافا لم ير مثلهم فما لبثوا ان جاء بل مهل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف وشاء محنوذ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما لقوله بعجل سمين تقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما راى ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملائكة وكان من عادة العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توجسوا منه الشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملائكة الله لقوله لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف انهم ملائكة اقرب بدليل احضار الطعام واستدلاله بترك الطعام على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا والدلالة على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوا على صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لانه كان مشغوفا بالضيافة وهم عرف الملائكة حوله قيل بالتغير في وجهه او بتعريف لسد او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بالعذاب وامراته هي سارة بنت هاران بن ناحور بنت عم ابرهيم قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تاكلون قالوا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امراته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم منهم معجزة دالة على انهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي من موضعه الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون وقيل التعجب من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها للعلوق والولد من قرا يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اي يعقوب مولودا وموجودا من بعد اسحق ومن قرا بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب اقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد وجوز ان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى كلمة تلهف وقد مرت في المائدة في يا ويلتى اعجزت وشيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى الاشارة هاهنا يعني ان يولد لمولود بين هرمين لشيء عجيب عادة فازال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل البيت خليل الرحمن والمقصود ان رحمة عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص

وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقوله انه حميد محمود في افعاله مجيد
ذو الكامل فله يليق به مع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذي لحقه حين نكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة بحصول الولد يجادلنا
اي اخترأ على خطابنا او قال كذا شرابتداء فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل رسلنا في قوم لوط في مقامهم وفي
شانهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جوابه محذوفا دل عليه يجادلنا اي رسلنا الا بمعنى حالة اقرار
فان ذلك يكون معصية بل سعيا في تاخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون
من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور
اما للقرائن او لان مطلق الامر يقتضي ذلك فهذه هي المجادلة او لعل ابرهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء
يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح في واحد منهم فكذلك ههنا وكذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول في الامور اواه
كثير التاوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يعنيه له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع
العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم آتيهم لاحق بهم عذاب غير
مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيء بهم اصله سوء لانه سا يسوء نقيض سر يسر نقلت الكسرة الى
الفاء وابدلت العين ياء ومن قرئ باشمام الضم فلان اصله سوء بضم السين وكسر الواو فكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع موضع الطاقة واصله
ان البعير يذرع بيديه في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما
قالوا ضقت بالامر ذرعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد من العصب الشديد كانه اريد اشتداد ما فيه من الامور عن ابن عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى
لوط وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه
يعلم خبث قومه وانه يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السيئة قومه منعوه
من ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فوق قلبه على قومه والصحيح هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط
اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله فلم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا
وقال الجوهري الاهراع الاسراع واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله لان المعنى اهرعه خوفه او
حرصهم بين الناس علم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل حياء وكان
لوط قد عرض عليهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان
النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان اللواتي من صلبه لا يكفين لجميع القوم ولما روي انه لم يكن
الا بنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الاول قالوا انما دعا القوم الى التزوج بهن وانما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر فلعل تزويج المسلمة
من الكافر كان جائزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا وقيل لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرضت البنات عليهم لا بطريق الجد بل ليدفعهم
منهم ان يستحيوا منه ويدبر قوله والمعنى الظاهر لانه لا طهارة في نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون لا تفضحون من الخزي ولا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء في ضيفي حق اضيافي فان اخزاء الضيف والجار يورث لصاحب الضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل
رشيد صالح او مصلح مرشد يمتنع او يمنع عن مثل هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكأنه حصل له فيه
نوع حق ولذلك قالوا وانك لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع او يراد انك دعوتنا الى نكاحهن
بشرط الايمان ونحن لا نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال النحاة المعنى حذف
الجواب ابلغ لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمي موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة
او آوي انضم الى ركن شديد حام منيع يشبه الركن من الجبل في شدته وقوله او آوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه وبمعاونة غيره
فلذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوطا

كان ياوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل انه يريد بالركن الشديد يحصنا يتحصن به منا من شرهم ويحتمل انه لما شاهد سفاهة القوم
واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى لا وي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي انه اغلق بابه دون اضيافه
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي من لوط شدة الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الا
اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال فطمسنا
اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط سحرة ثم بين بتنزيل العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر
باهلك بالباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من السري او زائدة ان كانت للقطع من الاسراء بقطع من الليل عن ابن عباس اي في آخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة
من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما ورائه الا امراتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو
الرفع بدلا من احد على البدل والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وذلك
لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير الافصح فاجاب جار الله ان الرفع بدلا من احد على البدل والنصب مستثنى من قوله لا يلتفت
بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسري بها والاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسري بها لان الالتفات بعد الاسراء فتكون مسري بها غير مسري بها
ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في الظاهر الا انه في المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امراتك فانك تسري بها الا
لتكا ما ستثني على هذا وانه شيئ من اسري ومن شيئ من لا يلتفت ولا تناقض والنصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان يكون مامورة با
لتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام فلم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون
استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت الا تم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امراتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم واذا كان
هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها معصية قال في الكشاف وروي ان امراته خلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين اقول في هذا الكلام خلل
لان الروايتين لا يمكن اجتماعهما على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها روي انها لما سمعت هذة العذاب اي صوتها التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يجوز الاستثناء من غير شائبة التناقض لانه امر
لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه الاشياء هالكة من الهالكين ثم ان امراته تقطعوا العلائق واخبر ان امراته تبقى متعلقة القلب بها يروي قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل
ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل رسلنا عاليها سافلها روي ان جبريل ادخل
جناحه الواحد تحت مداين قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم ينكفئ لهم طعام ولم
يكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي
مثل السجل وهي الدلو العظيمة او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل اي مما كتب الله ان يعذب به وكتب عليه اسماء
المعذبين من السجل وقد سجل الملاذ وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم سماء الدنيا منضود موضوع بعضها فوق بعض
في التنزيل او يأتي على سبيل المتابعة والملاصق او نضد في السماء نضدا معدا لاهلاك الظلمة وفي السماء معادنها في جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من
برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة عن الحسن والسدي عليها امثال الخواتم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب
على كل حجر اسم من رمي به وقال ابو صالح رايت منها عند ام هاني حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو
انه سال جبريل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك او معترض علم اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي من كل ظالم ببعيد وهو
وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلعم ما من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمي مكة يمرون بها في مسا
يرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والله تعالى اعلم بمراده

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ۝ ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ۝ بقية الله

لكان

خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا
ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم
رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر
فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس
الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود
ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما
زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد

القراءة اني اريكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك روي عن اهل مكة اني اخاف شقاقي ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو

صلواتك

١٠٨

صلواتك كما في التوبة ان صلوتك سكن مؤ فيق بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت
ثمود بالالف وابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف ويعقوب وعاصم بغير الاشباع **الوقف** شعيبا غير محيط معتدين مؤمنين للابتداء بالنفي مع الواو وحفيظ
ما نشاء الرشيد حسنا عنه ما استطعت الا بالله انيب لعطف الجزء صالح ببعيد اليه ودود ضعيفا لان الواو للابتداء مع الواو لرجمناك لحق النفي وكون الواو للحال
اوجه بعزيز من الله للفصل بين الاستبعاد والاخبار واتحاد المقصود وجه الوصل ظهريا محيط عامل تعلمون كاذب للفصل بين الخبر والطلب رقيب جاثمين
ثمود مبين لتعلق الجار فرعون للنفي مع الواو للعطف او للحال برشيد النار المورود القيمة المرفود وحصيد امر ربك تتبيب ظالمة شديد **التفسير**
نقصا المكيال يشمل معنيين بان ينقص في الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كله الجائز نقصا لحق الغير على النبي بقوله
اريكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزاد لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عذاب يوم [illegible]

[illegible]

على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغي ان يمنعهم من الايمان والطاعة ولما بالغ خطيبا لانبياء في التقرير والبيان قالوا يا
شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الرغبة او قالوه تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول لانهم جعلوا كلامه
تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل انه كان الثغ وانا لنريك فينا ضعيفا من الحسن مهينا اي لا عز لك فينا بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا
ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم بالاعمى لان العمى سبب الضعف او لانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان قولهم فينا يابا
كون الاعمى فيهم وفي غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلا يجوز من
النبوة كما ذا ولي ثم ذكروا انهم انما يريدوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم من القتل وهو الرمي
بالحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن
لانهم من اهل ديننا فالكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
وانما قال اعز عليكم في ايذانا بان التهاون بنبي الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اي امر الله او ما جئت به وراءكم
ظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يلتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد والتهديد فقال
ان ربي بما تعملون محيط ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله في الانعام قال في الكشاف الاستئناف يعني بحذف الفاء وصف حتى
تقديري وانه اقوى الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ في التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق اني معكم رقيب والرقيب
كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقي القصة على ما مر في قصة صالح واخذ الصيحة وانث
الصيحة ههنا باعتبار صيغتها لمكان الفاصلة الا انه لما جاء في قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الرجفة ازداد التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله
كما بعدت ثمود لما روي الكلبي عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب
اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه بآياتنا وسلطان مبين قال في التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة وبين الدلائل التي تفيد الظن والسلطان
اسم لما يفيد القطع وان لم يتأكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذي يعضده الحس وقال في الكشاف يجوز ان يراد ان الآيات فيها سلطان
مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اي شانه وطريقته او
امره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره رشد انما هو غي وضلال وفيه تعريض بان الحق والرشد في امر موسى ثم
ذمهم على انهم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم في الضلال فكذلك يقدمهم اي يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم
على اثره ويجوز ان يراد بالرشد الاحاد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بانه يتقدم قومه اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته و
يقال قدمه وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم النار بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
والورد للورود والمورود الذي ورد وشبه فرعون بمن يتقدم الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم نفى عليهم بقوله بئس الورد الذي يردونه لان
الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولهم نعم المنزل دارك ولو
قلت نعمت جاز نظرا الى الدار وفي تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا في هذه الآية اكتفاء بما مر في قصة عاد وبئس الرفد المرفود اي بئس
العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفدت اي اعينت وامدت باللعنة في الآخرة قال قتادة ترادفت عليهم
لعنتان لعنة من الله والملائكة واللاعنين في الدنيا ولعنة في الاخرة ذلك الذي ذكرناه او ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر
ثم استانف فقال منها قائم وحصيد اي ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا
بحقوق الله فما اغنت فما قدرت ان ترد عنهم الهتهم التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية من باس الله حين جاء وما زادوهم غير تتبيب
تخسير تب خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران لانهم كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفع لهم
عند الله في الاخرة فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الاخرة فهم في خسران ثم بين ان عذابه
غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اي مثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدا وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال
من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظالم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر
الى التوبة **التأويل** ولا تنقصوا المكيال المحبة وميزان الطلب فكيال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان الطلب السير على قدمي الشريعة والطريقة اني اريكم بخير

هو حسن الاستعداد الفطري اني اخاف عليكم عذاب فساد الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا
الناس حقوق النصيحة وحسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في ارض وجودكم بقية الله بقاؤكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بافناء المكيال والميزان
ومن قاحسنا نورا تاما الذي بوا صلاح الامور والاستعدادات ان ساعدني التوفيق وما معاملة قوم لوط في معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة
امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ قرى الاجساد منها قائم لتدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات الاستعداد

ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم
مشهود ۝ وما نؤخره الا لاجل معدود ۝ يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ۝ واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ۝ فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ۝
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم
لفي شك منه مريب ۝ وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير ۝ فاستقم كما
امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ۝ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون ۝ واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ۝ واصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين ۝ فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ۝ ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة ولا يزالون مختلفين ۝ الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان

جهنم من الجنة والناس اجمعين ۝ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ۝ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ۝ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ۝

القراءة وما يؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يأت باثبات الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي في الوصل الاخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعد وابن البزرجمة وعباد خلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من اسعد والاسم ولكنه فتح الا سعدوا الاخرون بضمها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما مشددة ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف عن الفاء بفتحتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في آخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة **الوقوف** الاخرة شهود معدود باذنه لا اختلاف في الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد وشهيق لان ما يتلوه حال والعامل فيه ما في النار من معنى الفعل شاء ربك يريد شاء ربك لا ن التقدير يعطون عطاء غير مجذوذ هؤلاء من قبل منقوص فاختلف فيه بينهم مريب اعمالهم خبير ولا تطغوا بصير النار لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا تنصرون من الليل السيئات للذاكرين المحسنين منهم لان التقدير وقد اتبع مجرمين مصلحون مختلفين رحم ربك خلقهم اجمعين فؤادك اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين مكانتكم عاملون للعطف وانتظروا اي فانا منتظرون وتوكل عليه تعملون **التفسير** ان في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم الآية لعبرة لمن خاف اي لمن هو اهل لان يخاف عذاب الآخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم انهم عذبوا في الدنيا على ذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل فلان يعذبوا عليها في الآخرة التي هي دار الجزاء اولى ولقرض عليه في التفسير الكبير بان ظاهر الآية يقتضي ان العلم بالقيمة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب عندي ان هذه تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيمة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار اقول هذا نظر عميق والاظهر ما ذكرنا اولا ومثله في القرآن كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ثم ذلك لعذاب الآخرة والدلالة على يوم القيمة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اي يجمع له ما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس وادراك المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وانحشر الاولين والآخرين فيه صفة له لا نرمة تقطع قول النعمة انك لمنهوب مالك محروب وتمكن فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه الخلائق فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف وبين الاول ان هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمسائلة ليس بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى ولما فسر اليوم بانه مشهود فيه لانه مشهود اي مشهود فيه دونها وما نؤخره الا لانتهاء اجل معدود اي انقضاء مدة معلومة متناهية ووقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا يتأخر والثانية ان ذلك الاجل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأتي حذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل وفاعل يأتي قيل الله كقوله او يأتي ربك اي امره وحكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون اقوى في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم تأتي وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والآيات الدالة على ذلك اليوم هي الآيات الدالة على نفي التكلم كقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف في المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح المقبول واثبت العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وشيداي ومنهم سعيد ولا خلاف ان الشقاوة والسعادة مقترنتان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليها النار والجنة في الآخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاوة مثلا كما هو مذهب

المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار له لاساءته وعند الشيخ جريان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار فانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة تقدم مرارا نعم قد بقي ههنا قسم آخر ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال وهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ يرتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على شديد غم عظيم والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم ترفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركاتها ورجوا ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد وردوهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصوت وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوة يلهم الى الدنيا ولذاتها زفير ومنعهم عن الاستعداد بكمالات الروحانية شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائهما الا ما شاء ربك وفيه لتسند الا الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات المتناهية بالاتفاق الثانية لاستثناء المشيئة وتوكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فاروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لا يرجع الى الله تعالى ولا الى حق المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الآية بان المراد سموات الآخرة وارضها للتأبيد بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واعلم ان علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن قد ورد على استعمال لغة العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتأبيد بقولهم ما دامت السموات والارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب ويمكن ايضا ان يقال حاصل الآية يرجع الى شرطية هي قولنا انه دامت السموات والارض دام عقابهما فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدم فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا وبعبارة اخرى دلت الآية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهما فلو قلت لكنهما لم توجد لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم او يوجد فالآية لو تدل الا على حصول العقاب لهم وهم الموبد ومدة معينة ولنا انه هل يكون لذلك الاجرام الاحذ فذلك انما يستفاد من دليل آخر كقوله انه لا يغفر ان يشرك به واما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري وان هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقوله والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزيمتك على ضربه وتعلم انك لا ترى غير ذلك وزدها بالفرق فان معنى الآية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشية قد حصلت جزما وليقال ان الماضي ههنا في معنى الاستقبال ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليهم الدوام الذي لا آخر له وقال الامام وغيره المراد منها مكثهم في الدنيا وفي البرزخ او في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم يصيرون آخر الامر الى الهمود والخمود وقيل فائدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك وهذا التأويل انما يليق بقاعدة الاشاعرة والكرامية بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه نعم يقول اظهرت القهر والقدرة ثم اظهرت المغفرة والرحمة لاني فعال لما اريد وليس لاحد علي حكم البتة واما المعتزلة فانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا بد من حصول الاجماع ان احدا من اهل الجنة لا يخرج الى النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش او الى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قال انه ختم آية الوعيد بقوله ان ربك فعال لما يريد وآية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون الا نسبته عدم الاحساس بالعذاب بل يكون سبب الالتذاذ بالمألوف فيكون خلو جهنم اشارة الى هذا المعنى واما الجواب عن المعقول بخواتمه التي في اقول يحتمل ان يكون الا وقول لا نهاية لنوعه فله نهاية لظلمة الغافل والمتكلم او نعود الله ومبدأ من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعض ايضا يجب ان يكون غير متناه او نقول لا نهاية لنوعه او صحح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالجملة فلا يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له خروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يدركه من وفق له وخلق لاجله ولما فرغ من اقاصيص عبدة الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء

مسمولهم من ليس احوال الكفر من قوله في معنى نهي له عن الامتراء في سوء معتبهم قال ذلك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية شك جاء به ما مصدرية
او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عند الشك في سوء عاقبة عبادتهم [illegible] ما الاستثنائية كما يعبد
الا كما يعبد اباؤهم كعبادة اباؤهم او كما كان يعبد اباؤهم والحاصل انهم تشبهوا اباءهم في لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والجزاء الاخروي
او من انالة العذاب وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم من العذاب كاملا كما وفينا اباءهم انعامهم [illegible] غير منقوص حال من النصيب
ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفي بعض الشيء [illegible]
[illegible]

الفجر والعشاء لانهما في الانتهاء [illegible] والموصوف [illegible] لا يكون نهارا [illegible]
[illegible]

ثم ذكر ان الكل بمشيئة وارادته ولو شاء ربك لجعل الكافة امة واحدة مهدية و المعتزلة يحملون هذه المشية على مشية الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين
في الاديان والاخلاق فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استقلال العلوم والمعارف ولم يثبت لهذا العالم
الجسماني مبدءا اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا القول تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من انكر
النبوات وهم البراهمة ومنهم من يثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوايف اختلافات لا يكاد تدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاية
في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملنا على الاختلاف في الاديان وما يتعلق بها لان ما قبل الكلام وهو
قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا اناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وخالف
السنة الالطاف التي فعلها في حق المومن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه الرحمة مختص بالمومن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق
الله وتكوينه وكما منعه ثم قال ولذلك خلقهم قالت العلماء في المشار اليه بذلك المعقولة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب
مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره او لما ذكر من الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم كما جاء في الحديث
انه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا والدلايل الدالة على ان الكل بايجاده وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك
اي علمه وارادته او قوله للملائكة لاملان جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوايد القصص المذكورة في السورة فقال وكلا اي وكل نباء
نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص ومانثبت مفعول وهي تثبت
فواده بزيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او الغي تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بساير الانبياء وجاءك
في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبداء والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلايل المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الامكان
والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وذكرى للمومنين وهي الارشاد الى الاعمال النافعة في الاخرة المحصلة لما هنالك من السعادة فانحصر هذا الدين بمعلوم
لمن رجع الى نفسه وعلم بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل وقابلها القلب وانه لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع
الدلايل ودورها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت الفواد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بآية منها وهي قوله
فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب في غاية الحسن ثم اردفه بالتهديد لمن يوثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين
لا يومنون اعملوا وقد تقدم مثله في هذه السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس
انتظروا بنا الدوائر انا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب المبداء والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة وتفسير
امن الرسول فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم **التاويل** ما دامت السموات والارض اي سموات القلوب وارض النفوس البشرية الاما شاء ربك غير الاشقياء وذكر ان اهل
الشقاء ضربان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى هو الكافر يبقى
فيها مخلدا ومن اهل الجنة سعيد يبقى خالدا فيها واسعدهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك مقام الوحدة الذي لا انقطاع له كما قال
عطاء غير مجذوذ لموفوهم نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستعمال الشقاء لقضي بينهم بالهلاك عاجلا لفي شك منه اشارة
الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضالين والمضلين كما تقتضي امر التكوين ولذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله ومن
تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الامن اختص بالاستقامة بسابق امر الكون كالنبي
ان الحسنات يذهبن السيات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية الضرورية كما ان تعلق الروح
النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي يوجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتدارك انوار العمل الصالح فيرتقي من حضيض البشرية الى
ذروة الروحانية بل الى الوحدانية الربانية فيدفع عنه ظلمة الجسد السفلي بمثابة النار الحجرة في الاهن فانه من خسران الجنة الا ان يتداركه الاوقات من الاسباب
فيها اليه ان تفيد الجنة الواحدة الى سبعمائة وما ازاد وذلك الذي ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا
على هذه الاوقات فكانهم حافظوا عليها جميعا لان الانسان خلق منعيفا ليس يقدر على ان يعاص في جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورة
التحضيض وحقيقته السؤال ليجاب بانه لم يكن كذلك لانك فعال لما تريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض يرتبه قوله ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله
الا من رحم ربك ولذلك اي لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه ولكن وقوع فريق في طريق القهر ضروري في الوجود وهو قوله وتمت
كلمة ربك جرى به القلم للضرورة وما نثبت به فوادك التثبيت منه والتشكيك منه بيده مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يومنون لطلب الحق ووجدانه

اعملوا في طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتايج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض
اي غاب عنكم مما اودع من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاوة ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها
الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون في الابد والله حسيبي

سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة حروفها سبعة الاف ومائة وست وستون كلمها الف وسبعمائة وستة وسبعون اياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين ۝ انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ۝ نحن نقص
عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين ۝ اذ
قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
قال يا بني لا تقصص رءياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو
مبين ۝ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب
كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ۝ لقد كان في يوسف
واخوته ايات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا
لفي ضلال مبين ۝ اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده
قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض
السيارة ان كنتم فاعلين ۝ قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ۝ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون ۝ قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا
لخاسرون ۝ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون ۝ وجاءو اباهم عشاء يبكون ۝ قالوا يا ابانا انا ذهبنا

تستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ۝ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ۝ وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۝ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ۝

القراءة يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد وابن عباس والخزاز لي ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمي يا بني بفتح الياء حيث كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وابو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصفهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همز آية للسائلين على التوحيد ابن كثير الاخرون ايات للسائلين على الجمع تحالكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب وابن شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الاخرون بالاشمام الذيب وما بعده بغير همز ابو عمرو غير شجاع واوقية ويزيد والاعشى وورش وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع يلعب بالياء فيهما والجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو عمرو بكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما يقرآن بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب غير رويس ليحزنني ان بفتح الياء ولكن من باب الانفعال بل سولت وبابه مدغمة حمزة وعلي وهشام يا بشري بالامالة غير مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشري بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم **الوقوف** الرتكون في المبين كوفي ايضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلونها جواب معنى القسم في الر القرآن والوصل اصح لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا مبين ويعقوب حكيم للسائلين مبين والعربية يوجب الوقف وان قيل الابتداء به لايحسن صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابات الجب لاحتمال ان يكون جواب المحذوف او الواو في اوحينا الله شيئا ان تقديره فعلوا ما فعلوا ومضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون يبكون فاكله الذيب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب امرا جميل يصفون دلوه غلام بضاعة يعملون معدودة لاحتمال الواو والحال الزاهدين **التفسير** قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزوله بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف اقول مدار هذه التفاسير على ان ابان لازم ومتعد يقال ابان الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى بعضه قرآنا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وبانه على انه محدث لان هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الآية تدل على انه انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم انه ان كان القصص اشتقاقه فيكون احسن نصبا لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا عليه او يكون هذا القرآن مفعولا لمفعولا اوحينا محذوفا كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى المنطق لا الى القصة وحسن المنطق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منها الحد مجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يريد بالنبأ والخبر فالحسن يرجع الى القصة وحسنها يرجع الى اصلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها

على الغرايب والعجايب والنكت وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد يروى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة او الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر يوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن انه من آسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولن يكون الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وبهذا الطريق روى يونس ايضا عن النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاقها بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة لمناسبة الياء التي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء او تبين بقي ما الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رايت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولانه لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف وروي جابر ان يهوديا جاء النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها اقول ان الترمذي الاسامي ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر ففي من المعلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل واما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سوال كانه قيل رايتها فقال رايتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بوضع الجبهة او لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر عبر ابو يوسف رؤياه بان اخوته يسجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه ماتت قبل ذلك عن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة اذ تحول القمر وهي لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك عن وهب ان يوسف راى وهو ابن اثني عشر سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثني عشر سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوايل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الردية يظهر اثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الحزن والغم والرؤيا الجيدة يبطئ تاثيرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك كما في الصلة مثل نصحتك ونصحت لك وقال في الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر والذي بعده ثم انه وصل هذه النهي تنبيها من تعبيره رؤياه فقال وكذلك اي ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك الامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وتاويل الماء في الحوض جمعته وخص الحسن الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه ليس بمغاير ويعني تاويل الاحاديث وجوه منها اذ تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم يسمى التعبير تاويله لانه يؤول امره الى ما راه في المنام او يؤول اليه ما راه في المنام اي ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث وليس جمع احدوثة لانها الاحدوثة يتحدث بها الناس ومنها انه يفهمه معاني كتب الله وسنن الانبياء الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه باتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين اقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومنع الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه فيكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل علم يعقوب ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعيم الاخرة وذلك انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق عطف بيان الابوين لان ابا الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق وقيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه فكيف خاف على يوسف حتى قال واخاف ان ياكله الذيب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف انه يا بهله كيلا فيه وتوانى في حفظه فان للوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثهم آيات للسائلين لمن سال عن تلك القصة وعرفها او آيات على نبوة محمد للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صبر يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف يروى ان اسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما

تربيت لنا تدعي اخيها داحيل فولدت له بنيامين يوسف اذ قالوا ظرف لاذكر او منصوب باضمار اذكر ليوسف في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة واخوه اي لابيه
امه منا بنيامين احب الي ابينا منا افعل التفضيل مستو فيه من لم يعرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اي انه
يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن نكفي مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين اراد ضلاله لاخاصنا وهو البعد عن
طريق اصلاح المعاش وحسن العشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب وليس مقدوره تكليف ولعل يعقوب تكون في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد
البر ومن جملته انهم اتهم كانوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضي به الباقون فجعلوا جميعا امرين والظاهر انه قال بعضهم
بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه وكان بعضهم اشار الي القتل وبعضهم الي الطرح ومجاهد وامرين بعض القوم فتح اسناده اليهم واذ قتلهم تعساوي
انصبا علي الظرف كالظروف المبهمة اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال
عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته او المراد تفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزوم لانه معطوف علي جواب الامر من بعده من بعد قتله او طرحه او من بعد يو
سف اذا قتل او غرب قوما صالحين تائبين الي الله او الي ابيه بعذر تمهدونه فاجنة ملد او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم ويفرغ لهما لهم بعد يوسف
بفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولاسيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل
والمقتول من اولاد الانبياء والقوه في غيابت الجب سمي الجب جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شي سوي القطع الادمي والغيابة تعود البير وما غاب منه
عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قراه علي الجمع فلعل للجب اقطارا او نواحي يلتقطه بعض السيارة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشي من الطريق
ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن من فعل هذا الامر فهذا هو الراي ثم ان يعقوب كان خائفا علي يوسف من كيدهم وكان
يظهر ذلك علي صحايف افعاله واقواله فلذلك قالوا مالك لا تامنا علي يوسف وانا له لناصحون ما وجد منا في بابه سوي النصح والاشفاق علي الاطلاق ارسله معنا
غدا يرتع من قراه بالجزم فمن الرتعة كاللمعة وهي الخصب والسعة ومن قراه بالكسر علي حذف الياء من ترتقي مستفادا من ارتعاء الابل والماشية والتعب تركها
يتبع الي ما لا ينبغي فمن قراه بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قراه بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لانه
في صورته اما اللعب قد يطلق علي استعمال المباح لاجل انشراح الصدر قال ص لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتاكيد وتخصيص المضارع
بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الهمز وقال بعضهم انه مشتق من تذائبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان ارضهم مذأبة فلذلك قال اخاف وقيل راي في النوم
ان الذئب قد شد علي يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثال البلاء موكل بالمنطق ولئن انا اذا جواب للقسم المقدر ساد مساد جواب الشرط حلفوا لان كان
ما خاف وحالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذا ذاك خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار والمراد ان لم نقدر علي حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا و
ناهالان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من خطف الذئب فلم يجيبوا عن الاول
لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يبالوا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وهنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا علي ان يجعلوه
في غيابت الجب قيل هو بير بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل علي ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا ففي
الاية اضمار اخر كما تقدم في الوقوف قال السدي ان يوسف عليه لما برز مع اخوته اظهروا العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم
لم يغثه الا بالاهانة حتي كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه
في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به علي ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتواري به
فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤنسوك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوي الي صخرة فقام عليها وهو
يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي انه ع لما القي في الجب قال يا شاهدا
غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابراهيم ع حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير
الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الي اسحق واسحق الي يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه في الصغر كما اوحي
الي يحيي وعيسي وقيل كان بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعد حالك عما في اوهامهم
ولطول العهد المنسي والمغير للهيات والاشكال يروي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه علي يده ثم نقره فطن فقال انه
ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوه يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم
لا يشعرون انا انباه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فتتعلق الجملة بقوله واوحينا وروي ان امراة حاكمت الي شريح فبكت فقال للشعبي يا ابا عمرو اما تراها تبكي قال قد
جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن ابن عباس انهم جاؤا عشاء لئلا يظهر امارة الخجل والكذب علي وجوههم ولما

صوتهم

صوتهم يعقوب فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي
وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا اي مصدق لشدة محبتك ليوسف وقيل دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين من اهل الصدق والثقة تكليفات
بسوء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا علي قميصه بدم علي الظرف اي فوق قميصه او علي الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه بدم كذب ذي كذب او وصف هو الكذب
بعينه مبالغة يروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلي صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه علي وجهه وبكي حتي خضب
وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات اية ليعقوب علي كذبهم واية حين القاه
البشير علي وجهه فارتد بصيرا واية علي براءة يوسف حين قد من دبر وكان تنبه يعقوب بالايات المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال بل سولت الاضراب بل سولت قال ابن
عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه غير ما تصفون والتسويل تقرير معني في النفس مع الطمع في اتمامه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهري واصله مهموز غير ان العرب
استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدا او خبر اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي فيه لا شكوي اي الي الخلق لقوله انما اشكو بثي وحزني الي الله وقيل لا اعايشكم علي كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت ويحكي انه سقط
حاجبا يعقوب علي عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي الله تعالي اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة
فاغفرها لي ثم بين ان الصبر علي ما وصفوه من هلاك يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالي فقال والله المستعان علي ما تصفون القرينتان كقوله اياك نعبد واياك نستعين
ويعلم من الاية ان الصبر ان كان لاجل الرضاء بقضاء الله تعالي او لاستغراقه في شهود الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا
فلا ما اعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال تخليص المظلوم من المحن والشدائد والرقية فكيف جاز صبر يعقوب حتي لم يبالغ في التفتيش والتعبير
ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ولعله ان بالغ في البحث اقدموا علي قتله او علم انه تعالي
يصون يوسف وسيعظم امره بالاخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان الاصوب الصبر والسكوت
وتفويض الامر بالكلية الي الله تعالي ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الي مصر وذلك بعد ثلاثة ايام
من القاء يوسف في الجب فاخطاؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا واردهم فقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعني الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلي دلوه ارسلها في البير قال الواحدي فاذا نزعها ا
خرج عليها فلا بد له ان قال يا بشري التقدير فتعلق يوسف فقال الوارد يا بشري كانه ينادي ويقول تعال فهذا اوانك ومنه قال الوارد هذا الكلام قال جمع من
المفسرين حين راي يوسف متعلقا بالحبل وقال اخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشري فنادي يا بشري
كانه قال يا زيد الاكثرون علي انها بمعني البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادي مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا
في جنس البشري ومن قراها بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في واسروه اما عائد الي الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا الشركة فيه الا
اوفي البشري ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من الرفقة او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا علي ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الي الاخوة يوسف
علي ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولي بدليل قوله بضاعة وهي نصب
علي الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه اي باعوه بثمن قليل لان
المنقطع للشي متهاونون كانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه ولما ان يعود الي
الاخوة والمعني باعوه او الي الرفقة والمعني اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الي الاخوة فعلة رغبتهم في يوسف ظاهرة والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد
الي الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الي الجب بعد ثلاثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب
وراوا اثار السيارة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا عبد ابق منا فقالوا لهم بيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا انه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من
الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخرة بثمن بخس اي مبخوس ناقص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان
ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين ولا يبعد انه لم ياخذ شيئا ويروي ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان
الضمير فيه عائد الي يوسف ويجوز ان يعود الي الثمن البخس اي اخذوا في ثمنه ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله فيه من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه
موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال فيه متعلق به وكانوا زاهدين من الضاربين فيه بيانا كانه قيل في اي شي زهدوا فقيل
زهدوا فيه والله تعالي اعلم التاويل تلك ايات الكتاب ولا الاتكنا بالمحبوب الي المحب للهداية الي طريق الوصال ولهذا الاية احسن القصص لانها ام تقصص

القران مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رايت احد عشر كوكبا من الحواس الخمس الظاهرة والحمس الباطنة
اي المذكورة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة ولكل منها اضاءة الي ادراك المعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج
الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رايتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى
وكذلك يجتبيك ربك علي ساير المخلوقات وهذا كالحسن يوسف ويعلمك من تاويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلي لك ويستوي عليك اذ القلب
عرش حقيقي للرب وعلي آل يعقوب اي متولدات الروح من القوي والحواس كما اتمها علي ابويك من قبل ابرهيم واسحق الخفي وبهما يستحق القبول فيض التجلي وهناك
سر الطاف خفيه لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ايات للسائلين عن طريق الوصول الي الله ليوسف واخوه بنيامين الحس المشترك فانه له اختصاصا بالقلب
احب الي ابينا منا لان القلب عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا يوسف القلب بسكين الهوي وبترك الميل الي الدنيا والطرحوه
في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الي الحواس والقوي لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيواني النفساني قال
قائل منهم وهو القوة المفكرة القوه في غيابت الجب القالب وسجن البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية ترقيه في المراتب الهيمية وتلعب في ملاعب
الدنيا ما له لحافظون من فتنة الدنيا وانا نخاف ان ياكله ذيب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامته
القلب وهم لا يشعرون وفيه اشارة الي ان من خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوي فيحصل التجاذب فان
كانت الغلبة للروح سعد وان كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء يبكون اي في النصف الآخر من مدة العمر تبكي تشاغل باللهو في ايام الشباب
وتركنا يوسف القلب وازالت نور الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل علي ما قضى الله وقدر ومهلا عن الا
تكال فاكله ذيب الشيطان وجاؤا علي قميصه اي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الي القلب والله المستعان علي ما تصفون من
دين القلب وموته وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم من واردات الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشراي فيه
اشارة الي ان للجذبة بشارة في تعلقها بالقالب كان للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين وبما
يعملون من شراء بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما يميلون الي استجلاب المنافع العاجلة

وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على
امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي
المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ۝ ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين ۝ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا
سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ۝ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه

قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ۝ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ۝ وقال نسوة في المدينة امرأة
العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ۝ فلما
سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن
سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ۝ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ۝ قال رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ۝ فاستجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ۝

القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن بالهمزة الحلواني عن هشام مثله ولكن بضم التاء البخاري عن هشام الباقون هيت لك بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الاخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين بالالف ابو عمرو وفي السجن بفتح السين علي انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر **الوقف** ولدا في الارض ط بناء علي ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هو معطوف علي محذوف قبله اي لنتمكن الاحاديث لا يعلمون وعلما المحسنين هيت لك مثواي الظالمون وهمت به قد قيل بناء علي ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو امر كما قال السجاوندي والاولى لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم بها برهان ربه والفحشاء المخلصين لدى الباب اليم عن نفسي لم يذكر الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد علي راودتني من اهلها علي تقدير وقال ان كان الكاذبين الصادقين من كيدكن عظيم عن هذا للعدول عن خطاب الي خطاب لذنبك لاعتماد التعليل الخاطئين عن نفسه لان قد تقتضي الابتداء مع اتحاد القائل حبا مبين عليهن بشرا كريم فيه فاستعصم لاحتمال القسم لصاغرين اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن العليم حين ۝ **التفسير** تدل ثنية في الاخبار ان الذي اشتراه لنفسه الآخرة او من الواردين ذهبت الي مصر وباعوه من العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان علي خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف روي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم اتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلاث وثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاء اباكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل اخلوه الوزن فبلغ وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه الجملة دلالة علي ان عظم شان يوسف كما يقال سلام علي المجلس العالي قال في الكشاف والمراد تفهدية بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامراته متعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بالكفاية ببعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولدا وكان حصورا عن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه فتفرس فيه يوسف

ما تقرر والمراد التي اتت موسي وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سال عن نفسه فاجمع بنيه فعرفه ثم قال وكذلك اي كما
انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكناه في الارض مصر حتى يتصرف فيها الامر والنهي ولنعلمه نذكره والوقوف بيان متعلقة وفي اوايل
السورة يعني تاويل الاحاديث والمراد من الاية حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية واصولها القدسية واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب انه ابتدا ذلك
كان حين التي في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقي في ذلك الي ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الي الدين الحق والارسال الي الخلق والله غالب
علي امره اي علي ما قصد لا منازع له ولا مدافع او علي امر يوسف علم يكله الي غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه فلم يكن الا ما اراد الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشر سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الي ستين و
ايتناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العلمية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العلمية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العلمية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يتوصلون اولا
الي الحكمة العلمية ثم الي العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر علي البلايا والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل
الحكم النبوة لان النبي حاكم علي الخلق والعلم علم الدين وقيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة علي النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والا
ضواء الالهية من عالم القدس علي جوهر النفس والتحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتم بواسطة استعمال الالات الجسدانية وفي اوان
الصغر يكون الرطوبات مستولية عليها فيضعف تلك الالات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية علي البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت
تلك الالات صالحة لان تستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقايق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الي اعتدال الالات البدنية وقوله اتيناه حكما
وعلما اشارة الي استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه علي انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء علي احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله وبرحمته ولكن للوسايط والمعدات مدخل عظيم
في كل ما يصل الي الانسان من الفيوض والاثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الحكمة في
اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلا جرم طمع فيه امراة العزيز وذلك قوله وراودته مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى الخداع اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه حتى تزله عن الشي الذي يريد ان يخرجه من يده وتحيله مجادلة او الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه
اذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم يقل زليخا قصدا الي زيادة التقرير مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد
يدل علي التكثير لان غلق مفعد كتقصد وهو فتح والمفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراآت اسم فعل بمعنى هلم لا اعم
من قرا هيت لك بهاء مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيات لك قال الحربي يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء قال النحويون هيت حالات الثلث فالفتح للخفة والكسر
لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قايم مقام المصدر كاف لها اي لك اقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قايم مقام
الفعل فيكون اسم فعل ومعناه اما خبر اي تهيات واما امر اي اقبل وقد روي الواحدي باسناده عن ابي زيد قال هيت لك بالعبرانية هيتالج اي تعال عربه
القران وقال الفراء انها لغة والعرب في السجيل ولغة العرب والترك في الغساق ولغة العرب والحبشة في ناشية الليل ثم ان المراة لما ذكرت هذا الكلام اشتعل
لغة لاهل حوران سقطت الي مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري وهذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في اجاب يوسف
بثلثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الي ان حق الله تعالي يمنع عن هذا العمل الثاني انه والعز
الشان ربي اي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم ولانه يوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد التربية اي الذي رباني احسن مثواي حين قال اكرمي
مثواه وفي هذا اشارة الي حق الخلق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربي الله تعالي لا ننسب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون
الحسن بالسي واراد الذين يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الي الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب
الاخرة فعلي العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة القصد والعزم والعلماء اختلفوا فقال جم غفير من
المفسرين والظاهريين ان تلك اللغة بلغت حد المخالطة قال ابو جعفر الباقر باسناده عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه انها طمعت فيه وانه طمع فيها حتى انه حل التكة
وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السربال وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروي انه يوسف حين قال ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرون ان الهمة كانت الامثلة النفس
ولم يخرج شيء منها من القوة الي الفعل ولكنها مدافعة الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبتين انما لا ولو نعتقد شرطا برهان ربه بان المراة قامت فيهم لها كلا بل
والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالاثواب فقال يوسف لم فقالت استحي من الهي هذا ان يراني علي المعصية فقال يوسف تستحي من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا استحي
من الهي القايم علي كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا علي اصابعه ثانيا انه اعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء

فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله
والي هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله وانه خليل لحافظين
وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زني قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راي فيها ولا تقربوا الزني انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فلم ينته ثم راي فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالي
لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راي تمثال العزيز
واما الاخرون فاستبعدوا شيئا من هذه الروايات علي تقدير التسليم تتوارد الدلايل علي المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر نعم لو كان ممتنعا عن ذلك
العمل بحسب النظر في برهان الله الماخوذ علي المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انما فاتي لك
البرهان هذه الزواجر بكمله لله لطاف وتتميما من وجوب اجتناب المحارم لئن جاز في بني الله ما ذكروا لما بقي له عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الي
جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزمة قالوا والهم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعاني فانتم تقدرون قدم بمخالطته ونحن نقول هم
بدلها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق
قميصه من قبل وكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولي هاربا عنها وفي قوله وهم بها فايدة اخري هي ان ترك المخالطة بها مع كمال الداعية والرغبة في الثناء وعون
قدرته عليهن بل الاجل ان ولا ارادوا من الشيء عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وانه قد ادعي البراءة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
والمراة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان حصحص الحق وزوج المراة صدقه فقال انه من كيدكن وشهد
له شاهد من اهلها كما يجي وشهد له نعم فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزني او السوء مقدمات
الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا او الاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التاكيد بوصفه بالمخلصين
اي هو من جملة من اخلص في طاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله بناء علي قراءة فتح اللام وكسرها ويحتمل ان يكون من لله بنداء لا للتبعيض اي هو
ناشي منهم لانه من ذرية ابرهيم فكل هذه دلايل تدل علي عصمة يوسف عم وانه بري من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره
كما في ادم وذي النون وغيرهما فلما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقايق الامور قوله واستبقا الباب اي تسابقا اليه علي حذف الجار وايصال الفعل نحو واختار
موسي قومه وعلي تضمين استبقا معني ابتدروا وانما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر
ويسقط حتي خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها اصادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل
سيدهما لان ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم المراة ثم انه كان لمنبايل انه يسئل فما قالت المراة
اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هي استفهامية او نافية معناه اي شي جزاؤه او ليس جزاؤه الا السجن او العذاب وهو تمامه نعت العذاب الاليم بالضرب بالسياط
جمعت بين غرضين بتبرية ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب علي يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خوفا لان المراة لما عاتم انها اجتاب يوسف دعي وتابق
الحبة فذكر السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ايلام المحبوب ما امكن وايضا لم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا بل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفي قولها
الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دايم بخلاف قول فرعون لموسي لاجعلنك من المسجونين فيه اشعار بالتابيد وقال يوسف هي راودتني عن نفسي وانما
صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها ثم قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال الجمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المراة وكان رجلا حليما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال لقد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه فان كان
شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الي القميص وراوا الشق من خلفه قال انه من كيدكن وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خالها وكان صبيا في المهد وقد روي عن النبي صلعم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسي ابن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف وضعف بان القميص لا يوصف بالشاهد ولا بكونه
من الاهل واعترض علي القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا علي براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المراة وهي قد غضبت عليه فعدت خلفه
لي تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط علي مولاه الي هذا الحد وقرينة الحال
كثرين المراة فوق الفساد ويشاهد من احوال يوسف في مدة اقامته في منزلهم واعترض علي القول الثاني بان شهادة الصبي لما خارقة العادة فيكون الحجة
قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها فايدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا علي من تقدم له معرفة واقعة والجواب ان تميز الطريق
في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب للحجة عليها والزم لها والشاهد هنا مجاز ووجه حسنه انه ادي مؤدي الشاهد حيث ثبت به قول
يوسف وبطل قولها قال في الكشاف التنكير في قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما القميص في قوله فلما راي قميصه قال انه من

كيدكن فنيل انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا اي ان فولكن وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا وان هذا الامر وهو الذي افضى الى هذه الرتبة من
عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض الحكماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم
واقول لاشك ان القران كلام الله الا ان هنا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى
ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانه يغلبهم ويسلب عقولهم اذا عرضن انفسهن ولهذا قال [illegible]
الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امراة لذنبك والاستغفار
اما من الزوج او من الله لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف لصاحبيه في السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير في راي وقال زوج المراة وانه كان قليل
الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار وقال ابو بكر الاصم وقال نسوة هو اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد
يضم نونها قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وزاد مقاتل امراة الحاجب [illegible]
الشاب والفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب وحبا نصب على التمييز
وحقيقة شغفها اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده وكذا في سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هناه كانه
حرقه بالقطران وقال ابن الانباري يقال من الشغف وهو ذروة الجبل اي ارتفع حبه الى اعلى المواضع من قلبه انا لنراها في ضلال مبين خطاء عن طريق الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمى التعبير عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل اراد وانهن كن ان يتوسلن الى رؤية يوسف فلهذا سمى
مكرا وقيل استكتمتهن منها كتمان سرها فافشينه فسمى مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل كن اربعين واعتدت اي اعدت وهيات لهن متكا موضع اتكاء واصله
موتكا لانه من توكات ابدلت الواو تاء [illegible] والمراد هيات لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفات كانها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذ خرج
على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن السكاكين توهمن انهن يثبن عليه وقيل المتكا مجلس الطعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على عادة المتنعمين
ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا لتعالج بها ما ياكلن وقيل اراد بالمتكا الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة
وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما رأينه
اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا صلعم كان املح قيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه ويرى تلالؤ
وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صلعم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله
كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اي دخلت في الكبر بالحيض ووجه حيضهن حينئذ
بان المراة اذا فزعت اسقطت ولدها وحاضت فلما دهشن وقيل اكبرنه لما راين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات
الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي جرحنها بانه لم يعرفن الفاكهة من اليد
او بانه لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في كفهن وحصل الاعتماد على ذلك فجرح الكف وهذا القول شديد الملائمة لقولهن
حاش لله اي تنزه عما يشينه من خصلة ذميمة اي هذا الا ملك كريم في السيرة والعفة والطهارة اما قول زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا
التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول الياس من الوصال وحصول الوهن المجازي وذلك يستتبع فرط الحب وزيادة العشق وعلى
القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كانه قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله لبيان من يبرا وينزه وهي حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة
وقال ابو البقاء الجمهور على انه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف الالف من اخره فللتخفيف وكثرة دوره على الالسن تقديره حاشا يوسف
اي بعد عن المعصية لخشية الله وصار في حاشية اي ناحية ما هذا بشرا اعمال ما عمل ليس لغة حجازية ان هذا اي ما هذا الشخص الا ملك كريم استدل بعضهم
بالاية على الافضلية الملكية كما مر في اوائل سورة البقرة قالوا وانما قلن ذلك لما ركز في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض
عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان وصورة الملك واجيب بعد التسليم بتغيير المدعي وهو انهن اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب و
زيف بان قول النساء لا يصلح للحجة وفي الاية دلالة على ان العشق باللوم احق لانه تحقق بنظرة واحدة ما لم يحصل في مدة طويلة وانظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه وسئل ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت باشارة البعيد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهناك تعلق
بالنقل فاما علماء البيان فانهم بنوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل هذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعاد المحل او هو

اشارة

اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني يعني انكن لم تصورنه قبل ذلك
حق التصور والا لعذرتنني في الافتتان به ولما اظهر عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل
السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا انما استعصم بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها
وفيه شهادة من المراة على ان يوسف ما صدر عنه امر يخالف الشرع والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار
كما في امرتك الخير وما مصدرية والضمير ليوسف اي امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونا من الصاغرين بنون التاكيد المخففة لهذا يكتب بالالف لانا لو وقفت
عليها بالالف والصغار الذل والهوان ويعلم ان التوعد بالصغار له تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف في هذه
الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت في غاية الحسن ومنها انها كانت ذا مال وثروة وقد عزمت ان تبذل الكل اليه على تقدير ان يساعدها ومنها
ان النسوة اجتمعن عليه مرغبات ومخوفات ومنها انها كانت ذا قدرة وملكة وكان خائفا من شرها واقدامها على قتله ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية
يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا عن كلها وعن اثر بدينها ولهذا التجا يوسف الى الله سبحانه قائلا رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان
مشقة فهي زايلة والذي يدعونني اليه وان كان لذة الا انها عاجلة مستعقبة بخزي الدنيا وعذاب الاخرة والا تصرف عني كيدهن بتوجيه داعية الخير وحرف
النفس ويمنعني بالالطاف والعصمة اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعملون
بما يعلمون فلا يكون لعلمهم فائدة او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المراة
اخذت في الاحتيال وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن
لي فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز ومن
يليه او له وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الايات الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المراة وشهادة النسوة له بالسيرة
الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم راي او سجنه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس اي الى
انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن عكرمة سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة

التاويل

لما اخرجوا يوسف القلب
من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله الى العالم الحقيقة فقال لامراته وهي الدنيا اكرمي
مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية عسى ان ينفعنا خير يكون صاحب شريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير الشريعة حقيقة والدنيا اخرة او نتخذه ولدا
بلبان ثدي الشريعة الطريقة الى ان تربي الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا ليوسف اي ان تمكين يوسف في ارض البشرية انما هو لتعلم العلم اللدني لان الثمرة انما
تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض والله غالب على امر القلب في توجيهه الى محبة الله وطلبه او على امر الغالب بجذبات العناية وافاضته على
الصراط المستقيم فيكون منقادا بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضلنا على القلب ما
هو مستحقه من الحكمة والعلم وكذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال والاخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ
الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى ان يوسف القلب وان استغرق في بحر صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها اي في الجسد الدنيا في عالم
وغلقت ابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن الحق قال اي القلب الفاني عن نفسه الباقي ببقاء ربه معاذ الله انه ربي احسن مثواي في عالم
الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية ولولا ان راى برهان ربه وهو نور حصل القناعة
الحقيقي من نتايج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء تصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي و وصلوا
الى الوجود الحقيقي واستبقا الباب للموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها وهو صاحب ولاية تربية
يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا لانه يتصرف في الدنيا كما ينبغي تصرف الرجل في المراة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيزي دون العقل المجرد الذي ليس
من الدنيا واهلها في شيء فيرى حاكم العقل انه تصرف زليخا الدنيا لا تصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص بشريته انه كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله
النعيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الله يورث محبتها وحب الدنيا راس كل خطيئة وقال نسوة هن الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية
تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء يا دنيا اخدمي من خدمني واعتدت لهن متكا اطعمة [illegible] لاجلها واتت كل واحدة منهن سكينا هو
الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم ظهر لمربي القلب بلسان الشريعة وشيخ الطريقة
ومن يراعي صلاح حاله من بعد ما راوا الايات اثار عناية الله وعصمة القلب عن الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد
بالموت تطهر واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف بما دونه والله اعلم

وي

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال الذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رءياي ان كنتم للرءيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من

بعد

بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

الحزب الثالث عشر

القراءة اني اراني اعصر في الحرفين ابو جعفر ونافع وابو عمرو ووافق ابن كثير في اراني كليهما الباقون بسكونها يا المتكلم في الكل بينا بغير همز اوتية والايح ابو جعفر وحمزة في الوقف ترزقانه مختلسة الحلواني عن قالون بتاويله بتاويله اتنا نادي ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اني ارى بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروياي بالامالة غير قتيبة ابو عمرو بالامالة اللطيفة والقول في ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة علي وابو عمرو بالامالة اللطيفة ليلى ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو دابا بالفتح الهمزة حفص الاخرون بالسكون تعصرون بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشموني والبرجمي نفسي ربي رحم ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو **الوقوف** فتيان خمرا نصلح منه المحسنين انبيايتكما ربي كافرون ويعقوب الطير منه للعدول عن قول الاخر منهما الى قولهما اللفظ اي فقال انبئنا بتاويله لاحتمال التعليل المحسن مع اتفاق الجملتين من شيء لا يشكرون القهار من سلطان الا الله الا اياه لا يعلمون خمرا فضله بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من راسه ط في قوله جواب قولهما كذبنا وما رايتنا رؤيا تستفتيان لاستيناف حكاية اخرى عند ربك سنين يابسات تعبرون احلام للنفي مع العطف بعالمين فارسلون يابسات لتعلق لعلي يعلمون دابا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون يعصرون ايتوني به ايديهن عليم عن نفسه من سوء الحق لانقطاع النظر واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين الخائنين الجزو الثالث عشر نفسي للحذف اي عن السوء رحيم **التفسير** تقدير الكلام فحبس ودخل معه اي مصاحبا له في الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خباز وشرابيه نقلا عنا يمنة البغتيرا واستدلالا برؤياهما المناسبة لحرفتيهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه في الطعام او الشراب قال المراد بدخولهما السجن ما ادخل يوسف قال احدهما اني اراني اي في المنام لقولهما نبئنا بتاويله وهو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للشيء باسم ما يوول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله بتاويله يعود الى ما قصا عليه وقد يوضع وقد يوضع الضمير موضع اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكا اهل السجن يقصون عليه ويعلم منوحلها لهم او نريك من العلماء عرفا ذلك بالقراين او من المحسنين الى اهل السجن كان يعود مريضهم ويوسع عليهم ويراعي فقيرهم وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم خلاصهم ومن الحسنين فطاعة الله وطلب مرضاته فنرجو عنا الغمة بتاويل ما راينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا عن قتادة انه كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا فقالوا لها احسن وجهك وما احسن خلقك من انت يا فتى فقال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي ومجاهد انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اذ اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام الى اخره هذا ليس جوابا لهما ظاهرا وانما تمم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبيرين لما كان هو الصلب وكان في اسماعه كراهة ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرج عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين علو مرتبته في العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدي اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه في النوم بين لكما انه علم بتاويل الرؤيا ليس مقصورا على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اي اخبركما قبل ان ياتيكما اي طعام هو واي لون هو وكيفية كونه دون غيره وقيل انه محمول على اليقظة عاقبته احمد ام نافع وان فيه سما ام لا فقد روي ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال ذلكما اي هذا التاويل والاخبار

[illegible]

ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك قوله قضي الامر قال في الكشاف انما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان المراد بالامر ما اتهما به
من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما استفتيا في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك استدلالا برؤياهما وقيل جحدا رؤياهما فقال ان ذلك الذي ذكرت
من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخباز ان تاويل رؤياه شر انكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذي حكمت
به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكماء ينبغي ان لا يتصرف في الرؤيا ولا تغير من وجهها فان الفال علي ما جري وقال يوسف للذي ظن انه ناج
منهما اذكرني عند ربك اي اذكر عند الملك اني مظلوم من جهة اخوتي اخرجوني وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبستني والضمير في ظن ان كان
للرجل الناجي فلا اشكال لانهما ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد في حقهما الا مجرد الظن وان عاد الي يوسف ففيه عليه
انه كان قاطعا بنجاته فما معنى ظن واجيب بانه انما ذكر ذلك التعبير بناء علي الاصول المقررة في ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والا فهو انه قضى بذلك علي
سبيل البت والقطع لقوله لا ياتيكما طعام الي قوله ذلكما مما علمني ربي فالظن ههنا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير في قوله فانساه الشيطان
فمن الناس من قال انه يعود الي الرجل الناجي اي انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الي الرب للملابسة لا لاجل انه فاعل او مفعول
او المضاف محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الي الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له علي ذلك
والا لازال معرفة الله من قلوب بني آدم وانما فعله القاء الوسوسة واخطار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الي يوسف والمراد
بالرب هو الله سبحانه اي انسى الشيطان يوسف ان يذكر الله وعلي القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلث الي العشر لانها القطعة من العدد و
البضع القطع ومنه البضعة والاكثرون علي ان المراد في الاية سبع سنين عن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الي ذلك الرجل لبث بعد
ذلك سبع سنين عن النبي صلعم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه قال لما قال اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلعم ياخذه النوم ليلة
من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى من انصاري الي الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفرة في دفع الظلم و
الغرق والحرق الا ان يوسف عوتب علي قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل حين وضع في المنجنيق فلقيه جبرئيل في الهواء وقال هل لك حاجة فقال
اما اليك فلا ومنها انه زعم انه اتبع ملة ابائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك علي الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الي الله سبحانه فقوله
اذكرني كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله ان زعم ان الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ علي غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار

وب

ورب الغلام مستجاد في كلامهم ومنها انه لم يقرن بالعلم ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف اراه الله في المنام الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلع العجاف السمان وراي سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات علي الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب
الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف علي القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق
الي تحصيل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملا افتوني في رؤياي ثم انه تعالى
اذا اراد امرا هيا اسبابه فاعجز الله اولئك الملا عن جواب المسئلة وعماه عليهم قالوا انها اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم ان الله سبحانه
خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الي عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها منه في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها
من طريق الحواس وفي وقت النوم تقل تلك الشواغل فتقوى النفس علي تلك المطالعة فاذا وقفت الروح علي حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما
شوهدت لم يحتج الي التاويل وان نزلت اثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الي عالم الخيال فهناك يفتقر الي المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل
علي المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الي الحقائق الروحانية ومنها ما تكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها للتشويش الواقع في ترتيبها وتاليفها وهي المسماة
بالاضغاث وبالحقيقة الاضغاث ما يكون مبدؤها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور
تزيد من الاضغاث من حيث انها اعيت المعبرين عن تاويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ واما الملك فهو الريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني اري حكاية حال ماضية
وسمان جمع سمين وسمينة يجمع علي سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال الحريري اذا وصف المميز فالاولى ان يقع الوصف وصفا للمميز كما في الاية
دون العدد لانه ليس مقصودا بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا للبقرات ويحصل التمييز للسبع بنوع من البقرات وهي السمان منها ولو نصب
حصل تمييز السبع بجنس البقرات اولا ثم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء
وهما لا يجمعان علي فعال ولكنه حمل علي سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر لانجذاب المعنى الي هذا العدد
وانما لم يقل سبع عجاف علي الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلثة فرسان وخمسة اصحاب لان الوصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون
قوله واخر مجرورا عطفا علي سنبلات لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملا الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما
في قولك وكانوا فيه من الزاهدين ولان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تاخر معموله او لانه قوله لكان كقولهم هو
لهذا الامر اي تتمكن منه مستقلا به وتعبرون خبر آخر او حال والتعبير تفعل يفيد بيان عاقبة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد تشدد واشتقاقه
من العبر بالكسر والسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخره عبره وعبرت الرؤيا اذا تاملت ناحيتها من احد الطرفين الي الاخر والا
ضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم علي ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من الاحلام والصيغة جمع ولكن الواقع حلم
قد يوصف به كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار فالمراد هي الحلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم
وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة فذة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلاما اخر واللام في الاحلام اما للعهد كانهم ارادوا الاحلام الباطلة
او للجنس وارادوا انهم غير متبحرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل علي الملا تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر
قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر قلبت التاء دالا والذال كذلك وادغمت وادكر بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع
ايام كثيرة وقرئ امه بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بسكون الميم ومعناه انا انبئكم بتاويله اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون اليه
لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم او له وللملا حوله والمعنى مرويا باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه
الي يوسف فاتاه فقال يوسف اي يا يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه يعرف احواله من قبل وفيه انه يجب علي المتعلم تقديم ما
يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش
الي ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك وكمالك في العلم
الي ان يعود اليهم وعلي تقدير ان يعيش ... وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل الآي والا فان مقتضى السياق لعلي ارجع الي الناس
فيخلصوك او يعلموا افتاءك فيكون فيه نوع شك لانه راي عجز سائر المعبرين وجعله في معنى الامر في المبالغة
فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الي اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين وهو خبر في معنى الامر
في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل علي كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبار الغيب
والعلة لان الزرع يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الي الاصلح لهم في ذلك الوقت ودابا بسكون الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل
اذا استمر عليه انتصابه علي الحال اي تزرعون دائبين او علي المصدر اي تدابون دابا بسكون الهمزة وتحريكها في السنابل الا القليل

في الحال ليكون يتقي الشكر ثم ياتي من بعد ذلك وفيه دليل على ان تزعون اخبار لا امر سبع شداد اي سبع سنين شداد على الناس باكلن ما قدمتم لهن من
الاسناد المجازي لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنون قليلا مما تحصنون تحرزون وتخباؤن والاحصان جعل الشي في الحصن كالاحراز جعله في الحرز ثم
اخبرانه ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون
الضرع تاولا لبقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصب والعجاف واليابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد
ذكر بالوحي من قبل ان ذكره الله علم سنته وقيل عرف انه لا انقطاع بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير
الكثير فقد يكون متوسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال
ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه مبدا لخلاصه من المحنة الدنيوية ليعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول وهو الشرابي
اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة ما شانهن وما حالهن ان ربي اي ان الله العالم بخفيات الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم
وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على كونهن كادته او اراد الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن تر
غيبهن اياه في موافقة سيدتهن او تقبيح صورته عند العزيز حتى رضي بسجنه ومن لطائف الآية انه اراد فسل الملك ان يسال ما بال النسوة الا انه راعى الادب
فاقتصر على سوال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيج على البحث والتفتيش ومنها انه لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن
ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالتهمة في الخيانة عن النبي صلعم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة قال العلماء ان الذي عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج
في الحال ربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده وفيه ان التاني والتثبت تلافي لما صدر منه في قوله
للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعدما احضر النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن اي زليخا قيل الخطاب لزليخا
والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لانه كلا واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امراة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امراة
العزيز حين عرفت انه لا ينفع الانكار الآن حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص اذا التي شقشقة لله ناحة والاستقرار على الارض
وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي انت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله ذلك ليعلم الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول
يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك
لاجل التعظيم او المراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت ولظهار البراءة عن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند عود
الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غايب عنه او من المفعول اي وهو غايب عني او على الظرف اي بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الا
بواب المغلقة قيل هذه الخيانة لو وقعت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم
الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض
بامراته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا
انه بهذا الكلام من يوسف يتبع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المراة دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال اهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته في قوله
ما بال النسوة دون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها ونظيره ما يحكى ان امراة جاءت
بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها
في دعواها فقالت المراة لما اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرات ذمته من كل حق لي عليه وكلما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق
او في هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء ميالة الى القبائح راغبة في المعاصي وفيه
ان ترك الخيانة ما كان بحظ النفس وشهوتها لكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفا لامارة الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها
امارة بالسوء في كل وقت وأوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المراة
لان يوسف ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى واني وان كنت احلت عليه الذنب في حضوره ولكني ما احلت عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي فيه تعريض
بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم افتضحت وانه لما كان بريا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او ودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفسي يوسف ان ربي غفور رحيم

استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شي واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت
امارة وهذه هي اغلب احوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلجرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي لامارة بالسوء
واذا كانت متجذبة مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبع في
محله على الشهوة والغضب وساير الاخلاق الرذيلة وتمسك الاشاعرة بقوله الا ما رحم ربي ظاهر لانه دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحمله
على فتح الالطاف والتفطن بالحقايق

التاويل لما دخل يوسف القلب بحبس الشريعة دخل معه فتيان ملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يقبل غذاء
في السفل الدنيوي الا بتوسط النفس فهي صاحب شرابه والبدن هي صاحب اعمال الصالحة مما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الابغذاء روحاني كما ان الجسم لا
يبقى الا بغذاء جسماني في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعلهما الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي روياهما دلالة على ان اهل الدنيا واهل الدنيا نيام
فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علم
ان علم الحقيقة انما هو لا ينبعث ربه اي بتيه بافتتاح المعاملة والمجاهدات شراب الكشوف والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الاخر فهو البدن
فيصلب بحبل الموت فتاكل الطير اعوان ملك الموت من راسه الخيالات الفاسدة قضي في الازل بهذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب المسجون في بدوام يلهم النفس
بان يذكر المعاملة المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح ويخبره عن نوم الغفلة الحيوانية من الحواس الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن ركن الصفات
البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوسوسته منعها عن النفس اثر الهامات القلب او الشيطان انسي القلب ذكر الله حين
التمس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محجوب وهي الحرص والبخل
والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر اني ارى سبع بقرات سمان هي الصفات المذكورة يا كلهن سبع عجاف من اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة
والشفقة والحلم والتواضع ايها الملأ يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني فيما رايت في عيب الملكوت وما نحن بتاويل الاحلام اي ليس التصرف
في الملكوت ومشاهدها من شانها فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت يرجع بقوة التفكر الى القلب فيستخبر عنه فالقلب ترجمان
بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب ايها الصديق لانه يصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يردي للخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي
عن ربي قال الكنابتين ارجع الى الناس اي الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذ
في سنبله اي ما حصلتم من الصفات فذروه في اماكنه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل في مصباح الشرع في زجاجة القلب
كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق في الخيار لتجرد النفس وتنويرها وتزكيتها عن هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية
السبع فكان السبع العجاف اكلا السبع السمان وانما سميت ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصنون بالانسانية
حيث قال ثم ياتي من بعد ذلك عام اي بعد غلبات الصفات الروحانية واضمحلال الصفات البشرية يظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه تبرا لعبد
من معاملاته ويخرج من حبس وجوده وعجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راى الروح في عالم الملكوت وتاول استحق قربة الروح وصحبته فلما دعي
حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال اسئله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما راين جمال القلب المنور بنور الله قطعن ايديهن من تعلقات
الدنيا وشهواتها واثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغال
النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال الهما للعزيز نفسه و للقضاء
ربه وما ابرئ نفسي لان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها بتبديلها وتغيرها فاذا تنفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة
فاذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها وتقويها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة
مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية ان ربي غفور للنفس تايب ورحيم له اليه رحيم لما احسن طاعته وعبادته

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ۝ وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ
منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ۝ ولاجر الاخرة خير

للذين امنوا وكانوا يتقون ۝ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ۝
فلما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ۝ قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم
يرجعون ۝ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له
لحافظون ۝ قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو
ارحم الراحمين ۝ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ۝
قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه
موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ۝ وقال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من
شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ۝
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة
في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝

القراءة حيث نشاء بالنون ابن كثير الاخرون بياء الغيبة اني او في بفتح ياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خيرحافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر و حماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون تؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد وا سمعيل في الوصل **الوقوف** لتبيء ابيه الارض لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم في الارض لاحتمال ما بعده الاستئناف او الحال حيث نشاء المحسنين منكرون من ابيكم لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المنزلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون لحافظون من قبل لانتهاء الاستفهام الا لاتصال حافظا ه الراحمين اليهم لتمام جواب لما ما نبغي لان ما بعده جملة مستانفة موضحة للاستفهامية او المنفية قبلها الينا لاحتمال العطف والاستيناف بعير ونحن بعير كيل بعير يسير بكم قال الله قيل فتكت بين القول والحكم لان القايل يعقوب لا الله سبحانه والاحسن ان يفرق بينهما بقدر النفس فقط ليعلم ولا يلزم الاتحاد بين القايل والمقول وكيل متفرقة من شيء الله توكلت المتوكلون ابوهم لان جواب لما محذوف اي دخلوا باذن الله قضيها لا يعلمون **التفسير** الاظهر انها

الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قوله اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشيء من شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان يتفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم فرج لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه فجاء رسول الملك وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك وهذا اولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها الغيرهم يروى ان الملك قال له اني ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصفهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحكمه وكان قد علم منحاله من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصف له الشرابي من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين وقد يدخل في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهر واما العلم فلان كونه متمكنا من افعال الخير واضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال المفسرون لما عبر يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي ولني خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء اي يحفظ اني حفيظ للاموال والخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدي في هذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته ان اخر عنه المقصود سنة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لما قال ذلك اخره الله عنه سنة وقال اخرون ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية الاصلح للامة بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل القحط والضيق فاراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا بالاستعانة من كافر او فاسق فله ان يستظهر به على انه ههنا قد زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك يصدر عن رايه وكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل الفخر ولكن للتوصل الى الغرض المذكور وكذلك مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوا منها حيث يشاء وتشاجر على القرابين والمعادي بيان استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا من النعم ويقرب فيتسع مقالات المعتلة تلك المملكة لما لم يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله وعلق المشية بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نفوا فيهما القيد ولا نضيع اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في حقه ولاجر الاخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله المحسنين وقوله للذين امنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين وفيه دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى فقال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لانه طول العهد بينهم ولا عتقادهم انه قد هلك او لذهابه عن اوهامهم حين فارقوه صبيا بدراهم معدودة ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف طالبي الحاجة ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي عن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهازا للسفر قال وسمعت اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ايتوني باخ لكم من ابيكم قال

زون

العشاء لا بد من طعام يجز هذا الطعام فروي انه لما راهم وكلمهم بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد
قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وقيل
كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا واخا اخر بقي معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستدل الملك ببقاية عند ابيه لزيادة محبته اياه
وكونه فايقا في الجمال والادب فاستدعي منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم خص
بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال يوسف ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد منكم
في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول قول المفسرين والاخر محتمل ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون
اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان قد احسن مثواهم وزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
مجزوم على النهي او لانه داخل في حكم الجزاء كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون
كل ما في وسعنا في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه او لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ فعلة للقلة ووجه ان هذا العمل
من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسب الجمع الكثير من الغلمان وكانوا
والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به هنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع بضاعتهم في رحالهم على وجه
لا يعرفون به لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال
والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اتما السبب الذي لاجله امر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على العودة
وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع واراد به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه
واخوته لوم واراد ان يرجعوا اليه فرأى سبب الرد لانهم اولاد الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل السهو واراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا
منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعد لعلهم يردونه ومنها قالوا يا ابانا منع منا الكيل اراد قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لان انذار
المنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرأ نكتل بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع انهم اذا طلبوا الطعام لابيهم وللاخ
المخلف فلعله منع من ذلك ويقوي هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا قال هل امنكم عليه ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب
انكم ذكرتم مثل هذا الكلام في يوسف فهل يكون اماني الآن الا كاماني فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان وقيتئذ لم يكن الآن والظاهر ان هنا اضمارا والتقدير
فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا او حافظا نصب على التمييز ولحصل الثاني الحال محفوظة وهو ارحم الراحمين ارجو ان لا يجمع علي
مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال فالله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان يراد به هنا الطعام ولا
وعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية اي ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او لا مزيد على ذلك بضاعة اخرى وقيل تطيب
وراء هذا نستظهر البضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زايدا
على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على ان ما نافية اي ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان
[illegible]

والذي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان
الاول ان الاصابة بالعين حق لا اطباق كثير من الامة ولما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ... وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اول النهار
وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة للشر من لم اذا جمعه او المراد ملمة ما لتغيير ... وجه وعن عبادة بن الصامت ... وقال بسم الله ادقيك من كل شيء يؤذيك من ... حاسد الله
فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرايته معافى فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد الله
يشفيك قال فافقت وروي انه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين افلا تسترقون له من العين وعنه
صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين وقالت عائشة رضي الله عنها كان يامر العاين ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقتها
فقال الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر ويسري فيه كتاثير اللسع والسم والنار واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير
المستحسن كتاثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن انما تصدى لما حصل للعاين عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله وان كان عدوا حصل له حزن شديد
من حصوله وعلى التقديرين يسخن الروح ويحصل في داخل القلب ويحصل في الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة ولهذا السبب امر النبي صلى الله عليه وسلم العاين بالوضوء ومن
اصابته العين بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشيء واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه ان يغيره ذلك الشخص
حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقالت الحكماء ليس من شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير نفسانيا محضا او وهميا كما
على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة تتصرف في غير ابدانها فمنها المعجزة ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين وقيل
خاف يعقوب ان يخافهم الملك على ملكه فيحبسهم وقيل
وغيرهم ممن انكر العين فقد قالوا انه اولاده لا يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيبتهم فلم يامن يعقوب ان يخافهم الملك على ملكه فيحبسهم
انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم يامره باظهاره وكان غرضه ان يصل بيامين اليه في غيبتهم قال ابراهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى
باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعي البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني من القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني
عنكم من الله من شيء فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسايط وقوله الثاني الى آخر الآية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامور بالكلية الى مسبب الاسباب
وقد صدقه الله تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء قضاه الله وقال الزجاج وابن الانباري
لو سبق في علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال الاخرون ما كان يغني عنهم راي يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة والنصيحة
او الخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعني علمه ان الحذر لا يدفع القدر لما علمناه ما مصدرية او موصولة اي لتعليمنا
اياه او للذي علمناه وقيل العلم الحفظ والمراقبة وقيل المضاف محذوف اي بفوايد ما علمناه وحسن اشارة الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل
علم يعقوب او يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والا
التاويل لما تيسر لملك الروح تدريس القلب وامانته وصدقه وحسن استعداده وسعي في خلاصه من سجن البشرية ليكون خالصا له في كشف حقايق
شيئا ولم يعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته روحانية وجسمانية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن ادم لمضغة ان صلحت صلح بها ساير الجسد وان فسدت فسد
بها ساير الجسد الا وهي القلب وللقلب اختصاص آخر بالله دون ساير المخلوقات قال تعالى لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن اجعلني على خزائن
ارض الجسد فان استعمل كل عضو من الاعضاء حارسا من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهر ان استعمل في ضده اي
حفيظ لخزائن علم بانفاقها فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه ان اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشية الله تعالى وجاء اخوة يوسف وهم
الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة ولما جهزهم بجهازهم بشيرا الى ان يوسف القلب لما اتجه الى الاوصاف البشرية
بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعي منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يجتمع مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه
يوفي بامر الكيل ما لم يوف الى الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعة كل عمل من الاعمال البدنية التي يجي بها الاوصاف البشرية الحضرة يوسف يرد الى الكيس
اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس تتادب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال
كالبنات الصالحة ولهذا قال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله وكالعزايم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والصدق والاخلاص ثم كال تربية القلب بالتجلية و
بتجلي صفات الحق وذلك قوله لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المامورية والاطمئنان فيستحق لجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فوايدها ترجع الى يوسف القلب
بنيرا هلنا الاعضاء بالجوارح بحفظها قوة زايدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة ونحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة
حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوايد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لما تحتني به مع الفوايد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغلبه الاحكام الا
زلته لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملة فللاسباب مدخل في التقريب الا ان الكل موكول الى مسبب الاسباب

يد

خرج

لبني

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ۝
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ۝
قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ۝
قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ۝ قالوا فما جزاؤه
إن كنتم كاذبين ۝ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ۝ فبدأ
بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ۝
قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال
أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ۝ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ
أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ۝ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده
إنا إذا لظالمون ۝ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد
أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن
لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ۝ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك
سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ۝ واسأل القرية
التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ۝ قال بل سولت لكم أنفسكم
أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ۝

القراءات إني أنا أخوك بفتح الياء أبو عمرو وعلي وأبو جعفر ونافع. نرفع درجات من نشاء بالإضافة وبياء الغيبة في الفعل سهل ويعقوب بالنون والتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف. الباقون بالنون وعلى الإضافة. فلما استيأسوا وبابه بالألف ثم الياء أبو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وإن شاء لين الهمزة. الباقون بيا ثم همزة على الأصل. أبي أو بالفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وافق ابن كثير في أبي. **الوقوف** يعملون ه لسارقون ه تفقدون ه زعيم ه سارقين ه كاذبين ه

فهو جزاؤه ط الظالمين ه من وعاء أخيه ط ليوسف ط يشاء الله ط لأن ما بعده مستأنف نشاء ط عليم ه من قبل ج مكانا ج تصفون ه مكانه ج الثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين ه عنده لا لتعلق إذا بجواب لظالمون ه نجيا ط في يوسف ج لأنه يبتدأ بالنفي مع فاء التعقيب بحكم أصلي لاحتمال ما بعد الابتداء أو الحال الحاكمين ه سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين ه أقبلنا فيها ط لاختلاف الجملتين والابتداء بأنا لصادقون ه أمرا ط جميل ط جميعا ط الحكيم ه **التفسير** روي أنهم لما أتوه بأخيهم بنيامين أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته ثم أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه إليه أي أنزله في المنزل الذي كان يأوي إليه وبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح ولما رأى تأسفه لأخ هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال إني أنا أخوك قال وهب أراد أي أقوم لك مقام أخيك في الإيناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين أراد تعريف النسب لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضرار ونهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والأعمال المنكرة التي اقترفوها يروى أن بنيامين قال ليوسف أنا لا أفارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما ليس بحسن قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال إني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته فذلك قوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك أو الدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب أو من فضة مموهة بالذهب أو مرصعا بالجواهر أقوال ثم أذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع إلى الإيذان الإعلام إلا أن التشديد يفيد التكثير أو التصويت بالنداء أيتها العير المراد أصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كأنها جمع عير وأصلها فعل بالضم كسقف وسقف فأبدلت الضمة كسرة لأجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز لنبي الله أن يرمي بنسبته قوما إلى السرقة وهم براء والجواب أن ذلك كان على سبيل الاستفهام أو المراد أنهم سرقوا يوسف من أبيهم أو المراد إن فيكم سارقا وهو الأخ الذي رضي بذلك البهتان فلا ذنب لأن الخصم رضي بأن يقال في حقه ذلك ثم إن إخوة يوسف قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل الصواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به أي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وأنا به زعيم أي كفيل بالرد وهو قول المؤذن وفيه أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم أيضا وأن حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء بدل من الواو وضعفت في السرقة وهو كفالة ما لم يجب لأنه لا يحل للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقة قالوا ولأجل الإفادة ... الأولى أنهم علموا أن إخوة يوسف ما جاؤوا لأجل الفساد ... وجعلت فيما هو أحق بالقسم ... عن التعرض لسائر الأسماء ... وكانوا ... لا يتناولون زرعا أو طعاما لأحد في الطرق وفي الأسواق ... الأرض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي أنهم دخلوا وأفواه دوابهم مشدودة خوفا من أن يتناول زرعا ... والثاني أنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم ... قالوا أي أصحاب يوسف فما جزاؤه مواظبين على أنواع الطاعات ... وكانوا ... السارق في ... جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة ... ويحتمل أن يعود إلى السارق قال في الكشاف الضمير للصواع وللمضاف محذوف أي فما جزاء سرقته قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان أي أخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير ... يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء ... قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاؤه الرق ... فهو جزاؤه ... وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان أي أخذه ... بالجزائية على أن الأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ليكون الضمير الثاني عائدا إلى المبتدأ والأول إلى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز في الكشاف أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه أما قوله كذلك نجزي الظالمين فيحتمل أن يكون من بقية كلام إخوة يوسف وأن يكون كلام أصحاب يوسف والله أعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما إذا وضع فيه شيء أحاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق إلا أخوه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه فأخذوا برقبته وحملوه ... ثم قال سبحانه كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه وقد سبق فيما تقدم أن أمثال هذه الألفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل إن أخوة يوسف سعوا في إبطال أمره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الحيل أيضا وللعنف كفعلهم بيوسف من الإحسان إليهم انتهاء وفعلهم به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك لأن حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم مثلي ما سرق فلما كان يوسف ما قدر على حبس أخيه بناء على دين الملك وحكمه وعني الله أن أجرى على لسان إخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توسل بذلك إلى أخذ أخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى

الي بعض الدينية او الدنيوية ثم سعيهم في الهداية الي هذه الحيلة كما ادعى ابرهيم على ما حكي عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الالهة الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع
درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه وهو درجة منه في علم ثم ان الملوك استدل انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم
كما تقوله بعض المعتزلة ان كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان الكلام في الجمع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هو دونهم في العلم وهو الله تعالى والدليل على
التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكونه علم زائدا على حقيقته وصفة متميزة من ذاته وفي هذا البحث طول وفي الزمخشري كفاية يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل
بنيامين نكسوا رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع فيها الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها
فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من ابيه او دجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها الاكابر من ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى
ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف الي ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه سرقها وكان
في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الي امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود
الي الكلمة او الجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن الفارسي في هذا الوجه
قائلا ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القران حجة على غيره وقيل الضمير عائد الي الاجابة اي اسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت
الي وقت اخر وقيل يعود الي المقالة او السرقة اي لم يبين يوسف ان تلك السرقة كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب الذم والعار عن ابن عباس انه قال عوقب
يوسف ثلث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون وفي شر
مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون المراد انه يعلم اني لست بسارق على التحقيق والاخي وانتم
اعلم بان الذي وصفتموه به يوجب ذما ام لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان اذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام
شعره على جلده فلا يسكن حتى يمسح بعض ال يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه
فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض واخذ بتلابيبه وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر فخذ
احدنا مكانه استعبادا او رهنا حتى نبعث الفداء اليك فلعل العفو والفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك او من المحسنين
الينا بانواع الاكرام ورد البضاعة الي رحالنا او اراد والاحسان الي اهل مصر حيث اعتقهم بعد ما اشتري رقابهم بالطعام قال يوسف معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني وحي باخذ بنيامين
لا يجب له غيرهم كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين
لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذو نجوى او المراد انهم التناجي في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانه ناعهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جد
ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا نجيا يعني مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر ويحتمل ان يناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه
يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والراي وهو
يهوذا وقوله ما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم واما ان تكون مصدرية محلها الرفع على الابتداء وخبره الظرف وتقديره
ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا انه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما ان يكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من الجناية والخيانة ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر
حتى يأذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتقام ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال
لغيره ارجعوا الي ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق قاله بناء على ما شاهدوا من استخراج الصواع من وعائه او اراد انه كرقمه قول الملك اصحابه كقوله قوم
شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك او المراد ان ابنك ما يشبه السرقة والملاق اسم احد الشيئين على الاخر جائز والقسم مكانه لعنه بعيد اهلنا
منهم الذنب وعن ابن عباس انه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول اي نسب الي السرقة وعلى هذا فلا اشكال وما شهدنا عليه انهم بنوا الامر على الظاهر وما شهدنا
الا بما علمنا اي بقدر ما تيقنا من رؤية الصاع في وعائه وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين ان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع
دس في رحله بالليل من حيث لا يشعر وما علمنا انه يسرق حين اعطينا كالموثق قال مجاهد والحسن وقتادة وما علمنا انا اذا قلنا انه سرق في اسرائيل هو استرقاق
السارق اخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها اكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش اي ارسل

الي اهله فسلهم عن كنه القصة واسأل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء قال ابن الانباري ان يعقوب كان من
الاكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجل معجزة فالمراد سيل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تجيبك بحجم ما
ذكرنا وقيل ان الشئ اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة فقالوا وانا
لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشئ بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشئ فقد يقول بعده انا صادق
فيما ذكرت فلا تزل عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الي ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره
في اول السورة ولكن المفسرين زادوا شيئا اخر فقيل المراد انه خيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير به الي مصر طلبا للمنفعة
فعاد من ذلك شر وضرر والحكم على في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل اراد فتواهم وتعليمهم والا فما دري ذلك الحكم
ان السارق يؤخذ بسرقته واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان
المسروق منه مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه وعظمت محنته على حسن الظن والرجاء انه تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب او لعله علم
بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان يأتيني بهم اي بالثلثة الغائبين جميعا
انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعل من الابتلاء والابلاء. التاويل لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب اوى القلب السر اليه لانه اخوه
الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذا وصلت بي بما نوا يعملون معك في مفارقتي لان السر بينهما كان مغايرا للقلب فقاربنا للاوصاف كان محروما عن
كما لاته وستفد لها فلما جهز القلب الاوصاف بجهاد باد ببحر احوالها جعل السقاية وهي مشربة كان منها شربه في رحل اخيه لانهما رضيعا لبان واعلم لسارقون
سرقتم بي الاوديوسف القلب وشيئا يتموج بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها او سرقتم في الاخر مشربة ليست من مشاربكم وفيه ان منادي الشرب من
مشارب الرجال وهو للذي بعد اخذه السرقة واسترد تفعه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لانه ليس مخصوصا بالشرب مشارب الملوك
لقد علمتم ايها المتولين على يوسف القلب لانه بيد قنا في الارض الدنيا كما قال الله يكن لجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذا خذنا يوسف القلب
والفتيان في جب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها وبخن ادلاه لمن وجد في رحله اي للاشارب شرب ولكل شرب
فدية فدية الشارب من مشرب الدنيا صنعته وحرفته وكسبه وفدية الشارب من مشرب الاخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من مشرب المحبة بذل
الوجود وكذلك نجزي الظالمين الذين وضعوا مواضع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا ليوسف اي لاكمال الاوصاف
البشرية في الابتداء كيوسف القلب اذا القوه في جب البشرية كدنا بهم عند فتيه الاقوات من خزانة الملك فجعلنا فيهم من مراتع الحيوانات يا كلونه كما تاكل
الانعام وفتيه بنيامين السر مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم انتهاء علم الصعود علم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الي المصعد لا يصعد
اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الي الله وهذا صواع لا يسع اوعية الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الي ان السر والقلب
بما انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية الروحانية فانهما تابعون لله سارق من الشهوات الدنيوية والنفسانية ومكارات الاوصاف البشرية غيرة القلب
وعرفت اختصاص التربة ارادت ان تتخذ سيفا وسيلة الي يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا
متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بطلب الجنة فلما استياسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاصحاب
الذميمة للتناجي قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب وهي الصدر
ان صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف البشرية خرجت عن اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستقلة بالاحكام الحقانية حتى
الي ابيكم على الخدام العبودية وتبديل الاخلاق ان ابنك سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفق ومكانا للغيب عند انتحال الغيب الي الشهادة
حافظين لانه جعل السقاية في رحله غيبنا واسأل اهل مصر الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه ان النفس تزينات وللاوصاف البشرية حيا
بلحق يتاذي بها يعقوب بالروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذه قضايه عسى الله ان يأتيني فيه ان متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد والتشاكل فان الله يجذبات العناية يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافتراقهم الحكيم بحالة التفريق والجمع

وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال

انما اشكوا بثي وحزني الي الله واعلم من الله ما لا تعلمون ۝ يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكا
فرون ۝ فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة
فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ۝ قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ۝ قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد
من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ۝ قالوا تالله لقد اثرك
الله علينا وان كنا لخاطئين ۝ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين ۝ اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم
اجمعين ۝ ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ۝
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ۝ فلما ان جاء البشير القيه على وجهه فارتد بصيرا
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ۝ قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خا
طئين ۝ قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ۝ فلما دخلوا على يوسف
اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ۝ ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
انه هو العليم الحكيم ۝ رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ۝

القراءة

مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر وعلى حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد الباقون

جواب لما وقوله الناه حالا او تمييزا لا تقولون خاطئين ذي الرحيم امين سجدا لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين **التفسير** لما
سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والالف بدل
ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تاسف على يوسف
دون اخيه والاخر الذي قام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل الرزايا
فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحياة الاخرين دون حياة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان بسبب الحزن قال
الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين بالمائية الى البياض فيكونها العمى لا يلائم الطبقات ولا سيما القرنية وانصباب المنصوبة الرطوبة اليها
قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشفه الله بقميص يوسف وقال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا او المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين
ابيضت من بياض ذلك الماء وروي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله
انه سال جبرئيل ما بلغ وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط
حزنا على ابني قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم والسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح
الا الان في موضع النصب نحو الكول توكرا واعينهم تفيض من الدمع حزنا وان كان في موضع كرفع الابتداء
قال هو في موضع رفع الابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وتمزيق الثوب
ونتف الشعر فلقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
ان يعقوب امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله فهو كظيم فعيل بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ
فهو الحاصل انه غرق ثلاثة اعضائه
الحب فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف
فلا يوجب العتاب يروى ان ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك
لم تطاوعه من الام انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا لامة محمد ... اي يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا ويحقق هذه الرواية
... الدين الراوي في تتبع وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واول هذا النوع من المحاورة فان منكر المبدأ والمعاد
اكثر من حصاة الوادي على ان المراد منها الاعتراف لا ارشاد الى هذا الذكر حضورا عند المصيبة وقد اخبر الصادق ان هذا مما خصت به هذه الامة والله اعلم
قالوا تالله اظهرا انهم ليسوا الا ادم الذي تولى عنهم ما تمام جماعة كانوا في الدارين ... تفتؤا ... ولا تفتؤ ... حرف النفي لعدم الالتباس
اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت لا يتكلم الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض والفساد في الجسم
والعقل للحزن والحب حتى لا يكون لا كالاحياء ولا كالاموات اما ... وانك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشرف على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكوا
بثي وحزني الى الله قالت العلماء اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا ما لبث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى
الناس فمعنى الاية اني لا اذكر الحزن الشديد ولا الحزن الا مع الله ملتجيا اليه ... وهذا مقام العارفين الصديقين كقوله بثيناء اعوذ بك
منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه عنهم اي تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت
ما بلغت فقال الذي بي لكثرة همومي فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فقال قد غفرتها لك وكان اذا سئل قال انما
اشكوا بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء

ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في تلك الواقعة كانت مختلفة فتارة
كان مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة يستولي الحزن والاسف فلهذا كانت الحادثة بالنسبة اليه كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل قلبه بيوسف
بغير اختيار منه وكان ما نسب عليه وما روي انه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى
بذلك ابتلاءه وتمادي اسفه وحزنه والا فغاية شهرته وشدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم يبعث يوسف اليه رسولا مع تمكنه
وقدرته ولم زاد في حزن ابيه بحبس اخيه عنده واما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان ياتيني الفرج من حيث
لا احتسب وقيل انه رأى ملك الموت في المنام فقال يا ملك الموت هل قبضت ابني يوسف قال لا يا نبي الله فاشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا
وقيل انه كان قد رأى امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله
فظن انه ابنه وعلم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى او سيلقى ابنه ولكنه ما عين
الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا وهو طلب الشيء بالحاسة كالتسمع والتبصر مثل التجسس بالجيم وقد
قرئ بهما وربما يفضل الجيم بطلب المعرفة عند الخبر ولا تياسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته التي تحيى بها العباد وقال الاصمعي
ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكلما يهتز له الانسان ويلتذ بوجوده فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكا
فرون لان هذا الياس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم ينفي العبث والشيء كل
واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا اياس من روحك فافعل بي ما انت اهله ولا تفعل بي ما انا اهله ثم انهم ههنا امتثلوا التقدير فقبلوا
وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا
ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من ازجيتها اذا دفعتها قال الله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال
الكلبي هي من لغة العجم وقيل هي لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق
المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة لانها لم يكن عليها صورة يوسف ولان دراهم مصر تنقش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بايثار التمييز وان يستعرضهم بالردي كما يسعر بالجيد واختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة
ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلعم وقال آخرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقة كانت
محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة
العطية التي يرجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقول الله تعالى متصدق او اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال اللهم اعط او تفضل علي او
ارحمني كان يعقوب امرهم بالتجسس من يوسف واخيه والمتجسس يجب عليه ان يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء فبدءوا بالعجز والا
عتراف بضيق اليد واظهار الفاقة ثم رق الله قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقيل ادي اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل
بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه
الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلم يتمالك
وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم
الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا واما فعلهم باخيه
فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما
اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في اوان الصبى وزمان الجهالة والغرة ازالة الخجالة عنه فان مظنة الجهل الشباب وتنحالكم في الدنيا بالحلم
فنفيتم لون العلم بالقبح يدعو الى التوبة غالبا فانه كما هو عادة الانبياء حث الله على نفسه في المقام الذي يشتفي الغيظ وينفث المصدور ويدرك ثار الموتور
وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم او تبسم
فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كانت ليعقوب وسارة مثلها فقال
انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله وصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز الذي

قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقال وهذا ايضا كان مطلوبا كما كنت ثم صار منعما عليه من الله وذلك قوله
قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفريق انه من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعاته فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اراد اجرهم فاكتفى من الربط بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه
حذف الحركة للتخفيف او المشاكلة وفي الآية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اعترافا منهم بتفضله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء فان احتج بعضهم لان الانبياء متفاوتون في
الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا لخاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب
فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ
ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم ياكله واعترض عليه الامام فخر الدين
الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جماعة من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ كما لكن ليس كل ما
يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم قال يوسف لا تثريب ولا توبيخ وقيل لا اذكركم ذنبكم وقيل
لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد و
التقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب عنه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فضرب مثلا للتقريع المدنف المعنف وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب
او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عتاب الدارين عنهم
وامر الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا وقع بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء ليكون فيه بشارة بعاجل غفران الله بتجدد
توبتهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان
اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم
الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عن رسول الله صلعم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول
يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا او المراد يات الي وهو بصير دليل قوله وأتوني باهلكم اجمعين قيل هو
القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحي اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار
ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه صار منشرح الصدر فتقوى روحه وزال ضعفه روي ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص
ملطخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل
قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر وفصل من البلد
فهو لازم فصل منه وجاوز حيطانه وفصل من اليه كتاب اذا انفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد
بجملة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من
ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ايام ومنع من وصول
خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة
صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند
وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي
ضلالك القديم اي فيما كنت فيه قديما من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما تكابد
على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلة اي فلما ذهب عن ابرهيم الروع وقيل هي مع الفعل
في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه طرح البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا انقلب من العمى الى البصر ومن الضعف الى القوة
قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون قوله اني اعلم كلاما مبتدأ والاكثرون
ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يروى انه سأل البشير كيف يوسف فقال

هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك اي علي دين تركته قال علي دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم اذا ولاده اخذهما يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار
قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الا
جابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال وعدهم دوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة ولا
ما انتهى اليهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو
فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاما مواظبهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا
نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة واختلف في نبوتهم مشهور وحكي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا
ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي وينوكا على يهوذا
فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف و قال
يا ابت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما
قال ابن اسحق الام انه اباه وخالته بنيامين حتى قيل ان بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين
لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة كالام والعم اب فكيف وقد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين
استقبلهم نزل لاجلهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس
ادخلوا مصرا اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله امنين يتعلق بالدخول المكيف بالامن وكانه قيل اسلموا وامنوا لدخولكم وقال ان شاء الله وجواب الشرط
بالحقيقة محذوف التقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما
يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط والشدة او من تعيرهم ايام بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا
له سجدا للسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجد واليوسف وايضا تعظيم الابوين تالي تعظيم الله تعالى فمن اين جاز سجدة ابويه له والجواب عن ابن
عباس في رواية عطاء المراد وخروا لاجل وجدانه سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله تعالى وكذا التاويل في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي لاجلي
سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام
على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور واجيب بان الخرور
قد يعني به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط ورد بانه قوله هذا تاويل رؤياي من قبل يشعر بوجوب
بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا فيحتمل ان تكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر فيه تعظيم
تام للولد وقيل انما سجد الاخوان ليلا يحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغاين او لعله تعالى امر يعقوب بتلك
السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما راى سجودهم له اقشعر جلده ولكن
لم يقل شيئا وكان الامر بتلك السجدة كان من تمام الشدايد والبلية وامر اعلم وقد احسن بي يقال احسن به واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه
من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم تكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وبتلي بالمراة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم
من البدو اي من البادية سمي المكان بلم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواشي يتنقلون في المياه والمفاوز
قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده
اهل الحضر والبدو قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى وجاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخرجهم
يوسف لهذا اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله دون الشر واجيب بانه اسماع على الادب
والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة واما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء
فان ذا ارادحصول امر هيا اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يتسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب
والنحو الاصلح حكي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس
قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبرئيل امرني بذلك
لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه
ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد اتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان

ت

ودون ملك فوقه وعلمتني من تاويل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل للانسان في العمر المتناهي والاستعداد المحصور كل المتناهي من السلطنة
الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات والارض منادى ثان او صفة للنداء الاول اي مبدعهما على النحو الاكمل من مادة سابقة كالدخان او من عدم
محض انت ولي في الدنيا والاخرة لا يتولى اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم الثناء والشكر كما هو شرط الادب الحسن ذكر المسألة فقال توفني مسلما اراد الوفاة
على حال الاسلام والختم بالخير كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني بالصالحين من ابائي او على العموم قيل الصلاح اول درجات الصالحين
فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب اراد بالاباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير والالحاق باهل الصلاح
غير فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية اثر عظيم وفوايد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تنعكس اضواؤها وتتكاثر انوارها الى حيث لا يطيقها
الصحيفة هذا وان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى
كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القايل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول للكافر انه ليس
بناء على اجاب الجبائي والكعبي بان المراد الطلب بالاقامة على الاسلام الى اذا امرته فالحق بالصالحين ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدوره ليس الا
لطف فتعين فحمل الالحاق على الابنياء ويعلمون انهم يموتون على الاسلام البتة فالفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي وايضا في
مقام الخشية والرهبة قال في التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضى بقضائه والقناعة وكثيرا
انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته في
الموت لوجوه منها انحراب الوجود ثلثة المؤثر الذي لا يتاثر وهو الاله تعالى والمتاثر الذي يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير و الصفات
المختلفة والاعراض المتضادة ومتوسطها قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهي ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت
والنفوس في التاثير والتاثر غير متناهية لان تاثيرها بحسب تاثرها مما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له
شعور بنقصانه وقد ذاق لذة الكمال بقي في القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا بالموت فحينئذ يتمنى ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها شريفة
الزوال المشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عن وجدانها ثم انها مخلوطة بالمنغصات والارذال من الخلق يشاركون الافاضل فيها
بل ربما كانت حصة الارذال اكثر فلا جرم يتمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد
قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد
البلع فان الماكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفر ثم كما يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكرنا منفر فكيف به وفرحنا قالت العقلاء من كانت
همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتد اذا الجوع حاجة والحاجة نقص وآفة وكذا الكلام في لذة النكاح
وعيوبها مع ان فيه احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانحجاج
ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مامورا ويحب ان يكون مخدوما آمرا فسعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا
ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين واوان لان كثرة الاسباب توجب قوة حصول الاثر فيكون دايما في الحزن
والحزن فاذا تامل العاقل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فتكون دايما في بحر الآفات وغمرات
الحسرات فحينئذ يتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا في تمني الموت كلام آخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير
لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه
في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هناك الى ان بعث
الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قرابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التاويل انه يعقوب الروح لا يتاسف على فوات شيء من المخلوقات الا
على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظاره مما فاسد على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف اي
اهل السلوة من اهل العشق اين الخلي من الشجي ولا بد للمحب من ملامة الخلق فاول ملامة ادم وهم حين قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها بالاول
ملامة هو الله تعالى حين قالوا له اتجعل فيها وذلك انه اول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من جماله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل
ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان ترك طلب الله والتكلم عن وجدانه كفر فلما تات الاوصاف البشرية اتاه والقوة من رب العزة صفحات احوال يوسف القلب
حين وصلوا بتتبيع احكام الشريعة وتدبير اداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية من انقطاع الحفظ
الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجات العوارف واسباغ كلال العواطف اذا انتم جاهلون اذ كنتم على صفة

الظلوبية والجهولية لقد اثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين في استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تعوق
القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من ابداع وتربية القلب وان كان مضرا له ظاهرا كما ان صنيع اخوة يوسف في البداية صار
سببا لرفعته ومنزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله وملاطفات غيب واردات القلب وهبت نفحات الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم
يا عاذل العاشقين دع فئة اضلها الله كيف ترشدها فارتد بصيرا لان الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب
ورد البشير بما اقر الاعينا وشفى النفوس ونلن غاياتها فالقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق من
اصبعين بالملكة الخلافة بعد التربية في النهاية صار الروح محتاجا اليه للاستنارة بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة المصباح في قبول نار النور الالهي والروح كالزيت فيحتاج
المصباح في البداية الى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتزكيته في النهاية ليقبل بواسطة النار ادخلوا مصر ان شاء الله لانه لا يصل الى الحضرة
الاحدية المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما رأوه وعرفوا انه عرش الحق نعم والسجود كان في الحقيقة لرب العرش لا للعرش هذا
تاويل رؤياي من قبل اذ كنت نائما في نوم العدم اذ اخرجني من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية ما دام في الدنيا من البدو وبدو
الخفي من الملك الوصال والوصول فاطر السموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما اخرجني من قيد الوجود المجازي وابقني ببقائك مع الباقين بك

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين ۝
وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون ۝ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار
الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون ۝ حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ۝ لقد
كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ۝ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝

القراءة سبيلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الآخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وسهل وابن كثير والاعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء

ابن عامر وسهل ويعقوب فنجي بما يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطاء علي بن عيسى بناء على انه فعل مستقبل من الانجاء والنون
لا تدغم في الجيم اوفى النجاة والنون المتحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من النجاة كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه
خطا الاخرون فننجي بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون
بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني المشركين القرى من قبلهم اتقوا تعقلون نشاء لمن قرأ فننجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء
فنجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين الالباب يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من نبا يوسف هو من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا في اخر قصة
زكريا في سورة آل عمران ومعنى اجماع الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح اراد عزمهم على القاء يوسف في البير وهو المكر بعينه او ذلك مع سائر الغوائل من البغي
على قميصه بدم كذب ومن شرائهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه اذا ذكرها فربما امنوا فلما ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر خلق الله للطغيان او اكثر اهل مكة قال ابن عباس ولو حرصت جواب لو محذوف لما
تقدم اي ولو حرصت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الآية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسالهم عليه على ما تحدثهم به من اجر
كما يسأل القاص ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من آية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف التشبيه واي التي في غاية الابهام اذا
قطع عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كلمة مفردة بمعنى كم الخبرية والتنوين عن الآن لا عن اي كما في تلك رجة والاكثر
وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله ان في خلق السموات والارض وفي موضع اخر تفصيل بعض الآيات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفاته
ومن جملة الآيات قصص الاولين واحوال الاقدمين ومعنى يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره
يمرون والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلايل والبينات على وجود الصانع ونعوت
كماله والغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون
له شريكا في المعبودية هم الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن
ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالآية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار والجواب انه مجرد الاقرار لو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك وانا
غاشية عقوبة تغشاهم وتعمهم قل يا محمد لهم هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وسيرتي وقوله ادعوا الى الله تفسير لسبيلي وعلى بصيرة يتعلق بادعو وانا
تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعني
وعلى بصيرة خبرا مقدما ثم يكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل سبحان الله تنزيها له عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا
جليا ولا شركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك اي الانبياء قبلك بغير من لان قبل اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن تفيد استيعاب الطرفين وقوله من اهل القرى خصهم بالاجتباء لان اهلها
اريد استيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل سجاح المتنبية افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال
البادية من الغلظ والجفاء فبما رحمة من الله لنت لهم قال ص من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض ولدار الآخرة موصوف محذوف اي ولدار الساعة
افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب من الواو وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية
او الحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه القراء في التخفيف
لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير فتراخى نصرنا اولئك الرجال حتى اذا استياسوا من النصر او عن ايمان القوم وظنوا وجه التخفيف منها وظن
والتشديد ولامكان عود الضمير في الفعلين الى الرسل او الى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل او السابق ذكرهم في افلم يسيروا والمراد ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار
الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا واما الظن الذي هو ترجيح
قال وكانوا بشرا الا ترى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسوسة وحديث النفس من عالم البشرية وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر
احد الجانبين على الآخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبانه لا يخلف الميعاد مبرؤون عن وصمة الاخلاق ومنها فمنها ان الظن بمعنى اليقين فمعناه
والظفر ومنها وظن الرسل انهم قد كذبوا من جهة المرسل اليهم اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه واما قراءة التشديد والنصر عليهم وان
ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر منهم الايمان فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستيصال او كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب حتى خافوا ان يكذبهم
ما كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم كذبوهم وعن عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا علم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء والعبرة
الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم في قصص الرسل اضافة المصدر الى الفاعل ويحتمل ان يتعلق الضمير باخوة يوسف ولا اختصاص هذه السورة بهم

نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان للملوك الذين عمروا
البلاد وقهروا العباد لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في
الجب واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد طول البعاد قادر على اعزاز محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع
من القصص الذي يعجز عنه الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما
يكون دليله واعتبارا لاولي الالباب واصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه
مستدل قط كان الرئيس الحقيق من لا هلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص وهو المنصوص او القرآن حديثا يفترى لظهور اعجازه ولكن
كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شيء من
واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤل اليها وهدى في الدنيا ورحمة
في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك **التاويل** من انباء الغيب لان هذا التبيين في السلوك لا يعلمه الا الواصلون ملكوت السموات الغائصون في
بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسالهم من اجر لان الله هوتية غير محتاج الى
الناسوتية وان دعتنا الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من آية في سموات القلوب وارض النفوس تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم
عنها معرضون لاقبالهم على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة و
نعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الايمان والطلب انفسهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد
كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله وبقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله فاتاتهم جذبة تقهر ارادتهم
وتسلب اختيارهم لانيل العشق عذابه اسدا وتاتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص به وبامته الا رجالا انما هل
قرى الملكوت دون مكة ذا الاجساد والرجال من القرى ويشير ان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن انهم ليسيروا
في ارض البشرية على قدمي الشريعة والطريقة ليصلوا الى فناء الى عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في ابطاء النصر ابتلاء للرسل اسد حسبي

سورة الرعد مكية وقيل مدنية ومكية سوى اية نزلت بجحفة قوله وهم يكفرون حروفها ثلاثة الاف وخمسمائة وست كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون اياتها ثلث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر

تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ٥
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ٥
وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين يغشي اليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ٥ وفي
الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ٥
وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد ٥ اولئك الذين كفروا

بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٥
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ٥ ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ٥
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده
بمقدار ٥ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ٥ سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف باليل وسارب بالنهار ٥
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر
الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ٥

القراءة وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وابوعمرو ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالجر فيهن عطفا على اعناب يسقى بالياء
المثناة من تحت على تقدير يسقى كله او للتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ورويس الباقون بتاء التانيث لقوله جنات ونفضل على الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون
بالنون على ونحن نفصل ءاذا بهمزتين ءانا بهمزة واحدة على انه بقلب الثانية ياء والباقي كاستفهام نافع غير ورش ويعقوب غير زيد ايضا انا بالمد والباقة مثله زيد وتارة
اذا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اذا بهمزة واحدة انا بهمزة ممدودة ثم ياء يزيد ايضا انا بهمزة ثم ياء فيها ابن كثير مثله ولكن بالمد ابو عمرو واذا انا بهمزتين
عاصم وحمزة وخلف هادي واقي ووالي باقي في الوقف يعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ من قنبل بالياء في الوقف وعن اليزيدي في المتعال
في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل **الوقوف** المر كوفي ايات الكتاب لا يؤمنون والعشي توقنون وانهارا النهار تتفكرون بماء
واحد لمن قرا ونفضل بالنون في الاكل يعقلون جديد في اعناقهم النار خالدون المثلات ظلمهم لتنافي الجملتين العقاب من ربه هاد وما تزداد بمقدار
المتعال بالنهار من امر الله ما بانفسهم فلا مرد له لاختلاف الجملتين وال **التفسير** تلك الايات في هذه السورة الالهة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من
ربك اي القرآن لاهل الحق الذي لا محيد عنه والمراد انه لا تخفى الحقيقة في هذه السورة وحدها ثم اخذ في تفصيل الحق فبدا بالدلالة على صحة المبدا والمعاد فقال
الله وهو مبتدا خبره الذي او الموصول صفة المبتدا وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به اي يسند كالاسطوانة وقوله ترونها
ومنها الكلام مستانف على سبيل الاستشهاد اي وانتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الاية تقديم وتاخير تقديره رفع السموات ترونها بغير عمد وفيه تكلف وقيل
ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم ان للسماء عمدا لكنا لا نراها وما ملك الوهم قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا
يخفى سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان معتمدا على شيء وتسلسل وقال بعض من نقي من حضيض الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هي قدرة الله
وحفظه الذي او قهرها الجو العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا يعرف كيفيته ذلك الامساك اما قوله يجري لاجل مسمى فعن ابن عباس ان الشمس مائة وثمانون
منزلا في مائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد واحد منها في امثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة تامة اقول ان صح هذا عنه فلعله اراد

تصاعدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في ايام الشتاء او ارتفاعها في فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الخارج وان
لها بحسب كل جزء من تلك الاجزاء في كل يوم من ايام السنة تعديلا خاصا زائدا او ناقصا كما برهن عليه اهل النجوم واما القمر فيه في منازله المشهورة وقال سائر المفسر
المراد كونهما متحركين الى يوم القيمة وبعد ذلك تنقطع الحركات وينتهي السير الى كتوله واجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبته لثلث خلون واما قاله في سورة
لقمان الى اجل مسمى مراعاة لقوله بقيل ذلك ومن يسلم وجهه الى الله والقياس فيه كما في قوله اسلمت وجهي لله يدبر الامر اجمال بعد التفصيل اي امر العالم العلوي و
العالم السفلي من اعلى العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف
بالنسبة الى قدرته ويحتمل ان يراد بتدبير الامر تدبير العالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الايات انزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو اثر ذلك العالم في
العالم السفلي ويجوز ان يكون الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الايات اشارة الى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التفاسير اشارة الى اثبات المعاد
لان المقر بتدبيره وتقديره على الانهاج المذكورة لا بد ان يعترف باقتداره على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية ابتعها الدلائل الارضية فقال وهو
الذي مد الارض قال الامام اي بسطها الى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كريتها لتباعد اطرافها وجعل فيها رواسي اي جبالا
ثوابت في احيازها غير منتقلة عن اماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها وزعمت الفلاسفة انها من تاثير السماويات
في الاجزاء الارضية القابلة لذلك الاثر بعد امتزاجها بالاجزاء المائية ونحوها وقد تعين على ذلك نزول الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فلعل اجا
وزعم بعضهم ان البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذب المياه الى ذلك الجانب لان الشمس
تصير في الحضيض اقرب الى الارض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة
والمنخفضة وباعانة من السماويات والاثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله تعالى ومن الدلائل الدالة على وجود
الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الحادثة فيها من احتباس الابخرة واكثر ذلك انما يكون في الجبال فلهذا قرن الجبال بالانهار في
القرآن كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ونحوها من الاجسام المائية من النفط والقير
والكبريت ونحوها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار مدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه وتغذيتها انواع النبات ولذلك قال ومن كل الثمرات جعل
فيها زوجين اثنين وللمفسرين فيه قولان الاول انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعها زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين
بالنسبة الى ذلك النوع كآدم انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعها بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك
من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتاكيد مثل نفخة واحدة اما قوله يغشي الليل النهار فليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فيعاقبه الليل
والنهار من جملة الاحداث السفلية فنقتصر تنبيه في الاعراف وانما ذكر هنا الانعام في اثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي
تسميه الحكماء كرة النسيم وكرة البخار وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاود مرة اخرى
الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومثلا متقاربة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة
وصالحة للزرع لا للشجر اي اخرى على خلافها ونحو هذا لانه ظاهر على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزرع والنخيل
الكائنة في هذه القطع مختلفة الطبائع متخالفة الاثار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل ذلك على ان هذه الاختلافات لا تستند
الى الطبيعة فنقول وكلها بتقدير العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما يكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل
وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلها واحد وعن الاعرابي الصنو المثل وقوله صلعم عم الرجل صنو ابيه ففي الاية
على هذا ان اشجار النخيل قد تكون متماثلة وقد لا تكون والاكل الثمر الذي يؤكل قاله الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الاية السابقة بقوله
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وختم هذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الاتصالات الفلكية
والاوضاع العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج من جنس معين بشكل معين وطبيعة وخاصية متخالفتين ليعلم ان كل هذه الاختلافات
لا تستند الى اشعة كواكب معدودة ولا الى طبايع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وفي الارض قطع الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلاف
الفواعل والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الاثار فلابد للكل سبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده وهذا المقام
لا يجحده الا عادم عقل او فاقد حس والحاصل ان التفكر في الايات يوجب دلالة عقلية ما جعلت الايات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله
ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا العجب
او ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وخلق

الشمس

الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا
يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم ولئن سلم ان المراد عجيب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم التاء فتاويله انه تجوز
على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف اءذا كنا الى اخره قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من
قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نحشر ثم حكم عليهم بامور ثلثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني
اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك لان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار العلم بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار
فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبايع والافلاك او انكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي وتمييز اجزاء
بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو وانكار الصدق كما اذا قيل انا اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة
وكل واحد من هذه المقالات كفر فضلا عن جميعها الثاني اولئك الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام
يقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الرديء اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال اخرون هو من جملة الوعيد ولابد من تجويز على القولين اما
الاول فظاهر واما الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويتوجه القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول
قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الثالث واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما تستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون
في النار ويمكن ان يناقش في افادتها الحصر ثم انه صلعم كان يهددهم تارة بعذاب الاخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة بعذاب الدنيا
فيستعجلون به زعما منهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله ويستعجلونك بالسيئة بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان
اليهم بالامهال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون واصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه لان العقاب
مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك انه ليس تغييرا كليا [illegible] الصورة
الاولى وانما ذلك تبقى الصورة معه قبيحة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لانه
قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا لكن الاية دلت على انه تعالى يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ثم حمل
بها في حق الكافر فيبقى معمولا بها في حق اهل الكبائر لا يقال ان المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الاخرة ليقع جوابا عن استعجالهم او المراد غفران الصغائر
لمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فاما تاب والاخير تشديد العقاب لانا نقول تاخير العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار
وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب الباقي مامر عن قريب ولولا
عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد قال اهل النظم ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشر ثم طعنوا
في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقد تقدم
مثل هذا في الانعام في تفسير قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه ويجيء مثل هذا في هذه السورة وقيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول اية ما كانت حجة
ما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الاية وبالثاني اية ما لانهم لم يهتدوا الى القرآن اية فوق كل اية وانكروا سائر اياته صلعم او لعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر
المعجزات فاجاب سبحانه تسلية لرسوله انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بشيء من المعجزات ففي هذا التقرير منذر نبي والهادي نبي لان الاول محمد والثاني نبي كل زمان وقيل
وقيل المنذر محمد والهادي هو الله قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم جحدوا كون القرآن معجزا فلا يضيق قلبك بسببه فما عليك الا الا
نذار واما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبي والهادي هو علي روي عن ابن عباس انه لما نزلت وضع رسول الله صلعم يده على صدره فقال انا المنذر ثم اومى الى منكب
علي فقال يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي قال في التفسير الكبير ثم اكد المعاني المذكورة في الايات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قدر
على تمييز اجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله وكذا انزال الايات يكون موكولا الى تدبيره
فان علم ان المكلفين اقترحوها لا لاجل الاسترشاد ومزيد البيان اظهرها الله لهم والا فلا وفيه ان اعطاء كل منذر ايات خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم
النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول الثاني فيه انه منزه عن قدرته وهو عالم هو القادر وحده على هدايتهم باي طريق شاء وعلى هذا الاحتمال يكون
خبر مبتدا محذوف والجملة تفسير الهادي اي هو الله ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال في الكشاف لفظ ما تحمل وما تغيض وما تزداد واما ان
تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها او غيوض ما فيها وزيادته على ان الفعل غير متعدين فاسند الفعل الى الارحام وهو
لما فيها او لانه زيادة وانتقال من زاد [illegible] الا وانه يتعدى ولا يتعدى كنقص وقد او موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وانوثته وتخاطيط
اعضائه وسائر احواله من السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداد من العدد فقد

يكون واحدا او اكثر من المخلقة فقد يكون تاما او مخدجا من المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او ازيد الي سنتين عند ابي حنيفة والي اربع عند الشافعي والي
خمس عند مالك ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شيء
عنده بمقدار بقدر وحد لا يتجاوزه في طرفي الافراط والتفريط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا وذكر انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين
وحالة معينة حسب مشيته الازلية وارادته السرمدية قال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها
المقدرة بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد واحوالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله
عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدوم وبالموجود الكبير في ذاته لا بحسب الجثة
بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعال المتنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ثم زاد في التأكيد فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر
به اي مستو في علمه هذا لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه احد الحالين وسواء عنده من هو مستخف بالليل وسارب علي ان سارب معطوف علي من او علي
مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين احدهما مستخف والاخر سارب والا لم يتناول الا واحدا الاول ان المستخفي هو المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب
من يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد يقال سرب في الارض سروبا اي ذهب في سربه بالفتح والسكون وهو الطريق ويؤيده قول مجاهد
معناه سواء من يقدم علي القبائح في ظلمات الليل ومن يأتي بها في النهار الظاهر علي سبيل التوالي وثانيهما نقل الواحدي عن الاخفش وقطرب المستخفي الظاهر من قولهم
اخفيت الشيء اي استخرجته والسارب المتواري الداخل سربا ومنه انسرب الوحشي اذا دخل في كناسه وهذا ان صح من حيث اللغة لكن ترتيب الليل
والنهار انما يناسب القول الاول ولهذا اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجري في الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحالي المستتر والمعلن فقال له
اي لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة يعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت او هي علي اصلها من عقبه
بالتشديد اذا جاء علي عقبه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة اي ملائكة معقبة
او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس من صلة الحفظ لانه لا قدرة للملك ولا لاحد من الخلق علي ان يحفظوا احدا من قضاء الله وانما هو صفة اخرى كانه قيل
له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه وفي بعض الآثار وقراءة علي وابن عباس و
غيرهما ويجوز ان يكون صلة علي معنى يحفظونه من بأس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله عن اليمين وعن
الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته
وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان كلا من المستخفي والسارب لو اسعي في مهماته فانما يحذر من الجهتين واما الفائدة في تسليط هؤلاء
الملائكة علي بني آدم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الي المعاصي والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الي الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات
الشريفة واذا علم ابن آدم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله استحيى منهم وكان ذلك له رادعا وقرينا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله ويرسل عليكم
حفظة فليتذكر وللآية تفسير اخر منقول عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس واعوان الملوك والجلاوزة وهي قوله له معقبات صفة للمستخفي
والسارب او حال منه لكونه نكرة موصوفة اي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونين والانصار والمقصود
بعض الامراء والسلاطين علي ان يطلبوا الخلاص عن المخاوف بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الآية بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم
من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة في هذا الكلام دلالة علي ان العبد غير مستقل في الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك انه حكم بكونه مستحقا
للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة فلو كان العبد مستقلا بحصول الايمان وكان مراد القضاء ادتم وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو
قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدأ العبد اول ما يبلغ بالضلال والخذلان لكان ذلك من اعظم العقاب مع اشكال تغيير
قال الواحدي وليعلم ان الله لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بانفسهم من نعمة الله فيغير الله ما بهم من النعمة الي العقاب واجابت الاشاعرة
بان هذا راجع الي قوله ويستعجلونك بالسيئة بذلك انهم لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم الاصرار علي الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم انهم
لا يؤمنون او في اعقابهم من يؤمن فانه لا يستأصلهم ورد بان هذا خلاف الظاهر وقد صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الآية و
ان ترتب النقمة علي تغيير النعمة لا ينافي اسناد تغيير النعمة اليه وانه مبدأ المبادي ومنتهى الوسائط ومسبب الاسباب التأويل المر انا الله لا اله الا
هو الحي القيوم الذي له مقاليد السموات والارض الي مالك يوم الدين الرحمن رب العالمين من الازل الي الابد فانتم بهذه الامور ان الذي انزل علي محمد هو الحق وانه حبل
الذي به يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الي ذروة عالم الحقيقة لانه الله الذي رفع السموات بغير عمد فكما انه رفع السموات بغير عمد فكذلك يرفع الدرجات بجذبة
او كما انه رفع السموات الحسية بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بجذبة العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب او النفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما

ما تظهر هذه الغرائب والعجائب لحصول كمال الايقان بالرجوع الي الله والفناء فيه بل البقاء ومن حسن تدبيره انه مد ارض البشرية وجعل فيها رواسي من الا
وصاف الروحانية وانهارا من منابع العناية ومن كل الثمرات وهي الملكات والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة واخرى نفسانية ذميمة
الاولى نورية كالنهار والاخرى ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشي الليل النهار وفي ارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس
والقلب والروح والسر والخفي حيوانية وملكوتية وروحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هي هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هي
ثمرة النفس من الصفات التي هي اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي منها غذاء الروح ونخل
الروح ذو الاخلاق الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتي المكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب
والعبد فانه اذا حكى السر للعبد كان الحكي مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف علي اسرار العظموت التي لا اشكال لها ولا امثال ولا يحكي العبد كما قال
فاوحى الي عبده ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه يسقى بماء واحد هو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل انثى اي ما في استعداد كل مستعد من
الفضائل او ما في كل ذرة من ذرة المكونات من الخواص والطبائع او ما في كل منها من الآيات الدالة علي موجدها سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
وما تغيض الارحام وما تزداد اي ما نقص من الاستعدادات في جانبي التفريط والافراط او المراد ما ينقص من ارحام الموجودات والعدم وما فيها وجوديا
نقص من رحم العدم واحد وزاد في رحم الوجود واحد وبالعكس في جانب العدم مستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود له اي لله معقبات من العلم والقدرة من
بين يدي المعلوم ومن خلفه اي في حالة عدمه ووجوده من ازله الي ابده يحفظونه من امر الله اي لاجل امره حتى لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من
الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استدعاء الوجود او العدم بلسان استحقاق الوجود او العدم كما تقتضيه حكمته وتدبيره

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ۝ ويسبح الرعد بحمده والملا ئكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال ۝ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا
كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ۝
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ۝
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور
ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء
وهو الواحد القهار ۝ انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل
زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس

فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ۝ افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ۝ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ۝ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار ۝ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ۝ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ۝ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب ۝ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ۝ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ۝

نصف الجزء

القراءة كما بسطناه بسطة وتقدم في البقرة ام هل تستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بتاء التأنيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والباقون على الخطاب اما المكرة في قوله قل افاتخذتم ترونا للكافرين على العموم كان القراءة الاخرى الضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام **الوقوف** الثقال لاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ مخففة كذلك ۝ لله لاحتمال الواو الحال والاستيناف للحال الآية وانقطاع النظم دعوة الحق ببالغه ضلال والآصال السجدة والارض قل الله ولا ضرا والبصير للعطف والنور لاحتمال ان يكون هذا استفهام بلا من الاول عليهم القهار رابيا مثله والباطل جفاء لاتفاق الجملتين يكون اما للتفصيل في الارض الامثال الحسنى لافتدوا به الحساب جهنم المهاد اعمى الالباب الميثاق للعطف سوء الحساب الدار قوله جنات عدن بدل من عقبى من كل باب لحق المحذوف اي قائلين والاولى عقبى الدار في الارض سوء الدار ويقدر الدنيا متاع من ربه اناب بذكر الله القلوب مآب **التفسير** لما خوف الله عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه بذكر آيات تشبه النعم من وجه والنقم من بعضها وهي اربعة البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء في اسباب حدوثها وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين واما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اي لارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط المفعول له ومعنى الخوف والطمع الخوف من وقوع الصواعق والطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر اما بحسب الزمان او بحسب المكان ففي البلد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلعم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبي صلعم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله وخصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا في الحياة وقيل المضاف محذوف

اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له وملتبسين بسبحان الله والحمد لله وعن علي رض سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلعم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان هذا الصوت المخصوص لهوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده تمام في الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملائكة من خيفته اي تسبح الملائكة من هيبته واجلاله فقد يعرف من على يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء وقال الحكماء انهم الآثار العلوية بقوى روحانية فلكية وللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار فهذا هو المراد بالملائكة في الآية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها تتولد في السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتسخيره ولما بين دلائل العلم في قوله الله يعلم ودلائل كمال القدرة في هذه الآية قال وهم يجادلون في الله لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد عقيق ويحتمل ان يتعلق اخا لبيد بن ابي ربيعة اقبلا يريدان رسول الله صلعم فقال رجل من اصحاب رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل الامر بعدك لي قال لا ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رأيتني اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله يقول اخبرني عن ربك امن نحاس هو ام حديد فدار اربد خلف النبي صلعم ليضربه واخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتلت اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله صلعم يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه بجناحه فاذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية ثم مات على ظهر فرسه وانزل الله الآية في هذه القصة وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماحلة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعله اي القرآن لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب ولهذا اجاب النبي في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قول لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق في اول الكتاب في تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اي الآلهة الذين يدعوهم او يعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من الاستجابة كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كلاهما مشترك في الخيبة لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبته ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لخساسة امرهم عنده وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم ثم زاد في التبكيت فقال ولله يسجد من في السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المؤمنين لانهم يسجدون له طوعا اي بسهولة ونشاط وكرها اي على تعب واضطرار ومجاهدة واما في حق الكافر فمشكل ووجهه ان يقال المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظيره وله اسلم من في السموات والارض وقد مر في آل عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله للظلال افهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال افهاما حتى اشتغلت بتسبيح الله وقال آخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهي منقادة مستسلمة لما اتاح الله لها في الاحوال وتخصيص الغدو والآصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في الوقتين ومعنى الغدو والآصال مر في آخر الاعراف واعلم انه سبحانه ذكر آية السجدة في النحل بعبارة اخرى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم فلم يكن فيه ذكر الملائكة والانس بالصريح فعم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض بتكرير من لانه

من لانه تقدم ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم وطاوذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم وما يليق بهذه السورة حتى تقدم ذكر
العلويات من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم الى ذكر الاصنام والكفار وبنداء في اية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض بتعا ولم يذكر من فيها استخفافا
بالكفرة واصنامهم فتبين انه وضع كل آية بما لاق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التعجيز بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض
قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا لا يقود المناظر لصاحبه وهنا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقرار اشياء امانه
ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم وجواز ان يكون تلقينا لما ليسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب
السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادات عاجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من
العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا ابعد ذلك اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وانكر ان يكون
شيء منها مساويا لنقيضه فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المخرجة غير محصورة والصراط المستقيم
واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق
الله حتى يتشبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب
فما عداه مربوب ومقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله منزه عن ذلك
واجيب بان المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثل التحريك الواقع بقدرة الله تعالى
وهذا الاشكال وارد على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية اي مياهها والوادي الفضاء
المنخفض عن الجبال والتلال الذي فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودي اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعلة الا
هذا وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة كاجربة لان فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب وانصار في صاحب وناصر وقالوا في
تيار واد واودية ناد واندية ومعنى التنكير في اودية ان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قال في الكشاف معنى
بقدرها بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم بدليل قوله وما ينفع الناس قال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الاودية فان صغر الوادي
قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من ربا
يربو اذا زاد ثم قال سبحانه انها والكبريت كالاعمدة الملوك ومما توقدون عليه من لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله
اراد به الاجسام المتطرقة الذائبة والايقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء في النار كالاجر في قوله او قد لي يا هامان على الطين والثاني ان يكون في
النار كانواع الفلز فلهذا قال هاهنا بزيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز ذكر
وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة وما تخاذ سائر اثاث البيت وامتعة من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتخذ منها والمتاع كلما
يتمتع به كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في آخر الآية فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل من الثاني
تأكيدا للمقصود مع نهاية الاختصار ثم شرع في تتميم المثل قائلا فاما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفا الوادي جفاء اذا رمى
بالزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض حاصل المثل ان الوادي اذا جرى طفا عليه زبد وذلك القدر اذا رمت
من الماء النافع في العيون والابار والانهار وكذلك الاجساد المتطرقة اذا اذيبت لاجل اتخاذ الحلي او سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويبقى ثم
ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به زمنا متطاولا وتطبيق المثل على الحق والباطل انه سبحانه انزل من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت اودية القلوب بقدرها فان كل
قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده وكما انه يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالآخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين
كزبد السيل والفلز مثل للباطل في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من المنفعة والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر احوال السعداء و
نتيجات الاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اي ينقادوا دعاء اليه من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له
اخر جزء الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما قبله اي يضرب الله الامثال لهذين الفريقين وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا الحسنى وقوله لو ان لهم
كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين ومن ذلك قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج لان كفرهم احبط اعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن
النخعي هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقالت الحكماء هو ظهور آثار الملكات الردية والهيآت الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها
لاشتغاله بعالم الحس ومأويهم جهنم لانهم ابتلوا في الدنيا واعرضوا عن المولى فلا جرم اذا ماتوا فاتوا معشوقهم فاودتهم الحرمان والحسرة والاحتراق بنار
الفراق ثم انكر بعد هذه البيانات ان يستوي بين الناقد البصير والجاهل الضرير فقال افمن يعلم انما اي الذي انزل من ذلك الحق كمن هو اعمى الغلب انما يتذكر الله

وفي

ينتفع بالامثال الا اولوا الالباب الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز ان يكون نصبا على المدح وان يكون
مبتدأ وخبره اولئك اما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي او سمعي من الافعال والتروك
ولا عهد اوكد من الحجة بدليل من احلف في الشيء فانما يلزمه الوفاء به اذا ثبت بالدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تاكيد للوفاء بالعهد بعبارة اخرى يلزم الا
كقولك لما وجب وجوده لزم ان يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما الهمه الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
والوفاء بالعهد مستحسن في العقول والشرائع كلها قال الحسن بن عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل افراد الايمان
وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل موالاة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل رعاية جميع الحقوق الشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل
حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم ومن يليف به حتى الهرة والدجاجة ويخشون ربهم بل ما قدروا عليه من
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كلا ويخافون سوء الحساب ويلزم ذلك ان يحاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية
الجلال كالعبد اذا احضر بين يدي السلطان ومن ذلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا اشار بقوله ويخشون ربهم وخشية ان يقع في العبادة
خلل او نقص يوجب فسادها او نقصان ثوابها والى هذا الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب والذين صبروا عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم
لا لاجل ان يقال ما اصبره وما ازهده وما اصبره وغير ذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا او لا
لا يمتنع يام لا لتلذذ بالنظر الى وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه في بحر العرفان ومنها انوار المعروف عليه واقاموا الصلوة ولا يمتنع
دخول النوافل فيها لقوله ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ثبتا ول النفل لانه في السر افضل والفرض لانه في الجهر
افضل كما مر في آخر سورة البقرة ويدرؤون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالتوبة وهي الخصلة الحسنة المعصية قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها
حسنة تمحها وقيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان يدفعون بالكلام
الحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم يروى ان شقيق بن ابرهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال من اين انت قال من بلخ فقال هل تعرف شقيقا
قال نعم فقال كيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا شكروا واذا اعطوا
آثروا وقيل معنى الآية انهم اذا رأوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي ارادها الله ان يكون مرجع اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة
مثل البشرى والقربى ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة ومعنى جنات عدن تقدم في سورة براءة ومن صلح عطف
على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج بين الله ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل
معها الاعمال الصالحة قال الواحدي والاول اصح لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه في الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة ويمكن
ان يوجه قول الزجاج بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون به في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون
في موضع ولقائل ان يقول الاصل اعم من الاجماع ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدي والآباء جمع ابوي كل واحد منهم مكانه قيل ابائهم وامهاتهم
وليس في الآية ما يدل على تمييز زوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه ويؤيده ما روي عن سودة انه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا
رسول الله احشر في زمرة نسائك قال ابن عباس لهم خيم من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ابواب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب
يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البركات الصلوة وباب الصبر يقولون نعم ما اعقبكم الله بعد
الدار الاولى وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمال لا جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة تفيض على النفس
الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كمال مخصوص كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالآية على ان الملك افضل من البشر والا لم يكن دخولهم
على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بالسلام والمعنى انما
كم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وعن المحرمات وقيل يتعلق بمحذوف اي هذا الثواب بسبب صبركم او بدل صبركم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي
قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيرها في اول البقرة على ان الضد قد
يعلم من الضد بجهوله وتفخيما لشأنها وقوله سوء الدار في مقابلة عقبى الدار كان العاقبة لا يطلق الا على العاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا تستاهل ان تكون عاقبة
وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها وذكر اهل النظم انه لما
بين سوء حال الناقضين كان لقائل ان يقول فما بالهم قد فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق والمراد ان الدنيا دار امتحان لا
دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر في البلاد والعالم المؤمن رديء الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان والتركيب للحصر اي هو وحده يبسط

الرزق على من يشاء كاهل مكة ويقدر اي يضيق ومعناه ان يعطيه بقدر الحاجة وسد الرمق لا يفضل منه شيء وفرحوا يعني اهل مكة واضرابهم بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها في جنب نعيم الاخرة الا متاع نزر يتمتع به ايام قلائل ثم بعد ذلك حسرة لا غاية لها ومثل هذا يوجب الغم لا الفرح بل لا يجوز ثم حكى نوعا اخر من قبائح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا انه ليس بتكرار محض الا ان قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض وجوابه انه يجري مجرى التعجب كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزلت من الايات الباهرة ان الضلال والهداية من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايات فان الذي اضله الله يري الاية سحرا والذي هداه يراه معجزة وقال الجبائي المعنى ان الله يضل من يشاء عن طريق الثواب ويهدي اليه اقواما اخرين فلولا انكم تستحقون العقاب لهداكم الى الثواب باعطاء ما اقترحتم وقيل المراد انه قد انزل ايات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية منه فلو شاء لهديكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت واطمانت والاطمئنان باية الوعد لا ينافي الوجل من ايات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله وجلت قلوبهم او المراد انه علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه نعم واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبان محمدا نبي حق الا بذكر الله تطمئن القلوب التحقيق فيه ان الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد اشتاق الى التصرف فيه فيظهر له هناك امور ضرورية في التعيش او وهناك ليس باهون من خرط القتادة فيشوش فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يزول الاضطراب ويتوحد المطلب ويحصل الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي اين وقع شعر انا الغريق فاخوفي من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا ينقلب جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين امنوا مبتدا خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا والمعنى طيب لهم على الدعاء او الخبر عن ابن عباس فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب ولكل متقارب والعبارة الجامعة ان اطيب الاشياء في كل الامور حاصل لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصم ان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والماب التاويل هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصال ورجاء الاستسعاد وينشئ سحاب النوال والافضال الثقال بمطر القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة يسبحون من خيفته ويرسل صواعق القهر كالفلاسفة الذين لا يتابعون الانبياء والشرائع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيب له فانه قالتا السموات والارض ايتنا طائعين وما سواه دعاة يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يتأتى من الخلق نعيمهم كمن يبسط يده الى الماء اراءة الى الحق انه يريد قربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة فان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على الهوى كما دعوا الى الحق بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح وليس شانها الانقياد الا بالسوء الا ما رحم ربي فانها تسجد بتبعية الروح بعد اخر ولله يسجد من في سموات القلوب من صفات القلوب والارواح والعقول طوعا ومن في ارض النفوس من صفات النفس والقوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي اثارها ونتائجها اخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة وظلالهم وهي اجسادهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان اثار القدرة فيها اكثر وان اريد الانقياد فالتخصيص يحتمل ان يراد بالغدو والاصال النوم فني الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء الحكمة فسالت اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية او انزل من سماء القلوب ماء مشاهدة الجمال فسالت اودية القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجلال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا من انانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما توقدون عليه من النقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي التزكية ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي او متاع وهو التمتع به زبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لنبوة الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهو العناية الازلية الى الاستجابة من نتائجها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في الارض البشرية من انواع

لك

الذات والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء الم عذاب القطيعة وانفقوا اعمارهم في ذلك اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سوء الحساب بالانقطاع عما يتصلون به طلبهم وعلانية بالانفصال عما يتصل ظواهرهم ويدرؤن بالحسنة الاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقايع والفترات والملائكة يدخلون عليهم تترى ويتبعهم تبعا لهم من كل باب دخولها بالاستقالة على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن فاطمئنانه بذكر الله كما في الاية وقلب وحداني هو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل صم ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي صفة الاحياء فاذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمئنان من مراة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتختص بجذبات العناية لخطاب ارجعي ثم اشار الى ان الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين امنوا الاية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم تكن الا في قلب النبي صم وبتبعيته في قلوب المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة كلهم والله اعلم بمراده

كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم يايئس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا

طمئنان

رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله

لكل اجل كتاب ۝ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ۝ وامانرينك بعض الذي

نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۝ اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم

لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ۝ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم

الكافر لمن عقبى الدار ۝ ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ۝

بالله شهيدا م

القراآت متاب وعقابي ومابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندبي عن قنبل وافق سهل وعباس في الاصل بلا زين ويمحو بالادغام يحيى وهشام وصيدا بضم الصاد وكذلك في حم المومن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الاخرون بالتشديد من التثبيت الكافر على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير الباقون الكفار على الجمع **الوقوف** الرحمن لا هو لا لانقطاع النظم مع اتحاد القايل متاب الموتى لان جواب لو محذوف اي لكان هذا القرآن جميعا في المومنين وعد الله الميعاد اخذتهم للاستفهام مع الاعتاب بما كسبت لحق الخبر المحذوف التقدير كمن لا ينفع ولا يضر ولاه قوله وجعلوا يصح استيناما او حالا باضمار قد شركاء سموهم لحق الاستفهام من القول عن السبيل هاد اشق لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والموصل وجه يذكر في التفسير الانهار وظلها اتقوا قد قيل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان اولى على الاتيناه النار بعضه ولا اشرك به مآب عربيا العلم لان ما بعده جواب واق وذرية باذن الله كتاب ويثبت والوصل اجوز لتمام المقصود الكلام الكتاب الحساب اطرافها لحكمه الحساب جميعا كل نفس الدار مرسلا وبينكم لعطف الكتاب **التفسير** عن ابن عباس والحسن ارسلناك كما ارسلنا الانبياء فبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقال اخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم واعطيناهم كتابا تتلى عليهم كذلك اعطيناك هذا الكتاب وانت تتلوا عليهم فلم ينكرون وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلو اي لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن للمفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله المراد كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلعم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل النبي صلعم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلعم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الاية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم بالملائكة يعني الاسم على الله تعالى لا على جحودهم او اشراكهم روي ان اهل مكة قعدوا في فنا الكعبة فاتاهم رسول الله صلعم وعرض الاسلام عليهم فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن ابي امية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى يتفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموانا لنسالهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست باهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها او زلزلت عن مراكنها او قطعت به الارض اي وقع به السير في البلاد وقوق المعتاد او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى بعد احيائهم لكان هذا القرآن قال الراوي فلما جرى عن رسول الله صلعم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سالتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفرتم يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقال في الكشاف هذه الاية لبيان تعظيم شان القرآن ويعني تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الاية متعلقة بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبعد ذلك هذا الكلام وهو قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما

اعتراض ثم قال وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال لكفروا به ولم يومنوا عليه كما قالت المعتزلة لذلك الايات التي اقترحتموها الا ان علم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والاعتراض لاحد عليه قالت المعتزلة لا يان اظهارها مفسدة بعد تعذاوله ان يلجيهم الى الايمان الا انه بنى امر التكليف على الاختيار قالوا ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله مشية الا لجاء لهدى الناس جميعا اولو يشاء لهدى الى الجنة او المراد نفي العموم لا عموم النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة ان كل ما ذكرتم خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقال الزجاج انه مجاز لان اليأس عن الشيء عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويويده قراءة علي وابن عباس وجماعة افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انه قرأتم اصل والمشهور تصحيف وقع من جهة ان الكاتب كتبه وهو مستوي السنات وهذا القول سخيف جدا لان الحق باولئك الثقات الحفظة غير ذلك وهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية وجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا معناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء قارعة داهية تفزعهم من السبي والقتل او تحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى ياتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيمة وقيل خاصة في اهل مكة وكان رسول الله صلعم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اي تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما في يوم الحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد فكان يعجز ان الله لا يخلف الميعاد قد مر البحث عليه في اول سورة آل عمران ثم زاد في الوعيد فقال ولقد استهزئ الاية والاملاء الامهال وقد مر هناك والاستفهام في قوله فكيف كان عقاب للتقرير والتهديد ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وفي القايم الحفيظ والرقيب اي الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر الشيخ صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو في وجعلوا للحال ويضمر للمبتدا خبر يكون المبتدا مع جملة مقررة لانكار ما يقارنها من الحال والتقدير افمن هو قايم على كل نفس موجود والحال انهم جعلوا شركاء في قيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا لتقرير الالهية وتصريحا بانه هو الذي يستحق العبادة وحده ثم زاد في الحجاج فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم لمن هم وبينوا بلسمايهم ماذا يقال ذلك في الشيء المستحقر الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال اسم ان شئت يعني انه اخس من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعله وقيل المراد سموهم بالالهة على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف قوله وذلك لانه لا شيء محض اذ لو كان الشريك موجودا وهو في الارض لتعلق به علم العالم الذات المحيط بجميع المعلومات ونحوه قوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء وهذا الاحتجاج من اعاجيب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز ولله در شان التنزيل ثم بين سوء طريقتهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم قال الواحدي معنى المكر هاهنا الكيد او ذلك الدليل فانه لا فايدة فيه ان كذبي وكفري والكلام في انا المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في اول سورة آل عمران وكذا البحث في قراءة وصدوا اجتهم الصاد واما من قرا بالفتح فيحتمل ان يكون لانها اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع آخر الاعراف ثم عاد الى الايعاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والقتال واللعن والذم لا المصايب والامراض لانها قد تصيب المومنين ايضا ولانها ما مور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الاخرة اشق لانه اشد وادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او مانع من جهة الله واقي كافي وما نع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختيارهم وحكمهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فايدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دايم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار كما تعلم من حال جناتكم الا ان اكلها دايم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دايم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الاية دلالة على ان حركات الجنة لا ينتهي الى سكون دايم كما يقوله ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال ولم ننكر ان يحصل الآن في السموات جنات يتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة واجيب بان تخصيص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقايد الفرق في شان القرآن المتلو فقال والذين اتيناهم الكتاب وقيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرايع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرايعهم وعقايدهم وانما انكروا ما يختص به الاسلام من نعت الرسول صلعم وغيره قال الحسن وقتادة واعترض عليه بان اهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم فلا فايدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد لانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالعبوس والجهامة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمراد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم امنوا به وصدقوه والاحزاب بقية اهل الكتاب والمشركون قال ابن عباس قال مجاهد ارادوا اليهود والنصارى

كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الي رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم
واجيب بالمنع من ان ما تفيد العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه ولو تكريرا ودخلا بعض ولا نقض ثم لما بين عقايد الفرق امر نبيه بان يصرح بطريقته فقال
قل انما امرت ان اعبد الله ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظايف العبدية ثم ذكر انه مع ذلك يدعو اليه فقال اليه ادعو واخصه بالدعا الي
عبوديته ودون غيره كاينا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تامل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة علي حاصل علوم المبدا والمعاد
ثم ذكر بعض فضايل القرآن واوعد علي الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الي ما في قوله بما انزل اليك او الي القرآن في قوله ولو ان
قرانا ومعه التشبيه كما انزلنا الكتب علي الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال في الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه ماموراً فيه بعبادة الله
وتوحيده والدعوة اليه والي دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب علي الحال اي حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم علي جميع المكلفين بقبوله
والعمل به او لانه اشتمل علي اصول الاحكام والشرايع فجعل نفس الحكم للمبالغة روي ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلعم الي امور ليوافقهم فيها منها ان يصلي الي قبلتهم
بعد ما حوله الله عنها فاوعد علي ذلك عن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وقد مر الوجوه في مثله اوايل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلعم وقالت
ما نري لهذا الرجل الا النساء والنكاح ولو كان نبيا لا زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الآية وبيانه انه كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك
وما كان لهم بنقص من قبل الزواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعماية سرية ولداود مائة وذراري يعقوب اكثر من ان تحصي وكانوا يقترحون
الآيات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان ياتي بآية الا باذن الله ولا بد للانبيا من معجز واحد والزايد علي ذلك بل اصل النبوة وتعيين المعجز الواحد مفوض
الي مشيته تعالى لا يحكم لاحد عليه وكان رسول الله صلعم يخوفهم بنزول العذاب وظهور دعوة الاسلام ونصرته فكانوا يكذبونه ويستبطئون موعوده فاجيب بقوله
لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتاخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا القلب اي لكل مكتوب وقت معين وفيه
انه لا حاجة الي ارتكاب القلب لان المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرايع والتكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغني بالاول
عن الكناية والمحو ذهاب اثر الكتابة ونحوها وفي الآية قولان الاول انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة
والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلعم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الي الله في ان يجعلهم سعداء
وان كانوا اشقياء وهذا لا ينافي قوله جف القلم لان المحو والاثبات ايضا من جملة ما قضي به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه
وقد مر تمام البحث في النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل فيثبت غيره واعترض
الامام عليه بانه ينافي قوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغاير الذنوب وكبايرها او بان هذا اصطلاح
المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم فيتناول المباحات ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقيل يثبت الاخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلعم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الي يوم القيمة
فلهما عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتب الملايكة علي الخلق وهو محل المحو والاثبات روي ابو الدرداء عن النبي صلعم
ان الله سبحانه في ثلث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع
الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير المتزمنات وتبدلها وتدرج تحققها في مواضعها ولما بين كيفية انطباق الحوادث علي اوقاتها قال واما نرينك
يعني كيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من العذاب او توفيناك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وجزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعني التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر ان آثار حصول تلك المواعيد واماراتها قد ظهرت وقربت وان بشاير الظفر قد طلعت ولاحت فقال اولم يروا انا ناتي
الارض يعني ارض الكفر والفتنة بدليل ننقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون ينالون من اهاليها ونواحيها بالغزو والسرايا والجيوش والآن
صارت الارض امن واشد وسد الحرج علي اعقاب المسلمين زاده الله علوا فما يزال ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في ديار الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد ينقص
اطراف الارض موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي الاليق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه
التغيرات فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة بعد ان كانوا اعزة والله يحكم لا معقب لحكمه نصب علي الحال والمعقب
الذي يكر علي الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال وكانه قيل والله يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب عن ابن عباس يريد سريع الانتقام فيما فيهم في الدنيا
ثم في الاخرة ثم سلي نبيه صلعم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسي واليهود بعيسي فلله المكر جميعا قال الواحدي لان مكر جميع الماكرين
بتخليقه وارادته ولا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الي مكره وقيل اراد فلله جزاء الماكرين قال

الواحدي والنذر الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتساباتها جميعا معلومة لله تعالى وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد علي خلاف
معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت للنفس كسبا فدل علي انه مقدور العبد واجيب بان المقتضي للفعل عندنا هو مجموع القدرة والداعي وهذا يقتضي قولهم الكسب
حاصل للعبد ثم ختم الآية بوعيد اجمالي فقال وسيعلم الكفار من قرا علي الجمع فظاهر ومن قرا علي الوحدة فالمراد الجنس عن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء
اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا
والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات علي وفق دعواه وهذه الشهادة اعلي من شهادة لان الشهادة القولية ربما لا تفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة
نبوته ثم عطف علي اسم الله قوله ومن عنده علم الكتاب اي الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معانيه واشتماله علي دلايل الاعجاز من النظم الانيق والاسلوب
العجيب الفايت لقوي البشر فمن علم هذا الكتاب علي هذا الوجه شهد بانه معجز قاهر وان الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير
والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعني كفي بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وعلا شهيدا ويبعده
قراءة من قرا ومن عنده علي من الجارة واعترض علي هذا القول بان عطف الصفة علي الموصوف بعيد لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل
المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام واضرابه وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض
ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب علي امثالهم لكونهم غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد علي صحة
حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير ان السورة مكية وابن سلام واصحابه آمنوا بالمدينة بعد الهجرة والله اعلم بمراده

وهم يكفرون بالرحمن يعني ان صفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه
شيء ولا نعمة اجل من بعث الرسل ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله انكل من
في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ولذلك امر بان يقول في الجواب هو ربي الذي لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا افوض امري الا اليه
واليه مرجعي كما كان منه مبدئي سيرت به جبال النفوس او قطعت به ارض البشرية او كلم به القلوب الميتة بان وقع عليهم تقييم بما صنعوا فكونهم بالزجر قارعة
من الاحكام الازلية تقرعهم في انواع المعاملات التي تصدر منهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دار قالبهم بان تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم من اهل الشقاوة
ويسال عن قرينه حتي ياتي وعد الله يدرك الشقاوة الازلي ونزل اهل الشقاوة الاستهزا بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اي امسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام
الشقاوة لم عنادا بدي في الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب وعبودية النفس والهوي ولعذاب الاخرة بانواع الحرمان والشعور بالهيئات والملكات الموجبة لذلك
اكلها دايم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم في ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لشمس وجودهم علي الدوام والذين آتيناهم الكتاب
هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوي والقوي من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم ولجهلهم بفوائده ولقد
ابتغت اهوية الخالقين بالشرك في الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدانية بينك الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل اجذبتهم
العناية في البداية فترقوا من حضيض الحيوانية الي اوج الروحانية الي معارج النبوة والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يزعجهم الي طلب
الازواج بالطبيعة والركون الي الاولاد بخصايص الحيوانية بل دعتهم الي ذلك علي وفق الشريعة بخصوصية الحلافة باظهار صفة الخالقية ولكل
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من افاعيل اهل الشقاوة ويثبت لهم من خصال اهل السعادة وبالعكس لاهل
الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيه ازلا خاتمة كل من الفريقين واما نرينك بالكشف بعض ما نعدهم كما اخبر عن العشرة المبشرة بالخير
في الجنة وعن غيرهم بانهم في النار انا ناتي ارض البشرية فننقص منها بالازدياد في الاوصاف الروحانية انه حسبي

سورة ابراهيم مكية غير آيتان نزلتا في بدر الم تر الي الذين بدلوا الايتان حروفها ثلاثة الاف وار بعماية وار بعة وثلثون كلمها ثمانمائة وخمس وخمسون اياتها اثنان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الي النور باذن ربهم الي صراط

العزيز الحميد ۝ الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من

عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ۝ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ۝ ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور ۝ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم
من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝ واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد ۝ وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان
الله لغني حميد ۝ الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ۝
قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين ۝ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا
ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ۝ وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ۝

ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ۝ واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد ۝ من ورائه جهنم ويسقى من ماء
صديد ۝ يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت ۝
ومن ورائه عذاب غليظ ۝

القراءات الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب والخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعيدي بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل **الوقوف** الى كوفي الحميد لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض شديد بناء على ان الصفة الكافرين عوجا بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب او مرفوع على الذم اي اعني الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال فلا وقف على عوجا ولكن ان تقف على شديد للآية بعيد ليبين لهم لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء الحكيم بايام الله شكور نساءكم عظيم لشديد جميعا لان ما بعده جزاء حميد وثمود لمن لم يعطف وجعله مستأنفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم لا الله مريب والارض فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى مثلنا لتقدير همزة الاستفهام في تريدون مبين من عباده باذن الله المؤمنون سبلنا اذيتمونا المتوكلون في ملتنا من بعدهم وعيد عنيد لان ما بعده وصف صديد لذلك بميت غليظ **التفسير** كون السورة مكية او مدنية انما تفيد في الاحكام ليعرف المنسوخ من الناسخ وفي غير ذلك الحكم والغاية عند المعتزلة والغاية عندهم كذا وان كان المذكور على جهة التقديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القران او هذه السورة كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض عند المعتزلة والحكمة والغاية عندهم والمكية والمدنية ... قوله الر كتاب اي السورة المسماة بالر ونظائره النور وسعادة الحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وانشئت فقل العاقبة واللام في الناس للجنس المستغرق ظاهرا ففيه دليل على دعوته صلى الله عليه وسلم عامة ومعنى اخراج النبي اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لا مطلقا ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره فكأنه يشير الى ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالاية قال المعرفة اسد تم لا يمكن الا بالتعليم الذي عبر عنه بالاخراج من الظلمة الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما تحصل بالدليل الى صراط بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفي ذكر الوصفين تاكيد لحقيقة الصراط واشارة الى ان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل في خصائص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذي نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة به الى ارتكاب عبث او قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه عالما والعلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهو معنى الحميد ثم انه على تقدير تحقيقنا لحقية صراطه وبيانا لتنزهه عن العبث والعيث قال الله الذي مبتدأ وخبرا او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصف بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سلف هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الاية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب ويقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الآخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة وهذا شأن محبة اهل الدنيا الدنيا ولكنها اولى مراتب الضلال فلهذا وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الاضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال نهاية الضلال

فلهذا وصف مناد لهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه في الطرف الآخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسناده مجازيا باعتبار ان صاحبه بعيد عن طريق الحق
ثم امتن على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول وكان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج اصحاب ابي هاشم بالآية على ان اللغات
اصطلاحية وضعها البشر واحد او جماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقراين كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية والتوقيف انما يكون بالوحي
والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم لزم الدور واجيب بان الآية تختص برسول له قوم ولا قوم لآدم
فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طايفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا
فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب ان كان قومه العرب وكل قوم اليه اخص من اهل دعوته فقد يكون اهل دعوته كافة
بالثقلين كما في حق نبينا محمد صلعم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيرسل
الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهون عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط
يوجب للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد قالت المعتزلة ان مقدمة هذه الآيات وهي قوله ليخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين
فان فايدة التبيين انما تظهر اذا كان للمكلف قدرة واختيار وكذا آخرها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبايح يدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الا
شاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز فان العزيز لا يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف ويؤيد مذهبنا واقول نحن قد حققنا
مسئلة الجبر مرارا فتذكر ومما يختص بهذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستيناف هو الوجه
كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع ونظيره في الآية قوله فيضل على الاستيناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرايع بلغة الفوها
اعتادوها ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا لما بين ان المقصود من بعثة نبينا صلعم هو
اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر كذلك مثالا واختص موسى بالذكر كان امته اكثر
الامم سوى امة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ناصبة
ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام وانزال المن
والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون او الايام التي كانوا فيها تحت تسخير فرعون والمراد وعظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه لدلايل
شكور على الشكر وذلك ان فايدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المايدة
اقتصارا على ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف لها فلا مقام ايضا وان كان مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم كان
ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل الاشتمال وباقي الآية تقدم في اوائل البقرة ومن جملة النعم
قوله واذ تاذن اي واذكروا حين آذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وينزاح معه الشبهات وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك دخلت
اللام الموطية في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما اعطاه لا
جله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دايما في مطالعة اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقايق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في اعمال الصالحة الجالبة لا
نوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد محبة المنعم وتدرج العبد من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم فضلا عن الا
عمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع طباعا والتكلف خلقا ومن هنا امتلاء الشكر بزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله هو الحق والصدق وجلايل
مواهب الدينية والدنيوية لانه صار وسيطا مستفادا الواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو ان يستفاد لذلك النور كثير من الكمالات وينفتح عليه باب
التصرف في الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه اضداد ذلك لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم تعريض بكفران النعم ان عذابي لشديد ثم بين
ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه والله غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الآية وذلك ان واجب الوجود في ذاته واجب الوجود
في جميع صفاته ولن يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات حميدا وان لم يكن حامد قوله الم ياتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض
تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون الاولى وقال
ابو مسلم والاكثرون على انه ابتدا مخاطبة لقوم الرسول صلعم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من مبتدا وخبر فالجملة اعتراض
وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم و
اخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون عائدا الى ذواتهم بان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس بين عدنان واسمعيل
ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي رحمه الله وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عم الى هذا الوقت لانه لو امكن
ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه
قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالات الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على
افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم
به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول مقاتل ويقويه العطف قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضماير راجعة الى الرسل لما اسمعوهم
سكتوا ووضعوا ايديهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا
ايدي الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عايدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء وحججهم
اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم او ان المراد باليد ما نطقت به الرسل افواههم من الحجج لانه اجل الوحي من النعم فان كذبوا الآيات ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم ان يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه فالآية انهم سكتوا عن الجواب
وزيف بانهم قد اجابوا بالتكذيب وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في المرتبة الاولى صرحوا بالكفر وفي المرتبة الثانية
صرحوا بتكذيبهم وفي الثالثة قالوا انا لفي شك وقد مر مثله في سورة هود فان قلت كيف صرحوا بالكفر ثم بنوا امرهم على الشك قلنا ارادوا انا كافرون برسا
لتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل من انا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قوله افي الله شك
فاطر السموات والارض ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه فان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف الذي
المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري تمم الله احواله في الدارين انه كان من معتقدي ان العلم بوجوب واجب الوجود
في الخارج من جملة البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اترابي واصحابي لما راوا ان الاقدمين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الالهية والحكمية فكنت قد كتبت لا
جلهم رسالة في الالهيات مشتملة على ما لا يجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها وان لم تحتج الى الاقتناص بالبراهين فلا بد اذن اري ان
اذكر بعض تلك التنبيهات في هذا المقام لانه مقترن لقوله سبحانه افي الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما ان يكون واجب
الوجود فقط او واجب العدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود ممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم وممكن الوجود والعدم او واجب
الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة والعقل الصريح لا يشك في استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني
واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم
لذاته الخامس واجب الوجود لذاته وواجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام
ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني
من المحال وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة وهو المطلوب فهذه
طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليها المنوع المشهورة وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب واما ممكن وهذه
قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده فهو الواجب في الخارج والا فممكن فنقول ان كانت القضية قضية منفصلة حقيقية يكون المعنى
الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القضية قضية مانعة الجمع ولا محالة تكون مانعة الخلو
اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل ارتفاعهما في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما كونها مانعة الجمع فلان الممكن موجود ما بغيره
ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب بل يستدلون به على نفيه واذا كان
الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون الواجب موجودا يكون اولى با
لضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم وجوب الوجود اذ لا يعني بوجوب الوجود
الا انه موجود يجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الموجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب
اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما مشتركتان في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب
ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجود من الثاني
لان الموقوف على متعدد ما اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوع على الاطلاق

في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الي الماهيات الخارجية من حيث ذواتها لا تخلوا من احد الامور
الثلثة لكن نسبته اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فيها اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان نسبة الوجود الي ذات الموجود اولي من نسبته اليها الي غيره
اذ الاصل عدم الغير فكل مادة البرهان يدل علي وجوده من غير تقييد فيه او نقص يحكم عليه بانه ممكن الوجود ومالم يدل البرهان فيه علي ذلك بل يدل علي وجوب
وجوده بجميع صفاته الكاملة فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره
وهو عرضة للنقايص والرذايل كان اهلا لان يحجر الحكم وجه خامس نسبة الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه الحاجة فالافتقار ومن العدم علي الذي
لا ضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذي يجوزه العقل الصحيح متصفا بصفة الوجود كيف لا يكون متحققا ومن استبهم عليه
مثل هذا الجلي فلا يلوث الا نفسه وجه سادس مقتضي ذات الشيء اقرب ايجابا له عند العقل من مقتضي كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت
في الخارج بيان ثبوته في الخارج مقتضي الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولي وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت
ذلك الوجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب وهو المطلوب او من وجود مثله
حينئذ مالم يكن ثابتا في نفسه لم يقصد منه فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيد الوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان
للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب الغني بل نسبتهما الي الثاني اولي من نسبتهما الي الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا
في نفسه اقرب وابدل عند العقل من كونه موجد الغير اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجد الغير وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا امكن اتصاف الوجود
الممكن مع ضعفه بابعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول واقعا وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة
وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وساير العقلاء من اخوان الصفاء واخدان الوفاء وارباب البدع والاهواء الي وجود واجب في رجوعهم الي
انفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب وهجوم نعمة اجل دليل علي وجود رب جليل منزه عن صفات النقص
والافول في حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارضين للمعاندين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
ثم اخبر انهم يعبدون اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانهم كانوا كما بين في الظاهر ابتلاء من
الله ورشدا منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان في انه تشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك علي انه من دين
الوجود وجه عاشر وهو الاستدلال بالافاق كل موجود سوي الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبرته نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه وكان فقيرا
في نفسه وذلك افول في افق الامكان فاذا كان ما مقتضي ذاته الافول طالعا فما مقتضي ذاته الطلوع اولي بان يكون طالعا وجه حادي عشر وهو الاستدلال بالا
نفس من تامل في ذاته ومن شخصه في هواء طلق لا يحس فيه ممتنعا واعقل الحواس عن افعالها وجد شيئا هو به هو ولذلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة
التي نسبتها الي بدنه نسبة الملك الي المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطعت علاقتها من البدن مات صاحبه وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته
مفتقر في قوامه وقيامه الي مدبر يديمه ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها تستند لا محالة الي ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء
نفسه وهو الواجب الحق تعالي شانه ولولاه لبدد نظام العالم ولم يمكن من الوجود عين ولا اثر وجه ثاني عشر وهو نور الوجود وظهورها وهو الاستدلال بالنور
علي النور وذلك انا نشاهد نورا ونعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا احتاج الي ما يظهره وما يظهره
لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهور الغير فينقل الكلام الي ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه
فذاك والا احتاج الي ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الي ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم ينته الامر في طرف النزول الي الظاهر المفروض
اولا فنهاية ما لا نهاية له محال من اي جانب فرض ولا ينتقض العودة اليومية نقضا علينا بناء علي انها مسبوقة بعودات ما لا يتناهي فان لا تناهيها في جانب
الازل محال عندنا وكنا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الي فيض الواجب وقلت الفيض الواقع في زمان الحال مسبوق
بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضي ذات الشيء يدوم بدوامه
ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للا مسبوقيته بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من كون مطلق الفيض ازليا
ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الي ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تقدس شانه وبهر
برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضي ذاته وما بالذات لا يزول فهو الباقي لهذا الملخص من البهاء
لهذا الضعيف اثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقي انشاء الله علي وجه الدهر وينظر من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطايف
صنع ملك اللطمة تدل علي وجود الصانع المختار وعلي حصول التكليف وعلي ثبوت دار الجزاء وعلي ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من

الذي

الذي ضربني وما ذاك الا لشهادة فطرته علي ان هذه اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود فاذا كان
حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها علي وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح
ويقول لم ضربني ذلك الضارب وعنده دلالة علي ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتي يفعل اي شيء اشتهي واما دلالتها علي الجزاء
فلانه يطلب الجزاء علي تلك اللطمة ولا يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا الفعل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الي
انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة علي ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرايع والاحكام ومما يدعو العاقل الي الاعتراف با
لمبداء والمعاد انه لو اقر بهما ثم بان ان الامر علي خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها
اعظم المضار فيلزم علي العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه علي وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك ثنتان
الاولي قوله يدعوكم اي الي الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالي في موضع آخر ان الله يغفر الذنوب جميعا
واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لانه تعالي يعد مع غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين الفريقين ويؤيده ما ذكرنا استقراء الكلام
فانها ما جاءت في خطاب الكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الاية وفي سورة نوح وفي سورة الاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم
بغير من وقيل اراد ان يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من البدل اي يكون المغفرة بدلا من الذنوب وضعف بانه لم
يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الي غفرانها لانها في نفسها مغفورة ورد
القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم علي عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا يغفر الله
وقيل ان الكافر قد ينسي بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب منه وقال الامام فخر الدين الرازي ره في الاية دلالة انه تعالي يغفر
ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع علي انه تعالي لا يغفر الكفر
الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب وللقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الاية لان قوله يد
عوكم اي الي الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الي
اجل مسمي عن ابن عباس اي يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الي الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في
حكاية شبه الكفار وانها ثلث الاولي قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت
بينهم الي هذا الحد مع اشتراك الكل في القوي وريات البشرية من الحاجة الي الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة الادعاء ودلالة المعجزة علي الصدق وعلي تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بحجة اصلا لاعتقادهم ان معجزاتهم من جنس الامور
المعتادة فاتونا بسلطان مبين اي برهان باهر وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزيد من عند الله بطريق المنة و
وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضايلهم النفسانية والجدانية تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختص تلك
الكرامة الا من اهل لها لخصايص فيهم واما الشبهة الثانية وانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة يهدم قاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان
لنا اي ما صح منا ان نأتي باية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر متعلق بمشية الله والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في
السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلي الله فليتوكل المؤمنون الي قوله وعلي الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل و
الثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معني الاول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها علي الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها
ومعني الثاني ابداء التوكل علي الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الي ما جعل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء
الرسالة والصبر علي متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا ان النفوس المشرقة المنورة الالهية
او بالوحي الصريح انه تعالي يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن علي ما اذيتمونا دليل علي ان الصبر مفتاح الفرج ومنار الجزاء وثمر السعادة اما قول الكفار
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعني الصيرورة حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا
الي ملتهم فاوحي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجري الوحي مجري القول لانه ضرب منه او اضمر القول عن النبي من آذي جاره ورثه الله داره وذلك الذي قضي الله به من اهلاك
الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد موقف الله الذي يقف عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب او قياما عليه وحفظه اي خاف قيامي عليه بالحفظ
والمراقبة كقوله افمن هو قائم علي كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط والمقام مقحم اي خافني مثل سلام الله علي المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي
هو اسم من الايعاد والتهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة علق احد الحكمين علي الامر وقوله

واستفتحوا الفيم اما الترك والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسالوا القضاء بينهم من الفتاح وهي الحكومة واما الكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق
والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية
والجانب كان كل من المتعاندين في جانب الاخر قيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه
مجانبا للحق متنحيا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل هو جواب الكفرة وعلى الثاني استفتحوا وخابوا وضع الاعم موضع الاخص والظاهر مقام المضمر تنبيها
على الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اي من بين يديه يقال للوقت وراء كالامد وذلك انه قدام وخلف كلاهما متوار عن
الشخص يصح اطلاق لفظ وراء لكل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف حاله في الدنيا وفي الاخرة حين
يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اي من ماء بانه او صفة لماء الصديد ما
يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل يخلق الله في جهنم ماء يشبه الصديد في النتن والغلظ
والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اي لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف
لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهية وان
توى قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول والاية في قوله يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان
من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت كقوله لا يموت فيها ولا يحيى
ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت يفرض من الاوقات المستقبلة يكون اشد واكثر مما قبله ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس
وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر
سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما
منقطعا عن حديث الرسل واممهم **التاويل** بسم الله اي باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدات بخلق عالم الدنيا اظهار الصفة الرحمانية التي هي للمبالغة
لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن والكافر في الرحمة وبخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة وقوله الر اي بالاي ولطفي
ان القران انزلناه اليك لتخرج الناس بدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذي يربيهم هو لا انت وفي قوله الى
صراط اشارة الى ان القران هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة والحمد واستتر بمظاهر القهر واللطف وفي الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات
وما في الارض اشارة الى ان من بقي في افعاله وهي المكونات لم يصل الى صفاته ومن بقي في صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن انانيته الى
هويته استغنى بصفاته وافعاله وويل للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقي هو الذي تمتع بالايمان التقليدي فابتلي على الدنيا واعرض
عن المولى فضل واضل الا بلسان قومه اي يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا موسى بواسطة جبريل الى موسى القلب بايات عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق
والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله اذ كان الله ولم يكن معه شيء وهو بحبهم
بلا وهم ان في ذلك التذكير لايات من نور الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي وهو ينيله الوجود المجازي لئن شكرتم بالطاعة
لازيدنكم في تقربي اليكم ولئن شكرتم في تقربي اليكم لازيدنكم في محبتي لكم ولئن شكرتم في محبتي لكم لازيدنكم في الجذبة ولئن شكرتم بالجذبة لازيدنكم في الوصول
ولئن شكرتم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في الفناء لازيدنكم في البقاء ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم
في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في المعاملات كلها ان عذاب قطيعتي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والا
قبال على الدنيا بتبعية النفس ومن في ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم الى
انانيتكم من حجب عالم الخلق ويؤخركم في التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات فتوكل المبتدي
قطع التعلق عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق بما سوى الله والاعتصام بما به
لمن خاف مقامي وهو مقام الوصول الي فان هذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام من مقام النار وخاف وعيد القطيعة
واستنصر القلب والروح من الله على النفس والهوى من ورائه اي قدام النفس في مقام بعد الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد
هو ما يتولد من الصفات الذميمة والاخلاق من الافعال الردية يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكليف ولا يكاد يسيغه
لانه ليس من مشربه ويأتيه اسباب الموت من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ القطيعة والبعد

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا
على شيء ذلك هو الضلال البعيد ألم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله
لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار
جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم

من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ٥

القراءات ادراج على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل سبلنا باسكان
البا حيث كان ابو عمرو ولي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الاخرون بالفتح اشركتمون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وا
ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار جهنم بالامالة ابو عمرو ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بضمها لعبادي الذين بسكون الياء ابن عامر
وحمزة وعلي ويعقوب والاعشى الباقون بالفتح لا بيع فيه ولا خلال بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة **الوقوف** عاصف بناء على ان ما بعده مستانف كانه سال سائل هل
يقدرون على شيء من الثواب على شيء البعيد بالحق لان ما بعده يتم معنى الكلام بعزيز من شيء لهديناكم محيص فاخلفتكم فاستجبتم لي لاحتمال الجملتين الاستئناف
لابتداء النفي بمصرخي لحتوان ومن قال ان الابتداء بقوله اني كفرت قبيح بجواب ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل اليم باذن ربهم سلام في السماء ربها
يتذكرون السبع الرابع من قرار وفي الاخرة لتكرار اسم الله تعم في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله لانه في معنى بيان قوله ويضل الله ما يشاء كفرا
البوار جهنم لان ما بعده يصلح استينافا واحالا من فاعل احلوا او من مفعوليه او من كليهما يصلونها القرار عن سبيله الى النار ولا خلال رزقا لكم بامره الانهار
والليل والنهار ويحسن هذا الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر سالتموه لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها كفار **التفسير** لما ذكر في الايات
المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم فقال مثل الذين وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثلهم
وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه استغناء بذكره
ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة والمراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد وكقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ويجوز ان يكون اعمالهم
بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفار المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاساري وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
واعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته الريح في يوم عاصف فالعاصف من صفة الريح جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح مجازا
كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي عصوف وفي يوم عاصف الريح فحذف لتكرره وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام ووجه خسرانهم
انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا ثم لم ينتفعوا بذلك بل استضروا به وقوله مما كسبوا على شيء الفصل عكس ما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة
لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب هو العمل الذي ضرب له المثل وهو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق او الثواب ثم
كان لسائل ان يسال كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق مستتبعة للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير
فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكذبها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص لا من انه تعالى لم يمكن ان يوجد فيها فعاله عبث او خلل او سهو ثم بين
كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل العامل فقال ان يشا يذهبكم وتقدم مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز لانه قادر بالذات لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من الاية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشا يذهبكم فما فائدة قوله ويات بخلق جديد
وهل فيه دليل على ان الفناء لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليم لا تنحصر الفائدة في تاكيد التخويف فان التالم من تصور العدم المحض ليس كالتالم من
اعدامه مع اقامة غيره مقامه واشادة الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله ان يشا يذهبكم ان
ذات الجوهر لا تنعدم وانما ينعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولئن سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام ههنا امتناعه في الصور وفيه
ان الحق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال المكلفين بقوله وبرزوا لله جميعا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع مثل وسيق ونادي والتركيب يدل على الظهور
بعد الخفاء ومنه امراة برزة اذا كانت تظهر للرجال وفلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى بروزهم لله وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء لانهم كانوا يستترون عن العيون عند
ارتكاب المعاصي ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله
وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهر عليه
اثار الملكات والهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز وكان من السعداء برز للموقف لجلال بصفاتهم القدسية وهيئاتهم النورية
فما اجل تلك الاحوال وطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا للموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيئاتهم المظلمة فما اعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الهيئة
فقال الضعفاء وقيل الحرف على لغة من يفخم وان قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علموا بني اسرائيل والضعفاء العوام والاذال قال الذين استكبروا سادتهم واكابرهم
الذين استكبروا عن عبادة ربهم فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي
ذوي اتباع اياكم في الكفر وفي الامور الدنيوية فهل انتم مغنون عنا ممكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبيين ومن في شيء للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا

بعض الشيء الذي هو عذاب الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لا
رشدناكم قالوا سواء علينا معناه انهم انما دعوهم الى الاضلال لان الله تعالى اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف ولعلهم قالوا ذلك مع انهم
كذبوا فيه كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون صدور الكذب عن اهل القيامة كما مر في
اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور
الله تعالى من الالطاف فقد فعل وقيل لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
واعرابه كقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا انه لا خلاص لهم من رفع العذاب بالحيلة او الدوام وان عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع من
الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف ان قوله سواء الى اخره من كلام الضعفاء والمتكبرين جميعا كقوله فيه وصل كلام انسان بكلام انسان اخر قوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص المنجي والمهرب مصدرا كالمغيب والمحيص او مكانا كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة اشياع الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومتبعيهم
الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار
بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق
وقضى بينهم يقول الكافر قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فياتونه فعند ذلك يقول هذا القول وعد الصدق من اضافة
الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وتاويله وعد اليوم الحق او الامر الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضمار ان الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم
بما وعدكم الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدونه وليس وراء العيان بيان ولا تذكر نقيضه
وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه الوجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته اغتنامه فقال وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم
على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا استثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد ولكن دعائي اياكم الى الضلالة بوسوسته وتزيين
ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع
التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم معجزات انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا
بقولي ولا تلتفتوا الى ما قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
ولو كان الامر كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم ولكن الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان علم الله وانه عليه حجة
بها معوان اقواله لعلهم اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون آخرها قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا احس بشيء او
ادركه ترتب شعوره بكونه ملائما او بكونه منافرا ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس ولا مدخل للشيطان في
شيء من هذه المقامات الا ان يشبه مثلا ان الانسان كان غافلا عن صورة امراة فيلقي الشيطان حسنها في خاطره وكيف يتمكن الشيطان من النفوذ في داخل اعضاء الانسان
والقاء الوسوسة اليه والجواب ان الشيطان اذا كان جسما لطيفا فان الله سبحانه ركبه تركيبا عجيبا لا يقبل التفرق والتمزق مع لطافته فلا يستبعد نفوذه في الاجرام
الكثيفة كالنار وتسري في الفحم وكالدهن في السمسم وان كان جوهرا نورانيا مجردا لا على الشر والنفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول اثر احدهما
الى الاخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من الارواح البشرية فانه ينجذب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى
مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرية واما اذا كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والقدماء كانوا
يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء اقساما اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان
وكملت فيها فاذا حدثت نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع
تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ويعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والخيرات سمي
الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله تعالى عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس يريد بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ
المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرا وما انتم بمصرخي بالكسر لان ياء الاضافة لا
تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في عصاي فما بالها وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه انه لم يوجد له نظير في استعمال العرب لكنك تعلم ان القرآن حجة على غيره قوله
قوله اني كفرت بما اشركتمون في ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي تبرات اليوم ومكانه لي ربي باشراككم لي في الدعاء مع الله في الطاعة وفي ان ليقتبيح انقطعتا
في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من ان ما في معنى كقوله سبحان من سخركن لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتمونيه
ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تاثير لوسوستي في كفركم بدليل اني كفرت بالله من قبل اي كفرتم وكان كفري بسبب وسوسة اخرى والا

لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شي آخر سوي الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر
انه كلام الله ويحتمل الحكي من تابعه من التقليل وليس ببعيد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا لاطماع اوليك الكفار عن اعانته ثم شرح احوال السعداء
فقال وادخل علي لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرا الحسن وادخل علي لفظ المتكلم
قال في الكشاف علي هذا يتعلق قوله باذن ربهم وقد تقدم معني قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال الاشقيا
اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعني جعل اي جعل
الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة اي هي كشجرة طيبة وقال صاحب حل العقد الاظهر ان الوجه هنا ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثانيا عن ابن
عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة
والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الي تعيين تلك الشجرة والمراد
ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعي في تحصيلها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن ثم ان صفات الشجرة فالاولي كونها طيبة
وتشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ آمن من الانقطاع ولا شك ان الشي الطيب انما
يكمل الفرح بحصوله اذا آمن انقراضه وزواله الثالثة فرعها في السماء اي في جهة العلو وهذا تاكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوي وارسخ كان الفرع
اعلي واشمخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن القاذورات قال في الكشاف فرعها اعلاها ورأسها ويجوز ان يريد
وفروعها علي الاكتفاء بلفظ الجنس الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر
لان مدة حملها الي صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الي العام تحمل الثمرة وايضا النخلة اذا تركوا عليها الثمر من السنة الي السنة
قال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله
والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة بل لا طيب ولا لذيذ الا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير معها كالذاتية من المحسوس شيا
من الكمال انوار معرفة الله واشراقها فانها تنفذ وتسري في جميع جوهر النفس حتي انه يكاد يتحد بها ثم سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة
المعرفة لا تكاد تنتهي الي حد وان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة الي هواء العالم الروحاني وثمرتها
التعليم لاجرائه ومنشارها القوة النظرية وغايتها الحكمة العلمية باقسامها واصلها وفروعها واغصان ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومنبتها القوة
العملية وفايدتها الحكمة الخلقية التي ثمرتها الشفقة علي خلق الله عموما وخصوصا واما رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي
الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوي والاعضاء وكل
مراتب الاثمار تختلف بحسب مراتب الاستعدادات واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون بها اولو العزم وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين
قوله باذن ربها اشارة الي ان النظر في جميع هذه المراتب ان يكون علي المفيض لا علي الفيض وعلي المنعم لا علي النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون المبدا وعرفانه والمعاد واتيانه فيختار الكمال علي النقصان واثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون حينئذ جوهر النفس كلمة طيبة كما قال في
حق عيسي كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة
الخبيثة الباطلة او كالشجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل اما الثوم ونحو ذلك ومعني اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي
استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان
تلزم عنق صاحبها حتي يوافي بها القيامة قلت وذلك الباطل لا قائل به ولا برهان فيه من هو صيد الاعتقاد فهو مضمحل زايل والحق نقيض ذلك بل الباطل لا
يستقر صاحبه عليه ولا يحصل منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار ابدا تسعي في الطرق المضلة والسبل المخترقة كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران وكما شبه حال الفريقين بالشجرة بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب
صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال يثبتهم في الحيوة الدنيا فلا يجزعون اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط
الحديد ويثبتهم في الآخرة انهم اذا سيلوا في القبر لم يتلعثموا واذا وقفوا يوم الجدال لم يبهتوا عن ابن عباس من دام علي الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله
عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في الحديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العظيم فيه ان المواظبة علي الفعل توجب رسوخ الملكة بحيث
لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويدخل في احكام الآخرة فمعني الآية يثبت الله
الذين امنوا بالله وبما يجب الايمان به علي ما امنوا به في الدارين او يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت علي القول الثابت وقيل معني الآية يثبتهم الله علي

الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا وسيصدر عنهم حال ما يكونون في الآخرة ويرد عليه ان الآخرة
دار جزاء لا دار عمل وان كان قوله في الحيوة متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم علي الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا
الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثي وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد
في الدارين فلا جرم اذا سيلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال لا اعتراض لاحد عليه ولا من منع الالطاف ومنعها لمقتضيات
الحكمة ثم عجب من حال ظالمي مكة بقوله الم تر الي الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم
يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالي اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلي الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فقحطهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر
وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي دار الهلاك وقوله جهنم عطف بيان وبئس القرار المقر مصدر
سمي به قوله ليضلوا من قرأه بضم الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قراه بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال غيره
دينوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصولها في آخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل
تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار الله فيه ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع الحاضر مامورون به قد امرهم آمر مطاع هو آمر الشهوة والمعني ان دمتم علي ما
انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الي النار وانما سمي عيش الكفار تمتعا لان ما لهم في الدنيا علي اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الآخرة
من العقاب ومن الذين بدلوا نعمة الله كفرا ما روي عن عمر انه قال هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتي حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا امر نبيه صلي الله عليه وسلم بحث المومنين علي خلاف ذلك وهو الاقبال
علي ما ينفعهم في الآخرة فقال قل لعبادي المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم
ان يكون المذكور هو المقول بناء علي انه امر غايب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام
لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتي تجدوا ثواب ذلك الانفاق في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه
الله وبين المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة وبين اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي الكاينة بسبب
ميل الطبيعة ورغبة النفس والمثبتة هي التي توجبها الاشتراك في الايمان والعمل ولما ختم احوال المعاد عاد الي المبدا فقال الله وهو مبتدا خبره الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان واقفا
علي جبل عال ويري الغيم اسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يري الغيم ماطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
مقدر ومعني بامره بتيسيره وتسخيره لانه خلق موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل علي وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا
ومنهم من حمل الامر علي الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة لعمقه وللملوحة فسخر الله الانهار والعيون والا
بار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفي وسخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة ونحوها
تام لانهما منذ خلقا لا يفتران وقوله دايبين نصب علي الحال والدوب مرور الشيء في العمل علي عادة مطردة اي يدابان في سيرهما واثارتهما سائر منافعها وخواصها
وهكذا معني التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي تقدر هذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طوائف النعم اجمل الباقية منها
بقوله واتاكم من كل ما سالتموه اي ببعض جميع ما سالتموه فما اما نافية والجملة نصب علي الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او موصولة معناه واتاكم من كل ما
فما اما نافية والجملة نصب علي الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او موصولة لا تحصوها اي لا تطيقون علي تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدي
النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنفقة بمعني الانفاق ولهذا لم يجمع ومن تامل في تشريح الابدان وفي اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة
والشرايين وفي كل واحدة من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف علي منافعها عرف بعض نعم الله علي عباده واذا جاوز الانفس الي الآفاق وسير فكره في عالم الاجسام
السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعتها وعظيم منفعتها علي ما ينقضي منه العجب واذا عبر الملك والملكوت تاه في اودية الحيرة والدهشة وتلاشي عقله عند ادني
سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الي ما قبلها والي ما بعدها اما الذي قبلها فالخبز والطحن والزرع و
وغير ذلك من الآلات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتي ينتهي الي الافلاك والعناصر واما الذي بعدها فالقوي المعينة علي الجذب والامساك
والهضم والدفع وكل الاعضاء الحاملة لتلك القوي وكسائر الامور النافعة في ذلك الباب خارج البدن او داخلة فيه فانها تكاد لا تنحصر واذا كانت نعم الله
في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم الاجساد فاذا تخليت الي عالم الارواح واجلت طرف عقلك في ميادين القدس
وحظاير الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذا تغرق في لجة المنة او تغرق من نهر المنحة والنعم هنالك علي وفق الا

ستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فان كنت اهلا لها فذاك والا فلم الانفسك ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم بظلوم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران وذلك انه يجود على النسيان والملالة فلا تدان يتبع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم في الشدايد بالشكا والجزع كفار في السعة بجمع ويمنع واعلم انه ختم الآية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكانه قال ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلذا قابل تقصيركم الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفا تلك صفتك في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء **التاويل** وبرزوا من القشور الفانية للشجيها من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المبتدعين في الكفرة بما المرءكفوتي آمن اللغز حتى لا ينفع نفسا ايمانها وادخل فيه اشارة الي ان الانسان اذا خلي وطباعه لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا سفلي الطبع وانما يدخله الله بفضله وعناية جنات القلوب تجري من تحتها انهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق ادم تحية اهل القلوب على اهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحيتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الم تر اي الم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل للفيض الالهي دون ساير المخلوقات كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث ثمرة اثمار شواهد انوار كيف ضرب في الحضرة الالهية فانها اصلها قائمة بذاته وفرعها في سماء القلوب تؤتي اكلها من انوار المشاهدات والكاشفات كل حين يتقرب العبد الي ربه بتقرب الرب تقم اليه ويضرب الله الامثال للناس اي لاهل النسيان الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولي فيعودون في ادراكها ومثل كلمة يتولد من خباثة النفس اجتثت من فوق ارض البشرية ما لها من قرار من اعمال الدنيا لان الباقيات الصالحات يثبت الله الذين امنوا يمكنهم في مقام الايمان بملازمة كلمة لا اله الا الله والسير في حقايقها في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لان سير اصحاب الاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا واحلوا قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمي والصم والجهل وارواحهم العلوية اسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفر الاوصاف الذميمة الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة في بحر الطريقة بامر الحق لا بالهوي والطبع وسخر لارباب الطلب من سفن الكسرة بنكباء الهوي وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف وقمر المشاهدة وليل البشرية ونهار الروحانية وبغي التسخير في الكل جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية واتاكم من كل ما سالتموه من ساير الاسباب المعينة على ذكر جميع العالم بالحقيقة تبع لوجود الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير منحصرة وكلها مخلوقة لاستكماله ان الانسان لظلوم باسناد استعداده كفار ولا يعرف قدر نعمة الله في حقه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ۝

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ۝ ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ۝ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي علي الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي علي الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء ۝ رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ۝ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ۝ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه

الابصار ۝ مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هواء ۝ وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الي اجل قريب ۝ نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ۝ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ۝ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ۝ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ۝ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ۝ وتري المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ۝ سرابيلهم من قطران وتغشي وجوههم النار ۝ ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ۝ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب ۝ **القراءة**

ابرهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان اني اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالامالة علي وعلي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقرا ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والخزاز عن هبيرة واحمد بن فرح عن عمرو عن اسمعيل بالياء في الوصل الباقون ولوالدي عن ابن بلج بغير ياء في الحالين نوخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الاخرون بالياء لتزول بفتح اللام الاول ورفع الاخر علي الباقون بكسر الاولي ونصب الآخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء مكسورة منونة آن علي انه اسم فاعل يزيد عن يعقوب والوقف علي قراءته بالياء **الوقوف** الاصنام من الناس ج لفصل بين النقيضين مع اتحاد الكلام رحيم المحرم لان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة تكرار يشكرون وما نعلن وما في السماء واسحق الدعاء ومن ذريتي قد قيل والوصل اولي للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب الظالمون الابصار لان ما بعده حال طرفهم لاحتمال ان قوله وافيدتهم تكون من صفات اهل المحشر وان تكون من صفات الكفار في الدنيا هواء قريب لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل زوال للعطف علي المتمم الامثال وعند الله مكرهم الجبال رسله لا نقضاء لا يختص موقت والتقدير اذكر يوم القهار في الاصفاد للاية ولان الجملة بعد من صفات المجرمين النار لتعلق لام كي ما كسبت الحساب الالباب **التفسير** ان قصة ابرهيم صلوات الرحمن عليه يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة و ان يكون دعاء الي التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعم علي عبيده فان وجود الصالحين ولا سيما الانبياء والمرسلين رحمة للعالمين كما قال لقد من الله علي المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله صلوات الرحمن عليه وعلي نبينا حكي الله سبحانه عنه طلبه امورا منها قوله رب اجعل هذا البلد امنا وقد مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هناك ولا ريب ان في مكة مزيد امن ببركة دعائه حتي ان العداوة بينهم كانت ثابتة حول مكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجا بمكة آمن وللوحوش هناك استيناس ليس في غيرها وانما قدم طلب الامن علي ساير المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشان آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاز التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وقيل لبعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن دليله ان شاة لو انكسرت رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها تقبل علي الرعي والاكل ولو انها ربطت في موضع و

بالترب منها ذيب فانها تمسك عن العلف ولا يتناول شيئا الى ان يموت فدل ذلك على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني و
بني ان نعبد الاصنام قال جار الله يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب مع ان الاجتناب حاصل التثبيت والادامة ولا
الله بهضم النفس واظهار الفقر والحاجة والتماس العصمة من الشرك الخفي اما قوله بني فقيل اراد من بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل اولاد
اولاده واولاد اولاده ممن كانوا موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان
بيني احجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار ولذلك يستحب ان يقال
طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالصنم والوثن سيان على انه تعالى وصف الهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين
كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الا بات الى قوله وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل
قوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني اي من اهلي وديني من اي منهم ببعض في دينه فانه ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عم الدعاء لانه جنب
البعض كقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قالت الاشاعرة لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن الالتماس التبعيد عن الكفر وحمل
المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا على ان نسبة الاضلال الى الاصنام مجاز لانهن جماد انه نحو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا
السنة والاغترار بها فمن تبعني بقي على الملة الحنيفية فانه مني اي هو بعض لفرط اختصاصه ومن عصاني فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني ثم تاب وقيل
ان هذا الدعاء كان قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل اراد انك تمهلهم حتى يتوبوا
وقيل ومن عصاني فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه وعدم اشتراط التوبة على ان الشفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت هذا في حق ابرهيم ثبت في حق نبينا
الرحمن عليه ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة وان يرزقهم من الثمرات
فمهد لذلك مقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم بواد غير ذي زرع ايهام لم يكن فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج اي لا عوج فيه اصلا
ولم يوجد ذلك فيه في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة ابرهيم مع اسمعيل وامه هاجر الى هناك وفي قوله عند بيتك المحرم على انه دعا بهذه
الدعوة بعد بناء البيت لا قبله ومعنى كون البيت محرما ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وانه لم يزل ممتنعا
منيعا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب وقيل سمي محرما لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه وحرم على
المطيفين ان يقربوه بالدماء والاقذار ولانه امر الصائرون اليه ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الوادي
البلقع الا لاقامة الصلوة عند بيتك وعمارته بالذكر والطاعة فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض اي افئدة لزحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند
عن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه اراد افئدة المسلمين وجوز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب منه
سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى
يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فايدتان احداهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الاقمشة اليهم
للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم وتكثر ارزاقهم ومع ذلك فقد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فاجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل
شيء وقيل اراد ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الآية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي للمنافع وسعة الرزق هو
التفرغ للعبادة واقامة الوظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على الله
لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم الذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء او ما جرى
بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا فاعلم ان الله الحكم قال المفسرون وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل
تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى عليه الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في اي مكان يعرض الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق وذكر الحال لان المنة بهبة الولد في حال وقوع
الياس من الولادة اعظم لانها تنتهي الى حد الخوارق فكانه رمز الى انه يطلب من الله سبحانه ان يبقيهما بعده ولهذا ختم الآية بقوله ان ربي لسميع الدعاء من اضافة
الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء
رمزا الى انه كان قد دعا ربه وساله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي
عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية بقوله رب اجعلني مقيم
الصلوة اي مديما ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي

الظالمين ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي عن ابن عباس وحمله على تقبل الادعية السابقة والآتية ثم بعد ربنا اغفر لي طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب
لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين واما قوله ولوالدي
فاعترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران واجيب بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بان قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك يستثني من
الاسوة التي يوسي فيها بابرهيم ولو كان استغفاره مشروطا بالاسلام لابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وصحح في الجواب
انه استغفر لهما على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك لانا فيه يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل ومثله قامت الحرب على
ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او المضاف محذوف واسال القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم دم تنبيه الى ذكر
الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا ان كان الخطاب لكل مكلف او للنبي والمراد امته فلا اشكال وان كان للنبي صلعم فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسبه الا
عالما بجميع المعلومات والمراد لا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عما يعمل الظالمون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة
تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم ان يكون غافلا عن الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود
المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم كقوله ما تنقل الرياح تشخص بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وذلك انها
يكون عند غاية الحيرة وسقوط القوة مهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا مستيقظا الى
حالهم بخلاف هذا المعتاد لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت ينتهي الى
رافعيها وهذا ايضا خلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق راسه لكيلا يراه لا يرتد اليهم طرفهم الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذي
وجعل علما على العين بالطرق تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل اي لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام ووصف قلب الجبان به لانه لا قوة فيه ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء والمعنى ان قلب الكفار خالية عن جميع الخواطر
والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل لما تحققوه من العقاب والاظهر ان هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي ما تميز السعداء من
الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج اراد ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه قال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر
الناس يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر واليوم يوم القيامة واللام في العذاب للعهد السابق من شخوص الابصار وغيره او للعلم وهو عذاب النار وقيل آخر
اجلنا الى امد وحد من الزمان قريبا او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى اولم تكونوا على
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال جواب القسم ولو
امثال التوالي فيقال لهم ذلك وانما جاء بلسان الحال حيث بطروا واشروا وبطروا وجادوا سفها وما لكم من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء او لا تنتقلون الى دار اخرى هي
قيل ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم
دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كان حقها ما فعلنا
نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبيان والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات وضربنا لكم الامثال قال الجبائي اراد صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما اورد في القرآن من دلائل القدرة على الاعادة والابداء على العذاب المعجل والمؤجل وقيل
مكرا ولئك الظلمة فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل
اراد ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع باربعة نسور وكان قد جوعها ورفع على الجوانب الاربعة على التابوت
عصيا اربعا وعلق على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلاثة ايام وغابت الارض عن
عينه ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصي التي عليها اللحم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية لانه لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم
ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم باعظم منه وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي
يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون اما قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فمن قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة
من الثقيلة واللام مكسورة لتاكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى وان كان مكرهم معدا لذلك الوجه الثاني ان يكون ان نافية واللام مكسورة
لزوال الجبال اقل لفظ مكرهم وشدته اي وان الشان كان مكرهم والمعنى محال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كان مكرهم انه تعالى كونه مجازى لاهل المكر على مكرهم بقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول
الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شانه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله
الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحوها من الآيات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم

تبدل الارض غير الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف لا ينتقم والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف وفي قوله والسموات
وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها و
سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير تسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا
يرى فيها عوج ولا امتا وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال تبدل الارض
غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات لا يتطرق اليها العدم وانما تغيير
صفاتها واحوالها فهم جوزوا انعدام الصور مع انها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الارض جهنم
والسموات الجنة وبرزوا قد ذكرنا في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع تعظيم وتهويل وان لا مستغاث ولا مقصد الى غيره ولا حكم يومئذ لاحد الا له وفي
حكمه وتحت قهره ملكا ومن نتايج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد قرن بعضهم الى بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم
قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة التي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون صفا
مستقلا اي مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس
انما يحصل بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب اي يسيل من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
الابل الجربى فيحرق الجرب بحرة وحدته وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود
اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجتمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين و
الوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكل ما يحصل للنفس من الالام والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر
النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وساير اثار الملكات الردية فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن
الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تفنيه كما لا تهلك النار اجسادهم والاغلال التي عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز
موضع في ظاهر البدن واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي الله متعلق بيغشى او بجميع ما ذكر كانه قيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت
قال الواحدي اراد نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين ثم انه يثيب المطيعين لطاعتهم
ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة ليتعظوا ولينذروا
به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق **التأويل** واذ قال ابرهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من كيد
الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني وهم الفؤاد والسر والروح الخفي ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله وفيه فضح النفس الدنيا وظلم القلب
الوعيد العقبى الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور
فيه نكتتان الاولى لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة الثانية لم يقل فانا اغفر وارحم عليه لانه عالم الطبيعة البشرية تقتضي
الخطا فانما المغفرة والرحمة من شأن الغني المطلق اسكنت من ذريتي من صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع هو وادي النفس عند بيتك
المحرم على الملوك وهو كعبة القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه تعالى في اجابة الدعاء بحرم صح وكانا
عالم البدنية وانه لولا عرض هذا الاشكال لم يحصل ذلك فاجعل افئدة الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللا
هوتية لعلهم يشكرون ونهذه النعم الجسيمة التي ليس مثلها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حقايق العماء وما نعلن من
ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء في ارض المعاملة الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر اي بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي يقيم الصلوة
دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي استر لي وامح بصفة معرفتك ولوالدي من الآباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوني عن رؤيتك يوم
الحساب الى لقاء كل نفس لا كونه في حساب الاملين لا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل عن اهل الكل بقضائه وقدره انما يؤخرهم ليبلغوا الى
ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبذلك يصل كل من اهل السعادة والشقاوة الى منازلهم ما لكم من زوال فيه ابطال مذهب التناسخية زعموا ان
نفوسهم لا تزال يتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بابطال استعدادهم منهمكين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مكرهم وان كان
مكرهم بحيث يؤثر في ازالة الجبال عن اماكنها ولكنه لا يؤثر في شيء من الاوائل الله وقضائه يوم تبدل ارض البشرية بارض القلوب فيتجلى ظلماتها بانوار

الذنوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح اذا تجلت لكواكب الاسرار انمحت انوار كواكبها
بسطوة اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار ربوبيته بحقائق انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت
الارض بنور ربها وحينئذ برزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة في تجلي نور الالوهية وترى المجرمين
يوم التجلي مقرنين في قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصي وظلمات النفوس فهم محجوبون عن الله
وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا بعقبى المفارقة فان الانتباه بالموت لا ينفع وليعلموا
انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود

سورة الحجر مكية بالاجماع حروفها الفان وسبعماية واحد وسبعون كلماتها ستماية واربع وخمسون آياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ۝ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ۝ ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ۝ وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ۝ وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ۝ ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين ۝ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۝ ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين ۝ وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ۝ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ۝ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها
للناظرين ۝ وحفظناها من كل شيطان رجيم ۝ الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ۝ وجعلنا
لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ۝ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم ۝ وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين
وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ۝ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين ۝ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ۝ ولقد خلقنا الانسان من صلصال

الجزء الرابع عشر

من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من حمإ مسنون ۝ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين ۝ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ۝ الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين ۝ قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون ۝ قال فاخرج منها فانك رجيم ۝ وان عليك اللعنة الى يوم الدين ۝ قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون ۝ قال فانك من المنظرين ۝ الى يوم الوقت المعلوم ۝ قال رب
بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ۝ الا عبادك منهم المخلصين ۝ قال
هذا صراط علي مستقيم ۝ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
وان جهنم لموعدهم اجمعين ۝ لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ۝ ان المتقين
في جنات وعيون ۝ ادخلوها بسلام امنين ۝ ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين ۝ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ۝ نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم ۝ وان عذابي هو العذاب الاليم ۝

القراءات ربما بتخفيف الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني ربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما تنزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاء الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا التشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الاخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي بفتح الياء عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الاخرون بالاسكان **الوقوف** الجزء الرابع عشر الرا ۝ كتاب مبين ۝ مسلمين ۝ يعلمون ۝ معلوم ۝ وما يستاخرون ۝ لمجنون ۝ لان التخصيص له صدر الكلام الصادقين ۝ منظرين ۝ لحافظون ۝ الاولين ۝ يستهزءون ۝ المجرمين ۝ الاولين ۝ يعرجون ۝ مسحورون ۝ للناظرين ۝ رجيم ۝ مبين ۝ موزون ۝ برازقين ۝ خزائنه لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في التقدير والتعريف في التنزيل فاسقيناكموه لاحتمال ما بعده الاستيناف او الحال بخازنين ۝ الوارثون ۝ المستاخرين ۝ عليم ۝ مسنون لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثانية السموم ۝ مسنون ۝ ساجدين ۝ اجمعون ۝ الا ابليس الساجدين ۝ مسنون ۝ رجيم ۝ الدين ۝ يبعثون ۝ من المنظرين ۝ المعلوم ۝ اجمعين ۝ المخلصين ۝ مستقيم ۝ الغاوين ۝ اجمعين ۝ ابواب ۝ مقسوم ۝ وعيون ۝ لارادة القول امنين ۝ متقابلين ۝ بمخرجين ۝ الرحيم ۝ الاليم ۝ **التفسير** قال سبحانه تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الاي والكتاب والقران المبين السورة وتنكير القران للتفخيم وقال الاخرون الكتاب والقران المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الايات ايات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرانا مفيد البيان اما قوله

١٤٦

ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات احدها المشهورة رب الراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مضمومة او مسكنة ورب الراء مفتوحة والباء كذلك مشددة او مخففة وربت بالتاء مفتوحة والباء كذلك اي مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه يختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وما هذه كافة اي تكف رب عن العمل تهيئا بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شيء اي رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه انه يتمنون ذلك ويتواصل فما معنى التقليل واجيب بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا التقليل وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اراد ولو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم القليل كما يتحرزون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الاية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى يكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال العذاب او راى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثرة التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهد امارات العقاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى في اخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخليهم وشانهم ۝ فالمحققون الاشاعرة على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتخييرا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان وانه لا يجيء منهم الا ما هو فيه وان لا اجر لهم ولا واعظ الا المعاينة ما ينذرون به حتى لا ينفعهم الوعظ وفي الاية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ومعنى يلههم الامل يشغلهم عن اتباع الايمان والطاعة لهيت عن الشيء الكسر الهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاني غيري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله وخط اخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم وفيه مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتحذير فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولكان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو وكيف وقد لزمت الفاصلة في الاية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال القوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستيصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال اخرون المراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكانه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وقيل المراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان التمني وانقضاء شخص فمعناه جاوزه وخلفه كقولك سبق زيد عمرا اي جاوزه وخلفه وان قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فعنى الاية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادث وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا في قوله وما يستاخرون حملا على اللفظ والمعنى وخفف متعلق يستاخرون وهو عنه للعلم به وللتبالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم وطعنهم في النبي فالاولى انهم يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق اراءهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوه يا ايها الذي نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي

نزل عليه الوحي في زعمه واعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لوما تاتينا بالملائكة لوما حرف تخصيص مركب من لو المفيدة
للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك
على انه امرك والمراد هلا تاتينا بملائكة العذاب ان كنت صادقا في ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبهتهم
بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة اي الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا
فان امر التكليف حينئذ يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا
او لا حكمة في انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم يؤمنوا وجب عذاب الاستيصال وذلك قوله وما كانوا اذا منظرين فان التكليف يزول عند
نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة
الا بالحق الا بالوحي او العذاب قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن ان الدال على مجيء فعل بعده خففت الهمزة
بحذفها بعد نقل حركتها مكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة لما كانوا
منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا
الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده بقوله وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن اية لم يبق محفوظا من التغيير
والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله كقوله والله يعصمك والقول الاول اوضح ووجه حفظ القران قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام
البشر حتى لو تعادوا فيه تساطير ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظه بالدرس والبحث فلم يزل طائفة
يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل وان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله
لقال له بعض الصبيان اخطات ومن جملة اعجاز القران وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف
وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القران ولم يكله
الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهر بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا
فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين
في امم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال ابن عباس معنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء
اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربي قوله وما ياتيهم حكاية حال
ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المالوف شديد وكون الانسان مسخرا لامر من هو
مثله او اقل حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على ان السبب الكلي هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ودق عظم
سنام الشهر في الاول قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط قالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب
عوده الى اقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فعائد الى الذكر لانه لو عاد الى
الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه الذم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شيء واحد
وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم
قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي نجعل في قلوبهم انهم لا يؤمنوا به فثبت دلالة الاية على ان الكفر والضلال
والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه نسقه هذا السلك بعمل
امر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير
مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول نظيره ما اذا انزلت لئيم حاجة
فلم يجبك اليها فتقول كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بان النون انما يستعمل الواحد
المتكلم اظهارا للعظمة والجلالة ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون
منازعته ومدافعته غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القران وتحفظه
وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب
الدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم
حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا انما يناسب تفسير المعتزلة ففيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة
الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب
بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر

الشراب او من السكر ضد الشق يقال سكرت النهر اذا سددته وحبسته من الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سننه الجاري
عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فمعنى الاية حيرت ابصارنا ووقع بنا من فساد النظر ما يقع
بالرجل السكران او حبست عن افعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون
في تلك المعارج وينظرون ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في
تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا ساير المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القران
المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا
مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تشبيه للابصار وقيل الضمير في فظلوا للملائكة
اي لو رايتم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها
وههنا سوال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانهم نفر
مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر فكانوا في مساواة قليلة العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد ولا سيما اذا جمعهم غرض معتبر
حين ابطلنا حصر ما اجاب عن شبهة منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة متفرعا على القول بالصانع اتبعه دلايل ذلك
فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي اثنا عشر عند اهل النجوم وذلك انه قسم نطاق الفلك الثامن عندهم باثني عشر قسما متساوية
ثم اخرج بمنتهى كل قسم ومبدا جنبه مستمدا من اول الحمل نصف دائرة عظيمة بقطبي الفلك فصار الفلك ايضا مقسما باثني عشر قطعة
كل منها تشبه ضلعا من اضلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من
العناصر الاربعة فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان
والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون
او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التاثير كما يقول به الحكماء فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة
او باثر معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم وقد مر تقرير الدليل الاخر قوله وزيناها اي بالشمس
والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافي الاية على ما
يمكن ان يسبق الى الوهم لانها سواء كانت في السماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون تظهر بها في السماء الدنيا فكان السماء
الدنيا متزينة بها والاية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الاية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله في سورة
الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها اي البروج او السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء
المنقطع اي لكن من استرق ويجوز ان يكون مجرورا اي الا ممن استرق وعن ابن عباس يريد الخطف اليسير فاتبعه اي ادركه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت
الشياطين لا يحجبون عن السموات فكانوا يدخلونها ويسمعون اخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما حفظ احدنا منزله
ممن يتجسس ويخشى منه الفساد واستراق السمع في استماع الكلام مستخفيا قالت الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس
ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فاشتعل لدهنيته فيه يحدث منها انواع النيران من جملتها
الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا انها لم يكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين
في زمن عيسى ثم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اسولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا او اكثر من جنسهم يسترقون
السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضا عمي البصر فاذا اقتضى الله لطائفة منهم احرق لطائفة
تقدم لمن الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والوهم اخر قد يرد في الاضمار ان ما بين
كل سماءين مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماوات فقد ضعف قوله تعالى هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف
يمكنهم استماع اسرار الملائكة من ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان لا بعد
ما بين كل سماءين وبين ذلك العد الا انه الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول
يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت
حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم

يتحيرون ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء فيتخطف الجن ثم يرمون فما جاؤا به فهو
حق ولكنهم يزيدون اخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف يحرق النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان
من جنسه اخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلعم فكيف بقي بعده فالجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض
ابطال الكهانة اخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادة
بانهم اذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة اخر لو كان يمكنهم نقل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار
المؤمنين الى الكفار واجيب بانه تعالى اقدرهم على شئ واعجزهم عن شئ ولا يسأل عما يفعل والاولى لعل السبب فيه ان نسبتهم
الى الروحانيات اكثر اخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي عن بعض
فلا يكون دليلا على صدقه ولا يقال انه تعالى اخبر انهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته
فلو اثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلايل اخر حتى لا يلزم الدور ولكن لا يبعد ان اخباره عن بعض الغيب
موكد لنبوته وان لم يكن مثبتا الدليل الرابع قوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقد مر تفسير مثله في اول سورة
الرعد الدليل الخامس وانبتنا فيها اي في الارض او في الجبال الرواسي من كل شئ موزون بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة
وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل اي له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل اراد
ان عناصرها معلومة وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة
بالحسن واللطافة يقال كلام موزون اي متناسب وقيل انه موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس
وغيرها من الموزونات كاكثر الفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها اي في الارض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة
وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي وجعلنا لكم من لستم له برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه
لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين
يرزقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الاباء والسادات والمخادم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب
والوحش والطير لقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر من غير من يعقل بصيغة من يعقل لوجه ما من الشبه
كقوله يا ايها النمل ادخلوا والدواب تشبه ذوي العقول من جهة انها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى انه نشفت مياه الاودية في
بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر بتلك العادة قدرته ونهاية حكمته تعالى وان
من شئ الا عندنا خزائنه قال جمع من المفسرين اراد بالشئ ههنا المطر الذي هو السبب لارزاق بني ادم وغيرهم من الطير والوحش
وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده اي في امره وفي حكمه وتدبيره وما ننزله الا بقدر
معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحكمي ما من عام باكثر مطرا من عام اخر ولكن يمطر قوم ويحرم اخرون وربما كان
في البحر واعلم ان لفظ الاية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلها العقلاء الا كان تشبيها تحكما والظاهر
عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى
الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام
في الاجسام وساير الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معين الى
غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم
وقد يتمسك بالاية بعض المعتزلة في ان المعدوم شئ قال المراد ان تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت
ثابتة من حيث انها ذوات وماهيات ثم انه تعالى نزل اي اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله وارسلنا
الرياح ومن قرأ الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتمجه في
السحاب او لانها تلقح الشجر اي تقويها وتنميها الى ان تخرج ثمرها قال الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام العرب فاعل بمعنى مفعل
قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل وقال الزجاج معناه
ذوات لقح لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في نفسها
لاقح اي حاملة للسحاب او للماء من قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا او حاملة للخير والبركة كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه
اي جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقال سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروى واسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد الفرق
القرآن قوله نسقيكم مما في بطونه وقد لم يختلفوا في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته
وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم اراد عظم

قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال بالاحياء والاماتة
نبه على انه واحد في ملكه وحكمه قال اكثر المفسرين انه وصف النبات فما قبل بنحو الاحياء يختص بالحيوان ومنهم من حمله على القدر
المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في اخر العمران
في قوله ولله ميراث السموات والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطا المستقدمين يريد اهل طاعة الله
والمستاخرين يريد المتخلفين عن طاعته ويروى انه صلى الله عليه وسلم رغب الناس في الصف الاول في الجماعة
فازدحم الناس عليه فانزل الله الاية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال وقال
ابن عباس في رواية ابي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف
الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت اباطهم فنزلت
وقيل المستقدمون هم الاموات والمستاخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الاية ولما بعدها وقيل المستقدمون
هم الامم السالفة والمستاخرون هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستاخرون من لم يخلق بعد
والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة فلا ينبغي ان يخص الاية بحالة دون اخرى
ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو تعالى وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فالحكمة تقتضي
امر العباد على التكليف والجزاء وعلمه قدير على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال بخلق الانسان خاصة
وذلك انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان اول لضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على انه
ادم عليه السلام ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم او اكثر وكيف كان
فلا بد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال
كالفخار وقد كان قادرا على خلقه اي من اي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب
لمحض المشية او لما فيه من دلالة الملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من
خلق الشئ من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو
تضعيف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته
قاله سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت
سمعت ابا عمرو يقول معناه المتغير منتن وكان من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا
منتنا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ ثم قال ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه
من حمأ قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس
يريد ابليس وعن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كادم ابو الناس وهو قول الاكثرين والتركيب يدل على التستر
والتواري عن الاعين وقد مر فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اي
من قبل خلق ادم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام تكون بالنهار وقد يكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي
يبرز منها العرق وبخار الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها لفح جهنم قال ابن مسعود
هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الحيوان من النار فانا
نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليه احدها وحينئذ يكون مكانه
مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه مختارا ذكر
بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم
والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج
التابع لذلك اعتدالا نوعيا او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم اخر فمن زعم ان الروح جسم
لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة
البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وتمام الكلام
في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسألونك عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل
ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا يدل على انه وقع عليهم في السجود كالواجب عليهم عقب التسوية والنفخ

غير نزاع قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين فقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منتصبا لا ما د المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء وفي اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سؤال سائل هلا سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني ابى الاستكبار ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي غرض لك في الامتناع من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وادم جسماني كثيف واصله تراب شريف واصل ادم طين خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب يوم الدين اي يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب في التابيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض واراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وافق هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد عن كل خير فينبغي الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر ادم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خص ادم بالاضافة الى نفسه في صورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فانهم قال رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما عينه واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا فلم يجب الى ذلك وانظر الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر مثله حقه في الاعراف ومفعول لازينن محذوف اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور او اراد انه اذا قدر على الاحتيال لادم وهو في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدثهم ان الزينة هي في الارض وحدها كقوله شعر وان يعتذر بالمحل من ذي ضروعها الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي اراد يجرح في عراقيبها نصلي ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية السماجة والاخلاص جعل الشيء خالصا لله من شائبة الغير لا كمن ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او علي مروره اي علي رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني ادم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئة تعالى فاشير بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي تقديره وتاكيده ومن قرا علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر الا عبادك بين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا انسب الاصول الاشاعرة وقال اخرون هذا تكذيب لابليس وذلك لان الله ادم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقهر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا انسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات قال جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه

انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه آتيا بجميع اصنافه الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والاية ايضا وردت عقيب قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر انه لا يزاد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين يتناول لجميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة فيها انهار من ماء غير اسن الاية واما ان يراد بها منابع غير ذلك ثم انه كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في جملته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من الحقد والحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل ان يقول لهم الله تعالى او بعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك ومعنى بسلام اي مع السلامة من افات النقص والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذا على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير نحو المجلس الرفيع المهيا للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذي اطمان عليه في حال سروره ودعته والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور لكونهم متكئين كلا منهم مقبلا على الاخر بالكلية وبتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتنافر فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الافات امنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات وقوله وما هم منها بمخرجين مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاده رسوله الكريم واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي العفو الرحيم مع نوع تكرير وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي **التاويل** ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت احوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هدد النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عاد المشؤوم الى طبعها واستحلت التلذذ بنيل شهواتها ذرهم ياكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من شقاوتها وسعادتها ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها ولا يستاخرون لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها اعماله واحواله وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا القلب الذاكر لما تابعنا بصفات الملائكة المتقادين حقيقة اشارة الى ان النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو انزلت قبل اوانها كان استعداد القبول لما كانوا اذا موجرين من الهلاك والتلف لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول هذه الكلمة ولكن لم تنزل في قلبه فلم يحفظ ولقد جعلنا على من اسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لانكروا فتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاحوال فكان البروج منازل السيارات فكذلك الاحوال منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية تقبل كنفس الحيوانات الى ان اسماها الله بجمال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان من شيء الا عندنا خزائنه فلصورة الاجسام خزانة ولاسمائها خزانة ولمعناها خزانة وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار وكذا لظلمتها ونورها وملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله وفيه يحترزون قلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح العناية لواقح الانجذاب القلوب باظهار الكشف باتمام الشواهد كما قال بعضهم

اذا اهبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقتهم من عراجس انفسهم ورعونات طبايعهم وتطهر في القلوب نتايج
ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء العناية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل الخلقة فان المخلوف
لا يوصف بالحكمة الا عيانا وانا لنحن نحيي قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون
بعد افناء وجودهم ليبقوا ببقائنا بان يدعوهم يحشر المستقدمين الى حظاير قدسه والمستاخرين الى اسفل سافلين
الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين اي الى ان تطلع شمس شواهد ناس من مشرق الروح وتصير
ارض النفس مشرقة وتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اي يبعث الارواح
في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس
فيجعلها مطمئنة بما اغويتني اضللتني من طريق الامارية لازين لهم الارواح في ارض البشرية من الاعمال الصالحات التي توك
الاخلاق الحميدة وبها تربية الارواح ولازينهما لاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تناتى
الا عبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اي هو طريق اهل الاستقامة في السير الى الله المنتهى
عن غيره ان عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة تتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بالله وان من خصوصية العبودية
المضافة الى الحضرة الموعد عماسواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر والابواب السبعة
اشارة الى الحواس الخمسة الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما اصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور
والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من اعوانها واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية
الى الهلاك فلا جرم صارت ابواب الجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحيث تفرق العقل العزيز صرن تنع العقل
ابوابا لها سبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الجذبات امنين من موانع الخروج والدخول بعد الحصول فان السير
في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبريل ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت ومن عنايته انه نزع الغل من الصدور لا
يكون الا بنزع الله وان الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبراة من حوادث الوهم والخيال
ومعنى يتقابلهم ان النفوس المصقلة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها انوار جمال الله وجلاله
انعكست منها الى من يقابلها من اخوانها كما يتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بما وصفناها في قوله
نبئ عبادي اشارة الى ان سلوك السالكين مطيّا الطالبين يجب ان تكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والحب والله الموفق

ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون ٥
قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ٥ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم
تبشرون ٥ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ٥ قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون ٥ قال فما خطبكم ايها المرسلون ٥ قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين ٥ الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين ٥ الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين ٥
فلما جاء ال لوط المرسلون ٥ قال انكم قوم منكرون ٥ قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون ٥ واتيناك بالحق وانا لصادقون ٥ فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع
ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون ٥ وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هولاء مقطوع مصبحين ٥ وجاء اهل المدينة يستبشرون ٥ قال ان هولاء

ضيفي

١٥٠

ضيفي فلا تفضحون ٥ واتقوا الله ولا تخزون ٥ قالوا اولم ننهك عن العالمين ٥
قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين ٥ لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ٥
فاخذتهم الصيحة مشرقين ٥ فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ٥
ان في ذلك لايات للمتوسمين ٥ وانها لبسبيل مقيم ٥ ان في ذلك لاية للمؤمنين ٥ وان كان
اصحاب الايكة لظالمين ٥ فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ٥ ولقد كذب اصحاب
الحجر المرسلين ٥ واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين ٥ وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا امنين ٥ فاخذتهم الصيحة مصبحين ٥ فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٥
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح
الجميل ٥ ان ربك هو الخلاق العليم ٥ ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ٥
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ٥
وقل اني انا النذير المبين ٥ كما انزلنا على المقتسمين ٥ الذين جعلوا القران عضين ٥
فوربك لنسالنهم اجمعين ٥ عما كانوا يعملون ٥ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ٥
انا كفيناك المستهزئين ٥ الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون ٥ ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون ٥ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ٥ واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ٥

حرف

القراءة اذ دخلوا وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف عن هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة
الاخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها
علامة رفع يقنط بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك باب الاخرون بالفتح الا لوط مدغما حيث كان شجاع
لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بناتي ان بفتح الياء
ابو جعفر ونافع اني انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو **الوقوف** ابراهيم لئلا يصير اذ دخلوا ظرفا لنبئهم
فانه محال سلاما وجلون عليم تبشرون القانطين الضالون المرسلون مجرمين للاستثناء الا لوط اجمعين قدرنا لان الجملة
بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين المرسلون لان ما بعده جواب لما منكرون يمترون لصادقون تؤمرون
مصبحين يستبشرون فلا تفضحون للعطف ولا تخزون العالمين فاعلين لانتهاء القسم يعمهون مشرقين لاتصال انقلابها
بالصيحة من سجيل للمتوسمين مقيم للمؤمنين لتمام القصة الظالمين لاتصال الانتقام بظلمهم منهم لان الواو للابتداء فلو
وصل لتشبه الحال وهو محال مبين لتمام قصتهم المرسلين لان الواو بعده للحال اي قد اتيناهم معرضين للعطف امنين مصبحين
للاتصال معنى يكسبون لتمام القصص الا بالحق الجميل العليم العظيم للمؤمنين المبين لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم او بقوله

فانتقمنا والجواب تعلقنا بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث سيجي في التفسير المقتسمين عضين اجمعين
يعلمون المشركين المستهزئين اخرج للابتداء التهديد مع الفاء يعلمون بقولون لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين للعطف
اليقين **التفسير** انه سبحانه نبيهم علي ربي عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات
الاوليا ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقيا ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المومنين واهلاك الظالمين
وكل ذلك يوذن بما ذكر من انه غفور رحيم للمومنين وان عذابه اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب للمجرمين
وقد سبق تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فلا نذكر الا ما هو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم
من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استيناف في معنى تعليل النهي عن الوجل نبشره بالولد الذكر
ويكون عليما فقيل اراد انه يعلم نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله علي ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا
للولادة في حالة الهرم لانها امر عجيب عادة الا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية
دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشرون او انكم لا تبشرون بشي في الحقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة
واحسن ما قيل فيه انه لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سوالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا
فباي طريق تبشروني بالولد قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك
قول الله ووعده وانه قادر علي خلق الولد من غير ابوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع يا المتكلم مع
النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لم يحذف الا الياء اكتفاء بالكسرة ودون الرواية لم يرد ما اورد في قراة التشديد
وانما كسر نون الجمع لاجل اليا وكلتا القرائتين ففيهم قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام
المضطرب وقيل طلب مزيد الطمانينة كقوله ولكن ليطمين قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما قضى الله ان يخرج من صلب
ابراهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبيا وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل علي انه كان قانطا فقد ينهى عن الشي ابتداء
كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابراهيم نهيهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطيون طريق الصواب
او الكافرون تقريره انه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له
في العادة التي اجراها الله وهما لغتان قنط يقنط كضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاولى اعلى
اللغتين ثم سالهم عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فقيل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما
وجه السوال عن مجيئهم واجاب الامام بان المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضي انه علم ان كمال المقصود
لو كان البشرى فقط لكان الملك الواحد كافيا او قيل انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اولا ولما خلوا ابتداء بخوف
ابراهيم منهم حيث قلت لعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسالهم عن الامر الذي هو
اعظم من ذلك وانهم تعقبوا السالم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك
كارسال الحجر او السهم الى الرمي واقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين
لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف
الجنسين فان القوم موصوف بالاجرام دون ال لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن ال لوط منجون
ويكون قوله الا امراته استثناء من الاستثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط الا امراته كقول المقر لفلان علي عشرة
الا ثلثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا ال لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون متصلا اي الي قوم
قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء علي ان ال لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين
والا امراته من معمول لمنجوهم وقد عرفت ما فيه علي انه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو ال الامر الى ما ذكرنا
فلا ادري لم استبعده مع وفور فضله قال اهل اللغة قدرت الشي وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشي على مقدار غيره
ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامر اي جعلها على مقدار ما يكفي في ابواب الخير والشر وقيل في معنى
قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والاكثر استعمال المشدد في هذا المعنى اكثر استعمالا فانه جواب سوال كانه قيل
ما بالها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين في الهالك ويقال للماضي ايضا غابر وهو من الاضداد
قال في الكشاف علق فعل التقدير مع ان التعليق من خصايص افعال القلوب لانه في معنى العلم وانما اسندوا الفعل الى انفسهم
مع ان التقدير لله عز وجل بيانا للاختصاص به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا او لعل الدبر والامر هو الملك
وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم صلوات الرحمن عليه بالولد واخبروه بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك

قوله

قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم
وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تزعم بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من
عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه واتيناك بالحق باليقين الثابت وقال الكلبي بالعذاب
الذي لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في اخره وقد مر في سورة هود وزاد ههنا
قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفي عليه حالهم ففي الاية زيادة بيان لكيفية الاسراء
ثم زاد في البيان بقوله ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن امراته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين
الا امراته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه ليشكر الله
ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من اهل الرقة
عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا ويجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير
وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادني وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشي مضيا ذهب ومضى في الامر
مضيا انفذ وقال في الكشاف عدي وامضوا الي حيث تعدية الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه
قلت حاصل الكلام يرجع الي قوله اذهبوا الي المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه او انفذوا امر الذهاب الي هنالك عن ابن عباس
انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرائيل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال
وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عدي بالي كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولاء مقطوع
مصبحين اي يستاصلون عن اخرهم حال ظهور الصبح وفي ابهامه اولا ثم تفسيره في هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى
ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل يقال اجور من قاضي
سدوم يستبشرون بظهور السرور بمجي الملائكة لانهم رأوهم مردا احسان الوجوه قال لوط لما قصدوا اضيافه ان هولاء ضيفي
فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسي اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف
يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر في هود قالوا في جواب لوط
اولم ننهك عن العالمين اي الستا نهيناك عن ان تكلمنا في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل
احد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عن ذلك فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة
الناس وانزالهم قال هولاء بناتي من الصلب او اراد نساء امته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم
لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك
مبتدا محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي قسمي او ما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح
لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم
وصوابك يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي تامرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه حلف بحياة
النبي صلى الله عليه وسلم واقسم بحياته كرامة له وما اقسم بحياة احد قط وذلك يدل علي انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب كان من اول الصبح لقوله مصبحين الى الصبح بقريب وغايته
كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون صيحة جبرائيل قلت ويحتمل ان تكون صيحة قلب المداين وارسال الحجارة
عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي سورة هود وامطرنا عليها لان المراد ههنا من شذ من القرية منهم
وقيل بسبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين ان في ذلك لايات للمتوسمين
للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى تعرف حقيقة سمة الشي فيعبر به عن التامل والتفكر وانها يعني
تلك القرى واثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون اثار نقمة الله وغضبه فهذا
قال بعضهم انما جمع الايات في قوله ان في ذلك لايات للمتوسمين لانه اشار الى ما تقدم من ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب
المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها اي القرية لبسبيل مقيم وهي واحدة من تلك الايات
فلذلك قال ان في ذلك لاية للمومنين وقيل ما جاء في القران من الايات فلجمع الدلايل وما جاء من الاية فلوحدانية المدلول
عليه فلذا ذكر عقيبه المومنين وهم معترفون بوحدانيته وحد الاية نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض
بالحق ان في ذلك لاية للمومنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين ان مخففة من الثقيلة
ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها والايكة الشجر الملتف الضخم

في قوله وانهما بعد والي قرى قوم لوط والي الايكة وقيل بل الي الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر احد
الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع
وقال ابن قتيبة لان المسافر ياتم به حتى يصير الي الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب
الحجر وهو واد بين المدينة والشام ومع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء ولان القوم كانوا براهمة
منكرين لكل الرسل وليرادها لهما ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اي اعطينا رسولهم آياتنا اراد الناقة وكانت فيها آيات
خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الي غير ذلك كما حكينا في الاعراف فكانوا عنها اي عن النظر فيها والاعتبار بها
معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ويقع
سقفها عليهم او آمنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي
ملتبسة بالفوائد والحكم والغايات الصحيحة ومنها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها واعرضوا عنها وجب
في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وهذا النظم يناسب اصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية
الذين يزعمون ان الله خلق اكثر ما بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطلا واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات
والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم وتوبيخهم على هذا النظم وان الساعة
لآتية معناه ان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض
وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ولما صبره على اذى قومه رغبه في الصفح فقال فاصفح
الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذي يشتمل على حقد
واهمال ومكر وان كان للعهد فلعل المراد بالعربية في نحو قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قيل هذا منسوخ
باية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة مامور به ما امكن فلا حاجة الي ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق
كثير الخلق العليم يعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والاخلاق فان كثروا وكثرت مجادلتهم يوم القيمة على حسب ذلك
وقيل اراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الي ان يكون السيف اصلح ثم شدد على الصفح
والتجاوز بتذكير النعم العظام التي خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين على انها فاتحة الكتاب وهو
قول عمر وعلي وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك انها
سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلاة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها وايضا
قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر
في اول الكتاب وايضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله
تعالى وتمجيده متكرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في
مصحفه فاتحة الكتاب فتخيل كانه رأى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان
يكون السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل او بالعكس كما في الآية
والمقصود في الموضعين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت اليس لعطف الكل على
البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك دليلا على انه من القرآن
وعن ابن عمر وسعيد بن جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص
والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك او لانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى وانكر الربيع هذا القول لان هذه
السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء انزالها الي السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك
سيان وضعف بان اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثاني هي التي دون الطول والمئين
وفوق المفصل واحتجوا عليه بما يروى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطول مكان التورية
واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال ابن الصدف والقول في تسمية هذه السور
مثاني كالقول في تسمية الطوال مثاني وروي عن ابن عباس والية ومذهب طاوس ان جميع القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها
مثاني وانها سبعة اسباع كل سبع منها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وعلى هذا القول العطف على هذا القول الجعبة كقوله الي الملك القرم وابن الهمام

وكانه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبع مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج وتابعه صاحب الكشاف من في من المثاني
للبيان او للتبعيض اذا اريدت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اريدت الاسباع ولما ذكر سبحانه النعمة الدينية وعقبه
نهيا عن الرغبة عن اللذات العاجلة الزائلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الي نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم
يتغن بالقرآن اي لم يستغن به فليس منا وقول ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وفي حق قاري القرآن ان يواظب على معانيه ان لا يشتغل سره بالالتفات الي زخارف الدنيا قال الواحدي
انما يكون مادا عينيه الي الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر اليه يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف ومعنى لا تمدن
لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الي ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهري
الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه
مطلقا فكيف يمكن تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكرير كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد
الغبطة فهي محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لامته ويروى انه وافت من بلاد الشام سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع وانما قال في هذه السورة لا تمدن
بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه ثم لما نهاه عن الالتفات الي اموالهم ومتعتهم نهاه عن الالتفات
اليهم انفسهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام ويعتز
بهم المؤمنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض
جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء
بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر
بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم ان هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الامة ولما
بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع
التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه مبينا كونه
شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة والنار فالانذار بالنار ظاهر والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان
عنها وفي متعلق قوله كما انزلنا وجهان ذكرهما صاحب الكشاف احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما
انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة
من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او فعلة من عضه اذا بهته فالمحذوف منه الهاء لا الواو وعن عكرمة
العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
ونقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقها من الحذف
ومعنى الآية ان اليهود اقتسموا القرآن الي حق وباطل وجزأوه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرأونه من كتبهم فقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض
كقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه
وعنادهم ولهذا وسط بين المتعلق والمتعلق به قوله لا تمدن الي آخره لانه مؤكد للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات
الي دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بالاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان يتعلق بقوله النذير المبين
وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا كقوله رأيت
القمر في الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن انتقال الكاف
بمعنى مثل ولا حاجة الي الالتزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اليهود ويراد بالعذاب ما جرى
على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان وقيل هم
نفر من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر
شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود

بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان بعضهم يقول سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة عمران لي وقال مقاتل
اقتسموه فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا
بالله ليبيتنوا صالحا كما يجي في سورة النمل فرماهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير
اي انذر العضين الذين جزوا القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك
لنسألنهم الآية وقد مر تفسير مثله في اول الاعراف وذلك قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين
المذكورين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه فقال
فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل ومنه تسمى الصبح صديعا كما تسمى
فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون ايجازه محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرايع مثل امرتك الخير
ان تكون ما مصدرية اي بامرك وشانك مصدر من المبني للمفعول قالوا وما زال النبي صلعم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية
ثم قال واعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا الاباء في ابة القتال حتى يلزم
النسخ على ما ظن بل تؤكدها ثم اكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طايفة
ذو شوكة قد تهيئوا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والا لم تنفيذ الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عدد هم واسماهم
على اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة ابن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر قال جبريل عليه السلام
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكفيكهم فاوى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه
فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك
ثم امره لكشف ما نابه بان يفزع الى التسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي
بذلك لانه امر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل في غد بدء مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد
وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له اضواء عالم الربوبية فيتهون في
تلك المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستانس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض
المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدايم والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على مثل ذلك سواء اعطيتني
الخيرات او القيتني في الآفات وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله من القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى
عدل منزه عما لا ينبغي فيه ولا اعتراض **التأويل** في بشارة ابراهيم اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مستضعف
القوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله ويتقرب اليه بالاعمال القلبية ليتقرب اليه
ربه باصناف الالطاف فيجد بانه الاعطاف بان يخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم الدينية وهو واعظ الله
الذي في قلب مومن ان في ذلك لايات لاصحاب القلوب المتوسمين بنوا هذا احكام الغيب وما خلقنا السموات الارواح وارض
الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق الا لمظهر الحق ومظهره وهو الانسان المخصوص
بذلك من ساير المخلوقات وان الساعة يعني قيامة العشق لاتية للنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان
انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بان يداريها وتواسيها
فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة ومن ههنا قيل جذبة من
جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق بصور المخلوقات ولمعانيها ولحقايقها العليم لمن خلقه مستعد المظهرية
ذاته وصفاته ومظهرية انها وليس ذلك في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفا
دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد اتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام
والحيوة والعلم والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار
خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين
ليبلغ التمام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين نسوا نعم الله على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا

والطيرتم

القرآن عضين اي اجزاء فقالوا في الاستهزاء بعضهم قرأته ليقال لهم القراء وبه ياكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرون
الرزق وقوم حصلوا تفسيره وبلغه اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وتفقهوا على وفق ارائهم وندا
تكفيروا ان فسروا القرآن برايه انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله
الها اخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لانك لست منهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى ياتيك اليقين
اي الى الابد لان لكل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فانه يحصل فوقه مقام اخر مشكوك فيه الى ان
يحصل به اليقين فيه ايضا فهكذا مراتب لا تتناهى فاليقين اشارة الى الابد والله سبحانه اعلم

هبهم

سورة النحل مكية غير ثلث ايات وان عاقبتم الى اخرها حروفها سبعة الاف وسبعماية
وسبعة كلامها الف وثمانية واحدى ... ايتها مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من
امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال
حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والز
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات
لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم
هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة

يتون

الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ۝ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ۝ والذين يدعون

من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ۝ اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون ۝

الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۝ لا جرم ان

الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ۝ انه لا يحب المستكبرين ۝

القراءات تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الاخرون على الغيبة تنزل بالفتحات الثلث الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وابو يزيد مثله ولكن بضم التاء الفوقانية جملة تنزل سوى الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ورويس الباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها ينبت بالنون يحيى وحماد الاخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في والنجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على ان مسخرات حال يسرون ويعلنون بتاء الخطاب بينها الخراز عن هبيرة الاخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب **الوقوف** فلا تستعجلوه ۝ تشركون ۝ فاتقون ۝ بالحق ۝ تشركون ۝ مبين ۝ خلقها لاحتمال تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلقا به فالوقف حينئذ على لكم تاكلون للعطف تسرحون ۝ لكم الا بشق الانفس ۝ رحيم ۝ لان الخيل مفعول خلق وزينة ۝ ما لا تعلمون ۝ جائر ۝ اجمعين ۝ تشيمون ۝ الثمرات ۝ يتفكرون ۝ والنهار ۝ لمن قرا والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن وقف الكل وقف على بامره تعقلون ۝ لان ما بعده مفعول سخر الوان ۝ تذكرون ۝ تلبسونها ۝ لان قوله ولعلكم متصل مستانف مع اتصال المعنى تشكرون ۝ تهتدون ۝ لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ۝ يهتدون ۝ لا يخلق ۝ تذكرون ۝ لا تحصوها ۝ رحيم ۝ وما تعلنون ۝ وهم يخلقون ۝ لان التقدير هم اموات غير احياء ۝ للاختلاف الجملتين وما يشعرون ۝ لان ما بعده مفعول يبعثون واحد ۝ لان ما بعده مبتدا مع الفاء مستكبرون ۝ وما يعلنون ۝ المستكبرين ۝ **التفسير** هذه السورة تسمى سورة النعم وحكي الاصم عن بعضهم انها كلها مدنية وقال اخرون من اولها الى قوله كن فيكون مدنية وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس منه قال اهل النظر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل يوم بدر وتارة بعذاب القيمة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك اقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجرا لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع والمراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجي ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا هب يا محمد انا سلمنا لك صحة ما تقوله من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الاخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الشركاء والانداد وان يكون لاحد من الارواح والاجسام ان يشفع عنده الا باذنه او يتدخل في حكم من احكامه واقضيته قيل او انه ثم انهم كانهم قالوا هب انا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة بالتلطف وعلى الاخرين بالقهر ولكن كيف عرفت واطلعت على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الاية والمراد ان الحكم لله له ان يختص بعض عبيده بانزال الوحي عليه بامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة توحيد الله وعبادته فظهر بهذا البيان ان هذه الايات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبرائيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القران الذي فيه بيان المبدا والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل وبالعقل يكمل صاحبه

الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة سمي جبرائيل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبرائيل والباء بمعنى مع اي تنزل الملائكة مع جبرائيل وضعف لان في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه افواج من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره اي مما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او مما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر اي بانه الشان اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قولي لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحيوة ابدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى انا لا نعلم كون ابليس غير صادق والمعصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية ومعرفة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على ان هذا القران معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبرائيل صادق بريء من التلبيس وافعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا اشكال صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجزة والسحر هو ان صاحب المعجزة يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده فاذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجز بالسحر وجبرائيل بابليس وهل هذا الا الدور ولما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجساد هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به اتبعه دلائل التوحيد مبتدئا من الاشرف وهو العلويات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسير مثله مرارا وفي قوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عما يشاركه في الازلية والقدم والتاثير والصنع والابداع فالغاية المطلوبة من هذا الكلام غير الغاية المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقبه بذكره بقوله خلق الانسان من نطفة قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم فاذا وصل الى الكبد حصل فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزءا من العضو المغتذي شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يذوب الجزء الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا تكون النطفة جسما مختلف الاجزاء بالطبائع وان كانت تتخيل في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء فكل مركب فانه يتحلل الى البسائط فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق الواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة فالاجزاء الرطبة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما او اكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان ترقينا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة حين حدوثها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكروا فيه وجهين احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان لا احساس به ولا حراك وتقرير ذلك ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس سائر الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من البيض يعرف العدو فيهرب منه ويلتجي الى الام ويميز بين الغذاء الذي يوافقه والذي لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير نقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول يجب ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثاني فعيل يكون بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الايات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وتقريع لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في الفحش والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي

هذا بعد ما تقدم من قوله ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب
وحمل الاثقال وفي غير الضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزيين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية المذكورة
في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ
على الابل قلت ويمكن ان يستدل عليه بقوله الدالة ممن شك بعد ذلك فلا حس لم ومن جملة الايات التي هي في الحقيقة
انعامات على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم
طري غير مهموز ومصدره طراوة يقال شيء طري اذا اغض بين الطراوة وقال تقطب طرو اللحم يطري طراوة وطراءة والمراد به
في الاية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد
عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث
بقدرة الله وحكمته بحيث اظهر من الضد الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة من حلف لا ياكل لحما فاكل
سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك حقيقا بالانكار
ورد عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم
تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القران متعين فليس فوق بيان الله بيان
ولقائل ان يقول لعل الانكار في هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شري العصفور او شري لحمه فانه انما
يشترى كله ثم يجيء من الملاك ان اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا المراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم
لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين لاجلهم ولقائل ان يقول لا مانع من تزين الرجال باللآلي ونحوها شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف
استدل الامام فخر الدين بالاية في ابطال قول الشافعي انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيما يروى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الاية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكوة في
اللآلي وهذا باطل بالاتفاق ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشتمل المصوغ من الذهب والفضة ايضا
فيكون الحديث مخصصا بالاية اذ ثبت جنس من عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة
مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن
هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله لتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله
فاذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف
المتعلق بمواخر المستقر بعد مضي معمول ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون وتقدم
الجار في قوله ومن كل تاكلون حذف لفظه منه هناك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله
وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي
لو حضرت ايها المخاطب لرايته بهذه الصفة ويمكن ان يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا ينفصل بين لام العلة
وبين متعلقها وهو مواخر او ليكشف المتعلق المتعلق وانما بينا الكلام على ان قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب
هذا وبعد ذاك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميل الارض بكم والباء للتعدية او للمصاحبة والميد الحركة والا
ضطراب يمنة ويسرة يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال الجمهور المعتبرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب
الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فكذا الارض تستقر على الماء
بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لخفتها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب
ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فالكل
فاذا كان طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائدة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف
وليس الا الماء فينتقل الكلام الى وقوف الماء في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف الغرض لانا نفينا القول بالطبايع
الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان وانما بتخليق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا تقول مثله
في تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله
وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كري والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بادنى سبب فلما
احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه النتوءات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل

خلل اما اولا

خلل اما اولا فلكونه مبنيا على غير قواعد اهل التفسير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما
ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من
التضريس لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى
كرة الارض والجواب الصحيح على ما عليه اهل الشرع ان يقال انا لا نسلم ان الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال
وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبعها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي واما قوله لم لا تقف الماء وجعل
لم لا تقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسايط والاسباب مدخل في الامور العادية وان
لم نقل بتاثيرها هذا وان حركة الارض عند الزلزلة لا تنافي حكم الله بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته و
شبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة من الارض لاختناق البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في عضو بعض من
بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله
والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا
معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك يحكى ان جماعة ممن
يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل
عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس وعند السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال
بعض المفسرين ان الذين كانوا يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل المراد اعم من ذلك فان اهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء
بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السابق الذي عليهم ذكر السبل قال في الكشاف
كانه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار
الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم والضمير لتخصيصهم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع
ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق
شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او للمشاكلة بينه
وبين من يخلق او اراد انه من يخلق كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالاعلم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه
اولو العلم منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه التشبيه من المشبه ليلحق الاضعف
بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا
يخلق كمن يخلق والقران ورد على العكس ووجهه عند علماء زيادة التوبيخ لكونه كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف
من الخالق قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر
عليهم ذلك ولما صح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه
كالحاصل الذي يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلكم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الاية دلالة على ان العبد غير
خالق لافعال نفسه ولان الاية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية اجابت المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات
والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم او نقول معنى الاية ان من كان خالقا كان افضل ممن لا يكون خالقا فهذا
القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها نظيره قول الرجل لمن يبتغون بها اي ادنى ان الانسان افضل من الصنم والافضل
لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبي في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في
مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق
على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو
الظن والحسبان ثم لما فرغ عن تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره
في سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص العيش على الانسان وتمنى ان ينفق الدنيا
لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع ان الانسان لا علم
له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى يعرف تقصيرك
وقصورك عن شكر ادنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء
شكر النعمة ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كما في اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون
ضروبا من الكفر والمكايد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فاوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه ايضا نوع

وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور لها اصلا فكيف يحسن عبادتها
ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكرنا هذا المعنى في قوله افمن
يخلق كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلق الله اياها بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم ففي هذه الاية
زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذا قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم من جهة ان من الاموات
ما يعقب موته حيوة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحياة اصلا ومن ان الاله الحق يجب
ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد مع الجليل
بعلمه تنبيها على بلادته وما يشعرون الضمير للالهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا وبدل [illegible]
عن ابن عباس ان الله يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا تشعر الالهة متى يبعث
عند ربهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم وفيه انه لا بد
من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء اي لا يعلم هؤلاء الالهة متى يبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف
بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فانه كان ناس منهم يعبدونهم
ومعنى انهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حيوتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولكن يعرف طريق عبدة الاصنام
صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة للوحدانية او لكل كلام يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر
فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رايه ويلائم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم
اي حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين
عن التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا اوليا لان الكلام فيهم **التأويل** الناس طبقات ثلث
الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب
لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى
جمال ذي الجلال فحين قال في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود
فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في القسمة الازلية فان الله سبحانه منزه عن ان يشاركم في الحكم احد
فلا مبدل لكلماته بالروح من امره اي بما يحيي القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية
وعلى النفوس باداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات
للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا اعلموا
اوصافه وجودكم ببذلها في انه لا اله الا انا فاتقوا انا نبينكم بانانيتي خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها
مظهرا لا لما علمه فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح والاشباح في اضافة الفاعلية اليه خلق
الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والفاعلية والانعام اي الصفات الحيوانية
خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال في اوقات القربات
وازمنة الاستراحات وتحمل اثقالكم ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذا قهر انفسكم
في جوده يبقيكم ببقاء عظمته والخيل والبغال والحمير اي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت
وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقره الذي اهبط منه ويخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون وهو نور يقبض الروح بلا واسطة
وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعي ومنها جائر يعني نفوسكم تحيد عن القصد بلا جذبة هو الذي انزل من سماء الكرم ماء
الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لكم به زرع الطاعات
وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والكاشفات
وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم القوى والحواس ونسخرها استعمالها على وفق
الشريعة وقانون الطريقة وما ذرا لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات مختلفا الوانه في كل عالم بلونه من عوالم الملائكة والشياطين
والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتاكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فيلبس بها ارواحكم التي
والنهار وترى فلك الشرائع والمذاهب جاري في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار المخفية عن الملائكة والقى في ارض البشرية جبال
الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية

وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون ينجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي
افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي نسيان نعمة الاعطاف
وهي ما تتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما تتعلق بوجود المنعم من الذات والصفات والله يعلم ما تسرون
من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيئا
من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها [illegible] الذين لا
يؤمنون بالاخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عن عالم الحس لا جرم بما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار والاعلم

واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ۝ ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ۝ قد مكر الذين من قبلهم
فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون ۝ ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاي الذين كنتم تشاقون
فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين ۝ الذين
تتوفيهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون ۝ فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار
الاخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او
ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ۝ وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل
الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة

فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۵ ان تحرص على هداهم فان الله لا

يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۵ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى

وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۵ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين

كفروا انهم كانوا كاذبين ۵ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۵ والذين هاجروا في الله

من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۵ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۵

القراءة شركاي بمثل هداي بزمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرا الخوان عن هبيرة شركاي الذين من سلة الباء الباقون بفتح الباء وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الاخرون بفتحها بتوفيهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح التاء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع **الوقف** ربكم لان ما بعده جواب اذا الاولى لتعلق اللام بوم القيمة لان قوله ومن اوتي الذين فيقول تعلوا بعني علم ما يريدون لا يشعرون فيهم الكافرين بناء على انما بعده صفة انفسهم لطول الكلام من سوء تعملون خالدين فيها المتكبرين نصف الحزب انزل ربكم خيرا حسنة خير المتقين لان ما بعده بدل يشاؤون المتقين طيبين لان ما بعده حال اخر سلام عليكم لان قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون امر ربك من قبلهم يظلمون يستهزؤن من شيء من قبلهم للاستفهام مع الفاء المبين الطاغوت لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة المكذبين ناصرين ايمانهم لا نما بعده جواب القسم يموت لا يعلمون لتعلق لام كي كاذبين فيكون حسنة الوقف جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الاخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الاخرة معلقا بشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون بناء على ان الذين صبروا بدل من الذين هاجروا ان كلمة **التفسير** لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القران وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او ما مبتدأ او ذا موصوله والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقدير فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب الكفار والا لكان المعنى الذي انزل ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذا كلام مستانف اي ليس ما تدعون انه منزل بل هو الاساطير قال في الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انه على السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون بمنصوب ولم يقرا به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبهتهم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا ان القران معجز تحدوا بالقران جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة وكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في ليحملوا السلام العرض لانهم لم يصفوا القران بكونه اساطير لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به وكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه ان تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن للتخصيص بهؤلاء الكفار فائدة ثم التكميل قال الواحدي لفظ من في قوله ومن اوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخف عن الاتباع بعض اوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من اثامهم شيء ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما قد بشاء من اوزار الاتباع او للبيان اي ليحملوا ما هو من جنس اوزار متبعهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم او عدهم بما هو النهاية في الفيد بسوء الافعال اساء ما يزرون ثم حكى حال امثالهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل

طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السما ليقاتل اهلها فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والقت راس الصرح في البحر فاحدث بزيد وتبلبلت بوميذ السن الناس من الفزع فتكلموا ابثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وتبلاه الله بعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الاية عامة في جميع المبطلين الذين يجادلون الحق الصريح بالمخيب وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امره محكمه بنيانهم من القواعد وهي اساطين البناء الذي تعمدوا الاساس انه اسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التصبيح على ان الابنية تهدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثاني يكون الكلام محض التمثيل والمراد انهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك الحيل كحال القوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بيرا لاخيه وقع فيه وبعبارة اخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركاي في الاضافة لادنى الملابسة ادحكاية لاضافتهم استهزاء ونوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين في شانهم ومن قرا بحذف النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المؤمنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستيناف قال الذين اوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة وقال اخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيمة شماتة بهم قالت المرجئة قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم اما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس المراد انهم اسلموا واقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء ارادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على اهل القيمة قال ارادوا في اعتقادهم وظنهم فرد عليهم اولو العلم او الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما اتت به الانبياء والفاء للعطف على جهة التعقيب في فادخلوا واللام للتاكيد تجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين والنظر لها في كل القران ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الاية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بيان عن تلعثم اي انزل خيرا بخلاف الاشقياء الكافرين اذ قالوا لا خيرا ولو رفعوا لادعوا انه كلام مستانف كما في جواب الكفار وليس بمنزل ويحكى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف ارجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه فسر الخير بهذا القول فجوز ان يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاءوا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الاخرة حسنة هي الثواب العظيم او المضاعف الى سبعمائة واكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير الذين احسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح او الثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد وبفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل ان لهم في الدنيا مكافاة باحسانهم ولدار الاخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن اي هي هذه فيكون المبتدأ محذوفا او الجنات مبتدأ وما بعدها خبر او جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات تدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن ابلغ من قوله في موضع اخر فيها ما تشتهي الانفس ولذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله الذين تتوفيهم الملائكة اكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين اي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لها صحة الحالة تالم بالموت دليله قوله يقولون سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام وبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة اخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه

بقولهم

تنبيهة الثانية

في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك الا ان تاتيهم الملايكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال انهم لما طعنوا
في القران بانه اساطير الاولين ادى ذمهم الى وعيدهم ووصف القران بكونه حقا وصدقا ذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولياء الكفار
لا ينزجرون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملايكة بالتهديد او لقبض الارواح او اتاهم امر ربك وهو العذاب
المستاصل الى النار كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم
فاصابهم سيات ما عملوا اي جزاء سيات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة وحاق بهم اي نزل
بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسالة الجبر فقالوا لو شاء الله
ما عبدنا الاية وقد مر تفسير مثلها في اخر الانعام وذكرنا اكثر المتشابه هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد
بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو
قالوا ذلك معتقدين كانوا مومنين وقال اهل السنة ان الله سبحانه اجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا
بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني انهم اعترضوا على احكام الله واظهروا العلة فعل من تقدمهم من الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ
المبين اي ما عليهم الا التبليغ واما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا الى قوله
ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه يامر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا
للبعض اذ لو اراده للكل لم يكفر احد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب قايلا لرسوله ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدي من يضل لا يرشد احدا
اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي ومن قرا على بناء المفعول فمعناه لا يقدر انت ولا احد على هداية
من اضله الله فلن يكون مهديا باستصوابك ولا يخفى ان اول الاية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم
الى اخر الايات فانهم قد صرفوه الى التاويل فقالوا معناه ان من تقدمهم اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم
اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله بريء من الظلم وخلق القبايح والمنكرات وما من امة الا وقد بعث فيهم
رسولا يامرهم بالخير الذي هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من اهل اللطف ومنهم
من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر او المراد منهم من حكم الله عليهم بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال
لظهور ضلاله او منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني
لا اقدم الشر ولا اشاء ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف
بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث وهذا تفسير لو يقرن لاشتداد ايات مسالة الجبر والقدر على الجهتين ومسلك
الاضطرار يقطعك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم
اي اغلظ الايمان كما مر في المايدة كانهم ادعوا علما ضروريا بان الشيء اذا فني وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العايد
يكون شيئا اخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم العظيم فاجاب الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وقوله
وعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله اي وعد البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انهم يبعثون اما لعدم الوحي ثم ذكر كيفية حقيقة البعث فقال ليبين اي يبعث كل من يموت من المومنين والكافرين
ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب
وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة
مفترين على الله الكذب في ادعاء الشريك له وفي قولهم هذا حلال وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله
انما قولنا وهو مبتدا خبره ان نقول وقد مر تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية ملخصه
الى العادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف ما اراده الا على مجرد الارادة والمشية فكيف يمتنع
عليه البعث الذي هو اهون من الابتداء قال في الكشاف فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت ولا مانع من كونه منصوبا باضمار
ان لوقوعه في جواب الامر بعد الفاء وقد مر في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم القران قال اذ لو كان حادثا لافتقر
الى ان يقال له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول فيتسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا ليس مثلا وان ثم قولا ان اذا لا
يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن ويكفي في تصور ان يكون لفظ كن قديمة ما كان متقدما على الحدوث
بزمان محصور ولو سلم فلا يلزم من قدم لفظ كن قدم القران على ان قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه يقتضي كون القول واقعا
بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم ان كلمة كن متقدمة على الكون

بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلايل ان الكلام المسموع لا بد ان يكون محدثا
هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لمنازعيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء بعد
منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينيذ يلزمهم ان يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين فقال
والذين هاجروا في الله اي في حقه وفي سبيله من بعد ما ظلموا لنبوينهم في الدنيا تبوية حسنة او مباءة حسنة هي المدينة
اواهم اهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبي وقتادة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب
قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الاية في جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم
ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر
قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اما الضمير في قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع الى الكفار
اي لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الاخرة
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا على هم الدين او على الدين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة
الوطن الذي هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهي من
اللذات العاجلة وهو مبدا السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو اخر الطريق قال العارفون بالصبر سار وبالتوكل طار ثم في الله [illegible]

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٥

بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ٥

افامن الذين مكروا السيات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب

من حيث لا يشعرون ٥ او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ٥ او ياخذهم على تخوف

فان ربكم لرءوف رحيم ٥ اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين

والشمايل سجدا لله وهم داخرون ٥ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض

من دابة والملايكة وهم لا يستكبرون ٥ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما

يؤمرون ٥ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون

وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ٥ وما بكم من نعمة فمن الله

ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ٥ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ٥

ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ٥ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله

لتسئلن عما كنتم تفترون ٥ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٥ واذا بشر احدهم

بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ٥ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه

على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون ۝ للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ۝ القراءات

ترجي بالنون حفص عن الخزاز الباقون بالياء وبمجهولا المرتو والمثنا والخطاب حمزة وعلي وخلف يتفيؤ بتاء التانيث ابو عمرو
وسهل ويعقوب الاخرون على الغيبة الوقوف لا يعلمون لتعلق الباء والزبر يتفكرون لا يشعرون للعطف بمعجزين
لذلك على تخوف للتصريح الاستخبار والاخبار عجم داخرون لا يستكبرون ما يومرون سجدة اثنين للابتداء بانما
اتحاد القائل واحد للعد وللجمع الاله فارهبون واصبا تتقون تجارون لانتم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى تشركون
لمعلق لام كي اتباع للعدول والفاء للاستيناف تعلمون يرزقناهم يفترون سبحانه لان ما بعده من جملة مفعول يجعلون
وسبحانه معترض المنزه بلى يشتهون لكظيم لاحتمال ان ما بعده وصف لكظيم او استيناف ما بشر به لان التقدير متفكرا في نفسه
السلبة في التراب ما يحكمون السوء للتضاد للجملتين معنى مع العطف الاعلى الحكيم التفسير الشبهة الخامسة
ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة
الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم كما روي ان جبرئيل عليه السلام
كان ياتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وانما قيدنا بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورهم الاصلية عند
ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روي انه صلى الله عليه وسلم راى جبرائيل على صورته التي هو عليها مرتين
وعليه يدل قوله ولقد راه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلم والكتب فامرهم
الله اعني قريشا بان يرجعوا في هذه المسألة اليهم ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا اهل
الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما يشتبه عليه ولمنع نفاة القياس
بالاية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه
قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى من ظاهر النص اما قوله بالبينات فعلى متعلقه وجوه منها ان
يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال اصله ما قبل الا لا يعمل فيما بعد الا الا ان
المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كانه قيل وما ارسلنا بالبينات الا رجالا فلما لم يجز هذا المجموع مذكورا اتمامه امتنع
ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا
نظيره ما مر الا اخوك ثم يقول من يريد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحي اي يوحى اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق
بالذكر بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا يعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا قال في الكشاف
الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت اراد ان عدم علمهم مقرر كما ان
عمل الاجير ثابت وتحصيل ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فيلزم انه اعتراض
بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا الى اخره وعندي ان هذا الجزم ليس بمتحتم ويجوز على كل الوجوه
ان يكون مثل فاسئلوا جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التورية كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التورية وقال
الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظة جامعة لكل ما يتكامل به اداء الرسالة لان مدارها على
المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي تعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال
وانزلنا اليك الذكر اي القران الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المفروضة على الانزال
وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التامل والتفكر في المبدا والمعاد بالاضافة الى المكلفين
وفي ظاهر هذا النص دلالة على ان القران كله مجمل فمن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القران والخبر
وجب تقديم الخبر لان القران مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية فمن القران ما هو محكم وقوله ليبين محمول على المتشابهات
المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما نزل اليه عليه من الاحكام
بل كان له ان يفوض بعضها الى راي اهل القياس واجيب بانه لا يبعد ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا من انواع البيان

الرسول لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال افامن الذين مكروا
السيئات اي المكرات السيئات والمراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي يعني بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والاقرب
ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء اصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما
خسف بقارون او ياتيهم العذاب او ملائكة العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم
فما هم بمعجزين ما يريد الله وذكر المفسرون في هذا التقلب وجوها منها انه تعالى ياخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه
قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم في البلاد البعيدة
ومنها انه ياخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وتحقيقه في حال تقلبهم في الامور التي يتصرف
بها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاياهم واوطارهم فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم فالتقلب
بالمعنى الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او ياخذهم
على تخوف على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اثر الخوف باديا منهم ظاهرا عليهم بخلاف قوله
من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى انه ياخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم
حتى ياتي الفناء على الكل عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير شعر تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
قوله تامكا اي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشيء ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء كما مر في الحجر فقال عمر
ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الاية بقوله فان ربكم لرءوف رحيم فذهب
المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامور لانه رءوف رحيم فلا يعجل بالعذاب واقول يحتمل ان يكون من قبيل التهكم تعليلا لقوله
افامن كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوف المكذبين باحوال اتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي
والسفلي وسكانهما فقال اولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما مبهمة بيانه من شيء وقال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار
عن شيء ملبس بوصف له وتنفياء يتفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فان فاءوا قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد
انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرف عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة
ان روبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال
الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجع اليه واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله
الى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد اريد به الكثرة وهو ما تركبون
قال الجوهري تفيات الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه اراد
واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت
صيغتي جمع عبرت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل اليمين
النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض
وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية وكذا جانب المشرق اقوى
جانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات واقواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى المشرق
الذي هو اولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار
يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي
ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الراس وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان
يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في جانبي الجنوب والشمال والله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها
لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية
وقد بنى المتاخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع دقة وعسره وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود ان هذه
الاظلال الواقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون
لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقيل المراد باليمين والشمائل استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء
اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة
منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد

كما تقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني وما اتاني من الرجال وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص
الدابة والملائكة بالذكر انه لما ذكر في اية الظلال ان الجمادات باسرها منقادة له بين في هذه الاية ان الحيوانات باسرها ايضا كذلك
ثم عطف عليه الملائكة اما لشرفها وثانيا لانها ليست مما تدب ولكنها تطير بالجناحين ويثبت المزعني مغايرة لقوله وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شانها الحركة والدبيب قال جار الله من دابة
يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض
وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في
السموات الملائكة وكررهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات
ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال
وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثر عدم الاستكبار وقوله من فوقهم اما ان
يتعلق بيخافون ومعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه غالبا قاهرا لنحو
الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف
وحصول الخوف يشعر بتجويز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امروا به فمن اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب
عن الاول انهم انما يخافون من العقاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون
الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة
جلال الله اتم كانت الهيبة والخشية اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء لم يتركه وفي الاية دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة
لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر بل كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من بينها والحق
بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الانسان ما اكفره
وقال صلى الله عليه وسلم ما منا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال ايضا صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته
فضل الشيخ على الشاب بتقادم عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة ودهور متمادية وانهم سنوا
الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة
في قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما ثبت ان كل ما سواه في عالمي الارواح والا
جسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك قائلا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فقيل
ان التثنية والوحدة حيث كانا يدلان عن العدد الخاص فما الفائدة في وصف الالهين باثنين ووصف الاله بواحد واجيب بوجوه
منها قول صاحب النظم انه فيه تقديما وتاخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها انه كررت العبارة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ
الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله
ولم يؤكده بواحد يسبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام
تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار
الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يتفرع على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك جسم معين واراد الاخر
تسكينه او تركيب اصبعا على مخالفة الاخر او لا يتفق او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الاخر او لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى
التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في اول البقرة وفي لفظ اياي مزيد حصر ولانه يجب ان يخص بالرهبة منه
والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات والارض قالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها
معللة لاجله ولغرض طاعته لان منها المباحات والمحظورات التي يوقع بها الغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان
كلها بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا الدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة
لا غاية لها ويقال للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن
قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حالة الحيوة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان
يكون الدين بمعنى الجزاء اي وله الدين خالصة ومستحقة ولذلك سمي تخليفا او له الجزاء سرمدا لا يزول بمعنى الثواب والعقاب وقال
بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله
الدين واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة اليه في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني
عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله

اي الانقياد

ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة حال من الضمير في الجار او بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن
وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله قالت الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والاية تفيد العموم
فهو من نعم الله والنعم اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجية
كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين ان الحال
للانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله فابلائه اذا مسكم الضر فاليه تجارون ما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعاء والا
ستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم عاما يريد بالفريق فريق
الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قلت والاظهر الوجه الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى
الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال المحققون انهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة يعني عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله ما اتيناهم كشف الضر وازالة
المكروه او القرآن والشرايع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وطريقة الالتفات نظرا
الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء واما في العنكبوت فقد قال ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا
بالعطف على القياس ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني ادم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم
وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم نفي الحي حقيقة وعن الثاني بمجازه بان جمع السلامة بالعقلاء
اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا وفي الاعراض عنه ضررا وقال
مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر او ينفع نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون الهيتها او السبب
في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامي وعن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يزعمون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون
لزحل كذا ومن المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم بقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون على الله
ان له شريكا وان الاصنام اهل للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي
او قولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر
والاقرب انه في الاخرة وهذا في هؤلاء والاول ام خاصة فهل كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الامم عامة
قوله ويجعلون لله البنات نوع اخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله
تعالى اظن انه ذلك لان الملائكة مستترة عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التانيث على الشمس لاستتارها عن ان تدرك
بالابصار لضوئها الباهر دون وصف القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ومحل ما في قوله ولهم ما يشتهون
اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين وابى الزجاج جواز النصب قال لان العرب لا تقول جعل له كذا
وهو يعني نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها
لله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه اي صار مسودا فيحتمل ان يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره
مسود الوجه وهو كظيم مملوء غما وحزنا وغيظا على المراة قال اهل المعاني جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم والكآبة لان الانسان
اذا قوي فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه
واشرق واذا قوي غمه انحصر الروح في داخل القلب ولم يبق منه اثر قوي على الوجه فيتكدر الوجه لذلك ويصفر او يسود يتوارى
يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ولم يظهر ايا ما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع به ثم ذكر ذلك بقوله ايمسكه
اي يحبسه على هون ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود اي يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة
الاب اي يمسكها مع الرضى بهوان نفسه ام يدسه في التراب اي يئده والدس اخفاء الشيء في الشيء وانما ذكر الضمير في يمسكه ويدسه
باعتبار ما بشر به كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم
من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية واخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روي ان
رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وامرت امرأتي ان
تزينها واخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر القيتها فقالت يا ابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلى الله عليه وسلم
ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب ان الانثى الى هذا الحد عندهم كانت في غاية الكراهة والثقل

ومع ذلك اثبتوا لله المتعالي عن الصاحبة والولد فلذلك الاسد ما يحكي الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا يعتدون على القتل والابدا مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق والتزام الشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل وهو العزيز الذي لا يغالب فلا يستنقص بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم في خلق الذكور والاناث اوفي الوعيد على قتل البنات قال القاضي انحوا ان المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله فانه اسهل من اضافة الوحش والقبائح كلها اليه وهذا شان المجوس واجاب الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا في العرف قبح من الله تعالى الا ترى ان رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل فانزال الحايل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلايل اليقينية ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله اعلم **التأويل** ان يخسف الله بهم ارض البشرية ودركات السفل او يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون انه من اين اتاهم من قبل الاعمال الدنيوية او من قبل الاعمال الاخروية او يأخذهم في تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال الآخرة بالرياء من اعمال الآخرة الى اعمال الدنيا بالهوى او يأخذهم على تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعور منهم فان ربكم لرؤف بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لم يأخذهم بعد افساد الاستعداد في الحال لعلهم يتوبون في المآل فيفوزون بالفضل والنوال الى ما خلق الله من شيء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شيء يتفيؤا ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بميل اهل السعادة الى اصحاب اليمين واخرى تميل بميل اهل الشقاوة الى اصحاب الشمال سجدا لله متقادين لامره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب الشمال ويسجد كل موجود بما يناسب حاله كما ان تسبيح كل شيء بما يلائم لسانه وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالاله الآخر الهوى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما عبد اله ابغض على الله من الهوى ويجعلون يعني اصحاب النفوس والاهواء لما لا يعلمون لمن لا علم له باحوالهم نصيبا اي ثوابا مما رزقناهم من الطاعات تالله لتسألن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو ليتبدل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات اظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع تنقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتاثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله ولهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعني ان كل احد يجب ان يوصف بغاية الكمال وتتغير وجهه اذا نسب الى عيبه فيه ولله المثل الاعلى الكمال لا يليق الا بالواجب الذات وتقص الامكان نقصان يشتمل جميع النقصانات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى

فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون

وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون

تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم

ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه

وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد

موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم

مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل

والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك

الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل

ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية

لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى

ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير

القراءة لا جرم في المدمثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر ونافع وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد الامر وبضمها **الوقوف** مسمى للظرف مع الفاء ولا يستقدمون الحسنى وقيل على لا النفي يبتدأ بجرم وهو تكلف مفرطون اليم فيه للعطف على موضع لتبين فيه الانبياء وهدى يؤمنون موتها يسمعون لعبرة لانه لو وصل تشبه ما بعده بالوصف للشاربين حسنا للعطف يعقلون يعرشون ذللا للعدول للناس يتفكرون شيئا قدير **التفسير** لما حكى عن القوم عظم كفرهم وقبح قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث لم يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية قد زعم بعض الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى جميع الناس والانبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لولم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق انه لم يبق على وجه الارض واحد والجواب لا نسلم عموم الناس في الآية لقوله سبحانه في موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب او الذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس انه اراد من مشرك يدب عليها تطيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب فلعل الهلاك في حق الظلمة يكون عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عليه السلام وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي ابائه من يستحق العقاب فلو اهلكوا لبطل نسلهم ولادى الى انتفاء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو اخذهم لانقطع النسل وفي انقطاعه انقطاع النبت وفي انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها اصلا ولم يذمهم على ذلك وفي قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي ووجوب انتهاء الكل اليه فان بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا اضرار في الاسلام ملعون من ضار مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لانه لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على الضرر فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل فيه قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما لان وجوده ضرر وانه غير مشروع والذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول تواردت الادلة على

المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطا انه يريد اجل القيمة لان
معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الاية قد مر تفسيرها
في اوايل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملايكة ما ترك على ظهرها فالهاء
كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها والعرب تجوز ذلك في كلمات لحصولها بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والسماء
فلان افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها الغداة انها اليوم الباردة ومنها الاصابع تقول والذي شقهن خمسا من واحدة
يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف
سورة الملايكة فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله اولم يسيروا في الارض وفي قوله ولا في الارض فلم يكن ملبسا ويمكن ان يقال
لما قال هاهنا بظلمهم ولم يقل على ظهرها حين قال هنالك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظايين لانها تثقل في
الكلام وليست لامة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شرطية واحدة ثم عاد الى حكاية كلماتهم الجهال فقال
ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في الرياسة ومن الاستخفاف
والتهاون برسلهم ورسالتهم وانهم يجعلون ارذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيوتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيوتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال وتصف السنتهم
الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا
البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون
برضوان الله بسبب هذا القول لزعمهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين القيمة
الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ظنا منهم ان
الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ويعتقدون انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا اذا كان محمد صادقا في دعوى الحشر لكنه فانه
يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن
الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر
كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول ان لهم النار فان مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في
موضع رفع والمعنى حق ان لهم النار وانهم مفرطون من قرا بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الانتهاء على الله
وحكى ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرا بفتحها مخففة فهو من
افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرا بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في
الطاعات ومن قرا بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجا افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم مقدمون الى النار
معجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قريش قد صدر عن ساير الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا فزين
لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اي وجه توجه عليه الذم فان
خلق ذلك العمل احرى بان يكون وليا لهم من الداعي اليه واجيب بان الوسايط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال الحار الله
فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم
عبارة عن زمان الانبياء او اليوم عبارة عن يوم الاخرة الذين يعذبون فيه في النار فهو حكاية للحال الاتية والولي الناصر اي هو
ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا ينتصر منه النصرة اصلا واذا كان الناصر مخصوصا لزم
ان لا نصرة بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولاء
لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد اقامة الحجة
وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجحود والتصديق
والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسايبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم
وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب
لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القران بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق
الكل وخص المومنون بالذكر من حيث قبلوه فانتفعوا به ولما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات
فقال والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون لان هناك سوالا تقريره التقرير

يحتاج الى التحقيق ويفيد الترقي من الاستبعاد الى الاستيجاب وانما حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيا
وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة وفصل هناك فقال ياايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة الى اخره فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب الاثبات ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فمن لم يسمع تدبرا
فكانه اصم ثم استدل بعجايب احوال الحيوانات فقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المومنين مما في
بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد ومعناها جمع كالرهط والقوم والنعم فيجوز تذكيره على اللفظ
وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القران قال تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشي الطالع
وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشي وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال وجوز في
الكشاف ان يكون تانيثه على انه تكسير نعم وقيل اذ الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الاحاد بالجمع والجمع بالاحاد
قلت ما ذكره الامام حسن الا انه لا يقع جوابا ولعل السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن
لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المومنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا
يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع ومنها تاكلون وعليها لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد
بها الكل روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه
لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذاك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه
الدم ولا الفرث وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في
كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقي الدم وليس كذلك بل الحق
ان الحيوان اذا تناول الغذا حصل في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعا
ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المايية
اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة
وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق
الى الضرع وهو لحم غددي رخو ابيض فينقلب الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا العضو بالحيوان الانثى لان الحكمة
الالهية اقتضت تدبير كل شي على الوجه اللايق به والذكر من كل حيوان اسخن واجف والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى
يحتاج الى مزيد رطوبة لتصير مادة لتولد الولد وتتسع بدنها ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين
حين كان في الرحم تنصب بعد انفصال الجنين الى الثدي لتصير مادة لغذاء الطفل واعلم انه تعالى خلق في اسفل المعدة
منفذا يخرج منه ثقل الغذا فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان يكمل انهضامه
في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك فحينيذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثقل فهذا الانطباق
والانفتاح بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة
التي في ذلك الماكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس اودع في المرارة قوة جاذبة
للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المايية وخصص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم
الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزيعها على جميع البدن في غير
ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها اذا مصت او حلب فهي بمنزلة
المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سايغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى نقل
انه لم يغص احد باللبن قط ومن عجايب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة الطبايع مع انها واحدة في الحس فمنها
الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المايية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد
ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة
باهرة قال المحققون في تقليب العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سايغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان
في الاطوار الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله من في قوله مما في بطونه للتبعيض وفي قوله من بين
فرث للابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
اي كاينا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس يستنكر ان يسلك المني مسلك
البول وهو طاهر كما انه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي

ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا
عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون ويكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التاكيد نظيره قوله زيد في الدار
فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير
الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا الا ملك والتقدير
ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر
سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الاية قولان الاول وهو مروي عن الشعبي
والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية القول الثاني انها جامعة بين العتاب
والمنة وذكر المفسرون لاثبات الحرمة ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان السكر
ان لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة لا بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر
اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية دلت على ان السكر حلال
لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل
من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ وعن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية
قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته ايدي الشيطان فيقبح عند ذوي المروات
وقيل السكر الطعم قال ابو عبيدة وقيل السكر ... الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن
اعجب احوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر واوحى ربك
الى النحل اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولا نحن نعرف امرها وعجيب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذكر
انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب امثالها الا بالمسطرة والبركارات فقد علم من
الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضايعة فاهتداء ذلك
الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه
ويحملونه ومنها انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع اخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا
الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى اوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان
اشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي فلا جرم
قال الزجاج يجوز ان يقال سمي نحلا لانه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مونثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال تعالى
ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون
البعضية لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش وانما تبني في مساكن توافقها ويليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس ويصلح
احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي لتمتص من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل
العسل ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها وسهلها عليها او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك المذللة اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا ودعي احوالك
او اراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين
فيها فقد يحكى انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ثم يحتمل ان يريد بقوله ثم كلي انقضي اكل الثمرات
فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ثم كلي فاسلكي امر ومن الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه
الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبايع توجب هذه
الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما يخرج العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه
يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة مثل الترنجبين
ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط تلك الذرات بافواهها وتاكلها
وتتغذى بها فاذا شبعت التقطت مرة اخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء
محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذاك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج لخاصية
فيها فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة اشياء
ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انها تقيء مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب

الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار
والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما يتغذى بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها
شراب اي ما يشرب ... وقوله مختلف الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة
النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة
النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبي صلى
ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه
عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم
كان عالما بانه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن اخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء
من كل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القران والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم
يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حاسة
السمع لان لفظ القران المنبه على هذه الاية مسموع وختم الاية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد
العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وخواصها العجيبة من انقيادها لاميرها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز عنها
الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا وشيئا يقتضي تفكرا بليغا ولما ذكر بعض عجايب احوال الحيوان اتبعه
عجيب خلق الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الى اخسه واضعفه عن علي هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف وقوله
لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول
شيئا او لا يعلم زيادة على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى
ونظير الاية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان
في اربع مراتب اولها سن النشوء والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة
ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء واصحاب الطبيعي ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن
دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة
الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وساير الاعضاء فاذا تم تكون
البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد زائدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد
والازدياد والنماء وهو سن النشوء وغايته الى ثلثين او الى خمس وثلاثين سنة ثم يصير رطوبات البدن اقل وتكون وافية بحفظ
الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا تكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون
ثم تقل الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة هي سن الكهولة
ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت
كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية ... ذلك كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد المنوية
والمنوية الى ان صارت عظما وغضروفا وعصبا ورباطا فعندما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى
الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن
وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انقلب جسم الدم والمني الى ان صار عظما وعصبا اما بعد توليد البدن فلم يحصل مثل
هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير فاعل حكيم لا لاجل ما قالوه وبوجه اخر الحرارة الحاصلة في بدن
الانسان الكامل الغريزية اما ان تكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان
الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تاثير اصلا
واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة يتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب انه كلما تزايدت تزايد القوة والصحة ساعة فساعة
فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك وبوجه ثالث وهو ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية
فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان يصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن الكهولة فالسبب
فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تخفيف الرطوبة الغريزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ
الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فلذا

قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبات شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الآخر فينطفئ الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تخفيف الرطوبة وتقليلها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله اوردنا عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل فهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فتعين اسنادها الى الفاعل المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير بعلم مقادير المصالح والمفاسد وبقدرته على تحصيلها كما يريد واما الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط وآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير **التأويل** ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر اهل السعادة الى اجلهم بعد ان ابدلت صفات النفس بصفات القلب والروح في حينه وامانه ويؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة ماء بيان القرآن فاحيا به ارض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في انعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا للشاربين جاء للاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها بشرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تطرب عن رؤيتها بالاعمال والاحوال الرياء والسمعة ونحو ذلك والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب **شعر** شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد انه يتنظف كما ان النحل يجتنب عن التلوث وفيه ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحة وثمرات النفوس الرياضات ومخالفة الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى ان تصل الى مقعد الصدق عند مليكها تكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها فحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكي لا يعلم بعد فنائه علمه شيئا لعلمه بالاشياء كما هي

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ۝ والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم
من الطيبات افبالباطل يؤمنون ۝ وبنعمت الله هم يكفرون ۝ ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون ۝ فلا تضربوا لله
الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر

على

على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء
وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم ۝ ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح
البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ۝ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا
تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ۝ الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۝
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ۝ والله
جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ۝ فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين ۝ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ۝

القراءات لا تجدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم علي امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم الم يروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها **الوقوف** في الرزق لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء يجحدون من الطيبات يكفرون للعطف ولا يستطيعون لابتداء النهي مع فاء التعقيب الامثال لا يعلمون وجهرا هل يستوون الحمد لله لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون مولية لان الجملة بعده صفة احدهما بخير لا لوقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض اقرب قدير شيئا للعطف والافئدة لتعلق لعلكم تشكرون السماء للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله يؤمنون اقامتكم لوقوع حين على اثاثا الى حين بأسكم تسلمون المبين الكافرون **التفسير** لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر اراد ان يذكره طرفا من سائر احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن العاقل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فرب ملك بنا والجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك برازق للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا يحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزقي لهم اجريته لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد الرد على من اثبت لله شريكا كالصنم او كعيسى فضرب لهم مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تردون

يرى فلم عليهم حتى يتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ويمكن ان نقول يعني حتى اي حتى يكون عبيدهم
معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وعن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره من غير تفاوت
افبنعمة الله يجحدون حيث انه جعلهم موالي متفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون اي جعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة
جحود النعمة اي جعل اعتقاد الالهية والعبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عدي بالباء قال ابو عبيدة
وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكوفي اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لظاهر المسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله الحالة
الاخرى من احوال الانسان قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليكون الانس به اتم ولئلا يرتاب ان تخلق الذكور والاناث
مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون لمعجما قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه
الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية
اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما في الانوثة وان انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس
كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ان هذه العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة
وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل ان يقول الكلام في المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما
فاعرض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد الاسراع في الخدمة والنافل حافد والجمع حفدة فقيل
اراد بها في الاية الاصهار على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين
البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تحصل الا بعد الفراغ من
لذة الطعوم وبعد الفراغ من تحصيل اسبابها واورد من التبعيضية لان كل الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله
افبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عداه في الاية السابقة وقيل
الباطل ما يزين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفي
اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما في هذه الاية فقد
تخللت خطابات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ثم اعاد بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد
لكن ضيع اهل الشرك عليهم فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا فالرزق ان كان بمعنى المصدر نصب به شيئا
اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اريد المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك وفي
السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق شيئا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما
للمرزوق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام
الهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة ان يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى
انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوه بخلقه فانه ضارب المثل مشبها حالا بحال وقصة بقصة
وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى
الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن ذلك الحنيفية والعلة
وعلل النهي بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتكم من العذاب وفيه ان القياس الذي تزعمونه ليس
بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال ضرب الله
مثلا ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا لا حرا فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء
ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله
لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان العبدية انما حدث من علة الذل والمقهورية وعدم القدرة
فيثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وينافي له ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم
الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا ما صدق عليه انا رزقناه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على ان
عدم اقتدار العبد مخصوص بما لم يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر انه اريد
لانه اراد الاحرار والعبيد وللمشركين في ضرب المثل ان الاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
وحرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة

والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك
هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والغرض انهما
لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
والثاني عابد الصنم انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يحسن الحكم بان الاول مساو لرب العالمين
الحمد لله قال ابن عباس اي الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد للاصنام
لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه
الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الضعيف الذليل وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود
قال الحمد لله اي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه اظهر برهانا ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض
على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها اعظم المضار اما
تفسير الالفاظ فالابكم الذي ولد اخرس وقيل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن
الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا
غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على اهله
اي ثقل وعيال على من يلي امره وقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأت بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه ان يرسل صاحبك
في وجه معين من الطريق هل يستوي هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه
على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الآمر بالعدل يجب ان
يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه اتيان الخير والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه
ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لاله الخلق وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شيء وهو كل
على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يأتي بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه
وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الاية المتقدمة في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله
سرا وجهرا ومولاه ابو الجوار الذي كان ينهاه عنه وهذه الاية نزلت في اسيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان ومولى له
والاصح ان المقصود من الاية الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الاية الثانية
كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله
ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما واراد بغيبهما يوم القيمة لان علمه غايب عن
غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة
نحو المرئي وكل زمان قابل للتجزية فلذلك قال او هو اقرب وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام في غاية الصدق
لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقيل معنى
امر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم ذكر بعد
التاكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
قال جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به
من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة
التي يستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم
الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك
الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق اذا كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض وانتفاء
بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة ينتهي الى البديهيات
قطعا للدور او التسلسل وهي علوم كسبية فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو انه تعالى اعطى الحواس
والقوى المدركة للصور الجزئية وعندي ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة هي التي ينبغي ان يسمى بالبديهيات وانما لا
اثارها عليها عند انفصال الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوي دون قوي ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد نبهت
على هذا الباب في كتبنا الحكمية فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب

العلوم المتوقفة على المعقل ومعنى لعلكم تشكرون ارادة ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم
من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وتقدم في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال القدرة فقال الم يروا الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
وساير الاسباب المعاونة لذلك كرقة قوام الهواء والهامها بسط الجناح وقبضه كما يفعل السابح في الماء في جو السماء اي في الهواء المتباعد
من الارض في سمت العلو وهو مضاعف عنه ولامة فاد ما يمسكهن الا الله بقدرته اذ ما عطاء الآلات التي لاجلها يتسهل عليها الطيران
ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا يسكن اليه من بيت او غيره وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي
القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها اي تعدونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت
ارتحالكم والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية لنجعة ثم استعمل في كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من
مكان الى مكان ويمكن ان يكون اليوم على حقيقته اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم
ضربها ومن اصوافها وهي للضان واوبارها وهي للابل واشعارها وهي للمعز اثاثا هو متاع البيت قال الواحدي لا واحد له وقال ابو زيد
الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة قال ابن عباس اي وطاء ونسج وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من
اث النبات والشعر يئث اذا كثر قيل انه قال عطف قوله ومتاعا على اثاثا فوجب ان يتغايرا فالفرق وجب بان الاثاث
ما يكتسي به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين به قلت لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع
بين الوصفين كونه اثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين اي الى ان تقضوا اوطاركم منه او الى ان يبلى ويفنى او الى الموت او الى القيامة ثم ان
المسافر قد لا يكون له خيام وابنية يستظل بها لفقر او لعارض آخر فيحتاج الى ان يستظل بشجر او جدار او غمام فلذلك قال والله جعل لكم
مما خلق ظلالا وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوي اليه في نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وساير المكاره فلذلك عقبه
بقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة في الجبال وكالغيران والكهوف
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم
لغلبة الحرارة في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما في الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان
قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال يعني هو اشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم بأسكم كالدروع
والجواشن كذلك يتم نعمته اي مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها عليكم فانه يتم نعمة الدين والدنيا عليكم لعلكم تسلمون قال ابن
عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات سواه ومعنى الاسلام بفتح التاء واللام
من السلامة اي تسلم قلوبكم من الشرك او تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فقد
تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين ولبس الك الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها
وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادة غير من انعم بها وبقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وعن ثم لتبعيد رتبة الانكار
عن العرفان وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا او وصل الينا بتربية فلان او انهم لا يستعملونها في طلب رضوان الله وقيل
نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل الاكثر
مقام الكل او اراد بالاكثر العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر
للجهل بصدق الرسول او لانه لم تقم الحجة عليه بعد واما قاله المفسرون قلت فيحتمل ان يراد بالكافرين المصرين الثابتين
على كفرهم وقد علم الله انه في مطلق الكفر من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم التأويل تفضل الارواح على القلوب
في رتبة الكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد الى البقاء وتفضل القلوب على النفوس في رتبة الزهد والورع والتقوى
والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وتفضل النفوس على الابدان في رتبة التزكية والتحلية وتفضل ابدان
المؤمنين على ابدان الكافرين بعمل اعباء الشريعة فما الارواح براد على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس
على الابدان انعمت الله التي انعم بها على اوليائه يجحدون بانكار هذا الحديث والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني
ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهي النفوس انما للباطل وهو الزخارف
والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التي انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك
لهم رزقا من سموات القلب والارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا
يستطيعون اخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا للهوى وللدنيا ومن هو فتاه ولا يقدر على شيء كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الدنيا انهم

تحت قباب الله لا يعرفهم غيره احدها انكم هو النفس الحيوانية التي لا تقدر على شيء من العقل والعلم والايمان وهي تقبل
على مواهب الروح المسمى بالنفس الناطقة للاياذن يحيى لانها امارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح وارض النفوس لا يقف على
خاصيتها غيره ولا يتكل كل منها الى طبعها لم يرجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة والاحياء بصفتها عن اوصافها وتجيبها الصفات
وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلي صفة الجلال والاحياء بتجلي صفة الجمال واذا تجلى الله عبدا لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك
قال او هو اقرب وحينئذ يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا من امر الدنيا والا
ولا مما كانت ارواحكم فيه في عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذرات انكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى فجعل لاجسادكم السمع
والابصار والافئدة كالحيوانات ولارواحكم كالملائكة ولاسرار لكم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرفه الله
بوجه اخص والله اخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله اسماء كل شيء فتجلى لكم بربوبيته فنودي
سمعه اعطاكم سمعا تسمعون به خطاب الست بربكم ونودي بصره اعطاكم بصرا تبصرون به جماله ونودي عليه اعطاكم فؤادا تعرفونه
كلامه ونودي كلامه اعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون ولا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر
الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تتكلمون بهذا الكلام الا معه الم يروا الى طير الارواح مسخرات في جو سماء القلوب
ما يمسكهن في سفل الاجساد الا الله بحكمته وكذلك قال والله جعل لكم ايها الارواح من بيوتكم وهي الاجساد سكنا وجعل لكم
من جلود الانعام التي هي اجساد اشتركت فيها ساير الحيوانات بيوتا تستخفونها ارواحكم ايا ما وهي النفوس الحيوانية وقت الظعن
السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن اصوافها هي الصفات الحيوانية والحواس والقوى اثاثا آلات للسير
ومتاعا يتمتع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا اي جعل عالم الخلق ظل عالم الامر يستظل الارواح به
عند طلوع شمس التجلي والا لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح
وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس
والهواجس كذلك يحفظكم من الآفات ويربيكم بالكرامات حتى تتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع
الطريق يعرفون نعمة الله بنفر بفك واكثرهم الكافرون ونعمة الله اظهارها للشهود والله تعالى اعلم

وبوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ۝
واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ۝ واذا رأى
الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون ۝ والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ۝
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ۝ ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون ۝ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ۝ ولا تكونوا كالتي نقضت

غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من
امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ۝ ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم
تعملون ۝ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما
صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ۝ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما
عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ ما عندكم ينفد وما عند الله باق و
لنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ۝ من عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ۝
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ۝ انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ۝ انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ۝

القراءة ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت
القرآن من انشأنا **الوقوف** يستعتبون ۝ ولا هم ينظرون ۝ من دونك لاختلاف الجملتين مع اتفاق لكاذبون للعطف مع انه ليس
ابنه يفترون يفسدون على هؤلاء لو الاستيناف للسلب والبغي لاختلاف بعده الحال والاستيناف تتكرون كسبلا
يفعلون انكاثا ربا على ان التقدير انتخذ ومن امة به يختلفون ۝ ويهدي من يشاء يعملون في سبيل الله لانقطاع النظم
مع اتصال المعنى عظيم قليلا تعلمون باق يعملون طيبة للعدول عن الواحد الى الجمع مع اتحاد من تعملون الرجيم
يتوكلون مشركون ۝ **التفسير** لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف
وعيد يوم القيمة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل امة نبيها يشهد لهم
وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يوذن للذين كفروا اي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة
الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى او المراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى
تشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب
فلهذا قيل شعر ويبقى الود ما بقي العتاب وقال في الكشاف اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى
ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب تقتهم وثقل عليهم فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هناك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون
واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر لكونوا اتبعوهم في الغي قاله
الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا اي نعبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين بما قالوا
هذا النسب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص منه ثم بينه القاضي بان الكفار يعلمون في الآخرة
علما ضروريا ان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل شيء والمبهوت قد
يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور
تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعتذارا بانهم كانوا مخطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اي قال الاصنام او الشياطين للكفار

انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك وقد كانوا
صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله في المعبودية فكذبتهم
الاصنام في اثبات هذه الشركة او في قولهم انها تستحق العبادة قال الجبائي اراد ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في قولهم انكم لكاذبون كما قال الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل فالقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم
العابد والمعبود واقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال الآخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام
لامر الله بعد الاباء في الدنيا وضل اي غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان الله شريكا وان الهتهم ليشفع لهم حين كذبوهم
وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بمنع الناس عن المسجد الحرام والاصح العموم زدناهم عذابا بالحمل الاضلال
فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الانسان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومعنى
المفسرين من نقل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار
الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن اللسعة
فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم
بكونهم مفسدين امور الناس بالصد والاضلال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيده الله تعالى اجرا
على اجره ثم اعاد حكاية بعث الشهداء ليناط بها من زيادة فايدتين احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي يبعث من
جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون في الامة لا اعتبارا باباهم ونص الاصح الشهيد في هذه الآية بانه تعالى ينطق
عشرة من اعضاء الانسان حتى يشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة في
وصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اي على امتك والاظهر
ان في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله وتكريمه ونزل في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية انه لا بد
في كل عصر من اقوام تقوم الحجة بقولهم ويجب ان يكونوا شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول
الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر الزمان دينه فيكون نبي تلك
الامة هو شهيدا عليهم ولا دلالة للآية الا على هذا القدر فمن حصل له ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين
انه ازاح عليهم فيما كلفوا فيه ولا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اي بيانا له والتاء للمبالغة وتقطع
من المصادر التلقاء ولم يات غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان بيانا لجميع الاحكام لان الاحكام المستنبطة من
الاحكام والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه ومن يتبع
غير سبيل المومنين وجاء فاعتبروا وقال الآخرون ان علم اصول الدين كلها في القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة
الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى
لجميع الخلق في ابدانهم والرحمة في وسطها وهو ملاك العمر بعد الاسلام والبشرى في اوان الحمل كما قال سبحانه ان الذين قالوا
ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده ولما ذكر ان القرآن تبيانا لكل شيء ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها نصا
لذلك فقال ان الله يامر الآية عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتعرض الاسلام فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رأيت بصره يشخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته
فقال بينا انا احدثك اذ جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الآية قال عثمان فوقع في قلبي
الايمان في قلبي واحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في
الجاهلية يعمل ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق شيء الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون
العدل هو اداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا
وعرفا والقربى صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء هي الامور المتزايدة في القبح وهي الكبائر
وقد يخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة قال جار الله حين اسقطت
من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين علي كرم الله وجهه اقيمت هذه الآية مقامها واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط
بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما في الاعتقادات فالقول بنفي الاله تعطيل
محض واثبات اكثر من اله واحد شرك وتجسيم والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس وعند ما اتفق عليه ارباب

المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل
اثبات صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها وبوجه اخر نفي الصفات
تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا
جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة
قدرة وداعية يخلقها الله فيه وايضا القول بان الله لا يواخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار
عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان
والمعتزلة يفسرون العدل في هذه الاصول بنوع اخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من
نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من الهند
وطايفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه
حتى التزوج والاولى بالمرء ان يحتمي فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان التشديد
غالب في دين موسى وليس في شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحايض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص
على القاتل ولا يحرم وطي الحايض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرمة الوطي الحايض دون مخالطتها
ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله
صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القران لتشقى ولما اخذ في طرف المساهلة قيل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد
رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء الحكمة فيه ان راس ذلك العضو جسم شديد الحس
فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب ونحوها فيضعف حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع
فيقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة فتعظم
والوسط العدل هو الختان هذا ما قيل وعندي ان الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا
فلعل اللذة بعد الختان اكثر لملاقاة الحاسة المحسوس بلا حايل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارض
ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافية بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وينقلب الطبايع
كلها الى طبيعة العنصر الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر لاستولى البرد
والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطايها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وثباته
فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومنها
قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه وبالحقيقة يدخل
في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم افرد
بالذكر كما مر ثم انه تعالى اودع في نفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية
والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا تحتاج الى التهذيب لانها من نتايج الارواح القدسية واما الثلاث الاول فتحتاج الى التاديب
والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة فالنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية
الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم
من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة
والتقدم من ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية وادونها واوسطها الغضبية واعلاها الوهمية
فلهذا ابدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الاية لا جرم ختمها بقوله يعظكم
لعلكم تذكرون لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح القدسية
قال الكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا كيف ينهاهم عما يخلقه فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا
واعلم انه لا يلزم من ارادة الله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد ان يطلب الله منه التذكر فان طلب ما ليس
في وسعه محال فمعنى لعلكم تذكرون ارادة ان يكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان يحصلوا التذكر ثم خص من جملة المامورات الوفا
بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرايع وقيل هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه قوله اذا عاهدتم ثم ذكر من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد

وتوثيقها

توثيقها باسم الله تكرارا واكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفي الاية دلالة على الفرق بين الايمان
المؤكدة وبين لغو اليمين لقولهم لا والله وبلى والله وايضا الاية من العمومات التي دخلها التخصيص لا ريب انه صلى الله عليه وسلم
قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي المائدة وقوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به ان الله يعلم
ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك خيرا او شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان معنى نقضت نكثت ورد بان
انكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله فقال الواحدي هو مفعول ثان كما يقول كسره اقطاعا وقيل انه
اجزاء اي جعله اقطاعا واجزاء فكذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت يحتمل ان يكون حالا موكدة قال ابن قتيبة هذه الاية
متصلة بما قبلها والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا
فعلى هذا المشبه به امراة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امراة معينة
من قريش ريطة بنت سعد بن تيم وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع او صنارة مثل اصبع وهي الحديدة في راس المغزل
وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال
ودخلا مفعول ثان لتتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال
الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله ان تكون اي لان تكون امة يعني جماعة قريش هي
اربى ازيد واوفر عددا واموالا من امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون
حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز فانما يبلوكم الله به اي بما يامركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله
الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم ام تغترون بكثرة
قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيمة باظهار الدرجات والكرامات للاوليا
وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتستخفون بهم ثم
ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي
من يشاء والمعتزلة يحملون المشية على مشية الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى
لكان سوالهم عنها عبثا واجاب الاشاعرة بانه لا يسال عما يفعل وروى الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء
وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض عن هذا والا محوت اسمك من النبوة قال المفسرون انه لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان
اراد ان ينهاهم عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص
قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبيلة وانما يليق بنقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال جار
الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا امثل ثم
انه وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام فقد زلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات
العالية الى دركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم وغيركم عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدى
به غيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم ممن
اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما
كان يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال
ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهله لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والاية حجة
عليه ولنجزين الذين صبروا على ما التزموه من شرايع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا
بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب اي نجزيهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ثم عمم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا ولا كلام في عمومه الا انه زاد قوله من ذكر وانثى تاكيدا وازالة لتوهم التخصيص
والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم جعل الايمان في عمومه شرطا في كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو
مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح لان من شرط الشيء مغاير لذلك الشيء واختلف في الحيوة الطيبة فقيل هي
في الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه واما بعد ذلك فحيوة بلا موت وعيش

بلا نقص وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدي انه هذه الحيوة في القبر والاكثرون على انها في الدنيا
لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع اكل الحلال وقيل القناعة
[illegible] كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله
ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه من التنوع والعفة والرضا بالقضا ما يطيب عيشه واما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه
ان يتهنا بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه عاشق الدنيا معانقة العاشق للمعشوق بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة
والجلال فانه قلما يفرح لحب الدنيا ولذاتها وجاهها [illegible] وجودها وفقدها [illegible] ونفعها وضرها [illegible]
ما [illegible] فقال اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الاية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة وبها يخلص الاعمال
عن الوساوس فقال فاذا قرات القرآن اي اردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفى في
اول الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها الحقيقي
الرجوع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس
اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه الضمير للواحد في قوله والذين هم به مشركون قيل راجع الى
الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه **التأويل** ويوم نبعث فيه اشارة الى ان [illegible] الانبيا [illegible] على اممهم [illegible]
وبعد وفاتهم [illegible] الدنيا [illegible] الاخرة [illegible] في الفتنة [illegible] اي الذين ظلموا اي وضعوا الكفر [illegible] الطبيعة
موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ابدانهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا راى
الذين اشركوا [illegible] الدنيا [illegible] انكم لكاذبون في انا دعوناكم الى عبادتنا انا كنا مشتغلين بتسبيح الله سبحانه وصدوا
عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذاب الحرمان عن الكمال فوق عذاب النقصان بافساد الاستعداد
الفطري وجئنا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي نبيا والكل شي يحتاج
اليه السالك في اثنا سلوكه ان الله يامر بالعدل وهو وضع الالات واسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى المقام
الوصال والكمال والاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما اعطاك الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى
اشارة الى ان من جملة العدل [illegible] حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو اقرب اليه قربا معنويا او صوريا وينهى
عن الفحشاء وهو صرف ما اتاه الله في غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا يحسن الى غيره وهو ان لا يراعي الترتيب
المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله [illegible] الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا [illegible] ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها فيه اشارة الى حال المريد المرتد ان تكون امة هي اهل الدنيا في الدنيا اعلى حالا من امة هم اهل الاخرة ولا تتخذوا ايمانكم
عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقلوب الخلق فتزل اقدامكم عن صراط الطلب من ذكر او انثى هما القلب والنفس
والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة
مستعدة لنيل خطاب ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير [illegible] بشهود الحق [illegible] وحينئذ يطيب عن دنس
الانانية وتلوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وبالحقيقة هو لامته لان شيطانه اسلم على
يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطان بل هو [illegible] لقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وفيه ان الشيطان ليس
له تسلط على اوليا الله الا بالوسوسة وفيه صلاح المؤمن فانه [illegible] قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار
الوسوسة لان المؤمن يطلع على [illegible] الوسوسة من جنسه فيبقى في الرياضة وملازمة الذكر حتى تنحي تلك الصفات والله اعلم

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم
لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى
للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا
لسان عربي مبين إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم

مقام

إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر
بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على
الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم إن ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله
مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم
العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم
إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها
لغفور رحيم إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه
اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين
ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع إلى سبيل

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين ۝ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ۝
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ۝ **القراءة**

بما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو ويلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلي وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والحلوني (?)
بالنصب عباس ابراهام هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل الحرف بالفتح
الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا وهو قالوا وقوله والله اعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر لا يعلمون للمسلمين تثبيت
بآيات الله لا لان ما بعده خبر ان الى بآيات الله لا احتمال الجملتين مع العطف الكاذبون غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عظيم على الآخرة للعطف الكافرين وابصارهم لا لاختلاف جملتي الغافلون الخاسرون وصبروا لان الثانية تكرار الاولى لطول
الكلام بصلته رحيم ما واحد رحيم لا يظلمون يصنعون ظالمون طيبا للعطف تعبدون لغير الله به رحيم على الله الكذب
لا يفلحون قليل للعطف المتقين ولا سيما اذ قدر لهم متاع الموتى قليل لابتداء الفرق مع العطف يظلمون واصلحوا لان ثم رحيم
حنيفا من المشركين لان شاكرا وصف اخر وبدل من حنيفا لانعمه مستقيم حسنة الصالحين للآية لترتيب الاصنام حنيفا المشركين
اختلفوا فيه يختلفون احسن بالمهتدين عوقبتم به للصابرين يمكرون محسنون **التفسير** هذا شروع في حكاية
شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا انزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار
قريش ان محمدا ليسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا
بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره وتبديل الآية رفعها باية اخرى غيرها وهو نسخها باية سواها والله اعلم بما
ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا او بالعكس بل اكثرهم لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم
اراد تبديل آية مكان آية في الكتب المتقدمة مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وساير العلماء اطبقوا على ان
المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه اخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بانه يلزم
من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ
مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن روح القدس هو جبريل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد
الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال اي ملتبسا بالحكمة
والصواب ليثبت الذين آمنوا لقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ثم يقولوا كل من الناسخ والمنسوخ من عندنا
وكل منهما في وقته حق وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو حق في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف وحين ما يكلف
به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه
الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا انما يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلم منه
واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان
صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل فكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي ثم اجاب
عن شبهتهم فقال لسان الذي وهو لسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في اول الاعراف ان تركيب الالحاد
يدل على الامالة ومنه اللحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء
ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب فيها يسريه واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم
ولا يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم
المعاني من ذلك الرجل الا انه لا يقدح في المقصود لان القرآن انه بفصاحته المتضمنة ايضا معجز ولما ذكر جوابهم فيقهم (?) وهددهم بقوله

ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم
وفسر الامام فخر الدين بان الله لا يهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة
فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بني الامر في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه
يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر وقال انما يفتري الكذب وفيه ايضا
رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش
والى الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب
او هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم اذ لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
ومما يدل على كذبهم عقلا انهم اعداؤه وكلام العدو ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وايضا ان امر التعليم والتعلم
لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج الى ازمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن
كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلى حالا من المتعلم فلو كان معلم هذا العالم الذي تعلم منه مثل النبي موجودا في ذلك العصر لم
يخف حاله ولكان الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية هي قوله واولئك هم الكاذبون
على ما قبلها وهي فعلية دالة على ان من اقدم على الكذب فانه دخل على الكفر تنبيها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة
كما تقول كذبت وانت كاذب ففيه زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء اعظم من انكار الالهية
والنبوة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته
اراد ان يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون
على انه بدل اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره
فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من
المبتدأ الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم اي اخص واعني من كفر وجوز
بعضهم ان يكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من
اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد
الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك
ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسر وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت
بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار
فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فهنا حكم العلماء ان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر ومحل الاكراه ان يعذب بعذاب لا طاقة
له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وساير الايلامات القوية واجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب ان يكون منشرحا (?)
عن الرضا بالكفر وان يقتصر على التعريض ما امكن مثل ان يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار او يعني به محمدا آخر
ويذكره على نية الاسلام يعني الانكار وان اعجله من اكرهه من احضار هذه النية الا انه لما علم حرف نزوعه عن قلبه
ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى يصرح بالكفر من عزيمته ويطلب منه ان يقول لا اريد
بقلبي سوى ما اذكر بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب
حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب ان يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن
القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع ان يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها
ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكرهه على شرب الخمر واكل الميتة فانه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة
لحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي ان بلالا صبر على العذاب وكان يقول
احد احد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظموه ولان في ترك التقية والصبر على
القتل او التعذيب اعزازا للاسلام ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه
فههنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء فيه قولان احدهما لا يلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعي
في احد قوليه لانه قتله دفعا عن نفسه فاشبه قتل القاتل ولانه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال

احدوا الشافعي في اصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن
الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه قيل وهو الزنى لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فلو دخل الزنى
في الوجود علم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن ابي حنيفة انه اذا اكرهه
السلطان لم يجب الحد وان اكرهه غيره وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل
الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما الكلام النفسي ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز
واصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة وليناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله ذلك بانهم
اي ذلك الارتداد بسبب انهم نحوا الدنيا على الاخرة ولاجل انه تعالى ما هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر فقال جار الله
ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وقد مر البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في
تفسيرهما بين الاشاعرة والمعتزلة تقدم في اول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة اولئك هم الغافلون اي الكاملون
في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وقال في اوائل سورة هود هم الاخسرون لان
اولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا واضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا
بانفسهم فهم الخاسرون ويمكن ان يقال انهم الا ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على الالف فلما اشتمل يبصرون يفترون وفي
هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبين جاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من اكره اتبعه حال من
هاجر من بعد ما فتن قال جار الله معنى ثم ان ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بنصرهم ولا يخذلهم ويحتمل ان يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التاخير وتكرير ان لطول الكلام ثم قرئ من بعد ما فتنوا
بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه ان فتن وافتتن بمعنى واحد او المراد ان اولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية كانهم
فتنوا انفسهم لان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد او المراد ان اكابر المشركين الذين اذوا فقراء المسلمين لو تابوا
وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرا بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين
المعذبين الذين حملهم اذية المشركين على الردة والرجوع عن الايمان اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم
بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في رسول الله
ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة من حال الارتداد والشك في امر الرسول الا
انه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبي صلعم بقتله فا
ستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اسلم وحسن اسلامه وعن الزجاج ان المعنى لو جعلنا الاية
مدنية ومثله ما روي عن قتادة انه لما انزل الله ان اهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها اهل المدينة
الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله
فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الاية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة
من الهجرة والجهاد والصبر قال الحاكم ان الاية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن ارتد
ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تاتي منصوب بقوله رحيم او باضمار اذكر او ذكرهم
وانذرهم ومعنى الاية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى النفس واجيب بان المراد بالنفس
الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره ومعنى
المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم ثم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب نفسي نفسي حتى ان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه يفعل ذلك ثم اوعد الكفار
بافات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان تكون مقدرة وان تكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب
كثير من المفسرين الى انها مكة والاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة فضربها الله مثلا لمكة اذ لا مانع عادة قال
العقلاء ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمينان اشارة الى ان
هواء ذلك البلد كان ملايما لامزجة اهله حتى اطمانوا واستقروا ولم يحوجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاية لهم باسهل وجه قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا الملف

الاكثرون ان جمع نعلة يجيء على افعل بل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب
العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة وهذا امثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو
محمد صلعم فكفروا به وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء وعذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز
وكان النبي صلعم يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس فقال ابن الاعرابي
لا باس ايها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا كانه طعن في الاية ان المناسب ان يقال فكساها الله لباس
الجوع او فاذاقها الله طعم الجوع ثم رد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار
اللباس لما غشي الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف
ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون
ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تعريف هذا
الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان للتجريد
ترجيحا من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع
موضع التعرف والاختبار يقول انظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها
فمعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال
وفي الاية عرفها الله ان لباس الجوع والخوف وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون قال ابن عباس بما يصنعون بتكذيبهم النبي صلعم من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات
اجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل
مكة رسول منهم من انفسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قال ابن عباس
يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر قيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم
فاتركوا الكفر فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي
ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلعم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت
عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن في حمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا والترجيح قول ابن عباس بانه
تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا
الخبائث وهي الميتة والدم وانه سبحانه اعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا
للاعذار وازالة للشبهة ثم رتب طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها
كتحليل الميتة والدم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب
بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويمكن ان ينتصب
الكذب بتصف ويجعل ما مصدرية ايضا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا
ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز ان يكون ما موصولة اي ولا تقولوا للذي تصف السنتكم الكذب فيه
هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظة فيه لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان ماهية
الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا
لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه
هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الاية وقوله متاع قال الزجاج اي متاعهم وعن ابن عباس
اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية او ان نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب
ويبقى العقاب الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم ببغيهم
ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال
اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في عاقبته لغلبة الشهوة عليهم ان ربك
من بعدها من بعد تلك السيئة او التوبة او الجهالة ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبهاتهم ومطاعنهم
وكان ابراهيم صلوات الرحمن عليه رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله تعالى في اخر هذه السورة فقال ان

ابراهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير ولبس الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مومنا
وحده والناس كلهم كفار فلهذا انزل انه امة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله وحده وعن شهر بن حوشب
لم يكن من الامة الا وفيها اربع عشر يدفع الله عن اهل الارض الا زمن ابراهيم فانه وحده وقيل امة بمعنى ماموم اي يومه الناس ليأخذوا
منه انعال الخير او بمعنى موتم به كنخبة اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب فيه حصلت الامة
الامنيان عن نسراح قانتا لله قائما بما امره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن
عباس المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه لان كان نعمة قليلة
فضلا عن النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر
فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على ان عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة ان الله حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال
والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا
لدعائه والحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا اليك تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي اثنى
الله بها على ابراهيم لعلمه ان اجل ما اوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة
للرفع ونزك العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسأل لم اختار اليهود السبت لان ابراهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله بقوله انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة يروي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى
بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت
فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى
ابو هريرة عن النبي صلعم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى
بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيهم تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
وضعف القول الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن ان يقال لعل بعضهم من اختار الجمعة وقدم الدهر
ثم وقع الاختلاف فسوال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل ان الله تعالى خلق
العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالوا ان يوم السبت هو اليوم الذي فرغ الله فيه من الاعمال
فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب ان العيد هو يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح
والسرور فجعله عيدا اولى فنبهم او عند اليهود يقول له وان ربك ليحكم الى اخره ولما امر محمد باتباع ابراهيم صلوات الرحمن
عليهما بين وجه المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقة ابراهيم صلوات الله عليه في الدعوة كانت هكذا
وتقريره ذلك ان الداعي الى مذهب ومقالة لا بد ان يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما ان تكون يقينية قطعية مبرأة من
شائبة احتمال النقيض واما ان تكون مفيدة للظن القوي والاقناع التام والاولى لم يكن ملتفتا اليها في العلوم وقد تكون الجدال
والخصام غالبا على الدعوى فيحتاج حينئذ الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او
من الجدال والخصام غالبا الى مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والكامل
بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الدلائل الاقناعية الواقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه الكلمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى
الا انهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا
هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوى
قوله وجادلهم بالتي اي بالطريقة التي هي احسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه
لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع
لم يكن جدالا حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين الظاهرين فيه
غير مضبوط وحين في الكشاف ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس
الى النبي وانما ذلك الى الله فقال ان ربك هو اعلم الاية ابي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدرتها وصفائها

ومن جعل الدعوة سبب السعادة تماما واسطة لشقاوتهم ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع من الدين المالوف
والقطام منه شديد وربما تجر المقاتلة الى المقاتلة فحينئذ امر الداعي واتباعه برعاية العدل والانصاف في حال القتال
فقال وان عاقبتم اي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان دفع قتل فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والاية عامة وقد يخصصها
رواة اسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا
غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلعم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي
احلف به ان اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قاله ابن عباس في رواية عطاء وابي
بن كعب ومن هنا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها
حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدءوا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في
سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا قال مجاهد والنخعي وابن
سيرين انه نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وان عاقبتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول
الطبيب للمريض ان كنت تاكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال ولئن صبرتم لهو خير لكم
فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم او جنس الصبر حين تصابرين
جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه
وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلي معتمد للصبر واما السبب الجزئي القريب فذكره بقوله ولا تحزن ولا تك وذلك
ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند فوات نفع واشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم
قيل على قتلى احد وقيل على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين والاصل توقع مكروه في المستقبل واشار اليه ذلك
بقوله ولا تك في ضيق من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالباس لان الضيق
وصف فهو يكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى هي ان الضيق اذا اعظم وقوي صار كالشيء المحيط
به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر ايضا او على انه مخفف ضيق ومعناه في امر ضيق وانما لم يقل ولا
تكن بالنون كما في ارض النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن ههنا اكثر بناء على انها وردت في قتل حمزة
فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة باية جامعة لجميع المامورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الريا وقيل ان الله مع الذين
اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فاذا اردت ان اكون معك بالنصر والتاييد فكن من
المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة وقيل الذين اتقوا
اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال
الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي
واوصيكم بخواتيم سورة النحل التاويل واذ ابدلنا اية انه تعالى يعالج ويداوي القران امراض القلوب فكل وقت
بنوع اخر على حسب ما يعلمه من المصالح فلذلك قال والله اعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب
ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه انكار الطب القلوب ومعالجتها من شان البشر بنظر العقل لانه
مبني على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الامزجة واختلا ف
احوالها ولان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضعف عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلوات الله
عليه واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم
بالظاهر يلحدون اليه اعجمي وهو الذي لا يفهم من كلام الله اسراره وحقائقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما
يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكاذبة التي لا تؤمن بايات الله واولئك هم الكاذبون ايهم الذين
اسسوا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه لا يصر على بعض الاحوال ذلك وهكذا في جميع المعاصي
ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص ايمانه ويرجع بالتوبة الى اصله قال صلى الله عليه وسلم ما يزال العبد
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد الذي تنسم فواتح نفحات الحق بمشام قلبه
عند هبوب رياح الطاف الهية على عالم الباطن واخذت سحب حجب البشرية فلمع له برق الطاف به افاق سماء القلب واثرت
ايمن النفس فامن بجبلة الطلب واحتمال التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبذل في الاجتهاد

حته وحوله حيث نكباء النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره واتخذت نار الطلب وآل المشوم الى الطبعة الاسى اكره على مباشرة فعل اوقول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة بنوافقهم فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يتخلص من شوم صحبتهم استحبوا اختاروا محبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدي الى حضرته القوم الكافرين نعمته واولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لانهم اعرضوا عن العبودية فورثت خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة اوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتخليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تأتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها وفناء المفارها اوحدا بما نقانها حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق بالله به يقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم في الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذا وجهه بخطاب سلام عليك ايها النبي مضى عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة بكافة الى الناس كافة ولكن برفع الهمة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود قرية هي قرية شخص الانسان كانت امنة اي اهله وهو الروح الانساني مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من الواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق فالخوف من جيفة الدنيا ومحبة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فما تخلقوا باخلاقه فكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هنا حلال وهذا حرام على عادة اهل الاباحة وعلى الذين هادوا اي تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو سلوك حتى كنت تتحنث اعني صحبة خديجة وتتجنب الى حراء اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل انعامنا عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين له شركة مع الله في الوجود اتبع ملة ابراهيم في الظاهر حتى ينبعك سر في الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا اي ذاهبا الى ربي وأسري محمد بركبا سبحان الذي اسرى بعبده فهو خليل وانت حبيب انبعث الخليل في الدنيا فينبعك الخليل في الاخرة الناس يحتاجون الى شفاعتي يوم القيامة حتى ابراهيم عليه السلام وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا اي بالغوا في عقابها بالفطام عن مالوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب وان صبرتم على معاتبتهم لهو خير لان عتاب الحبيب على قدر عقاب العدو واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر احد ان يتصف بصفات الله بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند القيام بالدين والله اعلم

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل جاء الحق

حروفها ستة الاف واربعمائة وستون كلامها الف وخمسمائة وثلاثة وستون اياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير ۝ واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ۝ ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ۝ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۝ فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد

فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ۝ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ۝ ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۝ عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ۝ ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ۝ وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ۝ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ۝ وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ۝ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ۝ اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ۝ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ۝ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ۝ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ۝ وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ۝ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ۝ ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ۝ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۝ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ۝

القراءة يتخذوا بالياء والغيبة ابو عمرو وعباس يحيى الباقون بتاء الخطاب اساوتم بالمد ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش والاعشى وحمزة في الوقف ليسوءوا بالياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد لنسوء بالنون على يد الباقون ليسوءوا على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ونخرج لانه بالمعلوب الاخرون بالنون منعد يلقاه

مشددا ابن عامر ويزيد وروي النقاش عن ابن ذكوان بالامالة الياقوت محققة وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة اقراء كما لك
بغير هن الاعشي وادقية وحمزة في الوقف امرنا من باب الفاعلة تعقوب **الوقف** الجزء الخامس عشر ايابنا البصير وكيلا
لمن قرا تتخذوا بتاء الخطاب لامكان ان يجعل ذرية منادي نوح شكورا كبيرا الديار مفعولا نفيرا قبلها لان ما بعده عايد الي قوله
فاذا جاء وعد اولاهما مع اعتراض العوارض تتبيرا برحمكم لابتداء الشرط مع العطف عدنا حصيرا من نوع العطف حصيرا كبيرا للعطف
اليما بالخير عجولا والحساب تفصيلا عنقه منشورا كتابك حسيبا لتصدير الشرط لنفسه للشرط مع العطف عليها اخرى رسولا
تدميرا نوح بصيرا جهنم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا مشكورا عطاء ربك محظورا بعض تفضيلا **التفسير**
لما عزم علي بنية في خواتم النحل جامع مكارم الاخلاق حكا طرفها ما اختصه به من المعجزات فقال سبحان الذي وهو اسم للتسبيح
وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله واسري وسري لغتان بريك
انه لما وصل النبي صلي الله عليه وسلم الي المراتب العلية في معراجه اوحي الله اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي الي نفسك
بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي اسري بعبده وقوله ليلا نصب علي الظرف وفايدته التاكيد للاسراء وفي تنكيره تقليل مدة
الاسراء لان التنكير فيه معني البعضية اخبر انه اسري به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلي الله عليه وسلم
بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبرايل بالبراق وقيل المراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والي هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسري به
من دار ام هاني بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن الحسن وانس انه كان قبل البعثة الي المسجد الاقصي هو بيت المقدس
بالاتفاق سمي بالاقصي لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينيذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله بركات
الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسي عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله
اسري مع قوله باركنا سلوك الطريقة الالتفات لنريه من اياتنا بيان لحكمة الاسرا سوال كما اري ابراهيم ملكوت السموات
والارض واري محمدا بعض اياته فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل الجواب لعل بعض الايات المضافة الي
الله اشرف واجل من ملكوت السماء والارض كلها ولهذا ختم الاية بقوله انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة
فيكرمه علي حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا علي انه اسري بجسد رسول الله صلي الله عليه وسلم
والاقلون علي انه ما اسري الا بروحه حكي محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رويا وانه ما فقد جسد
رسول الله ولكنه عرج بروحه وحكي هذا القول عن عايشة ايضا وقد احتج بعض العقلا علي هذا القول بوجوه منها ان الحركة
الجسمانية البالغة في هذه السرعة الي هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الي السموات يوجب انخراق الافلاك ومنها انه
لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر من الجم الغفير حتي يستدلوا بذلك علي صدقه وما الفايدة في اسرايه
ليلا علي حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من اول عمره الي اخره والاجزاء البدنية
في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه واعضايه ومنها
قوله سبحانه وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وما تلك الرويا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا
ممن امن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل علي اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه
وتطهيره بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب
البداء اجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول صلعم من مكة الي فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة
نصف القطر الي نصف الدور نسبة الواحد الي ثلثة امثال وهي نصف الحركة الفلك في يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا
فالاقل بالامكان اولي ولو كان القول بمعراج محمد صلي الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول من نزول جبريل
من العرش الي مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملايكة اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن
والشياطين وقد سخر الله تعالي لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان عرش بلقيس في اقصي اليمن وسليمان في الشام وعلي قول الذي يقول ان الابصار
بخروج الشعاع فانما ينتقل شعاع العين من البصر الي الكواكب الثابتة في ان واحد فثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه
اقصي ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا بهذه الصورة وانما ذلك امر حاصل في جميع المعجزات
وعن الثاني ان انخراق الافلاك عند حكما الاسلام جايز وعن الثالث ان فايدة الاسرا فيه عايدة اليه حيث شاهد
العالم العلوي والعرش والكرسي وما بينها وعليها فحصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت تعلقاته

عن

عن الكونين ولم يبق مشغول القلب بشي من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد
وعن الخامس ان تلك الرويا هي عن حكاية المعراج كما يجي في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرويا بمعني الروية وعن السادس
انه لا اعتراض علي الله تعالي في شي من افعاله وانه علي كل شي قدير بما علم انه ليس في الاية دلالة علي العروج من بيت
المقدس الي السموات والي ما فوق العرش الا انه ورد الحديث به ومنهم من استدل علي ذلك باول سورة النجم او بقوله لتركبن
طبقا عن طبق وتقرير هاتين يجي في موضعه روي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان نايما في بيت ام هاني بعد صلوة العشا
فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة علي ام هاني وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الي المسجد فتشبثت
ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشي ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره
رسول الله صلي الله عليه وسلم بحديث الاسراء وانه اسري به من مكة الي بيت المقدس ومنه عرج الي السماء وراي ما فيها
من العجايب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهي فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين
مصفق وواضع يده علي راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعي رجال الي ابي بكر رضي الله عنه فقال ان
كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه علي ذلك قال اني لاصدقه علي ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان منهم من سافر الي
الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن
عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما
قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكي طرفا من اكرام محمد ذكر شيا من اكرام موسي فقال واتينا موسي الكتاب
اي التورية وجعلناه هدي لبني اسرايل اخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الي نور العلم والدين الا تتخذوا من قرا
علي الغيبة فان ناصبة ولام العلة محذوفة اي لئلا يتخذوا ومن قرا علي الخطاب فان مفسرة معناها اي لا تتخذوا لانك
كتبت اليه ان افعل كذا او زايدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم يا ذرية
من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث
والناس كلهم من ذريته اولئك فقوله يا ذرية قايم مقام قوله يا ايها الناس وعلي القراة الاولي انتصب ذرية علي الاختصاص
وعلي القراتين احتمل ان تنتصب علي انه مفعول اول ليتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة
والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسي وعزير ثم علل النهي عن الاشراك انه كان عبدا شكورا اي انتم
ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويحتمل ان يكون
تعليلا لاختصاص بني اسرايل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص
وجوز في الكشاف ان يكون ثناء علي نوح بطريق الاستطراد روي من شكره انه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء
اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي اسقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسي قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني
واذا احتذي قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضي حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو
شاء حبسه وكان اذا اراد الافطار عرض طعامه علي من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم ذكر ان كتاب موسي اسل يا احد
يهدي التورية فقال وقضينا الي بني اسرايل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية
وقوله لتفسدن في جواب قسم محذوف او اجري القضاء المبتوت مجري القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض
ارض مصر مرتين ولتعلن لتتعظمن ولتستولن علي الناس علوا كبيرا تسلطا عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب
اولاهما اولي المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد اصحاب نجدة وشدة فجاسوا ترددوا
للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب وعدا مفعولا لا بد من وقوعه ثم رددنا
لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم علي الذين بعثوا عليكم حتي تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه اعتقب الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا علي صحة
القضاء والقدر بان الافساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجاب المعتزلة بان المراد بانه خلي بينهم وبين ما فعلوا
ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس واحراق التورية وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف
الظاهر علي ان الدليل الكلي العقلي قد دل علي وجوب انتهاء الكل اليه ولما حكي عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم
مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة قايلا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها لم يقل فعليها اذ نفعها للقا

مع ان حروف الاضافة تقوم مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الامرة وفيه دليل على ان
جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الآخرة بعثناهم حذف جواب اذ الدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم
ليجعلها الله او الوعد او البعث او ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها لان آثار الاعراض النفسانية الحاصلة في
القلب انما تظهر على الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شي غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان تكون ما بمعنى المدة اي ما
دام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله تتبيرا ذكر للمصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان بني اسرائيل تغطوا
وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبيا وسفكوا الدما وذلك اول الافسادين فسلط الله عليهم بخت نصر او سنجاريب
وجنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا
آخر من اهل بابل وتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة
قامت فيهم الانبيا ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدوا قتل عيسى
بن مريم ثم وصف الثاني الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف الاولى
قتل زكريا وحبس ارميا والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى والله اعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام المقصود
الاصلي الذي دل عليه القرآن هو انهم لما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه
ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثالثة وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير انهم
عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد وكتمان ما ورد من نعته في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على
ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء وبقي الباقون منهم مقهورين
بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فيهم فهي عذاب الهون الى يوم القيامة واما بعد ذلك فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا
حاصرا او محصورا لهم لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم انه شرح فعله في حق عباده
المخلصين كمحمد وموسى صلوات الله عليهما وفي حق عبيده العاصين ككفرة بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة
الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القرآن العظيم للاحكام الهادي الانام فقال
ان هذا القرآن يهدي للتي اي للحالة او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة
لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا الشي اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة
ثم يكون للاول فضل على الآخر وكيف يتصور في غير هذا الدين شي من الاستقامة حتى يستقيم هذا التفضيل واجيب
بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان
ويمكن ان يقال لا شي من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله والاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين
السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ذكر كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل
الاصلح له نتيجة واثر وذلك الواجب الثابت والالتزام بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم
وانت خبير بان لفظ البشارة بمعنى الانذار مستعمل للتهكم او البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل ويخبر الذين
لا يؤمنون بالآخرة ان لهم عذابا فيجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احدهما بثوابهم والاخرى بعقاب اعدائهم قال في
الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة فاجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا حينئذ
اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك قلت هذا الجواب منه عجيب
فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا انه كان يجب ان يذكر في القرآن الذي فيه اصول الاحكام
على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا لم يذكرهم في القرآن لم يرد الله تعالى بعد ههنا
اوصاف القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من ههنا والصواب الحق ان الفسقة جعلوا تابعين لاهل
الايمان والله اعلم تمت هذه الآية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما يكرون الايمان بالآخرة والجواب المنع من الخصوص
ولو سلم فان ايمانهم بالآخرة كلا ايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما والله اعلم انه سبحانه قال
ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف اجرا حسنا ماكثين فيه تامله ذلك فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولا يبعد ان القرآن كان
في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه
النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا

بعذاب الله واحق دون معنى هذا الوعيد جهلا منهم واعتقادا ان محمدا كاذب وقيل المراد انه يدعوا الله عند غضبه وضجره
فيلعن نفسه واهله وماله ويدعو عليهم بما لو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة
بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي عليه
دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي عليه
اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الانسان
[illegible]
المقدر وجعلنا آيتين الليل والنهار فمحونا آية الليل [illegible]
الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شي لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار او
بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد
السنين الشمسية والقمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين
والادوار نقيل اي او محى القمر الكلف الذي في وجهه وسببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل
الله تعالى جبريل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه اثر الضياء وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز في وجه القمر
اجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر لاجرم شوهدت
تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجوها في الهيئة قال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر
مع مقادير النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحارين على ما يذكره الاطباء الا ان الكلف ليس
له مدخل في ابتغاء فضل الله وفي معرفة الحسابات تفصيلا قال وكل شي تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة فلذلك قال وكل انسان الزمناه
طائره اي عمله في عنقه بتوجه آخر لما شرح احوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة
المواقيت وكان الغرض الاصلي من الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر انه كل انسان مؤاخذ
في عرصة القيامة بافعاله واقواله وبسائر احواله ليظهر انه هل اتى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة اذا ارادوا
الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير بنفسه او يحتاج الى ازعاجه فاذا طار فهل يطير متيامنا او متياسرا
او صاعدا في الجو الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على ما يسوءهم او يسرهم عليهم اليه من خير او شر
فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشي باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له البخت فالطائر ما وقع
للشخص في الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كانه طائر يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية الى ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص
وفي هذا دليل على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه اكد هذا
المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في عنقه يقال جعلت هذا الامر في عنقك اي قلدتكه والزمتك الاحتفاظ به فان كان
خيرا يزينه كان كالطوق وان كان شرا يشينه كانه الغل ومن امثال العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج من قرا بالنون ونطلع
وقوله يلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه ومن قرا بالياء مجهولا وهو الضمير
للطائر وكتابا حال منه يقال لقيت الشي ولقاه بغيري عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وطويت فجعلت في عنقك ثم اذا

بعثت قلدتها في عنقك لتراد كتابك علي اتمام القول قال قتاده يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قاريا وبنفسك فاعل كفي
وحسيبا تمييز بمعني حاسب وانه كثير من فعل بالضم كرثيب وبعيد ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه
ضريب القداح بمعني ضاربها وصريم بمعني صارم وعلي متعلق بحسيب من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب
بمعني الكافي ثم وضع موضع الشهيد فعدي بعلي لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وذكر حسيبا بمعني رجلا حسيبا لانه
بمنزلة الشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة وان النفس مادلا بالشخص ويجوز ان يكون فعيل بمعني فاعل
علي فعيل بمعني مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعني المحاسب قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب
نفسك وذلك السبب يقول الكافر يوميذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ
كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا وروي انه يدني المومن فيفهمه صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها
وسياته في جوف صحيفته وهو يقراها حتي اذا ظن انها قد اوبقته قال الله له قد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم
سروره ويصير من اهل قوله وجوه يوميذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم المتالة يريد ان يبقي من
الاثار كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفي ما دام
الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوي فاذا انقطعت علاقتها عن البدن قامت قيامتها لان النفس
كانها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الي العالم العلوي فتزول الغطاء وينكشف
الاحوال ويظهر علي لوح النفس نقش كل شي عمله في مدة عمره وهذا معني الكتابة والقراءة بحسب العقل والله لا ينافي ما ورد
في النقل ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدي منه الي غيره فقال من اهتدي الي قوله
وزر اخري قال الجبائي فيها دلالة علي ان الاطفال لا تعذب بكفر ابائهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يواخذ
العبد به كما لا يواخذه بوزر غيره بل كان يجب ان لا وزر اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة
ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقدحت عايشة بهذه الاية في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء
اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية علي العاقلة ويمكن ان يجاب بانه تخصيص عام الادلة ثم
اتي قوله وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة في ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل
بالسمع لان الوجوب لا ينفك ماهيته الا بترتيب العقاب علي الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الاية اجاب الخصم
بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعي المعجزة فهل يجب علي المستمع قبول
قوله والنظر في معجزته او لا يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلي الاول ان وجب بالعقل فهو المدعي وان وجب بالشرع
فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات الشي بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه اخر اذا اوجب النبي بعض
الافعال وحرم بعضها فلا معني لذلك الا انه يترتب العقاب علي الترك والفعل ثم انه يجب علي المكلف ان يحترز عن العقاب
او لا يجب لا سبيل الي الثاني بالاتفاق وعلي الاول يلزم الوجوب العقلي فالالزام الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة
جواز العفو عن عقاب الكبيرة فيكون ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر
بسبب حصول الخوف من العقاب ولا تكون هذه الخوف الا بمحض العقل فثبت ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان
يجري الاية علي ظاهرها فيقال العقل هو رسول الله الي الخلق بل هو الرسول الذي لولاه ما تقررت رسالة احد من الرسل
ومجي الانبيا انما هو لتنبيه علي النظر وكالايقاظ من رقدة الغفلة والحجة وانها كانت لازمة لهم قبل بعثة الرسل الا انها تعد
البعثة اتم واما ان يخصص عموم الاية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الي معرفة وجوبها الا بالشرع الا
بعد مجي الشرع ومما يناسب هذا المقام ما ذكره الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالي ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع
به وترك ما نستضر به اما مجرد العقل لا يدل علي انه يجب علي الله شي وذلك انا مجبولون علي طلب النفع والاحتراز عن الضر
والله تعالي منزه عن ذلك ولقايل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع والاستضرار الا انه حكيم جواد والا يليق
من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا ثبت منه ذلك حسن من فضله والحكيم لا يترك الاحسن
فصدور ذلك الاحسن منه البتة هو الذي يمكن ان تسميه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان علي ربك حتما مقضيا
ولكن ليس في القران دلالة علي ان الفعل قد يصدر منه ضد ما لا يحتمل النقيض من ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها للمفسرين في معني امرنا قولان احدهما ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلي هذا اختلفوا
في المامور به فالاكثرون علي انه الطاعة والخير وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم

الجبائي

الاشاعرة

الا قليلا امرناهم بالفسق ففسقوا والمكان من اصول الاعتزال انه تعالي لا يامر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز وجهه
انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الي المعاصي واتباع الشهوات فكان ايثار النعمة سببا لايثارهم الفسوق علي الايمان
فكانهم ماموريين بذلك ثم انه جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكليف بعلم الغيب ولم يجوز ان يكون من قبيل
امرته فعصاني فانه يفهم منه ان المامور به طاعة ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام وامرته فقرا فانه لا يفهم منه الا ان المامور
به قيام او قراءة ولقايل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل علي ان المامور به شي غير المعصية من حيث ان المعصية منافية
للامر ومناقضة له فكذلك قوله امرته ففسق يدل علي ان المامور به شي غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد
المامور به فكون الفسق منافيا لكونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مامورا بها
وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله علي قوله مع ضعفه ومخالفته اصل القول الثاني انه بمعني امرنا من بها اكثرنا فساقها
قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وامرهم ايضا بالمد واحتج ابو عبيدة علي صحة هذه اللغة
بقوله صلي الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة فالسكة النخل المصطف والمهرة المامورة كثيرة النتاج وقد حمل
بعضهم الحديث علي الامر ضد النهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله
صلعم اني اري امرك هذا حقيرا فقال صلعم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد ابطرته النعمة وسعة
العيش ففسقوا فيها خرجوا عما امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها علي سبيل
الاستيصال قالت الاشاعرة ظاهر الاية يدل علي انه تعالي اراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الي اهلاكهم بهذا الطريق
ويويده قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب وقال الكعبي ان سائر الايات دلت علي انه تعالي لا يبتدي بالتعذيب
كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فتلك الايات محكمة وهذه
من المتشابهات فيجب حمل هذه علي تلك قال في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تاويل هذه الاية القفال فانه
ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه منه وما لم يعمل منه اي لا يجعل علمه حجة علي من علم انه عاص بل
يامره حتي يظهر عصيانه للناس فحينيذ يعاقبه ومعني الاية واذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم التلف
ان يقول واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها
بالرجوع عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا صبت
عليهم البلا وصادف زعم الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا
اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة ليس المعني ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت انه
سيصير الي ذلك فمعني الاية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفي انه عدول
عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان
لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود وقوما غيرهم ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة فقال وكفي بربك الاية قال الفراء
انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال
قام باخيك وانت تريد قام اخوك وفي الاية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة
والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الي كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعاني المذكورة من قوله كل انسان الزمناه طايره
ومن قوله من اهتدي فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد
المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا تري كثيرا من هولاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما
قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الي من وهو للعموم ولهذا تري كثيرا منهم يتمنون البعض
اليسير من الدنيا ولا يوتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الاخرة بل اعذ ابها العزلة ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما
مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة بان يعتقدها حقة ويتجافي عن دار الغرور وسعي لها سعيها اي حق
السعي لا جلها وذلك ان يكون العمل الذي يتوسل به الي الفوز بثواب الاخرة من جملة القرب والطاعات وعلي قوانين الشرع
والعقل لا البدعة والهوي وهو مومن لان شيا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقدم الايمان فاوليك
كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء
عليه بالقول والاتيان بافعال يدل علي كونه مطيعا عنده ذلك الشاكر والله سبحانه يعامل المطيعين بهذه الامور الثلثة
لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات دالة علي كونهم مطيعين عند الله

وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الاخرة اشارة الى ان يريد نفع الدنيا لا يكون
مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم تشبيع الامل ومريد الاخرة يكون محمودا بادنى التفات بعد وجود الشرط قالت الاشاعرة
ان مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل
الايمان للعبد وتشبيع الطاعات الباقية صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر
الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله الممدوح قبيح قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا
من القدرة والعقل وانزال الكتب وايضاح الدلايل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس فاصحاب خيرات الدنيا قاصد
خيرات الاخرة وعينها ثلثة اقسام احدها الاول ان يكون طلب الاخرة في عمله راجحا فيقبل لانه غير مقبول ايضا لما
يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري
تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزايد داعية خالصة لطلب الاخرة فينفع في حيز القبول الثاني
ان يكون طلب الدنيا وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا
يقبلان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رافته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين
نمد اي نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء وهؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق
بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطا
المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه الى مومن وقبضناه عن مومن اخر او وصلناه الى
كافر وقبضناه عن كافر اخر لحكمة بعضهم تحت تسخير بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة
التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المومنين يدخلون
الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضيلة المومنين على الكافرين الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل دعي بعضهم
ابنها الباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في الباهات بالرفع في مجلس الاخرة وهي اكبر وافضل التاويل
نزه نفسه عن الاتخاذ الكلي ولكن اخبر عن تمام وصول حبيبه بقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن العباد
دون له بعبده اشارة الى مقام تحقيق نسبة العبدية التي هي اخص مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى ان ذلك
الجذب كان كون حينا عن المجذوب اذا كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام تحريم فيه الالتفات
الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفنا في الله الذي باركنا حوله بالبقا بالله لنريه من اياتنا التي لم نسمع اذن
ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل اليه الا اذ اسمع به وابصر به هنا ما خطر بال هذا الضعيف في تاويل هذه
الاية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطاء والا فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسد ابدا بالقتل وتنكر التركيب
وخللا دالا بنا المعزوبة حين اسؤلت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم
الكرة عليهم باستيلاء داود القلب بقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء
وعد الاخرة حين ارتد عن الطريقة ليسوءوا وجوه قلوبكم بحب سوء اعمالكم وان عدتم عدنا الى التفضل وان عدتم الى الهذم
عدنا الى الكرم وان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية وان عدتم الى القربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية
ونهار الروحانية فمحونا اية الليل وهي قمر القلب فيه نور العقل حين مطلع شمس شهود الحق وهي اية النهار
فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلي ذاته وصفاته وقد اختص الانسان به من بين
الخلق فان حلقه لتعلموا ايام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان
يريد العاجلة فيه ان قلب الانسان بين اصبعي قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى
يرد اسفل الى دركات البعداد يحوله الى الاخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله تعالى اعلم

لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا ۝ وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا
تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۝ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

احدها

الي الحرام

وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ۝ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان
للاوابين غفورا ۝ وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ۝
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ۝ واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ۝ ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ۝ ان
ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ۝ ولا
تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ
كبيرا ۝ ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ۝ ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ۝ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ۝ واوفوا
الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ۝ ذلك خير واحسن تاويلا ۝
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان
عنه مسئولا ۝ ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا ۝ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ۝ ذلك مما اوحى اليك ربك
من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ۝ افاصفيكم
ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ۝

القراءة يبلغان مثنى حمزة وعلي وخلف بالجر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص اف بالفتح ابن كثير وابن
ذكوان غير ابن مجاهد خطاء المفضل الباقون بالكسر تبسطها كل البسط مثل بسطة خطا بفتحتين من غير يزيد وابن
ذكوان غير ابن مجاهد خطا بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطا بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون
فلا يسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث
كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل وقرا ابو نشيط والشموني غير النقار بالتاء سيئة على اضافة سيي

الي ضم كل حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الاحزون سيئة على التانيث **الوقوف** مخذولا احسانا
كبيرا صغيرا في نفوسكم غفورا تبذيرا الشياطين كفورا ميسورا محسورا وتقدير بصيرا املاق واياكم كبيرا فاحشة
سبيلا الا بالحق لان الشرط في امر قد يقع تارة اخارجا عن المنهي في القتل منصورا اشده بالعهد على تقدير فانه مسؤولا
المستقيم تاويلا به علم مسؤولا مرحا لاحتمال اضمار الفاء او اللام طولا مكروها الحكمة مدحورا اناثا عظيما **التفسير**
لما اجمل اعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن اخذ في تفاصيلها للمكلفين ويحسن ان يقال ان الخطاب للانسان كانه
قيل يا ايها الانسان لا تجعل والقول مضمر اي قل لكل مكلف لا تجعل وما بعد ذلك قوله وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا
يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان ابويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على انه جواب للنهي والفاء في المحتبى
عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها ان المراد به المكث يقال ما يصنع فلان ههنا قاعد
باسوا حال اي ماكث سواء كان قائما او جالسا ومنها انه من شان المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه
فالقعود على هذا حقيقة ومنها انه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان السعي فيه انما يتاتى بالقيام والعجز عنه
يلزمه ان يبقى قاعدا عن الطلب ومنها انه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى
صارت ولا ريب ان المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لانه بشركه نسب نعمة المولى الحاصلة في حقه من الله
الى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض امره الى الشريك المعدوم او العاجز الناقص
بقي بلا ناصر ومعين واثبتنا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان
يتوجه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه سائر الشعائر والشرائع وقضى ربك اي امر امرا
جزما وحكم حكما قطعا ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا فان ناصبة ويجوز ان تكون مفسرة ولا للنهي ومعناه اي لا تعبدوا
وقد روي عن الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس انه كان الاصل في هذه الاية ووصى ربك
وبه قرا علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط
لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بانه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن امر بعبادة نفسه
ثم اردفه بالامر ببر الوالدين وتقدير الكلام بان تحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقد مر في اوائل البقرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا
وانه لم جعل الاحسان اليهما تاليا لعبادة الله ويحكى ان واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي
ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا
عليه هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزوج والولد وتركت فيهم نعمة العدم التي سبقت وصدت
عن نعيم العاجل ولو انهم ولدوا لعانوا اشدة ترمي بهم في موبقات الآجال وقيل للاسكندر استاذك اعظم منة عليك
ام والدك فقال الاستاذ اعظم منة لانه تحمل انواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتى اوقعني في نور العلم واما الوالد فانه
طلب لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الآباء من علمك وقال العقلاء هب ان
الوالد في اول الامر طلب لذة الوقاع الا ان اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات من اول دخول الولد في الوجود
الى اوان كبره بل الى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا اي احسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على وفور احسانهما
اليك على ان البادي بالبر لا يكافى لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المامور به فقال اما يبلغن هي ان الشرطية زيد
عليها ما الابهامية لتاكيد معنى الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتاكيد كانه قيل ان هذا الشرط
مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتبا عليه والا فالتقرير والتاكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على
تردد الحكم وقال النحويون ان الشرطية تشبه النهي من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة
من قرا الفعل على التوحيد فقوله احدهما او كلاهما فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف
ومن قرا على التثنية فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل بدل مثله ولا يصح ان يكون
تاكيدا للضمير معطوفا على البدل لاستلزام العطف المشاركة دون المباينة وكلا مفرد لفظا مثنى معنى والفه عن واو وعند
الكوفيين اصله كل المفيد للاحاطة خفف بحذف احدى اللامين وزيد الف التثنية ليعرف ان المراد الاحاطة في المثنى
لا في الجمع وضعف بانه لو كان كذلك لوجب ان يقال في الخفض والنصب مررت بكلي الرجلين بكسر الياء كقول طرفي
النهار يا صاحبي السجن وهي من اسماء الافعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلاثة بالتنوين

وبدونه وان بكسر الهمزة بلا تنوين وافي به ما لاكسر ي وان لحذ وافة منونة وغير منونة وقد تتبع النون تفة فيقال افة وتفة وهي من
اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتافف من ريح وجدها اي يقول اف اف وقال الاصمعي الاف وسخ
الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتاذون به وقيل معنى اف النتن من الاف
وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الضجر وقال القتيبي اصله
انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك هو قول القائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه
يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الاية لا يتقذرهما [illegible] الاستقذار كما كنت تحرك ويقول وفي رواية اخرى عن
مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما اف اي لا تقل لهما تضجرت منهما قال بعض الاصوليين منع التافيف يدل على المنع من سائر
انواع الاذية دلالة لفظية ومعنى الاية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والايحاش كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا
يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا وقال الاكثرون سلمنا ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى
فاذا اردنا الحاق الصورة المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكثر القياسات
واما ان يتساويا كقوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نصيبا من عبد حرم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد يتساويان
واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التافيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا لان
الملك الكبير اذا اخذ ملكا اخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب عنقه فهذا
معقول في الجملة الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع لان جميع انواع الايذاء
ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التافيف
والنهر قولا كريما مشتملا على حسن الادب ورعاية دقائق المروة والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب ان قول الكريم ان يقول
لها يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما باسمهما وقول ابراهيم لابيه ازر بالضم وايضا ليس المقصود من الاية مجرد قضاء الشهوة
ولكن المقصود الكلي هو ان يكون سترا به له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد ولن تتم هذه المقاصد
الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا الوطي يوجب الذل والعار فلهذا لا يرتكب
الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المراة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في
قبح الزنى ان مرتكبه من الرجال والنساء يستقذره كل عقل سليم وينحط بذلك عن درجة الاعتبار والاعتماد وقد تم في
التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى في اية اخرى بكونه مقتا لان الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهذا موضع لان ذلك قد ذكر
في اول تفسير سورة النساء في نكاح منكوحات الاب ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا
وانما نبهنا عليه لئلا يقتدي غيرنا في السهو والنزع من التكليف انما الاحتياط في مبدء حال الانسان شرع بالتكليف
بالاحتياط في امر غيره فتلك ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تاكيد للحظر وللترتيب ان الاصل
في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة لان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحياة
وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل فيبين ذلك الحق بقوله ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص وظاهر الاية دل على انه لا سبب لحل القتل الا اذا قتل
مظلوما وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان
وقتل نفس بغير حق يقتضي ضم شيئين اخرين اليه وزعما على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال
قوله ومن قتل مظلوما كلام مستانف والحديث تمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم ان دلت اية
اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واية اخرى على سبب خامس وهو
الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا ولو قد ابي الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي
حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكوة او ياتي البهيمة والذين
منعوا القتل في هذه الصورة قالوا الاصل حرمة القتل كما بينا فلا يترك هذا الدليل الا لمعارض اقوى او لا اقل من المساوي وهو
النص المتواتر ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة فيماذا فلما قال فلا يسرف في
القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل وقيل معنى قوله فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة
استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية نزل له كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن عفي له [illegible] فالاولى له
ان لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو او اخذ الدية فثبت ان هذه الاية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد

هو القصاص وعن الشافعي ان المتوثب في قوله للتشكيك يبدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم
يدخل تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى
قائلون بالتثليث وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الاية وايضا ليس
فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على
العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي اي فلا يقتل
غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول اما الضمير في قوله انه كان منصورا فاما
للولي اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره معونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه
واما للمظلوم فان الله نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الاخرة باعطاء الثواب واما للذي يقتله الولي بغير
حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وما
وراءها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي الا بالطريقة
التي هي احسن وهي تثميره وتنميته وروى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا ايسر قضاه وان لم يوسر
فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية
كما مر في الانعام واوفوا بالعهد ويتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات
وغيرها الا اذا دل دليل خاص على فساده ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به
او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب العهد مسؤول او هو تخييل كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة
سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون
وقيل كل ميزان صغر او كبر والاصح انه لغة العرب من القسط النصيب المعدل وقيل هي رومية او سريانية ذلك الايفاء والوزن
المعدل خير من التطفيف واحسن تاويلا عاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فانه اذا اشتهر بالاحتراز عن الخيانة
فالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه ابواب المعاملات واما في الاخرة فظاهر فكل الحكيم ان نقصان
الكيل والوزن قليل والوعد عليه شديد والمقارفة عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر بصلاح اللسان فقال ولا
تقف ما ليس اي لا تتبع من قولك قفوت فلانا اي اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو البيت والقبيلة المشهورة
بالقافة لانهم يتبعون الاثار لقدام الناس ويستدلون به على احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم
او يعمل بالاعلم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم
في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن حنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته
اذناك ووعاه قلبك وقيل اراد النهي عن القذف ورمي المحصنات والمحصنين بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك
يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ورأيت وعلمت ولم تسمعه ولم تره ولم تعلمه وقيل
القفو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى يأتي بالمخرج اي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها وهي عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة
القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به الظن قال تعالى
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد
الا الظن سلمنا لكن الظن وقع في الطريق لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل
قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا
نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل
الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية تمسك بعام مخصوص للاتفاق وعلى ان
العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا الفصد
والحجامة وسائر المعالجات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا لتحل ذبيحته او الوارث لحصول التوارث
او الميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات
الى الاجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم

بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز
التمسك بهذه الاية وكلما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر ان الظاهر من دين محمد
صلى الله عليه وسلم ان التمسك بآيات القرآن جائز وهو وان كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم تكن ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك
الايام كان عنه مسؤولا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان
المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤولا المحذوف والثاني مفسر له وكيف
يسأل عن هذه الجوارح قيل يسأل صاحبها عما استعملها فيه لانها الات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها
في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن افعالها ولا تمش في الارض
مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع من التاكيد
مثل انا في ركضا وهو نهي عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال
طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الادمي
بانه في حال انحطاطه لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر
ويوجه اخر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر
القوي وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك
وعجبك ففيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من قوله لا تجعل
مع الله الها اخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيء وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا
فانه مكروه عند الله ويمكن ان يراد بسيء تلك الخصال طرف الافراط والتفريط من قرأ سيئة فقوله كل ذلك اشارة الى
المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم عند قوله واحسن تاويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهي عنه في قوله ولا تمش
وانما قال سيئة على التانيث مع قوله مكروها على التذكير لانه جعل السيئة في معنى الذنب والاثم تمسكت المعتزلة بالاية
نقيض الارادة ففي الاية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن
مخلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال اجابت الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها منهيا عنها وزيف بانه عدول
عن الظاهر مع انه يلزم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا بأس بالتكرار لاجل التاكيد
ذلك الذي ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهي تنتهي الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمي
حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه روي عن ابن عباس انها كانت في الواح موسى عليه السلام وباصطلاح
الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به ولا ريب ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر
التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهي الحكمة العملية وقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه التكاليف النهي عن
الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شيء من العلوم وان بذ الاقران وحلق بافق
السماء وقد راعى في هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب
على الثاني انه يلقى في جهنم ملوما مدحورا وانها حالته في الاخرة وفي القعود هناك والالقاء ههنا اشارة الى ان الانسان
في الدنيا صورة اختيار بخلاف الاخرة والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يذكر ان الفعل
الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا
الفعل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والدحور ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اي
ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات الله
فقال افاصفاكم اي افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا اناثا
انكم لتقولون قولا عظيما بمنافاة الاولاد الى من لا يصح الولد القديمة وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه
انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون
والاردى ثم تجعلون الملائكة الذين هم اعلى خلق الله على الاطلاق بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث

التأويل خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ليقطع تعلقه عن الكونين من بين الثقلين فقال لا تجعل مع الله الها اخر
من الدنيا والاخرة ثم شرف امته بتبعيته فقال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وانما قال ربك لانه اصل في التربية والامة

يتبع له من حكم في الازل انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبازاء الذين والد الروح والده البدن وللاحسان بهما ان
يرابيهما في العبودية ليعبد الله كانهما يربيانه اما يبلغن عندك يخاطب الملك ويوصيه بان يواسي والد الروح عند كبره وهو
بلوغه اعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية ويداري والدة البدن حينئذ فلا يستعملهما
عند العجز ولا ينهرهما عند الاستراحة وارفق بهما عند استعمالهما في العبودية ولا تتكبر عليهما فانك اخذت التربية
منهما لان الطفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صرف ومعنى الى ان صار قابلا للتجلي والخلافة
ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من انانية الوجود بنفسه
دونا من كان مقيدا بنفسه غفورا ساتر انانيته برحمته ثم اخبر عن اداب الخلافة قابلا وات ذا القربى حقه المقتضي فان للنفس عليك حقا
من غير اسراف وتقتير والله اعلم

ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه الهة كما
تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرات القران جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا
نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم اول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي
هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا
داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا

اولئك

اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل
بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل
بالايات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرءيا التي اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

القراءة ليذكروا من التذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي وخلف الاخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر
كما يقولون على الغيبة ابن كثير وحفص عما يقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب
وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الاخرون على التذكير اذا انا الزول بيه كما مر في
الرعد وكذلك في اخر هذه السورة وفي سورة قد افلح المؤمنون وفي سورة السجدة الوقوف ليذكروا نفورا سبيلا
كبيرا فيهن تسبيحهم غفورا مستورا للعطف وقرا نفورا مسحورا سبيلا جديدا وحديدا صدوركم للفاء مع ان والسين
للاستيناف يعيدنا اول مرة لما تلنا متى هو قريبا قليلا احسن بينهم مبينا اعلم بكم يعذبكم وكيلا والارض زبورا تحويلا
عذابه محذورا شديدا مسطورا الاولون فظلموا بها تخويفا بالناس في القران الكلام مخوفهم لصحة عطف المستقبل
على المستقبل كبيرا التفسير لما بين انواع الحكم ومكارم الاخلاق ذكر غاية ظلومية الانسان وجهوليته فقال ولقد
صرفنا اي بينا احسن بيان لان من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال حتى ينتهي به الى
ما هو مراده من الايضاح ومفعول التصريف متروك اي اوقعنا التصريف في هذا القران او محذوف للعلم به والمراد صرفنا
فيه ضروبا من كل مثل او اراد بهذا القران ابطال اضافتهم البنات الى الله لانه مما كثر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول
في هذا المعنى ومثل لفظه في زيادة كقوله واصلح لي في ذريتي قال الجبائي في قوله ليذكروا دلالة على ايمان ادمهم
فيهما والايمان بها والمراد بالتذكر ههنا فيمن قرا محققا هو التفكر والتامل لا الذكر الذي هو نقيض النسيان وقالت الاشاعرة
قوله وما يزيدهم الا نفورا دل على عكس ذلك لان الحكيم اذا اراد تحصيل امر من الامور وعلم ان الفعل الفلاني يصير سببا
لعسره وتعذره والنفرة والنبوة عنه يمتنع منه الامر بذلك الفعل ولا اجراه هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه
ما اراد الايمان منهم عن سفيان الثوري انه كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا ثم دل على التوحيد
الذي امر به في قوله لا تجعل مع الله الها اخر فقال قل لو كان معه الهة كما يقولون اي كما يقول المشركون من اثبات
الالهة من دونه او كما يقولون ايها المشركون وفي قوله لا تجعل اذا لدلالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن
مقالة المشركين وجزاء لو قاله في الكشاف قلت ولعل اذا ههنا ترف لما دل عليه لابتغوا اي لطلبوا اذ ذاك الى ذي
العرش سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ويسمى في عرف المتكلمين
دليل التمانع وسيجيء بحثه في سورة الانبياء ان شاء الله العزيز ويحتمل معنى الاية لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من انها
تقربكم الى الله زلفى لطلبت لانفسها المراتب العلية والدرجات الرفيعة فلما لم تقدر ان تتخذ لانفسها سبيلا الى الله فكيف يعقل
ان يقربكم الى الله ثم نزه نفسه عن اقوالهم فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ووضع التعالي موضع
المستعلية وهو التعالي كقوله انبتكم من الارض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة في النزاهة وتنبيها على ان بين الواجب
لذاته والممكن لذاته وبين الغني المطلق والفقر المطلق مباينة لا تقبل الزيادة عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته
بقوله تسبح له الاية فلسان العقلاء تسبيح الحي المكلف بان يكون تارة باللسان بان يقول سبحان الله واخرى بدلالة احواله
على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في الاصول الفقه ان اللفظ المشترك لا يحمل

على معنييه معاً في حالة واحدة فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون واورد عليه
انه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفهوم معلوم واجيب بان دلالة
كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل فانك اذا اخذت تفاحة واحدة فلا شك انها مركبة من اجزاء
لا تتجزأ ولكن عدد الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها الا الله وايضاً الخطاب
للمشركين وانهم وان كانوا معترفين بالخالق الا انهم لما اثبتوا شريكاً وانكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا في المعجزات
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الاية بقوله
انه كان حليماً غفوراً حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وزعم بعض الظاهريين ان ما سوى الحي المكلف
يسبح ايضاً بلسانه ايضاً كل بلغته ولسانه الذي لا نعرفه نحن ولا نفقهه وزعم ايضاً ان الحيوان اذا ذبح لا يسبح وكذا غصن
الشجر اذا كسر واورد عليه انه كيف جاز الا يمنع من كونه مسبحاً فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً له عن التسبيح وكذا كسر الغصن
ويمكن ان يجاب بان تسبيح كل شيء لعله يختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب وفك ذلك النظم لم يبق
مسبحاً مطلقاً او لا على ذلك الحي واعترض عليه ايضاً بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه وصفاته
مسبحة له مع انها ليست باحياء انسد علينا باب العلم بكونه تعالى حياً لانا نستدل بكونه عالماً قادراً على كونه حياً ويمكن ان يجاب بانا
نستدل على حيوته تعالى بالادلة الشرعية ونسلم ان العلم يستلزم الحياة عقلاً فقد قيل ان لكل موجود حيوة تليق به ولما فرغ من
من الالهيات شرع في النبوات فقال واذا قرأت القرآن الآية قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله اذا قرأ القرآن عليهم يروى
انه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره رجلان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن اسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً ومعه ابو بكر اذا اقبلت امرأة ابي لهب فهو تريد الرسول صلى الله عليه وسلم
وهي تقول مذمماً ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فقال ابو بكر يا رسول الله ان معها فهراً اخشى عليك فتلا رسول الله هذه الآيات
فجاءت وما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان قريشاً قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب
هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلى الله عليه وسلم
يستمعون حديثه فقال النضر يوماً ما ادري ما يقول محمد غير اني ارى شفتيه تتحرك بشيء وقال ابو سفيان اني ارى بعض ما يقوله
حقاً فقال ابو جهل هو مجنون فقال ابو لهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد تلاوة القرآن تلا قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً وفي
النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه فكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات
عن عيون المشركين وذلك قوله وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً اي ذا ستر وقد جاء مفعول بمعنى
ذا كذا كما جاء فاعل على ذلك كثيراً نحو لابن وتامر ومن ذلك قولهم رجل مطيوب اي ذو طيبة ومكان مهول ذو هول وسيل مفعم
ذو افعام وعن الاخفش تجيء فاعل بلفظ المفعول مثل مشؤوم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم
ذلك الحجاب عن رؤية النبي وذلك الحجاب شيء لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يتجه قول الاشاعرة انه يجوز ان تكون الحاسة
سليمة والمرئي حاضراً والرؤية غير حاصلة لاحتمال انه تعالى يخلق في العيون شيئاً يمنعه عن الرؤية ويحتمل انه اراد حجاباً من
دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب
الطبع والختم فاستدل به الاشاعرة وبقوله على قلوبهم الآية على صحة مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام
في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه بالليالي ليقتلوه ويستدلون عليه
باستماع قراءته فامنه الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما يمنعهم من سماع صوته وقال
الكعبي اراد به التخلية والخذلان كالسيد اذا لم يراقب حال عبده فسدت اخلاق العبد فيقول انا القيتك في هذه الحالة بسبب اني
خليتك وما ابيك وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولون من قولهم قلوبنا غلف وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون ان يذكر آلهتهم كما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا وانهزموا
عن المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يحده وحده
مثل ارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفوراً مصدر من غير لفظه مصدر من غير لفظ الفعل لان التولية والنفور بمعنى او جمع نافر كقاعد وقعود
فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء والتكذيب والقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما تقول يستمعون
بالهزء اي هازئين وتعلق اذ يستمعون بنحن اعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى

اي وبما يتناجون به اذ هم ذو نجوى اذ يقول الظالمون اذ بدل من اذ هم ان تتبعون اي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله
الا رجلاً مسحوراً سحر فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي افسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله
وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها وقال مجاهد مسحوراً اي مخدوعاً لان السحر حيلة وخديعة وذلك
انهم كانوا يقولون ان محمداً يتعلم من بعض الناس وانهم كانوا يخدعونه بهذه الحكايات او زعموا ان الشيطان يخدعه ويتخيل له بصورة الملك
وقال ابو عبيدة يريد بشراً ذا سحر وهو الرئة قال ابن قتيبة لا ادري ما حمله على هذا التفسير المكروه مع ان السلف فسروه بالوجوه
الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهوك كل منهم بشيء آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون فضلوا في جميع
ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلاً الى الهدى والبيان ضلالاً من يتحير في التيه الذي لا منار به وحين فرغ من شبهات
القوم في النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد وايضاً لما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما ادعى زعمهم الا
على اختلاط العقل وهو دعوى الانسان انه يصير حياً بعد ان كان عظاماً ورفاتاً والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء
يكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ويقال منه رفت عظام الجزور رفتاً اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات
جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت بسائطها بامثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها
باعيانها ثم عود الحيوة الى ذلك المجموع فاجاب الله عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان
بدنه قد صار ابعد شيء من الحيوة ومن رطوبة الحي كغضاضته من جنس ما ركب منه البشر كالحجارة والحديد فهو كقول القائل اتطمع
في وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فساطلب منك حقي اما قوله او خلقاً مما يكبر في صدوركم فالمراد او صيروا شيئاً آخر
ابعد عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلاً لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشيء
وقال مجاهد اراد به السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صارت ابدانكم نفس الموت فان الله سيعيد الحيوة
اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما يقال هو روح مجسم او وجود محض والا فالموت عرض او انقلاب الجسم عرضاً محال
وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع ان يقبل الضد وفي قوله قل الذي فطركم اول مرة بيان كاف
وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوان هو الله وان تلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة والعقل فالله العالم بجميع الجزئيات
والكليات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن كل من الاموات واذا اقدر على جعلها متصفة بالحيوة في اول الامر فلان يقدر على
اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى الزمهم اولاً ان البعث امر ممكن والا لم يمتنع بدون البعث اي متى ام دثم فكانهم سلموا الامكان
ولكن تجاهلوا وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسألوا عن
تعيين الوقت تعنتاً وذلك قوله فسينغضون اليك رؤسهم اي فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاءً قال ابو الهيثم يقال للرجل
اذا خبر بشيء فحرك رأسه الى فوق والى اسفل انكاراً له انغض رأسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم ان قرب
وقت البعث ولكن وقته على التعيين مما استأثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريباً وقد انقرض اكثر من سبعمائة سنة
ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب وان الكلام ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل يوم يدعوكم منتصب باذكر او المراد يوم
يدعوكم كان ما كان او بدل من قريباً والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة
يوم ينادي اسرافيل ايتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي
فيما دعا اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز
والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم
للبعث كقولك لمن تأمره بامر يشق عليه ستأتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكر على ان
اكتفي منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن
رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة هنا
قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال آخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه
اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلاً عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب
وقت البعث فكانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزول
عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيمة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين
بالرفق والتدريج عند ايراد الحجج على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد يختص بهم في اكثر
القرآن فبشر عبادي الذين يستمعون القول عيناً يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة او الحجة التي

هي احسن والتي وهي ان لا يكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان
ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم
ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة وايذائهم او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حافظا
موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله فقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم
الى اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه من ذلك مما يغيظهم
وقيل ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة
التي هي احسن وهي كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء والاضداد لان ذلك احسن بالبديهة من الاشراك ووصفه بالقدرة
على الخلق احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذا العناد هو الشيطان المعادي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان
يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشية غائبة عنكم فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك
عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول اية السيف
وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى
فنزلت وهي قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على
احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التباين والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق نبيا دون صناديد قريش
واكابرهم ثم ختم الاية بقوله واتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود
كان ملكا عظيما ولم يذكر الله سبحانه الا عزة اتيانه الكتاب وفيه ايضا اشارة الى نبينا دون صناديد قريش واكابرهم ولما ختم
الاية بقوله ان محمدا خاتم الانبياء وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
اي محمد وامته ومعنى التنكير في زبورا انه كامل في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن او
المراد بعض الزبور كما يسمى بعض القرآن قرآنا وقيل ان كفار قريش سألوا اهل نظر رجلا ليكلما فرجعوا الى اليهود
في استخراج الشبهات وكانت اليهود تقول انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود
بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب كانوا يقولون
بالهية عيسى وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل المراد بالذين زعمتم نفر من الجن عبدهم ناس من
العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الاية باحدى هؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة
لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وتقرير الرد ان المعبود الحق
هو الذي قدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال او من مكان الى مكان وهؤلاء الذين زعمتم انها الهة لا يقدرون على شيء
من ذلك فوجب القطع بانها ليست بالهة سؤال ما الدليل على ان الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر فان قلتم لانا نرى ان
اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا تحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله ولا يجابون وقد تتفق الاجابة
في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه ان الملائكة معترفون بان الاله الاعظم
خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه المتيقن اولى
من المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون بانه لا تأثير لشيء في الوجود الا الله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف
عباد الله تعالى واحوجهم اليه الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه رايت في بعض
الكتب مرويا عن امير المؤمنين علي كرم الله وجهه من وقع في علة او طلب كفاية مهم فليسجد في خلوة وليقل في سجوده
المهمات الذي ثلث قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا يا من يملك كشف الضر عنا وتحويله
الشيء بي فانه اذا قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفي مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم اكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان
غاية افتقارهم الى الله تعالى في جذب النافع ودفع الضار فقال اولئك وهو مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون
خبره يعني ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة في الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول
وصدر صلته محذوف اي يبتغي من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على هذا الافتقار اقرار
جميع العقلاء بامكانهم الذاتي وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك
بان يبادر الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافونه كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون الانبياء الذين ذكرهم الله

في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون الامم الى الله ولا يبتغون الوسيلة
الا اليه فانتم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب
بانهم يخافون عذابه لو ... مطلب الذي لحق له ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا
اي حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب
الحذر ثم بين مآل حال الدنيا واهلها فقال وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل
وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا
فلا يوجد له تبديل ثم ذكر نوعا اخر من سننه فقال وما منعنا استعارة المنع للترك من اجل انه خلاف الحكمة او المشية عن
سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا منه ايات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم سألوا ان يجعل
لهم الصفا ذهبا وان تزال عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ذلك فقال ان
شئت فعلت لكنهم ان كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك وانزل الله الاية ومعنى منعنا ارسال
ما اقترحوه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك واستوجبوا عذاب الاستيصال على ما اجرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الايات التي اقترحوها
هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ويحتمل ان يراد انهم
مقلدون لابائهم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمنوا فيكون ارسال الايات ضايعا ثم استشهد على ما ذكر بقصة صالح وناقته
لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة او المراد حال كون الناقة
اية يبصر المتامل بها رشده فظلموا انفسهم بقتلها او فكفروا بها بمعنى انهم جحدوا كونها من الله قاله قتيبة وما نرسل بالايات
المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب العاجل بمعنى ان من انكرها وقع عليه او المراد ما نرسل بايات القرآن وغيرها من المعجزات
الا انذارا بعذاب الاخرة على المعنى المذكور وحين امتنع من ارسال الايات المقترحة على رسوله للمصالح المذكورة قوى
قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته
وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فينصرك ويقويك حتى تبلغ الرسالة عن الحسن حال بينهم وبينه ان يقتلوه
كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس اهل مكة واحاط في معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان
واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي ووعد نبيه بانه سيهلك قريشا في وقعة بدر اما قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس ففيه اقوال الاول انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكاني انظر الى
مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه
سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انه رؤياه التي راى انه يدخل مكة واخبر فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية
كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر رضي الله عنهما قد اخبرنا رسول الله صلعم انا ندخل البيت ونطوف به فقال
ابو بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام الآخر دخلها ونزل الله تعالى
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب وابن عباس في رواية عطاء ان رسول الله صلعم
راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا حديث الاسرا
ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رايت بعيني رؤية ورؤيا او سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا
لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك والاقلون على ان الاسراء كان في المنام وقد مر هذا البحث في اول السورة فقوله والشجرة
فيه تقديم وتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس قال الاكثرون
انها شجرة الزقوم لعنت في القرآن حيث لعن طاعموها فكان عن ق قابل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصفت باللعن
لانه الابعاد وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة او العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون والفتنة فيها ان
ابا جهل وغيره قالوا ان محمدا يزعم ان نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول تنبت فيها الشجر فانزل الله هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها
فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل
فيه النار عن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل
هي الشيطان وقيل اليهود سؤال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام وجوابه كانه قيل انهم لما
طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع

هذه الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا في نقصان امرك الا تري انه ذكره تلك الرؤيا والشجرة صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انهما ما اوجبت ضعفا في امرك ولا فتورا في احتجاج المحقين عليكم ثم ذكر سببا اخر في انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا متماديا

التأويل لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ليشغلك عن الدنيا والاخرة فاني بدوام الاطلاع ان ابتغاك معتنين لانهم اذ كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا الى انعاج صاحب العرش ونزع الملك منه ولو اراد كانوا ادون منه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا يصلح للالهية وهذا اقرب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لان الجماد يقول له وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم وبه تنطق الارض يوم القيمة يومئذ تحدث اخبارها وبه تنطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه نطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين انه كان حليما في الازل اذ اخرج من العدم من يكفر به ويجحد غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرات القران فيه اشارة الى ان من قرا القران تماما وصل الى اعلى معارج القدس واقصى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرا وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع اي القران استولى على اقصى درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله وبصفات الله وهذا الكون بعد العبور عن حجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالملالة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من كلامهم انهم وضعوا المسحور مكان المبعوث او خلقا مما يكبر في صدوركم اي لو كان تكوينكم الذي في صدوركم استد من الحجارة والحديد فانه تعالى على اجابته وتلبيته في قيام قيامة العشق يقول لها التي هي احسن من شرف من عبيده بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن وهو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سياتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يعيشوا بالنصيحة واتينا داود زبورا وفيه ان فضل النبي صلى الله عليه وسلم على داود كفضل القران على الزبور وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه وروحه قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته او معذبوها بانواع الرياضات والمجاهدات فيه السير الى الله وهو بالافعال وفي السير في الله وهو بالصفات وفي السير بالله وهو بالذات احاط بالناس علما فيقتضي كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك كان الوحي يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدا امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس فمن فتنته يظهر الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وهكذا كان في شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن لمحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۝ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ

الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۝ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝

القراءة اخرتني بالياء في الحالين ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف ورجلك بكسر الجيم حفص وابو زيد عن المفضل الاخرون بسكونها ان يخسف ان يرسل ان يعيدكم فيرسل فيغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو الباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فانهما قرا فتغرقكم بالتاء الفوقانية للريح من الرياح على الجمع يزيد هذه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابو عمرو ونصير والبرجمي ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم

الوقوف ابليس طينا لاتحاد القائل نحل قليلا ه لعطف على جواب القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا موفورا وعدهم للعدول غرورا سلطان وكيلا فضله رحيما الا اياه اعرضتم كفورا وكيلا للعطف تبيعا تفضيلا بامامهم فتيلا سبيلا

التفسير قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان من قومه في بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى ادم عليه السلام وايضا ان القوم كان منشا تراعيهم واقتراحاتهم التاسف امرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد معناه أأسجد له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار امر الاشرف على زعمه بجد ما الادون ولذلك قال ارايتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمته اي فضلته علي لم كرمته واختصر منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدا والاستفهام فيه مقدر معناه اخبرني اهذا الذي كرمته علي والاشارة ههنا تفيد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارايت لان الكاف لمجرد الخطاب كانه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا يعني لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا يكرم علي ثم ابتدا فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه احنك الشاتين اي اكلهما وقال السبعية والواحدية ابو مسلم افتعال من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس بهم ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهواني الى غير ذلك او قاس ذرية ادم عليه السلام حين عمل وسوسته فيه ولم يجد

وضعفه جار الله بان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة قال اي الله اذهب ليس المراد منه نقيض المجي وانما المراد امض
لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وامهالا ثم رتب على الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤهم
وجزاؤك فغلب المخاطب على الغايب لانه الاصل في التغليب وغيره تبع له وجوز في الكشاف ان يكون الخطاب للتابعين
على طريقة الالتفات فانتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر او المدلول عليه بقوله فان
جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة ثم قيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان
بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك ازعجه واستفزه اي ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى الشر وقيل الغنا
واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب من الجلبة والصياح اي صح عليهم وقال
الزجاج اي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك فالاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة [?] وقال ابن السكيت الاجلاب
الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي ويقع على الافراس ايضا والرجل بسكون الجيم جمع راجل
كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وبضم جيم ايضا مثل ندس وندس وحذر وحذر عن
ابن عباس كل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده ويحتمل ان تكون لابليس جند من الشياطين
بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب ان هذا الكلام ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد في الامر جيتنا بخيلك ورجلك قال
في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع [?] بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم اما المشاركة في الاموال فهي كل تصرف في المال على غير وجه
الشرع سواء كان اخذا من غير حق او وضعا في غير حق كالربا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك اذان الانعام
وجعلها بحيرة وسايبة واما المشاركة في الاولاد فدعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالزنا او تسميتهم بعبد اللات
وعبد العزى او تربيتهم لا كما ينبغي حتى ينشاوا غير راشدين ولا مهتدين بدين الحق وعدم تزيين العلم
في اعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية لكن المفسرين
فسر بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل تسويف التوبة وقيل بالكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل
بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الاجل ثم نفى ان يكون لوعد الشيطان عاقبة حميدة فقال وما يعدهم
الشيطان الا غرورا لانه انما يدعوا الى اللذات البهيمية والسبعية اما الخيالية واكثرها تنقطع [?] فكلها لا اصل لها ولا دوام
ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي
رحمة الله عليه ولما قال للشيطان على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جاش سائر المكلفين بقوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الجبايي المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع قايلا الا من تبعك وقال
اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية جانب المكلف فختم الاية بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد الشيطان
وبعضهم من اغواء ثم عدد على بني ادم بعض ما انعم عليه ليكون تذكيرا لهم وتحذيرا فقال ربكم الذي يزجي لكم اي يسير
لاجلكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لتبتغوا من فضله بالربح والتجارة انه كان بكم رحيما فكذلك
هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد واذا مسكم الضر اي خوف الغرق في البحر ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعتقدون برحمته رجاءكم فلما نجيكم من ذلك الضر واخرجكم الى
البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان كفورا لنعمة الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم انكر
عليهم سوء معاملتهم قايلا افامنتم تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشي في الشي
ومنه عين خاسفة للتي غابت حدقتها في الراس وخسف القمر دخل تحت الحجاب وهو دائرة [?] الظل عند الحكماء وكذا حال
وانما قال جانب البر لانه ذكر البحر في الاية الاولى وهو جانب والبر جانب وخسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه فالخسف
تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فهو المذكور انجيتم من هول البحر فهل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط
افات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسوف واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك قوله او يرسل عليكم حاصبا وهو
الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر
ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى
بان يقوي دواعيكم ويوفر حوايجكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم قاصفا من الريح هي التي لها قصيف اي صوت شديد
او القاصف الكاسر وقوله من الريح بيان له فيغرقكم بما كفرتم بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا

لا نكاد ان نبالي او نصرف عنكم [?] ولا يخاف عقباها ثم اجمل ذكر النعمة بقوله ولقد كرمنا بني ادم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها
الخط فانه [?] بقدرة الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو وغيره في الدفاتر تبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن الانطماس
اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ومنها ان كل شي ياكل بفيه الا ابن ادم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك
ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لكم اصابع ياكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان
يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات ويدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة اما الكتابة فتخرج
الببغا ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام
الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لكم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به
في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج
ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم باسره كقرية معمورة او خوان
معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة العقلية
القدسية وللقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية وللقوى الحسية والحركة الارادية وللقوى النباتية من الاغتذاء
والنمو والتوليد يكون اشرف مما لم يجتمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق ادم بيده
وابدع غيره بواسطة كن ويروى عن زيد بن اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتنعمون ولم
تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع
التكريم بالذكر فقال وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ورزقناهم
من الطيبات من كل غذاء نباتي او حيواني [?] الطعمة واللذة واعلم ان تفسير بعض الاشاعرة الكثير ههنا بمعنى الجميع تشنيع
عليه جار الله بانه تمحل في الخلق ومتعذر في العين لبشاعة قول القايل فضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير
بمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ اخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او
بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على ان التقييد لا يقوم مقام المنسوب اليه لان هذا مجاز دون ذلك فكيف
يخفى الذوق على حاله وايضا فالحاصل من قولنا على جميع من خلقنا لا على جميع ممن خلقنا فان المدعي هو ان كثيرا من الشي قايم
مقام كل ذلك الشي لا كل من ذلك الشي حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة
هو اجراء الكلام على ظاهره وان الاية تدل على انه حصل في مخلوقات الله شي لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه تعالى
ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يبق من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض
وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملايكة فلزم القول بان كل انسان ليس افضل من كل الملايكة بل بعض الملايكة افضل
من كل الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملايكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس
واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان كل الملايكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله فانه
تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احواله وكراماته في الاخرة فقال يوم ندعو منصوب باضمار اذكر
او بقوله وفضلناهم على عادة الله في الاخبار اي ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون
التكريم في الدنيا والتفضيل في الاخرة ولا وقف على والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين
والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوا باسمك عن ابي هريرة مرفوعا انه ينادى يوم القيمة يا امة ابراهيم يا امة موسى
يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبيا فياخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادى يا اتباع نمرود يا اتباع فرعون
وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان تعلق الباء بمحذوف فيكون الحال فالتقدير ندعوا كل اناس ملتبسين
بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وعن الضحاك وابن زيد انه ينادى يوم القيمة يا اهل القران يا اهل التورية
يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر وعن ابي الربيع
وابي العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم والحكمة في
ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام
حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك
الافعال خلق باطن هو كالامام له وكالمتبوع والمنشا يوم القيمة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشية من

تلك الاخلاق فهو ادنى هو في معنى الجمع ولذلك قيل في جزائه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة
اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم من الحياء والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى
عمى القلب اما قوله فهو في الآخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها
من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها اعمى بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة احوال
الآخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون في الوصفين في الدنيا ومثله ما يروي ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من
قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الآخرة ويحتمل العلم به اعمى قال المفسرون
لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ودليله قراءة ابي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول الف وقعت
في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان تمامه بمن وكانت الالف في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب
الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول في هذا الوجه نظر لان الامالة ليست مختصة باخر الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوها
ولهذا قرئ بامالة كليهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وذلك
الحسن في الآخرة اي في الدار الآخرة وذلك انه في الدنيا يمكن تداركه وفي الآخرة لا تقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي
الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن التوصل بها الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة **التأويل**
من استطعت منهم بصوتك اي بكلمات المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم مخصوصون
بالعبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتهيئة صلاح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم
فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلا تحتاجوا الى الوصول والوصال لعرضتم بحب العجب ويدنيه
الاعمال حاصبا من مطر القهر فاصما من ريح الابتلاء ببليات البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني ادم
بالكرامات البدنية العامة للمؤمن والكافر وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية العامة وهي
انه نفخ فيه من روحه وشرفه بخطاب الست بربكم ما نطقه بجواب بلى ولو لعدم النطق فما ارسل الرسل وانزل الكتب وبالكرامات
الروحانية الخاصة من النبوة والرسالة والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرناهم من بر البشرية وبحر
الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الاكثر
لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيلهم حسن استعداد في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في
قوله انا عرضنا الامانة ندعوا كل اناس بامامهم من الدنيا والآخرة بعضها فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الآخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه
بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كانوا لا يحاسبون حسابهم واهل الشمال يعرفون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة
لانه عمي والقراءة تحتاج الى الابصار بالابصار

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا ۝ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ۝ اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ۝ وان كادوا ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ۝ سنة من قد ارسلنا قبلك من
رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ۝ اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ۝ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا ۝ وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ۝ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان

الباطل كان زهوقا ۝ وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ۝ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا
قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ۝ ويسئلونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ۝ ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ۝ الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك
كبيرا ۝ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ۝ ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا ۝

القراءة خلفك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الا هرن خلافك بكسر الخاء وبالالف وننزل من مخففا
ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد ونا بجانبه مثل ناع يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف
والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين
كرمى **الوقوف** خليلا ه قليلا لتعلق اذا نصيرا ه قليلا ه تحويلا ه وقران الفجر ط مشهودا ه نافلة لك ج والوصل اولى لان عسى وعد على
التهجد محمودا ه نصيرا ه زهق الباطل ط زهوقا ه للمؤمنين لا لان ما بعده من صلة ما واحتمال الاستيناف بعيد بجانبه ج لعطف جملتي الظرف يؤسا ه شاكلته ط
سبيلا ه عن الروح ط قليلا ه وكيلا ه من ربك ط كبيرا ه ظهيرا ه لنصف الجزء مثل لعطف المتفقتين لفظا المختلفتين معنى كفورا ه
التفسير لما عدد في الآية المتقدمة اقسام نعمه على بني ادم وشرح احوال السعداء اردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من
الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك
حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر اي لا يؤخذ عشر اموالنا ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا اي لا نسجد ولا نحشر
المحول وان تمتع من قصد وادينا فقعد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت
رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال عن الكلام كراهة
لما يذكرونه فانزل الله الآية فهذه القصة وقعت بعد الهجرة فلذا قال المفسرون انها ليست بمكية ويروى انهم قالوا
له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار اخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم الهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب
رسول الله ان يكف عن شتم الهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر فمنعوه فيرى وقالوا لا ندعك
حتى تستلم الهتنا فوقع في نفسه ان يفعل ذلك كراهته فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في
ابطال رسول الله صلى الله عليه وسلم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون لو عبدت الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا
ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقالوا ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة
ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك
دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويزيلوه عن منهجه فلو لم يتحقق شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان الآية محل صحيح
والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل ما ازال الشيء
عن حده وجهته وذلك في اطماعهم ما ساءوه مخالفة لحكم القران وافترائه على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا
لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا وعصمتنا
لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل اليمرادهم شيئا قليلا اي ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت

ثم توعده في ذلك اشد الوعيد فقال اذاً لاذقناك اي لو قاربت ان تركن
هذه الاية قال النبي صلعم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين
اليهم اي يمكن لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة مضاعفين
وقال صاحب الكشاف المراد عذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب ضعف الاخرة اي عذاب النار والعذاب
يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل
لاذقناك الم الحيوة والم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه
لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الاخرة
والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكانت ذنوبهم كذلك اعظم نظيره يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل
الخطاب لا حجة فيه فقد يرتقي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني اذا اذقناك ذلك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان [illegible] القصة
لا يدل على الوقوع وفيها التهديد على المعصية لا يدل الا على الاقدام عليها فلا يلزم من الاية طعن في عصمة النبي صلعم
وفيه ان لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف الصارفة
عن ذلك وهي ما اخطر الله بباله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لم يوجد المقتضي للاقدام
على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذكر المقتضي الا الهدف مع الداعي فاذا ذلك المانع الا داعية
اخرى معارضة للداعي الاول قد اوجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا اخر من مكايدهم فقال وان كادوا
ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الاية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في
قوله واستفزز من استطعت والارض اما ارض مكة كما قاله قتادة ومجاهد ويرد عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج
قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه ولكن الله
منعهم من ذلك حتى هاجر باذن ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج تجوزا ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو
معطوف على ليستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا اي لو اخرجوك لاستؤصلوا لكنه لم يقع الاستيصال
فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه
بقليل واما ارض المدينة على ما يحكى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسده اليهود
وكرهوا قربه منهم وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى
الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر
رسول الله على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام يحرص
على دخول الناس في دين الله فنزلت الاية فرجع وعلى هذا القول تكون هذه الاية مدنية والخلاف في معنى الخلف كما مر
في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فتكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان هذه عادته تعالى جارية في كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا
وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية في الازل اقتضت توجه
كل من اجزاء الزمان على حادث معين لسبب معين فتبدل لاحدى الحوادث وتحويلها الى وقت آخر يقتضي تغيير الاسباب
عن اوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال اهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها بذكر الطاعات وهي الصلوة وايضا
لما قال وان كادوا ليستفزونك امره بالاشتغال بالعبادة تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدائه ونظيره قوله
في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابن قتيبة
وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا يشمل الاية صلوة الظهر والعصر واكثر الصحابة
والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرائيل لدلوك
الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذا نظر اليها وهي في كبد السماء
وعلى هذا التفسير يشمل الاية جميع الصلوات الخمس وحمل الكلام على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل
اي ادم الصلوة في هذا الوقت لاجل دخول هذا الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم

والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدور على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا امتلأت وكان الظلام انهمل
على الدنيا وتراكم وهذا عند غيبوبة الشفق الابيض فاستدل به بعض الشافعية على ان اول وقت العشاء الاخرة يدخل
بغروب الشفق الاحمر لان المحدود بالى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان الغاية لا
تدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان يشمل جميع الصلوات والخمس المتبع في التابعين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد
بقران الفجر صلوة الصبح تسمية الشيء ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال الزجاج انه حجة على
ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن فلك اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا انقسمت الفقهاء والصلوة الى
اركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين
الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول صلعم او بقوله صلوا كما رأيتموني
اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصور فلزم اتيانها على الجواز المصلي الثانية
استدل بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القرآن الى الفجر
والتقدير اقم قرآن الفجر وظاهر الامر على الوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل
فيلزم ان يكون اقامته في اول الوقت افضل ومنها انه خص الفجر باضافة الزيادة اليه فدل ذلك على ان طول القراءة
في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع فيها في اول الوقت ومنها انه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا
قيل اي يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر المفسرين
معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول
ديوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام ثم تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل
فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا
عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله لملائكته اشهدوا اني قد غفرت
لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا
امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا
المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قالت اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها
انقلاب العالم من الظلمة التي هي نظير الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فاذا تفكر من هذه الحالة الى عجيب صنع
الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة واتقانا ومعرفة وايمانا فينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا
كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها بتزايد
كل منهم نورانية وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب انه اذا شرع في الصلوة
اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله ذكر شيء من النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية الدنية كان [illegible]
الانبياء انما نفوا الالأمثال هذه الاعراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة
وابن الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود
في الاصل هو النوم بالليل ولكن التفعل فيه لاجل التجنب به ومنه تأثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان به
المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه اخر لما كان غرض المصلي بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي
بذلك الاعتبار تهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه انه ينام ثم يصلي ثم ينام ثم يصلي نحو صلوة تعديلها كما كانت
لرسول الله صلعم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه ثم ينام ثلثه ويقوم سدسه
قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض
الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة لك زائدة لك خاصة في اول الانفال ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي
صلعم زعم ان معناها كونها فريضة لك زائدة على الصلوة الخمس او المراد انه فرضها عليك فضلا من تطوعها زائدة على الفرائض
ويرد عليه ان الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من قال
ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد والسدي
ان كل طاعة يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة فانها تأثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم
منه وما تأخر وانما يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زائدة

ونوافل خنك لاني حق غيرك لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم
الصلوة عام لكل امته وانكان ظاهره مختصا بامعه ثم وعده على اقامة الفرايض والنوافل عسى ان يبعثك ربك ولا ريب
ان عسى من الكريم اطماع واجب قال في الكشاف انتصب مقاما محمودا على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك
مقاما محمودا او ضمن يبعثك بمعنى يقيمك او حالا اي يبعثك ذا مقام محمود قيل انه مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع
الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء الانعام ولا انعام للنبي على امته في الاخرة الا انعام الشفاعة
او لا انعام اجل منها لان السعي في تخليص الغير من العقاب اهم من السعي في ايصال الثواب اليه ويدل عليه ما روى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واما ما روينا عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس في
صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول المدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوي لان هذا القول
من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمد عاقبته
وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمدا معه على العرش وضعف بلزوم التحيز له تعالى وقل رب ادخلني مدخل
صدق ومخرج صدق مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اي ادخالا
يستاهل ان يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء عزم رسول الله صلعم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود
واحد في كل البلاد وبالنصر الامن عندنا فقد ادم على الصلوة وارجع الى مثواك ومسكنك وقل رب ادخلني المدينة مدخل صدق
واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اي افتحها لي فعلى هذين القولين يكون الكلام عودا الى الاية المذكورة في قوله
وان كادوا ليستفزونك ولا ملجا ان تعالى انه عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه ثم بتركهم امورا مكانا وقيل المراد ادخاله مكة ظاهرا
عليها بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر
وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل المراد رب ادخلني الصلوة واخرجني منها مع الصدق
والاخلاص والقيام بلوازم الحضور وادخلني في مجاهدة دلايل التوحيد واخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة
المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث ملقى بالكرامة لما تقدم هذا التفسير
ذكره على ذكر البعث واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا
ناصرا للاسلام وذويه ثم بشره باستجابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه
اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة ما وصولة كانت كما في العرج عن ابن مسعود ان
النبي صلعم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبائل العرب صنم لكل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده
ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر
فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر
من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القرآن من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اي ننزل ما هو شفاء
وهو هذا القرآن او بعض هذا الجنس وقيل بداية لما كانت ازالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة
ذكر كون القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالعقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا كما
في قراته من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرضى كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ثم
بين انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملايكة
المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد القرآن الظالمين الذين وضعوا
التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمينان الا خسارا لان البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا فلا يزال سماع
القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم ونكرهم
ثم ذكر منبع شيمة الانسان الذي جبل عليه فقال واذا انعمنا على الانسان اي على هذا الجنس بالصحة والغنى عن ابن عباس
انه الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر لان يكون سبب النزول اعرض وناى بجانبه النأي البعد والباء للتعدية او للمصاحبة
وهو تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشي هو ان يوليه عرض وجهه اي ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه
ويوليه ظهره واراد الاستكبار لان هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرا ناء فاما من القلب او بمعنى النهوض مستثقلا واما

مقلوب

مقلوب لقوله راء في راي واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس من روح الله والحاصل انه ان فاز بالمطلوب
الدنيوي وظفر بالمقصود الدني نسي المنعم الحقيقي وان فاته شي من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف او يذوب وكلتا الخصلتين
مذمومة ولا مقتضي لهما الا العجز والطيش وكل تقدير كما قال كل يعمل على شاكلته اي كل واحد من الخلايق انما يترشح له ان يعمل على سيرته
وطريقته التي تشاكل حالة التي جبل عليها من نور او ظلمة ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لان الذي
ان الذي خلق كل شي بيده عالم بناصية كل نفس ويقتضي جوهرها المشرق او المظلم او قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هي
متساوية الحقايق واختلاف احوالها لاختلاف امزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه
ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسالونك عن الروح ذكر المفسرون في
سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن الاولين
وابهم الثالثة فهو نبي لان ذكر الروح مبهم في التورية وان اجاب عن الكل او سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وابهم
الروح انه قال الروح من امر ربي اي مما استاثر الله بعلمه فندموا على سوالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها
ان الروح ليس اعلى شانا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فاي مانع من معرفة الروح ومنها انه مسالة
يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ان يقول اني لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يجمع ما روي عن ابي بريدة
لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسالة فنقول
السوال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله لكونه متحيزا او غير متحيز او قديما او حادثا او باقيا بعد البدن او فانيا
وعلى تقدير البقا سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسالونك عن الروح ليس فيه ما
يدل على تعيين شي من هذه المسايل فالاولى ان يحمل السوال على السوال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشي اهم واقدم من معرفة
حال من احواله فتكون قوله قل الروح من امر ربي رمزا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون
بيانه ان الروح اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم انه شي مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وللاعراض المتوقفة
على الاجسام وانه بسيط محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة
فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الظاهر بل للمستدل
ان يستدل بها على قدمه بالبرهان اذ لو كان شي فائقا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه ولما كان امر الروح
مشتبها على الناس كلهم او جلهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كثر علمه وكثرت معرفته
بحقايق الاشيا ودقايقها فان ما علم يكون اقل مما لم يعلم واذا نسب معلومه الى معلومات الله المشار اليها بقوله ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الخ كان كلا شي فانه لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا وقال بعضهم المخاطب
هو خطاب اليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازي ان قوله الروح من امر ربي يدل على ان
الروح حادث لان امر الله قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله وقال ولما جاء امرنا اي فعلنا واذا
حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم ان كل ما هو من فعل الله وبايجاده
فانه حادث ثم ذكر حجة اخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتقريرها ان
الانسان بل روحه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دايما في التبدل والتغير من
النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على انه لو ثبت قلة العلم على اول الفطرة
تخصيص من غير دليل مع ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اوتي حظا من العلم والمعرفة فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات
وقيل الروح المذكور في القرآن التي تسبب لحيوة الارواح كان القوم استعظموا فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات وقيل
الروح امره فسالوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر وانما
هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح
والملايكة صفا ونقل عن علي كرم الله وجهه ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون
الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملايكة يوم القيمة ولم يخلق
الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل
وامثال هذه الروايات مسرحة الى بقعة الامكان ولا وجه للاعتراض عليه عقلا وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل

كانهم سالوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فامره بان يقول الروح من امر ربي اي نزوله بامر
الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤس ياكلون
كما ياكل الناس وليسوا بالناس وزيف هذه الاقوال بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي تتوفر دواعي العقلاء
على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم
باقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الابعد ولنذكر بعض تلك المذاهب تلخيصا للحق فنقول في تضاعيف
ذلك نقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل احد بقوله انا فذلك المشار اليه اما ان يكون جوهرا مفارقا
او جسما هو هذه البنية او جسما داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان
هو هذا الهيكل المحسوس وزيف بان البدن دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان
قد يكون عالما بنفسه حين ما يكون ذاهلا عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القران والخبر كقوله عز من قائل
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله
صلى الله عليه وسلم اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النار وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن
بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وغير حله فالمهنأ لغيري والتبعة علي فاحذروا ما حل بي توجب مغايرة النفس
للبدن وبان جميع فرق الدنيا من ارباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبان الميت
قد يرى في المنام يخبر عن امور غائبة ويكون كما اخبر وبان الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو
الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من اهل الكتاب وليس المسخ الا تغيير البنية مع بقاء الحقيقة وبان
جبريل قد راى في صورة دحية وابليس راى في صورة الشيخ النجدي نعلم ان لا عبرة
بالبنية وبان الزاني يزني بفرجه فيضرب على ظهره نعلم ان الملتذ والمتالم شيء اخر يحرك العضو وبانا نعلم ضرورة ان العالم
الناهي للخطاب انما هو في ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء ثم ان قيل الانسان جسم موجود داخل البدن فاعلم
ان احدا من العقلاء لم يقل بان الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف
والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذي غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة
اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذي في القلب
او جزء لا يتجزى في الدماغ ومنهم من يقول اختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية
وهي الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة
الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبدل والتحلل ولا للتفرق والتمزق ونفوذا يشبه نفوذ النار في
الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد وهذا النفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم اذا تولدت في
البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت قال
الامام فخر الدين الرازي هذا ما نقل اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التامل فيه فانه شديد
المطابقة لما في الكتب الالهية من احوال الحيوة والموت قلت اما نفوذ الجوهر الروحي في البدن كنفوذ الدهن في السمسم
ونحو ذلك فانه اجرام او اجسام ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى انه عرض
حال في البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن ابي الحسين البصري من المعتزلة ان الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء
العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة بحيث يحصل هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن
اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض مخصوصة هي الحيوة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه يمتاز عن سائر
الحيوانات بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب
الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد ومن الكرامية
جماعة ومن الفلاسفة الحكميين كلهم ان الجوهر الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به
ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان الاله العالم لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف
والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن بقي البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا لكان كونه متحيزا عين ذاته

المخصوصة او لكان صفة قائمة بها لزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا والاخرى
صفة اولى من العكس وايضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز
عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند
الاعتبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم منتف وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف
تجرده وليس كذلك واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها ان الشيء الذي يشير
اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي ومحاولة دفع المنافي
مشروطة بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لابد ان يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال الناس بالغضب وانصبابه
اليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدا مستقل
لم يكن اشتغال احدهما بفعله مانعا للاخر وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا
للغضب فعلمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا النفس لا يمكنها ان تحرك الارادة الا عند حصول
الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بحصول نفع في جذبه او شر يرغب في دفعه وهذا يقتضي ان المحرك بالارادة هو بعينه
المدرك للخير والشر واللذة والموذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمشتهي
والغاضب بوساطة الات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان لكل اثر واحد
ولو كانت جزءا من اجزاء البدن كانت قوية سارية في جميع اجزاء البدن فاوجب خلافه الاحصل اليقين بان النفس شيء مغاير
لكل البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسم لان الجسم اذا قبل شكل
التثليث مثلا امتنع ان يقبل حينئذ شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولذلك
يزداد الانسان فهما وذكاء بازدياد العلوم وايضا كثرة الافكار توجب قوة النفس وتستدعي استيلاء اليبس على الدماغ
وتنقيص بدن ارباب الرياضة في غاية الضعف والنحول ثم تقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين واصحاب الشوكة والقوة
ومما يختص بهذه الاية التي نحن في تفسيرها ان الروح لو كان جسما منتقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه
متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن الروح فكان الانسب ان يقول انه جسم كان كذا
ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة الى اخره والاحاديث الواردة في ان
الارواح مخلوقة قبل الاجساد يؤكد ذلك الذي ادعينا من ان النفس شيء مغاير للبدن وللاجرام والله اعلم بحقائق الامور قال
اهل النظم ثم بين ان ما اتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه تعالى ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك قلت في نسبة علم القران الى القلة خروج عن الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال
انه لما كشف لهم عن مسئلة الروح وبين انه ذلك من العلوم الالهية لانها تنافي العلوم الانسانية القليلة وكان دليلا على
كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب
القران ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في اخر الزمان كما جاء في الروايات ثم لا يجد النبي الذي هو اكمل نوع
الانسان من يتوكل على الله باسترداده فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك
كان رحمته تتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به او تفضل بابقاء القران ثم ابقائه عليك
ابديا وبسائر الخصائص دائما ان فضله كان عليك كبيرا وفيه ان نعمة القران وبقائه محفوظا في الصدور مسطورا في الدفاتر من اجل
النعم واشرفها فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بواجبها جعلنا الله ممن يراعي حق القران ويعمل بمقتضاه احتج
الكعبي بالاية على ان القران مخلوق لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان ازالة العلم به عن القلوب
والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على ان الذي اوحي اليه
ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وقد مر وجه اعجاز القران في اوائل سورة البقرة فان
قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التاليف
سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول ان ابليس ينهاهم فكيف يعقل ان
يكون القران كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات
كونه معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القران
فسقط السؤال بالكلية على ان الله سبحانه قد اجاب عنه في اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء

تقسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ
التي يقع التحدي به وبعضها حقيقة بين انهم مع ظهور عجزهم بقوا مصرين على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في
هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد والنبوة والمعاد والقصص اللائقة وجزؤها
من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس فيه معنى النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا فجحدوا قال اهل البرهان انما لم يذكر الناس في اول
السورة حتى قال ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا لتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في السورة اذ لم يجد ذكرهم للناس ههنا
وان جرى ذكرهم وتعالى للناس لان ذكر الجن ايضا قد جرى وتقدم للناس على قوله في هذا القران كما تقدم في قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن اما في الكهف فعكس الترتيب لان اليهود سالته عن قصة اصحاب الكهف وغرضها وقد اوحاها الله تعالى اليه
في القران فكانت العناية بالقران اكثر فكان تقديمه اجدر **التأويل** وان كادوا ليفتنونك اي من عمى قلوبهم ولولا ان
ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان بلغت حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا انما وصفه بالقلة لان بشريته
مغلوبة بروحانيته غلبة ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب نفسك واذقناك عذاب حياتها واستيلائها على الروح
وعيب قلبك واذقناك عذاب مماته وضعف بهمك وبعده عن الحق سنة من قد ارسلنا اي جرت عادة الله تعالى
بان يجعل لكل نبي عدوا يؤذيه ويمكر به ثم بين طريق خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال اقم الصلوة اي ادمها
بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قران الفجر كان مشهودا يشهد الحق بالحق مشهودا له ادخلني مدخل صدق يعني السير في الله
بالله واخرجني مخرج ما ثبتني واجعل لي من لدنك لان لدن عز كل وفيه انه كل ذي مقام فانه يصل الى نهايته والانبياء
يلازم الوصول الى ذلك المقام لقوله وسعى لها سعيها يحكى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته
فقال صلم ما تريد قال مرافقتك في الجنة فقال صلم او غير ذلك فقال الرجل بلى مرافقتك في الجنة فقال النبي صلم فاعني على
نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد وتجلي صفات الجمال والجلال وزهق الباطل هو كل ما خلا الله من
الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القران ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان
الاحاديث من سلمى تشليني قل الروح من امر ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر الذي خلق من شيء ويعبر عنهما
بالاخرة والدنيا بالملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن والظاهر والارواح والاجسام ويدل عليه
انه صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله جوهرة في رواية درة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق الله روحي
وفي رواية نوري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما نقل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك
كروبي فالاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار انه كان صدف الموجودات سمي درة
وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور عقله سمي عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم
قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال لو عزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي
منك بك اعرف وبك اخذ يعني طاعة من احد من الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي الدرجات العالية وبك
اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق متابعته والاقتداء به سمي قلما وباعتبار غلبات
الصفات الملكية عليه سمي ملكا كروبيا ولانه اصل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح روحه فلهذا ابتلي بالسؤال عنه
وورد في الحديث ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة وكانت الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما
كان الجسد خليفة الروح فالروح قائم وقيامه لم يكن الجسد ازليا ولا ابديا الا بتبعية الروح ثم اخبر عن عزة القران وعزته بقوله ولئن
شئنا لنذهبن الاية وفيه انه لا يقدر على الاثبات والذهاب به الا الله تعالى ولكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
واراد بالجن كل ما هو مستور عن العيون فيتناول الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل لصفاته حق الكلام كما انه لا مثل لذاته والله العلي الكبير ۵

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ۵ او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ۵ او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
او تأتي بالله والملائكة قبيلا ۵ او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ۵

وذكرهم

نصف الحزب

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ۵ قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ۵ قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ۵ ومن يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا
وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ۵ ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ۵ اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون
الا كفورا ۵ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان
قتورا ۵ ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا ۵ قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا ۵ فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه
ومن معه جميعا ۵ وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد
الاخرة جئنا بكم لفيفا ۵ وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
وقرانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ۵ قل امنوا به او لا
تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ۵ ويخرون للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا ۵ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ۵ وقل الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ۵

القراءة تفجر من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن غالب الاخرون من التفجير تكثيرا للفعل

وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب والاخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر المهتد باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ذبي اذ انتج اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاء ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء علي الكل على الاخرون بالفتح على الخطاب قل ادعوا الله بكسر اللام للساكنين عاصم وحمزة وسهل ويعقوب الاخرون بضمها للاتباع او ادعوا بكسر الواو حمزة وعاصم وسهل الباقون بالضم اياما حمزة ويعقوب يقفان على اياما بينديان ما تدعوا ويسمي هذا الوقف وقف البيان الباقون على كلمة واحدة
الوقوف ينبوعا لتخير قبيلا في السماء لا لابتداء النفي بتطول القصة وقيل الاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن من كلامهم نقروه رسولا رسولا رسولا وبئس بصيرا المهتد لعطف جملتي الشرط مع التضاد دون دونه لان الواو لا تحتمل الاستيناف وصلبهم سعيرا جديدا لاريب فيه لتناهي الاستفهام الي الاخبار كفورا الانفاق قتورا مسحورا بصائر للابتداء بان مع اتحاد القايل مثبورا جميعا للعطف لعبنا لانتقاع النظم ومعنى نزل لابتداء النفي وندبر احترازا من ايهام العطف تنزيلا اولا تؤمنوا سجدا لمفعولا خشوعا سجلوه الرحمن لتصدر الشرط الحسنى لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المقول سبيلا تكبيرا
التفسير التمس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الايات لان فتح هذا الباب يوجب نقيض المقصود وهو ان لا يثبت النبوة ابدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلعم وهو جالس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسيرجبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل منهم او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب فيغنيك عنا فقال لا اقدر فقيل له فاذ كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية المخزومي وامه عمة رسول الله لا والذي يحلف به لا او من بك حتى تتخذ سلما وتصعد عليه ونحن ننظر فتاتي باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا ادري او من بك ام لا فانزل الله هذه الايات فلنشرع في تفسيرها فان تفجر له ينبوعا اي عينا غزيرة من شانها النبوع من غير انقطاع والهاء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او يكون لك جنة معناه هب انك لا تفجر الانهار لاجلنا فجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله سبحانه ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما في السورة من قوله ام امنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا اي اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب واسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون السين وفتحها جمع كسفة بالسكون كسدرة وسدر وقال ابو علي الكسف بسكون السين الشيء المقطوع كالطحن للمطحون فاشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القرائن ومعنى قبيلا كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فاختصر او المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس المراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يريكم هو وقبيله قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة والصدر رقي واصله رقول كصعود والمعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن لك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قال المرسول فلينفي من اقتراحاتهم او تنزيها له من تحكماتهم او من قولهم او تاتي بالله سبحان ربي هل كنت اي لست الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان ابي بها من تلقاء نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف اقدر انا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجزة واحدة وجب الاكتفاء به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس بضروري في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشرا رسولا ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها

لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر في ترتيب الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجعل في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم ان المعنى له اجيب ولعل ذلك لان الانكار يتوجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون الاخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد قائلا قل كفى بالله لانه وهو ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله على الصدق فاذا تم شيء هذه الشهادة يعلم بواطن الامور وخفيات الضماير فكيف يظهرها علم ان هذا مجرد الحسد والعناد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين ان الاهتداء والانكار مستند الى مشيته وتقديره فقال ومن يهدي الله الاية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة في مثله في اخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حملا على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حملا على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يتوخى الخطاب والاولياء الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون او بعد ان يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا كذلك في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصام عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا وخبا اذا اخمدت قال ابن قتيبة اي تسعر لهبها حين خبت ولا يهب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحالة الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر العذاب او يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين مما لا يشعرون به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس او معتد به من الخبو والتسعر قال في الكشاف كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان يسلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسيرهم في الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله ذلك جزاؤهم الى اخر الاية ثم ابدى للجاحدين حجة يستنبط بها المدعى لمن اذا تامل فقال اولم يروا الاية وذلك ان من قدر على خلق السموات والارض كان على اعادة من هو ادون منها اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء وكما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء وقيل اراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصيرتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي العظيم وحين بين ان البعث امر ممكن في نفسه ذكر ان له وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم ما ذكر ويحتمل ان تكون الواو للاستيناف ووجه النظم كما مر لما طلبوا اجراء الانهار والعيون في اماكنهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي رزقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا على بخلهم وشحهم فصلا ان يملكوا احتياجا يتهيأ بصدد الفناء والنفاد قال المحققون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء لان ما هي تكون على معناها الاصلي تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار والاحوال والمنتفي هو الاثار والاحوال لا الذوات وايضا انها ههنا بمعنى ان الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون تملكون مرتين فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدلالة على الاختصاص وانهم هم المختصون بالشح المتبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لم يقصد اللطمة بل اللاطمة اي لو لحقتني لطمة من ذات سوار لهان الامر خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق ماله اذا ذهب واسكنه منوكم المفعول ومعناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير والتقصير في الانفاق وهذا الحكم لا ينافي ما قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس وهذا الجنس من شانه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى ضرورات المسكن والملبس والمطعوم والمنكوح ولا بد له في

يحصل هذه الاشياء من المال منه يدفع حاجاته ويتم الامور المتوقفة على العادات فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة
والفاقة ومن الناس من يحب المال محبة ذاتية لا عرضية فاذن لا اصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو تكلفي او عرضي
طلبا للثناء والثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق من قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا فبين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض
لبخلوا بها ثم قال ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كانه قيل انا آتيناه معجزات مساوية لهذه الامور التي اقترحتموها بل اقوى منها
واعظم فليس عدم الاسعاف الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم استتباع الغاية لعلمنا باصراركم على الختم على قلوبكم
عن ابن عباس ان الآيات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل
وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب عنهن
فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه
فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل النبي صلعم
عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا
في السبت فقام اليهود فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد انك نبي ولولا ان نخاف القتل لاتبعناك قال العلامة فخر الدين الرازي
هذا الوجه احسن ما قيل في الآيات التسع واقول عد الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا ان يقال النهي عن مساوي الاخلاق
والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي بتسع وزاد واحدة تختص بهم ويروى ابو داود هذا الحديث
لم يذكر ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه صلعم قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار فان قيل انه كان لموسى آيات اخر
كانفلاق البحر والمن والسلوى عليه وعلى قومه وكالآيات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا
يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق يأبى ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب
التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى تسعة انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانهما نوع واحد وهو القحط فقد يعمل ابدا ما به
الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الانحصار بهذه التسع لاجل خبر الصادق فافهم قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب فيه للنبي صلعم
والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤولون مؤمنو بني اسرائيل
كعبد الله بن سلام وقوله اذ جاءهم متعلق بآتينا او بمنصوب باضمار اذكر او هو للتعليل والمراد فسلهم يخبروك لانه جاءهم اي جاء آباءهم
ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل
او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم عن ان يعاضدوك وليكونوا عدوك في الامر والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل
هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر فتلك العجائب فظاهر ان
موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فاراد انه لا شك في امري بسبب تشكيك
مكذب مثلك ومن قرأ بفتح التاء فالمراد نفي ان يكون كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقوله للآيات هؤلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال اشار بقوله
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى انه انما فعلها لغرض تصديق
المدعي ثم حذا الخ بجميع التحدي ثم قابل موسى ظن فرعون بظنه فقال واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء
اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان الظن ما علم صحته ببينة تعضده لا عناد وبلادة فاراد فرعون
ان يستفزهم من الارض اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستئصال او بالنفي والاخراج
والحاصل ان فرعون عوض بنقيض المقصود فاغرق هو وقومه واسكن بني اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيء
الا باهله ثم اخبر عن المعاد قائلا فاذا جاء وعد الآخرة وهي قيام الساعة جئنا بكم لفيفا يعني نحشر المكلفين كلهم لفيفا جماعات من
قبائل شتى ذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لتحل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن واطنب في شبهات
القوم اراد ان يعظم شأن القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه
ومتمكن الصواب في نصابه قاله جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على
الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
وقال ابو بكر الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات

الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير النبوات واثبات المعاد على اصول الاديان والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل
وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها ما تبقى ببقاء الدهور قال ابو علي الفارسي الباء في موضعين بمعنى مع كما في قولك
خرج بسلاحه اي انزلنا القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان تكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد
لان القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء هذين شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء
مما اقترحوه ثم ان القوم كان من تعنتهم طعنهم في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة فاجاب عن شبهتهم بقوله وقرآنا منصوب
بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين
اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرقنا بالتخفيف يدل على فصل متقارب وقال ابو عبيد التخفيف اعجب لان تفسيره بيناه وليس
للتشديد معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام
وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس عنى الفصل بين اوله ونزوله وبين آخره فرأى التشديد ادل ولعل المراد الفصل المتقاربة
التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي بحسب المصالح
والحوادث ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقول للمقترحين آمنوا به او لا تؤمنوا وهو امر وعيد وتهديد وخذلان وتخلية قال
جار الله فيه ان الذين اوتوا العلم اما ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء او يكون تعليلا
لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس
من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد صلعم خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفي
قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيل الخرور وهو السقوط بالذقن فقال
الزجاج لان الذقن مجتمع اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا
تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتعيين العبارة فائدة وقال غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع فان الانسان
اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه والثاني انه لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما
قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور وخصوا الخرور باذقانهم ثم حكى انهم في سجودهم يعودون
التنزيه والتعظيم فيقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد في كتبنا لمفعولا اي منجزا انه تحقيقه من
القبلة ولهذا دخلت اللام الفارقة ثم ذكر انهم كما خروا لاذقانهم في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز ان
يكون التكرير للدلالة على تكرير الفعل منهم ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية
الخشوع والدعاء فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها
آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية
لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين يقال دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا واو للتخيير والمعنى على السبب
الاول سموه بهذا الاسم او بهذا وعلى السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا اياما تدعوا بمعنى اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فالتنوين عوض من المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما
وكان اصل الكلام ان يقال فهو اي ذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن
هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء استقلالها بنعوت الجلال والاكرام وقد مر في آخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء
فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلاة بافعالها
فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه او ضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت
الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة
فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم
ولا تخافت بها فلا يسمعك اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان النبي صلعم طاف بالليل
على دور الصحابة وكان ابو بكر يخفي صوته في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان
واوقظ الوسنان فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر ان يخفض قليلا فنزلت الآية على حسب ذلك
وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وعن
عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلاة ههنا الدعاء وقد روي هذا مرفوعا قال الحسن لا تراء بعلانيتها ولا تسيء بسريتها
وانما في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو موجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا

عن ابن عباس

بكم تضرعا وخفية قال جار الله ابتغاء السبيل مثل لاتخاذ الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى
نبه على كيفية التحميد بقوله وقل الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب
بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد يتولد من جزء من اجزاء الوالد
فالوالد مركب وكل مركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد مبخلة والبخيل
لا يستحق الحمد والشركة في الملك انما يتصور لمن لا يستقل بالمالكية فيفتقر الى من يتم بمشاركته امر مملكته ومصالح تمدنه
وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي اتخذ
حبيبا من اجل ذل به واستفادة لا من عز دفعه وافاضة او ولي بمعنى الناصر اي ناصر من اجل مذلة به ليدفعها عنه لانه وايضا
قد يمنعه الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فيمنع عليه دون من استغنى عنه
اما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا
لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب
الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقد ان كلها من صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة
ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند هذا يعود مسئلة
الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن بن
احمد الهمداني فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبيره في
احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا
التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم
وقالوا لن نؤمن لك [illegible] كانوا ارباب الحس لم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم يطلبوا منه ما هو عليه من تزكية النفوس وتصفية
القلوب وتحلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لانبات نخيل المشاهدات واعناب المكاشفات في جنات
المواصلات [illegible] الا بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان
الكامل حيث جعله الله مسجود الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ما فيهم حظ الحرص والشهوات كما سكنت نار شهوة
[illegible] وحظها دناهم سعيهم باشتغال طلب شهوة اخرى تسع ايات بينات قال الشيخ المحقق نجم الملة والدين المعروف
[illegible] رحمه الله تعالى اراد الايات التي تدل على نبوته بيانا يتعلق بنفسه خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه [illegible] في حجر
العدو وتحريم المراضع عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت في الرجوع الى العالم العلوي
هو القران [illegible] بحبل الله جميعا وبالحق نزل [illegible] اهل السعادة والشقاوة بالاتباع وعدمه ان الذين اوتوا العلم
من قبله [illegible] اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة بقولهم بلى فخرون
للاذقان في عالم الصورة [illegible] فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الجسد لان الارواح
انما ارسلت الى الابدان للعبودية بذكر الله فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة ولا تخافت
[illegible] بالكلية [illegible] بعد الاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية حروفها ستة الاف وثلثمائة وستون كلماتها الف وخمسمائة وسبعون اياتها مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا
شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين

فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم
بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق
انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء
قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور
عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك
من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى
طعاما فلياتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان

ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلثة
رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله
اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا

القراءة من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الا ان بضم الدال وسكون النون
وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد هي لنا ويهي لنا بتليين الهمز فيهما الاوقية والاعشى وفي الخفف
واو ابدال الهمزة الفاء ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء
ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الاخرون على العكس تزاور حمزة بتشديد الزاي التاء عاصم وحمزة
وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل يحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء في الزاي
وكان مر في سبحان والمهتد مثل المهتدي في الحالين ولملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني
عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة عن عباس بكسر
الواو وادغام القاف في الكاف الاخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين
وان ترن والا يوتين وان تعلمن بالياءات في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح ومن معه ويروى ابن شنبوذ
عن قنبل كلها بالياءات في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وافقهم ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء
في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح
وزيد الاخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف **الوقوف** عوجا لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه
المذكور اي انزله قيما وللوصل وجه وهو ان يكون حالا من الكتاب ابدا فيه ما بينهما اعتراض حسنا ابدا ولدا
لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء اخبار والوقف اوضح لبكون ادعاء الولد مطلقا كالحق الظاهر لا بآبائهم من افواههم كذبا
اسفا عملا جرزا تمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجيب عجبا رشدا عددا العطف امدا بالحق هدى والوصل
اولى للعطف شططا الهة لابتداء التخصيص بين كذبا مرفقا فجوة منه ايات الله فهو المهتد مرشدا رقود
والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقود وانحن نقلبهم بالشمال الوصل احسن على ان للعين تقليبهم باسطا بالوصيد
رعبا بينهم كم لبثتم بعض يوم احدا ابدا لا ريب فيها لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا
باضمار اذكر بنيانا بهم مسجدا رابعهم كلبهم فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب لوقوع العارض كلبهم
قليل ظاهرا احدا يشاء الله لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا تسعا لبثوا لاحتمال ان ما بعده معمول قل
او اخبار مستانف والارض لابتداء التعجب اسمع من ولي لمن قرا ولا تشرك على النهي ومن قرا على الغيبة اخبار جوز
وقفه لاختلاف الجملتين احدا **التفسير** الصنف الحمد والتكبير المذكورين في اخر السورة المتقدمة بالحمد على اجزل
نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على عبده محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة
سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه
تنبيه على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسرا اول

درجات كماله من حيث انه يقتضي حصول الكمال له وانزال الكتاب عليه غاية درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها
من حضيض البهيمية الى اوج الملائكة ولا شك ان المنافع المتعدية به افضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى
عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي صلى الله عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت
الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم
العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالاخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه ايضا مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية
المفضية الى صلاح المعاش والمعاد في انتصاب قيما وجوه واختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله وانزله قيما وابى
ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على نقصانه وقال جامع الاصفهاني هما حالان متواليان الا ان الاولى جملة
والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له وفائدته الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد ورب مستقيم
في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة عن ابن عباس ويحتمل ان يراد انه قيم على سائر الكتب مصدق لها شاهد
بصحتها لانه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرايع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه كامل في ذاته
مبرا عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو حق في نفس الامر وصفه بقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح معين
بانه وارشاده لاحوال معاشه ومعاده فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله
في قوله فقال لينذر باسا شديدا من لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتطهير اللسان عن ذكره اي لينذر الذين كفروا
عذابا اليما ما دام من عنده ولاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر
لخصوصه وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وقد يذكر قصة كلية ثم يعطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على
كونه اعظم جزئيات ذلك الكلي ففي عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله قالوا لهم به اي بالولد او باتخاذ الله اياه من علم ولا لابائهم وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه
في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الاية اي قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد
لابائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله العلم في قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
بها كلمة ويجوز ان يعود الى مضمر وهي بقوله الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت امراة هند ثم قال ومعنى انتصب كلمة
على التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة تعين بها
من محتملاتها وقرئ بالرفع على الفاعلية كما يقال عظم قول قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب من جهتين من
جهة الصيغة ومن جهة التمييز كانه قيل ما اكبرها كلمة ثم وصف الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من وجهين
الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا تتمالك العقلاء ان يتفوهوا بها حياء وخجلا فبين استعظامهم
ان هذا الكلام لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم جرمهم الثاني انه هذا الذي يقولونه لا تحكم به
عقولهم وفكرهم البتة لكنه في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه
ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف
والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شان المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صنيعهم بقوله ان يقولون الا كذبا
وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك ان العقد الاول غير موجود
فيهما مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا
قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل البخع الجهد ومنه قول عائشة ذكرت عمر بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما
فيها من اموال الملوك وفي الكشاف بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل
نفسه اذا نهكها واسفا منصوب على المصدر اي تاسف اسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه وقال الزجاج هو مصدر
في موضع الحال او مفعول له اي لفرط الحزن شبهه واياهم حين لم يؤمنوا بالقران واعرضوا عنه بمن فارقته احبته فهو
يتحسر على اثارهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان
فيهم فليس اليك قال القاضي الملك الحديث على القران قد دل ذلك على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الحروف
والاصوات وانما النزاع في كلام النفس قوله سبحانه انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني
خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع عنهم مواد هذه النعم

تعلم

كانت ايضا بالجد لا نترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلثة اعني المعادن والنبات
والحيوان واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليس زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة
لاهلها لغرض الابتلاء وقالوا الذي له الزينة تكون نضارة عن الزينة ومعنى انه تجاوز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت
تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم
ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة وللعاقبة او استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج
ايهم رفع بالابتداء لانا لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنختبر اهذا احسن عملا ام ذاك ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله وانا
لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اي مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا معشبة في ان الله فجعله
واماته سكانه قال ابو عبيدة الصعيد المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه وقد مر في اول النساء
وقال الفراء الجرز الارض التي لا نبات فيها يقال سنون لهم ماحلة جرز اذا كانت اكولا يستنصل جرز اذا كان مستاصلا ومنه الجراد والشاة
والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال
سبحانه ام حسبت يعني بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من اياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان اياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على
تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوانات ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف يستبعدون
قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة الى طايفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك التزيين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف
يعني انه ذكر ايا الاعظم قدرته ثم اضرب عن ذلك موبخا للانسان والحاصل انك تعجب من هذا الادنى فكيف بما فوقه والكهف الغار
الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على
باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روي ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وعن السدي
انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي او الجبل الذي فيه الكهف والعجب مصدر وصف به او المراد ذات عجب وقوله
اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا اليه وجعلوه ماواهم منصوب باضمار اذكر لا بحسبت لفساد المعنى ولا بعد ان
يتعلق بعجبا والتنوين في رحمة اما للتعظيم او للنوع وتقديم من لدنك للاختصاص اي رحمة مختصة بانها من خزائن رحمتك
وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيات الامر فتهيا من امرنا الذي نحن عليه
من مفارقة الكفار رشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فتكون من للابتداء فيجوز ان تكون
للتجريد كما في قولك رايت منك اسدا اي اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على اذانهم قال المفسرون اي انمناهم والاصل فيه ان
المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امراته اي بنى عليها القبة وسنين ظرف زمان وعددا اي ذوات عدد
او هو مصدر يوصف به والمراد بهذا الوصف اما التقليل لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم اي ليظهر
معلوما ومتعلق العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فانه ترفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض
وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امد لبثهم فيكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زايدة
وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير احصى ما لبثوه امدا والامد الغاية نزع بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم
اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا في تعيين الحزبين
فعن عطا عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان
من اصحاب الكهف وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال اخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين
حدوثا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان طايفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص
عليك نباهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية شباب امنوا بربهم اي في وضع الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالالهام الصبر على هجران الخلان والاوطان والفرار بالدين الى بعض
الغيران اذ قاموا في هذا القيام اقوال فعن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم
اني لاجد في نفسي شيئا ما اظن احدا يجده احد ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا
ربنا رب السموات والارض وقال اكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت
فثبت الله هولاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا
ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيدا عن

بزمانهم

الحق هولاء مبتداء وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة تحقير لهم لولا ياتون
عليهم هلا ياتون على حقيقة الهتهم او على عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء والاضداد
فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت في العلوم انه لا اتيان
بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد وبركته فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه خاطب بعضهم بعضا حين عزموا على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يعبدون الخالق
الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فاما فاووا قال الفراء فاووا الى الكهف
جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم ويرفقا على القراءتين مشتقا من الارتفاق
والانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر
في مرفق اليد الا الكسر الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة عليه او ما لانه اخبرهم نبي في عصرهم منهم ابن عرهم وترى
الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور اصله من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق
وذات اليمين الجهة المسماة باليمين وانتصابها على الظرف والقرض القطع وقال الكسائي قرضت المكان اي عدلت عنه
والمراد ان الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا تقع عليهم وهم في فجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص
والمفسرون في الاية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع
منفتح والى هذا الوجه اشار اليه بقوله ذلك من ايات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا
طلعت الشمس كان على يمين الكهف واذا غربت كان على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك
في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهوا وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون اية من ايات
الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار
تعيين مكانهم ثم بين انه سبحانه لطف بهم بصون ابدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كما لطف بهم في اول الامر
بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشية الله وعنايته الازلية وبلطفه وتقديره
الذي سبق القلم به وبه قال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب
الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا اخر من غرايب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا
جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستعمل في النفس الكثير وقيل
عيونهم مفتحة وهم نيام يحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم ونقلبهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشورا وعن مجاهد مكثوا رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فمكثوا
رقودا سبع سنين وفايدة تقلبهم ظاهرة وهي ان لا تاكل الارض لحومهم قاله ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين
قال وان الله قادر على حفظهم من غير تقليب واقول لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن الوسايط معتبرة في اغلب الاحوال
وكلبهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا اعمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب قال السدي
الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم
فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك
ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير كان ذلك كلب
صيدهم والاطلاع على الشي الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية ورعبا بسبب
الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم يحكى ان معوية غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا
فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبله اي وكما انمناهم تلك النومة فعلنا بهم ما فعلنا
من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا اي ليقع
التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قايل
منهم كم لبثتم قالوا بناء على الظن لبثنا يوما او بعض يوم وقد مر مثله في قصة عزير في البقرة فلما استدلوا لطول ما

ربكم اعلم بما لبثتم قال ابن عباس هو رئيسهم تمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين راى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم
والفا في فابعثوا للتسبيب كانه قيل وان قد حصل الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة
او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض ما يحتاج اليه الانسان في سفره او حضره لا ينافي
التوكل على الله والمدينة طرسوس وقال في الكشاف ايها معناه اي اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود الضمير الى
الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ونحوه ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور وعن
ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد اخذ ربا من الغضب
لان ملكهم كان ظالما وقيل ايها اطيب والذ وقيل ارخص وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا
يغبن فالاظهر انهم طلبوا منه اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف ويؤيده قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم
انهم ان يظهروا يطلعوا على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم
بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء
الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم
الله وفي اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا حرج على المكره على الكفر بدينه اعظم
من هذين ففي الاول هلاك الدنيا وفي الثاني هلاك الاخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر المكره لا يضر لانهم
خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا عليهم سمي الاعلام اعثارا لان العاثر على الامر
من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه فعرفه فكان العثار سببا لحصول العلم والتبيين فهي سبب الاعثار قيل ان احدهم
انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق
الى السوق وكانت كدراهم دقيانوس نسبة اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم فقال
بعت بها امس شيئا من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الا
عثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يريد ان ملك ذلك العصر كان ممن ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية
دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال اخرون الروح يبعث واما
الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له اية يستدل بها على ما هو الحق في المسألة فاطلعه الله تعالى على امر
اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فالمراد
بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمير في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم يعود الى تلك الامة وقيل المراد اذ يتنازع
الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف
يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا يروى انه انطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله
على اياته الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ويمكن ان يكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين
بالعبادة والصلوة فقيل ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا وقال المسلمون لا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم
مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم قال جار الله ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقته قالوا ذلك او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك
المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلعم من اهل الكتاب والذين غلبوا على امرهم هم المسلمون وملكهم
المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم وصيانة لها
سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكانت كما اخبر كان نجران يروى ان السيد والعاقب
واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا هم خمسة سادسهم كلبهم فزيف الله قولهما بان قال رجما بالغيب اي يرمون رميا بالخبر الخفي
يقال فلان يرمي بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر وكثيرا ما يقال رجم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم
كلبهم قال العلماء وهذا قول محقق عرفه المسلمون باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبرئيل عليه السلام والذي يدل عليه امور
منها ما يروى عن علي رضي الله عنه انهم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن

يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه
كشفططيوش واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وقيل روي عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب
والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل يكتب ويوضع تحت راسه في المهد وللحرث
يكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان والحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول
على السلاطين يشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل
ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه
اخر كما تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر لان الواو مقتضاها الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة مرتين بخلاف
القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة واحدة ولقائل ان يقول ان العاطف لا يتوسط بين الصفة والموصوف البتة
لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو انما هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فالواو اما للعطف عطف
الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم انما لم يسوغوا وقوع ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قولك
رايت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة لله تعالى بالجمع
للتعظيم ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم
سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بتهادة قوله رجما بالغيب وتخصيص
الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على انه
سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب فهذا النهي انما يصح اذا اعلمه حكم هذه الواقعة
وايضا انه قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد ان لا يحصل العلم بذلك الا لنبي ويحصل لعلي وابن عباس حين قال انا من اولئك
القليل وقد عرفت قوله الى هذا الباب انفصل فالظاهر انه حصل بعد الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في سيقولون
لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب منهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخرين
ويقولون بغير السين لا ريب انها للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون
لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي وقد انعم اما فائدة تخصيص الحال في قوله وثامنهم فقد عرفت
الفائدة وقد يقال انا تعداد السبعة عند العرب تداولا على الالسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر
لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا اللفظ الدال على الاستيناف كقوله في ابواب
الجنة وفتحت ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا
اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف
ان هذا الترتيب ليس في موضعه لان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه واما عدمه فعلى الاصل ومن التوجيه
والايجاب يزيد يعيد والقائل بعدد الاول دون الاخر ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الجدال مع اهل الكتاب في
شان اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا فقال جار الله اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى
الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد
بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم
من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة
جواز الكرامات وما يتفرع هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فقيل فعيل بمعنى فاعل كعليم وقدير
وذلك انه تولى الطاعات من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحرسه وقرب
منه الفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون كان يظهر
على يده الخوارق وكما ينقل ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقته يدل على كذبه
فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا وجب ان لا يحصل المعارض وان كان كاذبا وجب
ويمكن ان يقال ان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق واليه ذهب جمهور المعتزلة وخالفهم ابو الحسين البصري وصاحب
محمود الخوارزمي وجوز ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وقد يعرف بين النبي
الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين

من لم يجوز للولي دعوي الولاية لانه مامور بالاخفا، وان النبي مامور بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاوليا واثبتها
اهل السنة مستدلين بالقران والاخبار والاثار والمعقول اما القران فكقصة مريم ونبإ اصحاب الكهف قال القاضي لابد ان يكون
في ذلك الزمان نبي ينسب اليه تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان اقدامهم على النوم ام غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة
لاحد وانتباههم من النوم بعد ثلثماية سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون
كونهم صادقين في هذه الدعوي الا اذا انقوا طول هذه المدة وعرفوا انهولاء الذين جاوا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك
بثلثماية وتسع سنين وكل هذه الشرايط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبيا فلم يبق الا جعلها كرامة لهم وتقابل
ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجز النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بامارات اخر كما مر من حديث
الدرهم وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم تكلم في المهد الا ثلثة
عيسى ابن مريم وجريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي [وصبي]
اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رويتها ثم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى كان ثلث مرات
وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت
لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر عليه بشي وكان هناك راع ياوي بالليل الى اصل صومعته فلما اعيتها راودت الراعي على نفسها
فاتاها فولدت غلاما فقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام
قال ابو هريرة كاني انظر الى رسول الله صلعم حين قال بيده يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا
اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الاخر فان امراة كان معها صبي ترضعه
اذ مر شاب جميل ذو شان فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امراة ذكروا انها
سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة [فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها]
وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت فلم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم
قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاووا المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم
الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران
وكنت لا اغبق قبلهما فناى بي في طلب شجرة يوما فلم ارح فحلبت لهما غبوقهما فجيتهما به فوجدتهما نايمين فكرهت ان اوقظهما
وكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ومالا والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت
فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الاخر اللهم
انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها
مالا اعطيها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركت
المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج
منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد منهم ترك
الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين وقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت له كل ما ترى من الابل
والبقر والغنم والرقيق من اجرك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله اللهم ان كنت فعلته
ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلى الله عليه
كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم لابره ولم يفرق بين شي وشي فيما يقسم به على الله ومنها ما روى سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق
لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنت بهذا وابو بكر وعمر ومنها ما روى ابو هريرة
عن النبي صلعم بينا رجل يسمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قايم فيها
فقلت له ما اسمك فقال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسال عن ذلك قلت لاني سمعت
صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال لما اذ قلت فاني اقسمها اثلاثا ما اجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء
السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا واما الاثار فمن كرامات ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم
ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح واذا هاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب
ومن كرامات عمر رضي الله عنه ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين فبينا عمر يوم الجمعة

يخطب فجعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم
رسول ذلك الجيش فقال يا امير المومنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا انسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا
الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنايم العظيم قال بعض العلما كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلعم لانه قال لابي بكر وعمر انتما
مني بمنزلة السمع والبصر لاجرم قدر عمر على سماع الجيش من ذلك البعد ومنها ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة
مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسنة فلما جاء الاسلام كتب عمرو ابن العاص بهذه الحالة الى عمر فكتب عمر
على الخزف من عبد الله امير المومنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على
بركة الله وامر ان يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت زلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض وقال
اسكني باذن الله تعالى فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك ووقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة
يا نار اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفت في الحال وروي ان رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره وظن
ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو بالصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته تحت
راسه وهو نايم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة
فسل سيفه ليقتله فاخرج الله اسدين من الارض فتصداه فخاف والقى السيف وانتبه عمر وسال الرجل قال فقال الرسول
لم يتفق لاحد من اولاد ادم عليه السلام الى الان ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات
ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس قال مررت في طريق فرفعت عيني على امراة ثم دخلت على
عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون علي واثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله فقال لا ولكن فراسة صادقة
وقيل لما طعن بالسيف فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وروي
ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي كرم الله وجهه فروي
ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي فقال اسرقت قال بلى فقطع يده فانصرف من عند علي فلقيه
سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المومنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج
البتول فقال قطع يدك وتمدحه فقال ولم لا امدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا
فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات وسمعنا صوتا من السماء ارفعوا الرداء عن اليد فرفعنا
الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سفينة [illegible] فعن محمد بن المنكدر انه قال ركبت البحر فانكسرت سفينة
التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول
الله فاقبل يتقدم فدلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير
ورجلا اخر من الانصار خرجا من عند رسول الله صلعم حين ذهب من الليل قطع وكانت ليلة مظلمة وفي يد كل واحد
منهما عصاة فاضات عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاته حتى مشى في
ضوءها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فراى رجلا على
فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما
شربت العرب مثلها فلما فتحوا اذا هو خل فقالوا والله ما جيتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقايع المشهورة
ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق
خايفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما تسلط على ابن ادم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شي
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلا بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا
باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة لا سيما في كتاب تذكرة الاوليا ومن
اراد فليطالعها واما المعقول فهو ان الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد
في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كل ما امره الله فاي بعد في ان يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما
يريد العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا لذلك فذلك قدح في قدرته واما لان المومن
ليس اهلا لذلك وهو بعيد لان معرفة الله والثناء عليه على طاعته اشرف من العطايا واجزلها فاذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلان لا يبخل
بالادون اولى ومن هنا قالت الحكما ان النفس اذا انتبهت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي
كما تصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نورية لا تزال تتغذى بنوريته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وبفيضان الانوار الالهية

عليه حتى ينبسط ويقوى على اثارة عنه والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه
والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو
حصل لغير النبي بطلت هذه الدلالة واجيب بالفرق بين المعجزة والكرامة بان المعجزة مقرونة بدعوى النبوة والكرامة
مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة
عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة ومن جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان
النبي مامور بالاظهار لصحة الدعوة والولي ليس له ذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهيين عنه
فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوى قالوا قال صلى الله عليه
وسلم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرائض لا
يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب
اليه باداء الفرائض والنوافل جميعا قالوا قال تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فالقول
بطي الارض للاولياء طعن في الاية وطعن في محمد صلعم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الاية
وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فتخص كالمستثناة من ذلك العموم وبان محمدا
صلى الله عليه وسلم لم يكن قاصرا عن رتبة الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق في غير ذلك السفر قالوا اذا
ادعى الولي على انسان درهما فانه لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي وان طالبه
كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع للمعجزة العمل بالظن والجواب
مثل ما مر من ان الناس لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلبت
خرق العادة [illegible] واجيب بان الطيعين منهم قلة لقوله وقليل من عبادي الشكور والولي منهم اعز من الكبريت
الاحمر [illegible] الكرامة للولي ايضا [illegible]
[illegible]
الكرامة لا يستانس بها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
غير موضوع في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن ينافي اعتقاد هيبة تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله
وكونه بامن الولي وقد وصف الله تعالى عباده المخلصين بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعات العباد ومعاصيهم
لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يغلب القديم غير
المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو الجنة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضة
ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة فمن هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة
ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع
عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان الولاية ركنين والثاني
انقياد الشريعة في الظاهر احدهما كونه في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الا
نسان ذلك عرف لا محالة كونه وليا وعلامته ان يكون فرحه بطاعة الله واستيناسه بذكر الله قلت لا ريب ان مداخل
الاغلاط في هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى علم الربوبية حجب واستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر
والقضاء بالمحبة عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلثة عن الروح
وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسالوه قال صلى الله عليه وسلم اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس
الوحي عنه خمسة عشر ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل شيء تعزم عليه اني فاعل
ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ليس فيه بيان انه هذا استثناء قال العلماء

انه لا يمكن ان يكون من تمام قوله اني فاعل اذ يصير المعنى الا ان يشاء الله ان لا افعله اي الا ان تعترض مشيئة الله دونه فعله
وهذا ليس منهيا عنه فالصواب ان يقال انه من تمام قوله ولا تقولن ثم ان قدر المراد الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن
لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا ولكنه لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع
الحال اي لا تقولنه الا ملتبسا بان يشاء الله يعني قائلا ان شاء الله وهذا نهي تاديب لنبيه لان الانسان اذا قال سافعل الفعل
الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب
منفر وجوز في الكشاف ان يكون ان يشاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا قال اهل السنة في صحة
الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد معلقة وبركته انه اذا قال المديون القادر
على اداء الدين والله لاقضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا
لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين فانه لم يقع الطلاق في قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله لان
مشيئة الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل القائلون
بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعل غدا معدوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيب بانه
مجاز كقوله اعصر خمرا واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء في مدة النسيان
الى الذكر خلاف فعن ابن عباس يستثني ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر
او سنة وهو قول ابن عباس بعينه وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار
حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا قالوا ان الايات الكثيرة دلت على وجوب
الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا بناء
على ان المستثنى منه مع الاستثناء واداته كالكلام الواحد فاذا كان منفصلا لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى
اصل الدليل فقيل المراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه بعث على الاهتمام بها وقيل
اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي واذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذين القولين
شديد ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله
لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى
ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس
بحسن وذكرها احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ اصحاب
الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبائهم
وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل وعن قتادة ان قوله سبحانه ولبثوا
في كهفهم حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على
انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم انه لا يتجاوز الحق
الذي اخبر الله به ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلافات اهل الاديان تخمينا وقيل في [illegible] اعلم بعددهم بعد قوله
سبعة وثامنهم كلبهم قالت النحويون سنين عطف بيان لثلثمائة لان تمييز مائة واخواتها مجرور مفرد وقيل فيه تقديم
تاخير اي لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كما مر في قوله وقطعناهم
اثنتي عشرة اسباطا اما قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة
سنة وتسع سنين فعن الزجاج ان المراد ثلثمائة بحساب السنين الشمسية وثلثمائة وتسع بالسنين القمرية وهذا
شيء تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما واحوال
سكانهما وهو مختص بذلك ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله
ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان الغاية لقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم
غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه قيل اصحاب الكهف احدا منهم ومن قرأ لا تشرك على النهي فهو معطوف على لا
تقولن والمراد انه لا يسأل احدا عما اخبره الله به من نبأ اصحاب الكهف ويقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم
لاصحاب الكهف انه هو الذي حفظهم في ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من

دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا في هذا الباب اقوالا
على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبيّن الله تعالى انه ليس له من دونه ولي يمنع العقاب عنهم واعلم ان الناس اختلفوا
في زمان لبث اصحاب الكهف في زمانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وانه ذكرهم في التورية فلهذا سالت اليهود وقيل
دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم بعثوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وحكى القفال عن محمد
ابن اسحق انهم دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من
كتاب الشفا ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتالهين حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ويدل التاريخ على انهم
كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف حال
اصحاب الكهف في وجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزع من الدخول عليهم فدخلت فرايت الشعور
على صدورهم وعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة لابدان الموتى لتصونها عن البلى
ويعني مثلك حين لم يملأ الخوارزمي رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا من اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا
عن معوية حين غزا الروم حصل الظن بانهم هم والله تعالى اعلم **التاويل** الحمد لله الذي انزل على قلب عبده الكتاب
والعبد الحقيقي من يكون متحررا عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتي امتي يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي
صح نسبة العبودية كما ينبغي اطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيد بسائر الانبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه
كان خلقه القران ولم يجعل له اي لقلبه عوجا لا يستقيم فيه القران ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج رتبة فاوحى الى عبده
ما اوحى بلا واسطة جبرائيل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا حسنا هو الجنة من حسن الله
وجماله فلعلك باخع نفسك كما هو من عادته عليه الصلاة والسلام ان يبالغ في المامور به حتى ينهى عنه وبالغ في الدعوة والشفقة
على الامة حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهي عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط
انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء المحب والناسي لنبلوهم ايهم
احسن عملا في تركها ومخالفة هوى نفسه وطلب الله ورضاه ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على
المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تتعجب من حالهم فان في امتك من هو اعجب حالا منهم وهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم
بيت الخلوة وكلبهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف حين ناسوا لقاء دنيانا بوسي ومعنى انه من هؤلاء اووا الى
الخلوة شوقا الى لقائي وفروا الي وانهم طلبوا النجاة من شرهم والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا اتنا الاية فهؤلاء وطلبوا
الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار المجازي للوصول الى نور الوجود الحقيقي فضربنا على اذانهم اطفينا حواسهم
الامر في مدة الخلوة لحال النفوس الغافلة عن الواح نفوسهم واشتغالها بالعلوم اللدنية والانوار الالهية ليغنيهم الله عنهم
ويغنيهم به عن حسن توليهم ثم بعثناهم اي احييناهم بالعلم اي الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوك احصى اي اكثر فائدة وانهم
عابقة لامد لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الاخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يزيدون الايمان الغيبي بالمنام ثم بعثناهم خصصنا
الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا من دونه الهة من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين
المعروف بداية هنا اجابتهم عن اصابة الطائفة باصابته وفيه اشارة الى انا نقوي ولايتهم يغلب نور الشمس ومن دخل الكهف
كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا ورد النار يستطفئ النار وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ
نورك لهبي وهم في فجوة منه في متسع وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل مضرة ويراعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم فتلك
يحتمل ان يراد شمس الروح او المعرفة والى لائية اذا طلعت من افق الهداية واشرقت في سماء الواردات وهو حالة السكر بغلبات
الوجد لا ينصرف في حال طلوعهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت سكنت تلك الغلبات وظهرت حال الصحو
لا تلتفتهم اي دائما الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل ينحرف عن الجهتين الى الوحدة في حالة فناء وفراغ عما
يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا متصرفين في امور الدنيا ومن يرونهما لانهم يتصرفون فيها لا لحظ الحق لا لحظ النفس او تحسبهم
ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا متصرفون في امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويمطرون
وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم في التسليم لمقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين
يدي الغسال وفي الاية دلالة على ان المريد الذي يربيه الله بلا واسطة المشايخ تتكامل امره في ثلثمائة وتسع سنين والذي
يربيه بواسطتهم يتم امره في اربعينات معدودة ولهذا الكون ثمرة السابقين الذين ثمرة الجبال وفي قوله وكلبهم باسط
اشارة الى ان كلب نفوسهم نائمة معطلة من الاعمال التي بها منية القلوب والانهاج يعني ان هذا النوع من التربية من قبيل القدر

الالهية التي اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم في جميع الاحوال وتحرسهم عما يعتريهم وللملئت منهم رعبا
لما يشاهدوا عليهم من اثار الانوار المهيبة ولتجلي جلابيب الهيبة والعظمة التي ألبسهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام الوصال
قصيرة فلما راوا انهم في دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم
فمن العجب انهم ما احتاجوا الى الطعام مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي
يطعمني ويسقيني فلما رجعوا من عند الله الحق الى عندية انفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسماني اي كلما اطفنا لما رجعوا الى العالم
الجسماني تمثلوا من جمال الله ... وتوسلوا الى تلك اللطافات بلطافة الاغذية الجسمانية وركاتها ولا يشعرن بكم
احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوك ليعلموا ان وعد الله باحياء القلوب
الميتة حق فلله الامر فيما اظهر وابدى او استر واخفى سيقولون ان القوى والادراكات الاصلية للانسان ثلاثة الحيوانية
والطبيعية والنفسانية التي منشاؤها القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هي الحواس
الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هي الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعاني والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم
هو النفس المدركة للكليات قل ربي اعلم بعدتهم لان القوى الباطنة والظاهرة وانا عقلها وغاياتها لا يعلمها الا الله سبحانه
ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل

واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هويه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها
من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها
على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت
اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو
يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد
هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة

ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما

شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من

جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا

فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على

عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم

مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما

تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة

الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا

القراءة وفجرنا بالتخفيف سهل ويعقوب وكسها حمزة وعلي له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب ابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحالين قتيبة وروح ابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الف واتفقوا على الالف في الوقف ترن انا مفتوحة الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يؤتين بالياء اليزيدي عن قتيبة غورا بضم الغين وكذلك في الملك البرجمي الباقون بفتحها ولم يكن له فئة بالياء حمزة وعلي وخلف الاخرون بتاء التانيث ونحو الولاية بكسر الواو حمزة وعلي الحق بالرفع ابو عمرو وعلي الاخرون بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف

الوقوف من كتاب ربك لاختلاف الجملتين ملتحدا عنهم لان ما بعده يصلح حالا او استفهاما بحذف الالف لا لان حال العتاب فرطا فليكفر لان الامر للتهديد بدليل انا اعتدنا ناراً لا لان ما بعده صفة سرادقها الوجوه الشراب مرتفقا حملا لا احتمال كونه او لئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك الثواب مرتفقا زرعا شيئا للعطف نهرا لا للعدول تمرا نفرا لنفسه لاتحاد القائل بلا عطف ابدا قائمة لان ما بعده شرط منقلبا رجلا لتمام الاستفهام احدا ما شاء الله لتمام المقول الا بالله لابتداء الشرط المحذوف جوابه مع اتحاد القائل والمقول ولدا لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط طلبا احدا منتصرا وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدأ بهنالك اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق على القراءتين عقبا الرياح مقتدرا زينة الحيوة الدنيا لتضاد الجملتين الموصل الباقي مع اتفاق الجملتين املا

التفسير لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه صلعم ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا بما انزل عليه ويحتمل ان يكون اتل امرا من التلو لا من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليك بسبب اللزوم نحو لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده وليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به بركة قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فيضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الاية وامره في هذه السورة بحبس النفس معهم ومراعاة احوالهم بقوله ولا تعد عيناك فلا جاز الامام لم يقل ولا تعد عيناك عن غداة لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل

ولا تقتحم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء وحتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم ويؤمن اعقل الذاكر كما تجرسة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والفضل الى ايجاد الغفلة عن الشي لا يتصور الامع الشعور بذلك الشي لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشي في نفس الامر نتيجة لشي ان يعتنى بكونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع بل يبقى متوقفا متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تاملت وجدت حال الاغنياء المتكبرين بخلاف حال الفقراء الوضيع لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله وطلب رضاه فاقبلوا على الحق وتخلوا عن الخلق والاغنياء تعاموا ضوءا عن المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى فبقوا في تيه الجهل والعمى فانما يجب طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لو كان من ترك الايمان احترازا من مجالسة الفقراء كان ايمان يجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن ابن هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق حصل ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وانما حذف المعلل فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على امر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فينتقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار وفي صحيفة هذا التخيير دلالة على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت تعالى للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار يطيف بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقيل يغاثوا بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل في حديث مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح او ضرب من القطران وصيغة الاستغاثة اما الطلب الشراب كقوله فسقوني غيث ابنه واما الدفع الحر ولاجل التبريد لقوله حكاية عنهم ان افيضوا علينا من الماء وبهدى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد يفسر بحديث له سرابيلهم من قطران عن النبي صلعم هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب ذلك لان المقصود من الشراب ترطيب الاحشاء وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها ومنه المرفق لانه يتكأ عليه فاكتفى الله هذا المثل قوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يقال معنى ارتفق انه نصب مرفقه ووضع به خده كعادة المغتم وقال ابو ثوبان ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا للرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الاية فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا فاولئك خبر ثان او كلاهما خبرا لتنافيهما الاجر المبهم فعنى العموم في من احسن يقوم مقام الرابط وحذف والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قدمر في سورة التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس الستر ولم يسم فاعل يحلون للتعظيم وهو الرجل وعلامة الملائكة تاذنوا وفي من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن واساوير اهل الجنة بعضها ذهب لهذه الاية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ لقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس الستر بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبرك وقيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة الى ان الحلي تتفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استحقوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على السرر والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالحجلة اما السرير وحده فلا يسمى اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بحسبهم وحشمهم واموالهم واصنافهم ويتعززون على فقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار

كلة

لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين
وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن
اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال
اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور
ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالالف فتصدق به ثم اصابته حاجة
فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل للاخوين من بني مخزوم
مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن الاشد زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد
الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقد قال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعناه جعلنا النخل
محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولاسيما المثمرة منها وخاصة النخل
اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا فيها انهما جامعتان للاقوات والفواكه وفيه انهما مع سعة اطرافهما وتباعد اكنافهما لم
يتوسطهما بقعة معطلة وفيه انها تاتي كل حين بمنفعة اخرى من اصلة متشاكلة وكل منهما متعقبة بوفاء الثمار
وتمام الاكل وآتت محمول على لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد
ههنا وفجرنا من قرأه بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأه بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد في وسطهما فهو
كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة او بالسكون
وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو
عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض
ومن اسباب التمتعات كيف شاء فالمحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين ينفرون
بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كان اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويفاخره بما يملك من المال دونه وذلك قوله تعالى ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد التثنية
انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما
قلت لا يبعد ان يكون قد دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة يدل على ذلك توحيد
الضمير على اكثر القراءات في قوله لاجدن خيرا منها واما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه فلانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها
وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر مقدورات الله كان واضعا النعم في غير موضعها على ان نعمة
الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى عكس الكافر القضيتين وزعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال
قائلا ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر
المحسوس وادعى غلبة الظن عليه بامتناع الشيء مع قيام الدلائل العقلية والحسية على امكانه ووجود الدلائل الشرعية
على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا كما يزعم صاحبه ان له الها وانه سيرد اليه
وجد خيرا من جنته في الدنيا كانه قاس الغائب على الشاهد او ادعى ان النعم الدنيوية لن تكون استدراجية اصلا وانما
تكون استحقاقا وكرامة ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجعا تلك وعاقبتها لكونها باقية ثم عكس حكم هذه لكونها فانية
حسنا او في اعتقادكم قال بعض العلماء الرد يقتضي كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي على كره جنتي هذه التي
اظن انها لا تبيد ابدا الى ربي ولم يسبق مثل هذا المعنى في حم فقال هناك ولئن رجعت الى ربي قوله اكفرت زعم الجمهور
انه دلالة انه حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا بالله ايضا بل مشركا لقوله بعد ذلك يا ليتني لم اشرك بربي
احدا او لقول صاحبه معرضا به لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه
لاحتمال ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى المادة
البعيدة وقوله من نطفة اشارة الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا تمييزا ولعل السر في تخصيص الله سبحانه في هذا المقام بهذا الوصف هو ان يكون دليلا
على وجود الصانع اولا لان الاستدلال على هذا المطلوب بخلق الانسان اقرب الاستدلالات وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث

لان الذي قدر على الابتداء كان اقدر على الاعادة وفيه انه خلقه فقيرا لا غنيا فعلم منه انه خلقه للعبودية والافتقار لا للفخر والاستكبار
ثم استدرك بقوله لكنا هو الله ربي كانه قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة بعد القاء حركتها على نون
ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر للشان والمجموع خبر انا والراجع
ياء الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف ولكن قراءة ابن عامر جيدة
بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتحضيض وفعله قلت واذ ظرف وقع في البين وما شاء الله
الخبر مبتدأ محذوف او جملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله او اي شيء شاء الله كان استدل اهل السنة
بالآية في انه لا يدخل في الوجود شيء الا بامر الله ومشيئته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا مما هو فعل
العباد والجواب ان هذا التقدير يخرج الكلام عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء
الله من عمارة هذا البستان ويبيده فهو له لا قوة الا بالله اي ما قويت به على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وزيف
بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان والتحقيق انه لا قوة لاحد على امر
من الامور الا باعانة الله وقد روي عن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه
الآية حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامور الى مشيئة الله اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل فانا فصل
واقل مفعول ثان ومالا وولدا نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر
كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا اي وقع في حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب
ما كسبت وقيل هو جمع حسبانة وهي السهام القصيرة يعني الصواعق فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها
زلقا لملاستها ثم لتكون غورا كلاهما وصفا بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما توقعه المؤمن
فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه واصله من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح
يقلب كفيه يندم اي يندم على ما انفق فيها لان النادم يفعل كذلك غالبا كما انه يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي
سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقد مر في البقرة في قصة عزير وقوله يا ليتني لم اشرك
تذكر لموعظة اخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قدمنا من انه كان جاهلا بالله ولهذا كان عابد صنم ومن ذهب الى انه جعل كافرا
لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اثبت لله شريكا في اعطاء العزة والغنى او انه
لما عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا لخلقه في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على
الشرك ورغبة في التوحيد المحض ولكنه رغب في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه
مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم تكن له فئة طائفة ينصرونه من دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر علم ان
الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت وفي المقام الولاية الحق لله او الولاية لله الحق
والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجئ اليه كل مضطر
يعني ان قول الكافر يا ليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا او جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة
الى الآخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر قط
ثم ضرب مثلا آخر لجبابرة قريش فقال واضرب لهم الآية وقد مر مثله في اوائل يونس انما مثل الحياة الدنيا كماء ومعنى
فاختلط به النبات بسببه وقيل معناه روي النبات وحرف لا ختلاط الماء وذلك ان الاختلاط يكون من الجانبين
والهشيم ما يهشم ويحطم والذر والتبن والاذهاب تقول ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا اي نسفا الا
وكان الله على كل شيء مقتدرا من تكوينه اولا وتنميته وسطا واذهابه آخرا وكما ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر
في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل ان يبتهج به
[illegible] القاعرين الكلية خصصها بصورة حزينة فقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
وهي اعمال الخير التي تبقى ثمرتها خير عند ربك ثوابا اي تعلق بها خير املا لان الجواد المطلق افضل مسؤول واكرم مأمول
نقل عن الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه له عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار
بكونه مبدأ للافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي التكبير اذعان لعلة
عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قال قتادة التأويل [illegible] على

في الدنيا او في الآخرة جنة [illegible]

نفسك كما اوحي اليك من كتاب ربك في الازل لا مبدل لكلماته الي الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفي في غداة الازل الي عشي الابد فانهم مجبولون علي طاعة الله كما ان النفس جبلت علي طاعة الهوي وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب احوالهم نصرت بنيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نار اهل القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني سرادق العزة لهم كالمهل كلما هو لاهل اللطف اسباب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا لصعوبة الامن وشلق الغلق حتي يشوي الوجوه اي حرقت مواد التفاتهم الي عالم الارواح وفسدت استعدادهم فيبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من اساور التخلية بالاساور اشارة الي ظهور اثار الملكات عليهم وقوله من ذهب تنبيه الي انها ملكات مستحسنة معتد له لا تستحيل ويلبسون ثيابا بانيه ان انوار العبادات تلوح عليهم وتتمثل بهم وقوله خضرا اشارة الي انها انوار قاهرة من سندس اشارة الي ما لطف من الرياضات واستبرق الي ما اشتق منها متكئين فيها علي الارائك لانهم فرغوا ما لطفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات ونفي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين بماء الهوي والدنيا من اعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوي البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره اي يجاذب النفس والقلب انا اكثر منك مالا اي سبلا واعز نفرا من اوصاف الذميمات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا علي وفق الهوي لاجدن خيرا منها لانه غير بالله وكرمه فلا جرم يقال له ما غرك بربك الكريم هلا قلت ما شاء الله اي انصرف في جنة الدنيا كما شاء الله علي ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كماء انزلناه هو الروح العلوي الذي انزل الي ارض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما تلاشت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون حاله خلاف روح ادركته العناية الازلية فبعث اليه دهقان من اهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتي يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما بقي منك وبقي بربك والله حسبي

ويوم نسير الجبال وتري الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ۵ وعرضوا علي ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ۵ ووضع الكتاب فتري المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ۵ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ۵ ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ۵ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ۵ وراي المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ۵ ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا ۵ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم الا ان

تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا ۵ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ۵ ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا علي قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الي الهدي فلن يهتدوا اذا ابدا ۵ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ۵ وتلك القري اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ۵

القراءة تسير الجبال علي بناء الفعل المجهول برفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الاخرون علي بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهدناهم يزيد الاخرون ما اشهدتهم وما كنت علي الخطاب يزيد ابن ديردان عن ابن يزيد الباقون علي التكلم ويوم نقول بالنون حمزة الباقون علي الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيي وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام

الوقوف بارزة لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احدا للابتداء مع العطف صفا للعدول والحذف اي فقال لهم لقد جئتمونا اول مرة لان بل قد يبتدئ به مع ان الكلام متحد موعدا احصيها لاستيناف الواو وتمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا احدا الا ابليس امر ربه عدوا بدلا انفسهم عضدا موبقا مصرفا شيء جدلا قبلا ومنذرين لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هزوا يداه وقرا ابدا الرحمة العذاب موئلا موعدا

التفسير لما بين خساسة الدنيا وشرف الاخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوالها وفيه رد علي اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد علي فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطف علي واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل لقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا انه بني علي احدي القراءتين لم يسم في الاخري وتسييرها اما الي العدم لقوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا واما الي موضع لا يعلمه الا الله وتري الارض بارزة لانه لا يبقي علي وجهها شيء يسترها من العمارات ومن الجبال والاشجار واما انها برزت ما في باطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا اي بارزا ما في جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلومة حكما فلم نغادر منهم احدا من الاولين والاخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والتركيب يدل علي الترك ومنه الغدير لترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال السيل ان يذهب بالماء كله ولا يخفي ان اللائق بحال رب العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان قد جاء علي علة محكمة وفيه تدارك الشبهة في قوله وعرضوا علي ربك دليل علي انه سبحانه في مكان يمكن ان يعرض اهل القيمة وكذلك قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تعالى نشبه ذو بهم في الموضع الذي يسالهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه وبالمجيء اليه كما يعرض الجند علي السلطان وانتصب صفا علي الحال اي مصطفين ظاهرين تري جماعتهم كما يري كل واحد لا يحجب احد احدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلا اي اطفالا وقيل صفا اي قياما ومنه في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال يشبه ان يكون الصف راجعا الي الظهور والبروز ومنه الصفصف الصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر في الانعام اوجه التشبيه في قوله كما خلقناكم انهم يبعثون عراة لا شيء معهم اما المراد بعثناكم كما انشاناكم وزعمهم ان لن يجعل الله لهم موعدا اي وقتا لانجاز ما وعدوا علي السنة الانبياء اما ان يكون حقيقة واما لان افعالهم تشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اي جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسي وهو ان يوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال واما عقلي ومعناه التمثيل والاعتبار فتري المجرمين مشفقين خايفين مما في الكتاب لان الجاني خايف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعني النداء في يا ويلتنا قد مر في المايدة في قوله يا ويلتي اعجزت وقيل له صغيرة او كبيرة صفتان للهيئة او المعصية او الفعلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصي الصنفين فقد حصر الكل

وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك ان تلك الصغائر هي التي جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس
الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وخبط في الكشاف ان
يريد وانما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث في المسئلة اسلفناه في تفسير قوله في سورة النساء ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه فتذكر ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف مثبتا فيها او وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم
ولا يظلم ربك احدا استدل الجبائي به على بطلان مذهب الاشاعرة في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب آبائهم فان ذلك ظلم
والجواب ان الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه قالوا الوجه ان له بحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض
عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالناس في القيمة على ثلثة بيوسف وايوب وسليمان فيدعو الملوك فيقول له ما شغلك
عني فيقول جعلتني عبدا لآدمي فلم يتفرغ فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدني فيؤمر به الى
النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال شغلني بالبلاء دعي بايوب فيقول لقد ابتليت هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي
ويؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول
شغلني الملك عن ذلك فيدعى بسليمان فيقول هذا عبدي سليمان آتيته اكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي
اذهب فلا عذر لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الخيلاء ومن فيه بشي فذكر قصة آدم واستكبار
ابليس عليه فقال جار الله قوله كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين
كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب اي كونه من الجن سبب في فسقه ولو كان ملكا لم يفسق
لشرف عصمة الملائكة وقال آخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملائكة والنوع المسمى بالجن ثم من
لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان يعني صار اي مسخ عن حقيقة الملائكة الى حقيقة الجن وقد سلف
هذا البحث بتمامه في اول سورة البقرة ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه
لانه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر ولولا ذلك الامر الشاق لما حصل ذلك الفسق فلهذا احسن ان يقال
فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اي فسق عن ترك امره ثم تعجب من حال من اطاع ابليس في الكفر
والمعاصي وخالف امر الله فقال افتتخذونه كأنه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من
دوني وتستبدلونهم بي وقصة آدم وابليس يسمعها قريش من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها
عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد نبيا بئس للظالمين بدلا اي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله به فاطاعه بدل
طاعته قال الجبائي في الآية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد والا لم يتجه هذا الذم والتوبيخ وعورض بالعلم
والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو النخوة والعجب
والترفع والتكبر وهذا شأن ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم او العمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء
الزمان فانه مقتد بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسأل الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقائد اهل الشرك
وبطلان طريقهم بقوله ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم والاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا شركاء لي في خلق السموات
والارض وفي خلق انفسهم يعني لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض المشاركين فيه كقوله ولا تقتلوا انفسكم
لامكن ان يكونوا شركاء لي في العبادة لكن اللازم المساوي منتف فالملزوم مثله ويؤيد هذا التفسير قوله
وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم عضدا اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير
للمشركين الذين التمسوا طرد الفقراء المؤمنين فالمراد انهم ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم اقترحوا
عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى نقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد
ان هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق
العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم عند الله وشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء
ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان
تعتز بهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وتخويفا للكلام واكثر لهم

يا محمد احوالهم ولحال الفقراء يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اي ادعوا من زعمتم انهم شركائي فاطلبوهم للعبادة قال
المفسرون ان اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الآية انهم كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد ما في آية التشفع لاكم كنو لهم
لا يمكن حسبك كفانا ولا بجعلك املنا وذلك القراء البين والوصل والمراد جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة وفي الكشاف
الموبق المهلك اسم مصدر كالموعد اي جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون
فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى ابن مريم وبالموبق البرزخ اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه
الساعون لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا اي علموا وايقنوا والاقرب ان الكفار يرون النار من
مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم مخالطوها وواقعون فيها في تلك الساعة من غير تاخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من
تغيظها وزفيرها اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملائكة
يسوقونهم اليها ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ومنصوباتهم واجاب عن
شبهتهم بما نور الهم القاسية وضرب الامثال النافعة وحكى اهوال الآخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة
ومع ذلك لم يترك الكفار جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الآية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان
الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد فان الانسان اكثرها خصومة بقوله اكثر شيء كقوله لا لوسيلة وقد مر
في اول الانعام وكثرة جدال الانسان لسعة مضطربه فيا ليت ابح الملائكة الى حضيض البهيمية فلسوله في جانبي التصاعد
والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وقال
في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان بمحمد الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا
هلا بعث ملكا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس ومعناه في هذه السورة ما منعهم عن الايمان والاستغفار الا اتيان
سنة الاولين وانتظار ذلك وعن الزجاج الا طلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق فزاد في هذه السورة ويستغفروا
ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذا قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
وقوم صالح واستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي
رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين اجرى المخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند
نزول عذاب الاستيصال او يعتقدون اصل اصناف البلاء عيانا ومن قرأ قبلا اراد انواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الآية
دلالة على انه لا مانع من الايمان اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر يمنعانه
فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انه انما يرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على
المعصية لكي يؤمنوا طوعا ويبقى انه مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا به الحق من احكام
القدم فنحو انه لا قبلنا واتخذوا آياتي وما انذروا اي الذي انذروه من العقاب والذم هزوا موضع استهزاء فقال جار الله
جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه اي بالقرآن بدليل قوله ان يفقهوه فتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر
في عاقبتها ولم يتدبر في جزائها متمسك القدرية كما ان ما في السجدة ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار
الاحياء الذين ايمانهم متوقع بعد اي ذكروا فاعرضوا عقيب ذلك وما في السجدة في الكفار الاموات بدليل قوله ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اي ذكروا مرة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع
رجاء ايمانهم وقوله انا جعلنا وقد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا متمسك الجبرية وقلما يخلو في
القرآن دليل لاحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق الآخر فهذا نشأ ابتلاء من الله ولعله اراد بذلك اظهار معرفته
ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم لاهل مكة الذين امروا في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والموعد يوم بدر ولا يبعد ان الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيمة
والموئل الملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى انما ذكر لفظ المبالغة
في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال النفع وقدرة الله تعالى تتعلق بالاول لانه ترك مضار
لا نهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اقول هذا فرق دقيق لو ساعده النقل على ان قوله
ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق
القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لانه معدوم والله منزه متناهية لانه ترك في ذلك ان المبقى والمتروك ثم اشار الى قوله

بكونه

الا ولين اعتبار الجزهم فقال تلك القرى فاسم الاشارة مبتدا وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم او مكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف اي وتلك اصحاب القرى اهلكناهم ويحتمل ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان اهلاكهم او لاهلاكهم ابتدئت هلاكهم موعدا وعدا ابدئت لا ابتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم يدع ان يضرب له وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك **التاويل** ويوم نسير الجبال وهي لا بد ان الجامدة عن السلوك وترى ارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا الكل نوبة ولكل جوهر مرتبة تليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة على صفة الفطرة وقيل الانبيا في صف والاوليا في صف والكافرون والمنافقون في صف الاخر لا يعاد بصغيرة هي كل انصرف بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات والكبيرة هي التصرف في الدنيا على حبها فحب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم لدي لا اشهدها اولياي كما قلت سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ورأى المجرمون النار في الدنيا اسباب النار من الشهوات والاثام فوقعوا فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا اراد النار في الاخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا لما يعيشون يموتون وكما يموتون يبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا كما نراه يجادل في التوحيد وآخر في النبوة ومرتين الاصول ومرتين الفروع ولهذا كثرة المذاهب والاديان والملل والنحل وسائل الصواب من ملته وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم اسباب الهدى ويستغفروا ربهم ان كانوا مذنبين الا ان يأتيهم سنة الاولين من الانبيا والاوليا والمومنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حق النبي صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك او يأتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

وإذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا ۝ فلما بلغا مجمع بينهما
نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا ۝ فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا ۝ قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا ۝ قال ذلك ما كنا
نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ۝ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما ۝ قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ۝ قال انك
لن تستطيع معي صبرا ۝ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ۝ قال ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا ۝ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه
ذكرا ۝ فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا ۝ قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ۝ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا ۝ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لقد جئت شيئا نكرا ۝ قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ۝ قال ان سألتك عن

الجزء السادس عشر

شيء

شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ۝ فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت
لتخذت عليه اجرا ۝ قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه
صبرا ۝ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم
ملك ياخذ كل سفينة غصبا ۝ واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا ۝ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما ۝ واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ۝

القراءة انسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرا على بالامالة مع كسر ها يبتغي بالياء في الحالين ابنا على خط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التوكيد الثقيلة واثبات الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع رفع الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق ونصب الاهل زاكية على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضمونها من الاضافة المفضل لتخذت مدغما ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو الاخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء **الوقوف** حقبا ه سربا ه غداءنا لانقطاع النظم مع صرف اتصال المعنى نصبا الحوت لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا ان اذكره لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال في البحر قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدا موسى عجبا اي اعجب لذلك عجبا والوصل اجود اي سبيلا عجبا او اتخاذا عجبا نبغ قد قيل لتمام قوله احدهما وابتدا فعلهما والوجه الوصل لعطف الفاء وسرعة الرجوع على الفور قصصا لانفصال النظم واتحاد علما رشدا صبرا خبرا امرا ذكرا ه نطلقا لان حتى اذا للابتداء خرقها اهلها لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا صبرا عسرا فانطلقا لما مر فقتله لان قال جواب اذا بغير نفس للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا نصف السبع ونصف الثمن ان الجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا فلا تصاحبني لاختلاف الجملتين عذرا فانطلقا فاقامه اجرا وبينك صبرا غصبا وكفرا للعطف مع الاية رحما صالحا لما قلنا من ربك عن امري صبرا لانقطاع القصة **التفسير** هذه قصة ادرجها الله تعالى للترغيب على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة بنفسها في الافادة اما تنبيها في قصة اصحاب الكهف فقد سال اليهود قالوا ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار

وانما نفعها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب التورية والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القرآن اريد به موسى بن عمران فلو كان المراد هيهنا شخصا اخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور بحجة الاقلين واليه ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى بالمعجزات الباهرة التي لم تتفق لمن قبله منها يبعد ان يرسل بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج الى تعلمها الى من يختص بعلمها اما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون وفيه حديث هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي صلعم وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى عليه السلام في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ومن تركه ما يروى انه صلعم قال لا يقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي قال اهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعم الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى صلوات الله عليهما وروي ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمك الله لا اعلمه انا فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا ازال اسير الى ان ابلغ ويجوز ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر حذف المضاف وهو المسير واقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اي لا اترك المسير والطلب حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا الا ان احد البحرين اذا كان هو موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين ان يقول ما حاصل المعنى الى ان قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضي حقبا واسير زمانا طويلا قال الجوهري الحقب بالضم ثمانون سنة وقال الازهري من ذلك وقيل ان الله تعالى اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه بموضعه بعينه فقال موسى لا ازال امضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم فان طالب العلم يحق له ان يسافر ويتحمل الناس عنا في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين المجمع البحرين اي تحقق ما قال لموسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا لان الاضافة بمعنى في اي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين وهو البيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى منه بكلام موسى او البين بمعنى الافتراق اي البحران المفترقان يجتمعان هناك فيحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اي وصل الى الموضع الذي وعد اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما اتحد في التفاسير وان اكثر صوابا ما الاقرب ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر وقيل

ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضا في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقيل انفجرت هناك عين من الجنة ووصلت من تلك العين الى السمكة قطرة فحيت وطفرت الى البحر ونسيان الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدات المعجزات الباهرة فلم يعتد بحيوة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم علم نفسه اراد الله عز وجل صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء عن الجري وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى او للخضر وقيل السرب هو الذهاب والنفوذ سرب في البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وهو ما يوكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت ومفعوله محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت اليه كانه قال ارايت ما دهاني وقع لي اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت ثم ذكر ما جرى مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكانت اضافته الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له في وجوده سعي ولا اثر وقال القاضي المراد باسناده الى الشيطان انه يشغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله في البحر عقيب النسيان ذكر اولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما انسانيه زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله بالواو وانتصاب عجبا كما مر في سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي اي انه الذي كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما رجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان الاثر اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع من انكل رحمة نبوة فلنا ووصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب وايضا في آخر القصة وما فعلته عن امري اي عن رايي وفعلته بامر الله وذلك مستلزم للوحي وروي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه انه اذا اضعفت القوى الحسية والخيالية بطريق الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جوهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح انوار تشبيهها بمطالعها بسرائر الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف وقال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معلما له فانه اظهر التفوق على نبي حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع حين قال ولا اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل والامة لا يكون اعلى حالا من النبي وان لم تكن الرواية صحيحة بان لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في طلب التعلم الى اخره مراعاة الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والانقياد بمثل افعال الاستاد ما قوام على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا السبب لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكننا متبعون في الصلوات الخمس لنبينا صلعم لانا ناتي بها لاجل انه اتى بها ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال على ان تعلمني مما علمت وفيه اقرار على اعتقاد العلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه جزءا من اجزاء

ما لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والا ستثنى فاعله وفيه إشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم نسبة
بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المنتهية قدم انه مع هذه
المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب العلم فقال على ان تعلمن فدل ذلك على انه لا كمال فوق
كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان
حرصه على ازديادها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا للتعليم ولعلمت اي علما ارشد به في ديني وفيه تعظيم
للمتعلم فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لحصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال لن تستطيع معي صبرا نفى استطاعة الصبر
معه على وجه التاكيد لعلمه بانه يتولى امورا هي في الظاهر منكرة والرجل الصالح ولا سيما النبي الذي يحكم بظواهر الامور شرعا
فلا يتمالك ان يصبر عليها خبرا اي لم يحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالاية على ان الاستطاعة
لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر
لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لا انه لا يستطيع
يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي اي وستجدني غير عاص لك امرا ويجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستانفة معطوفة على مثلها اي ستجدني
ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشك والصبر مامور به دليل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما وجب
عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه تضمن المطلوب والا فسد فاي ادب
في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بدليل الاية
والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى
تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم اذا راى التغليظ على المتعلم مما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم
ان يتلقاه بالبشر والطاعة ثم قال فان اتبعتني فلا تسالني شرط على موسى في اتباعه انه لا يسال عما خفي عليه وجه صحته
حتى يكون الخضر هو المبتدي بتعليمه اياه وباخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة
فلما ركباها يروى ان اهلها قالوا هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء
وقيل عرف الخضر فحملوهما بلا اجرة فلما لججوا في البحر اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم وقيل في
الشي العجيب الذي لا يعرف وجهه انه اسوا احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق
وكل ذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا دونيا ولكنه احب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف
الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة او موصوفة او مصدرية
اي بالذي نسيت او بشي نسيت وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اخرج قوله لا تؤاخذني بما نسيت انه نهى ان يبسط
عذره في الاخر اخرج على المعاريض وهو من معاريض الكلام التي تنفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان
بمعنى الترك اي بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا اذا اردت امره امر المتابعة اي يسر علي متابعتك
بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام جعل قتله من جملة
الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل تعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم
راي الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القران انهما كيف لقياه هل كان يلعب مع جمع
من الغلمان او كان منفردا وهل كان مسلما او كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا ان قوله بغير نفس بالبالغ
اليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما
الطاهرة فالطاهرة عنه قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان
خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو
شر وظاهر الاية تدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل دمه بسائر الاسباب
ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير
اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه ما زاد على ان ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد ههنا لك

لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين
في الثاني المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سالتك عن شي بعدها اي بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني
نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة
حيث القال واصل الحال والاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى
فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها وكان
حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله شعر ليت الغراب غداة ينعب بيننا كان
الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والا
ستطالة فابوا ان يضيفوهما يقال اضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدل على الميل ومنه ضاف السهم عن
الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة
الكرام فكيف اقدم عليه وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى ترك
عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة واشرف
على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل ان يقول لو كان قد بلغ في الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار
فيجب ان يقول انه اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه
روي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه
ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الاية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب فقالوا
يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء فانوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله عن ذلك لان فيه تبديل ينقض
معناه يريد ان ينقض يسرع سقوطه من انقض الطاير اذا اهوى في طيرانه يقال قضضته فانقض ويحتمل ان يكون انفعل من النقض
كاحمر من الحمرة فالنون تكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الاول واستعيرت الارادة للدانات
والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء ونظيره ولما سكت عن موسى الغضب قالتا اتينا طائعين فلما اقام الخضر الجدار وفي ذلك
موسى من الحرمان ومسيس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع
به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المضمون في قوله
فلا تصاحبني او مشيرا الى السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في اي فراق او سبب فراق في بيني
وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرح في تقرير الحكم التي تضمنتها افعاله وتلك الحكم مشتركة في
اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوأ حالا
من المسكين وكان وراءهم ملك وهو مستعمل في الضد والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ
وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبره ياخذ كل سفينة اي صحيحة غصبا ولا يخفى ان
الضرر الحاصل في التخريق اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تصرفا في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا
ابدا لم يكن به باس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من مخصوصات النبي قال جار الله قوله
فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب ولكنه قدم للعناية اي بعيب من بعد اذ هو
مرادي وانا مامور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب
بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد
قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه وكانا يقعان
في الفسق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا يقال رهقه اي غشيه وارهقه
اياه وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد واعلم الخضر بحاله وامره بقتله
لئلا يرتد الابوان بسببه وقيل هذه الخشية الا اذا تاكد الظن بالوحي وقيل المراد فخفنا ان يغشي الوالدين طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوقه او خشينا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوز ان يكون قوله فخشينا
من كلام الله تعالى اي كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبة امره والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب وكان بازاء قول موسى نفسا
زكية والرحم الرحمة والعطف معنى الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا

صدق الله على يديه امنة من الاثم وردي انها ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا وسماه وقيل اسم الغلام المقتول جيسور
وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد قوله اتيا اهل قرية فيه دلالة
على ان القرية لاتنافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة فراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا ولان المفهوم
منه عند الاطلاق هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا يعني المال لايليق باهل الصلاح وعن رسول الله
احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب
مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد كان بين الغلامين
وبين الاب الذي حفظا به سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودايع عنده فيردها اليهم
سالمة قالت العلماء الاشبه ان اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا انه غايب وقد اشرف الجدار
على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب بالارادة لانه في معنى رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي
ورايي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قلتم في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث فاراد ربك
الجواب لان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله تعالى وفي الثاني
افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الضميرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن ارهاق الهم كان
من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤدبين بالعلوم اللدنية
والاسناد الى الله بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك الذي ذكر من الاسرار
تلك الوقايع تاويل مالم تستطع عليه صبرا اي يرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ماذكرنا واصل تسطع تستطع كما في قوله
سانبئك بتاويل مالم تستطع لان التاء حذف لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في الاستعمال
التاويل واذقال
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب
موسى لفتاه فيه ان المسافر لابد له في الطريق من الرفيق وفيه ان من شرطهما ان يكون احدهما اميرا والاخر ماموراوان يعلم الرفيق
عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان لايسام من متاعب السفر حتى يظفر بمقصوده وان يكون تبيك الطلب
شيخ يقتدي به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعند بحر
الحيرة الحقيقية فاذا انبعث نظرة منها على جوف قلب المريد فاتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة
الى ان المريد في اثناء السلوك لو تطرقت اليه الملالة اصابه تعب الكلالة وسولت له نفسه المجاوزة عن صحبة الشيخ
ظانا ان مقصوده يحصل من عزة واسطة الشيخ هيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الا اذا ادركته العناية الالهية
ورده اليه صدق الارادة فيكون لرفيق التوفيق اتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا من سفرنا هذا
الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال بحقيقته ارايت اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت الحوت
القلب وكما كنا نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا من بينهما ان يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجد
عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وفي قوله وعلمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى الملقي على بواطن الاشياء وحقايقها
وهذا النوع من العلم لايمكن نقله وانما يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلايق الجسمانية وقد ذهب موسى
الى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن نقله فبين علم الخضر وبين مقصد موسى كان تباين وتناف فلهذا
قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسايل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر يباين العلم اللدني
وليست من التعلم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الى اخره وفي قول الخضر فان اتبعتني
فلا تسالني الى اخره وجد اصول الشرايط التي شرطها الصوفية للمريد والشيخ مرعية فيها وفي تفصيلها طول وقد اشير
في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكل فعليه بمطالعة كتاب المريد بن للشيخ المحقق ابي النجيب السهروردي تغمده الله
بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة هي سفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن
وهما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد فعله كثير من المحققين لطرد العوام وحذرا من التباهي والعجب اخرقتها
لتغرق اهلها وفي اودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف
المجاهدة حتى اذا اتيا اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلبا فاطعمها

التي تختص بها فابوا ان يضيفوهما باعطاء خواصها كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحايل
بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض ينقطع العلايق فاقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس
كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي اباحزيلا اي لو شئت لصرت على شرف الرياضة
الى افاضة الانوار وقيل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في
عالم الربوبية نسب وسلوك حتى يصلوا الى ملك تحت اطباقها فاردت ان اعيبها في الظاهر لتسلطهم بالاخلاص في
الباطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا لان كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل والخشوع
فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وهما القلب والروح مومنين فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكان ابوهما وهو العقل
المفارق صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر لاجلهما ما ادخر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة
ويستخرجا ما كان كامنا فيهما ۵

ويسألونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا ۵ انا مكنا له في الارض واتيناه
من كل شيء سببا ۵ فاتبع سببا ۵ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما ۵ قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ
فيهم حسنا ۵ قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا ۵ واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له
من امرنا يسرا ۵ ثم اتبع سببا ۵ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ۵ كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ۵ ثم اتبع سببا ۵
حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ۵
قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ۵ قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني
بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ۵ اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين
الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا ۵ فما اسطاعوا ان
يظهروه وما استطاعوا له نقبا ۵ قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ۵ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ
في الصور فجمعناهم جمعا ۵ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ۵ الذين كانت

أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً أفحسب الذين كفروا
أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون
عنها حولاً قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مدداً قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً

القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد موصولة حامية بالألف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمز من غير ألف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون جزاء الحسنى بالرفع والإضافة السدين بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويزيد عن المفضل الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون بفتحهما يأجوج ومأجوج حيث كانا مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل بإدغام اللام في النون علي وهشام خراجاً بالألف حمزة وعلي وخلف الباقون خرجاً بسكون الراء سداً بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد وحمل الباقون بضمها مكنني ابن كثير الباقون بإدغام النون في النون ردماً ائتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الألف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب المفضل يحيى أبو بكر وحماد بضم الصاد وإسكان الدال الآخرون بفتح الصاد والدال قال ائتوني والابتداء بكسر الألف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالإدغام حمزة غير جاني وقرأ أبو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران كما بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة أفحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والأعشى في اختياره دوني أولياء بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وأن ينفد بالياء للغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان

الوقوف القرنين ذكراً ط سبباً ج لما حسناً ط نكراً ه الحسنى ط لاختلاف الجملتين بسراً ه ثم لترتيب الأخبار سبباً ستراً كذلك أي كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل يبتدئ بكذلك أي ذلك كذلك أو الأمر كذلك وقيل أي أحطنا بما لديه من العدد والعدد وكذلك أي لعلنا بقوم سبق ذكرهم خبراً سبباً قولاً سداً ه ردماً الحديد النفخ ناراً لأن قال جواب إذا قطراً لأنه ما بعده وابتدأ إخبار نقباً من ربي لعطف الجملتين وكما له حقا لانقطاع القصة مع اللطف عرضاً سمعاً أولياء نزلاً أعمالاً للفصل بين الاستخبار والأخبار لأن التقدير هم الذين فيجوز أن يكون نصباً على الذم أو جراً على البدل صنعاً وزناً هزواً نزلاً حولاً مدداً واحد لابتداء الشرط مع فاء التعقيب أحداً ه

التفسير لما أجاب عن سؤالين من أسولة اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه وأصح الأقوال أن ذا القرنين هو الإسكندر ابن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا بأسرها إذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة حكي أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر

فبني الإسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات إلى أن قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت من علم التواريخ أن من هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر وجب القطع بأن ذا القرنين هو الإسكندر قال وفيه إشكال لأنه كان تلميذ أرسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله إياه وجب الحكم بأن مذهب أرسطو حق وذلك مما لا سبيل إليه قلت ليس كلما ذهب إليه الفلاسفة باطلاً فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي القرنين أنه بلغ قرني الشمس أي مطلعها ومغربها ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب أنه سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع بالكبش لأنه ينطح أقرانه وقيل رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس أي بقرنيها وزعم الفرس أن دارا الأكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردها إلى أبيها وكانت قد حملت منه بالإسكندر فولدت الإسكندر وبقي عند فيلقوس وأظهر أنه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الأكبر وقال أبو الريحان إنه من ملوك حمير والدليل عليه أن الأذواء كانوا من اليمن كذي يزن وغيره ويروى أن ملك الدنيا أربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة والسياسة الحسنة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحفظه الظلمة من ورائه وعن علي كرم الله وجهه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وأحب الله فأحبه وسأل ابن الكواء وكان من أصحابه ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله أي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبياً لقوله تعالى إنا مكنا له في الأرض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شيء سبباً وظاهره العموم فيكون قد نال أسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وتكلم الله بلا واسطة لا يصلح إلا للنبي وقيل كان ملكاً من الملائكة عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قوله سأتلوا عليكم أي سأقص عليكم أنه وفق الله تعالى وأنزله وحياً والخطاب في عليكم للسائلين من اليهود أو من شيء كان يحتاج إليه وآتيناه من كل شيء من أسباب كل شيء سبباً طريقاً موصلاً إليه والسبب في الأصل الحبل والمراد هنا كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة وذلك أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً أوصله إليه وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً موصلاً إليه وأراد بلوغ السدين فأتبع سبباً وذلك قوله سبحانه فأتبع في جهة سيره إلى المغرب ثم لما أتبع سبباً أي سلك طريقاً أفضى به إلى مغرب الشمس ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه أتبع نفسه سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية أي حارة ومن قرأ بحذف الألف مهموزاً فمعناه ذات حمأة أي طين أسود ولا تنافي بين القرائتين لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية قال حكماء الإسلام قد ثبت بالدليل اليقيني أن الأرض كرية في وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب وأن الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك وأيضاً ثبت أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض مائة وستاً وستين مرة تقريباً فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هنالك أعني في طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربي في الماء كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء وللناظر في الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يجئ أنها تغرب في عين ولا شك أن البحار الغربية قريبة السخونة فهي حامية وهي أيضاً حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الأسود أما قوله ووجد عندها قوماً فالضمير إما للشمس وأما للعين وذلك أن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجبة الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسناً وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال أما من ظلم بالإصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد إلى ربه في الآخرة عذاباً نكراً منكراً فظيعاً يروي صاحب الكشاف عن قتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لأن العذاب النكر بعد أن يرد إلى ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذي القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب فمعناه فله المثوبة الحسنى

جزاءً من قرأ بالرفع اراد فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة او فله ان يجازي بالمثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا اي مما
نامر به الناس من الزكوة والخراج وغيرذلك يسرا اي قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى اقصى المشرق فقال ثم اتبع سببا
اي طريقا واسبابا يبلغ بسفره المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا عن
كعب انه السترهو الابنية وذلك ان ارضهم لا تمسك الابنية وليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية يمنع شعاع الشمس وقد يدفع حرها عنهم فاذا طلعت
الشمس دخلوا في اسراب لهم فاذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش في الهيئة الصدر من احوال اساس الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم
عراة كالزنج وحال كل من سكن في البلاد القريبة من الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت
الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع
الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع
النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم والمفسرون في متعلق قوله كذلك وجوه
احدها كذلك امر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك
والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس
مثل الذي بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هولاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين
والاحسان الى المومنين وقد سبق بعض هذه الوجوه في الوقف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة اسبابه
فقال ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان خلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اي هو من فعله
الله وخلقه فاذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانباري الى انه مفعول به كما يقع
بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي جمهم الله تعالى الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال فقيل
جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا
من ناحية الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل انه راى في المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض
الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه انه بناء من لبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب
وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل الى الباب المحاذية لسمرقند قال ابو الريحان البيروني مقتضى
هذا الخبر ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين الذين
سد ما بينهما وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قريبا قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم او يفقهون غيرهم قولا لانهم
لا يعرفون غير لغة انفسهم سوال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض الى اخره واجيب
بانه كاد نفيه اثبات ولعله فهم مافي ضميرهم بالقرائن والاشارات او بوحي والهام وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل
مشتقان من اج الظليم في مشيه اذا هرول وتاجج النار اذا التهبت ومن تاج الطريق واج العريس ابدلك لشدتهم وسرعة
حركتهم وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر
القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع اما افسادهم
في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه فهل نجعل لك خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله
والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ذو القرنين ما مكني فيه ربي
اي جعلني فيه مكينا ذا امكان من المال واليسار خير مما تبذلون من الخراج نظيره قول سليمان فما آتاني الله خير مما آتاكم فاعينوني
بقوة بالآلة والرجال وصناع وقيل بمال اصرفه في هذا المهم ولا آخذه لنفسي ردما اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق
رقاع ردم بالحديد قطعة قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من زاد اوله في المدنظاهر ومن قرا اتوني من الاتيان
فهو على حذف الجار حتى اذا ساوى بين الصدفين اي جانبي الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان اي افرغ عليه قطرا اصب عليه النحاس المذاب وقطرا
منصوب بافرغ والتقدير آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف من الاول لدلالة الثاني عليه وهذا من جملة ما يستدل به البصريون
في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو اعمل الاول لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ووضع النار فيه
حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما
بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء

وطريقة حمراء قال قد رايته فما اسطاعوا قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الادمي من القرب منه
فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما
استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته لما كثر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين واعاد ذكرها بالاصل تنبيها
على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين هذا السد او هذا الاقدار والتمكين نعمة من الله ورحمة على عباده فاذا جاء
اي دنا مجيء القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرا دكاء بالمد فعلى الوصف
اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا اخر حكاية قول ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية احوالهم وتركنا بعضهم يومئذ
اي يوم حين يخرجون مما وراء السد يموج في البلاد وفي البلاد يركب انهم ياتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا دودا
في انوف الابل والغنم فيدخل اذانهم فيموتون وقيل انه يوم السد لما سدوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق
واليوم يوم القيمة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور من ايات القيمة وتقدم في
ومعنى عرضنا جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا في ذلك نوع من العقاب للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع
عن ذكري عن اياتي التي تنظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او عن القران وتامل معانيه ووصفهم بالعمى عن
الدلائل والايات فاراد ان يصفهم بالصم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا
صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالاية على ان الاستطاعة
مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا فاجيب بان المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اخذ في التوبيخ والوعيد فقال
افحسب الذين كفروا والمراد افظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر ايات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه
اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام انزلت
وسخرات يكون السين فمعناه افكافيهم وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل اقائم الزيدان يريد ان ذلك لا
يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم
بعذاب اما الاخسرين فسعيهم اي ضاع وبطل وعن علي رضي الله عنه انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه ان منهم
اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب والتحقيق انه يندرج فيه كل من ياتي بعمل خير لا يبتني على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري
ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما في عمله من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني
على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك او المراد نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم
وقوله جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ ايات الله واتخاذ رسله محل هزؤ به فتكذيب وتجويز
ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا من التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط
الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن
مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة
عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه
تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا والاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل
جهنم باسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا
مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود اي لا تحول ولا يطلب كونه ولما ذكر
الصنف فيها بحقه ولما ذكر انواع الدلائل والبينات وشرح اقاصيص ... نبه على كمال حال القران والمقاسم لما يمده الشيء
كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات الله وحكمه وفرض ان جنس البحر مداد لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات
ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والمدد تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وروي ان حيي بن اخطب
قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الاية يعني ان ذلك خير كثير
ولكنه قطرة من بحر كتاب الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليه بهذه الاية فانها صريحة في اثبات كلمات
كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على

انه كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية
قلت الانصاف ان نفاد شيء قبل نفاد شيء اخر لا يدل على نفاد الشيء الاخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الاية الا كثرة كلمات
الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الاية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر
ان كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على
البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا انه امتاز منهم بالايحاء اليه وشُرّف به تنويها ومباينة ثم بيّن ان الموحى هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص
هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة ان يدعوا الى التوحيد ثم ان يدعوا الى العمل
الصالح المقرون بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجوا اي يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة
وبمعنى لقاء الثواب او العقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك
بالعبادة هو ان لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني
اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه ويروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية
قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به وعن
في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ **التأويل** لما بين ان للانسان كمالا مكنونا وكمالا مدفونا يمكن له تحصيله
بالتربية والارشاد اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين اعني
جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لانه اوتي التمكين في الارض واوتي اسباب كل شيء في عالم الوسائط والاسباب فبلغ
بصيرا كاملا في نفسه مكملا لغيره فاتبع سببا من اسباب الوصول الى العالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها
تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع والاجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته
واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بتقديره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه
عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته او يرد الى الله فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد العناء والمجاهدة ثم اتبع سببا الوصول الى عالم
الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق
السلوكية الجسدانية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم المعيشة والتمدن والجولان في تحصيل اسباب قوام البدن وتمامه على وجه
الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا هم العوام الذين هم اهل الجهل البسيط
ان ياجوج وماجوج القوى والطبائع مفسدون في ارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا
هو ترك الوجود وبذل الموجود فاعينوني بقوة بهمة صادقة وعزيمة صادقة اتوني زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات
ثابتة او تلوينات كالحديد في الصفاء وكالجبال الراسيات في الثبات حتى اذا ساوى بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد
قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتاثير حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال اتوني
افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيمياء الاخلاص النافذ في سويداوات القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا
يعلوه ما سوى الرحمن وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

الجزء ~~الثالث~~ الرابع

كتاب تفسير النيسابوري

للعلامة نظام الدين

قد انتظم في سلك ممتلكات أقل خلق الله العبد الفقير
[illegible] جمال الدين بن [illegible] علي

سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية
وحروفها ثلثة الاف وثمانمائة وكلماتها تسعمائة واثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا ۝ إذ نادى ربه
نداء خفيا ۝ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم
أكن بدعائك رب شقيا ۝ وإني خفت الموالي من وراءي وكانت
امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ۝ يرثني ويرث من آل
يعقوب واجعله رب رضيا ۝ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۝ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت
امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۝ قال كذلك قال ربك هو
علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ۝ قال رب اجعل لي
آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ۝ فخرج على قومه
من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ۝ يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناه الحكم صبيا ۝ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ۝ وبرا
بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ۝ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا ۝

القراءة

كهيعص بامالة الهاء فقط ابو عمرو وكهيعص بالامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقراءه على غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرا ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب الباقون بفتحهما صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعه والخزاعي عن البزي

وقرا زمعه عن ابن كثير والخزاعي عن البزي مثل عصاي بن شنبوذ ورث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون بالرفع فيهما نبشرك ثلاثيا وكذلك في آل عمران حمزة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقنا كحمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد في انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة

الوقوف كهيعص كوفي ۝ زكريا ۝ لجواز تعلق اذ بذكر ربك لاحتمال انتصابه باذكر محذوفا خفيا ۝ شقيا ۝ وليا لمن قرأ يرثني والجزم لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لا لان ما بعده صفة غلام والاستئناف ليس بقوي سميا ۝ عتيا ۝ كذلك ۝ بناء على ان التقدير الامر كذلك شيئا ۝ آية ۝ سويا ۝ وعشيا ۝ بقوة ط لا للعطف اي آتيناه الحكم وحنانا ما عطف عليه وزكوة تقيا ۝ عصيا ۝ حيا ۝

التفسير حروف التهجي في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الوقف عند اللغويين لانه قد يلحق باخره ياء وبذلك لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة احدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد مر في اول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والياء عالم والعين عالم او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يستند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمت على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ بنصبهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرأ ذكر بلفظ الماضي مشددا اي ذكر رحمة وعبده نصب على المفعولية وبحذف الجزء وعبده مرفوع على الفاعلية وقرأ ذكر على الامر وهي قراءة ابن يعمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لانه كان رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته لانه طريقته في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به فكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفي اخفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية ولهذا فرح الحق بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته ومنها انه اسر من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وزمانه تارات ولعله في باقي ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان نداؤه نداء بليغا في حكاية زاويته قال قال رب اني وهن العظم مني الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لترجيح مزيد التقرير فصار ضعف بدني وشاب رأسي ثم ترتيب لكنايته في الابتداء التفصيل الحكم يحصل لنا وهنت عظام بدني ثم ادخلت ان لاجل نفي الشك فصار اني وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني لانك اذا قلت اني وهنت العظام افاد ان عظاما ما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم ترك توسط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام به فحصل السر ان الاعضاء الرئيسة كالمخ للدماغ والنفس للقلب وفي الاعضاء الاخر اني وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون الخير اي سائر الاعضاء الرئيسة كالمخ للدماغ والعرق للقلب وفي الاعضاء الاخر وايها القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب رأسي وبيان الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر وهو ان يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الحسنة الى ما هي ابلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونه ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الكلي كما لو قلت اشتعل بيتي نارا امكان اشتعال النار في

يبنى ومنها الاجمال والتفصيل الواقعان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الكلام بهذه اخرى حيث استعمل
الراس شيبا التوخى منها التعريض بالابهام ثم البيان على نحو هذا العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالته
تادية المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحوالتين مع ان بنا الكلام على الاختصار فالرب بحذف حرف النداء وياء المتكلم تناسب
الاختصار في لفظه واما الحسنات في هذا المقام لان هذه الاية كالعلم فيما بين علما المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه
من الاستجابة فقال ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكى ان محتاجا قال لكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل
بنا الينا وقضى حاجته ثم العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك وعلم
ان زكريا عليه السلم قدم على السؤال امور ثلثة **الاول** كونه ضعيفا **والثاني** انه تعالى لم يرد دعاءه **والثالث** كون المطلوب
بالدعا سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة
وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب ومن ههنا من تقدم فخبرانه كالولد والجار
ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الي
صلاح الشرع اقرب كان متعينا المحبوبة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا متعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف وهو اي الموالي
الذين يخلفون من بعدي ومعنى الولاية في الموالي اي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدي كان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على
احدهما وعليهما بسبب لحوق القراين والامارات التي ظهرت له من صنايع اهل الجور واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار
عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كسله الوارث والمراد الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت الموالي بتشديد الفا
وعلى هذا معنى ورائي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين والامانة بوظايفه والظرف متعلق بالموالي ومعناه قدامي والظرف متعلق
بخفت اي درجوا ولم يبق من يعتضد به ثم صرح بالمسئلة قايلا فهب لي والكلام بقوله من لدنك لي وليا صادرا من عندك مصافا الى اختراعك بلا
سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة من قوله يرثني ويرث الجزم فيهما هو جواب الدعاء ومن قراه برفعهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه
لم يوهب من صفة للولي كيحيى قيل زكريا واعترض صعده وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال
يحيى يرثني لانه يوثني لبلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض بانه حمله على الاستيناف يوجب الاخبار علم بيقع وكذب
النبي بالمنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بانه عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب واقول الاعتراض بالحقيقة بعد باق
لان المعنى يؤول الى هب لي وليا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة اي هب لي وليا اخبر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم
الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة ال عمران ان النبي لا يطلب في الدعا الا الاصلح فيما طلبه
ويصرفه الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو الحقيقة بمطلوبه ويمكن ان يقال لعل الحق انه قد تحققت من حي وان قتل قبل زكريا وذلك
بان يكون قد بقي منه كتاب او شرع معمول به بعد زكريا ايضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها
الاولى عن علي وجماعة وارث اي يعقوب بالتنوين وبوارث ويسمى التجريد في علم البيان فقيل هو ان يجرد الكلام عن ذكر الاول الذي تقول
جاني فلان نجا في رجل لا تريد به الا الاول ولكنه كانه ذكر اسمه في الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه واقول الاشد ان يكون معنى التجريد
هو انك تجرده عن جميع الاوصاف الباقية للرجلية وكذا في الاية كانه جرده عن صفات الوارث سيما بين ها واختلف الفسرون
في انه طلب ولدا يرثه او طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله في ال عمران هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في
سورة الانبيا رب لا تذرني فردا وجه المخالفة انه لما بشر بالولد استعظم وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد وما
استعظم ذلك والجواب ما مر في ال عمران واختلف ايضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعن ابي
ايضا ان المراد يرثني المال ويرث من ال يعقوب النبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل

مستعمل في المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفي العلم واورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء ومحمد الاولين مادون
انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه اراد بالوراثة المال وكذا قوله صلى الله عليه
وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ان النبوة لم يحتج الى قوله
واجعله رب رضيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا رضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده
فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه رضيا ان لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء في حق يحيى وقد تم الحديث هنالك
لا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على جميع الانبياء كلهم ولعل لبعضهم فضايل اخر يختص بها احتجت الشافعية بالاية في مسئلة
خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به من ضروب الالطاف فيختار ما يصير به رضيا عنده وزيف بان ارتكاب المجاز على خلاف
الاصل وبان فعل الالطاف واجب على الله وطلب ذلك بالدعا والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الاية هو
يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليهم السلم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب واما زكريا
عليه السلم فقد كان من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحاق وكانت النبوة في سبط يعقوب
وهو اسرايل عليه السلم وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن
مقاتل ان بني ماثان كانوا رؤس بني اسرايل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله
رب اني وهن العظم مني ومن قوله رب اني يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في ال عمران فنادته الملائكة وحوى بعضهم
الامرين واختلفوا في علم السمي فقيل اراد انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل اراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه جعل
سيدا وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى قبل دخوله في الوجود وولد
بين شيخ فان وعجوز عاقر ولا نظير له في هذه الخواص قال بعض الحكما القول الاول اظهر لان الثاني من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا
لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا الا بعلمه بمجرد كونه تعالى لا سمي له لا يقتضي عبادته فيقول السمي ههنا كالشريك المراد
بالمثل والنظير ويمكن ان يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا واحد سمي لصاحبه قلت وقريب منه اطلاق اللازم
وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى احيى به عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان
والطاعة ومن كان دينا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء احياء
وقيل لان الدين احيي به لان الله ذكرناه سالاه لاجل الدين قوله وقد بلغت من الكبر عتيا اسم لاجل الكبر والطعن في السن العالية
لمزيد التعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو الجساوة في المفاصل والعظام يقال عتا
العود وعسا اذا يبس بطول الزمان الى اليبس سؤال انه قال في ال عمران وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وههنا عكس الترتيب فجوابه السور
واجيب بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان ذلك ورد على الاصل ومن تقديم نقص نفسه وههنا رعي الفاصلة قال الامر كذلك نصب قال
ثم ابتدا قايلا قال ربك فحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الانعام على هين ويحتمل
ان يكون اشارة الى ما قاله زكريا اني يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام ابان تجعلنا وزوجتي شابين او بان تتركنا على الشيخوخة واجيب
بقوله كذلك اي يهب الولد مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فعل من هان الشي يهون
اذا لم يصعب ولم يمتنع من المراد ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشي او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تتالف بعد وفيه نفي
استغراب ذكر بالان خلق الذات لم تعتبرها في اطوار الصفات ليس اهون من تبديل الصفات ومن احداث القوة للولادة في زكريا
وصاحبته بعد ان لم تكن قال رب اجعل لي اية وقد مر تفسيره في ال عمران الاية قوله سويا حال انه صفة لليالي ايتامة كاملة والا
على انه صفة زكريا اي وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم فخرج على قومه من المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلوة

والعباده او يتنفل فيه وقيل كان موضعا ينفرد فيه وكانوا لا يدخلون للصلاة الا باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد للناس بدليل اوحى
فى النعمان الاثر او عن ابن عباس كتب لهم على الارض وان هي المفسرة وسبحوا اى صلوا او على الظاهر وهي قوله سبحان ليس عن
ابي العاليه ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم
فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته فقهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي
يجوز ان يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اى التورية لانها المعهود حينئذ ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الان
كقول عيسى انى عبد الله اتانى الكتاب اى التورية لانها المعهود والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى
وهو القيام بواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اى بجد
وعزيمة واتيناه الحكم اى الحكمة عن ابن عباس هو فهم التورية والفقه في الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما
للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف من الامور الخارقة كما في حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة
والحنان اصله من رقة القلب ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل ان يراد حنانا منا على زكريا او على امه يحيى
باعتداد مجد الواو وقيل اراد اتيناه الحكم والحنان على عباده كقوله في نبينا صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله
وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة ما يجب عليهم لان الرافة واللين ربما يورثان ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله ولا يخفى انه لا يباعد هذا القول بوجود لفظة منا وعن عطاء انه زكوة تحننا اي تعطفا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن
جريج ان الزكوة عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى وجعلني مباركا وقيل صدقة
اى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم اخبر عما صلى الله عليه وسلم عن جملة احواله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص ولا هم
بمعصية قط وبرا بوالديه اي والذين تلو تعظيم الله ولم يكن جبارا عصيا وذلك ان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والترفع
فى احتشام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق وبتحقيق العبودية للحق قال سفين الجبار الذي يقتل عند
الغضب دليله قوله اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في
ثلثة مواطن هي اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا انه لما كان باذن الله
كان كلام الله قيل ابلغ قال الحيل مع ان المبعوث هو العائد الى حال الحيوة تنبيها على كونه من الشهداء وهم احياء الحالة بما
يجي في قصة عيسى ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى سيموت بعد الفتن ولعل الظاهر انه اراد ويوم يبعث حيا
فوضع الاخص موضع الاعم تأكيدا فقيل السلام عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزي
عليه واما الاخيران فيجوز ان يكون لاجل الثواب قلت اكثر اموره خارق للعادة فيحتمل انه يوجد منه في بطن امه عمل
يستحق الثواب كما يحكى ان امه قالت لمريم وهما حاملان اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك

التأويل

ان زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن العظم عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية
واني خفت صفات النفس ان تغلب وكانت امراتي يعني الجثة التي هي زوج الروح عاقرا لا تلد الا بمعونة من الله فهب لي من
لدنك وليا فاعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي معدن العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس وهو عدو
يرثني ويرث من ال يعقوب اى يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بان تعطيه من تجلي
صفات ربوبيتك ما ترضى به تطيعه ولسوف يعطيك ربك فترضى يحيى لان الله احياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا لان من
الحيوانات ولا من الملائكة لانه هو الذي يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعني قلب عبد
المؤمن وقد بلغت من الكبر اى بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس اية الا تكلم

الناس الا بخطاب الاشارة ولا بلغت الغاية ليلة الى الليالي من تلك المراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا في
هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبيعته على قوم صفات نفسه وقلبه واما بينة فاشار اليهم ان
كونوا سبحوا في سبيل الله معرضين عما سواه اما الليل واطراف النهار بكرة الازل وعشى الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض
الالهي المكتوب لك في الازل بقوة ربانية لا بقوة جسمانية لانه خلق ضعيفا واتيناه الحكم صبيا اذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش
عليهم من نوره وزكوة وتطهيرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب اما بالروح فلان القلب محل قبول
الفيض الالهي لان الفيض نصيب الروح اولا ولكن لا يمكنه امساكه لطافته كما ان الهواء الصافي لا يقبل الضوء وينفذ فيه
واما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا احد اسرار حمل الامانة واما بره بوالده
القالب فهو استعماله على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد في
اصل خلقته ويوم يموت من استعمال بالشريعة ويوم يبعث حيا بالتهذيب والترقي الى مقام السلامة

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت
من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك

امرا سوء وما كانت امك بغيا ۝ فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من

كان في المهد صبيا ۝ قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني

مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ۝ وبرا بوالدتي ولم

يجعلني جبارا شقيا ۝ والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ۝

ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۝ ما كان لله من ولد سبحانه

اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ وان الله ربي وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم ۝ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من

مشهد يوم عظيم ۝ اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في

ضلال مبين ۝ وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة

وهم لا يؤمنون ۝ انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ۝

القراءة اني عبد الله بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني
عن قالون وحمزة في الوقف الآخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه حرف
جر ويجعل لنا الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والباقون بفتحها على انه موصول والظرف
صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخراز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخراز يساقط بياء الغيبة على ان الضمير للجذع
وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب ونصير وحماد والباقون مثله ولكن بتاء التانيث على ان الضمير للنخلة آتاني الكتاب مما الذي فتح
الياء علي وقراءة حمزة بسكون الياء مخففة في الوصل ... في الوقف واوصاني بالامالة علي قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان
بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد **الوقوف** منهم ط ليلا يصير اذ ظرفا لاذكر شرقيا لا
للعطف زكيا ه بغيا ه كذلك ج لما مضى ج لجواز ان تكون الواو مقحمة او معلقة بمحذوف منا ج لاختلاف الجملتين مقضيا ه
قصيا ه النخلة ج لترتيب الماضي على الماضي مع عاطف والاولى ان يكون استينافا منسيا ه سريا ه جنيا ه عينا ج للشرط مع
الفاء احدا لا لان ما بعده جواب الشرط انسيا ج للعطف مع اتيه تحمله ج فريا ه بغيا ج اليه ط صبيا ه عبد الله ط لان الجملة لا تقع
صفة للمعرفة ويمكن ان يحمل على التحقيق فانما ... اينما كنت ص لعطف الكلام حيا ك لذلك والصلاة

لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي ز لتبدل الكلام من الاثبات الى النفي شقيا ه حيا ه عيسى بن مريم ج على النعت او على الحال
ان يراد اقول قول الحق وان يجعل حالا واما في قراءة الرفع فاماله بكونه بدلا من عيسى او يكون التقدير هو قول الحق يمترون
من ولد لا استحالة للتنزيه سبحانه ط فيكون ط لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم ج لان ما بعده مبتدا مع الفاء
عظيم ه وابصر ط لان ما بعده ظرف التعجب مبين ه وسمعت بعض مشايخي رحمهم الله ان الوقف على قوله قضي الامر م لان م
لا اقل من المطلوب لان ما بعده جملة مستانفة ولو وصل لاوهم ان تكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه
التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى ولا ريب ان خلق الولد بين شيخين فانيين اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد
من غير اب فلهذا اخرت قصة عيسى عن قصة يحيى ترقيا في باب التفهيم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان
الازمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشان الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها
القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس في مكان يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى
المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا لا بد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح وفي المفسرين من قال انها كانت
للحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكي تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبرئيل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة
لاجل العبادة وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا
ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت
وجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبرئيل لان الدين يحيا به وبوحيه والاضافة
للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لحبيبك انت روحي فتمثل لها كونه بشرا سويا تام الخلق احسن الصورة وانما مثل لها في صورة
الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرج الروحاني لجبرئيل مثلا انه بالهيكل العظيم واحرى بالصغير غير مستبعد والذين
اعتقدوا ان جبرئيل جسماني جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة فبتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من
التشبه بصورة الانسان ولنذكر امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك
في ان زيدا الذي نشاهده الان هو الذي شاهدناه بالامس قوله ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة
به فاني عائذة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقي وكان يتبع النساء فظنت ان ذلك المتمثل هو ذلك الشخص والمتعوذ
بالله منه وقيل انه ايه ماكنت تقيا حيث استحللت النظر الي وخلوت بي وحين علم جبرئيل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلني لاهب
لك انا او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف الوحي فما وجه قراءة العشرة احتمال ان يكون ذكر
لها منه مجيء من حيث زكريا او زيارتها الحيض او الهاما من الله سبحانه ومن ابتدائه الملك على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق
حتى صح قول جبرئيل لاهب لك قالوا اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والاولى لا استبعاد في تاثير
بعض الاجسام في بعض لخواص خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبرئيل صار سببا في الهبة بالنفخ في الدرع قالت
استبعدت الامر استنزالا من حيث العادة لا تشككا في قدرة الله اني يكون لي غلام لم يقل ههنا رب اما لانها خاطبت جبرئيل واما
اكتفاء بما سلف في ال عمران ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا البغي الفاجرة التي تبغي الرجال عن المبرد ان اصله بغوي على فعول قلبت
الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة وعن ابن جني انه فعيل ولو كان فعيلا بمعنى فاعل لحقتها الهاء خصصت بعد ما
عممت لزيادة الاعتناء بهذا الجزء تبرئة لساحتها عن الفحشاء ولما جرى في اول القصة من تمثل جبرئيل لها بصورة البشر
ظنت انه بشر يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في ال عمران فانها بنيت على الانس والبشارة فيها وقد
قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه القصة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه في

قط من قبل تمسوهن او لمستم النساء وانما يقال لمن لها فجر بها او خبثت بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت لم
هذا من حيث اللغة انه لابد لزيادة قوله ولم اك بغيا في هذا المقام من فائدة بعد ما عرفت ما سبق لنا والله اعلم قال كذلك قال
ربك هو علي هين تفسيره كما مر في قصة زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقته آية للناس يستدلون بها على كمال اقتدارنا
على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان تكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية قد مر مثل هذا في قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ورحمة منا على العباد لان كل نبي رحمة لامته فيه يهتدون
الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضى به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح
واجبة على الحكيم فحملته قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في كمها وقيل
ذيلها فوصلت الفرج وقيل في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله ونفخت فيه من روحي وعلى هذا لا يبعد تقديم ذكر جبرئيل كالصانع و
سبحانه في ادامة قوله لاهب لك قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل
وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر الحبالى وكانت عائشة تقول ان هذا مناسب ان يذكرها الله تعالى في
اثناء مدائحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه يكون يعود الى رتبة القمر وهو معنى
معنى سعة لحركة وغلبت البرودة والرطوبة عليه وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل حملته
في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كما حملته نبذته
لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون ولفاء التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض
وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت ملتبسة به اي وهو في
بطنها وقصيا بالغة قاصيا وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت كان اول من عرف حملها هو يوسف النجار ابن عمها وكانت
سميت له وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال الحائن ووقع في نفسي من امرك شيء ولا اجد اكتمه
عنك فقالت قل قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم
خلقه من غير بذر او تقول ان الله تعالى لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر
ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد
لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل الخفي ودنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك
فاحتملها ابن يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة قال جار الله اجاء منقول
من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا يقال جئت المكان واجأنيه زيد كما يقال بلغته وابلغنيه و
نظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان قلت حاصله تخصيص بالتعدية بعد تعميم والمخاض مخض
الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر تمخض مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وروي انه كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس
او العهد الذهني كأن ذلك الجذع مشهور هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة ارشدت اليها لتطعم منها الرطب الذي
هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ظهور الرطب من
ذلك الجذع في الشتاء دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي اسم ما من حقه ان
يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شأنه ان يذبح وعن يونس ان العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا
انساءكم يعني الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ ونحوها عنيت لو كانت شيئا لا يعبأ به حقه ان ينسى في العادة ومعنى منسيا

منسيا انه قد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما عنيت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل ولانهم يتهمونها
وهي عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها او لحوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء
هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
وتزهدهم فيه فناديها من تحتها الذي هو تحتها او لسان تحتها يعني جبرئيل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من
مكانها لان مريم كانت اقرب الى النخلة منه او كان جبرئيل تحت الاكمة وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير
ان المراد به عيسى لان ذكر عيسى اقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب ان تكون معلومة للسامع والذي علم
كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان في من قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة ولم يسرها جمهور
المفسرين ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي به لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو وهو
السخاء والمروءة ويقال فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة عن الحسن كان والله عبدا سريا يعني هذا القائل
ان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار
تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من
كان ابعد منه كان تحت او المراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وايضا حمل السري على النهر يوافق قوله واويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي يروى ان جبرئيل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول
اقرب الى الاول لان قوله قد جعل ربك مشعر بالحدوث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل هو ما دون الرأس الذي
عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالتي في ان العرب تقول هز وهز به والمعنى
حركي جذع النخلة او فعل الهز به ورطبا تمييز او مفعول تساقط على حسب القراءة اللازمة والمتعدية وعن الاخفش والمبرد
جواز انتصابه بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها والجني الماخوذ طريا والظاهر انه لما تم الا الرطب
وقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر الرطب على خبره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب والتمر للنفساء
عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك وللولادة جمع لها في السري والرطب فائدتان أحدهما الاكل والشرب وقدم الاكل
مع ان ذكر السري مقدم لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال منها من الدماء وثانيهما
سلوة الصدر لكونها معجزتين لزكريا او ارهاصا لعيسى واكرامات لمريم واشار بقوله الحزن بقوله وقري عينا الى ان قرة العين
تلزم قوة القلب والتسلي عن الهموم والاحزان وقيل ان الم النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم
القلب واجيب بان الخوف النفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكان التذكير كافيا فاما ترين اصله ترأيين مثل تسمعين
خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ياء الضمير للساكنين وذلك بعد لحوق النون التأكيد وقد مر في قوله اما يبلغن
عند الكبر ان التأكيد في هذه السورة يتصل بان الشرطية ما سيقطع فائدة فان مريم لا بد ان ترى احدا من البشر فادة عن انس
بن مالك ان الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيد كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل الاد
الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر
لتجرد الفكر لذكر الله تعالى وهو حق به ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة قد نذرت انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان
الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر معنيان أحدهما ان كلام عيسى اقوى من ذلك التهمة وفيه ان نفي التهمة
الى الافضل اولى وثانيهما ان السكوت عن جهل السفهاء اصوب للعرض ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف اخبرهم

بالنذر وقيل بالاشارة والاول الفقه وقيل حجة هذا الكلام بالقرينة العقلية وفيه انسب لان المبالغة في نفي الكلام اولى واراد في
الكلام الملكة دون الانس وهذا اشبه بقوله فاما ترين من البشر احدا ثم اتت بعيسى قومها تحمله قال عن وهب قال اتاها
كرب الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها ابنها صدقت ذلك فاحتملته واقبلت به الى قومها وعن ابن
عباس ان يوسف النجار انتهى بمريم الى الغار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق
فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا بديعا من فري الجلد
وليس في هذا ما يوجب تعجيلا او ذما لان المراد ما كان خارجا عن العادة ويحتمل انه ابدا جاء بامر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح
فيكون توبيخا ويكون قولهم يا اخت هرون الاية واختلفوا في هرون فقيل كان لها اخ من ابيها اسمه هرون من امثل بني اسرائيل وهذا الظاهر لان
حمل اللفظ على الحقيقة اولى من غيره وقيل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلام وكانت من اعقابه
في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا
منهم وقيل اراد رجلا صالحا او طالحا من زمانها بالفسق فشتموها به بالتشبيه به تدوير ويروى انهم هموا برجمها فاشارت اليه اي الى عيسى هو
الذي يجيبكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمته في الطريق واما بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل عليه السلام في امرها بالسكوت بعد
ما سبق من البشارة واشارت الى ذلك قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا
اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال جار الله كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح
للقريب والبعيد وههنا للزمان القريب من الحال بدلالة الحال وهو حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا
في المهد فكلم هنا ويحتمل ان يقال زائدة نظرا الى اصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة او هي تامة
وصبيا حال مؤكدة يروى انه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار
بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه اول رد لقول النصارى اتاني الكتاب هو الانجيل والتوراة اي فهمها وقيل اكمل
الله عقله واستنبأه طفلا بل في بطن امه وقيل اراد انه سبق في قضائه او جعل الاتية لا محالة كانه قد وجد والاول
اظهر وصغر الجسم لا يقدح في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز
متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا في ذلك الوقت وجب ان تشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع
ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا بعمل خارق للعادة ولكن كل فعل خارق للعادة
فانه لا يلزم اقترانه بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرائع فان بعض اوقات النبي لا بد ان يعترف به دون كل اوقاته وحالاته
على انه اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا لقوله وجعلني نبيا
ولكنه ما كان رسولا لانه لما جاءه بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وضعف بان
النبي في عرف الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل معلما للخير وضلال الكثير من اهل الكتاب باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل شعر على نحت القوافي من
معادنها وما علي اذا لم يفهم البقر ه وهذه سنة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وروي ان
امه سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال اي شيء اكتب فقال اكتب ابجد فقال الا اكتب
شيئا لا ادري ثم قال انت تعلم ما هو فانا اعلم الالف الاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله والدال دين الله داء
الحق الى الله وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هي الزيادة والعلو
فكانه قال جعلني في جميع الاحوال عاليا منجحا الى ان يكرمني الله تعالى بالرفع ثابتا في دين الله مستقرا فيه لانه امراة وصى

ويحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملتك وثدي ارضعت به فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب
الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي بادائهما اما في وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما في
الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على اداء التكاليف ويؤيده قوله ما دمت حيا وقيل الزكوة ههنا
صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الاثام وقيل اوصاني بان امركم بهما في قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى براءته
من الزنا والاثم ولم يكن الرسول المعصوم مامورا بالبر بها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي
ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى
عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما في الخبر ما احد من بني ادم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا
ومن عقايد اهل السنة ان الانبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علي قال العلماء انما عرف السلام
ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الاول من الله
والقليل منه كثير ه قليل منك يكفيني ولكن ه قليلك لا يقال له قليل ه واني لارضى منك يا هند بالذي ه لو ابصره الواشي
لقرت بلابله ه بلا وبان لا استطيع وبالمنى ه وبالوعد حتى يسأم الوعد امله ه والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ مبلغ سلام
الله عن بعضهم ان عيسى عليه السلام قال ليحيى انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن بان تسليمه على نفسه هو
تسليم الله عليه وقال جار الله في هذا التعريف تعريض باللعن على متهمي مريم واعدائها من اليهود لانه اذا قال ان جنس السلام
عليه خاصة فقد عرض بان ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى
روي انه كلمهم بهذه الكلمات ثم سكت حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى انهم انكروا تكلم عيسى في المهد
قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت ولتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفي مناقبه
وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم لو سمعوا كلامه في المهد لبادروا الى قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون من حيث
العقل بانه لو كان الكلام الذي دلهم على براءتها من الذي قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل الحاضرين كلامه قليلون فلذلك
لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات
المذكورة من حال التعبد لله الحق وهو عيسى بن مريم في كونه ابنا لامه لا على ما زعمت الضلالة ولكن هذا المعنى بقوله قول الحق
فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى الثبات والصدق فانتصابه على انه مصدر
مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد جوز
ان ارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى يمترون يشكون في امره الشك والمجادلة يمترون من المراء
اللجاج وذلك ان اليهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وقالت ثالث ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما
كان لله ان يتخذ من ولد وما استقام له ان يتخذ ولدا كما لا يستقيم ان يكون له شريك وقد مر مثل هذه الاية في سورة البقرة والذي
يتبدى ههنا ان بعضهم قال معنى الاية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى
وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقوله ما كان لله ان يظلم
فلا يليق شيء منهما بحكمته وكمال الهيته واجيب بان الكذب على الله محال والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان ادعى
هذا المعنى فلا نزاع وان اراد شيئا اخر فالدليل على امتناعه بمعنى الشاعر بالاستيلاء وتم كلام الله لان قوله كن ان كان
قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج في حدوثه الى قول اخر وتسلسل واستدلت المعتزلة به على حدوث كلامه قالوا ان
قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متاخر عن القضاء والمتاخر عن المحدث محدث ايضا الفاء في فيكون للتعقيب والقول متقدم

عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان وقيل محدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما
النزاع في كلام النفس وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيته والاقلين نحو قوله لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع
الموجود تحصيل الحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها ازلية على صفة القدرة لانه قادر على
عوالم اخرى سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا النزاع سببه تعلق القدرة بالمقدور تكوينا من قوله وان الله بالفتح فمعناه ولان
الله ربي وربكم فاعبدوه وفيه ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يصح ربوبيته لم يستحق ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا
الله لانه جميع الوسايط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تعالى لا يصح ان يقول ان الله ربي
وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم قال ابو مسلم الا
صفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين اخبرهم عن حاله وصفته ان كان
عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اي من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا
ثم اتفقوا على ان رجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى فقال هو الله هبط الى
الارض فخلق واحيى ثم صعد الى السماء فتبعه ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير
وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا [illegible] فصار اخصم وهو المؤمن المسلم وقيل الرابع
والرابع اسمه اسرائيل فقال هو الله وامه اله والثلاثة قائم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد نقل الكلام
فيه الى مقامات يصعب الترقي اليها فلنكتف فيه من ضل ولعنه من زل والله يجانبنا عن جميع ذلك واحاديثه فويل للذين
كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود هم هول الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من زمان شهودهم او من مكان شهودهم
فيه وهو الموقف ويحتمل ان يكون المشهد من الشهادة اي من ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء او جوارحهم بالكفر والقبايح
او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى وامه يوم ولادته ومعنى فويل التغليظ اي الويل لهم من اجل التشهد
ولسبب اسمع بهم وابصر صيغتان للتعجب والمراد ان هؤلاء الخاسرين منهم جديرين بان يتعجب منهم في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما
وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء مع الجهل بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب
عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب ومن غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب
من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم منه والمعنى انه صدر من
الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الاية التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
مما يسوءهم وقيل اراد اسمع بهؤلاء وابصرهم ليعتبروا وينبئوا عاقبتهم والوجه هو الاول ويؤيده قوله لكن الظالمون اي لكنهم
وضع الظاهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد
في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة يتحسر اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا راى الادنى مقام الاعلى والاول اصح لانه لا
الحسرة لا توجد في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ عن الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل
الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم قال ارباب المعقول ان الموت عرض ولا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد
ذلك [illegible] وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض ويحتمل ان يكون انذرهم [illegible] اي انذرهم
حين قضي الامر ببيان الدلائل وشرح امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهم بانهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث
الارض ان امور الدنيا كلها تزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه الشاذ [illegible]

التأويل واذكر في الكتاب الا ان مريم القلب اذ انتبذت من اهلها نفرت من اهل الدنيا مكانا شرقيا من الحجاب شرق النور
الالهي فاتخذت من دونهم حجابا الخلوة والعزلة فارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل نور التوحيد بحروف لا اله الا الله لاسماع الخلق به قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما انا رسول المولى لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الطبيعة الانسية وهو المعنى
المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولم اك بغيا طالبا غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح
الجر فحملته بالقوة القربية من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا لا فتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فاجاءها المخاض
الطلب والتعب الى جذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين
قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم
بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وقيل انما قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار مختلفا كثيرا بسبب نعمتها
ولسبب الغلو والتعصب في حق ابنها قلت لان مريم القلب قالت يا ليتني مت عن اللذات الحسية قبل هذا الوقت الذي عرفت
باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها لسان الحال من تحتها من تحت تصرفها من الالات
والقوى البشرية الا تحزني قد جعل ربك تحتك اي تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود ولد الكشف والعلوم اللدنية وهزي اليك
بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات فكلي واشربي من خوان
الافضال وقري عينا فاما ترين من
السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا صوما عن الالتفات بغير الله فاتت به قومها
من عادة الجهال انكار احوال الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة ما كان ابوك
وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك وهي القالب بغيا تشتاق الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه
فيه ان هذا [illegible] اهل الاشارات ان في المهد [illegible] من نفخ الروح في مريم القلب ليس ابنا لله ولا محلا
له ولا نفسه فاختلف الاحزاب فقوم عبدوه لله لاجله وقوم عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوه للهوى وذلك
قوله فويل للذين كفروا اسمع بهم اي باهل الله وابصر يوم يأتوننا لانهم بالله يسمعون وبه يبصرون

واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ٥ اذ قال لابيه يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ٥ يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ٥ يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ٥ يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا ٥ قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا ٥ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ٥

واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي

شقيا ۝ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب

وكلا جعلنا نبيا ۝ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان

صدق عليا ۝ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان

رسولا نبيا ۝ وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ۝ ووهبنا له

من رحمتنا اخاه هرون نبيا ۝ واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان

صادق الوعد وكان رسولا نبيا ۝ وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة

وكان عند ربه مرضيا ۝ واذكر في الكتاب ادريس انه كان

صديقا نبيا ۝ ورفعناه مكانا عليا ۝ اولئك الذين انعم الله عليهم من

النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل

وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا ۝

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات

فسوف يلقون غيا ۝ الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة

ولا يظلمون شيئا ۝ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان

وعده ماتيا ۝ لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم

فيها بكرة وعشيا ۝ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ۝

وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما

خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ۝ رب السموات

والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ۝

القراءات ربي بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابن عامر وما بعده هشام والاخفش عن ابي ذكوان اذا يتلى بالياء التحتانية وكذلك في سورة الحج فتنبه بالتشديد رويس **الوقوف** ابرهيم ط نبيا ه شيا ه سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابرهيم ج وقد يوصل [illegible] الهتي مليا ه سلام عليك للابتداء بين الاستقبال مع ان القائل واحد لك ربي ط حفيا ه وادعوا ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان نفي الطمع للاجابة فيتصل بالدعا شقيا ه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل ز لما مر نبيا ه للاية مع العطف والزكوة ص مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح ز على تقدير ومن ذرية ابرهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية ادم وعطف اسرائيل ولا يصح ان الكل عطف على ذرية ادم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الحذف وليرجع ثنا السجود والبكا الى الكل وبكيا ه غيا ه شيا لا بناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط ماتيا ه سلاما ه وعشيا ه تقيا ه بامر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ج لانه بعده مبتدا وخبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ه

التفسير ان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني فاضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني ثم رجائهم [illegible] الاصعب واعاد به قصة ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه كان ابا العرب وكانوا [illegible] يعلمون شانه وكماله في دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين لم تقلدوه في ترككم عبادة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلايل التي ذكرها ابرهيم لابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكر في تنزيله وقوله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولهذا صار الوقف على ابرهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه بتلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة فهو اما مبالغة صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا بجميع ما تقدمه من الانبيا والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس حيث جعل واسطة بين الله وبين عباده فيدل انه كان بعض اصحاب والالحاح انه يعني النبوة والاستمرار اي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكنة له ذلك فيها والتاني بالابتدا وجمع مخبرا الاصل فيه وقد ترقى ان اوله سورة يوسف اورده على ابيه الدلايل والنصايح وصدر كل منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه وامتثالا لامر ربه على ما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع

الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن تحب خلقته واظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري
فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر حتى المفعول لا مرية فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة
او موصوفة اي الذي لا يسمع او معبود لا يسمع وشيئا مفعول به من قولهم اغن عني وجهك او مصدر ويجوز ان يكون
بمعنى المصدر اي شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اي لا يسمع شيئا من السماع الاخرة
وحاصل الدليل ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها الا الاشرف الموجودات لا اخسها وهي الجماد غاية عدم عن
ذلك يعني انها تماثيل اشياء تتصور نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فينقل الفهم الينا من الكواكب وسائر الممكنات تأتي
في الاحتياج الى واجب الوجود فاذا اجل شيء من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا ما
ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى الخلاص وقوله يا ابت اني قد جاءني تنبيه
ونصيحه ومعناه هذا العلم تجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي قوله من العلم ما لم يأتك فائدة انه لم يسم اباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك ولا تستنكف وهبا اني معا في مسيرة عدي
موصوفة بالدلالة دونك فاتبعني اهدك صراطا سويا مستويا موصلا الى المقصود هو صلاح المعاش والمعاد استدلال ادباب
التعليم بالآية فانه لا يدعي الاتباع واجيب بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم
اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى زاجرة عما هو عليه فقال يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي طاعة
الشيطان ثم اسقط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبني اسرائيل وقدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن
عصيا حين ترك امر الله بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطاء بنبهه بهذا النصيحة على وجه الرحمن ثم على وجود
الشيطان وان الرحمن مصدر كل خير وان الشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر من التنبيه
كان لمن تأمل وانصف ثم بين البلاء على هذه النصيحة فقال يا ابت اني اخاف وفيه مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب
اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب فقال العراقي يعني اخاف عليك والاكثرون على انه محمول على ظاهره لان ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن
جازما بموته على الكفر والاثم يشتغل بنصحه ولكن يغلب الظن وصول العذاب الى ذلك الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال
حاب على والدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والمعنى سبب الولاية
او مشابها اياه والاطلاق احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقة لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اذ كفرت
بما اشركتمون من قبل ومنها ان يعمل العذاب على الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي والتابع قال جار الله جعل ولاية الشيطان
ودخوله في جملة اشياعه وابنائه اكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان في مقابلة رضى الرحمن وقال عز من قائل ورضوان
من الله اكبر واذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابراهيم
بالفظاظة والغلظة فقال اراغب انت عن الهتي فقدم الخبر على المبتدأ اشعارا بانه عنده اهم وفي هذا الاستفهام ضرب من
التعجب والانكار لرغبته عن الهته وفي قوله يا ابراهيم دون ان يقول يا بني في مقابلة يا ابت تهاون به فكيف لا وقد صرح
الاهانة فقال لئن لم تنته لارجمنك بالسان اي لاشتمنك او باليد اي لاقتلنك واصل الرجم الرمي بالرجام ثم ههنا اضمار اي فاحذرني
واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او ارادوا مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان اثخنك بالضرب فلما اعيا
ابراهيم اصرار ابيه على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما اي عبثنا ان تاركك المنصوح اذا ظهر منه اللجاج من شيم المهذبين ويحتمل ان يكون وقد عاده بالسلامة اسما لذلك
ودفعا به بدلا ان لسببه منكه بما كان هو عليها بليغا في البر والالطاف وذلك من احتمال الاعراض احتج ابا لابيه في عن

من طعن في عصمة الانبياء قال انه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولقوله
في الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم
يمنع من التاسي به والجواب بعد تسليم ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بتعذيب الكافر ان لعل هذا الفعل من
باب ترك الاولى او لعل الاستغفار بمعنى الاستعطاف كقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى سأسأل ربي ان لا
يعذبك بكفرك ما دمت حيا والجواب بالحقيقة ما مر في اخر سورة التوبة في قوله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه والمنع من التأسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما ان كثيرا من الامور
كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهي محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم ايها الجهال اللئام
واعتزل ما تدعون من دون الله اي تعبدون من دون الله فقد فسر الدعاء بالعبادة والدعاء كما يجيء في سورة الشعراء وفي قوله عسى الا اكون بدعاء
ربي شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء الهتهم وعبادة مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظ عسى قال العلماء ما خسر على الله
احد فان ابراهيم لما ترك اباه الكافر وقومه فرّ الى دينه عوضه الله اولادا مؤمنين انبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا من الخير الديني والدنيوي كالمال والاولاد والاظهر انها النبوة فكان جديرا بين ديني ولسانا لسان الصدق
الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية وقيل تحقيق الاضافة لما يرغبون في قوله وقدم صدق وجواب دعا
ابراهيم عن ابيه ابتغاء مرضات الله فسماه الله ابا المؤمنين ملة ابيكم ابراهيم ونزل ولده الجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين
فجعل النار عليه بردا وسلاما واشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي في الصلوة كما صليت على
كما قال تعالى وارحم الذي ورجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي
الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم ثنى قصة ابراهيم بقصة موسى لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة
عن الشرك والرياء وخلص وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله
عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر النبي قبل الاخص الا ان رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى
الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى من موسى او من اليمن صفة للطور او الجانب وقربناه حال كونه نجيا اي مناجيا شبهه بتكليمه اياه من غير
واسطة ملك بتقريب بعض الملوك وخلاص نديما له للمناجاة والمسارة وعن ابي العالية انه قربه حتى سمع صرير القلم الذي
كتبت به التورية والاول اظهر ومنه قولهم العبادة تقرب والملائكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه بدلا او هرون عطف
بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فنصرف الهبة الى معاضدته وموازرته
وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون ثم خص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم
وبين الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله من ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره
في مكان فانتظره سنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسأل
النبي عن الرجل بعد ميعاده الى وقت ينتظره اذا واعده في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يأمر اهله في الامر بالصلوة
والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء في الاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب قوا انفسكم واهليكم نارا وابدا بمن تعول وقيل
ان يبال اهله امته كلهم اقارب او اباعد من حيث انه يلزمه في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من فضل حقوق النصيحة والشفقة
ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فا
انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس يعني طاعة الله والاخلاص لان ثمرتها تزكي بها عند الله ولما ادريس قال الامام ابي يزيد بن منبه
العرب كان في زمن آدم ويعقوب ومن ادريس كثرة دراسته كتاب الله وقيل معناه بالعجمية قريب من الله

نظير العاكر مشتقا منها او في رفعته اقوال احدها ان المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثون صحيفة وهو اول
من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح بن ملك
لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم فيه نوع ادراك في استخراج طوالع المواليد بحسب هذا اليوم وقيل ان الله تعالى
رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت وقال الحسن رفع الى السماء وقبض روحه وعن ابن عباس انه سال كعبا عن قوله ورفعناه
مكانا عليا فقال جاء خليل له من الملائكة فسأله ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به
فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت
ادريس فرآه ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس ايضا انه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة
ولا شيء اعلى منها اولئك اشارة الى المذكورين من لدن زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع الانبياء منعم
عليهم من ذرية آدم من للتبعيض وكذا في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية آدم ادريس
لقربه منهم وبمن هو من حمل مع نوح ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابرهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا
ويحيى وعيسى لانهم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبياء
اجتمع لهم مع كمال الاحساب شرف الانساب وان جميع ذلك بواسطة هداية الله وبمزيد اجتبائه واصطفائه ثم انه جعلهم الذين خروا
لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة كان خبرا وقدم هذه في الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير فلان تأنيث
الآيات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كسجود في ساجد ابدلت الواو ياء وادغمت وكسر قبلها لمناسبة [illegible] ثم
انه تعقبها [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم المراد بالآيات
التي فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الآيات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل آية اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي
ثم لعل المراد بآيات الله ما خصهم الله به من الكتب المنزلة لان القرآن حينئذ لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع
والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به [illegible] انهم [illegible] كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج
الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا مستعدين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة التلاوة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان
اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك وان قرأ ما في هذه السورة قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم في سيرتهم
وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو عقب السوء كما مر في آخر الاعراف اضاعوا الصلوة في تعاليم
اكثر ترجموا واتبعوا الشهوات [illegible] عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب
عن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتأخير [illegible] في قوله واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركبوا المنظور ولبسوا المشهور من
[illegible] هذه الامة فسوف يلقون غيا قال [illegible] كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف
اي جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب [illegible] بعضهم
بقوله الا من تاب وآمن على ان تارك الصلوة كافر لانه احتاج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة واليهود
كما روينا عن ابن عباس سقط الاستدلال [illegible] لا نسلم فان العمل ليس من الايمان [illegible] التوبة من الايمان ولكنها شرط لانها
العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما خص [illegible] ههنا وقال في الفرقان وعمل عملا صالحا [illegible] ذكر المعاصي [illegible]

ما وجد في التوبة وانما الحال هناك ما قال وهذا الاستثناء يجب الغالب فقد يتوب الكافر ويؤمن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كا
للمرأة حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف
لهم تنبيها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان تابوا ويحتمل ان ينتصب شيئا على المصدر اي شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر
في سورة التوبة في قوله ومساكن طيبة في جنات عدن ووصفها الله تعالى بالاقامة والدوام بخلاف ما عليه جنات الدنيا
ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التي قال جار الله عدن معرفة لمعنى
العدن وهو الاقامة او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ
وصفها بالتي ومعنى بالغيب مع الغيبة اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها والباء للسببية اي
وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب والايمان به بخلاف حال المنافقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاول انسب وهو مفعول بمعنى
فاعل او هو على اصله لان ما اتاك فقد اتيته ويجوز في الكشاف ان يكون من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لغوا الا سلاما
استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم في يمين اللغو في البقرة وفي المائدة اي ان كان تسليم بعضهم
على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم او استثناء منقطع اي لا يسمعون فيها الا قولا
يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتأويل آخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام عن الدعاء
بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام في الآية تنبيه ظاهر على وجوب اتقاء اللغو
حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها انه سبحانه من عادته ان يرغب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب
والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شيء كان احب الى
العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك فقال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
هذا قول الحسن ولكن لا ليل ثم ولا نهار ولكن على التقدير اي يأتون على مقدار الغداة الى العشي وقيل اراد دوام الرزق كما تقول
انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التي نورث كقوله في الاعراف ونودوا ان تلكم
[illegible]

من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها او ما قبل وجودنا
وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط
بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا باذنه وقال ابو مسلم في وجه النظم ان قوله وما
نتنزل من قول اهل الجنة لمن يحضرهم اي ما ينزل الجنة الا بامر ربك الماقي له وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما
كان امتناع التنزل الا لعدم الاذن ولم يكن ذلك عن ترك الله اياك كقوله وما ودعك ربك وما قلى وعلى غيره فهو [illegible] تأكيد
الاحاطة تعالى بجميع الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شيء مما [illegible] المراد انه ليس بناسيا لاعمال العاملين
[illegible] كلام [illegible] فيكون من تتمة حكاية قول اهل الجنة وابتداء كلام من الله تعالى خطابا بالرسول ويتصل بقوله
رب السموات والارض اي هو ربها وما بينهما فاعبده الفا للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر
لعبادته ثم [illegible] على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم
الكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اي ليس له مثل ونظير حتى لا يخلو العبادة له لان عدم النظير لا بد ان يصير موجب لكمال
وتكاليفه خصوصا اذا كانت فايدتها راجعة الى المكلف وقيل اراد انه لا شريك له في اسمه وبيانه من وجهين احدهما انهم وان
كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على سواه وعن ابن عباس اراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا
صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكريره في هذه السورة وثانيهما هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل
لان التسمية على الباطل كلا تسمية التاويل وذكر في الكتاب ابراهيم الخليل انه كان صديقا الصدق نوعان
صادق صدق في اقواله وصدق يتصدق في اطلاقه واحواله وصديق صدق في فنايه مع الله بالله وهو [illegible]
عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا بشعبة النفس [illegible] العلم اللدني ما لم ياتك [illegible] ان
القلب للفيض الالهي اقبل من الروح كالمراة فانها تقبل النور لصفائها وتعكس النور عنها لكثافتها ووصفا لها وهذا التحقيق
السر يعقوب الحق وناديناه من جانب الطور الايمن يعني نادى القلب من جانب طور الروح لانه جانب وادي النفس الذي هو على
ايسر وكان يامر اهله اي الجسم والنفس القلب والروح بالصلاة ليتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكوة اي تزكية كل واحد منهم
من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا يتلو بهم على عتبة العبودية سجدا
بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا بكاء الشمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب اي بغيبتهم عن الوجود
قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم [illegible] في الحديث
واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك [illegible] ان يا اهل الطبيعة
اتبعوا من التمنيات فانا ما ننزل من علم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا [illegible] يحتاج الى تذكير [illegible] رب السموات
الارض وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار فاعبده باركان الشريعة بجدك وباداب الطريقة
بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بسرك [illegible]

ويقول الانسان ااذا ما مت لسوف اخرج حيا ۞ او لا يذكر الانسان انا

خلقناه من قبل ولم يك شيئا ۞ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم

لنحضرنهم حول جهنم جثيا ۞ ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد

على الرحمن عتيا ۞ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ۞ وان منكم

الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ۞ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين

فيها جثيا ۞ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين

امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ۞ وكم اهلكنا قبلهم من

قرن هم احسن اثاثا ورئيا ۞ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر

مكانا واضعف جندا ۞ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات

خير عند ربك ثوابا وخير مردا ۞ افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين

مالا وولدا ۞ اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ۞ كلا سنكتب

ما يقول ونمد له من العذاب مدا ۞ ونرثه ما يقول وياتينا فردا ۞ واتخذوا

من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ۞ كلا سيكفرون بعبادتهم

ويكونون عليهم ضدا ۞ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين

تؤزهم ازا ۞ فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ۞ يوم نحشر المتقين

الى الرحمن وفدا ۞ ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ۞ لا يملكون

الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ۞ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد

جئتم شيئا ادا ۞ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال

هدا ۝ ان دعوا للرحمن ولدا ۝ وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ۝
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ۝ لقد احصيهم
وعدهم عدا ۝ وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ۝ ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ۝ فانما يسرناه بلسانك
لتبشر به المتقين ۝ وتنذر به قوما لدا ۝ وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ۝

القراآت الفاتل المكي في الانعام يذكر من التذكير ابن عامر ونافع وعاصم وسهل وروح والمفضل عن يزيد الاخرون يذكر بتشديد الذال من التذكر مدغما ثم ننجي من الانجاء علي وروح والمفضل عن يزيد الاخرون بالتشديد حيث معا ما يخفى ليم ابن كثير الباقون بفتحها وريا بالتشديد ابو جعفر ونافع غير ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمز في الوقف بدل على اصل اللغة الاخرون بهمز بعد الياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الاخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر **الوقوف** حيا ۝ شيا ۝ جثيا ۝ ج لا يسوى العطف عتيا ۝ ج لذلك صليا ۝ واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ۝ ج جثيا المجاء ۝ من الدرجة والدم لترتيب الاخبار جثيا ۝ امنوا ۝ لان ما بعدها مفعول قال نديا ۝ وريا ۝ مدا ۝ ج لانحى لانتهاء مدة الضلالة او لابتداء الخبر وجواب اذا عن وعن وهو قوله الساعة ط لابتداء التهديد جندا ۝ هدى ۝ مردا ۝ وولدا ط لابتداء الاستفهام للتعريج عهدا لا للردع كلا ط مدا ۝ للعطف فردا ۝ نصحت الحسن عزا لا كلا ط ضدا ۝ ازا لا للتعجيل عليهم ط عدا ۝ وفدا ۝ وردا لا للتشبيه بجملة الوصف لهم عهدا حذرا من ايهام العطف ولدا ۝ اذا ۝ لان ما بعده صفة هدا ۝ لان التقدير لان دعوا او لدا الاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ولدا ۝ عبدا ط عدا ط فردا ۝ ودا ۝ لدا ۝ من قرن ط ركزا ۝ **التفسير**

لما ارتبط واحد بالتعجب ان يعبد والله ويصطبر والعبادة ذكر انكار ان يعترض بان هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها المشقة ولا في الآخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر لها وجيب عن ذلك تعالى ويقول الانسان هو الجنس لان هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى الجنس لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخرج من المذكور لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة لمعنى الحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا استنكرين احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج

من الارض او الخروج من حال الفناء او التذكر وتعني فهو حين للخروج فلان حنا لما اذا كان نادرا في الجم فكانه قال ليس الاخرة ساخرج حيا واذا وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار لان انكار ان الحياة بعد الموت وهي محل الانكار وكقولك لمن اساء الى محسنه احين تمت عليك نعمة فلان اساءت اليه ولان الانسان لا يجهل عنه هذا الانكار الا لم يتذكر او لم يذكر النشاة الاولى فقال سبحانه تنبيها على ذلك اولا يتذكر وههنا مما يقدر ان يعطف ذلك او لا يتذكر وبمجازاته انه لو عطفت لا بد كرى على يقول في قوله ويقول الانسان وتوسطت همزة الانكار بين العطف وحرف العطف قال العلماء لو اجتمعت الخلايق على ايراد حجة في البعث اوجز من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات اصعب من تغيير الذات في اطوار الصفات وهذا تعلم ان الصانع بشيء مثله على الاول لم يستقر في خزانة خياله والنشأة في ذلك ثم استمر وثبت له مثال واحتذاء واذا كان تعالى من يتعاوت في قدرته الصعب والسهل لكن ذلك تم الى بمن لا يتقى ففسد وره الاطلاع على تعلق الارادة الازلية بوقوعه ولم يك شيئا بحث قدم في اول السورة شيء بمعنى الكثير الضحى والكهاية الاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم الفاء للاستيناف وفي تعيد الاعراض عن قصه والشروع في اخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال الضابة بالمقسم عليه واضافة المقسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في والشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر معه قرينه شيطان في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على ركبهم لما يدهشهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الارجل او هو على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومعنى لاتيهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره في الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو ظاهر والمعتبر من الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية على الضم خلاف القياس من وجهين احدهما اعرابها اي مع انه حق الموصول ان يبنى والاخرى حذف المبتدأ مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها لم تنتصب على ان يكون مفعولا لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة قال سيبويه لو جاز اضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اي الذي يقال له الفاسق الخبيث وهذا باب ولم يصار اليه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبله معلق عن العمل وبجعل التعليق في غير افعال القلوب ثم ان علقت فيه على الرحمن بان تكون ايهم هو اشد على حتى نظم وان علقته بالصلة لم يكن كالجليل الا عند النحويين لان الصلة لا يعمل فيما قبلها والوجه ان يقال الاشياء للجنس فكانه قيل ايهم عتوه على من فيقبل على الرحمن وكذا الكلام في قوله اولى بها صليا تعلق الجار والمجرور باسم التفضيل او بصليا على التاء في فلان الناد بالكسر يصلى صليا اذا يطرحهم اي اهل الضلالة البعيدة الناد على الترتيب يقدم الاولى بالعذاب فالاولى ولا ريب ان الضال المضل يكون اولى بالتقديم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى المنتزعين كما انه قال ثم لنحن اعلم بتصليبهم بها وانهم اولى بالصلي الكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان ابا الجنى محمد لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المومنين كيف يردون النار واجيب بما روى عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا

وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها
كانها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود هاهنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء
مدين ومعلوم انه عليه السلام لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها
وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هي الحمى جعلت في الدنيا قال صلى
الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وانا اريد بالداخل الانسان ولا اشكال في ورودهم
النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ووجه بانا اذا قلنا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم
يبادرون ثم يتخلصون اسولكيف بتخلصهم من النار عند من فسر الورود بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع
ان يكون في خلالها مواضع خالية من النار واشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون بتلك المواضع ولا يمتنع ايصاله
من بلغهم طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير وفي هذا لا يتميز النار والملائكة الموكلين بالعذاب ما الفائدة
في ايراد المؤمنين اذا لم يعذبوا بها قلنا فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا راوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا
اطلع المؤمنون عليهم ومنها ان المؤمنين يوبخون الكفار ويسخرون منهم كما سخروا في الدنيا ومنها اي يزيد التلذذ في الجنة
فبضدها تتبين الاشياء هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت ان المحاسبة تكون في الارض او في
موضعها لقوله يوم تبدل الارض وجهنم تحت الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك
الموضع الى جهنم ثم يرفع الى اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة والاسلاميين ظاهر والمحاسبة يكون في
الارض ومرور الكل يكون على كرة الارض ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان على ربك حتما اي محتوما
مصدر بمعنى المفعول قضى به وعزم على ان يكون غيره وذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واحتجت المعتزلة بذلك
على ان العقاب واجب على الله تعالى وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق ان المتقي عند المعتزلة
من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة القائلين بمنزلة بين المنزلتين واوجب
بان ينجيه المتقين لهم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وجب ان ينجيهم الى الجنة الان الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل
في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه وقوى المعتزلي تمسك في الوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو
سلم فمخصوص بايات الوعد قلنا رد على منكري البعث وذكر كيفية الحشر قال اذا تتلى عليهم اياتنا الاية والمراد انهم عارضوا حجة الله
بكلام الهوى فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا اطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق ان
يهين اولياءه ويعز اعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ثيابهم ويتزينون ثم يدعون متفخرين
على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله يعني بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد
اي محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها
فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين وهي التعادي يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا قال الان ايات الله لكونها
بهذه الاوصاف يعني للذين امنوا انهم يخاطبونهم بذلك او يبلغونهم به لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي
المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجتمع القوم حيث ينتدون وقوله اي الفريقين يعني المؤمنين بالايات
والجاحدين لها ان الكلام المتصف على ... والمقصود نحن او انتم خطابا على ... في احوال دنيانا وتمعو دنيانا في حسن
الحالة الدنياوية بل ظاهر التعادي يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق الفصل والدعة وضده اماتة على النقص
والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا قبلهم اهل عصر فمن بيان للمبهم وهو ... يكون

يكون تاكيدا للتاكيد وكم استفهامية لفهم النكثير او خبرية عند من يجوز زيادة من في الموجب وهم احسن في محل النصب صفة لكم
او لمن صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري هي هيئة جلد من
رايت وهو ما رات العيون من حال الحسنة وكسوة ظاهرة ولم يهمز فاما ان يكون على التخفيف اي قلب الهمزة ياء وادغم او ان يكون من
روية الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت وقال جار الله الزي هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بحذف
قبله ياء على القلب كقولهم راء في رأى وقرئ بالزاء المنقوطة واشتقاقه من الزي بالفتح وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة
الاية حذف والتقدير احسن من هولاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر حبيبا لله فامر لا يهمل اليه عام يعني ان ما
الضلال الى الخزي والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال
وانه مفعول لا محالة لينقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزداد ذا اثما كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما او هو في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته والغاية احد الامرين المذكورين اي
انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا راوا فقد قال الامام في الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اي الفريقين
الاية وما بينهما اعتراض اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون والمعنى ان الذين يتفوهون
بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر ثم يتحولون
من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم ويمعن الهم
الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة قولهم
خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم كلاهما لا ريب ان
مكانه القتل والاسر شر مكان في الدنيا ومكانه عذاب النار شر مكان في الاخرة ولا جند ولا انصار لهم في الوقتين فاعلم بالجزم
من الخزي والنكال على خلفهم وحين يتبين حال اهل الضلال الذال سبيل حال اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ذلك
ان بعض الاهتداء يجر بعض الخير كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادة
المرتبة على الايمان والواو في ويزيد للاستيناف وقد يكلف جار الله فقال انه للعطف على محل فليمدد اي يزيد في ضلال الضال بالخذلان
ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر تفسير الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثر بجميع اعمال الصالحات او في
الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بالحج اعظم ثوابا لانها الصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضي خيرا يكون مشاركا
له في اصل الخيرية ويكون هذا خيرا منه فان قدرنا ذلك شيئا فيه خيرية كبعض الاعمال الدينية المباحة او كسائر الاعمال
الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى اخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ما يرد هذا
الامر مردا وان قدرنا ذلك شيئا لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم جار الله ان المراد خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق
الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل في الخير ما
قيل في قولهم الصيف احر من الشتاء اي هو ابلغ في حره من الشتاء في برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا
سبيل التعجب افرايت انه كان قال الاخير ايضا بعضه هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا
ارايت بمعنى اخبر لان رؤية الشيء من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت في وليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن
وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون
وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ قوله وولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا
بالضم والسكون فاما جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من قولهم

اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه ولاختيار هذه الكلمة شان كانه قال او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذى
تفرد به علام الغيوب ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك ومن عتاده من الاعمال الصالح
قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه ومعنى لم يكتب
سين التسويف مع ان الحفظ يكتب من ساعة ما قال الحال دليل على ان السين جرد ههنا لمعنى الوعيد واراد سنظهر له بانا كتبنا قوله
والانتصار ونؤيد قوله ونمد له من العذاب ما يستاهله امثاله من المستهزئين او نزيد له من العذاب ونضاعف له
من المدد مدة وامده بمعنى الا ان المد بالمصدر وهى مؤذن بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه ما يقول
اى نمنع عنه مسمى ما زعم انه ينال في الاخرة من المال والولد فانه لما قال والله في قوله لاوتين ومن يتالى على الله يكذبه لانه ذلك غاية
الجهالة ونهاية الاشعبية ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا غدا فردا بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف في الوجهين
يحبط فليتأمل فيه وكذا قوله من جاء الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواه في اتيانه فردا حين يحشر
ثم يتفاوتون بعد ذلك ان الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول واما انفراده فمتحقق في حالة الاتيان ويتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك
الكل في الاتيان منفردا الا يدخله في القصص ولا ادرى ما حمله على هذا التكلف والذى يحتمله هذا القول انما نقوله ما دام حيا فاذا
قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قابل له او المراد ان هذا القول لا ينساه ولا يغيب اثبته في صحيفته
لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه
الخطبان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع في الرد على عبدة الاصنام فبين اولا غرضهم وذلك
ان يتعززوا بالهتهم وتنفعهم اشتغالهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عن مآل حالهم بقوله سيكفرون فان كان
الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا
يبعد ان ينطق الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا وضد العز الذل
والهوان كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد الضد العون لانه يضاد العدو وحد لاتفاق كلمتهم وفرط
تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ويعضد كون الالهة ضدا اى عونا عليهم انهم وقود النار وانه
الزلك عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اى يكون المشركون كفرة بالهتهم واعداء لهم بعدما كانوا
يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة اراد ان يبين منشأها فقال الم تر انا ارسلنا الاية والازة والتهييج
قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل ارسلت فلانا على فلان يفيد انه سلطه عليه
ومثله في الصحاح انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد سلطك عليه وثيابه وقوله تؤزهم اى تغريهم على المعاصى وتحثهم عليها بالوساوس والتسويلات
وقالت المعتزلة المراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اطلق يقال الرجل كلبه من صرف بينهم حبل انه وحاصل كلامهم ان ارسل
الانبياء والشياطين يخلى بين المكلف وبين الانبياء والشياطين الا ان احدهما وليايه يرشد الى الطاعة فجنبوا وقوا
الانبياء ومنع اعداءه تلك الالطاف وهو المسمى بالخذلان فتسلط عليهم الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا
لهلاك الكفار وعداه بعلى لا بالى قلت لا يخفى ان استناد الكل الى الله تعالى فنزاع المعتزلة لفظى معنوى منه
فلا تعجل عليهم بقبول العذاب عليهم سكونا اذا استعجلت منه اى لا تعجل بهلاكهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم
خمسة رهط ومعناه انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك

وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقال بعضهم
ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس لما
قرر امر الحشر واجاب عن شبهة منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر وانتصابه بمضمر متقدم او متأخر اى
اذكر يوم كذا وكذا يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون خص المتقين بالجمع الى
محل كرامة الرحمن واوفدهم تعالى وفدا وفد على الامير وفادة اى ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن على
كرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سرجها
ياقوت ونخص المجرمين بالسوق الى جهنم وردا اى واردين والذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش
تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمى به الوارد وقد قال بعض العلماء في الاية دلالة على ان اهل اليوم
القيمة ثلثة المتقين والمجرمين لان المتقين منا لا ابتداء المحشورين على هذا النوع من الكرامة فكيف بالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل
ان يكون الحشر الى الرحمن عند الحشر الى الموقف ويراد بالحشر الى الرحمن اى الى دار كرامته سوقهم الى الجنة كقوله وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا وعلى هذا يعد انباؤنا عن الفريقين فالذى الكلى فيما بعد من الحالة لا ينافى الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث
الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الى الله من وضع الظاهر موضع المضمر فيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم لما بينا
الذى ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين تقسيمهم وفاعل من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة
للجمع كالتى في اكلونى البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من اتخذ على الاستثناء او على تقدير
حذف المضاف اى الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم ان
يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل او بكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب اصول المعتزلة والثانى اصول الاشاعرة وعن ابن عباس ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح
ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك في هذه الحيوة بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا
شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك ولا تكلنى الى نفسى فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك
عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة
المأذون له فيها كقوله وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد
على من اثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ومنهم من خص الاية بالرد على العرب القائلين ان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى
تقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم التفات من الغيبة الى الخطاب تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والاد العجب او المنكر
والتركيب يدور على الشدة والثقل وعن ادت الناقة تئد اذا رجعت حنينها وتفطرن بالتشديد والتخفيف اذا تشقق ومطاوعه انفطر وبالتشديد
للتكثير ومطاوعه تفطر هدا البنا وكره وانتصب هدا على المصدر لانه لاقى تخر في معناه واما لان التقدير تهد هدا او على الحال اى
مهدودة او على العلة لانها تتهدم لان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض اى هدا لان دعوا على
المجرور باللام والبعد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اى هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها والكلام في الموقف والدعاء بمعنى
التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى وكذلك واما بمعنى النسبة اى نسبوا للرحمن ولدا وما ينبغى
لا يصح ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يتصور طلب الاتخاذ الى الانه محال اما الولادة المعروفة ولا معالجة في استحالتها واما التبنى
فلان القديم لا يجنس حتى يرغب اليه ميل الوالد الى الولد فينا اضافه اليه ولذا فترحم لكسبه حلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن والمحتمى

بوليس سود النعم ومن وعيها الامنة كما قيل لبكشف عن بصرك غطاوه دانت وجميع ما عندك عطاوه وهذه من فوايد تكرير هذا الاسم
في مقام سؤال كيف تؤثر الكلمة المذكورة في الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر اجيب بانه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا
بالسموات والجبال عند عاينهم الولد لي غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وهو تصوير لان هذه الكلمة في الدين والمداه
هذا الاعتقاد يوجب ان تكون هذه الاجرام على ما ترى من النظام كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم ارادان
هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين ان العابدين والمعبودين في السموات وفي الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره
في الدنيا والاخرة وانه محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل انا فيه اي ليس فرد من افراد الخلايق الا اتى الرحمن الا وهو ملتجي
الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم لجراحات المؤمنين بما لا مزيد عليه في باب الكرامة فقال ان الذين امنوا وعملوا الصلحات سيجعل لهم الرحمن ودا
اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير سبب من الاسباب المعهودة كقرابة او اصطناع وذلكم يقذفه في قلوب اعدائهم الرعب والسين
اما لان السورة مكية وكان المؤمنون يحسدون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما ان يكون ذلك
يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل
لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التورية
لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم
الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين عن ابي مسلم ان المراد سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير وانما
صار الى هذا القول لان المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون ايضا وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار
والفساق فيكون من مرزوقين بميل الناس الى اخلاقهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم
في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله تعالى فحمل الكلام على اعطاء المنافع وبه اولى واجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين
وقيل هذه لا تحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم ثم عظم شانه ما في هذه السورة
من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة فقال فانما يسرناه كانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما
انزلناه بلسانك اي بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة
وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار ونهاية في التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او
بالاهلاك بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه ان مال الحال الباقين ايضا الى ذلك فيجتهد في ان يحصل الزاد للمعاد
ولا يغتر بما هو بصدده والاحساس الادراك بالحاسة والركز الصوت الخفي وكرز الريح تغييبه في الارض والركاز المال
المدفون **التأويل** وتورد النفس الانسانية بجهلها بالحقائق اذا مالت عن الصفات البشرية ما يحتج حيا بالصفات الروحانية
لنحشرنهم والشياطين فلكل نفس قرين من الشيطان ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء
والمؤمنين والكافرين الا هو واردها ورية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمة الازلية اقتضت خلق هذا النوع المركب
من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة ايتنا من الحقايق والاسرار
قال الذين كفروا سترو الحق للذين امنوا بتحقيقها اي ايمانا وكم اهلكنا بجب الدنيا والاخرة في بحر الشهوات والاحراق بنار
المناصب الرعونات اما العذاب وهو الموت على الانكار والعقد ولما الساعة وهو لمن انمحق الصفات البشرية عند تجلي قيامة
الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي من الايمان الى الايقان الى العيان انا ندعو الرحمن

الرحمن ولدا من فوايد ذكر اسم الرحمن هاهنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاعدامهم في
الحال وكلهم اتيه يوم القيمة فردا عن شيعته وارادته عن لاذهم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم الاهة ولختبارا فانما يسرناه
فبانه لو يتيسر الله دراسته على قلب النبي والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقايق كلامه
الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او تسمع لهم ركزا بالثنا الحسن عليهم

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلثون اية وحروفها خمسة الاف ومائتان واثنان واربعون وكلماتها الف وثلثمائة واحدى واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ۝ ما انزلنا عليك القران لتشقى ۝ الا تذكرة لمن يخشى ۝ تنزيلا
ممن خلق الارض والسموات العلى ۝ الرحمن على العرش استوى ۝ له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ۝ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ۝
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ۝ وهل اتيك حديث موسى ۝ اذ راى نارا فقال
لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار
هدى ۝ فلما اتيها نودي يا موسى ۝ اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى ۝ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ۝ انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم
الصلوة لذكري ۝ ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما
تسعى ۝ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ۝ وما تلك بيمينك يا موسى ۝
قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى ۝ قال
القها يا موسى ۝ فالقاها فاذا هي حية تسعى ۝ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ۝

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ۝ لنريك من آياتنا الكبرى ۝

اذهب إلى فرعون إنه طغى ۝ قال رب اشرح لي صدري ۝ ويسر لي أمري ۝

واحلل عقدة من لساني ۝ يفقهوا قولي ۝ واجعل لي وزيرا من أهلي ۝ هارون أخي ۝

اشدد به أزري ۝ وأشركه في أمري ۝ كي نسبحك كثيرا ۝ ونذكرك

كثيرا ۝ إنك كنت بنا بصيرا ۝ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ۝

القراءة طه بإمالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والباقون بالفتح
وفي الكشاف أن أبا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء والآخرون بتفخيمهما لأهله امكثوا بضم الهاء وكذلك في
القصص حمزة أو انى أنا الله بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير ... بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو
عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على الاتحاد هدى بالإمالة على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو والنجاري
عن ورش وأبو عمرو غير ابن حبيب ... إني أنا ربك بفتح الهمزة وبياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وسكون الياء طوى
منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وأنا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكري ان الساعة ... اذهب اشرح لي ويسر لي بفتح
الياءات أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ولي فيها بالفتح حفص والمفضل والأعشى والبرجمي والأصبهاني عن ورش ... أخي اشدد
بفتح الياء موصولا ابن كثير غير الخزاعي عن ابن فليح وأبو عمرو وأشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على التكلم ابن عامر الباقون بضم الأول وفتح
الثاني على الأمر سؤلك بالواو أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأعشى والأصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الآخرون بالهمز

الوقوف طه كوفي ومن قال معناه يا رجل أو يا طالب ويا هادي لم يقف لتشقى لا للاستثناء يخشى لا بناء على أن
للإتيان هدى ۝ يا موسى ۝ نعليك ج للابتداء بإنه مع اتحاد المقصود طوى ط الأولى قراءة وأنا اخترتك يوحى ۝ فاعبدني لا
للعطف لذكري ۝ تسعى ۝ فتردى ۝ يا موسى ۝ عصاي ج لاحتمال أن يجعل ... مستأنفا أو حالا والعامل أضمر أو أشير إليه
هي بيضاء من غير سوء ۝ أخرى ۝ يا موسى ۝ تسعى ۝ ولا تخف ... سيرتها الأولى ۝ آية أخرى لا لتعلق اللام الكبرى ج للآية والاستئناف
بالأمر على أن المقول متصل طغى ۝ صدري لا أمري لا لساني لا قولي ص لطول الكلام أهلي لا أخي لتعلق لا وقف لمن قرأ اشدد بفتح
الهمزة للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ اشدد بضم الهمزة فله الجواز لأن اتساق الدعاء ... الدعاء بالعطف أزري لا أمري لا
كثيرا لا كثيرا ط بصيرا ۝ موسى ۝

التفسير للمفسرين في طه قولان أحدهما أنه من حروف التهجي وقد سلف البحث في أمثالها
والذي زاده ههنا أمور منها قول الثعلبي طا شجرة طوبى والهاء الهاوية وكأنه أقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق
أن الطاء طهارة أهل البيت والهاء هدايتهم وقيل يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا إلى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير
هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا أيها البدر **القول الثاني**
انه كلمة مفيدة ومعناها يا رجل ... عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن

جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشية وقال الكلبي بلسان عك وهو عك بن
عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن وعن الحسن أنه قرأ طه وأصله طأ أمرا بالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي أن النبي عليه السلام
كان يقوم في التهجد على إحدى رجليه فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا ويؤكده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل
حتى اسمعدت قدماه أي تورمتا فقال جبرئيل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا ونزلت ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
أي لتنهك نفسك بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الأكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على
أن لا يؤمنوا والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أي أتعب وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له إنك شقي
لأنك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بأن القرآن هو السبب في نيل كل سعادة قال جار الله إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف
فقوله ما أنزلنا ابتداء الكلام وإن جعلته اسما للسورة فهو مبتدأ وما بعده خبره وقد أقيم الظاهر وهو القرآن مقام الضمير
الرابط وإن جعلته قسما فاللام جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس فعلا
لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز أن تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى والتذكرة وجه آخر
لاختلاف الجنسين فإن التذكرة لا يمكن أن يحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي فيه إلا بمعنى لكن وفي قوله
لتشقى وإلا تذكرة وجه آخر وهو ما أنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ إلا ليكون تذكرة أي ما أنزلنا عليك هذا
المتعب الشاق إلا ... أن يكون تنزيلا بالإنها فإذا كانت معلولة لأجلها لم يجز أن يكون تنزيلا بالإنها لأن الشيء لا يعلل بنفسه
والإنزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر ويجوز أن ينتصب تنزيلا بمضمر أي نزل تنزيلا أو بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة
أو على المدح والاختصاص ويخشى مفعول به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل أي لمن يؤول أمره إلى الخشية لأنه هو
المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وببيانه ومن خلق متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا
أو بكائنا صفة فيكون مستقرا وفائدة الانتقال من الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا أمور منها الافتنان في الكلام
على عاداتهم ومنها تفخيم الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالإسناد إلى ضمير المتكلم المطاع في أنزلنا ثم إلى المختص بصفات
العظمة والتمجيد وقيل أنزلنا حكاية كلام جبرئيل فلا التفات والعلى جمع العليا تأنيث الأعلى وفي وصف السموات بها دلالة على عظم
قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها فيحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه
قول الحكماء عقول الرجال تحت ألسنة أقلامهم وارتفع الرحمن على المدح على تقدير هو الرحمن أو هو مبتدأ مشار بلامه إلى من خلق
والبحث في الاستواء على العرش من جانب المشبهة والموحدة قد مر مشبعا في الأنعام في قوله وهو القاهر فوق عباده
وفي الأعراف في قوله إن ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة إلى الإعادة ثم أكد كمال ملكه وملكه بقوله له ما في السماوات الآية عن محمد
بن كعب أن ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الأرضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة وقيل الثور أو الحوت والتحقيق
أن الثرى هو التراب الندي وهو ما جاور البحر من جرم الأرض والذي تحته هو ما بقي من جرم الأرض إلى المركز فيحتمل أن يكون هنالك
أشياء لا يعلمها إلا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب أن الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله وإن تجهر بالقول فإنه يعلم
السر وأخفى فالسر ما أسررته إلى غيرك وأخفى من ذلك ما أخطرته ببالك والسر هذا وأخفى منه ما ستسره وقيل أخفى فعل ماض أي
يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لأنه تعالى محيط بجميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء قط ولا يحيطون بشيء
من الأشياء فلا يطلع على غيبه أحد إلا أن اللفظ يحصل فيه نبو ما إذا حمل على هذا التفسير ولهذا قال صاحب الكشاف ليس
بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط أجيب بأن معناه إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فإما أن يكون نهيا عن الجهر
كقوله واذكر ربك في نفسك وإما أن يكون تعليما للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر كأن تعتري غيره به ومن ...

الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة او باطنة وقد شرحنا شيئا من حقيقة علم نعما في
تفسير قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه
المذكور هو الاله وحده وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد اربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد
ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يخطر في خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثاني نفاق والثاني بدون
الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة بحيث اذا نظر وعرف مات ويروى ان ملك الموت مكتوب على جبهته لا اله الا الله حتى اذا رآه المؤمن
تذكر كلمة الشهادة فكفته ذلك وشهد بذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان والاولى ان
بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول واما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والمخلصين من عباد الله
وابتداؤه تعريض ونفي وتزكية ورفض على ما قرره المحققون واخره الفناء في الله والبقاء به قال الغزالي لا اله الا الله توحيد العوام لا اله
في الوجود الا الله وقال اهل العرفان معناه لا اله في الامكان الا الله روي ان موسى بن عمران قال يا رب علمني شيئا اذكرك به قال قل لا اله
الا الله قال كل عبادك يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فيهن
في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث عن اسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن الاسماء الحسنى قد مر في اخر
الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم ان الموجودات على ثلاثة اقسام كامل لا يحتمل النقصان وهو الله تعالى وناقص لا
يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغر الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر
عند ابنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يتسفل الى ان يقال ثم رددناه اسفل سافلين والكمال بالحقيقة ما ليس في
معرض الزوال والكمالات من الصحة والجاه والمال واما الكمالات الانتساب الى الكبير المتعال ومن تحقيق نسبة العبدية المنبئة
عن عروة الربوبية وكل منتسب الى بلد او قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكر ربه بالاسماء
الحسنى حتى تثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على انه لا يفعل القبيح ولا
يزال مولعا على الاحسان كما قيل يا حسن الوجه توق الخنا لا تخلطن الزين بالشين فيا حسن الاسماء والصفات لا تردنا عن
خوان احسانك يحكى عن ذي النون انه اصطاد سمكة وكان لها بنت فاخذتها والقتها في البحر وقالت انها ما وقعت في الشبكة
الا لغفلتها الهنا انك المولى رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس واخرجنا منك برحمتك لغفلتنا فردنا اليك
وانت ارحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي ان موسى عليه السلام قال الهي اي خلقك اكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكري
واي خلقك اعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال واي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال واي خلقك
اعظم جرما قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا لا نتهمك فانا نعلم ان كل ما احسنت فهو فضل وكل
ما لا تفعل بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء اعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم
اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون يتخطون رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
ثم ينادي اين الحامدون لله على كل حال ثم يكون التبعة والحساب على من بقي الهي نحمدك ونثني عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا
فاعف عنا بفضلك وحسن اسمائك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول فيما كلفه من اعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا
له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى هل اتاك لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وبقول الرجل لصاحبه هل بلغك خبر كذا
ليتطلع السامع لما يلقى اليه وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس ان المراد منه تقرير الخبر في قلبه اي قد اتاك ذلك في الزمان المتقدم
واذ ظرف للحديث لانه حدث والمراد ذكر وقت كذا او مفعول فرحين ونحو حين راى نارا كان كيت وكيت قال اهل [illegible]
موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة جمعة وقد ضل الطريق

الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن انها من
نيران الرعاة وقال الاخرون انه راها في شجرة واختلفوا ايضا في ان الذي راه كان نارا ام لا قالوا والصحيح انه كان نارا ليكون
صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن ان يقال اطلاق اللفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب قيل النار اربعة
اقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تأكل وتشرب وهي
نار المعدة ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وبعبارة اخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم
وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار فقال لاهله امكثوا انما جمع لان اهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز
ان يخاطب المرأة وحدها ولكنه اخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيما
اي اقيموا في مكانكم فقد آنست نارا اي ابصرت ابصارا لا شبهة فيه او ابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك
انسان العين لانه تظهر به الاشياء ومنه الانسي لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانسي ضد الوحشي لظهوره المطلق
وهو المأنوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان
بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم فقال لعلي آتيكم قال المحققون فيه دلالة على ان ابراهيم صلوات
الرحمن عليه لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب الظني فلم يقل اني آتيكم لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به
فابراهيم وهو ابو الانبياء اولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوهما هدى
على حذف المضاف اي ذوي هدى او اذا وجد الهدى والظاهر انه الدليل الذي يهديه الى الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما
يستهدون بهداهم في ابواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل
ومعنى الاستعلاء في على النار هو معنى ذاتي لا اجد حالا من ذوي هدى ان اهل النار يستعلون المكان القريب
منها والمصطلون بها تكنفوها قياما وقعودا فهم مشرفون عليها واذا كان المكان مستويا فلما اتاها اي اتى النار
قال ابن عباس راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف
وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها نارا اوقدت فاخذ من دقاق الحطب
ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها
فكانها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى
موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى من قرأ اني بالفتح فتقديره نودي باني ومن قرأ بالكسر فلان النداء في
معنى القول ولان التقدير نودي فقيل يا موسى وتكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة
روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي حتى كان كل جارحة مني صارت اذنا وقيل انه سمع النداء
من جماد كالحصى والشجر فيكون معجزا وايضا انه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفي تلك النار ولا
النار تضر بالخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله وجوز الاشاعرة ان يكون قد خلق الله تعالى له علما ضروريا بان ذلك والمعتزلة
منعوا منه قالوا انه حصول العلم الضروري بان ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة ان يكون الصفة
معلومة بالضرورة والذات معلومة بالاستدلال وحصول العلم الضروري بوجود الصانع ينافي التكليف وبالاتفاق فلم يخرج موسى
عن التكليف قال القاضي انه كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذا الخارق والا وجب ان يكون معجزات لغيره من
انبياء زمانه كشعيب مثلا قال وهذا اولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى يدل على انه اول وحي اليه وعند اهل السنة

الارهاص جائز فلم يوجب الحالة تلك الخوارق الجزم وعندهم ان الله تعالى اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة لما انكروا
وجود ذلك الكلام قالوا ان الله تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة ونحوها حتى على ذلك واهل السنة عماد وراء النهر
اثبتوا الكلام القديم الا انهم قالوا ان الذي سمعه موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة لانه تعالى لا يريد النداء على ان اتفق النداء والمرتب
على المحدث محدث ومما استدل لاهل المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان كلامه تعالى ليس بقديم لان الامر والمامور معدوم
سفه فلابد ان يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا اجابت الاشاعرة بان كلامه الازلي ليس بامر ولا نهي ولو سلم فامر في
الازل مستمر الى انصار التنخي مامور لحين غيره بغيره في امره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور في الحادث وما الحكمة في الامر بخلع النعلين
قال للغسي وذلك انهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول علي ومقاتل والكلبي والضحاك وقتادة والسدي وقال الحسن
وسعيد بن جبير ومجاهد ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل عظم البقعة عن وطئها الا حافيا ويؤيده قوله انك بالواد المقدس
ومن هاهنا كره بعضهم الصلوة والطواف في النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا
وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكون الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نادى خلعهما في الصلوة
فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبريل اخبرني ان فيهما قذرا يروى ان موسى عليه
الصلوة والسلم خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال طوى هو بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرف جعله اسم
واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثني اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن
ثنيت فيه البركة والتقديس الذي طويته طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ وانا اخترناك وفيه دلالة على
النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله وفي هذه الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية
الجلال والهيبة فمن الاول رجاء ومن الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجعل جميع همتك مصروفا اليه لما
يوحى للذي يوحى او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته
انما لزمت لالهيته ومن هاهنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير
جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه امر بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيئاتها اجاب القاضي
عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عليه السلم قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها
الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب على التاسيس اولى فالعلماء قد بين له ولكن لم يحكه الله تعالى سوى هذا القدر ورد بان
البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ولقائل ان يقول سلمنا ان البين اكثر فائدة للمخاطب ولكن
لا نسلم ان حكاية البين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغيره لصيرورة بعض هيئات ذلك التكليف منسوخا وان كان اصله باقيا
وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما لغرض الوقت واما للتعليل والذكر اما باللسان او هو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل او
مفعول او مفعول له ويحتمل الكلام تقدير مضاف ام لا فلاجل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والياء
منصوب اي لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او المراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والمراد في ان
اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجازا وتقول في الاول يكون نفس الصلوة مطلوبة في
بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة لغرض الذكر او المراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف
اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها
ان يحمل الذكر على ضد النسيان اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم ذاكرين لله بالجنان في جميع الاحيان بذكري

مولى الانعام وفي القران رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او المراد ذكر الصلوة بعد نسيانها وكان حق العبارة ان يقال
لذكرها كما قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف اي لذكر صلوتي
وذكر الصلوة هو ذكر الله والياء في الاصل منصوب او الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي
من فاتته صلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان
كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة
الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر خلال صلوة الوقت بطلت
الا ان يكون الوقت ضيقا فلا تبطل احتج الشافعي بما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع
الشمس فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتادوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلوة لما امر بذلك
فعلم انه وقت لتقرر الوجوب عليهم والوقت موسع بعد ذلك احتج ابو حنيفة بقوله تعالى اقم الصلوة لذكري وقوله صلى الله عليه وسلم
فليصلها اذا ذكرها وبحديث جابر ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما
صليت صلوة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى بطحان وصلى العصر بعد ما
غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس فهما صلوتان فرضيتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي
عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد التكرار
سقط هذا الترتيب ثم لما امر بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك بقوله ان الساعة اتية سوال كاد يفيد
اثبات والاثبات نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس
انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار واذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت لاشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك
الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هي للمقاربة فقط والباقي موكول الى
القرينة وليس في المراد بعدم الاخفاء اخباره بانها اتية وان كان وقتها غير متعين كانه قال اكاد لا اقول هي اتية لفرط ارادة
الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال اراد اكاد
اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها مني واكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على
عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها عن الخلق كقوله
عسى ان يكون قريبا اي هو قريب وقال الاخفش وهو قول ابي مسلم ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم
لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها وقال ابو الفتح الموصلي اكاد اي
اكاد اظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح
الهمزة من خفاه اذا اظهره وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او باتية ولولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن
من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالاية ظاهر لان قوله بما تسعى اي بسعيها فلو لم يكن اعمال
العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان اعتبار الوسط
لا ينافي انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عنايته الازلية التي لا علة لها ومعنى الفاء في فلا يصدنك انه اذا صح عندك
اني اخبرتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله فلا يصدنك نهي عن الالتفات
وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير في عنها للصلوة والعرب تذكر شيئين ثم ترمي بضميرهما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى

حوله ونبه بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة وهنا واما الخطاب فالظاهر انه لموسى لان الكلام جمع معه وجوز بعضهم
ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامة والنهي عن الصد في الظاهر لمن يؤمن بالساعة وهي بالحقيقة
نهي لموسى عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب او صد
للكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل فكن في الدين صليبا حتى لا
يطمع في اغوائك الكافر والذي دعا الى هذا ان النهي البالغ في معناه وهو كان في المبطلين والجاحدين كثير منزله قدم فعل الرد
ان يكون مع المحقق وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار بان
الردى والهلاك مع اتباع الهوى ومن هنا استند الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم
ان في نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد دعوى الجهل والداعي كما ترى انا قال اهل
التحقيق قوله ابلاكم فاخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي
تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قوله انني انا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال
الجسمانية وقوله لذكري وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة آتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله
اني انا ربك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك عنها الآية وهو تهديد بليغ تنبيها على ان رحمته سبقت غضبه وان العبد لا بد ان يكون
سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون
تلك اسما موصولا صلته بيمينك اي ما التي بيمينك فلم يقل ما ذا بيدك لانه يحتمل ان يكون في يساره خاتم او شيء آخر وكان يلتبس عليه الجواب
اسولة ما الفائدة في هذا السؤال جوابه ان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير كقطعة من حديد شيئا شريفا كاللبوس
المرصع على القاضي يقول ما هذا فيقول انه حديد ثم يظهر صنعته بلزمه بقولهم ويقول خذه فصار ذاك الذي قلتم فكانه سبحانه
قال لموسى ما في يمينك فانه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال اهل الخطابة انه سبحانه
لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه ممزوجا باللطف والقهر والتكاليف
تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك ليعرف موسى ان يمينه هي التي فيها العصا وايضا انه لما تكلم معه
بالكلام الالهي قرب موسى ان يدهش فكلمه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لان السؤال عنه مما يقع فيه الغلط كما ان السائل
لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يطلبه الوجل والخجل والحياء فيسأل عما لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد دفعا
للتحاشي وطلبا للاستيناس وايضا لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ما
ذكر فعرفه الله تعالى ان فيها منافع اجل مما ذكر تنبيها على ان عقول البشر قاصرة عن حقيقة الصور لولا التوفيق والارشاد اخرجنا
موسى بلا واسطة وخاطب محمدا بواسطة جبريل فيلزم ان يكون موسى افضل اجاب النبي بدليل فاوحى الى عبده ما اوحى وبان
الافضلية انكلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سرا لم يشاهد له سواه وايضا حصل لامته في الدنيا شرف التكليم المصلي يناجي
ربه وفي الاخرة شرف التكريم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان نعله استغرقته بحار الهيبة مشتغلا بالعصى ونعليه فوقها
ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار
ولهذا لم يرد في الثنا احبيتك خطابا قوله انت كما اثنيت على نفسك وههنا نكت منها انه سبحانه لما اشار الى العصى واليه بقوله وما تلك
بيمينك حصل في كل منهما برهان باهر ومعجز قاهر فصار احدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم الله تعالى ينظر
في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاي عجب ان ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها ان العصى صارت بيمين
موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت

ابتلعت سحر السحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بمدد نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحرة النفس الامارة بالسوء
ثم ان جواب موسى تم بقوله هي عصاي الا انه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب
فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كانه قيل فما تصنع بها فاخذ يعد
منافعها وقيل خاف انه ينكر عليه استصحاب العصى كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على راس القطيع وعند الطفرة والتركيب يدور كالوسيلة الى درك واهش بها اي اخبط الورق بها على رؤس غنمي
تاكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر اي سهل الشان فيما يطلب من الحوائج وهو مليح
وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله
عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا لامته حسبنا الله ونعم الوكيل ونزل في حقه حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين اي حسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدأ بمصالح نفسه في قوله اتوكأ عليها ثم مصالح رعيته بقوله
واهش بها على غنمي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح امر امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى يوم القيمة نفسي نفسي ومحمد يقول امتي امتي ثم قال ولي فيها مآرب
اخرى هي جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد تفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسر الراء ايضا ومثله الارب بفتحتين
والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومنها اياتنا
الكبرى قالوا انما اجمل موسى ليسأله الله عن تلك المآرب فيطول المكالمة وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل ان المآرب
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وان كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها
الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كانه احس بانه
تعالى انما سأله عن امر العصى لمنافع عظيمة فقال الهي ما هذه العصى الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكلمتني عرفت
لي ان لي فيها مآرب اخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر له عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده
وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ولكن هذه المزاولة كان بعيد بنوة
موسى بلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد والا كان الانسب نقليها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها
فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب على ما يروى انه كان قد اعطاها اياه قال اهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها
مآرب اخرى لا يعلمها فقال القها يا موسى وبوجه آخر كانه في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء وهو العصى والرجل
آلة الهرب واليد آلة الطلب فامر بالقائهما تنبيها على ان السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا
بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر العرفان وقيل ان موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شانه
لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف وقر من المعاصي كيف يمكنك الوصول
الى جنابه قال الكعبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما ان توجد والعصا في يده فذلك قولنا
او توجد وهي خارجة من يده فذلك تكليف بان يلقي من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا
قوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كانها جان عبارات عن معنى واحد لان الحية
اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان فهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها

فبينهما تناف في الظاهر لا في التحقيق لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفرا دقيقة كالجان ثم تتورم ويتزايد
جرمها حتى يصير ثعبانا فاخرا الامر وانها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي
وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال اتوكا عليها فصدقه الله تعالى في ذلك وجعلها
متكا له بان كانت اعظم معجزاته واعا فلهاجيه في ذلك الوقت ولتكون معجزات لموسى يعرف بها نبوة نفسه فان
النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة لهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وايضا عرضها
عليه ليتاهل ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه ولو لم يستر العيوب والعدو يبرز المعايب في
صورة المثالب فكيفما اذا وجد مجال الطعن والقدح وقد مر في الاعراف ان الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين
لحييها اربعون ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى
ذهل عن الدلائل فاخذ يفر ولعله بلغ حينئذ مقام فقر الى الله لم يبق غير شيء او لعله لما حصل له التمام
الكاملة بقي في قلبه عجب فاراه الله تعالى انه بعد في النقص الامكاني ولم يفارق عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من
الله وحده فقد روي انه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ
بلحييها قال الشيخ ابو القسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي
اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه عرف ما لقي آدم منها قلت يحتمل ان يكون خوفه من ان تعجزه اباها
من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى ينجو قال جار الله السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز
ان ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى حالما كانت عصا او يكون اعاد منقولا من عاده من عاد تبرع الحافظ
بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او يكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا فنصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي
سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها ثم نوع امر بمعجزة ثانية فقال
واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيه والاصل
المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد في الاية تحت العضد بدليل
قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك ان الصدر مستور
بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويعضده قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح
في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة والبرص ابغض شيء عند العرب تمجه اسماعهم فكان جديرا
بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها ترق كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير سوء من صلة بيضاء كما يقول
ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد من للتعليل اي ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب عزه وحقيقته
سبح الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا او متداخلتان واحتمل ان ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ
ودونك وقوله لنريك اما ان يتعلق بهذا المحذوف او بعد وفاجعلنا لنريك من آياتنا فعلنا ما فعلنا و
يبعد عندي ان يتعلق بالامرين المذكورين اي القها واضمم لنريك قال الحسن اليد في الاعجاز اعظم من العصا لانه
تعالى وصفه بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيه تغير اللون والزيادة في الحجم
وخلق الحيوة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بها بعض الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز في الكشاف
ان يكون المراد لنريك بها الكبرى من آياتنا ويرد عليه لزوم ان تكون الآيات الكبرى منحصرة فيه وليس كذلك وان معجزات

معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من الكل وكفاك بالقرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات
فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى عن وهب ان الله
تعالى قال لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وبسمعي وان معك يدي وبصري
واني البستك جبة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري
وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي
لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له
قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة
ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري قال علماء المعاني ايهما ولا يقول رب
اشرح صدري مع ان ثمة سرورا وحاويا ثم بين ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر كانا وكدا من جهة الاجمال ثم
التفصيل كان في صدره حرج وضيق كما جاء في موضع آخر ويضيق صدري فسال الله تعالى ان يبدل الضيق بالسعة
حتى يتهم ما انزل عليه من الوحي وقيل يتحمل على مخاطبة فرعون وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه
وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة واذا سالك عبادي عني فاني قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة

الاولى انه تعالى كامل في الازل الا انه غير مكمل في الازل لان التكميل هو جعل الشيء كاملا ولا شيء معه في الازل
فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يتم عدد امعقا لحركات اهل الجنة لان كل ما له عدد مفصل فهو متناه وحركات
اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين
تكميل الناقصين وكان الوجود افضل من صفات الكمال اجلى الله سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه
لو اجلى الكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تنتهي القدرة الى الاستقلال لامتناع ايجاد الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع
مائدة الوجود لبعض المعدومات دون البعض اقتضت وضع مائدة الحيوة لبعض الموجودات دون البعض حتى صار
ذلك البعض جمادا كالمنافي والملايم واللذة والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب الارباب شرفتنا بخلعة الوجود
وخلعة الحيوة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج الى الملايم والموافق وما كنا نخاف من المنافي
والمؤذي والان احتجنا الى طلب الملايم ودفع المنافي فان لم يكن قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في
الطريق عرضة للآفات ومرمى لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت
تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالحيوة فقال له القادرون عند ذلك الهنا الجواد
الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم والعجز في حمل الاثقال فاقض علينا من العقل الذي هو اشرف
خلق كاعطى بعضهم العقل فجعل في ارواحهم نور البصيرة وجوهر الهداية فتحنا معه كما ان خاتم النبيين محمد صلى الله
عليه وسلم كان افضل الخلق ثم نظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء مزينة
بالزواهر وهي العلوم الضرورية والبديهية المركوزة في بداية العقول ومصابيح الاذهان يهتدي بها السائرون
في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستود العقل بتلك الارقام على دائم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشته
الانوار الازلية وكاد يغرق في بحر الكبر ويضيق عليه نطاق التامل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي الاعداء الداخلة
والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانتهى جميع الحوادث اليه وخيس
الامور الكلية والجزئية من عنده وهو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته **الثانية** انه تعالى خالق

اولا بالتوحيد انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعها
بمعرفة الحكمة في جملة افعاله وما تلك بيمينك وخامسا بمعرفة المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى
وسادسا بارساله الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق العطن واحلال عقدة الصبر
فلاجرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لسطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع تشوق
موسى على ذلك النور فقال رب اشرح لي صدري ولما ان الامر المحمدي كان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات
خاطبا بقوله الم نشرح لك صدرك اي في الشبيبة فقيل له وقل رب زدني علما ووصفه بقوله وسراجا منيرا
فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام
هو التفاوت بين الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد **الثالثة** انه تعالى ذكر
عشرة اشياء ووصفها بالنور **احدها** وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض **وثانيها** الرسول قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين **وثالثها** الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه **ورابعها** الايمان يريدون ان
يطفئوا نور الله **وخامسها** عدل الله واشرقت الارض بنور ربها **وسادسها** ضياء القمر وجعل القمر فيهن نورا
وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور **وثامنها** البينات انا انزلنا التورية فيها هدى ونور **وتاسعها**
الانبياء نور على نور **وعاشرها** المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى عليه السلام قال اولا رب
اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح لي صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك
وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعا رب اشرح لي صدري بنور الايمان
والايقان بالاهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا
رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلال عزتك كما فعله ابرهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا
رب اشرح لي صدري من مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي
صدري بالاطلاع على عجائب آياتك ومعاقد بيناتك في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري بان اكون خلف
صدق للانبياء المتقدمين ومتشبها بهم في الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لي صدري بان تجعل سراج
الايمان كالمشكوة التي فيها المصباح **الرابعة** شرح الصدر عبارة عن انفتاح النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج
ومستوقد السراج يحتاج الى سبعة اشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة
والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى ونهى النفس عن الهوى
والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم
لازيدنكم والدهن الرضا فاصبر لحكم ربك ثم اذا صلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي
ان يطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك
يا موسى **الخامسة** هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية **احدها** الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا تحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب **وثانيها** الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب
ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الليل العاشقين
سمر بالاسحار فاقة تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى **وثالثها** الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها

اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم **ورابعها** الشمس اذا قاربها القمر انكسفت وشمس المعرفة وهي
اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقترن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله لم يصل نورها الى عالم الجوارح **وخامسها**
الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجه يوم تبيض وجوه **وسادسها** الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق فجز يا
مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي **وسابعها** الشمس تصلح والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب **وثامنها**
الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
وبهجة اهل الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء **وتاسعها** الشمس فوق في الصورة تحت في المعنى
والمعارف الالهية تحت في الصورة فوق في المعنى وفيه ان الخشية مع الترفع والشرف مع التواضع **وعاشرها**
الشمس تعرف احوال الخلق وبالمعرفة يصل الخلق وبالمعرفة يصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو
والمعرفة منفعتها لا تحصل الا للولي ولما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف من اعلى مراتب
الجسمانيات بدأ موسى بطلبه قائلا رب اشرح لي صدري **السادسة** الشمس سراج اوقدها الله تعالى للفناء
كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقدها للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب
منه الشيطان احترق فيجد له شهابا رصدا فالذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا
الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها الا انها في قلبك اولى ان تزيل ظلمة المعصية
والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة
ولكن الله حبب اليكم الايمان افلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص
لا يقرب منه فانه سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا
المجوسي اذا اوقد نارا لا يجوز ان يطفئها والملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى
باطفائها رب اشرح لي صدري **السابعة** انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات **احدها** الحيوة او من كان ميتا
فاحييناه وقال صلى الله عليه وسلم من احيا ارضا ميتة فهي له فيمنعه منه انه لما خلق ارض القلب فاحياها بنور
الايمان لا يعير فيها نصيب **وثانيها** الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه لما وضع الشفاء في
العسل بقيت تلك الخاصية فيه ابدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا **وثالثها** الطهارة اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما
امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده **ورابعها** الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول صلى الله عليه
وسلم يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاولان قد يخطئان وقد لا يحصلان انك لا تهدي من احببت
وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب فلا يزول البتة لان الهادي لا يجوز ولكن الله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم **وخامسها** الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم
يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع احكام ذاته وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا ان بشر الحافي
اكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرم قلب فيه معرفة الله اولى بذلك وايضا
القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى انه لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه
اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه **وسادسها** هو الذي انزل السكينة
في قلوب المؤمنين وفيه ان ابا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قال لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا

نزلت السكينة في قلبه لابدان يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا **وسابعها** المحبة والزينة اذا نزلت ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وفيه ان الدهقان اذا القى حبة في ارض فانه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض
القلب كيف يحرقها **وثامنها** والف بين قلوبكم وفيه انه صلى الله عليه وسلم حين الف بين
قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين
وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم **وتاسعها** الطمانينة الا بذكر الله تطمئن
القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي والكافي
للمهمات لا يكون الا لمن له كمالات غير متناهيات ولا ينيل قلق الحوائج واضطراب الاماني الا الله سبحانه وبالجملة
هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم في
قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها
بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل طلب تلك الكرامات والهرب من اضدادها قال موسى رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري **الثامنة** في حقيقة شرح الصدر وذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى
الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب بالاهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة
بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية كمنبعها كينبوع صغير فاذا وزعت على
جداول كثيرة ضعف الكل واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فايدتها فسال موسى
ربه ان يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات
وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري او نقول انه لما كلف بضبط الوحي في قوله فاستمع لما يوحى وبالتبليغ
على حد مع الخلق في قوله فاعبدني وكانه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال
بالاخر فسال موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معدن النور هو القلب الحي
قبضا والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من
وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فايدتهم في الدارين
صغر في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يبقى رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك
فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري
التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالصفة
والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلد والغضب
كالاسفهبد الذي يشتغل بالضرب والتاديب والحواس كالجواسيس وساير القوى كالمحترفين والعملة والصناع
ثم ان الشيطان كملك مطاع فانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وساير الاخلاق الذميمة
جنوده فاذا احتج الروح وزيره وهو العقل احتج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله
والهوى الى الشيطان ثم ان الروح احتج الفطنة اعانة للعقل فاحتج الخصم في مقابلته الشهوة والفطنة
توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحثك على لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة لتحفظ الحاضر والغائب
من المعايب على ما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة فاحتج الشيطان في مقابلة الفكر

الغفلة ثم احتج الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاحتج الشيطان
بازائه العجلة والسرعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء
الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هي الخصومة الواقعة بين
الصنفين وقلبك وصدرك هو المركز ثم ان لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا
وله سور وهو الرغبة في الآخرة وفي كل ما هو لله تعالى فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر
الشيطان وانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الهوى والكبر والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من النميمة والغيبة وساير الخصال الذميمة ويحصر الملك في القصر ويضيق الامر عليه
ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لي صدري **النكتة**
العاشرة في الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام افمن شرح الله صدره
للاسلام والقلب مقر الايمان وزينه في قلوبكم اولئك كتب في قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما
كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود
المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا كتب العقل فيه
التوفيق فالقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات حيث مهاب العظمة والكبرياء لرجاء
السعادة تارة ودبور الادبار اخرى فحينئذ يضطر الراكب الى التماس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب
السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وانما سال موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر
يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحر تكفيه
الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه ان يمنعه النتيجة وايضا انه راعى الادب في الطلب
فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطي المقصود فقيل قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترا في طلب الرؤية
بقوله ارني انظر اليك اجيب بقوله لن تراني واعلم ان جميع الماهيات الممكنة كالمظلمة في الوضع
في مقابلة شمس القدس ونور العظمة وشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة
اليها باثرها فينعكس شعاع كبريائه الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم ان المحرق
كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم ولهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على
ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام الاحتراق بانوار الجلال كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم
الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي ان موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي دون ان يقول
رب اشرح صدري علم انه اراد ان يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسي نفسي
وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم يخص امته في مقام القرب اذ قيل له سلام عليك ايها
النبي فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتي امتي وشتان بين
نبي يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين نبي يخاطب اولا بقوله الم نشرح لك صدرك ولا
يخفى ان المراد بالشرح والتيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث
بسبب الالطاف المسهلة فانه يحتمل ان يكون هناك من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال
اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة

ولهذا قال سبحانه خلق الانسان علمه البيان بغير توسيط العاطف كانه انما يكون خلقا للانسان
اذا علمه البيان وفي لسان الشعر وهو زهير شعر لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة
اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة او بهيمة مهملة وقالت
العقلاء المرء باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملائكة لم يظهر الفضيلة الا النطق
ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك
المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه اظهر خواص الادمي وقد نيط به امر عقد [illegible] والتعبير عما في
ضميره فقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي امري رمزا الى
تسهيل ذلك المحصل وقوله واحلل عقدة طلب لتسهيل اسباب التكميل لان اللسان الة الافاضة والاخذ منه
والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم وحسبك بافتخار قادر فخرا سكوت الحاضرين
وانت قايل وعن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله
ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن توابع الكلم يا بني فاك لا يقرع قفاك ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي
ضرره خالص او غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص
او غالب عن الفاه فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم او موهوم الا واللسان
يتناوله باثبات او نفي بحق او باطل بخلاف ساير الاعضاء فالعين لا يصل الا الى الالوان والسطوح والاذن
لا يصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا يصل الا الى الاجسام وكذا باقي الجوارح اما اللسان فانه رحب
الميدان واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات للمعصية
به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصاف ان الصمت في نفسه ليس بفضيلة
لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القائل
فيرجع الحق الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم
قالوا ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق
كقولهم مال ناطق وصامت والسكوت وهو ما يصعب [illegible] ترك الكلام ممن يقدر على الكلام
والانصات وهو سكوت مع استماع قال الله تعالى فاستمعوا له وانصتوا والاصاخة وهو ما يصعب
ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت في اصل خلقته
وعن ابن عباس انه في حال صباه اخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي
يزول ملكي على يده فقالت آسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل باليواقيت
والجمر فاحضر بين يديه فاراد مد اليد الى اليواقيت فحول جبريل يده الى الجمر فاخذها ووضعها
في فيه فظهرت به عقدة وتجبى عند بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما احرقته
ولو اثرت فيه اطفا كلاثرة غضب فرعون فان الله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما
في حق ابرهيم صلوات الله عليه وكما في حق موسى ايضا حين القي في التنور وبعد ان بلغ اخبر فتنه
ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم يتراء ولما دعاه [illegible] الى الحق اي رب بلا عوني فالحق

الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنهما وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا يسقط عنه وبين فرعون
حرمة المواكلة من قصعة واحدة وتبلغ عقدة يده لان الصولة ظهرت باليد واما احترق
اللسان لانه خاطبه يا ابت وما الحكمة في طلب حل العقدة الاظهر كيلا يقع في اداء الرسالة خلل ولهذا
قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد تقتضي الاستحقاق بالقايل وعدم الالتفات
اليه وقيل اظهارا للمعجزة فكما انه حبس لسان زكريا عن الكلام كان من معجزاته فكذا اطلاق لسان موسى
كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فيه الحسن نعم لقوله قد اوتيت سؤلك والاصح انه بقي
بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يفهم ولانه
لا يبين وكان في لسان الحسين بن علي دلالة على انه طلب بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب
الفصاحة الكاملة قال المحققون وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب
والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب لا جرم لما
دار حوله ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا قال اهل الاشتقاق هو من الوزر بالكسر والسكون
لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجأ اليه او من
الموازرة المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشدد به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري
وازرت فلانا اي عاونته والعامة تقول اوزرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا الا ان العين على ما حكي عن الاصمعي
بحمد الفعيل حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنيهما في نحو عشير مجليس وصديق وغيرها وحمله على اخواته من نحو
الازر ويوازر والاستعانة بالوزير تحسين رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم
قال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه وان اراد شرا كفه
وكان انوشروان يقول لا تستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير
ولكني مرتبة الوزارة منقبة فخرا وشرفا وقد كان النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب وا
لما طلبه منه فيجب على من اوتي هذه الرتبة ان يؤدي لله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويدع في خاص
الوزارة ما لا يندم عليه وقت حصاده قيل ان موسى عليه السلام خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب
الجسيم فطلب المعين والاظهر انه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد
التهمة وابعد عن الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم فقوله يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء
جبريل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون ذلك الوزير من اهله فقال اي من اقاربه ليكون
التقرب اكثر ويكون الشرف في بيته اوفر وانه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب الشريف فضلا
لحق في الخلق في منع المستوجبين فقد طلع وكان افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون
مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل
من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز فيه ان اشدد على الامر ان يجعلا حكم عنها على الابتداء واشدد وخبر بمعنى
الحدوده وشد الازر عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصره فيما عسى يرد عليه من الشدايد والخطوب يحمله
وسيلا له في النبوة وطريق الرسالة لانه صح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية فان المقصد الاقصى

وهو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخير فقال كي نسبحك
كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات وبالاولين ولى العقايد الفاسدة
وبالثاني ترتسم النفوس بالحسنة المقيدة ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوايد منها انه فرض اجابة الدعوات
للعلم باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها انه عرض فقرهم واحتياجهم على علمه
بانه مفتقر الى التعاون والتعاضد فلهذا سال ما سال ومنها انه علم باحوال الاجابة هل يعلم يصلح لو زادتهم ام لا ولا ٥
وزادته هل تصيرهما اكثر التسبيح والذكر وحيث دعى من دقايق الادب وانواع حسن الطلب واجيب عليه ولا جرم
اجاب سبحانه مطالبه ولنجح ما ارب قايلا قد اوتيت سولك والسوال بمعنى المسول كالخبر بمعنى المخبور والاكل بمعنى
الماكول وزيادة قوله يا موسى بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتشريف وفيه اعلام بمصالح عبيده **التأويل**
يا من خاطب بطهارته بساط الني ما انزلنا عليك القران الا لتسعد بتخلقك بخلقه ولتسعد بتخلقك بخلقه بسببك الاولون
والاخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك التي هي على الموجودات
الممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على العرش عرش قلبك وما بينهما اي ما بين سماء الروح وارض
النفس وهو القلب بما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى اي ما هو مركوز في جبلة الانسان
وان تجهر بالقول ان يظهر شي من صفاتك بالعقود فانه يعلم السر وما يظهر من سيرتك واخفى وهو من خفيتك والسر
في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية ومحل المشاهدات وقد يحصل كل الروح
عند نشاة الاولى وان كان كالروح والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشاة الاخرى ولا يحصل
الا لمومن من حل ساد مهبط الانوار الربانية ومحل المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم الدينية
قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الخفي الذي لا شي اقرب الى الحضرة
الا هو سره علم ادم الاسماء كلها اي هو حقيقة قوله ان الله خلق ادم فيصل فيه وهل اتيك حديث موسى القلب اذ راى نارا
وهو نور في الحقيقة ما نوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا في ظلمة الطبيعة
الحيوانية اني انست نار المحبة التي لا تبقى ولا تذر من حطب الوجود المجازي شيئا لعلي اتيكم منها بقبس يخرجكم من ظلمات
الطبيعة الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى باداب الطريقة الى الحقيقة فلما اتيها نودي من شجرة القدس بخطاب
الانس فاخلع نعليك اي اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس او هما المقدمتان في نحو
قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك لانه اذا غرق في لجة العرفان بقيت المقدمات
على ساحل الوسايل وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلقي وجودك من البدن والنفس والسر والروح
فاستمع بسمع الطاعة والقبول لما يوحى لما تجليت بانانيتي الحقيقي لانانيتك وجودك المجازي لا يبقى الا انا
فاعبد بافناء وجودك وادم المناجاة مني لنيل ذكري اي لكي اتجلى ان قيامة العشق اتية اكاد اخفيها
لعظم شانها الان متنفا من الكتم فتنصي اظهارها لا حض عبيدي لتجزى كل نفس بما تسعى في العبودية
من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فلما كان سعي الروح يجب الوطن الاصلي للرجوع
الى مكمن اصافة ونفخت فيه من روحي تجزاوه من تجلي صفات الجلال بانعدام المانيتة
في الالوهية اللاهوتية وكان سعي السر بالخلوص عن الاكوان لتبول قبض المكون
تجزاوه بافاضة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال والجلال

بالجلال تجزاوه بدوام التجلي واذا بيت عنده يطعم ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن الواح القلوب لكشف حقايق
الغيوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق واتصاف الاوصاف الحميدة تجزاوه بالاشراق بنور الله الازالة الظلمة صفاتها واطمانيتها الى ذكر
ربها المصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشرايع واداب الطريقة تجزاوه برفع الدرجات وشكر الكرامات
في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تومن بها بحكم ان يقال الا داخل الساعة واخفى احوال الجنة
والنار بل لا يكون عيانا فتسوية بطبع الجنس حرف النار فتتوا اخطار موسى في قوله هي عصاي وكان علينا ان نتكي على لطف الله
وكرمه فلهذا قيل القها يا موسى في قوله واهش بها اذ يقال ان العصا للكينونة وبسطه في اغنامه ولما ان القاها فهو الذي يحرسها ولا تخف
فان الضار والنافع هو الله وحده فلا تكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدك الى الجناح فتومك تخرج بيضاء نقية من دون السوال
الطمع بل اغتفار بين تذكره في التفسير وفي قوله قد اوتيت سولك بلفظ الماضي اشارة الى انه اعطى ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير الحالي

ولقد مننا عليك مرة اخرى ﴿٣٧﴾ اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه
في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي
وعدو له والقيت عليك محبة مني ﴿٣٩﴾ ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك
فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها
ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين
في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴿٤٠﴾ واصطنعتك لنفسي اذهب انت
واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل
معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى
قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى

علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض

مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات

شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى

منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد

أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى

فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى

قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده

ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب

وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان

لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا

بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى

قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا

فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس

في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف

ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي

فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له

قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن

أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل

ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا

من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا

إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير

وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته

مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات

عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الأمر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهب بفتح ياء
المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو خلقه بفتح اللام على انه فعل نصير الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم
وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الآخرون بالضم لا نخلفه
بالجزم جواب الامر يزيد ويوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف
ورويس وحفص الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والآخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد
افلح بنقل الحركة الى اللام حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء المثناة ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون
وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالياء التحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص
والمفضل وقرأ البزي وابن فليح مشدده التأكيد سحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال
آمنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ومجاهد ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابو عون عن قنبل قال امنتم
على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون اآمنتم بزيادة همزة ومن يأته مختلسة الهاء
يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي
وشجاع واليزيدي عن ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون ما هي بالاشباع **الوقوف** اخرى لا لان اذ تقديره اذ ما يوحى
ما يوحى بعد نفسه ما يوحى وعدو له ط منج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بالعيث وقد تكون عاطفة على محذوف

ولتصنع ومن جزم اللام وقف على مني لا لحاله على عيني ط لا بناء على ان اذ ظرف ولتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وابتداء الاستفهام على
ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة عن الوصل ولا تحزن ط لابتداء منة اخرى فتونا ج يا موسى لنفسي ج لاتساق الكلام مع حق الفاء
مضمرة ذكرى ج لمثل ما قلنا في النهي او يطغى ج للاية مع الفاء ويخشى ج يطغى ج وارى ج ولا تعذبهم ط لان قد لتوكيد الابتداء وقد
انقطع النظم على اتحاد القول فيجوز الوصل من ربك ط لذلك فان الواو للابتداء في كتاب ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف
ولا ينسى ز بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقدير هو الذي او لاني الذي ماء ط للالتفات شتى ج انعامكم ط النهى اخرى
ولى يا موسى ج سوى ج ضحى ج اتى ج بعذاب ج للاختلاف الجملتين افترى ج النجوى ج المثلى ج صفا ج استعلى ج القى ج القوا ج لان التقدير فالقوا
ما القوا فاذا جاء الهم مع فاء التعقيب واذا للمفاجاة المنافيان للوقت تسعى ج موسى ج الاعلى ج ما صنعوا ط كيد ساحر ط اتى ج وموسى ج
لكم السحر ج للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب وابتداء مقصود الكلام اخر ج لابتداء معنى القسم ولفظ الاستفهام
يعقبه مع اتفاق المجلد واتحاد الكلام وابقى ج فاقض ج الحيوة الدنيا ج من السحر ج وابقى ج جهنم ط ولا يحيى العلى ج لان ما بعده بدل
فيها ج تزكى ج **التفسير** من علينا لما انعم عليك متذكرا لمن عليه كان ابراهيم سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك قبل
سؤالك فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت رببتك من غير سابقة حق فلو منعتك الان مطلوبك لكان ذلك ردا بعد
القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك ينافي الكرم الذاتي قال المنة تهدم الصنيعة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد مننا
عليك يكون من المن لا من المنة قلت يحتمل ان لا يكون المن بمعنى النعم المطلقة اذية وانما يكون بتنبيه على النعم وابطال سنه العقد
حتى يتلقى المكلف النعمه بالشكر والطاعه وانما قال مرة اخرى لان المجلد قصد واحد وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي
الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا او على لسان ملك لا على طريق النبي كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت
الملائكة يا مريم او بالهام في المنام بوضع ولدها في التابوت وقذفه في اليم ثم رده الله اليها او الهمها بذلك كالوحي الى النحل
كما يعلم ان يعقوب ... وابنك وانتهى حيوة اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لانه من المصالح الدينية ولانه امر عظيم
ولانه لا يعلم الا بطريق الوحي وان في النفس لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي ضعيه في التابوت
وفيه معنى الرمي في قصص التابوت وكذا الرمي الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه ما يرجعان الى موسى ايضا
لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى
ويؤيده ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة ولهذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى
فالمتناسب اعجاز القرآن ان يكون الضمير المتوسط ايضا له لان المعنى صحيح واللفظ مناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على
القرينه واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطئ البحر واصل السحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان
الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوص ... انزاح الصدمة بنور الوحي ان يقذف في قلبه فقد الولد الذي هو
اعز الاشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى ... اليم بساحل الرده اليه ... ويروى انها جعلت في التابوت قطنا
محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس
بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر
عنه وظاهر اللفظ يدل على ان التابوت المعظم الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر
الى البركة اما كون فرعون عدو الله ... من جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدو الموسى وهو صغير فباعتبار المآل او لانه
لو ظهر له حاله لقتله ... فرعون ... ادبعتا عيد غلام وجارية يخبر ان
باخذ التابوت ... ذلك الاعتاق ... ولم يظفر باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل والنكتة ...

ان عدو الله لم يجوز ان يكون مسرحا ان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يعتبر عزايم المؤمنين على الطاعه
والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت او يكون
صفة للمحبة اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة الناس التي
زرعها الله في قلوبهم فقد يروى انه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه
قال القاضي هذا الوجه اقرب لانه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي ترجع معناها الى ايصال الثواب ورد بان محبة
الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهي اعم من ان يكون جزاء على عمل او لا يكون ولهذا ابتدأ المحبة بقوله ولتصنع على عيني اي
لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك كما يراعي الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارسا له عن
الآفات كما ان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق
السبب واريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعي له بالحفظ والحياطة والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المنفعل
في ولتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا لتصنع وليس بذاك وانما هو ظرف لالقيت او بدل من اذ اوحينا على
ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا فيقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته
هو في اولها وانت في اخرها وذلك انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي امراة
كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى واسمها مريم متعرفة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل
ثديها وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه تصديقا لقوله انا رادوه اليك كي تقر عينها
بلقائك ولا تحزن بسبب وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا وانت ابن اثنتي عشرة سنة نفسا هو القبطي الذي يجيء
ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش او اراد بالغم خوف عقاب الله
وذلك ان قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالشكور والكفور او جمع فتن كالظنون
للظن او جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كبدعة وبدور وحجوز في حجرة والفتنة المحنة والابتلاء بخير او شر
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه عن سعيد
بن جبير انه سأل ابن عباس عن الفتون فقال اي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وا
لقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة
وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء
وفتناك لانه صفة ذم في العرف فسوف يجيء قصة لبثه في اهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص
ان شاء الله العزيز قوله على قدر اي في وقت سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك فيه او على مقدار من
الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة او على موعد قد عرفته باخبار شعيب او غيره الصنع بالضم مصدر
صنع اليه معروفا وقبيحا اي فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله في الخير اكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة
واصطنعتك لنفسي اذا اصطنعتم وخرجته ومعناه احسنت اليه حتى انه يضاف الي وقوله لنفسي اي لامري من
جوامع همتك في اوامري حتى لا تشتغل بغير ما امرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال الزجاج مثل حاله بحال من يراه
بعض الملوك اهلا للتقريب والتكبير ثم لخصا ... فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا
يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم
ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقي في عهدة الواجب فهذا الامر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج

عن عهدته ما يجب عليه ولما عدد المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك امرا ونهيا اما الامر فقوله اذهب
انت واخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ واداء الرسالة باياتي اي مع اياتي لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزم الحجة
وهذا من قوى الدلائل على فساد التقليد ما هذه الايات قيل العصا واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين او
لان كلا منهما مشتمل على ايات لانه يستدل بكل منهما على وجود الله وانه قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز
الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا ونحو ذلك وقيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل الاراد
اذهبا الى مدد كما باياتي ونظرها على ايديكما متى وقع الاحتياج اليها واما النهي فقوله ولا تنيا الونى مثل الانتهاء وترى تنيا بكسر حرف
المضارعة ايضا للاتباع والونى بمعنى الضعف والفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنسياني بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل
المقاصد واعتقدا ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري وان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف من غيره وانه يستحقر في نظره
ما سواه لقوة نفسه ولاستنارة باطنه وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن اعظمها فائدة وانما
عائدة وقيل اذكراني عند فرعون وقولا له باني لا ارضى الكفر ولا عاقب عليه واثيب على الايمان وارتضيه وبالجملة جميع ما يتعلق بالترغيب
والترهيب الغاية في ذكري قوله اذهبا الى فرعون وللجواب بعد الترتيب والتاكيد ان يشتغلا باداء الرسالة معا لانه ينفرد به
موسى والاول امر بالذهاب الى كل بني اسرائيل والقبط والثاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم انه خاطب كليهما وموسى حاضر فقط لانه اصل
وهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل ان هرون قد حضر وحينئذ فقد روي ان الله عز وجل اوحى الى هرون
وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل الهم بذلك وقيل سمع بمجيئه فتلقاه سوال لم امرا بتليين القول للعدو المعاند للجواب لان
من عادة الجبابرة اذا اغلظ لهم في الكلام ان يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لما له حق تربية موسى فشبه حق الابوة وكيفية ذلك القول
اللين الحسن انه نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين
وقيل اراد عده شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكي عن يحيى
بن دينار قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان اطعتني فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة
وقيل اراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امر بالقول اللين لانه كان في موسى حدة
وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوة نارا فصالح حدته باللين ليكون حليما باداء الرسالة قوله يتذكر او يخشى فيقبل انكاره وامره
قالت المعتزلة جدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع المعذرة والزام الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن
معرفة القدر ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا انه لكن يدفع سكينا الى من يعلم قطعا انه
يمزق بطن نفسه ثم يقول اني ما اردت بدفع السكين اليه الا الاحسان ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه مكتوب
في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن قالا ربنا فيه دليل على ان هرون ايضا كان حاضرا فسنيدكما ويبنا
اننا نشرح صدره ويتيسر له امره فكيف قالا اننا نخاف فان حصول الخوف ينافي شرح الصدر واجيب بان المراد من شرح الصدر
ضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرايع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شيء اخر مغاير لذلك والخوف قلت لعلهما
خافا ان لا يتمكنا من اداء الرسالة بدليل قوله ان يفرط علينا اي يسبقنا بالتاذي ويبادرنا بالعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد
بان يقول فيك ما لا ينبغي ويجاوز حد الاعتداد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء فلا نتمكن من اقامة وظائف الاداء
وايضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي زاده اطمئنانا وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا انني معكما اي بالنصرة والتأييد
اسمع واري ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل بكما ما توجبه عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى ان سراد كرامتي
انقطعت عنكما اذا اوقعتكما مقام المكالمة فصار هذا الوهم سبب خوفكما ويجوز ان يكون العقلان مترددين في العفو وكانه قيل انا

اسمع سمعي واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الاصوليين في الاية دلالة على ان الامر لا يقتضي
الفور والا لكان تعللهما بالخوف معصية وانهما غير جائز على الانبياء في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر
صفتان زائدتان على العلم والا لزم التكرار فان معنيه هي العلم وقال ان يقول الخاص بعد العام ولكن لا يليق به تكرير الامر قوله فاتياه
فقولا فيه تعليم انهما امرا بان يقولا له قولا لينا فكيف غلظاه اولا بقولهما انا رسولا ربك فيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على
طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبار وثانيا بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ادخال النقص في ملكه لانه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة
وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعه عما يريده منهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء الرسالة وقيل السر في
ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك باية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل لتكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة وللجواب ان
قوله فارسل من تتمة الدعوى واما وحد قوله باية ومعه ايتان لان الايات لقوله اذهب انت واخوك باياتي لانه اراد الجنس كانه
قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب كما لو قلت انا رجل قد حصل شيئا
من العلم ولعل عندك على ما حجة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وايضا الاصل في معجزات رسول الله
موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القران ومن ثم وقع الكل
في حين التحدي والسلام اي جنس السلام او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى ويحتمل ان يكون هذا ايضا مما امر بان يقول
لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله باية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن صدق
قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب اي جنسه او كل فرد منه على من كذب وتولى دليل على انه لا يعاقب احدا من المؤمنين ترك العمل
به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العقاب المتناهي لا نسبة له الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له
فكانه لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين
ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه خص موسى بالنداء لما عرفه من فصاحة هرون
والرتة التي كانت في لسان موسى فاراد ان يعجزه عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم
يبادر بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغب من غير حجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال
جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى باقامة الدلالة على فساد التقليد وفساد قول القائل
بان معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق يجب عليه
استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا
بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في
سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس هذا الا انكار المعاد دون انكار المبدا وقوله في الشعراء وما رب العالمين
الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الحجة فدل على انه اعترف باصل الوجود
وايضا ان ملك فرعون لم يجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم
الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب
الوجود وايضا انه سال هاهنا عن طالبا للكيفية وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المنازعة
معه في هذا المقام لظهوره وشرع في مقام اصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وايضا انه قال في الجواب
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد ان تكون جملة معلومة الانتساب وهنا الثاني من قال انه كان جاهلا
بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما فيهما لكنهم قالوا انه كان دهريا

نايا المؤثر اصلا فمنهم من قال انه فلسفي قايل بالعلة الموجبة او هو من عبدة الكواكب او من الحلولية والمجسمة ولما ادعى الالهية والربوبية
فمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما لانه اثبت نفسه ربا لموسى كما قال الم نربك فينا
وليدا فلنا يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان الربوبية التي ادعاها هي لمن …
قوله انا رسولا ربك عرضه في الحقيقة ولاشتراكهما في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله
ربي الذي يحيي ويميت ولم يعلم ان احياءه واماتته ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال
المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة وان هرون تابع له فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة
هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قوله خلقه بسكون اللام فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم
المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى بالخليقة اي اعطى الخلائق ما يحتاجون اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم
الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والامتعة ونظير
هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابراهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق
بمعنى الصورة والشكل اي اعطى لكل نوع صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئة تطابق الابصار
والاذن ما يوافق الاستماع والانف للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق سعيه وجعل الحيوانات
الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى ذوات القرون رجلا توافق حاجتها وكذا الخف والحافر وذوات المخالب … او اعطى كل
حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمرأة ومحل خلقه نصب
الا بصفة للمضاف او المضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واعلم ان عجايب حكمة
الله تعالى في مخلوقاته لا تفي بشرحها … وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوانات ولنذكر
ههنا واحدا منها هو ان الطبيعي يقول ان الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار
فوق الكل ثم اخبر سبحانه جعل العظم الذي هو اصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانها فوق البدن وجعل تحته الدماغ
الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود
الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وبيان ذلك انه لما اختص كل جسم بنوع وتركيب وهيئة اما ان يكون
واجبا او جائزا والاول محال والثاني يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو
المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر الى مرجح اخر … بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم يستغنى
عن سمات النقص وشوائب الاعتقاد ولبس الاشراك … قال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه المبدأ قال فرعون ان كان
وجود الواجب في هذه الدرجة من الظهور فما بال القرون الاولى لم يعترفوا بوجوده … بالتقليد وبال … الحال ولانه لما
هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بال القرون الاولى كذبوا وما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه
وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب او انه سأل عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة
من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان تميل قلوب ملائه الى حججه الباهرة ودلائله الظاهرة
فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا اشتغل بمعرفة احوالهم ويجوز ان يكون الكلام قد انجر بهما الى احاطة الله سبحانه
بكل شيء فنازعه الكافر قائلا ما بال سواد القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن
محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها عند ربي في كتاب لا ينافي
بل المراد انه تعالى بجميع المعلومات مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك فانه لجميع الاحوال …

ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبت في اللوح المحفوظ لان كان العالم يحتاج لاحتمال الخطأ والنسيان فتدارك
ذلك بقوله لا يضل ربي ولا ينسى قال مجاهد هما واحد المراد انه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى والاكثرون على الفرق فقال القفال
الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا
يتغير عليه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له وقال المعاني لا يخطئ في ذلك الكتاب … ولا ينسى ما فيه وقال
الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو لا يغيب عنه شيء او لا يعزب عنه شيء وقال جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد
غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم
منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ثم ذكر الدليل العام الشامل لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وسائر
الحيوانات وانواع النبات والجمادات ذكر الدليل الخاص فقال الذي جعل لكم الارض مهدا … مهادا وهو ما يمهد للصبي
قال ابو عبيدة الذي اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد الاسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران
وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية … تعالى سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته
فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء وهو من الكلام المتحد … ازواجا اي اصنافا سميت بذلك
لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر سمي
به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم
ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم والامر
بالاكل متضمن للحسن بين وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى انه ارزاق العباد لما … الانعام
وكذا جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول
لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر
فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض وكل بني ادم خلقوا من النطفة ودم
الطمث المتولد من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالب عليها الارضية او لما ورد في الخبر ان الملك يأخذ من تربة المكان
الذي يدفن فيه الادمي فيبددها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء
وهو ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم بالحشر والبعث او بان نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد
الاحياء في القبر ومنها نخرجكم تارة اخرى ويحتمل ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى او هو ابتداء كلام من الله تعالى
وعلى الاول يكون توجيه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى
الا ان قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه … ان كلام موسى تم عند قوله … من السماء ماء ولم يصلح
قوله فاخرجنا ابتداء كلام … فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال
الذي هو الذي جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من جملة الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد
الاشياء المختلفة لامره وتخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل انه تعالى عدد عليهم ما علق
بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الحاجة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في اسفارهم
وانبت فيها اصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها نشأوا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا
ثم عن خروج … كخروج الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض اي … وادوا السجود
عليها من غير حائل او تيمموا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام منها خلقتم وفيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم وقوله عز وعلا ولقد

وآياته أي أريناه آياتنا أي عرفناه صحتها لأن كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فكونه كفر كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم والا كان كفر جهالة وضلالة سواء الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما إذا أكد بالكل لكنه تعالى
ما أراه جميع الآيات لأن من جملتها ما أظهرها على الأنبياء الأقدمين ولم يتفق لموسى مثلها والجواب هذا التعريف الإضافي
محدوده حدود التعريف العهدي أي أريناه الآيات كلها وهي التي ذكرت في أول قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولو
سلم العموم فالمراد أنه أراه الآيات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة بأنها بالجملة المعجزات
القاهرة وعلى المعاد لأن تسليم القدرة على الإنشاء يستلزم تسليم القدرة على الإعادة بالطريق الأولى وأراد بأن أراه أبانه
المختصة به وعدد عليه سائر آيات الأنبياء وأخبار النبي الصادق جار مجرى العيان أو أراه بعض الآيات كأنه أراه الكل لأن
تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب بهذه الآيات كلها وأبى قبول الحق وقال العلماء إن الإباء الامتناع وأنه لا يوصف به
إلا من يتمكن من الفعل والترك فالآية توجب الذم وتوجب الأشاعرة أنه لا يأتي إلا ما سبق ثم إن فرعون خاف أن يبدل قلوب ملائه الخوارق
موسى فذكر ما يوجب تنفر القوم عنه من القدح في نبوته لادعاء إمكان معارضته قال أجئتنا لتخرجنا فإن الإخراج من الديار قرينة
القتل بدليل قوله إن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فإن جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم
الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا إلى الوعد المعلوم من الوعد أي زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على أنه ظرف للوعد
المقدر وإن جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه توجه عود الضمير إلى لا نخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم
الزينة مطابقا للمعنى لأنه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشهور عندهم وكأنه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة
وإن جعلته مصدرا بمعنى وصفه بعدم الخلاف فجوز أن ينتصب مكانا بالمصدر أو يجوز انتصب مكانا على أنه ظرف له ثم من قرأ يوم الزينة
بالنصب فظاهر أي وعدكم أو إنجاز وعدكم في يوم الزينة أي وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم حشر الناس هو الضحى أي ضحى ذلك اليوم
ومن قرأ بالرفع فبتقدير مضاف محذوف أي وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو
معنى قول مجاهد في صفة المكان بالاستواء باعتبار المسافة وقال ابن زيد أي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليستوي
على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الآن قال القاضي الأظهر أن قوله موعدكم
يوم الزينة من قول فرعون لأنه الطالب للاجتماع وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الأقرب أنه من كلام موسى ليكون
الكلام مبنيا على السؤال والجواب ولأن تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا ما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا
بالمبطل المزور ولا حاجة لأن موعدكم خطاب الجمع وليس هناك إلا موسى وهرون فإما أن يرتكب أن أقل الجمع اثنان وهو مذهب جمع
وإما أن يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن
سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وإنما قال وأن يحشر من غير تسمية الفاعل لأنهم يجتمعون ذلك اليوم
بأنفسهم من غير حاشر لهم ومحل أن يحشر لهم رفع أو جر عطفا على اليوم أو الزينة يعني اليوم أو الساعة وهي ضحى ذلك اليوم
وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وليشيع أمره العجيب في الأقطار والأمصار والأطراف والأكناف ففي ذلك تقوية لدين الحق وتكثير راغبيه وتقليل شوكة المخالف
وتوهين عزائمهم فتولى فرعون أي انصرف إلى مقامه تهيئة لأسباب المعارضة فإنما احتاج السحر يحتاج في تدبير السحر إلى طول
الزمان ولهذا طلب الموعد وقال الإمام أعرض وثبت على إعراضه عن الحق فجمع كيده أي أسباب الكيد وأدوات الحيلة والتمويه من
مهرة السحرة وغير ذلك ثم أتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل أربعمائة وقيل الكثير من
ذلك فضرب لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها يتطلع فبعث الله تعالى أن موسى ... فبكل الوعيد والتخويف على ...

عادة الصالحين من أهل النصح والإشفاق ولا سيما الأنبياء المبعوثين رحمة للأمم ويلكم نصب على المصدر الذي لا فعل له أي على النداء
لا تفتروا على الله كذبا بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم بالسحت لغة أهل الحجاز والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ومعناه
الاستئصال حذرهم أمرين أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان عن المقصود فإن التمويه لا
بقاء له فتنازعوا أمرهم بينهم كقوله في الكهف إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي وقع التنازع بينهم وأسروا النجوى الضمير
لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده ما روي عن ابن عباس أن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة أنه كان ساحرا
فستغلبه وإن كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والأكثرون على الأول وذلك أنهم
تفاوضوا وتشاوروا وتحقق ... واتفقوا على شيء واحد وهو أنهم قالوا إن هذان لساحران إلى آخر الآية لا إشكال في قراءة أبي
عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لأنه تكون لكان زيد المنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية وأما من قرأ إن بالتشديد
هذان بالألف فأورد عليه أنه لم يعرف في المثنى وأجيب بأنه على لغة بلحارث بن كعب وخثعم وبعض بني عذرة ونسبها
الزجاج إلى كنانة وابن جني إلى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعدى مما آخره ألف فلم يقلبوها ياء في الجر
والنصب وقيل إن بمعنى نعم واعترض بأن ما بعدها حينئذ يصير كقوله أم الحليس لعجوز شهربة ولا يجوز مثله إلا في ضرورة
الشعر وإنما وضع لام الابتداء في السعة في المبتدأ والجواب أن القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج في جوابه أن التقدير
لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلي وإسماعيل بن إسحاق
فارتضاه كل منهم وذكروا أنه أجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه ابن جني بأن المبتدأ المحذوف حذف لو كان أصل معلوما
جليا وإلا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب وإذا كان معروفا فقد استغني بمعرفته عن تأكيده باللام وأيضا أن الحذف من باب
الاختصار والتأكيد من باب الإطناب فالجمع بينهما محال مع أن ذكر المذكور وحذف التأكيد أحسن في المعقول من العكس وأيضا امتنع
البصريون من جعل النفس في قولك زيد ضرب نفسه تأكيدا للمستكن فدل ذلك على أن تأكيد المنوي غير جائز وأيضا لو كان
ما ذهب إليه الزجاج جائزا لكان المبتدأ لا المبتدأ وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدأ المنوي وذكر المبتدأ لا يدل على
التأكيد فكان المبتدأ أولى وعن الثاني بأن الكلام قد يكون موجزا من وجه آخر خلاصا فأما وأما الفاء إذا كانت الجملتان ولحقه
وعن الثالث بأنهم امتنعوا من جعل النفس على التأكيد في المثال المذكور لأنهم رأوا إسناد الفعل إلى المظهر أولى من إسناده إلى
المضمر لا لأن تأكيد المنوي ممتنع على أنا بينا أن المؤكد ليس بمحذوف في الآية مطلقا فإنا أحد طرفي الكلام مذكور من الدليل بأن
ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا ثم نترك التطويل لا أخر ونرجع إلى التفسير قال الفراء الطريقة اسم
لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو ظن يفيد فيه وقع أمر هو في أعين الحاضرين ونفرهم عنه بأنه
ساحر والطباع تنفر من السحر وبأنه يقصد إخراجكم من دياركم وهذا أيضا مما يبغض القاصد إليهم وبأنه يريد أن يذهب بأشرافكم ومنكم
ورؤسائكم قالوا وهم بنو إسرائيل لقوله تعالى فأرسل معنا بني إسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف أي بأهل طريقتكم المثلى وسموا
بذلك الطريقة المثلى والسنة الفضلى لأن كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تأنيث الأمثل أي الأنسب بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا
بالجاه والمنصب والرياسة وكان الأمر على ما تقاله سبب من قوله فأجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الإجماع فمعناه اجعلوا
كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا نظيره ما مر في سورة يونس فأجمعوا أمركم وشركاءكم وإنما أكد لأنه علم أن السحر أصل له وقال الزجاج
معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم أمرهم بأن يأتوا صفا أي مصطفين مجتمعين ليكون أهيب في الصدور وأفخم
في النفوس وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى أي مصلى من المصليات أو هو علم المصلى من المصليات أو هو علم للمصلى بعينه
لأن الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلاتهم وقد أفلح اليوم من استعلى أي فاز من غلب وهو اعتراض واعلم أن قصة السحرة ...

تشبه ملتبسا في التحرك وقد فسرنا ما هنالك فنقول الآن على ان نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما ان تلقى اي اخر احد الامرين
او الامر الذي القاه او الفائق فاذا حبالهم هي اذا المفاجأة واصلها الوقت اي فاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال
وهب سحروا اعين موسى حتى تخيل ذلك وقيل ارادوا انه مشاهد شيئا لو لا علمه بانه لا حقيقة له لذلك الشيء الظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا
فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول او جس فاعل اخر للمفاصلة وذلك الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل
ومعنى الخوف واما الامر حاق ان يخالج الناس ولا يتبعوه فاكد مقاتلة او خاف ان يتأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت او خاف
ان يفتن بعض القوم قبل ان يشاهدوا غلبته او خاف تمادى الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه بقوله انك انت الاعلى
وفيه من انواع التوكيد ما لا يخفى وهي الاستئناف والتصدير والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه
العليه وصورة التفضيل ولا تفضيل لهم ومفصلا بقوله والق ما في يمينك لم يقل عصاك لما علم من الاعراض لما في هذه السورة
وما الكفر يمينك وقال جار الله هو تصغير لشان العصا وتوهين لامر السحرة اي الق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك
فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا اي زوروا وافتعلوا على حدته وكثرتها وصغره وعظمها او هو تعظيم لها اي لا
تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة كان في يمينك شيئا اعظم شانا منها كلها انما صنعوا ان الذي افتعلوا كيد ساحر ومن قرأ
على الوصف ليعلم ان المقصود هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ولو جمع لا يوهم ان المراد هو العدد وانما نكر اولا
لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي عملوه قسم واحد من اقسام السحر او هي افعال السحرة وجميع اقسام السحر وافراد السحر
لا فلاح فيها ومن نظائره قول عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر اخرة ومعنى سبهللا
انه يجيء ويذهب في غير شيء ومعنى حيث اتى ايما كان واين اقبل سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد
القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم
لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي
يصيرون اليها في الجنة واستبعده القاضي لانه كالالجاء الى الايمان وانه ينافي التكليف قلت اذا كان الايمان متقدما على هذا
الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لما بهت انكر عليهم ايمانهم واتهمهم في العين انه لكبيركم واعلامهم درجة في الصناعة
اي معلمهم واستاذهم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري اي استاذي في العلم او عجزه واوعدهم بتقطيع الايدي والارجل من
خلاف قال صاحب الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من موافقته اياه قلت الاولى
ان يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة حتى يصح معنى الابتداء اي لاقطعن ايديكم وارجلكم مبتدئا من الجهتين المخالفتين عينا
وشمالا ليكون الجار والمجرور في موضع الحال اي لاقطعنها مختلفات الجهات في جذوع النخل اي عليها والاصوب ان يقال ههنا
على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف ايما اشد اراد نفسه وموسى [illegible] صلف باقتداره وفهم
وما الفتن تعذيب الناس واستضعاف لموسى مع الهزء به لان موسى لم يكن اشد الا نفسه وموسى [illegible] صلف باقتداره فقط
من التعذيب في شيء قاله في الكشاف قلت يحتمل ان يريد بقوله انا الله تعالى ونفسه فقدم ذكر رب هرون وموسى
وقد سبق ذكر عذاب السحرة له ان العذاب على من كذب وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب وبينهم قال السحرة لن
والله خير وابقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات والذي فطرنا او الواو للقسم على
هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا لا على فيما جاءنا اي لن نؤثر الليل والحالة هذه وعلى الوجه الاول [illegible] الكلام لن نؤثر طاعة
حالتنا والتصديق بمعجزات نبيه لاجل هولك فاقض ما انت قاض بما شئت من العذاب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
من الحيوة العاجلة وقرئ تقضي مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صمت يوم الجمعة

الجمعة والحاصل ان قضاءك وحكمك مقتصر في مدة حيوتنا الفانية والاثبات وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر
الفاني للفوز بالسعادة الباقية والخلاص من العذاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن
سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله تعالى فاقض ما انت قاض
والله ان احدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم يبيع دينه بثمن حقير ولما كان اقرب خطاياهم عهدا ما اظهروه من السحر
قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم
السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المداين مكرهين وزعم
عمرو بن عبيد ان دعوة السلطان اكراه وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف فحينئذ حكم بالاكراه والا فلو اتى في الاتيان
ابتداء اختيار منهم ثم تحقق تمكنهم فيهم قوله انه ولعل الاول له الضمير للشان من يأت ربه اي حيث لا حاكم الا هو فيسقط
استدلال المجسمة حال كونه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة
مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالاية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد اصحاب الكبائر والجواب المنع
بان المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم
الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى اخر السورة فلم لا يجوز ان
المجرم ههنا الذي بمعنى الكافر فيبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلية ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم
العفو وحينئذ لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن
يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا تصدق عليه المؤمن لانه تصدق عنه في الزمان الماضي على قد
ضرب لبس وليس بين الحال والزمان الماضي منافاة ما فان كلية وهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات
وانه حال اخرى كانه قيل ومن يأته قد امن وقد عمل ولئن ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس
اولى لان الدفع اسهل من الرفع واقامة الحد على التائب في بعض الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله نكالا من الله
في حق من لم يتب بعد من السرقة سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا ان قوله فاولئك لهم الدرجات
العلى يدل على حصول العفو لاصحاب الكبائر لانه تعالى حصل الدرجات العلى من الجنس الحاصل بالايمان والاعمال الصالحات
اي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بد ان تكون لغيرهم وما هم الا العصاة
من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وفيه دليل على ان التزكية
يشمل صاحب الكبيرة وقال الاخرون تزكى تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى ۝ فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
واضل فرعون قومه وما هدى ۝ يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم
جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ۝ كلوا من طيبات ما

رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وما
اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك
رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا
جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا
يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم
انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال
بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي

نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء
علما كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا
ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء
لهم يوم القيمة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم
طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون
الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه
للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك
الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما

القراءات لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع انجيتكم وواعدتكم على التوحيد حمزة وعلي وخلف ووعدناكم
من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الاخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم ابو جعفر ونافع وعاصم
غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة
وعلي وخلف سوى حفص الاخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تبعني بالياء الساكنة في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب
وافق ابو عمرو وسهل نافع عند سمير في الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بحذفها يا ابن ام بكسر الميم ابن عامر
وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما ابو عمرو وحمزة
وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الآخرون بفتحها لنحرقنه بفتح النون وضم
الراء يزيد الآخرون من التحريق فلا تخف بالجزم على النهي ابن كثير ان نقضي بالنون مبنيا للفاعل على وحيه بالنصب يعقوب الباقون
بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه بالرفع **الوقوف** بيسا ج لان قوله لا تخاف يصلح صفة للطريق مع حذف الضمير
العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستأنفا ومن قرأ لا تخف فهو اجوز لعدم العاطف ووقوع الجائز مع تعقب النهي الامر الا
ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ه ما غشيهم ط لان التقدير وقد اضل من قرأ على الحال الماضيه دون العطف لان عندما
غشيهم لم يفرغ للاضلال وما هدى ه والسلوى ه غضبي ج هوى ه اهتدى ه يا موسى ه لترضى ه السامري ه اسفا ج لاتفاق الجملتين
على الماضي بلا ناسق حسنا ط موعدي ه السامري ه فنسي ط قيل للعطف ولا نفعا ه فتنتم به ج للابتداء بان مع اتصال العطف امري ه
موسى ه الا تتبعن ط امري ه براسي ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولي ه يا سامري ه نفسي ه لا مساس ص لن تخلفه ج
لاختلاف الجملتين عاكفا ط للقسم المحذوف نسفا ه الا هو ط علما ه سبق ج للاستيناف والحال ذكرا ه لان الشرطية تصلح صفة
للذكر وتصلح مبتدأ بها وزرا ه لا لان قوله خالدين حال من الضمير في يحمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه ط حملا ه لا لان يوم
ينفخ بدل من يوم القيمة زرقا ج لان ما بعده يصلح للصفة وللاستيناف عشرا ه يوما ه نسفا ه صفصفا ه امتا ه لا عوج له ج لاختلاف
الجملتين همسا ه قولا ه علما ه القيوم ط ظلما ه هضما ه ذكرا ه الحق ج وحيه ز لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف واضيف اليه علما ه

التفسير هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم
طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله او اراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصى حتى ينفلق فعدى الضرب
الى الطريق ثم بين ان جميع اسباب الامن كانت حاصلة في ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس ونحوهما العدم
والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال شاة يبس اي خاف لبنها والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى اذا قرئ لا تخف فالوجه هو الاستيناف اي وانت لا تخشى وجوز في الكشاف ان يكون
الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا او ان يكون كقول الشاعر شعر كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا
اراد لم تر لان ما قبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة وكلامنا في الآية فاتبعهم فرعون
الحق بهم جنوده او تبعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم اي علاهم وغمرهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في
باب الايجاز لان المعنى انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف منه في السور المذكورة ما حكي في الاخبار وروي في الآثار ونسب
الاضلال الى فرعون لانه سبب في انهماك الكل بارادة الله ومشيته منه في السور المذكورة وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه
تهكم بقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على بني اسرائيل تذكيرا وتحذيرا والتقدير قلنا لهم بعد انجائهم يا بني
اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا لليهود المعاصرين لان النعمة على الآباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن

اي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عائدة اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فيكتب التوراة في الالواح
فلم شرعهم واستقام امر معاشهم ومعادهم كلوا من طيبات القول وطغيانهم في الرزق ان يشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها
وبعقد واحد وحال فيها بالاسراف والتقتير والغضب من قرأ فيحل بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين اذا وجب
اداؤه ومن قرأ بالضم فبمعنى النزول وينزل الغضب نزول ما ينالهم من العقوبات والنكال ومعنى هوى هلك واصله
السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سؤال كيف انبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان و
العمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من اذنب وايضا ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها
لا اقل من ان يكون معها الجواب اراد واني لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم
التوبة من الكفر على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك فقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الخلة اصعب
من الشروع فيها كما قيل شعر لكل الى شأو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله اهلكناها فجاءها
باسنا او قدم النجب عنه ويروى ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز
ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى مرضاة الله فاستكره الله تعالى تقدمه فانكره وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجابه بقوله هم
فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على توهم ان بعضهم يؤكده قولهم هم اولاء على اثري قال جار الله قد تضمن ما واجهه به رب العزة
شيئين **احدهما** انكار العجلة في نفسها **وثانيهما** السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر في العجلة
فاعتذر بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير ولا يحتفى بينهم الا مسافة قريبة فهم على اثري الوفد لهم وقد تقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن
السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل الى مقام المكالمة والقرب
على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل انما ذكر هلبه الاستعجال دهش خوفا من العتاب فتحير في الجواب قال فانا قد فتنا
قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا يحكى انهم اقاموا بعد
مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فان قيل ان الله تعالى كيف قال
لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا
للوقوع او اراد بدء الفتنة لان السامري افترص غيبة موسى فعزم على اضلالهم عقيب انطلاقه ولقائل ان يمنع كون هذا
الاخبار عند مقدم موسى بل لعله عند مجيء عنه بدليل فاء التعقيب في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما
استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واما في التوراة والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان بتشديد التكليف واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز ان ينسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله واضلهم
السامري وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف وهو فتنت الذهب بالنار [illegible] ذلك ان السامري لما اخرج لهم ذلك
العجل صار واجبا عليهم بان يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة اليس في كون الشمس
والقمر الهة اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب وحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا
يكون فتنة من هذا الوجه فيحمل على خلق الضلال فيهم واجابوا عن اسناد الضلال الى السامري بان جميع المسببات العادية
يضاف الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف الغضب والغيظ وفرق بين الاعتبار

والغضب لان الغيظ هيجان يلحق المغتاظ فلا يجوز الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه
على الله سبحانه ثم عاتبهم [illegible] ربهم فقال الم يعدكم ربكم وعدا حسنا كانهم كانوا معترضين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل
على التاويل الذي يذكره عبدة الاصنام او على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على
الطاعات ومثله ما روي عن مجاهد ان العهد المذكور هو قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى
وقيل وعدهم اهلاك فرعون ووعدهم ارضهم وديارهم وقد فعل ومنها قوله افطال عليكم العهد اي الزمان يريد مدة مفارقته
لهم وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعدي بعبادتهم العجل وقيل اراد عهدهم بنعم الله تعالى والمنتها
بعضها وروي انهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا [illegible] على الظالم لا [illegible]
لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهي اخلاف الوعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لان مريد السبب مريد للمسبب بالعرض [illegible]
العلماء بالاية وبامثالها من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله لا تزول في
شيء من الاحيان ومن [illegible] هوى ما ذكرنا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق
به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلث اي بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن
غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد [illegible] الرجل فعل
قريبه الى نفسه فكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعه ولم يقدروا ايضا على مفارقتهم حذرا من التفرقة
وزيادة الفتنة بين القوم [illegible] ذلك العذر [illegible] فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في
الاعراف وقيل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال مخصوصة معنوية سموا بذلك لان الغنائم لم تكن تحل حينئذ ولانهم كانوا معهم
في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي وقيل انه كان الحلي للقبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومحافل
الفواحش فلذلك وصفت بها او زاد الحلي ايضا في الات الملاهي فقذفناها اي في حفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي فيها انتظارا
لعود موسى [illegible] امرهم السامري بذلك ان اقذفوا النار وكذلك القى السامري اي فعل السامري مثل فعلنا اراهم انه يلقي
حليا في يده مثل ما القوا انما القى التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبرئيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار [illegible] في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان
يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر او نسي الاستدلال على ان العجل
الذي لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون الا يرجع [illegible] ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة
قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز ولا يحصل الالتباس وههنا كذلك فيجب ان لا يمتنع خلق الحيوة
في صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال له ما تصنع فقال اصنع
ما يضر ولا ينفع فادع لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار وعلى هذا
التقدير يكون معجز النبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم
قبل ان يقول لهم السامري ما قال اما شفقته على نفسه فهو انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر
وانه امتثل امر اخيه حين قال له اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين واما شفقته في شان القوم فنظام [illegible]
قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال الحسن ان القوم كانوا اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلعوا من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان
ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل ولا بان هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن وفي
تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا اعرض عليهم ان الله رحيم بهم ويقبل توبتهم ثم بين ان الوسيلة الى معرفة

[م]عرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان الشفقة
على الخلق اصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو
جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال
الهي وسيدي هذا نبيك يشهد علي باني من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسالك ان تجعلني فداء امة
محمد وتشغل النار بي حتى تبر يمينه ولا تشغل النار احدا فهبط جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد بشر الشاب باني قد انقذته من النار
بتصديقه لك وفدائه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم
انت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما سوغ التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر فصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته
فلو كانت امة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطا لكان يجب على علي ان يفعل ما فعله هرون من غير تقية وخوف وللشيعة ان يقولوا ان
هرون صرح بالحق ثم خاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا
علي امتنع اولا من البيعة فلما آل الامر الى الاعظام ما نالوا وافق هذا على سبيل التقية لا لاجل التعصب ثم ان القوم
قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجحود فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من
انواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الجار ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون
بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد في ان لا مزيدة [illegible] في الاعراف
وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اللحوق بي بمن اطاعك واللحوق بي وترك المقام بين اظهرهم وقال مقاتل اراد
بالاتباع في وصيته كما قال هلا قاتلت من كفر بمن امن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره قال الاصوليون في قوله افعصيت امري
دلالة على ان تارك المامور به عاص لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم [illegible] ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون
في عصمة الانبياء بان موسى [illegible] فان لم يامره [illegible]
[illegible] يكون ذنبا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايضا قوله افعصيت امري استفهام بمعنى الانكار
واما ان يكون موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون هرون عاصيا وايضا اخذه بلحية هرون وبراسه ان كان
بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى واجيب بان كلا كان مجتهدا [illegible] جائز الخطاء او هي من باب ترك الاولى وقد
تقدم [illegible] فيما يتعلق بهذه المسئلة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء وجمع الشمل [illegible]
[illegible] خشيت ان تقول فرقت بين [illegible] قال الامام [illegible] الاية
[illegible] ما تحملوا واما قوم موسى [illegible] زيادة ساير الايات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل عكفوا
على عبادته فعرفنا ان [illegible] لا يحصل الا بهداية الله تعالى [illegible] عن عتاب هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون
[illegible] حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه قال فما خطبك [illegible] خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك
فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس ورواه
ابو عبيدة علمت بما لم تعلموا به من البصارة بمعنى العلم وقال الاخرون رايت ما لم يروه فالباء للتعدية [illegible]
الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول [illegible] بجميع الكف
عامة المفسرين على ان المراد بالرسول جبرئيل وان التراب الذي اخذه من موطئ حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحيوة [illegible]
[illegible] رآه يوم انفلاق البحر كان جبرئيل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرعون [illegible]

عاكم الله وجهه ان جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان
لهذا شانا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من اثر فرس الرسول اليك يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز
ان السامري لم يعرف انه جبرئيل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من
القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة
الولدان فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه
العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ايضا
تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل ومعرفته ومن بين خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض
الكفرة على تراب هذا شانه فلعل نبيا اطلع على شيء آخر لجلاله تكلم على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى وباثره سنته
الخاص بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير ويجوز ان يكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا واراد
باثره سنته ورسمه في الحكم فلان يقفو اثر فلان اي يقتدي به ان الذي انتم عليه ليس بحق وكنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها
فعلى قول العامة يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما يوحي اليه وليه الشيطان ان تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا
وعلى قول ابي مسلم يعني ان اتباعي اياك كان من تسويلات النفس الامارة فعند ذلك توكيد ثم بين موسى انه عقوبته في الدنيا وعقوبته في
الآخرة بقوله فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وقال لا تعذبه فانه سخي وفي قوله لا مساس وجوه **الاول** انه حرم عليه مماسة
الناس لانه اذا اتفق ان يماسه احد حم الماس والممسوس فلذلك كان اذا رأى احدا صاح لا مساس ويقال ان قوما من باقيهم الى الآن
الثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى اخرجه من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك طريدا الى
البرية معتزلا عن الحدث عليه بان الرجل اذا اصاد صيدا فلا يقرب له هو لا مساس وانما يقال له ذلك ويجيب بانه لعل الحكاية لحال
بالسامري بحيث اذا اخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس **الثالث** قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبره بانه لا يمكن له
مماسة المرأة اي مجامعتها واما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت
[illegible]

بل المأمور ان الله تعالى يعرف امور الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة الناس النفخ في البوقات عند الاسفار وفي العساكر
فجعل الله تعالى النفخ في تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وانه بما من العقول ان الصور جمع صورة يؤكده
قراءة من قرأ بفتح الواو ويقال صورة وصور كدورة ودور ونورة ونور والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ
يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخ الاولى الا ان يقال
ونحشر المجرمين عن ابن عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفي الزرق وجوه قال الضحاك
ومقاتل ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم فانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدو اسود الكبد
اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون بصراء في اول مرة ويزرقون عند شدة الخوف فيه الابصار ولقوله
اقرأ كتابك ثم يزول ذلك الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا اي عطاشا كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم
وردا كانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي يتخافتون بينهم يتسارون بينهم لما يحويهم ولانه امتلأت
صدورهم رعبا وهولا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم وهن قصار ولانها قد انقضت والذاهب قليل
وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد السرمد كان بعضهم يقول لبثنا في دنيانا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة ايام فقال اعقلهم
بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل المراد عشر ساعات اي بعض يوم وعلى هذا فافضلهم رد عليهم لتنقيص
وبيانهم وقيل المراد لبثهم في القبور قال اهل النظم كانوا يسألون الكفار بحيث المخافة بين المجرمين وحال الجبال ما بعد ذلك قال
ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف تكون حال الجبال يوم القيمة فنزلت ويحتمل
ان يكون هذا جواب شبهة يتمسك بها منكرو البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت بالنقصان
حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم هذه المسئلة العظمى لقوله فقل ينسفها
ربي نسفا وانما دخل فاء التعقيب في الجواب والنسف القلع وقال الخليل النسف والاذهاب كالذر يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا والضمير في فيذرها للجبال او للمحل
اي فيدع مقارها ومراكزها او هو للارض للعلم بها لقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوي من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل
المستنقع الماء والصفصف الارض ومراكزها الملساء المستوية وقيل التي لا نبات فيها والامت النتوء اليسير وقيل التلال الصغار فالعوج
بالكسر في المعاني وكان سبحانه نفى العوج الذي يدق عن الاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسي واذا كان هذا النوع من العوج الاعتباري
منتفيا فكيف العوج الحسي وقد يستدل بالآية على ان الارض يومئذ تكون كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين
الاضلاع فصول مشتركة فيعوج الامتداد القائم عليها اضلاعا ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ
في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل ملكا اخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادي ايها
العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزاء فلا عوج له مدعو بل يستوون خصوصا مرغ الى
وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي وذلك ان الكل
علموا ان لا مالك لهم سواه ويحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة
وابن زيد الهمس وطء الاقدام اي لا يسمع الا صوت نقل الاقدام الخفي يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن يصح ان يكون من منصوبا على المفعول به وان
يكون مرفوعا على البدل بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له اي لاجله قولا قال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الاحتمال الاول اولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تحصل
الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وايضا

الا من احماد في منعا دباب ملائمان لان الشفوع لا يقبل الشفاعه وتحقيقه الا اذا اذن الرحمن لاجله فيعود الى الثاني قالت المعتزله الفاسق
غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا يستمع بشفاعة الرسول ولجيب بان ابا تغير مرضي الاجله في اذ لوحد من افراد الله وهو كلمة الشهادة قال الواهب
ان الفاسق يتبعه من يحبه الله لا اجله ولم قلتم ان الاذن حاصل للشفيع ونجفته والجواب انا ايضا نمنع من ان الاذن غير حاصل في
حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن رهابة عليه بقوله يعلم ما بين ايديهم الضمير
للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلومه علما وقال الكلبي ومقاتل الضمير للشافعين
من الملئكة والانبيا كما في اية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملئكة ليشفعوا له اي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم
من امر الاحوال والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيا من ذلك فكيف يصلحون للعبودية ثم ذكر غاية تذللهم بقوله وعنت الوجوه
للحي اي ذلت رقاب المكلفات منقادين لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار اسيرا او قيل اراد وجوه العصاة في القهر كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجه بالذكر لان اثر الذل والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب وما بعده اعتراض اي كل
من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة ان يخصوا الظلم ههنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد من قرا فلا يخاف بالرفع
فعلى الاستيناف اي فهو لا يخاف كقوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن قرا فلا يخف فعلى النهي قيل لا نهي لان النهي عن الخوف امر بالامن
فسر الظلم بالاخذ من حقه والهضم بالنقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مجزوفا فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم
لانه لا يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بان العقاب لا على جرمه والهضم بالنقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال
ابو مسلم الظلم ان يمنع من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه
التعظيم قال جار الله قوله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وعلى نحوه وكما انزلنا عليك هولاء الايات المتضمنة
للوعيد انزلنا القرآن كله عربيا لان العرب اصل وغيرهم تبع او لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه
الفرائض والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل الاول على اجتناب الحرام والثاني على فعل
ترك المعاصي والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على العبادة قلت لا ريب ان القرآن ينهى عن السيئات ويبعث على
الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى
عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون بمعنى الاحضار ضد النسيان ان نسوا شيئا من التروك والافعال احدث القرآن
لهم ذكرا اذا تاملوا معانيه كلمة او على الاول للتخيير والاباحة لا للشك وفي الثاني يجوز ان يكون الثاني في تاويل الاذا ان القرآن
ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يوجب القرآن لهم ذكرا اي شرفا ومنصبا وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقدير يكون في انزال
القرآن نفع ثم عظم شان القرآن من وجه اخر وهو عظم شان منزله فقال فتعالى الله الملك الحق اي ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين
ان القرآن لمحترز والعجبني جلاله منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعتهم ومعاصيهم ومعنى الحق فقد مر في البسملة قال جار الله فيه
استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والارادة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك مما يجري على
حكم ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله ويسالونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الحرمين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يفوته شي فيقرا مع الملك فامر بان يتانى حتى يتم وكيفية نفع القرآن للمكلفين وبين انه سبحانه متعال
عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله
عن السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يتم قراءة جبريل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله
مقاتل والسدي وابن عباس في رواية وقال مجاهد وقتادة ارادوا لا تعجل بالقرآن فيقرأه على اصحابك قبل ان يوحى اليك
بيان معانيه اي لا تبليغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا

كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلثة ايام فابطا الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الاية اي لا تعجل بنزول القرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل ومنه اليك وعن الحسن ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص واعلم ان هذه الاقوال
لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجل بقراته في نفسه او في تاديته الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير ما يقتضيه
ظاهره وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك تماما ومن قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز
ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات والمبينات ويمكن حمله على هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما
لان سرفة البيان علمنا يدعو الى طلب المهم في الاجمال الظاهر ان هذا الاستعجال كان امرا اجتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهي عنه
قال جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني ادبا لطيفا في باب التعلم وادبا جميلا
ما كان عندي فزدني علما الى علمي وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم ما امر بطلب الزيادة في شي الا في العلم وفيه
اشارة الى ان اسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بتقصيره ونقصانه فاسألك بما سالك لنبيك
ان تزدني بتبعيته علما ينفعني في الدارين **التاويل** ولقد اوحينا الى موسى القلب ان اسر بعبادي وهم
صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الحيوانية الى روحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا
من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقي التاويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا سلوى اخلاقنا
ان تصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه باسناد سر الربوبية الى غير الحق قال الحق وسبحاني وانا الحق الا تصلح
للعالمات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق بحضرة
الربوبية منزها عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعجلت اليك فيه ان الشوق اذا غلب
انقطع العلائق وان مطلوب السائر لا ينبغي الا يكون الا رضا الله قد فتنا قومك من بعدك فيه ان فتنة الامة والمريد
مرهونة بمفارقة النبي والشيخ بملكنا اي بارادتنا ومشيتنا ولكن بارادة الله ومشيته فكذلك القى السامري من غير
اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن ام فيه خاطبه بذلك ليذكره حق الملاطفة يا ابن ام الحنفي ما التراب
ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها فيه بان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة
فيصرفونها في الباطل والطبيعة لا في الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصوده اذا اد الجمعية والغلبة وتبلغ
الناس اياه فعدت بالتفرد والتوحش والتنافر عن الخلق ورثان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وفي
العين دلالة على حسن وجاهي الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا بالاخلاق
التابعة للمزاج وعنت الوجوه اي كل وجه بها يستند الملكي الى الواجب يتبعون الداعي لان كل اناس يدعى بامامهم فيتبعون
نبيه واهل الله لا يتبعون الا الى الله في قوله والله يدعو الى دار السلام

ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ۝ واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ۝ فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ۝ ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ۝

وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ۝ فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ۝ فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ۝ ثم اجتبيه ربه فتاب
عليه وهدى ۝ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ۝ ومن اعرض عن ذكري فان
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ۝ قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا ۝ قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى ۝ وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب
الاخرة اشد وابقى ۝ افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ۝ ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ۝ فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف
النهار لعلك ترضى ۝ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ۝ وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ۝
وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ۝

الاولى ۝ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ۝ قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ۝

القراءة وانك بالكسر ابو بكر وحماد والمفضل ونافع الباقون بالفتح عطفا على الا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة
على المفتوحة للفصل بالجار ولانهم يجوزون في المعطوف ما لا يجوزونه في المعطوف عليه للبعد الاعمى بالامالة حمزة وعلي وخلف حشرتني
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول علي وابو بكر وحماد والمفضل نهم بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب
الاخرون بسكونها وكذلك حمزة وعلي وخلف هذه السورة وكل سورة اياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح
والكسر **الوقوف** عنها الا ابليس ط ابى فتشقى ج ولا تعرى لا لمن قرا وانك بالكسر ولا تضحى ج لابتلاء الجنة لنوع
عدول عن ذكر حال البدن الى حال [illegible] من هو المقصود فغوى ج وهدى ج عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ج يوم القيمة
اعمى ج بصيرا ج فنسيتها ج لعطف الجملتين تنسى ج بايات ربه ط وابقى ج مساكنهم ط النهى ج مسمى ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف
النظم ترضى ج لنفتنهم فيه ط وابقى ج عليها ط نرزقك ط للتقوى ج من ربه ط الاولى ج ونخزى ج فتربصوا ج لسبق التهديد مع الفاء
اهتدى ج **التفسير** في تعلق قصة ادم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شان
القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه قال وصرفنا فيه من الوعيد اردفه بهذه القصة ليعلم ان طاعة
بني ادم للشيطان امر قديم وخلة [illegible] وذلك انه عهد الى ادم [illegible] الذين [illegible] الوعيد فنسي
وترك العهد ومنها انه قال ولا تعجل بالقرآن [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الواجب في رعاية [illegible] وكان معرضا
في اداء الرسالة [illegible] فناسب ان يعطف عليه قصة ادم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من
باب ترك الاولى واذا كان ابو الانبياء وخاتمهم موصوفين بنوع تقصير [illegible] ومن هنا يعرف افضلية الخاتم
لانه سعى في طلب الكمال [illegible] الخروج عن حد الاعتدال [illegible] النقصان ولا جرم وسم بالظلم والعصيان
ومنها ان محمدا صلى الله عليه وسلم امر بان يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة ادم تنبيها على ان بني ادم مفتقرون في جميع
احوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله تعالى حتى يفتح عليهم ابواب التيسير في العلم والعمل وما عهدنا الى ادم امرناه ووصيناه من
قبل [illegible] وفي النسيان قولان **احدهما** انه نقيض الذكر [illegible] **والثاني** ان
معناه الترك [illegible]
عهد اليه [illegible] فالاهل الاشارة
[illegible] **احدها** عزما على الذنب [illegible]
وثانيها [illegible] **وثالثها** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سبحانه

فتشقى فتتعب في طلب القوت وسائر ما يتعيش به الانسان اسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل اصل في باب الانفاق
والكسب والمرأة تابعة له ويجوز ان يكون ذلك الشقاء بقوله ان لك ان لا تجوع الى آخره والظمأ العطش ويقول ضحيت للشمس بالكسر ضحى
ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد بالكن مع ان الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحى فيكون هذه الامور في الجنة ثابتة
حصولها في الدنيا ولا ريب ان اصول المتاعب في الدنيا هي الشبع والري والكن واما المنكوح فمشترك الا ان مؤن النكاح مختص بالدنيا
وايضا انها ترجع الى الملذوذات يروى انه كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس
اليه الشيطان اى انهى اليه وسوسته كما مر في الاعراف بيان الوسوسة انه قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود
لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى اى لا ينقطع ولا يزول قال القاضي
في الظاهر انه قبل ذلك منه بل الوجب هذه الوسوسة كان آدم عالما بقوله ذلك منه لانه لا بد ان يحصل بين حال التكليف وحال
الجزاء فصل بالموت والنبي يمتنع ان لا يعلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم لا يكفي الفصل يعني يوم حينئذ ولو سلم الله لا يكفي
فلم يستحيل ان يجهل النبي ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال رب ارني انظر اليك ومما يدل على ان آدم قبل وسوسته قوله
تعالى فدلاهما بالغرور والفاء مشعر بالعلية كقول الصحابي زنى ماعز فرجم وبا في الآية تقدم بقيتها في الاعراف الاولى وعصى آدم
ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والالم يوصف بالعصيان والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان
عرفا وشرعا وقد رتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون للندب واجيب بالمنع من ان المندوب مأمور
به ثم من ان مخالفه عاص والا لكان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب قالوا يقال اشرت اليه في امر كذا فعصاني
وامرته بشرب الدواء فعصاني واجيب بالمنع من ان هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا
عرف ان المستشير لا بد ان يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب لم يصدر
عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة ورد بان العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغير
واجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى اى خاب من نعيم الجنة لان
الرشد هو ان ينال الشيء فيتصل الى المقصود والغي ضده لانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى
اى بشم من كثرة الاكل وهو ينبغي ان يحمل على ذلك ورد قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان
قلت وفي هذا نظر والاحوط في هذا الباب ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اى اختاره
للرسالة وهدى لحفظ اسباب العصمة واصل الاجتباء هو الجمع كما مر في آخر الاعراف يروى عن ابي امامة لو وزن احلام
بني آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء هذا دليل على انه لا راد لقضائه وما قدره كان لا
محالة واذا جاء القضاء عمي البصر والدليل وقد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس كما خفي على آدم عداوة
ابليس وانه لم يتعرض لحط الله فيه حينئذ امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون
الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم عليه السلام وان ورد في القرآن فعصى آدم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه
الزلة الا مرة واحدة وصيغة اسم الفاعل ينبئ عن المزاولة لان الرجل اذا تاب عن الشرب او الخمر وحسنت توبته لا
يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز ان يشتم عبده وليس لغيره ذلك قال اهبطا وقد مر تفسير مثله في البقرة خاطبهما
بالهبوط لانهما اصلا البشر ثم عمم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما ياتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فعند القاضي
يكفي في توجيه هذا النظام ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس والناس من اعدائهم فاذا يضاف الى
ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا

يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه ان العقاب في الآخرة لاجل الضلال
عن الدين في مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الآخرة واما
الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لنقص مدته على ان الرضاء بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا واما
من ذكر وعيد من اعرض عن ذكره ظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن اعرض عن
ذكري في مقابلة قوله فمن اتبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر
هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال
منزل ضنك ومعيشة ضنك كانه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه
انما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق المتوعد به اما في الدنيا او في القبر او في الآخرة مال الى كل طائفة اما الاول
فلان المسلم الراضي بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا والمعرض من الدين مستول عليه
الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح الى ما ليس بالدنيا من الفراغ والوداع الكلي فلا جرم له الا هم الدنيا وعن ابن
عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها وعن الكرماني من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وسئل
الشبلي عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم اهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلات من الله تعالى فعقوبتهم
ان يردهم الى انفسهم واي معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت المحققون بعض البليات من
العقوبات وطلب العافية فيها لازم وبعضها لمزيد الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤدي الى التضجر والجزع
والفزع فيحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ايضا احوط فاتمن المآل واما الثاني فعن ابن مسعود وابي سعيد
الخدري ورفعه ابو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الآية نزلت في الاسود بن عبد الله
المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعه واما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي انه الضيق في الآخرة
في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى فكقوله
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يعني خرزق العين ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة
اعمى قال الجبائي المراد انه لا يهتدي يوم القيمة الطريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل انه اراد اعمى عن حجته
وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيمة ان يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا
عليه حتى يتميز لهم الحق من الباطل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان عليه في الدنيا وقد كنت بصيرا قال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ومما يؤكد هذا الاعتراض انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلائل في الدنيا فلو كان
العمى الحاصل في الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن المكلف بسبب ذلك مزدجرا في الدنيا فالمحققون في الجواب عن الاعتراض انه
تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلائل في الدنيا فلو كان العمى حاصلا في الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن المكلف بسبب
ذلك مزدجرا كما في عنوان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت ابدانها بقي عليها جهالتها في الآخرة فتصير تلك الجهالة سببا لاعظم
الآلام الروحانية واقول على ان القاضي يحتمل ان يكون مجازا باعتبار العاقبة فتعد تسمية الشيء باعتبار عدم عاقبته وتمرينه فلما في
كونه اعمى في الآخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه اعمى في الآخرة بالاعتبار المذكور لان
المعرض عن الدليل شبيه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى في جوابه كذلك
اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسره بقوله اتتك آياتنا اي دلائلنا واضحة مستنيرة فنسيتها اي تركت العمل بها والقيام
بموجبها وكذلك اليوم تنسى تترك بلا رعاية النظر والاعتبار على الامانة لا يلزم من كون المكلف غير متصور بنسيان الدلائل

في الدنيا الكون غير متضرر به في الآخرة واما قوله في الجواب الحق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا للعذاب بها
وان كان منشأ العقول المعتدلة انه تعالى يجزي المكلف بطلان ما كان يعتقد في الدنيا وذلك لا يعتبر الى المعدود وان كان سبيلها
لعقلهم في ابن بحر الاعتراض هذا وقد ذكرت في بعض الآثار ان اشد الناس عمى في الآخرة من الذين حفظوا القرآن ثم نسوها
ولبيد قوله اتتك اياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا انساه يوم التلاق وكذلك نجزي من اسرف
قيل عمي به والاظهر انه الاشراك وكفر بدليل قوله ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى اشد وابقى من
ضيق المعيشة في العاجل والدوار تركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا ونبه المعرضين عن الدليل بعدم الاعتبار
باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وهناك
كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك اورد قصة موسى فناسب الاستيناف
بالواو واما حذف من ههنا واثباته هنالك فلما مر من ان من يفيد الاستيعاب وههنا قد زاد في القرآن بشرح قصة بني
اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكر البصريون مثل هذا لان الجمل لا تقع فاعلا
فلهذا قال بعضهم لم يهد لهم هذا المعنى او مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما اهلكنا من القرون مبينا لهم وقال
الزجاج اراد ولم يبين لهم ما يهتدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول والجملة بعده يفسره يريد ان قريشا
يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر في السورة قال بعض
اهل اللغة ان النهية اسم يدل على العقل والنهى الاول لانه عقل ينتهي به عن القبائح فيمتد اولي النهى كقوله اولي العزم والحزم
ومن ههنا فسر بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من الامة فقال
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها الملائكة وبه سلمه لان فيهم من سيؤمن او من يولد منه
اخرى خفية قال اهل السنة له بحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال بمعنى مفعل به
فهو بمعنى ملزم كانه آلة اللزوم اي لكان الاخذ العاجل لازما واجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز
في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان وحسن للفصل اي لكان الاخذ العاجل والاجل المسمى وهو عذاب الآخرة
وقيل يوم بدر لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل ثم بين ان لا يهلكهم بعذاب
الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات نوع الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال وليس بذلك فان
كلا منهما معمول به فاني موضعها اي سبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون ههنا بمعنى
الصلاة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلاة ولانه بين اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة
الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بالصبر ومن آناء الليل فسبح المغرب والعشاء وقوله واطراف النهار اي
نظر فيه يجيء للمبالغة وامن الالتباس ولان اقل الجمع اثنان او للطرفين كليهما وتكرار لصلاتي الفجر والعصر لان الفجر على ما ظن
اعتناء بشانهما كقوله والصلاة الوسطى والآناء جمع انى وهي الساعة وقد مر في آل عمران وانما قدم آناء الليل وادخل الفاء في
فسبح المؤذنة بالالتزام ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشأن صلاة الليل لان الليل وقت السكون والراحة
وهدو الاصوات فالصلاة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب الى المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم احتج
من الآية صلاة الظهر لانه خصص قبل الغروب صلاة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلاة في الاوقات المذكورة
تشملها والامر قد يكون للندب لا اقل من التغليب وقال ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه امر
بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة عليه في كل الاوقات وفي لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك

ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب ان الاطماع من الكريم واجب الوقوع الثمار اذ ترقى شفاعته ما
حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك ومد النظر تطويله استحسانا
للمنظور اليه وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وقال ابو مسلم المنهي عنه في الآية ليس هو التطويل وانما هو الاسف اي لا تأسف
على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه
الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج
الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم اشكال في الذهاب عن الصواب وقد مر في آخر الحجر ولقد شدد العلماء المتقون
في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لانهم اتخذوها لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم
على اتخاذها قال جار الله انتصب زهرة على الذم او على تضمين متعنا معنى خولنا واعطينا او على ابدال من ازواجا والتقدير
ذوي زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فلعلها لغة او جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور آثار النعمة
عليهم زاهرون واهل الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب وقوله لنفتنهم اي
نبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد عليهم في التكليف لان الاحتساب عن المعاصي مع القدرة تكون اشق على النفس ورزق
ربك وهو ثواب الآخرة او ما رزقت من الاسلام والنبوة خير وابقى وقيل اراد به الحلال الطيب الذي يحق ان ينسب اليه بخلاف
اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وابقى بركة وحسن عاقبة وأمر اهلك كقوله في حق اسمعيل
وكان يأمر اهله بالصلاة اي اجتمع مع اهلك على عبادة الله من السلف من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا
بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية
ثم ينادي الصلاة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلي كل صباح و
يقول الصلاة كان يفعل ذلك اشهرا وقوله واصطبر عليها اراد انك كما تأمرهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل اتم منه
بلسان القول لا نسألك رزقا كما يريد الملوك من خدامهم جباية مغانمهم والسادة من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد
ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انما امرناك بالصلاة فذلك لاجل انتفاعك بثوابها لا لانا ننتفع بها
وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الآخرة وفي
معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال اهل الاشارة ورزق ربك رضاه كقوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلاة والعاقبة اي الجميلة للتقوى
ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون في كل واحدة من شبهاتهم هي قولهم لولا يأتينا بآية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن
الذي اخرس شقاشقهم فرد الله عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب الالهية
لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من بشارة مقدم محمد صلى الله عليه وسلم
وعن ابن جرير اراد ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الآيات وانما اتاهم هذا البيان في
القرآن فلهذا وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول القرآن فقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
اي من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة لقالوا اي في القيامة لان الهالك لا يتولد في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا لكنت اطوع خلقك
وتلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل

ثم تقع لهم زاد وقيل لا دخلوها فيدخلها من كان في علم الله تعالى انه سعيد وسلكها من كان في علمه انه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسلي لو اتاكم طعن المعتزلة في هذا الخبر فقالوا لا يحسن العقاب على ما لم تفعل وقال الجبائي في الاية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسأل عما يفعل انه لا حجة تكون عليه لاحد بل تاويله انه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امر به لكان لهم فيه اعظم حجة ولسند لاهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا كان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الامر بالجهاد وبظهور الدولة والغلبة او بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور امر الثواب والعقاب وتميز المحق من المبطل ويؤيده قوله فستعلمون الى اخره وهذا من الكلام المنصف ۵

سورة الانبياء مكية حروفها اربعة الاف وثمانمائة وتسعون كلماتها الف ومائة وثمان وسبعون اياتها مائة واثنا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ۵ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ۵ لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون ۵ قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم ۵ بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون ۵ ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون ۵ وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ۵ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ۵ ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين ۵

جزو

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ۵ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين ۵ فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ۵ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون ۵ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين ۵ فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ۵ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ۵ لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ۵ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ۵ وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ۵ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ۵

القراءة قال ربي بالالف حمزة وعلي وحفص الباقون على قل على الامر نوحي بالنون مبنيا للفاعل حفص عن الكسائي الباقون بالياء مجهولا **الوقوف** الجزء السابع عشر معرضون ج للاية مع احتمال كون ما بعده صفة او استينافا يلعبون لا لان لاهية حال الخزي مترادفا وقد تحمل ضمير يلعبون وهي لقلوبهم في المعنى قلوبهم ط مثلكم ط لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول تبصرون والارض ط لاتفاق الجملتين مع استغناء الاية عن الاولى العليم شاعر ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقول الاولون اهلكناها لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون لا تعلمون خالدين المسرفين ذكركم ط تعقلون اخرين يركضون ط لتقدير القول تسئلون ظالمين خامدين لاعبين من لدنا قد على جعل ان نافية والاصح انها للشرط فاعلين زاهق تصفون والارض ط لان ما بعده مبتدأ يستحسرون ج لان ما بعده يصلح حالا او استينافا لا يفترون **التفسير** قال جار الله اللام في قوله للناس اما صلة لاقترب او تاكيد لاضافة الحساب اليهم كقولك في ازف رحيل الحاج ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل فيه تاكيد من جهة تقديم الحي ومن جهة اظهار اللام ثم يزيد تاكيدا اخر من جهة وضع ضمير الحي مضافا اليه الرحيل موضع لام التعريف فيقول ازف للحي رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت حسابهم وهو يوم القيمة كقوله اقتربت الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كانه لما هدد في خاتمة السورة المتقدمة بقوله فستعلمون بين في اول هذه السورة ان وقت ذلك العلم قريب وانه غير بعيد كيف وصف بالاقتراب وقد عدد دونه هذا القول اكثر من ستمائة عام فالجواب انه كل ما هو ات قريب وانما البعيد هو الذي انقرض ومضى ولهذا قال الشاعر فلا زال ما تهواه اقرب من غد ولا زال ما تخشاه ابعد من امس على انه لم

يقضى بعد يوم من ايام الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ومما يدل على ان الباقي من مدة التكليف اقل من الماضي قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وقد جمع بين حاتم السبابة فاتخذ الزمان وفي ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وتذكير
للذين فالمراد بالناس كل من له مدخل في الحساب وهم جميع المكلفين وما روى عن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق
اسم الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة النازلة
من القرآن وقرئ محدث بالرفع صفة على المحل احتج المعتزلة بالاية على ان القرآن محدث واجاب الاشاعرة بانه لا نزاع في حدوث
المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد بالنزول وانما النزاع في كلام النفس الذي لا يصح عليه الاتيان والنزول ونعم الامام
فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ان حاصل قول المعتزلة في هذا المقام يؤل الى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لان قوله
من ذكر من ربهم محدث لا يفيد الا الجزء فان ذكر لما محدث كان قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل الا يبغضه يدل على
انه لا رجل يحبه ابن يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس فلا ينتج شيئا لان كلية
الكبرى شرط في انتاج الشكل الاول كما عرف في علم الميزان قلنا لنا المعتزلة لا يحتاجون في اثبات مدعويهم الى تركيب مثل هذا القياس لان
مدعاهم ثبت بتسليم احدى مقدمتي القياس الذي ركبتموه وهي قوله بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شيء من القرآن
بمحدث واذا صدق احد النقيضين كذب الاخر بالضرورة فظهر ان الامام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم ان الامام يقول
نعم القول للمعتزلة اذا ثبت ان بعض القرآن محدث لزم ان يكون كله محدثا لانه لا قائل بالفصل فنقول ان احدا ذهب الى قدم كله والاشاعرة
ذهب الى حدوث كله ولم يذهب احد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة من ربهم محدث
لوافقه قوله بعد هذا ذكر من معي وقال في الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لان ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن بالرحيم انسب قوله
تعالى يلعبون اللعب الاشتغال بما لا يعني قوله لاهية هي من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل وفيه انهم كالانعام لا يحصلون من
الاستماع والتذكير الا مثل ما يحصل للبهائم عند اخذها فتسمع وقلوبهم لا تعي ولا تفقه ومعنى واسروا النجوى بالغوا في اخفائها
او جعلوها بحيث لا يفطن احد لها ولا يعلم انهم متناجون وفي واو اسروا وجهان احدهما انه على لغة من يجوز الحاق علامة
التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله والثاني وهو الاقوى ان الواو ضمير راجع الى الناس المتقدم ذكرهم والذين
ظلموا بدل منهم او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى مقدما عليه على التقدير اراد واسروا النجوى هؤلاء
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم ثم ابدل من النجوى قوله هل هذا الا بشر الى قوله وانتم تبصرون اي
اتقبلون سحره وتحضرونه وانتم تشاهدون انه بشر مثلكم او تعلمون انه سحر وانتم من اهل البصر والعقل ويجوز بعضهم
ان يكون قوله هل هذا الى اخره معمولا لقالوا مضمرا وانما اسروا النجوى هذا الحديث لانه كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم
امر النبي كما جاء في كلام الحكماء وقد روي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز ان يسروا بذلك
ثم يقولوا للرسول والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه من قوله قال ربي يعلم حكاية الرسول صلى الله عليه وسلم
كانه قال انكم وان اخفيتم قولكم وطعنكم فان ربي عالم بذلك وانه من وراء عقابه ويصف نفسه في بعض المواضع بانه يعلم السر
ذلك حين يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه بانه يعلم القول في هذا الكلام لانه عام يشمل السر والجهر فكان في
العلم به العلم بالسر وزيادة وافق هذا اذا كان اللام في القول للاستغراق اما اذا كان للجنس فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة
للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الاولى فلا مزية لاحدى العبارتين على الاخرى ومعنى السميع العليم
عليم بالمسموعات او لانه عمم فقال القول قدم السميع على العليم لانه لا بد من استماع الكلام اولا ثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا
قياس للغائب على الشاهد قوله بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ما قبلها انهم

انهم انكروا اولا كون الرسول من جنس البشر ثم انهم كانوا قالوا سلمنا ذلك ولكن التحدي يستلزم معجزا يبين معجز غايته انه خارق للعادة
وليس كل ما هو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا هذا اذا سلمنا على ان فصاحة القرآن خارجة عن العادة لكنا غير مسلمين هذه المقدمة
بل نحن ندعي انه في غاية الركاكة وسوء النظم كاضغاث احلام وهي الاحلام المختلطة التي لا اصل لها وقد مر في سورة يوسف
سلمنا ولكنه من جنس كلام الاوساط افتراه من عنده سلمنا انه كلام فصيح ولكنه لا يجاوز فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا
المعجز هكذا فليأتنا باية لا يتطرق اليها شيء من هذه الاحتمالات كما ارسل الاولون اي كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل
متضمن لاتيانهم بالايات ومن تامل في هذه الاقوال الحكية عن اولئك الكفرة علم ان الكلام مطرح نجم هائم في اودية الضلال ولا
يكفي في اعجاز القرآن انهم عدلوا حين تحدوا به عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف ثم بين ان الايات التي يقترحونها
لا فائدة لهم فيها لانهم اعتى من الامم السالفة وانهم ما امنوا عند مجيء الايات المقترحة فاهلكوا لاجل ذلك كانهم يؤمنون مع شدة
شكيمتهم فيه معنى الانكار اي لا يؤمنون البتة وحينئذ يجب اهلاكهم ولكن قد سبق القول من الله ان هذه الامة امنون من عذاب
الاستيصال ثم اجاب عن شبهتهم الاولى وهي قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقد مر مثله في اخر
سورة يوسف وفي النحل وانما جاز لهم الرجوع الى اهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد
الضرورة على ان اهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل
اهل الذكر اهل القرآن وضعف بانهم كانوا طاعنين في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤمرون بالرجوع الى قولهم
واستدل كثير من العلماء بالاية في ان العامي يرجع الى فتياء العلماء وللمجتهد ان يأخذ بقول مجتهد اخر واجيب بانه خطاب
مشافهة وارد في الواقعة المخصوصة في السؤال عن اهل الكتاب فلا يتعدى مورد النص وقد مر في اخر سورة يوسف الفرق
بين قوله وما ارسلنا من قبلك بغير من وليس الا هنا وفي اوائل الفرقان وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ثم اكد كون الرسل
من جنس البشر بقوله وما جعلناهم جسدا الاية كانهم قالوا انه بشر ياكل كما تاكل ويموت كما نموت ولعلهم اعتقدوا ان الخلود
للملائكة لا اقل من العمر الطويل لابد من تقدير مضاف نعتا اي ما جعلنا الانبياء قبلك ذوي جسد غير طاعمين والاكثر
وما جعلناهم جسدا ووحد الجسد لارادة الجنس اي ذوي ضرب من الاجساد والمراد بالحد منهم قوله صدقناهم الوعد اصله
في الوعد فنصب بنزع الخافض ثم فسر الوعد بقوله فانجيناهم ومن نشاء وهم المؤمنون ثم نبههم على عظيم علمهم بقوله لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم وفيه بيان مكارم الاخلاق التي بها يبقى الذكر الجميل مع الثواب الجزيل ثم اوعدهم
وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال وكم قصمنا والقصم اقطع الكسر وهو الذي يبين تلاؤم الاجزاء فاذا لم يبن فهو
الفصم بالفاء وذلك ان القاف حرف شديد بخلاف الفاء فروعي جانب المعنى في اللفظ ومعنى من قرية من اهل قرية لقوله وانشانا
بعدها قوما اخرين والضمير في قوله فلما احسوا لاهل القرية والمراد بالاحساس الادراك بحاسة البصر او علم لا شك فيه كالمحسوس
المشاهد والركض ضرب الدابة بالرجل كانهم ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم حين ادركتهم مقدمة العذاب قال
الجوهري الركض تحريك الرجل على الدابة استحثاثا لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا فعلى هذا يجوز ان القوم كانوا يعدون على ارجلهم
فقيل لهم لا تركضوا والقائل اما الملائكة او من ثم من المؤمنين ويجعلون احقاء بان يقال لهم ذلك او سمع رب العزة ملائكته هذا
القول ليبغضهم في دينهم او الهمهم الكفار ذلك فحدثوا به انفسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الهني والاتراف ابطار النعمة
لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او اجلسوا في مجالسكم حتى
يسالكم عبيدكم وحشمكم بما تامرون وما ذا ترسمون فينفذ فيهم امركم ونهيكم او يسالكم الناس مستعينين بتدابيركم و
رايكم او يسالكم الوافدون وارباب الطمع مستمطرين سحاب اكفكم اما لانهم كانوا اسخياء ولكن سمعة ورياء واما لانهم بخلاء

وفي هذا الوجه تفكر بهم فتبع لهم ذلك تلك الدعوى وهي قولهم يا ويلنا الآن الويل كانه يدعو الويل دعواهم الاولى اسم ما زالت تلك
خبر او بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقد مرت في قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصود كقوله منها قائم وحصيد
شبهوا بالزرع المستاصل والنار التي خمدت فصيرت رمادا اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخامد وقيل حصيد الان لان المراد زرعا
حصيدا او لان فعيلا يستوي فيه الواحد والجمع عن ابن عباس ان الاية نزلت في حضور وسحول قريتين باليمن تنسب اليهما الثياب وفي
الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوري بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر
كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم فكان القوم حصدوا بالسيوف وروي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لـ
ثارات الانبياء وقال اهل النظم لما بين اهلاك كثير من القرى لاجل ظلمهم وتكذيبهم بين انه الثاني ورواه ابن عباس انه فعل ذلك
عدلا ومجازاة لا عبثا ومجازفة فقال وما خلقنا السماء والارض الاية وما سوينا هذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع وما بينهما
من الاركان والمواليد كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها لفوائد دينية ومنافع
دنيوية كاملة فيها طوائف فيها فوائد للعبد وعلى ان بقاء المقصود من سياق الاية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والرد على منكريه لانه اظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب العبث وهو منفي عنه
سبحانه قال القاضي عبد الجبار فيه دليل على انه لا يخلق اللعب وكل قبيح والكان لاعبا وعوض بمسئلة العلم والداعي ثم
بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة تنافيه ومعنى من لدنا من جهة قدرتنا وقيل اللهو
الولد بلغة اليمن والمراة وقيل اي من الملائكة لا من الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل ان يقال من لدنا
اي من عندنا على سبيل الحقيقة فلا تعرفونه ولا تشعرون به فيكون الرد شاملا لكل من ادعى لله ولدا ولو كان الملائكة ثم اضرب عن
اتخاذ اللهو واللعب فقال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اي ذاهب هالك
الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعاني هذا كله استعارة تمثيلية اي استعمال القذف والدمغ في
الاجسام لان القذف الرمي البعيد والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل
والدمغ لاذهاب الباطل لجامع الزهوق ثم بين حكم الانسان بما وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وبما في وجوب الوجود
وبما يصفوا رسوله من السحر والشعر وغير ذلك من الاوصاف المضادة للرسالة فقال ولكم الويل مما تصفون اي تصفونه به ثم
بين كمال قدرته وتمام حكمته فقال وله من في السموات والارض والمراد بمن عنده الملائكة المقربون والمقصود عنديه
الشرف والرتبة واما عندية المكان فيها بحث طويل قال الزجاج لا يستحسرون ولا يعيون ولا يمسهم الاعياء وقال جار
الله كان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استحسر ليبين ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور
وانهم احقاء لتلك العبادات الشاقة بان يستحسروا ومع ذلك لا يعيون وبما تعبوا عليهم ثم اكد ذلك بقوله يسبحون الليل
والنهار منصوبان على الظرفية لا يفترون لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الايتان الملائكة مع علو شانهم وبما يدق بهم
لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم ان يتمردوا عن طاعته وقد مر في اول سورة البقرة تمسك
مفضلي الملائكة على الانبياء بهذه الاية وبغيرها فلا حاجة الى الاعادة عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب الاحبار
ارايت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا وقال ان اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح فاجاب كعب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشيء اخر
واعترض بان الة التنفس فينا مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم واجيب بانه لا استبعاد في ان يكون لهم السن
كثيرة او يكون المراد بعدم الفتور انهم لا يتركون التسبيح في اوقاته اللائقة به والله اعلم التاويل اقترب لاهل الانس

النسيان ان يحاسبوا انفسهم كقوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ما ياتيهم من ذكر وعظ وتذكير من عالم
رباني محدث الهامه والا انكروه عليه ونسبوه الى التخليط ونحو وما جعلناهم جسدا فيه ان الله قادر على ان لا يجعل
النبي والولي ذا جسد ولكن حكمته اقتضت كونهم ذوي اجساد اكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو
مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية يتم الكمالات النفسانية ويدرك المحسوسات ويستفاد العلوم
المستندة الى الاحساس والتجربة وتفصيل اكثر من ان يحصى وقال المشايخ لولا الهوى ما سلك احد طريقا الى الله وما كانوا خالدين
والسر فيه انه يعلم ان الموت حقيقة اسم المميت كما علموا الحيوة حقيقة اسم المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين
اهبطوا الى الارض فانجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهلاك وعالم الطبيعة واهلكنا المسرفين الذين اسرفوا
على انفسهم بالركون الى الاسفل سافلين الطبائع وكم قصمنا من اهل قرية فيه اشارة الى ان فلما احسوا باسنا هي شدة قطع التعلق
عن الكونين فان الفطام عن المالوف شديد لا تركضوا اسابل فرارا الينا وارجعوا الى المنعمات الروحانية ومساكنكم
الاصلية لعلكم تسالون عن عزة وكماله وما خلقنا سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار
من غير غاية وانما خلقناها لتكون مظاهر لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل الحق نكتة انه اشتبه بها اعمال الحق وسنة
صفات الحق ومرتبة ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد زهق باطل تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بافعاله
ذهب عنه باطل الافعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته واذا تجلى له بذاته فنى ذاته فيقول انا الحق وسبحاني
تا الوصل انه لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب فيبقى متصفا بالوجود المجازي والله اعلم بالرشاد

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ۝ لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ۝ لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ۝ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ۝
وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ۝
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ۝ لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون ۝ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون ۝ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ۝ أولم ير الذين كفروا أن السموات

والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ۝
وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم
يهتدون ۝ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ۝
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ۝
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ۝
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ۝
وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر
آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ۝ خلق الإنسان من عجل
سأريكم آياتي فلا تستعجلون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين ۝ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم ولا هم ينصرون ۝ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ۝ قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ۝ أم لهم آلهة
تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ۝
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها

ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون ۝ قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع
الصم الدعاء إذا ما ينذرون ۝ ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك
ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ۝ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى
بنا حاسبين ۝ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
للمتقين ۝ الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ۝
وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ۝

القراءات الا نوحي اليه بالنون حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد أفإن مت بضم الياء ابو جعفر ونافع وابن عمرو وابن مجاهد عن ابن ذكوان الم ير بغير واو ابن كثير الا هزوا بواو متوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائره كثير ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب على الحزون بفتح التاء وكسر على الغيبة من السماع الصم بالرفع مثقال حبة بالرفع على كان التامة وكذلك في سورة لقمن ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب **الوقوف** يشرون ه لفسدتا ج لانها بعده مفعول معرضون ه فاعبدون ه سبحانه ط مكرمون ه لا لان ما بعده صفة يعملون ه ولا يشفعون لا للاستثناء مشفقون ه جهنم ط الظالمين ه ففتقناهما ط لابتداء الاستفهام الى الاخبار حي ط يؤمنون ه يهتدون ه محفوظا ج لاحتمال الواو والاستئناف والحال معرضون ه والقمر ط يسبحون ه الخلد ط الخالدون ه الموت ط فتنة ط ترجعون ه هزوا ط الهتكم ج لاحتمال الواو والاستئناف والحال كافرون ه من عجل ط فلا تستعجلون ه صادقين ه ينصرون ه ينظرون ه يستهزئون ه من الرحمن ط معرضون ه من دوننا ط فصلا بين الاستفهام والاخبار يصحبون ه العمر ط من اطرافها ط الغالبون ه بالوحي ز لاستيناف ولا يسمع بالياء التحتانية والوصل اجود لتتميم المقول ومن قرأ على الخطاب وقف لانه خرج عن القول ينذرون ه ظالمين ه شيئا ط اتينا بها ط حاسبين ه للمتقين لا لاتصال الصفة ولا يخفى انه يحتمل النصب والرفع على المدح فيجوز ان لا يوصل مشفقون ه انزلناه ط منكرون ه **التفسير** انه سبحانه بدأ في اول السورة بذكر الحساب ثم جر الكلام الى النبوات وما يتصل بها سؤالا وجوابا ثم ختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها بواسطة ام المنقطعة ام اتخذوا الهة من الارض كما يقال فلان من مكة لانها اصنام تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية والداها من جنس الارض لانها تنحت من حجارة او تعمل من جواهر الارض وبعد انشارها لكون ونشرها الى الحياة من اعظم المنكرات ان ينشر الحي بعد الموت كانهم بادعائهم لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين للبعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلالة الباهرة

وفيه باب من التهكم والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعاده من لوازم
الالهيه ومعنى حصر افاده الخصوصيه كانه قيل ام اتخذوا الهه لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى امر المختص
بالاهتداء هو وحده ولما قدم الانكار شرع في دليل التوحيد فقال لو كان فيهما اي في السموات والارض وقد تقدم ذكرهما الهه
الا الله اي غير الله قال النحويون الا هنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعه لجمع منكور غير محصور والاستثناء لا
يصح الا كان المستثنى داخلا في المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال ان الا في هذه الماده لا يمكن ان يكون للاستثناء لان التالي
حملنا على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما الهه ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما الهه معهم الله لم
يحصل الفساد وللمفسرين في تفسير الايه طريقان احدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهه
شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلاله على امرين الاول وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان
لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامران لعلمنا ان الرعيه تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر
والاختلاف وثانيهما طريق التمانع بان يقال لو فرضنا الهين واراد احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه فان وقع مرادهما
لزم اجتماع الضدين في محل واحد وان لم يقع مراد احدهما دون الاخر فذلك الاخر عاجز لا يصلح للالهيه والاعتراض على هذا التقدير
من وجهين الاول ان اختلافهما في الاراده امر ممكن لا لابد ان يقع الثاني ان الفساد في السموات والارض كيف يترتب على
اختلافهما وفي الجواب طريقان احدهما الرجوع الى التقسيم الاول وهو الامر الغالب من التغالب الفساد ومن ان الملك عقيم
ولا يجتمع فحلان في شول والسلطان جماعه النوع حتى بينهما وارتفع من عندهما واني علمنا من نتائجها سبعه اشهر وثمانيه فالبد من
التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج الطريق الثاني العدول الى ضرب اخر من البيان وهو ان اتفاق الالهين على عدد
واحد محال لانه لكان كل منهما مستقل بالتاثير كامل في القدره فاذا وقع المقدور باحدهما استحال ان يقع بالاخر لانه لو اراد
كل واحد منهما ان يوجده من جهه ايضا الاختلاف ولقد قيل انه يريد كل واحد منهما ان يكون الموجد له احدهما لا بعينه فهذه ادله
سببه لا تضح التاثير فلابد من الاختلاف وقد عرفت حاله ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لان كل ما صدر عن الالهين عاجز او عن احدهما
لم يكن على الوجه الاصلح والنمط الاصوب بل العاجز لا يصلح للايجاد اصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شيء من الممكنات وهو الفساد الكلي
ومنهم من يقرر دليل التمانع على وجه اخر وهو انا لو قدرنا الهين فهل يقدر كل منهما على ان يمنع صاحبه عن مراده ام لا فان قلت يقدر
كان كل منهما مقهورا للاخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها ان احدهما اذا قصد ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر
اولا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما في امثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدره
على المحال لا يسمى عجزا ولهذا لا يمكن ان يقال ان الله تعالى عاجز عن خلق مثله او انه اذا اوجد شيئا نفذت قدرته على خلق ذلك الشيء حصل
لم يعجزوا من الطاعنين في دلاله التمانع من فسر الايه بان المراد لو كان في السماء والارض الهه غير الله كما زعم عبده الاصنام لزم
فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لا نفعها ولا ضرها عن غيرها ولقائل ان يقول ان الالهه لو كانت
متفرده بالتدبير يلزم الفساد اما الاربعه لو كانت وسايط او معاونه لله الاعظم كما يزعم عبده الاوثان فمن اين يلزم الفساد واعلم
انا قد بينا دلائل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب ولا سيما في سوره البقره في تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا في هذا المقام
طريقه اخرى ما اظنها وطئت قبلي فاقول وبالله التوفيق ان الوحده من صفات الكمال وقد ذكرنا ذلك في العقود حتى ان كل عاقل
مهما تم له امر بواحد لم يتعد فيه الى الاثنين واذا اضطر الى الشركه والتعاون راعى فيه الابسط فالابسط لا يزيد العدد الا افتقارا
وعلى هذا مدار الامور السياسيه والتراتيب هذا في المؤثر واما في الاثر فلا ريب انه اذا استند الى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه الا
جهه واحده افتقاريه واذا استند الى ما فوق ذلك كانت فيه من الجهات الافتقاريه بحسب ذلك فيكون النقص تابعا للقله

تلك جهات الافتقار وكثرتها وكل مرتبه من الممكنات من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والمواليد لو كان مبدا تلك السلسله
الطويله واحدا كانت فيه من الجهات الافتقاريه بقدر ما لو كان المبدا ازيد من واحد وهذه قضيه يقينيه اذا عرفت هذه
المقدمه فنقول لو نسجنا ليس الا ان يدفع هذا النقص من الممكنات ولهذا عقبه بقوله والمراد ان هذا النقص والفساد لازم لوجود الهه
غير الله سواء كان اسمى جلالهم ام ادوانهم من العاقل بانه فيه نقص وفساد وجب ان لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجه هي المراده
بقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الانداد والشركاء ويكون هذه الايه نظيره قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه   اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت
الامور تركت اللات والعزى جميعا   كذلك يفعل الرجل البصير ثم اكد تفرده بالالهيه بقوله لا يسئل عما يفعل وفيه رد على الثنويه والذين
الذين جعلوا لله شريكا فاعلا للشرور والالام وذلك انهم طلبوا الحكمه في افعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع
الخيرات من الصحه والغنى وذلك باصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه ان الاعتراض على افعال الدنيا في الديانه ولانه لاد ان يفعل
ما يشاء كما يشاء ولا يجب السؤال عن افعاله فكل من الاشاعره ومن المعتزله سلموا انه لا يجوز ان يقال له لم فعلت ولكنهم حملوا عدم جواز
السؤال على ملحظين اما الاشاعره فذهبوا الى ان افعاله لا تعلل بالمصالح والاغراض وله بحكم المالكيه ان يفعل في ملكه ما شاء فان
من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق ذم واستحقاق المدح له قديم وما ثبت للشيء لذاته يستحيل
ان يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما ان ذاته غير معلله بشيء فكذلك صفاته وافعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسايط والاغراض
والمقاصد واما المعتزله فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا
عرف المكلف اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمه وصواب وجب ان يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لا يسالهم من في مملكتهم عما
يوردونه ويصدرونه من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل عليهم فملك الملوك ورب الارباب اولى بان لا يسال عن
افعاله مع ما ذكر في العقول من ان كل ما يفعله فهو حق مشتمل على الغايات الصحيحه ثم زاد لا يسال تاكيدا بقوله وهم يسالون
وفيه رد على منكري التكليف الذاهبين الى ان العباد لا يسالون عما فعلوا في دار الدنيا قالوا ان التكليف امر غير معقول لانه اما ان
يتوجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان الجحود والنقل عن المكلف يستدعي الترجيح فالتكليف بالترجيح
في حال عدم الترجيح تكليف بالمحال واما ان يتوجه حال الرجحان ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وايضا
التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق وايضا سؤال العبد ان لم
يكن فيه فائده فعبث وان كان فيه فائده فان عادت الى الله تعالى كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فان الله تعالى قادر على
ايصالها اليه من غير توسط التكليف على ان السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم فجوابهم ان الاسباب لو تركنا
معتبره في كل شيء من عالم الاسباب حتى الثواب والعقاب بعد ان تحاصل الشبهات يرجع الى انه لم كان كذا فان الله تعالى لم يكلف عباده ولم
كلفهم ما لا يطيقون وهو ينافي القاعده الممهده اي لا يسال عما يفعل ثم كرر ام اتخذوا من دونه الهه استعظاما لكفرهم وليرتب
عليه قوله قل هاتوا برهانكم على ذلك عقلا او نقلا اما العقل فقد مر انه يقتضي بعدم الشريك حذرا من الفساد واما النقل فقوله هذا ذكر من
معي ومن قبلي باضافه المصدر الى المفعول اي عظه للذين معي عن ابن عباس واختاره الفراء والزجاج انه اراد هذا هو الكتاب المنزل على
من معي من الامه وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبياء وهم يعني التوريه والانجيل والزبور والصحف ولا ورد في شيء
منها تجويز نفي الشركاء عن سعيد بن جبير وقتاده ومقاتل والسدي ان قوله ذكر من معي صفه للقران ايضا لانه اشتمل على احوال
الامم الماضيه كما اشتمل على احوال هذه الامه ثم ختم الايه بقوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق تنبيها على ان وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل
ساقهم اليه بل لان عندهم ما هو اصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك اعرضوا عن استماع الحق

وطلبه وفي لفظ الاكثر اشارة الى ان فيهم من يعلم ولكنه يعاند او اجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع
ثم قرر امر التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي على احد التفسيرين بقوله وما ارسلنا الاية ثم رد على خزاعة ولناس من
القائلين بان الملئكة بنات الله بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه ثم اخبر عما هم عليه في الواقع وهو
ان الملئكة عباد مكرمون مقربون لا يسبقونه بالقول اي بقولهم اي يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله وهم بامره يعملون
ثم انهم التابعون لامره في القول والعمل واعلاهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم تقدم تفسيره في طه وفي اية الكرسي ولا يشفعون الا
لمن ارتضى كقوله في طه لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقد مر البحث فيه قال في الكشاف وهم من خشيته
مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة قلت لعله اراد انهم يتوقعون ما هو سبب الخشية وهو العقاب من ادنى امارة بخلاف البشر
فانهم لا يتوقعون ذلك الا من امارة قوية ويحتمل ان يقال انهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون ان تلك الخشية يقع فيها تقصير وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته وعلو
جبروته بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فرضا ان يدعي الالهية لنفسه دون الله ويدعي انه اله مع الله اي يعبد بجانب
الهيته وكل هذا سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله ذلك دون الله ويدعي انه اله مع الله
اي يعبد مجاوزه الهيته وعلى ان يقول فهو بتعبيد المشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تقطيع لامر الشرك وتهديد عظيم لمن اشرك
او اراد بالظالم هنا الشرك والمتوكل عمومه والاول اظهر ثم عدل الى ادلة التوحيد الى منهج اخر من البيان وهو الاستدلال بالآفاق
والانفس قائلا اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض اي جماعة السموات والارض جماعة الارض كانتا رتقا ففتقناهما الرتق الكون
الشد بعضه الى شئ والتحامه اي الالتئام وهو لازم رتقا وهو مصدر الرتق بالتوكيل والفتق ضده اي كانتا ملتزقتين ففصلناهما
عن قتيبة عن ابن عباس في رواية عكرمة ومن الحسن وقتادة ان المراد كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى
واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما وقال ابو صالح ومجاهد
كانت السموات ملتصقات لا فرج بينها ففتقها الله بان جعلها سبعا وكذلك الارضين ونحو عن ابن عباس في رواية اخرى عطية كثير
من المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه ان يراد
بالسموات على هذا التفسير السحاب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده عقيبه قوله وجعلنا من الماء كل شئ
حي قيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتهما جهتين او باعتبار ان كل قطعة
منها سماء فيكون كقولهم ثوب اخلاق وبرمة اعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى ان السموات والارض كانتا مظلمة ففتقناهما
الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال ابو مسلم الاصفهاني الرتق حال العدم اذ ليس فيها ذوات
متميزة فكانها امر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التميز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر
السموات والارض والفطر الشق وعن بعضهم ان الاسلام ان الرتق انطباق منطقتي الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارة
وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضي لامكان العمارة ولتغاير الفصول وفيه بعد وههنا سؤال وهو ان الكفار متى
راوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال
الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والارض بالنبات او فتقهما بتنفيذ النور فيهما والاظهار عليها امور محسوسة وكذا الاخراج
من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم واما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من اهل الكتاب
وكانوا يقبلون قولهم لما بينهما من التوافق في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف في الجواب انه وارد في القرآن
الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد او انه لا صح الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون

دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا من الماء كل شئ حي قال السكاكي صاحب المفتاح اي جعلنا مبدأ كل حي
هذا الجنس الذي هو جنس الماء ويعترض عليه بانه كيف يصح ذلك وادم من تراب والجن من نار والمشهور ان الملئكة ليست احياء ما
مائية واجاب بانه يأتي في الروايات انه جل وعز خلق الملئكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه
منه وقال صاحب الكشاف معناه خلقنا كل شئ حي من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان
من عجل وجوز انه لا يكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا الى مفعولين فالمعنى صيرنا كل شئ حي بسبب من الماء لا بد
له منه وقال في التفسير الكبير الفعل وان كان عاما الا ان القرينة قائمة بان الدليل لا بد ان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب الى
المقصود فبهذا الطريق تخرج الملئكة والجن وادم لان الكفار لم يروا شيئا من ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله وجعلنا داخلا في حيز
الاستفهام كانه قيل الم يروا انا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان ومن المفسرين من جعل الحي
شاملا للنبات ايضا كقوله واحيى به الارض بعد موتها قوله وجعلنا في الارض ان تميد بهم تقدم تفسيره في اول النحل وباقي
الاية كقوله في طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع وهي صفة سبلا قدمت عليه فصارت حالا
عنادا او نحن خلقناها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما ابهم في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا والاهتداء اما حسي اي يهتدون
الى البلاد واما عقلي وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى ومنهم من زعم ان الضمير في قوله وجعلنا فيها عائد الى الجبال وهذا قول
مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وروي عن ابن عمر انه قال كانت الجبال مصمتة فلما اغرق قوم نوح خرقها فجعل
فيها طرقا قال العلماء السلام ليس مع قوله وجعلنا السماء سقفا ان السماء للارض كالسقف للبيت في انه لا يعابد مثله ولكنه اطلق عليها
اسم السقف لانها كالسقف في النظر بالنسبة الى سكان كل بقعة وفي المحفوظ وجهان اي محفوظ بقدرته من ان تقع على الارض ومحفوظ
بالشهب من الشياطين وهم عن اياتها معرضون فلا يتدبرون في تركيبها وترتيبها ومسيرها وطلوع اجزائها وغروبها واتصالاتها
وانصرافاتها وتأثيراتها فيعلموا بها خالقها ومدبرها قوله كل في فلك معلوب الكلام والفلك في اللغة كل شئ دائر وجمعه افلاك فعن
الضحاك انه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والاكثرون على ان الفلك جسم تدور النجوم عليه ثم اختلفوا في حقيقته فقال
الكلبي ماء مكفوف اي مجموع يجري فيه الكواكب بدليل قوله يسبحون والسباحة لا يكون الا في الماء ورد بانه يقال الفرس سابح اذا امتد
في الجري وقالت الحكماء هو جسم كروي لا ثقيل ولا خفيف عري عن الخرق والالتئام والنمو والذبول ولذلك سموا اي كور الفلك
سكنا والكواكب متركبة فيه كالسمكة في الماء واعتذروا عن السباحة بما مر انفا قال صاحب الكشاف والتنوين في كل عوض من
المضاف اليه اي كلهم ويرد عليه اشكالان احدهما انه لم يتقدم الا ذكر الشمس والقمر فكيف يصح جمعهما واجاب بان ذلك
باعتبار كثرة مطالعهما كما جمع بالشموس والاقمار لذلك ويمكن ان يقال اقل الجمع اثنان او انه ادخل النجوم تبعا لذكرهما والثاني
ان كلهم ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك على ما يشهد به علم الهيئة واجاب بانه اراد جنس الفلك كقولهم كسانا الامير حلة
اي كل واحد قلت لو صح هذا التقدير لثاني لم يرد الاشكال الاول ولكنه بيّنا في قوله يسبحون تجوز ما قال بعض الحكماء وهو
ايضا دال على ان الكواكب احياء ناطقة واجيب بانه انما جمع جمع العقلاء لان السباحة من فعلهم قلت وقد يسبح كثير من الحيوانات
لغير العقلاء اقول السباحة الصناعية المكتسبة فيحصل البحث وههنا ان الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى استحق قوله
بعض الاوائل الحركة السماوية يتصف بها واحد وهي الاخذ من الشرق الى الغرب الا ان بعضها ابطأ من البعض فالحركات المرئية وكذا
اختلافات تلك الحركات بسبب تلك التخلفات قال وهذا اقرب لتكون غاية سرعة الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذي
هو ابعد عن المحيط وهو الارض ولئلا يلزم بسبب حركتها دون الفلك الاعظم حركة وحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان
واحد حركتين مختلفتين الى جهتين فانه يستلزم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين مختلفا احديث كونها اهو ابعد عن المركز

اسرع بعد حركة فاقتا عي واما الزوم كونه الجسم دفعة واحدة في مكانين فممنوع لان التي يظهر في التحرك هي الحركة المركبة الحاصلة من فضل
الاسرع على الابطاء كل من الحركتين وهذا مشاهد من حركة النملة الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينة الى خلاف جهة
حركتها واما الذي حكاه من كلام الاوايل فباطل لان كلا الحصلت الاطلال اللائقة بكل جزء من اجزائه فلك البروج في يوم بليلة
وكذا الارتفاعات المناسبة لها في البلاد المتفقة العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى في كتبنا النجومية ايضا وحين فرغ من بيان
طرف من هذه الاجزاء السماوية وما فيها الدينونية بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد على ان هذه الاثار لا تدوم ولم تخلق
للبقاء وانما خلقت للابتلاء والامتحان ولكي يتوصل بها المكلفون الى السعادات المدخرة لهم في الاخرة فهي احد المقاصد وقيل
اتخيلا فرغ من دلايل الافاق شرع في دلايل الانفس فقال وما جعلنا الاية عن مقاتل ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت
قيل الملهم ظنوا انه لو مات لتغير شرعه فحذا بان في كونه خاتم الانبياء فنبي الله سبحانه في حاله كحال من تقدم من الانبياء في الفناء
عن دار الدنيا والاكثرون على ان سبب النزول هو انهم كانوا يقدرون انه سيموت بموته فنفى عنه الشماتة بهذا وفي معناه قول القايل
فقل للشامتين بنا افيقوا . سيلقى الشامتون كما لقينا . قوله كل نفس ذايقة الموت قد تقدم في اخر ال عمران تفسير قوله ونبلوكم
اي نعاملكم معاملة المختبر بما نسوق اليكم من الشرور والخيرات فننظر عند ما يصيبكم اتشكرون وقدم الشر لان الموت من باب الشرور في نظر اهل الظ
وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين اثبت الموت الذي هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله والينا ترجعون ان الجزاء على
الاعمال ثابت في البقاء بعد المعاد وقد استدلت المجسمة بقوله والينا ان الله تعالى جسم ليمكن الرجوع اليه حيث هو والسنة يجيبه بان الرجوع مسبوق
بالكون في المكان للرجوع اليه دار الدنيا واعلم ان مثل هذه الايات سبحي في سورة العنكبوت الاية ولا يصلكم ثم الينا ولم يذكر قوله
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكان هذه الايات الفاصلة في مقام التراخي ثم قال السدي ومقاتل مر النبي صلى الله عليه وسلم بابي جهل
وابي سفيان فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع النبي صلى الله عليه
وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فانزل
الله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزوا وانزل فسر ذلك بقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والذكر اعم من ان يكون بالخير
او بالشر الا انه اذا كان فيهم منه الذم لا الثناء والمعنى انه يبطل معبوديتها وينكر عبادتها ويقبح امرها من غاية جهالتهم وتعكيس
فضيحتهم بقوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون وقدم الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد انهم عاكفون بهممهم على ذكر الهتهم من كونها شفعاء
وشهداء ولو ذكرها ذاكر بخلاف ذلك ساءهم واما ذكر الرحمن الذي منه جلايل النعم ودقايقها واصولها وفروعها فلا يخطر ببالهم ولو ذكره
ذاكر استهزؤا به حتى ان بعضهم يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم احق بان يتخذوا هزوا ويحتمل ان يكون الباء للسببية اي هم كافرون
بسبب ذكرهم الرحمن لانه مما لا ينبغي فيكون الذكر في الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل اليك من القران وكانوا
يستعجلون بعذاب الله كما يجيء من قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك ولهذا مقدمة هي قوله خلق الانسان اي هذا الجنس من
عجل اراد انه مجبول على افراط العجلة كما في قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس انه ادم اراد ان يقوم حين بلغ الروح
صدره وعن مجاهد ان ادم لما دخل الروح راسه وعينيه راى الشمس قاربت الغروب فقال يا رب عجل خلقي قبل ان تغيب الشمس
وعن ابن عباس ايضا انه النضر بن الحرث والاول اظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال الاخفش اي من تعجيل من الامر وهي قوله كن
وقيل هي على القلب اي خلق العجل من الانسان ساريكم اياتي وهي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الاخرة فلا تستعجلون فانها
كاينة لا محالة في وقتها وهي ادلة التوحيد وصدق الرسول وقيل اثار القرون الخالية بالشام واليمن سؤال قوله خلق الانسان
من عجل فيه ان الادمي معذور على الاستعجال لانه ذكر الامر الطبيعي الذي لا بد منه فلم رتب عليه النهي بقوله فلا تستعجلون
واجيب بان فيه تنبيها على ان ترك العجلة حالة شريفة وخصلة عزيزة وقال جار الله هذا كما ركب فينا الشهوة وامرنا ان نغلبها

القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا في الحقيقة واجيب بان الاستعجال على هذا الوجه ادخل في
الذم لانه استعجال عذاب امر هو بهم عند هم لا محالة لو يعلم جواب لو محذوف وحين منصوب به ليعلم والمعنى لو علموا الوقت الذي
يستعجلونه وهو وقت احاطة النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول
اي لو كانوا من اهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون حين منصوبا باضمار اي حين لا يكفون يعلمون انهم كانوا على الباطل
وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار في هذين العضوين اشد ثم الاحاطة التامة بهم مهام ثم بين ان وقت مجيء العذاب
غير معلوم لهم وانما يجيء الساعة مخفي عن المكلفين ليكونوا اقرب الى تلافي الذنوب فقال بل تاتيهم بغتة فتبهتهم قال جار الله
اي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم قلت فايدة بل في هذه المقامات الانتقال من جملة الى اخرى اهم من الاولى ويحتمل ان يكون
لو نظاهر التمني والضمير للنار وقيل للساعة وفي قوله ولا هم ينظرون تذكير بامهالهم في دار الدنيا اي لا يمهلون بعد طول
الامهال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد استهزئ الاية وقد مرت في اول الانعام ولما بين ان الكفار في الاخرة لا يكفون
عن وجوههم النار ذكر انهم في الدنيا ايضا مستغرقون في الحاجة الى الله وكلائه فقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار اذا نمتم والنهار
اذا انقلبتم في وجوه المصالح من الرحمن اي من باسه وعذابه كالقتل والسبي ونحوهما قيل انما خص ذكر الرحمن تلقينا للجواب
حتى يقول العاقل انت الكالي يا الهنا لكل الخلايق برحمتك نظيره ما غرك بربك الكريم ثم اضرب عن الامر بالاستفهام قايلا بل هم عن
ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه كانه امر رسوله بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك
لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم اما قوله ام لهم الهة فذكر في الكشاف انه اضراب عن الكلام السابق بما في ام من معنى بل وقال غيره
الميم زايدة وانه استفهام مستانف والتقدير الهم الهة تمنعهم من العذاب ومعنى من دوننا ان تلك الالهة تجاوز منعنا وحفظنا
ثم استانف فقال لا يستطيعون ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي تلك الالهة ليست تقدر على نصر انفسها فكيف تحفظ
غيرها وتنصره وقوله ولا هم منا يصحبون قال المازني هو من اصحبت الرجل اذا منعته والاكثرون على انه من الصحبة بمعنى النصرة
والمعونة ومنه قولهم صحبك الله ولكن مراده ان من لا يكون قادرا على دفع الافات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة والنصرة كيف
يتوقع منه دفع ضر او جلب نفع ولما ابطل كون الاصنام نافعة اضرب عن ذلك منتقلا الى بيان ان ما هم فيه من الحفظ والكلاءة
والتمتيع بالحيوة العاجلة هو من الله لا من مانع يمنعهم من الاهلاك ولا من ناصر يعينهم على اسباب التمتع سوى الله وفي قوله
حتى طال عليهم العمر اشارة الى انه لما امتدت ايام الروح والطمانينة حسبوا ان ذلك لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا النعم فاستاهلوا
العقاب كما اشار اليه بقوله افلا يرون انا ناتي الارض وفي لفظ الاتيان تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين الذين
هم حزب الله من نقص ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام وتشييد مبانيه وقد مر مثله في اخر سورة الرعد
والاستفهام في قوله افهم الغالبون للتقرير اي نحن الغالبون وهم المغلوبون ثم بين ان هذه الانذارات ليست من قبل
الرسول ولكنه بالوحي ثم مهد عذر الرسول انه لم ينجع فيهم رسالته بان الصم لا يسمعون دعاء المنذر واللام في الصم للعهد
اي ولا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم موضع اسم الاشارة ايذانا بانهم هم الموسومون بالصم عن سماع الحق ويجوز ان تكون اللام في
الصم للجنس لكنه لا يناسب اطلاق الدعاء لان الصم لا يسمعون الدعاء مبشرا ومنذرا ثم ذكر انهم لا يعترفون بالتقصير والظلم
الا عند معاينة العذاب فقال ولين مستهم نفحة في ذلك مبالغة من حيث ان النفح الذي هو بمعنى القلة والنزارة ومنه قولهم
نفحه بعطية اي رضخه ونفحة الدابة وهي رمح يسير دليل على انهم في غاية الضعف يجزعون مما دهاهم من عذاب ربهم
قوله ونضع الموازين القسط اي العدل صفة الموازين وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج
اراد ذوات القسط واللام في ليوم القيمة بمعنى الوقت كما يقال جئته لتاريخ كذا وقيل اراد لاهل الحساب يوم القيمة وقد مر

تحقيق الوزن وما يتعلق به من المباحث في اول سورة الاعراف يروى ان داود عليه السلم سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة وقوله فلا تظلم نفس شيئا بحث بين المعتزلة والاشاعرة وقد مر مرارا وان كان اي الوزن او العمل مثقال حبة من خردل اتينا بها اي احضرناها المثقال باعتبار اضافته الى الحبة قيل الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل واجيب بان الوجه فيه ان تفرض الخردلة كالدنانير ثم يعتبر الحبة من تلك الدنانير والظاهر ان المراد بالحبة من حيث اللغة وهو قوله من خردل بيان لها لان الحبة اعم من ان تكون من الخردل او من الحنطة او من غيرهما ولكن المبالغة في الاول اكثر وذلك ان الخردلة سدس شعيرة وهي نصف سدس ثمن الدينار وعند الحساب ونصف سدس سدس في الشرع والحبة ثمن تسع الدينار في عرف حساب فارس والعراق فمثقال الحبة من خردل يكون ثلث الحبة الاول عن تسع خردلة وعلى هذا فلما يكون هو الخردل بعينه والحاصل ان شيئا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضايع من علم الله وانه مجازى عليه رأى الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبوني فدققوا ثم منوا فاعتقوا وقال في التفسير الكبير نعم الحساب ان من استحق مائة جزء من العقاب بمعاصيه فاتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءا من الثواب فهذا الاقل ينحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان والا لزم ان يسقط الطاعة من غير فائدة قلت بطل قوله لان الله تعالى يصرح بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة قلت للجبائي ان يقول الاتيان بالطاعة مشروط عندي بعدم الاحباط كما ان العقاب على المعصية مشروط عندكم بعدم العفو وكفى بنا حاسبين كقوله وكفى بالله حسيبا ولما فرغ من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتكريرا وقدم قصص موسى لانه اقرب زمانا والموجب بعده الفصحاء على الباد ولان موسى اقوى حالا في المعجزة ولان ذكر التورية يناسب ما تقدم من قوله قل انما انذركم بالوحي ووصف التورية بانها جامعة لكونها فرقانا يفرق بين الحق والباطل وقد مر في سائر تفاسير الفرقان في اول البقرة وضياء كقوله فيه هدى ونور وذكرا للمتقين اي شرفا او موعظة او ذكر ما يحتاج الناس في دينهم ودنياهم وقوله بالغيب اما حال الفاعل اي حال كونه غائبا عن حسهم والله لا يغيب عنه شيء فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال عنهم اي حال كونهم غائبين عن عذاب الاخرة او هو الحال والمعلق عن الناس اي يخشون ربهم في الخلوات ثم عظم شان القرآن بقوله وهذا ذكر مبارك اي كثير البركة انزلناه افانتم له منكرون اي انتم دون سائر الناس مع علمكم بفصاحته واعجازه تختصون بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن داناهم

التأويل

ام اتخذوا الهة من ارض البشرية بحيوة القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره وطاعته لو كان في سماء الروحانية وارض البشرية الهة الا الله كالعقل وكالهوى لفسدتا لكما فسدت سماء الارواح الفلاسفة حين اثبتت عقولهم للواجب صفات لا تليق به وفسدت ارض بشرية الطبايعية حين زلت قدمهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى هوى الطبيعة لا يسال عما يفعل لان افعاله صادرة عن الحكمة والقدرة وهم يسالون لان افعالهم منشأها الظلومية والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما يخالف داعية العقل وهو الطبع الذي يجذب صاحبه الى السفل ولهذا بالاكرام وصف بني ادم بالتكريم في قوله ولقد كرمنا بني ادم فمن التكريم تكريمهم في الاكرام والنسيان انه بني ادم اشكل حالهم اصعب يعلم ما بين ايديهم من حاله وقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود ادم والاستغفار لمن في الارض اولم ير الذين كفروا يعني انهم رادها في عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بالفي عام وفي رواية باربعة الاف سنة كانتا رتقا اي كانت سموات الارواح متعلقة بارض القالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع التعلق وجعلنا من ماء حي العلم كل شيء حي الحيوة الابدية وجعلنا في الارض ارض القالب رواسي هي هموم العلايق البدنية ان تميد بهم فلولا هي لمالت كل نفس الى عالمها وبطل الغرض من التكليف ويمكن ان يكون الرواسي اشارة الى الابدال الذين بهم اوتاد الارض بهم يرزقون ويمطر الناس فجاجا سبلا هم طرق الارشاد

والتسليك وجعلنا سماء القلب سقفا محفوظا من وساوس شياطين الانس والجن وهو الذي خلق ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل في فلك يسبحون فاهل الاسلام في فلك الشريعة واهل الايمان في فلك الطريقة واهل الولاية في فلك الطور الحقيقة كل نفس ذائقة الموت اما النفس الحيوانية فلان من خواصها ان يصير الغذاء من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبه بها لعجز القوة الغاذية ماتت واما النفس الناطقة فلان من خواصها انها تصير من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبه غذاها وهو الكمالات العلمية التي هي فيوض ربانية يحجب الروح بحجبها فيحصل له الفناء عن وجوده والبقاء بشهود ربه ونبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شرا وبالمحبوبات التي تحسبونها خيرا فتنة ونحن على ان الامر بعكس ما تصورتم والينا ترجعون اختيارا او قهرا واذا راك الذين كفروا فيه ان الاعياد لا ينظر الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل بالنسبة الى خلق السموات والارض وما بينهما فانها خلقت في ستة ايام وخمرت طينة ادم اربعين صباحا مع انه المقصود من الكل واستعداد القبول الخلافة وقابلية تجلي الذات والصفات ومظهرية الكنز المخفي واشار الى هذه المعاني بقوله ساريكم اياتي اي في مظاهر الافاق ومرايا انفسكم بالتدريج وبالترتيب في كل طور فلا تستعجلون فانه حد الاستكمال من المبدأ الى المعاد من الازل الى الابد وهذا منظور الطير لا يرونهم ان ملوك الارض لو حرسهم بالليل والنهار من الخصوم والاعداء فمن هم حتى يحفظوهم من بلاء البشرية ونهار الروحانية من سطوات قهر الجلال الذي الرحمانية من صفاته كما ان الرحيمية من صفات الجمال فلو وكلهم الى الطبيعة البشرية بقوا في الجهل ولو وكلهم الى الضلال في نور المعقولات تاهوا في اودية الحيرة وبحر الشبهة المنع من الحجب الظلمانية والجهل البسيط اسرع ازالة من الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال وآباءهم الذين علوهم بتلك المعقولات التي صارت حجبا نورانية لهم حتى اغتروا بظاهر الحال وانكروا المعاد والشريعة ثم بين ان الحق يغلب على الباطل البتة فقال افلا يرون انا نأتي الارض من البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل قد نصب في الازل بحسن قسمنا لكل كالرسل فضلنا وميزان العذاب ينصب في الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فالاول كالبذر والثاني كالثمرة

ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ۝ اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ۝ قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين ۝ قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين ۝
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ۝ قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ۝ وتالله
لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ۝ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون ۝ قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ۝

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قالوا فأتوا به على اعين الناس
لعلهم يشهدون ۝ قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون ۝
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ۝ قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ۝ اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون ۝ قالوا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ۝ ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ۝ ووهبنا له اسحاق
ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ۝ وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وكانوا لنا عابدين ۝
ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين ۝ وادخلناه
في رحمتنا انه من الصالحين ۝ ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له
فنجيناه واهله من الكرب العظيم ۝ ونصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ۝ وداود وسليمن اذ

يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم
شاهدين ۝ ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ۝ وعلمناه صنعة لبوس
لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ۝ ولسليمان
الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل
شيء عالمين ۝ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك
وكنا لهم حافظين ۝ وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين ۝ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه
اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ۝ واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ۝ وادخلناهم في رحمتنا
انهم من الصالحين ۝ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين ۝ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ۝
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت ارحم الراحمين ۝
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا

يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين

القراءات جذاذا بكسر الجيم علي الاخرون بضمها اف بفتح الفاء ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب اف بالكسر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص الباقون بالكسر من غير تنوين لتحصنكم بالنون ابو بكر وحماد ورويس الباقون بالياء الفوقانية والضمير للصنعة او للدرع لانها مؤنثة سماعا ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل وروح وزيد الباقون بالياء التحتانية والضمير لداود عليه السلم او للبوس والكل بتخفيف الصاد الرياح على الجمع يزيد طريق المفضل المفضل وفقه على التوحيد مسني الضر وعبادي الصالحون في آخر السورة مرسلة الياء حمزة الباقون بفتحها ان لن يقدر بالياء مجهولا يعقوب نجي بضم النون الواحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء ابن عامر وعباس وابو بكر وحماد الاخرون بفتحها ونجي من الانجاء

الوقوف عالمين لان اذ ظرف لاتينا او لرشده او للعلم به ومفعول لاذكر محذوف عاكفون عابدين مبين اللاعبين فطرهن لواو الابتداء والحال او للشاهدين مدبرين يرجعون الظالمين ابراهيم يشهدون يا ابراهيم بعد وقفه بعد في التفسير ينطقون الظالمون لا للعطف رؤسهم لاتحاد المقصود مع اتحاد القول ينطقون ولا يضركم لان الاستئناف الدعاء عليهم عند وقالتنا تعقلون فاعلين على ابراهيم لا بناء على الله القدير الاخسرين للعطف والاية للعالمين اسحق بناء على ان المراد وهبنا له يعقوب حال كونه نافلة صالحين الزكوة لاحتمال الاستئناف والحال عابدين وكان ينبغي ان لا يوقف للعطف ولكنهم جوزوا الوقف لتمام القصة وكذلك امثالها الخبائث فاسقين لا بناء على التقدير وقد ادخلناه رحمتنا الصالحين العظيم للعطف مع الابتداء بانا اجمعين غنم القوم لاحتمال الواو بعده الاستئناف والحال شاهدين لا للعطف بالفا سليمان لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتحاد الكلام وعلما لعطف المتفقين مع بعد وله والطير فاعلين من باسكم للاستفهام مع الفاء شاكرون فيها عالمين وادخلناهم على جنسا المقدر في رحمتنا الصالحين جاز لانك قد توقف لاجل وكيد ادخلنا حكم الدالة الظالمين ج على الوجهين فاستجبنا له لا لاتفاق الجملتين وامثال النجاة بالاستجابة من الغم المؤمنين الوارثين فاستجبنا له لاتفاق النصل بين الاستجابة من الغم المؤمنين الوارثين فاستجبنا له لامكان الفصل بين الاستجابة المجاز وحصول الولد الموهوب على المهلة زوجه ورهبا خاشعين للعالمين

التفسير الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا وقد يختص هنا بالنبوة لقوله رشده وفي الاضافة ان لهذا الرشد شانا وكنا به عالمين وفيه انه علم منه اسرارا عجيبة واحوالا بديعة حتى اتخذه خليلا واصطفاه نبيا نظيره الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعلى هذا نعني من قبل اي من قبل موسى وهرون وقال ابن عباس وعلى الاول يحتمل هذا وان يراد من قبل البلوغ حين استدل بالكوكب والشمس والقمر او من قبل ابن عباس في رواية الضحاك حين اخذ الله ميثاق النبيين في صلب ادم قالت الاشاعرة الدنيا اتاه الرشد لخلق ذلك فيه اذ لو حمل على اسباب ذلك تناول الكفار واجاب الكعبي بان هذا انما يقال المحبي قبل لا من بحسن تلقيه الا يعطي الاب كل واحد من ولديه المال فقبله احدهما وثمره ورد الآخر او اخذه ثم ضيعه فيقال اعني فلانا ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع واعترض بان على هذا التقدير يكون جزء من مسمى الرشد وحينئذ لا يصح استناد اتيان الرشد الى الله وحده وهو خلاف نص القرآن والتمثال الاسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى من مثلت الشيء بالشيء شبهته واسم ذلك الممثل تمثال جعل ابراهيم صلوات الله عليه التجاهل والتغابي ابتداء كلامه لينظر فيما اتم به وقد من شبهه فيضلها الهم مع ما في هذا السؤال من تحقير الهتهم

الهتهم وتسفيه احلامهم وفي قوله انتم لها عاكفون دون عاكفون عليها اشارة الى ان عكوفهم ليس على الصواب وحاصل جوابهم انما وجدنا آباءنا لها عابدين لم يكن لهم ان يتمسكوا بشيء آخر سوى التقليد فزيف طريقتهم بالتنبيه على خطائهم وخطأ اسلافهم فقال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين لان كل مذهب لا يستند الى دليل كان صاحبه ضالا وفي تحكيم ذلك بقرآن القوم تعجبوا من تضليلهم مع كثرتهم وتوحده ومنعهم عما الفوه وضروا به فقالوا اجئتنا بالحق اي جاء اليس بهزل ودعابة ام انت من اللاعبين فحسن انه عدل ابراهيم عن مجرد التنبيه الى اثبات الدعوى بالبينة والدليل بجاهدهم ادلا باللسان فقال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن الظاهر ان الضمير للسموات والارض الا انه قيل كونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وقوله وانا على ذلكم من الشاهدين فيه تاكيد وتحقيق لما قاله كقول الرجل اذا بالغ في مدح احد او ذمه اشهد انه كريم او لئيم لان الشهادة جزم قاطع وفيه انه قادر على اثبات ما ادعاه بالحجج والبينات كما سلوا ثم اخبره انه سيجاهدهم وجهادا جهادا بالفعل من غير تقية وخوف فقال وتالله لاكيدن قال جار الله في التاء مع انه عوض من الباء زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهيل الكيد على يده لان ذلك كان امرا صعبا متعذرا ولا سيما في زمن نمرود مع شدة شكيمته وقوة سلطانه قلت لا ريب ان هذا مستبعد عادة ولكنه سهل على اولياء الله ونصره كما قال علي كرم الله وجهه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية سؤال الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك في الاصنام واجيب بانه قال ذلك بناء على زعمهم انه يجوز ذلك عليها او اراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك قد اغمهم واحزنهم قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم وروى الكلبي ان ابراهيم كان من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال لاصحابه اراني اشتكي غدا وذلك قوله في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم لم يتخلف احد غيره فقال اما والله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل واحد وقيل جمع وانتشر الخبر وعلى الوجهين بحقق لفتى يذكرهم يقال له ابراهيم وروي انه كان لهم عيد يخرجون به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه وذلك قوله فجعلهم جذاذا قال الجوهري جذذت الشيء جذا قطعته وكسرته والجذاذ ما كسر منه وضمه افصح قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع الا كبيرا لهم اي في الحقيقة كما روينا وقيل في التعظيم ويحتمل ان يكون تجاسما للاوثان انما الضمير الواحد في قوله لعلهم اليه يرجعون يحتمل عوده الى ابراهيم اي جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء انهم يرجعون الى دينه وايثار السؤال عنه لما تسامعوا من الكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبي والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقول لهم ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم ويجيب وعلى ان ذلك الكبير كان دليلا على عجزه وعدم الهيته لان الاله يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء لانهم كانوا يعظمونها ويتولون ان المتحقر بها الحقه ضرر عظيم فحين كسرها ابراهيم ولم يلحقه من تلك الجهة ضرر بطل ما اعتقدوه فلما انكشف لهم جلية الحال قالوا من فعل هذا الكسر والحطم والاستخفاف بالهتنا انه لمن الظالمين تعديد في جملة من يضع الشيء في غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم قالوا سمعنا احتمل ان يكون القايل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل ان يكون جمعا على الذين روينا بهادلانهم سمعوا انه قوله على وجه الاستهزاء ما هذه التماثيل والفعلان بعد فتى صفتان لانه الاول ضروري ذكره لانه

لا تزل سمعت نبيا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع والثاني ليس كذلك والاصحاب قوله ابرهيم فاعل يقال له لان المراد الاسم لا المسمى وقيل
هو خبر مبتدأ محذوف او منادى وكان الذي يحاسبهم فأتوا به على اعين الناس بالجار والمجرور في محل الحال اي مرئيا منهم ومنظورا معاينا
مشاهدا قال في الكشاف معنى الاستعلاء في على انه يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم
يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله فيكون حجة عليه قاله الحسن وقتادة والسدي وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق معناه
لعلهم يحضرون عقوبتنا له ليكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار اي فأتوا به ثم قالوا أانت فعلت هذا الظلم
والاستخفاف بآلهتنا يا ابرهيم طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فقال بل فعله كبيرهم وقوله هذا صفة كبيرهم الطاعنون في
عصمة الانبياء ان هذا القول من ابرهيم كذب واكدوا قولهم بما جاء في الحديث ان ابرهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات والعلماء في جوابهم
طريقان احدهما تسليم انه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على
مصلحة كتخليص نبي ونحوه وزيف هذا الطريق بانا لو جوزنا ان يكذب النبي لمصلحة بطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء اخبروا عما اخبروا
لمصلحة المكلفين في العاقبة مع انه ليس للخبر عنه وجود في الواقع الطريق الثاني وعليه جمهور المحققين المنع من انه كذب وبيانه
من وجوه الاول انه من المعاريض التي يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما لو قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط في غاية الحسن انت
كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط فقلت بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته
للامي الثاني ان ابرهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظه بكبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له
فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها الثالث ان يكون ذلك حكاية لما يؤول اليه مذهبهم كانه قال ما تنكرون
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على امثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم
هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار الرابع ما يروى عن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا
اي فعله من فعله الخامس عن بعضهم انه يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدئ فيقول هذا فاسئلوهم واراد بالكبير نفسه لان الانسان
اكبر من كل صنم السادس ان في الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فيكون اضافة الفعل
الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع ان يكونوا فاعلين السابع قرأ محمد السميفع فعله كبيرهم بالتشديد
اي فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف واما قول ابرهيم اني سقيم فلعله كان به سقم قليل وسيجيء تمام البحث فيه واما قوله
لسارة انها اختي فالمراد انها اخته في الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم حين نبههم
على قبح طريقتهم فقالوا انكم انتم الظالمون لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة وقال مقاتل معناه فلاموا انفسهم فقالوا انكم
انتم الظالمون لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير وقيل انتم الظالمون لانكم اخذتموه منذ ذلك حتى
اخذ يستهزئ بكم في الجواب نكسته اي قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس وانتكاس الانسان هو ان يكون رأسه من تحت
فلذا قال ثم نكسوا على رؤسهم والمراد انهم استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة واخذوا
في المجادلة قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وفيه انهم رضوا بالبهيمية مع تمام حالهم عن حال الحيوان الناطق فقال ابن جرير
المعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فانه حجة عليهم لا لهم
وقيل المراد انتكاس رؤسهم اطرافهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابرهيم صلوات الرحمن عليه في توبيخهم قائلا افتعبدون الآية وقد
مر في سورة سبحان ان اف صوت يدل على التضجر واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف وذلك انه اضجره
ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم قالوا حرقوه والمشهور ان الذي اشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب
بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد سمعنا ابن عمر يقول انه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وعن ابن جريج عن وهب ان

الذي قال هذا القول خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروي انهم لما اجمعوا على احراقه حبسوه ثم بنوا
بيتا كالحظيرة بكوثى وهي من قرى الانباط وذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير اربعين يوما حتى ان كانت المرأة
لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير في اقصى الهواء لاحترق
ثم اخذوا ابرهيم ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا
نبيك في ارضك ليس احد يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم فاغيثوه
وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح وقال ان شئت طيرت النار
في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس احد يعبدك
غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروي انه قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم اتاه جبرئيل
في الهواء وقال يا ابرهيم هل من حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فارسل الله
ملائكة اخذوا بضبعيه واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم يحرق النار منه الا وثاقه واتاه جبرئيل
بقميص من حرير الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي قال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابرهيم مكث في
النار اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اياما اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الفيوض والانوار الربانية
ولم يكن فيها الا الترقي من لطف خليله والبعد من عدوه وكفى ثم نظر نمرود له مشرفا على ابرهيم فرآه جالسا في روضة ومعه
جليس من الملائكة والحطب يحترق حواليه فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود
اني مقرب الى ربك قربانا فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم صلوات الله عليه اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال
العلماء اختاروا العقاب بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظع ولهذا جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا
انصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مفرطين
في نصرتها قلنا عن السدي ان القائل هو جبرئيل عليه السلام والاكثرون على انه الله سبحانه وذهب ابو مسلم الاصفهاني الى انه لا قول
هناك بل المراد الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن ان يجاب بان الله قادر على ان يخلق لها فهما يصح به التخاطب ولو
سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة للملائكة والظاهر ان قوله يا نار خطاب لتلك النار المخصوصة فان الغرض تعلق ببردها فقط وفي
النار منافع للخلائق فلا يحسن من الحكيم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فيلزم منه حصول البرد في تلك الماهية بتمامها [illegible]
رواية مجاهد عن ابن عباس انه لم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في ان النار كيف بردت في تلك المواضع
فقيل ان الله تعالى نزع عنها ما فيها من الحر والاحراق وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير وقيل خلق في جسد
ابرهيم كيفية مانعة من وصول اذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكما في النعامة لا يضرها ابتلاع الحديد المحمى والسمندل لا
يؤذيه المقام في النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا يمنع من وصول اثر النار اليه والمحققون على القول الاول لان النص دل
ظاهره على ان نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزءا من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهي باردة واما على القولين الاخرين
فيلزم ان لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله وسلاما اي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام
والمعنى ابردي بردا غير ضار وفيما يسند الى ما روي عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها وقوله
على ابرهيم حال من ذا على الكون اي متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكان النار بردا على كل الخلق وقوله فجعلناهم
الاخسرين وفي الصافات فجعلناهم الاسفلين لان في هذه السورة كادهم ابرهيم لقوله لاكيدن اصنامكم فكادوه فكان
والله دابه كيدا فغلبهم ابرهيم لانه كسر اصنامهم ولم يغلبوه فكانوا هم الاخسرين وفي الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في

الجحيم فاججوا نارا وبنوا بنيانا عاليه والقوه فيه ورموا به الاسفل النار سبعة ايام فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من الاسافلين
وفي العقبى في اسفل السافلين وبهذا تم لابرهيم سنيا والقوه فيه ثم اوقدوا عليه النار سبعة ايام ثم اطبقوا عليه ثم فتحوا عنه
فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم هاران ابو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته
فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر واوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية ابي لوط فاحرقته فآمن له لوط كما جاء
في العنكبوت وهاجر الى نحو الشام فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق او
بالمنافع الدينية لان اكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل لان ماء عذب الارض ينبع اصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى انه نزل بفلسطين
ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقيل الارض مكة ووهبنا له اي لابرهيم اسحاق ويعقوب نافلة هي ولد الولد وفي حال
من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلوة النافلة ونوفل للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل ان يكون
حالا من يعقوب فقط اي سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة وفضلا من غير سؤال واحتمل ان يكون حالا منهما كليهما اي
وهبناهما عطية فبالاول لقول مجاهد وعطاء والثاني وهبنا له نافلة العطية قول ابن عباس وابي بن كعب وقتادة
والفراء والزجاج وكلا من ابرهيم واسحاق ويعقوب جعلنا صالحين قال الضحاك اي مرسلين وقال غيره عاملين بطاعة الله وفي
قوله جعلنا صالحين وكذا في قوله وجعلناهم ائمة دلالة الاشاعرة على ان الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرهما من الافعال
اجاب الجبائي بانه اراد تسميتهم بذلك ومدحهم وانه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح
وضعف بانه خلاف الظاهر وقوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى دين الله بامرنا ودلالتنا قال اهل السنة فيه ان الداعي
الى الحق والمنهي الباطل لا يجوز بامر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه انه من صلح لان يقتدى به في الدين والهداية واجبة عليه ليس له
ان يخل بها ويتشاغل عنها وللخلاف فيه ان الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء به اميل
فلذلك قال واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوها لان المراد هو ايحاء ان يجدوا الخيرات من انفسهم ونفس الفعل الخير
لا يمكن ايحاؤه فرد الى فعلا الخيرات عينيا فان المقصود معلوم ثم اضيف المصدر الى المفعول لافادة تعميم اخرى في اللفظ
وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكاة اي واوحينا اليهم ان يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف التاء من اقامة لان المضاف اليه
عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب ان تخصيصهما بين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما وان الاولى اصل
التعظيم لامر الله والثانية اصل الشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين فيه انه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فانعم الله بالنبوة
والدرجات العالية وهم ايضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله ولوطا عن الزجاج انه معطوف على اوحينا
وعن ابي مسلم انه معطوف على قوله ولقد آتينا ابرهيم والحكم الحكمة وقيل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة سدوم والمراد
اهلها وخبائثهم مشهورة قد عددت في الاعراف وفي هود قوم سوء فاسقين رجل صدق وادخلناه في رحمتنا اي
في اهل رحمتنا او في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هي النبوة اي انه لما كان من الصالحين آتيناه النبوة كي
يتم بها وقال اهل التحقيق حين آتاه الحكم والعلم وتخلص من خبائث السوء فتحت عليه ابواب المكاشفات وتجلت له انوار
الذات والصفات وانه هو الرحمة الحقيقية قوله ونوحا كذا نظائره اما معطوف على قوله ولقد آتينا او المراد واذكر نوحا
واذ نادى بدل منه اي اذكر وقت ندائه من قبل هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه بقوله رب اني مغلوب
فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله فاستجبنا له واهله اي اهل دينه من معه في الفلك من
الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان يلقى من تكذيب قومه وايذائهم في لفظ الكرب وهو الغم الذي يأخذ بالنفس ثم وصف
بالعظم اشعار بانه عليه السلام لقي من قومه اذى شديدا لا يكتنه كنهه ثم زاده بيانا بقوله ونصرناه الاية تقول نصرته منه فانتصر اذا

اذا جعلته منتصرا منه اي منتقما وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت ظرف يحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن
السكيت النفش بالتحريك ان تنتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين وعن الحسن تسكون ليلا او نهارا وفي قوله لحكمهم
دلالة على ان اقل الجمع اثنان لاحتمال ان يراد بهما والمتحاكمين اليهما والضمير في ففهمناها للحكومة والفتوى يروى انه
دخل رجلان على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث اي زرع وقيل كرم والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم
هذا دخلت حرثي وما ابقت منه شيئا فقال داود اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة
فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك ابوه فدعاه وقال كيف كنت تقضي
بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته
يوم اكل دفعت الغنم الى صاحبها ويكون الى اهلها ويقبض صاحب الحرث حرثه قال ابو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثاني
بيان للاول والمشهور هو ان الصواب من بعدهما انهما مختلفان لانهما لقوله وكنا لحكمهم ولقوله ففهمناها والفاء للتعقيب وقد دل
على انه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فيهما بالوحي او بالاجتهاد فيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد
على الانبياء اصلا كالجبائي لقوله وما ينطق عن الهوى ان اتبع الا ما يوحى الي ولان النبي قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص
ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف الرسول يوجب الكفر ولما ثبت ان النبي كان
يتوقف في بعض الاحكام انتظار الوحي ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولانه لو جاز ذلك للنبي لجاز ان يجتهد جبرئيل ايضا وحينئذ
يرتفع الامان عن الوحي فلعل هذه الشرائع من اجتهادات جبرئيل واجيب بانه اذا اوحي اليه بجواز الاجتهاد له صح قوله وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبان الحكم الحاصل من الاجتهاد مقطوع به لا مظنون لانه تعالى اذا قال له مهما غلب
على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به والظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه
مشروط بصدوره من غير المعصوم ولهذا لو اجمعت الامة على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم كحال الرسول ولو كان بان الوحي
لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وبان الامة اجتمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرئيل ومما يدل على جواز الاجتهاد
انه اذا غلب على ظن المجتهد احد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان اهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان
عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائي ولئن سلمنا ان الاجتهاد على
الانبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي الفه صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلته
ذلك وايضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله توبته بقوله
وكلا آتينا حكما وعلما وايضا لو حكم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وايضا قوله ففهمناها يدل على انه من الله لا من سليمان واجيب
بان الجهالة بعد تسليمها قد يكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطأ في اجتهاده كان من الصغائر فلهذا اهمل ذكره
والاجتهاد من باب العلوم والظن في الطريق كما مر والذي يحصل في نظر المجتهد مستند الى الله اما الذين منعوا من
الاجتهاد مطلقا او في هذه المسئلة فذهبوا الى ان حكومة داود فسخت بحكم سليمان ولا استبعاد في ان يوحى الناسخ
الى غير من اوحي اليه المنسوخ قال الفقهاء امثال حكومة داود في شرعنا قول ابي حنيفة في العبد اذا جنى على النفس خطأ
يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان
في الحرث ومثال حكومة سليمان قول الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما
فوته الغاصب من منافع فاذا ظهر العبد ترادا ويقال لضمان الحيلولة هذا لو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان
عند ابي حنيفة واصحابه لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا ان يكون معها راع والشافعي يوجب الضمان بالليل

دون النهار لان الليل وقت الهدو وجمع الماشية فتسرح بحيالها بعض من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب انه كانت له ناقة ضارية فدخلت
حائطا فافسدت فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى ان تحفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت
ماشيتهم بالليل قال بعض الاصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا اتينا حكما وعلما وقال بعضهم المصيب واحد لقوله ففهمناها سليمان
ولو كان كل منهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين بعد تسليمهما بان ما ثبت في شرعهم لا يلزم
ان يكون ثابتا في شرعنا ولما مدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك ذكر ما اختص بكل منهما فبدأ بداود فقال وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن اي حال كونهن مسبحات او هو استئناف كانه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن والطير وهو معطوف على الجبال ومعنى تسبيح
الجبال انها تسبح معه اجابة او على الاسناد المجازي وقال مقاتل كان اذا سبح داود سبحت الجبال والطير معه وقال الكلبي اذا سبح داود اجابته الجبال
وقال سليمان بن حيان كان داود عليه السلام اذا وجد فترة امر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني قيل كانت
الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كانه يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير من
اصحاب المعاني والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحياة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذي يفعل الكلام لا الذي يكون محلا للكلام
ولهذا قيل ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لان ذلك ادل على القدرة وادخل في الاعجاز
فان الطير حيوان بل الحيوان الناطق في الجماد ولا يلزم من نطق الطير والجبال ان يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالاطفال والمجانين
وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل امثال هذه الخوارق على ايدي الانبياء ولاجلهم وان كانت عجيبة عندكم اللبوس اللباس
قال الشاعر البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع عن قتادة انها كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين
وتوارث الناس منه فعمت النعمة بها كل المحاربين فلذلك قال فهل انتم شاكرون قال علماء المعاني هذا التركيب ادخل في
الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل انتم شاكرون وهذا اذا اختار فيه ان يقدر مفعول محذوف اي هل انتم تشكرون من قولنا افانتم
شاكرون لانه ينبئ عن عدم التجدد لمكان الجملة الاسمية الا انه دون المذكور في القرآن فان هل ادعى للفعل من الهمزة
فتركه الفعل معه يكون ادخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود
مانع قوي منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما انعم به على سليمان فقال ولسليمان اي سخرنا له الريح حال كونها عاصفة و
يا في هذا قولان من فسرها الريح تجري بامره رخاء اذ المراد انها مع كونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم كانت في عملها كالعاصفة
تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام والثاني انها كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حسب ارادته وامره وفي قوله
وكنا بكل شيء عالمين اشارة انه فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة بالغة وقد بين حكمه واحاطة بما جرى لهم وعلم
باسبابها المتعلقة بهم ومن الشياطين اي سخرنا من الشياطين من يغوصون له ويجوز ان يكون الكلام خبرا ومبتدا ومن
موصولة او موصوفة كانوا يغوصون لاجله في البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك كما ذكر منه
بناء المدائن والقصور وسائر الصنائع العجيبة قالت العلماء الظاهر ان التسخير للكفار منهم دون المؤمنين منهم لاطلاق
الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد في الجملة اذ كان من دوابهم
ان يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة او بمؤمني الجن الموكلين بهم او بان حبب اليهم طاعته وخوفهم مخالفته
قال ابن عباس في تفسيره يريد ان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائي كيف يتهيأ منهم هذه الاعمال واجسامهم
رقيقة وانما يمكنهم الوسوسة فقط ولعل الله تعالى كثف اجسامهم خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد في عظمهم معجزة
لسليمان فلما مات سليمان ردهم الى الخلقة الاولى لانه لو ابقاهم على الخلقة الثانية لكان تشبيها على الناس فلعل بعض الناس يدعي النبوة
ويجعله دلالة واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى بانكم لم قلتم ان للجن اجساما فلعلهم من الحجاب

الموجودات التي ليست بمتحيزة ولا حالة في المتحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا
يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية سلمنا ان للجن اجساما لكن لم قلتم ان البنية شرط للقدرة وليس في
يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا انه لا بد من تكثيف اجسامهم فلم يلزم ردها الى الخلقة الاولى قوله يفضي الى التلبيس
قلنا اذا ثبت انه كان معجزة نبي قبله لم يمكن للمتنبي من الاستدلال به ومن عجيب قدرة الله سبحانه ان اصلب الاجسام في هذا
العالم الحجارة والحديد وقد سخرها الله تعالى لداود فانطق الحجر ولين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على انه تعالى قادر
على احياء العظام الرميم ومن الغرائب ان الشياطين مخلوقة من النار وكان يأمرهم بالغوص في الماء وفيه اظهار الضد من الضد فتبارك
الله رب العالمين ومن عجائب القصص والاخبار حكاية ايوب عليه السلام وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه انه
كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت امه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر
اهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد
ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين حجب الله من الجنة حين رفع عيسى عليه السلام فحجب عن اربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله
عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة في شان ايوب فادركه الحسد فقال يا
رب انك انعمت على عبدك ايوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وانا زعيم انه ان ضربته بالبلاء ليكفرن بك فقال
الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب فقال
عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شيء فقال ابليس فأت الابل ورعاءها فذهب ولم يشعر
الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار لا يدنو منه شيء الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاءها حتى اتى على اخرها فذهب ابليس على شكل اولئك
الرعاء الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب هل تدري ما الذي صنع ربك واخبره بما لك الابل ورعاتها
فقال ايوب انها ماله اعارنيه وهو اولى بها اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم
من يقول لو كان الهه يقدر على شيء لمنع من وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به اعداءه ويفجع به اصدقاءه
فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن امي عريانا واحشر في التراب عريانا واحشر الى الله عريانا وليس
علم الله تعالى فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجرك الله فرجع ابليس
الى اصحابه خاسئا فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه فقال
ابليس فأت الغنم ورعاءها فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاؤها فخرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاء الى ايوب فقال
له القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال ما عندكم فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا
عاصفة اقلع كل شيء اتيت عليه قال فأت الحرث والثيران فاهلكها فرجع ابليس الى ايوب وقال مثل قوله ورد عليه ايوب مثل رده الاول
فجعل ابليس يصيب ماله شيئا فشيئا حتى اتى على جميعه وايوب لا يزيد الا حمدا وشكرا فقال ابليس يا الهي هل انت مسلطي
على ولده فانا الفتنة الكاملة فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانطلق حتى اتى ولد ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده
جاء الى ايوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه ودماغه فقال لو رايت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على
رؤسهم يسيل دماغهم من انوفهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى واخذ قبضة من التراب
فوضعها على رأسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لم يلبث ايوب ان استغفر واسترجع فصعد ابليس فقال
رب ان ايوب خطب المال والولد لا يزيد الا شكرا فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده ولا اجعل لك سلطانا على عقله وقلبه ولسانه فانه
جسده لكن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فانه

فنخ في منخره حين هو ساجد فاشتعل ما بين جسده وخرج من قرنه الى قدمه ثاليل وقد وقعت فيه حكة لا يملكها فكان
يحك باظفاره حتى تشظت اظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه
وتغير ونتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم
بن يوسف عليه السلم وكانت تصلح اموره [illegible] الحكايات قال ان ايوب عليه السلم اقبل على الله تعالى مستغيثا
متضرعا اليه فقال يا رب لاي شيء خلقتني يا ليتني كنت حيضة القتني امي يا ليتني كنت عرفت الذنب الذي اذنبته والعمل الذي
عملت حتى صرفت وجهك الكريم عني الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد
ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وسلطت علي سلطنة على حبل الضعيف
من حمل الهي تقطعت اصابعي وسقطت لهواتي وتناثر شعري وذهب المال وصرت اسال اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني
بفقري وهلاك اولادي قال الامام ابو القسم الانصاري في مجد هذا الكلام شكوى تعريض حتى لم يخلفني ثم قال ولو كان
ذلك صحيحا لاعتمه ابليس فان قصده يحمله على الشكوى وان يخرجه من زمرة الصابرين قلنا نعم عن ابليس لحصل مراد الشكوى
وانما كان عرضه انه ليس ذا ايوب ولهذا قال سفين بن عيينة من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه
راضيا بقضاء الله تعالى اذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء الم تسمع قول يعقوب عليه السلم انما اشكو بثي وحزني الى الله وما
حكاه الله سبحانه من شكوى ايوب في قوله مسني الضر والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
قال جار الله الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يجب ان يتصف الرحمة عنده ولم يصرح بالمطلوب
وحسن الطلب باب من ابواب الادب يحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على
العصي فقال لها الطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا وفي قوله وانت ارحم الراحمين رمز الى
انه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب شيئا ولا يجلب مدحا وكل رحيم سواه فانما
يرحم من الاغراض او لرقة طبع ومع ذلك على ان تلك الرحمة ايضا تنشأ من دواعيه يخلقها الله فيه والآفات والآلام التي
يراها في هذا العالم مستندة الى صنعه فهو الذي لا بد لكل ممكن منه ومستتبعة للمصالح وغايات لا يعلمها الا هو او من اطلعه عليه
والوجه لا سيما ان اجزائه اكثر من الشرور واختلف العلماء في السبب الذي لاجله دعا الله ايوب فنقل انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان ايوب بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان
اليه ويروحان فدخلا عليه ذات يوم فوجدا ريحا فقالا لو كان لايوب عند الله خير لما بلغ الى هذا الحال قال فما شق على
ايوب شيء مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق
وهما يسمعان ثم خر ايوب ساجدا فقال اللهم اني لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي فكشف الله ما به وقال الحسن مكث ايوب
عليه السلم بعد ما القي على الكناسة سبع سنين واشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تاتيه
بالطعام وكان ايوب مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده
من اقطار الارض وقالوا ما خبرك قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده واني
لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له اين مكرك اين علمك الذي اهلكت به من مضى من لدن ادم حين اخرجته
من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشانك بايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها فأتى
اصنم فانطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو هذا يحك قروحه ويتردد
الدواب في جسده فطمع ابليس ان جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكرها ما كانت بها من النعم والمال وذكرها جمال

ايوب وشبابه وقال الحسن فصرخت فلما صرخ علم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه باسم ايوب ويبرأ قال
فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال واين الماشية واين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك
الذي قد بلي وقد صار مثل الرماد وتتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك
ويلك من اعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله
بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك
مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك الذي تاتيني به وطردها فلما نظر
ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فقال ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في
ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا
وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن مما كان ثم ذكر ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه
بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته
قالت هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة
فجعلت تطوف وتبكي فدعاها ايوب وقال ما تريدين يا امة الله فقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال
لها هل اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على احد يراه فتبسم فقال انا هو فعرفته بضحكته فاعتنقته ثم قال انك امرتني ان اذبح لابليس
واني اطعت الله وعصيت الشيطان فدعا الله فاسترك ذلك الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي في البلاء سبع سنين وسبعة
اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات فلما غلب ايوب ذهب ابليس الى امرأته على هيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس
كمراكب الناس وقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض انا صنعت بايوب ما صنعت وذلك
انه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي
قال وهب وسمعت انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفي مما فيه من البلاء وايضا قال لها لو شئت فاسجدي
لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته فقال لها اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك
ثم اقسم لئن عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجودي وسجود زوجتي له الرواية
الرابعة قال اسماعيل السدي ان ابليس قتل القوم في صورة بشر وقال لئن تركتم ايوب في قريتكم اعدى اليكم ما
من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال ان امرأته تدخل عليكم وتعمل وتمس زوجها اما تخافون ان تعدي اليكم علته فجعلوا
لا يستعملها احد فخرجت وكان لها ثلث ذوائب فعمدت الى احديها وقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما فقال ايوب
من اين هذا فقالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيئا فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه
حلال فقال لا اكل او تخبريني فاخبرته فبلغ من ايوب ما الله به عليم فقال رب اني مسني الضر الرواية الخامسة قيل سقطت
دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر
فاوحى الله تعالى اليه لولا اني جعلت في كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم ان مس الضر هنا مطلق الالم وورد في صاد معتمدا
ذلك قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فصح ان يكون سندا لهذه الروايات الا ان الجبائي طعن فيها بان الشيطان
كيف يقدر على احداث الامراض والشفاء والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وايضا ان هذه
التاثيرات تنافي قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فالجواب انه كان باذن من الله كما حكينا

كل محذور والثاني قال ابن البعيد انه لم يسأل الله الا بعد امور مخصوصة والجواب ان الامور من هو نبي ان قال انبياء
امرا الى الانبياء الوحد الشقيو من النبوة غير جايز والجواب المنع ولا سيما بشرط العافية في العافية قوله سبحانه فكشفنا ما به من
ضر مجمل بمعنى اعاد منزله ما كان في بدنه وماله وقوله واتيناه اهله ومثلهم معهم يفصل لذلك المجمل وفيه قولان **الاول** قال
ابن عباس وابن مسعود وقتاده ومقاتل والكلبي ان الله تعالى احيى له اهله يعني اولاده باعيانهم **الثاني** قال الليث ارسل
مجاهد الى عكرمة وسأل عن الاية فقال قيل له ان اهلك لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقد روي ان زوجته ولدت بعد
ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة في ذلك الابتلاء ثم الاستجابة بقوله رحمة من عندنا لايوب وذكرى لغيره من العابدين لكي
يتفكروا فيصبروا كما صبر حتى يثابوا في الدين كما اثيب واما تخصيص الرحمة والذكرى بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لان الذين
يعبدون الهوى والشيطان فلا اهل للبرهان واما قال في هذه السورة رحمة من عندنا وقال في ص رحمة منا لانه بالغ هاهنا
في الدعاء بزيادة قوله وانت ارحم الراحمين فبالغ في الاستجابة لان لفظ عندنا يدل على مزيد التخصيص وانه سبحانه تعالى تولى ذلك
من غير واسطة وحين ذكر ايوب وانقطاعه الى الله ذكره عقيب من الانبياء المشهورين بالصبر منهم اسماعيل عليه السلام صبر على الانقياد
للذبح وعلى المقام في بلد لا زرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت ورفع قواعده فلا جرم اخرج الله بركته ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم
ادريس فتقدم ذكره في سورة مريم قال ابن عمر بعثه الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس
الى السماء ومنهم ذو الكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته ايضا وفي هذا القول نظر لان قصة زكريا ويحيى تعقيب ذكره فلم
الكفل وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون
محمد واحمد وقيل يوشع بن نون سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله جدا وحبيبا او لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم
قال ابو موسى الاشعري ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا اقرب لانه معطوف
عليهم معدود بينهم روي عن ابن عباس ان اليسع اخو نبيا الحرب في بني اسرائيل فرغب وفاته فاراد ان يستخلف رجلا على الناس فقال
من يتكفل مني بثلاث على ان يصلي بالليل ويصوم بالنهار ويقضي بين الناس فلا يغضب فقام رجل وقال انا انا تكفل لك بهذه الثلاثة
فدفع اليه ملكه ووفى بما ضمن فحسده ابليس فاتاه وقت القيلولة فقال ان لي خصما قد ظلمني وقد دعوته اليك فابى فارسل معي
ياتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى الليل الى الصباح ثم اتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله
عن القيلولة وهكذا في اليوم الثالث وقيل انه في الثالث قال للبواب قد غلب علي النعاس فجاء ابليس فلم ياذن له البواب فدخل من
كوة البيت ودق الباب من داخل واستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم تؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق
وابليس على صورة شيخ في البيت فقال له اتنام والخصوم على الباب ثم عرفه فقال ابليس قال نعم اعييتني في كل شيء ففعلت هذه الافعال
لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة والاخلاق وان ذا النون هو يونس لان النون هو السمكة والاسم
اذا دار بين ان يكون لقبا محضا وبين ان يكون مفيدا فحمله على المفيد اولى واختلفوا في ان وقوعه في بطن الحوت كان قبل
اشتغاله باداء الرسالة او بعده **اما القول الاول** فعن ابن عباس ان يونس وقومه كانوا من اهل فلسطين فغزاهم ملك
وسبى تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي عليه السلام ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى
يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك الذين سلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء
فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال له يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهاهنا انبياء غيري
فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فاضطربت السفينة حتى كادوا
ان يغرقوا فقال الملاحون هاهنا رجل عاص او عبد ابق لان السفينة لا يفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا اذا ابتلينا

بمثل هذا البلاء ان يقترع فمن خرجت له القرعة القيناه في البحر حتى تسلم السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على
يونس فقال انا الرجل العاصي والعبد الابق والقى نفسه في البحر فسلمت السفينة فابتلعه حوت فاوحى الله تعالى الى الحوت
لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما ثم نجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف
ليس عليه شعر ولا جلد وانبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس
فقال له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه يونس نحوهم حتى دخل
ارضهم ثم سار حتى جاءهم فقال لهم ان الله ارسلني اليكم لترسلوا معي بني اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق
لفعلنا ولقد اتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى
الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه
فلم يقدروا عليه فقال علماؤهم اطلبوه فان كان في المدينة فليس مما ذكر بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه
فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما
طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت المواشي
فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس فامنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل **القول الثاني** وعليه اكثر المفسرين ان قصة الحوت
كانت بعد دعائه اهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر في سورة يونس واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه
القصة من وجوه **الاول** انه ذهب مغاضبا لربه هكذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير
ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم ان مغاضبة الله من اعظم الذنوب ولئن سلم انه كان مغاضبا لغير الله
فذلك ايضا محظور لانه كان عليه ان يصبر عليهم **الثاني** قوله وظن ان لن نقدر عليه وهو شك في قدرة الله **الثالث**
اعترافه بانه من الظالمين والظلم من صفات الذم **الرابع** ان الله تعالى قال في موضع اخر فالتقمه الحوت وهو مليم
والمليم ذو الملامة **الخامس** قوله للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال في موضع اخر فاصبر كما صبر اولوا
العزم والجواب انه عليه السلام غضب لاجل ربه وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وغاضب قومه [illegible]
عليهم عندها مغاضبة [illegible] الباب ان ترك الاولى وهو الصبر [illegible] باذن الله
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عندي ايضا في معنى قوله تعالى
[illegible]
اعلم انه قوله فنادى في الظلمات [illegible]
[illegible] ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت [illegible]

وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان ما فوقه من البحر ظلمة ومعنى ان لا اله الا انت او بانه لا اله الا انت سبحانك تنزيه
اليه عن كل النقائص ومنها الظن المذكور على اي وجه فرض ومنها العجز عن تخليصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة اني كنت
من الظالمين بالفرار من غير اذن وانا الآن من التائبين وفيه من حسن الطلب ما فيه فلذلك قال فاستجبنا له ثم بين الاستجابة
بقوله ونجيناه من الغم اي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما انجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا كذلك
ننجي المؤمنين من كل كرب اذا استغاثوا بنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن
ملجأه وما له الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقي من الآية بحث لفظي وهو ان بعض اهل العربية غلطوا عاصما في قراءته نجي بالتشديد
والنون لانه نفى الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو ان يكون نجي فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه ارسل الياء واسند الفعل
الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر اي نجي النجاء المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا على اسناد المصدر وانشد ابن
قتيبة حجة لهذه القراءة ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا وقال ابو علي الفارسي وغيره من الائمة النحويين ان مثل
هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر ولما الوجه الصحيح في توجيه مقامه انه لما ذكر ذلك على الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما
ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه عند فيمن يرثه ويعينه في امر دينه ودنياه وانه انتهى الحال به بان وجدته في الكبر الى حد
اليأس من ذلك عادة وفي قوله وانت خير الوارثين وجهان **احدهما** انه ثناء على الله بانه الكامل الغني الباقي فيكون نحو كذا
لما فوض اليه من امر الولد **الثاني** انه ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها انها
الاصلاح جعلت صالحة للولادة بعد عقرها ومنها انها جعلت حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق ولا اشكال ان حسن خلق الزوج نعمة
عظيمة ومنها ان اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد والجواب ان الواو لا يفيد الترتيب او اراد بالهبة ارادة الهبة اما الضمير
في قوله انهم كانوا يسارعون فقد قيل انه عائد الى زكريا وولده واهله وقال جار الله للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد انهم
ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمسارعتهم في تحصيل الخيرات وهذا من اجل ما يمدح المؤمن به لانه يدل على الجد والرغبة في الطاعة
ويدعوننا رغبا في ثوابنا ورهبا من عقابنا او رغبا ورهبا خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد
الخشوع الخوف الدائم في القلب وفي تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى انهم لا يخشون احدا الا الله وروى الاعمش عن ابراهيم
النخعي انه اذا ارخى ستره واغلق بابه رآه الله منه شيئا ليس هو الذي يأكل خشنا اي غليظا ويلبس خشنا ويطأطئ
رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هي سيدة نساء العالمين فمدحها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال
والحرام جميعا لانها منعت جيب درعها قيل انه من فتنة والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى في بطنها اي فنفخنا الروح
في عيسى فيها كقول الزمر نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته او المراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو
جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد في سورة التحريم فلذلك قال فنفخنا فيه لانه فرج
الجيب او غيره وانما قال وجعلناها وابنها آية للعالمين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير اب

التأويل الاسالك [illegible] من قصص الانبياء قد سلكنا اكثرها فلنذكر ما يختص بالمقام منها قوله بل فعله
كبيرهم اي الاسم الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها ان تنحتها فان صدر من احدهم كسرها فانما
ذلك بتوفيق الله وتأييده فتقول هذا بدل الكل من الضمير في فعله فالواحد في اذا اراد الله ان يهلك عبدا من عباده المخلصين
فداه خلقا عظيما كما لو اراد ان يكمل الحوت في البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فاذا اراد تخليص ابراهيم الخليل من نمرود
جعل نمرود وقومه فداء له حتى اجتمعوا لطلب تعذيبه ليعلم ان تلك النار لم تؤذه وذلك العذاب له روح وريحان لان نار العشق
قد احرقت اساسه حتى لم يبق غير الله بل لم يبق الا هو فلم يكن للنار ان تتصرف فيه فنعق بحر قوله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم

ابراهيم قيل لاهل النعي الجاحد [illegible] فعلت بهم حرقوه في [illegible] ونجينا ابراهيم الروح ولوط القلب من ارض البشرية الى
الروحانية المتبركة [illegible] العقل وافسدت الحرث بالافراط والاسراف المشرقة بتجلي الذات والصفات ونجيناه من قريته
القالب التي كانت تعمل الخبائث بالاوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمان القلب اذ يحكمان في حرث الدنيا
القوى اي الصفات البشرية [illegible] العقل وافسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بالجذب الى
الله بالكلية ان يمنع بالاوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمان القلب لكونه متقلبا في طوري الروح والجسد ان يحكم
بمنع الاوصاف عن التصرف فيما لا يصح الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي هو المعتبر
في باب الكمال والاكمل الجمع بين المصلحتين ورعاية الجانبين وسخرنا مع داود الروح الجبال وهي الاعضاء والجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن
بتسبيحه والطير وهي القوى الحيوانية السائرة بالطيران بين فضاء القلب والقالب وهذا في الباطن حين كان يذكره كالحصاة يسبحن في
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة انه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم انا استعملنا القمر داود الروح
لتعمية الآيات القلبية التي هي في القساوة بمنزلة الحديد تتولد من ذلك القلب اوصاف حميدة تحصن الانسان من باس الاعداء التي هي
النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمان القلب ريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني يسير بها الى مقام [illegible] فيه
ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون في بحر الجسد فيستخرجون درر الفضائل الانسية ويعملون عملا دون ذلك
من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من ان يزيغوا عن سواء السبيل ويميلوا عن جادة الشريعة وقانون الطريقة
قال اهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما سخر لسليمان الريح وسخر
والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلواته وسخر لداود الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت
وسخر لنبينا صلى الله عليه وسلم جميع السفليات والعلويات حتى قال زويت لي الارض وقال اوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء
ينبع من بين اصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت الاحجار تسلم عليه وتحدثه وتنقلع بالاشارة من مكانها وترجع الحيوانات تكلمه
معه وتشهد بنبوته وقال اسلم شيطاني على يدي واما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبريل وعبر السموات
والجنة والنار والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين او ادنى وايوب القلب المبتلى بديدان الهواجس والوساوس الذي فارقه اوصافه الحميدة
واخلاقه الشريفة لتلوثه بالعلايق البدنية وعوائق الاحوال الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بان قلنا اركض برجلك [illegible]
في السلوك لينبع ماء حياة العلم والعمل فتغسل من تعلقات الكونين الموجبة للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالم الغيب مغاضبا
لبعده من الحضرات والقي في بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى في ظلمات حجب النفس
والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب واصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا في الفناء فينا ورهبا من البقاء بلا
نفيهم وكانوا لنا خاشعين اما القلب فبالتعلم الشريعة واما النفس فبتهذيب الاخلاق واما القلب فبالاطمئنان بذكر الله واما السر
فباجتهاده في كشف الاسرار واما الروح فببذل الوجود في طلب المعبود واما الخفي فبفنائه بالله وبقائه بالله ومريم
النفس احصنت فرجها عن تصرفات الكونين فاحييناها بالحياة الابدية السرمدية

إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝ وَتَقَطَّعُوا

أمرهم بينهم كل إلينا راجعون ۝ فمن يعمل من الصالحات وهو

مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون ۝ وحرام على قرية أهلكناها

انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون

واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد

كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون

الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل

فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت

انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم الملائكة هذا

يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي

السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا

كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان

الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم

عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي

انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل

اذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر

من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى

الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

القراءة وحرم بكسر الحاء وسكون الراء حمزة وعلي وعاصم غير حفص وابي زيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاي يزيد نطوي بضم التاء الفوقانية وفتح الواو السماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص بلاغا مثل انشانا قال رب بالالف على الحكاية قرأ الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخزاز رب بضم الباء يزيد نسي بالياء على انه مبتدأ احكم على صيغة التفضيل زيد عن يعقوب الباقون رب احكم يصفون على الغيبة المفضل وابن ذكوان في رواية

الوقوف واحدة ز لان المقصود من قوله وانا ربكم فاعبدون مكان الكلام متصلا فاعبدون بينهم ط راجعون لسعيه ج لاختلاف الجملتين كاتبون لا يرجعون ينسلون كفروا ط لانتهاء القول ظالمين جهنم ط واردون ماوردوها ط خالدون فيها لا يسمعون الحسنى لا لان ما بعده خبر ان مبعدون لا لان ما بعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو للحال والاستئناف خالدون ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون صفة واستئنافا الملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون للكتب لان الجار يتعلق بما بعده نعيده ط لحق المضمر اي وعدنا وعدا علينا ط فاعلين الصالحون عابدين ط لاختلاف الجملتين للعالمين واحد الاستفهام مع الفاء مسلمون على سواء ط لابتداء النفي توعدون تكتمون حين بالحق ط لان ما بعده مبتدأ خارج عن المقول ومن قرأ رب احكم فوقفه يجوز لنوع عدول من الواحد الى الجمع يصفون نصف الجزء

التفسير لما فرغ من قصص الانبياء اراد ان يلوكم ما استقر عليه امر الشرائع في آخر الزمان فقال ان هذه امتكم فالامة الدين والطريقة لانه اصل وقانون يرجع اليه والتركيب دلالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة الاسلام اي ان هذه الملة هي طريقتكم ودينكم التي يجب ان تكونوا عليها سالكين بها طريقة واحدة غير مختلفة وانا ربكم لا غيري فاعبدون والخطاب للناس كافة وكان الظاهر ان يقال بعده وتقطعتم امركم بينكم اي جعلتم امر دينكم بينكم قطعا كما يتقسم الشيء بين الجماعة فيطير لهذا نصيب ولهذا نصيب فرقا مختلفة واحزابا شتى الا انه عدل من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى اليهم على غيرهم فيقبح الامر وتعظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ويخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة هذا الحديث يعني للائمة من حيث ان هذه الامة يجب ان يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث انه ان اراد الاثنين والسبعين فرقة اصول الاديان فانها لا تبلغ هذا العدد وان اراد الفروع فانها اضعاف هذا العدد واجيب بان المراد ستفترق امتي هذا العدد في حال ما وهذا لا ينافي كون العدد في بعض الاحوال تتجاوز الى زيد قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفي المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب هنا اعم والعبادة اعم من التقوى وايضا الخطاب يتناول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي والمؤمنين بدليل قوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا اي ظهر منهم اي من امتهم التقطع بعد هذا القول ولان التقطع منهم اغرب اكد هناك بقوله ثم اوعد في قوله كل الينا راجعون وعيدا عظيما للفرق المختلفة ثم فصل بذكر حالهم بقوله فمن يعمل الآية والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه في قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا نكفر سعيه لان نفي الجنس ابلغ فان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها وفي قوله وانا له اي لذلك السعي كاتبون مبالغة اخرى فان المثبت في الصحيفة ابعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون لنجازي عليه وقيل مثبتون في ام الكتاب وفي صحف الاعمال هذا حال السعداء واما احوال اضدادهم فذلك قوله وحرام ومن قرأ وحرم فانه فعل

بمعنى معقود والتركيب يدور على المنع اى ممتنع او ممنوع وهذا خبر لابد له من مبتدأ وذلك قوله انهم لا يرجعون او نحو ذلك والرجوع اما
الرجوع عن الشرك الى الاسلام او الرجوع الى الدنيا او الى الآخرة وعلى الاول فاما ان يكون لا زائدة افحمت للتأكيد ومعنى الآية ممتنع على اهل قرية
عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ان يرجعوا ويتوبوا الى ان تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما ان تكون مفيدة ولكن الحرام
بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الآخر لاشتراكهما في المنع لان الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد في
الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء
وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو وعلى الثاني فالاهلاك على اصله والمعنى ان رجوعهم الى الدنيا ممتنع او عدم رجوعهم
واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله غاية لقوله لا يرجعون اى ممتنع
عدم رجوع المهلكين بالعذاب الى الآخرة حتى الساعة وذلك ان رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب لقوله النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقال ابو مسلم المراد ان رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية اى انهم يكونون اسوأ الناس حصولا في محفل القيمة وعلى الرابع
فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو الذى ذكره من السعى المشكور غير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى ان تقوم الساعة قوله حتى اذا فتحت هي
حتى يقع بعدها الجملة وهي ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا المفاجاة تسد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد
وانما احتيج الى هذا التأكيد لان الشرط يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيمة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا ان
التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف اى سد يأجوج ومأجوج وانث الفعل لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر في
آخر الكهف يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وفي الحديث ان منكم واحدا ومن يأجوج ومأجوج الفا وقوله وهم من كل
حدب قال اكثر المفسرين الضمير ليأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد انه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر
والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع واقترب عطف على فتحت وهو داخل في الشرط والوعد الحق القيمة وقوله فاذا هي شاخصة
كقوله في سورة ابرهيم ليوم تشخص فيه الابصار قال في الكشاف هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت فعلى هذا هي مبتدأ
وشاخصة خبره والابصار بدل من هي او قيل هي ضمير القصة مبتدأ والجملة التي هي ابصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول
سيبويه ثم ههنا اضمار اى يقولون يا ويلنا وهو في موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة قد كنا في غفلة من هذا
الوعد والامر بل كنا ظالمين انفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيمة فقال
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى محصوبها اعنى محصوب فيها والحصب الرمي ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشئ وقرئ
حطب واللام في قوله انتم لها واردون كاللام في قولك هو لزيد ضارب وذلك لضعف عمل اسم الفاعل فيما تقدم عليه والمعنى
لا بد لكم ان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم الزمهم الحجة بقوله لو كان هؤلاء آلهة المعبودون آلهة في الحقيقة ما
وردوها لكنهم واردوها بالخبر الصادق الذى تبينه لصدقه من يتأمل في اعجازه فينتج انهم ليسوا بآلهة
وانها لا تستحق تعظيما اصلا ثم اخبر انهم بعد ورودهم النار لا يخلصون منها ابدا فقال وكل اى من العابدين والمعبودين
فيها خالدون لهم فيها زفير وقد سبق معانيه في آخر سورة هود وهم فيها لا يسمعون شيئا اما لانهم يجعلون في توابيت من
نار عن ابن مسعود واما لان الله تعالى يصمهم كما يعميهم والصمم في بعض الاوقات لا ينافي كونهم سامعين في اهل الجنة في غير ذلك
الوقت والمراد انهم لا يسمعون ما يسرهم او الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هذا فالضمير في لهم فيها زفير للعابدين
وجاز اعتمادا على السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يليق بهما كانه قيل العابدون يدعون والمعبود لا يجيب ويجوز ان
يكون للمعبودين ايضا لان منهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين فغلبوا ولان الجماد يحييه الله وقتئذ او الزفير بمعنى اللهيب
والله اعلم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش حوله في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما

فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون الآية واقبل عبد
الله بن الزبعرى فاخبره الوليد بن المغيرة بما جرى فقال معترضا الست تزعم ان اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح
عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية فخرج
من الحديث ان الاستجواب ابن الزبعرى على اتم وجه والجملة كانه تنزل ولان الآية باقية على عمومها الا ان الذين عبدوا عزيرا والمسيح
والملائكة لم يعبدوهم في الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التي دعتهم الى ذلك ولو سلم انهم عبدوهم في الحقيقة ومن المفسرين
من اجاب بالحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهي السعادة او البشرى بالثواب او توفيق الطاعة وقال
ومن المفسرين من اجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه اخر منها ان قوله انكم خطاب لمشركي قريش وانهم لم يعبدوا سوى
الاصنام ولقائل ان يقول حمل الآية على العموم اتم فائدة ومنها ان قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض ولقائل
ان يقول ما عام لا يتناول ذوي العقول وغيرهم … والسماء وما بناها سبحان ما سخركن لنا ومنها انه تعالى يصور
لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وضعف بان القوم لم يعبدوا الملك على الصورة وبان الملك لا يعذب بالنار … جهنم والحق
ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله ان الذين لا يبعد ان يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روي ان عليا كرم الله وجهه
قرأ هذه الآية وقال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وزعم مثبتوا العفو ان الحسنى في
الآية هي الوعد بالعفو لانه قال اولئك عنها مبعدون باداة … قوله انتم لها واردون والورود الدخول فالابعاد الاخراج من النار بعد
ان كانوا فيها وايضا ابعاد البعيد محال وقوله لا يسمعون حسيسها اى الصوت يحس به مخصوص بما بعد الاخراج وايضا قوله
لا يحزنهم الفزع الاكبر والاكبر عذاب الكفار والصغير عذاب صاحب الكبيرة والاكثرون على ان المراد من قوله مبعدون انهم لا يدخلون
النار ولا يقربونها البتة لان ما جعل بعيدا عن شئ ابتداء يجوز ان يقال انه ابعد عنه وهي الآية لم يفسروا الورود في قوله وان منكم
الا واردها بالدخول كما مر في سورة مريم وفي قوله لا يسمعون حسيسها ثم بين انهم مع البعد عن النار متنعمون بالترفه اللائق ملتذون
به على سبيل التأبيد فقال وهم فيما اشتهت انفسهم اي فيما تطلبه للالتذاذ به خالدون هذا نصيب اهل الجنة واما اهل الله فهم فيما
اشتهت قلوبهم وارواحهم واسرارهم خالدون والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لا فزع اكبر منه اذا شاهدوا النار وهذا امر يشترك فيه اهل جميع
مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على اهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقيل
بذبح الموت على صورة كبش املح فعند ذلك يستقر اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة وتتلقاهم الملائكة مهنئين قائلين هذا يومكم
الذي اي وقت ثوابكم الذي كنتم توعدون وعند ذلك قال الضحاك هم الحفظة الذين كتبوا اعمالهم والعامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او
تتلقاهم والسجل اسم للطومار الذي يكتب فيه وعن ابن عباس انه ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه ومثله عن علي ايضا كرم الله وجهه
وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس انه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف وقال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش وعلى هذا فالوقف
على الطي وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول مضاف الى المفعول والفاعل محذوف اى كطي الطاوي السجل وهو قول الاكثرين
واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع ولهذا لا يسمى الدلو سجلا الا اذا كان فيه ماء
ومنه اسجلت الحوض ملأته وقوله للكتاب اى الكتابة ومعناه ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع
على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وكيفية هذا الطي لا يعلمها الا الله ومن ذكر اما قوله
كما بدأنا فمن المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم من قال انه صفة لقوله هذا يومكم الذى كنتم توعدون بقوله يوم نطوي ثم عقبه
بوصف آخر فقال كما بدأنا اول خلق وهو مفعول نعيد الذي يفسره نعيده وما كافة اى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة

بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فكما أوجد أولا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما تتعلق بالضم والتركيب بعد تفرق الاجزاء الاصلية
والآية تطابقه كل المطابقة وأول خلق كقولك هو أول رجل أي اذا فصلت رجلا رجلا فهو أولهم وانما خص أول الخلائق بالذكر
تصويرا للايجاد من العدم ووضعا للاعتراض وجوز جار الله ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل
الذي بدأنا ونعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ وقوله وعدا مصدر مؤكد
لان قوله نعيده عدة للاعادة وقيل المراد حقا علينا بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم
حقق ذلك بقوله انا كنا فاعلين أي سنفعل ذلك لا محالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد ان
الزبور هو اسم جنس الكتب المنزلة كلها والذكر أم الكتاب يعني اللوح فيه كتابة كل ما سيكون اعتبارا للملائكة وكتب الانبياء كلهم منتسخة
وعن قتادة ان الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة وعن الشعبي ان الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وجوز الامام
فخر الدين الرازي ان يراد بالذكر العلم أي كتبنا فيه بعد ان كنا عالمين علما ساهيا ولا بد من تحقق وقوع المكتوب فيه والارض ارض الجنة
والعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون بما يجب عليهم نظيره قوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين
قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي وأبو العالية وانما ذهبوا الى هذا القول لان ارض الدنيا تعم الصالح وغير الصالح
ولان الابدية بحسب ذكر الاعادة وعن ابن عباس ايضا في رواية الكلبي انها ارض الدنيا يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد عند نزول عيسى بن مريم ان في هذا
الذي ذكر في السورة من الاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك لبلاغا لكفاية لقوم عابدين عاملين بما ينبغي عمله من الخيرات بعدما
علموا من كيفية ادائها والبلاغ ما يبلغ به المرء مطلوبه من الوسائط والوسائل ولا مطلوب أجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة
الى نيل المطلوب على الوجه الاتم الاكمل كان وجوده رحمة للطالب المحتاج وما ذاك الا الانبياء والنبيين ولهذا قال وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين وكونه رحمة للكل لا ينافي تحمل بعض الكفرة والمرضى على امور الهم والولاء هم كما ان كي بعض اعضاء المريض او قطعه لا ينافي حذق
الطبيب واشفاقه على المريض ومن هنا قيل الخلاف في الكون والفساد لاجل النفس الحيواني الجاهلي عن المقصود في القابل قالت المعتزلة
لو كان كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة لانه لا يحصل حينئذ الا توجه الحجة عليه وأجيب بأن كونه رحمة للكفار
هو انهم أمنوا بسببه عذاب الاستئصال ولا يلزم ان يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب المحقق ان كونه
رحمة عامة بالنسبة الى كل الدعوة لا ينافي كونه رحمة خاصة بالنسبة الى اهل الاجابة وهو قريب مما ذكرناه او لان الحجة تمت
لازمة على الكافر وان لم يبعث النبي غايته انها بعد البعثة تتم وفي الآية دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الملائكة
لانه رحمة لهم وانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن في الارض والاستغفار رحمة والجواب ان الرحمة بمعنى كونه
في نفسه كاملا مكملا والغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم من كون الاول سببا للافضلية كون الثاني كذلك ثم بين ان اصل
تلك الرحمة وأما هو دعوة الى التوحيد والبراءة عن الشرك فقال قل انما يوحى الي ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذي يوحى الي هو ان
وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوزها الى ما يناقضها او يضادها بأي قسمة فرضت وان كانت ما كافة فالمعنى ان الوحي
الي مقصور على اثبات الله بالوحدة وذلك ان القصر يكون ابدا لما بعد انما ثم قوله فهل انتم مسلمون بعث لهم على تحقيق هذا الوحي
الذي هو اصل التكاليف كلها وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به قائلا فان تولوا فقل آذنتكم على أي اعلمتكم والمراد ههنا
اخص من ذلك وهو الانذار على سواء أي حال كونكم مستوين في ذلك لا فرق بين القريب والاجنبي والقاصي والداني والشريف
والوضيع ولهذا قال ابو مسلم الايذان على السواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل اراد اعلمتكم ما هو
الواجب عليكم من اصول التكاليف ولا سيما التوحيد على السوية من غير فرق في الابلاغ بين مكلف ومكلف وتساويتم فيها

ما تعدون أمر بعيد او قريب والموعود قيل هو عذاب الآخرة واعترض بأنه ينافي قوله واقترب الوعد الحق وقيل هو الامر بالقتال لان السورة
مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل هو اعلاء شأن الاسلام وغلبته دونه فانه لا بد ان يلحق بالكفار حينئذ ذلة وصغار
ولما أمره ان ينفي عن نفسه علم الغيب أمره ان يقول لهم ان الله سبحانه هو العالم بالسر والعلن فيعلم ما تجاهرون به من الطعن
في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد والضغائن فيجازيكم على القبيلين وان ادري لعله أي ما ادري لعل تأخير هذا الوعد
وابهام وقته او تأخير الامر بالجهاد امتحان لكم لينظر كيف تعملون وتمتيع لكم الى حين حضور وقت الموعد وقال الحسن لعل ما انتم
من الدنيا ونعيمها بلية لكم وقيل المراد لعل ما أخبرت وأعلنت وأوعدت بلاء لكم لان المعرض عن الايمان مع البيان حاله ابعد حاله يكون عذابه
اشد ومعنى رب احكم بالحق اقض بيني وبين من كذبني بالعذاب قال قتادة أمره الله ان يقتدي بالانبياء في هذه الدعوة وكانوا
يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا ببدر وكل جاء الله يعني الحق لا يجابهم وشدد عليهم كما هو
حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع بنصرتي عليهم كأنه سبحانه قال له ادعنا
الرب احكم بالحق وقيل وعد للكفار وربنا الرحمن المستعان الذي يستعان به على ما تصفون من الشرك والكفر وما تعارضون
به دعوتي من الاباطيل وكانوا يطمعون ان يكون لهم الغلبة والدولة فكذب الله الامر عليهم وفي هذا الامر تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم ورفع من مقداره حيث أمر بالانقطاع الخالص في دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه
غاية العناية **التأويل** ان هذه أمتكم فيه اشارة الى ان السالك اذا عبر المقامات التي ذكرنا يصير متفرقات شمله مجتمعة
في الفناء بالله والبقاء به فيكون أمة واحدة في ذاته كما ان ابراهيم كان أمة فيعرفه الله نفسه ويقول انا ربكم الذي بلغتكم هذه الرتبة
فاعبدون أي فاعرفون وتقطعوا أمرهم فمنهم من سكن الى الدنيا ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون
أما طالب الدنيا فيرجع بالصورة قهرا وأما طالب الآخرة فيرجع بالصورة لطفا وهي الجنة وأما الذي يطلبنا فانه يرجع الينا
بالحقيقة والذين كتبنا سعادته في الازل من اهل السعادة حتى اذا فتح سد يأجوج النفس ومأجوج الهوى وانسد احكام الشريعة وفتحها
بمخالفاتها وموافقات الطبع وهم أعني دواعي النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ما يردون
عليه من القلب والسر والروح واقترب وعد هلاك القلوب الغافلة فاذا هي شاخصة ابصار بصائرها بالانهماك في الهوى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى العناية الازلية لا يسمعون حسيسها اعني مقالات اهل البدع والاهواء وهم فيما اشتهت انفسهم المطمئنة
المجذوبة بجذبة ارجعي في مقامات القرب الى الله خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر قوله في الازل هيأناه للنار ولا الى يوم نطوي سماء وجود
الانسان بتجلي صفات الجلال في افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدأنا أول خلق نعيده يعني ان الجمع
يكون بالتدريج كما ان البدء بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما
ثم أنشأناه خلقا آخر ففي الاعادة يجب ان يمر السالك عن الانسانية على الحيوانية ثم النباتية ثم المعدنية ثم البسائط العنصرية
ثم الفلكية ثم الروحانية ثم الصفة الربوبية بجذبة ارجعي الى ربك ولقد كتبنا في الزبور أي في أم الكتاب من بعد الذكر أي
بعد ما قلنا للقلم اكتب نظير وكن فيكون ان ارض الجنة الوجود الحقيقي يرثها عبادي الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم
المجازي فالوجود المجازي لكونه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقي لكونه ثابتا مستقرا على حالة واحدة كالارض
لقوم عابدين وما أرسلناك من كتم العدم الا رحمة للعالمين ولولاك لما خلقت الافلاك أول ما خلق الله روحي
ولولا الاول لم يثبت التوبد الى الآخر والله اعلم بالصواب

سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى قوله صراط الحميد حروفها خمسة الاف وماية وخمسة وسبعون كلماتها الف ومايتان واحدى وتسعون اياتها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ۝
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد ۝ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
مريد ۝ كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم
ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ۝ ذلك بان
الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شئ قدير ۝ وان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ۝ ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ۝ ثاني

ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ۝
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو
الخسران المبين يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير ۝ ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد ۝ من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ۝ وكذلك انزلناه
ايات بينات وان الله يهدي من يريد ۝ ان الذين امنوا و عملوا الصالحات و
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ۝ الم تر
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير
حق عليه العذاب ۝ ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء ۝ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا

قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم

والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب

القراءات سكرى في الحرفين على وزن عطشى حمزة وعلي وخلف وغيرهم سكارى بالنصب فيهما المفضل وربأت بالهمز حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا على الحالية روح وزيد ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام فيهما ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس في ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وقرأ الاعشى وليوفوا بالتشديد وقرأ ابو بكر وحماد وليوفوا بالتشديد وتشديد اللام الباقون بالتخفيف والسكون هذان بتشديد النون ابن كثير

الوقوف ربكم ج على تقدير فان عظيم شديد مريد لا لان ما بعده صفة السعير لنبين لكم ط لان التقدير ونحن نقر ومن قرأ بالنصب لم يقف اشدكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى شيئا ط بهيج قدير لا للعطف فيها القبور منير لا لان ما بعده حال عن سبيل الله ط الحريق للعبيد حرف ج للشرط مع الفاء به ج للعطف مع الاستقلال على وجهه ج لمن قرأ خاسر الدنيا والاخرة ط المبين ينفعه ط البعيد من نفعه ط العشير الانهار ط ما يريد ما يغيظ بينات لا من يريد يوم القيمة ط شهيد من الناس ط وقيل يوصل ويوقف على العذاب ط مكرم ما يشاء ج سجدة في ربهم ز لعطف الجملتين المتفقتين ان ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين احدهما فالذين كفروا والثاني ان الله يدخل من نار ج الحميم ج لان ما بعده يصلح استينافا وحالا او وصفا على ان اللام للجنس كما في قوله ثم ولقد امر على اللئيم يسبني والجلود ج حديد الحريق

التفسير انه قد انجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها وما بعدها كوراثة المؤمنين الارض وما بعدها ومنها كطي السماء فلا جرم بدأ الله سبحانه في هذه السورة بذكر القيمة واهوالها حثا على التقوى التي هي خير زاد المعاد ويدخل في التقوى فعل الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيها النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن ان يقال ان ترك النوافل قد يفضي الى الاخلال بالواجب فلهذا لا يكاد المتقي يتركها يروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقرأهما عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين باك ومفكر وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها ومعناها شدة التحريك وتضعيف الحرف دليل على تضعيف المعنى كانه ضوعف تزيل الاشياء عن مقارها ومراكزها والاضافة اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي العائد الى الاسناد في قوله تعالى زلزلت الساعة الارض او الى المفعول فيه على الاتساع ولا اعتبار في الحكم لان المراد حينئذ هي ان فاعلها الله في القيمة قاله الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس من مغربها فيكون الاضافة بمعنى اللام كقولك اشراط الساعة قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان المعدوم شيء لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيئا مع انها معدومة واجابت الاشاعرة بان المراد هو انها اذا وجدت كانت شيئا عظيما وانتصب يوم ترونها اي الزلزلة بقوله تذهل اي تغفل عن دهشة كل مرضعة وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع واما يقال لها المرضع من غير هاء اذا اريد معنى انه من شانها الارضاع بالقوة او بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كانه بلغ مبلغا لو القمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في ما ارضعت مصدرية او موصولة اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع

وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وانما قال كل ذات حمل دون كل حامل ليكون نصا في موضع الجنين فان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن او على راس شجرة وانه خارج بدليل العقل فبقي الاول قال القفال ذهول المرضعة ووضع ذات الحمل حملها يحتمل ان يكون على جهة المثل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس اي ايها الرائي وبعد ان جمع لان الزلزلة يراها الناس جميعا واما الكل الشامل للناس فانه يراه من اثر اهلية الخطاب بالرؤية وفيه نظر ولعله لتساوي الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله سكارى وما هم بسكارى اثبت السكر اولا على وجه التشبيه فان الخوف مدهش كالسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه امارة كل مجاز روى ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيمة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض وكالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود ولعلهم قالوا فشدة ذلك اليوم تحصل للكل احدا ولاهل النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر وهو يختص باهل النار وان اهل الجنة يحشرون وهم آمنون وقيل بل يختص الكل ولا اعتراض لاحد على الله ثم اراد ان يحتج على منكري البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل اهل الجدال كلهم فقال ومن الناس من يجادل نظيره ومن الناس من يقول وقد مر اعرابه في اول البقرة ومعنى في الله في شان الله وفيما يجوز عليه وما لا يجوز من الصفات والافعال ويفهم من قوله بغير علم ان المعارف كلها ليست ضرورية وان المذموم من الجدال هو هذا القسم واما الجدال الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود مامور به في قوله وجادلهم بالتي هي احسن والشيطان المريد العاتي سمي بذلك لخلوه عن كل خير وقد مر في قوله مردوا على النفاق والمراد ابليس وجنوده او رؤساء الكفار الذين يدعون اشياعهم الى الكفر عن ابن عباس نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا ومعنى كتب عليه قضي على ذلك الشيطان او علم بحاله وظهر وتبين والاول يليق باصول الاشاعرة والثاني باصول الاعتزال وقيل اراد كتب على من تبع الشيطان ولا يخلو عن تعسف انه من تولى الشيطان اي جعله وليا فانه اضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف ان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطية او بلا خبر ان جعلت موصولة والصحيح ان قوله فانه مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف صلحته والتقدير من تولاه فشأنه انه يضله او انه يضله ثابت اللهم الا اذا جعلت من موصوفة تقديره كتب على من تبع الشيطان انه شخص تولى الشيطان فانه كذا اي كتب عليه ذلك فقد لك وحينئذ تعم على فساد طريقة المجادلين بين يعم خصمي المقصود من ذلك المعنى ان ارتبتم في البعث فعلم ما يزيل ريبكم وهو ان ينظروا في بدء خلقكم فمن التراب والنطفة وهي الماء الصافي كما النحل لانه ينطف نطفا اي يسيل سيلانا ما بابنه وكذا من النطفة والعلقة وهي القطعة الدم الجامد لانها اذا قالت تعلق بالرحم وكذا بين العلقة والمضغة وهي قدر ما يمضغ من اللحم ولا ريب ان القادر على تقليب الانسان في هذه الاطوار المتباينة ابتداء قادر على اعادته الى احد هذه الاطوار بل هو ادخل في القدرة واهون في القياس قال الجوهري المخلقة التامة الخلق وقال قتادة والضحاك اراد انه يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فلذلك تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد المخلقة الولد يخرج حيا وغير المخلقة السقط لانه لم يتوارد عليها خلق بعد خلق وقيل المخلقة المصورة وغير المخلقة ما هو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل ويناسبه ما روى علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يا رب مخلقة او غير مخلقة فان غير مخلقة مجتها الارحام دما وان

قال خلقه قال يا رب فما صفتها اذكر ام انثى ما رزقها واجلها اشقي ام سعيد فيقول سبحانه انطلق الى الكتاب فاستنسخ منه
هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي اخر صفتها وقوله لنبين لكم غاية لقوله خلقناكم اى انما نقلناكم من حال
الى حال ومن طور الى طور لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وفى ورود الفعل غير معدى الى المبين اشعار بان ذلك المبين مما لا يكتنه
كنهه ولا يحيط به الوصف وقيل اراد ان كنتم فى ريب من البعث فانا نخبركم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ريبكم فى امر بعثكم
فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى ان يتكامل اعضاؤه اراد ان يبين ان
من الابدان ما يمجه الارحام ومنها ما ينطوى هى عليه الى كمال النضج والتربية فاسقط القسم الاول اكتفاء بالثانى فاستأنف قائلا
ونقر فى الارحام ما نشاء اى نقره من ذلك الى اجل مسمى هو كمال ستة اشهر الى تسع سنين غايتها عرفت بالاستقراء ثم نخرجكم اى كل
واحد منكم طفلا والغرض الدلالة على الجنس والتقى بالواحد ثم نربيكم شيئا بعد شئ لتبلغوا اشدكم ومخرجه ومن قرأ بالنصب فمعناه خلقناكم
مدرجين هذا التدريج لغايتين **احدهما** ان نبين قدرتنا **والثانى** ان نقر فى الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا
حد التكليف والاشد كمال القوة والتمييز كأنه شدة فى غير شئ واحد فلذلك بنى على لفظ الجمع قوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر
فقد مر فى النحل شبهه فليرجع اليه ثم اكد امر البعث بالاستدلال من حال النبات ايضا فقال وترى اى تشاهد انها المستحق للخطاب الارض
حال كونها هامدة ميتة يابسة لا نبات بها والتركيب يدل على ذهاب ما به قوام الشئ وروادة من ذلك همدت النار همودا طفئت
وذهبت بكليتها وهمدت الثوب همودا بلى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز الا فى حركة تصدر عن سرور
ونشاط وربت انتفخت وزادت كما مر فى قوله زبدا رابيا وذلك فى الرعد والمراد كما ان نبت الارض لظهور النبات منها ومن قرأ بالهمز
فمعناه ارتفعت من قولهم ربأ القوم اذا كان لهم طليعة فوق شرف ثم اشار الى كمال حاله فى الظهور بقوله وانبتت من كل زوج
اى بعضا من كل صنف بهيج والبهجة النضارة وحسن الحال ولهذا قال المبرد هو الشئ المشرق الجميل واسناد الانبات الى الارض مجاز لانه
المنبت بالحقيقة هو الله ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى ادم واحياء الارض مع ما فى تضاعيف ذلك من عجائب الصنع وغرائب الابداع
حاصل بامور خمسة **الاول** ان الله هو الحق الثابت الذى لا يزول ملكه وملكه لا حق فى الحقيقة الا هو وما سواه يكون مستندا الى خلقه
وتكوينه لا محالة **الثانى** انه من شأنه احياء الموتى **الثالث** انه على كل شئ قدير وهذا كالبيان لما تقدمه فان القادر على كل شئ
ممكن قادر لا محالة على احياء الموتى لانه من جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر فان كل ما جاز على شئ فى وقت جاز عليه فى سائر
الاوقات اذ لو امتنع فاما للعينه والاصل عدمه واما للذاته وهذا يقتضى ان لا يتصف به اولا واما بالذات لا يزول **الرابع والخامس**
قوله وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قال فى الكشاف معناه انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة
والبعث فلا بد ان يفى بما وعد قلت ان هذا التفسير غير واف ولعل الاولى ان يقول حاصل الايات يرجع الى قولنا ان كنتم فى ريب فانا
خلقناكم بالتدريج واحيينا الارض بسبب انا وعدنا الساعة ووعدنا صادق وهذا الكلام غير منتظم فى النظام كما ترى ولو صح هذا
الاستغناء عن التطويل بان يقول مثلا لا تشكوا فى امر البعث وانه كائن لا محالة والذى يسنح لى فى نفسى انه سبحانه ازال الشك
فى امر البعث بقوله ان كنتم فى ريب من البعث فزيل ريبكم هنا ان الاستدلال ثم كان لسائل ان يسأل لم خلق الانسان وما يترتب
عليه معاشه فاجيب بان لهذا الشأن وهو خلق الانسان اسبابا فاعلية واسبابا غائية اما الاولى فهى انه تعالى واجب الوجود
والحق وانه قادر على كل مقدور ولا سيما ايجاد الحى الذى اشد للفاعلية لانه اهون وان قدرته لا يظهر الا اذا تعلقت بالمقدور
وكمال القدرة بالفعل هو ان يتعلق بكل مقدور يجب فى القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا فى القسمة لانه واسطة
بين العالم العلوى والعالم السفلى وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب فى الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف
عليه بقاؤه واستكماله واما علته الغائية فهى ان داره الاولى كانت دار تكليف وقد هيأنا له دارا اخرى لاجل الجزاء وذلك لا

يحصل الا البعث والنشور ولعل هذا تمام تقرير على هذا الوجه غيرى ارجو ان يكون صوابا والله تعالى اعلم بمراده قوله ومن الناس
من يجادل عن ابن عباس انه ابو جهل وقيل هو فى النضر ايضا وكرر للتأكيد كما كرر ما بين الا فاصيص وقال ابو مسلم الاول فى المقلدين
فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا فى المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا فى المقلدين المتبوعين بدليل
قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء اراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى النظرى من العلم لانه لا يهدى الى المعرفة وبالكتاب
المنير العلم السمعى المتعلق بالوحى قال بعض اهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهرى عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركه
وثنى فلان عنى عطفه عنى اى اعرض وقيل هو عبارة عن الكبر والخيلاء كلى الجيد قال جار الله لما ادى جداله الى الضلال
جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال
بالجدال وفسر الخزى ههنا بما اصابه يوم بدر ذلك الذى منى به من خزى الدنيا وعذاب الاخرة هو بما قدمت يداه وباقى مباحث
الاية قد سلفت فى اخر ال عمران ثم اخبر عن شقاق اهل النفاق بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على طرف من الدين لا فى وسطه
فهذا مثل لكونه مضطربا فى امر الدين غير ثابت القدم كالذى يكون على طرف العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار قال
الكلبى نزلت فى اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله
وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن به وقد كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب
عن دينه الذى اظهره بلسانه وفسر هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم
الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وعن ابى سعيد الخدرى ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب كذهاب البصر والمال
والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال ان الاسلام يسبك كما يسبك النار خبث الحديد والذهب
والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الاية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء والشر دون الالام لوقوعها فى مقابلة الخير وهذا على
الاستعمال الغالب والا فالخير ايضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله فى الدارين بقوله خسر
الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا فبعد ان اصابه ما اصاب فبفقدان العز والكرامة والغنيمة واهلية الشهادة والامامة والقضاء
وكون عرضه وماله ودمه مصونة واما الاخرة فحرمان الثواب وحصول العقاب ابد الاباد ولا خسران ابين من هذا فخابيه ومنه
وفى قوله يدعوا من دون الله الاية دلالة على ان المذكورة فيها قبلها انما نزلت فى اهل النفاق من المشركين لا من اليهود فانهم لا يعبدون
الاصنام نعم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قوله يدعوا لمن ضره الاية فيه بحث لفظى وبحث معنوى اما
الاول فهو ان يدعوا بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة او موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه مبتدأ وما بعده هو
لبئس المولى خبره واللام الثانية فى الخبر تأكيد اللام الاولى وما بعده جملة مستأنفة على الوجه المذكور وفى حرف عبد الله من
ضره بغير لام ووجه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة مستقلة قال ضره اقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب ان الموهبى
فى الاية والمولى الناصر والعشير العاشر اى الصاحب واما البحث المعنوى فهو انه نفى الضر والنفع عن الاصنام اولا ثم اثبتهما لها ثانيا
حيث قال ضره اقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب ان المقصود فى الاية الثانية رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم فى الشدائد
مستعصمين بهم لانه لا يوصف المولى والعشير لا يليق الا بالرؤساء سلمنا انه اراد فى الموضعين الاصنام الا انه اثبت الضر لها
لانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار نظيره رب انهن اضللن كثيرا من الناس واثبت لها النفع بناء على معتقدهم انها
شفعاؤهم عند الله والمراد بقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره
اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او اراد يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب
من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين اتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل

الناصر فقال ان الله يدخل الآية قالت الاشاعرة في قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على انه خالق الايمان وفاعله لانه يريد
الايمان من العبد بالاتفاق اجاب الكعبي بان يفعل ما يريده لا ما يريد ان يفعله غيره ورد بان ما يريد اعم من قولنا ما يريد ان يفعله او
يريد من فعل غيره قوله سبحانه من كان يظن ان لن ينصره الله في هذا الضمير وجهان الأول وهو قول ابن عباس والكلبي
ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختيار الفراء والزجاج انه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم للعلم به ولان ذكر
الاوثان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون
النصر نزلت وعندي في هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت في نفر من بني اسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع
الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود والاولى التعميم وكان حساده واعداؤه يتوقعون ان لا ينصره الله وان الله لا يعليه على
اعدائه فمتى شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك والسبب الحبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاذبه والمراد كان يظن من حاسديه ان الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر فكان يغيظه نصر الله اياه فليستفرغ
جهده في ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بان يمد حبلا الى السماء بيته ثم يشده في عنقه وليختنق في عنقه وليصور في نفسه
انه ان فعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه حتى فعله كيدا حيث يتقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده
وانما كاد به نفسه والحاصل ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ
ابعد من الامكان فيكون اصعب فيصرف الحاسد عن الغيظ الى طاعة رسوله ومنهم من قال معنى ذلك ان القطع هو قطع المسافة
اي فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة او القطع قطع الوحي او النصر اي فليصعد وليقطع الوحي
ان ينزل عليه او النصر ان يأتيه الوجه الثاني ان الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا سائل
من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله ووجه النظم من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا
والآخرة فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد وينقلب على وجهه كما مر فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق او غير ذلك مما عددناه
فان الله لا يقلبه مرزوقا وحين بين الاحوال وضرب الامثال اشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل
في حيز الذكر وحصل في الخبر كان في حكم البعيد فقال وكذلك انزلناه اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات
وان الله حرف التعليل وكذا معلله محذوف للعلم به اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية
اما وضع الادلة او خلق المعرفة والاول غير جائز لانه تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولانه في قوله يهدي من يريد دل
على ان الهداية غير واجبة عليه بل هي معلقة بمشيئته ووضع الادلة واجب فتعين ان المراد خلق المعرفة اجاب القاضي عبد
الجبار بانه اراد يكلف من يريد لان التكليف لا يخلو من وصف ما كلف به ومن بيانه او اراد يهدي الى الجنة والاثابة من يريد
ممن آمن وعمل صالحا او يهدي به الذين يعلم منهم الايمان او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين اشار المحقق
بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لم يقبل واعترض بان الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الادلة والجواب
عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف واما الوجوه الاخر فخلاف الظاهر مع انها ذكرتم واجب عندكم على الله
وقوله من يريد ينافي الوجوب ثم اراد ان يميز بين المهدي من الفرق وبين الضالة منهم فقال ان الذين آمنوا الآية قال
مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى يشتركون في القول
بالإله والنبي وتفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد وبعدم الاعتراف به والصابئون قد يجعل من جنس النصارى وقد يجعل من
غيرهم والمجوس قولهم في البابين مضطرب لان الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبي في الحقيقة وانما هو متنبي والمشركون
لا نبي لهم ولا كتاب قال اهل البرهان قدم النصارى على الصابئين في اول البقرة لانهم اهل كتاب وعكس هنا لان الصابئين

مقدمة عليهم بالزمان وقوله الثالثة يحتمل الامران اي والصابئون كذلك وهم النصارى ان الله يفصل بينهم اي يقضي بين
المؤمنين وغيرهم وتكرير ان في الخبر لزيادة التأكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل في الاحوال وفي المواطن ايضا ان الله على كل شيء شهيد
فلا يجري في قضائه ظلم ولا حيف الم تر اي الم تعلم باخبار الله والملحدان هذه الاجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها
من انواع تصرفاته وتدبيره قال العلماء قوله وكثير من الناس يبعد عطفه على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يعم الكل
ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولان قوله ومن في الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن ان يكون
السجود بالنسبة الى كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يمكن استعماله
في مفهوميه معا فهاهنا اذن من حمله بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة ايضا او هو مبتدأ
محذوف الخبر وهو مثاب لان خبر مقابله دليل عليه وهو قوله حق عليه العذاب اي هو مبتدأ وخبر وكثير من المكلفين من الناس
الذين هم الناس على الحقيقة فكانه اخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لانهم شبه بالنسناس اولئك كالانعام بل هم اضل
او قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لاجل المبالغة كانه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقي الآية دليل على ان الكل بقضائه
وقدره والاكرام والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن اهانه في الازل لم يكرمه احد الى الابد عن ابن عباس ان قوله
هذان خصمان راجع الى اهل الاديان الستة اي هما فوجان او فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل
اختصموا نظرا الى المعنى وقيل لان اقل الجمع اثنان ومعنى في ربهم اي في دينه وصفاته فقال المؤمنون في شأنه قولا وقال الكافرون
قولا وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد
ونبيكم وبجميع الكتب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه حسدا فنزلت وعن قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري انه كان يحلف
بالله انها نزلت في ستة نفر من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال علي انا اول من
يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني
الله لرحمته فيقضي الله من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والاقرب هو الاول وقوله فالذين كفروا تفصيل الخصومة المعني
بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله قطعت لهم ثياب فيه انه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب
الملبوسة او المراد ان تلك النيران متظاهرة عليهم كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير ان قوله
من نار اي من نحاس اذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو انقطعت منه نقطة على جبال
الدنيا لاذابتها ومعنى يصهر يذاب صهرت الشيء فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير اي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب
جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان تأثير الشيء فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير اي يذيب من
الظاهر في الباطن ابلغ من تأثيره من الباطن قال في الكشاف المقامع السياط وقال الجوهري المقمعة واحدة المقامع من حديد
كالمحجن يضرب على رأس الفيل وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها والاعادة لا تكون
الا بعد الخروج فمعنى الآية اضمار اي كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا او المراد بالارادة المداناة
والمشارفة كقوله يريد ان ينقض وهذا اقرب لقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم
بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختصت هذه السورة بقوله من غم
وهو الاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لانه بولغ هنا في ذكر النار بخلاف ما في السجدة وانما اضمر القول هنا قبل
قوله وذوقوا بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لان وقوع الاختصار هنا على عذاب الحريق وهناك اطنب فصرح وقوله عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون وايضا قد تقدم ذكر القول في تلك السورة كرر الجلالة هنا والله تعالى اعلم التأويل ان الله

ساعة هلاك الاستعداد الفطري شيء عظيم تذهل كل مرضعة هي مواد الاشياء فان لكل شيء مادة ملكوتية ترضع رضيعها من
الملكوت بيده وتضع كل ذات حمل وهي الهيوليات حملها وهي الصور الكمالية التي خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس
سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم
من تراب اي كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بان خلقنا منه آدم ثم اهتنا منه النطفة ثم بعثناها بان جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقا
آخر لنبين لكم امر البعث والنشور ونقر في ارحام امهات العدم ما نشاء الى اجل مسمى هو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل
على انه لا يبعد ان يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا يتعلق ارادته بالمقدور فينبغي في تأخير الامر الى حين تعلق الارادة به حتى
يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من اطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال ومنكم من يتوفى عن
الشهوات فيحيى بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى اسفل سافلين الطبيعة وترى ارض القالب هامدة فاذا انزلنا عليها ماء حيوة
المعرفة والعلم اهتزت ذلك بان الله هو الحق في الالهية وانه يحيي القلوب الميتة وان ساعة قيامة العشق والجذبة للطالبين الصادقين
آتية وان الله يبعث القلوب المحبوسة في قبور الصدور بعذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لانه نائم بنوم
الغفلة فاذا مات انتبه من كان يظن فيه ان العبد يجيئه بكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديري في الازل ثم ولي
احكامي في الغد فلينظر هل يقطع ام لا هذان خصمان يعني النفس الكافرة والروح المؤمن قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط
القضاء على قدهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع يصب من فوق رؤسهم الحميم
الشهوات الغالبة وفي لفظ الفوق دلالة على انهم مغلوبون تحتها وفيه ان الخيالات الفاسدة ينصب من الدماغ الى القلب
يصهر به ما في بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود اي يفسد احوالهم الباطنة والظاهرة لفساد تخيلاتهم ولهم
المقامع ايضا ولا يخلص لهم من دركات تلك الملكات لغاية رسوخها نعوذ بالله من الغفلة والضلال والطرد قوله تعالى

ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها
حرير ۝ وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ۝ واذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود ۝ واذن في الناس بالحج

بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ۝
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ۝
ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ۝
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم
الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان ۝
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك
بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح
في مكان سحيق ۝ ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم
محلها الى البيت العتيق ۝ ولكل امة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين ۝ الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۝ والبدن جعلناها لكم

من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله
عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون ٥ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا
الله على ما هديكم وبشر المحسنين ٥ ان الله يدفع عن الذين
امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ٥ اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٥ الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز ٥ الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

القراءة ولؤلؤا بهمزتين منصوبا نافع وحفص منه ولكن بتخفيف الاولى وابو ساكنة ابو بكر وحماد ويزيد وكذلك في سورة فاطر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل ههنا بالجر والنصب وفي فاطر بالجر والخفض الباقون بالجر والخفض في السورتين سوا بالنصب حفص وروح وزيد الاخرون بالرفع والبادي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير ووافق ابو عمرو وابو جعفر ونافع وغيرهم في الوصل بوا نا مثل اسنانا بيتي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وحفص وهشام فتخطفه بتشديد الطاء ابو جعفر ونافع الرياح يزيد ليوفوا بالنصب والتشديد النصب على تقدير اللون عباس منسكا وبحر بكسر السين حمزة وعلي وخلف لن تنال الله بتاء

ينال التانيث يعقوب ولكن تناله بالتانيث احاديد يدفع من الدفع ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعة اذن مبنيا للمفعول ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول ايضا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الاخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بالالف ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وابو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وابو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف بتشديد حامد غا الباقون مشددا الوقوف ولؤلؤا من القرأة للعطف لكن الوجه الحميد والباد اليم البحر عميق لتعلق اللام الانعام للابتداء بالامر الفقير للعطف مع العدول العتيق الانعام ذلك قد قيل لان المذكور على الاكل والامر والثاني ذلك ثم مبتدأ بالشرط عند ربه الزور مشركين به سحيق ذلك القلوب العتيق الانعام اسلموا المخبتين لاتصال الوصف الصلوة ينفقون خير والوصل احسن للفاء صواف للشرط مع الفاء والمعتر تشكرون منكم هديكم المحسنين كفور ظلموا لقدير بناء على ان الذين بدل من الضمير في نصرهم ربنا الله كثيرا ينصره عزيز المنكر الامور التفسير لما ذكر حال احد الخصمين في الاخرة اراد ان يذكر حال الاخر وهو المؤمن ولهذا اتم الكلام لانه نعت بعض الايمة اخرى هي بيان ان اهل الجنة يحلون فيها وقد مر مثله في اوائل الكهف من ذهب ولؤلؤا بالنصب على تقدير ويؤتون لؤلؤا الذي السلام من الفواحش والخبيث الا ان يكون شيئا منطقا منه وهدوا الى الطيب من القول عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده يلهمهم الله وهدوا الى صراط الحميد اي الطريق العام المحمود وهو الجنة والصراط الحميد كقوله صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض قال السدي الطيب من القول هو القران وقيل شهادة ان لا اله الا الله فقال حكماء الاسلام هو كشف الغطاء عن الحقائق الروحانية والمعارف الربانية ثم ذكر وعيد اهل الكفر ومن دانهم فقال ان الذين كفروا ويصدون انما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه اريد به الاستمرار وانه من شانهم الصد وكانه قيل كفروا واستمروا على الصد وقال ابو علي الفارسي كفروا في الماضي وهم الان يصدون ونحن ابن عباس انها نزلت في ابي سفيان بن حرب واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبية عن ان يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدى من قرأ سواء بالنصب فلانه مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا العاكف والباد ومن قرأ بالرفع فعلى ان العاكف مبتدأ وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز ان يكون للناس مفعولا ثانيا اي جعلناه متعبدا لكل من وقع عليه اسم الناس وقوله سواء الى اخر الجملة بيان لذلك الجعل اي لا فرق بين العاكف المقيم به وبين الطاري من البدو واختلفوا في ان المكي والافاقي يستويان في اي شيء فعن ابن عباس في بعض الروايات انهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها الاية بناء على ان المراد بالمسجد الحرام مكة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال مكة مباح لمن سبق اليها والى هذا ذهب ابو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ايضا ولا يجاز لكذا عموا ان كراء دور مكة حرام والاكثر على انهما يستويان في العبادة في المسجد ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف من ولي منكم من امور الناس شيئا فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار وعلى هذا منع بيع دور مكة واجارتها وهو مذهب الشافعي وقد جرت مناظرة بينه وبين اسحق الحنظلي وكان اسحق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق وبان عمر رضي الله عنه اشترى دار السجن فسكت اسحق وانما ذهب الاولون الى ان المراد بالمسجد الحرام مكة كلها لانه جعل العاكف به بازاء البادي اجاب الاكثرون بانه اراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من التعبد به والالحاد العدول عن القصد كما مر في قوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه وقوله بالحاد بظلم حالان ومفعول يرد متروك ليتناول العموم اي ومن يرد فيه مرادا ملحدا ظالما وفائدة الحال الثانية ان العدول عن القصد قد يكون بالحق وجزاء سيئة سيئة واختلفوا في الالحاد في الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء انه الشرك بعني من لجأ الى حرم الله ليشرك به غير الله وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن خطل حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح

وهو العذاب الاليم وعن مجاهد انه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وقيل هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روي عن عبد
الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث
ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله والاولى التعميم وقيل ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق
السداد والعدل في جميع هماته ومقاصده وهذا وان كان واجبا في كل مكان الا ان وجوبه هناك اوكد فلهذا كان خاصية كما للزمان
ولهذا قال مجاهد يضاعف السيئات فيه كما يضاعف الحسنات عن ابن مسعود ان القصد الى الذنب يكتب هناك ذنبا وان لم يخرج
الى الفعل وعنه لو ان رجلا بعدن هم بان يعمل سيئة عند البيت اذاقه الله تعالى عذابا اليما واعلم ان خبر ان محذوف لدلالة جواب
الشرط عليه كانه قيل ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب اليم ومن يرد في الحرم الحادا فهو كذلك وحين انجر الكلام الى ذكر
المسجد الحرام اتبعه ذكر الكعبة وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال واذ بوانا اي واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة
اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة يروى ان موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر اساسه القديم
فبنى ابرهيم عليه وقد مرت قصة ذلك في البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام في العرض والطول وفيها رأس يتكلم وله لسان وعينان
فقال يا ابرهيم ابن على قدري فاخذ في البناء وذهبت السحابة وان في ان لا تشرك هي المفسرة وذلك ان المقصود من التبوية هي العبادة
فقال يا ابرهيم فلذلك لا تشرك وطهر وقد مر مثله في البقرة وانما قال ههنا والقائمين لان العاكفين ذكر ثمة في قوله سواء العاكف فيه
والقائم اما بمعنى القيام في الصلوة بدليل قوله والركع السجود واما بمعنى المقيم المتوطن والظاهر ان الخطاب في واذن لابرهيم ايضا اي
ناد في الناس وهو ان يقول حجوا وعليكم بالحج يروى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وقال مجاهد فما حج انسان
ولا يحج الى يوم القيمة الا وقد سمع ذلك النداء في اصلاب الرجال وارحام النساء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب اكثر فاكثر ولعل الفائدة
في قوله ياتوك ههنا لان الاتيان الى مكة بسبب ندائه اتيان اليه وايضا هو اول من حج وغيره يقتدي به فكانه ياتيه وعن الحسن
وهو اختيار اكثر علماء المعتزلة ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه معطوف على ذكر مقدر اي انه عام لجميع الناس او خاص بمن حج
معه في حجة الوداع قولان وقيل انه ابتداء فرض الحج والرجال المشاة [illegible] على كل ضامر حال اخرى فكانه قيل رجالا وركبانا
والضامر البعير المهزول لطول السفر ويأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع والفج الطريق الواسع وقد مر في السورة المتقدمة والعميق
البعيد ومنه معيق وبه قرأ ابن مسعود في تقديم المشاة تشريف لهم وروى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوة يخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول
الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة قال جار الله نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية
لا توجد في غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لا ينفكون عن التسمية اذا نحروا او
ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الاغراض الاصلية للعبادة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفي قوله على ما
رزقهم اشارة الى ان نفس القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شيء من
هذه الفوائد والايام المعلومات عند اكثر العلماء عشر ذي الحجة الاول آخرها يوم النحر لانها معلومة عند الناس لحرصهم على اعمال
الحج فيها ثم المنافع اوقات من العشر معينة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك الذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول
مجاهد وعطاء وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعي وابي حنيفة وعن ابن عباس في رواية
اخرى انها يوم النحر وثلثة ايام بعدها وهو اختيار ابي مسلم وقول ابي يوسف ومحمد وعلى الاول يكون قوله في ايام متعلقا بكلا
الفعلين اعني ليشهدوا ويذكروا وعلى الثاني يختص تعلقه بالثاني ومعنى بهيمة الانعام بهيمة من الانعام لان البهيمة تعم كل ذات
اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز وقد مر في اول المائدة قال المفضل اذا ذبحت فقل بسم الله والله اكبر

اكبر اللهم منك واليك ونستقبل القبلة وزاد الكلبي ان صلواتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها
وباراقة دمها انما متصور بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضات الله تعالى واعترافا بان
تقصيره كاد يستحق مهجته اما قوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فالبائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير قد مر في اية الصدقات
فالغرض في غير هاتم من المناسك قال الاكثرون انه ليس بواجب لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون منها فامر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على ان الاكل
ليس بواجب ثم منهم من قال يستحب ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال ياكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما
يجيء في قوله فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلثة اقسام ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث لما
جاء في الحديث من الامر بالادخار والاكل وهو مذهب الشافعي انه ان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزيه ويتصدق
وان تصدق بالقليل فهو كافي هذا اذا كان تطوعا واما الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران
ودم التمتع ودم الاساءة فلا ياكل منها هو ولا اغنياء الرفقة ولا فقراؤهم لما روي عن هشام بن عروة عن ابيه عن ناجية الخزاعي
قال قلت يا رسول الله كيف اصنع بما عطب من البدن قال انحرها ثم اغمس نعلها في دمها ثم خل بين الناس وبينها ياكلونها وقال ايضا
صلى الله عليه وسلم في مثله لا تاكل منها انت ولا احد من اهل رفقتك قوله ثم ليقضوا تفثهم لا يبعد ان يكون معطوفا على ليشهدوا فان جميع
الاعمال كلها غايات للاتيان الا ان اسكان هذه اللامات في بعض القراءات يدل على انها لام الامر وعلى هذا يكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة
على الامر الحاضر قبلها والله اعلم قال ابو عبيدة لم يجيء في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون
التفث الا من التفسير وقال القفال قال نفطويه سالت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القرآن ولكنا نقول
للرجل ما اتفثك وما ادرنك ثم زعم القفال قال نفطويه قال سالت ان هذا اولى من قول الزجاج لان المثبت اولى من النافي وقال
المبرد اصل التفث في كلام العرب كل قاذورة يلحق الانسان فيجب عليه نقضها واجمع اهل التفسير على ان المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد
كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الاية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم اي الاعمال التي اوجبها الحج
بالشروع فيه او اعمال البر التي اوجبوها على انفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج واعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا ايجابه
لم يكن الحج يقتضيه وليطوفوا هو طواف الافاضة والزيارة الذي هو ركن وقد شرحت حاله في البقرة في قوله فاذا افضتم من
عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر وسمي البيت العتيق لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه اعتق من
الغرق ايام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة
من مناسك الحج وغيرها ويحتمل ان يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن اسلم ان الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر
الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام بحقوقها وقوله فهو خير له اي فالتعظيم خير له من التهاون بشيء منها وقوله عند ربه
اشارة الى انه ثواب مدخر لاجله قوله واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم وقد مر في اول المائدة وهو الاية الا ما يتلى عليكم الميتة او قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم او قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات اتبعه الامر بما هو اعظم انواعها
واقدم اصنافها قائلا فاجتنبوا الرجس وبينه بقوله من الاوثان اي الرجس من عمل الشيطان والزور من الزور وهو الميل والانحراف
كذلك الرجس الذي هو الاوثان كقولك عندي عشرون من الدراهم والرجس العمل القبيح في الغاية وقدم في اخر المائدة في تفسير قوله رجس
من عمل الشيطان والزور من الزور وهو الميل والانحراف كقولهم رجل صدق جمع بين قول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان بانها رجس
لا تعادلهم في القران بان يتيمموا سقوط الدماء عليها والاقرب انها وصفت بذلك لان عبادتها افضلة متمادية في القبح والسماجة
والغرض في قول الزور وجوه منها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها انه شهادة الزور وفيه احاديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان ومنها انه قول اهل الجاهلية في الطواف لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقوله

حنفاء لله غير مشركين به حالان مؤكدتان والمراد بالاخلاص في التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين وفائدة الحال الثانية التولي
والتبري واعلم انه انما اخر نفي الاشراك وان كان متقدما في الرتبة اذ التخلية والتبرية مقدمة على التحلية والتولية ليرتب عليه قوله ومن يشرك
بالله الاية قال جار الله ان كان تشبيها مركبا فالمعنى من اشرك بالله فقد اهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بان صور حاله بصورة من خر
من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا اي قطعا من اللحم في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المطارح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك فقد سقط من السماء والاهواء
التي توزع افكاره بالطير المختطفة وفي المثل الآخر شبه الشيطان الذي يطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بالاشياء
في المهاوي المتلفة وتعظيم شعائر الله وهي الهدايا [illegible] ان يختارها عظام الاجرام غالية الاثمان وقد مر وجهها
الشرعي في البقرة في قوله فما استيسر من الهدي وقد اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من
ذهب قال في الكشاف فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به واقول في هذا الوجوب نظر لانه ليس بشرعي ولا يتعين على مانع المعتز
اما المضاف الاول فلانه يحتمل ان يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة واما الآخران فلان من للعموم فلا يلزم ان يقدر لفظه منه او فاعل
التعظيم موحدين حتى لا يطابق لفظ القلوب بل يحتمل ان يقدر لفظه منهم او يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا من يعظم
شعائر الله فان تلك الخلة منهم من تقوى القلوب اي ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التي منها عيارها وعليها مدارها
ولا عبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونها ثم كان للسائل ان يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب به الى الله تعالى فلهذا
قال لكم فيها منافع يعني الدنيوية من الدر وركوب الظهر ونسخ الى الدينية بقوله الى اجل مسمى وهو [illegible] ويقرب منه وهو الحرم
كما مر في قوله هديا بالغ الكعبة [illegible] قال القفال هذا مما يختص بالهدايا
التي بلغت منى فاما اذا اعطيت قبل بلوغ مكة فان محلها موضعها روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو
في جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال اركبها وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدي بالمعروف
حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذي اختاره الشافعي وعن ابي حنيفة انه لا يجوز الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان له الملك
لملك عقد الاجارة عليها وضعف بان ام الولد لا يمكنه الانتفاع بها [illegible] ذهب الى هذا القول من فسر الاجل المسمى بوقت معلوم
تسميتها هدايا والمراد ان لكم ان تنتفعوا بهذه الانعام الى ان تسموها ضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم ان تنتفعوا بها وقد نسب
هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك واجاب الاولون بان الضمير في قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر
وتسمية ما يحصل تعيينه بالشعيرة مجازه والاصل عدمه قال في الكشاف ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى
ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من فسر
الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى بانقطاع التكليف وزيفه جار الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين ان التقرب من
الشرائع القديمة وان اختلف مكانها واوقاتها فقال ولكل امة جعلنا منسكا موضعا ووقتا يذبح فيه النسيكة الذبيحة كسر
السين حمزة والكسائي وفتحها قياس ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل امة من الامم السالفة من زمن ابراهيم الى من
قبله وبعده ان ينسكوا لله اي يذبحوا لوجهه على جهة التقرب وجعل الغاية في ذلك هي ان يذكر اسمه على نحرها ثم بين العلة في
تخصيص اسمه بذلك فقال فالهكم اله واحد لان تفرده بالالهية يستلزم ان لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز ان يتعلق هذا الكلام
باول الاية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر ان تفرده بالالهية
يقتضي اختصاصه بالطاعة فقال فله اسلموا اي خصوه بالانقياد الكلي والامتثال لاوامره ونواهيه خالصا لوجهه من غير شائبة الشرك

اشراك ثم امر نبيه بتبشير المخبتين وفسرهم بقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والتركيب يدل على التواضع والخشوع ومنه الخبت المطمئن
من الارض وعن عمرو بن اوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبي هم المجتهدون في العبادة ثم عطف على المخبتين قوله
والصابرين على ما اصابهم اي من المكاره في ذات الله كالامراض والمحن واما الذي يصيبهم من جهة الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه
ولكن لو امكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من انواع التكاليف التي تشق على النفس ويكرهها نوعين هما اشرف العبادات
البدنية والمالية اعني الصلوة والزكوة وقوله ومما رزقناهم عطف على المقيمي الصلوة من حيث المعنى كانه قيل والذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم شأن الضحايا مرة اخرى وخص منها العظام الجسام بقوله والبدن هي بضم الدال وسكونها
جمع بدنة وهي الابل خاصة لعظم بدنها الا ان الشارع الحق البقرة بها قال ابو حنيفة ومحمد لو قال علي بدنة يجوز له نحرها في غير مكة
وقال ابو يوسف لا يجوز الا بمكة بناء على ان البدنة مختصة بناقة او بقرة تنحر هناك واتفقوا فيما اذا نذر هديا بانه يجب ذبحه بمكة وفيما
اذا نذر جزورا انه يذبحه حيث شاء [illegible] والبدن نصب بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله انها من اعلام الشريعة
التي شرعها الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير اي ثواب في الآخرة
كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الدينين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والانسب ما قررناه حذرا من التكرار ومعنى صواف
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن ولعل السر فيه تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلوب المحتاجين فاذا وجبت جنوبها اي سقطت
على الارض من وجب الحائط وجبة سقط ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا زهق روحها فحل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعتر
[illegible] ثم من على عباده بان سخر لهم البدن اذ يحبسونها صافة قوائمها مطعونة في لباتها مثل
الشجر الذي شاهدوا وعلموا ما خذ بخطامها صبي فيقودها الى حيث يشاء وليست باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر جرما واقل
قوة لولا انه سبحانه سخرها يروى ان اهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى
ما هو المقصود منها فقال لن ينال الله اي لن يصيب رضاء الله اصحاب اللحوم والدماء المهراقة بمجرد الذبح والتصدق
ولكن يناله التقوى منكم بان يكون القربان حلالا وتراعى فيه جهات الاجزاء ثم عرف فيما امر بذكره هنا التسخير وان الغاية منه
تكبير الله على الهداية لاعلام دينه ومناسك حجه وصورة التكبير وما يتعلق بها قد سبق في البقرة في اية الصيام قالت المعتزلة
لما لم ينتفع المكلف بالاجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب ان تكون التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام واجيب
انه قد شرط التقوى في قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب ان لا يقبل عمله والجواب انه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض
ما ليس من افعاله ان لا ينتفع بكل ما ليس من اعماله وايضا ان صاحب الكبيرة اتقى الشرك فصدق عليه انه متق وبشر المحسنين
الى انفسهم بتوفير الثواب عليها والاحسان بالحقيقة ان تعبد الله كانك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص في القرابين
وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعها وكان الكلام قد انجر الى ذلك من ذكر الكفار وصدهم عن المسجد
الحرام اتبعه بيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال ان الله يدفع ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في
الدفع عن الذين آمنوا مبالغة الغالب والمدفوع هو بأس المشركين وما كانوا يحوجونه [illegible] يدل عليه تعليله بقوله
ان الله لا يحب كل خوان كفور اي انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي
خيانة اعظم من هذه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين اذى شديدا وكانوا يأتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزل اذن وفاعله الله سبحانه [illegible] والماذون
فيه القتال بدليل قوله للذين يقاتلون ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين [illegible] الصبر
وان كسرت فمعناه اذن للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل [illegible] على القتال [illegible] القتال بانهم ظلموا اي بسبب كونهم

مظلومين وهي اول اية فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا
مكة فاذن لهم في مقاتلتهم و في قوله ان الله يدفع ثم في قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كاملة باعلاء هذا الدين واظهاره
دينه على اهل الاديان كلهم كما تقول لغيرك ان المعتني بامرك قادر على مجازاتك لا تريد مجرد اثبات القدرة بل تريد انك ستفعل
ذلك ثم وصف ذلك الظلم بان وصف الموعودين بالنصر بقوله الذين اخرجوا من ديارهم ومحال ان يعنوا لو اجرى على الاخراج من حق اى
بغير موجب سوى التوحيد الذي يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ولولا
دفع الله الناس قد مر في اواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين
وعن ابن عباس يدفع بالمحسن عن المسيء وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته من
جيرانه ثم تلا هذه الاية قال الضحاك يدفع بدين الاسلام واهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن
النفوس بالقصاص اما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن انها كلها اسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة لاجل
العبادة قال الجوهري الاصمع الصغير الاذن ويقال اتانا بثريدة مصمعة اذا دققت وحدد راسها وصومعة النصارى فوعلة
من هذا لانها دقيقة الراس وقد يطلق البيع على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلوة لانها يصلى فيها ويحتمل
ان يراد مكان الصلوات او يراد الصلوات الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليها نظرا الى تعطيلها كقوله متقلدا سيفا ورمحا وان كان
الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه تفسير الحسن رضي الله عنه والاكثرون على انها متعبدات مختلفة فعن ابي العالية ان الصوامع للنصارى
والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد للمسلمين وفي تخصيصها بقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا تشريف لها وتفضيل على غيرها
لان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة ان الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود وقال الزجاج هي
بالعبرانية صلوثا وقيل الصوامع والبيع كلتاهما للنصارى ولكن الاولى في الصحراء والاخرى في البلد وانما اخر متعبد اهل الاسلام
لتأخر زمانهم ولا ضير فان اخر الفكر اول العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وتفسير الاية على قول الاكثرين لولا
دفع الله لهدم في شرع كل نبي المكان المعهود لهم في العبادة فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي
زمن محمد المساجد وعلى هذا الوجه انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف ويحتمل ان يراد لولا ذلك لاستولى اهل الشرك
على اهل الاديان في زمن امة محمد من المسلمين واهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا المتعبدات باسرها وعلى هذا المراد دفع
عن سائر اهل الاديان لان متعبداتهم يجري مجرى ما ذكر الله في الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه
واوليآءه واكد ذلك بقوله ان الله لقوي عزيز ومعنى القوة والعزة انه لا يمتنع شيء من نفاذ امره فيه مع انه لا يتأثر عن شيء اصلا
ونصرة الله العبد تقويته على اعدائه ووضع الدلائل على ما يفعله في الدارين ونفث روح القدس بامره داعية الخير والصلاح
في روعه ثم اتبع قوله الذين اخرجوا قوله الذين ان مكناهم وقيل هو بدل ممن في قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما
ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم في الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمن هذا والله ثناء قبل بلاء اراد ان الله تعالى
قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قيل انه مخصوص من جملة المهاجرين بالخلفاء الراشدين لانه
تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتمكينهم ابقاؤهم
الى اوان التكليف وقد يشمل الاطفال ايضا اذا ماتوا قبل البلوغ كقوله الله اعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الاية بقوله ولله عاقبة
الامور اي مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد اراد تمكين اهل هذا الدين في كل حين فيقع لا محالة التأويل
ويصدون عن مسجد حرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذي يصل اليه في الحال لا افضل للاسبق مقامات
القلب ومنازله واذ بوأنا لابرهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتي عن غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات

الواردات المطيعة والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هي النفس
وصفاتها وعلى كل ضامر هو البدن وجوارحه فان اعمال الشرعية قد ركبت للجوارح المرتاضة فاعمال البدن مركبة من حركات الجوارح وثبات
الضمير كما ان اعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فتطير من كل فج عميق هو مصالح الدنيا الا ان مصالحها بعيدة عن مصالح الاخرة
ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها تبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور اثار الطاعة عليها ويذكروا
اي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فكلوا منها واطعموا منها
على الطالبين فهو خير له لان العبد بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة
يوجب الفرقة واحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم في قوله ولا تسرفوا وفي قول النبي من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا تزورون ما ليس للخلق غير طالبين معه غيره
خر من سماء القلب فاستلبه طير الشيطان او تهوي به ريح الهوى والخذلان الى الاسفل سافلين البعد والحرمان لكم في شواهد اثار
صنع الله في الارشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى اجل مسمى هو حد الكمال ثم انتهاء السلوك
الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات
ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله اسلموا اي اخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الافات ثم الاخلاق
من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم
الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب والصابرين على ما اصابهم من غير تمني فرجه ولا دوام فرحه والمقيمي الصلوة الحافظين
مع الله اسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على احوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في الطلب فاذا ماتت عن
طبيعتها فانتفعوا بها انتم واطعموا منها الطالبين القانعين بما فضت عليه والمعترين المعطشين من شعاير اهل الصدق
في الطلب فان الذين لا يرون ريا من ماء حيوة المعرفة شعر شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت
كذلك سخرناها لكم فيها ان ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير موجدها ويؤكده قوله ان الله
يدافع جناية النفس وهواها عن الذين امنوا اذن للذين يقاتلون فيه ان قتال النفس يجب ان يكون باذن من الله تعالى
وهو ان يكون على وفق الشرع وفي اوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمأنينة ولولا
دفع الله النفوس بالقلوب لهدمت صوامع اركان الشريعة وبيع اداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد
القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيرا الا ساعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم في اركان الشريعة وسبع اداب الطريقة
ارض البشرية اداموا صلوات المواصلة واتوا زكوة الاحوال وهي ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وامروا
بحفظ الحواس عن مخالفات الامر وبمراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن نهي كبر الرياء والاعجاب والالتفات عابدة مور المعاملات

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ۝ وقوم
ابرهيم وقوم لوط ۝ واصحاب مدين ۝ وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير ۝ فكاين
من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر

معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم
قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا
معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي
الذين امنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم
بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا

وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع
بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل وان الله
هو العلي الكبير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان
الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد

القراءات نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل اهلكتها على التوحيد ابو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون اهلكناها وبير معطلة بالياء ابو عمرو غير شجاع وقتيبة ويزيد والاعشى ورزين وربيعة وابن فليح وحمزة في الوقف تعدون على الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف معجزين بالتشديد حيث كان ابن كثير وابو عمرو وقتلوا بالتشديد ابن عامر وان ما يدعون بياء الغيبة وكذلك في سورة لقمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص

الوقوف وثمود لا ولوط لا مدين ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اخذتهم ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب نكير ه مشيد ه يسمعون بها ج للابتداء بان مع الفاء الصدور ه وعده ط تعدون ه اخذتها ج المصير ه مبين ج للابتداء مع الفاء كريم ه الجحيم ه امنيته ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اياته ط حكيم لا لتعلق اللام قلوبهم ط بعيد لا قلوبهم ط مستقيم ه عقيم ه لله ط بينهم ط النعيم ه مهين ه حسنا ط الرازقين ه يرضونه ط عليم ه ذلك ج لينصرنه الله ط غفور ه بصير ه الكبير ه ماء ز لنوع عدول مع العطف مخضرة ج خبير ه وما في الارض ط الحميد ه

التفسير انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن امته ذكر ما فيه تسلية وهو انه ليس باوحدي في التكذيب له والقصص معلومة مما سلف والحاصل انه لم يقل وقوم موسى لان موسى كذبه غير بني اسرائيل وهم القبط او المراد وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره والنكير بمعنى الانكار عبر به عن الهلاك لانه مسبب عنه او لان الهلاك تبديل نعمتهم فكانه انكرها عليهم حتى ارتدعوا او هو بمعنى التغيير لانه بدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا قوله وهي ظالمة وهي خاوية الاولى والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا ليس له محل قال ابو مسلم اراد وهي كانت ظالمة فهي الآن خاوية على عروشها ولم تقع هاء البعرة في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية قوله وبئر معطلة

عطف على قرى اى وكم بئر عطلناها اى سقاتها مع انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء وكم قصر مشيد مجصص او مرتفع اخليناه
عن ساكنيه فحذفت هذه الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب على الظن من هاتين القرينتين ان على في قوله على عروشها
بمعنى كانه قيل هي خاوية اى ساقطة او خالية مع بقاء عروشها قال في الكشاف واقول اذا كانت القرى المهلكة غير البئر والقصر
فهذا الظن مرجوح او مساو لا غالب وروى انها بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي
بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامّروا
بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب
قصرهم حكى ان الامام ابا القسم الانصارى قال هذا عجيب لانى زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف يقال انه بحضرموت
قلت لا غرو ان يتفق الموت بارض والدفن بارض اخرى ثم انكر على اهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا افلم يسيروا لانهم
على السفر لين ويمرون على مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار على قوله وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل افلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر واتعاظ والا كان كلا سماع كما ان المراد بالابصار ابصار الاعتبار
ولهذا قال فانها اى ان القصة لا تعمى الابصار اى ابصارهم ولكن لا تعمى القلوب التى فى الصدور وفى هذا التصوير زيادة التمكين
والتقرير لغرابة نسبة العمى الى القلب وجوز فى الكشاف ان يكون الضمير فى فانها ضميرا مبهما يفسره الابصار وفاعل تعمى ضمير عائد
الى الضمير الاول المبهم والمعنى على الوجهين ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها فاما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار وان فرض
لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم ان فى الآية ابطال قول من جعل محل الفكر الدماغ وليس بقوى فقد يتبادر كان
فى ذلك او يكون سلطانه فى القلب والدماغ كالآلة ثم حكى من عظيم ما هم عليه من التكذيب انهم يستهزءون باستعجال العذاب
العاجل والآجل كانهم جوزوا الفوت فلهذا قال ولن يخلف الله وعده ولعلهم طلبوا عذاب الآخرة فذكر ان استعجاله فى الدنيا
كالخلف لان موعده الآخرة وان يوما عند ربك كالف سنة مما قال ابو مسلم المراد انه العاقل لا ينبغى ان يستعجل عذاب الآخرة
لان يوما واحدا من ايام عذاب الله فى الشدة كالف سنة من سنينكم لان ايام الشدائد مستطالة او كالف سنة من سنى العذاب
اذا عدتها العادة وذلك لشدة العذاب ايضا وقيل اراد ان اليوم الواحد والالف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذى
لا يعجزه شىء فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا ايضا امهال الالف سنة وقد يدور فى الخلد ان هنا اشارة الى لا
تناهى طرف الابد المستتبع لازديادا وامتدادا لاحاد الاعتبارية لاجل ضبط الشهور والمرض ان من كانت ايامه فى الطول
الى هذا الحد لا استعجال بالنسبة اليه شيئا فالاولى بل الواجب تفويض الامور الحادثة الى المقدر لها من غير تقدم ولا
تاخر ثم كرر قوله وكاين من قرية وليس بتكرار فى الحقيقة لان الاول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير
ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك والثانى سيق لبيان الامهال مناسبا لقوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
فكانه قيل وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الى فلا بد من حكمى ثم امر رسوله بان
يتلو عليهم جملة حاله فى الرسالة وهى انه نذير مبين وجملة حاله فى باب التكليف ثم لاوانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن
البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا ايها الناس وهو نداء للكفرة فى
قول ابن عباس قال فى الكشاف هم الذين قيل فيهم افلم يسيروا فى الارض ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم
ليغاظوا قالت الاشاعرة اما للصغائر او للكبائر بعد التوبة او قبلها والاولان واجبان عند الخصم واداء الواجب لا يسمى
غفرانا فيبقى الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من اهل القبلة اما الرزق فلا شك انه الصواب واما الكريم فاما ان يكون
امرا سلبيا وهو ان يكون الاكتساب معه بحيث يستغنى عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل وما يجر الى المآثم والمظالم واما ان يكون

ثبوتيا وهو ان يكون رزقا كثيرا او ايماء الى الصاعين بشوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال والذين سعوا فى آياتنا اى بذلوا جهدهم
فى تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا اى يمشى مشيا معاجزين اى الاهل السعة عاجزة سابقة لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز
الآخر عن اللحاق به فاسبقه قيل عجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله اى معتقدين ذلك ظانين منهم ان كيدهم للاسلام يتم
لهم وان طعنهم فى القرآن وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم بين انه لا مساوة بالانبياء السالفة والرسل السابقة
فى كل ما يأتى ويذر فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى خصصوا لانهم عم فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا
فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بان يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحى فى المنام او يخبر
بذلك رسول فى عصره ولا بد للكل من المعجزة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين فى سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم لما شق
عليه اعراض قومه عنه تمنى فى نفسه ان لا ينزل عليه شىء ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا فى نادى
من انديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فاخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وكان ذلك التمنى فى نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته حتى ختم السورة فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى من المسلمين والمشركين
فتفرقت قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر فاتاه جبريل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به
عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية واعترض المحققون على هذه الرواية
بالقرآن والسنة والمعقول اما القرآن فكقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
وقوله ما ينطق عن الهوى وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن من الركون فكيف يثبتوا اما السنة فهى ما روى عن
محمد بن اسحق بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن
الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخارى
فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق واما
المعقول فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث لنفى الاوثان فكيف يثبتها وايضا انه بمكة لم يكن متمكنا من القراءة والصلوة عند
الكعبة ولا سيما فى محفل عام وايضا ان معاداتهم اياه كانت اكثر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة
الامر وايضا منع الشيطان من اصله اولى من تمكينه من الالقاء ثم نسخه وايضا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان من الشرع
ولنافى قوله بلغ ما انزل اليك وحال الزيادة فى الوحى كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فللائمة فى تاويل الآية قولان
الاول ان التمنى بمعنى القراءة كما سلف فى البقرة فى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وما المراد بعضه
القراءة فيه وجهان **احدهما** انما يجوز ان يسهو النبى فيه ويشتبه على القارى دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى
وثانيهما ان قراءة هذه الكلمة وانها قد وقعت بعينها وكيف وقعت ذهب جماعة الى انه لما قرأ سورة والنجم اشتبه على الكفار
فسمعوا بعض الفاظه ذلك وزيف بان هذا اليوم من اعجم المنير بعيد وقيل ان شيطان الجن القاها فى البين فظنها الحاضرون
من قول الرسول وضعف بان هذا يقضى الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبى قلت الانصاف انه غير ضعيف ولا يقضى الى
ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه
فى حال الصلوة ويسمعون قراءته ويلغون فيها فى اثنائه وقيل ان المتكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم قاله سهوا كما روى
عن قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب انه يكون بالقاء

الشيطان وضعف باستلزامه زوال الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبان مثل هذا الكلام المطابق لغواضل السورة يستبعد وقوعه
وتعالى وزعم قوم ان الشيطان اجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وذهب جماعة الى انه قال
ذلك اختيارا ثم انها باطلة لا فيه وجهان **اما الاول** ففيه طريقان **احدهما** قول ابن عباس في رواية ان شيطانا
يقال له الابيض اتاه على صورة جبرئيل والقاها اليه فقراها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاءه جبرئيل واستعرضه فقراها فلما بلغ الى
تلك الكلمة قال له جبرئيل فقال النبي انه اتاني على صورتك فلقنها على لساني **وثانيهما** انه لشدة حرصه على ايمان القوم ادخل هذه
الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان ضعيفان عند المحققين لان الاول يقتضي ان النبي لا يميز بين الملك المعصوم
والشيطان الخبيث والثاني يؤدي الى كونه خائنا في الوحي **اما الوجه الثاني** فتخصيصه انه اراد بالغرانيق الملئكة وقد
كان قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد الهتهم نسخ الله تلاوتها وهي في تقدير الاستفهام بمعنى الانكار والمراد
بالاثبات ههنا النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا قال الجوهري الغرنيق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق واذا
وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وغرنوق بالضم وغرانق وهو الشاب الابيض والجمع الغرانيق بالفتح
والغرانيق **القول الثاني** ان التمني بمعنى الطلب ومعنى الاية ما من نبي الا وهو بحيث اذا تمنى امرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل
ويدعوه الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ما هو الحق ومالك الى وسوسته فيراه ان يتمنى ما يتقرب به الى المشركين
من ذكر الهتهم بالخير وقد قصده اصاده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحي بسرعة دون تاخيره فنسخه الله تعالى بان ذلك خاطر غير [illegible]
وانما المصلحة في انزال الوحي على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر في تاويل المجمل فيلقي الشيطان في جملة ما هو غير مراد وكان يرده
الله سبحانه الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا اراد فعلا يتقرب به الى الله سعى الشيطان بينه وبين مقصوده والله
تعالى ينبهه على ذلك بنظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بان تمني الطلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وللقاسية
قلوبهم وهم المشركون واجيب بانه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الاحوال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة
لمن ضعفت عقيدته في النبي والحاصل ان الرسل لا ينفكون عن السهو وان كانوا معصومين عن العمد فعليهم ان لا يتبعوا
الا ما يقطعون به لصدوره من عام وذلك هو المحكم وذهب ابو مسلم الى ان حاصل الاية هو ان كل نبي من جنس البشر الذين
هم بصدد الخطاء والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم من هذه الاية والتي قبلها انه امر بان يقول انما انا نذير لكني
من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا بل ارسل رجالا وقد يوسوس الشيطان اليهم وعلى هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء
الشيطان عليهم اعظم درجة من الانبياء واقوى حالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم
كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت ومكن لا يتم له عليه ما يتمنى ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم
مثل ما القى في امنيتك حتى سبق لسانك بقلك الغرانيق الخ وسبب التمكين اراده امتحان من حولهم والله سبحانه
ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين فهذا
محصل اقوال المفسرين في الاية اما قوله فينسخ الله فالمراد ازالة تاثير ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي لا النسخ
الشرعي المستعمل في الاحكام وقوله ثم يحكم الله اياته فالمراد بالايات هي ايات القران انه يجعلها بحيث لا يختلط بها شيء من كلام
غيره فيكون يانيه في مكانها او يجعلها بحيث لا يتطرق اليها تاويل فاسد معمول به عند الامة ويحتمل ان يكون المراد باحكام
الايات الارشاد الى ادلة الاحكام الشرعية وقوله وان الظالمين اراد المنافقين والمشركين المذكورين الا انه وضع الظاهر
موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم والشقاق البعيد المعاداة الكاملة واعلم ان الله سبحانه ذكر التمكين الشيطان في الالقاء في الاماني

الامنية اثرين **احدهما** في حق غير اهل الايمان وهم اهل النفاق والشرك وذلك قوله ليجعل الاية **وثانيهما** في حق المؤمنين العارفين بالله
وصفاته وهو قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق قال مقاتل يعني القران وعن الكلبي اي النسخ وقال الجبائي اي تمكين الشيطان
من الالقاء قلنا اما عند الاشاعرة فلان المالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واما عند المعتزلة فان افعاله جارية على وفق
الحكمة والتدبير فيخبت فتخضع وتطمئن له قلوبهم بالقطع بان الله الهادي للمؤمنين والصراط المستقيم ههنا فسروه بالتاويلات الصحيحة
والبيانات المطابقة للاصول قلت وتغييره بمعنى اتم ذلك عنه ما بين ثم بين ان الفضلاء الى قيام الساعة لا يخلو امن يكون في شك
من القران او الرسول واليوم العقيم قيل يوم بدر لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملئكة فيه او لانه لا خير فيه للكفار من قولهم
ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لان يوم الحرب يقال له العقيم من حيث ان يكون اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن او من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقي اليوم بلا ابناء وعن الضحاك انه يوم القيمة لانهم
لا يرون فيه خيرا او لانه تكل ذات حمل تضع فيه حملها او لانه لا دليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على عدم الولادة ولا تكرار على هذا
القول لان المراد بالساعة مقدماته او المراد حتى تاتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم مقام الضمير واستحسن
بعض الايمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه ان الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك فانهم في مرية بعد يوم بدر
ايضا ويمكن ان يقال او للمنفصل والانفصال فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا انه للمنفصل على
ما تيهم الا ان اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على البعض انتهى شكهم في بدر وعلى الذين لا ينتهي شكهم الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد
بالساعة وقت موت كل احد وبعذاب يوم عقيم القيمة ثم بين انه لا مالك يوم تاتي الساعة الا الله وانه يحكم بين الناس فيميز
بين اهل الجنة واهل النار ثم افرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فانزل الله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة
الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا من الاوطان في سرية او عسكر ولا يبعد حمل الاية على الامرين والرزق الحسن نعيم
الجنة وعن الكلبي هو الغنيمة لانها حلال وقال الاصم العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف الوجهان
بانهما ممتنعان بعد القتل او الموت قال العلماء وانما ظهرت الفضيلة للمهاجرين في مزيد الدرجات والا فلابد من شرط
اجتناب الكبائر كما في حق غيرهم وان الله لهو خير الرازقين لان رزق غيره ينتهي اليه عز وجل لا يقدر على مثل رزقه ولان رزقه لا يختلط
بالمن والاذى ولا بغرض من الاعراض الفاسدة ولانه يرزق ويعطي ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك
من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان غير الله يقدر على الرزق وهو الموفق ويمكن ان يجاب بانه
مجاز على سبيل التوسع والتقدير وليس في الاية دليل ظاهر على ان المهاجر الميت على فراشه مساو للمقتول في الاجر لان العطوف
منهما هو الجمع بينهما في الوعد وقد يستدل على التسوية بما روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل
الله والمتوفى في غير سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع في ذكر
مسكنهم فقال ليدخلنهم مدخلا يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون الف مصراع وقال ابو القسم القشيري
هو انه يدخلهم الجنة من غير مكروه متقدم وقال ابن عباس يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا وان الله لعليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم فيمهله
حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين ان ما تقدم من الكرامة لهم في الاخرة لا يمنع نصرهم في الدنيا قيل ان يقتلوا او يموتوا فقال ذلك
قال الزجاج ان الامر ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا او ماتوا عقبه بانه ينصرهم ايضا من قوم من

المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم
فناشدهم المسلمون ان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا عليهم فوقع
في انفس المسلمين شيء من القتال في الشهر الحرام فنزلت ومن عاقب اي قاتل بمثل ما عوقب به اي كما ابتدئ بقتاله سمي الابتداء
باسم الجزاء للطباق وللانسة من حيث ان ذاك سبب وهذا مسبب عنه ثم بغي عليه اي ثم كان المجازي مبغيا عليه اي مظلوما
ومعنى ثم تفاوت الرتبة لان كونه مبدوا بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادي اظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا ان كونه في
نفس الامر مظلوما هو السبب الاصلي في النصر وعن الضحاك ان الاية مدنية وهي في القصاص والجراحات واستدل الشافعي
بها في وجوب رعاية المماثلة في القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفي ختم الاية بذكر العفو والمغفرة
وجوه منها ان المندوب للمجني عليه هو ان يعفو عن الجاني كقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وكانه قال انا ضامن لنصرته وان
ترك الانتقام وطلب ثاره ما هو اولى به فاني عفو غفور ومنها انه ضمن النصر على الباغي وتوخ بذكرهما ان المتصفين بما يليق
بالجاني وهو العفو والصفح ومنها انه دل بذكرهما على انه قادر على العقوبة لان العفو عند المقدرة ثم بين ان ذلك النصر بسبب
انه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وذلك ان زيادة احدهما تستلزم نقصان الاخر واراد تحصيل
احد العرضين الظلام والضياء في مكان الاخر وقيل في اوائل آل عمران وفيه انه خالق الليل والنهار ومصرفهما في الادوار
والاكوار لا يخفى عليه شيء من الزمانيات خيرا او شرا ايضا فاولى نعتا واكد هذا المعنى بقوله وان الله سميع بصير يسمع اقوال
الخلائق ويبصر افعالهم ثم بين ان كمال القدرة والعلم هو مقتضى وجوب الوجود فقال ذلك اي الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة
بما يجري فيهما بسبب ان الله هو الحق في ذاته واجب وجوده ولا سيما الاوثان موسوم بالبطلان فلا ينفعها الامكان ويعلم انه بما ذكر انه
لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا وانما قال ههنا من دونه هو الباطل زيادة هو وفي لقمن من دونه الباطل لان هذه وقع بين عشر
ايات كل اية مؤكدة مرة او مرتين ولهذا ايضا زيدت اللام في قوله وان الله لهو الغني الحميد بخلافها في لقمن ايضا ويمكن ان يقال
تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان ولهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمن فانه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بنحو ما ذكر ههنا
ثم ذكر انواعا اخر من دلائل قدرته ونعمته فقال الم تر خبر في رؤية البصر لان نزول الماء من جهة السماء واخضرار النبات من
المبصرات وقيل بمعنى العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها وفي قوله فتصبح دون ان يقول فاصبحت مناسبا
لان الاشارة الى بقاء اثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول تقول قول القائل انعم فلان علي عام كذا
فاروح واغدو شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لايهام عكس ما
هو المقصود لانه يوهم نفي الاخضرار كما لو قلت لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره
شاك في تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت لشكره بطريق الاستمرار ولا يبعد ان يكون هذه الاية اشارة الى دليل الاعادة
كما في اول السورة وهذا قول ابي مسلم ان الله لطيف خبير قال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال خلقه وقال مقاتل لطيف
باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذه في
اواسط الانعام ثم بين ان كل ما في السموات والارض ملكه وملكه لا يمتنع شيء منها من تصرفه فيه وهو غني عن كل ذلك وانما
خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر والنبات خلقهما رحمة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاليا عن غرض
عائد اليه كان مستحقا للحمد الواجب هو حميد في ذاته وان لم يحمده الحامدون **التاويل** وكاين من قرية
قالب اهلكناها بضيق الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة وبئر معطلة هي القالب العاري عن اعمال التقوى على الحق حاسه
في طلب المعارف والحقائق وقصر مشيد هو الراس الخالي عن نتائج الفكر الصافي والعقل السليم افلم يسيروا في ارض البشرية عابرين

عابرين على منازل السالكين الى ان يصلوا الى مقام القلب فيكون لهم قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته او اذان القلوب يسمعون بها
اذان الله وابصار مصابيح يبصرون بها افعال الله واذاح وصف القلوب بالسمع والبصر وصفه ببيان وجه الادراكات فقد يدرك
نسيم الاقبال بمشام السر كقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن وكقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف ولن يخلف الله وعده يشير
الى وعيد المؤمنين يخلف في الحقيقة لانه تصديق قوله سبقت رحمتي غضبي وان يوما عند ربك كالف سنة قيل الانسي جل الزمان
وليس عنده صباح ولا مساء لانه موجد الزمان وعلمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وصف ... وانما يتصور في القران قلت فيه
ان الكل بارادته وان ما ... قلبا بمشيئته يحصل في يوم بارادته ما لا يحصل في الف سنة بجهد في فرضنا وتقديرنا ومن هنا قيل
جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين املت لها فيه انه تعالى يمهل ولكنه لا يهمل لهم مغفرة لستر فمنهم من يستر ذلته ومنهم من
يستر حلية اعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة ومنهم من يستر طيبة حاله لئلا يصيبه من الشهرة فتنة كما قيل شعر لا تنكرن جحدي
هواك فانما ذاك الجحود عليك ستر مسبل ومنهم من يستر بينه وبين ما يبديه في قباب العزة كما قال اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنهم
من يستر انانيته بهويته فيقول انا الحق وسبحاني والرزق الكريم هو الخالي عن شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا تمنى
فيه ان النبي او الولي لا يليق به التمني بل اما على الرسول الا البلاغ والاعلى الولي الا الرضا والتسليم فلو تمنى في احدهما في ملاحظة الغير انه
كالحرص على ايمان القوم وفي مقام به ابتلاه الله بسلاه مجال الشيطان في امنيته بقوله وعلا فيذكره العتاب الازلية ويزيل الخاطر الشيطاني
ويحمله على الخاطر الرحماني ولا يكون لدخان الفتنة تاثير في نور يقينه كما لا تاثير للضباب في شعاع الشمس بخلاف من في قلبه ظلم الشبهات
فان ذلك الدخان يزيدها كدورة وديناحق ... ساعة الاستعداد بالكلية او ياتيهم عذاب يوم عقيم هو الابد لانه لا
ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصل بعدها والذين هاجروا عن اوطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة
حتى تركوا انفسهم او ماتوا عن اوصاف البشرية ليرزقنهم الله رزقا حسنا في رزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات
الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من اوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس المخالفة قلبه ثم بغي عليه اي غلبت النفس على
القلب باستيلاء صفاتها لينصرنه الله باستيصال النفس وتحقيق صفاتها ان الله لعفو لما سلف غفور لما بقي في نفوس الطالبين
من الانانية يولج ليل الستر في نهار التجلي وبالعكس ويولج ليل القبض في نهار البسط وليل الهيبة في نهار الانس انزل من سماء
القلب ماء الحكمة فتصبح ارض البشرية مخضرة بالشريعة وارض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله الموفق

الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره
ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرءوف رحيم ۝ وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ان الانسان لكفور ۝ لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ۝

وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم
يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ه الم تعلم ان الله يعلم
ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على
الله يسير ه ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به
علم وما للظالمين من نصير ه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في
وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين
كفروا وبئس المصير ه يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ه ما
قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ه الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير ه يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ه يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون ه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل

عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير ه

القراءة لم يزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالتشديد يسطون بالصاد مثل يبصطة في البقرة الذين يدعون بياء الغيبة سهل ويعقوب **الوقوف** بامره ط باذنه ط رحيم ه احياكم ز لانه لترتيب الاخبار كفروا المصير واستمعوا له اجتمعوا له يجيبكم ط لكفور ه ربك ط مستقيم ه يعملون ه تختلفون ه والارض ط كتاب ط يسير ه علم ط نصير ه المنكر ط اياتنا ط ذلكم ط النار ط كفروا ط المصير ه واستمعوا له ط اجتمعوا له ط منه ط المطلوب ه قدره ط عزيز ه ومن الناس ط بصير ه خلفهم ط الامور ه يفلحون ج للاية مع الاية بعده جهاده ط حرج ط ابرهيم ط الناس ج للعطف مع العارض بالله ط موليكم ج النصير ه **التفسير** ان من جملة نعم الله تعالى على عباده تسخير الاشياء وتذليلها لهم فلا اصلب من الحديد والحجر ولا اشد نكاية من النار وقد سخرها للانسان وسخر لهم الانعام ايضا ينتفعون بها بالاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسخر لهم الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك حال كونها جارية بامره وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المضادة لسهولة جريها ولا ريب ان الانتفاع بالارضيات لا يتاتى الا بعد الامن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بان حفظها كيلا تقع او كراهة ان تقع على الارض وذلك بمحض الاقتدار عند اهل الظاهر او بان جعل طبعها هو الاحاطة بما في ضمنها لا خفة فيها ولا ثقل ولهذا اختصت بالحركة على المركز ومن في قوله الا باذنه اشارة الى ان الافلاك ستخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل ان يقال لو وقع على الارض لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الاية ثم ذكر الانسان مبداه ومعاده فقال وهو الذي احياكم نظيره قوله في البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقد سبق هنالك وفي قوله ان الانسان لكفور زجر لهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس انه الكافر وبعضهم جعله اخص فقال ابو جهل واحزابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان ان امر التكاليف مستمر على ما في هذه الشريعة فقال لكل امة الاية وقال في الكشاف انما ترك العاطف هاهنا بخلاف نظيرتها في السورة لان تلك مناسبة ما بعدها وهذه مباينة لما قبلها ولذلك لا ادري من ههنا نحو السورة عن مجاهد ذكر المعارف الى الوسط الذي هو حالة التكليف والاقرب ان المنسك في هذه الاية هو الشريعة كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقيل اراد مكانا معينا او زمانا معينا لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبائح ولا وجه للتخصيص وهو النهي والامتناع من ان يكون قد بقيت اثار دينهم او لم يبق اما الضمير في قوله فلا ينازعنك فلا يبرز حيهم الى الامم الباقية اثارهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج انه نهي لهم عن منازعتهم كما يقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وذلك ان المفاعلة تقتضي العكس ضمنا وقال في الكشاف هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اى لا يلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك وهو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى امر الدين وكانوا
يقولون فى الميتة ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله ومنه يعلم استقرار امر الديانة على كل امة من الامم التى بقيت منها
بقية ان يتبعوه ويتركوا مخالفته ولذلك قال وادع الى ربك اى لا تخص بالدعوة امة دون امة فان كلهم امتك انك لعلى هدى
مستقيم اى على دين وسط ودليل ظاهر وان ابوا الا الجدال فكلهم الى الله قائلا الله اعلم بما تعملون وفيه وعيد وانذار مخلوط
برفق ولين الله يحكم بينكم اى يفصل بين المؤمنين والكافرين منكم يحتمل ان يكون من تتمة المقول وان يكون ابتداء خطاب من
الله سبحانه للامم المرتفع خطاب لكل ظاهر او للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد تقوية قلبه والازالة لا تكون الا بعد العلم بكونه
تعالى عالما بكل المعلومات والا اشتبه عليه الصادق بالكاذب ان ذلك الذى ذكره هو كل ما فى السماء والارض فى كتاب قال
ابو مسلم اراد به الحفظ والضبط كالشئ المكتوب والجمهور على انه حقيقة وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه ولعل فى ذلك الكتاب
لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما سيحدث الى الابد من ادل دليل على كونه عالم الذات الذى ذكر وهو كل
ولذلك قال ان ذلك الكتب على الله يسير وهذا تصوير لعظمته وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والاولى ان يخلو الشبهة والصعوبة
فى كمال قدرته وحين بين كمال الوهيته قطع شأن اهل الشرك بقوله ويعبدون الاية والمراد انهم لم يتمسكوا فى صحة
عبادته بدليل سمعى ولا علم ضرورى وقوله وما للظالمين من نصير الظلم الشرك والنصير اما بالشفاعة او بالحجة والاول
الالحق وهو كقوله فى اخر ال عمران وما للظالمين من انصار وقد تقدم والمنكر دلائل الغيظ والحنق وقال جار الله
هو التطيير من التجهم والبسور وهو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقال الكلبى اذا تلى عليهم القران مع وضوح دلائله
وقال ابن عباس هو التجبر والترفع وقال مقاتل انكروا ان يكون من الله تعالى السطو الوثب والبطش اى يبطشون بالبطش والوثب لعظم
انكار ما يتلى عليهم وقوله من ذلكم اشارة الى غيظهم على التالين او الى همهم بالسطو ثم انه كان سائلا قال ما ذلك الشر فقيل النار
اى هو النار قلت وذلك ان حرارة الغيظ والسطو تشبه حرارة النار ولكن هذه اقوى ولا سيما نار جهنم ثم استانف للنار
حكما فقال وعدها الاية ويحتمل ان يكون النار مبتدأ وعدها خبرا ثم ضرب للاصنام مثلا فقال يا ايها الناس ضرب مثل انما
قال بلفظ الماضى لانه معلوم من قبل لكل ذى عقل والمثل يجئ المثل استعاره لجملة من الكلام مستقرية مستقصى متلقاة بالرضى
والقبول اهل التيسير والارسال وذلك انهم جعلوا ممن يمثل المثل او يرد هاهنا استعار واهنا المستعار للقصة او الحالة او
الصفة المستغربة لما انهما فى الغرابة وهذا هو الذى تصدق الاية فاستمعوا له اى تدبروه وحوله ذلك فان السماع المجرد لا
نفع له قال جار الله محلا ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا
فكيف لو انفردوا وقرأ الطائر ان لن هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه تقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب
لن يخلقوا ايضا وليس من شرط كل مجال ان يكون له محل ثم زاد فى تجهيلهم وتحقيرهم تاكيدا بقوله وان يسلبهم الذباب الاية يعنى ترك
امر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل منه وذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذى لا قدرة لهم على خلقه لو سلب منهم شيئا لم يقدروا
ايضا على استخلاصه وذلك الشئ عن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فياكله وقيل سمى الذباب ذبابا لانه كلما ذب اب ثم عجب من ضعف الاصنام والذباب بقوله ضعف الطالب
والمطلوب فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ ما سلبه منه وقوله الطالب عابد الصنم والمطلوب
هو الصنم اى عبادته ويجوز ان يكون الطالب هو السالب والمطلوب المسلوب ثم بين ان المشركين الذين عبدوا من دون الله الهة
يعنون المثابة ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته وقد مر مثله فى الانعام ان الله لقوى عزيز قادر غالب فكيف يسوى
بينه وبين العاجز المغلوب فى العبادة وهى نهاية التعظيم وذلك انهم لو اعتقدوا انها تماثيل الملائكة كون تلك الاصنام طلسمات

طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا لم ينفع نفسها فى المقدار المذكور فلان لا ينفع غيرها اولى وان اعتقدوا انها تماثيل الملائكة والانبياء
فلا يليق بها غاية الخضوع التى يستحقها خالق الكل وحين رد على اهل الشرك معتقدهم فى الالهيات اراد ان يرد عليهم عقيدتهم
فى النبوات وهى ان الرسول لا يكون بشرا فقال الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس فالملك رسول الله الى النبى والنبى رسول الله الى
البشر قال مقاتل هاهنا سؤالان **الاول** ان من للتبعيض فتفيد الاية ان بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة
رسلا والجواب ان الموجبة الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية او المراد بهذا البعض من هو رسول الى بنى ادم وهم اكابر الملائكة ولا يبعد
ان يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض اخر منهم **وثانيهما** انه قال فى موضع اخر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء وقد نفى فى هذه الاية ان بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الايتين انه قد اصطفى ولدا والجواب ان تلك
الاية دلت على ان كل ولد مصطفى ولكن لم يلزم من هذه الاية ان كل مصطفى ولد فلم يحصل ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين
فى الشكل الثانى لا تنتجان هذا ويحتمل ان يكون هذه الاية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الاية المتقدمة مسوقة للرد
على عبدة الاصنام اذ يعلم من هذه ان علو درجة الملائكة ليس لكونهم الهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة حين كانوا عبادا مكرمين لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم بين علو شانه وكمال علمه واحاطته باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر وان مرجع
الامور كلها اليه وفى كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد فى الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود فقال يا ايها الذين
امنوا والظاهر ان الخطاب مختص بالمؤمنين ويؤكده قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو سميكم المسلمين وقيل عام لكل المكلفين ما مضى منها
وما غبر وان مرجع الامور كلها اليه وفى كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد فى الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود
فقال يا ايها الذين امنوا والامر المامورات بعد لا تختص ببعض الناس دون بعض والتخصيص بالذكر للتشريف فانهم الذين قبلوا
الخطاب وعدل بالركوع والسجود على الصلوة لانهما ركنان معتبران وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا
سجود فامروا ان يكون صلاتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس قال جار الله عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان
قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراها وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعى واما ابو حنيفة فلا يرى
هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود قال وقيل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة قدم الصلوة لانها اشرف العبادات ثم عمم فامر
بالعبادة مطلقا ثم جعل الانواع وهو فعل الخيرات الشامل للنوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كانه قال كلفتكم الصلوة
بل كلفتكم ما هو اعم منها وهو العبادة بل كلفتكم ما هو اعم وهو فعل الخير على الاطلاق وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله عن مجاهد عن ابن عباس ان فعل الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق ومعنى لعلكم تفلحون افعلوا كل ذلك راجين للفلاح
وهو الظفر بنعيم الاخرة لا متيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو عن اداء فريضة من تقصير والعواقب ايضا مستورة ثم امر
بخلاف النفس والهوى فى جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال وجاهدوا فى الله اى فى ذاته ومن اجله حق جهاده اى حق الجهاد فيه
او حق جهادكم فيه فاضاف الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولادنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو امر بالغزو
وامر ان يجاهدوا اخرا كما جاهدوا اولا فقد كان جهادهم فى الاول اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صنيعهم يوم بدر وعن عمر انه
قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى اخر الزمان كما جاهدتم فى اوله فقال عبد
الرحمن ومتى ذلك يا امير المؤمنين فقال اذا كانت بنو امية الامراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لعل هذه الرواية فلعل هذه
الزيادة هى تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القران والا لتواترت واما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده
اى لا تخافوا فى الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله وقال اخرون استفرغوا ما فى وسعكم فى احياء دين الله واقامة حقوقه
باليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا النفس عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبى ان الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم

كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف ان التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شان المكلفين
بقوله هو اجتباكم اى اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا ثم كانه لقايل ان يقول التكليف وان
كان تشريفا الا انه فيه مشقة على النفس فقال وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق وشدة وذلك انه فتح باب التوبة ووسع
على المكلفين بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش يروى انه ابا هريرة قال كيف قال سبحانه ما جعل عليكم فى الدين من حرج
مع انا منعنا عن الزنى والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم قالت المعتزلة لو خلق الله فيه
الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج ثم اثنى على هذه الامة بقوله ملة ابيكم اى اعنى بالدين ملة ابيكم ويجوز ان ينتصب بمضمون
ما تقدم كانه قيل وعورض بانه نهاه عن الكفر مع انه علم ذلك منه وكان انه مع علم الله جهلا وهو اعظم الحرج ثم اثنى على هذه الامة بقوله ملة
ابيكم اى اعنى بالدين ملة ابيكم ويجوز ان ينتصب بمضمون ما تقدم كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فاقام المضاف واما كان
ابرهيم ابا هذه الامة لانه ابو الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بمنزلة ابو امته والمراد ان التوحيد والحنيفية هى ما شرعه ابرهيم هو اى الله
او ابرهيم سميكم المسلمين من قبل اى فى ساير الكتب او فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وفى هذا القران اما ان كان المسمى هو الله
فظاهر واما ان كان هو ابرهيم فلعله انه حكاية دعايه مذكورة فى القران وقوله ليكون الرسول متعلق بقوله هو اجتباكم
اى فضلكم على الامم لهذا الغرض نظيره قوله فى البقرة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا والاصل تقديم الاية كما فى البقرة لان الخطاب معهم
وليقع الختم على شهادة الرسول كما هى الواقع الا انه عكس الترتيب فى هذه السورة لينا سبه قوله فاقيموا والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوا
واعتصموا بالله اى تقلبوا واستعينوا بالطاعة وعناية قال ابن عباس سلوا العصمة عن كل المحرمات وقال الاخرون اجعلوه عصمة لكم
مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالاية فى ان لم اند يريد الايمان من الكل من وجوه **الاول** ان اراد ان تكونوا شهدا
ولن تكونوا كذلك الا اذا امنوا **الثانى** انه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة **الثالث** انه لو خلق فى عباده
الكفر والمعاصى لم يكن نعم المولى واجيب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل ان ارادة الشى ان كانت مستلزمة لارادة لوازمه فارادة
الايمان من الكفار يستلزم ان يكون الله تعالى مريدا لجهل نفسه وان لم يستلزم سقط السوال وايضا الاعتصام به انما يكون منه كونه
اعوذ بك منك وايضا انه خلق الشهوة فى قلب العاشق وخلق المشتهى وقربه منه ودفع الموانع وسلط عليه شياطين الانس والجن فلو
لم يكن كل هذه مقتضيه لكونه نعم المولى لم يكن خلق الكفر ايضا مقتضيا لذلك **التاويل** سخر لكم ما فى ارض البشرية من الصفات
الحيوانية والشيطانية وسخر فلك الواردات الغيبية تجرى فى بحر القلب ويمسك سماء القلب ان تقع على ارض النفس بان يتصف بصفاتها
الا باذنه بعد ما اباحت الشرع من ضرورات الماكول والملبوس وعيرهما هو الذى احياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات
البشرية ثم يحييكم بنور الصفات الربانية فلا ينازعنك فى امر كان لكل امة قوتا لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولكل قوم رتبة
لا يتجاوزونها ان الذين تدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يطلعوا على كيفية خلق ذباب وان يسلبهم ذباب هو
اخس الخنوس شيا من صفات القلب وجمعية الوقت ضعف الطالب وهو المطلوب عن المزيد بعد الايمان والمطلوب وهو النفس وا
لشيطان اركعوا بالنزول عن رتبة الانسانية الى الخضوع بالحيوانية ومنهم من يمشى على اربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم
والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بجعل الطاعة تبعا للصدق وافعلوا الخير بارادة الله فى جميع احوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا
فى الله حق جهاده جهاد النفس بتزكيتها باداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد
الروح بتحليته بانه لا موجود فى الوجود سواه هو اجتباكم لهذه الكرامات حتى بلغ سائر الجهاد ولولا انه اجتباكم ما اهتدى يتم
اليه كما قيل   فلولاكم ما عرفنا الهوى   وما جعل عليكم فى دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تعرض الى
شراتم بناء اليه ذواعا والسير الى الله من سنة ابرهيم اى ذاهب الى ربى سيهدين هو سميكم المسلمين فى الازل وفى هذا

هذا الطهور فانما قدم الرسول لانه روحه فى طرف الازل مقدم اول ما خلق الله روحى فهو مشرف وقت شرف على ارواح امته وبعد
ذلك خلقت ارواح امته مشرفين على احوال غيرهم وفى سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على رسوله وعلى شهادته فاقيموا
الصلوة بخلع السير والعروج الى الله والتعظيم لامره واتوا الزكاة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل
الله حتى تصلوا اليه هو مولاكم الخالق لكم فنعم المولى فى فنا وجودكم ونعم النصير فى ابقاء ربكم وليست الحق وهى بهدى السبيل

سورة المومنون مكية حروفها اربعة الاف وثمانية كلماتها الف وثمانية واربعون اياتها مائة وثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو
معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق

غافلين ۝ وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا
على ذهاب به لقادرون ۝ فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب
لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون ۝ وشجرة تخرج
من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ۝ وان لكم في
الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة
ومنها تاكلون ۝ وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين ۝ ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به
حتى حين ۝ قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل
زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون ۝ فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ۝
وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين

المنزلين ۝ ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ۝

القراءات لاماناتهم على التوحيد ابن كثير على صلوتهم موحدة حمزة وعلي وخلف عظما العظم موحدين على ارادة الجنس او
على وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وابو بكر وحماد وجبلة الاول موحدا والثاني مجموعا زيد عن يعقوب وروى
المفضل عن ابي زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر السين ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بفتحها تنبت من الانبات
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير رويس الآخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو
بكر وحماد بالتاء الفوقانية الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر الزاي ابو بكر وحماد الآخرون بضم الميم وفتح الزاي

الوقوف الجزء الثامن عشر المؤمنون لا مرضون لا فاعلون لا حافظون لا ملومين ج لاعتراض الاستثناء
بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والاولى اتيان من اوصاف المؤمنين ايضا العادون ج راعون لا يحافظون ج
والاولى تخصيص الارث بالمذكورين في الآيتين فقط الوارثون لا الفردوس ط خالدون لا طين ج للعدول عن الظلم الى الحكاية
عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء في جعلناه جنسه لكنه مع عطف ظاهر مكين لا للعطف لحما ق قد قيل للابتداء
بانشأناه خلق الروح نعظما اخر ط الخالقين ط لان ثم لترتيب الاخبار فان بين الاحياء والافناء مهلة لميتون لا لذلك لقادرون ج
للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء واعناب ليلا يوهم ان الجار والمجرور صفة اعناب تاكلون لا لان شجرة معطوف انشأنا للآكلين
لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تاكلون لا تحملون ج غيره ط تتقون مثلكم لا لانه وما بعده صفة بشر عليكم ط
ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج للآية مع اجتناب الابتداء بمقول الكفار مع اتحاد المقول الكلام حين
كذبون التنور لا لان ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار
اللام او الفاء للتعليل مغرقون الظالمين المنزلين لمبتلين

التفسير لما انجز الكلام في السورة المتقدمة
الى الختم بالصلوة والزكوة بدأ في هذه السورة بذكر فضائلها وفضائل ما ينخرط في سلكها من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد
نقصه لما لا انها تثبت الواقع ولما تنفيه ولاشكال المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبوت الفلاح لهم وقد
مر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام في اول البقرة واما الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله
من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقي عن كف الثوب والعبث بجسده وثيابه
والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل لان يضع وسط الثوب على رأسه او على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة
والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو ان يمسك بيده عصا او سوطا ويتكئ عليها والحصر ابن سيرين كان المسلمون يرفعون
ابصارهم الى السماء في صلوتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه الآية تطأطأ وكان لا يجاوز بصره مصلاه
وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن ابي طالب المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلوته وعن الحسن
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا
صلوة له وروي عنه صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها او عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وادعى
عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على انه ليس للعبد الا ما عقل من صلوته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه افلا يتدبرون
القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله واقم الصلوة لذكري والغفلة تضاد الذكر وقوله ولا تكن
من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون فيه نهي السكران والمستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي
يناجي ربه والمناجاة مع الغفلة لا تجامع سائر الاركان فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكوة كسر

الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قامع للقوى كاسر لسطوة الهوى الداعي الى نسيان الله وكذا الحج فانه انما اهانة وفيه من المجاهدة ما
يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون ايضا اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع وقالوا لان السجود لله تعالى
طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما عين الآخر في ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور
واما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يرجون ذلك فيقال لهم هبوا انه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء اليس هو من
شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على احسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة
والاستخفاف الا انه يستحق المدح في الصورة الاولى والذم في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو
يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت قلت لا ريب ان الاحتياط انما هو في رعاية جانب الخشوع كما حكي
عن بعض العلماء انه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني الشافعي وان قرأتها مع
الامام ان يعاتبني ابو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلوة
اليهم هو ان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته واما المصلى له فغني عن
ذلك ولما كان اللغو وهو ما سقط من القول او الفعل احتمل ان يقول يقع في الصلوة وانما كان الاعراض عنه من باب التروك كما ان الخشوع
وهو متمم الآداب وما لا يجوز او لا يكمل الصلوة الا به كان من باب الافعال وهي اي الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما
قرينتين فقال والذين هم عن اللغو معرضون واللغو لما قلنا يشمل كل ما كان حراما او مكروها او مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة
قولا او فعلا ففي المدح قوله تعالى حكاية عن اللغو لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ولم يكن مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو ان لا يفعله
ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكوة وهو مناسب للصلوة
وليس المراد بالزكوة ههنا عين العين المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا بد من تقدير مضاف اي اداء
الزكوة واعلى ان المراد فعل المزكي الذي هو التزكية فقوله للزكوة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن ابي مسلم انه حمل
الزكوة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح من تزكى والاول اوجه لانه مناسب لما مر في الشرع **الصفة الرابعة** قوله والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت قال الفراء على بمعنى من وقال غيره هو في موضع الحال اي والين وقوامين
على ازواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة والمعنى انهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم
او تسريهم او تعلق الجار بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على كل من يباشرونه الا على ازواجهم فانهم غير ملومين
عليهن وجوز في الكشاف ان يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي اي لا يتسلطون الا على من
واما لم يقل او من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة التي هي سبب نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر
السلع فمن ابتغى وراء ذلك الحد الذي شرع وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء وكفى به حدا فسيحا فاولئك
هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل الآية دليل على تحريم نكاح المتعة لانها ليست من جملة الازواج لو صح النكاح ولصح من
احكام الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع
ثم ان الآية من العمومات التي دخلها التخصيص لان الآية لا تخرج منها الغلام والوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس موضع حرث
وكذا الزوجة والامة في احوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال ابو حنيفة الاستثناء من النفي ليس باثبات لقوله
لا صلوة الا بطهور ولا نكاح الا بولي فانه لا يقتضي حصول الصلوة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولي فلا تخصيص
عنده في الآية والمعنى انه يجب حفظ الفروج عن الكل الا في حالتين السورتين فاني ما ذكر حكمهما الا بالنفي ولا بالاثبات هكذا نقله

الامام فخر الدين الرازي في تفسيره **الصفة الخامسة** رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشيء المؤتمن عليه وا
لمعاهد عليه ليمكن رعايتهما والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويحتمل العموم والمراد بها الشيء
المؤتمن عليه والمعاهد عليه في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات
والودائع والعقود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر في سورة تفسير قوله ان الله يأمركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقوله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما حملوه من امانات الناس و
عهودهم **الصفة السادسة** محافظة الصلوة كما مر في قوله حافظوا على الصلوات وذلك في البقرة وصفهم اولا بالخشوع
وآخرا بالمداومة عليها وبمراعاة اعدادها واوقاتها فرائض كانت او سننا او رواتب وغيرها فالمحافظة اعم من الخشوع واشمل ومن
هنا يعرف فضيلة الصلوة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلفت الاعتبارات العبادتان اولئك هم الوارثون
الاحقاء بان يسمى وراثا دون غيرهم ممن يرث مالا او متاعا قليلا ومن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين
والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله الذين يرثون الفردوس وقد سبق معنى هذه الوراثة في
الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قال الفقهاء لا فرق في الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك
قالوا الدية ايضا ميراث المقتول وكل من في الجنة فله مسكن معروض في النار على تقدير كفره وكل من في النار فله مسكن معروض
في الجنة على تقدير ايمانه كما ورد في الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع اهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا
بل بعضه بارث وبعضه بالاستحقاق الا انه يصدق بالجملة انهم ورثوا الفردوس اي الجنة ولهذا انث الضمير في قوله هم فيها
خالدون وقيل ان الجنة كانت مسكن ابينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة
او الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وروى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها
الانهار والاشجار وعن ابي امامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها اعلى الجنان وان اهل الفردوس يسمعون اطيط
العرش ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ثلثا
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا احسن العبد الوضوء وصلى الصلوة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها
ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني وتشفع لصاحبها فاذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب
ويضرب بها وجه صاحبها قالت الحكماء اما كلام الجنة فالمراد به انما اعدت للمتقين كقوله قالتا اتينا طائعين وكذا الكلام
في كلام طوبى واما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة واما حديث الصلوة فلا ريب
انها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك ينطق بالشكر ولما حث
عباده على العبادات وعد المؤمنين على مواظبتها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين وهو انه
انواع **الاول** الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة
ولما يسقط عن الشيء كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية في
جعلناه راجعة الى الانسان الذي هو ولد آدم اي جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم
والطين اسم آدم والسلالة هي الاجزاء الطينية المبثوثة في اعضائه التي تجتمع منيا في وعيه ويجوز ان يقال كل انسان آدم
كذلك لان غذاءه ينتهي الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تستحيل منيا وعلى هذا
فكلمة من للابتداء وقال في الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار

المستقر اذا دبر الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانها في نفسها انها مكنت حيث هي واحرزت او على الاسناد المجازي باعتبار المستقر فيها
كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر في اول الحج ومعنى ثم في بعض هذه المعطوفات تراخي الرتبة والاستبعاد في قوله ثم
انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا والمعنى ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع
وذلك بعد استكمال المدة اربعة اشهر ومن هنا ذهب ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده الفرخ لانه يضمن البيضة ولا يرد
الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة وروى العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف الله في اطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها
الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه وبنيته قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ويروى هذا القول ايضا عن مجاهد وابن عمر
فتبارك الله كثر خيره وبركته وهو وصفه بالدوام والبقاء وبالتعالي لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشيء
فقد علاه ومعنى احسن الخالقين احسن المقدرين تقديرا فحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان كل ما يفعله الله تعالى
فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر والمعاصي واجيب بان الحسن هاهنا بمعنى الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف وبانه لا يقبح منه شيء
لانه يتصرف في ملكه قالوا لولا ان غيره تعالى يخلق لم يصح هذه الاضافة فيعلم منه ان العبد خالق افعاله وعورض بقوله الله
خالق كل شيء واجيب بان المراد انه احسن الخالقين في زعمكم واعتقادكم وبعضهم اجاب بان وجه حسن الاضافة هو انه تعالى
وصف عيسى بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من انه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن جهة انه يلزم اطلاق
الخالق على المصورين والحق ان الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم شيء من الاشكالات روى عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله
ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ويروى عن عمر ايضا انه سبق لسانه بقوله فتبارك الله
احسن الخالقين قبل ان ينزل واعلم ان هذا غير مستبعد ولا قادح في اعجاز القرآن لانه ليس من … سورة الكوثر
التي وقع التحدي بها ولهم سؤال ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة ليكون في الانعام ابلغ جواب لو كان كذلك
لكان الاتي بالطاعة اتيا بها لمحض المحبة والثواب فلاجرم اوقع الله تعالى الاماتة والاعادة في البين ليكون الطاعة ادخل
في الاخلاص وابعد عن صورة المتابعة وليس الاستدلال على السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لانها
طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وقال علي بن عيسى لانها طرائق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب في مسيرها
وما كنا عن الخلق اي عن السموات وحفظها ان تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن المراد بالخلق الناس اي ما كنا غافلين
عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بنيرات كائنة فيها ويحتمل ان يريد
ان يريد بالاول كمال قدرته وبالثاني كمال علمه باحوال المخلوقات وفيه نوع من التنجيم ويمكن ان يحمل خلقنا السموات وما كنا عن حفظها
غافلين ولهذا لم يخرج عن التقدير الذي اراد كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت **النوع الثالث**
الاستدلال بنزول الامطار واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهر من اهل الشرع لا يبعد ان يكون من
نفس السماء وعند ارباب المعقول انهم يريدون به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الاجزاء المائية من البحر بواسطة التسخين
فتصير في الجو صافية عذبة بالطبع عما امتلحت في البحر ثم ينزلها بواسطة السحاب وقد سلف في اول البقرة تفصيل ذلك ومعنى
بقدر بتقدير يسلمون معه من المضار ويصلون الى المنافع او بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان ماء المطر في الارض جعله
مدد الينابيع والابار وقيل اراد اثباتها في الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات
والنيل انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال واجراها في الارض وانا على ذهاب به لقادرون نظير
وجه الارادة وفيه تحذير من كفران نعم الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظيم نعمته بخلق الماء بين المنافع الكائنة

الحاصلة بسببه وخص منها النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها اكرم الشجر واعمها نفعا ووصف النخل والعنب بان ثمرها جامع
لامرين التفكه والتطعم وجوز في الكشاف ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفته كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين
اما ان يكون الطور مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين او ايلة او الطور
الذي منه نودي موسى ومن قرا سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قراه بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمة او التانيث بتاويل البقعة
ولا يكون الفه حينئذ للتانيث كعلباء وحرباء قال في الكشاف بالدهن في موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان
انبات الدهن واباته لا يكاد يستعمل والمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن او تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز ان يكون تنبت
بمعنى نبت ايضا والصبغ الادام لانه يصبغ به الخبز قلت لا يبعد ان يريد بالصبغ نفس الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل ان يكون الباء في بالدهن
للتعدية الا ان يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما اضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت في البلاد وتفرقت
او لان منبتها هناك قوله وان لكم في الانعام لعبرة تقدم في النحل ولعل القصد بالانعام هاهنا الى الابل خاصة لانها هي المحمول عليها
في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر واما قال في هذه السورة فواكه كثيرة بالجمع بخلاف ما في
الزخرف ليناسب قوله هاهنا منافع كثيرة وليناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة بالتوحيد ليناسب قوله وتلك الجنة واما
قال هاهنا في المؤمنين ومنها تاكلون بزيادة الواو وخلافا في الزخرف لان تقدير الاية منها تدخرون ومنها تاكلون ومنها تبيعون
ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم انه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك اتبعه قصة نوح لانه اول من الهم
صنعها وفيه ايضاح نمط القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله ما لكم من اله غيره جملة مستانفة
تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة من هو لوجوب وجوده يستحق العبادة ثم تذهبوا
فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في حضيض الامكان وهي الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها **الاولى** قولهم ما هذا
الا بشر مثلكم ومعناه انكار كون الرسول من جنس البشر وانكار كونه مسلما في الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجلال كانهم
ظنوا ان القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور ويتاكد هذا الاحتمال بالشبهة **الثانية** وهي قوله يريد ان يتفضل
عليكم اي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء في الارض ويتاكد الاحتمال الاول بالشبهة **الثالثة** وهي
ولو شاء الله لانزل ملائكة لعلو شانهم ودنو منزلتهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن اقوام اخرين في حم السجدة قالوا لو شاء
ربنا لانزل ملائكة ولعل مجيء هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وفي حم السجدة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك
رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا او استهزاء **الشبهة الرابعة** الاعتصام بحبل التقليد ما سمعنا بهذا
اي بمثل هذا الكلام او بمثل هذا المدعي يجوز ان يكونوا صادقين في ذلك للفترة المتطاولة ويجوز ان يكونوا تعاملوا ويكذبوا لانهماكهم
في الغي تشبثا منهم لدفع الحق واخمال النبي باي وجه يمكنهم **الشبهة الخامسة** وهي نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بانه ارجح
الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون او الجن اي به جن اي يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام ان الجنون من مس الجن ثم ربطوا
على هذه الشبهة قولهم فتربصوا به حتى حين اي اصبروا عليه الى ان ينكشف جنونه ويفيق او الى ان يموت ويقتل وهذه الشبهة من باب
الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام انه مجنون لينفروهم عنه ويلبسوا
عليهم امره ويحتمل ان يكون هذا الكلام استئنافا وهو ان يقولوا للقوم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي امره
فنحن حينئذ نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه واعلم انه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم
لركاكتها ولانه قد علم في هذا الكتاب الكريم اجوبتها عنهم ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون

مطيق لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الايتم انكنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون لا يستحق شيا الا بقصده وادا انظر طريق التقليد صار حديث التوبيخ صافيا بل يجب قبوله وقد صنف مدعي النبوة بعد ظهور المعجزة من غير دليل حكي ان نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم على الكفر قال رب انصرني اي اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي ففي نصرة اهلاكهم او انصرني بدل تكذيبهم كقولك هذا بذاك والمراد بدلني من غم التكذيب سلوة النصر او انصرني بانجاز ما كذبوني فيه وهو وعد العذاب في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي القصة الى قوله انهم مغرقون قد ذكرنا تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك ادخل فيها وقد مر في سورة الحجر في قوله كذلك نسلكه وسبق عليه القول يعني سبقت لهم منا الحسنى لان على يستعمل في المضار كما ان اللام يستعمل في المنافع وقد جاء زيادة منهم ههنا على الاصل وحذفت في هود ليحسن عطف ومن امن من غير التباس وتباعد بين في قوله باعيننا على الجمع ما دون التشبيه ان الله خلق ادم على صورته اما قوله فاذا استويت اي ركبت واستوليت انت ومن معك على الفلك فقل لم يقل فقولوا لان اول الكلام مبني على خطاب نوح ولان قول النبي قول الامة مع ما فيه من الاشعار بفضله واظهار الكبرياء وان كل احد لا يليق لخطاب رب العزة وفي الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه كان عرف ان ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم امره ان يسأل ما هو انفع وهو ان ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على جزاء اذا استويت او ينزله في الارض عند خروجه من السفينة لانه لا يبعد ان يدعوا عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها منزلا او انزالا او موضع انزال مباركا فيه زيادة اعطاء خير الدارين وقد امره ان يشفع الدعاء بالثناء المطابق للمسئلة وهي قوله وانت خير المنزلين اي من الاولين لكلانا اقدر على الحفظ واعلم بحال النازل بكل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الحالي الا باقراره وتمكينه والقاء تلك النعمة وتقلبه انما في ذلك الذي ذكر من القصة لايات لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والدرجات بها الى مقادرها لا تقدر عليها الا القدير الخبير وان كانت هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبتلين هي الفارقة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق او مختبرين بهذه الايات من يخلفهم لينظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كذب فقد يمتحن به من لم يكذب على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد **التأويل** الفلاح الظفر والفوز والبقاء اعظم المؤمنين بالايمان الحقيقي العيد بجميع الشرائط بنفس سهم بيدا لها في الله وفازوا بالوصول الخالد ويفوا به بعد ان الخشوع في الظاهر انكسار الراس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبيد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب بمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر وترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال اللغو كل ما يشغلك عن الله والزكوة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه راس كل خطيئة الا على ازواجهم في كلمة على دلالة على انهم يجب ان يستولوا على الازواج لا بالعكس والاكثر عدو لهم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج ان يبتغي بالنكاح النسل ورعاية السنة في اداءها لا حظ النفس والاكان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم من عهد الميثاق في الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع ان الخشوع معتبر في نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو ان لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم احياء القلوب ورثوا من المراتب ما خلقها اموات القلوب من سلالة لانه سيل من جميع اجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفارة والنملة وشهوة الحمار والعصفور

والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي والحمامة ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله احسن الخالقين لانه خلق احسن المخلوقين اما من حيث الصورة فلانه خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والعظام والمخ والعين والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح واما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التي ابى حملها السموات والارض والجبال وسيجيء تحقيق ذلك في موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه ان الانسان قابل لموت القلب او لموت النفس والحشر بها وفي موت احدهما حيوة الاخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره في حجب الغواشي الاتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحلتي الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هي الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد في تلك الحجب بدليل قوله وانزلنا من السماء بماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فاسكناه في ارض وجوده فانشانا لكم به جنات من نخيل العارف واعناب الكشوف وشجرة الحقيقة التي تخرج من طور سيناء الروح بتاثير تجلي انوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهي بلا واسطة لانه نشأ من شجرة الروح وصبغ للاكلين الكونين بقوة الهمة متراجعين عن نعم القالب ان فيها منافع لانها النقص الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة في بحر السير الى الله تحملون وتاويل قصة نوح قد مر في سورة هود

ثم انشأنا من بعدهم قرنا اخرين ۵ فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ۵ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ۵ ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ۵ ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ۵ هيهات هيهات لما توعدون ۵ ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ۵ ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ۵ وما نحن له بمؤمنين ۵

قال رب انصرني بما كذبون ۝ قال عما قليل ليصبحن

نادمين ۝ فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم

الظالمين ثم انشأنا من بعدهم قرونا اخرين ۝ ما تسبق من امة

اجلها وما يستأخرون ۝ ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء

امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث

فبعدا لقوم لا يؤمنون ۝ ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان

مبين ۝ الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ۝ فكذبوهما

فكانوا من المهلكين ۝ ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون

وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين

يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون

عليم ۝ وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون

فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون

فذرهم في غمرتهم حتى حين ۝ ايحسبون انما نمدهم من

مال وبنين ۝ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون

القراءة هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير هو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما

فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي اذا يقف بالهاء تترى بالتنوين ابن كثير وابو عمرو ويزيد والوقف بالالف لا غير
الباقون بالياء في الحالين وان هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف
الاخرون وان بالفتح والتشديد تترى بفتح الياء عباس الاخرون بضمها الوقوف اخرين ج للاية مع
الفاء واتصال المعنى عنه ط تتقون ط الدنيا لا لان ما بعده صفة بشر تشربون لا لخاسرون لا مخرجون لا لما توعدون
بمبعوثين لان الكلام متصل بالكلام دبات رخصه الضرورة وجواز بيان الاية ممنوح بمؤمنين ط بما كذبون نادمين ج
للاية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما قليل غثاء ج بجمعها الكلمة التبعيد بالابتداء مع فاء التعقيب الظالمين اخرين ط
لان الجملة ليست بصفة لها لان المخبر عن سبق الاجل للخلق بهم يستأخرون ط لان ثم لترتيب تترى ط منونا وقرى
ولا للابتداء بكلمة احاديث ج لما ذكر غثاء لا يؤمنون مبين لتعلق الجار عالين ج للاية مع الفاء عابدون ج لذلك
المهلكين يهتدون ومعين صالحا عليم ط لمن قرأ وان بالكسر فاتقون زبرا فرحون حين وبنين لا لان
تسارع مفعول ثان للحساب الخيرات ط لا يشعرون السبع الخامس التفسير عن ابن عباس واكثر المفسرين
ان هذا القرن هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على اثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله تعالى في الاعراف واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم اهلكوا بالصيحة وقد قال تعالى في هذه القصة فاخذتهم الصيحة
ومعنى فارسلنا فيهم جعلناه موضع ارساله والا فلفظ ارسل لا يتعدى الا بالى ومن الارسال بمعنى القول ولهذا جيء
بان المفسرة اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله قال بعضهم قوله افلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد
ان كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على انه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة
الاوثان قال جار الله اما قال في هذه السورة وقال الملأ بالواو وفي الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
بغير واو ومثله في سورة هود قالوا يا هود ما جئتنا ببينة لانه بني الامر في ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل
وفي هذه السورة اراد انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكي صاحب
المفتاح انما قدم الجار والمجرور واعني قوله من قومه على وصف الملأ وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه
لو اخر لاوهم ان قوله من قومه متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الاخرة لقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ومعنى
اترفناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرة وقوله مما تشربون اي من الذي تشربون فحذف الضمير او حذف منه لدلالة
ما قبله عليه ثم اكدوا شبهتهم بان الرسول لا يكون من جنس البشر بقولهم ولئن اطعتم واذن واقع في جزاء الشرط وجواب لقولهم
اذا قبلتم قول مثلكم واطعتموه خسرتم عقولكم وابطلتم اراءكم اذ لا ترجيح لبعض البشر على بعض في الدعوة الى طريق مخصوص
هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الاخرة وطعنهم في صحة الحشر بقوله ايعدكم الاية قال جار الله ثني انكم للتوكيد
وحسن للفاصل بالظرف ومخرجون خبر للاول وانكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول
او انكم مخرجون في تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جزاء اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفي حرف ابن مسعود
ايعدكم اذا متم ثم اكد هذا الاستبعاد الانكاري بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفي التكرير تأكيد اخر
وكذا في اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بالفعل
وفي التكرير تأكيد اخر وكذا في اضمار الفاعل وتبيينه بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال
الزجاج هي في تقدير المصدر اي البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين اعتزامهم بانهم قالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي بمعنى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفي الجنس وقدم في الانعام

وانما بدئ في هذه السورة قوله نموت ونحيي لان هذه الزيادة لعلها وقعت في كلام هؤلاء دون كلام اولئك ولم يريدوا
بهذا الكلام انتفاء التكليف وحدهم بل ارادوا انه يموت بعض ويولد بعض وينقرض بعض قرن ويأتي قرن آخر ولو انهم اعتقدوا
انهم يحيون بعد الموت لم يكن يتوجه عليهم ذم ولما قضى قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى انهم زعموا ان كل ما يدعيه هود
من الانبياء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وانهم لا يصدقونه البتة فلا جرم قال هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه
رب انصرني بما كذبون قال الله مجيبا له عما قليل اي عن زمان قليل قصير ليصبحن حجاجا صبر ورثتهم نادمين دليلا على هلاكهم
لانه علم انهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع امارته وذلك وقت ايمان الناس وزيادة ما للتوكيد فقصر الله
والصيحة صيحة جبرئيل كما مر في الاعراف وفي هود ومعنى بالحق بالذي كقولك فلان يقضي بالحق على الاصول الاعتزالية بالوجوب
لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما بلي واسود من الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك في دمارهم
او في احتقارهم وفي قلة الاعتناء بهم وفي ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء
ثم دعا عليهم بالهلاك الدائم بقوله فبعدا للقوم الظالمين كما مر في سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم
بالظلم وعرفنا الطليق لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجي من قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق
الاجمال وذلك قوله ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين والظاهر انهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد قصصهم على هذا
الترتيب في الاعراف وفي هود وغيرهما وعن ابن عباس انهم بنو اسرائيل والمعنى انا ما اخلينا الديار من مكلفين انشأناهم وبلغناهم
حد التكليف حتى قاموا مقام من كان قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته في شأن المكلفين بقوله ما تسبق من امة اي كل طائفة
مجتمعة في قرن اجلها المكتوب في الحيوة وفي الموت بالهلاك والاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه ان المقتول ميت باجله
وقال الكعبي معنى الآية انهم لا يستقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم انهم لا
يزدادون الا عنادا وانهم لا يلدون مؤمنا وانه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على احد في هلاكهم ثم بين ان رسل الله
كانوا بعد هذه القرون متواترين وانهم في التكذيب كانوا واحدا وكذا سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء
في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد ارسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء
في القرآن رسلنا ورسلهم ورسولها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث او جمعا من غير لفظه ومنه احاديث الرسول صلى الله عليه
وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهي ما يتحدث الناس به تلهيا وتعجبا وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها
لانهم استؤصلوا فلم يبق منهم عين ولا اثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى على نحو ما تقدم بآياتنا اي بدينا كيلا يلزم
منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس ان الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات
في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت ام آياته واقدمها فخصت بالذكر لشهادة قوة دلالتها ويجوز ان يراد انها
آيات في انفسها وحجة بينة بالنسبة الى التحدي بها او يراد به تسلط موسى عليهم في الاستدلال على الصانع وانه ما كان يقيم لهم
وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم اما الصفة فهي الاستكبار والعلو اي طلبوا الكبر وتكلفوه واستكبروا
عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في امور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد واما الشبهة فهي انكار كون
الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان مثلهما وهم بنو اسرائيل خدمنا وعبيدا لهم قال ابو عبيدة العرب تسمي كل من دان للملك عابدا له
ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية فادعى الناس للعبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع
والمثل يوصف بالاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ثم بين انه لما خطرت هذه الشبهة لهم

بالهم صرحوا بالتكذيب فاهلكوا الذلك وكان في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم فقال ولقد آتينا موسى
الكتاب اي التورية لعلهم يهتدون من الناس من ظن ان هذا الضمير راجع الى فرعون وملائه والمعنى انه خص موسى بالكتب لا
بالتكذيب ولكن ليهتدوا به فلما اصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يؤت التورية الا بعد اهلاك
القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وقوله في اول البقرة واذ انجيناكم من آل فرعون
الى قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة والقصة مشهورة والصحيح انه ذكر موسى واراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد
بهم قومهم نظيره على خوف من فرعون وملائهم وقد مر في آخر يونس ثم اجمل قصة عيسى بقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية وقد
مر بيانه في آخر الانبياء في قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى
روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر واللفظ محتمل للتنبيه على تقديره وجعلنا ابن مريم آية
وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والاقرب حمل اللفظ على الوجه الذي لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض
للعادة والربوة بحركات الراء هي الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وابي العالية هي ايليا ارض بيت المقدس فانها كبد الارض واقرب
الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن والرملة وعن ابي هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها
الله وقال الكلبي وابن زيد هي مصر والاكثرون على انها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من ارض منبسطة مستوية وعن قتادة
اراد ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الجاري على وجه الارض من عانه اذا ادركه بعينه
فوزنه في الاصل معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان يكون جعلته فعيلا من الماعون وهو ما يسهل على معطيه من اثاث
البيت ومنه قولهم في المعين السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى وقال جار الله وجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره
وجريه من الماعون وهو المنفعة وقال المفسرون سبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة
وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ان مات ملكهم قوله سبحانه يا ايها الرسل ليس على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة
مختلفة وفي تأويله وجوه احدها الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي
له جميع الرسل حقيق ان يؤخذ به ويعمل به ويؤيد التأويل ما روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من اين لك فقالت من شاة لي ثم رده
وقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم
بذلك امرت الرسل ان لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى وقد خاطب
الواحد خطاب الجمع تعظيما كقوله الذين قال لهم الناس المراد نعيم بن مسعود او وقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم
الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا
صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندي ان المراد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء اخبار الرسل
ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما نقرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذات وبالحقيقة المراد به الامر كقوله
يا ايها النبي اذا طلقتم والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه او هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى
الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل
على ان العمل الصالح لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وفي قوله اني بما تعملون عليم تحذير من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبأ
اني بما تعملون بصير وكلاهما من اسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم اعم وهكذا راعى الاصل او خصص لان الخطاب
مخصوص بآل داود من قرأ وان بالكسر فعلى الاستيناف ومن قرأ بالفتح مخففا او مشددا فعلى حذف لام التعليل والعامل فاتقون

ثم من قال الخطاب لجميع الرسل والمشار اليه بهذه هو اصول الاديان والشرائع التي لا اختلاف فيها بين الرسل وجملتها تقوى الله كما ختم بها الاية
والضمير في فتقطعوا راجع الى اممهم وقال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال
الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى الملة في وفيها وعلى القول الاظهر بل الى جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في اواخر
سورة الانبياء كان الامر هناك بالعبادة وها هنا بالتقوى التي هي اخص ولهذا قال فتقطعوا بالفاء ليتوجه الذم اتم فان
المأتي به كلما كان ابعد من المأمور به كان سبب الذم اقوى فلا يكون مرتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا اكد
التقطع بقوله زبرا بضم الباء زبورا اي حال كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم ادياناً ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه
قطعاً ستعيرة من زبر الفضة والحديد ثم اكد الذم بقوله كل حزب اي كل فريق منهم مغتبط بما اتخذه دينا فقد معجب
برأيه على انه المحق الرابح وعينه المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله فذرهم في غمرتهم وهذا الامر مما يدل على ان الخطاب
بقوله يا ايها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان امة والغمرة الماء
الذي يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه
من الباطل قلت وانت اذا تأملت فيما اسلفنا لك في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين
في قال في الكشاف الى حين اي ان يقتلوا او يموتوا والتحقيق انه الحالة التي يظهر عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم
الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهي عن الجزع من تأخير عقابهم ثم ان القوم كانوا اصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى ان ذلك الذي يجعله مددا لهم وهو
المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في انما موصولة
محذوف اي نسارع لهم به وفي قوله بل لا يشعرون انهم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتفكروا اهو استدراج ام مسارعة
في الخير وفيه انه سبحانه اعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق فحين اعرضوا عن الحق كان ذلك
الحجة عليهم اقوى **التأويل** يا كلوا مما تأكلون ليعلم انهم يأكلون مما تأكلون ولكنهم لا يأكلون ما تأكلون المؤمن
يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام واهل الله يأكلون كما تأكل
الانعام واهل الله يأكلون ويشربون من مقام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وفيهما اشارة عابرون اي في حال الطفولية
كانت صفات الروح والقلب في نمو النفس وتربيتها وتهيئة صفاتها لاستكمال القالب وقواه الى حد البلوغ والاستعداد
لتحمل اعباء تكاليف الشرع واويناهما الى ربوة النفس عيسى القلب الى ربوة الذي فيه قرارها ويجري فيه ماء معين
الحكمة من القلب على اللسان يا ايها الرسل اعلم ان في المسجد الى القالب

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ۝ والذين هم بايات ربهم يؤمنون
والذين هم بربهم لا يشركون ۝ والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون ۝ اولئك يسارعون في الخيرات وهم
لها سابقون ۝ ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق

بالحق وهم لا يظلمون ۝ بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من
دون ذلك هم لها عاملون ۝ حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجأرون ۝ لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون ۝ قد
كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون ۝ مستكبرين به سامرا تهجرون ۝ افلم يدبروا
القول ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين ۝ ام لم يعرفوا رسولهم
فهم له منكرون ۝ ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم
للحق كارهون ۝ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ۝
ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ۝ وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم ۝ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ۝
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ۝
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ۝ حتى
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ۝ وهو الذي انشأ
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ۝ وهو الذي

ذرأكم في الأرض واليه تحشرون ۝ وهو الذي يحيي ويميت

وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ۝ بل قالوا مثل ما قال الأولون

قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ۝ لقد وعدنا نحن

وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ۝ قل لمن الأرض ومن فيها ان

كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل افلا تذكرون ۝ قل من رب السموات

السبع ورب العرش العظيم ۝ سيقولون لله قل افلا تتقون ۝ قل من بيده

ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون

سيقولون لله قل فأنى تسحرون ۝ بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون

القراءات تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الاخرون بفتح التاء وضم الجيم حرجا فخرج بغير الف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلى وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحا بالتشديد سيقولون الله الثانية والثالثة ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد

الوقوف مشفقون لا يؤمنون لا لا يشركون لا راجعون لا لان الكل معطوفات على اسم ان وخبرها او كيد الجملة سابقون لا يظلمون عاملون يجأرون ط لحق القول لا تنصرون تنكصون لا لان ما بعده حال مستكبرين قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعولا سامرا او مفعول تهجرون الاولين ز منكرون ز لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ط فهم معرضون ط لان ام استفهام انكار خير قد قيل بناء على ان الواو للابتداء والحال اوجه الرازقين مستقيم لناكبون يعمهون يتضرعون مبلسون والافئدة ط تشكرون تحشرون والنهار ط تعقلون الاولون لمبعوثون الاولين يعلمون لله تذكرون العظيم لله تتقون تعلمون لله تسحرون لكاذبون

التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين اتبعه ذكر من هو اهل الخيرات عاجلا واجلا فوصفهم بصفات اربع **الاولى** الاشفاق من خشية ربهم وظاهره يوهم التكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب اي من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على اثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون على طاعته جادون في طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف اي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه اجلا في نهاية الخوف ويلزم من ذلك ان يكونوا في غاية الاحتراز عن

عن المعاصي وفيه انهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلان يحافوا من عدم الخشية اولى **الثانية** قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والظاهر انه القرآن وقيل هي المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان وينبعه الانقياد اللساني ظاهرا **الثالثة** البري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بان لا يشرك به طرفة عين **الرابعة** قوله والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا وقلوبهم وجلة خائفة في شان ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله انهم اي لانهم الى ربهم راجعون فان من اعتقد الرجوع للجزاء والسؤال ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم ان المجازي هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص والظاهر ان هذا الايتاء مختص بالزكوة والتصدق ويحتمل ان يراد اعطاء كل حق لزم او خصلة اي اتيانها يؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراه يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعن عائشة انها قالت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه وفي قوله يسارعون في الخيرات معنيان **احدهما** يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها **والثاني** انهم يتعجلون في الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقال في قوله وهم لها سابقون انه من قولك المعنى اي سبقهم اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها والمراد اياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب حيث باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولا سيما اذا قدم عليه والمعنى انهم ينالون الخيرات قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر او حالا بعد الاخر كقولك هو لهذا الامر اي صالح له ثم ختم الكلام الذي ذكر فيه المكلفين ذكر حكمين لها **الاول** قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان احدهما انه الطاقة والاخر انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه اتسع فيه على المكلف ولم يضيق مثاله انه لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع **الثاني** قوله ولدينا كتاب ينطق بالحق ينطق اثبات كل عامل وهو اللوح او صحيفة الاعمال لا يقرؤون منها يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم اما قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه طريقان **احدهما** انه راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القرآن ومن هذا الذي ينطق بالحق او الذي عليه هؤلاء المؤمنون ولهم اعمال متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كما بعد الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن الوحي هم لها عاملون في الحال على سبيل الاعتياد لا يفطمون عنها حتى يأخذهم العذاب وقيل لانها مثبتة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم ان يعملوا بها بحكم الشقاوة الازلية **وثانيهما** وهو اختيار ابي مسلم ان هذه الايات من صفات المتقين كانه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهاية ما اتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ اعمالهم بل قلوبهم في حيرة من هذا الذي وصفناهم به اهو مقبول عند الله ام مردود ولهم اعمال من دون ذلك وصفهم لها عاملون وهي النوافل المسهبة والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب وهو عذاب الاخرة او قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واكلوا الجيف والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم انه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون من جهتنا او لا تمنعون منا ثم عدد عليهم قبائحهم معاتبا ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق والتجافي عنه كمن رجع على ورائه وقد مر في الانفال والضمير في به فيه اقوال **احدها** انه للبيت العتيق او الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار

بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا
التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او على ان الباء للسببية لانه لما سمعوا القرآن
كانوا يحدث لهم استكبار وعتو او رابعها انه يتعلق بسامرا اي يسمرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان وذم محمد
في منطقه اذا الفحش والضمير للقرآن او للنبي اي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه او في النبي وكانت عامة سمرهم حول
البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين
ان سبب اقدامهم على الكفر احد امور اربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم ان تدبروا وتأملوا ما فيه
ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين والمراد ان الرسالة
تنزيل الله ان لم يأت اباءهم الاولين رسول كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فلذلك انكروه واستبدعوه او تقريرا انه تعالى
في اباءهم الاقدمين رسلا وذلك انهم عرفوا بالتواتر ان رسل الله فيهم كثرة وكانت الامم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك
بعذاب الاستيصال افما دعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وقيل اراد
افلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت
اباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما
كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على
الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما الثالث قوله ام لم يعرفوا رسولهم بذلك على انهم عرفوه
وعرفوا صحة نسبه وامانته فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على انه امين الرابع نسبتهم الى الجنون وكانوا يعلمون
انه ارجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في امره او شككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياستهم ثم اضرب
عن ذلك الهم مبينا على صدقه في امر النبي فقال بل جاءهم ملتبسا بالحق او الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط
المستقيم واكثرهم للحق كارهون واقلهم كانوا لا يكرهونه ولكنهم لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن ابي
طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين ان الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وان الحق والصواب
يجري فيما دبره الله للعالم وقدره فقال ولو اتبع الحق اهواءهم نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق
الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما يقتضيه اهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم
ولم يؤخر عن تجديده للحق والمعنى لو كان الله آمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكن شيطانا فلا يقدر
على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم ثم ذكر نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال بل اتيناهم بذكرهم ان كانت
الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف اي اتاهم رسولنا ملتبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم اي
وعظهم او صيتهم وفخرهم والتصاف بدل اللام العهدي اي الذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
لكنا عباد الله المخلصين ثم ان دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال ام تسألهم خرجا اي جعلا وكذا الخراج
وقد مر في الكهف وقيل الخرج اقل والخراج اكثر ولهذا قال فخراج ربك خير اي ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء
الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين اثبت لرسوله موجبات قبول قوله ونفى عنه اضدادها صرح بمضمون امره ومكنون سره
فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم هو دين الاسلام لان دعوتهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب واشار الى
هذه الطرق بقوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة هم المذكورون فيما تقدم وكل من لا يؤمن بالآخرة عن الصراط المستقيم المذكور
لناكبون نحو التركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء للريح التي تعدل عن مهاب

مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله ولو رحمناهم الآية يروى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع
الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع
الله ان يكشف عنا الضر فانزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لاصروا على ما هم فيه من الطغيان
ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم اي قبل ذلك بالعذاب يعني ما جرى عليهم يوم بدر فما استكانوا لربهم
اي ما خضعوا له وقد مر اشتقاقه في آل عمران وما يتضرعون عدل الى المضارع لانه اراد وما من عادة هؤلاء ان يتضرعوا
حتى فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة اي خضعت رقابهم وجاء
اعتاهم واشدهم شكيمة واخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل ان يراد عذابهم بكل محنة من القتل والجوع ثم شوهد منهم انقياد
للحق وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير واليأس من كل خير ثم نبه بقوله وهو
الذي انشأ لكم على انتساب لكن ما في الدلائل موجودة وابواب العناد بالكلية مسدودة ما كفر من كفر ولا عند من عند
الا للشقاء الازلي وفي قوله قليلا ما تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد على ان المراد قليل من الجاحد وعن ابي مسلم
انه اراد بالقلة العدم وفي الآية ثلاثة معان احدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع ان لا
يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر ان ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن دنس الاخلاق
الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية ان الشاكر قليل ثم بين دلائل اخرى على الوحدانية
فقال وهو الذي ذرأكم اي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم وهو الذي
يحيي ويميت وفيه مع ذكر نعمة الحيوة بيان ان المقصود منها الانتقال الى دار الثواب وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص
بتصريفهما وانهما يشبهان الموت والحيوة في تعاقبهما افلا تعقلون توبيخ وتنبيه ثم نبه بقوله بل قالوا الآية على انه لا شبهة
لهم في انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعاني قوله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا وارد على
الاصل لان التأكيد يذكر عقيب المؤكد وبعده المعطوف وجعل المفعول الثاني كما في سورة النمل انسب تقديم المفعول
على الضمير وعلى المعطوف هو انا قدمنا ذلك على قوله ترابا والتراب ابعد في باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على زيادة الاعتناء
به في شأن الاستبعاد ثم رد على منكري الاعادة او على عبدة الاوثان بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
اي ان كان عندكم علم فاجيبوني وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بامر الديانات حتى جوزوا ان يشتبه عليهم مثل هذا الكلام
الجلي وفي قوله افلا تذكرون ترغيب في التدبر وحث على التأمل في امر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع
الارض ومن فيها كان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما افناه وفي قوله افلا تتقون مثل
هذا الترغيب مع التخويف وكان اولى بالآية الثانية لاجل التدرج ولتعظيم السموات والعرش ولان بذكر واجب الوجود
مقدم كلما على العباد مخالفته ويجير ولا يجار عليه اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني هو يغيث من يشاء ممن
يشاء ولا يغيث احد منه احدا ان كنتم تعلمون هذه الصفة عنه فاجيبوني فيه ومعنى تسحرون تخدعون عن طاعته
والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله بل اتيناهم بالحق انه قد بالغ في الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى اسمعنا انما هو
الحق والصدق وانهم مع ذلك لكاذبون حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة التأويل من خشية
ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور والغيبة بآيات ربهم يؤمنون ما كاشفتهم من
شواهد الحق في السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في ... الناس وقبولهم وعدمهم وردهم وانقطاع

انظر في الصفات والصادر عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات من جهة الطاعة ويقطعون حاجاته وهم لها سابقون
على قدر تعينهم العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم ان يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك فلهم بقبول دعوة
الانبياء وما هم بعاجزين عنه وقد كتب في اللوح انهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس في حد وسعهم
واستعدادهم حتى اذا اخذنا اكابر مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات ارواحهم وارض نفوسهم ومن
فيهن من الخلق وهو خبر الولد في قوله [illegible] ان العلماء باديه عليهم ان لا [illegible] وجوه قلوبهم الامرة [illegible] الاطلاع الفارغ ولقد
اخذناهم [illegible] بالعذاب العين حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب [illegible] يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوس بعض عن صفاتها
الذميمة او يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف
ليل البشرية ونهار الروحانية او طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا ائذا متنا فيه انا ليائسون من الوصول [illegible]
ليس من شيم اهل الكمال لانه يعقبه قيامة العشق فيبعث القلب الميت او من كان ميتا فاحييناه ملكوت كل شيء هي
جهة روحانيته وهو خبر الاشياء [illegible] عن الهلاك ولا مانع لمن اراد به [illegible] لا يجيره هو الله سبحانه

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ۝ قل رب اما تريني ما
يوعدون ۝ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان
نريك ما نعدهم لقادرون ۝ ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن
اعلم بما يصفون ۝ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون ۝ حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة
هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ۝ فاذا نفخ في
الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۝ فمن ثقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ۝ ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

انفسهم في جهنم خالدون ۝ تلفح وجوههم النار وهم
فيها كالحون ۝ الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم
بها تكذبون ۝ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين ۝ ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ۝
قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ۝ انه كان فريق من
عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين ۝ فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري
وكنتم منهم تضحكون ۝ اني جزيتهم اليوم بما
صبروا انهم هم الفائزون ۝ قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين ۝ قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين ۝
قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ۝ افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ۝ فتعالى الله
الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ۝ ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح
الكافرون ۝ وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ۝

القراءات عالم بالرفع ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وعاصم غير حفص الا الخزاز وقال رب ليس بالخفض اذا وصل او الربح
اذا ابتداء الآخرون بالجمع لعلي اعمل باسكون الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان
شقاوتنا حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف من غير الف سخريا بضم السين وكذلك في صاد ابن
جبير ونافع وحمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون سخريا بالكسر انهم بالكسر حمزة وعلي والخزاز عن هبيرة قل كم
لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلي ونطقا بن مجاهد وابو عون قيل ان ابن كثير في الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة
وعلي وخلف الوقوف على بعض ط يصفون ه لمن خاف الظالمين ه لقادرون ه السيئة ط يصفون ه
الشياطين لا يحضرون ه ارجعون ه لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها الا ترجع وقيل يبتدا بها بمعنى حقا فلا وقف
احسن قائلها ط يبعثون ه ولا يتساءلون ه المفلحون ه خالدون ه كالحون ه يكذبون ه ضالين ه ظالمون ه ولا
يكلمون ه الراحمين ه للآية والوصل اجوز لشدة اتصال استئنافا وحالا اي تتخذوا سخريا غير مشارك الا هو ج لا لان قوله
رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف اي هو رب العرش الكريم ه اخر لا لان الجملة بعده صفة له برهان به لا لان ما بعده جواب
عند ربه الكافرون ه الراحمين ه **التفسير** لما اثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية في الآيات
المتقدمة نزه نفسه عن الانداد والاضداد بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وفيه رد على القائلين
بان الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر شبه دليل التمانع بقوله اذا لذهب وهو جواب
لمن معه المحاجة من اهل الشرك وجزاء لشرط محذوف قد دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة اذا لذهب كل اله
بما خلق لانفرد كل واحد منهم بخلقه الذي خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك مقتضى عجز
الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ذلك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض اي لغلب
بعضهم بعضا كما ترون من حال ملوك الدنيا وفي الآخرة فلا تجعلني فيهم وقد يجوز ان يستعيذ العبد بالله مما علم انه لا
يفعله اظهارا للعبودية واستكانة لهم ونويه تكرير رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فاكد وقوعه
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون وفيه دليل على ان القدرة تتعلق بالمعدوم لانه اخبر انه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم
يفعل ذلك ثم امر بالصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كان احسن لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة وتفيد المكافاة حسنة ولكن العفو احسن عن ابن عباس هي شهادة ان لا
اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هي السلام عليه اذا لقيته قيل هي منسوخة باية السيف والاولى انها محكمة
لان المداراة مستحبة ما لم يؤد الى محذور نحن اعلم بما يصفون من البس حالك من الثالب والمراد انه اقدر على جزائهم
فحقيق بان يهون عليك امرهم والتوكل على الله ويبدع انا اعلم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على احسن الوجوه ثم انه تم هذا العلم
بما يقوى على ذلك هو الاستعاذة بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك انهم يحثون الناس
على المعاصي بانواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه
الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم امره بالتعوذ من ان يحضروه اصلا كما قال اعوذ بالله من خصومتك
بل اعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس عند حضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل ارقا به اذا اويت الى النوم فقل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه
ومن همزات الشياطين وان يحضرون قوله حتى اذا جاء قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل بيصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشياطين ان يستزلوه

يستزله عن العلم والحلم يحيي الموت امارته التي تحقق عندها الموت وصارت للمرء فيه صورة في حشيد بسؤال فقالوا ليتنا نرد ولا
على انهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس انما تمثل من لم يزك ولم يحج تقوله وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني ولما وجد الجمع في قوله رب ارجعون مع وحدة المنادى فقيل ان الجمع راجع الى الفعل
كانه قال ارجع مرات ونظيره القيا في جهنم وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين الارواح اي بحق الله ارجعون بالاقرب
ان الجمع للتعظيم كقول الشاعر الا فارحموني يا اله محمد وقوله فان شئت حرمت النساء سواكم عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال جار الله لعلي اتدارك ما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما يقول ابني على اس
اسا وابني عليه وقيل اي فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والتحقيق كانهم تمنوا
الرجعة ليصلحوا ما افسدوه ويطيعوا فيما عصوا فيه لكن سألوا الرجعة وقد علم احد الدين بالضرورة من الدين ان لا رجعة
والجواب بعد تسليم انهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيئا مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود
والاستعانة بمثل هذه المسئلة قد يحسن وقولهم لعلي ليس المراد به الشك وانما هو كقول الشخص مكتوف لعلي اتدارك مع كونه
جازما بعدم الاستدراك ويحتمل انهم وان كانوا جازمين الا ان امر المستقبل مبني على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك
اوردوا الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله كلا اي ليس الامر على ما توهموا من امكان الرجعة انها كلمة والمراد بها
طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي اعمل صالحا هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم الضمير لكل الكافرين اي امامهم
برزخ حائل بينهم وبين الجنة او النار او بين الجزاء التام الى يوم يبعثون وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب
من الاخلاق الذميمة يندفع في هذه المدة وقال في الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلي لما علم انه لا
رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله فاذا نفخ في الصور وقد مر معناه في اواخر طه وقوله فلا انساب
بينهم المراد به نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فالمراد حكمه وما يترتب عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون
احد المتناسبين في الجنة والآخر في النار ويكون لكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى احوال النسب عن قتادة
لا شيء ابغض الى الانسان من ان يرى من يعرفه مخافة ان يثبت عليه شيء واما الجمع بين قوله ولا يتساءلون وبين قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة اهل الموقف وذاك في صفة اهل الجنة ولو سلم انه كليهما في صفة اهل الموقف
فلنسلم اتحاد اهل الموطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التي يقع فيها التساؤل كتحقق النسب ونحوها عن النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حتى يعلم الانسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل
آية الموازين في اوائل الاعراف فليرجع الى هنالك وقوله في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل له كالبدل فانه
الصلة لا محل لها وخبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف ومعنى خسران انفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال
ابن عباس خسروها بان صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى تلفح تسفع اي تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار وقال ابن عباس
وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤوس المشوية
يروى ان عتبة الغلام مر في السوق برأس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وعن الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته قال
الجوهري الكلوح تكشر في عبوس ثم بين سبحانه ان الله تعالى يقول لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها

تكذبون قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعي وفسر المعتزلة
الشقاوة بسوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وبغيرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم من الكفر والمعاصي
ان يعملوها حتى يؤديهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر واما على تفسير المعتزلة فقد قال الجبائي يعني
ملكنا واحتد تمنا وقال القفال اي لذات طلبنا الالذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق
اسم السبب على المسبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بدليل قوله وكنا قوما ضالين اي في نعم الله وسابق تقديره وحمل الحق
على الاعتراف بانهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بان يجعل ذلك عذرا لهم اولى واجيب بانه تعالى

بان لا عذر لهم فيه ولكنه [illegible] اعتراف بقيام حجة الله عليهم في سوء صنيعهم واجيب بان طلب تلك اللذات لا بد ان تنتهي الى داعية يخلقها الله فيه بدليل محكم

الكلام ثم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال هذا كما روي عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الف ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ونادوا يا مالك ليقض
علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الف ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون او لم تكونوا اقسمتم من قبل فينادون
الف ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الف ربنا اخرجنا منها فيجابون اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون
بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال
ولا تكلمون اي في رفع العذاب او ليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على ان العذاب لا يرفع ولا يخفف
ومعنى اخسئوا انزجروا صاغرين كما ينزجر الكلاب اذا طردت يقال خسا الكلب وخسأته بنفسه يتعدى ولا يتعدى
وهو المراد في الاية ثم عدد عليهم بعض جناياتهم في الدنيا بقوله انه كان فريق من عبادي هم الصحابة وقيل اهل الصفة عن الخليل
وسيبويه ان السخري بالضم والكسر مصدر سخر الا ان في ياء النسب زيادة تاكيد وعن الكسائي والفراء ان المكسور من
الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفة ذكري فلم تذكروه فتخافوا ثم ذكر من حال المؤمنين ما اوجب الحسرة والندامة للساخرين فقال انهم
قرئ انهم بالكسر على الاستيناف ومعناه ظاهر اي قد فازوا حيث صبروا ومن قرا بالفتح فعلى انه مفعول جزيتهم اي
جزيتهم فوزهم من قرا قال فالضمير لله او لمن امر بسؤالهم من الملائكة ومن قرا قل فالخطاب للملك او لبعض رؤساء
اهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون ان
الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انهم فيها خالدون سئلوا كم لبثتم تنبيها لهم
على ان ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما انكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولا سيما اذا كان الاول ايام
سرور والثاني ايام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل الدنيا وجه الارض وهو الظاهر لقوله لبثنا يوما او بعض يوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله عدد سنين بدل من كم وقيل المراد في القبر احتج به بعضهم على انكار عذاب
القبر قوله في الاولى قيل زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض ولو كانوا معذبين في القبر
لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما او بعض يوم واجيب بان الجواب لا بد ان يكون بما استقلوا
عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه ولا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض
يوم عند [illegible] وليس هذا من قبيل الكذب ولعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال فقالوا لا نعرف من عدد
السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسئل العادين اي من شانه
ان يعدها لما نحن فيه من العذاب فشغل من يقدر ان يلتفت اليه فكم او سل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون
اعمالهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل اراد وانقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم

لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال ان لبثتم الا قليلا
ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله لو انكم كنتم تعلمون اي لو علمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد في التوبيخ بقوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي عابثين او لاجل العبث الذي لا غاية صحيحة له وجوزوا ان يكون قوله وانكم الينا لا ترجعون
معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة ولولاها لم يتميز المطيع من العاصي
والمحسن من المسيء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا فتعالى الله ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة والخير منه او باعتبار
من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم ذيل طريقة المخالفة من اهل الشرك قوله لا
برهان له كقولك ما لم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها للتاكيد لا ان بعض الالهة قد يقوم على وجوده برهان ويجوز
ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من احسن الى زيد لا احق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى حسابه
عند ربه انه يبلغ عقابه الى حيث لا يقدر احد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة اي حسابه عدم الفلاح ووضع الكافرون
موضع الضمير جعل فاتحة الكتاب السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين
وحين اثنى على المؤمنين في اثناء الكلام فانهم يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين نبه في اخر السورة على انه قول
ينبغي ان يطلب المكلف عليه بعضه الانقطاع الى الله والاعراض عما سواه والله المستعان التاويل فاذا نفخ
في الصور فيه ان نفخة العناية الازلية اذا نفخت في صور القلب قامت القيمة وانقطعت الاسباب فلا ملتفت الواحد من الانسان
الى الاهل ولا الى الولد لاشتغاله بطلب الحق واستغراقه في بحر الحب ولا يفتح بينهم التساؤل اعني لا يسالوا عن اسباب الدنيا ولا عن احوال
اهاليهم واخدانهم واوطانهم اذا ادركها كل امرئ منهم يومئذ في طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير واولئك الذين خسروا
انفسهم لانهم اذا خسروا نفوسهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجوع القهقرى بطل استعداده
في طلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه فتخرج الفرخ منها ما لم يتصرف فيها الدجاجة
يكون استعداده باقيا فاذا تصرف الدجاجة وانقطع تصرفها عنها بانفساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد
الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم خالدون واخسئوا بقوله
اخسئوا فيها ولا تكلمون لانه ليس من شانها اصلاح الاستعداد بعد فساده انه كان فريق من عبادي هم العلماء بالله
النصحاء الادلاء فاتخذتموهم سخريا فصرتم انفسكم على سيوف هم العلية حتى انسوكم [illegible] ذكري
وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قد ماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم بما صبروا فيه ان اهل السعادة كما
يتنعمون باعمالهم الصالحة مع الله يتنعمون بانكار منكريهم ومثله حال اهل الشقاوة في الجانب الاخر وهو الاستدراج
لا برهان له براي لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان يرى فيه ذلك الى حين يغرون بالله بانواع الشهوات

سورة النور مدنية حروفها خمسة الاف وثلثمائة وثلثون كلمها الف وثلثمائة وعشر اياتها اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون ۝ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة

ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ۝ الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ۝ والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ۝ الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ۝ والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين ۝ والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين ۝ ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين ۝ والخامسة ان غضب الله عليها ان
كان من الصادقين ۝ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم

القراءات فرضناها بالتشديد ابن كثير وابو عمرو وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعي عن اصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزي ههنا وفي الحديد بتحريك الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفي الحديد بالسكون وقرا ابو عمرو وعن شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بغير همز اربع شهادات بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى ويشهد الشهادة الخامسة ان خففنا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل ان بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون ان غضب الله بالتشديد والنصب **الوقوف** تذكرون ۝ جلدة ج الآخر ج للعدول عن الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ۝ مشركة ج للفصل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين مشركة ج لاختلاف الجملتين المؤمنين ۝ ابدا ج الفاسقون لا واصلحوا ج رحيم ۝ بالله لا في المحصنين لانه لا تمام جواب لما وفي حكم القسم الصادقين ۝ الكاذبين ۝ الصادقين ۝ حكيم ۝ **التفسير** لما امر رسوله صلى الله

عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل قوله تعالى بذكر ما هو اصل كل رحمة ومنشا كل خير فقال سورة اي هذه سورة انزلناها او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على دونك سورة او اتل سورة او على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله انزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للمضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في اول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا احكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة او للتكثير فان احكام هذه السورة كثيرة ويجوز ان يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم وهم كل المكلفين من السلف والخلف واما الآيات البينات فاما دلائل التوحيد التي يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكير وقال ابو مسلم هي الحدود والاحكام ايضا ولا بعد في تسميتها آيات كقوله زكريا رب اجعل لي آية سال ربه ان يفرض عليه عملا وقال القاضي اراد بها الاشياء المباحة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكير من جملة الاحكام وكذا الذي قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف اي فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني او فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال الجمهور الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال راسه اي ضرب راسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة الى انه ينبغي ان يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام ان ينصب للحد رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما مجردا ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح ان الزنى من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وفي فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو اشنع انواع القتل ونهى المؤمنين عن الرافة بهما وامر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة واما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار واعلم ان البحث في هذه الآية يقع عن امور **احدها** عن ماهية الزنى **وثانيها** عن احكام الزنى **وثالثها** في الشرائط المعتبرة في كون الزنى موجبا لتلك الاحكام **ورابعها** في الطريق الذي به يحصل العلم بحصول الزنى **وخامسها** عن كيفية اقامة هذا الحد **الاول** قد حده علماء الشافعية بانه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواط لانه مثل الزنى صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الايلاج في الدبر ايضا ومعنى لانهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق اهل الطبائع بين المحلين والاكثرون على ان اللواط لا يدخل تحت الزنى عرفا ولهذا لو حلف لا يزني فلاط او بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روى ابو موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل قوله ايضا اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور جيد لا يلزم من تسمية القبل فرجا ان يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم ان للشافعي في اللائط قولين اصحهما ان عليه حد الزنى ان كان محصنا فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب **والثاني** قتل الفاعل والمفعول والقتل بحز الرقبة كالمرتد او بالرجم وهو قول مالك واحمد واسحق او بالهدم عليه ويروى عن ابي بكر واسحق ويروى عن علي وذلك لان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال ... فائل

فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ولو لاط بالمفعول به ان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل
لا يتقوم وان كان مكلفا طائعا فهو كالفاعل في الاقوال وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط وحكمه
وقيل زنى لانه وطئ انثى فاشبه الوطئ في القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته وجاريته في الدبر فالاصح
القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة جميع ذلك بما ذهب اليه الشافعي وقال ابو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعي
حديث ابي موسى لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث زنى بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل
الثاني والثالث فهو من الاول وايضا قاس اللواط على الزنى بجامع كون الطبع داعيا اليه فناسب الزجر ومن قبل ان الداعي الى كل
ومتى ما كان الاحتياج فيه الى الزاجر اشد وبان الزنى يقتضي فساد الانساب دون اللواط والفرق بوطئ العجوز الشوهاء حجة
ابي حنيفة انه وطئ يتعلق به المهر ولا يتعلق به الحد وضعف بعقد الجامع قال انه لا يساوي الزنى في الحاجة الى شرع الحد لان
اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب واجيب بان الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط
فادى الى اضاعة النسب بل الى فناء الاشخاص وانقطاع طريق التولد والتناسل وللشافعي في اتيان البهيمة اقوال احدها
انه كالزنى في احكامه الثاني القتل مطلقا لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوها معه قيل لابن عباس ما شان البهيمة قال لا اذكره ان يؤكل لحمها وانه مذهب مالك وابي حنيفة واحمد والثوري
ان عليه التعزير لانه لا يشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من
اتى بهيمة نهى عن ذبح الحيوان لا للماكلة ولا خلاف في ان السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثالث
تقدم في اول سورة النساء ان حكم الزاني في اوائل الاسلام كان الحبس في البيوت في حق الثيب والايذاء بالقول في حق البكر
ثم نسخ باية الزاني وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج
انكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى اطنب في احكام الزنى ولم
يطنب في غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان اولى بالذكر ولان قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم
على البعض يقتضي تخصيص عموم القران بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم في ذلك فاجابوا عن الاول بان الرجم حيث لم
يتنصف لم يشرع في حق العبد فخصوص العذاب بغير الرجم للدليل العقلي وعن الثاني ان الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد
المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الاية وعن الثالث ان تخصيص عموم القران بخبر الواحد
جائز عندنا لان القران وان كان قاطعا في متنه الا ان العام غير قاطع الدلالة فامكن تخصيصه بالدليل الظني سلمنا الا ان الرجم
ثبت بالتواتر رواه ابو بكر وعمر وعلي وجابر والخدري وابو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في اخرين من الصحابة ومما نقل
على انه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار احمد واسحق وداود محمول على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة
ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف انه قال يا انيس اغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد لذكره
لذكره وان قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري
باسناده عن ابن عباس ان عمر قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله
تعالى فيضلوا بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرانا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم
ورجمنا بعده فاخبر ان الذي رضيه الله تعالى هو الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب
في حد البكر وقال ابو حنيفة يجلد واما التغريب فمفوض الى راي الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
وكذا ما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقال مالك يجلد

الرجل ويغرب ويجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله في قصة العسيف
حجة ابي حنيفة ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ القران بخبر الواحد بيانه ان ايجاب الجلد مرتب على الزنى بالفاء التي هي للجزاء ومقتضى
الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم تجزيك ولا تجزي احدا بعدك وايجاب شيء اخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا
ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة عليه عند تلاوة هذه الاية ولو فعل لاشتهر وقد روى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الامة اذا زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت فبيعوها والاستدلال به
انه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روي ان شيخا مخدجا احبل بطن جارية فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة جلدة
فقالوا انه اضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انما لم ينفه لانه كان عاجزا
عن الحركة لانا نقول كان ينبغي ان يامر له بدابة يركبها ولا يقال انه كان ضعيفا عن الركوب ايضا لانا نقول القادر على الجماع
كيف لا يقدر على الاستمساك وايضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار
بزوجها وكذا الحرة ان لم يكن معها من محارمها او من النساء الثقات مع انفتاح باب الزنى عليها في الغربة ولهذا روي عن علي
كرم الله وجهه انه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر ان امة زنت فجلدها ولم ينفها
وايضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب ان لا يشرع نظيره
وهو التغريب واجيب بان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار
في الاية باحد القسمين الا ان عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية وايجابه بخبر الواحد لا يزيل الا حكم البراءة فلا يلزم نسخ القران به
وقوله الاية تدل على ان الجلد تمام الجزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الاحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار بعض الاحكام كاكثر المخصصات
والاخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روي ابو علي في جلسه انه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا نعد في ان يكون العاجز على الركوب
عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف سنة على الاصح لانه يقبل
التنصيف وقيل سنة كاملة لان التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة واما
المرأة فلا تغرب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تسافر الا ومعها زوج او ذو محرم او نسوة ثقات فاذا كان الامر كذلك الا باعطاء اجرتهم من
مالها او من بيت المال فيه قولان ومستند التهمة حسن لان اكثر الزنى انما يقع بالالفة والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الا غلب
من الوحشة والتعب واما النفي شبه القتل فمسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم ان قوله الزانية والزاني اما مطلق دال على الحقيقة
الماهية من جنس العفيفة والعفيف او عام يشمل كل من اتصف بهذه الصفة الشنعاء ولا على صبي لانهما ليسا من اهل التكليف
هذا في غير الرجم واما في الرجم فلابد من شروط الحدود ويسمى الزاني حينئذ محصنا منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة
ومن بعضه رقيق والسبب ان الحرية موضع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له ان ينكح الا امة ... وجناية
من ارتكب الحرام مع اتساع الطريق الحلال اغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد نعبر عن هذا الشرط بشرطين احدهما التزويج
بنكاح صحيح والاخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار انه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه ان يمتنع من الحرام ويكفي في
الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يعتد بوقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطئ بالشبهة ولا يحصل الاحصان
بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل ولا في الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان احدهما انه يفيد الاحصان لان الفاسد
كالصحيح في العدة والنسب والاصح المنع لان الفاسد لا اثر له في الطريق الحلال ومنها ان يكون الاصابة في النكاح بعد التكليف
والحرية الاصح عند امام الحرمين لا فائدة وطئ يحصل به التحليل وكذا الاحصان والارجح عند معظم الاصحاب نعم لان شرط الاصابة ان يحصل باكمل
الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل محصنا ايضا قال الشافعي في اصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام

عند ابي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن ودون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين والحديث مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولان زنى الكافر مثل زنى المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا اقر الذمي بالزنى فاقيم عليه الحد جبرا بخلاف شرب الخمر فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج لابي حنيفة ان النعمة في حق المسلم اعظم فكانت جنايته اغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وجوابه ان الاسلام من كسب العبد وزيادة الجناية ان لم يكن سببا للعذاب فلا اقل من ان لا يكون سببا لزيادة العقوبة قالوا احصان القذف يعتبر فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة واجيب بان حد القذف لدفع العار وقد يراد به التزوج كقوله فاذا احصن والذمي ليس بمحصن بهذا التفسير فوجب رجمه احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض اهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا انه ورد النص بالتنصيف لقوله في حق الامة فلو قسنا العبد عليه لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا احصن اي تزوجن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات واذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية والاتفاق الجمهور على جلد ذمي وقال الشافعي وابو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولانه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد اولى وقال مالك لا يجلد بناء على ان الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع **البحث الرابع في طريق معرفة الزنى وانه ثلاثة الاول** ان يراه الامام بنفسه فيبنى الخلاف في ان القاضي هل له ان يقضي بعلمه ام لا فرجح كلام من جوزه بوجه القضاء انه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلان يقضي بالعلم اولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى ارجح لان الحاكم فيها مأمور بالستر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في قصة اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين ان يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها او في غيرهما وعن ابي حنيفة انه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا **الطريق الثاني** الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال ابو حنيفة لا بد من اربع مرات في اربعة مجالس وجوز احمد ان يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار [illegible] هذا الصادق لا يكون الا عن صدق ويعتبر حجة ابي حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم مرات حتى قال ابو بكر له بعد ما اقر ثلث مرات لو اقررت الرابعة رجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة واجيب بانه لا منافاة بين القصتين والاولى محمولة على انه كان مختلط العقل والثانية على كمالها والفرق فان المقذوف لو اقر بالزنى مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط **الطريق الثالث** الشهادة واجمعوا على انه لا بد من شهادة اربعة من الرجال لقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنى كالشهادة بالزنى في انه لا بد من شهود اربعة وفي قول يكفي اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار امر ظاهر فيكفي فيه رجلان **البحث الخامس** اجمعت الامة على ان المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال ابو حنيفة واصحابه لا يملك حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم قال اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير خلاف الظاهر وايضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان اولى وايضا الاجماع على ان السيد يملك التعزير مع انه في محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه اولى حجة ابي حنيفة ان الخطاب في قوله فاجلدوا للائمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الاحرار والعبيد وبين الحدود وايضا الوجه للولي ان يسمع شهادة الشهود على عبده بالزنى

بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم وجب ان يكون من تضمين الشهود ويلزم ذلك بالاتفاق لانه ليس لاحد ان يحكم لنفسه وايضا المالك في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد واجابت الشافعية بان عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع ان الكلام في جواز اقامة السيد الحد لا في وجوبه فالامام يملك جلد العبد في الجملة وذلك كاف في بقاء الاية على عمومها وعن الثاني بان للشافعي في القتل قولين **احدهما** يجوز لما روي ان ابن عمر قطع عبدا له سرق **وثانيهما** لا وهو قول مالك لان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع المولى الشهادة ايضا وجهان واذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة هذه الحدود بل ينبغي ان يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب خلاف **البحث الثالث في كيفية اقامة الحد** انه سبحانه وتعالى اشار الى ان هذا الجلد يجب ان لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد والذي يجب ان لا يكون في غاية الرفق بقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وذلك اما بان يترك الحد اصلا او ينقص منه او يخفف بحيث لا يحصل الغرض بالالم وفي معناه جلدا بكل ذي الالم كان يضرب كل يوم سوطا او سوطين او يضرب كل يوم عشرين مثلا كان يفوت حصول التنكيل والاولى ان لا يفرق واكد هذا المعنى بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر قال الجبائي فيه دلالة على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود واجيب بان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان الاولى ترك اقامة الحد وحينئذ يكون منكرا للدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى ابو عثمان وروى ابو عبيدة لا اعلمه الا عن حنظلة السدوسي قال اتي عمر برجل فجيء بسوط فيه شدة فقال لا اريد الين من هذا فاتي بسوط فيه لين فقال اريد اشد من هذا فاتي بسوط بين سوطين وعن ابي عبيدة بن الجراح اتي برجل في حد فذهب الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسدي هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال ابو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في ان المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امرأة وحجة الشافعي في الضرب على الرأس ما روي ان ابا بكر قال اضرب على الراس فان الشيطان فيه وقال ابو حنيفة حكم الراس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الراس والوجه واحد واما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وايضا ان ضرب الراس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه ايضا عرضة الآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي ان يقول اما تحريم الوجه فلما في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الراس وليكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود هو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض ايضا في مرضه وقيل لو كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لانه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم وقد اثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة لانه لا يسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حالة الصحة او في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لان المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ لما روي ان مقعدا اصاب امرأة فامر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوه ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل او من غيره وعند ابي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنى باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد او لم يقع وبه قال ابو حنيفة والشافعي والثوري واحمد واسحاق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن ابي ليلى وداود انه لا يقبل رجوعه ويحفر للمرأة المحصنة حفيرة حتى لا تنكشف ولا يحفر للرجل كما في حق ماعز اذ لو كان في الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى ابو سعيد الخدري في قصته فما اوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزاني في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنى قوله سبحانه وليشهد عذابهما طائفة امر الوجوب الا ان الفقهاء اجمعوا على ان حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة

عن يجلدوا في لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا انه يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال ولما فيه من دفع
التهمة عمن يجلد وفي لفظ وقدم من اولا الجزم في قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد تقدم في التوبة فقال النخعي
مجاهد هي في الاية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهري وقتادة ثلثة وقال ابن عباس والشافعي اربعة بعدد شهود الزنى
وعن الحسن عشرة لانها اول العقد ويجوز ابن عبد الحكم اربعين رجلا من المصدقين بالله ويحضر الامام والشهود وليس بلازم عند الشافعي
ومالك لانه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال ابو حنيفة ان ثبت البينة وجب على الشهود ان يبدوا
بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت بالاقرار بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شأنا من خواص الزناة فقال الزاني لا ينكح وهو خبر في معنى النهي
كقراءة عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية بذلك وفي الاية اسئلة **الاولى**
كيف قدمت الزانية على الزاني في الاية المتقدمة وعكس الترتيب في هذه والجواب ان تلك الاية مسوقة لبيان عقوبتهما على خيانتهما
وكانت المرأة اصلا فيها لانها هي التي اطمعت الرجل في ذلك **واما الثانية** فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الراغب والخاطب
الثالث ما الفرق بين الجملتين في الاية والجواب معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى
الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها الاعفاء ولكن الزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزاني كذلك ان
يكون حال الزانية مختصرة في ذلك فاخبر الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الاختصار **الرابعة** انا نرى الزاني قد ينكح المؤمنة
العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وايضا الموضع قد يحل التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه **احدها**
وهو الاحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الاعم الاغلب وذلك ان الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى
والتقحب لا يرغب غالبا في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة
لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الاغلب وانما يرغب فيها اشكالها من الفسقة والمشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا
الخير من ليس يتقي فاما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لتحرم المهم
بسبب هذا الحكم في سلك الفسقة المتهمين بالزنى **الوجه الثاني** ان الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله
المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح وقتادة انه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم اموال ولا عشائر وبها
نساء مكثرات انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة لكل واحدة منهن علامة على بابها ليعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان
او مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الاية والتقدير اولئك الزواني لا ينكحوهن الا الزانيات لا ينكحها الا اولئك الزواني وحرم نكاحهن
بلعانهن على المؤمنين **الوجه الثالث** ان هذا خبر بمعنى النهي وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل انه ذلك
الحكم باق الى الان حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب ابي بكر وعمر
وعلي وابن مسعود وعائشة ثم من هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية
فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزوج ما لا يمنع من دوام
النكاح كالاحرام والعدة وقيل انها منسوخة اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بان الاجماع لا ينسخ ولا
ينسخ به واما بعموم قوله وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بان ذلك العام مشروط بعدم
الموانع النسبية والسببية فليكن هذا المانع ايضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فاجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة
ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال **الوجه الرابع**
قول ابي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنى اي وحرم الزنى على المؤمنين قال الزجاج هذا التاويل

التاويل فاسد من جهة ان النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة انه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل
الزاني لا يطأ الا الزانية حين يكون وطئه زنى ولو اريد به التزوج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج
بها **الحكم الثاني من احكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنى وبغيره** الا ان العلماء اجمعوا على

كالكفر والسرقة وشرب الخمر

ان المراد في الاية هو الرمي بالزنى لقرائن منها تقدم ذكر الزنى ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا باربعة
شهداء اي على صحة ما رموها به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنى والقذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان
والفاظ القذف ينقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زاني او زنيت او زنى قبلك او دبرك والاصح ان قوله زنى بدنك
صريح لان الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا ابن الحرام او لامرأته لا ترد يد لامس لم يكن
قذفا الا ان يريده وكذا لو قال للعربي يا نبطي الدار واللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض
ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال واما انا فلست بزانية وهذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال
احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا ان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روي ان رجلين استبا
في زمن عمر بن الخطاب فقال احدهما للاخر والله ما ابي بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح اباه وامه
وقال الاخرون قد كان لابيه وامه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين جلدة واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة كما لو
قال زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو اراد الثاني بعد ما حد للاول فعن الشافعي وان اراد زنيات مختلفة كما لو قال
زنيت بزيد زنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان واحد
واذا قذف جماعة بكلمات او بكلمة واحدة كان قال يا بني الزواني فعليه حدان لانه قذف كل واحد من ابويه هذا هو الجديد
من قولي الشافعي وعند ابي حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من
المحصنات فاجلدوهم ثمانين ولانه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن امية او حد في ظهرك لم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه
لامرأته ولشريك بن سحماء والقياس على ما اذا زنى مرارا او شرب او سرق مرارا والجامع دفع مزيد الضرر واجيب بان قوله والذين صيغة
جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه ان رمي المحصنة
علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك ان هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة من المحصنات فيترتب عليها الجلد لا
محالة واما السنة فلا اختصاص ان دلالتها على المطلوب قوية واما القياس فالفرق ان هذا حق الادمي وتلك حقوق الله تعالى
هذا كله هو البحث عن الرمي واما البحث عن الرامي فيقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتاديب ان كان لهما تمييز
ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان للتمييز والعقل واشارة الاخرس وكتابته
قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الاحكام ولانه كان في حقوق العباد وعند ابي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لتضمنه
تأبيدهما واذا قذف العبد حرا فعليه اربعون جلدة قاله مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه على قانون قوله فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب وعند الشيعة ويروى عن علي انه يجلد ثمانين اخذا بعموم الاية ولهذا اتفق اهل الحديث الكافر فيه حتى
لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب والجد فانه اذا قذف اولاده واحفاده فانه لا يجب عليه
الحد كما لا يجب عليه القصاص واما البحث عن المرمي فالمحصنات العفائف لانهن منعن فروجهن الا من ازواجهن وهي عامة الا
ان الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرايط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ
لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن انفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد مشروع لتكذيب القاذف فاذا

كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى بعد القذف وقبل
اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قال ابو حنيفة والشافعي لان ظهور الزنى منه يخدش ظن الاحصان بوقت القذف
ودل على انه كان مستصحبا به كما روي ان رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في
اول مرة وقال احمد والمزني وابو ثور الزنى الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند العلماء الا انهم اجمعوا
على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنى كان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا نصراني
يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنى لا يوجب الا التعزير وكان المقذوف حرا مسلما على ما ذكرناه ولا تعزير ايضا واعلم انه سبحانه حكم على
القاذف اذا لم يأت باربعة شهداء ثلاثة احكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة والحكم بفسقه الى ان يتوب وقد ذهب جمع من الائمة كالشافعي
والليث بن سعد الى انه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة امورا ثلاثة معطوفا بعضها على بعض بالواو وهي لا تفيد
الترتيب فوجب ان لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء اقيم عليه الحد
ام لا وقال مالك وابو حنيفة واصحابه شهادته مقبولة ما لم يحد فاذا استوفي لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى الظاهر
الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة ما لم يطرأ مانع وبقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا
محدود في قذف اخبر ببقاء عدالته ما لم يحد اما الاستثناء في قوله الا الذين تابوا فانه لا يرجع الى الجلد الاول اتفاقا لانه اذا عجز
عن البينة وعن الاتيان باربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف ان يعفوا عن القاذف لانه حق الله والحد حق عن حق
ولهذا لا يصح ان يصالح عنه بمال هذا قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله
فاجلدوهم ثمانين جلدة وان تاب لان القذف حده حق الآدمي والمغلب فيه حقه فليس للامام ان يعفو عنه في رجوع الاستثناء
الى الجلد المستنبط ومنشأ الخلاف مسألة اصولية هي ان الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض الى الجميع وهو مذهب الشافعي
او للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعي ان القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا
الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب ابي حنيفة انه لم يقبل شهادته وان تاب والابد
عنده مدة حياته فاولئك هم الفاسقون جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لانها اخبارية وما قبلها طلبية ولو سلم انها معطوفة
فالاستثناء يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي الجر على البدل ولا يمكن ان يكون الاسم الواحد محكوما باعرابين
مختلفين في حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الخبر فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها ايضا وان جاز البدل في غير هذه المادة وقد
احتج الشافعية ايضا في قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة
من الكفر والزنى والقتل مع غلظها مقبولة فلأن يقبل من القذف اولى وايضا ان ابا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعد ان
تاب وحسن حاله اولى وايضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فيقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان
اولى بان يقبل شهادته لان القذف من المسلم اهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانه شهادتهم
بعداوتهم ومحاربتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وايضا الايمان يجب ما
قبله وبعد ذلك لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لانا نقول هذا الفرق يكفي في اهل الذمة لعقد لهم ما للمسلمين
وعليهم ما على المسلمين واحتج الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن امية يجلد هلال ويبطل
شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة وبقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض
ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية
عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولعله لو كان

كاذبا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر ومنها قد ظهرت العفة والصلاح ومنها ان عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن
شعبة وهم ابو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من اكذب نفسه قبلت شهادته فاكذب نافع ونفيع انفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما
وقد بقي في الآية مسائل **الاولى** قال الشافعي لا فرق بين ان يجيء الشهود متفرقين او مجتمعين وقال ابو حنيفة اذا جاؤوا
متفرقين لم تثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنى اقل من اربعة حجة الشافعي ان الآتي بالشهداء متفرقين اتى بمقتضى النص
واجتماعهم امر زائد لا اشعار به في الآية وايضا القياس على سائر الاحكام بل تفرقهم اولى لانه ابعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يقبل الشاهد
في كل حكم سواء عند التزكية وايضا الاجماع ان لا يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد الآخر ويشهد جاز
فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة ابي حنيفة ان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يأت باربعة شهداء فوجب عليه الحد
فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته اذا قصد السب فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روي ان المغيرة بن شعبة
شهد عليه بالزنى عند عمر بن الخطاب اربعة ابو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كأذني حمار ولا ادري
ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط **الثانية** يجوز عند ابي حنيفة
ان يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأبى الشافعي **الثالثة** قال الشافعي في احد القولين في القاذف اذا اتى باربعة فساق ثم
قذفهم يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال ابو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه اتى باربعة من اهل الشهادة الا انه لم
تعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فلذلك يجب اعتبارها **الرابعة** لا يكفي في الشهادة اطلاق الزنى بل
لا بد ان يذكروا التي زنى بها وان يذكروا الزنى مفصلا فيقولوا رأيناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشا في البئر ولا بد
مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو اقر على نفسه بالزنى فهل يشترط التفسير فيه وجهان نعم كالشهود ولا كالقذف **الخامسة**
قالوا اشد الحدود ضرب الزنى ثم ضرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته محتمل الصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض **السادسة**
حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على انه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والاصح انه يرثه
جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترتفع بالموت لان لحوق العار بهما اقل وعلى هذا القول اعترض ابو حنيفة
بانه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب **السابعة** اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم او قذف امرأة
برجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على
آخر وهو لا يعلم يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها بان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتجسس عن
زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمي رجل بالزنى ان يبعث اليه فيسأله عن ذلك لان الله تعالى قال ولا تجسسوا واراد به
اذا لم يكن القاذف معينا كان قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث اليه الحاكم فيسأله **الثامنة**
قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بانه يقول كذبت فيما قلت فلا اعود الى مثله وقال ابو اسحق لا يقول
كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى
بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله
واصلحوا وقدرها الاكثرون بسنة لان مرور الفصول الاربعة له اثر في تأثير الطباع وان الفاسق ممن يستحق العقاب لانه لو
كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا يمنع وصفه بانه ضارب الظهر الا ان يقال انما
يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتغليظ كما لا يقال لاكابر الصحابة كافر لتقدم الكفر قالت الاشاعرة في قوله فان الله غفور رحيم
دلالة على ان قبول التوبة لا يجب عليه والا لم يحصل المدح **الحكم الثالث اللعان** وسببه قذف الزوجات خاصة القذف امر محظور
في نفسه الا اذا عرض ما يبيحه او يوجبه وتفصيل ذلك انه اذا علم الزوج بعينه من زنى او قوي على ظنها ووقع في قلبه صدقها

او سمع ممن يثق بقوله او استفاض بين الناس ان فلانا يزني بفلانة وقد رآه الزوج بعينه يخرج من بيتها او رآه معها في بيت ابيح له القذف
لتاكيد التهمة ويجوز ان يمسكها ويستر عليها لما روى ان رجلا قال يا رسول الله ان امرأتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال فاني احبها قال
فامسكها اما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله او استفاض ولكن لم يره الزوج معها او بالعكس لم يحل له قذفها لانه ربما دخل لخوف او لسرقة او لطلب
فجور وابت المرأة هذا كله اذا لم يكن هناك ولد يريد نفيه فان كان ولد فان تيقن انه ليس منه بان لم يكن وطئها الزوج او وطئها لكنها
اتت به لاقل من ستة اشهر من وقت الوطء او لاكثر من وقت الوطء او لاكثر من اربع سنين يجب عليه نفيه باللعان بسبب الغيوبة كما من منع من نفي
نسبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وايما رجل
جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الاولين والآخرين وان احتمل ان يكون الولد منه بان اتت به
لاكثر من ستة اشهر من وقت الوطء ولاقل من اربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة او استبرأها واتت به لدون ستة اشهر
من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنى وان استبرأها واتت به لاكثر من ستة اشهر من وقت الاستبراء ابيح له القذف
والنفي والاولى ان لم يفعل لانها قد ترى الدم على الحبل وان اتت امرأته بولد لا يشبهه كان كانا ابيضين واتت به اسود فان لم
يتهمها بالزنى فليس له نفيه لما روى ابو هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امرأتي ولدت غلاما اسود فقال هل لك من ابل
قال نعم قال ما الوانها قال حمر قال فيها اورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنى
او رجل فاتت بولد يشبهه فهل يباح له نفيه فيه وجهان اما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم
بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل
حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم
هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما وقال رايت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة
فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي اخبرني
عويمر ابن عمي انه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعويمر
اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر
وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل
غيور وانه رآني وشريكا نطيل السمر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله سبحانه هذه الآيات والذين يرمون ازواجهم الى آخرها وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن
الصادقين من غيري ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين من غيري
وانها لحبلى من غيري ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة
قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما زان
شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم في الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس ايضا في رواية الكلبي انه لما رجع الى اهله وجد شريكا على بطن امرأته فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا
على بطنها فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية اخرى حتى آتي باربعة شهداء لكون قد قضى حاجته وذهب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد
يا رسول الله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكني عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء

ابن عم له يقال له هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله اني وجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني
وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهية في وجهك مما اخبرتك
به والله يعلم اني صادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما الحد عليك فاجتمعت الانصار
فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبينما هم كذلك اذ انزل الوحي فقال يا هلال ابشر فقد جعل الله لك مخرجا وامرهما باللاعنة وفرق بينهما وقال
انظروها فان جاءت به اصهب خمش الساقين اثيبج فهو لهلال وان جاءت به اورق جعدا خدلج الساقين فقال صلى الله عليه
وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك امير مصر من الامصار لا يدرى من ابوه واعلم ان الفرق بين قذف
غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو ان المخلص من الحد في الاول اقرار المقذوف بالزنى او بينة تقوم على زناه وفي الثانية المخلص
احد الامرين واللعان وسبب شرع اللعان هو انه لا ضرر على الزوج في زنى الاجنبية والاولى له ستره اما في زنى الزوجة فيلحقه
العار والشنار والنسب الفاسد ولا يمكنه الصبر عليه وقد تتعذر عليه البينة كالمتعذر وايضا الغالب ان الرجل لا يقصد رمي زوجته
الا عن حقيقة فنفس الرمي دليل على صدقه الا ان الشرع اراد كمال الشهادة الحال بتقوية الايمان كما ان شهادة المرأة حين ضعفت
اكدت بزيادة العدد ومن هنا قال كثير من العلماء ان حد قذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا
مسائل **الاولى** قال الشافعي ان اكذب الزوج نفسه ذلك لزمه الحد القذف فاذا تم اللعان لزمها حد الزنى وقال ابو حنيفة اذا نكل
الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعي اذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهي الحد
وايضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليس اللام فيه للجنس لانه لا يجب عليها جميع انواع العذاب ولان الآية نص اذ ذاك بجملة فهي للعهد
ولا معهود في الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم اهون عليك من غضب الله وللمرأة ان يقول ان كان الرجل
صادقا فحدوني وان كان كاذبا فخلوني فما بالي والحبس وليس حبسي في كتاب الله ولا سنة رسوله حجة ابي حنيفة ان النكول
ليس بصريح في الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للنفي وغيره **الثانية** الجمهور على انه اذا قال ما هذا الولد مني وجب
اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا ان يقول رأيتك تزنين او ينفي حملا او ولدا **الثالثة**
قال الشافعي من صح يمينه صح لعانه ولا يشترط الا التكليف ويجري اللعان بين الذميين والمحدودين والرقيقين وذهب
ابو حنيفة الى ان الزوج ينبغي ان يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة ينبغي ان تكون بهذه الصفة مع العفة فان
كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات دليل الشافعي عموم قوله والذين يرمون ازواجهم
والاجماع على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع العار
دليل ابي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ليس بيني وبين اذ ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم
والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وايضا اللعان في الزوجات قائم مقام الحد في الاجنبيات ولا يجب اللعان على من لا يجب
عليه الحد لو قذفها اجنبي وايضا اللعان شهادة لقوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات وقد جاء مثله في احاديث اللعان
واذا كان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر واجاب الشافعي بان اللعان يمين مؤكدة بلفظ
الشهادة اذ يمين فيها اسم الشهادات فلا يشترط في الملاعن الا اهلية اليمين ومما يدل على انه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال
بن امية احلف بالله الذي لا اله الا هو انك لصادق وقوله لولا الايمان لكان لي ولها شأن وايضا لو كانت شهادة لكان يجب على المرأة ثمان
شهادات لانها على النصف من الرجل ولم يجز لعان الفاسق والاعمى لانهما ليسا من اهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان
لانا نقول العبد ايضا قد يعتق بل العبد اذا اعتق يقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم الزم
الشافعي ابا حنيفة بان اهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغي ان يكون اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد ذلك ويختلف

الحد دخل وقت لو معنا ما ان الزوج اذا لم يلاعن ينصف الحد عليه برجم وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها بالاحصان ... فيها
الرابعة اختلف المجتهدون في نتايج اللعان فعن عثمان البتي انه لا يحصل بالفرقة اصلاً لان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقاً في قذفه
وهذا لا يوجب تحريماً كما لو قامت البينة عليها وايضاً ان تلاعنهما في بينهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وايضاً انه قائم مقام الشهود
في الاجنبيات فلا يكون له تاثير الا في اسقاط الحد وايضاً اذا اكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان واما تفريق النبي صلى الله
عليه وسلم بين المتلاعنين في قصة العجلاني فكان ذلك لان الزوج كان طلقها ثلثاً قبل اللعان وعن ابي حنيفة واصحابه الا زفر ان الحاكم يفرق
بينهما لما روى سهل بن سعد مضت السنة في المتلاعنين ان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابداً ولما في قصة عويمر كذبت عليها ان امسكتها
هي طالق ثلثاً فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم
لانهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعي اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل
بذلك خمس نتايج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تاثير للعان الزوجة الا في دفع العذاب عنها
نفسها دماروى انه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما يحيى انه حسنى ووقوع الفرقة بينهما ثم ابو بكر الرازي ان قول الشافعي خلاف الآية لانه لو
وقعت الفرقة بلعان الزوج لعنت المرأة وهي اجنبية ولكنه تعالى اوجب اللعان بين الزوجين وايضاً اللعان شهادة فلا يثبت حكمها
الا عند الحاكم كساير الشهادات وايضاً اللعان يستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعي ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وايضاً اللعان
لا تعلق فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها لم ولا بد من لعان التفريق اما من قبل الزوج واما من قبل الحاكم وايضاً اللعان
لو قابل ان يقول سميا زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم ان اللعان شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعي تنصيص الله
تعالى على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب ان تشهد فيه دلالة على انه تعالى كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء
العذاب وايضاً لعان الزوج مستقل بنفي الولد لان الاعتبار في الالحاق بقوله لا بقولها الا ترى انها في لعانها لا تلحق الولد بدون نفي
فنفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يكون الفراش زائلاً لان الولد للفراش **الخامسة** مذهب مالك والشافعي
وابي يوسف والثوري واسحق ان المتلاعنين لا يجتمعان ابداً وهو قول علي وابن مسعود ولما روى الزهري من حديث سهل بن سعد
ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه
الحرمة انه اذا كذب نفسه وحد انه يحرم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره وقد يحتج لابي حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم
السادسة اتفق المسلمون اهل العلم على ان الولد ينتفي عن الزوج باللعان وخالف بعضهم مسئلة لا بل يجب تخصيصها **السابعة**
لو اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم عند الشافعي وهو ظاهر ومن ابي حنيفة ان لو اتى الاكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم **الثامنة**
كيفية اللعان كما مر في الآية وان الحديث قد زاد فيها احكاماً وقد عد الشافعي من سننها ان يقام الرجل حتى يشهد والمرأة
قاعدة ويقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضي او صاحب
المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب في اللعان ولا يجب على الاصح التغليظ بالزمان وهو
ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والروضة وفي ساير البلاد
عند المنبر في المسجد الجامع ايضاً هي المقصود في بيت المقدس وفي المسجد الاقصى عند الصخرة ولليهود في الكنيسة وللنصارى
في البيعة وللمجوس في بيت النار واذا لم يكن له دين فيو مساجدنا الا في المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم كما تقدم ان اللعان
على اليمين او على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الاعيان اقلهم اربعة **التاسعة** قال جار الله انما خصت الملاعنة بان تخمس
بغضب الله تغليظاً عليها لانها اصل الفجور ومنبعه بخلابها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد **العاشرة** في فوايد متعلقة بالآية

بالآية منها ابطال المجهود وقول الخوارج ان الزنى والقذف كفر وذلك لان الرامي ان صدق فهي زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر احدهما
والردة توجب الفرقة من غير لعان وهذا باطل قياساً ومنها ان النفي يوجب فساد النكاح لان ذهاب الزوج الى الاعتراف وعندنا لا
يفسد النكاح على قول القايل فيحصل الفرقة بلا لعان ومنها ان المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن والغضب الموجب
للعقاب الابدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق في النار واجاب الاشاعرة بانه يكون مغضوباً عليه بفسقه لا بايمانه فيكون
مرضياً عنه بجهة ايمانه ولا بد ان يحصل له بعد العقاب ثواب ثم اخبر عن كمال رافته بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي فيما بين
من هذه الاحكام وفيما اهمل وابقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف اي لهلكتم اذا فضحتم او لكان ما كان من انواع المفاسد
وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون ابلغ في البيان فرب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **التأويل**
النفس الزانية المتسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا منها والروح بتصرفه في الدنيا وشهواتها المنهيه عنها فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والملاذ ومن حماية المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو ان ساعات اليوم بليله
اربع وعشرون منها اربع ساعات لاجل النوم الا يكون يجعل انك تقوم ادنى من ثلثي الليل والباقي فيتركب منها مع اجتماع الحواس الخمس ونادي
آداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تاديبه يحصل تاديبها وكمال النفس والروح والله تعالى اعلم وليشهد عذابهما ولكن هذه
التزكية والتاديبات بمحضر شيخ واصل كامل يحفظ من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح حينئذ ان الطبع يسرق والجنس الى الجنس
يميل ما هل الفساد لا يرغب الا في صحبة اشكالهم من اهل الفساد كما ان ارباب السداد لا يطمع الا في صحبة امثالهم من ارباب السداد
وحرم ذلك الذي قلناه من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات اي الارواح الذين ينسبون الى النقصان النفوس
المستعدات للكمالات ثم لم ياتوا باربعة شهداء اعلم ان خواص العناصر الاربع ظاهرة على صنايع احوالي كما تقرر في اول النساء
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم او لم يبلغ الملكات الذميمة من مرتبتها الراسخة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة من الجوع
بالخلوة اربعين يوماً واربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال الحال الغيبي في الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة على نفي حال ولئك
هم الذين يريدون انهم خرجوا عن طاعة الله بعد نسبة النقصان الى النفس المستعدة والذين يرمون ازواجهم وهي القوالب
المزدوجة بالارواح ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم لانه لا يطلع على احوال القالب الا الروح فشهادة احدهم اربع شهادات في
الانسان الاربعة التي فيها يحصل الرتبة والاستكمال والخامسة وهي حال تحول الاجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما يولد
منهما من الصفات الذميمة بينها الروح الى ثالث هو الشيطان وبينها الثالث ابعد الروح الذي يدبره ويتصرف فيه
والافتراق الذي يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لان الروح يميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم التوافق بينهما

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۝ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم
إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما
يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم
الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون يا أيها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد
أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل
منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما
كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق
المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون

للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

القراءات كبره بضم الكاف يعقوب إذ سمعتموه والعجلي إذ يلقونه بالإظهار وتشديد التاء البزي وابن فليح ولا
يأتل من الائتلاء يزيد ما زكى بالتشديد والإمالة روح وقتيبة مما لم يختصه يوم يشهد على التذكير علي وحمزة وخلف الباقون بتاء
التأنيث **الوقوف** عصبة منكم ط شر لكم ط خير لكم ط من الإثم ج لتنوع عود من أحوال الحكم إلى بيان حكم
العفو مع اتفاق الجملتين عظيم خيرا لا للعطف مبين شهداء ج للشرط مع الفاء الكاذبون عظيم لا لاحتمال أن يكون الظرف
قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكروا بهذا ق قد قيل والوصل أتم لأن قوله سبحانك من جملة مقول قلتم
عظيم مؤمنين ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وإنما آية الآيات ط حكيم أليم لتعلق الظرف والآخرة
لا تعلمون رحيم نصف الجزء خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم في سبيل الله ط
والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم والآخرة لتعلق الظرف يعملون المبين للخبيثات ج للعدم مع اتفاق د
للطيبات ج لاتفاق العدد مع فقدان العاطف يقولون كريم **التفسير** إنه سبحانه لما ذكر أحكام القذف
ما ذكر أتبعها حديث إفك عائشة الصديقة وما قذفها به من أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير
وعلقمة بن أبي وقاص كلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها
أخرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي
غزوة المريسيع أيضا فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل
فقمت حين آذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم
يحسبون أني فيه لخفتي فإني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما رجعت إلى مكاني وليس به أحد جلست وقلت
يفقدونني في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتبع أمتعة الناس فيحمله إلى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء
فلما رآني عرفني وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدنا الناس حين نزلوا وخاض الناس
في ذكري فبينما أنا في ذلك إذ هجمت عليهم فتكلم المنافقون وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبكتنا أبواك واشتكى ولا يرقأ لي
دمع أقول كما يقول العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون إلى أن نزلت إن الذين جاءوا
بالإفك إلى آخر الآيات وفي الحديث طول هذا حاصل سبب النزول وأما التفسير فالإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء
وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم
عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى
منكم أنهم كانوا من جملة من حكم لهم بالإيمان ظاهرا أما الخطاب في قوله لا تحسبوه شرا لكم فالصحيح أنه لمن ساءه ذلك من
المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان وكونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على
قدر عظم البلاء وأنه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه أم المؤمنين
وتطهير لأهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة
وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الإفك إلى التوبة عن ذلك

عظيم لا

ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون كالكفارة وضعف هذا القول بانه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق
قوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي يصيب كل خائض في حديث الافك نصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض والذي تولى
كبره اي معظم الافك وهو في قول الضحاك حسان ومسطح لانه جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والاصح انه عبد الله بن ابي المنافق
حكي انه صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة
نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وروي ان عائشة ذكرت حسانا وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا
سمعت شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفي رواية اخرى قالت واي عذاب اشد من العمى ثم علم ادبا حسنا في مثل
هذه الواقعة فقال لولا اذ سمعتموه ظن فصل لولا التخصيصية وبين فعلها بالظرف لانه يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيره ونزل الظرف
منزلة المظروف نفسه ولان الممكنات لا تنفك عن الظروف والعوائد وفيه ان يعلم ان النطق بالحق كان يجب عليهم اول ما سمعوا بالافك فلما كان الوقت
اهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم لا يخفى ان اصل المعنى ان يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم انفسكم خيرا وقلتم هذا
افك ومعنى بانفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات ولينبه لفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن
بقولهم فيه بناء على ظن الخير من جا برآءة ساحته هذا افك مبين وذلك ان المؤمن ابن عمل والدين ما يهديه الى الصلاح ويزجره
عن القبيح ولم يوجد لهذا الداعي الصارف معارض يساويه كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب ان لا يلتفت المؤمن الى قول
الطاعن في حق اخيه وينبغي ان يحسن ظنه به وهذا ادب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه يروى ان ابا
ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا
قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك وفي الآية دلالة على
قول ابي حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لانا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن
هنا قال فيمن باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انه خالف بينهما الا انا قلنا بظن الخير ووجب حمله على ما يجوز وكذا
اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتي درهم يجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف واذا وجدنا امرأة اجنبية مع رجل واعترفا
بالتزويج فصدقهما حملا لامرهما على الصلاح والتصرفات كلها على الجواز والصحة ونعم ما لكانا يجدان ان لم يعترفا بيّنة على النكاح وقيل
ان الآية مختصة بعائشة لان كونها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كالدليل القاطع على ان الذي فيها افك صريح قال العلماء يجوز
ان تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الانبياء معصومون عن المنفرات البتة
فان حصول الفجور معه ينافي بعثته لكن الكفر غير منفر للكفرة قالوا واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات قيل في تفسير الكشخان
الذي تحت امرأته الرجال الاجانب ويقال كشخنه اي قلت يا كشخان ثم بالغ في زجرهم عن حديث الافك بقوله لولا جاؤا عليه
الآية ايضا تخصيصية والمراد التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفائها ولكن هذا العدد كان قد
انتفى في حق عائشة فهم في حكم الله وشريعته كاذبون وهذا الذكر كان في الظلم ولكن الطاعنين والاثم في نفس الامر بالنسبة الى هذه الواقعة
كاذبون كما هم في علم الله ثم زاد في التهديد والزجر بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته الآية وقال جمهور المفسرين لولا الاولى لتخصيص ان الفضل
عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث
الافك وعن مقاتل ان في الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب
عظيم في الدنيا والآخرة معا وتلقى الافك اخذه من غيره القائل وتقبله والاصل تتلقونه بتائين وقد قرئ باسكان التاء الاولى
وذلك كتحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفي زيادة قوله بافواهكم اشارة الى انه قول لا حجة له الا في العبارة ولا حقيقة له

لو جاء في الواقع والقذف فكيف من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبي وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم ولهذا قال وهو عند الله
عظيم عن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي النصائح الكبار لا تقولن لشيء من
سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم في الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم بلا حقيقة له واستصغار ذلك
به واستهانته وهو عظيمة من العظائم وفيه ان عظم المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه وربما يصير مؤكدا للعظم وفيه ان الواجب على المكلف
ان يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يأمن ان يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم ادبا اخر ومعنى ما يكون لنا لا ينبغي وما يصح لنا وقيل سبحانك
تنزيها لله من ان تكون زوجة نبيه التي هو احب خلقه اليه فاجرة او تنزيه من ان يرضى بتدنيس اولئك المفترين والتعجب
من عظم الامر وذلك انه يسبح الله عند رؤية كل امر عجيب من صنايعه فكثر حتى استعمل في كل متعجب منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله اذ
سمعتموه ظن المؤمنون هو ان تلك سبيل التعميم وهذه الخصوص فكانه تبين ان هذا القذف خاصة مما ليس لهم ان يتفوهوا به لما فيه
من ايذاء نبيهم وايذاء زوجته التي هي حبيبته يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب بكراهة ان تعودوا او في شأن ان
تعودوا لمثله ابدا اي مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة في قوله ان كنتم مؤمنين على ان ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والالزام
ويبين الله لكم اي لاجلكم الآيات الدالات على حكمه وما ينبغي ان يتمسك المكلف به في ابواب الصلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم
هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيهما اخص من الاول وعند الاشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد انه يجب قبول تكاليفه وبياناته
لانه عالم بما امر به وبما يستحقه كل ما فعل ولا يصح تكليفه عبث ولا عبث ومن كان هذه صفته وجبت طاعته ليثيب ولا
يعاقب استدلت المعتزلة بالآية في انه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا بالآية لامتناعهم وانه حكيم لا يفعل القبائح ولا
جواب للاشاعرة الا انه يفعل ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم ثنى بقوله ان الذين يحبون اهل الافك بان لهم في عذاب الدارين من رضي بقولهم
وانهم كما هم مؤاخذون بما اظهروه فهم معاقبون على ما اضمروه من محبة اشاعة الفاحشة في المؤمنين لانها تدل على كل احد وخصوص
السبب لا يقتضي خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من اراد بواحد من المؤمنين والمؤمنات شيئا من المضار والاذيات
وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن ابي وخصوص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا
يخفى ما فيه من ضيق العطن لان اشاعته نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما اعطى الله اهل النفاق من صنوف البلاء
ولا يخفى ما فيه من ضعف وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه بالسيف
وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه اهل النار
وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير واما قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون
ففي نهاية حسن الموقع لان الاعمال القلبية كمحبة الشر والخير لا يطلع عليها احد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف شيئا منها بالقرائن وا
لامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في ان يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان
الاول ملكة والثاني حال ولعل الذي يلزمهم ترتب العقاب على الملكات مرتبة على الحال فافهم قال ابو حنيفة المعاقبة بالنجوى لا تستطاع
لان استطاعتها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على انه تعالى غير خالق لفعل العبد والا لكان هو محبا
ان تشيع الفاحشة وانها ولعل المراد ان يقول يعاقب الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين
من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف الرحيم وجواب لولا محذوف ومعلوم انه ما تم وقيل جوابه ما يدل على ذلك في قوله ما زكى منكم وهو
بعيد عن ابن عباس ان الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والاقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به
في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما ينكره العقول ويأباه قوله فانه يأمر بالفحشاء من وضع السبب مقام المسبب والمراد

قال الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي دلالة على ان التزكية وهي الطهارة من دنس الاثام لا تحصل الا بالله وهو دليل على انه خالق الافعال والاثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف او على الحكم بالطهارة وضعف بانه خلاف الظاهر وبانه يجب انها الكل اليه وبان قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليكم ثم علل ذلك بانه سميع لاقوالهم ولا يأتل او هو افتعل من الالية اي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهو كقوله من قولي ولا يتال وقيل هو من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر من الاجتهاد شيئا اي لا تقصروا في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه فنزلت فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر فلما وصل الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى احب ان يغفر الله لي فضعفا على مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا انزعها ابدا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى هذه الاية تدل على فضيلة ابي بكر رضي الله عنه من وجوه وذلك ان الفضل المذكور في الاية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فيثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى في الغير معمولا به وايضا ذكره الله تعالى في الاية بلفظ الجمع وانه يشعر بالتعظيم وايضا فقد جعله ذي القربى ثم مصاحبه على الوجه ووقع الحسام المهند فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد امره الله تعالى بالصفح عنه وان شق عليه فكان ذلك في نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وايضا في تسميته اولي الفضل والسعة نكتة فكانه قيل انت افضل من ان يقال انسان اساء وانت اوسع قلبا من ان تهتم للدنيا وبالا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان يقطع برك عمن اساء اليك وايضا امره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو في هذا الجهة نائب عن النبي في الاخلاق وايضا علق المغفرة بالعفو فقد حصل العفو فيحصل المغفرة البتة في الحال والاستقبال بقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ففيه دليل على صحة خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الاولى والافضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن [illegible] ويعطي من حرمه واعلم ان العلماء اجمعوا على ان مسطحا كان من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح على الرواية عن ابن عباس [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا ايضا على انه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين اجابوا بانه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم انكم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا ما شئتم [illegible] قليلا او كثيرا فقد اعطيتكم الدرجات العالية في الجنة او اراد حسن حالهم في العاقبة انهم يوفقون الطاعة فكانه [illegible] غفرت لكم لعلمي بانكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة في حق مسطح بعد كونه من المهاجرين دليل على ان ثواب [illegible] مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القذف والحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالاية في ان من حلف على الايلاء بالحلف [illegible] الايمان على الامتناع من الخير غير جائز وانما يجوز اذا دعيت للخير لا صادقة عندهم قالوا من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها [illegible] [illegible] في الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم الله بما عقدتم الايمان وهو عام في جانب الخير وغيره ومثله ما ورد في قصة ايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلو كان الحنث كفارة لم يأمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه ياتي بالذي هو خير وذلك كفارة لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وذلك كفارته ولانه تعالى امر ابا بكر في هذه الاية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة والجواب ان معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما فعلنا الى هذا لكونه مطابقا للحديث الاخر من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما هذه الاية فانما لم يذكر فيها الكفارة لانها معلومة من سائر الايات قوله ان الذين يرمون المحصنات مر تفسير المحصنة واما الغافلات

الغافلات فهن السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يفطن الى ذلك في الحبس والمكر وغيرها كما قال وقد تحبس على ذكرهن السيء وغيره لكن الاصح الاول قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل في الاية قذف عائشة وخصصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال ام المؤمنين فجمع ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص ان قذفه سائر المحصنات يقبل توبته لقوله الا الذين تابوا واما القذف المذكور في هذه الاية فوعيده مطلق من غير استثناء والجواب ان طي ذكر التوبة في هذه الاية لكونها معلومة وقد احتج للتخصيص بما روي عن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة ومنهم من قال نزلت الاية في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فكانت المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر انها شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لانهم يقولون البنية ليست شرطا في الحيوة فيجوز ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما واما المعتزلة فالمتكلم عندهم فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز ان يبني الله تعالى هذه الجوارح على خلاف ما عليها ويلجئها الى ان يشهد على الانسان ويخبر عن اعماله ومعنى دينهم الحق الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله هو الحق المبين العادل الظاهر العدل وقال غيره سمي حقا لانه حق عبادته اولانه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستفاد من الله والمبين ذو البيان الصحيح او المظهر للموجودات والحاصل انه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود لغيره ثم ختم الايات الواردة في اهل الافك ويجوز ان يراد بالخبيثات مضمون الايات الواردة في وعيد القذفة لان مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا انه غلب الرجال والحاصل من الخبيثات من القول فهذا الوعيد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين متعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها من النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت فانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك وفي الاية قول آخر وهو ان يراد بالخبيثات النساء الخبائث وبالخبيثين الرجال الذين لهم اشكال لهن فيكون اول الاية نظير قوله الزاني لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام في اهل البيت ولا اطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون ازواجه مثله فلذلك اخبر عن حالهن بقوله لهم مغفرة ورزق كريم وقد مر تفسير الرزق الكريم في نظير قوله في الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفي الاية دلالة على ان عائشة تكون من اهل الجنة وقال بعض اهل الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر وقد فعلت عائشة من البغي يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وتاب عن عائشة لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبرئيل عليه السلام في راحته حين امر رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الايات العظام في كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين **التأويل** اذا احصل الاهل الله مساكنة الحضرة فبعث الله ما يرده اليه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له اي الناس احب اليك قال عائشة فسالها وقال يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة وقالت عائشة اني احبك واحب قربك فالله تعالى اخرج حبها عن قلبه بحديث الافك ورد قلب عائشة الى الحضرة حيث قالت بحمد الله لا بحمدك وقيل اللعنة مفتاح باب خبث الحجب بها يذهب الوجدان البلج بالشمس يوم يشهد عليهم شهادة الاعضاء

في النعيم مؤبد او بالحقيقة حتى قال لدنيا عجل لكم قال تعالى سيماهم في وجوههم من كثرة صلواتهم بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشافعي عيناك قد
حكتا مبيتك كيف كنت وكيف كانا بالاوراد وبتلاوة القرآن واليد تشهد باخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي الى المسجد والعين تشهد بالبكاء
والاذن تشهد بالاستماع كلام الله وعند الحكماء يظهر انوار الملكات الحميدة على المتقي من البدن وبالعكس كما ينعكس انوار المراد بالمقابلة
ويعلمون بنا على الوصول والاتصال والوصال ان الله هو الحق المبين لا شيء في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الآخرة وحينئذ
يحق ان يقال الخبيثات وهي الملوثات ملوث الوجود المجازي للخبيثين وهم امثالهن
والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم امثالهن كالحق ولا طيب الا الله فجعله

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون
فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان
قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون
عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله
خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين
زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او
التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها

المؤمنون لعلكم تفلحون وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
والله سميع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم
الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من
الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين

القراءة وليضربن بكسر اللام على الاصل عباس جيوبهن بضم الجيم ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وهشام
وعاصم غير المفضل والبزي والقواس من طريق الهاشمي وفي رواية ابن شنبوذ عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم تفسير الى الكسر وبضم الياء الآخرون
بالكسر غير اولي بالنصب على الاستثناء او الحال ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد والباقون بالكسر على الوصف ايه المؤمنون بضم الهاء
في الحالين ابن عامر وقرأ ابو عمرو وعلي وابن كثير بالف في الوقف وبفتح الها غير الف في الوقف وبالف في الوصل **الوقوف**
اهلها ط تذكرون ه يؤذن لكم ج للشرط مع العطف ازكى لكم ط عليم ه متاع لكم ط تكتمون ه فروجهم ط لهم ط يصنعون ه
جيوبهن ص عورات النساء ص زينتهن ط تفلحون ه وامائكم ط من فضله ط عليم ه من فضله ط خيرا ق قد قيل والوصل اوجه للعطف
اتاكم ط للعدول الحيوة الدنيا ط رحيم ه للمتقين ه **التفسير الحكم الرابع الاستيذان** لما كان الخلوة طريق الى
التهمة ولذلك وجد اهل الافك سبيلا الى ما افكوه شرع ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستيذان وفي الآية اسئلة **الاول**
الاستيناس هو الانس الحاصل بعد المجانسة قال تعالى ولا مستانسين لحديث ولا يكون ذلك في الغالب الا بعد الدخول والسلام
فلم عكس هذا الترتيب في الآية جوابه بعد تسليم ان الواو للترتيب هو ان الاستيناس طلب الانس وانه مقدم على السلام وقال جار
الله هو من باب الكناية والارداف لان الانس الذي هو خلاف الوحشة يردف الاذن فوضع موضع الاذن وكأنه قيل حتى يؤذن
لكم او هو استفعال من انس اذا ابصر اي حتى تستكشفوا الحال وتبينوا هل يراد دخولكم ام لا وهو من الانس بالكسر وهو ان

يثرب تحية ثم انسان لانه لا يبقى السلام سالما بعد الولوج في البيت انسانا ام لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ
الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لانها توجب الطعن في التواتر وتفتح باب القدح في القرآن كله نعوذ بالله **الثاني** ما الحكمة
في شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه وليلا يوقف على الاحوال التي يخفيها الناس في
العادة ولانه تصرف في ملك الغير فلا بد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه ذلكم يعني الاستئذان والتسليم
خير لكم من تحية الجاهلية والهجوم اي الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه
من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تتعظوا وتعملوا به **الثالث**
كيف يكون الاستئذان الجواب استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا
فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل وفي [illegible] قراءة عبد الله حتى
تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكان اهل الجاهلية يقول اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف واحد فنهى الله تعالى عن ذلك وعلم الادب الاحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال
عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار ممنوع عنه وكذا كل ما يؤدي الى الكراهية ويبنى على
الثقل **الرابع** كم عدد الاستئذان الجواب روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلث فالاولى يستنصتون
والثانية يتهيؤن او يستعدون ونقل عن ابي موسى الاشعري وقصته مع عمر مشهورة في ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلثة الاول
يسمع الحي الثاني ليتهيؤا والثالث ان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا وينبغي ان يكون بين المرة والاخرى فاصلة والا كان الكل في حكم واحد
الخامس كيف يقف على الباب الجواب انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى قوما لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن يقف من
ركنه الايمن او الايسر واذا كان للباب ستر كانت الكراهية اخف **السادس** قوله حتى تستأنسوا وتسلموا ابدا على انه يجوز
الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن له اذن او من يأذن لان حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون بخلاف ما قبلها
جوابه سلمنا المخالفة لكن لا نسلم المناقضة وذلك انه قبل الاستئذان لا يجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو انه
ان لم يجد فيها احدا من الآذنين مطلقا او من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين
مطلقا او من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي على الاطلاق او ممن له الاذن فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم اي حتى تجدوا من يأذن لكم او من يعتبر اذنه وان تجدوا فيها من له الاذن ان اذن دخل وان لم يأذن رجع وان قال ارجع
رجع وهو قوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدر والبعد من الريبة
وفي قوله والله بما تعملون عليم نوع زجر للمكلف فعليه ان يحتاط كيف يدخل ولاي غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن
مقام الاذن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفي رواية اخرى اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان
ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجمهور على ان اذن الصبي
والعبد والمولى معتبر وكذلك في الهدايا الاخبار المتواترة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روي ان رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وسلم استأذن على امي فقال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل
لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل انه لا
يراه منكشف الاعضاء فيستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لاجل انه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا
اذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره **السابع** ما حكم من اطلع على دار غيره
بغير اذنه الجواب قال الشافعي لو فقأ عينه فهي هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد ان رجلا اطلع في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه

وسلم ومع النبي مدرى يحك به رأسه فقال لو علمت انك تنظر الي لطعنت بها في عينك انما الاستئذان من النظر وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر يرد لوروده على خلاف الاصول
بلا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع
فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر [illegible]
فانه اذا علم القوم دخوله عليهم جاز لهم ان يدفعوه وتنزلوا اما اذا نظر الى حريم غيره من غير ان يطلع على ما يراد الاطلاع عليه فلا يبعد في حكمة الشرع
ان يبالغ ههنا في الزجر حسما لمادة الفساد جميع هذه الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فلذلك قال ليس عليكم جناح الآية والمعنى
فيه اقوال الاول قال محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال
والسلع والبيع والشراء يروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الاسواق والاولى العموم وانه لم يحتج
الى الاذن دفعا للحرج ولانها ماذون فيها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم **الحكم الخامس غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل** وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل [illegible] او تنزل هذا ان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف
وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العذاب على تركها قال الاكثرون من للتبعيض والمراد غض شيء من البصر
لان غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الاخفش ان تكون من زائدة وقيل صلة الغض اي ينقصوا
من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا انتقصت من قدره والنظر اذا لم يكن عن عمد فهو معفو عنه واعراب قوله يغضوا
كما مر في سورة ابرهيم قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا قال العلماء العورات على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة
مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس اما الرجل مع الرجل فيجوز ان ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة
ليستا بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا
تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان في نظره الى وجه الرجل او سائر بدنه شهوة او خوف فتنة بان كان امرد لا يحل النظر
اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش بدليل رواية ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي
الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولد شفقة ويستحب
المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة والمضاجعة
ايضا كما مر في الحديث والاصح ان الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لانها اجنبية في الدين والله تعالى يقول او نسائهن
اما عورة المرأة مع الرجل فان كانت اجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز له ان ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى
ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للاخذ والعطاء ونعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام
تفصيل قال العلماء لا يجوز ان يتعمد النظر الى وجه الاجنبية لغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخرى فان
كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك امور منها ان يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفيها وروى ابو هريرة ان رجلا اراد
ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا ومنها انه ينظر الى امة يريد
شراءها ومنها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها ان ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر
الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين ان ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة وكما يجوز للختان ان ينظر الى فرج
المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز ان ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم يكن نسوة والى ثدي

يحل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة النظر
يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة اورثت حزنا طويلا ويستثنى منها ... وقعت تحرفا او غرتها فله ان ينظر ... وان كانت
الاجنبية امة فالاصح ان عورتها ما بين السرة والركبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الامة لا باس ان ينظر اليها
الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما يبدو في المهنة فيخرج عنه رأسها وعنقها وساقاها ونحرها وصدرها
ليس بعورة في ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق حكم الامة ولا يجوز لمسها
ولا الهامسة لان اللمس اقوى من النظر بدليل ان الانزال باللمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطره وقال ابو حنيفة يجوز ان يلمس من الامة ما يحل
النظر اليه واما اذا كانت المرأة ذات محرم بنسب او رضاع او صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند ابي حنيفة عورتها
ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له ان ينظر الى جميع بدنها غير انه يكره
ان ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روي انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية او مرتدة او وثنية
او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة واما عورة الرجل مع المرأة فان كان اجنبيا منها فعورته
ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والاصح هو الاول لان بدن المرأة في نفسه عورة بدليل انه لا
يصح صلاتها مكشوفة البدن وبدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روي عن ام سلمة
انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله اليس
هو اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها او سيدها
الذي يحل له وطؤها فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهي معها ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله
ما يستره لانه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله احق ان يستحيى منه ولما كان النظر بريد الب[لاء] امر بغض
الابصار اولا ثم بحفظ الفروج عن الزنى ثانيا وعن ابي العالية ان كل ما في القرآن من حفظ الفروج فهو عن الزنى الا هذا فانه اراد به الاستتار
وان لا ينظر الى الفرج احد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم ان يعلم ان امر الفرج اضيق وحين خص الخطاب في اول الاية
بالمؤمنين ذكر ان ذلك الذي امرهم به من غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم لانهم يتطهرون بذلك من دنس الاثام ويستحقون الثناء والمدح
وهذا الاليق بالكافر دون قوله ان الله خبير بما يصنعون ولا تأتي له في القرآن الحجب الحذر في كل حركة وسكون ونفيه قوله
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن يعلم من التفصيل المتقدم اما قوله ولا يبدين زينتهن فمن الاحكام
التي تختص بالنساء في الاغلب وقد يحرم على الرجال ابداء زينته للنساء الاجنبيات اذا كان هناك فتنة قال اكثر المفسرين
الزينة هاهنا اريد بها امور ثلاثة احدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها والحمرة في خديها
والحناء في كفيها وقدميها وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والاكليل والوشاح والقرط وثالثها
الثياب وقال اخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس
او حلي وغير ذلك وذلك ان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن تنبيه
على ذلك وكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقتهن فاوجب سترها بالخمار قال الفقهاء بناء على هذا القول معنى قوله الا ما ظهر
منها الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان وفي الاماء كل ما يبدو عند المهنة
وفي صوتها خلاف الاصح انه ليس بعورة لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يروين الاخبار للرجال واما الذين حملوا الزينة على ما
عدا الخلقة فذهبوا الى انه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لاجل المبالغة في حرمة النظر الى اعضاء المرأة الا ما ظهر منها

من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذ لم يصف البدن لرقتها وكالحمرة والوسمة في الوجه وكالخضاب والخواتيم في اليدين وما سوى ذلك
يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار المقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمورهن
من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطى
بذلك اعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وزينة وفي لفظ الضرب مبالغة في الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا
من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كان على رؤوسهن
الغربان ثم بين ان الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثني عشر فرقة الاولى بعولتهن اي ازواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة الثانية
اباؤهن وان علوا من جهة الاب او الام الثالثة اباء بعولتهن وان علوا الرابعة ابناؤهن وان سفلوا الخامسة ابناء بعولتهن وان سفلوا
ايضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الاب او من الام او منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم اولاد الاولاد حكم
الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال فعن الحسن البصري انهما كسائر المحارم في جواز النظر وقد يذكر البعض لينبه
على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع في هذه الاية وكذا في سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن في ابائهن الى اخرها ولم يذكر البعولة ولا
ابناءهم وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك ان العم والخال تعاد في سائر المحارم في
ابنائهما ليسوا على وجوب الاحتياط في التستر وانما ابيح لهذا الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهم الى مداخلتهم ومخالطتهم
ولا سيما في الاسفار للنزول والركوب وايضا العلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الاقارب التاسعة
قوله او نسائهن اكثر السلف على ان المراد اهل دينهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي
للكافرة الا ما يبدى للاجانب الا ان تكون امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال
اخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الاولى والاوجب العاشرة قوله او ما ملكت ايمانهن وظاهر
الاية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ما روى انس انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به
رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو
ابوك وغلامك وعن عائشة انها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعنها انها كانت تمتشط والعبد ينظر اليها
وقال ابن عباس ومسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة
اذ ليس ملكها العبد كملكه للامة ولا خلاف انها لا تستبيح بملك العبد شيئا من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة ويحرم تزوج العبد
بمولاته عارض غير مؤبد كمن عنده اربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة
سائر الاجانب خصوصا كان العبد فحلا واورد على هذا القول لزم التكرار لان الاماء من نسائهن واجيب بان المراد بالنساء الحرائر كالمراد
بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله او التابعين غير اولي الاربة وهي الحاجة وهم البله واهل
العنة الذين لا يعرفون شيئا من امور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم او شيوخ صلحاء لا حاجة
لهم الى النساء لعفافهم ... عن زينب بنت ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي
ام سلمة وقال يا عبد الله ان فتح لكم الطائف ادلك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فاباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن انه من غير اولي الاربة
فحجبه الثانية عشرة قوله او الطفل وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد هنا قال ابن قتيبة معنى لم يظهروا لم يطلعوا
على عورات النساء والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيى منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوي عليه
ام لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء فعلى الاول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب بين المراهق الذي ...

اذا الاماء من وراء

فيه مبادي الشهوة قال المحقق هولاء الذين وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على اقسام ثلثة فاولهم الزوج وله جهة
ليست لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وابو الزوج وكل ذي محرم من الرضاع او النسب يحل لهم ان ينظروا
الى الشعر والصدر والساقين والذراع واشباه ذلك والثالث التابعون غير اولي الاربة وكذا المملوك لاباس ان تقوم المرأة الشابة
بين يدي هولاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهولاء ان يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصلح للشابة ان تقوم بين يدي
الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن ادبا اخر جميلا بقوله ولا يضربن بارجلهن قال ابن عباس كانت المرأة تمر
بالارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخال وفي النهي عن اظهار
صوت الحلي مبالغة في النهي عن اظهار الزينة ليعلم ان كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه وان الرجل الذي يغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير
ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا اذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على
التوبة بناء على انه لا يكاد يخلو احد عن التقصير وكما ذكر ان مجدد عقد التوبة لا يلزمه ان يستمر على عزمه الى ان يلقى به عز وجل وعن ابن عباس
توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة قال جار الله من قرأ ايه المؤمنون بضم الهاء فوجهه انها كانت
مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين قال جار الله من قوله اتبعت حركتها حركة ما قبلها

الحكم السادس نكاح

وذلك انه حين امر بغض الابصار وحفظ الفروج ارشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما يدعو اليه الشهوة واصل الايامى
ايايم فقلب الواحد ايم بتشديد الياء ويشمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وعن
ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا اياماكم بعضهم من بعض وفيه ام وامة اذا لم يتزوج ابكارا كانا او ثيبين قال فان
تكحوا نكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وظاهر الامر للوجوب الا ان الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع في عصر
الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه الا ان الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع وقد ورد في الاخبار
التصريح بكونه سنة كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقد اجمعوا على ان الايم
الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على ان السيد لا يجبر على تزويج عبده او امته ثم يجب في بعض الصور كما اذا التمست
التزويج من الولي فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفوا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها وا
عترض ابو بكر الرازي بان الايامى شامل للرجال والنساء وحين لم يتم في الرجال الا باذنهم فكذا في النساء وبتقدير ما روي عنه صلى الله
عليه وسلم قال البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها واجيب بان تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق ان الايم من
الرجال يتولى امر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المرأة فان احتياجها الى من يصلح امرها اظهر على ان الامام لم يسلم ان لفظ الايامى
عند الاطلاق يتناول الرجال وفي تخصيص الآية بخبر الواحد ايضا نزاع واستدل ابو حنيفة بعموم الآية ايضا على ان للعم والاخ
ولاية تزويج الثيب الصغيرة وفيه [illegible] قال الشافعي من تاقت نفسه الى النكاح استحب له ان ينكح اذا وجد اهبة النكاح
والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا يتوق نفسه الى النكاح منكم الباءة فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج ومن كبر او مرض او عجز او كان غير قادر على النفقة يكره له ان ينكح لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام بحقه
وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له ان ينكح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله تعالى وقال ابو حنيفة النكاح
افضل حجة الشافعي انه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور الذي لا ياتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه
وسلم افضل اعمالكم الصلوة وقال افضل اعمال امتي قراءة القرآن وقال احب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح ما استوى
طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب لم يكن النوافل مرجوحة لان الطريق المؤدي الى الطلوب

المطلوب مع بقاء الله وعزم القلب على السلوك وان كان الاشتغال بالنكاح اولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظام العالم فالاشتغال
بالزراعة ايضا اولى من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على ان واجب العبادة مقدم على واجب النكاح وكذا مندوبها على مندوبه
للخلاف الشبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لكم العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال
ومنها يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة ابي حنيفة ان النكاح يتضمن صون
النفس عن الزنا فيكون دفع الضرر عن النفس من جلب النفع وايضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد في الحديث عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة
وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلوة انها خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليستقل ثم ان الايامى جمع مستغرق
لكنهم اجمعوا على انه لا بد من شروط اخر ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله فاحل لكم ما وراء ذلكم وقوله منكم اي من احراركم قاله الكثير
من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقب ذلك ومنهم من قال المراد من يكون نجيبا ولا يبتلى بمن الولد والقريب ومنهم من قال الاضافة لا تفيد الحرية والا الاسلام
ثم امر السادة بقوله والصالحين ان تزوجوا ارقاءهم واتفقوا على انه للاباحة والترغيب لان في تزويج العبد التزام مؤنة زوجته وتعطل
خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الامة ليس قوله بلازم على السيد ايضا وتخصيص الصالحين بالذكر [illegible] لتحصين
دينهم وتحفظ عليهم صلاحهم وايضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويعتنون بشانهم حتى ينزلونهم منزلة الاولاد ويجوز
ان يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك ان لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم ان يزوجوا انفسهم
يقوم مقام تزويج السيد اياهم [illegible] من فضل الله تعالى باغناء من تزوج [illegible]
غني بفقره بالنكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على ان شرط هذا الوعد قد جاء صريحا
بالمشيئة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل المراد بالغنى نفس العفاف بتملك البضع الذي
يعني عن الوقوع في الزنا وعن طائفة من الصحابة اذا روي عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن
عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالآية على ان العبد والامة يملكان
والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا يبعد في رجوعه الى الكل
والله واسع افضاله ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يريد وعلى ما ينبغي وفيه اشارة الى قيد المشيئة في الوعد لانه لم يذكر حال العاجزين
عن القيام بمؤن النكاح بقوله وليستعفف اي ليطلب العفة من نفسه وليصابر وفيه الذين لا يجدون نكاحا اي استطاعة نكاح او لا يتمكن
عليه والنكاح يراد به ما ينكح به وهو المال ولا يبعد في تحقق قوله حتى يغنيهم نوع تانيس للمستعففين وفيه ان فضله من اهل
الصلاح والعفاف قريب

الحكم السابع

المكاتبة ومن رغب السادة في تزويج الصالحين من العبيد والاماء ارشدهم
الى الطريق الذي به ينخرط العبيد في سلك الاحرار مع عدم الضرر بالسادة فقال والذين يبتغون محله رفع وخبره فكاتبوهم والفاء
لتضمن المبتدا معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر
كقوله وربك والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهري
هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت المال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال
وكتبت على السيد العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التاجيل واجبا عند الشافعي وندبا عند ابي حنيفة كما يجيء والاصل يستدعي الكتابة
لقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة الكتابة ان يقول لمملوكه كاتبتك على كذا ويسمي مالا معلوما يؤديه في نجمين
او اكثر ويبين عدد النجوم وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا
الضبط ايجاب الاول قال الشافعي ان لم يقل بلسانه اذا اديت ذلك المال فانت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست بعقد
معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه ببعض ملكه فهي كالتعليق في العتق فلا بد فيه من لفظ

العتق وحينئذ وقال ابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد
الكتابة وحينئذ يعتق بالاداء بالاجماع **الثاني** لا يجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور فيه ملك يؤديه في الحال وجوز
ابو حنيفة الحلول لاطلاق الآية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فكذا الكتابة ايضا مؤجلا **الثالث** قال الشافعي لا يجوز الكتابة
على اقل من نجمين روى ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عمر وذلك انه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق وجوز ابو حنيفة على نجم واحد لاطلاق
الآية وللقياس على سائر العقود **الرابع** جوز ابو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى الشافع وذهب الشافعي الى انه يجب
ان يكون عاقلا بالغا لانه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب **الخامس** جوز ابو حنيفة ان يكاتب الصبي باذن
الولي ومنعه الشافعي لكونه مكلفا مطلقا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل البالغ وغير المجور عليه هذا وللمفسرين خلاف في ان قوله
فكاتبوهم امر ايجاب او استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير انه يجب الكتابة اذا طلبها المملوك
بقيمته او باكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدونه فتمنه لم يلزمه واكدوه بما روي في سبب النزول انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك
يقال له صبيح سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فنزلت ويروى ان عمر امر انسا ان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فضربه بالدرة ولم ينكر
احد من الصحابة عليه وذهب اكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وابو حنيفة والشافعي والثوري الى انه ندب لقوله صلى
الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا يجب الكتابة الاجابة وههنا طريقة
المعاوضة قال العلماء اذا ادى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه للمولى لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب
مولاه الثواب اما قوله ان علمتم فيهم خيرا فسر عطاء الخير بالمال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بان الانسان لا يقال فلان
مال وانما يقال له او عنده مال وبان العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين اذا ادى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن
صلاحا في الدين والاقرب انه شيء يتعلق بالكتابة وهو ما فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب وروي مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم وذلك ان مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا ايضا في المخاطب بقوله وآتوهم فعن الحسن
والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب ابي حنيفة انه المسلمون والمراد اعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا
يبعد كون المخاطب في احد المعطوفين غير الآخر ولا يكون احد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب
الصدقة وليسه عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن اكثر الصحابة وهو مذهب الشافعي ان
المخاطب هو الموالي والامر للايجاب فيجب عليهم ان يبذلوا للمكاتبين شيئا من اموالهم ويحطوا عنهم جزءا من مال الكتابة ثم اختلفوا
في قدره وعن علي انه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن ابي عبد الرحمن انه كاتب غلاما فترك ربع مكاتبته وعن ابن عمر
انه كاتب عبدا له بخمسة وثلاثين الفا ووضع عنه خمسة الاف وهو السبع والاكثرون على انه غير مقدر ويحصل الامتثال بما قل وعن ابن
عباس يوضع له من كتابته شيئا وعن ابن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال
استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى
عليه واكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كاتب على مائة اوقية فاداها الا عشر اواق فهو عبد
فلو كان الحط واجبا لسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وايضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لم يتوقف العتق اذا ادى
ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا كان ما بقي من مال الكتابة مجهولا فلا يصح الكتابة وايضا امر بالايتاء من مال الله الذي آتاهم
ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه بصدد العجز عنه فلا يستحق ذلك هذا الوصف فصح ان هذا امر من الله تعالى للناس او لهم وللسادة
ان يعينوا المكاتبين على كتابتهم بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من اعان مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه **الحكم الثامن**
النهي عن اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء

الا الزنى فشكت اثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا انهم اجمعوا على ان حال الحرائر ايضا كذلك والسؤال المشهور في الآية هو ان المطلق بكلمة
ان على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك لارادة التحصن التعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا والجواب بعد تسليم
ان مفهوم الخطاب حجة هو ان الاكراه مع عدم ارادة التحصن التعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه
في ذاته وقد يقال ان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم الخطاب
كما مر في قوله ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذ لان سبب النزول ورد على ذلك قال جار الله اوثرت كلمة ان على اذا
وحيد معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ النادر وللآية مفهوم آخر وهو ان الشارع
اكرههن على النكاح وليس لهن ان يمتنعن على السيد اذا زوجها لتبتغوا عرض الحياة الدنيا كسبهن واولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد
اكراههن غفور رحيم لهم على الاطلاق او بشرط التوبة على اصل الشافعي والمعتزلة او غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حد المعتبر
في الشرع من التخويف الشديد فيكون المتحسك وحين فرغ من الاحكام وصف القرآن بصفات ثلث **الاولى** الآيات المبينات اي
الموضحات او الواضحات في معاني الحدود والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات التي بينت في هذه السورة **الثانية** كونه مثلا من الذين خلوا
اي قصة عجيبة من قصصهم فان العجب في قصة عائشة ليس بابلغ من العجب في قصة يوسف ومريم وما اتهما به من الفحشاء والمراد
اراد بالمثل شبه ما ذكر بالتوراة والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل الشبه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا **الثالثة**
كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة **التأويل** لا تدخلوا بيوت عالم القلوب التي غير بيوتكم من دار العز حتى
احوالها وتسلموا على اهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها احدا فانهم تجردت عن حظوظ الدنيا وشهواتها
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعي الى ربك فارجعوا اشارة الى النفس في
الدنيا الى الاجل البلاغ وعجب الصورة جايز اذا لم يكن النفس نظيرا كذا قال السر عليكم جناح الآية ثم امر بغض بصر النفس عن
مشتهيات الدنيا وبصر القلب من رؤية الاعمال ونعيم الآخرة وبصر السر عن الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات الى
ما سوى الله وبصر الخفي عن العلل بان لا يرى نفسه اهلا لشهود الحق من بهائه وجلاله ولهذا امر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات
الكونين فيه نظر الى النساء بمثل ما امر به للرجال تنبيها على ان النساء قد يكن رجالا في المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم ولطائف
الا ما ظهر على صفحات حالهم من غير تكلف منهم اباح لهم اظهار بعض الاسرار الى مشيختهم واولياء في الدين والخلال والمريدين الذين هم
تحت تربيتهم ونظرهم فهم بمنزلة النساء والمماليك ومن لا خبرة عنده من عالم المعنى كالبله والاطفال
وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين توبة المبتدي من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهي مما سوى الله
وانكحوا الايامى فيه امر بطلب شيخ كامل يودع في رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الالهي وهي الولادة الثانية
المستدعية للولوج في ملكوت السماء والارض وفيه اشارة الى ان اضاعة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا في الحال الارحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ
كامل كما دل موسى على الخضر او يخصهم بجذبة الله يجتبي والذين يبتغون فيه ان المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرق من
لزم الاجابة ان علم فيه الصلاح ووجب ان يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه ان النفس اذا لم تكن مايلة
الى التمتع في الدنيا فان كان بالحكم يكره عليه فانما يصاب للخلق غير اصحاب الخلوة والله اعلم

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح

المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى

توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية

يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله

لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم في بيوت

اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء

الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم

الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء

حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب

او كظلمات في بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب

ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل

الله له نورا فما له من نور الم تر ان الله يسبح له من في السموات

والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما

يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله

يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من

خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه

عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار

ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار والله خلق كل دابة من ماء

فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى

على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير لقد انزلنا ايات

مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون امنا بالله

وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك

بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا

فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين

افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اولئك

هم الظالمون

القراءة نور السموات على الفعل يزيد من طريق ابى عبيد وابن مشاء كمشكوة ممالة ابن عمرو عن الكسائى درى بكسرتين وبالهمز ابو عمرو وعلى والمفضل مثله بضم الدال حمزة وابو بكر وحماد والخراز الباقون بضم الدال وتشديد الياء توقد بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلى وخلف وابو بكر وحماد ومثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وابو زيد عن المفضل الباقون وجل توقد بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وحماد وابو بكر سحاب ظلمات على الاضافة البزى سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على انه بدل نصب على الحال القواس وابن خالح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب يذهب من الاذهاب يزيد على ان الباء زائدة خالق كل على الاضافة حمزة وعلى وخلف الاخرون خلق على لفظ الفعل الماضى كل منصوبا

الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية لا لان ما بعدها صفة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم لا بناء على ان الظرف يتعلق بما قبله كمشكوة اى مثل مشكوة فى بعض بيوت الله عز وجل والوجه تعلقه بيسبح وفيها تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف وهو سبحوا اسمه لا لان ما بعده مفعول ولان الظرف يتعلق بيسبح والاصال ط لمن قرا

بحر لجي الياء كالتستيل عن يسبح مفعول رجال الوعي وقوله بالكسر يبقيف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لان بعده صفة الزكوة لا
لان ما بعده ايضا صفة والابصار لا لتعلق اللام بحاتم يقف وبجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين فلما سقطت النون انكرت اللام من
فضله ط حسابه ما ط حسابه ط الحساب لا للعطف سحاب ط لان قوله ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا اوقف بعضها ط يرها من نور ج
صافات ط وتسبيحه ط يفعلون والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير من خلاله ج لما قلنا من يشاء ط
بالابصار ط والنهار ط الابصار من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ما قلنا اربع ط ما يشاء ط قدير
مبينات ط مستقيم ذلك ط بالمؤمنين معرضون مذعنين ط ورسوله ط الظالمون

التفسير اعلم انه سبحانه لما بين
من الاحكام ما بين اردفه بما يجري عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين **احدهما** فان دلائل الايمان في غاية الظهور **وثانيهما**
ان اديان الكفر في نهاية الظلمة اما الاول فهو قوله الله نور السموات والارض واعلم ان النور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة
من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك انه لا يمكن ان يكون الها لانها ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك الدليل
الدال على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني ولا زائل ولا منتقل الى حيز ذلك من امارات الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في
تاويل الآية وجوها **الاول** وهو قول ابن عباس والاكثرين ان المضاف محذوف والمعنى هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره
ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فتقدير الآية كقولك زيد كرم وجود للمبالغة **الثاني** ان معناه منور السموات والارض
كما قرئ من قرأ نور بالتشديد في ظهوره وبيانه واضافه الى السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض
بالانبياء والعلماء وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي العالية وقيل هو تدبير ايها حكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر
بانه نور البلد اذا كان مدبرا مهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم
والزجاج وقيل ص نظم ايها على النهج الحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما ارى لهذا الامر نورا **الثالث**
ما ذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون والبسيط الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ما قرره في رسالته المسماة بمشكوة
الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة وبصره هي القوة العاقلة ولا شك ان البصيرة اقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها
ولا تدرك ادراكها ولا تدرك التها وهي العين واما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك التها في الادراك وهي القلب
والدماغ والبصر لا يدرك الكليات والبصيرة يدركها والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا الاحساس آخر والادراك وهي القلب
والدماغ العقلي يصير سببا الادراكات اخرى حتى يجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة وورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع
الصوت الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوى الحسية تضعف
بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك
من القريب جدا ولا من البعيد البعيد والعقلية لا تختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش وما تحت الثرى في لحظة واحدة
بل يدرك ذات الله وصفاته مع انه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص في حقائق الاشياء
وفي اجزائها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد اخرى بالتجنيس والتنويع
والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا يكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون متقدما على وجود الشيء وسنتي العلم العقلي
وادراك الحس تابع لوجود الشيء واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي اشرف منها اولى بان يكون نورا وكما ان نور البصر يحتاج
في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس او السراج مثلا فنور البصيرة ايضا يحتاج في ادراكه الى ما يهتدي به هو النبي والقرآن فلذلك سمي
القرآن نورا والنور الذي انزلنا والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان النور النبوية
القدسية مقتبسة من انوار اخرى لقوله علمه شديد القوى نزله روح القدس من ربك فكل الانوار ينتهي الى ما الانوار الى

انوار منه ولا اجل واشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل في هذا المقام هو الذي سلف تحقيقه مرارا وهو ان الكمالات انوار والمكنات الذي بعد
ظلمات وايضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمالات فكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الايمان وان نظرنا الى الخلق
نفسه فلا ريب ان الممكن وجوده مستفاد من غيره الى ان ينتهي الى واجب الوجود لذاته فهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لظهوره وشده
ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات
وجهه كل ما ادرك بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفا قال العلماء الحجب ثلاثة اقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة
من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة اما المحجوبون بالاول فهم الذين علوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفتون الاستدلال
بالمصنوعات على الصانع واما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات انما لا فيها معنى الموثر فنفي بصور الاستغناء عن الغير نور
من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لما ليس يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة واما المحجوبون بالثالث فهم الذين
استغرقوا في بحار صفات الله وافعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات نعم في هذا القسم نجد الحجب لا يكاد يتناهى حسب لا نهاية
للكمالات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكوة
الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول اصح عند ائمة اللغة وهي لغة العرب ومنه المشكوة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة
وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري ان المشكوة هي الحديد القوي في وسط القنديل الذي تدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظي
ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هي الحلقة التي تعلق بها القنديل والمصباح
السراج الضخم الثاقب واصله من الضوء ومنه الصبح والدري في قراءة بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ومن قراء
بالهمزة مع ضم الدال كمريقا وحكى عن ابن السكيت معناه انه يدرا الظلام بضوئه وقال ابو عبيدة ان ضمت الدال وجب ان لا يهمز لانه ح
كلام العرب فعيل ومن همز من القراء فانما اراد فعولا مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري
والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي هي في العظم الاول وعن من شجرة مباركة ابتداء تقويه من شجرة كثيرة المنافع هي
الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور وقيل سميت مباركة
لانها نبتت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين وبارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلوات الرحمن عليه فقوله زيتونة بدل من شجرة
ومعنى لا شرقية ولا غربية ان منبتها في الاكثر بالشام وزيتونها اجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي
من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن اراد شجر الزيت في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية او غربية
وضعف بان المثل انما يضرب بما يشاهد وانها ما شاهدوا شجر الجنة وقيل اراد انها شجرة مكنوفة بالاشجار او باوراقها فلا
يصيبها الشمس في شرق ولا غرب وزيف بان الغرض هو صفاء الزيت لا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول
اثر الشمس الى الشجر وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد انها ليست مما يطلع
عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل
على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضيء ولا في مظلم وهو المكان الذي لا يطلع عليه الشمس ولكن الظل
والشمس يتعاقبان عليها وذلك اجود لحمل الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير
مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء هذا ما
يتعلق بحل الالفاظ على ظاهر التفسير اما ما يتعلق بالمعنى فيقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى انه تعالى شبه الهداية
وهي الآيات في الظهور والجلالة بالمشكاة التي يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء
وانما اختار هذا التشبيه دون ان يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على اوهام الخلق بل الاذهان اما هو الشبهات

التي كانت طالعة والهلال الذي فيما بينهما الكامل وهذا المقصود لتحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم يبق ظلمة اصلا والتي
اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكوة وذلك ليكون اجمع للنور واعون لتكاثف الاشعة وامونه
له عن تفريق الرياح ثم بعضهم ان في الكلام قلبا والمراد كمشكوة فيها مصباح والصحيح انه لا حاجة اليه لان هذا
تشبيه مركب ولهذا قال جار الله اراد ان صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كصفة مشكوة فيها ومنها كون المصباح
في زجاجة صافية وان تعاكس الانوار من جانب الزجاجة يزيد بالمصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت الذي ليس
في الادهان ما يدانيه في اللمعان والنظافة ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمر ولطافة
معا دهنها وقال الغزالي انه يعني المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الانسانية فاولاها القوة
الحساسة التي هي اصل الروح الحيواني اي يوجد للصبي بل للحيوان واوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكوة لان تلك القوى تخرج
من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة التي تحفظ ما يورده الحواس تخزنها عندها لتعرضه على القوة
العقلية التي فوقها عند الحاجة اليه وانت لا تجد شيئا في عالم الاجسام تشبيه الخيال سوى الزجاجة فانها في الاصل جوهر
كثيف ولكن صفي ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك
الخيال من طينة العالم السفلي الكثيف بدليل ان الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحد لكنه اذا صفي وهذب صار موازيا للمعاني
العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير ومن
يختم فروج الناس وافواههم على انه مؤذن يؤذن قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية
والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر في تسمية الشيء سراجا ومنيرا كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة
للعقل فيناسب ان المشكوة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على
التقسيمات والاستنتاجات فمثالها الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة لتزايد انوار المعارف فبالحري ان لا يشبه الا بشجرة
الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصباح وله من بين سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان
واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذي لا انتهاء لثمرته الى حد محدود احرى بان يسمى مباركا واذا كانت
شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لحوق لواحق الاجسام ناسب ان يقال لها لا شرقية ولا غربية وخامسها القوة القدسية
النبوية التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار واما الشيخ الرئيس ابو علي سينا رحمه الله فانه نزل الامثلة الخمس على مراتب
ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكوة هي العقل الهيولاني لانه هو الاستعداد المحض والزجاجة وهي
العقل بالملكة وهي قوة النفس عن حاصل لها البديهيات وامكن لها بواسطتها الترقي الى النظريات والانتقال الى
الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهو الشجرة ويسمى فكرا وان كان قويا فهو الزيت ويسمى حدسا وان كان
في النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهي التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم
المكتسبة بالفعل بحيث يقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته
ان تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة كما هي ثابتة مدركها فهي نور على نور ويسمى عقلا مستفادا **اما الاول**
فلان الملكة نور وشاهد تلك الملكة نور اخر **واما الثاني** فلان غاية ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل ثم الشيخ المخرج
من العقل الهيولاني الى الملكة ثم منها الى الفعل التام هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء
وعبر عنه في الاية بالنار وعن معاني الاية انه قال مثل نوره اي مثل نور الايمان في قلب محمد كمشكوة فيها مصباح فالمشكوة نظير
صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكوة نظير ابرهيم عليه السلم والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح

والمصباح نظير جسد محمد عليهم الصلوة والسلام وعن ابي بن كعب انه قرأ مثل نور من آمن به ورايت في كتب الشيعة
عن علي عليه السلام مرفوعا للعرش وجهان يعني بهما اهل السموات والارض وعلى الوجهين مكتوب اتدرون
ما كتابته قالوا الله ورسوله اعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والارض وعلى وجه الارض محمد وعلي
نور الارضين وقيل المشكوة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه من الدين
والشجرة ابرهيم صلوات الرحمن عليه توقد من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابرهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية ان
ابرهيم لم يكن يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى
يكاد زيتها يضيء ان نور محمد لو لم يكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال يحيى بن سلام
قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له الموافقة له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور
قال ابي بن كعب المؤمن بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في
ساير الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين اموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه
نور ومصيره الى النور يوم القيمة قال الربيع سالت ابا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت
الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان هذه الدلايل مع وضوحها لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان
فيه وقالت المعتزلة اراد يهدي الله بطريق الجنة اذا اراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف او الهدى محمول على
زيادات الالطاف التي هي في ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر
بعين الانصاف وجانب جانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذي يستوي عنده جنح الليل الدامس وضحوة
النهار الشامس واكد ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين من امته قالوا انما ذكره في
معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التاكيد بقوله
والله بكل شيء عليم ففيه تهديد لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله في بيوت اعترض ابو مسلم على قول
من قال انه يتعلق بمشكوة او بتوقد لان كون المشكوة في بعض بيوت الله لا مزيد للمصباح انارة واضاءة
وايضا الوصف في واحد فلا يكون الا في مكان واحد وقوله في بيوت صفة مصباح او زجاجة او كوكب
واجيب بان هذه صفة موضحة لا مميزة في باب التمثيل ادخل وعن الثاني انه اريد بالمشكوة التي فيها مصباح
اذا كانت في مثل هذه البيوت الرفيعة كان اعظم واكثر صيانة فيكون في باب التمثيل ادخل وعن الثاني انه
اريد بالمشكوة النوع لا الواحد كما لو قيل الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم بيته
فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب ابو مسلم الى انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا اي الانبياء والمؤمنين
الذين مضوا كانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبان الذين خلوا هم المكذبين
والاكثرون على ان البيوت هي المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم او البناء وعن عكرمة هي البيوت كلها ومعنى
الرفع البناء وذكر اسم الله عام في كل ذكر وعن ابن عباس ان يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغي وا
لتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به والصلوات الخمس وقيل صلوة الصبح والعصر وكانتا واجبتين
في اول الاسلام ومنها وعن ابن عباس ان صلوة الضحى لفي كتاب الله وتلا هذه الاية والاولى العموم وقيل
خص الرجال بالذكر لانهم من اهل الجماعات دون النساء ويحتمل ان يقال لانهم اصل والنساء تبع واختلفوا في

لا تلهيهم تجارة فقيل انى الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله شعر ولا ترى الضب بها ينجحر وقيل اثبت التجارة والبيع
وبين انهم مع ذلك لا يشغلهم شئ عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين عن الحسن اما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض
الله لم يلههم عنها شئ واما الفرق بين التجارة والبيع فقيل الاول عام لان صناعة التجارة قد يقع بها البيع وقد يقع فيها
الشرى وقد يقع فيها الشرى وخص البيع لان الربح فيه يقينى وفى الشرى مظنون فالبيع ادخل فى الالهاء وقيل اراد بالتجارة
الشرى اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر
الله دعاؤه والثناء عليه بما هو اهله وقيل هو الصلوة ومن هنا قال ابن عباس اراد باقام الصلوة اتمامها
لمواقيتها وايتاء الزكوة طاعة الله والاخلاص له والتاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما اضيفت اقيمت
الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ثم حكى ان هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل
والخوف من اهوال يوم القيمة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها او المراد تقلب
احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا وتدرك الابصار بعد ما كانت عميا عن النظر والاعتبار
فكانهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن اماكنها فتبلغ الحناجر
والابصار تصير زرقا وقال الجبائى يحتمل ان يراد تقلبها على جمر جهنم او بمعنى ما هيأتها بسبب ما ينالها من
العذاب فيكون مرة بهيئة النضج بالنار ومرة بهيئة الاحتراق وقيل ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع النجاة
الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من اى ناحية الشمال ومن اى جهة يعطون كتابهم من قبل
الايمان ام من قبل الشمائل قوله ليجزيهم متعلق بما قبله لفظا او معنى اى يسبحون ويخافون او يفعلون هذه القربات
ليجزيهم الله احسن جزاء اعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة او اكثر وقيل اراد بالاحسن الحسنات اجمع وهى
الطاعات فرضها ونفلها وقال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى اعمالهم بل يغفرها لهم
وقال القاضى اراد بذلك ان يكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيجوز ان الله تعالى يجزيهم باحسن
الاعمال وهذا مبنى على مذهبه فى الاحباط والموازنة والمعنى ويزيدهم من فضله كقوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب تقدم تفسيره فى البقرة ومن بين حال المؤمن انه فى الدنيا
يكون فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفى الاخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبعه بيان
ان الكافر يكون فى الدنيا فى انواع الظلمات وفى الاخرة فى اصناف الحسرات وضرب لكل من حالتيه مثلا اما المثل
الدال على حسرته فى الاخرة فذلك قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب قال الازهرى هو ما يتراءى للعين وقت الضحى
الاكبر شبيها بالماء الجارى كانه ينسب على وجه الارض اى يذهب واما الاول فهو ما يرى فى اول النهار وظاهر كلام
الخليل انه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء جمع قاع كجيرة فى جار والظمآن
الشديد العطش ووجه التشبيه ان الكافر يأتى ببعض اعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيمة
ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمآن الذى حثه
الى ما يحسبه بقيعة فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحيوة فاذا جاءه ولم يجد شيئا عظم غمه وقال
مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو انه كيف قال جاءه واثبت انه شئ
لان العدم لا يتصور المجئ اليه ثم قال لم يجده شيئا فنفى كونه شيئا والجواب اراد شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل
شيئا وان كان قد اجتهد او المراد جاء موضع السراب فلم يجد هناك شيئا او اراد انه بحيل او لا صابه هباء فيشبه

يشبه الماء وذلك بلمعانه من شعاع الشمس فاذا قرب منه دق وانفش وصار هواء وهذا قول الحكماء وقوله ووجد
الله اى وجد عقاب الله او زبانية الله يأخذونه فيقبلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما تصور
من الراحة والنعيم قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر
فى الاسلام واما المثل الاخر فهو كظلمات وقد يقال معناه انه شبه اعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات
او الاول لاعمالهم الظاهرة والثانى لعقائدهم الفاسدة واللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وال
ظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة العمل قال الحسن وعن ابن عباس
قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم فى صدر مظلم والظاهر ان الجمع للتكثير وان انواع الضلالات
والاباطيل اجتمعت فيه والضمير فى اخرج للواقع فى الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
ونفى القرب من الرؤية ابلغ من نفى الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث فى البقرة فى قوله وما كادوا يفعلون وقال الاشاعرة
فى قوله ومن لم يجعل الله له نورا دلالة على ان الهداية بتخليق الله وجعله وحمله المعتزلة على منع الالطاف وقد مر
امثال ذلك مرارا ولما وصف انوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد وقال مستدرجا على سبيل
التقرير الم تر ان الله يسبح له وقد مر مثله فى سورة سبحان والخطاب لكل من له اهلية النظر او للرسول صلى الله عليه وسلم
وقد علم من جهة الاستدلال ومعنى صافات انهن يصففن اجنحتهن فى الهواء والضمير فى علم لكل او لله من وجل وعلى
الاول فالضمير فى صلوته وتسبيحه اما للكل او لله والمعنى كل مسبح قد علم صلوته التى يليق بحاله او صلوة الله التى كلفه
ايها وعلى الثانى فالضمير فيهما للكل والصلوة بمعنى الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها
سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء فى حكايات ما يحكى فى خواص الحيوانات ولا
سيما فى كتاب عجائب المخلوقات ثم بين ان المبدأ منه والمعاد اليه فقال ولله ملك السموات والارض الاية
ثم ذكر دليلا اخر من الاثار العلوية قائلا الم تر ان الله يزجى سحابا اى يسوقه بالرياح ثم يؤلف بينه اى بين اجزائه
اى يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا متراكما سادا للافق فترى الودق المطر والقطر يخرج من خلاله من
فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل قوله من السماء من جبال فيها من برد الاولى لابتداء الغاية الثانية
للتبعيض على ان قوله من جبال مفعول ينزل الثالثة للتبيين ومعناه انه ينزل بعض البرد من جبال فيها وقد مر
فى اول البقرة فى قوله او كصيب من السماء معنى البرد وانه بخار تجمد بعد ما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين
ان فى السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق فى الارض جبال حجر وقال اهل المعنى ههنا هو الغيم المرتفع على
رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله فيصيب به الى اخر الاية انه يقسم
رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء ويهلك بالبرد من يشاء ان يعذبه به ويعصم منه من يشاء ان يعصمه
ويريهم سناء البرق فى السحاب بحيث يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا او يحذروا وتعاقب بين الليل والنهار وتخالف بينهما
فى الطول والقصر فى كل ذلك معتبر لذوى الابصار الذين يرتقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالجنس
على العجائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال والله
خلق كل دابة من ماء قال علماء المعانى فى التنكير فى ماء للتنويع اى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة
وخلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة كل يختص لانه قصد هناك معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا
الجنس الذى هو جنس الماء وعن القفال ان قوله من ماء صلة دابة لا صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من ماء فهى

مخلوقة لله تعالى واحترز بجعلها عن الفراغ الذى ذكرنا فى سورة الانبياء وهو ان بعض الاحيا لم يخلقهم الله من
الما، وقيل نزل الغالب منزلة الكل او اراد بالدابة من يدب على وجه الارض ويسكنهم هناك فكل منها اما متولد من
النطفة واما لحيث لا ينبعث الا بالما ثم بين انه اصلهم وان كان واحدا الا ان خلقهم مختلفة فمنهم من يمشى على بطنه وقدم هذا
القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا فى ضمير العقلا واطلاق لفظه من تغليب للعقلا وسمى الزحف على البطن مشيا
على سبيل المشاكلة او الاستعارة نظيره قولهم فلان لا يمشى له امر وقد يوجد من الدواب ذوات ارجل ازيد من
اربع كالعناكب والربلاوات بل مثل الحيوان الذى له اربع واربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها
الله سبحانه لانها نادرة بالنسبة الى سايرهن ومن العقلاء من زعم ان امثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشى
على اربع فقط وقيل ان فى قوله تعالى يخلق الله ما يشاء تنبيها على ساير الاقسام ولا ريب ان اختلاف الحيوانات
لا يكاد ينحصر الا انا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله فى خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات اما فى جوهر
العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كان اخر الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر نابت له فى
غير هذا العضو كالسلحفاة فلصدفه محيط به ليس للانسان وكذا السمك له فلوس والقنفذ له شوك واما فى
كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين واما فى الوضع كما ان ايدى الفيل اقرب الى الصدر
من يدى الفرس واما فى الانفعال كما ان عين الخطاف لا يتحير فى الضوء وعين الخفاش يتحير واما فى ساير الاحوال
فذلك ان من الحيوانات برى بحرى او برى فقط ومن البحرى ما يعتمد فى السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما
يعتمد فيها على ارجله كالضفادع وكل من البرى والبحرى له اماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ماله مأوى معلوم كالروابى
او الجحر او الشقوق او الجحرة فى البيما وكالقعر او الشط او الصحراء والطين فى البحر ومنها ما ماواه كيف اتفق الا ان يلد
فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح فى الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الارض المآء ايضا وكل
طائر فانه يمشى على رجلين وقد يصعب عليه المشى كالخطاف الكبير الاسود وكالخشاف ومنها ما جناحه جلد
وغشاوة وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة تطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكى ومنها ما يوثر التفرد
كالعقاب وكثير من الجوارح التى تنازع على الطعم ومنها ما يتعاشر زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذى لا يمكنه
ان يعيش وحده ويشابهه النحل والنمل الا ان النمل لا رئيس لها ومنها اكل لحم ومنها لا قط حب ومنها اكل عشب وزهر ومنه النحل
ومن الحيوان الذى لا يمكنه ان يعيش ما هو انسى بالطبع ما لا صوت له ومنه ماله صوت وكل مصوت فانه يصير عند
الاغتلام وحركة شهوة الجماع اشد تصويتا خلا الانسان ومنه ماله سبق بسفد وكل وقت كالديك ومنه عفيف
له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكالاخون ولود وكل صموخ بيوض سوى الخشاف ومنه هو لا عادى الطبع
قليل النصب كالبقر ومنه شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البرى ومنه حليم حمول كالابل ومنه محتال
مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا انه قلق متودد كالكلب ومنه شديد الكيس مستانس كالفرد
والفيل ومنه حسود تياه كالطاووس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى سلكه وفى
قوله ان الله على كل شئ قدير اشارة الى ان اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وبامثالها لا يكون الا عن فاعل
مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل اراد ان يبين احوال المكلفين وان فيهم منافقين
فقدم لذلك مقدمة هى قوله لقد انزلنا ايات مبينات واما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد انزلنا اليكم
ايات مبينات ومثلا لان المقصود هناك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطية فقدمه

والعقارب

فقدمه لما يجئ عقيبه من حال اهل النفاق واهل الوفاق قوله وما اولئك اشارة الى الفريق المتولى وانما قال بالمؤمنين معرفا
لانه اراد انهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم وثباتهم واستقامتهم ويحتمل ان يكون اولئك اشارة الى جميع القائلين امنا واطعنا
وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالتزام والنقض فان الحكم الكلى فلما علل اعرض فريق
ولمثل هذا قال فى الاية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل ان حكم او لا على بعضهم بالتولى ثم صرح اخرا بان الايمان
منتف عن جميعهم ويجوز ان يراد بالفريق المتولى منهم رؤسا النفاق وقيل اراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين
قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبنى زيد وكرمه اما سبب نزول الاية فعن مقاتل انها فى بشر
المنافق كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة بن وائل كان بينه
وبين على بن ابى طالب عليه السلام ارض فتقاسما فوقع الى على منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعنى ارضك فباعها
منه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلى عليه السلام اقبض ارضك فانى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضنى وانى اخاف ان يحيف على قوله ياتوا اليه
لجار صلة الى فانه قد تعدى بالى قال السجاوندى والحسن ان يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص اى لا يتحاكمون اذا عرفوا
ان الحق لهم الا الى الرسول لعلمهم بانه يحكم لهم بالحق مسرعين فى طاعته ثم قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكون
مرض القلوب منافقين او مرتابين فى امر نبوته او خائفين الحيف فى قضايه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا انها
متغايرة فى الاعتبار فبحث القسمة ثم بين بقوله بل اولئك هم الظالمون انهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون امانته ولكن الظلم مركوز
المتكون فى جبلتهم وانهم لا يستطيعون الظلم فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يابون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم

التأويل للاية تاويلان احدهما من عالم الافاق والاخر من عالم الانفس اما الاول فالمشكوة عالم الاجسام
والزجاجة العرش والمصباح الكرسى والشجرة شجرة الملكوت وهى باطن عالم الاجسام وهى غير منسوجة الى شرق الازل والقدم
ولا الى غرب الفناء والعدم بل هى مخلوقة للابد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضئ ان يظهر من العدم فى عالم
الصورة المتولدة بازدواج عالمى الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقربه بطبيعتها من الوجود
نور على نور فالاول نور الصفة الرحمانية والثانى نور العرش وهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفى قوله يهدى الله لنوره
من يشاء اشارة الى ان فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يهديه الله بايجاده من العرش الى ما تحت الثرى واما التاويل الثانى
فالمشكوة الجسد والزجاجة القلب والمصباح النفس والشجرة شجرة النور ابيه الروحانية كما مر والزيت الروح الانسانى القابل
لنور العرفان قبولا فى غاية القرب والمناد نار التجلى والهداية فى الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور
واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكوة الجسد ويخرج اشعتها من روزنة الحواس
فتستغنى عن البشرية كما قال واشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث فى بيوت هى القلوب
اذن الله ان ترفع واراد ان ترفع درجاتها من بين ساير الارواح والنفوس الخلق يسبح الله كما قال وانما يسع قلب
عبدى المؤمن يروى ان اوحى الى داود عليه السلام فرغ لى بيتا اسكن فيه فقال رب انت منزه عن البيوت فقال
فرغ لى قلبك ولن يتاتى هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هى العين بدرجات العباد
كما قال هل ادلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم
وفيه ان الرجولية لا تتحقق الا لمن لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الاخرة فيكون بحيث لا يبقى فيه ما سوى الله وحينئذ
يصلح لصلوة الوصال ويفيض على المستعدين زكوة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار

البقاء

والبصائر لا نفا بيد الله يقلبها كيف يشاء او كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياسة من فوقه موج
هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا اخرج يد سعيه واجتهاده لم يكد يرى طرق خلاصه
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يصيبه وشاوش النور الالهي في الازل يزجي سحاب المعاصي المتفرقة الحان يتراكم
فترى الودق وهو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى ادم مطر ثم اجتباه ربه وينزل من سماء القلب
من جبال من قساوة فيها من برد وهو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار اصحاب البصائر الذين يشاهدون اثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح
محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي اي يكون سيره تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من
يمشي على رجلين اي يضع عمره في مشتهيات الفرج لان الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد على رجليه وان كان من ذوات
الاربع ومنهم من يمشي على اربع هم اصحاب المناصب يركبون الدواب البتة افي قلوبهم مرض الانحراف في الفطرة ام ارتابوا بتشكيك
اهل البدع والاهواء ام يخافون الحيف حين امروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية

انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ۝ ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين

كفروا معجزين في الارض وماويهم النار
ولبئس المصير ۝ يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض
كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ۝ واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ۝ والقواعد
من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ۝
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او

صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة
طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون انما
المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر
جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن
امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله
ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

القراءة ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وطريق الهاشمي بكسر القاف
وسكون الهاء على انها للسكت ابو عمرو غير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد
من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص ووجهه انه شبه تقه بكتف فخفف
وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحريك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهي بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد
التاء البزي وابن فليح كما استخلف مجهولا ابو بكر وحماد ولبيد لنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد لا
يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلث عورات بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الاخرون بالرفع لبعض شانهم

شانهم باسكان الصاد وتشديد الشين شجاع وابو شعيب وحمله على الاختفاء اولى منه على الادغام ترجعون مبنيا للفاعل عباس
ويعقوب **الوقوف** واطعنا ط المفلحون ه الفائزون ه ليخرجن ط لا تقسموا ج لاحتمال الحذف مع اتحاد القول معروفة ط تعملون ه
الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ه من قبلهم ص منا ط بناء على ان ما بعده مستانف شيئا ط الفاسقون ه
ترحمون ه في الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ه مرات ط اي هي كذا وكذا العشاء ص عند من قرا ثلث
عورات بالرفع اي هي ثلث لكم ط بعدهن ط اي هم طوافون على بعض ط الايات ط حكيم ه بزينة ط لهن ط عليم ه صديقكم ط
اشتاتا ط بناء على ان ما بعده استئناف حكم طيبة ط يعقلون ه يستاذنوه ط ورسوله ج للشرط مع الفاء لهم الله ط رحيم ه
بعضا ط لواذا ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم ه والارض ط عليه ط وفصله بين حال وحال مع العدول من المخاطبة
الى الغيبة بما عملوا ط عليم ه **التفسير** لما حكى عن المنافقين وما قالوه وفعلوه اتبعه ذكر ما كان يجب ان يفعلوه
وما يجب ان يسلكه المؤمنون من طريقة الاخلاص وعن الحسن انه قرا قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وجه النصب اقوى
قال جار الله لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف
قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وان يقولوا يشبه المضمر كما بينا في الانعام في قوله ثم لم
تكن فتنتهم الا ان قالوا انه لا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام اي لا ينبغي ان يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن
عباس من يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فاولئك هم
الفائزون وهذه اية جامعة لاسباب الفوز وفقنا الله تعالى بها ثم حكى عن المنافقين انهم يريدون ان يؤكدوا اساس
الايمان بالايمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وكانوا يقولون والله لئن امرتنا ان نخرج من ديارنا
واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر
والخديعة والا فمن حلف على فعل البر لا يجوز ان ينهى عنه وقوله طاعة معروفة مبتدا محذوف الخبر اي طاعة معلومة لا
شك فيها ولا نفاق امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وخبر محذوف المبتدا اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة
لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين او طاعتكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين باللسان والقول
دون القلب ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى فان تولوا فان تتولوا بحذف احدى التائين وما
حمل الرسول هو اداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالايات والمعجزات
وكونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ وهو
شبه احمار والتعبير بلغ ايها الرسول واطيعوا ايها المؤمنون فقد وعد الله الذين امنوا منكم اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح
وفي الوعد معنى القسم لان وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ليستخلفنهم او القسم محذوف اي اقسم ليجعلنكم خلفاء
في الارض كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وليمكنن لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكين الدين تثبيته فاشاره قواعده كانوا في المدينة يصبحون في السلاح ويمسون به فيهم اباكر وشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا تغبرون يسيرا حتى يجلس الرجل في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل يعبدونني نصب على الحال اي
وعدهم ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم او هو استيناف كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني
وعلى الوجهين فقوله لا يشركون بي شيئا بدل من يعبدونني او بيان لفاعليه دليل على ان المقصود من الكل هو عبادة الله والاخلاص
له ومن كفر بهذه النعم الجسام وهي الاستخلاف والتمكين والامن بعد الخوف بعد حصول ذلك وثم بعد ما ذكرنا فاولئك

هم الكاملون في الفسق قال اهل السنة في الاية دلالة على امامة الخلفاء الراشدين لانه قوله منكم للتبعيض وذلك البعض يجب ان يكون من الحاضرين في وقت الخطاب ومعلوم ان الائمة الاربعة كانوا من اهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب ان يكونوا مراد من الاية واعترض فان قوله منكم لم لا يجوز ان يراد بالاستخلاف في الارض هو امكان التصرف والتوطن فيها كما في حق بني اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز ان يراد به خلافه علي والجمع للتعظيم او يراد هو واولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله ومن كفر بعد ذلك اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلثون سنة ثم يصير ملكا عضوضا واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا وليس ببدع ان يقع بين المعطوف فاصل وان طال وكرر الطاعة الرسول للتاكيد من قرأ لا تحسبن على الغيبة فمفعولا يحسبن في الارض اي لا تحسبن الكفرة احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا في مثل ذلك او فاعله ضمير النبي والمفعول الاول محذوف لانه هو الفاعل بعينه اي لا تحسبن الكفار انفسهم معجزين والمراد بهم الذين اقسموا او عام قوله وماويهم النار قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل وماويهم النار حين ذكر من دلايل التوحيد واحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الاصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما جرى منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستيذان وذكره ههنا على وجه اخص فقال ليستاذنكم قال القاضي هذا الخطاب للرجال خاصة والمراد به النساء ايضا لكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى سبيت للنساء بقياس جلي لان النساء في حفظ العورات اشد حالا من الرجال وظاهر قوله الذين ملكت ايمانكم يشمل البالغين والصغار فالامر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتاديب كما يؤمرون بالصلوة لسبع وهي تكليف لنا بما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك اهلك وولدك فظاهر الامر لهم وحقيقته الامر لك ان تفعل ما يخافون بعنفك وعن ابن عباس ان المراد الصغار وليس للكبار ان ينظروا الى مالكيهم الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لان الاماء كما يكره اطلاع الذكور على احواله فقد يكره ايضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لآمر جاريتي ان لا تستاذن كما يكره ان يستاذن الى ان دام امراته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا لان ذلك يدل على الاستيذان واجب في كل حال وهذا يدل على وجوبه في الاوقات الثلثة فقط ومنع لزوم النسخ بان الاولى في المكلفين وهذه في غير المكلفين قالوا الذين ملكت ايمانكم يشمل البالغين قلنا الوسلم فلا نسخ ايضا لانه قوله غير بيوتكم لا يشمل العبد لان الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك البيت امر المماليك والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله منكم ان يستاذنوا ثلث مرات في اليوم والليلة احدها قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب النطيفة بثياب النوم وثانيها عند الظهيرة ونصف النهار عند اشتداد الحر وظهور الخفيفة يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلوة العشاء الاخرة لانه وقت التجرد من ثياب النطيفة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستيذان في هذه الاوقات فقال ثلث مرات عورات لكم فمن قرأ ثلث بالرفع فظاهر كما في الوقوف ومن قرأه بالنصب فقد قال في الكشاف انه بدل من ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات هذا انسب لان قوله ثلث مرات ظرف ويجوز ان يكون ثلث مرات مصدرا بمعنى ثلثة استيذانات ويكون ثلث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلثة لانها منصوبة بتقدير اوقات العورة الخلل ومنه الاعور المختل العين واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب واعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت ثلث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف اي هي ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر

بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة ثم بين وجه العذر بقوله طوافون عليكم وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد وبعضهم اي بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع بعضكم بالابتداء وخبره على بعض او بالفاعل اي بعضكم طايف او يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفي الاية دلالة على وجوب اعتبار العلل في الاحكام ما امكن يروى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى ابناءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد انزلت عليه هذه الاية ثم بين حكم الاطفال الاحرار عند البلوغ وهو ان لا يكون لهم الدخول الا باذن في جميع الاوقات ومعنى الذين من قبلهم الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا الاية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على انه اذا احتلم كان بالغا واما اذا لم يحتلم فعند ذلك عامة العلماء وعليه الشافعي انه اذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روي ان ابن عمر عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد فلم يجزه وكان له اربع عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فاجازه وعن بعض السلف يروى عن علي ايضا انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وعليه بحمل قول الفرزدق ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما وادرك خمسة الاشبار واثبات العانة عند بعض الائمة في اطفال الكفار وقد مر في اول سورة النساء وانما ختم هذه الاية بقوله وكذلك يبين الله لكم اياته وقبلها وبعدها لكم الايات لانهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهي في الاولى الاوقات الثلثة وفي الاخرى من بيوتكم او بيوت ابائكم الى اخر الاية لكم الايات ومثلهما في قوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات يعني حد الزانيين وحد القاذف واما بلوغ الاطفال فلم يذكر لها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه والله عليم بمصالح العباد حكيم في اوامره ونواهيه ثم بين حكم النساء اللواتي خرجن عن محل الفتنة والتهمة فقال والقواعد وهي جمع قاعد بغير هاء كحايض وطالق وقد زعم صاحب الكشاف انها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لانه من قعد عن النساء الخاصة سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك اكد بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة انه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار وعن ابن عباس انه قرأ ان يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم ان وضع شيء من الثياب الظاهرة وانما ابيح ان وضع الثياب حال كونهن غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات شيئا من الزينة الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها لا يغيب منه شيء واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الاولى والافضل فكان باب فقال وان يستعففن خير لهن وذلك ان نحا محله مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والنحول والحول فلكل ساقطة لاقطة ويسئل بعضهم اولا المذكور من حكمة تنزل النساء فقال الحسن بحال فتنه وشهوة فتقبل فقال هذا كان ينبغي ان لا يحسن تكليف العجايز التستر واجاب بانه كان يلزم ادراك مصيبتان احديها عدم رفيه الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة ببيان الصور التي تعتبر فيها الاذن فقال ليس على الاعمى حرج نفي الحرج عن الاصناف الثلثة وذوي العاهة ثم قال ولا على انفسكم ان تاكلوا فذهب ابن زيد الى ان المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك انه لا حرج عليكم ان تاكلوا

من البيوت المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين في ان لكل واحد منهما مسنفى عنهما الحرج قال جار الله مثاله ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء ذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل شيء خوفا من ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك قال قتادة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا او للقزازة لتحرز من عمع الفرقة [illegible] والكراهة ذم وروى الزهري عن سعيد بن المسيب في هذه الآية ان المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويؤذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت قال الاكثرون هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى اني لا ارى شيئا فربما اخذ الاجود واترك الاردى والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة او غيرها من اسباب الكراهة وايضا كان المؤمنون يقولون ان الاعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يمكنه ان يأكل كما ينبغي والمريض لا يتأتى له ان يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم في المواكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل احد عشر موضعا **الاول** من بيوتكم وفيه سؤال وهو انه اي فائدة في اباحة الاكل لانسان من طعامه من بيته والجواب لعله من بيوت ازواجكم وعيالكم لان بيت المرأة كبيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة اراد بيوت اولادهم فنسبها اليهم لم يذكر الاولاد في جملة الاقارب وان الولد اقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الا البيت العاشر وهو قوله او ما ملكتم مفاتحه وفيه وجوه **احدها** قال ابن عباس هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه **وثانيها** قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة **وثالثها** قيل اراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله او صديقكم ومعناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يعني اكابر الصحابة وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج ابو يوسف بالآية انه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك انه تعالى اباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم واورد عليه ان لا يقطع اذا سرق من صديقه واجاب بان السارق لا يكون صديقا للمسروق منه ولعل انتظام الآية دل على ان اباحة الاكل من هذه المواضع لا يتوقف على الاستئذان عن قتادة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء انكروا ذلك فقيل كان ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفسه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال ابو مسلم هنا في الاقارب الكفرة اباح في هذه الآية ما خطر في قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب انفسهم بان يأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا جرم خصهم الله بالذكر لان هذه العادة في الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا ان الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ ثم نفى الحرج عنهم في نفس الاكل ان دون ان ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا على الحال اي مجتمعين او متفرقين والاشتات جمع شت وشتى

نعت وقيل مصدر وصف به نزلت في حي اكثر المفسرين وعن ابن عباس نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله من وقته وقال عكرمة وابو صالح نزلت في قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك للزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى تحرجا فلربما يحصل عند الجمعية ما يستر ويؤذي فرخص الله تعالى لهم ثم علمهم ادبا جميلا فقال فاذا دخلتم بيوتا اي من البيوت المذكورة لتأكلوا فسلموا على انفسكم بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وتحية نصب بسلموا لانه في معنى تحية الله وهي مشروعة من لدنه وارادوا ان التحية طلب سلامة وحياة للمحيي من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب عن انس قال كنت واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك فصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاولين قال العلماء ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن خصوص الادب قوله سبحانه انما المؤمنون الى الآية والمعنى انه من عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر الجامع وصف مجازا قال مجاهد هو امر الحرب ونحوه من الامور المهمة نفعه وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شيء يكون فيه الخطبة وذلك انه لا بد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بآرائهم وتجاربهم وكفاياتهم فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على ان استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان واجيب بان ترك الاستئذان من اهل النفاق لا نزاع لانهم تركوه استخفافا فالجار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية ان جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما واوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيد توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله فأذن لمن شئت منهم دلالة على انه تعالى فوض بعض امر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة انها منسوخة بقوله لم اذنت لهم وفي قوله واستغفر لهم الله وجهان احدهما ان هذا الاستغفار لاجل انهم تركوا الاولى والافضل وهو ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر انه لهم على تمسكهم بآداب الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول اي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وذلك ان امره فرض لازم وامر غيره ليس بفرض وانما هو ادب مستحسن رعايته مع الائمة والمقدمين من العلماء اهل الحكم ونحوهم المبرد والقفال عن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفض وقيل ان احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدريج واللواذ الملاوذة وهو ان يكون هذا بذاك وذاك بذا ثم انتصابه على الحال والحاصل انهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي اذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكانوا يتسللون بغير اذن ومعنى قد يعلم تكثير العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يخالفون عن امره يقال خالفه عن الامر اي حبسه عنه واقدم هو مخالفته الى القتال اي اقدمت وحينئذ هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل والزلازل وتسلط الاهوال والعذاب الاليم في الآخرة النار وعن جعفر بن محمد عليهما السلام ان يسلط عليهم سلطان جائر قال الاصوليون في الآية دلالة على ان ظاهر الامر للوجوب لان

تارك للمأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا دخل بمقتضاه كان مخالفا
والمخالف مستحق للعقاب بالاية ولا يعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه
الذي يقتضيه الامر فان الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع [illegible]
مأمور به فان هذا اول المسئلة والاولى الظاهر ان الضمير في امره للرسول ولو كان لله لا يصح لانه لا فرق بين امر الله وامر
الرسول [illegible] عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال امر فلان مستقيم وعلى هذا وكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا
علينا ثم بين كمال [illegible] بقوله الا ان لله الى اخره تاكيدا للوجوب بالحذر وقال جار الله الخطاب والغيبة في قوله ما انتم عليه
ويوم يرجعون كلاهما للمنافقين على طريقة الالتفات او الاول عام والثاني لاهل النفاق واقول يحتمل ان يكون كلاهما عاما للناس [illegible]
والفاء في قوله فينبئهم لتلازم ما قبلها وما بعدها كقولك [illegible] **التأويل** ومن يطع الله ورسوله فيما يدعو به الى
الحضرة بترك ما سوى الله ويخش الانقطاع عن الله ويتق بدعا سواه فاولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصال الابد لا انفصال
وزوال [illegible] بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله
في ارض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة الموعد فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ الاخبار والنبي
صلى الله عليه وسلم والقران ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم اهل المعرفة واصحاب الحقائق وارباب السلوك الكاملون
المكملون ومنهم خلفاء الله على الحقيقة واقطاب العالم واوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي امنا يعبدونني
بالاخلاص لا يشركون بي شيئا من مطالب الدنيا والاخرة ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا [illegible]
ثلث مرات في المبادي وفي اوساط السلوك وفي نهاية امرهم فاذا احوالهم في هذه الاوقات [illegible] في الاغلب والله المستعان
والقواعد [illegible] اشارة الى المريد اظهار عيب [illegible] فشا الاسرار وما استودع فيه من تحولات الاحوال فلا [illegible] ان لا يبالغ في
الستر والاخفاء من الاغيار [illegible] ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية رحمه الله فيه اشارة الى ان
من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يبطش الا بالله فانهم مخصوصون بان يكون مكفيا لله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم
مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا جناح حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا
يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على انفسكم اشارة الى انه لا حرج على ارباب النفوس ان تكون ماكلهم من بيوتهم او بيوت ابناء
جنسهم [illegible] قال فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله او ما ملكتم مفاتحه اشارة الى ان درجات الجنة مساكن اهل
المكاسب كما ان مقامات اهل القرب عند مليك مقتدر منزل لاهل المواهب وقوله او صديقكم فيه ان درج الجنان بما اعمال [illegible]
بركة حبيب الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على [illegible] قبل المريد الصادق [illegible] لم يكن يصل اليها بمجرد اعماله
ليس عليكم جناح فيه انه لا حرج على اهل الجنة ان يكون ماكلهم [illegible] جماعة شتى واذا دخلتم بيوتا اي بلغتم
منزلا من المنازل فخلوا الى [illegible] الاحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل العلى والطيب انما المؤمنون فيه
ان المريد الصادق لا ينبغي الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في امته ان تصيبهم فتنة من المال والجاه او قبول
الخلق او التزويج او العزلة الا باذن الشيخ او التردد على ابواب الملوك ونحو ذلك

سورة الفرقان مكية غير اية نزلت بطائف وبالعصمة [illegible]
الم تر الى ربك كيف مد الظل حروفها ثلاثة الف وثمانماية وثلاث وثلاثين كلمها
ستمائة واثنين وثمانين اياتها سبع وسبعين اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمام

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ۝
الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا ۝ واتخذوا من دونه الهة
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا
يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ۝ وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك افتريه واعانه عليه قوم اخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ۝
وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا ۝ قل
انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ۝
وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا ۝ او يلقى اليه كنز او يكون له جنة
ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ۝ انظر كيف
ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۝ تبارك الذى ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك
قصورا ۝ بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ۝
اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ۝ واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ۝ لا تدعوا اليوم ثبورا

واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد

المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان

على ربك وعدا مسئولا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول

ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما

كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن

متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد

كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا

ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من

المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا

القراءات جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك قصورا بالرفع ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك ان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون ابن كثير وسهل ويعقوب وعباس وحفص قراءة ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالياء فيهما في الاول وبالياء في الثاني ان نتخذ على البناء للمفعول يزيد وبما تقولون بتاء الخطاب السرهدى عن قنبل تستطيعون بتاء الخطاب حفص غير الخزاز **الوقوف** نذيرا لا بناء على ان ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل غير تام الصلة ولو قدر هو رفعا ونصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ولا نشورا آخرون لاحتمال الفاء ان يكون خلاف القائل الا احتمال ان يكون فقد جاؤا مقول الكفار اي جاء محمد ومن اعانه بظلم وزورا لاحتمال الذكر اي للعطف المتفقين مع طول الكلام واصيلا والارض رحيما الاسواق نذيرا منها مسحورا سبيلا الانهار لمن جعل رفع يجعل على الاستيناف قصورا سعيرا لاحتمال كونهما بعد صفة المستينا فامن زفيرا ثبورا الاول كثيرا المتقون لانتهاء الاستفهام ومصيرا خالدين مسؤلا السبيل الذكر لجواز ان تكون الواو للحال وقد كانوا لجواز انه اراد وصدوا فيتصل بقوله نسوا بورا تقولون الا لمن قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصرا الشرط مع العطف كبيرا في الاسواق فتنة تصبرون

تصبرون لاحتمال كون الواو للحال بصيرا **التفسير** انه سبحانه تكلم في هذه السورة اولا في التوحيد لانه اقدم واهم ثم النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد ويختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما اشرف هذه المطالب وما احسن هذا الترتيب ومعنى تبارك كثر خيره وتزايد او تعالى عن وصاف الممكنات وقد مر في قوله فتبارك الله احسن الخالقين في الاعراف فتبارك دليل على الخالقية والخير ايضا في القرآن وكان هذه الصفات معلومة بدلايل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في ليكون للعبد او للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والعالمين يشمل الخلايق كلهم الا ان الاجماع دل على خروج الملكية وما عدا الثقلين فبقي ان يكون مبعوثا الى الجن والانس الا من هو خارج عن التكليف والنذير المنذر او الانذار كالنكير وقالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر الى السعادات الاخروية الذي يحصل بالانذار على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفات اربع **اولاها** الذي له ملك السموات والارض وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره **الثانية** ولم يتخذ ولدا وفيه ردا على النصارى واليهود **الثالثة** ولم يكن له شريك في الملك وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وارباب الشرك الخفي ايضا لكنه صح بهذا الاخيرة الصفة **الرابعة** وهي قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال جار الله المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له والمراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق ومعنى فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكانه قيل اوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجد متفاوتا او احدثه فقدره للبقاء الى امد معلوم وعندي ان الكلام محمول على القلب الذي يشجع عليه من الالتباس اي قدره في الازل ثم قدر بالخلق في وقته او احدثه فقد وافقنا الذي ذكر التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر في قوله الا بحال لوكان ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا واتخذوا الاية وحاصله ان اله العالم يجب ان يكون قادرا على الاشياء وانها لا اعراضا واجساما ومع الجماد بل المليكة والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف في شيء الا باذن الله فتكون الاية ردا على الكل وانما قال في هذه السورة ومن دونه لتقدم الذكر منزها في مريم ويس من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع للتعظيم فلم يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفي الانداد شرع في شبهات منكري النبوة والاجوبة عنها **فالشبهة الاولى** قولهم ان هذا الا افك افتريه ارادوا ان الكذب في نفسه او الكذب في اضافته الى الله تعالى وقوله واعانه عليه قوم آخرون نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر وقد مر ما قيل في سبب نزوله في النحل فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا اي اتوهما فانتصب بوقوع المجيء عليه وعن الزجاج انه انتصب بنزع الخافض اي اتوا بالظلم وهو انهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من عندهم في غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو انصفوا من انفسهم لعلموا ان العربي لا يتلقن من العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع هم ولو استعان محمد في ذلك بغيره لامكنهم ايضا ان يستعينوا بغيرهم قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه **الشبهة الثانية** قولهم انه اساطير الاولين اي احاديث سطرها المتقدمون كاخبار الاعاجم اكتتبها كتبها لنفسه كقولك استكب الماء اي سكبه لنفسه واخذه وقد يظن ان في الكلام قلبا لانه يقال المملى عليه فهو يكتب واجيب بان المعنى اراد اكتتابها فهي تقرأ عليه اذ كتبت لتحفظ اي فهي تملى عليه بعد كتابه ليتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما تملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية يقرأ بكرة وقال جار الله بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فاجاب عن هذه الشبهة بقوله قل انزله الذي يعلم السر الاية والمعنى ان العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحته ونظمه وبلاغة معانيه ورزانته

من الناقص والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد وقال ابو مسلم انه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما يسرونه
من الكيد والنفاق فهو مجازيكم عليه لا محالة هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة
وقيل هو تنبيه على انهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفهم برحمته وغفرانه **الشبهة الثالثة** في قولهم على سبيل الاستهانة
وتصغير الشأن ما لهذا الزاعم انه رسول الله عابوه باكل الطعام كما ناكل وبتردده في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد وزعموا انه كان يجب ان
يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم تنزلوا عن هذا المقام فطلبوا ان يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار
ثم تنزلوا فاقترحوا ان يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم تنزلوا فقالوا الا اقل من ان يكون كواحد
من الدهاقين له بستان ينتفع هو او ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه
حكم الاستفهام ومحل انزل الرفع كما تقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين وقال الظالمون من وضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وامثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الاقوال النادرة
والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق تبارك اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب
لك في الدنيا خيرا او لا يجدون طريقا اليه وقد مر مثل هذه الآية في اواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما
يخبرهم ويعجزهم وهو قوله تبارك اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله جنات عن ابن عباس
خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه في رواية عكرمة خيرا من المشي لابتغاء المعاش وفي قوله ان شاء دليل على
انه لا حق لاحد من العباد عليه في الدنيا ولا في الآخرة —— في الآخرة وان تحصيل الخيرات تعلق بمحض مشيئته
وعنايته وقيل ان المعنى انا قد جعلنا لك في الآخرة جنات وبنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل ان يكون لكل جنة
قصر وان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك في الآخرة جنات وفي الدنيا قصورا عن
طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عنده قال جبريل هذا ملك قد نزل من السماء
استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شيء ولم يعطها
احدا قبلك ولا يعطيها احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيئا فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لي في الآخرة فنزلت
هذه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم عرض علي جبريل بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفي رواية
اشبع يوما واجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت قوله بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل
اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتاملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز
ان يراد ليس ما تعلقوا به شبهة عليهم في نفس المسئلة بل انما حملهم على ذلك تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها
واعتدنا جعلناها عتيدة ومعدة لهم وقال من يستدل بها على ان النار مخلوقة ويحتمل ان يقال هو كقوله ونادى وسيق قال الاشاعرة
البنية ليست شرطا في الحيوة وتوابعها واخروا قوله اذا رأتهم على ظاهره وقالوا لا امتناع في كون النار حية لبنية مغتاظة
على الكفار والمعتزلة اولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى
اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال الجبائي ذكر النار واراد
خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة
الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل
التغيظ عبارة عن شدة واجيب بان المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت اي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ
قاله الزجاج وقال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر متقلدا سيفا ورمحا يروى ان جهنم تزفر زفرة

تزفر لا يبقى احد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه يجثو على ركبتيه ويقول نفسي نفسي ثم وصف حال الكفار اذا القوا في
جهنم ووصف حالهم حين ما يلقون فيها عن ابن عباس انه تضيق عليهم المكان كما يضيق الزج في الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون
يحطهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال جار الله الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق
قلب الكافر فيه قصد وكقوله يجعل صدره ضيقا حرجا فاخبر ان اهل جهنم مع ما هم فيه من الضيق يكونون مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد
مر في اخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا اوانك وهذا وههنا اضمار اي يقال
لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وهم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته ولانهم كلما نضجت جلودهم
بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم او لانهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبي
نزل هذا كله في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي
وعدها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر احلى من الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا اعطى السيد
عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول له على سبيل التوبيخ هذا اطيب ام ذاك والاضافة في جنة الخلد
للتوضيح والتاكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم ان نعيمها لا ينقطع قالت الاشاعرة في قوله وعد دلالة على ان الجنة انما تستحق
بحسب الوعد والتفضل لا لاجل العمل وقالت المعتزلة في قوله للمتقون اشارة الى ان الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك اكد بقوله
على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار كانت لهم جزاء ومصيرا اجابت الاشاعرة بانه يكون لم لا يجوز ان يرضى المتقون بزيادة حال
كونه جزاء ثبت في الازل والعمل هناك قالت المعتزلة لا معنى لصاحب الكبيرة لان الجنة جزاء المتقين خاصة فلا يعطى حقهم
غيرهم اجابت الاشاعرة بانه يكون لم لا يجوز ان يرضى المتقون بادخال الله اهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء
مدحا للثواب ومكانه كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن دلالة على ان حصول المرادات باسرها
لا يكون الا في الجنة واما الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والصحة كان لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله على ربك
ان ذلك واجب على الله حتى انه لو لم يفعل استحق الذم واجيب بانه واجب بحكم الوعد لقوله وعدا مسئولا كان المكلفين سألوه
بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة في طاعته او سألوه حقيقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او سأله
الملائكة في قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم او من حقه ان يسأل ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق
او بحسب الوعد على المذهبين قوله ويوم يحشرهم رجوع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام وقيل
قوله انتم اضللتم انه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلاجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبي على الاوثان ثم
قالوا لا يبعد ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والنطق او اراد انهم تكلموا بلسان الحال وقيل انه عام للاصنام وللمعبودين من العقلاء
نظيره قوله ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل في
العقلاء او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم كما اذا اردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد الطويل ام القصير
والسؤال اما لله وحده او للملائكة باذنه وانما قال انتم وهم ولم يقل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل لان
السؤال وقع عن تولي فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال مع علام الغيوب ان يجيب المعبودين
بما اجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس ان يقال ضلوا السبيل

الا انهم تركوا الجادة كما تركوا في هداة الطريق والاصل هداه الى الطريق او للطريق قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء
معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون
بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا او قصدوا به
ان يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم او ابتداء من كان بريئا من الجرم بل انما سالهم تقريعا للكفار وتوبيخا قرئ ان نتخذ
بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والاصل ان نتخذ وليا من دونك فزيدت من لتاكيد معنى النفي ومن قرا بضم النون
فهو متعد الى اثنين **الاول** ضمير نحن **والثاني** من اولياء من دونك ولا تكون من للتبعيض لانها لا تزاد في المفعول الثاني تقول
ما اتخذت من احد وليا ولا تقول ما اتخذت احدا من ولي فمن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم مخصوصون
وهم الجن والاصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الاية على القراءة الاولى وجوه **الاول** ان المعنى اذا
كنا لا نرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعوا غيرنا الى ذلك **الثاني** ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما
تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة عن ابي مسلم **الثالث** تقديره ما كان لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء اي لما علمنا انك لا ترضى بهذا ما فعلناه او قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغي لعبيدك ان يتخذوا من دونك
وليا **الرابع** قالت الاصنام لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء انا من المعبودين وفي الاية دلالة على انه لا يجوز
الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع ممنوعة شرعا والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن
والشرائع او ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والاخرة قالت المعتزلة في قوله ولكن متعتهم دليل بين على ان الله عز وجل لا يضل عباده
على الحقيقة والا كان الجواب الجيد ان يقولوا بل انت اضللتهم لا ان يقولوا بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى ابائهم تفضل
جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر والحاصل انهم ضلوا بانفسهم لا باضلالنا وقالت
الاشاعرة فيه دلالة على ان الله تعالى هو المضل في الحقيقة كانهم قالوا الهنا انت الذي اعطيتهم جميع مطالبهم في الدنيا حتى
استغرقوا في بحر الشهوات واعرضوا عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فانت هو الذي فتنتهم اياها وكانوا قوما بورا
فالاكثرون على البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الاخفش انه اسم جمع يقال رجل بائر اي فاسد
هالك لا خير فيه وامراة بور وقوم بور كما يقال انت بشر وانتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت
الاشاعرة ارادوا انهم كانوا في اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول
بالقدر ايضا قوله فقد كذبوكم التفات لتحميل الالزام والفاء فيه تدل على شرط مقدر كانه قال ان زعمتم انهم الهتكم فقد
كذبوكم بقولكم انهم الهة او بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا على الاختلاف في القراءة في الخطاب والغيبة والجار والباء في الاول
كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كانه قيل فقد كذبوا بما يقولون وفي الثاني كقولك كتبت بالقلم فما يستطيعون
انتم بالقراءتين او فما يستطيع الهتكم على القراءة الاخرى صرفا للعذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصي عن فعله وقيل الحيلة
من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ثم ذكر وعيد كل ظالم بقوله ومن يظلم الاية واستدلت المعتزلة به على عذاب الفاسق وخلوده وذلك ان
الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون والانصاف انه لا دلالة في الاية على مطلوبهم لان من ليس من صيغ العموم عند
بعضهم وان سلم فلعل المراد الكفر والاعوام باعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما انه مشروط عند المعتزلة
بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا يدل على الخلود ثم بين بقوله وما ارسلنا الاية انه لا وجه لقولهم ما لهذا الرسول
ياكل الطعام لانه من عادة مستمرة من الله في كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا
قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم اي

اي وما منا احد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانباري المحذوف هو الواو بعد الا فيكون الجملة
حالا كقوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة قال الكلبي والفراء والزجاج
هذا في رؤساء المشركين كابي جهل وغيره وفقراء الصحابة كان اذا راى الشريف الوضيع وقد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون
للوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن انه في اصحاب البلاء والعافية
يقول احدهم لم لم اجعل مثله في الخلق والخلق وفي العقل والعلم والرزق والاجل وغير ذلك ويؤيده ما روي عن ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد
من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وقال الحسن هذا احتجاج عليهم في اختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة عليهم مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
العداوة وانواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال والصبر ثم تابعين خادمين بعد ان كانوا متبوعين
مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن ترك
فلانا العراية جعله لصا قال في الكشاف موقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قلت
اراد ان كلا من الابتلاء والفتنة يستدعي التمييز فيصح الاستفهام بعدها اي يفتنكم ليظهر انكم تصبرون على البلاء ام لا ولعل الاظهر
ان الاستفهام غير معلق بالفتنة وانما هو مستانف للوعيد كقوله فهل انتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا
عالما بمن يصبر ولمن يصبر فيجازي كلا منهم بحسب ذلك وقيل في الاية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر
فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه
الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يتميز الطامع من المخلص وقال النصوحي اتصبرون يا معشر الانبياء
على ما يقولون ويا معشر الامم على ما يقولون ٥ وقال الذين لا يرجون لقاءنا

لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا

في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ٥ يوم يرون الملائكة لا

بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ٥ وقدمنا الى ما عملوا

من عمل فجعلناه هباء منثورا ٥ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا

واحسن مقيلا ٥ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ٥

الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ٥ ويوم يعض

الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ٥ يا ويلتى ليتني لم

اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان
الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى
بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا
ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل
سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم
تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا
للظالمين عذابا اليما وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا
وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي امطرت
مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون
نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله
رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فسوف يعلمون

يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه
هويه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا
لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا

القراءة تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وابو عمرو والاخرون بالتشديد للادغام ونزل الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون نزلت وينزل ماضيا مجهولا التنزيل الملائكة بالرفع ياليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم ابو عمرو قومي اتخذوا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الاخرون بالتنوين لانه كلها وبناؤه الحي لا القبيلة او لانه اسم الاب الاكبر الريح على التوحيد ابن كثير بشرا مر ذكره في الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ونسقيه بفتح النون المفضل والبرجمي الباقون بضمها الوقوف الجزء التاسع عشر ربنا ط كبيرا ه محجورا منثورا ه مقيلا ه تنزيلا ه للرحمن ط عسيرا سبيلا ه خليلا ه اذ جاءني لان ما بعده من اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل ان يكون من تمة حكاية كلام الظالم خذولا ه مهجورا ه المجرمين ط ونصيرا ه واحدة ج على تقدير ثبتنا انزاله كذلك اي كما ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك ط والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم اضمرت فعلا اي فرقناه لنثبت ترتيلا ه تفسيرا ط لان ما بعده مبتدا جهنم لا لان ما بعده خبر سبيلا ه وزيرا ج للآية ولفاء العطف بآياتنا ط للفاء الفصيحة اي فذهبا وبلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا لا لان وقوم نوح منصوب

يحزن في اي جعلنا فتنة ونوح اغرقناهم الاية ط لان ما بعده مستانف الجملة للاية ولاحتمال العطف عادا على الضمير في جعلناهم ولقوم
انتقامه بمحذوف اي واهلكنا عادا كثيرا ه الامثال ز فصلا بين الامرين المعظمين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا ه السوء
ط وبهذا للعطف لابتداء النفي سبيلا مع الاضراب نشورا ه حزوا ط لحق الجزء وفا او يقولون اهذا الذي رسولا ه عليها ط آمنا
عقولهم سبيلا ه هويه ط وكيلا لا للعطف يعقلون ط لابتداء النفي سبيلا ه الظل ج لانتهاء الاستفهام الى الخبر مع اتحاد
المقصود ساكنا ج للعدول مع العطف دليلا لا يسيرا ه نشورا ه رحمته ج للعدول طهورا لا لتعلق اللام كثيرا ه ليذكروا ز
والوصل اولى للفاء كفورا ه **التفسير** هذه شبهة رابعة لمنكري النبوة وانهم في قول الكلبي ابو جهل والوليد
واضرابهما وتقريرها ان الحكيم اذا اختار في معتقده طريقا يكون اسهل افضاء اليه ولا شك ان انزال الملائكة ليشهدوا على
صدق مدعي النبوة على المطلوب فلو كان محمد صادقا لكان مؤيدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال القراء معنى لا
يرجون لا يخافون والرجاء في لغة تهامة الخوف وقال غيره الرجاء على اصله وهو الامل الا ان الخوف يلزمه في هذه السورة
فان من لا يرجو الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب بل من لقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل
بمعنى الرؤية عند الاشاعرة او على ارادة الجزاء والحساب عند المعتزلة وتحقيقه في اوايل البقرة في قوله الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم ولعل تفسيره بلقاء الجزاء انسب في هذا المقام ليلائم قوله او نرى ربنا اي جهرة وعيانا فيامرنا بتصديقه
واتباعه اللهم الا ان يراد ان الذين لا يرجون رؤيتنا في الاخرة اقترحوا رؤيتنا في الدنيا قال جار الله لا يخلو اما ان يكونوا
عالمين بان الله عز وجل لا يرسل الملائكة الا الى الانبياء وانه تعالى لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان
يكونوا عالمين بل وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى الايات التي نزلت وقامت بها الحجة كما فعل قوم موسى حين قالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه اجاب عن شبهتهم بقوله لقد استكبروا في انفسهم اي اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط في الظلم عتوا ثم وصف العتو بالكبير قال جار
الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفيها معنى التعجب كانه قال ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم في التفسير الكبير تحرير هذا الجواب من وجوه **احدها** ان القران لما ظهر كونه معجزا فقد تمت
دلالة نبوة محمد فبعد ذلك لا يكون اقتراح امثال هذه الايات الا محض الاستكبار **وثانيها** ان نزول الملائكة لو حصل
لكان ايضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص كونه معجزا فيكون قبول ذلك ورد الاخر ترجيحا لاحد المثلين
من غير المرجح **وثالثها** انهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه لرسوله لا يستفيدون علما زائدا لان تصديق المعجز
اذ لا فرق بين ان يقول النبي اللهم ان كنت صادقا فاحي هذا الميت فيحييه وبين ان يقول ان كنت صادقا فصدقني
تصديقه فتعين احد الطريقين محض العناد **ورابعها** ان العبد ليس له ان يعترض على مولاه اما بحكم المالكية
عند الاشعري او بحكم المصلحة عند المعتزلة **وخامسها** ان السائل اللاج المعاند الذي لا يرضى بما ينعم عليه مذموم والمهاد
المعجز من جملة الايادي الجسيمة فتخصيص واحد بها واقتراح الاخرى ليس من الادب في شيء **وسادسها** لعل المراد اني
لو علمت انهم ليسوا مستكبرين عابثين لاعطيتهم مطلوبهم لكني علمت انهم انما سالوا لاجل المكابرة والعناد فلا
جرم لا اعطيهم **وسابعها** لعلهم عرفوا من اهل الكتاب ان الله تعالى لا يرى في الدنيا وانه لا ينزل الملائكة على

عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرون ولا يخفى ضعف الاستدلال والمنتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون
لا بشرى منفيا او بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة لا يمنعون البشرى بالجنة وبرؤية الحق ويومئذ للتكرير وقوله
للمجرمين ظاهر في موضع الضمير او عام فيتناول هؤلاء لعمومه ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم
وان كان من اهل القبلة وحمل الاشاعرة المجرم على الكافر اما قوله حجرا محجورا فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدو او هجوم نازلة
يضعونها موضع الاستعاذة يقول الرجل للرجل اتفعل كذا فيقول حجرا وذكر سيبويه في باب المصادر التي ترك اظهار فعلها نحو معاذ
الله وعمرك الله ومعناه منعا اي اسال الله ان يمنع ذلك منعا كان المستعيذ طالب من الله عز وجل ان يمنع المكروه ووصفه بالمحجور
للتاكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والاكثرون على ان القائلين هم الكفار اذا راوا الملائكة عند الموت او يوم القيمة كرهوا
لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولونه عند نزول كل شدة وقيل هم الملئكة ومعناه
حراما محرما اي حرم الله الجنة والغفران او البشرى حراما عليكم يؤدي الى ان الكفار اذا خرجوا من قبورهم قال الحفظة لهم حجرا محجورا
وقال الكلبي الملئكة على ابواب الجنة تبشر المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيمة يلقى الملئكة
المؤمنين بالبشرى فاذا راى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم اخبر عن مزيد تحسرهم وذلك انهم كانوا يعملون
اعمالا لها صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وامثالها من غير نية لها على اساس الايمان فمثلت حالهم بحال
قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فعمد الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها بحيث لم يترك منها اثرا
والا فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم لتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها قال اهل المعاني القادم الى الشيء قاصد له فالقصد
هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وقيل اراد قدوم الملئكة بامره الى موضع الحساب في الاخرة والهباء ما
يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب في امثالهم اقل من الهباء
شبه عملهم بالهباء في قلته وحقارته واكد المعنى بوصف الهباء بالمنثور لانك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر
وذهب كل مذهب والمراد جعلنا مجامعا لحقارة الهباء والتناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم ميز حال الابرار
من حال الفجار بقوله اصحاب الجنة خير ووجه صحة التفضيل ما بين في قوله قل اذلك خير ام جنة الخلد او التفاوت بين المنزلتين
انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه موضع لا شر فيه وهو على سبيل الفرض اي لو كان لهم مستقر فيه خير لكان مستقر اهل الجنة
خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والاستمتاع بمغازلتهن
وملامستهن كحال المترفهين في الدنيا ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعوتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه
وفي اختيار لفظ الاحسن دون ان يقول خير مقيلا رمز الى التحسينات الحاصلة في مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة
الصور وغير ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وعن سعيد
بن جبير ان الله تعالى اذا اخذ في فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى نصف النهار فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وقال بعضهم يخفف الحساب على اهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من ايام الدنيا ثم يقيلون من يومهم ذلك
في الجنة وحاصل الاية ان اصحاب الجنة من المكان في اطيب مكان ومن الزمان في احسن زمان ثم اراد ان يصف اهوال يوم
القيمة فقال ويوم تشقق اي واذكر يوم تنفتح السماء بسبب غمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف
اعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لان السماء لا تتشقق بالغمام بل عن الغمام كما يقال انشقت الارض عن النبات اي
ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضي لا يمتنع ان يجعل الله تعالى الغمام بحيث يشقق السماء باعتماده عليها وعن ابن عباس
تتشقق سماء الدنيا فينزل اهلها وكذلك تتشقق سماء سماء ثم ينزل الملئكة الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى

قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات واما نزول الملائكة مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا لا
يبعد ان يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث يسع كل هؤلاء ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام وهو سترة بين السماء
والارض والله تعالى فوق اهل القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس قال تشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم
ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر ان اللام في الغمام للجنس ومنهم من قال انه للعهد والمعهود قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبني اسرائيل في التيه ومعنى تنزيلا توكيد
النزول ودلالة على اسراعهم فيه قال الزجاج الحق صفة الملك اي الملك الثابت الذي لا يزول للرحمن يومئذ ونظيره مالك يوم
الدين ويجوز ان يكون يومئذ تم الكلام والحق له ويوم تشقق واعرابهما واحد والفائدة في تخصيص ذلك اليوم ان تعلم انه لا مالك
له سواه لا بالصورة ولا في الحقيقة فيخضع له الملوك ويعنو له الوجوه ويذل رقاب الجبابرة قالت الاشاعرة ههنا لو وجب
على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خائفا ان لا يفعل فلم يكن له الملك على الاطلاق وايضا لو كان العبد مالكا للثواب
لم يكن الله تعالى مالكا مطلقا بل يكون بعبد اضعيفا لا يعبده على ان لا يؤدي ما عليه من العوض وعند احتاجا الى ان
يدفع الذم عن نفسه باداء ما عليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام في الظالم ظاهره الاستغراق
والشمول او الجنس وعن ابن عباس انه للعهد وذلك ان الاية نزلت في عقبة بن ابي معيط وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه
وسلم فاتخذ ضيافة ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ياتي بالشهادتين ففعل وكان ابي
بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت
والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه ولم تبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار
الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا
بقتله وفي روايات الشيعة ان الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا
فاضلين من الصحابة وعندهم لان تغيير القرآن كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانهما من لوازم الغيظ
والتحسر غالبا ونظيره سقط في يده واكل بنانه وامثال ذلك وقال الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما اكلها
نبت قال جار الله تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق فلا يتشعب به طرق الضلالة والهوى
او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي الى سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به
الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم فجعل كناية عنه قلت زعم بعض ائمة اللغة انه لم يثبت فلان في
الفصيح الا حكاية لا يقال جاءني فلان لانه اسم اللفظ الذي هو علم الاسم مدلول العلم ولذلك جاء في كلام الله يقول يا
ليتني لم اتخذ والذكر ذكر الله والقرآن او موعظة الرسول او نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة
الى خليله الذي اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اشارة الى ابليس وانه هو الذي حمله على ان صار خليلا
لذلك المضل وخالف الرسول ثم خذله او اراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن من الجن والانس ثم ان الكفار
لما اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل
وقال يا رب ان قومي يعني قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا اي تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن ابي مسلم
انه المراد يوم القيامة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا

اذا هذى وبكى يحلف في مرضه اي جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان احدهما انهم زعموا انه كلام لا فائدة فيه والثاني انهم كانوا اذا
سمعوه هجروا فيه وجوز في الكشاف ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمعسور والمجلود اي اتخذوه هجرا والاسواء هذا النداء
بمنزلة قول نوح رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب
بامته ولم تصر شكاية نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك والجواب ان تمام الكلام وكان في كلام نوح رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يفض الى الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته
على الامة وان بلغ ايذاؤهم الغاية ما اوذي نبي مثل ما اوذيت ثم ان الله سبحانه سلاه وعزاه وامره بالصبر على
اذاهم حين قال وكذلك جعلنا بين ذلك ان لك اسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام
البحث فيه قد سلف في الانعام من قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وكفى بربك هاديا
الى مصالح الدين والدنيا او الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على اعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة
وهي قولهم هلا نزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة اي مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعبيد فقط كما انزلت التورية والانجيل
والقائلون قريش او اليهود فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله لنثبت الى اخره وتقريره من وجوه احدها انه عم لم يكن قاريا
كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن بد من التلقين والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وعن ابن جريج في ثلث
وعشرين ليكون اقرب الى الضبط وابعد عن النسيان والسهو وثانيها ان الاعتماد على الحفظ اقرب الى التحصيل من الاعتماد
على الكتابة والحفظ لا بد فيه من التدريج وثالثها انه لو انزل التكليف منه جملة لشق على المكلف ما دفعه ورابعها ان
تجدد جبريل ساعة فساعة مما يقوي قلبه ويعينه على تحمل اعباء النبوة والرسالة وخامسها انه نزل بحسب الوقائع والحوادث اوفق
في باب التكليف والاستبصار وادل على الاخبار عن الحوادث في اوقاتها وسادسها ان في تجديد منصب السفارة في كل حين تشريف
لجبريل وللترتيل معان منها انه قدره اية بعد اية ووقفه عقيب وقفة ومنها التاني في القراءة ومعنى رتلناه امرنا بترتيل قراءته
ومنه حديث عائشة في قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها ومنه ثغر رتل الاسنان اي
تفلجها ايتها وشبه بنور الاقحوان في تفلجه ومنها انه نزله في مدة متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه
في مدة متقاربة ثم ذكر انهم محجوجون في كل اوان بقوله ولا ياتونك بمثل اي بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة الذي كانه مثل
في البطلان الا ونحن ناتيك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير
هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ووجه اخر
وهو ان لا يراد ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفتك وحالك ان ينزل معك ملك او يلقى اليك كنز او ينزل
عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا وما هو احسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك نزول
القرآن منجما فان ذلك ادخل في الاعجاز كما مر ثم اوعد هؤلاء بحشرهم بانهم شر مكانا من اهل الجنة والبحث عنه مضى
ما مر في صفة اهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كانه قيل لهم ان الذي يحملكم على هذه الاسئولة هو انكم تضللون سبيله
وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم انكم شر مكانا
واضل سبيلا من سبيله عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على
الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء الاولين على عادة افتنانه
في الكلام تنشيطا للاذهان وتسلية لنبيه كانه قال لست يا محمد باول من ارسلنا قبلك فكذب ولقد اتيناه الايات وذلك
اجتماع بين النبوة وقوينا باخيه ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم في طه والوزارة لا ينافي النبوة فقد كان

بعث في الزمن الواحد الا نبيا او يؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا لاشتراكهما في النبوة قيل لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا
باياتنا ان حملناه على تكذيب ايات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب ايات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة
اخبار الله تعالى ويجوز ان يراد الى القوم الذين آل حالهم الى ان كذبوا فدمرناهم وهو على هذا فلا اختلاف والتدمير الاهلاك وقوم
نوح لما كذبوا الرسل بان كذبوا وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كانهم لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة ولان تكذيب واحد من
الرسل كتكذيب الكل اغرقناهم وجعلناهم اي اغراقهم او قصتهم للناس آية محل اعتبار واعتدنا للظالمين وهم قوم نوح او كل
من سلك سبيلهم في التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا واما الرس فعن ابي عبيدة انه البئر غير المطوية وكانوا من عبدة
الاصنام اصحاب ابار ومواشي فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فابوا فبيناهم حول الرس انهارت بهم
فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل اصحاب النبي حنظلة بن
صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب
الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت اذا دفن وغيب في الحفيرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار
وسيجيء ذكره والقصة في سورة يس وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم في الارض وقيل هم قوم
كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب فكذبوه
فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بئرا فارسلوه فيها وقالوا نرجو ان ترضى عنا آلهتنا وكان عامة يومهم يسمعون انين نبيهم يقول
الهي وسيدي ترى مكاني وشدة كربي وضعف قلبي فعجل قبض روحي حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة
وصارت الارض تحتهم حجر كبريت متوقدا واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير باسناده
الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد اسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا
فالقوه فيها ثم اطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان كذلك
ما شاء الله فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول لشقه الاخر
فنام سبع سنين ثم انتبه فاحتمل حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجاء القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب
الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وكان النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندري حتى قبض
الله تعالى النبي وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود اول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت
فلا مدخل لها في المقصود فان المقام يقتضي ان يكونوا قوما كذبوا نبيهم فاهلكوا لاجل ذلك اما قوله وقرونا بين ذلك فاشارة
الى ما ذكر من الامم والقرون ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا وكلا تبرنا اهلكنا اشنع الهلاك
حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتتبير التفتيت والتكسير وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا
او حذرنا وكلا الثاني منصوب بتبرنا لانه ليس مشتغلا عنه بضميره والضمير في ولقد اتوا لاهل مكة والقرية سدوم من قرى لوط
وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا في مرات مرورهم على تلك القرية في متاجرهم الى الشام يرونها بل كانوا لا قوما كفروا
بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى الآثار والى عذاب الله نظر عبرة وادكار ومن جملة ذكرهم وعنادهم
انهم اذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ثم فسر ذلك الاستهزاء بانهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستحقار اهذا
الذي بعث الله رسولا حاكين هذا لا عن عقيدة ويجوز ان يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث انه تسليم واقرار في معرض
الجحود والانكار وفي هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فانه احسنهم خلقا واعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعي

بل على التمييز بالصورة وانما استهزؤا بالمعنى فيه وقد وقع التحدي عليه وقامت الحجة عليهم فهم الحق بالاستهزاء منهم حين اصروا على الباطل بعد
وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بعضهم بان هذا القرآن من اجل حالهم اذ قالوا ان كاد هي مخففة من الثقيلة
واللام في ليضلنا هي الفارقة كانهم سلموا ان القوة العقلية وسطوع الحجة شارفا ان يغلبهم على دينهم وينقلهم عن طريقتهم لولا فرط
لجاجهم وصبرهم على عبادة الهتهم اطلقوا المقاربة اولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل الغاية
مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم وفي وصفه بالاضلال والمضل لا بد ان يكون ضالا في نفسه وكانهم
وصفوه بالضلال فلا جرم اوعدهم الله على ذلك بقوله وسوف يعلمون الى آخر الآية والمراد يوم المنقلب عند كشف الغطاء
عن بصر البصيرة ثم بين انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله ارأيت من اتخذ الهه
هواه قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى ان يكون هو حافظا عليهم كقوله وما انت عليهم
بمسيطر قال الكلبي نسخها اية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واتخذ آخر ثم اضرب
عن ذمهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر اشنع في الظاهر قائلا ام تحسب وهي منقطعة ومعناه بل اتحسب وخص اكثرهم بالذكر
اما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء العقلاء واما لان منهم من كان يعرف الحق الا ان حب الرياسة يحمله على الخلاف
واغانوا عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما واثرهما وباقي الآية تفسيره مذكور في اخر الانعام في قوله اولئك كالانعام بل
هم اضل قال جار الله جعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف المحسن من المسيء وتطلب المنافع وتجتنب
المضار وتهتدي للمراعي والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون اعظم
المنافع وهو الثواب ولا يتقون اشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذي هو المرتع الهنيء والمشرع الروي
قلت ويحسن ايضا ان يذكر في وجه التفضيل ان جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام
تسبح الله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام فاول الاستدلال من
احوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر والمراد الم تر الى صنع ربك كيف مد الظل واما بمعنى العلم وهو ظاهر
وذلك ان الظل متغير وكل متغير له موجد وصانع والخطاب لكل من له اهلية النظر والاستدلال وللعلماء في تفسير الآية مجال الا
ان ملخص الاقوال فيها اثنان **الاول** ان الظل امر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة
داخل السقوف وافنية الجدران وهو اعدل الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر
الحس البصري ويسخن الجسم الملون كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم واللون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال الظل فيظهر
للعقول انه كيفية زائدة على ما يشاهد اولا فمعنى الآية الم تر الى عجيب صنع ربك كيف مد الظل اي جعله ممتدا منبسطا على الاجسام
ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا بكل مظل ثم جعلنا الشمس على وجوده دليلا فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف ان
للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف باضدادها ثم قبضناه اي ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع
الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب شيئا بعد شيء وفي القبض على هذا الوجه منافع جمة **الثاني** انه سبحانه لما
خلق السماء والارض وقعت السماء ظلها على الارض ممدود منبسط ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها
دليلا على ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم قبض الظل
يعني ان **احدهما** انتهاء الاظلال الى غاية من النقصان بالتدريج **وثانيهما** قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام
النيرة وقوله يسيرا كقوله على هذا الثاني فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير **الاستدلال الثاني** من احوال الليل والنهار وهو ما
يستر من الظلام الليل باللباس الساتر والنوم بالراحة قال ابو مسلم وذلك ان العقد سبيل الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة

من الاسترخاء فيه عند طايفه وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة وقال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة
وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث ويكون الاية نظير قوله وهو الذي يتوفيكم بالليل وعن لقمان لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر وقد مر تفسيره في الاعراف وانه لم قال هنا ارسل بلفظ الماضي
وهناك يرسل اما قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فهو علم بين الفقهاء في الاستدلال به على طهارة الماء في نفسه وعلى مطهريته بعين حتى
فسر بعضهم ومنهم احمد بن يحيى بانه الذي يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بان النحو لو انه كان شرعيا
بليغا في الطهارة كان سديدا والاول [illegible] التفسير في شيء واقول لا شك ان الزمخشري يسلم ان الطهور في العربية على وجهين صفة كقولك ماء
طهور اي طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به ويوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مرتفع
لان كون الماء مما يتطهر به يكون مطهرا لغيره وكان سبحانه قال وانزلنا من السماء ماء هو آلة الطهارة ويلزمه ان يكون طاهرا في نفسه ومما
يؤكد هذا التفسير انه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى ان المطهر اكمل من الطاهر ونظيره وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به ولا ضير ان نذكر بعض احكام المياه المستنبطة من الاية فنقول ههنا نظران الاول ان غير الماء هل هو طهور ام لا مذهب
الاصم والاوزاعي انه يجوز الوضوء بجميع المايعات وقال ابو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر ويجوز ازالة النجاسة بجميع المايعات
المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعي يعزى من الاية ان الطهورية مختصة بالماء ويدل عليه انه تعالى اوجب التيمم عند عدم
الماء ولو شارك الماء مايع آخر في الطهورية لم ينقل الى التيمم الا بعد اعوازه ايضا ويدل في الخبث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء **النظر الثاني**
في الماء وفيه بحثان **الاول** في الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعي وليس بطهور في قوله الجديد **اما الاول** فلاطلاق الاية وانزلنا
من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه وللحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم
وابدانهم ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا لاقى حجارة **واما الثاني** فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل احدكم في
الماء الدائم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للنهي معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا
ولو كان طهورا لحفظوا ما يغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدي انه طاهر مطهر لاطلاق الاية والحديث والاصل بقاء صفة
على ما كان عليه وروي انه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح راسه بفضل ما في يديه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في
جسده لم يصبها الماء فاخذ شعرا عليها بلل وامرها على تلك اللمعة والقياس ماء انفصل من العضو لما لم ينفصل منه وقال ابو حنيفة انه نجس
قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة والمراد باستعمال الماء في الحدث تادي عبادة الطهارة به او انتقال المنع اليه فيه وجهان لاصحاب
الشافعي ويتفرع عليه المستعمل في الكرة الثانية والثالثة وفي تجديد الوضوء والاغتسال [illegible] **البحث الثاني** في
الماء المتغير ان تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من بئر بضاعة وكان ماؤها كانه نقاعة
الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كما لو وقع بقربه جيفة فانتن الماء فهو ايضا طهور وان اتصل به وكان طاهرا ولم يحل الطاهر كما
تغير بدهن او عود او كافور صلب فهو ايضا طهور وان تحلل فان لم يكن صرف الماء عنه كالمتغير بالتراب والحماة والورق المتناثر
والطحلب فلا باس به لكن دفعا للحرج وكذا المتغير بالملح الذي ينعقد من الماء او بنورة او كحل وان امكن بان يكون الماء مستغنيا عن
جنس ذلك الخليط فان كان التغير قليلا بحيث لا يضاف الماء اليه او لا يحدث اسما جديدا جاز التوضي به والا فلا خلافا لابي
حنيفة حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به فذلك الوضوء ان كان بالماء المتغير
وجب ان لا يجوز الا به وليس كذلك بالاتفاق فهو بماء غير متغير وهو المطلوب ولقايل ان يقول لعله اشار الى كيفيته لا للماء ولو سلم
الورد فلم لا يجوز ان ذلك الماء كان متغيرا والمراد انه تعالى لا يقبل الصلاة بما دون ذلك لما الكمال فلا كلام فيه قالوا ايضا اذا
اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به احتمل ان يغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر مشكوكا

مشكوكا فيه وانكم لا ترفع اليقين بالشك وهذا انما يلزم اذا كان قليلا لا يظهر اثره فانه كالمعدوم وايضا من الوضوء بعيد لا يعقل معناه ولهذا
لو توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه وقد توضأ بالماء الكدر المتغير صح وضوءه وما لا يعقل معناه ولهذا قال لو توضأ بماء الورد لم يصح
وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر المتغير صح وضوءه وما لا يعقل معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص حجة ابي حنيفة اطلاق الاية وقوله
فاغسلوا وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص قد وجد الماء ولانه صلى الله عليه وسلم اباح الوضوء بسؤر الهرة وسؤر الحائض وان كان الطعام
شيء يخالطها ولانه لا خلاف في جواز الوضوء بماء السيول وان تغير لونها الى لون ما يمر عليها في الصحاري من الحشايش وغيرها هذا
كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب الحسن البصري والنخعي والكوفي وداود واليه ميل الغزالي في الاحياء ان الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة
سواء كان الماء قليلا او كثيرا ومذهب ابي حنيفة ان الماء ينجس بالنجاسة لان اجتنابها واجب ويتقى مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن سواء
تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير قال ابو بكر الرازي لا يختلف مذهب الحديد مثل البحر وما البرك والغدير والراكد والجاري لان ما الحاشر
ويتحقق فيه النجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري قال واما اعتبار اصحابنا الغدير الذي اذا حرك احد طرفيه لم يتحرك
الطرف الآخر فانما هو كلام في جهة يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة في احد طرفيه الى الطرف الآخر وليس كلامهم في تنجيس الماء الذي
فيه النجاسة فقد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله ومن الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا في حد الكثير فعن عبد الله
بن عمر اذا كان الماء اربعين قلة لم ينجسه شيء وقال سعيد بن جبير الماء الراكد لا ينجسه شيء اذا كان قدر ثلاث قلال وقال الشافعي اذا كان
الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وقد ينصر هذا المذهب قول مالك بوجوه منها قوله وانزلنا من السماء
ماء طهورا ترك العمل به في الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه فيبقى ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضي بهذا الماء
قد غسل اعضاءه ولا سيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم او اللون او الريح ومنها
ان عمر توضأ من جرة نصرانية مع ان نجاسة اوانيهم غالبة على الظن فدل على انه لم يعول الا على عدم التغير ومنها ان نقل
الماء عمدا رسول الله لو كان متغيرا كالقلتين عند الشافعي والعشر في العشر عند ابي حنيفة لكانا اولى الواضح بل يكثر في المدينة
لانه لا يكثر المياه هناك الا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل انهم خاضوا في تقدير المياه ولا انهم سالوا عن كيفية حفظها وكانت
اوانيهم يتعاطاها الصبيان ولا الخدام الذين يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون الهرة عن شرب الماء وقد اصغى لها الاناء
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانت يعني انها تاكل الفار ولم يكن في بلادهم حياض يكثر السابلة فيها ومنها ان الشافعي
نص على ان غسالة النجاسة اذا لم يتغير نجسة اذا تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه
واي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان قوة الورود لم تمنع المخالطة ومنها انهم كانوا يستنجون على
اطراف المياه الجارية القليلة وقال الشافعي اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير جاز الوضوء به واي فرق بين الجاري والراكد ولو
لتعويل على عدم الماء بسبب الماء ام ايسر لحصل التعويل على عدم التغير ومنها انه لو وقعت نجاسة في قلتين ثم كل
كوز منه فهو طاهر عنده ومعلوم ان البول ينتشر فيه وهو قليل فاي فرق بينه اذا وقع ذلك البول في ذلك القدر من الماء
ابتداء وبينما اذا وصل اليه عند انفصال غرفة به ومنها ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا منها المتقشفون مع علمهم
بان الايدي والاواني الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغيرها لكان معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها
ان النصوص في التقدير مختلفة اما تقدير ابي حنيفة بالعشر في العشر فمجرد الحكم واما تقدير الشافعي بالقلتين على قوله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لانه رواية مجهول فان الشافعي رواه عن رجل من الجزء الاخر فيجاز يكون الحديث
مرسلا والمرسل عندهم لا يحتج به سلمنا لكن القلة مجهولة فانها تصلح لكوز والجرة ولكل ما يغرف اليه وهي ايضا اسم لقامة الرجل وبتقدير
ان يسلم لكن في الخبر اضطراب فقد روي اذا بلغ الماء قلتين وروي اذا بلغ قلة وروي اربعين قلة وروي اذا بلغ كرين سلمنا

اجزاوه على الخاص لكن الحديث ضعيف وشرعي وحمله على اللغوي لكونه حقيقة اولى فعلى الحديث ان لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول
بموجبه لكن لم قلتم انه لا يبقى له شافعيته عن هذا النوع بانكم تأولتم الحديث بحيث عينوا اسم الماء في حديث القلتين فان يحيى بن
معين قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه وقيل
القلة مجهول غير مسلم لابن جريج قال رأيت قلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر وكانت القلة تسع قربتين
وشيئا واذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن في متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشيء على انه لا يبقى
تغيره وحمل الخبث بالتأثير تعسف لانه صحح في بعض الروايات معتبرة فقط لم يكن الماء قلتين لم ينجس ولانه لا يبقى لذكر
القلتين ايضا بتلك المثابة وتزييفه بانه بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهر البعيدة عن الاحتمال
في مثل هذا الخبر المحتاج الى حكم نجاسة الماء الذي حلت فيه نجاسة فكيف كانت وقوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله
انما حرم عليكم الميتة والدم وقال في رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال
اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ما تيقنا فيه جزءا من النجاسة وايضا الدلائل التي ذكرتم فيها بحيث وقد
حاظره والحاظر غالب على المبيح بدليل ان الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وايضا قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن
احدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة اطلق من غير فرق بين القليل والكثير اجاب مالك بانه لا نزاع في تحريم
استعمال النجاسات ولكن الكلام في انه مع عدم التغير فليس للنجاسة اثر لانها انقلبت عن صفتها فكانها معدومة والنهي عن البول في
الماء لتنفر الطبع او للنهي بدلا للتحريم واعلم انه سبحانه بين في سورة الانفال انه عاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به
حيث قال ونزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وفي صفة هاهنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على انزاله غايتين اخريين
اوليهما متعلق بالنبات والثانية بالحيوان البهيم والناطق وفي هذا الترتيب تنبيه على ان الكائنات تبتدي في العروج
والتعرج من الاخس الى الاشرف وفيه ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع حب الاناسي يحيي ارضهم وانعامهم واعاد قالوا ميتا
مع قوله بلدة بالتأنيث لان فعيلا يجري على المفعل فكانه اسم جامد ووصفها بالبلد والمكان والاناسي جمع انسي او جمع
انسان اصله اناسين فقلبت النون ياء وفعيل قد يستوي فيه الواحد والجمع فلهذا قيل رجل والاناسي كثير وقيل وقرونا بين ذلك كثيرا
اسولة فيه اورد على جار الله سبحانه هنا **الأول** انه اجرى الماء موصوفا بالطهارة وعلله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط
في صحة الاحياء والسقي كما تقول حملنا الامير على فرس جواد يصيد به الوحش الجواب لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء
وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم واشارة الى ان من حقهم استعمال الماء في الباطن والظاهر ان يكون ظاهرا غير مخالط
لشيء من القاذورات قلت ولعل حريا بأن هذا المنهج الوصف يوجد ايضا **السؤال الثاني** لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان
المستقر بالماء الجواب لان الطير والوحش يبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الانسان وعامة منافعهم
متعلقة بها فسقيها انعام عليهم **السؤال الثالث** ما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفهم بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والاناسي الذين
هم بقرب الاودية والانهار العظام لا يحتاجون الى ماء السماء احتياجا بينا ولهذا نكر البلدة في قوله بلدة ميتا وقوله سبحانه
ولقد صرفناه الاكثرون على ان الضمير عائد الى الماء ذكر من الدلائل كرر احوال الاظلال وذكر انشاء السحاب وانزال المطر في
القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفورا ان المنجم جحودا وقال
آخرون انه يرجع الى المذكورات وهو المطر اي صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتباينة
من وابل وطل وغير ذلك فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا استقلالا فانهم جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا باس
والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين للمغرب مع الصبح وطلوع رقيبه من المشرق مقابلا له في ساعته في

في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهو اكثر فادا ما بعد حتى بحضرة وهو قول العرب بتصنيف الامطار وجعل الرجال الساقطة منها والطالع واذا مضت
مدة النوء ولم يحدث شيء من مطر وغيره يقال اخوى نجم كذا اي سقط ولم يكن عنده اثر يروى عن ابن عباس على ما قيل ما من عام اقل مطرا من عام ولكن
الله عز وجل قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية ويؤيده هذا التفسير تنكير البلدة والانعام والاناسي قال الجبائي في قوله
ليذكروا دليل على انه تعالى اراد من الكل التذكر والايمان وفي قوله وابى اكثر الناس دلالة على ان المكلف له قدرة على الفعل والترك اذ لا
يقال للكل بمثل انه ابى ان يسعى وقال الكعبي الضمير في بينهم للكل الناس فكيف الاكثر دالا على ذلك العام اذ لا يجوز ان يقول
انزلنا على قرية بني فلان فابى اكثر بني تميم الا كفورا وعند هذا يظهر ان الماء رادة من جميع المكلفين ان يؤمنوا ويعتبروا ومعارضة الانساخ
معلومة **التأويل** ويوم تشقق سماء القلب عن غمام الشرية وهي يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية
الملك الحقيقي يومئذ للحق اذ لم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء بالله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا
اذ لم يبق من صفات النفس الكافرة وحظوظها اثر ولا خبر ويوم يعض الظالم على نفسه وهو المتشكك كما ظاهرا وحنيفا عليه والآية
على حكمها عام في كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى وقيل الكتب دينا اي لك لا تنفك المجاورة مع الابرار خير من ان تكون الجليس مع الفجار
لنثبت به فؤادك بان يتخلق بخلق القرآن وكان بدر التوحيد وقع في قلب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت الم نشرح لك صدرك وكان
يترقى بما انزل عليه بل على قلبه منجما قليلا او رتلناه ترتيلا وقد الرحمن علم القرآن فلما ازهر كان ذهره فاوحى الى عبده ما اوحى فلما اثمر كانت
ثمرته فاعلم انه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم لان توجههم الى السفليات فلتحيض بهم الى جهنم البعد عن الحضرة
الم تر الى ربك فيه ان نبينا صلى الله عليه وسلم وقد قال الموسى لن تراني وذلك البقاء انا بينته كيف مد ظل عالم الاجسام ولو شاء الله
لجعله ساكنا في كتم العدم ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجه ذلك الظل دليلا لان كان متحركا لما الى غايتها المخلوقة هي اجزاء اقرب
من ذلك انه لولا الارواح لم يخلق الاجساد ولم تكون بالاجسام وفي قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى ان كل مركب فانه سينحل الى بسائطه
اذا حصل على كماله الاخير وبوجه آخر الظل ما سوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذي هو شمس عالم الوجود وهذا شأن
الذاهبين من عزه اليه وفي قوله ثم جعلنا اشارة الى مرتبة اعلى من ذلك وهي الاستدلال به على غيره كقوله اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شيء هالك الا وجهه الا الى الله تصير الامور وبوجه آخر الظل
رجحان الذهول والغفلة والشمس هو التجلي اليم فمحا في العناية عند صباح الهداية ولو شاء لجعله دائما لا يزول وانما يستدل على الذهول
بالعرفان وفي قوله ثم قبضناه اشارة الى ان الكشف التام يحصل بالتدريج عند انقضاء مدة التكليف ثم بين حكم الاظلال بقوله وهو الذي
جعل لكم ليل البشرية لباسا كيلا يحترقوا بدوام شمس التجلي الربوبية وجعل نوم الغفلة راحة بعد سطوة التجلي وجعل نهار المعرفة نشورا
اي حيوة بنور الربوبية وهو الذي ارسل رياح الاشواق في قلوب الاحباب فتزعجها عن الساكنات عند السير فلا تستقر الا بالكشف
والتجلي وانزلنا من سماء الكرم ماء حيوة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين عن الجنوح الى الساكنات وما يتداخلها في بعض الاوقات
من الغفلات لنحيي به بلدة القلوب القلوب الميتة عن نور الله بنور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لعله
الصفات الحيوانية عليه فيسقى نور الايمان بماء الرحمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ينبت الايمان في القلب كما ينبت البقل ونسبه
من الانس ان يكون الى رياض الانس فتطهر بسعيه مراضع الانسانية الى المشارب الروحانية ويظهر عن وصمة الملاحظات وتدنسه
طمع الكاشفات ولقد صرفنا القرآن الذي هو ماء حيوة القلب بينهم ليذكروا به ايام جوار الحق واوطانهم الحقيقية فابى
اكثر الناس تلك المعاهد والمشاهد الا كفورا بنعمة القرآن وما عرفوا قدرها

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم

به جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا
ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا قل ما اسئلكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى
به بذنوب عباده خبيرا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك
الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا
يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن

ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد
فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل
صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا
مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم
لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

القراءة ملح بفتح الميم وكسر اللام جحدرا ولانه معصورا ملح وكذلك فاطر فتبه يأمرنا على الغيبة حمزة
وعلى سرجا بضمتين حمزة وعلى وخلف نقتروا بضم التاء وعلى وخلف وعاصم سوى المفضل بضم الياء وكسر التاء الاقتار ابو جعفر
ونافع وابن عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من المضاعفة ومن الخلود ابو بكر وحماد
مثله ولكن مجهولا من الاخلاد المضعف يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما
ابن كثير ويعقوب ويزيد الاخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيه باشباع الكسر ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمي
وذريتنا على التوحيد ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل ويلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف
من اللقاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف من باب
التفعيل الوقف نذيرا ز والوصل اولى للفاء كبيرا ٥ اجاج ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ٥
وصهرا ٥ قديرا ٥ ولا يضرهم ط ظهيرا ٥ ونذيرا ٥ سبيلا ٥ لحمده ط خبيرا ج لان الذى يصلح صفة للحى والوقف على الرفع على
تقدير هو الرحمن اولى وقفه لان الكل معدود قالوا نفورا ٥ بحجة منيرا ٥ شكورا ٥ سلاما ٥ وقياما ٥ جهنم قد قيل
والوصل اولى لاتحاد القائل غراما كذلك ومقاما ٥ قواما ٥ ولا يزنون ٥ للشرط مع لو العطف اثاما لمن قوله يضاعف

بالرفع على الاستيناف دون الجر على البدل الجلاء من الحمد لتقارب معنيهما ٥ مهادا لا ٥ وقد يوقف على جعل الابعض لكن والوصل اولى لكن
تقتضي الوصل ايضا حسنات ط رحيما ٥ متابا ٥ الزور ٥ كراما ٥ وعميانا ٥ اماما ٥ وسلاما ٥ لاتصال الحال بهما في مقاما ٥ دعاؤكم ٥
لا للاختلاف بين الجملتين لزاما ٥ **التفسير** انه سبحانه لما قرر سيرة القوم كفران النعم وايذاء النبي اراد تسلية نبيه على استمرار
الدعوة وفي الآية لطف ممزوج بنوع تاديب وارشاد ونجاة ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية
نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضيل بالتشدد في الدين فنهى والآية بيان كمال الاقتدار
وانه لا حاجة به الى نبي محمد كان او غيره ولكن في مفهوم لولا دلالة على انه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المذهب الشريف كمال العناية
به وبامته فعليه ان يترك طاعة الكافرين فيما يريدونه عليه بما يوافق اهواءهم وهذا الذي تقول للمتحرك لا تسكن ولا تقول للساكن
لا تسكن فانه صلى الله عليه وسلم لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ في النهي بانا من بصدده قائلا وجاهدهم به اي بالقرآن او
بترك طاعتهم او بسبب كونك نذير القرى كلها لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لم يلق على كل نذير الا مجاهدة قريته وحين اقتصر
على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده فقال وهو الذي مرج
البحرين اي خلاهما وارسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة اي خليتها ترعى وسمي الماء الكثير بحرا والفرات البليغ
العذوبة والفرات الذي يكسر العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الثلج والنضج وقوله هذا وهذا اشارة
الى ما ارتسم في الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحائل الذي جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وحجرا
محجورا كلمة يقولها المتعوذ كما قلنا في السورة كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له هذا القول ونظيره
في سورة الرحمن بينهما برزخ لا يبغيان فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا كل منهما في غاية [illegible] الوجود للبحر
العذب فكيف ذكره الله تعالى والجواب من وجهين **احدهما** ان في البحار مواضع فيها مياه عذبة يتميز منها الملاح
الماء الى حين الوصول الى الموضع الآخر **وثانيهما** لعل المراد من البحر العذب الاودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج
البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه ان نفاد العذب والملح ان كانا بسبب طبيعة
الارض والماء فلا بد من الاستواء والا فلا بد من قادر مختار يخص كل واحد من الاشياء بصفة مخصوصة **الاستدلال الخامس**
من احوال الخلقة الانسان والماء اما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي او النطفة والمعنى فجعله نسبا وصهرا انه قسم
البشر قسمين ذوي نسب وذوات صهر **الاول** الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان ومنه
اخذ الشاعر: بنونا بنو ابنائنا وبناتنا ... بنوهن ابناء الرجال الاباعد **الثاني** الاناث اللاتي يصاهر بهن ونحوه قوله عز من
قائل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى والاصهار اهل بيت المراة عن الخليل ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان
يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم وكان ربك قديرا حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل اشخاصا متباينة لا تكاد
تحصى ثم عاد الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله وقيل انها نزلت في ابي جهل والاولى
حمله على العموم والظهير المظاهر اي المعاون اي هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب
هي المظاهرة على رسوله او على دينه ويجوز ان يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى ان بعض الكفرة مظاهر
لبعض على اطفاء نور دين الله وعلا وقال ابو مسلم هينا من قولهم ظهر فلان بحاجتي اذا نبذها وراء ظهره والمراد ان
الكافر وكفره هين على ربه غير ملتفت اليه وقوله وما ارسلناك الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله ان الكفار يطلبون
العوض على الله وعلى رسوله ولا اجر فيما استفرغ به في ابلاغه من بذل وسعة في اصلاح مهمات دينهم ودنياهم حين [illegible] هم

بشرهم على الطاعة وينذرهم عن المعصية ولا ليسالهم على ذلك اجرا الا ان يشاؤا التقرب بالانفاق في الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا
الى جنة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء من الاجر والتقدير الا فعل من شاء هو معنى قول الكلبي يحبب له في تحصيل ما لديا الطلب لك
ثوابا على ما سقيتها الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فيكون في تسمية حفظ المال ثوابا فائدتان قطع شبهة الطمع في شيء من الثواب
والثانية اظهار الشفقة وانه ان تحفظ ماله رضي الساعي به كما يرضى المثاب بالثواب هذا قال جار الله وقال القاضي معناه لا اسالكم
اجرا لنفسي واسالكم ان تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه
وامره ان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع وتمسك بقاعدة التنزيه ولما بين ان الكفار
والتمجيد وفي وصفه ذاته بالحي الذي لا يموت اشارة الى ان الذي يوثق به في المصالح يجب ان يكون موصوفا بهذه الصفة وليس
الا الله وحده وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق والاصح اثباتا اذا مات ذلك المخلوق
ثم ختم الآية بما هو مزيد عليه في الوعيد اي لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به اي حسبك وهذه
كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا ثم زاد لعلو قدرته مبالغة وبيانا فقال الذي خلق الى آخره
وقد سبق تفسيره في الاعراف واما قوله فاسال به خبيرا ففيه وجوه قال الكلبي الضمير في به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والارض
والاستواء على العرش والباء في صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لان كيفية ذلك الخلق
والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبرئيل وقال الاخفش والزجاج الباء بمعنى عن فاسال به
مثل اهتم به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال الله تعالى سال سائل بعذاب
واقع وقال ابن جني الباء زائدة والمعنى فاساله بنفسه حال كونه عالما بكل شيء وجوز جار الله ان يكون الباء تجريدية كقولك
رايت به اسدا اي برؤيته والمراد فسل بسؤاله خبيرا اي ان سالته وجدته عالما به وقيل الباء للقسم وقيل الوجه الاولى ان
الوالد اذا نظره ولا ينبئك مثل خبير ثم اخبر عن قوم انهم قالوا وما الرحمن والواو عاطفة وقعت في كلامهم وحكى كلامهم
حقه فاحتمل انهم جهلوا الله سبحانه واحتمل انهم عرفوه لكن جحدوه واحتمل انهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سالوا
عنه ومن ههنا ذهب بعضهم الى تفسير آخر لقوله فاسال به خبيرا وهو ان الرحمن من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة
ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسال بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا
باليمامة يعنون مسيلمة قال القاضي والاقرب ان المراد انكارهم لله لا للاسم لان هذه اللفظة عربية وهم يعلمون انها
تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين
وان قلنا انهم كانوا مقرين لكن جهلوا انه تعالى يسمى بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم ومعنى لما تامرنا للذي
ثم حذف ثانيا ويجوز ان يكون ما مصدرية اي لامرك لنا ومن قرا على الغيبة فالضمير لمحمد او للمسمى الرحمن كانهم
قالوا هذا القول فيما بينهم والضمير في زادهم للقول لهم اسجدوا للرحمن اي وزادهم نفورا ومن حقه ان يكون باعثا
على الفعل والقبول قال الضحاك لما راى المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين فهذا معنى الآية وزادهم
نفورا ومن السنة ان يقول الساجد والقارئ اذا بلغ هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للاعداء نفورا ثم ذكر ما لو تفكروا
فيه لم ينفروا وخروا للسجود للرحمن فقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي الاقسام الاثنا عشر واسماؤها مشهورة الحمل والثور والجوزاء
الى الحوت شبهت بالقصور العالية واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج ومن جمع اراد الشمس والكواكب الكبار
والخلفة من الخلاف يريد الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر اي جعلهما ذوي خلفة يعقب هذا ذاك وذاك
هذا ومثله قوله ولاختلاف الليل والنهار في احد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما الآخر لخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل

فى فائتتى من حسابه العباده لحلهما تضاوته فى الآخره وعن مجاهد وقتاده هو الكبائر تعالى الكل يخلف الثنى هذا خلف هذا وعن الحسن
لحدهما اسود والاخر ابيض اخذه من طريق عن القصبه ثم بين ان هذه النعم سبب التذكر لمن اراد ذلك والشكر لمن اراده اما الذكر
فلدلالة الاشتغال والتغيير على الداخل والمغير واما الشكر فلان الليل سبب الراحه والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف فى المعاش
قال بعضهم معناه الفاضله انه ان كان فاته ذكر ولم يكن من شاكر وقيل اراد ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من
فاته فى احدهما ورده من العباده قام به فى الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم اراد ان يختم السورة بوصف عباده المخلصين فقال
وعباد الرحمن وهو مبتدا خبره فى اخر السورة اولئك يجزون الغرفه وخبره الذين يمشون والاضافه الى الرحمن للتخصيص
والتشريف وقرئ وعباد جمع عابد وصفهم بتسعة اوصاف تتعلق بالخلق بالنهار او لا ثم وصفهم معاملتهم مع الحق بالليل تاليا ثم قسم الوصف
الاول الخير عن الاول ترك الايذاء وهو المدلول عليه بقوله الذين يمشون على الارض هونا مصدر وضع فى المبالغه موضع الحال او الصفه
للشئ بمعنى هينين او مشيا هينا والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعضهم الركوب فى الاسواق دون الركوب سيما والسلف قال [illegible] عن نبيه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق **والثانى** تحمل الايذاء واليه الاشاره بقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما السفهاء
وقليل الادب قالوا سلاما اى سلام توديع ومتاركه كسلام ابراهيم صلوات الله عليه حين قال لابيه سلام عليك ولا نسخ فى الاية
على ما زعم الكلبى وابو العاليه من انها نسخت باية القتال لان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الادب مستحسن عقلا
وشرعا والبيتوته هو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وصفهم باحياء الليل او اكثره وقوله لربهم اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده اى
يبيتون لله على اقدامهم ويمشون لخدودهم ويعفرون جباههم وقيل من قرأ شيئا من القرآن فى صلاة وان قل بات ساجدا
وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قال ابن عباس ثم وصفهم بانهم يقولون فى سجودهم وقيامهم
ربنا اصرف عنا الاية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل خوفا من عذاب جهنم وقوله غراما اى هلاكا وخسرانا ملحا
لازما ومنه الغريم لالحاحه وقيل [illegible] ولا نعيم بالنساء اذا كان نوال اعطى [illegible] ابن عباس [illegible] عن الغرام فقال
هو الموجع وعن محمد بن كعب [illegible] انما انسل الكفار من نعمه فما ادوا ثمنها اليه فاغرمهم فادخلهم النار وساءت اما بمعنى بئست
وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز واما بمعنى احزنت وهو ايضا
محذوف اى ساءت مستقرا ومقاما والظاهر ان الجملتين من قول الداعين ويجوز ان يكونا من كلام الله والتعليلان
يصح ان يكونا متداخلين بان يكون قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وان يكونا مترادفين كلاهما تعليلا لقوله
ربنا اصرف وقال المتكلمون التعليل الاول اشاره الى ان عقاب اهل النار مضرة خالصه والتعليل الثانى اشاره الى كونه دائما
وقد يفرق بين المستقر والمقام بان المستقر للعصاة من اهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط
فى الانفاق والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان اصحاب محمد لا يأكلون طعاما للتنعم ولا يلبسون ثيابا للجمال
والزينه ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر كفى شرفا ان لا يشتهى رجل شيئا الا اشتراه فاكله
بالغ فى ذمه اتفاقهم الاعتدال بقوله وكان اى الانفاق بين ذلك قواما مستقرا ولعل معناه انه يقوم مقام [illegible]
المستقر اذا كان متعلقا به فى قوله لكن الانفاق بين ذلك وقد ذكرنا مسئلة [illegible] فى قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل
بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامه السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام
به الحاجه لا يفضل ولا ينقص واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبنى لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان
دون هذا كافيا وبدا لى من ذلك فيكون [illegible] وكان [illegible] قواما [illegible] الكشاف [illegible] بين الاسراف والتقتير فقيل

قوام [illegible] قلبى فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فاين الحوار اذا [illegible] بالقوم حاق الوسط وبقى ليس ذلك مما لم يزل التكرار
عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل
معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يزنون قال جار الله نفى هذه الامور
تنبيه عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمه فى الدين تعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم
الله وطهرهم مما انتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكوره قبله كيف هذه الامور بديا فبين تعالى ان المكلف لا يصير بتلك
الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى يضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الوأد وغيره كما مر فى سبب النزول
ومن يفعل ذلك اى المذكور فترك المأمورات او ارتكب الشبهات والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما وقيل
هو الاثم والمضاف محذوف اى يلق جزاء اثم وقول ابن مسعود اثاما [illegible] بالياء التحتانيه يعنى ايام الشدائد ومعنى مضاعفه
العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات ان يعذب على الشرك وعلى المعاصى الاخرى جميعا هذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع
الشرائع والحنفيه على ان المشار اليه بقوله ذلك هو مجموع والذين لا يدعون قال القاضى وقوله ويخلد فيه اى فى ذلك التضعيف
والضعف فيه دليل على ان حال الزيادة كحال الاصل فى الدوام فيكون عقاب العصاة دائما واذا كان كذلك فى حق الكافر
لزم ان يكون كذلك فى حق المؤمن واجيب بان الشيئين قد يكون كل واحد منهما فيهما ويكون الجمع بينهما بوزن [illegible] ولا يلزم ان يكون
للاشتراك حكم الاجتماع وفى قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ان العقاب هو المضرة الخالصه الدائمه المقرونه بالاذلال والاهانه
كما ان الثواب منفعة خالصه دائمه مقرونه بالاجلال والتعظيم وقوله الا من تاب لا يفهم منه الا ان التائب لا يضاعف العذاب
ولا يلزم منه ان يكون عقابا بالكليه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده ان هذا
التبديل انما يكون فى الدنيا فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بانه يوفقهم
لهذه الاعمال الصالحه اذا تابوا وامنوا وعملوا سائر الاعمال الصالحه واما نفس التوبه والايمان بالذكر والعمل شاملهما
وقال الزجاج السيئه بعينها لا تصير حسنه ولكن السيئه تمحى بالتوبه وتكتب الحسنه مع التوبه والكافر يحبط الله
عمله ويكتب عليه السيئات وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الاية وهو انه تعالى يمحو السيئه عن العبد ويثبت له
بدلها الحسنه واكدوا هذا الظاهر لما روى عن ابى هريره مرفوعا ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله
قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال القاضى والقفال انه تعالى يبدل العقاب بالثواب فذكر السبب واراد المسبب
ثم عمم الحكم فذكر ان جميع الذنوب بمنزلة الثلاث المذكوره الى من ترك المعاصى كلها وندم عليها واتى بالعمل الصالح
فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز ان يرجع العائد الى تخصيص [illegible] فانه تائب متابا الى الله الذى
هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل ان يرجع العائد الى تنكير متابا والمتاب
المرجع اى يرجع الى الله مرجعا حسنا اى مرجع وقيل هو وعد الله بين المخلصين فيما مضى بانه يوفقهم للتوبه فى المستقبل
ثم وصفهم بانهم لا يشهدون الزور فان كان من الشهاده فالمضاف محذوف اى لا يشهدون شهادة الزور وان كان
من الشهود الحضور فالمعنى انهم لا يحضرون مجالس الباطل وعن ابن الحنفيه اللهو والغناء وعن مجاهد
اعياد المشركين وعن ابن عباس هى المجالس التى يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق انه يدخل فيه حضور
كل موضع يجرى فيه ما لا ينبغى كمواضع الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظاره الى ما لا يسوغ فى الشريعه لان الحضور والنظر
الى تلك المجالس رضا به وبعث لفاعله عليه لا زجر له عنه وقد وعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة الخاطئين واذا مروا باللغو
مروا كراما مكرمين انفسهم عن الخوض فيه مع المشتغلين به واصل الكرم فى قولهم ناقة كريم اذا كانت لا تبالى بما حلب منه

للزاره واستبعد الصفح عن الذنب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى
اعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه قال جار الله قوله لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما
يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بآيات الله اى وعظوا بها وتميزوا عليها حرصا على
استماعها باذان واعية وعيون كالمنة كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعون الا
منتصرين ما فيها فهم متساقطون عليها غير منتفعين بها قوله من ازواجنا من للبيان وسيجيء في علم البيان تجريدية كانه قيل
هب لنا قرة عين ثم فسرت القرة بالازواج والذرية كقولهم رأيت منك اسدا اى انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا
قرة عين ثم فسرت القرة بالازواج والذرية كقولهم رأيت منك اسدا اى انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به
عيوننا الا في الامور الدنيوية من الجاه والمال وبجمال بل في الامور الاخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شيء
المؤمن من ان يرى زوجته واولاده وعن ابن عباس من الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل
الخصوص هي اعين المتقين ولهذا الحبر جمع القلة لان اعين المتقين قليلة بالاضافة الى
عيون غيرهم وقليل من عبادي الشكور ولما اراد تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه اى هب لنا منهم سرورا وفرحا
قال الزجاج يقال اقر الله عينك اى صادف فؤادك ما تحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعها لانه دليل
السرور والضحك كما ان حره دليل الحزن والغم والثاني نومها لانه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا
وقوله اماما في معنى الجمع كانه قيل ... كما في قوله ثم يخرجكم طفلا ... واجعلنا اماما واحدا
لاتحاد كلمتنا او هو جمع ام كصائم وصيام وصاحب وصحاب وفي الآية دلالة على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها
والوقت انهم سألوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم ومن هنا ... المراد اجعلنا
للمتقين قالت الاشاعرة الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على ان العلم والعمل بل جميع افعال العباد مخلوق
لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سألوا من الالطاف ما بها يختارون فعل الخير الى ان يصيروا ائمة واجيب بان تلك الالطاف
مشتملة لا محالة فيكون سؤالهم ... ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله اولئك يجزون الغرفة اى الدرجات وهي الغرفات في الجنة
الكفاء بالحسنى وقيل الغرفة اسم للجنة قوله بما صبروا اى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى الاذى ... عن النفس
والاطلاق اطلاق يشمل كل صبر ... ويلقون فيها تحية وسلاما ... بالتعظيم والتحية الدعاء بالتعمير والسلام دعاء
بالسلامة من الآفات ... الملائكة ... بعضهم لبعض ... عن طاعة الكل وانما كلفهم لينتفعوا بذلك
قال الخليل ما اعبأ بفلان اى ما اصنع به كانه يستقله ويستحقره ويدعى ان وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم
اى بوزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية او نافية والدعاء مصدر مضاف الى المفعول اى لولا دعاؤه اياكم
الى الدين والطاعة ولما الى الفاعل اى لولا ايمانكم او لولا عبادتكم اياه في الشدائد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ولولا شكركم
لدعائه ... ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة او ما خلقكم وله اليكم حاجة الا ان
تسألوه فاعطيكم او تستغفروه فاغفر لكم قوله فقد كذبتم اى اذا علمتم انى لا اعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم
بتكذيبكم قولى فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهو عقاب الآخرة نظيره قول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى
من يطيعني فقد عصيت فسوف ترى عقوبتي والخطاب لجنس الانس اذا وجد في جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب
والوجه ان يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من انواع الابعاد وقيل يكون العذاب لزاما عن مجاهد
هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذ كبّر القتلى لزاما **التأويل** ولو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وانا من النبوة

النبوة بالقرابات والمرافات بالحجة السنية المرضية يروى ان موسى عليه السلام سئم الرسالة وتبرم في بعض الايام فاوحى الله اليه في ليلة
واحدة الى الف نفس من اسرائيل فاصبحوا انبياء فضاق قلب موسى وغار وقال يا رب انى لا اطيق ذلك فقبض الله ارواحهم
في ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فان العزة في القلة ومنه يظهر فائدة الخاتمية وعموم رسالته وفيه تاديب للخواص وعصمتهم
عن رؤية الاعمال فلا يطلع كافر ولا سائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلق جهادا كبيرا لا تتواسهم بالرخص ولكن
احملهم على العزائم وهو الذي مرج البحرين بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الاخلاق الحميدة والروحانية وهذا ملح اجاج
من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو القلب وقيل ملح اجاج هو احتياج الانسان الى الاخلاق الذميمة لدفع المضرات
الدنيوية والاخروية في مقامها وحراما على الروح ان تكون معدن الاخلاق الحميدة تحمل نسبا وصهرا اهل النسب هم الذين صحت
نسبتهم الى عالم الامر وهو قوله ونفخت فيه من روحي واهل الصهر هم الذين نقوا في عالم الخلق واختلطوا بالصفات البشرية
من الحرص والشهوة والغضب والاشارة الى هذا الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان الكافر على ربه ظهيرا
في اظهار صفة قهره لانه مظهرها وما ارسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لاهل الصهر الا من شاء الا اجر من شاء ان
يتوسل الى الرب بطاعتى اى بخدمتي لى ومن هنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ وتبجيله
الى الله وتوكل اصل التوكل ان يعلم العبد ان الحادثات باسرها مستندة الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من اصول
الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فمن
مقامات الاحوال واصحاب الكمال وسبح بحمده اى احمده بنفسه لقوله انت كما اثنيت على نفسك والقديم لا يليق به
الا الحمد القديم ... وزادهم نفورا لانه الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان اقبل عليهم بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك
الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل
ثم الحيا ثم المشاهدة وزهرة الشوق وشمس
المحبة وعطارد الكشف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي جعل ليل الستر ونهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب
وحظوظ النفس لمن اراد ان يتعظ عند الستر واراد شكورا عند التجلي وعباد الرحمن دون الشيطان والهوى وتمنى النفس
يمشون في ارض الوجود عند السير الى الله هونا اى بلا تأذي بهما باثارة غبار صفات بشريتهم احد واذا خاطبهم الجاهلون
وهم كل ما سوى الله من الدنيا والآخرة وما فيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما سلام مودع والذين يبيتون لربهم لا
لحظ انفسهم في الارواح ساجدون وفي الصباح واجدون واحسن الاشياء ظاهر بالسجود وباطن بالوجود من بين
وضح هذه الاحوال والمقامات يتعوذون في مواقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد اذا
انفقوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يسرفوا في الرياضة الى حد تلف البدن ولم يقتروا في بذل الوجود بالركون الى الشهوات
لا يدعون مع الله الها آخر لا يرفعوا حوائجهم الى الاغيار ولا يشوبون اعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره
ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا بالحق ... بحق صفات الحق وفي مثل هذا القتل حيوة ابدية ولا
يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير اذن الله تبارك وتعالى يضاعف له العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم
الجنان ومن قرب الرحمن الا من تاب عن عبادة الدنيا وهوى النفس وآمن بكرامات الاولياء ومقامات الاصفياء وعمل
عملا صالحا هو الاعراض عن غير الله وهو الاكسير الاعظم الذي لو طرح ذرة منه على ملاء الارض سيئة يبدل لها ابريز
الحسنات ومن تاب اى رجع عن انانيته الى هويته للحق وعمل صالحا بالتخلق على هذه الحالة فانه يتوب يرجع الى الله متابا
لا مزيد عليه وهو احديته الرجعى وحينئذ لا يشهدون الزور اى لا يساكن عن هذه الحق واذا مروا باللغو وهو ما سوى

الحق لا يليق الا بالله واذا ذكر بايات ربه تامل فيها حق التامل بان تهب له من انفاح الروح والجسد ومتولداتهما من القلب والنفس مكان
الاعمال الصالحة ما يتربها عين القلب وعين السر وعين الروح اي يتنور بنورها ويصير بذلك مقتدى المتقين لتقى الجسد من
مخالفات الشريعة ولتقي النفس وفي الوسط على النعمة ولتقي الروح عما سوى الله فيجري في مقام العبدية بما صبر وفي البداية
على التكاليف الشرعية ولتقي النفس وفي الوسط على تبديل الاخلاق الذميمة وفي النهاية بافناء الوجود ثم اخبر عن استغنائه عن
وجود الخلق وعدمهم لولا دعاؤكم اياه بلسان الحاجة في حق العدم او لولا دعاؤه اياكم في الازل بلسان القدرة
فقد كذبتم حين ادعيتم الغني عن الصانع فسوف يكون خزانة السعادة الابدية لازما لكم

سورة الشعرا مكيه الا قوله والشعرا الى اخرهن حروفها ست الاف وخمسايه واثنان واربعون كلمها الف ومايتين وتسع وتسعون اياتها مايتان وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين ۝ لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين
ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث كانوا عنه معرضين ۝ فقد
كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا يستهزءون ۝ اولم يروا الى الارض كم
انبتنا فيها من كل زوج كريم ۝ ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى
ان ائت القوم الظالمين ۝ قوم فرعون الا يتقون ۝ قال رب اني اخاف
ان يكذبون ۝ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم
علي ذنب فاخاف ان يقتلون ۝ قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ۝ ان ارسل معنا بني اسرائيل

قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي
فعلت وانت من الكافرين ۝ قال فعلتها اذا وانا من الضالين ۝ ففررت
منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال وما رب العالمين ۝ قال
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ۝ قال لمن حوله
الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين ۝ قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون ۝ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون ۝ قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين ۝
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ۝ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تامرون ۝ قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين ۝
ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ۝ وقيل
للناس هل انتم مجتمعون ۝ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ۝
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۝ قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين ۝ قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ۝ فالقوا

حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه

فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين

رب موسى وهرون قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم

الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم

من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا لمنقلبون

انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين

واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون

فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هؤلاء لشرذمة

قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون

فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم

كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين

فلما تراء الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون

قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب

بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم

وازلفنا ثم الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم

ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم

مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

القراءة طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وقرا ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والباقي بالفتح الكبير [illegible] وقرا حمزة ويزيد مظهرة النون عند الميم فاخاف بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب اوجه مثل ما مر في الاعراف ايمنا بالمد وبالياء يزيد وابو عمرو وزيد وقالون وقرا ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد بهمزة ثم راء عن قنبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل حامد انتم بالمد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب امنتم على الخبر حفص غير الخراز الاخرون اامنتم على وخلف وابن عامر الباقون بغير الف فاتبعوهم بالتشديد يزيد عن حفص الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراء الجمعان بكسر الراء في الوصل حمزة ونصير وهبيرة من طريق الخراز واختلفوا في الوقف فعن الكسائي بكسر الراء والهمزة على وزن تريعي وفيما اخرى عنه تراعي والمشهور عنه تراآ بكسر الراء وفتح الهمزة واما حمزة فانه يقف ترايا بترك الهمزة ولما حمزة وكسر الراء ويمد ويشير الى موضع الهمزة وهو الصحد واما هبيرة فانه يقف ترايا بكسر الراء ويشير الى فتحة الهمزة الباقون يقفون تراء بقطعون تراعي معي ربي بفتح الياء حفص

الوقوف طسم كوفي المبين مؤمنين خاضعين معرضين يستهزءون كريم لاية مؤمنين الرحيم الظالمين للابدال او البيان بتجاوز عليهم بالظلم فرعون للعدول عنا لامر الى الاستفهام يتقون تكذبون لمن قرا ويضيق بالرفع على الاستيناف هرون يقتلون قال كلا للعطف مستمعون العالمين لتعلق ان بخاسر اسرائيل سنين الكافرين الضالين المرسلين اسرائيل العالمين وما بينهما لان جواب الشرط محذوف اى كنتم موقنين فلا تكذبوا موقنين يستمعون الاولين لمجنون وما بينهما تعقلون المسجونين مبين الصادقين مبين الانة مع العطف للناظرين عليم لان ما بعده صفة بسحره قد قيل بناء على ان ما بعده قول الملاء لفرعون والجمع للتعظيم والاصح لانه من تتمة قول فرعون تامرون حاشرين لان ما قبله جواب عليم معلوم للعطف مجتمعون لاتصال المعنى الغالبين لمن المقربين ملقون الغالبون ما يافكون للاية وللدلالة على اسراعهم في السجود الساجدين العالمين وهرون لكم للابتداء بانه مع اتحاد القول السحر للفاء لحم الابتداء وسوف تعلمون لتقدير القسم اجمعين لا ضير توفيه الحق والا فالاصل هو الوصل لان ما بعده هو القول في الحقيقة كما في الاعراف منقلبون للاية مع اتحاد القول المؤمنين متبعون حاشرين للاية مع ان التقدير ان هؤلاء قليلون لغائظون حاذرون لابتداء اخبار من الله وعيون كريم لتعلق الكاف كذلك اي كما وعدنا بني اسرائيل ارثها ثم اخرج عن وقوع الموعود اسرائيل مشرقين لمدركون وقد جوز الوقف الاسراع في تداركهم عن خوف الادراك كلا لاحتمال ان يكون للردع وان يكون لمعنى حقا سيهدين البحر لاجل الفاء الفصيحة اي فضرب فانفلق العظيم الاخرين اجمعين الاخرين لاية مؤمنين الرحيم

التفسير قال سبحانه طسم ان ايات هذا المؤلف من الحروف البسيطة تلك ايات الكتاب المبين وقد مر مثله في اول يوسف والبخع الاهلاك وقد مر في اول الكهف عزاه وعرفه انه غم وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين انه قادر على تنزيل اية ملجئة الى الايمان ولكن المشيئة والحكمة تقتضيان بناء الامر على صورة الاختيار قال صاحب

الكشاف وجه عطف فظلت على ننزل انه لو قيل انزلنا لكان صحيحا والحكم نقيضان كما فى قوله انزلنا فظلت واقول
الظاهر ان الفاء فى فظلت للسببية بدليل عدم المشترط فيه كما فى نزلنا ووجه العدول الى الماضى كما فى ونادى وسيق ووجه
مجئ خاضعين خبرا عن الاعناق انه يكون الاعناق مقحما لبيان موضع الخضوع واصل الكلام فظلوا لها خاضعين او حين وصفت
الاعناق بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين وقيل اعناقهم رؤساؤهم
كما يقال لهم الوجوه والصدور وقيل اراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الايه
فينا وفى بنى امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى ما ياتيهم من ذكر
من الرحمن محدث قد مر فى سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على انه مع اقتداره على ان يجعلهم ملجئين الى الايمان حكيم ياتيهم بالقران
حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم انه ذكر انه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكيرا الا جددوا ما هو نقيض المقصود
منهم وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب فى غاية الحسن لانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا
به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من اخذ فى الشقاء فانه يعرض اولا
ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ فى التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ ومن قوله فسياتيهم وعيد لهم بعذاب بدر او يوم
القيمة وقد مر مثله فى الانعام ثم بين انه مع حكمته فى انزال القران حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكون للعاقل
باب النظر والاستدلال والزوج الصنف والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد فى بابه وجه كريم اذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب
كريم مرضى فى معانيه وفوائده ونبات كريم مرضى فيما يتعلق به من المنافع فما من نبات الا وفيه نفع وفائدة من جهة وان كان فيه ضرر
من جهة اخرى ويحتمل ان يراد بالكريم النافع منه ويكون المضار مسكوتا عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل ونبه بقوله
كم انبتنا فيها من زوج كريم هو ان كلا قد دل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على ان هذا المحيط
مفرط الكثرة قلت الحاصل ان خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق افراد كثيرة منه فقوله كل زوج اشارة
الى خلق كل نوع من نوع النبات وقوله كم انبتنا اشارة الى كثرة افراد كل نوع من ... وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية
الجود والرحمة ولهذا ختم الكلام بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين
لان الله تعالى طبع على قلوبهم وان ربك لهو العزيز الرحيم فمن عزته يقدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل لعلهم يتفكروا و
يعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت اعظم موقعا واعلم انه سبحانه كرر بعض الايات فى هذه السورة لاجل التاكيد والتقرير
فمن ذلك انه كرر قوله ان فى ذلك لاية لقوله الرحيم فى ثمانية مواضع اولها فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم والثانية فى قصة
موسى ثم ابرهيم ثم نوح ثم هود ثم ... لكل الاية لقوله الرحيم فى ثمانية مواضع فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم صالح ثم لوط ثم
شعيب ومن ذلك قوله الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
وهو مذكور فى خمسة مواضع فى قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك انه كرر فاتقوا الله واطيعون فى قصة نوح
وهود وصالح وليس فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين لذكرها فى مواضع من غير
هذه السورة وليس فى قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال الم نربك فينا وليدا ولا فى قصة ابرهيم لان اباه فى المخاطبين حيث
يقول اذ قال لابيه وقومه وهو قد رباه فاستحيى موسى وابرهيم ان يقولا ما اسئلكم عليه من اجر وان كانا منزهين عن طلب
الاجر ثم انه تعالى عاد فى هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع اممهم اعتبارا لهذه الامة وابتدأ بقصة موسى لما فيه من
غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعرى هو الكلام القديم الذى لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة
واليه ميل ابى منصور الماتريدى انه من جنس الحروف والاصوات وانه وقع على وجه علم به موسى انه من قبل الله تعالى وقد عرف انه

انه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله الا يتقون كلام مستانف اتبعه تعجيب لموسى من حال القوم الشنعاء فى ظلمهم وكونه
ظالمين او حال اخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف ان يكذب عند اداء الرسالة فاستظهر بهرون فى قراءة النصب خاف
التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان فى الكلام ولعله اراد بهذه الحبسة عقدة فى لسانه قبل
اجابة دعوته فى بقية يروى انها بقيت بعد الاجابة كما مر فى طه ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا يعضدنى
فى امرى فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر ان لهم على ذنبا فسمى جزاء الذنب ذنبا والمضاف محذوف اى تبعة ذنب وهو قتل القبطى
كما سيجيء تفصيله فى سورة القصص فيمكن ان يقتلونى قبل اداء الرسالة فلا يتمكن من المقصود وهذا منقول عن الكلبى وغيره من [illegible]
وقال الاكثرون الاقرب من حال الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه يمكنهم من ادائها فلا معنى للخوف من القتل
قبل الاداء نعم لو خاف بعد الاداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من النفرة عن القتل فسال الله الامان من ذلك وقد جمع
الله له بقوله كلا الكلاءة وبقوله فاذهبا استنباء الجميع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون ومعكم
مستمعون خبران لان او الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما فى المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام
والمراد معية النصر والعون واما الاستماع فمجاز ايضا وان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء
ولا بد فيه من الجارحة فاصل الاية انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه وانما وحد
الرسول فى قوله انا رسول رب العالمين لانه اراد كل واحد او اراد الرسول بمعنى المصدر اى ذوا رسالة رب العالمين يقال ارسلتهم
برسول اى برسالة او جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام اى فاتيا فرعون فقالا
له ذلك يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال
ائذن له لعلنا نضحك عليه فاديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال الم نربك فينا وليدا اى صبيا وذلك لقرب
عهده من الولادة فقيل مكث فيهم ثلثين سنة من اول عمره وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة ففر منهم والفعلة
الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل نفس منهم وسماه كافر النعمة بسبب ذلك وجوز جار الله ان يراد وانت اذ ذاك
ممن يكفرهم الساعة فيكون قد افترى على موسى او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية وانما قلنا انه افترى او جهل لان الكفر غير
جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز ان يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته او بالهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك
والهتك ثم ان موسى ما انكر تربيته ولكن انكر الكفر فلم ينسب نفسه الى الضلالة واراد بها الذهاب عن الصواب او اراد النسيان
او الخطا وعلم انه فى ادبار الامور ثم ذكر موهبة ربه فى حقه حين قرن فرعون وملائه الهمة بين بقتله والحكم العلم
بالتوحيد وكمال العقل والراى ولا يدخل فيه النبوة ظاهرا لانه افردها بقوله وجعلنى من المرسلين قال جار الله وتلك
اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بعد ان فسرت بقوله ان عبدت نظيره وقضينا اليه ذلك الامر ان
دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على الا انه اجاز ان فسرت بقوله ان عبدت نظيره تسمى نعمة الا
نقمة لان تعبيدهم اى تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم الى ذبح ابنائهم صار هو السبب فى حصوله عنده وفى
تربيته ولهذا قال الزجاج انما بعد فى موضع نصب اى انما صارت نعمة على لان عبدت بنى اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك
فرعون وفعلت فعلتك وجزاء لك ان فرعون قال
جازيت نعمتى بما فعلت قال موسى نعم فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بان تجازى بمثل هذا الجزاء وقال الحسن اراد انك ا
استعبدتهم واخذت اموالهم ومنها انفقت على فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل امى ومن قبل امراتك ولم يكن منك
الا انك لم تقتلنى وقيل اراد انك كنت تدعى ان بنى اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبيد فى الاطعام والكسوة واعلم ان

للعلماء خلاف في نعم الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر لانعامه لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم
في حق شخص واحد في وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذي يستحقه على الايمان وفي الاية نوع دلالة على كل من
القولين ثم ان موسى حين ادى رسالته من قوله انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين وقد سبق مرارا ان كفر عناد
او ان يكون كفر جاهل والذي يختص بالمقام هو انه انما يطلب به حقيقة الشيء وماهيته وهذا هو الذي قصده فرعون بسؤاله ثم
عرف ان الماهية لا تنطلق على ذاته تعالى اذ لا اجزاء لها لحدية ولا مقادير وباي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل
من كل الوجوه فلا يصح ان يسال عنه بما هو ولا بكيف هو ولا باي شيء هو ولا بما هو غاية ذلك ان يبينه على وجوده الذي هو اظهر الاشياء
بلوازمه وآثاره على وجه يعم الكل كما قال انه رب السموات والارض وما بينهما او يخصص ذلك بان يقال انه ربكم ورب ابائكم الاولين وهو
الاستدلال بالانفس او يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء لدى طلوع الكواكب وغروبها وبالعكس وهو
الاستدلال بالانفس والآفاق وقد راعى في الجواب اولا الطريقة اللطيفة فختم بقوله ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنونه لظهوره
وجلائه وخاشنهم في الاخر بقوله ان كنتم تعقلون حين نسبوه الى الجنون بعد ان تهكموا به بقولهم ان رسولكم ويمكن ان يراد بقوله
وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول ان الاول هو الاستدلال بالاجرام
على طريقة المتكلمين والاول اقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني اقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام
الى حد العناد والمحاسبة هدده فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وهذا ابلغ من ان لو قال لاسجننك
والمعنى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته انه ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض
بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الجدال الاصلي في الباب وهو ادعاء المعجز المبني على صدقه فقال اولو
جئتك اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء اي جاءيا بالمعجز وفي قوله ان كنت من الصادقين انه قال لا وجد الا دلالة على
ما ذكره في المعقول من ان دعوى الرسالة اذا اقترنت بظهور المعجز عليه تحقق صدقها وقد شنع في الكشاف هنا في ان اهل القبلة
خفي ما لم يخف على فرعون حتى جوزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وفي التخطية نظر من وجهين احدهما
انه لا قبيح عند الاشاعرة عقلا والثاني على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح وهذا في ذلك للزوم الاشتباه وباقي القصص سبق
نظيرها في الاعراف فلنقتصر بالتفسير على ما يختص بالسورة قوله قال للملا حوله قال في الكشاف الظرف في محل النصب على الحال والوجه
الاصوب ان يجعل نعتا للملا اي لا شرافهم حوله على طريقة قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قوله لميقات يوم معلوم اليوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى كما مر في طه قوله هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع وحث عليه كقول رجل لغلامه هل انت
منطلق اذا اراد ان يحثه على الانطلاق قوله لعلنا نتبع السحرة لم يكن غرضهم اتباع السحرة في دينهم وانما غرضهم الاصلي
ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله بعزة فرعون هي من ايمان
الجاهلية ولا يصح الحلف في الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كما مر في البقرة والمائدة قوله فالقي السحرة لم يسم فاعله وهو الله
تعالى في الحقيقة حين القى دواعيه الايمان في قلوبهم ويجوز ان ينسب الى ما عاينوه من المعجز الباهر ذلك انه لا يتعدى فاعلا
اي خروا قوله لا ضير اي لا ضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل قوله انا نطمع الطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم
والذي اطمع ان يغفر لي ويحتمل الظن بناء على ان المرء لا يعلم ما سيختاره او يؤول اليه حاله عند الوفاة ومعنى ان كنا اول ان كنا
وكانوا اول طائفة مؤمنين من اهل زمانهم ومن قوم فرعون او من اهل المشهد قوله انكم متبعون تعليل للاسراء اي يتبعكم
فرعون وجنوده الى ان نبعثنا هم قوله الشرذمة الطائفة القليلة ثم وصفهم بالقلة
...ولحتار جمع السلامة ليدل على ان كل حزب منهم في غاية القلة وذلك بالنسبة الى عسكره وهم كثير في انفسهم يروى ان فرعون ارسل في

في اثر هم الف الف وخمسمائة الف ملك مسود مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى
راسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك ستمائة الف وسبعين الفا ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله وانهم لنا لغائظون
معناه انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا كاخذ الحلي وادعاء الاستقلال بالاستخلاص عن
ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة الذي يجدد
حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه وكل هذه المعاذير لاجل ان ينطبق بالعجز وخلاف ما ادعاه من القهر
والتسلط وقرئ حاذرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوي اراد انهم اقوياء اشداء فاخرجناهم من جنات اي بساتينهم
التي فيها عيون الماء ومن كنوز الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام
الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل النصب اي اخرجناهم مثل
ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على الوصف اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي الامر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ بالتشديد فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق
فلما تراءى الجمعان راى قوم موسى قوم فرعون وحصل كل من الفريقين بمرأى للاخر قال اصحاب موسى فرقا او عرفا انا لمدركون
لملحقون قال موسى ثبتا لهم ورد عليهم ما هم عليه من الجزع والفزع كلا ان معي ربي بالنصرة والمعونة سيهدين سبيل النجاة
والخلاص كما وعدني ثم بين انه كيف هداه بقوله فاوحينا الاية ومعنى فانفلق فضرب فانفلق فكان كل فرق جزء منفرق منه
كالطود وهو الجبل المنيف العظيم ومع ذلك وصفه بالتعظيم وازلفنا ثم اي قربنا حيث انفلق البحر الاخرين وهم قوم
فرعون والمعنى قربناهم من بني اسرائيل او قوم فرعون ايضا اي ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد ويجوز
ان يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم اي بحر بين ولد مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى اضاف الازلاف
الى نفسه مع ان اجتماعهم في طلب موسى كفر اجاب الجبائي بان قوم فرعون تبعوا بني اسرائيل فعلوا ذلك بامر الله تعالى فلما
كانوا بتدبير الله وهؤلاء تبعوهم اراد الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب احدنا في طلب غلام له فيجوز ان يقول اتعبني
الغلام لما حدث ذلك بامره تعالى عنده فعلا ولمراد انه قربهم الى الموت والاجل وقال الكعبي اراد انه جمع تفرقهم كيلا
يصلوا الى موسى وقومه واراد ان يحول عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا في دخوله واعترض بان كل ذلك لا بد ان يكون
له اثر في استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور ان في ذلك الذي حدث في البحر من انجاء البعض
او في ذلك الذي ذكر من القصة بطولها لآية عجيبة للمتدبر المتفكر في الامور الالهية ما كان اكثرهم مؤمنين حين سألوا
بعد النجاة ان يجعل لهم موسى الها غير الله ولم يخنقوا العجل واقترحوا اقتراحات خارجة عن قانون الادب ويحتمل ان يعود
الضمير الى اهل مصر الا مؤمن آل فرعون وآسية وقليل والله اعلم بهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم بتكذيب قومه بعد ظهور
المعجزات ونزول الآيات التاويل الطاء طوله في كمال العظمة والسين سلامته عن كل نقص وعيب والميم
مجده الذي لا نهاية له او الطاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته عن كل نقص وعيب والميم
مجده الذي لا نهاية له على الانبياء والمرسلين والميم مشاهدة جمال رب العالمين او الطاء طيران الطائرين بالله والسين
سير السائرين الى الله والميم مشي الماشين الى الله الذين يمشون على الارض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من وارد الحق
فظلت اعناق نفوسهم لها خاضعين فيا بهم بعد مفارقة الارواح الاجساد انباء ما كانوا به يستهزءون يعني بظهور
نتائج معاملاتهم الخبيثة على وجوههم اولم يروا الى الارض خلوق العارفين كم انبتنا فيها من اصناف الايمان والتوكل

واليقين والاخلاص وساير الاخلاق الكريمة وما كان اكثرهم مؤمنين لان حجاب العلم في الخواص لم يتمكن عن ان تكون شرعية الكلام وان ربك
لهو العزيز الذي لا يوجد بالسعي الرحيم حين ادرك الاولياء بجذبات العناية كما ادرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله
مظهر لطفه كما انه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار في غاية الكمال ويعلم منه ان للانسان استعدادا ظاهرا في مظهرية
صفة القهر بين لا يلبس والملك عاند ابليس آدم وقال انا خير منه وعاند فرعون الرب وقال انا ربكم الاعلى وان له استعدادا في مظهرية
صفة اللطف ليس للملك لهذا صار الانسان مسجود الملائكة ان ارسل معنا بني اسرائيل وفيه ان موسى القلب يسأل فرعون النفس لئلا
يستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس في البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم في قضاء
حوايجهم وتحصيل مقاصدهم فرعون فرعون النفس وقال الم نربك فينا وليدا قال موسى القلب كان في حجر فرعون النفس الى ان بلغ
اوان الحلم هي حجر عشر سنة فقتل قبطي السهو حين كز بالد الهوى وكان فعل القتل صالا عن حضرة الربوبية فقربت منكم
الى ... لما خفت ان تقطعوا على الطريق الى الله رب السموات القلوب وارض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات
النفس الا تستمعون والنفس بما يصدر في محاجاة رحيم قال موسى القلب ليعارفه به ربكم ورب ابائكم الاولين يعني الاباء
العلوية الروحانية وفي قوله ان رسولكم لمجنون اشارة الى كمال الضدية القلب والنفس ما يصدر في محاجة ابرهيم في البقرة
لاجعلنك من المسجونين في سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء
لا يسلك حب الجاه والرياسة فانها اخر ما يخرج من رؤوس الصديقين فقال موسى
الله وباقي التاويل قد سبق في قوله فاخرجناهم اي من جنات الاوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم
في حضرة اكرم الاكرمين واورثناها بني اسرائيل فيه ان النفس اذا فنيت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الصفات لم يكن للوصول
اليها بقوة صفاته ولو فات القلب ورثت النفس من صفاته وبقوتها تنزل الى دركات لم يكن لها الوصول اليها بمجرد صفاتها فاتبعوهم
اي لحق اوصاف النفس اوصاف القلب عند اشراق شمس الروح واجتنا الروحانية عن الوصول الى الحضرة من خواص القلب غاية
سير النفس هو الاستغراق في بحر الروحانية ان في ذلك لاية لارباب العرفان وما كان اكثرهم مؤمنين بهذه المنازل فانه لا يصير
اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة ارجعي الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها

واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان

ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر
لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة
فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن
لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي
لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم

فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ۝ فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ۝

ثم اغرقنا بعد الباقين ۝ ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم

مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝

القراءات لى الا ابى بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو واجرى الاجر بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص واتباعك على انه جمع تابع او تبع كعقب بيعقوب ا الآ بالمد ابو نشيط عن قالون معى من المؤمنين بفتح ياء المتكلم حفص وورش

الوقوف ابرهيم للابتداء مع اذ طرف ما اتلو وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ۝ عاكفين ۝ يدعون لا يضرون ۝ يفعلون ۝ تعبدون ۝ لان الضمير بعده توكيد لان اذ ظرف الاقدمون ۝ والوصل اولى للفاء العالمين لا لان الذى صفه الرب يهدين لا ويسقين ۝ يشفين ۝ يحيين ۝ الدين ۝ بالصالحين لا الاخرين لا النعيم لا الضالين لا يبعثون لا ولا بنون لا سليم ط بناء على ان ما بعده الى احوال الجنة والنار من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هى من تمة كلام ابرهيم العالمين لا المجرمين ۝ شافعين لا حميم ۝ المؤمنين ۝ لاية مؤمنين ۝ الرحيم ۝ المرسلين ۝ لان اذ يصلح ظرفا للتكذيب مفعولا لاذكر تتقون ۝ امين ۝ للفاء واطيعون ۝ من اجر العالمين ۝ كذبون ۝ المؤمنين ۝ المشحون ۝ الباقين ۝ لاية مؤمنين ط الرحيم ۝ **التفسير**

القصة الثانية قصة ابرهيم صلوات الله عليه وكان يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم للالزام والتبكيت ومثله اهل المعانى بان يقول الحذق للتاجر ما مالك وهو يعلم ان ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال فى سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة دالا ته اراد هنالك مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم اردفه بقوله ائفكا الهة دون الله تريدون وحين صرح هنالك بالتوبيخ لم يجيبوه وههنا ظنوا انه بطل الاستفهام حقيقة فاجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على اصناما ليرادوا وانما صبحوا وعقبوه بقولهم فنظل لها عاكفين اظهارا للابتهاج والافتخار قال فى الكشاف وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبنى على النقل الصحيح والظن به حسن قال الابر هل يسمعونكم من تقدير حذف المضاف ومعناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل ان يكون الحذف فى مفعوله لا نياه اى هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان اذ للمضى ومعناه استحضار الاحوال الماضية التى كانوا ابدا عن نحانيها وحين تمسكوا فى الجواب بطريقة التقليد فابنى على سبيل الاضراب بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون بين ابراهيم بقوله افرايتم على ان الباطل لا ينقلب ان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون فيه نحبه كثرة اوقلة وصرح ان معبوديهم اعداء له لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان الذى يغريهم على عبادتها هو الشيطان وهو اعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه اراد تصوير المسئلة فى نفسه ليكون ادل على النصح واقرب الى القبول كانه قال انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعى ان رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع لكنه اى لكن رب العالمين حسبى ثم وصف لهم ربه بانه الذى خلقنى فهو يهدين اى خلق بدنى على كمال التمكن له ثم يهدينى الى الاستعداد الذى وعد مصالح الدين والدنيا كامتصاص اللبن فى البطن والثدى بعد الولادة ونظيره ما مر فى طه الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ثم رتبه بقوله والذى هو يطعمنى ويسقين ان الذين يتعلق بهم قوام البدن من الاغتذاء بالطعام والاشاعة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى

تعالى لانه خلق هناك قوى جاذبه وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تيسر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعم الله ثم قال واذا مرضت فهو يشفين وذلك ان البدن ليس دائما على النهج الطبيعى بحيث يصدر عنه الافعال الموضوع هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل امرضنى لان كثيرا من اسباب المرض يحدث باسراف الانسان فى المطعم والمشرب وايضا الصحة تحتاج الى سبب قاهر يقهر الاخلاط والقوى على النسبة المطلوبة اما المرض فانه سبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الخاص وايضا فيه رعاية الادب فى مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة فى قوله والذى يميتنى لان الامانة ليست بمنزلة كالمرض اما العدم للاحساس وقبله ولعل لانها مقدمة الوصول الى عالم الخبر والراحة وانما اعاد لفظ هو فى الاطعام والاسقاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوى فاكد اعلاما بان ذلك فى الحقيقة من الله واما الامانة والاحياء فلعله ما مدع فاطلق ثم اشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله والذى اطمع حمل الاشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على انه لا يجب لاحد على الله شئ وحمله المعتزلة على التعيين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الامة اخرى كما اشار فالخطيئة الى نفسه لذلك وقد يحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى وانما علق المغفرة بيوم الدين لان اثرها يتبين يومئذ وهو فى الدنيا خفى قال بعضهم فائدة زيادة لى هو ان يعلم ان المغفرة ثابتها يعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كما لا يتاثر والمراد الطمع ان يغفر لى لجرد عبوديته واحتياجه اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبرائيل اما اليك فلا وحين قدم الثناء شرع فى الدعاء تعليما للامة اذا ارادوا مسئلة فقال رب هب لى حكما ولعله اشارة الى كمال القوة النظرية والحقنى بالصالحين الى كمال القوة العملية ولقد اجاب حيث قال وانه فى الاخرة لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة ان النبوة وحكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى وزيف بانه كان حاصلا له فكيف يطلبه والظاهر انه اراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية اعنى العلوم النظرية كما بينا قالت الاشاعرة فى الاية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لانه طلب العلم من الله فلولا ان العلم بخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الالطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم ان يكون سائلا لما يشغل عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله فقد مر انه من شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لا دنى المؤمنين فضلا عن ابرهيم فاذن هو العلم الزائد على ما هو شرط فى الايمان وهو الوقوف على حقيقة الايمان الذات والصفات بما لا يكشف للعقل عنها عن الحال وبه يصير العبد من الواصلين الى الحق دون السامعين الاثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله واجعل لى لسان صدق والاضافة فيه كقوله قدم صدق قال ابن عباس وقد اعطاه الله ذلك بقوله وتركنا عليه فى الاخرين ولهذا اتفق اهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود ان يكون ممدوح كل انسان ومحمودا بكل لسان وفايدة الثناء على الشخص بعد وفاته عود ان الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا لغيره الى اكتساب مثل تلك الفضائل وقيل سال ربه ان يجعل من ذريته فى اخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سال ما هو غاية كل سعادة فقال واجعلنى من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى هذه الوراثة فى قوله وتلك الجنة التى اورثتموها وكذا فى سورة مريم تلك الجنة التى نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه فقال واغفر لابى وقد سبق فى اخر التوبة وغيرها ما يتعلق به من المباحث وههنا سؤال وهو انه متى حصلت الجنة بل غاية امتنع حصول الخزى فكيف قال بعده ولا تخزنى وايضا قال تعالى ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وما كان نصيب الكافر كيف يستجير منه المعصوم اجاب عنه فى التفسير الكبير كما ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزى كل واحد يليق بحاله فكانه سال الزيادة والاثر الخصوصية ثانيا واقول يحتمل ان يكون هذا الدعاء من تمة دعائه لابيه اى لا تخزنى ولا تفضحنى بسبب تعذيب ابى يوم يبعث الضالون والمهتدون

كلهم ومثل هذا التضمين ما يعلم بوجه بالترتيب يحتمل ان يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز ان يكون اخر هذا الدعاء ما يعتبر من
حيث يوم القيمة واهوالها واحوالها فالمراد ان لا ينقطع نظم الكلام وفي قوله الا من اتى الله بقلب سليم اشارة الى الدعاء وصيغة الله بدنى قوله
وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي هذا الاستثناء وجوه منها انه منقطع والمضاف محذوف اى الا حال من اتى الله
بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل
وساير الاخلاق الذميمة ويندرج في سلامة القلب سلامة ساير الجوارح لانه رئيسها ولا شك ان المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب
فيكون الاستثناء منقطعا ومنها انه متصل وذلك على وجهين **احدهما** غناه في دنياه بماله وبنيه **وثانيهما** ان يجعل من
باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمضاف محذوف وقد قال والسلامة نظيره ان يقال الكعل لزيد مال وبنون فيقول ماله وبنوه
سلامة قلبه يريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها ان يكون الموصول منصوبا لينفع والاستثناء
مفرغ اى لا ينفع مال ولا بنون احدا الا رجلا سلم قلبه مع ماله وبنيه حيث انفقه في طاعة الله وما قصر في باب تاديبهم وارشادهم
او سلم قلبه من فتنة المال والبنين فلم يكن ولم يعص وقد يفسر السليم بالله تعالى من خشية الله تعالى وحين انجر الكلام
الى ذكر يوم القيمة وصفه الله تعالى او ابرهيم احواله واهواله فقال وازلفت الجنة للمتقين قال المفسرون الجنة تقرب من موقف
السعداء ليكون لهم فرحا معجلا وبجر النار بارزة مكشوفة للاشقياء ليزدادوا غما وحسرة ولمثل هذا لبرزتهم تقوله اينما كنتم
تعبدون ينبغي اين الالهة التي كنتم تعبدون من دون الله هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم والقيهم وقود النار وذلك قوله فكبكبوا فيها هم اى الالهة والغاوون الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب
جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اعاذنا الله منها والمراد
بجنود ابليس شياطينه ومتبعوه من عصاة الانس والجن قالوا يعني الغاوين وجنود ابليس وهم فيها يختصمون ولعل الاصنام ...
فيها يختصمون فان الكفرة المفسرون يجوزون ان ينطق الله الاصنام بحيث يصح منه التخاصم وقوله هذا التخاطب بين العصاة
والشياطين وتسويتهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على التفسير الرؤساء والكبراء وعن السدى الاولون الذين اقتدوا
الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم خالص يهمه ما يهمنا
وفيه نفي الشفعاء والصديق راسا او نفي الذين كانوا يعدونهم شفعاء واصدقاء من الاصنام والرؤساء او نفي الانتفاع
بهم قصدا باتقيهم نفي ما يتعلق بهم من الفائدة كقولهم لمن عدم المنفعة حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق
لكثرة الشفعاء لاجل المحسنة عادة ولكن الصديق الصادق اعز من الكبريت الاحمر حتى زعم بعض الحكماء انه اسم لا معنى له ويجوز ان يكون
الصديق بمعنى الجمع والكرة الرجعة الى الدنيا ولو في معنى التمني وقوله فنكون جواب التمني او عطف على المعنى على كرة اى لبت لنا كرة
فان نكون على هذا جاز ان يكون نكرة على اصل الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ثم بين انه فيما ذكر من قصة ابرهيم
لاية لمن يريد ان يستدل بذلك وما كان اكثر قوم ابرهيم مؤمنين

القصة الثالثة قصة نوح

ولا ريب ان بناء عظيم فقد كانوا يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وشاع مع ذلك لم يزد قومه الا التكذيب والقوم مؤنث بدليل
تصغيره ... وكان امينا منهم مشهورا وكمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش وكرر قوله فاتقوا الله واطيعون تاكيدا وتقريرا في النفوس مع
تعليق كل واحد بسبب وهو الامانة في الاول وقطع الطمع في الثاني نظيره قول الاجل العزيز الا تتقي الله في حقوقي وقد حبيتك
صغيرا الا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيرا او قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته وقوله وما علمي ... اى شي علمي وما ...
انتفاء علمي باخلاص اعمالهم لله عز وجل واطلاعه على باطنهم ... كانهم طعنوا في ايمانهم ايضا فذكر ان حسابهم
على الله وانه ليس الا للبلاغ ويجوز ان يكون سائلهم فقد الرذالة ما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقايد

العقايد فبنى جوابه على ذلك وقال ما علي الا اعتبار الظاهر والله يتولى السرائر وفي قوله لو تشعرون اشارة الى انهم لا يصدقون
الحساب والجزاء وفيه انكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى
رب ان قومي كذبون تسلية لجنابه لا لاجل اعلام علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من
كل زوجين اثنين مع نوح واهله **التأويل** واتل عليهم نبأ ابرهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو
الروح وما يتولد منه تعبد اصناما وهو ما سوى الله فنظل لها عاكفين قال ان ادركتنا العناية فبرحنا عنها اي وجدنا
اباءنا وهم الارواح والاباء العلوية كذلك تتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لي اذ تعلقت بهم فصرت محجوبا بهم عن الله
خلقني فهو يهدين الى حضرته ويطعمني من طعام العبودية الذى يعيش القلوب ويسقيني من شراب طهور المحبة واذا
مرضت بتعلقات الكونين فهو يشفيني بالجذبة الالهية والذى يميتني عن اوصاف البشرية ثم يحييني باوصاف الروحانية
ويميتني عن اوصاف الروحانية ثم يحييني بالاوصاف الربانية ويميتني عن انانيتي ثم يحييني بهويته والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئته وجودى بطلوع شمس نهار الدين رب هب لي من ربوبيتك حكما على بذل وجودى في هويتك والحقني بالذين صلحوا
لقبول الفيض الالهي بلا واسطة واجعل لي لسان صدق في الاخرين من النفس وصفاتها المعرضين عما سوى الله واغفر لابي الروح
انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوى الى السفلي ... ولا تخزني بتعلقات الكونين قال نوح وما
علمي بما كانوا يعملون يعني اراذلها ذات الجسد والاعضاء لانهم عمال عالم الشهادة وانا من عمال عالم الغيب ان حسابهم الا على ربي فيما
يعملون من الاعمال الحيوانية لجسمه بهيمية يعفو عنها والشهوة حيوانية يواخذهم بها ... قالوا اى النفس
وصفاتها لئن لم تنته يا نوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لتكونن من المرجومين باحجار الوساوس والهواجس
في الفلك المشحون اى خذ كالشريعة المملوءة بالاوامر والنواهي والحكم والمواعظ والاسرار والحقائق ثم اغرقنا بعد الباقين بطوفان
استيلاء الاخلاق الذميمة وافات الدنيا الدنية وباقي القصص اشارة الى رسوله القلب المسلم من الله وقومه النفس وصفاتها كما قررنا

كذبت عاد المرسلين ۞ اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون ۞ اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون ۞ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين ۞ اتبنون بكل ريع اية تعبثون ۞
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ۞ واذا بسطتم بسطتم جبارين ۞
فاتقوا الله واطيعون ۞ واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون ۞ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۞
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ۞ ان هذا الا

خلق الاولين وما نحن بمعذبين ۝ فكذبوه فاهلكناهم ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز
الرحيم ۝ كذبت ثمود المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتتركون في ما ههنا امنين
في جنات وعيون ۝ وزروع ونخل طلعها هضيم ۝ وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين ۝ الذين
يفسدون في الارض ولا يصلحون ۝ قالوا انما انت من المسحرين ما انت
الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين ۝ قال هذه ناقة لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم ۝ ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم
فعقروها فاصبحوا نادمين ۝ فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ كذبت
قوم لوط المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون ۝ اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين ۝ اتاتون الذكران من العالمين ۝ وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون ۝ قالوا

قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ۝ قال اني لعملكم
من القالين رب نجني واهلي مما يعملون ۝ فنجيناه واهله اجمعين ۝
الا عجوزا في الغابرين ۝ ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين ۝ ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝

القراآت او عظت مدغما عباس وبضيه خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف
الوقوف المرسلين ج تتقون ج امين ج واطيعون ج اجر العالمين ط تعبثون ج تخلدون ج جبارين ج واطيعون ج تعلمون ج وبنين ج وعيون ج عظيم ج الواعظين ط للاحتراز عن الابتداء العالمين ج امنين لتعلق الظرف وعيون ج هضيم ج فارهين ج مثلنا من الصادقين ج معلوم ج عظيم ج نادمين العذاب ط لاية ط المخرجين ج القالين ج يعملون ج اجمعين ج الغابرين ج الاخرين ج مطرا ج المنذرين ج لاية ط مؤمنين ج الرحيم
التفسير القصة الرابعة قصة هود ولنذكر من تفسيرها ما هو غير مكرر فالريع بالكسر
وقرئ بالفتح المكان المرتفع ومنه ريع الغلة لارتفاعها والاية العلم في هذا البناء وجوه فعن ابن عباس انهم كانوا
يبنون بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به فخرهم وغناهم
فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقيل كانوا يهتدون بالنجوم قاله مجاهد والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة
والحصون ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او ظلما وعلوا في صفوا لكونهم اخذ كجبارين وقيل
الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن اراد انهم يبادرون العذاب من غير تفكر في العواقب والحاصل ان اتخاذ الابنية الرفيعة
يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على
لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها بقوله واتقوا الله
الذي امدكم بما تعلمون ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله امدكم عليها يدوم بها بينكم وبين بهم
تمام حفظها والقيام بها وجنات خصلها بالتفكه والتنزه وعيون بها تمايلا النهات ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها
على انه كما قدر ان يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب العظيم فيكون فيه من يحث على التقوى وكمال تنفر
عن العصيان ثم شرع في حكاية جواب القوم فانهم قالوا ان وعظت وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان والمراد بقوله ام
لم تكن من الواعظين كونه لم يكن على منهاجهم الان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن من مباشرته وذويه راسا وهذا ابلغ
في قلة اعتدادهم بوعظه من قوله خلق الاولين بفتح الخاء فمعناه ان هذا الا اختلاق الاولين واكاذيبهم او ما خلقنا هذا الا

نحن الا قدمين نحيا ونموت ولا بعث لاجزاء والقراءة الاخرى معناها خلق الاولين دين الاولين ما نحن عليه من الحياة
والموت الاعادة جارية لا خرق لها او ما هذا الذي جئت به من تلفيق الاكاذيب الاعادة مستمرة من المتنبئين ثم اكد
وانكارهم المعاد بقوله وما نحن بمعذبين فاظهر الله بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فاخبر الله تعالى عن اهلاكهم وتحقيق
كيفية ذلك مرارا **القصة الخامسة قصة صالح** قال جار الله الهمزة في اتتركون يجوز ان تكون للانكار اي لا
تتركون مخلدين في الامن والراحة ولكل نعمة زوال ويجوز ان يكون للتقرير اي نعم قد تركتم في اسباب الامن والفراغ اجمل او لا بقوله
فيما هاهنا اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما تخصيص للنخل
بغير النخل واما تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على فضله ومزيته وطلع النخلة ليبدو لها ايدو منها النصل السيف وقد مر في الانعام
والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم ولانه وهب لهم اجود النخل والطلعة كالبر في شدة وقيل وصف نخلهم بالحمل الكثير
فانه اذا كثر الحمل هضيم اي لطف وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط
ومنه جيل فره وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعاني جعل الامر مطاعا مجاز حكمي وانما المطاع بالحقيقة هو الامر وفي قوله
ولا يصلحون اشارة الى ان فسادهم في الارض غير مقترن بالاصلاح والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو
من السحر الرية اراد وانه بشر ذو سحر وهو ضعيف لانه يلزم التكرار بقوله ما انت الا بشر مثلنا الا ان يقال الانبياء والشرب النصيب
من الماء كالسقي للحظ من السقي وقرئ بالضم عن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء سؤال
لم اخذهم العذاب وقد ندموا على ما تركوا والندم توبة جوابه كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل او ندموا ندم توبة
ولكن في غير اوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك عقر ولدها وفيه بعد وعلا اللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
القصة السادسة قصة لوط انكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس الا فاتنطاكم وانكر عليهم كونهم مختصين من العالمين
بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى الخلائق وعلى الثاني الى الاناسي والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان وكل
شيء من الحيوان يرتكب هذا الفعل الا الانسان قوله من ازواجكم اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن
فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادي المتجاوز الحد في ظلم اي بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي وهذه واحدة
منها او بل انتم قوم احقاء بان تسموا العادين ان ارتكبتم مثل هذه الجريمة العظيمة قالوا لئن لم تنته بالوعظ عن نهينا لتكونن
من جملة من اخرجنا من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف اراداتهم كما قال فلاحم عصبيه للذين او انه معدود في زمرة
مبغضيهم كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم او سال العصمة من مثل عملهم
ولقد عصى الله الا عجوزا رضيت بفعلهم واعانت على ذلك وكانت من اهل تجويز الزواج وان تشاركهم في الايمان ومعنى في الغابرين
الا عجوزا مقدرا غبورها اي بقاءها في الهلاك واللام في المنذرين للجنس ليصح لفاعليه فعل الذم والمخصوص محذوف اي ساء مطر
المنذرين مطرا ولنك المعهود دين

كذب اصحاب الايكة المرسلين ۝ اذ قال لهم شعيب الا تتقون ۝
اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اوفوا الكيل ولا تكونوا من

من المخسرين ۝ وزنوا بالقسطاس المستقيم ۝ ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين ۝ قالوا انما انت من المسحرين ۝ وما انت الا بشر مثلنا وان
نظنك لمن الكاذبين ۝ فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت
من الصادقين ۝ قال ربي اعلم بما تعملون ۝ فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ۝ ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝
وانه لتنزيل رب العالمين ۝ نزل به الروح الامين ۝ على قلبك لتكون
من المنذرين ۝ بلسان عربي مبين ۝ وانه لفي زبر الاولين ۝ اولم يكن
لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ۝ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ۝
فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين ۝ كذلك سلكناه
في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ۝
فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ فيقولوا هل نحن منظرون ۝
افبعذابنا يستعجلون ۝ افرايت ان متعناهم سنين ۝ ثم جاءهم
ما كانوا يمتعون ۝ وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون ۝ ذكرى وما كنا ظالمين ۝ وما تنزلت به

الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع

لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين

وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين

فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم

الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع

العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك

اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم

الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون

ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله

كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

القراءة ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على انها ممتنعة من الصرف للعلمية والتانيث وكذلك في صاد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الاخرون الايكة بهمزة فالجر وراكسفا بفتح السين حفص غير الخزاز الاخرون بسكونها ذي اعلم بفتح الياء نافع وابو جعفر وابن كثير وابو عمرو نزل به مخففا الروح الامين مرفوعين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص وابو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل مشددا الروح الامين منصوبين اولم تكن تاء التانيث اية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية اية بالنصب فتوكل بالفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالواو ومن تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزي وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع وارى بالياء في الوقف والسهدي عن قنبل وقراءة فيتجه **الوقف** المرسلين ج تتقون ج امين لا واطيعون ج اجر ج العالمين ط المخسرين ج المستقيم ج مفسدين ج الاولين لا المسحرين لا الكاذبين ج نصف اي القران ج الصادقين ج تعلمون ج الظلة ط عظيم ج لاية ط مومنين ج الرحيم ج العالمين ط الامين لا المنذرين لا مبين ط الاولين ج اسرائيل ط الاعجمين لا مومنين ط المجرمين ط بناء على ان لا يومنون مستانف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف

وقف الاليم ط لا تشعرون لا منظرون ط يستعجلون ط سنين ج للعطف بي عدوك لان قوله ما اغنى جملة نفي او استفهام قلت مقام جواب الشرط يمتعون ط منذرون و قد يوقف عليها بناء على ان ذكرى ليس مفعول له والمراد ذكرى ناهم ذكرى والوقف على ذكرى جائز ظالمين ج الشياطين ج يستطيعون ط لمعزولون لا المعذبين ج الاقربين ج للعطف المومنين ج تعملون ج الرحيم لا تقوم لا الساجدين ج العليم ج الشياطين ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار اثيم لا بناء على ان يلقون حالا من ضمير الشياطين اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك فان جعل مستانفا كان قليلا قال لم تنزل فقيل يلقون كيت وكيت فلكل الوقف كاذبون ط الغاوون ط يهيمون لا لا يفعلون لا ظلموا ط ينقلبون ج

التفسير القصة السابعة قصة شعيب وانه كان اخا مدين دون اصحاب الايكة ولهذا لم يقل اخوهم شعيب يروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهي التي حملها المقل قال في الكشاف قرىء اصحاب الايكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد متوهم تاء اليه خط المصحف فهذه السورة وفي سورة ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لا يعرف قلت انه لا يلزم من عدم العلم بالشيء عدم ذلك الشيء والطعن بالتواتر يجب ان يكون احسن من ذلك امرهم شعيب بايفاء الكيل ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وان يجعل النقص خاسرا فكانه امر بالايفاء مرتين توكيدا ثم زاد في البيان بقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم وقد مر في سورة سبحان قال في الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي قلت انه كان مكررا فوزنه فعلا ايضا وقوله ولا تبخسوا تاكيد اخر وقد سبق في هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذي فضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لو لا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال في الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا في قوله وما انت الا بشر وبين تركها في قصة ثمود انه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثاني مقررا للاول قلت الفرق بين والاشكال في تخصيص كل من القصتين بما خصت به ولعل السبب فيه ان صالحا قلل في الخطاب فقللوا في الجواب واكثر شعيب في الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء واكثروا في الجواب وان في قولهم وان نظنك هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شان مقدر واللام في لمن الكاذبين هي الفارقة والكسف بالسكون والتحريك جمع

[illegible] والمعنى ان كنت صادقا في دعوى النبوة فادع الله ان يسقط علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فارادوا بذلك اظهار كذبه فلم يعنف عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربي اعلم بما تعملون يروى ان شعيبا بعث الى امتين من اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبرئيل واهلك اصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى الصحراء فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وحين سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا وانه اي وان الذي نزل عليك الكتاب من الاخبار لتنزيل رب العالمين اي منزله والباء في نزل به على القولين المذكورين للتعدية ولكنها في قراءة التشديد تقتضي مفعولا اخر هو الروح اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما لتكون من المنذرين من الذين انذروا بهذا اللسان وهو خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام ويجوز ان يكون قوله بلسان متعلقا بنزل اي نزله بلسان عربي لينذر به فانه لو نزله بالاعجمي لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ومن هذا الوجه يتناسب قوله فانه احرى لقوله على قلبك اي نزلناه بحيث يفهمه ويفقهه ولو كان

عجبا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل ائمة اللغة ان القلب والفؤاد مترادفان ونقل الامام فخر الدين الرازي
عن بعضهم ان الذي القلب هو المضغة السوداء في جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا في ان محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب
في الحقيقة فلهذا قال نزل على قلبك ونحن قد تركناه لقلة تعلقه بالمقام وتضعيف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم ارباب العقول
قوله وانه لفي زبر الاولين يعني ان ذكر القرآن مثبت في الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معاني القرآن في تلك الكتب وقد يحتج به لابي
حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة وقيل الضمير فيه في وانه يعود للنبي صلى الله عليه وسلم فانه حجة ثانية على نبوته وشهد
بها علماء بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا منهم واعترفوا ان نعته وصفته في كتبهم مذكور وكان مشركوا
قريش يذهبون الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر من قرا يكن بالتذكير وآية بالنصب على الخبر والاسم ان يعلمه فظاهر ومن
قرا تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبر ان يعلمه فقيل ليست نحويه لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وعن ان يجاب بان
النكرة المضاف مع انه ليس من المعارف الصحيح وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصة في تكن والجملة آية ان يعلمه بدل او خبر له آية
قال جار الله انما كتبت علموا بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت الصلوة والزكوة بالواو ورسم الكتب بقوله ولو نزلناه
بان هو انه لو نزله بالاعجمي فقراه عليهم بعض الاعجمين لم يؤمنوا به لانهم لم يكونوا يفهمونه قال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض
الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به فكيف لكفروا به كما
كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فعلى اي وجه
دبر امرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثله لكن هذه الآية في اول الحجر والحاصل انهم لا
يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان اليأس من ايمان الجاحدين قال في
الكشاف ليس الفاء في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا للاجل ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتبها
في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو
سؤالهم النظرة ونظيره قولك ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتيب في الوجود وتكون في الشدة وقد قلت هذا
معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعقيب في الوجود نظرا الى الظاهر ان شاء الله العزيز ثم تكررهم بعودهم افبعذابنا يستعجلون
وفيه انكار وتهكم اي كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له به حتى استمهل بعد ان كان من العجم فمهله وجوز في الكشاف ان يكون
يستعجلون حكاية حال ماضية يوبخون بها عند استبطائهم او يكون متصلا بما بعده وذلك انهم اعتقدوا العذاب غير كائن فلذلك
استعجلوه وظنوا انهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فانكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الاشر والبطر والاستهزاء
والاتكال على طول الامل ثم قال افرأيت ان الامر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد والاجل والقيمة فهل ينفعهم
ذلك عن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فتلا عليه هذه الآية فقال له ميمون لقد
عظت وبلغت ثم بين انه ما اهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا
يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا لان انذر بمعنى المذكر فان انذروا وذكروا متقاربان
او حالا من الضمير في منذرون او مفعولا له متعلقا به اي ينذرونهم ذوي تذكرة او لاجل الموعظة والتذكرة او التقدير هذه
ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز ان يكون منصوب لمنذرون على حذف المضاف اي ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لبلوغهم في التذكرة
اقصى غاياتها واما البحث عن وجود الواو وعدمه في مثل هذا التركيب فقد مر في اول الحجر في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم الا انا نذكر هنا تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب ان الواو تفيد مزيد الربط
والاجتماع في الحال وفي الصفة ان جوزنا فسواء قدرنا الجملتين اعني قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا

حالا او وصفا فالمقام يقتضي ورود الفصيح على ما ورد وذلك ان في قوله ولها كتاب صفة لانه للعلم قدر فان الكتب في اللوح
وصف ازلي فناسب ان يكون في اللفظ ما يدل على التقرير واللصوق وهو الواو ثم زيد في الثانية بقوله معلوم وبقي له
ما سبق وهذا بخلاف قوله لها منذرون فانها صفة حادثة ما اطلقت وجرد صفة الجملة عن الواو ولذلك والله اعلم ثم
انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معاني كتب الاولين وكان
الكفار يقولون انه من القاء الجن كالكهنة اراد ان يزيل شبهتهم بقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم
التنزل بالوحي وما يستطيعون ثم بين عدم اقتدارهم بقوله انهم عن السمع اي عن سماع كلام اهل السماء لمعزولون وذلك
بواسطة رجم الشهب كما اخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض انهم غير محجوبين بالشهب فالعقل
يدل على ان الاهتمام بشان الصديق يتاقوى منه بشان العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويامر الناس
بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم ذلك وحيث ثبت حقية القرآن امر نبيه بجوامع
مكارم الاخلاق ومحاسن العبادات والعادات قائلا فلا تدع والمراد ادامته كما مر في نظائره من قوله وان اتبعت اهواءهم
وغير ذلك فانذر عشيرتك الاقربين فيه ان الاهتمام بشان من هو اقرب الى المرء اولى وفيه انه يجب ان لا ياخذه في باب
التبليغ ما ياخذ القريب للقريب من المساهلة ولين الجانب يروى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية صعد الصفا فنادى الاقرب
فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك
لكم من الله شيئا سلوني من المال ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم
ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى شبعوا ثم انذرهم فقال يا بني عبد
المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قوله واخفض
جناحك قد مر تفسيره في اواخر الحجر وفي سبحان وزاد هنا لمن اتبعك كيلا يذهب الوهم الى ان خفض الجناح وهو التواضع
ولين الجانب مختص بالمؤمنين من عشيرته واعلم انه لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب
لا للدين وقال في الكشاف سبب الجمع بين اللفظين هو انه سماهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك او اراد
بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان او صدق بهما ولم يتبعه
في العمل ثم امره بالتواضع لاهل الاخلاص في الايمان امره بالتبري من ارباب العصيان واستدل الجبائي به على
ان الله تعالى بريء من عملهم فكيف يكون فاعلا له واجيب بانه ان اراد براءته منه ما امر به فمسلم وان اراد انه لا يريده
فممنوع لان جميع الحوادث الى ارادته ومن غريب قوله وتوكل معطوف على قوله فلا تدع او على قوله فقل اي فوض الامر في
دفع اعاديك الى العزيز الذي يقهر من عادى اولياءه الرحيم الذي لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه
امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو وقع في محنة واستغاث بغير الله تعالى ببعض المخلوقين لم
يخرج من حد المتوكلين ثم عدد من موجبات الرحمة وهي رؤيته قيامه وتقلبه في الساجدين اي في المصلين وللمفسرين فيه
وجوه منها ما روي انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل
الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه في الساجدين تصفحه لاحوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم
وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات كيف يعملون لاخرتهم ومنها ان المراد تصرفه فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود قوله
اني لاراكم من خلف ظهري فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلي خلفه وقيل المراد انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة في مذهبهم ان اباء النبي لم يكونوا كفارا قالوا المراد تقلب روحه من ساجد الى

ساجد كما في الحديث المعتمد عليه عندهم لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى الارحام الطاهرات وما فشهور اهل السنة في النار وبل الذكور
في صحيح الحديث والاصوب عندي لا يشتغل بمنع هذه الدعوى ويسرح الى نفعه الاركان تعلى انه لا يلزم من عدم الدليل عدم
المدلول ثم اكد بقوله وما تنزلت به الشياطين بقوله هل انبئكم على من تنزل قال في الكشاف تعديه اعلى بمن تنزل ليكون الاستفهام
في صدر الكلام كقولك اعلى زيد مررت وقيل هذا تكلف بارد لان الاستفهام في ضمنه لا يصرح به قط والا فاكثر الافاك والاثيم
مبالغة ثم وجه النكير والتنبيه كسطيح ومسيلمة واما الهاء والضمير في يلقون عائد الى الاثيم ظنون كانوا قبل الرجم بالشهب
يختطفون بعض الغيوب من الملا الاعلى بالقاء السمع اي الاصغاء ثم يرجعون به اوليائهم واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون
الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقوا الصدق
السمع بمعنى المسموع اي يلقي الشياطين الى اوليائهم ما يسمعونه من الملائكة ويحتمل ان يكون الضمير في يلقون للافاكين والسمع الاذن
والمسموع اي يلقون السمع الى الشياطين فيلقون   او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واما لم يقل وكلهم كاذبون
لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه انه صادق في الجملة لكن هذه عبارة الفصحاء اذ يحكون حكما كليا ما لم يدع ضرورة والحاصل
انهم كانوا يقتبسون من حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من احوال
محمد الا الصدق فكيف يكون كاهنا ثم بين ما يلزم في منعهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر كما انه ليس بكاهن فقال والشعراء
يتبعهم الغاوون قيل ان الشياطين والاظهر انهم الذين يروون اشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبد الله بن الزبعرى وامية
بن ابي الصلت يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يسمعون اهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم
فاكده بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون ويميلون الذي هو في كل شعب من القول يدعون انا نامعينا ماره وينون باخرى
عالين في كلا الطرفين مستعملين الخيال في كل ما يرومونه وذكر من قبائح خصالهم انهم يقولون عند الصلت والدعاوى
ما لا يفعلون ولعمري انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللوم قالوا وما فعلوا وانهم من شر فعلوا وما
قالوا وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال وجب عليك
الحد وتلا الاية قال قد درأ الله عني الحد يا امير المؤمنين ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين اغلب احوالهم الذكر والفكر
ما لا بأس به من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم مثل عبد الله بن
رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك
والحاصل ان النظر في الشعر على لا على مجرد النظم والروي فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا باس بادخاله
في سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويهيج الطبع على قبوله وهو الذي عناه صلى الله عليه وسلم بقوله ان
من الشعر لحكمة وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذي توجه الذم اليه وللانتصار حد معلوم وهو ان
لا يزيد على الجواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما
قالا فهو البادي ما لم يعتد المظلوم ثم ختم السورة باية جامعة للوعيد كله فقال وسيعلم الذين ظلموا خصصه بعضهم
بالشعراء اذا خرجوا عن حد الانصاف ومالوا الى الجور والاعتساف ولعله عام يتناول كل من ظلم نفسه بالاعراض
عن تدبر ما في هذه السورة بل القران كله وقوله اي منقلب صفة لمصدر محذوف والعامل ينقلبون اي ينقلبون من
الدركات السفلى انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه يعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وعن ابن عباس انه قرأه بالفاء
والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب وهو النجاة **التأويل** ولو نزلناه على بعض

بعض الاعجمين فيه اظهار القدرة من وجهين **الاول** جعل الاعجمي بحيث يقرأ القرآن عليهم كقول القائل امسيت كرديا
واصبحت عربيا **والثاني** ان اهل الانكار لا يبصرون ما هو الاقرار ولو ان هم مثل هذا الاعجاز البين وذلك لان الله كذلك سلكه
في قلوبهم فيأتيهم عذاب البعد والطرد في الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لانهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولوا هل نحن منظرون
وما ينبغي لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم
ولهذا استغيث النار من نور المؤمن وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي فيكون من المعذبين لان كل من طلب مع الله
شيئا اخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وانذر عشيرتك الاقربين فيه ان الخب نسب النفوس فان اكل الوارث يشبع
ولا يشبع والده الا اذا اكل الطعام كما اكل الوالد وهذا معنى المتابعة اني بريء مما تعملون لم يقل اني بريء منكم لان المراد
لا يتبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا بجهدهم عن ذلك الى قبول الحق او ينالوا
الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك في الساجدين بان خلقتها روح كل ساجد من روحك انه هو السميع
في الازل مقالتك يا سيد ولد ادم ولا فخر لان ارواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة

سورة النمل مكية حروفها اربعة الاف وثمانية وتسعة وتسعون كلمها الف ومائة وتسعة واربعون اياتها ثلث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تلك ايات القران وكتاب مبين ۝ هدى وبشرى للمؤمنين ۝ الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ۝ ١ ان
الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون ۝ اولئك الذين لهم
سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون ۝ وانك لتلقى القران
من لدن حكيم عليم ۝ اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سأتيكم
منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ۝ فلما جاءها نودي
ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ۝ يا موسى انه
انا الله العزيز الحكيم ۝ والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون

الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ۝ وادخل يدك في

جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا

قوما فاسقين ۝ فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ۝ وجحدوا

بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝

القراءات اني انا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو بشهاب منونا على ان قبسا بدل او صفة عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الباقون بالاضافة من في النار ممالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان والبخاري عن ورش وابو عمرو وغير ابن هيثم بن حماد وكذلك في القصص الوقوف ولم يعقب الجود طس كوفي مبين لا بناء على ان هدى حال والعامل معنى الاشارة في تلك وجوه رفع بدلا من الايات او جزاء بعد خبر وان كان التقدير هي هدى فلك الوقف للمؤمنين لا لان الذين صفتهم يوقنون ج يعمهون ط تخصيصا على ان اولئك مبتدا مستانف الاخسرون عليم نار ط تصطلون حولها ط العالمين الحكيم لا لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف اي فالقاها فحيت ولم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون لا لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستدراك يوجب الوصل ايضا رحيم ج وقومه فاسقين مبين ج للاية والعطف وعلوا لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف اي فاعرفنا هم ط المفسدين التفسير تلك الايات التي تضمنته هذه السورة ايات القران الذي علم انه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين اي كتاب فان اريد به اللوح فابانته انه اثبت فيه كل كائن فان اريد به السورة او القران والغرض تفخيم شانهما من قبل التنكير فابانتهما ان اعجازهما ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم والحكم ما لا يخفى ولان الواو لا يفيد الترتيب فلا تحكم ظاهرا في عكس الترتيب ههنا وبين ما في اول الحجر ومعنى كون الايات هدى وبشرى انها زيدت في ايمانهم وتبشرهم بالثواب قال جار الله يحتمل ان يكون قوله هم يوقنون من تمام الموصول لا ان الايجاب يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتداء الذي هو هم وكانه قيل وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذي يحمل عليهم متاعب التكاليف واقول انه وصفهم بالايمان لكون اشارة الى علم المبدا ثم وصفهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهما الطاعة بالنفس والمال وهو اشارة الى الوسط ثم وصفهم بعلم المعاد فلا احسن من هذا النسق وفيه ان المهتدي بالقران حقيقة هو الذي يكون خائفا من احوال المعاد لا شاكا فيها اتيا بالطاعات للاحتياط قائلا ان كنت مصيبا فيها فقد نلت السعادة وان كنت مخطيا فلم يفتني الا لذات يسيرة زائلة ثم اورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الا الظاهر على قول الاشاعرة واما المعتزلة فاولوه بوجوه منها انه استعارة وكانه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك النعيم ذريعة وهو الذي يصحح بعض الملابسات ولا ريب ان امهال الشيطان وتخليته حتى يزين لهم اعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان اعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها انه اراد زينا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يتمسكوا به وذلك ان

بان بينا لهم حسنه وما لهم فيه من الثواب فهم يعمهون يعدلون ويتحيرون عنا زينا لهم وقال الحسن لهم سوء العذاب اي القتل والاسر يوم بدر ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الاخبار العجيبة فقال وانك لتلقى القران لتوقاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم واذ قال منصوب بعليم او باذكر كانه قيل خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة السان والخبر جز الطريق لانه كان قد ضل وفي قوله سآتيكم مع قوله في طه والقصص لعلي اتيكم دليل على انه قوي الرجاء الا انه كان يجوز التعقيب وعد اهله بانه يأتيهم باحد الامرين وان ابطأ لبعد المسافة وغيره قالوا في دليل على تنجيزه بوجدان احد الامرين مشقة بعباده الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها ولما خصت هذه السورة بقوله فلما وقد قال في طه والقصص فلما اتيها نودي لانه كرر لفظ اتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه فالاشتقاق من احدى وان مفسرة لان النداء فيه معنى القول لا مخففة من الثقيلة بدليل ان قد في فعلها قال جار الله معنى بورك من في النار ومن حولها بورك في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت النار فيها كما قال في القصص نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وسبب البركة حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور اي تبارك من في النار وهو الله سبحانه مروي عن ابن عباس وعن قتادة والزجاج ان من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائي ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة وهي من الشام فكانت الشجرة محلا للكلام والمتكلم هو الله بان خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها الملائكة وقيل من في النار موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا الخطاب عند مجيئه بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه البركة في ارض الشام وفي قوله وسبحان الله رب العالمين تنزيه عما لا يليق بذاته من الحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على ان الكائن من جلائل الامور التي لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء في انه اما الشان واما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام اي ان المتكلم انا والله مع وصفه بيان لانا وفيه تلويح الى ما اراد اظهاره عليه يريد انا القادر القوي على اظهار الخوارق الحكيم الذي لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله والق عصاك معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما اقتصر ههنا على قوله لا تخف ولم يضف اليه اقبل كما في القصص لانه اراد ان يبني عليه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون وسبب نفي الخوف عن الرسل مشاهدتهم مزيد فضل الله وعنايته في حقهم ثم استثنى من ظلم منهم بترك ما هو اولى به وقد مر بحث عصمة الانبياء في اول البقرة وفي الاية لطائف واشارات منها انه اشار بقوله اني لا يخاف لدي المرسلون الى ان موسى قد جعل رسولا ومنها انه اشار بقوله الا من ظلم الى ما وجد من موسى في حق القبطي وبقوله ثم بدل حسنا بعد سوء اي توبة بعد ذنب الى قول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقرئ الا حرف التنبيه ومنها انه اشار بقوله ثم بدل معطوفا على ظلم الى ان الذي ظلم بدل التوبة البتة ولم يصر على فعله والا كان هذا العطف مقطوعا عن الكلام ضائعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا ايضا ومنها انه اشار بقوله فاني غفور رحيم الى ازالة الخوف وان الخوف المستثنى الا انه منتف عنه ايضا بسبب غفران الله ورحمته فنفي الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء قريب من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو البدر الا ان البحر زاخر وكقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ومن اللطائف مما سمح بها الخاطر وان الكاتب رجاء ان يكون صوابا ان شاء الله العزيز قوله وادخل يدك وفي القصص اسلك يدك موافقة لاضمم ولان المبالغة في ادخل اكثر منها في اسلك لان اسلك لازم متعد وهناك قال فذانك برهانان وههنا قال في تسع ايات وكان ابلغ في العدد فناسب الابلغ في اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف مستانف اي اذهب في تسع ايات والمراد وادخل يدك في تسع اي في جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون

وتفسير التسخ وقد مرّ في اخر سجان وانما قال صبنا الا فرعون وقومه دون ان يقول ولا يده كما في القصص لان الملاء اشراف القوم
وقد صغيهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الحق له ظلما وعلوا لم بناسب ان يطلق عليهم لفظ مبني عن المدح ومعنى مبصرة ظاهرة بينة كانها
تبصر فتهدى ويجوز ان يكون الابصار مجازا باعتبار ابصار صاحبها وكل ذي عقل او فرعون وقومه والواو في واستيقنتها
للحال وقد مضمرة وفي زيادة انفسهم اشارة الى انهم اظهروا خلاف ما ابطنوا والاستيقان ابلغ من الايقان والمبصرة طباق المبين فلم
ظلما وعلوا اي كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قراها علي ابن الحسين وقتادة والله اعلم
التأويل الا طلب الطالبين وسبيل سلامة قلوبهم من تعلقات بحر الله بملك دلالات القرآن وشواهد انواره وكتاب مبين فيه
بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله الذين يستقيمون في المعارج بحقائق الصلوات ويؤتون
زكوة اموالهم واحوالهم بالافاضة على المستحقين زينا لهم عالم الدنيا بيد الغسابة منهم يعمهون لعمي قلوبهم عن رؤية الآخرة
ونعيمها لانه كون من عالم الاخرة عمي الا كانا صموا ابكما ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم فحب الدنيا عمية عين
القلب وصمة اذنه وصار ابكم عن الذي هو النطق به ومن سوء العذاب وهو الحجب في خسران الدارين خسران المولى وانما
يكون خسران الدارين بعدوه جاذ ادرج الوصل وجدا بو زيد في البداية فجعل يلتقو باعليه خير الدنيا والآخرة فبكى وقال
راس صوفي فيخبر عن مقامات المؤمنين ودركات الكافر مخبرا عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لتلقى
القرآن لا من عند جبرئيل من لدن حكيم تجلى لقلبك بجلى القرآن عليم بعلم حيث يجعل رسالاته ثم ضرب مثلا لذلك
انه موسى القلب لما كشف له انوار شواهد الحق في ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها اني
انست نارا بوادي المن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها فظهر له نور الشوق وصدق الطلب نودي من
شجرة الروحانية ان بورك من في النار المحبة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومن حولها كالفراش يريدان يقع فيها والوقوع يد
فيها كما يعمه عليه سوى فضل الله فان نجاة في الحقيقة وتلك مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودي لا
تخف فان القلوب المهملة المرسلة اليها الهدايا والتحف والالطاف لا يخاف سوى الله الا من ظلم نفسه بالرجوع الى الغير واذ خل يد
همتك في جيب قناعتك تخرج بيضاء نقية من لوث الدارين في تسع آيات من اسباب هلاك النفس وصفاتها كيف كان
عاقبة الدنيا فسدوا الاستعداد الفطري والله حسبي

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا
مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى
وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ
فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا
شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ
فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ
امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدْتُهَا
وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝
قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ اذْهَبْ
بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ
سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ
وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ۝

والامر اليك فانظري ماذا تامرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وانى
مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان
قال اتمدونن بمال فما اتـٰني الله خير مما اتيكم بل انتم
بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم
بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون قال يايها الملؤا
ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت
من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى
امين قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلونى ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر
لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها
عرشها ننظر اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت
قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت
من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة

لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير
قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين

القراءة واد النمل بالامالة عباس وقتيبة وقوله يعقوب وعلى والبرندى عن قنبل بالياء فى الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس ورويس اوزعني ان بفتح الياء ابن كثير وكذلك فى الاحقاف مالى لا بفتح ياء المتكلم ابن كثير وعلى وعاصم ليأتيني بنونين الوقاية بعد التثقيلة ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير رويس الاخر والباقون من سبا بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزى وابو عمرو وقيل بهمزة ساكنة فى رواية اخرى عنه وعن ابن فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك فى سورة سبا الا يسجدوا بالتخفيف يزيد وعلى ورويس الاخرون بالتشديد وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على الايه والابتداء اسجدوا يخفون وتعلنون بتاء الخطاب فيهما على وحفص الباقون على الغيبة فالقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وابو عمرو غير عباس وقرأ بالاختلاس حركة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمى عن اليزيدى الباقون بالاشباع انى القى بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اتمدونن بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونافع وابو عمرو فى الوصل اتمدونى بتشديد النون وبالياء فى الحالين حمزة ويعقوب الاخرون باظهار النونين وحذف الياء اتانى الله بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن فليح وحفص عن فتح الياء فالوقف بالياء لا غير ومن حذف الياء فانه يقف بغير ياء الا سهلا ويعقوب فانهما يقفان بالياء وقرأ على اتانى الله بالامالة انا اتيك بالامالة وكذلك بعد حمزة فى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وابو عمرو خلف لنفسه فلما راته بكسر الراء يصر ليبلونى بفتح الياء ابو جعفر ونافع ساقيها بالهمزة ابن مجاهد وابو عون عن قنبل والاخرون تركها قال فى الكشاف من همز فوجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد

الوقوف على الحمد ولعمر بيان ابتداء المفضل ابتداء الذكر قول المنعم عليهما شكرا ووفاء المؤمنين شئ المبين يوزعون النمل لانها بعد جواب اذا مساكنكم لانقطاع النظم لنهى الغايب مع اتحاد القايل وجنوده لانها بعد الواو للحال لا يشعرون الصالحين الهدهد على معنى بل كانت من الغايبين على التهديد والاصح ان ام متصلة بمعنى الاستفهام فى مالى اى ما لى لا اراه وهو غايب الغايبين مبين يقين عظيم لا يهتدون ومن خفف الا وقف مطلقا يعلنون العظيم سجدة الكاذبين يرجعون كريم الرحيم لتعلق ان مسلمين امرى لانقطاع النظم مع اتحاد القايل تشهدون تامرين اذلة لان قوله وكذلك يحتمل ان يكون من تتمة قولها او هو تصديق من الله لما قالت يفعلون المرسلون بمال لان الاستفهام مع فاء التعقيب وبيان الاستغناء على التفصيل اتاكم لاختلاف الجملتين على ان رجح جانب الوقف تفرحون صاغرون مسلمين مقامك للابتداء مع اتحاد القايل امين طرفك الله ام القول لنفسه كريم لا يهتدون عرشك هو لاحتمال ان يكون ما بعده من كلامها او من كلام سليمان مسلمين من دون الله كافرين الصرح ساقيها قوارير العالمين

التفسير لما فرغ من قصة موسى شرع فى قصة ثانية وهى قصة داود وابنه سليمان والتنوين فى علما اما للنوع اى طائفة من العلم او للتعظيم اى علما غزيرا قال علما

المعاني الواو في وقالا للعطف على هذا مقام الفاء كقولك اعطيته فشكر والتقدير ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفاه
حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان انما يحسن ان كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل
الطاعة وترك المعصية وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا و
وقالا باللسان الحمد لله قلت لقائل ان يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء ممنوع وانما يكون كذلك اذا اريد التعقيب
والتسبيب فاما ان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا فالواو كقولك اعطيته وشكر وقوله على كثير من عباده
يجوز ان يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع اهل زمانهما ويجوز ان يكون واردا على الحقيقة بالنسبة
الى زمانهما او بالنسبة الى سائر الازمنة وهذا اظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين لئلا يظن ان سبب الفضيلة هو مجرد
الايمان ولكن ما يزيد عليه من الاستغراق في بحر العبودية والعرفان وفي الآية دليل على شرف العلم وان العالم يجب ان تتلقى
عليه نعم الله تعالى قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله وورث سليمان داود عن الحسن انه المال لان النبوة عطية
مبتدأة ورد بان المال ايضا عطية مبتدأة ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا او قاتلا
وما المانع من ان يوصف بانه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته والظاهر انه اراد وراثة
النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعا للناس الى تصديق المعجزة يا ايها الناس علمنا منطق الطير والمنطق كل
ما يصوت به من المفرد والمؤلف مفيدا وغير مفيد ومنه قولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل الطير في ايامه مما
له عقل وليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها ما الهمه الله تعالى الدقائق التي خصت بالحاجة اليها يحكى انه مر على
بلبل في شجر فقال لاصحابه انه يقول اكلت نصف تمرة وعلى الدنيا العفاء اي التراب وصاحت فاختة فاخبر انها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال انه يقول كما تدين تدان واخبر ان الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف
يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه والقمري يقول سبحان ربي الاعلى
والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما
شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس وقوله من كل شيء قال في الكشاف اراد كثرة ما اوتي كما تقول
فلان يقصده كل احد تريد كثرة قاصديه وانما قال علمنا واوتينا لانه اراد نفسه واباه ويجوز ان يريد نفسه فقط لانه على
طريق التكبر على عادة الملوك يعظمون انفسهم لمصلحة الترهيب وقوله ان هذا لهو الفضل المبين قد ورد على سبيل الشكر
والتحدث بالنعم كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا شكرا لا فخرا يروى ان معسكره كان مائة
فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها
ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا
البساط فتسير به مسيرة شهر وكان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود ومعنى يوزعون
يحبسون قيل كانوا يمنعون من تقدم من عسكره ليكون مسيرهم على ترتيب ومنه يعلم انه كان في كل قبيل منها وازع
ولابد ان يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويرد فيهم ومعنى اتوا على وادي النمل قطعوه وبلغوا آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه
وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز ان يقصدوا انهم من فوق لان الريح كانت تحملهم في الهواء
فلذلك عدي بعلى عن قتادة انه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام
حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى لقوله تعالى قالت نملة ولو

كان ذكرا لجيء بالتاء حاصله ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلابد من التمييز بالعلامة وحين عبر عن
النمل بلفظ العقلاء وجعل خطابهم خطاب اولي العقل فحكى انها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
اما جواب للامر واما نهي بدل من الامر اي لا تكونوا حيث يحطمنكم اي يكسركم سليمان وجنوده على طريقه لا امسكنكم هنا وفي
قوله سليمان وجنوده ان يقول جنود سليمان مبالغة احترازية كما تقول اعجبني زيد وكرمه وفي الآية دلالة على ان في الطريق
لا يلزمه التحرز في الطريق المعترض وفي قولها وهم لا يشعرون تنبيه على وجوب الجزم بعصمة الانبياء
كأنها عرفت ان النبي لعصمته لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وعن بعضهم انها خافت على قومها ان يقعوا
في كفران نعمة الله تعالى اذا رأوا جلالة سليمان وهذا معنى الحطم فلذلك امرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على ان مجالسة
ارباب الدنيا محذور قيل سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا اي شارعا في الضحك واخذا فيه ولكن لم يبلغ
حد القهقهة وكمال الضحك وما روي انه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة في الضحك النبوي وانما
ضحكه من قولها تعجبا من شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى ولذلك مال الى الدعاء
فقال رب اوزعني قال جار الله حقيقة اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واربطه لا ينقلب عني فلا ازال شاكرا لك وانما ادرج
ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب ان يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية
فقال وان اعمل صالحا ترضاه ثم دعا ان يجعله في الآخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود يروى ان النملة
احست بصوت الجنود ولم تعلم انهم في الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا
بالدعوة **القصة الثالثة قصة بلقيس** وما جرى بينها وبين سليمان وذلك بدلالة الهدهد يروى ان
سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع حشره فاتى الحرم ومكث بها ما شاء يقرب كل يوم بخمسة الاف ناقة وخمسة
الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة
شهر فرأى ارضا اعجبته بهجتها الا انهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء تحت الارض وعن وهب انه اخل
بالنوبة التي كانت نوبتها فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت
فاذا هو مقبل فقصدته فناشدته بالله ليتركنه فتركته وقال الا بحق الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى
قال او ليأتيني بسلطان مبين اي بعذر واضح فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض متواضعا له فلما
دنا اخذ سليمان برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
عما لقي في غيبته وفي تفقد الهدهد اشارة الى ان الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن اصغر رعيتهم وارجع
الى التفسير قوله ما لي لا ارى استبعاد منه انه لا يراه وهو حاضر في الجند كأن ساترا ستره ثم لاح له انه غائب فقال ام
كان من الغائبين وقد مر في الوقوف قوله لاعذبنه لا شك انه تعذيب بما يكون بما يعمله حاله فقيل ان ينتف ريشه
ويشمسه وكان عذابه للطير وقيل كان يطلى بالقطران ويشمس وقيل بان يلقيه للنمل تأكله وقيل ابعاده المعتق وقيل التفريق
بينه وبين الفه وقيل الزامه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه
ولعل تعذيب الهدهد وذبحه في عصره جائز لمصلحة السياسة كما اباح لنا ذبح كل مأكول اللحم لمصلحة التغذي وحاصل القسم رجح
القول ليكون احد هذه الامور الثلاثة التعذيب او الذبح او الاتيان بحجة واضحة ويحتمل ان
يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحي فلذلك ادرجه في سلك ما هو قادر على فعله فاقسم عليه ثم اخبر الله سبحانه انه لم

بسلطان مبين وذلك قوله فمكث غير بعيد اي غير زمان بعيد فقال احطت بما لم تحط به وقالوا ابطال قول
من زعم ان امام الزمان لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وفيه دليل على شرف العلم وان صاحبه له ان يكافح به من هو
اعلى حالا منه والاحاطة بالشيء علما هو ان يعلم من جميع جهاته وقوله من سبا بنبأ من جملة صنائع البديع على ان النبأ خبر له
شان فذكره في هذا الموضع دون ان يقول من سبا بخبر حسن على حسن وسبا اسم للقبيلة فلا ينصرف او اسم للحي
او الاب الاكبر فينصرف وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مارب بسبا بينها وبين صنعاء ثلث
مراحل ويحتمل انه اريد بسبا المدينة والقوم ثم شرع في النبأ وهو قوله اني وجدت امرأة اسمها بلقيس بنت شراحيل ملك اليمن
كابرا عن كابر وكان تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها فورثت الملك وكانت هي وقومها مجوسا عبدة الشمس والضمير في تملكهم يعود الى
سبا ان اريد به القوم والى الاهل المحذوف ان اريد به المدينة واوتيت من كل شيء اي بعض ما يتعلق بالدنيا من الاسباب ولهذا
عرش عظيم لانه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمان واستعظمه في نفسه لانه لم يكن لسليمان مثله مع علو
شانه وقد يتفق لبعض الامراء شيء لم يكن مثله لمن هو فوقه في الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسئلة لم يطلع عليها احد
كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمان ووصف كل شيء بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق الله من
السماوات والارض يحكى عن عظم شانها انه كان مكعبا ثلثين في ثلثين او ثمانين في ثمانين وكان من ذهب
وفضة مكللا بانواع الجواهر وكذا قوائمه وعليه سبعة ابيات كل بيت باب مغلق قال بعض العقلاء وزين لهم الشيطان
اعمالهم الهدهد لا يصلح للجد والتحقيق فيه قدره ولا
يبعد ان يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا في زمن سليمان عليه السلام قوله الا يسجدوا من
قرأه بالتشديد على ان الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لان لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون
فلا مزيدة اي يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأه بالتخفيف فقوله الا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير
الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر قال الزجاج السجدة في الاية على قراءة
التخفيف دون التشديد والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر بالسجود في الاقتضاء والخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه ومن جملة ذلك اطلاع الكواكب من افق المشرق بعد اختفائها في افق المغرب ومنها الاقضية
والاحكام والوحي والالهام ومنها انزال الملائكة وكل امر علوي وفي تخصيص وصفه سبحانه في هذا المقام باخراج الخبء اشارة
الى ما عليه الهدهد من قدرة الله تعالى في اخراج الماء من الارض الهمه هذا التخصيص كما الهمه تلك الملكة ونبه الى كلام الهدهد
الاهن العابد قال سليمان سننظر اي نتأمل في صفحات حالك اصدقت ام كنت من الكاذبين وهذا ابلغ من ان لو قال
ام كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما فيما اخبر به ثم ذكر كيفية النظر في امره فقال اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكان سليمان قال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما فيه بامر الدين
والمثل هذا في الكشاف الا تعلوا علي واتوني مسلمين ومعنى ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليسمع ما
يقولونه ويجيبونه من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى انها كانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة
وقيل اتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وقيل كانت في
البيت كوة تقع الشمس منها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحه فلما رات ذلك قامت اليه فالقى
الكتاب اليها وههنا اضمار اي فذهب فالقى ثم توارى ثم كان ما سال عنه ماذا قالت بلقيس فقيل قالت يا ايها الملأ اني القي الي

كتاب كريم مصدر بالتسمية حسن مضمونا وهي من عند ملك كريم او هو مختوم روي انه طبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه
قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه ولم يختمه فقد استخف به ثم ان سائلا كانه قال فما
في الكتاب وما هو فقالت انه من سليمان وحين فتحت الكتاب وانكبت وكيت سؤالهم قدم سليمان اسمه على اسم الله والجواب
انها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لاحد اليها طريق ورأت الهدهد وعلمت انه من سليمان وحين فتحت الكتاب رأت
التسمية ولذلك قالت ما قالت او لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب انه من سليمان فقرأت عنوانه اولا ثم اخبرتهم بما في الكتاب و
لعل سليمان قصد بذلك انها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم لسليمان لا لله تعالى وان في ان لا تعلوا مفسرة او التي بمعنى اي ولا
نهي وانما يفعل الملوك يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى
اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكان كتب عليهم السلام جملا وانه جاز انه تشتمل على تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن
الرحيم على اثبات الصانع وصفاته والنهي في اي عن الترفع والتكبر وامر بالانقياد للتكاليف كل ذلك ببطلان الجهر رسالة
الهدهد قوله قالت يا ايها الملأ استيناف اخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى افتوني اشيروا علي بما عندكم من الراي والتدبير
الجواب في الحادثة واصلها من الفتاء في السن وقطع الامر فصله والقضاء فيه ولذلك بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم
واستطلاع ارائهم فاجابوا بانهم اصحاب القوى الجسمانية والخارجية واهل النجدة والبلاء في الحرب دفع ذلك فوضوا الامر
اليها فما احسن هذا الادب ويحتمل ان يراد نحن من ارباب الراي والمشورة وانما الراي رايك وحيث كان يلوح من وصفهم انفسهم
بالشجاعة والعلم بامور الحرب انهم يميلون الى المحاربة ارادت ان تنبههم على الامر الاصوب وهو الميل الى الصلح فذكرت ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وذكرت انهم اذا ارادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فلا فساد في غزو لازم بل لعل الاصطلاح الزم اذا
سلك سبيل العدل والانصاف فليس للظلمة في الاية حجة ومفعول مرسلة محذوف اي مرسلة رسلا مع هدية وهي اسم
المهدي كالعطية اسم المعطى وانما ارادت الاهداء لان الهدية سبب لاستمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا
فان في الكشاف روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج مصفحة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا
مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو
واخر ذا راي وعقل والغلمان كالجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان
نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا
لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم
خلق كثير فاقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا
فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب على اللبنات فتقاصرت
اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما
فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها
ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار اتمدونن بمال ثم قال
على سبيل الاعلام وتعليل الانكار فما اتاني الله من الكمالات والقربات والدرجات خير مما اتاكم ثم اضرب عن ذلك الى

بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يفرحون الفرح الاتي ان يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا يكون الهدية مضافة الى المهدى اليه ويجوز ان يكون مضافة الى المهدي والمعنى انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك ويحتمل ان يكون الكلام عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول او للهدهد محملا كتابا آخر ارجع اليهم وحين لا قبل الطاعة ولا مقابلة والذلة ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا الى مع ذلك في اسر واستقبال وروى انه لما رجعت اليها الرسول عرفت ان سليمان نبي وليس لهم به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل مع كل قيل الوف وامرت عند خروجها ان يجعل عرشها في آخر سبعة ابيات في آخر قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حراسا فلعل سليمان اوحي اليه ذلك فاراد ان يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات فلذلك قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها وعن قتادة اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد بذلك اختبار عقلها كما يجيء وقيل اراد ان يعرف محلها او مقدار ملكها قبل وصولها اليه والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وهو نعت فعليت قالوا كان اسمه ذكوان والنكرة في الموضعين يجوز ان يكون المقام هو المجلس ولا بد فيه من عادة معلومة حتى يصح ان وقت به وعلى هذا قيل المراد مجلس الحكم وقيل معناه قبل فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف النهار واني عليه اي على حمله لقوي امين اتى به على حاله لا انصرف فيه بشيء واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر عليه السلم وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل آصف بن برخيا وزيره او كاتبه وقيل هو سليمان نفسه استبطاء العفريت فقال له انا اريك ما هو ابرع مما تقول وقد رجح هذا القول بوجوه منها ان الشخص المشار اليه بالذي يجب ان يكون معلوما للمخاطب وليس سوى سليمان ولو سلم ان آصف ايضا كان كذلك فسليمان اولى بذلك ولذلك باحضار العرش في تلك اللحظة والانوار بفضل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمان هذا من فضل ربي ويمكن ان يقال الضمير راجع الى احضار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى ان كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من ان يأمر الانسان غيره بشيء ان يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشيء واختلفوا ايضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان او كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم فقيل نوع من العلم لا يعرف الان والاكثرون على انه العلم باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك ان غالب بن قحطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاري في منامه ثلث ليال متواليات قل يا غالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجز الوعد يا حي لا اله الا انت صل اللهم على محمد وال محمد وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع موضع النظر واذا فتحت العين توهمت ان نور العين امتد الى المرئي واذا اغمضت توهمت ان ذلك النور قد ارتد فمعنى الاية انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك يروى ان آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم ظهر عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ومن استبعد هذا فقدره الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهندسة حتى يزول الاستبعاد وقال مجاهد هو مثل للاستقصار في هذا الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة او لمحة وحين عرف سليمان ان نعمة الله في شأنه وان ذلك صورة الابتلاء بين ان شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لا المزيد كما قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعم المفقودة وروي في الكشاف عن بعضهم ان كفران النعمة بوار فلما افتنوا نافر فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها

رابعها يكون الجوار بقوله اقشعرت نافرة اي ذهبت في حال تغايرها وراهنها اي ثابتها ومن كفر فان ربي غني عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر كريم لا يقطع امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا ان يتزوجها سليمان فيفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وخافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله نكروا لها عرشها اي اجعلوه منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قال وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقوله ننظر بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف لتهتدي لمعرفة العرش او للجواب الصائب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك الخوارق وقوله ام تكون من الذين لا يهتدون ابلغ من ان لو قال ام لا تهتدي وذلك كما مر في قوله ام كنت من الكاذبين فلما جاءت قيل اهكذا عرشك اي امثل ذا عرشك لئلا يكون سببه تلقين فقالت كانه هو ولم تقل هو مع انها عرفته لتكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وتوقفت في مقام التوقف اما قوله واوتينا العلم فمعطوف على مقدر كانهم قالوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان بهذه الخوارق واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها من ظهراني الكفرة والتحدث بنعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او الحالة وذلك عند وفد المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ما كانت تعبد من دون الله وقيل الجار محذوف اي وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد واختبر ساقيها بان امر ان يبني على طريقها قصر من زجاج ابيض فاجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم قيل لها ادخلي الصرح اي القصر او صحن الدار فلما رأته حسبته لجة اي ماء غامرا وكشفت عن ساقيها لتخوض في الماء فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف سليمان بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير اي مملس من قوارير هذا عند من يقول تزوجها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها غمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلثة ايام وولدت له ولد قالوا وكون ساقيها شعراء هو السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما اسلمت قال لها اختاري من ازوجك فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن ولم يزل بها ملكا قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالكفر في الزمن السالف او بسوء ظني بسليمان اذ حسبت انه يغرقني في الماء وهذا التفسير انسب بما قبله ولعل في قولها مع سليمان اي مصاحبة له اشارة الى ان اسلامها تبع لاسلام سليمان وانها تريد ان تكون معه في الدارين جميعا والله اعلم

التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمان القلب علما الدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة في العبودية وورث سليمان داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره على داود الروح الا انه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمان اقضى من داود وقوله منطق الطير يعني الرموز والاشارات التي يحفظها بلسان الحال ارباب الاحوال الطائرين في هواء سماء القلب وقيل اراد الخواطر الملكية الروحانية قوله من الجن والانس والطير اي من صفات الشيطنة والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالرعية وادى النمل

هوى النفس الحريصه على الدنيا وشهواتها قالت نملة هي النفس اللوامه يا ايها النمل هي الصفات النفسانيه ادخلوا مساكنكم محالكم
المختلفه وهي الحواس وهم لا يشعرون انهم على الحق وانتم على الباطل لان النمل لا خبر عندها من نورها ولا من الظلم
التي تزيلها نعمتك التي انعمت علي بتسخير جنودي لي وعلى والدي وبما يلحق الروح والجسد انعم على الروح بافاضه
الفيوض وعلى الجسد باستعماله في اركان الشريعه وفي قوله بنبأ يقين اشاره الى ان ارباب الخبر لا يخبر الا عن يقين
وبصيره ولا سيما عند الملوك وفي قول سليمان سننظر اصدقت اشاره الى ان خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه
الا بامارات اخر كتاب كريم كانها عرفت انها بكرامه سيدي الحضره الكريم ان الملوك الصفات الربانيه اذا دخلوا قريه
الشخص الانساني افسدوها بافساد الطبيعه الحيوانيه وجعلوا اعزه اهلها وهم النفس الاماره وصفاتها اذله بسطوات
التجلي وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفي قوله ايكم يأتيني بعرشها اشاره الى ان سليمان ان كان واقفا على
ان في قومه من هو اهل لهذه الكرامه وكرامات الاولياء من قبيل اعجاز الانبياء قيل لها ادخلي الصرح فيه دليل على ان
سليمان اراد ان ينكحها والا لم يجوز النظر الى ساقها او سلمت نفسي للنكاح مع سليمان لله رب العالمين
وتفقد الطير هم اهل العشق الطياره في فضاء سماء القدس وحول عالم الانس والهدهد هو الرجل العلي الذي
عول على فكره واعمال قريحته في استنباط حقائق الاسرار وكوامن الاسرار عذابا شديدا بالرياضه والمجاهده او
لاذبحنه بسكين مخالفات الاراده سبأ مدينة الاختلاط والانس بالانس والمراه الدنيا وابحتها وعرشها العظيم
حب الجاه والمناصب يسجدون لشمس عالم الطبيعه وهو الهوى والهديه عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش
قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى تنقاد الاعضاء والجوارح بالكليه لاشتغال العبوديه لان اخر ما يخرج من
رؤوس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضه الشديده والذي عنده علم من الكتاب هو الجذبه الالهيه التي توازي
عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه للهوى بحبه للحق والصرح هو الترقي من الدنيا الى الحق بالحق
وكشف الساق كنايه عن اشتداد الامر عليه والقوارير عباره عن رؤيه بواطن الاشياء مع
الاشتغال بظاهرها وهذه من جملة منطق الطير نفهمهم ان شاء الله العزيز وحده

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان
يختصمون ۝ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون
الله لعلكم ترحمون ۝ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم
عند الله بل انتم قوم تفتنون ۝ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الارض ولا يصلحون ۝ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه
ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ۝ ومكروا مكرا ومكرنا

مكرا وهم لا يشعرون ۝ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين ۝ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في
ذلك لاية لقوم يعلمون ۝ وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ۝
ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون ۝ ائنكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون ۝ فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون ۝ فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ۝ قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى الله خير اما يشركون ۝ امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون ۝ امن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا
ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون ۝
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي

رحمته ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم
يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ءاله مع الله قل
هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في
السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون
بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون

القراءات لنبيتنه على الجمع المخاطب وهكذا ليقولن حمزة وعلي وخلف الباقون بنيهما على التكلم مهلك بفتح الميم
واللام ابو بكر غير البرجمي وحماد والمفضل وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر
والمكان والزمان انا دمرناهم وان الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وبيا سيكم مذكور في الانعام
يشركون بياء الغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وسهل عاصم الله مثل اسكم الوحي على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي
وخلف يذكرون بياء الغيبة ابو عمرو وهشام الاخرون بتاء الخطاب بل ادرك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن
كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وفي بعض المفضل بل ادراك بهمزة موصولة ودال مشددة الشموني الباقون مثله ولكن
بالف بعد الدال **الوقوف** يختصمون ○ الحسنة ج لابتداء استفهام اخرج مع اتحاد القائل ترحمون ○
معك ط تفتنون ○ ولا يصلحون ○ لصادقون ○ لا يشعرون ○ مكرهم ط لمن قرأ انا بكسر الالف على الاستيناف اجمعين ○
ظلموا ط يعلمون ○ يتقون ○ تبصرون ○ النساء ط تجهلون ○ لجهل الغيرون ○ قريتكم ج لاحتمال تقدير لام
التعليل يتطهرون ○ الا امرأته ز لاحتمال ان ما بعده استفهام والاظهر انه حال بتقدير استثناء امرأته مقدرة في
الغابرين ○ مطرا ج المنذرين ○ اصطفى ط يشركون ○ لا انما بعده استفهام مستأنف وام منقطعة بتقدير بل
أمن خلق السموات خير ام ما يشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول عن اتحاد القول بهجة ج لاحتمال كون ما بعده صفة
او استينافا شجرها ط مع الله ط يعدلون ○ حاجزا مع الله ط لا يعلمون ط خلفاء الارض ط مع الله ط ما تذكرون ط رحمته ط
مع الله ط يشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ○ الا الله ط يبعثون ○ عمون ○ **التفسير القصة الرابعة قصة ثمود**
والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه وقيل ان يؤمن منهم احد والاختصام قول كل فريق الحق معي وفيه دليل على ان الجدال
في باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة انه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى
استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك انهم قد قالوا في انفسهم ان التوبة مقبولة بعد وقوع
العذاب فقالوا ائتنا بالعذاب وقيل تعقب العقوبة فاحينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة لولا للتحضيض ولا يجوز ان يوجه
وفيه تنبيه على خطائهم وتجهيل لهم قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك وكانوا قد قحطوا قال طائركم اي سببكم الذي
يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره او ان عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العقاب ومعنى التطير والطائر قد

قدم في الاعراف ونبه سبحانه على نزول العذاب بقوله بل انتم قوم تفتنون اي تعذبون او تختبرون او تفتنكم الشيطان
بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله وكان في المدينة يعني منزلهم المسمى الحجر وكان بين التسعة والاثنين
تسعة رهط لم يجمع المميز لان الرهط في معنى الجمع وهو من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة وقد وقد عدتهم في الكشاف
اسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشيء من الاصلاح ومن جملة الافساد انهم
يقتلون والقاسم المخالفة فكان امرا فظاعهم وانه كان بحجر فجعل بنصب بالعصا وقد اي قالوا اقسموا بالله لنبيتنه وانبياء البيت الخيم
على اهلاك العدو ليلا واسير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقال في الكشاف وكانهم
اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا لوليه ما شهدنا مهلك اهله فذكروا
احدهما صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا الا احدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح ان ياتي العاقل بالخبر
على خلاف المخبر عنه يروى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ
منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم
فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت الآية عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب
الله كلا في مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله قيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة فدمغوهم
بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرأ انا دمرناهم بالفتح فرفع المحل بدل من العاقبة او خبر محذوف اي هي
تدميرهم او منصوب على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار او مجرور بتقدير لانا وجوز في الكشاف على هذا التقدير
ان يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى الاشارة في تلك وانما قال في هذه السورة
وانجينا الذين آمنوا فقدم الانجاء على الاهلاك واطرانا وكلها على ما فعل وقال في حم السجدة ونجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون ليوافق ما قبله وما بعده ترتيبا وتمثيلا والله اعلم **القصة الخامسة قصة لوط** وانتصب لوطا
باضمار اذكر او بما دل عليه ولقد ارسلنا واذ بدل على الاول لمعنى الجر والوقت ظرف على الثاني وتبصرون اما
من بصر الجاسة فكانهم كانوا معلنين بتلك المعصية في ناديهم او اراد ترون آثار العصاة قبلكم او من بصر القلب والمراد
يعلمون انها فاحشة لم يسبقوا بمثلها او على هذا المعنى قوله بل انتم قوم تجهلون انكم تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة
مع علمكم بذلك او اراد جهلهم بالعاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها والخطاب في قوله تجهلون وقرئ
بياء الغيبة نظرا الى الملعوف وهو قوم مجازا من حيث القرينة وباقي القصة مذكور في الاعراف قل الحمد لله قيل هو
خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على اهلاك كفار قومه مجازا وبسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة
من العذاب وقال جمهور المفسرين امر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على الانبياء واتباعهم الناجين
والاكثرون على انه خطاب مستأنف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستئصال
مرتفع عن قومه فامره الله سبحانه بان يشكره على هذه النعمة وسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع
في الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه تنبيه على ادب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلاة قبل الشروع
في كل كلام يعتد به ولقد توارثه العلماء خلفاء من سلف فافتتحوا بها امام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل امر ذي شان
قال جار الله معنى الاستفهام وام المتصلة في قوله الله خير اما يشركون الالزام والتبكيت والتهكم بحالهم وتنبيه على الخطاب
المفرط والجهل المفرط لانه من المعلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين ما هو خالق كل خير وما لكه قلت يحتمل
ان يكون هذا من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل

ولكونه عدل عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدئ فيما هو ابين الخبيات فقال امن خلق السموات وانزلنا
فالتفت ههنا وانزل لكم واقتضى جابر حيث على قوله وانه لدى نفظ لكم وبرجت هنالك بالاخره وليس قوله ماكان لكم معينا عن ذكره
لانه نفي لا يعتمد مع الاول وفي الالتفات من الغيبة الى التكلم في قوله فانبتنا تاكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانبات
قد يتوهم ان للعبد مدخلا في ذلك من حيث الغرس والسقي والحدائق جمع الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق الاحاطة
البهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به واتمام بقوله ذات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما يقال النساء ذهبت بمعنى
البهجة الحسن والنضارة لان الناظر الى بهجتها اذا ما تبعه يقرب به ويحصل فيه شريك له قال في الكشاف قوله ما كان لكم بعد الخطاب ابلغ في تخطيه
رايهم قلت انما تبين الغيبة ههنا لان الخطاب في قوله ماكان لكم اعم عن جميع الناس اي ما صح وما ينبغي للانسان انبات تحته الايات
ولو قال بعد ذلك بل انتم لزم ان يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله يعدلون من العدل اي يعدلون وال اي يعدلون به غيره
او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ثم شرع في الاستدلال باحوال
وسواهما بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما في الفرقان ثم استدل بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذي عراه
ضر من فقر او مرض فالجأه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي
الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاؤه استغفاره والمضطر اسم الجنس يصلح للكل والبعض فلا يلزم من الاية اجابة
جميع المضطرين ثم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما مر في البقرة في قوله ادعوني استجب لكم وقوله يكشف السوء عنكم كالبيان
لقوله يجيب المضطر والخلافة في الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر في اخر الانعام وقوله قليلا ما تذكرون
معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقلة العدم ثم استدل بحاجة الناس خصوصا والهداية في البر والبحر بالعلامات
وبالنجوم ثم استدل باحوال المبداء والمعاد وما بينهما وذلك انهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة
ظاهرة فكانهم كانوا معترفين بالاعادة ايضا فاحتج عليهم بذلك والرزق من السماء الماء ومن الارض النبات واعلم ان الله
سبحانه ذكر قوله االه مع الله في خمس ايات على التوالي وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم عقبه بل اكثرهم لا يعلمون ثم بقوله
قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اي السرفية اول الذنوب العدول عن
الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا ولو فعلوا بالنظر والاستدلال ما اشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم يا
محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها وحين بين اختصاصه بكمال القدرة واراد ان يبين اختصاصه بعلم
الغيب قال في الكشاف هذا على لغة بني تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان البدل وذم من عليا يقولون ما
في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا الحمار كان احدا لم يذكر كقوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس والمعنى
ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب كما ان معنى البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس نفيا للقول
بخلوها عن الانيس قلت لقائل ان يقول لا نسلم انه نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحالة كون الله سبحانه فمن في
السموات والارض انهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير انيسا القطع بخلو البلد عن الانيس وقال غيره ان الا
متصل لان الله سبحانه في كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين ايضا وزيفه في الكشاف بان كونه في السموات والارض
بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم في تلك الاحياز ولا يصح ان يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة
ومجازا معا واجيب بان يحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازي ايضا لانهم ايضا عالمون بتلك الاماكن لا اقل من العلم الاجمالي وضعفه
في الكشاف بان فيه ايهام تسوية بين الله سبحانه وبين العبيد في العلم وهو خروج عن الادب ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب
العقوم انت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق ان وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لا بد ان يكون

يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب اولى واقوى لا محالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الادب ولهذا جاز اطلاق
العالم والرحيم والكريم ونحوها على الواجب وعلى الممكن معا من غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضمير اذ كان
يمكن للقائل ان يفرق بينهما فيراد الكلام جزالة وفخامة وعن عايشة من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من مكره
قال المفسرون سال المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وايان بمعنى متى الا انه لا يستعمل الا في
امر ذي بال وهو فعال من اين سمي الوقت به لا انصرف وحين ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكاين
ووقته بين ان عندهم عجزا اخر ابلغ منه وهو انهم ينكرون الامر الكاين مع ان عندهم اسباب معرفته فقال بل ادارك اي تدارك
ومن قرأ بغير الف فهو افتعل من الادراك ومعنى تتابع واستحكم ومعنى ادرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الاخرة اي في شانها
ومعناها يمكن ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك وان لم يعرفوا نفس البعث
يقينا فلان لا يعرفوا وقته ويحتمل ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها
تعدم وقد فسره الحسن فاضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم اولا بانهم لا يشعرون
وقت البعث ثم اضرب عن ذلك قايلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية
فاضرب عن ذلك قايلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم في شك وريبة ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل
فاضرب عن ذلك قايلا انهم عمون عن ادراك الدلايل مع وضوحه وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاءه فلهذا عداه
بمن دون عن والضماير تعود الى من في السموات والارض وذلك المشركين كانوا في جملتهم فلسبب فعلهم الى الجميع كما يقول بنو
فلان فعلوا كذا انما فعله ناس منهم قال في الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين في قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا
حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة **التأويل** ولقد ارسلنا صالح القلب
بالالهام الرباني الى صفات القلب ومن الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيئة طلب الشهوات
واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان في مدينة القالب تسعة رهط هم حواص العناصر
الاربعة والحواس الخمس يفسدون في ارض القالب بافساد الاستعداد الفطري تقاسموا بالموافقة على السعي في اهلاك
القلب وصفاته وان يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما اهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدنا هلاكهم
ومكروا مكرا في هلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بتوارد الواردات الربانية وتجلي
صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون ان اصلاحهم في هلاكهم فمن قتلته فانا ديته فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا قتلنا خواص العناصر الحيوانية اي افنيناها فقومهم اجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهي القالب والاعضاء
التي هي مساكن الحواس الخالية عن الحواس المهلكة والافات الغالبة بما ظلموا اي وضعوا من نتايج خواص العناصر وافات
الحواس في غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بامر الشرع لا بالطبع لاصلاح القالب وبقايه وانجينا الذين امنوا
وهم القلب والروح والعقل عند تبدل اوصافهم بمجاورة النفس اما تاتون الفاحشة وهي كل ما زلت به اقدامهم عن الصراط
المستقيم واماراتها في الظاهر اتيان المناهي على وفق الطبع وفي الباطن حب الدنيا وشهواتها وانتم تبصرون وتميزون
الخير من الشر اتيان الرجال دون المستقيم واماراتها في الظاهر اتيان المناهي على وفق الطبع النساء عبارة عن صرف
الاستعداد في ما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومهم وهو القلب المريض بعلوق حب الدنيا والشرك المكدر بكدر
الرياء والنفاق والعقل المشوب بافة الوهم والخيال الا اخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانساني انهم

اناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فانجيناه واهله وهم الحس والعقل وصفاتهما من العذاب تعلق الدنيا
الا امرأته وهي النفس الامارة بالسوء وامطرنا على النفس وصفاتها مطر ترك الشهوات فساء مطر المنذرين اى صعب فان
الفطام عن المالوفات شديد وهذه خاتمة مستدعيه الحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين
وآفات الوجود المجازي على عباده امن خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلب ماء مطر الرحمه
فانبتنا به حدائق من العلوم والاسرار االه مع الله من الهوى امن جعل ارض النفس قرارا في الجسد وجعل خلالها
انهارا من دواعي البشريه وجعل لها رواسي من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس حاجز القلب فان في
اختلاطهما فساد حالهما االه مع الله كما زعمت الطبايعيه امن يجيب المضطر اذا دعاه في العدم بلسان الحال ويجعلكم
مستعدين لخلافته في الارض االه مع الله كما يزعم ارباب الحلول والاتحاد امن يهديكم في الظلمات بر البشريه وبحر الروحانيه
نورانيه بالنسبه الى ظلمات البشريه والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشريه الى نور الروحانيه ومن ظلمات الروحانيه الى
نور الربوبيه وذلك حين يرسل رياح العنايه بين يدي سحاب الهدايه االه مع الله كما تقول المجوس مطرنا بنوء كذا كما
تقول قاصر النظر هدانا الشيخ والمعلم الحكذا امن يبدؤ الخلق بالوجود المجازي ثم يعيده بالوجود الحقيقي
الى العالم الوحدة ومن يرزقكم من السماء الربوبيه لتربيه الارواح ومن ارض البشريه لتقويه الاجسام االه مع الله كما ينا
من كان ديدنه انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة

وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون ۝
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ۝
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ۝
ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ۝ ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۝ قل عسى ان يكون ردف
لكم بعض الذي تستعجلون ۝ وان ربك لذو فضل على الناس
ولكن اكثرهم لا يشكرون ۝ وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون ۝ وما من غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين ۝ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم

هم فيه يختلفون ۝ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ۝ ان ربك يقضي بينهم
بحكمه وهو العزيز العليم ۝ فتوكل على الله انك على الحق
المبين ۝ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ۝
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم
مسلمون ۝ واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ۝ ويوم نحشر من كل
امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ۝ حتى اذا جاءوا قال
اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ۝
ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ۝ الم يروا انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۝
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا
من شاء الله وكل اتوه داخرين ۝ وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب ۝ صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير
بما تفعلون ۝ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ۝
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما
كنتم تعملون ۝ انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي

حرمها وله كل شىء وامرت ان اكون من المسلمين ۝ وان اتلوا القرآن فمن
اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين ۝ وقل الحمد لله
سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما يعملون ۝

القراءات ايذا ائنا بياء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب غير زيد وسهل ولكن بالمد ابو عمرو وزيد
وايذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة ائنا بكسر الهمزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام ائنا بهمزة ممدودة
بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون ءاذا بهمزتين مفتوحتين ثم مكسورة ائنا بهمزة
مكسورة بعدها نون مشددة على وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة ءاذا ائنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة فيهما حمزة
وخلف وعاصم لا يسمع بفتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك في الروم الاخرون بضم التاء
الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم وما انت تهدى على انه فعل العمى بالنصب وكذلك في الروم حمزة الباقون
بهادى على انه اسم فاعل العمى بالجر اتوه مقصورا على انه فعل ماض حمزة وخلف والمفضل الاخرون بالمد على انه اسم
فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجمى والحلوانى عن هشام فزع
يومئذ بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف يومئذ بفتح الميم هم وابو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب ابو جعفر
ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الوقوف المرجون ۝ من قبل لا تحرزا عن الابتداء بقول الكفار الاولين
المجرمين ۝ يمكرون ۝ صادقين ۝ يستعجلون ۝ لا يشكرون ۝ وما يعلنون ۝ مبين ۝ يختلفون ۝ للمؤمنين ۝
بحكمه ج تعظيما للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم ۝ للاية ولاختلاف الجملتين وللفاء واتصال المعنى
اى اذا كان الحكم لله فاسرع التوكل على الله ط المبين ۝ مدبرين ۝ ضلالتهم ط مسلمون ۝ يكلمهم لمن قرأ انا بكسر
الالف فانه يحتمل ان يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكلم لانه في معنى القول ومن فتح فلا وقف اذ التقدير بكلمهم
بان لا يوقنون ۝ يوزعون ۝ تعملون ۝ لا ينطقون ۝ مبصرا يؤمنون ۝ من شاء الله ط داخرين ۝ السحاب ط كل شىء ط
يفعلون ۝ خير منها ج لانها بعده من تمام الجزاء امنون ۝ لعطف جملتى الشرط في النار ط تعملون ۝ شىء للعارض
وطول الكلام مع العطف المسلمين ۝ لعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ۝ فتعرفونها ط تعملون ۝
التفسير لما ذكر ان المشركين في شك من امر البعث عمون عن النظر في دلائله اراد ان يبين غاية شبهتهم وهى مجرد
استبعاد احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عن الحسن قال العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون
وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى حال الحيوة وانما ذهبوا الى هذا التكليف بناء على ان
ما بعد همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا تعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وتكرير حرف
الاستفهام في اذا وانا جميعا انكار على انكار والضمير في انا لهم ولآبائهم جميعا وقد مر في سورة المؤمنين تفسير
قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليتذكر ثم اوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر في حال الامم
السالفة المكذبة ولم تؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى او لان المراد كيف كان آخر امرهم والمراد

بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على قبح موقع الجرم اذا كان فعل المؤمنين ان يجتنبوا عاقبتها ويتركوا الجرائم
كلها كيلا يشاركوا الكفرة في هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله ولا تحزن عليهم الآية قد مر في آخر النحل وفي هذه الآية تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما كان يناله من قومه ثم انهم استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فامر ان تقول لهم
عسى ان يكون وهذا على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوعه وذلك الامر مع اظهار الوقار والوثوق بما
يتكلمون وان كانه على سبيل الرجاء والطمع ولمثل هذا قال ردف لكم بعض الذى دونا تقول ردف لكم الذى واللام زائدة
للتأكيد كالباء في قوله ولا تلقوا بايديكم الى … او يكون ردف لكم ودنا لكم متضمن فعل يتعدى باللام ومعنى تبعكم ولحقكم
وقال بعضهم المقتضى للعذاب والمؤثر فيه حاصل في الدنيا الا ان الشىء بعينه حاصل كما السكران والنائم فتمام العذاب
انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا في الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر انه متفضل عليهم بتأخير العقوبة في الدنيا ولكنهم
لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على ان نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم بين انه مطلع على ما في
صدورهم يخفون كالقصود والدواعى وعلى ما يظهرون منها فعال الجوارح وعرضها ولعل الغرض انه يعلم ما يخفون وما يعلنون
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم ويجازيهم على ذلك ثم اكد ذلك بان المغيبات كلها ثابتة في اللوح المحفوظ
والغائبة اما مصدر كالعافية واما اسم غير صفة كالذبيحة والرميد واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر
من راوية السوء كانه قيل وما من شىء شديد الغيبوبة الا وهو مثبت في الكتاب الظاهر الذى لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين
لدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق قصصه لما في الكتب التوراة والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم اميا والمطابق غرضه
لما هو الحق في نفس الامر وقد صرح فيه بما اختلف بنو اسرائيل عن وجهه كاختلافهم في شأن المسيح وفي كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى
ورحمة لمن امن منهم وانصفوا ومنهم ومن غيرهم ثم ذكر ان من لم ينصف منهم فالله يقضى بينهم حكما بما حكم به وهو
عدل لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما وهو العزيز الذى لا يغالب فيما يريد العليم بما يحكم لهم وعليهم ثم امره بالتوكل
وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل ذلك بامرين احدهما انه على الحق الابلج وفيه ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله
وثانيهما قوله ولا تهتدى … صار ذلك سببا قويا في اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله اذا ولوا مدبرين تأكيد لان
الاصم اذا توجه الى الداعى ثم لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهذا من الضلالة لك كقولك سقاه عن الضيعة ثم بين
ان اسماعه لا يجدى الا على الذين علم الله انهم يصدقون باياته فهم مسلمون اى مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد
المكلفين بذكر طرف من اشراط الساعة وما بعدها فقال واذا وقع القول اى دنا وشارف ان يحصل مؤداه ومعنى
عليهم وما هو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها
من وجوه احدها في مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان رأسها يبلغ السحاب وعن ابى هريرة ما
بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها فروى لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس
ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين
المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها في كيفية خروجها عن على كرم الله وجهه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها
وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام ورابعها مكان خروجها سئل النبى صلى الله عليه وسلم من اين تخرج الدابة فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها روى
انها تخرج ثلث مرات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة
واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون

نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية انا نكلم الناس وفحوى الكلام ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال
جار الله معناه ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون بخروجها لانها من الآيات ومن قرأ انّ بالكسر فحكاية لقول الله
فلذلك قال بآياتنا او المعنى بآيات ربنا او حذف المضاف او بسبب الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك
خيلنا وبلادنا والمراد خيل مولاه وبلاده وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر يستقبل
المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي بينا عيسى يطوف وبعد المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه
وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي انها
تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقيل تكلمهم من الكلم على معنى التكثير والمراد به الجرح وسمي الوسم
بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مما يلي من اهوال يوم القيمة قائلا ويوم اي واذكر يوم نحشر من كل امة فوجا اي جماعة كثيرة ممن يكذب ومن
للتبيين والاولى للتبعيض وقوله بآياتنا يحتمل معجزات جميع الرسل والقرآن خاصة وقد مر معنى قوله فهم يوزعون في وصف
جنود سليمان اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وعن ابن عباس الفوج ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن
ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار والواو في قوله ولم تحيطوا للحال كانه
قيل اكذبتم بآياتي بادي الرأي من غير فكر في حقيقتها واتحاجيتم بالتصديق او بالتكذيب ويجوز ان تكون الواو للعطف
والمعنى اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتفهمها فان المكتوب اليه كتاب من عند كتبه ومع ذلك لا
يدع تفهم مضمونه وان يحيط بمعانيه قال جار الله اماذا كنتم تعملون من غير الوقوف على حقيقتها او ما اجبتم بالتصديق
او بالتكذيب ويجوز ان تكون الواو للعطف والمعنى اجحدتموها ومع جحودها لم تلقوا اذهانكم لتفهمها ذلك كانكم لم تخلقوا
الا لاجله وقال غيره اراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم وهو التصديق فاي شيء تعملون بعد ذلك لان كل عمل سواه فكأنه
ليس بعمل قال القفال وهذا يخاطبون به قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم اي العذاب الموعود
يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فتشغلهم عن النطق والاعتذار ثم ذكر انحاء فيها من احوال القيمة ولعو العادة ذكر
ما يصلح دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا الآية ووجه دلالته
على التوحيد ان التقلب من النور الى الظلمة وبالعكس لا يتم الا بقدرة قاهرة ودلالته على الحشر ان النوم يشبه الموت والانتباه يشبه
الحيوة ودلالته على النبوة ان كل هذه المنافع للمكلفين وفي بعثة رسول الى الخلق ايصالنا في جملة المنافع لمنفعة الخيرات من
ايصال بعض المنافع دون البعض ومنه رعاية بعض المصالح دون البعض ووصف النهار بالابصار انما هو باعتبار صاحبه وقد
مر في يونس والتقابل مرعي في الآية من حيث المعنى كانه قيل ليسكنوا فيه وليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ثم عاد الى ذكر
علامة اخرى للقيمة فقال ويوم ينفخ في الصور وقد تقدم تفسيره في طه والمؤمنين وقوله ففزع كقوله ونادى ويسقى والمراد
فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله قال اهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر انهم موسى لانه صعق مرة
قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون وقال في الزمر فصعق لان معناه
فمات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون وعطف داخرين صاغرين اذلاء وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة
الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له قال اهل المناظرة ان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد

واحد في السمت والكيفية ظن الناظر انها واقفة مع انها تمر مرا حثيثا فاخبر الله سبحانه ان حال الجبال يوم القيمة كذلك تجمع وتسير
كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر حسبها جامدة اي واقفة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب وقال جار الله صنع الله
من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب فيوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان
كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين صنع الله فجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التي اتقنها واتى
بها على وجه الحكمة والصواب قلت لا يبعد ان يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون الناصب لقوله صنع الله
مضمون ما قبله اي صنع تسيير الجبال ومرها صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله اتقن كل شيء دلالة على ان
القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة ولكن الاجماع مانع منه واجيب بان الآية مخصوصة بغير الاعراض
فان الاعراض لا يمكن وصفها بالاتقان لان الاتقان وهو الاحكام مختص بصفات المركبات قلت ولو سلم وصف الاعراض بالاتقان
فوصف كل الاعراض به ممنوع فما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع ويؤيده قوله انه خبير بما تفعلون
واذا كان خبيرا بكل افعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه ممتنع ان يقع فقد صحت معارضة الآية الاخرى
وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله اعلم ثم فصل اعمال العباد
وجزاءها بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها الى آخر الآيتين وبيان الخيرية بالاضعاف وبان العمل منقض والثواب
دائم وبان فعل السيد خير من فعل العبد ... بعيد على ان الاكل والشرب انما جزاء الاعمال البدنية واما الاعمال
القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله اهلا
لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس ان الحسنة كلمة الشهادة التي هي على درجات الايمان واعترض عليه بانه
يلزم منه ان لا يعاقب مسلما واجيب بانه تكون الخيرية ان لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين امرا آخر وهو قوله وهم
من فزع يومئذ آمنون وامن يعدى بالجار وبنفسه والمؤمن في فزع العقاب فان فزع الهيبة والجلال
يلحق كل مكلف وهو الذي استثنى في قوله ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله واما التنكير فللتعظيم اي من
فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار آمنون واما حال العصاة فانه كبت في النار فعبر عن الجملة بالوجه
لانه اشرف او لانهم يلقون في الجحيم منكوسين وقوله هل تجزون الخطاب فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل
الحكاية باضمار القول اي يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة ما امر به رسوله وذلك اشياء منها
عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بانه رب هذه البلدة احترازا عن ارباب اهل الشرك او لان كونه رب البلاد اقرب في نظر قريش وهي
بلدة مكرمة حرمها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيها عام وهو قوله وله كل
شيء ومنها امره بالاسلام وهو الاذعان الكلي لاوامر الله بجميع اعضائه وجوارحه ومنها امره بتلاوة القرآن وتلوه
اي اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاذعان الكلي لاوامر بكل ما امر به اتم قيام حتى خوطب بقوله ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر ان نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود الا الى المكلف او عليه وليس على الرسول
الا البلاغ والانذار ثم جعل الخاتمة الحمد لله كما هي صفة اهل الجنة وبعد امره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة
هدد اعداءه بانه سيريهم في الآخرة من الآيات الملجئة الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قاله الحسن وعن الكلبي
هي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون من وراء جزاء العاملين
التأويل قل سيروا في ارض البشرية فانظروا كيف عاقبة المجرمين لان خواص نفوسهم المؤذية من جهنم
كما ان خواص اهل القلوب المؤذية من الجنة وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا ونفخ

فيه من وحده ومطلع على قالبه وقلبه ولهذا قال وما من غائبة من الخواص في سماء القلب وارض القالب الا في كتاب مبين وهو
عليه السلام اللذي هذا القرآن يقص لان كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل مقام
في القرب نبينا فلاجرم لم يكن في كتبهم من الحقايق مثل ما في القرآن ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم اي بين هذه الامة وبين امة كل
نبي بحكمه اي بحكمته بان يبلغ متابعي كل نبي الى مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا الى المقام المحمود فانهم في بحكم الله وهو
العزيز الذي لعزته لايهتدي كل متمني الى مقام حبيبه العليم من يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة
الخلق الى الله واذا وقع قول الحجم عليه وذلك بعد البلوغ وفي زمان الرجى في مراتع البهيمية اخرجنا لهم من تحت ارض البشرية
دابة تكلمهم وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا يوقنونها
وصفاتها بالدلايل ويوم نحشر من كل امة وهي صفات الروح والقلب فوجا وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر
حتى اذا جاؤا الى الحضرة قال اكذبتم باياتي بعد اذ كنتم مصدقيها عند خطاب الست بربكم وهذا خطاب فيه استنبطا وعتاب
ووقع قول الحجم عليه بما ظلموا فهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه الم يروا انا جعلنا ليل البشرية سببا
لاستجمام القلب ونهار الروحانية متجلى شمس الربوبية مبصرا ليبصر بالحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في صور القلب
ففزع من في سموات الروح ومن في ارض البشرية من الصفات النفسانية وهي النفخة الاولى في بداية تاثير
العناية بالهداية والقاء المحبة التي تطرد الغيمة فتتخلص المحبة من الصفات جميعها الطلب تهيج النار المحبة الا من
شاء الله وهو الخفي وهي لطيفة حقيقية في الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شمس الشواهد وانوار التجلي
فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولابد كما الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهي تمر
بالسير في الصفات وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهي القلب والرب هو الله كما ان رب بلدة القالب
هو النفس الامارة والله تعالى حرم بلدة القالب على الشيطان كما قال يوسوس في صدور الناس
دون ان يوسوس في قلوب الناس سيريكم اياته فتعرفونها فيه الله اذا الرقى الايات لم يكن فانها واحد حسبى

سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة في ان الذي فرض عليك القرآن حروفها خمسة الاف وثمانمائة كلمها الف واحد واربعون اياتها ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ۞ تلك ايات الكتاب المبين ۞ نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون ۞ ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا
يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان
من المفسدين ۞ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم

ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ۞ ونمكن لهم في الارض
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ۞
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ۞ فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين ۞ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ۞ واصبح فؤاد ام موسى فارغا
ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين ۞ وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا
يشعرون ۞ وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ۞ فرددناه الى
امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن
اكثرهم لا يعلمون ۞ ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين ۞ ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى

فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ۝ قال

رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ۝ قال

رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ۝ فاصبح في المدينة

خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى

انك لغوي مبين ۝ فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى

اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض

وما تريد ان تكون من المصلحين ۝ وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى

قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين ۝

فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ۝

القراءة ونرى بفتح الياء وامالة الراء وفرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزة وعلي وخلف وهكذا قراوا قوله وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحهما **الوقوف** طسم ۝ كوفي المبين ۝ يؤمنون ۝ نساءهم ط المفسدين ۝ الوارثين ۝ للعطف يحذرون ۝ الضعيف للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزني للابتداء بان مع ان فانا المرسلين ۝ وحزنا خاطئين ۝ ولك ط لا تقتلوه والوجه الوصل الرجاء بعد تعجيل النهي لا يشعرون ۝ فارغا ط المؤمنين ۝ قصيه ز بناء على ان التقدير فتبعته فبصرت لا يشعرون لا بناء على ان الواو للحال اي وقد جرى ما ذكرنا فالتعطف على قولها فبصرت والحال معترض ناصحون لا يعلمون ۝ وعلما ط المحسنين ۝ يقتتلان ز لان ما بعده صفة رجلين ظاهر ولكن مع اضمار اي يقال هذا من شيعته وهذا من عدوه وليس بعيد ان يكون مستانفا من عدوه الاولى ج لان ما يلي معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه الثاني لا للعطف عليه لعدم العطف مع اتحاد القائل الشيطان ط مبين ۝ فغفر له ط الرحيم ۝ للمجرمين ۝ يستصرخه ط مبين لا لان ما بعد جواب لما الا ان الابتداء بالامس ق للابتداء بالنفي والوصل اوجه لاتحاد القائل المصلحين ۝ يسعى ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل من الناصحين ۝ يترقب ز لما قلنا في يسعى الظالمين ۝ نصف السبع **التفسير** فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء نتلوا عليك على لسان جبرئيل من نبأ موسى وفرعون اي طرفا من خبرهما ملتبسا بالحق او محقين لقوم يؤمنون

يؤمنون لان التلاوة انما تنفع هؤلاء ثم شرع في تفصيل هذا المجمل وتفسيره كان سائلا سأل فكيف كان نبأهما فقال مستأنفا ان فرعون علا في الارض اي طغى وتكبر في ارض مملكته وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه جعلهم اصنافا في استخدامه فمن بان ومن حارث وغير ذلك او فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له اطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله يستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا او مستأنف ويذبح بدل منه وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل من فعل اهل الافساد لا غير لان الكهنة ان صدقوا فلا فائدة في القتل وان كذبوا فلا وجه للقتل اللهم الا ان يقال ان النجوم دلت على انه يولد لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لان المقدور كائن البتة ونريد حكاية حال ماضية معطوف على اللهم الا ان يقال ان النجوم دلت على انه يولد ولد لم لو لم يقتل على قوله ان فرعون علا فهذه ايضا تفسير للنبأ وجوز ان يكون حالا من الضمير في يستضعف اي يستضعفهم ونحن نريد ان نمن عليهم في المآل فجعل الارادة الوقوع كالوقوع ونجعلهم ائمة مقتدين في امور الدين والدنيا عن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة اي ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين في ارض مصر والشام هو ان يرثوا ملك فرعون وينفذ فيه امرهم والذي كانوا يحذرون هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم يروى انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد قال ابن عباس ان ام موسى لما قرب ولادتها ارسلت الى قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بالحبالى وكان مصافية لام موسى وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني اليوم حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاخبر فرعون ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحتفظيه فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على ام موسى فلم يتغير لها لون ولم يظهر لها ابن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت حبيبة دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا اخت موسى اين الصبي فقالت لا ادري سمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها ان يذبح فالهمها الله تعالى ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فجاءت الى النجار وطلبت منه تابوتا طوله خمسة اشبار في عرض خمسة اشبار فعلم النجار بذلك فجاء الى الموكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم انه من الله فاقبل النجار وقيل لما فرغ من صنعة التابوت ثم اتى فرعون بخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق حتى يعلم انه من الله وانه هو المولود الذي يخاف منه فرعون فآمن في الوقت وهو مؤمن آل فرعون وانطلقت ام موسى دفعتها الى موسى امها وكان لها بنت برصاء قد شاور فرعون الاطباء والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبيه الانسي فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك يوم كذا من شهر كذا حين تطلع الشمس فلما كان ذلك اليوم اقبل التابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبي صغير في مهده يمص ابهامه لبنا واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت برصها فبرأت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ما نظن ان هذا هو الذي نحذر منه فهموا بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وابنته فترك قتله قال علماء المعاني اللام في ليكون لهم عدوا لام العاقبة واصلها التعليل لان ابدها هنا على المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة والحزن كان نتيجة التقاطهم كما ان الاكرام مثلا نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني وبعبارة اخرى ان مقصود الشيء والغرض منه هو

الذين يؤول اليه امره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم يكن غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو انهم اخطاؤا
في التدبير حيث ربوا عدوهم في حجرهم وانهم اذا ابنوا وجرموا فكان من عاقبتهم ذلك ان يجعل الله في تربيتهم من على يديه هلاكهم قال
النحويون قرة عين خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين ولا يقوى ان يجعل مبتدا ولا تقتلوه خبره لان الطلب لا يقع خبرا الا
بتأويل ولو نصب لكان اقوى لان الطلب من مظان النصب ويروى في حديث ان آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال
فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ثم انها رأت فيه مخايل اليمن ودلائل النفع ولذلك همت
فيما مارات بالنجابة فقالت عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام
وبراءة البرصاء قال في الكشاف وهم لا يشعرون حال من آل فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه
مؤكدة لمعنى خطائهم والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على
خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد ان يكون الجملة حالا من فاعل قالت اي قالت كذا والحال عدم شعوره
بالمآل وهو ان هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي اي لا يشعر بنو اسرائيل واهلها انا التقطناه قوله سبحانه واصبح فؤاد ام موسى فارغا
قال الحسن اي فارغا من كل هم الا من هم موسى وقال ابو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وافئدتهم هواء الجوف لا
عقول فيها وذلك انها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحاق والحسن في رواية اي فارغا من
الوحي الذي اوحينا اليها وذلك في قولنا فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني فعرف وسوسة الخاوف فالخوف يلحق الانسان في المتوقع
والحزن يلحقه لواقع فنسيت عنها جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت اهلاكه ولما
اتاها خبر موسى انه وقع الى فرعون انساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن فان الله تعالى يقول لولا ان ربطنا
على قلبها وضعف هذا القول لان الربط لا يلائم فارغ القلب المحزون اما من فرغ الفزع فعنده معنى يحسوده الحزن ففيه معنى قوله ان كادت لتبدي به هو
انها كانت تحدث بان الذي وجد … ابني قال ابن عباس وفي رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها وذلك
حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون ثم قال لولا ان ربطنا على قلبها
بالالهام والصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليستقر ويطمئن ليكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك واما
من فسر بعدم الخوف والحزن فعنده انها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت ان فرعون حباه وعطف عليه وفي الكشاف انها
قاربت ان يظهر انه ولدها لولا ان الهمناها الصبر لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون والعطف … الظهر
بدليل قوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وانظري اين وقع والى من صار وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم فبصرت
به اي ابصرته عن جنب عن بعد اي نظرت اليه بروه عاينته وهم لا يشعرون بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن حمله على
النهي والتعبد ظاهر اشعار المنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه وكان لا يقبل ثدي مرضع الا امه تعالى مع حاجته الى اللبن لحدث
فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه احدث في البانهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه وعن الضحاك ان امه ارضعته ثلاثة اشهر
تعرف ريحها والمراضع جمع مرضع وهي المرأة بعيد للارضاع او جمع مرضع وهو الثدي او الرضاع والاول اظهر وانما في صدد
ومن قبل اي من قبل قصها اثره او من قبل ان رددناه الى امه او من قبل ولادته حكمنا وقضينا … فقالت ام
لا ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد
والمراد انهم مضمونون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذائه فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت
بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن
انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني

لانه ما لاجري استطابة على وجل الاستباحة قلت ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الاجرة
فلم يكن مستطابا حينئذ بدليل قوله واحلت لي الغنائم قالوا كانت عالمة بان الله تعالى سينجز وعده ولكن ليس الخبر كالعيان
فلهذا قال سبحانه ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم اي اكثر الناس لا يعلمون بحجة موعود في ذلك التهمة لعهد وبعده لاعراضهم
عن النظر في آيات الله وقال الضحاك ومقاتل يعني اهل مصر لا يعلمون ان الله وعد رده اليها قلت ويؤيد هذا القول انه اقتصر على
علام اليمين دون ان يقول ولكن اكثر الناس كما قال في سورة يوسف والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا
تعريض بافراطها حين سمعت بموسى تحريمه فاصبح فؤادها فارغا وعلى هذا الجملة يكون قوله من جملة ما يعلمها اي
ولتعلم حقيته وعد الله وهذا الاستدراك يجوز في الكشاف ان يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم والمقصود ان الرد انما
كان لهذا الغرض الذي هو العلم بصدق وعد الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان هذا هو الغرض الاصل الذي ما سواه تبع له
من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين سبحانه كمال عنايته في حقه كما بين في قصة يوسف قائلا ولما بلغ اشده وزاد ههنا
قوله استوى فقيل بلوغ الاشد والاستواء بمعنى واحد والاصح انهما متغايران والاشد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة
الى كمال الخلقة وعن ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلاثين والاستواء من الثلاثين الى الاربعين وهو عند الاطباء
وهو سن الوقوف فلعل يوسف اعطي النبوة في سن النمو واعطي موسى اياها في سن الوقوف والعلم التوراة والحكم السنة وحكمة
الانبياء السنة قيل ليس في الآية دلالة على ان هذه النبوة كانت قبل قتل القبطي او بعده لان الواو في قوله ودخل المدينة لا يفيد الترتيب
قلت يشبه ان يستدل على ان النبوة كانت بعد قتل القبطي بانها كانت بعد زوجة بنت شعيب والزوج كان بعد فراره
منهم الحدين كما قرره تعالى في السورة وقد اجمل ذلك في الشعراء حيث قال حكاية عن موسى فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وعلى هذا لا يكون انه له بالواو والترتيب ويكون المعنى آتيناه سيرة الحكماء العلماء قبل البعث
فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة اي مصر … القرية التي يسكنها فرعون على فرسخين من مصر وقال الضحاك
هي عين الشمس وقيل هي مصر وحين غفلتهم بين العشائين او وقت القيلولة او يوم عيد لهم مشتغلون فيه باللهو وقيل
اراد غفلتهم عن ذكر موسى وامره وذلك انه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته في الصغر اراد فرعون قتله فجيء
بجمر … فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجه من الدار والبلد فاخرج موسى ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره
قال السدي وقيل ان العقلاء لموسى … وذلك انه لما بلغ اشده آتاه الله الرشد علم ان فرعون … فعقد على الباطل وكان
يتكلم بالحق ويعيب دينهم ويخوفهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان
على جهة الحكاية اي وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وعن بعضهم ان
الرجلين كانا كافرين الا ان احدهما من بني اسرائيل والآخر من القبط واحتج عليه بان موسى قال في الكتاب انك لغوي
مبين والمشهور ان الذي من شيعته كان مسلما لانه قال ممن شايعه على دينه وانما وصفه بالغي لانه كان سبب قتل
رجل وهو يقاتل الآخر على ان بني اسرائيل فيهم غلظا وجفاء ولكن ينسبون الى الغواية بذلك الاعتبار … انهم قالوا
بعد مشاهدة الآيات اجعل لنا الها … وروي ان القبطي اراد ان يسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل ان
الاسرائيلي هو السامري فاستغاثه فسأله ان يخلصه منه فوكزه اي دفعه باطراف الاصابع اي بجمع الكف فقضى عليه
اي اماته وقتله الطاعنون في عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال
رب اني ظلمت نفسي وان لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وايضا قال له هذا من عدوه يدل على انه كان كافرا
حربيا وكان دمه مباحا والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين او اراد اني ظلمت نفسي حين قتلت هذا الكافر ولو

عن ذلك فرعون ليقتلني به فاعفر لي فاستر علي عندك اذا التسلم انه كان بينا ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة في قوله هذا من عمل الشيطان دليل على ان المعاصي ليست بخلق الله ولفائل ان يقول معناه ادى الى ترك المندوب من عمل الشيطان او هذا من خلق الله فضلا عما يصدر من الشيطان على ان التشار بهذا يحتمل ان يكون شيئا اخر كما قررنا قوله بما انعمت علي فقيل اراد به القوة وانه لن يستعملها الا في مظاهرة اولياء الله وعلى هذا لكن ما قدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما انعمت علي بقبول توبتي فاني اكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال انه للقسم كانه اقسم بما انعم الله عليه من المغفرة ان الظاهر مجرما واراد معا ومن المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته حيث كان يركب بركوبه كالولد ومحل الولد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من تؤدي مظاهرته الى الجرم كالاولى وقال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كانه قال فلا تجعلني ظهيرا والفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفي الاية دلالة على جواز اعانة الظلمة والفسقة حتى بري القلم وليقة الدواة عن ابن عباس انه لم يستثن اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله فابتلي به مرة اخرى في هذه الرواية شيء ضعيف فانه ترك الاعانة في المرة الثانية ولئن صحت فلعله اراد انه حرب صورة تلك القضية عليه لا ان الله عصمه بجعلمه القبطي من الترك اصبح موسى من بعد ذلك اليوم خائفا يترقب الاخبار وما يقال فيه فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يطلب نصرته بصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه تؤدي الى الاستنصار خلاف طريق الرشد فغوي بمعنى غاو وجوز بعض اهل اللغة ان يكون بمعنى مغوي لانه اوقع موسى قبل ذلك في ورطة ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغواء قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلي بانه غوي وراى فيه الغضب ظن انه هم بالبطش اليه فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وزعموا انه لم يعرف قتله بالامس الا هو فصار ذلك سبب الظهور القتل ومزيد الخوف وقال الاخرون بل هو قول القبطي وكان قد عرف القصة من الاسرائيلي وهذا القول اظهر لانه قوله ان تريد ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بان يكون قول الكافر قال جار الله الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل هو العظيم الذي لا يتواضع لامر الله عز وجل حين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فاخبره بذلك رجل هو قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي من ابعد مسافتها البدو وقوله يسعى صفة لرجل او حال منه لانه قد تخصص بالوصف ان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجيء من هنالك تعين ان يكون وصفا قال العلماء الاظهر في هذه السورة ان يكون الظرف وصفا في يس ان يكون صلة ولذلك حصلت ما تقدم وما جاء في التفسير انه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور لان كل واحد من المتشاورين يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر ومعنى يأتمرون بك يتشاورون بسببك وقوله لك من الناصحين كقوله فيه من الزاهدين وقد مر ان الحال في مثل هذه الصورة بيان لا صلة فخرج منها خائفا يترقب المكروه من جهتهم وان يلحق ملتجئا الى الله ورب نجني من القوم الظالمين وفيه دليل على ان قتل القبطي لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين لطلب القصاص

التأويل ان فرعون النفس الامارة استولى على ارض الانسانية وجعل اهلها وهم الروح والسر والعقل اصنافا في الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طايفة منهم وهم صفات القلب لا سيما في صفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين للاستعداد الفطري ونرى فرعون النفس وهامان الهوى وجنود هما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية منهم موسى السر لان القلب يتولد من ازدواج الروح والسر انا رضيعه من لبن الروحانيات فقدم عليه

عليه مواضع الحيوانية والدنيوية فالقيه في يم الدنيا في تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين اي من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثني قلبي عن ربي فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فانها اسباب تربية الطفل لتكون لهم في العاقبة عدوا لجادهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة الى الابتلاء بهواهم من طاعة الله وقالت امرأة فرعون النفس وهي الحكمة لا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك في اسباب اللذات الحيوانية عسى ان ينفعنا بان ينجينا من النار قال اهل التحقيق لما كان اعتقاد الحكمة في تربية موسى القلب ان يكون قرة عين لها ولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحيث لم يكن لفرعون النفس في حقه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه كان هلاكه على يديه بسيف الصدق وسم الذكر وهم لا يشعرون انه لو لم يخف اهلاكهم على يديهم فؤاد ام موسى هو سر السر اخت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من اهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احديهما من صفات القلب والاخرى من صفات النفس وفي قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى انه قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بامر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يعتد به فلن اكون ظهيرا للمجرمين الذين يأجرهم بان يجاهدوا كفار صفات النفس الحيوانات معها بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوي مبين لان بيانه وسلطان نوى قبل اوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل هو العقل من اقصى مدينة الانسانية اي من اعلى مراتب الروحانية يسعى في طلب نجاة موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ۝ ولما ورد

ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد دونهم امراتين

تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا

شيخ كبير ۝ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير

فقير ۝ فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك

ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف

نجوت من القوم الظالمين ۝ قالت احديهما يا ابت استأجره ان خير

من استأجرت القوي الامين ۝ قال اني اريد ان انكحك احدى

ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما

اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين ۞ قال ذلك
بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل ۞ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور
نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر
او جذوة من النار لعلكم تصطلون ۞ فلما اتيها نودي من شاطئ
الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني
انا الله رب العالمين ۞ وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين ۞
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين ۞ قال رب
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون ۞ واخي هرون هو افصح
مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون ۞
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ۞ فلما جاءهم موسى
بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا

الاولين ۞ وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ۞ وقال
فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه
من الكاذبين ۞ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون ۞ فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۞ وجعلناهم ائمة يدعون
الى النار ويوم القيمة لا ينصرون ۞ واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ۞

القراءة ذلك ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو يصدر بفتح الياء وضم الدال ابن عامر ويزيد وابو عمرو وابو ب الاخرون بضم الياء وكسر الدال اني اريد ستجدني ان بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع اني انست اني انا الله واني اخاف بفتح ياء المتكلم في الكل ابو جعفر ونافع وابو عمرو لعلي اتيكم هم وابن عامر جذوة بفتح الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء حفص وبفتحهما ابو عمرو وسهل ويعقوب وابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ومعي بالفتح حفص ردا بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف يصدقني بالرفع وعاصم ربي بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وعباس وسهل في الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو من يكون على التذكير حمزة وعلي وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع ويعقوب وعلي وخلف

الوقوف السبيل ه يسقون ط لانه رأس آية عند الاكثرين مع المنفقين تذودان ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء ه لانه لا بعده منقطع لفظا ومعنى كانه قال فلم خرجتما وقالتا ترينا بالاستعانة وابونا شيخ كبير ه فقير ه استحياء ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل ومن وقف على تمشي وجعل على استحياء ز حالا مقدما اي قالت مستحية فلا وجه للوقف لنا ط لان جواب لما ينتظر وقيل حذف اي فذهب معها

فلما ٥ وكان الفاء لاستيناف القصص لا لان قال جواب لما لا تخف ج لان قوله نجوت غير متصل به نظما ولينفصل عن البشارة
اي لا تخف ضمنا وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين استاجره ز للابتداء بانه مع اتحاد المقول واحتمال التعليل الامين
حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفي مع الواو عليك ج الصالحين وبينك لابتداء الشرط علي ط وكيل نارا ج لعل
العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون العالمين لا عصاك ط لحق الحذف اي فالقاها تحسب فلما راها
ولم يعقب ط لا تخف لتمام مراده لا تخف قف بارسل العصا انك انت لها باس فرعون الامنين سوء ز لعطف الجملتين المتفقين
مع طول الكلام وملائه ط فاسقين يقتلون يصدقني للابتداء بانه مع اتحاد المقول واحتمال التعليل يكونون باياتنا ط اي لا
يصلون اليكما بسبب اياتنا وعلى اليكما وجداي انتما الغالبون باياتنا ط الغالبون الاولين الدار ط الظالمون غيري ج
لتنويع الكلام الى الموسى لا لان ما بعده مقوله ايضا الكاذبين لا يرجعون في اليم ج للابتداء بامر الاعتبار واختلاف
الجملتين المختلفين لا ينصرون لعنة ط لئلا ذلك المقبوحين

التفسير

ذهب بعض المفسرين الى انه خرج وما قصد مدين ولكن سلم نفسه الى الله تعالى واخذ يمشي من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقد يوجد هذا
التفسير ما روي عن ابن عباس انه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه ويحتمل ان يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد
مدين لانه وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بني اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق
بل اعتمد على فضل الله تعالى اما انه قصد مدين فلقوله سبحانه ولما توجه تلقاء مدين اي قصد نحو هذه القرية ولم يكن في
سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان واما انه اعتمد على فضل الله فلقوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه
وجادته نظيره قول جده ابراهيم صلوات الرحمن عليه اني ذاهب الى ربي سيهدين وهكذا الخلف الصدق يقتدي بالسلف
الصالح ويهتدي قال السدي لما اخذ في السير جاءه ملك على فرس من العرج قال لا تعمد وانبغي فاتبعه نحو مدين عن ابن جريج انه خرج
بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ولما ورد ماء مدين وكان بئرا فيما روي ورود الماء مجيئه والوصول اليه
الصدور وجد عليه اي على شفيره ومستقاه امة من الناس جماعة كثيفة العدد واصنافا يسقون مواشيهم ووجد من مكان اسفل من
مكانهم امراتين تذودان اي تدفعان وتطردان اغنامهما لانه على الماء من هو اقوى منهما فلم تتمكنا من السقي او كانتا تكرهان التزاحم
على الماء واختلاط اغنامهما باغنامهم او اختلاطهما بالرجال وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر والحمل حذف مفعول تذودان
لان الغرض تقرير الذود لا المذود وكذلك يسقون ولا نسقي والمقصود هو ذكر السقي لا المسقي وكذا في قوله من قوله حتى
يصدر الرعاء مواشيهم لغرض بيان الاصدار قال ما خطبكما هو مصدر بمعنى المفعول اي ما مخطوبكما ومطلوبكما من الذياد
قالتا لا نسقي الا سالما الزود وذكرنا انا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلابد لنا من
تاخير السقي الى ان يفرغوا ومالنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعف فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هي التي
سوغت لنبي الله شعيب ان يرضى لابنته بسقي الماشية على ان الامر في نفسه ليس بمحظور والعادة العرب وخصوصا اهل البدو
ومنهم لا يعدونه نقيصة وزعم بعضهم ان اباهما هو يثرون ابن اخي شعيب وشعيب مات بعدما عمي وهو اختيار ابي عبيد بسنده
ابن عباس وعن الحسن انه رجل مسلم قبل الدين من شعيب لما قيل لهما فسقى لهما يسقي عنهما لاجلهما فقيه قولان
احدهما انه سأل القوم فسمحوا او كان لهم ولو يجتمع عليها اربعين رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى بها وحده وصب
الماء في الحوض دعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت والثاني انه عمد الى بئر وعليها صخرة لا ينقلها الا عشرة رجال او عشرين
او اربعون او مائة فاقتلعها وحده وسقى اغنامهما كل ذلك في ثمرتي وحر شديد ثم تولى الى الظل ظل سمرة فقال رب اني بما
انزلت الي من خير فقير ذهب اكثر المفسرين الى ان الظاهرين ومنهم ابن عباس الى انه طلب من ربه طعاما ياكله وعدي بقوله الى اللام

اللام لانه ضمن معنى سايل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة ايام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته تتراءى
اي في بطنه من الهزال وفيه دليل على انه نزع الدلو واقل الصخرة بقوته دابته وقال بعض اهل التحقيق اراد اني فقير من الدنيا
لاجل ما انزلت من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون في ملك وثروة فاظهر الرضى بهذا البدل شكرا لله يروى انهما لما
رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال
لاحديهما اذهبي فادعيه لي وذلك قوله سبحانه فجاءته احداهما تمشي على استحياء وقيل من جملة حيائها انها قد استترت
بكم درعها ثم قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا وضعفت الرواية بان هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين
بالله فلا يليق بالنبي وقد روي انها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم له الطعام امتنع وذلك وقال انا اهل بيت لا
نبيع دينا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا سوال كيف ساغ لموسى ان
يعمل بقول المراة يمشي معها وهي اجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا او انثى سائغ في الاخبار والمشي
مع الاجنبية لا باس به في حالة الاضطرار مع التورع ويؤيده ما روي انه مشى تبعها فالزقت ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر
بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقص عليه القصص اي المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطي وفراره خوفا من فرعون
وملائه فقال له شعيب لا تخف فرعون او نجوت من القوم الظالمين فلا سلطان لفرعون بارضنا قالت احديهما
وهي كبراهما اسمها صفراء وكانت الصغرى صفيرا يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال النحويون جعل
القوي الامين اسما لكونه معرفة صريحا اولى من جعلها نعم التفضيل المضاف لكونه قريبا من المعرفة وللحكم الكمال المضاف
صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استاجرت بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف قال المفسرون
ان قولها هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة اللتين هما
ثمرة الكياسة والديانة في الذي يقوم بامرك فقد حصل مرادك وكمل فراغك عن ابن عباس ان شعيبا احفظته الغيرة
فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه اي خفضه حتى بلغته رسالته
وانه امرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي وليس هذا عقدا حتى يلزم منه الجهالة في المعقود
عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال قد انكحتك احدى ابنتي فلانة وفي قوله هاتين دليل
على انه كانت له غيرهما قال اهل اللغة تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا فيكون ثماني حجج فمن عندك اي فاتمامه
من عندك لا من عندي اذ هو تفضل منك وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين او بالتكاليف الشاقة
في مدة الرعي وانما اعاملك معاملة الانبياء ياخذون بالاسمح بالاحياء لا بالجيم قال اهل الاشتقاق حقيقته
قولهم شققت عليه وشق عليه الامر انه اذا صعب الامر فكانه شق عليه الظن باثنين يقول تارة اطيقه
وتارة لا اطيقه ثم اكد عدم المشاقة بقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي على الدين وفيه ان الاعتماد
في جميع الامور على معونة الله والاشبه كونه الى مشيئة الله استدل الفقهاء بالاية على ان العمل قد يكون مهرا
كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى ان عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي لا يوجبها العقد ويمكن ان
يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا ومن وجه في الكشاف ان يكون استاجره لرعيته ثماني سنين لبلغ معلوم ووفاه
اياه ثم انكحه ابنته وجعل قوله على ان تاجرني عبارة عما جرى بينهما قال موسى ذلك الذي شارطتني عليه قائم بيني
وبينك لا يخرج كلانا عنه ايما الاجلين قضيت وما كن لا بها اي زائدة في شيوعها فلا عدوان علي اي لا يعتدى

على وطلب الزياده فان قضيت الثانى وقد طالب بالزياده وان قضيت العشر اختيارى فلم الطالب بالزياده ايضا وقيل
ارادا بهما قضيت فلا اكون معتديا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف فيه وفى
اى فى الاجلين قال القاضى فى قوله فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس دليل على انه لم يزد على العشر وفيه نظر
لانه لا يفهم من هذا التركيب الا ان الايناس حاصل عقيب مجموع الامرين ولا يدل على ذلك حصل عقيب احدهما وهو قضاء
الاجل ويؤيد ما روى عن مجاهد انه بعد العشر المشروط مكث عشرا اخرى قال اهل اللغه الجذوه عود فيه النار
الغليظ كانت فى راسه نار او لم يكن وشاطى الوادى جانبه ومن الاولى والثانيه كلتاهما لابتداء الغايه اى اتاه
النداء من شاطى الوادى من قبل الاول الشجره والثانيه بدل الاول بدل الاشتمال لان الشجره كانت نابتة على الوادى
الشاطى ووصفت البقعه المباركه لان فيها ابتداء الرساله والتكليم احتجت المعتزله على مذهبهم ان الله تعالى متكلم
بكلام خلقه فى الجسم بقوله من الشجره والصوت والحرف دال على انه كلام الله وذهب الاشعرى الى ان الكلام الذى ليس
بحرف ولا صوت ممكن ان يكون مسموعا كما ان الذات الذى ليس بجسم ولا عرض ممكن ان يكون مسموعا كما ان الذات الذى
مرئيا وروى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل البيت فخذ من تلك العصاء فاخذ عصا اهبط
بها ادم من الجنه ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها فكان مكفوفا يضن بها فقال غيرها فما وقع
بيده الا هى سبع مرات فعلم ان له شانا وعن الكلبى ان الشجره التى نودى منها شجره العوسج ومنها كانت عصاه ولما بلغ قال له شعيب
اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك وان كان الكلا بها اكثر لان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت
الى موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم
ان لموسى والعصا شانا وقال لكن لما الا ترجوا دحى منك لا ترجوا فان موسى ذهب يقتبس النار فكلمه الملك الجبار وقد
مر فى النمل تفسير قوله فلما راها تهتز كانها الى قوله من غير سوء اما قوله واضمم اليك جناحك من الرهب فذكروا ان له
معنيين **احدهما** حقيقه وهو انه لما قلب الله العصا حيه فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من
الشى فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه نقصان فى رأيك عند الاعداء فالقيتها فكما تقلب حيه فادخل يدك تحت عضدك مكان
اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب واظهار معجزه اخرى وثانيهما مجاز وهو ان يراد بضم الجناح التجلد
وضبط النفس حتى لا يضطرب ويكون استعاره من فعل الطائر لانه اذا خاف ارخى جناحيه واضمهما ومعنى من الرهب من
اجل الخوف والفرق بين هذه العباره وبين قوله اسلك يدك فى جيبك ان الغرض هناك خروج اليد بيضاء وههنا الغرض
اخفاء الخوف واراد بالجناح المضموم هنا اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه فى قوله واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان
الرهب هو الكم بلغة حمير وزيف النقاد من قراه فذانك بالتخفيف فثنى وان من قراه بالتشديد فثنى ذلك واصله ذلك
قلبت اللام نونا وادغمت وسميت الحجه برهانا لبيانها وانارتها من قولهم ابره وهو نداى بيضاء البيض واللام مكررتان والدليل
على زياده النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها فظاهر الكلام يقتضى انه تعالى
امره بذلك قبل لقاء فرعون والسر فيه ان يكون على سبيل مع ... عند لقاء المعاند المحجوج وزعم القاضى انه فى حال اداء الرساله لا
المعجز انما يظهر ليستدل به على الرساله ولا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمه فى الاظهار لا ينحصر فى الاستدلال بل لعل هناك
انواعا اخرى من الحكم والمقاصد وقد ذكرنا واحد امثالها ما يؤكد ان هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك احد غير موسى قوله فعقد كان
رب انى قتلت منهم نفسا الايه والرداء اسم ما يعان به من ردأته اى اعنته فعل بمعنى مفعول به ويصدقنى بالرفع صفه ردءا

وبالجزم جواب كما مر فى قوله يرثنى والمراد بتصديق اخيه اياه وتقويته لا ان يقول له صدقت فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان
والفصاحه لاسحبان ولا باقل فلا يستوى ان فيه ويجوز ان يكون تصديق فرعون وجوز جار الله ان يكون من الاسناد المجازى
بناء على ان التصديق مسند الى فرعون حقيقه وهو بيانه وبلاغته سبب تصديق فرعون يؤيده قوله انى اخاف ان يكذبون
قال الجبائى انما سال موسى ان يرسل هرون بامر الله تعالى ولم يكن ليسال ما لا يامن ان لا يجاب ولا يحكم ولقائل ان يقول لعله
سيله مش وطاع ان يعطى اى اقتضت الحكمه ذلك كما يقول الداعى فى دعائه وقال السدى علم ان اثنين اقوى من واحد فلهذا
سال اعترض القاضى بان هذا من حيث العاده واما من حيث الدلاله فلا فرق بين معجزه ومعجزتين لان البعثه فى اهما نظر فلم ان
لم ينظر فالحال واحده هنا اذا كانت طريقه الدلاله بين المعجزتين واحده فاما اذا اختلف وامكن فى احديهما من الشبهه ما لا يمكن
فى الاخرى فغير ممتنع ان يقال المجموعهما اقوى من واحده كما قال السدى لكن ذلك لا ياتى فى موسى وهرون لان معجزتهما
كانت واحده قال جار الله سنشد عضدك سنقويك باخيك لان اليد تشتد بشده العضد وجمله البدن يقوى على
مزاوله الامور بشده العضد وجمله البدن تقوى على مزاوله الامور بشده اليد واما لان الرجل واشتداده بالاخ شبه باليد فى
اشتدادها باشتداد العضد والسلطان التسلط والغلبه والحجه الواضحه وقوله باياتنا اى منطلق بعقد اى اذهبا باياتنا
او متعلق بنظام وهو يجعل او لا يصلون ويجوز ان يكون بيانا للغالبين كانه قيل بماذا يغلب فقيل باياتنا وامتنع ان يكون فعله
للغالبين لتقدمه ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون تقدم ما عليه ويجوز ان يكون من لغو القسم الذى لا جواب له
كقولك زيد وابيك منطلق والمراد الغلبه بالحجه والبرهان فى الحال او بالدوله والمملكه فى المال وصف المعجزه بعد تسليم ثبوتها
لا يقدح فى حقيقتها ومن اتبعكما الغالبون لان الدوله الباقيه اعلى شانا وسحر مفترى اى سحر تعلمه انت ثم تنسبه الى الله فهذا
كذب من هذا الوجه او سحر ظاهر افتراؤه لا سحر يخفى افتراؤه او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر فانكر سحر فما عليه هو
خلاف فهو المفترى ومعنى ما سمعنا بهذا فى اباينا الاولين قد مر فى سوره المومنين قال جار الله فى ابائنا حال عن هذا اى
كائنا فى زمانهم وايامهم قلت لا مانع من ان يكون الظرف لغوا ولا يخلوا من ان يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا بنحوه او يكون
واما يهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته او ارادوا ان الكهان لم ياتوا بمثل ما اجاب به موسى وكل هذه المقالات لا تعدو الا من المحجوج
المحجوج الذى قصارى امره الجدل المتقيد من قراءه قال موسى بغير واو فعلى طريقه السؤال والجواب ووجه قراءه الاكثرين
انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن العاقل بين القولين فيتميز له الغث من السمين وقوله اعلم من جاء بالهدى
من عنده الخطاب للخصم المعاند اذ لا سبيل الى خداعه بالحجه اى يعلم انى محق وانتم مبطلون وقوله ومن تكون له عاقبه الدار يعنى
يعنى العاقبه الحميده كان للمذمومه غير معتبر بها ضم طريقه الوعيد الى الاحكام الذكى معناه ونحى اعلم بالانبياء السابقه
فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربى اعلم بحال من اهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى
ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يرشحه لذلك لانه لا يفلح عنده الظالمون واعلم ان فرعون كان من عادته عند ظهور حجه لموسى ان
يتعلق فى دفع تلك الحجه بشبهه يروجها على اغمار قومه فذكر ههنا امرين **الاول** قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكانه استدل
بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطا من جهه ان الدليل على وجود الصانع اكثر من ان يحصى ومن جهه ان عدم الدليل
لا يستلزم عدم المدلول واما قوله غيرى فقد تكلف بعضهم انه لم يرد انه خالق السموات والارض وما بينهما فان امتناع ذلك بديهى
وانما اراد به نفى الصانع والاقتصار الى الطبايع وانه لا تكليف على الناس الا ان يطيعوا ملكهم ومبادئ الامور **الثانى** قوله
فاوقد لى يا هامان على الطين وقد تكلفوا له ايضا ههنا بعد انه لا يبعد من العاقل ان يروم صعود السماء بالات ويكذبه لانه
انه لا سبيل الى اثبات الصانع من حيث العقل كما مر ولا من حيث الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر

والاذان يا هامان فتوا هذا البناء وانما قال ذلك تهكما فجمع بهذه الاشياء فزادا انه اوبتلي على الصانع ثم رتب التصيح عليه وهي
قوله واني لاظنه من الكاذبين يجوز ان يريد لا اعلمه من الكاذبين والاكثرون المفسرين على انه بني هذا البناء جهلا منه
او ملبسا على ملائه حيث صاد فهما عن الناس واخلاهم من الظن يروى ان هامان جمع العمال منهم خمسون الف بناء
سوى الاجراء وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما لا يقدر الباني ان يقوم عليه فبعث
الله جبرائيل عند غروب الشمس فضربه بجناحيه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك وروي في القصص ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة
نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمه قال اهل البيان
ان صح حديث رد النشابة ملطوخة فقد تهكم به بالفعل كما ثبت التهكم بالقول في غير موضع وانما قال فاوقد لي يا هامان على الطين
ولم يقل اطبخ لي الاجر لان هذه العبارة احسن ولان فيه تعليم الصنعة وقد كان اول من عمل الاجر فرعون انه حين ساوى الناس
ورأى القصور المشيدة بالاجر قال ماهت ان اخذ بنى الاجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود فقال طلع الجبل واطلع
طلع وفي قوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير يعني ارض مصر بغير الحق اشارة الى ان الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى
كما جاء في الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فهو كقوله ويقتلون الانبياء بغير الحق وفي قوله وظنوا انهم
الينا لا يرجعون دليل على انهم كانوا منكري البعث كالطبايعيين وفي قوله فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم دلالة
على علو شانه وعظم سلطانه واشارة الى استحقار فرعون وعدده وان كانوا اكثر من رمال الوهناء كانه شبههم بحصيات
اخذهن احد في كفه فطرحهن في البحر واستدلت الاشاعرة بقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ان خالق الشر وجاعل
الكفر هو الله سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا فاسقا اذا حكم بالبخل والفسق عليه وسماه
بالبخيل والفاسق واراد خذلانهم وسلبهم الالطاف حتى كانوا ائمة الكفر والداعين الى النار اي الى موجبها من الكفر والمعاصي
وقال ابو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك انه تعالى عجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال
بعضهم اراد بالامامة انهم بلغوا في ذلك الباب اقصى النهايات حتى استحقوا ان يقتدى بهم ثم بين قوله ويوم القيمة هم مخذولون
كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردوا ابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين
وقال الليث قبحه الله بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا ايضا اي نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجه وزرقة
العيون وعن بعضهم انه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم فيجمع لهم بين الفضيحتين **التأويل** قال الشيخ الامام
الرباني نجم الدين المعروف بداية وذلك لان لمعان انوار الفيض يزد على الروح في البداية بالتدريج فينشأ منه الخفي وهو
لطيفة ربانية مودعة في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبات الواردات الربانية لتكون واسطة بين الحضرة والروح
في قبول تجلي صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون في هذا المقام يترك عن استعمال فيض الروح عند استعمال
القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين يتوجه سر القلب الى عالم مدبر الروحانية وذلك قوله لا نسقي
حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصدروا مواشيهم وهي الصفات الانسانية عند الفيض الالهي فاذا اصدروا
سقينا مواشينا من الاوصاف والاخلاق ما حصلت مواشيهم في حجر القوى وابونا وهو شعيب الروح لا يقدر على سقيه
من الاوصاف الانسانية الا بالاجر والوسايط واما الاوطيوان يمشي لضعف حالنا فسقى موسى القلب مواشيهما بقوة
استعارها من الجسد وقوة استعارها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهذا سمي قلبا ثم تولى الى الظل الصفاتي يطلب
الفيض الالهي بلا واسطة وهكذا ينبغي ان يكون السالك لا يقنع بما وجد بين العارف ابدا فجاءته احديهما فيه ان القلب يحتاج

في الاصول الحضرة شعيب الروح انه يستمد من الخفي او السر لانه يحفظ بحوت فيه ان القلب اذا احصل الى مقام الروح بخا من ظلمات
النفس وصفاتها انه خير من استاجرت من القوى والجسد القوي الامين لان القلب استفاد القوة من الجسد والامانة من
الروح ثم اخبر فيه ان الروح في بلغ القلب الى مقام الخفي ويحتاج الى ان يستوفي في مقامات صفاته الثمانية المخصوص به في
خلافة الحق وهي الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء وتمام ذلك الى العشر راجع الى خصوصيته
وهما المحبة والانس مع الله فلا يجدوان عشرا اي ليس يكان ليبلغ العبود عن مقامك لان من خصوصيتك الخلافة عموما على تلك
الصفات الثماني واما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا قال فان
كل انسان من المؤمنين والكافر فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس من زمرة يحبهم ويحبونه الا مؤمن موحد بالقلب فلما
اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستانس به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة القدس
آنس من طور الحضرة نار نور تجلي الالهية وفي قوله لاهله امكثوا اشارة الى السالك لا بد له من تجريد الظاهر عن الاهل والمال
وتجريد الباطن عن تعلقات الكونين نور تتبدد واذا ابدا استكن شمس طلعت ومن رآها امن وفي قوله لعلكم تصطلون اشارة
الى ان الاوصاف الانسانية جامدة من برودة الطبيعة لا يتسخن الا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الالهية من شاطئ الوادي
الايمن وهو السر في بقعة البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب اي رهبة من فراق وصال الحضرة واخرجوا ناهي
العقل من خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا الا سحر مفترى لان النفوس خلقت من اسفل عالم الملكوت منكسة
والقلب خلق من توسط العالم الملكوت متوجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما راى وما صدقت النفس ما رأت في اباينا الاولين
في طبايع الكواكب فانها آباء النفس وامهاتها العناصر والطبايع منكوسة الى عالم الاسفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعترفون
بالتوحيد فاوقد لي هامان الشيطان على الطين البشرية تنفخ الوساوس والهوى فاجعل لي صرحا من المقدمات الخيالية
والوهمية فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اعز فوقي في ماء شهوات الدنيا وثم هنا فادخلوا نار الحسرة والندم

ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى ۝
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ۝ وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ۝
ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا
في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين ۝
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ۝

ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين ۝ فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون
قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم
صادقين ۝ فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۝
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ۝ الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون ۝ واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا
انا كنا من قبله مسلمين ۝ اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون
بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ۝ واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين ۝ انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وهو اعلم بالمهتدين ۝ وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ وكم اهلكنا من قرية بطرت

معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا
نحن الوارثين ۝ وما كان ربك مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ۝
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير
وابقى افلا تعقلون ۝ افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ۝ ويوم
يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون ۝ قال
الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ۝ وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم
كانوا يهتدون ۝ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ۝ فاما من تاب وامن
وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ۝ وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ۝ وهو الله لا اله الا
هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ۝

القراءة عن عاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون ساحران تظاهرا ابا الحنفيين نافع يجبى اليه بتاء الثاني نافع ابو جعفر

ونافع وسهل ويعقوب بالاخرون على التذكير يعقلون بياء الغيبة شجاع والبزيدي الباقون بتاء الخطاب الا ابا عمرو فانه مخير ثم
بسكون الهاء علي والحلواني وعن قالون ترا ناشئا انشأنا **الوقوف** يتذكرون ه الشاهدين لا لاستدراك
العمر ج لاختلاف الجملتين مع العطف اياتنا لا مرسلين ه يتذكرون ه المؤمنين ه ما اوتي موسى ط من قبل ج للفصل بين الخبر
والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا قف للتعجب من عنادهم كافرون ه صادقين ه اهواءهم ط من الله ط الظالمين ه يتذكرون ط
لان الذين مبتدأ يؤمنون ه مسلمين ه ينفقون ه اعمالكم ز لاتحاد الكلام مع اتحاد المقول عليكم ز لذلك الجاهلين ه من
يشاء ج لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين ه ارضنا ط لا يعلمون ه معيشتها ج للفصل بين الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب
قليلا ط الوارثين ه اياتنا ج للعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون ه وزينتها ج فصلا بين المعنيين المتضادين وابقى ط تعقلون ه
المحضرين ه يزعمون ه اغوينا ج اغوينا ج لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك ز لما قلنا مع زيادة النفي المقتضي للفصل يعبدون ه
العذاب ج لجواز تعلق لو بمحذوف اي لو اهتدوا لما لقوا ما يقرأ ويجوز تعلقها بيهتدون والوقف على ان اي لو كانوا يهتدون
راوا العذاب ج يعلمون ه يهتدون ه المرسلين ه لا يتساءلون ه المفلحين ه ويختار ط وقد يوصل على معنى ويختار للذي كانوا لهم
فيه الخيرة ط وفيه بعد لعطف الجملتين يشركون ه يعلنون ه الاخرة ط والاخرة لعطف الجملتين ترجعون ه **التفسير** انه جاء
تعالى بعد تتميم قصة موسى بادلة نبوة واعجاز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فذكر اولا انه اعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون
وقومه حال كون الكتاب انوارا للقلوب وارشادا لاهل الضلالة وسببا لنيل الرحمة ارادة ان يتذكروا ويجوز ان يعود ترجي التذكر
الى موسى ثم اجمل قطعا من احوال موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هنالك فقال وما كنت بجانب الغربي اي بجانب المكان الواقع
في شق الغرب وهي ناحية الشام التي فيها قضى الله الى موسى امر الوحي والاستنباء وما كنت من الشاهدين على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا
ولا يكون شاهدا ولو مشاهدا قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون
هناك ولا يشهد ولا يرى ثم قال ولكنا انشأنا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرست العلوم والشرائع
ووجب ارسالك الى اخرهم وتنادى هو القرآن الذي اتيتك فارسلناك وعرفناك احوال الانبياء وحاصل الآية انه ذكر سببا الى
الذي هو تطاول العمر ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه كانه قال ان في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا
مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما اجمل وذكر امر موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك
وهو قوله وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين قوم شعيب والموصوف به تتلو عليهم اياتنا فقال مقاتل اي لم تشهد اهل مدين فتقرأ
على اهل مكة خبرهم ولكنا ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا
الى اهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى مدين شعيبا وارسلناك
الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر امر موسى واثرا من احواله وبين انه لم يكن هنالك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
الظاهر انه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وعن بعض المفسرين انه اراد قوله ورحمتي وسعت كل شيء على ما
فسأكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابائهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم
قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات
ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب ارنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك
اصواتهم قال بلى يا رب قال يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم فقال سبحانه اجبتكم قبل ان تدعوني الحديث كما
ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال
كتب الله كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتكم قبل

ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ادخلته الجنة قوله
ولكن رحمة ولكنا علمناك رحمة من ربك ثم فسر الرحمة بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي في زمان الفترة بينك وبين
عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت الانبياء قبله عليهم لكنهم ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم فبعث الله
نبيا يبين لهم تلك التكاليف وانا لله تلك الفترة في قوله ولولا ان تصيبهم لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والفاء للعطف عطف على
ان تصيبهم ولولا ارسلت اليهم هي تحضيضية والفاء في فنتبع لكونه جوابا للولا وذلك ان التحضيض في كل حكم الامر لان
كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين
بذلك لما ارسلنا اليهم والحاصل ان ارسال الرسول لاجل ازالة هذا العذر وقال اصحاب البيان القول هو المقصود بان
يكون سببا لارسال الرسول ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول دخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية
تنبيها على انهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا هو العقاب لا
غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان في هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الآية دلالة على وجوب اللطف ولولا
لم يكن لهم ان يقولوا لولا ارسلت وقال الكعبي فيه دليل على انه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان
لكان اعظم حجة على الله وقال القاضي فيه ابطال الجبر لانه لو كان عدم اتباع الايات بخلق الله فاي فائدة في قولهم هذا
ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعي معلومة ثم بين انهم قبل البعثة يتعللون بشبهة وبعد البعثة يتعللون باخرى فلا
مقصود لهم الا العناد فلما جاءهم الحق اي الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل
جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله اولم يكفروا
فيه وجوه **احدها** ان اليهود امروا قريشا ان يسألوا محمدا مثل ما اوتي موسى فقال تعالى اولم يكفروا هؤلاء اليهود الذين
استخرجوا هذا السؤال بموسى مع تلك الايات الباهرة فالذين اوردوا هذا الاقتراح هم كفرة مكة والذين كفروا بموسى من قبل
اولياؤهم في من قبلهم الذين كانوا في زمن موسى الا ان الله تعالى جعلهم كالشيء الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت وقال
الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع
الرهط اليهم فاخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
وقال الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فالتقدير اولم يكفر اباؤهم فان قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا
اي تعاونا وقال قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد عليهم السلام فقالوا ساحران
وقيل الاظهر ان كفار مكة وقريشا كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال تعالى اولم يكفروا
بما اوتي موسى بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل فعلم انه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرأ ساحران بالالف
فظاهر ومن قرأ سحران فاما بمعنى ذوي سحر او على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او على ارادة نوعين من السحر او
على ان المراد هو القرآن والتوراة وضعفه ابو عبيد بان التظاهر بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب واجيب بان الكتابين
لما كان كل واحد منهما يقوي على الاخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز انهما تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكرار قالوا
وجهان **احدهما** قالوا ساحران مرة وقالوا انا بكل اي بكل من موسى ومحمد او بكل من الكتابين كافرون مرة اخرى **الوجه الثاني**
ان يكون قوله وقالوا معطوفا على اولم يكفروا ثم عجزهم بقوله قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي مما انزل على
موسى ومما انزل على محمد قال ابن عباس فان لم يستجيبوا لك معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم
يمكنهم ان يأتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالآية وهذا الشرط بدل على الامر المحقق بعجزه والاول الظاهر

ان لم يقدروا ذلك لم يستجيبوا ويجوز ان يعتقد انه في الشك التهكم وانهم يقدرون ان لم يأتوا الآن قوله فأتوا امر والأمر دعاء الى الفعل فناسب
الاستجابة والتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شيء الا
اتباع الهوى وفي قوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اشارة الى فساد طريقة التقليد واستدلت الاشاعرة
بقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين وضعوا الهوى مكان الهدى على ان هداية الله خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة
الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان والى ذلك الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
والآية محمولة على القسم الثاني دون الاول والا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم اجاب عن قولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة واحدة
بقوله ولقد وصلنا اي انزلنا عليهم القرآن انزالا متصلا بعضه في اثر بعضه ليكون ذلك اقرب الى التذكر والتنبيه فانهم
يطلعون في كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز ان يراد بتوصيل القول جعله بيانا على اثر بيان والمعنى انا القرآن اتبعهم متتابعا
متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معاني القرآن ارادة ان يتعظوا فيفلحوا ويحتمل ان يكون المراد تتابعا في
الدلائل كون هذا القرآن معجزا مرة بعد اخرى وجميع تمام الدلالة على النبوة اكد ذلك بقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله
اي من قبل القرآن هم به يؤمنون قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله
محمدا آمنوا به منهم سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا
مع جعفر من ارض الحبشة في السفينة وثمانية جاؤوا من الشام وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم والتحقيق ان
كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلا في الآية لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى انهم ما بدلوا لتأكيد
ايمانهم وقوله انه الحق من ربنا تعليل البيان للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به وقوله انا كنا من قبله مسلمين بيان
لقولهم آمنا به لان ايمانهم احتمل ان يكون قريب العهد وان يكون بعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم وذلك لما وجدوا
في كتب الانبياء من البشارة بمقدمه واذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو في شأن كل معلم ومعنى من قبله اي
قبل وجوده ونزوله وفي قوله ويؤتون اجرهم مرتين اقوال بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن وبصبرهم
على اذى المشركين وعلى اذى اهل الكتاب او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى الايمان به بعد نزوله وهذا اقرب
لان لما تبين انهم آمنوا بعد البعثة انهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم اثبت لهم الاجر مرتين وجب ان ينصرف الى ذلك
ويدرؤون بالحسنة وهي الطاعة السيئة وهي المعاصي المتقدمة او يدفعون بالحلم الاذى يروى انهم لما اسلموا لعنهم
ابو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان
ثم بالطاعات البدنية ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهي الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وبما يجب
ان يقول الحكيم في معارضة السفيه وهو قوله واذا سمعوا اللغو وهو كل ما ينبغي ان يلغى ويترك اعرضوا عنه وقالوا
لاهل ذلك اللغو لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركة لا نبتغي الجاهلين لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا
مجازيهم بالباطل على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر ان الهداية تتعلق بمشيئة الله
قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا
وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد كلمة
واحدة ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع
من الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم
انه لا منافاة بين هذه الآية وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هداية التوفيق وشرح

الصدر التي اثبتها هداية الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين ان وضوح الدلائل
لا يكفي ما لم ينضم اليه هداية الله سبحانه حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وذلك انهم قالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا يروى ان الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق
ولكن يمنعنا من ذلك ان تتخطفنا العرب من ارضنا اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجونا فاجاب الله سبحانه عن شبهتهم
بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا يروى ان العرب كانت يتعاملون بالنهب والغارات خارج الحرم وكانوا يحترمون البلد
وسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا وبين رحبه بقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء قالوا الكل ههنا
بمعنى الاكثر قلت يحتمل ان يكون على اصله واحتمل رزقا على انه مصدر لان معنى يجبى يرزق او على انه مفعول له او ان
جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصيصها بالاضافة وحاصل الجواب انه لما جعل الحرم آمنا واكثر فيه الرزق حال
كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الاوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان اولى ولا يخفى ان التخطف
على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجة الشهادة اعلى واجل ومضرة التخطف اهون من العقاب
الدائم الا انه تعالى عليهم بما هو معلوم من عادة العرب وهو انهم كانوا لا يتعرضون لقطان الحرم والاواء ليبين
للخصم اولى بان يخرس الخصم فلذلك قدمه الله تعالى في الآية دالة على صحة الحجاج لازالة شبهة المبطلين قالت
الاشاعرة الارزاق انما تصل اليهم على ايدي الناس وقد اضاف الرزق الى نفسه فدل ذلك ان افعال العباد تستند
الى الله ومن تأمل في الآية علم ان العبد يجب ان لا يخاف ولا يرجو الا من الله ثم اجاب عن شبهتهم بعد بيان آخر مخلوط
بالوعيد وانقلب معيشتها نصب على الحذف كقوله واختار موسى قومه او على انه ظرف مكان مجازا كان السفه استقر
في المعيشة او على حذف المضاف اي بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ويتضمن بطرت معنى كفرت وغمطت والبطر
سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه ومعنى الا قليلا قال ابن عباس اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما
او ساعة ويجوز ان يكون شؤم معاصيهم بقي في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم الا قليلا من الساكن وكنا نحن
الوارثين كقوله ولله ميراث السموات والارض لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم كان لسائل ان يقول ما بال الكفار قبل مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم لم يهلكوا مع تماديهم في الغي وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها اي في القرية التي هي قصبتها واصلها
وغيرها من توابعها واعمالها رسولا يتلو عليهم آياتنا لوحي وتبليغ وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة وقال في الكشاف يحتمل
ان يراد وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا هو محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبياء وكان لقائل ان يقول ما بال الكفار بعد مبعث محمد يهلكهم الله بتكذيبهم وجحودهم فقال وما كنا مهلكي
القرى الا واهلها ظالمون بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك عنهم من قد آمن ومنهم من قد سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله
من يؤمن ثم اجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك ان حاصل شبهتهم بجواب ثالث ان قالوا تركنا الدين لاجل الدنيا
فبين تعالى بقوله افلا تعقلون وسر في اسألنا فيه حيث قال اذا اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى
المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس يعطي القليل واخذ الكثير تنظيرا للآية بقوله صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة وما اوتيتم بالواو وفي الشورى فما اوتيتم
بالفاء لانه لم يتعلق بما قبله هنا كبير تعلق وفي الشورى بما قبلها اشد تعلق مذهب لانه عقب ما لهم من التأييد ما
اوتوه من الامد والفاء حرف التعقيب والواو لمجرد العطف واعاد في هذه السورة زينتها لان المراد ههنا جميع اعراض
الدنيا من الضروريات والزينة فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة ما عداها

كالثياب الفاخرة والمراكب الرائعة والدور المشيدة واما في الشورى فلم يصدر الاستيعاب بل ما هو متعلق بهم في تلك الحالة من النجاة
والامن في الجنة فلم يحتج الى ذكر الزينة ثم زاد لبيان المذكور تاكيدا بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه لان من وعد الله
يوصل اليه الاتيان البتة وصاحبه يلقى الموعود لا محالة وتقديم الكلام بعث التالية للذكر بين ما عند الله وبين متاع الحيوة الدنيا
سوى من اهل الجنة ومن ابناء الدنيا ومعنى ثم في قوله ثم هو يوم القيمة تراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته
عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين الذين احضروا للعذاب امر عرف من القرآن قال تعالى لكنت من المحضرين وعلى ان في ذلك
ان في اللفظ اشعارا به لان الاحضار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس الله والانس وانما يليق بمواضع المكروه
والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة
ثم ذكر من وصف القيمة مقابلا ويوم يناديهم اي فاذكر لك اليوم ومعنى الاستفهام فيه التوبيخ والتهكم ومفعولا
يزعمون محذوفان فالتقدير يزعمونهم شركائي قال الذين حق عليهم القول وجب وثبت وهو مضمون لاملأن جهنم وهم
الشياطين ورؤساء الكفر وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفة والعائد الى الموصول محذوف والتقدير هؤلاء الذين
اغويناهم ثم قالوا اغويناهم كما غوينا قال اهل السنة اراد كما ان غوينا معنى اغوينا نفسي ولما فيه ايضا اغويناهم
بالوسوسة والتسويل وبكل ما امكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون انا ما غوينا الا باختيارنا فكذلكهم ما غووا الا
باختيارهم وان اغويناهم فالجاهر الكفاية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكي عن الشيطان
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ثم قالوا تبرأنا اليك منهم ومن عقائدهم واعمالهم ما كانوا ايانا
يعبدون اهواءهم الفاسدة واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وحين حكى التوبيخ المذكور
ثم ما يقول الشياطين او ائمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم
عن نصرتهم وهو قوله وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم زعم جم المفسرين ان جواب لو محذوف قال
الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الآخرة وقيل لو علموا
ان العذاب حق اذ لو كانوا يهتدون بوجه من الوجوه لدفعوا به العذاب وقيل المراد ودوا لو راوا العذاب لو كانوا يبصرون
شيئا ولكنهم صاروا بحيث لا يبصرون شيئا فلا جرم ما راوه وقيل الضمير للاصنام اي لو كانوا احياء مهتدين
لشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا لو كانوا مهتدين او تمسكوا بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة
العلل ومعنى عميت عليهم الانباء ان اخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى اليهم جميعا لا تهتدي اليهم جميعا فهم لا
يتساءلون كما يسال بعض الناس بعضا في المشكلات لانهم متساوون بالاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانبياء يوكل
عن ذلك السؤال مدهوشين في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا
لا علم لنا فما ظنك بضلال اممهم قال القاضي الاية تدل على بطلان قول المجبرة لانه لو كان خلقا من الله تعالى
ويجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة
القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشياطين كان لهم ان يقولوا انما اغوينا لخلقك فينا الغواية والقدرة
من دعوته لمثل ذلك فيكون الحجة لهم على الله فيه والعذر ظاهرا وعارضه الخصم بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه
القاضي في دفع هذا المشكل المفصل في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزعيمه
الاشعري بان الكافر لو اورد هذا السؤال على ربه لما كان له عنده جواب الا السكوت فيكون حجة الكافر قوية
وعذره ظاهرا ولقائل ان يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الاحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ الكفار

الكفار وتهديدهم اتبعه ذكر التائبين وانهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق والترجي عائد الى التائب ثم ان القوم
كانوا يذكرون شبهة اخرى وهي قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاجاب الله عنها بقوله وربك
يخلق ما يشاء ويختار ولانه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله ان يختص من شاء بما شاء وعلى مذهب المعتزلة
هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخيرة في قوله ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار والخيرة من التخير كالطيرة اسم
مستعمل بمعنى المصدر كقوله لهم محمد خيرة الله من خلقه وقد مر في الوقف ان بعضهم يقف على يشاء ثم يقول
ويختار ما كان لهم فيه الخيرة قال ابو القسم الانصاري هذا متعلق المعتزلة في ايجاب الصلاح في تكليف من علم انه لا يؤمن ولو
لم يكلفه لا يستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل انما كلفه ليستوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق به افضل
من التفضل به قلنا اذا علم ان ذلك الافضل لا يحصل [illegible] المعاقب الابدي لا يكون رعاية للمصلحة ثم في قولهم المستحق
خير من المتفضل به ممنوع لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من يستنكف من تفضله اما الذي يجعل ذاته وصفاته
باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لعل المراد بقولهم بمجرد الاستعداد لا يحصل المنع على ان الاجر يستحيل
ان يحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون والغرض ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال
والاهانة والاجلال كلها مفوضة اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بقوله وربك يعلم ما تكن صدورهم من
عداوة نبيه وما يعلنون من مطاعنهم فيه ويحتمل ان يكون عاما يشتمل السرائر والظواهر كلها وهي المسائل بالالهية
ولا اله الا هو تقرير لما قبله الحمد في الدار الاولى على نعمه الفائضة على البر والفاجر وفي الدار الآخرة كقولهم الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والحمد هناك على وجه اللذة لا التكليف فان
اهل السنة الثواب مستحق عند المعتزلة فلا يستحق الحمد بفعله من اهل الجنة واما اهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق
حمد من اهل النار ايضا بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وسائر النعم وانهم باساءتهم لا يخرج ما انعم
الله به عليهم من ان يوجب الثواب فلابد ان يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب ولقائل
ان يقول لا يلزم من وجوب قبول التوبة واستحقاق الجزاء على العمل في دار التكليف ان يكون الامر كذلك في غير دار التكليف ثم
بين بقوله وله الحكم ان القضاء بين العباد مختص به فلا حكم لاحد على العبد حكم [illegible] ولا على الزوجة حكم زوجها
ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة حكم رسولهم والى محل حكمه وقضاياه يرجع الخلائق عبيده
واما به **التأويل** ولقد آتينا موسى القلب مقام القرب والوحي والمكالمة وكشف العلوم بعد هلاك فرعون النفس
وصفاتها لعلهم يتذكرون اذ كانوا في عالم الارواح مستمعين خطاب الست بربكم وما كنت في غرب العدم بل كنت في
شرق الوجود في عالم الارواح اذ قضينا الى موسى امر اتخاذ العهد منه ان يؤمن بك كقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
وما كنت في عالم الشهادة ولكنا انشانا قرونا في عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر فاحتجبوا بالنفس بصفاتها ونسوا
تلك العهود والمواثيق وما كنت مقيما في اهل مدين كشعيب وموسى لما اخذت منهما الميثاق ان يؤمنا بك ولكنا مرسلين
للرسل الذين اخذنا الميثاق منهم ولولا ان تصيبهم التقدير لولا ان مقتضى العناية الازلية في حق هذه الامة وقع حجتهم
علينا فانا ناديناهم وهم في العدم ما اسمعناهم نداءنا ولم نوفقهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعني محمدا وفيه انه لم يتبع ان
يقول ان الحق لعنايته عن نفسه بالكلية وبقائه بربه بكل من سواه فليس له ان يقول ذلك الا بطريق المتابعة لولا اوتي
مثل ما اوتي لو لم يكونوا محتجبين بكفرهم عن رؤية كماله لعالي الولا اوتي موسى مثل ما اوتي محمد من مقام المحبة ومقام
لختم الله وقت بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعني الكتاب المشتمل على العلم اللدني فانه اهدى الى الحضرة من الكتب

الوقوف على السماع والمطالعه ومن لم يكن هذه الرتبه فانه محجوب عن الحضور بهوى نفسه كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما
يتبعون اهواءهم الذين اتيناهم حقيقة الكتاب في عالم الارواح من قبل نزوله الى عالم الاشباح هم به يؤمنون في الصوره و لهذا
قالوا انا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون اجرهم مرتين اي في العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى وموافقات الشرع
ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصي اذ الحسنه الذكر صداء حب الدنيا عن مراة القلب والحسنه فني ما سوى الله
شركا الوجود المجازي ينفقون في طلب الفنا في انك لا تهدي من احببت وذلك ان للقلب بابين احدهما الى النفس والجسد وهو
مفتوح ابدا الى الاخر الى الروح والحضره وهو مغلوق ولا يفتحه الا الفتاح الذي بيده كل مفتاح كما قال ام على قلوب اقفالها
وقال انا فتحنا لك وهو اعلم بالمهتدين الذين اصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف بجذبات الالوهيه من
ارض الانانيه اولم نمكن لهم حرما امنا في مقام العنديه يجبى اليه ثمرات حقايق كل شيء رزقا من العلوم الدينيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذوق العلم اللدني فلم يكن من بعدهم الا قليلا لم يكن في قوى القلوب الفاسد استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر
الرحمانيه في الاحايين وكنا نحن الوارثين بان رجع نور الاسلام الى الحضره بعد فساد الاستعداد حتى يبعث في امها اي في حجها
لان القلب من متولدات الروح رسولا من واردات نفحات الحق او على الحق للعلوم الجنه وللخواص الرؤيه وللاخص الوصول
والوصال كما اوحى الى عيسى بجوع ترى بتجرد تصل الي اغويناهم كما غوينا راعوا طريقة الادب ولم يقولوا كما اغويتنا مثل ما
قال ابليس فبما اغويتني اي اغويناهم بتقديرك كما غوينا بقضائك وهذا من خصوصيه نكو ... البعد الى طريقة الادب
لا ... اهل القرب على بساط الكرام ورأوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لرأوا ... الظلام عن الولقات والشهوات والدنيا
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمه من اله غير الله ياتيكم

بضياء افلا تسمعون ۝ قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمه
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ۝ و من
رحمته جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ۝ ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم
تزعمون ۝ ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا
ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ ان قارون كان من قوم
موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوأ بالعصبة
اولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ۝ وابتغ

وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما
احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ۝
قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسـٔل عن ذنوبهم المجرمون ۝
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم ۝ وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون ۝
فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما
كان من المنتصرين ۝ واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون ۝ تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ۝
من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيات الا ما كانوا يعملون ۝ ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال

مبين ۝ وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة

من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۝ ولا يصدنك عن آيات

الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع مع

الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

القراءات عندي اولم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن فليح وابو عمرو والخزاعي عن اصحابه وابن مجاهد وابو عون والشهدي
عن قنبل الباقون بالاسكان ويكانه الوقف على الياء ابو عمرو ويعقوب ويكا الوقف على الكاف وبكانه موصولة دون
السوسي عن الشهدي وهو مذهب حمزة الباقون كليهما موصولا لخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب وحفص نرى واعلم
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو **الوقوف** بضياء ط تسمعون ط فيه ط تبصرون ط تشكرون ط تزعمون ط يفترون
عليهم ص لان الواو للحال اي وقد اتيناه مع طول الكلام القوة ط بناء على ان التقدير واذكر اذ قال في الكشاف لانه يتعلق بنوء
فلا وقف الفرحين ط في الارض ط المفسدين ط عندي ط جمعا ط المجرمون ط في زينته ط لعدم العاطف ولاختلاف القائل قارون لا لان
ما بعده تعليل التمني ولو ابتدأنا لحكمنا بانه ذو حظ عظيم ط صالحا ج لان ما بعده احتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله واحتمل ان
يكون من قول اهل العلم الصابرون ط من دون الله ق فدخل المنتصرين ط ويقدر للابتلاء بلولا مع اتحاد
القول لخسف بنا ط الكافرون ط ولا فسادا ط للمتقين ط منها لعطف جملتي الشرط يعملون ط معاد ط مبين ط للكافرين ج مع
العطف المشركين ج للاية دخلت العطوف عن نون التاكيد التي دخلت المعطوف عليه مع اتفاق الجملتين اخر ط
احترازا من ايهام كون ما بعده صفة لاله الا هو ط وجهه ط ترجعون ط **التفسير** لما بين سبحانه حقيقة الالهية
واستحقاقه الحمد المطلق وان مرجع الكل الى حكمه وقضائه اتبعه بعض ما يجب ان يحمد عليه احد سواه وهو تبديل ظلام
الليل بضياء النهار وبالعكس والمعنى اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد والميم زائدة وانتصابه على انه
مفعول ثان لجعل او على الحال والى متعلق بجعل او بسرمد ومنافع الليل والنهار والاستدلال بهما على كمال قدرة الله تعالى قد تقدم
مرارا قال جار الله وانما لم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه لان الضياء وهو ضوء الشمس تتعلق به المنافع المتكاثرة
ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من
ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه وقال
الكلبي افلا تسمعون معناه افلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون ما انتم عليه من الظلام والضلال وقال اهل
البرهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس اكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الآية الاولى
بقوله افلا تسمعون بناء على الليل وختم الاخرى بقوله افلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة ثم بين ان من
رحمته روحة الليل والنهار لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار والارادة الشكر على النعمتين جميعا في الآية
طريقة اللف ثقة بفهم السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا ان الاليق بكل
واحد منهما ما ذكره فلهذا خصه به وفي توبيخ الكرير باتخاذ الشركاء دليل على انه لا شيء احفظ عند الله من الاشراك به ويعلم منه انه لا

لانبي جلب لرضايه من الشهادة بوحدانيته وفي الخطاب اين الذين ادعيتم الهيتهم ليخلصوكم واين الذين قلتم انهم يقربونكم الى الله زلفى
وقد علموا ان لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة في غمهم ومعنى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا قال بعضهم هو نبيهم لان
الانبياء يشهدون انهم بلغوا انهم الدلائل ايضا وقال الآخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان ويدخل في
جملتهم الانبياء وهذا اقرب لانه تعالى عم كل جماعة بان ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه ازمنة الفترات والازمنة التي بعد محمد صلى الله عليه
وسلم فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله وغاب عنهم ما كانوا يفترون
من الباطل والزور ثم عقب حديث اهل الضلال بقصة قارون وهو اسم اعجمي ولهذا لم ينصرف بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لا
ينصرف والظاهر انه كان من بني اسرائيل هذا ظاهر نظم القرآن ولا يبعد ايضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى وقيل كان عم
ابن اخيه وقيل كان لموسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت
النبوة لموسى والذبح والقربان الى هارون فما لي وفي قوله فبغى عليهم وجوه **احدها** ان بغيه استخفافه بالفقراء **وثانيها** انه ملكه
فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده الضحاك طغى عليهم واستطال فلم يوافقهم
في امر ابن عباس تجبر وتكبر عليهم وعن شهر بن حوشب قال بغيه انه زاد عليهم في الثياب شبرا انه يعود الى التكبر الكلبي
بغيه حسده وذلك انه لما جاوزوا البحر صارت الرسالة لموسى والحبورة لهرون وكان القربان الى هرون فجعله الى هرون فوجد
قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي
بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فالقى مجموع العصا في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فاصبحوا فاذا بعصا
هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون باتباعه
وكان كثير المال كما اخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل عن الكيمياء الستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف ايضا
انتهاء مال قارون اليه فاجاب لا نجد في انساله حرامه يجوز انه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عنده طريق الملك
او لعله وصل اليه بالارث من جهات او بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب
او جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة ومن الناس من طعن في القول الاول لان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ وانا لو قدرنا بلدة مملوءة
من الذهب لكفاها اعداد كثيرة من المفاتح ولهذا قال ابو رزين بن كعب الكوفة مفتاح واحد وايضا الكنوز هي الاموال
المدفونة في الارض ولا يتصور لها مفتاح اجاب الناصرون للقول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن ان المال اذا كان
من جنس العروض لا من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد وايضا ما روي ان مفاتيحه كانت من جلود الابل وكل
مفتاح اصبع ولكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب حملت المفاتح ستين بغلا غير مذكور في القرآن فالصواب ان يفسر قوله لتنوء
اي تنهض مثلا بان تلك الخزائن يعسر ضبطها وحفظها على اهل القوة في الحساب وقريب منه قول ابي مسلم ان المراد من المفاتح
العلم والاحاطة كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد ان حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة اولي القوة والثانية في
الرأي وظاهر الكنوز وان كان من جهة العرف هو المال المدفون الا انه يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها اغلاق
وايضا لا استبعاد في ان يكون موضع المال المدفون الا وقد يقع على المال المجموع ساحة الارض له غلق ومفتاح ولا تفرح
كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من اطمأن ورضي بها قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف
معه عقوبة الله وابتغ فيما آتاك الله من المال والثروة الدار الآخرة بصرفه في اسباب حصول سعادتها من اصناف الخيرات والبر
الموجبة والمندوب به فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذي يكون ديدنه والى هذا اشار بقوله ولا تنس نصيبك
من الدنيا ويحتمل ان يراد به اللذات المباحة وحينئذ امره بالاحسان المالي امره بالاحسان مطلقا ودخل فيه الاحسان بالمال

والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور ونحو ذلك كما احسن الله اليك اشارة الى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والعما قال
الحكماء مكافات في الطبيعة واجبة والعبادة في الارض المنهي عنه هو ما كان نظيرا من الظلم والبغي وهذا التاويل مع ما قبله
او هو امر به وهو ظاهر اللفظ وكيف كان فقد جمع في هذه الالفاظ من الوعظ ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكنه ابى الا ان يعمل بالبغي
النصح بكفران النعمة قال انما اوتيته على علم عندي وفيه وجوه قال قتادة ومقاتل والكلبي كان قارون اقرأ بني اسرائيل للتوراة
فقال انما اوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى انزل عليه الكيميا من السماء فعلم قارون
ثلث العلم ويوشع ثلثه وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل اراد
ان الله اعطاني ذلك على علم منه بانى اهل له وباستحقاقي لذلك وقوله عندي اي الامر كذلك في اعتقادي وفي ظني فاجابه الله تعالى بقوله
اولم يعلم قال العلماء المعاني يجوز ان يكون المعنى بالاستفهام اثباتا للعلم لا ردا قد قرأ قوله في التوبة اخبار الامم السالفة والقرون
الخالية وحفظها من موسى وغيره فكانه قيل انه قد علم ذلك فلم اغتر بكثرة ماله واعوانه ويجوز ان يراد به نفي العلم لانه لما اتصلت
بكونه من اهل العلم من حيث قال علم عندي نفى الله تعالى عنه انه لم يعلم هذا العلم النافع حتى نفى به نفسه مصارع الهالكين وقوله
انما القول ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمين بما قبله انه اذا عاقب المجرمين فلا حاجة الى ان يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها
لانه عالم بكل المعلومات وقال ابو مسلم اراد انهم لا يسألون سؤال استعتاب وانما يسألون سؤال تقريع ومحاسبة فخرج على قومه
في زينته عن الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه ثوب احمر ارجواني وعلى بغلته سرج من ذهب معه
اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن
الحلي والثياب الفاخرة وقيل في تسعين الفا عليهم الثياب الصفر قال الراغبون في الحيوة العاجلة ياليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين تمنوا ذلك رغبة في الانفاق في سبيل الله الخير
وقال اخرون كانوا كفارا وقد مر تحقيق التمني في سورة النساء تحقيق الغبطة والحسد في قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
وقال الذين اوتوا العلم بالعلم بالله للدنيا وانها عند الاخرة كلا شيء ويلكم واصله الدعاء بالهلاك الا انه قد يستعمل في الردع والزجر
بطريق النصح والاشفاق والضمير في قوله ولا يلقاها عائد الى الكلمة المذكورة ههنا وهي قوله ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
او الى الثواب بمعنى المثوبة او بتأويل الجنة او الى السيرة والطريقة اي لا يلقاهم هذه السيرة الا الصابرون على الطاعات
وعن الشهوات وعلى ما قسم الله وحكم به من الفقر وصح نظام حال قارون حتى انه كان ذا اشر وبطر واستحقاق بحقوق
الله واستهانة بنبيه وكتابه فلاجرم خسف الله به وبداره الارض المغربي فصلوا فقالوا لموسى نبي الله موسى صور دربه
للمراتبة التي كانت بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه على كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمر بما شئت قال تبرطلون فلانة البغي
حتى ترميه بنفسه فرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وطستا مملوا من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال
يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرها فناشدها موسى بالذي فلق البحر
وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين
ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون

وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى
الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو انهم دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا قلت لعل استغاثتهم
كانت مقرونة بالتوبة والا فالعقاب بعيد ثم ان بني اسرائيل اصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد
بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من من عذاب
الله واصبح الذين تمنوا مكانه اي منزلته من الدنيا واسبابها بالامس اي بالزمان المتقدم يقولون راغبين في طاعة الله
والرضاء بقضائه وقسمته ويكان الله من قرأه مفصوله عن كان وهو مذهب الخليل وسيبويه فوي كلمة تنبه على الخطاء
وتندم كانهم تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا ثم قالوا ويكانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين
لا ينالون الفلاح نظير هذا الاستعمال قال الشاعر شعر ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك اللام يعلم انه لا يفلح الكافرون وحكى هذا القول قطرب عن يونس وجوز جار الله ان يكون الكاف
كاف الخطاب مضمومة الى وي واللام متعلق بمحذوف اي لبيان المقول لاجله هذا القول او التعليل اي لانه لا يفلح الكفار
كان ذلك الخسف قال في الكشاف قوله تلك تعظيم للدار الاخرة وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت ذكرها وبلغك وصفها ثم
يحتمل ان يكون للتبعيد حقيقة وفي قوله لا يريدون دون ان يقول لا يركنون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا
تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون وعن علي كرم الله وجهه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود
من شراك صاحبه فيدخل تحتها ومن الناس من رد العلو الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض
وقال في الكشاف قصة قارون ولا تبغ الفساد في الارض وضعف هذا التخصيص بين لقوله تعالى في خاتم الاية
والعاقبة للمتقين لقوله من جاء بالحسنة الاية قد مر تفسير مثله في اخر الانعام وفي اخر النمل وقوله فلا يجزى الذين عملوا
السيئات مع وضع الظاهر موضع المضمر اذا كان يكفي ان يقال فلا يجزون الا انه اراد فصل تهجين بحال الممرا سنا دعمل السيئة
اليهم مكررا وفي ذلك لطف للسامعين في زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم اراد ان يسلي رسوله
في خاتمته ان الذي فرض عليك القران لرادك اي اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
رض عليك لرادك الى معاد اي معاد فنكر المعاد للتعظيم وانه ليس لغيره من البشر مثله يعني ان
الذي حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها بثواب لا يحيط الوصف وقيل
اراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معادا له لغلبة
المسلمين وظهور عز الاسلام واهله وذلة الشرك واهله وحزبه والسورة مكية فكان
وعد وهو بمكة في اذى من اهلها انه هاجر بالنبي منها ويعيده اليها في ظفر ودولة وقيل
نزلت عليه هذه الاية حين بلغ الجحفة في مهاجرته وقد اشتاق الى وطنه وفي الاية اخبار
عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون فيه اعجاز ذلك على نبوته وحين وعد رسوله الرد الى المعاد
المعتبر قال قل لاهل الشرك ربي اعلم الاية يعني نفسه واراهم وما يستحقه كل من الفريقين
في معاده ولا يخفى ان هذا الكلام منصف وافق بصدقه وحقيقته ثم ذكر رسوله ما انعم
به عليه فقال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة قال اهل العربية هذا الاستثناء
محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا لاجل الرحمة والا بمعنى لكن اي ولكن
لرحمة من ربك القي اليك ثم نهاه عن اتباع اهواء اهل الشرك وقد مر مرارا ان مثل هذا

النهى من باب التهييج له ولامته ثم بين ان مرجع الكل اليه فقال كل شئ هالك الا وجهه
فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم اى بعد كل شئ سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر
الهلاك بالعدم عن كونه منتفع به عن منفعة الخاصة به اما بالابد او بتفريق الاجزاء كما يقال
هلك الثوب وهلك المتاع وقال اهل التحقيق معنى الهلاك كونه فى حيز الامكان لا مستحق للوجود
ولا للعدم من عند ذاته وان سميت المعدوم شيئا فممتنع الوجود احق من كل شئ ان يسمى هالكا ثم
استدلت المعتزلة بالاية على ان الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما
الفناء بحكم الاية وهذا يناقض قوله اكلها دائم وعورض بقوله اعدت للمتقين ويحتمل ان يقال الكل
بمعنى الاكثر ومن هنا قال الضحاك كل شئ هالك الا الله والعرش والجنة والنار وقيل الا العلماء فانه
علمهم ويمكن ان يقال ان زمان فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا جرم اطلق لفظ
الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال　　　ارايتم ان جعل الله عليكم ليل
الفراق عند استعلاء ظلمة البشرية سرمدا قل ارايتم ان جعل الله نهار الوصال بطلوع شمس التجلى سرمدا
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون عن وعشاء سطوة التجلى ومن رحمته جعل لكم ليل الستر ونهار
التجلى فان العاشق لو دام فى التجلى كاد يستهلك وجوده وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان
على قلبى وقال لعايشة رضى الله عنها كلميني يا حميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلى الى ستر
ظل البشرية من التعب والنصب وليس هذا الستر من قبيل الحجاب وانما هو من جملة الرحم واللطف
ونظيره الشمس فى عالم الصورة فانها فى خط الاستواء تحرق وفى الافاق الرحوية لا تؤثر وفى
الافاق الحاملية يلحقه الحر والبرد فتكثر العمارة ويسهل تعيش الحيوان ونزعنا من كل امة من ارباب
النفوس شهيدا هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد لا يحصل بالبعد
الا بجذبة خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة ان الحق لله ان قارون النفس كان من قوم
موسى القلب لان الله تعالى جعل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها فى متابعته واتيناه من الكنوز
الموعودة فى صفاتها قد اهلك من قبله من القرون كابليس فانه اكثر علما وطاعة فى زينته هى
التى زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحيوة وهم صفات
النفس فقال الذين اوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به ارض دركات السفل وخسفت
بداره وهى قالبه ارض جهنم تتقلقله بها الى يوم القيمة بل الى الابد نجعلها للذين يريدون
كما قال فى بعض الكتب المنزلة عبدى انا ملك حى لا اموت ابدا اطعنى اجعلك ملكا حيا
لا تموت ابدا عبدى انا ملك اذا قلت لشئ كن فيكون وعن النبى صلى الله عليه وسلم عنوان
كتاب الله الى عباده المؤمنين من الملك الحى الذى لا يموت ان الذى فرض اى اوجب عليك
التخلق بخلق القرآن لرادك الى معاد وهو مقام الفناء فى الله والبقاء قل ربى اعلم من جاء بالهدى
وهو بذل الوجود المجازى فى الوجود الحقيقى الا رحمة من ربك اى الا ان القينا اليك الكتاب
القاء الاكسير على النحاس وتخلقت بخلق القرآن　والله المستعان على ما تصفون

التأويل

بسم الم

الوقوف

لما قال في خواتم السورة المتقدمة ان الذى
فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الى مكة ظاهرا ظافرا وكان في ذلك الوعد من احتمال سياق الحوادث ما كان قال بعده الم احسب
الناس الحق له ولا حرينشون بالجهاد او نقول لما امر بالدعاء الى العزيز في قوله وادع الى ربك وكان دونه من المتاعب واعباء الرسالة
لا يخفى بدأ السورة الى بما يهون على النفس بعض ذلك وايضا لما بين ان كل هالك راجع اليه رد على منكري الحشر بان الامر ليس على ما
حسبوه ولكنهم مكلفون في دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب قال اهل البرهان ووقع الاستفهام بعد الم يدل
على استقلالها وانقطاعها عما بعدها في هذه السورة وفي غيرها من السور في تصدير السورة بامثال هذه الحروف تنبيه للمخاطب
وايقاظ له من سنة الغفلة كما تقدم لذلك كلام له معنى مفهوم كقول القائل اسمع وكن لي ولا تقدم الا اذا كان في الحديث شان
وبالخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب او التنزيل او القرآن الذي لا يخفى عبارة والاهتمام بشانه كقوله الم
ذلك الكتاب لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن الم تنزيل
الكتاب الا في ثلث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى ان ما بعد حروف التهجي فيها من الامور العظام
التي يحق ان ينبه عليها اما في هذه السورة ان هذا القرآن نعله ومعنى بما فيه من التكليف وبيانه في سورة مريم طام لان خلق
الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر معجزة وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الاية راجع الى ان الناس لا
يتركون بمجرد التلفظ لا يتركون بكلمة الايمان بل يؤمرون بانواع التكاليف واختلفوا في سبب نزولها فقيل نزلت في عمار بن ياسر
والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت في ناس هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون
وقيل في مهجع وهو اول من عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمي يوم بدر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله معنى الحسبان
الترك وعليه والتقدير احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا قال والترك بمعنى التصيير فعل له وهم لا يفتنون
حال سد مسد الثاني مفعوليه وقال اخرون تقديره احسبوا انفسهم يتركون غير مفتونين لقولهم امنا قال او الترك
بمعنى التصيير فقوله وهم لا يفتنون لان قالوا امنا واقول ان من خواص ان مع الفعل او ان مع خبره سدها مسد مفعولي
افعال القلب والحكم بان الترك هنا بمعنى التصيير غير لازم تؤيد ما ذكرنا من المعنيين قوله سبحانه في موضع آخر ام حسبتم
ان تتركوا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان وكل ما يجب ويتلذذ ومن ملاقات الاعداء والمشاق

والصابرين على اذاهم وسائر ما تكرهه النفس والتحقيق ان المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال
باللسان امنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بد له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلا بد
له من مزكي وهو بذل النفس والمال في سبيل الرحمن معنى الاية احسبوا ان يقبل منهم دعوتهم بلا شهود وشهودهم
بلا مزكي اذا المراد احسبوا ان يتركوا في اول المقامات لا بل ينقلون الى اعلى الدرجات وهو مقام الاخلاص والقربات
ثم شبه حال هؤلاء بحال السلف منهم قائلا ولقد فتنا الذين من قبلهم اراد كذلك فعل الله بمن قبلكم لم يتركهم لمجرد
قولهم امنا بل امرهم بالطاعات وزجرهم عن المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقد مر تحقيقه في آل عمران
والحاصل انه يجدد ويرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زماني دون الاخرين واما عبارات المفسرين
فقال مقاتل فليرين الله وقيل فليظهرن الله وقيل فليميزن ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين
صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازي ان في وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد في
الاسلام في اوائل ايجاب التكاليف وعن قوم مستديمين على الكفر مستمرين عليه فقال في حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل
عن التجدد وقال في حق الاخرين وليعلمن الكاذبين بصيغة المنبئة عن الثبات والدوام كما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم
بلفظ اسم الفاعل لان صدقهم يومئذ قد رسخ في قلوب المؤمنين بخلاف اوائل الاسلام ثم بين بقوله ام حسب الذين الى
اخره ان من كلف بشيء ولم يات به عذب في المال وان لم يعذب في الاستعمال النظر وقوله ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا الى اخره
ان الامهال لا يوجب الاهمال والتعجيل في جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الموت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب ان هذا
الحسبان ابشع من الحسبان الاول لانه ذلك تقدير انه لا يمتحن لايمانه وقد نظر انه لا يجازى مساويه وهكذا ختم الاية
بقوله ساء ما يحكمون والمخصوص محذوف وما موصولة او مبهمة والتقدير بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه
حكمهم ومنطوق الاية ابطال قول من ذهب ان التكاليف ارشادات والايعاد عليه ترغيب وترهيب ولا يوجد من الله
تعذيب اعلم ان اصول الدين ثلثة معرفة المبداء واشار اليه بقوله امنا ومعرفة الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح
السبل اليه اشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومعرفة المعاد اما للاشقياء وهو قوله ام حسب الاية واما
السعداء وهي قوله من كان يرجوا اي تامل لقاء جزاء الله فان اجل الله لات فان اراد بالاجل الموت فيه اشارة الى بقاء النفس
بعد فراق البدن لما حصل اللقاء كقولك من كان يرجو الخير فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الايصال الخير بوصوله ومثله
من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب فانه علم انه يعقد للناس يوم الجمعة ويحتمل ان يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر
وقيل يرجو بمعنى يخاف وهو السميع لاقوال العباد صدقوا ام كذبوا العليم بنياتهم وطوياتهم باسرار اعمالهم فيجازيهم بالحسنى
ما لا اذن سمعت وبالذي ما لا عين رأت وبالنيات ما لا خطر على قلب البشر ثم بين بقوله ومن جاهد الاية ان فائدة تكاليف والمجاهدات
انما يرجع للمكلف والله غني عن ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة في الاية دلالة على ان رعاية الاصلح لا يجب على الله والا كان
مستكملا بذلك وانا نقول الاصلح لا يعلل الغرض لان ذلك خلاف الغني وانه ليس لان ذلك خلاف النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليس في
مكان والا لزم افتقاره وانه ليس قادرا بقدرة هو على البتة بعلم لان القدرة والعلم غيره يلزم افتقاره ويمكن ان يجاب عن
الاول لان وجوب صدور الاصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثاني بان استتباع الغاية انما والمفيد وعن الثالث
استصحاب المكان غير الاحتياج اليه وعن الرابع ان العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفي الاية بشارة من وجه ونذارة
من وجه اخر وذلك لان الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما انه يمكن ان يهلك كل صالح ولا شيء عليه الا انه
رجح جانب البشارة بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقد تقرر ان الايمان في الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما

قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا لما علم واجمالا لما لم يعلم والعمل الصالح هو الذي ندب الله ورسوله
والفاسد ما نهى الله ورسوله عنه وعند المعتزلة الامر والنهي يترتبان على الحسن والقبيح ثم العمل الصالح باق لانه في مقابلة الفاسد
والفاسد هو الهالك التالف يقال فسد الزرع اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض ولا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان
كل شيء هالك الا وجهه فبقاؤه انما يتصور له اذا كان لوجه الله ومنه يعلم ان النية شرط في الاعمال الصالحة ومن كونها لله
تعالى وخالف زفر في نية الصوم وابو حنيفة في نية الوضوء وقدم ثم انه تعالى ذكر في مقابلة الايمان والعمل الصالح امرين
تكفير السيئات والجزاء بالاحسان فتكفير السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالاحسان يكون بغير الجنة في مقابلة العمل الصالح ومنه
يعلم ان الايمان يقتضي عدم الخلود في النار لان الذي كفر سيئاته يدخل الجنة لا محالة والجزاء الاحسان يكون بغير الجنة وهو ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يكون من رؤيته عز من يقول بها وههنا بحث وهو ان قوله
لنكفرن يستدعي وجود السيئات حتى يكفر فالمراد بالذين امنوا وعملوا الصالحات اما قوم مسلمين مذنبين واما قوم مشركين امنوا
يجب الايمان ما قبله او يقال انه وعد الجميع بالاشياء لا يستدعي وعد كل واحد بكل واحد من تلك الاشياء نظيره قول الملك لقوم اذا
المعتبرين اكرم اباءكم واحترم ابناءكم فهذا لا يقتضي ان يكرم ابا من توفي ابوه ويحترم ابن من لم يولد له ولكن منهم من انه
مكرم اباء من له اب ويحترم ابن من له ابن او يقال ما من مكلف الا وله سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى بالنسبة اليهم سيئة
والحسنات الابرار سيئات المقربين وحين بين حسن التكاليف ووقوعها وذكر ثواب من حقق التكاليف اصلها وفرعها
اشار بقوله ووصينا الانسان الاية دليل الخلة لا دافع لهذه السيرة ولا مانع لهذه الطريقة فان الانسان ينقاد لاحد ينبغي
ان ينقاد لاحد ابويه ومع هذا لو امروه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فكيف غيرهم ومنه يعلم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ومعنى ووصينا امرنا كما مر في قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه اي تعهدهما وبرعاية حقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بفعل
يدل عليه ما قبله او اولهما حسنا اذا فعل بها كانه قال قلنا اولهما ذلك وقلنا له وان جاهداك لتشرك الاخرة فلو وقف على قوله بوالديه
حسنا ويجوز ان يراد ووصيناه بايتاء والديه حسنا وقلنا له وان جاهداك وقوله ما ليس لك به علم كقوله ما لم ينزل به سلطانا
اي لا معلوم ليتعلق العلم به واذا كان التقليد في الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد في الكفر وعلى وجوب ترك طاعة
الوالدين اذا ارادوا ولدهما على الاشراك دليل عقلي وذلك ان طاعتهما وجبت بامر الله فاذا نهى عن طاعة الله مطلقا يلزم منه
عدم لزوم طاعة الوالدين بامر الله وكل ما يفضي وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين في اتخاذ الشرك باحد من الممتنعات وفي
قوله الي مرجعكم ترغيب في رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا كافرين لا في الدعاء الى الشرك وفيه ان المجازي
للمؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغي ان يمنعك الوالدان لاجل كفرهما وفي قوله فانبئكم دليل على انه سبحانه
عالم بالخفيات لا يعزب عنه شيء روي ان سعد بن وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان يا سعد
بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى
سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فنزلت هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا ان يداريها ويترضاها بالاحسان ثم
الجزاء على اعمال الصالحات بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرتهم وحسن اولئك
رفيقا قال الحكماء في التجرد عن الدنيا لا كون لهم ولا فساد فيدخل العلويات منعم ثم بين حال اهل النفاق بعد تقدير حال
اهل الكفر والنفاق فقال ومن الناس من يقول امنا بالله يعني اما المؤمنون فحققوا امنا ادعوا ايمانه كالمؤمنين واختار الله تعالى
انه ايمانه لا يحققه بدليل قوله واذا اوذي في الله اي في سبيله ودينه جعل فتنة الناس كعذاب الله قال جار الله اي جعل
فتنة الناس صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم اي كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا وحال (?)

وهنا في الواقع وقيل جزعوا من الناس كما جزعوا من عذاب الله وبالجملة معناه انهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها
كعذاب الله الاليم الدائم حتى ترددوا في الامر وقالوا ان امنا نتعرض للتأذي وذلك انهم كانوا يستهزؤن من الكفار
وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز عن التعرض للعاجل ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل
عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وليس في الاية منع من اظهار كلمة الكفر اكراها وان المنع من اظهارها مع مواطاة القلب
التي كانوا عليها ومما يؤكد تذبذبهم قوله ولئن جاء نصر من ربك وليلزمه الغنيمة غالبا ليقولن انا معكم حكى جواب المنافقين
اذا رأوا اليد للكفار اظهروا ما اضمروا من الكفر وان كان النصر للمؤمنين اظهروا ما اضمروا واظهروا الصحبة وادعوا التبعية وفي تخصيص اسم الرب
بالمقام اشارة الى التربية والرحمة هي التي اوجبت النصر ثم اخبر تعالى انه عالم بما في صدور العالمين منهم بما في صدورهم لانه اخبر
بانفسهم كما هو هم لا يعرفون نفوسهم كما هي فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيئا لانه لا يجوز عليه الالتباس ثم بين قوله
وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وعيد للمؤمنين ووعيد للكافرين باعتبار القلب ههنا وهو في المؤمن التصديق
وفي المنافق النفاق واعتبر في اول السورة امر اللسان وهو في الكافر الكذب لانه يقول ان الله غير موجود والله اكثر من واحد وفي المؤمن
الصدق لانه يقول الله واحد وحين بين احوال الفرق الثلثة وذلك ان الكافر يدعو من يقول امنت الى الكفر بالفتنة وبيان
عذاب الله فوقها وكان الكافر ان يقول للمؤمن لم تصبر في الذل على الايذاء ولم تدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان
جواب المؤمن ان يقول خوفا من عذاب الله لي خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا اشار الى
جميع ذلك بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اراد ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا
طريقنا وان نحمل خطاياكم نظيره ليكن منك العطاء ولكن مني الدعاء وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب لكنه حكاية يقول
صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم ويرى نظيره
في الاسلام يشجع احدهم فاذا جاء على ارتكاب بعض العظائم فيقول افعل هذا والمه علي وكم من مغرور يعتز هذا الضمان ثم اخبر
الله عنهم بانهم لا يحملون شيئا من خطاياهم ولا يرد عليه هذا المخالفة لما زعموا انهم يحملونها وناداهم فلهذا حكم الله عليهم بانهم كاذبون
ويجوز ان يكونوا كاذبين بانهم وعدوا في قلوبهم نية الخلف ولا حاجة في توجيه تكذيبهم كاذبين الى التشبيه الذي ذكره في
الكشاف لا يجمع بين قوله وما هم بحاملين وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فان النفي راجع الى الحمل الذي يخص صاحب
والاثبات يرجع الى انهم يحملون وزر الاضلال مع ان اتباعهم حاملون وزر الاضلال كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شيء ثم قال وليسئلن سؤال تقريع يوم القيمة عما كانوا يفترون من انه
لا حشر ولا علم بعيدة وجوده يحملون خطايا التابعين ثم اجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله في اول السورة ولقد فتنا
الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث الف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم
الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة لبثك وكثرة عدد امتك وفيه تحذير لكفار قريش فان اولئك الكفار ما نجوا من العذاب
مع تلك الاعمار الطوال فهؤلاء كيف يسلمون او كيف يعتبرون سؤال لم قال في قوله الف سنة الا خمسين دون ان يقول تسعمائة
وخمسين الجواب لان العبارة الثانية تحتمل التجوز والتقريب فان من يقول عاش الف سنة يمكن ان يتوهم السامع ان ذلك تقريبا
لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا والا سنة زال ذلك الوهم وايضا المقصود في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الالف الذي هو عقد معتبر
وصل الى هذا الغرض واما جاء بالمميز في المستثنى خالفه في المستثنى منه تجافيا من التكرار الخالي عن الفائدة وتوسعا في الكلام
قال بعض الاطباء العمر الطبيعي للانسان مائة وعشرون سنة فاعترضوا عليهم بعمر نوح عليه السلام وغيره وذلك ان المفسرين قالوا عمر نوح
الف وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الف واربعمائة (?)

سنه ويمكن ان يقال انهم ارادوا بالطبيعي ما كان اكثريا في اعصارهم ولا ينافي كون بعض الاعمار زايدا على هذا المقدار بطريق خرق العاده
على ان العاده قد يختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى سبعين والطوفان
ما عم كل المكان بكثره وغلبه من سيل او ظلام ليل وفي قوله وهم ظالمون دليل على انهم من العذاب قد اخذهم وهم مصرون على
الظلم ولو كانوا قد تركوه لما اهلكهم والضمير في قوله وجعلناها اما للحادثه او للقصه او السفينه واعاجيب هذه القصه واحوال
السفينه واهو العادته مشهور ولا ريب انها ايات يستدل على موجبها **التاويل** اقسم بهذا ايته وبالايه ونهايته
انه مهما يكون من العبد التقرب اليه باصناف العبوديه يكون منه التقرب الى العبد بالالطاف الربوبيه ويكره قوله احسب الناس اي
الناسون من اهل البطاله ان يتركوا لمجرد الدعوى لا يبتلوا بالبلوى والمحنه والمحن فوامان وبالامتحان يكرم الرجل او يهان فمن
زاد قدر معناه الا قدمه بالبلاء والنفوس لاخراجها عن اوطان الكسل وتمرينها في حسن العمل والبلاء على القلوب ليصيبها من سمى
الدين لقبول نفس الغيب والبلاء على الاسرار في اعتكافها في مشاهد الكشف بالصبر على اثار التجلي الى ان يصير مستهلكا فيه بافنائه
وان اشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه فكره اوقات غلبات شواهد الحق فيظن انه هو الحق ولا يدري انه من الحق
ولا يقال انه الحق وعزيز من يهتدي الى ذلك كلام حسب الذين فيه ان من موجبات عمل السيات سواد رانها القلوب بصداء الحان
ودين الكفر ان لن يهوا ان يسبقونا بالصدوان عن طريق شقاق الانتقام عنا حل الاجرام ساء ما يحكمون بالنجاه عن الدركات
باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات من عمر في رجاء لقانا فهو الذي يجد النظر الى جمالنا
ومن السميع لانين المشتاقين العليم بطويات الصادقين ومن جاهد بالسعي طلبا فانما يجاهد لنفسه لانها التخليه عن الاخلاق
الذميمه والتحليه بالصفات الحميده تخلص عن الامارات ويستاهل المطمينه فيستحق لجذبه ارجعي الى ربك والذين امنوا قلوبهم
بحبنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود في طلب وجودنا لنكفرن عنهم سيات وجودهم المجازي ولنجزينهم وجودا حقيقيا
احسن منه وان جاهداك لتشرك بي فيه اشاره الى المريد اذا تمسك بذيل الشيخ كاملا وتوجه الى الحضره لم يمنعه من عزايم
الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فلا ينبغي له ان لا يطيعهما لانه سبب في ولادته في عالم الارواح وهما سبب ولادته
في عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض لم يولد مرتين فهو احق بها به الحقوق منهما
جعل فتنه الناس كعذاب الله فيه ان المؤمن من كف الاذى هو الولي من تحمل من الخلق الاذى ولا تتريح فيه الشكوى
من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن في حمايه خشيه الله يفر منه خوف الخلق
اذا اوذي وقال الذين كفروا فيه ان كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعه الانسانيه لمومني القلب والسر
والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا في طلب الشهوات الحيوانيه ولنحمل خطاياكم اي ندفع عنكم ضرر ما يوقع الكم في متابعه شهوات
الدنيا وطيباتها وما هم بحاملين شيا من خطاياهم وهو العمى والصمم والبكم وساير الصفات
النفسانيه ولكن يحملون اثقال هذه الاوقات مع الاوقات التي يختص بها

وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ۵ انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله

الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ۵ وان تكذبوا فقد
كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين ۵ او لم
يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا
في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله
على كل شي قدير ۵ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير ۵ والذين كفروا بايات الله ولقائه اوليك يئسوا من رحمتي
واوليك لهم عذاب اليم ۵ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه فانجيه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ۵ وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم
القيمه يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار
وما لكم من ناصرين ۵ فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه
هو العزيز الحكيم ۵ ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن
الصلحين ۵ ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم
بها من احد من العالمين ۵ اينكم لتاتون الرجال وتقطعون

السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه

الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال

رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم

بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا

ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله

الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم

وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك

كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء

بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون والى

مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا

في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم

جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين

لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون

وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في

الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم

من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من

من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم

ولكن كانوا انفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا

من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان

اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون

القراءة اولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاة بفتح الشين بعدها الف ممدودة حيث كان ابن كثير وابو عمرو مودة بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي ويزيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح السموني والبرجمي مودة بالنصب بينكم بالاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب بينكم بالفتح ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو انكم بهمزة واحدة اينكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد مثله بزيادة مدة في الثانية يزيد وزيد وقالون كلاهما مستفهم بالثانية ابو عمرو والاولى بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص وهشام يدخل فيهما مدة الباقون بهمزتين وفيهما ابو هاشم كنظائره لننجينه بسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلي وخلف سيء بهم كما ذكر في هود منجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل منزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير منصرف ... حمزة وحفص وسهل ...

الوقوف وانفسه ط يعلمون ه افكا ط واشكروا له ط ترجعون ه من قبلكم ط للعطف مع الاختلاف بالاثبات والنفي المبينة بعده ط يسير ه الاخرة ط قدير ج لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا من يشاء ط لانقطاع النظم بتقدير المعبود مع اتفاق الجملتين يعلمون ه السماء ه فصلا بين الفريقين المعظمين مع اتفاق الجملتين بضمير الميم الناس ط بوصفه اوثانا لمن قرا مودة بالرفع الدنيا لاختلاف الجملتين والفصل بين تباين الدارين بعضا ز لاختلاف الجملتين بضمير الميم مع اتحاد المقصود من امرين قيل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابرهيم ولو وصل لاوهم اتحاد الفاعل ربي ط الحكيم ه الدنيا ط للابتداء مع واو العطف الصالحين ه الفاحشة لان ما بعده يصلح مستانفا او حالا او صفا العالمين ه المنكر ط لانتهاء الخطاب الى ابتداء الخطاب الصادقين ه المفسدين ه البشرى لا لان قالوا جواب لما القرية ج للابتداء بان مع احتمال التعليل ظالمين ج وقد يوصل دلالة على تدارك ابرهيم لوطا بمن فيها ز لان لام التوكيد يقتضي قسما اي والله لننجينه مع تمام المقصود في التنجية الا امراته ز لان ما بعده يصلح مستانفا في النظم ولكنه حال الاولى لان المستثنى مشبه بالمفعول اي مستثنى امراته كائنة من الغابرين ولا تحزن ج فصلا بين البشارتين وتوفيرا للفرج الغابرين ه يفسقون ه يعقلون ه شعيبا لتعلق الفاء المفسدين ه جاثمين ز لان عادا يحتمل ان يكون منصوبا باخذتهم او بمحذوف اي واذكر واهذا الوجه لان قوله وقد تبين حال ولا يحسن ان يكون عادا فاخذتهم ما مساكنهم ق لان العديلة وقد زين وعادا فاخذتهم مستبصرين ه للعطف وهامان يحتمل عند الوقف وقيل الاساءة على ان قوله ولقد جاءهم حال عاملة فاخذتهم سابقين ج لانقطاع النظم بتقدير المفعول مع اتفاق الجملتين بذنبه ج وكذلك على حاصبا واخذته الصيحة وخسفنا به الارض واغرقنا لعطف الجمل والوقف اوجه تفصلا لانواع النعم واما الا لغرض الاعتبار يظلمون ه العنكبوت ج لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا بيتا ط العنكبوت م لان

ومن العنكبوت مطلقا لا يعلق يعلمون **التفسير** وابرهيم منصوب بمضمر وهو اذكر وقوله اذ قال بدل منه بدل الاشتمال لان
الاحيان تشتمل على ما فيها اى اذكر وقت قوله لقومه وجوز ان يكون معطوفا على نوحا واورد عليه ان الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت
الدعوة ظرفا للارسال واجيب بان الارسال امر ممتد الى وان الدعوة اول الامر ارسلناه حين كان صالحا لان يقول لقومه اعبدوا الله
حصره بالعبادة واتقوا مخالفته ذلكم الخلاص والتقوى خير لكم ان كنتم تعلمون اما العبادة فلانها غاية الخضوع ولا يصلح الا لمن هو في
غاية الكمال فضلا عن الجماد واما التقوى فلان من قدر على اهلاك الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتعذيبهم اذا عصوه فالعاقل
من يجتنب مخالفة القادر ثم بين بقوله انما تعبدون من دون الله اوثانا اى الذى تعبدونه في غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا
ظل اسبغ من وضع الاخس موضع الاشرف وبين بقوله وتخلقون افكا ان الذين تزعمون انها شفعاؤهم عند الله كذب وزور ثم
ذكرهم انهم لا يقدرون على نفع ولا على ايصال رزق كان ثم اشار بقوله وابتغوا عند الله الرزق الى ان هذه الماهية والرزق فالموعود
في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها يجب ان يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب ان يكون له اليه ترجعون
ان المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم الى قوله فما كان
جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا للكفار قريش فظاهر وان كان تتمة قول ابرهيم فالامم المتقدمة عليه اما نوح وقومه ادريس و قوم
شعيب وقوم ادم عليهم السلام واما بقوله قوم عبر عن امته لانه عاش الف سنة واكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن
يومنون من بعدهم من الانبياء ان يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر المسائل والابانة اقامة البرهان عليه وفيه دليل على ان تاخير
البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والكلام يكون البلاغ مبينا حين بين التوحيد والرسالة بقى في بيان المعاد فان هذه الاصول
الثلث لا يكاد ينفصل في الذكر الالهي فقال اولم يروا بالبرهان النير القائم مقام الرؤية كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
اما ابتداء الخلق المطلق فلان المخلوق لا بد له من خالق او ينتهى اليه سلسلة المخلوقات واما خلق الانسان بل كيفيته فانه كان
المحسوس منا بوى النطفة وقعت في الرحم فدارت عليه الاطوار حتى حصلت خلقا اخر واما الاعادة فلانها اهون في القياس
العقلي وليصلا ختم الاية بقوله ان ذلك على الله يسير وحين اشار الى العلم الحدسى الحاصل من غير طلب امر نبينا صلى الله عليه وسلم
او حكى ابرهيم قوله به قل سيروا في الارض لعلم لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا في اقطار الارض وتفكروا في كيفية تكون
المواليد الثلثة والمعادن والنبات والحيوان حتى يفضى بكم النظر المؤدى الى العلم والاثبات على تقدير عدم حضور ذلك
البيان والعيان ولهذا قال اولا كيف يبدئ بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضى لان العلم الحدسى حاصل في كل حال
واما العلم الاستدلالي فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وبلغ فكانه قيل ان لم يحصل لكم العلم بان الله في كل حال يبدئ الابداء
والاعادة فانظروا في اصناف المخلوقات حتى تعرفوا انه كيف بدأها ثم يستدلوا من ذلك على انه ينشئها النشأة الثانية
فهذا عطف على المعنى كانه قال فانظروا هذا وقد تكلف جار الله فقال هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف قال وقوله
ثم يعيده اخبار على حاله وليس بمعطوف على يبدئ ثم ان في اقامة اسم الله مقام الضمير في قوله ثم ينشئ اشارة الى انه لا
يقدر على النشأة الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحيوة وسائر نعوت الجلال وحين ذكر دلائل الانفس
والافاق صرح بالنتيجة الكلية اذا اراد ذلك وفي الاية لطائف منها انه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي
غضبي لان الاية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلكم لم يخل الكلام عن ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي
ومنها انه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهارا للهيبة الالهية ومنها انه قال واليه تقلبون ثم اعاد ههنا
لان التعذيب قد يكون باجلين وكانه قال وان تاخر عنكم ذلك فلا تظنوا فوته فان الينا ايابكم وعلينا
حسابكم وعندنا يدخر ثوابكم وعقابكم يؤيده قوله وما انتم بمعجزين في الاية وفيه ان الانقلاب اليه لا منه وذلك لان المعجز اما

اما بالهرب واما بالثبات وقد نفى الاول بقوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اى لو هبطتم الى موضع السمكة في الماء
او صعدتم الى محل السماك في السماء لم تعجزوا عن قبضته وقدرة الله وقدم الارض على السماء لان السماء ابعد واشرف اى ان
هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة او في السماء التى هى افسح منها وابعد فانكم لا تفوتون الله او المراد لا تعجزونه كيف
ما هبطتم في اعماق الارض او علوتم في البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او اراد لا
تعجزونه ملائكة الظاهر في الارض لانه خطاب للمؤمنين ونفى الثاني بقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لان الركن
الشديد الذى يستند اليه اما ولى يشفع او ناصر يدفع فالاول اسهل الطريقين فلذلك قدم الولى على النصير ثم خص
الوعيد بالكافرين بآياته اى بدلائل الوحدانية بشفيع او ناصر وبالكتب والمعجزات وفي دلالة قوله اولئك اشارة الى ان الناس
من الرحمة مخصوص منهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون هو نسبة الياس اليهم اما على سبيل الاخبار عن
حالهم يوم القيمة او على سبيل وصف الحال فان وصف المؤمن ان يكون راجيا خائفا ونعت الكافر ان لا يخطر بباله رجاء فلا
رجاء بل يكون خائفا على كل حال لانه من خائف وجوز في الكشاف ان يكون على طريقة التشبيه كانهم شبه حالهم في انتفاء
الرحمة عنهم بحال من يئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا التشبيه لان الياس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله
وبرحمته والكافر معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكذيبهم ولذلك في قوله واولئك لهم عذاب اليم انكار واحد من الوعيد
الا يوجد الاوهم وان كان الوعيدان متلازمان في الحقيقة ثم حكى انه جواب قوم ابرهيم لم يكن الا قالوا بينهم او قال واحد
ورضى به الباقون اقتلوه بالسيف وحكى او حرقوه بالنار وهذا ليس جوابا في الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه
بيان جهالتهم وضعفهم الوعيد موضع الايثار للنصيحة والاذعان للحق ثم بين انهم على تحريقه فانجاه الله من النار
والقصة مذكورة في سورة الانبياء ان في ذلك لايات لانا مات جمع الايات لعظم تلك الحالة كقوله ان ابرهيم كان امة او لانها
مشتملة على احوال عجيبة كالرمي من المنجنيق من غير ان لحق به ضرر وكما يروى ان النار صارت عليه روحا وريحانا
الى غير ذلك وانما قال في قصة نوح وجعلناها آية ولم يذكر الجواب هنا الا ان الخلاص من تلك النار آية في نفسه واما السفينة
فقد جعلها الله آية باخذه في الطوفان وصيانتها عن الغرق ويمكن ان يقال ان الصون عن النار من الصون عن الماء فلذلك جمع
الآية هنالك جميعا هنا ولهذا قال هناك آية للعالمين وههنا الآيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت اعواما حتى رآها
الناس ومر وبها الحضار العالم بلا اخذا وتقول حتى السفينة حصلت بعد ذلك فيما بين الناس وكانت آية للعالمين واما
برد النار فلم يبق منه كاثر ولا يظهر لمن بعده الا بطريق الحكاية وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لغيره وقال وقد كان لكم اسوة حسنة في ابرهيم فخص المؤمنين بشارة بان الله يجعل النار
على المؤمنين المهتدين بردا وسلاما ثم حكى انه بعدما نجى من النار عاد الى النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك
قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة او باضافة ففيه وجهين **احدهما**
التعليل بتوادوا وتتواصلوا لاجتماعكم واتفاقكم على عبادتها كما يتفق الناس على مذهب فيكون بينهم سبب
ذلك التحاب **والثاني** ان يكون مفعولا ثانيا على حذف المضاف او على المصدر بمعنى المفعول اى اتخذتم الاوثان سبب المودة
بينكم اى اتخذتموها مودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة او بغير اضافة ففيه وجهين ايضا ان يكون خبر لان على ان ما موصولة
والتقدير ان التى اتخذتموها مودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة او بغير اضافة ففيه وجهين ايضا اوثانا هى سبب مودة
بينكم او مودة بينكم والثانى ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة او سبب مودة وعلى هذا فالوقف على اوثانا حسن كما ثم تعود
يوم القيمة العبادة تودا كنا بينهم وبين اوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا

والتحقيق فيه انهم غلبت عليهم الجسمية ولذلك اتخذوا هذه الاصنام ولم يعقلوا حقيقة لهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها
فلاجرم اذا وقعت الحجب وكشف الغطاء عن عالم الارواح زالت الشبه الجسمية وظهرت الاحكام الروحانية وعذبوا
بالخذلان والحرمان من غير شفعاء ولا اعوان ولذلك قال ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وانما لم يقل هاهنا وما لكم من دون الله لان الله
لا ينصر الكفار من اهل النار وانما جمع الناصرين هاهنا لان المراد في الاول نفي جنس النصير وهاهنا اراد نفي الناصرين الذين كانوا اهل الكفر
يزعمون انهم شفعاؤهم عند الله فآمن له لوط وكان ابن اخيه ابراهيم صدقه حين رأى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن
برسالة ابراهيم حين رأى المعجز واما بالوحدانية فانه حين سمع مقالته لم يتوقف في الايمان بالله الى وقت اظهار المعجزة كان
تفصيلها ثبتت وقد جاء في تقرير باطنه لا نرى ان ابا بكر وعليا رضي الله عنهما اسلما الا عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما
وقال ابراهيم اني مهاجر هاجر من كوثى في سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ولهذا قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان
وكان معه في هجرته امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط ايضا ومعنى الى ربي الى حيث امرني ربي بالهجرة
اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القرآن ادخل في الاخلاص لان المهاجر الى حيث امره الملك قد يهاجر اليه من حيث حظ
نفسه فيصدق انه مهاجر الى حيث امره الملك ولا يصدق انه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله انه هو العزيز الحكيم
نوع تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة بامر الله قال في الكشاف انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا
الا بما هو مصلحتي ثم ذكر ما انعم به عليه من الاولاد والاحفاد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب الا في ذريته وفي الغرب به
والانجيل والزبور والفرقان ولهذا اندرج ذكر اسمعيل في الاية ولعل السر في عدم التصريح بذكره ان الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم
قسمين احدهما زمن اسحاق ويعقوب وذراريهما الى زمن الفترة والاخر زمن محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وهو من ولد
اسمعيل عليه السلام فطوى ذكر اسمعيل اشارة الى تأخر زمانه ودولته والله اعلم ثم ذكر كل النعمة بقوله وآتيناه اجره في الدنيا قال اهل
التحقيق ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم باضدادها فالقوم قصدوا تعذيبه بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وهاجر من بلده
وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان لا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشي ما علم الله عدده فقيل روي
انه كان اثنا عشر الف كلب بها حارسا فاعناقها اجراس من ذهب وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
وجعل الله له لسان صدق في الاخرين اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم بين بقوله وانه في الاخرة
لمن الصالحين اي تلك النعم الدنيوية ولذاتها متبوعة بفلاح الاخرة وصلاحها حصلها الله تعالى ببركته اهل البيت ذلك هو الشأن
قوله ولوطا اذ قال اعرابه كاعراب قوله وابراهيم اذ قال وقيل والظاهر ان لوطا يكون قد امر قومه بالتوحيد والعبادة
اولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا ان الله تعالى قد حكى عنه ما اختص به وهو قوله انكم لتأتون الفاحشة
ويحتمل ان يكونوا موحدين الا انهم بسبب الاصرار على الفعلة الشنعاء وتحليلها مع وجود النبي عليه السلام الناهي عنها صاروا من
الكفرة واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع ان الزنا لا يفضي الى قطع النسل والتوالد او لو يكون منها
فاحشة لتماديها في القبح ولافضائها الى انقطاع النسل ويعلم منه احتياجها الى الزواجر كالزنا بالمرأة ويعلم منه اعتقاد حالة
الرجم بدليل امطار الحجارة على اهلها ومعنى ما سبقكم انه لم يأت بمثل هذا الفعل احد قبلهم او لم يشتهر به ولم يبالغ فيه احد
وانما ذكر بعضهم في البدء كما سبق فلا حاجة الى الحلاء في التطبيق الشام في اللحم اذا زاد عليهم ويقطعون السبيل يعني
الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز ان يكونوا قطاع الطريق والظاهر تجربة وتأتون في ناديكم المنكر اي
تجمعون في مجلس الاجهاد والنادي هو المجلس ما دام فيه اهله وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتجامعون وعن ابن عباس
هو الحذف ومضغ العلك وحل الازرار والتحنث في المزاح والسخرية بمن يمر بهم فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله

الله ولم يهددوه بنحو القتل والتحريق كما في قصة ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح في الهتهم ويشتمهم بعد تبيانه بالبرهان بعبادة
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فجعلوا جزاءه شر الجزاء واما لوط فكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج اولا
اخرجوا آل لوط من قريتكم واقترحوا منه عذاب الله ثانيا ويجوز ان يكون على سبيل الاستهزاء فلا جرم قال رب انصرني على القوم
المفسدين كان قد ايس من توبتهم وانابتهم ومن ان يلد ولعل ذلك مطبعا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا
عليه من المعاصي والفواحش طبعا او كرها بابتداع الفاحشة واقتداء من بعدهم والبشرى هي البشارة بالولد والنافلة اسحاق ويعقوب
واضافة مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال او الحال القريب منه لا الماضي ولان المقصود يتضح بذلك لا يوصف
الملائكة بطلق الاهلاك والقرية سدوم ثم علل الاهلاك بان الظلم قد استمر فيهم بناء على ان كان للثبوت والاستمرار ويحتمل
ان يكون للزمان الماضي فان هذا القدر يكفي للتعليل والزائد عليه لا يحتاج الملائكة المذكرين بخلاف ما في قصة نوح فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله تعالى ولا يحسن من الكبير ان يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار
والاستمرار قال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو انه كان في اهلاك قوم لوط خلاء الارض من الفساد فقدمت البشارة
المذكورة المتضمنة لوجود عباد الصالحين حتى لا يأسف على اهلاك قوم من ابناء جنسه ثم ان ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع
انذار الملائكة اظهر الاشفاق على لوط ويحزن له قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها فاخبروا بحاله وحال قومه ومعنى من
الغابرين من الماضين ذكرهما ومن مضى زمانه ومضوا من الباقين في المهلكين وسيء بهم وضاق بهم ذرعا قد مر في هود
وقال بعضهم يحتمل ان يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك يجتمع اعضاء الانسان ويضعف ساعدها فقالت
الملائكة لا تخف ولا تحزن بسبب التفكر في امرنا قال اهل البرهان انما قال هاهنا ولما ان جاءت بزيادة ان لان لما يقتضي جوابا واذا
اتصل به ان دل على ان الجواب وقع في الحال من غير تراخ في الظاهر كما في هذه السورة وهو قوله سيء بهم وفي هود اتصل به كلام
بعد كلام فقال فلم يحسن حذف ان نظام ام ان القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا
لابراهيم لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا اوان انجائه فارادوا ان ذلك الوعد حتم واقع سالكو ذلك
انا منبئون وجوده والرجز العذاب الذي يوقع صاحبه في القلق والاضطراب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب
ولذلك الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد ان الامر بالخسف والقضاء من السماء لقد تركنا منها اي من القرية
آية بينة هي آثار منازلهم الخربة او بقية الحجارة او الماء الاسود او قصتهم وخبرهم وقيل الضمير يتعلق بتركنا او ببينة
ولزيادة قوله بينة قال لقوم يعقلون بخلاف قوله في قصة نوح وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا
لذوي العقول وليس كل من في العالم بذي عقل ثم اجمل سائر القصص والرجاء اما على اصله او بمعنى الخوف وعلى الاول
قال جار الله ارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه
من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلوة ملاحظا لاداء الشرط وهو الاسلام فكذبوه انما صح الطلاق بالتكذيب مع ان ما
ذكره شعيب امر ونهي والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق والتكذيب وكذا النهي لان قول شعيب متضمن ان الله واحد
والحشر كائن والفساد محرم وكل واحد منهن خبر ومعنى الرجفة الصيحة وقد مر في الاعراف وفي هود وكذا انه قال فاخذتهم الرجفة في
دارهم على التوحيد ومع الصيحة في ديارهم على الجمع واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم ذلك الاهلاك من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها
عند مروركم وكانوا مستبصرين اي عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال او كانوا عالمين باخبار الرسل ان العذاب نازل بهم
ولكنهم لم ينظروا في الدليل ولجوا حتى هلكوا وما كانوا سابقين اي فائتين امر الله ثم قرر ما هو المذنب باجمال لاجل
يفيد انهم عذبوا بالمعاصي لا لاجل ان تصحيح ما فيه تركهم سبب العدم لهم وما منه بقاؤهم سبب افنائهم فالحاصب حجارة محماة تقع على كل واحد

منهم فينفعلني الجابنا الاخرى وهو اشاره الى التعذيب لعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحه وهي نوع شديد في الهواء لمدين وثمود
والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم بالاهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاشراك وقال اهل العرفان وما كان
الله ليضعهم فيغنيهم صنعهم فانه وضعهم الكرامه ولكنهم وضعوا انفسهم مع شرفها في عبادة الوثن الذي هو في غاية الخسة فلذلك ضرب
الله لهم المثل العنكبوت ونسجه الذي هو عند الناس في غاية الوهن والضعف فان كان نسجهما كما قطاع وانكان نعرفا فلذلك ضرب
كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا وملجاء كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا فانه يصيبها الهلاك وليصف البيت منه كعابدين الوثن دالك
بسبب عباد تنوفيان العنكبوت كما انه يصاد بسبب نسجه الذباب ولكنه لابقاء له ولا شيء باد في سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه
فلو اول من نجاح بعوضه ويعض متاع الدنيا ولكنه كعل يبصر اخا الامر هبا منثورا ثم عرض على العقول صحة المثل المضروب فالا اولا
اوهن البيوت لبيت العنكبوت لانه لا يصلح للبقاء ولا للاستكنان والنسج في نفسه ان فرض له فايده كما ان الصنم في نفسه يمكن
ان ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا الا انكالا انه غير معتبد بل مضحكا ثم حكى لكم عباده الصنم ثم قال لو كانوا يعلمون تحقيق الجواب لبدء
الوهم كل منحل الى لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وامر دينهم لتابوا وندموا ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح ان
اوهن البيوت اذا استقر بيتا ما بيتا البيوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان اذا استقر بيتا دينا دينا
وصاحب الكشاف على هذا الشرط بما قبله وليس بذاك وقد مر في الوقف

إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ۝ خلق الله
السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآيات للمؤمنين ۝ اتل ما أوحي
إليك وأقم الصلوه إن الصلوه تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر
الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ۝ ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا
وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ۝ وكذلك
أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ۝ وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ۝ بل

هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا
إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات
عند الله وإنما أنا نذير مبين ۝ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون ۝ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ۝
ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب
وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ يستعجلونك بالعذاب
وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ۝ يوم يغشاهم العذاب من
فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقولون ذوقوا ما كنتم تعملون ۝
يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ۝
كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ۝ والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها نعم أجر العاملين ۝ الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون ۝ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
وإياكم وهو السميع العليم ۝ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض

وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ۝ الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ۝ ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۝ وما هذه
الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون ۝ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ۝ ليكفروا بما اتيناهم
وليتمتعوا فسوف يعلمون ۝ اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
يكفرون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين ۝
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ۝

القراءة ما يدعون بالغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب ابة على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل حمزة وعلي غير قتيبة وخلف لنفسه ويعقوب بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون يا عبادي الذين بسكون الياء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع بالياء الاعرابي بفتح الياء ابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانية وفتح الجيم يحيى وهشام يرجعون بفتح التاء الفوقانية وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانية وفتح الجيم لنبوئنهم بسكون الباء المثلثة حمزة وعلي وخلف والاخرون بفتح الباء التحتانية للوحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلي وخلف سبلنا بسكون

بسكون الباء ابو عمرو **الوقوف** من تشاء الحكيم للناس لاختلاف الجملتين والعدول عن العموم الى الخصوص العالمون بالحق للمؤمنين الصلوة والمنكر اكبر ما يصنعون بالجزم لحاجى والمعترضين والثلاث الباقي من القران مسلمون اليك الكتاب يؤمنون به فصلا بين حالتي الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به الكافرون المبطلون العليم الظالمون من ربه عند الله مبين عليهم يؤمنون شهيدا لا ما بعده يصلح وصفا واستينافا والارض بالله لا ما بعده خبر الخاسرون العذاب لا يشعرون بالعذاب بالكافرين لا لان يوم ظرف لمحيطة تعملون فاعبدون ترجعون خالدين فيها العاملين بناء على ان التقدير الذين اذا على الذين يتوكلون رزقها قد قيل والوصل اولى ليكون حالا لا تمام العزيز الحكيم ليقولن الله للاستفهام مع الفاء يؤفكون ويقدر له عليم ليقولن الله الحمد لله لتمام المقول لا يعقلون ولعب الحيوان لان الشرط عن متعلق يعلمون الذين يشركون لتعلق لام امر تهديد وقف عليه اتيناهم لمن قرأ وليتمتعوا بالجزم على استيناف الامر ومن جعل اللام ليكفروا للامر عطف هذا عليها فلم يقف ومن جعل ليتمتعوا بالاستيناف التهديد يعلمون من حولهم يكفرون جاءه للكافرين سبلنا المحسنين **التفسير** هذا تأكيد للمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا على هذا تقدير كونما نافية ومن زائدة ويجوز ان يكون استفهاما نصبا بيدعون او بمعنى الذي وهي للتبيين والمراد ما يدعون من دونه من شيء فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم فاد على اعدائه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحجة عن بينة وفيه ايضا تجهيل لهم حيث عبدوا ما هو اقل من لا شيء وتركوا عبادة القاهر القادر الحكيم ثم ان الجهلة من قريش كانوا يتعجبون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون فنزلت وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وذلك ان الامثال والتشبيهات وسائل الى المعاني المحتجبة في الاستار كما سبق في اول البقرة حين ضرب المثل بالبعوضة قال الحكيم العليم الحدسي يعرفه العاقل ولما اذا كان فكريا دقيقا فانه لا يعقله الا العالم لافتقاره الى مقدمات سابقة والمثل يستعين في ادراك صحته وحسن موقعه الحذو سابقه ولاحقه بمعرفة ما يناسب مورده ومضربه وفايدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين امر الخلق بالايمان والى الحق بالبرهان وقص قصصا عبرة وانذارا اهل الكفر باهلاك من غبر ووصف سبيل اهل الاباطيل بالتمثيل قوى قلوب اهل الايمان بان يكفرهم ينبغي ان يورث شكا في صحة دينكم وتسليتهم فيجب ان لا يورث في يقينكم فمن خلق السموات والارض بالحق بانظام وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال هنا الاية للمؤمنين مع قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان في خلق السموات واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون لان المؤمن لا يقتصر نظره من المخلوق على معرفة الخالق فحسب ولكنه ما يترقى منه الى نعوت الكمال والجلال فيعرف انه خلقهما متقنا محكما والمراد بقوله بالحق والخلق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات والجزئيات والا عن الواجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم يترقى من مجموع هذه المقدمات الى صحة الرسالة وحقيقة المعاد ويحصل له الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على احسن نظامه وانما وحد الاية هنا لانه اشارة الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفي قصص ابرهيم اشارة الى النبوة في النبيين صلوات الله عليهم كثرة وحيث وقع طلب المؤمنين بالتخصيص الذاكر سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب ليعلم ان لوطا ونوحا وغيرهما بلغوا الرسالة وبالغوا في امر الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل ولم يقل اتل عليهم لان التلاوة بعد الياس منهم ما كانت الا تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم اوليعلموا ان الكتاب الالهي قانون كلي فيه شفاء للصدور فيحث تلاوته مرة بعد اخرى ليبلغ الى حد التواتر وينقله من قرن الى قرن ويحله قوم من قوم الى يوم النشور وايضا فيه من العبر والمواعظ ما يحتاج لها الاسماع وسطين ايها القلوب كالمسك يفوح لحظة فلحظة وكالروض يستلذه النظر ساعة فساعة وفي الجمع بين الامر بالتلاوة واقامة الصلوة معنيان **احدهما** ان تسلية النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له اذا تلوت ولم يقبل منك فاقبل على الصلوة لاتكن واسطة بين الطرفين فان لم يتصل

الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل الطرف الآخر وهو من المخلوق الى الخالق **والثاني** ان العبادات اما اعتقادية وهي
لا تتكرر ولا تتجدد بل يبقى مستمرا عليها واما لسانية واما بدنية خارجية وافضلها الصلوة فامر بتكرار الذكر والصلوة جامعة للفضيلتين
ثم علل الامر باقامة الصلوة فقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال بعض المفسرين اراد بالصلوة القرآن وقيل النهي عنهما وهو
بعيد وقيل اراد نفس الصلوة وانما تنهى ما دام العبد في الصلوة وضعف بانه ليس مدحا كاملا لانه عرض من الاعمال الفاضلة والمباحات
قد تكون كذلك كالنوم وغيره والذي عليه المحققون ان الصلوة لطف في ترك المعاصي وكانها ناهية عنها وذلك اذا كانت الشرائط
من الخشوع وغيره مرعية فقد روي عن ابن عباس من لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزدد بصلوته من الله الا
بعدا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث الا
قليلا ان تاب وعلى الاحوال فالمراعي لاوقات الصلوة لا بد ان يكون ابعد من القبائح واللفظ لا يقتضي الا هذا القدر فكيف لا ينهى
ونحن نرى ان من لبس ثوبا فاخرا فانه يجتنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يجتنب الفواحش وايضا الصلوة
توجب القرب من الله تعالى كما قال واسجد واقترب ومقرب الملك المجازي يحصل منصبه ان يتعاطى الاشغال الخسيسة فكيف
يكون مقرب الملك الحقيقي وايضا من دخل في خدمة ملك واعطاه منصبا له مقام خاص مرتفع به فاذا دخل وجلس في صف
النعال ثم يتركه الملك هنالك فاذا صار العبد برعاية الشروط للصلوة وحقوقها من اصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم في
اصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر مذكور في النحل وقال اهل التحقيق الفحشاء التعطيل وهو انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك
وهو اثبات آلهة غير الله وذلك ان وجود الواجب الواحد اظهر من الشمس وانكار الظاهر منكر ظاهر واعلم ان هيئة الصلوة لها
هيئة فاولها وقوف بين يدي الله كوقوف العبيد بين يدي السلطان واخرها جثو بين يدي الله كما يجثو اهل الاخلاص
بين يدي السلطان واذا جثا في الدنيا هكذا لم يجث في الآخرة كما قال ونذر الظالمين فيها جثيا والمصلي اذا قال الله نفي
التعطيل واذا قال ابطل نفي الاشراك لان الرحمن هو المعطي للوجود بالخلق والرحيم هو المعطي للبقاء بالرزق وهكذا
قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفي قوله اياك نعبد نفي التعطيل والاشراك من حيث
افادة التقديم والاختصاص بالعبادة وكذا قوله في اياك نستعين وفي قوله اهدنا الصراط المستقيم لان المعطل لا مقصد
له وفي قوله المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم اقرب الطرق وهو واحد والمشرك يهيم في الطرق بتحصيل الوسائط وعلى
هذا الى اخرها ثم انه تعالى كانه قال للعبد انك وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم
فقل بعد ذكري اشهد ان محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلوة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم
وبلغهم سلامي كما هو دأب المسافرين ولذكر الله اي الصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وفي تسمية الصلوة بالذكر اشارة
الى ان شرف الصلوة بالذكر وجوز في الكشاف ان يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما
اكبر وكان اولى بان ينهى العبد من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بالطاعة والله يعلم ما تصنعون من الاعمال فيثيبكم او يعاقبكم على حسب ذلك وحين بين طريقة ارشاد المشركين
ونفع من انتفع واياس ممن امتنع اراد ان يبين طريقة ارشاد اهل الكتاب وهي مجادلتهم بالخصلة التي هي احسن يعني
مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والعجلة بالتأني قال بعض المفسرين اراد لا تجادلوهم بالسيف وان لم يؤمنوا
الا اذا ظلموا فنبذوا الذمة او منعوا الجزية وقيل الا الذين اشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة وقيل الا
الذين آذوا رسول الله والتحقيق ان اكثر اهل الكتاب جاؤا بكل حسن الا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا
بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدأ والمعاد فلمقابلة احسانهم يجادلون اولا بالاحسن ولا يستهجن آراؤهم ولا ينسب الى الضلال

الضلال الا من ظلم بالعناد بان قال لهم آمنا بالذي انزل الينا الى آخر الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسيا فقال وكذلك انزلنا
على من تقدمك انزلنا عليك وقال جار الله هو تحقيق لقوله آمنا بالله الذي انزل الينا اي ومثل ذلك الانزال انزلناه مصدقا
لسائر الكتب السماوية والذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام واضرابه ومن هؤلاء اي من اهل مكة والاولون هم الاقدمون
من اهل الكتاب والآخرون هم المعاصرون منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الاولون هم الانبياء لانهم آمنوا بكتبهم ومن
هؤلاء هم اهل الكتاب وما يجحد بآياتنا مع وضوحها الا المصرون على الكفر المتوغلون فيه ككعب الاشرف واصحابه واعلم ان المجادل
انما ذكر مسئلة خلافية كقوله الزكاة تجب في مال الصبي فاذا قيل له لم قال كما يجب النفقة في ماله ولا يذكر الجامع بينهما فان فهم
الجامع من نفسه فذاك والا قيل له ليس لان كليهما مال فضل عن الحاجة فالله تعالى ذكر اولا التمسك بقوله وكذلك انزلنا ثم شرع
ذكر الجامع بقوله وما كنت تتلو الآية وفي قوله بيمينك زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا ومعنى اذا لارتاب لو كان شيء من ذلك
اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وارباب الدين من شانهم الركون الى الاباطيل لان النبي اذا كان قارئا كاتبا امكن
ان يسبق الى الوهم ان الكلام كلامه لا كلام الله واذا كان اميا فلا مجال لهذا الوهم والمراد ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان
بهم لكون معجزاتهم مبسوطة فانه قارئ كاتب الى صاحب الآيات والمعجزات فاذن هم مبطلون على كل حال ثم اكد ما ذكر بقوله بل
هو يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وهم الحفاظ والقراء اسانيد الكتب السماوية ما كانت تقرأ الا من الصحف
ولهذا جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآياتنا الباهرة البينة الا المتوغلون في الظلم سماهم اولا كافرين
لاجل مجرد الجحود ثم بعد بيان المعجزة سماهم ظالمين لان الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع ويجوز ان يراد بالظلم الشرك
كانهم متوغلون في الجحود ثم بعد الحقوا باطل الشرك حكما في حقيقته ولما بين الدليل من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي
الفرق بين الغيبي عليه وذلك انهم سموا في تنسيع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وابن ما [illegible] فارشد الله نبيه
الى الجواب وهو ان يقول انما الآيات عند الله ووجهه انه ليس من شرط الرسالة اظهار المعجزة وانما المعجزة بعد التوقف في الرسالة
ولهذا علم وجود مثل شيث وادريس وشعيب ولم يعلم لهم معجزة وكان في بني اسرائيل انبياء لم يعرف نبوتهم الا بقول نبي او غيره
فليس على النبي الا الانذار واما انزال الآية فالى رحمة الله اذا شاء تخليص العوام من تصديق المتنبي وتكذيب النبي [illegible]
قال اولم يكفهم الآية والمعنى ان انزال الآية شرط الى القرآن المتلو الذي اخرس [illegible] مصاقعهم كما مر في بيان الاعجاز ان في
ذلك المتلو على وجه الدهر لرحمة من الله على الخلق ولئلا يشتبه الامر النبي بالمتنبي وذكرى ليتعظ بها الناس ما بقي الزمان وانما كا
ن الرحمة والذكرى مختصة بالمؤمنين لان المعجزة للكافرين سبب لتمهيد الانكار المستلزم لدوام العذاب والخلود في النار ثم ختم الآية
بان نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف وهو قوله كفى بالله بيني وبينكم شهيدا وقال في اخر سورة الرعد قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاقتصر على شهادة الله ثم قرر كون شهادة الله كافية بقوله يعلم ما في السموات والارض ثم هددهم بقوله
والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله وهما متلازمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل لان كل ما سوى الله زائل زاهق كفر بالله وجحود
بحقه اولئك هم الخاسرون لا يستحق لهذا الاسم في الحقيقة غيرهم اذ لا خسران اخس من اشتراء الباطل بالحق والكفر بالايمان والالقاء
انفسهم في عبادة ما لا ينفعهم ولا يضرهم وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها
بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت اولم يكفهم الآية وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت قل كفى الآية
فعلى هذا الآية نازلة في المشركين وعلى ما تقدم فنازلة لاهل الكتاب فالواو لا يسمح عنهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم تطعنوا انها ليست من عند الله بل من تلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلزمهم ان يقولوا انهم اهل الله فيكونوا ايمانا بالباطل
وكفرا بالله قلت ولعل وجه التأويل هو انهم امنوا بالجبت والطاغوت وعبدوا العجل والله اعلم ثم ان النضر بن الحارث وغيره من كفار
قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما مر استهزاء منهم وتكذيبا فنزل ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى هو الموت او يوم بدر او
ما كتب في اللوح انه لا يعذب هذه الامة عذاب الاستيصال الى يوم القيمة قوله وهم لا يشعرون تأكيد للبغتة او هو كلام
مستقل اي انهم لا يشعرون الآن ويظنون ان العذاب لا يأتيهم اصلا ثم كرر قوله ويستعجلونك بالعذاب تعجبا منهم فان من توعد
بامر يسير او كلام يحتمل ان يظهر من نفسه الجلادة ويقول هات ما عندك واما الذي توعد بامر هائل ونحوه فكيف يتجلد
ويستعجل خصوصا اذا كان الوعد لا يخلف الميعاد ويقدر على كل ما اراد وقوله لمحيطة يعني الاستقبال اي ستحيط بهم يوم القيمة كما
ويجوز ان تكون بمعنى الحال حقيقة لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم في الدنيا او مجازا لان جهنم مآلهم ومرجعهم فكأنها الساعة
محيطة بهم والظرف في هذين الوجهين منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت وانما خص الغشيان بالفوق والتحت
دون باقي الجهات لان نار جهنم بل كل نار تمتاز عن نار الدنيا لان نار جهنم لا ينزل من فوق ولا تشتعل من تحت بل تطلع الشعلة
تحت القدم واما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب سواء كان من سمت الراس او من موضع اخر
اما الاشتعال من تحت فليس بعجيب الا حيث يحاذي الرجل ويجوز ان يكون زيادة الارجل لتصوير وقوعهم في النار او عومهم وقوله
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه وحينئذ كحال الكفرة من اهل الكتاب من المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من اهل النار اشتد
عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم من عبادة الله فقال يا عبادي فان كانت الاضافة للتشريف كقوله عينا
يشرب بها عباد الله فقوله الذين امنوا صفة موضحة وان كانت للتخصيص فهي صفة مميزة ومعنى الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل
له عبادة الله في بلد على وجه الاخلاص فليهاجر الى بلد يكون اقرب بالاوراد واقل عوارض نفسانية واجمل لدواعي روحانية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم
ومحمدا عليهما السلام قلت عند الوصول الى تفسير هذه السورة عن ان سمى بعزم انتقل كلي عن وطن الى الله الكريم ومستمدا من اعجاز القرآن
العظيم اللهم انك تعلم ان هذا السفر مسبوق بنية من رضاك فان لا ... انا داعيه فاجعله سبب نجح المقاصد وحصول المآرب
والاشتمال على الفوائد الدنيوية والدينية والخلاص من شماتة الاعداء الدنية انك انت العليم الشهيد انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف
جدير والاجابة والفاء في قوله فاياي لاجل انه جواب الشرط كانه قال اذا كان الحال بي من عبادتي فاعبدون ثم اريد معنى الحصر
والاخلاص فقدم المفعول على شريطة التفسير وجيء بالفاء الثانية للدلالة على ترتيب المقتضى كما يقال هذا عالم فاكرموه وكما مر في
قوله واياي فارهبون فصار حاصل المعنى ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها والغاية في الحث على العبادة بعد ذكره
يا عبادي الدال على العبودية اما الملازمة اي انتم عبيد لي في الماضي اعبد ولكني في المستقبل او الاخلاص في العبادة ويجوز ان
يقال العبودية يقتضي العبادة فكيف عبد لا يطيع سيده ثم لما امر المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان
والخلان فقال كل نفس ذائقة الموت اي ان الذي تكرهونه لابد من وقوعه فالاولى ان تكون في سبيل الله ثم الينا ترجعون ف
فيثيبكم على ذلك وفيه ان كل نفس ذائقة الموت اضطرارا فمن اراد ان لا يموت ابدا فليمت اختيارا فان اولياء الله لا يموتون بل
ينتقلون من دار الى دار ثم بين ان للمؤمنين الجنان في مقابلة ما للكافرين من النيران فان في الجنة غرفا تجري من تحتها
الانهار في مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين ان ذلك اجر عملهم بقوله نعم اجر العاملين بازاء ما بين جزاء العمل
الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله لنبوئنهم علالي ومن قرأ بالثاء المثلثة فمن الثواء يقال ثوى في المنزل لا يتعدى
واثوى غيره متعديا الى واحد وانتصاب غرفا اما بنزع الخافض واما للتضمين لان اثوى في معنى التبوئة او المنزل والتشبيه بالظرف

الظرف المؤقت بالمبهم ثم مدح الذين صبروا على المكاره في الحال وعلى ربهم يتوكلون فيما يحتاجون اليه في الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل
يحتاج اليه المسافر والمقيم كما ان المهاجر يصبر على فراق الاوطان ويتوكل في سفره على الرحمن فالمتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل
في اموره على ما قضاه الله والصبر والتوكل صفتان لا يحصلان الا مع العلم بالله وبما سوى الله فمن علم انه بان لا يصبر عنه ولا يتوكل في الامور
الا عليه ومن علم ان ما سواه فان هان عليه الصبر عنه وعلم انه لا يصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر
في حال الدواب وقال المفسرون هذا لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة كان الرجل منهم يقول
كيف اقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها عن الحسن اي لا تدخره وقال غيره اي لا تطيق حمله لضعف
الذين رزقها بلجاجة فيأتيها وهداها اليه ثم يشبه ذلك الغذاء بالمعتدي متوسط قوي او دعها فيها او عينا ها كذلك ولا يم ... ما
قلنا وبزيادة الاهتداء الى وجوه المكاسب والمعاش وترتيب الملبس والمسكن وترتيب الاقوات وادخار الاموال وتملكها اختيارا او قهرا
ومنه يعلم ان الاشتغال بترتيب بعض الوسائط وتدبيرها لا ينافي التوكل فقد يكون الانسان للمقاصد متوكلا والاكل للساجد غير متوكل عن
ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة والبعض في الاية ... وحكى ان البلبل يخبئ في حضنيه اي الجمع واذا كان
اكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدأ والمعاد والعالم بوجوه المكاسب اولى ان يأتيه الرزق من جهات
الارث والعمارة ونحوها كيف يظهر على الحطام الزائل استخرجه وهو السميع لدعاء طلبة الرزق العليم بطوياتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب رسله
العجب من حال المشركين من اهل مكة وغيرهم لم تعبدوا الله مخلصين مع علمهم بانه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون عن توحيد الله وان
من علمت عظمته وجبت خدمته ولا اعظم من عظم خالق الذوات والاشارة اليه بقوله خلق السموات والارض موجد الصفات والاشارة
الاشارة بتسخير الشمس والقمر ولا احقاره من حقارة الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان
السموات فكيف يتركون عبادة اشرف الموجودات ويشتغلون بعبادة اخس المخلوقات وحين ذكر الخلق اتبعه ذكر الرزق وحكمة البسط وا
لقبض في ذلك الباب ومعنى ويقدر يضيق والضمير في له اما للمخصص المبسوط له والمراد ان يعاقب الامرين على مشية الله ولما ابهم غير معين
كان الضمير موضع من يشاء وقوله ان الله بكل شيء عليم اشارة الى انه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق فاي صلة
اليه من غير تأخير ان شاء ثم احتج على المشركين بوجه اخر وهو اعترافهم بانه احيا الارض الميتة بواسطة تنزيل الماء من السماء هو حي الله
ثم قال قل الحمد لله وهو كلام مستقل على سبيل الاعتراض او هو متصل بما قبله كانه استحمد رسوله على البراءة من الشاقين ا
شاهد خلاف اهل الشرك المعترفين بان النعمة من الله ثم يتركون عبادته اي عبادة الصنم الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه ان
العالم الحاكم يعمل بعمله لا كغرض في سلك من عقل له ولهذا عقبه بقوله بل اكثرهم لا يعقلون ومن اجاز الله ارادوا يعقلون بما يعقلون
وما ينبغي للدلالة على بطلان الشرك وحجة التوحيد ولا يعقلون ما يريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم
واعلم ان المشركين معترفون بان الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها حملهم على موافقة اهل الشرك والمداومة على الدين الباطل
فصغر الله تعالى امر الدنيا وعظم امر الاخرة ليعلم ان رعاية جانب الاخرة اهم من رعاية الصلاح الدنيا فالاهل العلم الاقبال على
الباطل لعب والاعراض عن الحق لهو والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن المشتغل بها معنى وجه الاستغراق على وجه تفريغ لبعض
امور الاخرة لاعب والمشغول بها بحيث ينسى الاخرة ابعد فاخر الابعد ولما كان المذكور ههنا حقير الدنيا ولهذا اشار اليها
بقوله وما هذه الحيوة الدنيا وقال في الانعام وما الحيوة الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلاجرم قدم
اللهو ويحتمل ان يقال انه تعالى قدم اللعب على اللهو في موضعين من الانعام وكذلك في القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله
عليه وسلم وفي الحديد قدم اللهو على اللعب وفي الاعراف والعنكبوت واللعب مقدم في الاكثر لان اللعب زمانه الشباب وزينة
كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان من الجانبين وتكاثر كتكاثر السلطان وقدم اللهو في الاعراف لان ذلك في القيمة فذكر

على ترتيب ما انقضى وبدا بما به الانسان انتهى من الجانبين ولما هذه السورة فانه فيها ذكر بعد زمان انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى
زمان الاخرة فبدا بذكر ما هو اكثر ليكون الى المقصود اقرب ثم ان الحال في السورة الانعام لما كانت حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف
الى وازع قوي فاقتصر على قوله والدار الاخرة خير ولما كان الحال هنا الاشتغال بالدنيا الاحتياج الى وازع اقوى فقال وان الدار الاخرة
لهي الحيوان اي لهي الحيوة الاخرة الحيوة الاخرة وليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة بلا موت وكانها في ذاتها حيوة ولا يخفى ما في التركيب من انواع
المبالغة من جهة او من جهة صيغة الفصل ولام التوكيد وبناء الفعلان بتحريك العين وهو مصدر حي سمي به ما به حيوة لعقد ما عينه ياء ولامه
واو وليكان واوين لغير حيوي مثل نوى وقياسه حيان بياءين قلبت الثانية واوا على حوالحيوة في اسم رجل ولان المبالغة هنا ازيد
ما في الانعام وكالانعام لو كانوا يعلمون وهكذا فلا تعقلون لان العلوم الكثر تعقد من المعقول و وذكر في السورة ثم اشار بقوله
فاذا ركبوا في الفلك الى ان المانع من التوحيد هو الحيوة لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والخلاص فاذا
هم نجاهم الى البر عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا فالكفر واشركوا لاجلها ثم تبين ان النعم الكثيرة يجب ان يقابل بالشكر لا بالكفر
فقال اولم يروا الاية وقد مر مثله في القصص ثم ذكر ان الذين سموا الله الذكر البيانات المذكورة ولم يوقنوا فلا اظلم منهم لانه جعل
شيا في غير موضعه فهو ظالم من وضع شيا في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم فانهم جعلوا له شريكا مع عدم امكان
الشريك له فلا اظلم منهم وايضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب صادقا
لا يجوز عليه الكذب كيف حاله وانهم كذبوا النبي والقران وفي القران وفي قوله لما جاء اشارة الى انهم لم يتلقوا في الكذب وقت ان
سمعوه ولم يستعملوا التقدير والتفكر فيما يجب ان يستعمل فيه التاني والسبب وهذا ايضا نوع من الظلم بل اظلم من ظلم من الحق الظلم و
وقد معنيان فيكون الاستفهام للتقرير فان اريد نفي الخلاف فمعناه المبيح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترأوا
على سبيل الجراة وان اريد على الحسبانه فالمراد الا يثوون في جهنم وعدا فتروا على الله وكذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المتصف
كانه عدم معدمة علانية لا اظلم من المجرم المفتري وهو المبتني ومن الذي كذب النبي ثم ذكروا ان جهنم مقام الكافر سواء كان هو المبتني
او المكذب المبني حكم كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ثم ختم السورة باية جامعة فيها تثبيت قلوب المؤمنين والمراد
ان من جاهد النفس او الشيطان الجني او الانسي فينا اي في حقنا ومن اجل رضانا احال الصالحين نهديهم سبلنا سبيل الجنة او سبل الخير
باعطاء مزيد الالطاف والتوفيق وقيل الذين جاهدوا فيما علموا ولم يقتصروا في العمل بما نهديهم الى ما لم يعلموا او هو قريب من
قول الحكيم ان النظر في المقدمات يعد النفس لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الحسابية والعقلية وقوله وان الله
لمع المحسنين اي النصر والاعانة اشارة الى مرتبة اعلى من السابقة وهو العلم اللدني وكان اشارة في خاتمة السورة الى الفرق الثلث
فاشار الى الناقصين بقوله ومن اظلم ممن وذلك انهم عرفوا الاستعداد حتى غيروا خلق الله طالبين المتوسطين الذين يحصلون
التأويل العلم بالكد بقوله والذين جاهدوا الى اصحاب الحدس وصفا الضمير بقوله وان الله لمع المحسنين والله اعلم بمراده
وما يعقلها الا العالمون بالله لان عقولهم مؤيدة بانوار العلم اللدني ان في ذلك لاية للمؤمنين الذين ينظرون بنور الله فان النور
لا يرى الا بالنور اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة فيه ان التلاوة والعمل به يجب ان يتقارنا حتى تعلق القران و يحصل
الانتهاء عن الفحشاء وهي طلب الدنيا والمنكر وهو الالتفات الى غير الله فانه لكن الصلوة متصفة بذلك حتى كانه صلوة ولذكر
الله في مرض القلب اكبر من تلاوة القران واقامة الصلوة لان القلب لا يطمئن الا بذكر الله وعند الاطمينان يوجد
سلامة القلب فالذكر له خاصية الاكسير في جعل الابريز ذهبا خالصا والله يعلم ما تصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وادب الطريقة لفتح
ابواب طلسم الوجود المجازي والوصول الى الكنز الخفي ولا تجادلوا ارباب القلوب اهل العلم الظاهر الا بالتي هي احسن بالانصاف والرفق الا الذين
ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ لا يرجى منهم قبول الحق والاذعان له فخلوا بينهم وبين باطلهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا من العلوم الباطنة

الباطنة وانزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك كما انزلنا الدلايل والبراهين العقلية على اهل الظاهر وانزلنا الكشوف والمعارف فالذين
اتيناهم الكتاب وهم ارباب القلوب يصدقون بما نعلمكم به ومن هؤلاء العلماء الظاهر من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الذين يسترون
الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه ان القلب اذا كان خاليا عن النقوش الفاسدة كان اقبل للعلوم الدينية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وهو ان قلوب الخواص حجابا من الغيب سال موسى عليه السلام الى ابن الملك
فقال انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم اشار بقوله وما يجحد الا ان الحرمان من الرؤية من خصوصية الرب قالوا لولا انزل عليه
اية وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم اشار الى ظلومية الانسان وجهوليته بانه يستعجل العذاب مع عدم صبره عليه وان جهنم عرض
وغيره من الاخلاق الذميمة لمحيطة بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت ارجلهم وهو الحرص والشره والشهوة وهم لا
يشعرون لانهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فهاجروا الخروج عن وجودكم الى مرادفات هو يبقى
كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنهم من جنة الوصال غرفا من المعارف تجري من تحتها الانهار الحكم الذين
صبروا في البداية على حبس النفس بالفطام عن المالوف وفي الوسط على تجرع القلب كاسات التقدير من غير تغيير وفي النهاية صبروا على
بذل الروح لنيل الفتوح وكاين من دابة تحصى كالذابة لا تحمل النظر في رزقها الضعف نفسها عن التوكل الله يرزقها واياكم ايها الطالبون
للمشاهدات والمكاشفات ليقولن الله لانكم قالوا في الازل عند خطاب الست بربكم والفرق اثبات الشريك ونفيه وذلك لعدم
اصابة النور المرشد واصابته دليله قوله الله يبسط الرزق باصابة النور ويقدر باخطائه ان الله عليم باستحقاق كل ومن نزل
من سماء روحانية بالايمان فاحيا به ارض القلوب لهي الحيوان لان جميع اجزائها حي وقد ورد ان الجنة وما فيها من الاشجار والانهار
حتى ترابها وحصباؤها كلها حي قلت ولعل ذلك لطيفا كونها على كمال الاحيرة ثم بين بقوله في انا الاخلاص للمؤمن ثابت والخلاص
الكافر مضطرب ثم بين ان نجم القلب امن وما حوله من صفات النفس وشابها ماظنه من نمر الشيطان فمن افترى على الله بانه لا
يكون له مع الله وقت وحال ويظهر ذلك من نفسه او كذب بطريقة اهل الحق جاهد واقتنا فيخرج منه
مجاهدة الرهابين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم لانهم يرتاضون رياء وكسلا

سورة الروم مكية حروفها ثلثة الاف وخمسمائة واربع وثلثون كلمها
الف وثمانماية وتسعة عشر اياتها ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ٥

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٥

في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ٥

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ٥ وعد الله لا يخلف

الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ٥ يعلمون ظاهرا

من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ۝ اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ۝ اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر
مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ۝ ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى ان
كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون ۝ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
ثم اليه ترجعون ۝ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ۝ ولم تكن لهم
من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ۝ ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون ۝ فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضة يحبرون ۝ واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء
الاخرة فاولئك في العذاب محضرون ۝ فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون ۝ وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون ۝ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون ۝ ومن اياته ان خلقكم من تراب

ثم اذا انتم بشر تنتشرون ۝ ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون ۝ ومن اياته خلق السموات والارض
واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ۝
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان
في ذلك لايات لقوم يسمعون ۝ ومن اياته يريكم البرق خوفا
وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون ۝ ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ۝ وله من في السموات والارض
كل له قانتون ۝ وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ ضرب
لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم
انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون ۝ بل اتبع الذين
ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين ۝

فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝
منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ۝ من
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ۝

القراءات عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون بالرفع السوأى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحماد
يرجعون على الغيبة ابو عمرو غير عباس و... وسهل ويحيى وحماد تخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلى الباقون بضمها للعالمين
بكسر اللام حفص ... على الغيبة عباس الآخرون بالنون الوقوف الم ه كوفى غلبت الروم ه سيغلبون ه لا سنين ط ومن بعد ط المؤمنون ه لا
بنصر الله وكلاهما مبنى على ان قوله بنصر الله يتعلق بيفرح ينصر من يشاء ط الرحيم ه وعد الله ط لا يعلمون ه الدنيا ج لعطف الجملتين
المختلفتين والوصل اولى غافلون ه فى انفسهم قف لحق الحذف اى فيعلموا ذلك او فيقولون هذا القول مسمى ط الكافرون ه من
قبلهم ط بالبينات ط لان ثم للترتيب الاخبارى يظلمون ه ترجعون ه المجرمون ه والوصل جائز كافرين ه يتفرقون ه يحبرون ه
محضرون ه تصبحون ه تظهرون ه تخرجون ه موتها ط تخرجون ه تنتشرون ه ورحمة ط يتفكرون ه والوانكم ط للعالمين ه من فضله ط
يسمعون ه موتها ط يعقلون ه بامره ط لان ثم لترتيب الاخبار دعوة ق وقيل على من الارض وكلاهما ضعيف والحق ان قوله
من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوته من بيته كقولك دعوته من بيتى تخرجون ه والارض ط قانتون ه اهون عليه
والارض ج الحكيم ه ربح لجمع ق من انفسكم ط لانتهاء الاخبار الى الاستفهام مخيفتكم انفسكم ط يعقلون ه
بغير علم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء اضل الله ط لتمام الاستفهام وابتداء النفى ناصرين ه حنيفا ط عليها ط لخلق الله ط القيم ق ولا
وجه للاستدراك لا يعلمون ه قيل لا وقف عليه بناء على ان منيبين حال من ضمير اقم على ان الامر له ولامته مثل يا ايها النبى اذا طلقتم
والوقف اوضح لبعد العامل عن المعمول القيد قوله منيبين بدل من قوله ولا تكونوا من المشركين لان قوله من البدل ما قبله
شيعا ط فرحون ه التفسير وجه تعلق السورة بما قبلها هو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين ما لم ... بكم
عمى فهم لا يعقلون وكان محقر آلهتهم وينسبها الى العجز وعدم النفع والضر وكان اهل الكتاب يعاتبون المسلمين فى الادلة
وفى كثير من الاحكام ولذلك قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الى قوله والهنا والهكم واحد فلا جرم تبغض الى الروم باهل فارس
يظهر عليهم المشركين اهل الكتاب ويتركوا ... فى الامور فاتفق ان بعث كسرى جيشا الى الروم فاستعمل رجلا يقال له شهريران فسار
الى الروم باهل فارس فظهر عليهم وقتلهم وخرب مدائنهم وكان قيصر بعث رجلا مدعوا يحنس فالتقى مع شهريران باذرعات
وبصرى وسواد فى الشام الى ارض العرب واليه الاشارة بقوله فى ادنى الارض لان الارض المعهودة عند العرب هى ارضهم اى غلبوا
فى ادنى ارض العرب منهم وهى اطراف الشام ويجوز ان يراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى فى ادنى ارضهم
الى عدوهم وهذا تفسير مجاهد لانه قال هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس عن ابن عباس الاردن وفلسطين
ففرح المشركون بذلك وانزل الله هذه الآيات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق فقد يستلب المحبوب ويعجل عذابه ليس فى
الاجل وقوله فى ادنى الارض اشارة الى ضعفهم اى انما صار عدوهم الى طرف الحجاز وكسرهم وهم فى بلادهم ثم بين ان الروم

الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك لضعف العظيم وكل ذلك دليل على ان الامر بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها او من قبل
ذلك الله ومن بعد ذلك وقد وقع كما اخبر فغلبت الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت يا ابا فصيل
اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر ومادة فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين
فلما اراد ابو بكر ان يخرج من مكة اتاه عبد الله فلزمه وطلب كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابى بكر فلما اراد ان يخرج ابى الى احد اتاه عبد
الله فلزمه الى ان قام كفيلا ثم خرج الى احد ومات بمكة من جراحة التى جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يتصدق فى ... انما
ابهم الوقت لان الكفار كانوا معاندين والامور التى تقع فى البلاد الشاسعة فلا يحصل الاتفاق على وقتها المعين بين السند والنهى واليوم
والساعة فان كان تعلموا ما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم باعلام الله اياه فالمعاند كان يتمكن من الارجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها
ليحصل الخلف فى الميعاد لكن المعاند لا يتمكن من انكار الواقعة فى البضع ويوم مئذ اى يوم تغلب الروم فارس يكون ما وعد الله من
غلبتهم يفرح المؤمنين بنصر الله ولعلمهم منه كتاب الله وتغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل بنصر الله اى باظهار صدق الله
المؤمنين فيما اخبر به نبيهم من غلبة الروم ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله بقوله
ينصرنا على ان المقصود بيان ان النصر بيد الله لا بيان وقوع النصر لم يقف ههنا ووقع على المؤمنين وهو العزيز الرحيم فاذا سلط
العدو على الحبيب فلعلو ... واستغنائه عنه ورحمته فى الاخرة واصلة اليه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما سبق فى معنى الوعد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه لا خلف فى وعده لانه فى امور الدين وقال المتكلم لا يعلمون او فى بيان هذا بذكر الاشارة الى ان العلم
بامور الدنيا كالجهل المطلق وفى تنكيره ظاهرا اشارة الى قلة علمهم الظاهر الدنيا ايضا وفى تكرير هم اشارة الى انه الغفلة منهم واسباب
التذكرة حاصلة وظاهر الدنيا ملاذها وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها فى الدنيا بقوله علاقتها حذار حذار من بطشى
وفتكى فلا يغرركم طول احسانى فقولى مضحك والفعل مبكى ثم اشار الى وجه التفكر بقوله اولم يتفكروا فى انفسهم
يتعلق به اما تعلق الظرف بالفعل كانه قال اولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم الفارغة فيكون كما لو قلت لاجل زيادة التصوير اعتقد
فى قلبك واضمره فى نفسك ان الاعتقاد لا يكون الا فى القلب والاضمار لا يوجد الا فى النفس واما تعلق الجار بالنظر كقولك تفكر
فى الامر وذلك لانه اذا تفكر فى نفسه التى هى اقرب الاشياء اليه ووقف على غرائب الحكم ودقائق الصنع التى اودعها الله تعالى فيها
كما يكفل بيان بعضها علم التشريح يجره ذلك الى العلم بانه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ملتبسات بالغرض
الصحيح وتقدير اجل مسمى هو وقت الجزاء والحساب ثم فى الآية تقريران احدهما مناسب لمذهب الاشاعرة وهو ان دلائل
النفس يجره الى دلائل الآفاق بالمؤكدة للتوحيد والعلم بالاله القادر المختار الصادق فى كلامه لكنه اخبر عن تخريب السموات
وعن حشر الاجساد وانه لا الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة فى الوقت المعلوم فيكون الامر على ما اخبر وثانيهما موقف على
اصول المعتزلة وهو ان التفكر فى النفس يجذب بصيغة الحصر فيه الاله الحكيم الذى لا يفعل العبث والجزاف وانه خلق السموات
وغيرها من الاجسام لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلا بد من تخريب السموات والارض وانتهاء الامر الى حال الجزاء وابقاء
عموم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح والعدل ثم قال وان كثيرا من الناس وقد قال قبل ذلك ولكن اكثر الناس
لانه الآن قد ذكر دليلا من الاصول ولا شك ان الايمان بعد الدليل يكون اكثر من الايمان قبل الدليل فلا يبقى
الاكثر كما هو فعبر عن الباقى بالكثير قال فى الكشاف والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه على الرؤية واعلم
ان النفس مقدم على الآفاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه فان نفسه اقرب الاشياء اليه نظر الآية قوله سبحانه الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض اى يعرفون الله بدلائل الانفس فى سائر الاحوال

ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الانفس وانما اخر التنفس في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ايانا ان الاراده
انما تنحصر البنا في معرفه الابعد الاخفى كانه قال سنريهم اياتنا الافاقيه فان لم يفهموها باايات الانفس معلوميه وهذا الترتيب لا يناسب
المتفكر بل الفكر يقتضي دليل الانفس ولم يرتق الى دليل الافاق فظهر ان كل ايه وردت على مقتضاه البلاغه وحين ذكر دليل النفس
الذي لا يقع الذهول عنه الا نادرا ثم ارتقى الى دليل السموات والارض الذي يقع الذهول عنه في كثير من الاحوال لكنه لا يحتاج
الى التفاوت الذهني اتبعه دليل الافاق الذي يتوقف على السير والجولان ليقفوا على اثار امثالهم وحكايه اشكالهم ثم ذكر انهم
اولى بالهلاك لان من تقدمهم كعاد وثمود كانوا اشد منهم قوه جسمانيه واثاروا الارض اي حرثوها وهو اشاره الى القوه الماليه ثم
اشاره الى القوه الظاهريه التي يستند اليها عند الضعف والفتور من الحصون والحمايا بقوله وعمروها اكثر مما عمروها هو لا يعني
اهل مكه كانوا اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثاره ارض اصلا ولا عماره لها راسا ففيه نوع تهكم بهم قال اهل البرهان انما قال هذه
السوره وفي اخر فاطر ما قبله وفي المومن اولم يسيروا بالواو وفي مومن افلم بالفاء لان ما قبلها في هذه السوره اولم يتفكروا
وما بعدها وكذا في فاطر ما قبله ولن تجد لسنتنا تحويلا ولا وما بعده وما كان وفي المومن ما قبله والذين يدعون واما في
اخر المومن مما قبله فاي ايات الله تنكرون فاغنى عنهم وكلاهما بالفاء قوله في هذه السوره من قبلهم متصل بكون اخر مضمر وقوله
كانوا اشد منهم قوه وكذا معطوف خاص اخبار عما كانوا عليه قبل الاهلاك واما قال لان التقدير فينظروا كيف اهلكوا
وكانوا اشد وخصت السوره به لقوله وما كان الله ليعجزه وقال في المومن كانوا من قبلهم كانوا هم اشد فاظهر كانوا وزاد لفظ
هم لان الايه وقعت في اوايل قصه موسى عم في تبيين ايه فلان اللايق به البسط دون الوجازه ولم يبسط هذا البسط
في اخر السوره اكتفاء بالاول والله اعلم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بوضع الاشياء الشريفه في موضع الخسيس من عباده الاصنام
قال اهل السنه هذا الوضع كان لمشيه الله وارادته ولكن صدر عنهم فاضيف اليهم والسوءى تانيث الاسوا وهو الاقبح وهي خبر
كان فيمن قرا عاقبه بالرفع واسم كان فيمن قرا عاقبه بالنصب وثم للتفاوت الرتب وفي التركيب وضع المظهر موضع المضمر
والمعنى انهم اهلكوا ثم كانت عاقبتهم السوءى او هي عذاب النار وان كذبوا مفعول له او بان كذبوا وهو تفسير اساوا واعطا الدستاه
في معنى القول نحو نادى وكيف معناه اي كذبوا ويجوز ان يكون السوءى مفعول اساوا وان كذبوا عطف بيان لها
وخبر كان محذوف اراده الابهام ليذهب الوهم كل مذهب فيكون تقدير الكلام ثم كان عاقبه الذين اقترفوا الخطيه التي هي
اسوء الخطا ان كذبوا وكذا مما لا يمكن كيفيته قال اهل التحقيق ذكر الزياده في حق المحسنين للذين احسنوا الحسنى وزياده
ولم يذكر في حق المسي لان جزاء سيئه سيئه مثلها وذكر السبب في العقوبه وهو قوله ان كذبوا ولم يذكر في الاثابه ليعلم ان الحسا
لا يتوقف على السبب بل فضله كان وحين ذكر انه عاقبتهم البال وكان في ذلك اشاره الى الاعاده والحشر لم يتركه دعوى بلا بينه
فقال الله يبدؤ يعني من خلق بالقدره والاراده لا يعجز عند الرجعه والاعاده ثم بين ان يكون وقت الرجوع فقال ويوم تقوم
الساعه يبلس المجرمون يعني في ذلك تتبين افلاسهم وسكوت مع تحير ويأس مع بوس وبأس الا الابلاس الذي هو احدى الحين
وذلك اذا كان الموجود امر عظيم وهي فيستريح الطامع من الانتظار ثم ذكر وجه الافلاس وذلك قوله ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين يجحدون وهذا وعيد بقوله سيكفرون بعبادتهم او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم ثم حكى انهم
يعني المسلمين والكافرين يومئذ يتفرقون فريق في الجنه وفريق في السعير بتفصيله في الايتين بعده والروضه عندهم كل ارض ذات
... وفي الامثال احسن من بيضه في روضه بيضه النعامه للتعظيم وتنكيره وصفه ومعنى يحبرون يسرون بانواع السار
لحظ فلحظه حبره اذا سره وداخل السرور وخصه مجاهد بالتكريم وقتاده بالتنعيم وابن كيسان بالتحليه ووكيع بالسماع عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجنه نهرا حافتاه الابكار من كل بيضا [illegible] متغنين باصوات لم يسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنه

الجنه قال الاوزاعي [illegible] سال ابا الدرداء ثم سعيت قال بالتسبيح وروي في الجنه لا يمر عليها احد من فرضوا اذا اراد اهل الجنه السماع بعث
الله ريحا من تحت العرش في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بالصوت لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ومعنى محضرون لا يغيبون عنه
وقد مر في قوله ثم هو يوم القيمه من المحضرين والمعنا اعلم انه لكن ذكر الفسق من اهل الايمان اكتفاء بما ذكره في الايات الاخر كقوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله انما التوبه على الله الى قوله حتى الان فالحاصل ان الله لما ذكر الوعد والوعيد
اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد وقال الاخرون لما ذكر عظمته في المبدا بقوله ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما الا بالحق وفي الانتها بقوله ويوم تقوم الساعه وكرر ذكر قيام الساعه للتاكيد والتخويف اراد ان ينزه نفسه عن كل سوء
وينبه انه لا احد يعلم انه منزه عن طاعات المطيعين محمود على كل ما يوصل المكلفين مذكور على لسان اهل السموات والارضين
والتسبيح في الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثنا عليه بالخير في هذه الاوقات لما في كل منها من نعمه متجدده وخص بعضهم التسبيح
بالصلاه لما روي عن ابن عباس انه قال تمسون صلوتا المغرب والعشا وتصبحون صلوه الصبح وعشيا صلوه العصر وتظهرون صلوه الظهر امر بالصلوه في اول
النهار ووسطه واخره وامر بالصلوه اول الليل ووسطه وهو العشا لقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
وتاخير العشا الى نصف الليل ولم يامر بالصلوه في اخر الليل لانه وقت النوم ويغلب وانه عباده بالنسبه احرى في الليل بالنوم في مواضع قوله
ومن اياته منامكم بالليل كما سيجي وعن الحسن ان الايه مدنيه بنا على انه كان يقول فرضت الخمس بالمدينه وكان الواجب بمكه
ركعتين في غير وقت معلوم وقول الاكثرون ان الخمس فرضت بمكه وقوله وعشيا معطوف على حين وحين ما بينهما وهو قوله وله الحمد
في السموات والارض قال جار الله معناه ان على الممتزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوا وقلت فيما عنى عن تسبيح المسبحين
فلو لم يحمده استعمال الحمد على الاطلاق ولو حمدوه لعا مقتضاه وقدم الامسا لان الظلمه عتيقه والاصل في الاشيا العدم وقدم
العشي على الظهر لاجل الفاصله او التنبيه على فضيله صلوه العصر ولعل تقديم الاعراض المذكوره الى العشا اشاره الى هذا المعنى
يخرج الحي من الميت قد سلف ويحتمل ان يراد ههنا اليقظان والنائم لقوله وكذلك تخرجون اي من القبور فيشبه النائم بعد اليقظه
تشبيه الاعاده وكذا رد الارض الى حاله الخضره والنضره بعد ذهابها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته من ليلته ثم اراد
ان يذكر الحجج الباهره على استحقاق التسبيح والتحميد له فقال ومن اياته ان خلقكم اي اصلكم او كل منكم كما مر في اول الحج من
تراب وذلك ان التراب ابعد الاشياء عن درجه الاحياء لكثافته وبرده ويبسه والحيوه بالحراره والرطوبه ولكدورته
والروح نير ولثقله وخفه الارواح ولسكونه والحيوان يتحرك حساس ولا تنافي بين هذا وبين قوله خلق من الماء بشرا لانه
الاراده الاصل الثاني الذي هو النطفه او اراد ان اصل البشر في الظاهر هو التراب والماء والنار فلا ... والهواء فلا
كالزق المنفوخ يقوم بالهواء ثم لتبعيد الرتبه واذا للمفاجاه اي ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا وفيه اشاره الى مسله حكميه
وهي ان الله تعالى يخلق اولا انسانا فيتبعه انه حيوان نام لانه يخلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع فيها الاجناس فتلك
الاراده الاولى وقوله بشرا اشاره الى القوه المدركه التي البشر بها ممتاز عن غيره من الحيوانات وقوله تنتشرون اشاره الى القوه المحركه
بها الحيوان حيوان فكانه اشاره الى فصله وجنسه وكان الاولى تقديم الجنس على الفصل فالعكس الترتيب لانه لو قال العجب
غير مختص بالانسان بل الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب ايضا والانتشار اما بمعنى التردد في الحوايج كقوله فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله واما بمعنى البعث والتفريق كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين بين خلق
الانسان ولم يكن [illegible] بقا نوع الانسان [illegible] الاشخاص فقال ومن اياته ان خلق لكم
ولا يلزم منه ان لا يكون مخلوقات للعباده والتكليف لان تخصيص الشي بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فقد يكون الشي مختصا بشي

او جعل فيها الارض على ان النعم ما كانت تتم علينا بتكليفهن فلولا خوف العقاب لتمردت النسوان على ازواجهن ومن انفسكم
اي من جنسكم او هو اشارة الى ان حوا خلقت من ضلع ادم وتقدم في اول النحل ويشهد للتفسير الاول قوله لتسكنوا اليها فان الجنس
الى الجنس لتسكن وجعل بينكم مودة عن الحسن هي الجماع ورحمة هي الولد وقال غيره المودة حال الحاجة صاحبه اليه وقد مضى المودة
الى محرد الى محمه وذلك خرجت عن محل الشهوة بكبر او مرض او خرج عن المكان ومحلة حفرها بكبر او زمانة او فقر قال بعضهم المودة
والرحمة بعصمة الزواج من غير سابقة معرفة وقرابة هي من قبل الله والفرك من الشيطان ان في ذلك الخلق والجعل لايات لقوم يتفكرون
خلق الانسان من الوالدين اية وجعل الحاجة ذكرا والاخر انثى وخروج الولد الضعيف من الموضع الضيق اية وجعل التوادد
بين الزوجين من غير صلة رحم اية ولما ذكر دلايل الانفس ابتهاد لدلايل الافاق واعظمها خلق السموات والارض فان خلق المركبات
قد يسند بعض الجهلة الى ما في العناصر من الكيفيات والى ما في السموات من الحركات والاتصالات واما السما والارض فلا خلق
للمركبات فلا بد بدا من ان يعقل انها بقدرة الله ثم عاد الى ذكر الاحوال الانفس ومن جملتها اختلاف الالسنة لاجرمها فان التباين
بين اجرامها ليس يبلغ الحد تعداده بل وصفها او هو النطق وتقطيع الاصوات اللذان بهما يمتاز بعض الانسان والاشخاص
عن بعض واختلاف الالوان والحلى وبذلك يقع التعارف ويرتفع الاشتباه بحسب البصر كاختلاف الاصوات ولما اللمس والذوق
فلاحكم ظاهر لهما في باب التمييز بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات الارضية اللازمة اراد ان يذكر الاحوال المفارقة
بعضها فقال ومن اياته منامكم قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله
بالنهار ليكون موافقا لما جاء في مواضع اخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعل النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة
مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا في حاجة قال وانما فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان
الواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد يعني كانه لم يعطف الا النهار والابتغاء على المنام وجوز ان يراد منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار ويكسب بالليل وفي اقتران الفضل بالابتغاء اشارة
الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق من نفسه وبحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه ثم اشار الى عوارض الافاق فقال ومن اياته
يريكم واضمر ان واسكن اليا بعد حذفها او انزل الفعل منزلة المصدر كما في المثل السائر تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقيل
لما كان البرق من الامور التي يجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه ان وقيل ومن اياته كلام كان كما تقول
منها كذا ومنها كذا ومنها ويسكت يريد بذلك بلفظ المستقبل ولم يذكر معه ان وقيل من اياته البرق وانتصاب خوفا وطمعا كما
مر في الرعد ثم ذكر بعض لوازم الافاق قائلا ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره فقيام السموات والارض استقرارهما بغير
عمد من نسب ذلك الى الطبيعة فلا بد ان يسند الطبع الى الواجب لذاته وامرها ان يقول لهما كونا وكذلك نظيره قوله ان الله يمسك
قوله من بعده واعلم ان الامر عند المعتزلة موافق للارادة بالاتفاق وعند الاشاعرة ليس كذلك ولكن النزاع في الامر الذي هو للتكليف
لا الذي للتكوين فان قوله موافق للارادة بالاتفاق قال جار الله قوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على
المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة
الخروج من غير توقف والا فلا امر ظاهرا واراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا على الداعي اذ لا مكان لله
مطلقا ولا للملك فخرجت الارض نعم لو كان المراد ان الملك يدعو في وسط وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم ما يكون من ذا الامر وهي
الملك الحالة واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجات نائبة مناب الفا واعلم بانه تعالى ذكر في هذا الباب امرين اما من الانفس فخلق
البشر ثم خلقهم زوجين اما من الافاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان والالوان ومن عوارضه المنام
والابتغاء ومن عوارض الافاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السما والارض والواحد يكفي للاقرار بالحق الاية الثانية في

الثاني يحرف الشاهد الاخر وراعى في تعدد العرضيات لطيفة بدا باللوازم وختم باللوازم وذلك ان الانسان متغير الحال والاحوال
اللازمة اغرب والافلاك ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها ابدية في الاياب عاما عجيب وانما ختم الاية الاولى بقوله ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون لان الفكر يؤدي الى الوقوف على المعاني المقتضية للانس والسكون على ذلك فايو صنع الله في خلق الانسان وبثهم في
الارض او تنقل من الاشياء ما يعلم بمجرد الفكر كذلك فايو حكمة الله في خلق الانسان لان اقرب الاشياء الى الانسان هو ذاته فلذلك قال
هنالك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال على قدرة الله بخلق السما والارض واختلاف الالسنة والناس
والوانهم فان الكل يظلهم السما ويقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيره وهذه يشترك في معرفتها
الناس جميعا ولهذا قال لايات للعالمين بكسر اللام فقد احسن فالعلم يمكن الوصول الى معرفتها سبق ذكره ومن الاشياء ما يحتاج الفكر فيه
الى معاشر بتقدير كالمنام والابتغاء فانهما يرالوا دمهما في بعض الاوقات قد يدفعان لوازمهما فلهذا قال لقوم يسمعون ويجعلون
ماء لهم الى الكلام المرشد ومن ههنا ذهب بعضهم الى ان معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين
كالامر المطرد العادي فكان يمكن ان يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة فامر هنالك بالفكر واما البرق والمطر فليس لهما اعادة ولذلك
يختلف بالشدة والضعف وبحسب الاوقات والامكنة فالعقل الصحيح يجزم بانه بالفعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون
وقيل ان العقل ملاك الامر في الباب وهو المؤدي الى العلم حتى قيل الختم عليه وحين فرغ من تعداد الايات وكان نحو لها الوحدانية
التي هي الاصل الاول والعقيدة على الحشر التي هي اصل الاخر اكد الاول بقوله وله من في السموات والارض كل له قانتون مطيعون
منقادون واكد الاصل الاول والعقيدة على الحشر التي هي الاخر بل كلا الاصلين بقوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو معنى
ان يعيده اهون عليه في نظركم وعند معقولكم والا فلا تفاوت في الابداء والاعادة ويقع التفضيل على حاله وانما اخر
الصلة ههنا وقد قدمت في قوله في سورة مريم وهو علي هين لانه قصد هنالك الاختصاص يعني ان خلق الولد منهم وعاقر لا يمنى
الا علي ولا معنى للاختصاص ههنا فان الامر مبني على المعقول بين الادميين من ان المعاد اهون من المبدا ولهذا قيل اول
الغزو اخرق وليس للاختصاص امر كالشي عليه ومن الدليل العقلي على هذا المطلوب بان البدا خلق الاجزاء وتاليفها والاعادة
تاليف فقط ولا شك ان الواحد اهون من الامرين ولا يلزم منه ان يكون في الامرين صعوبة فان من قال الرجل القوي يقدر على حمل
شعيرة من غير صعوبة وسلم السامع له ذلك فاذا قال فلان لا يصعب حمل خردلة اهون عليه كان كلاما معقولا وقد جرى بالحجاج
قوله وهو اهون عليه جرى المثل فيما يصعب ويسهل بقوله وله المثل الاعلى يعني هذا مثل مضروب لكم في الارض وله الاعلى من هذا المثل
ومن كل مثل يضرب في السموات بما بين الملائكة وعن ابن عباس انه اراد ان فعله يشبه بفعلكم ويشبه به لكنه تجلله شي فله المثل الاعلى
وقال جار الله المثل الوصف الذي لا يعزب عن علمه شي فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها على الوجه الذي تقتضيه التدبير
ولهذا ختم الاية بقوله وهو العزيز الحكيم وعن مجاهد المثل الاعلى وصفه بالوحدانية وهي قول لا اله الا الله وقد ضرب لذلك
مثلا ومعنى من انفسكم انه اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي انفسكم فمن للابتداء وفي قوله فمن ما ملكت ايمانكم للتبعيض
والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي والمعنى هل ترضون لانفسكم ان يكون لكم شركا من بعض عبيدكم يشاركونكم
فيما رزقناكم من الاموال فانتم يعني بسببه للكلام ايها السادات والعبيد في ذلك الرزق سواء من غير فصل وفضل للاحرار
على العبيد تخافونهم ان يستبدوا بتصرف دونهم كخيفتكم انفسكم اي كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل انه من يكون له مملوك
لان يكون عظيم مثل عظمة الله حتى تعبدوه على مملوككم ليس مملوكا لكم في الحقيقة ليس الاختصاص البايعه ولهذا ملككم بوجه من
الوجوه وفي قوله فيما رزقناكم اشارة الى ان الذي هو لكم ليس في الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ووثقكم من فضله
كذلك اي مثل هذا التفصيل والتبعيد للتعظيم او لدخوله في حيز الذكر والمعنى نفصل الايات تنبيها لقوم يعقلون لان

التميز انما يكون للعاقل لارباب العقول ثم بين وصوف الترك بقوله بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا اهواءهم بغير علم فهو العالم بما
يتبدل بالهدى واما الجاهل فانه دائم في هواه كالبهايم لا يتجاوزه ثم اكد بقوله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين والاضلال
هنا الخذلان الاشاعرة يحملونه على خلق الضلال في التكليف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف وقد تقدم مرارا ثم قال
للرسول ولامته بتبعيته اذا تبين الحق وظهرت الوحدانية فاقم وجهك للدين اي سدد نحوه غير ملتفت وغيره من الاديان الباطلة فطرة
الله اي الزموها او عليكم بها قال جار الله انما اضمرته على الخطاب للجماعة لقوله منيبين وهو حال منهم ولان الامر والنهي بعده معطوف
عليه فاقم فقد عرفت في الوقوف ان هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل ان تقدر الزم او عليك او اخص او اريد واشباه ذلك وفطرة
الله هي التوحيد فانه لا يتغير وعلى ذلك يحتمل ان يقدر التكاليف به العقل والعقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء في الحديث النبوي كل مولود
يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويحتمل ان يكون الفطرة اشارة الى اخذ الميثاق من الذر وقوله لا تبديل
لخلق الله نفي في معنى النهي اي لا تبدلوا خلقه والذي فطركم عليه فان الايمان الفطري غير كاف وقيل هو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
حيث لم يؤمن قومه فكانه قال انهم اشقياء ومن كتب شقيا لم يسعد وقيل اراد ان الخلق لا خروج لهم عن عبوديته بخلاف مماليك
الانسان فانهم قد يخرجون من ايديهم بالبيع والعتق وفيه فساد قول من زعم ان العبادة لتحصيل الكمال فان الكمال العبد لم يبق عليه تكليفه وفساد
قول الصابيين وبعض اهل الشرك ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عبيد الكواكب والكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى
والحلولية ان الله يحل في بعض الاشخاص كعيسى وغيره فيصير الها ومعنى فرقوا دينهم وكانوا شيعا مر في اخر الانعام والنهم
في كل واحد شايع لامامه الذي اضلها وقال اهل التحقيق بعضهم يعبد الدنيا ويعبد الهوى وبعضهم يريد الجنة وبعضهم
يطلب الخلاص عن النار ومعنى كل حزب بما لديهم فرحون وقد مر في المؤمنين وجوز جار الله ان يكون من الذين منقطعا مما قبله
وكل حزب مبتدأ وفرحون صفة كل ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب بصفة كذا والله اعلم التأويل الالف الفة الطبع
المؤمنين واللام طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فبين الالفة اختلاف اهل الكتاب وبين اللوم ابغضهم الكافرين ومغفرة
رب العالمين وسعت الفريقين حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا ان يكون هناك مخصص ثم اشار الى حال اهل الطلب بتغير
متغيرا الاوقات فيغلب فارس النفس وروم القلب وتارة يغلب روم القلب وفارس النفس بتاييد الله ونصره في بعض سنين
من ايام الطلب ويومئذ يفرح المؤمنين وهم الروح والسر والعقل اولم يتفكروا في استعداد انفسهم ما خلق الله سموات الروحانية
وارض النفسانية الا ليكون مظهر الحق وللاجل مسمى بالصبر والثبات وفي تصفية مرآة القلوب عن الاوصاف الذميمة النفسانية
والاجل المسمى هو ان صفاء القلوب متوجها الى الله يسير في ارض البشرية بالسلوك ليتبدل الاخلاص والذين من قبلهم
الفلاسفة والبراهمة المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرايع والشواهد انصار ولائمة الكفر والضلال الله يبدؤ الخلق
بتغير النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير والسلوك والعبور عن المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون
بجذبة ارجعي ويوم تقوم الساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب ما سوى الله ويوم يقوم قيام العشق
ويومئذ يتفرقون المحبون فبعضهم يطلب الجنة وبعضهم يطلب الوصلة وبعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين يقبلون على
ليل الشهوات وحين صباح نهار تجلي شموس الوصال وله الحمد ان كنتم في سموات القربات او ارض البعد والغفلات وفي عشاء
غشاوة العشاوة وفي حال الاستواء شمس المعرفة في وسط سماء القلب فان الربح والخسران كلها للسائرين راجع الى الطالبين والله
المنزه عن العالمين يخرج القلب الحي بنور الله من النفس الميتة في ظلمات صفاتها ابرازا للطف ويخرج القلب الميت عن الخلق
الحميدة من النفس الخبيثة بالصفات الحيوانية اظهارا للقهر ويحيي الارض القلوب بعد موتها وكذلك تخرجون ابدا واعادة
ومن اياته خلق سموات القلوب وارض النفوس واختلاف السنة القلوب والسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان

ولسان النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف الوانكم وهي الطبايع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ومنكم من يريد
الله ومن اياته منامكم في ليل البشرية وابتغاؤكم من فضله في نهار الروحانية والكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله
من شجرة الوجود يريكم البرق وشواهد الحق ثم اللوامع فتلك الانوار ترى شهوات الدنيا نيرانا فيجاب منها ويرى مكاره التكاليف
جنانا فيطمع بها ان تقوم سماء النفوس وارض القلب بامره لان الروح من امره ثم اذا دعاكم بجذبة ارجعي اذا انتم بعد النفس والقلب والروح تخرجون
من انانية وجودكم وهو اهون عليه لانه في البداية مباشر بنفسه وفي الاعادة يكون المباشر اهل النفخة والمباشر بنفسه العين في
العمل اهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل ان يكون اهون من الاهون بالضم وهو الذلة والضمير للخلق وذلك انهم في البداية
لم يكونوا ملوثين بلوث الحدث والامد ونسيان الشرك والمعاصي فلعونتهم بالبداية باشر خلقهم بنفسه ويدعوهم بالاعادة
بانهم بغيره وله المثل الاعلى فيما اودع من الايات في سموات الارواح وارض القلوب ضرب لكم اي الروح والقلب والسر والعقل
مما ملكت من الاعضاء والجوارح والقوى والحواس فيما رزقناكم من العلوم والكشوف تخافونهم اي لا يصنعون اشياء من المواهب
بالتصرفات الفاسدة كخيفتكم انفسكم اي كخيفة الروح من القلب ان لا يضيع شيئا منها بان تصرفها في غير موضعها وهو ويجمعه
وهوى اي كخيفة القلب من السر والعقل بان تصرفها بما يفسد العقايد ويوقع الشكوك كما لا يصلح هؤلاء لشركتكم
فكذلك لا يصلحون انتم لشركتي اذا غلبت عليكم وفي دعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء ردائي لا غير

وإذا مس الانسان ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم
منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ۝ ليكفروا بما
اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ۝ ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون ۝ واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ۝ اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ۝ فات ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله
واولئك هم المفلحون ۝ وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس
فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون ۝ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم

ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان
اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن
عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى
قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا
نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف
يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من
يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثار رحمت الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا

ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد
ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

القراءة اتيتم من ربا مقصورا ابن كثير لتربوا بضم التاء وسكون الواو على الجمع ابو جعفر ونافع ويعقوب
لنذيقهم بالنون ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يرسل الريح على التوحيد ابن كثير
وحمزة وعلي وخلف كسفا بالسكون هشام وابن ذكوان اثار على الجمع ابن عامر وحفص وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي حماد وضعف
ما بعده الصاد حمزة وعاصم غير المفضل الباقون بالضم وهو اختيار خلف وحفص لا ينفع بياء الغيبة حمزة وعاصم الاخرون
بتاء التانيث لا يستخفنك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب الوقوف يشركون ط وقد توقف على
لام الامر اياتنا ج العدول الى الخطاب والابتداء من التهديد فتمتعوا قف الاستئناف التهديد يعلمون يشركون
وقد توقف بها ط فضلا بين النقيضين يقنطون و يقدر ط يؤمنون وابن السبيل ط وجه الله ز المفلحون عند

اية لعطف جملة الشرط المضعفون. بجسكم شي ط يشركون. يرجعون. من قبل ط يصدعون. كفروا انفسهم يمهدون لا وقد
توقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التاكيد فضله. الكافرين. تشكرون. اجرموا. وقيل يوقف على حقا اى وكان
الانتقام حقا ثم ابتدا علينا اى واجب لينا نصر المومنين. خلاله. للشرط مع الفا يستبشرون. لمبلسين. من تقبله ط
الموتى ج لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاجبار الى بيان القدره قدير. يكفرون. مدبرين. ضلالتهم ط مسلمون. وشيبة
ما يشا لاختلاف الجملتين القدير. المجرمون. لان ما بعده جواب القسم غير ساعة ط يوفكون. يوم البعث. لاختلاف الجملتين
مع اتحاد المقول لا يعلمون. يستعتبون. مثل مبطلون. لا يعلمون. لا يوقنون.

التفسير لما بين التوحيد بالدليل
وبالمثل بين انهم واحدا في يعرفونه في حالة الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حالة الرحمة والرجاء وفي بعض المن والافادة دليل
على ان الانسان قليل الصبر في حالتي الضراء والسراء وانما قال اذا فريق منهم ولم يقل اذا هم يشركون كما قال في اخر العنكبوت
لان الكلام هنالك مع اهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار قائلا ام انزلنا
كانه قال اذا ظهرت الحجج المذكوره فماذا يقولون يتبعون اهواءهم بغير علم ام لهم دليل على ما يقولون واسناد التكلم الى
دليل مجاز كما يقول نطقت الحال بكذا وما في قوله بما كانوا مصدريه والضمير في قوله به لله او موصولة والضمير لها اى بالامر
الذى بسببه يشركون ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى ذا سلطان وهو الملك وذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى
بسببه يشركون ومن حين ذكر الشرك الجلى وهو ان يكون عبادة الله للدنيا فاذا اتاه ما يهواه رضى واذا منع وتعسر سخط وقنط
والرحمة المطر والصحة والامن واشباهها والسيئة اضداد ذلك انما ذكر سبب الرحمة ليعلم انها بفضله وذكر سبب السيئة وهو
شوم معاصيهم ليدل على عدله والفرح بالنعم مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاما اذا كان مع ملاحظة المنعم فمحمود
بل الفرح الكلى يجب ان يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله ايضا مذموم انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اثار ربهم لهم ولم يروا ان الله يبسط الرزق ان الكل من الله اى الى عدم العنايه بحال العبد بل يشتغل بالتوبة والا نابة الى
او ان الفرح والنضر وهذه مرتبة المومن الموحد فلذلك قال ان في ذلك لايات لقوم يومنون ولا يخفى ان بسط الرزق
حماية ومن فلذلك قال اولم يروا وقال في الزمر اولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو بل هي فتنة على علم وقوله ولكن اكثرهم
لا يعلمون قال جار الله لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك قائلا
فات يا ايها المرتجى حقه وحق قوله لما بين كيفية التعظيم لامر الله اشار الى الشفقة على خلق الله قائلا ايها المكلف او النبى
والامة متبعه لا محاله كما مر في قوله فاقم وجهك وفيه ان الله يبسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق لم يزد بالامساك
فينبغى ان لا يتوقف الانسان في الاحسان وفي تخصيص الاصناف الثلثة بالذكر دلالة على انهم بالاشفاق عليهم من بين
الاصناف وانما قال ذا القربى وفي قوله فات ذا القربى حقه دون ان يكون يقول فات هذه الاصناف حقوقهم
تشريفا لذوى القرابة لم لدوا ولم بخلاف المسكين وابن السبيل وفي قوله حيث جعل الصنفين الاخرين تابعا لهم
على الاطلاق فانا اذا قال الملك خلط فلان يدخل فلانا ايضا كان ادخل في التعظيم من ان يقول خل فلانا يدخلان ذلك
الايثار خير في نفسه او خير من المنع الذين يريدون وجه الله اى ذاته او جهة وتبتغان من انفق الوجاهة رياء وسمعة
لم يلد رجع من انفق رغبة في وجه الله واولئك هم المفلحون كقوله في اول البقرة لان قوله فاقم وجهك للدين في قوله واقيموا الصلاة
اشارة الى الايمان بالغيب وهو عينه اى اقاموا الصلاة وفي قوله فات ذا القربى امر بالزكوة بل بالصدقة المطلقة وفي قوله
للذين يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم اراد ان يعظم شان الصدقة فضم الى ذلك تقبيح امر الربا المستطر
في نوع عمده و طاهر ومن قرأ مقصورا فهو من الاتيان اى وما غشيتم او اصبتم من اعطاء بالربوا اى ليزيد في

في اموال اكلة الربا وفي القراءة الاخرى لتربوا اى اموالهم فلا يزكوا ولا يربوا عند الله لانه يمحق بركتها نظيره ما مر في اخر البقرة
يمحق الله الربا ويربى الصدقات قيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل نزلت في الهبة والاهداء لاجل عوض زائد
فبين الله تعالى ان ذلك لا يوجب الثواب عند الله وان كان مباحا وفي الحديث الجانب المستغزر يثاب من هبته اى
الرجل الغريب اذا اهدى شيئا فانه ينبغى ان يزاد في عوضه قال جار الله فاولئك المضعفون حسن كانه قال ذلك لخواصه وملائكته
وهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون اى ذووا الاضعاف من الحسنات نظيره المقوى والموسر لذوى القوة
واليسار والرابط محذوف اى المضعفون وجوز في الكشاف ان يراد من توه اولئك هم المضعفون قالت العلماء اراد
الاضعاف في الثواب لا في المقدار فليس من اعطى رغيفا فان الله تعالى يعطيه عشرة ارغفة وانما المراد ان الرغيف الواحد
اقتضى ان يكون ثوابه قصرا في الجنة فان الله يعطيه عشرة قصور تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة اخرى بذكر الخلق والرزق والاماتة
والاحياء بعد ما نظر الى الدلائل ثم طلب منهم الانصاف بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء قال جار الله من الاولى والثانية
والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قلت الاولى للتبعيض كانه قام فعل البعض بمعلم فعل
الكل بوسع الخصم والثالثة لتاكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنها تفيد انه من منهم شيء واحد يجى من تلك الاشياء
التسعة المذكوره ثم بين ان الشرك وسائر المعاصى سبب لظهور الفساد في البر والبحر وذلك بقلة المنافع وكثرة المضار ومحق
البركات من كل شيء وفسر ابن عباس بالحدث البر بانقطاع مادة البحر وعمى حيتانه وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه
التي على سواحله وقال عكرمة تسمى الامصار بحارا لنديتهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة
املهم ان يرجعوا عما هم عليه وجوز جار الله ان يراد ظهور الشر والمعاصى في الارض بما كسبت ايدى الناس وعلى هذا فاللام في
قوله ليذيقهم لام العاقبة ثم امرهم بالنظر في حال الشكل لهم الذين كانت اعمالهم كاعمالهم كقوم عاد وثمود وقوم نوح كان
اكثرهم مشركين فيه اشارة الى ان بعضهم كانوا مرتكبين ما دون الشرك من المعاصى ولكنهم شاركوا المشركين في الهلاك تغليظا
عليهم او هو كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة والمراد ان اهل الشرك كانوا اكثر من اهل الاديان الباطلة كالمعطلة
والمجسمة ونحوهم ثم خاطب نبيه ونبعته امته بقوله فاقم كانه قال واذ قد ظهر فساد سائر الملل والنحل فاقم وجهك للدين البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتى من الله يوم لا مرد له ويجوز ان يتعلق من الله بقوله لا مرد له اى لا يرده احد من جهة الله ولا يقدر عينى
على رده ولا دافع له اصلا يومئذ يصدعون اى يتصدعون والتصدع التفرق ثم بين وجه تفرق الناس بقوله من كفر فعليه
كفره اى وبال كفره عليه لا يتعداه ومن عمل صالحا اى امن وعمل صالحا لان العمل الصالح لا يعتد به الا بالايمان ايضا عمل صالح فلنفسهم في الساعة
وسيصرح به في قوله ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات ومعنى يمهدون يوطئون كما يسوى الرجل مضجعه ويمهد وجوز جار الله
ان يراد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وذلك ان الاشفاق يلزمه التمهيد وفى اعادة ثم
غاية المهد بقوله ليجزى وقوله من فضله عند اهل السنة ظاهر وحمله المعتزلة على شبه الكناية لان الفضل تبع الثواب فلا
يكون الجنة بحصول ما هو تبع له او الفضل بمعنى العطاء والثواب وفي قوله انه لا يحب الكافرين وعيد عظيم لهم لانه اذا
لم يحبهم ارحم الراحمين فلا يتصور لهم خلاص من عذابه ولا انتقاص ولا رحمة من جهته ولا نعمة وفيه تهديد بانه يحب المومنين ولا
وعدا اعظم من هذا ولا شرف فوق ذلك قال جار الله تكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه
لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ويشبه ان يكون مراده انه
ذكر الكافر والامر المومن في الاية الثانية تقريرا لامر المومن ثم اردفه بتقرير امر الكافر والمراد ان قوله ليجزى الذين
امنوا وعملوا الصالحات دل بتصريحه على ثواب المومن وبتعريضه على جزاء الكافر وقوله انه لا يحب الكافرين دل بتصريحه

على جريان الكافر ويتم بصنعه على ثواب المؤمن فالاول للطرد والثاني عكس وكل منهما مقرر للآخر وحين ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب
الشرك ذكر ظهور الصلاح وبين انه من دلائل الوحدانية بقوله ومن آياته ان يرسل الرياح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لما مر
ان الكريم لا يذكر لاحسانه سببا ويذكر لاضراره سببا ومن قرا على التوحيد فللدلالة على الجنس ومن قرا على الجمع ولعله
اراد الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة دون الدبور الريح للعذاب واما الآن اكثر الرياح نافعة والضارة كالسموم قليلة
جدا لا تهب الا نادرا واما لان الرياح اذا اجتمعت وتزاحمت الكثرة صارت ريحا واحدة اضرت بالاشجار والابنية
وقلعتها واذا افترقت وصارت رياحا اعتدلت ونفعت وقوله مبشرات اي بالمطر كقوله بشرا بين يدي رحمته وقيل اي بتصحيح
الاهوية واصلاح الابدان وقوله وليذيقكم اما معطوف على ما قبله معنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم يعني رحمته لان رياح الدنيا
نازلة لاجل النعماء معطوف على محذوف اي وليكون كذا وكذا ارسلناها وفي قوله بامره اشارة الى ان مجرد هبوب الريح لا يكفي
في جريان الفلك ولكنها تجري باذن الله وبعد الريح على اعتدال واقدار وفي قوله ولتبتغوا من فضله دلالة على ان ركوب
البحر لاجل التجارة جائز وفي قوله ولعلكم تشكرون اشارة الى ان نعم الله تعالى يجب ان تقابل بالشكر وانما بني الكلام في هذه
الآية على الخطاب بخلاف قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون تشريفا لاجل الرحمة رحمة الله قريب من المحسنين
وكان من حقهم ان يخاطبوا ثم اشار الى الاصل النبوة مع تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد ارسلنا واختصر الكلام فذكر
بذكر عاقبة الذين كفروا المرتبين المؤمنين والمجرمين فعاقبة المجرمين الذين لم يصدقوا رسلهم الانتقام منهم وعاقبة
الذين صدقوا هم النصر والظفر على الاعداء وفي قوله حقا علينا تعظيم لاهل الايمان ورفع من شانهم والا فلا يجب لاحد على
الله شيء ثم اراد ان يشير الى الاصل الثالث وهو المعاد ثم كذلك معاد منتزعة مما تقدم ذكره وهو بيان ارسال الرياح
لاجل اثارة السحاب للمطر المبسوط بعضها على الاتصال ويجعلها كسفا اي قطعا وقوله فترى الودق اي المطر
يخرج من خلاله وقد مر في النور ثم ذكر في ضمن ذلك تعجيز الحسان فيه بثباته وتوكيده وقوله من قبله مكرر للتاكيد ومعناه
الدلالة على ان عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم ياسهم وتحقق الياس وقيل اراد انهم من قبل تنزيل المطر من قبل ما ذكر
من ارسال الريح وبسط السحاب كانوا مبلسين وذلك ان عند تفريق السحاب وهبوب الرياح وتهيئ المطر فلا يتحقق الابلاس
ثم صرح بالمقصود فقال ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير من الابتداء والاعادة وقد تم الكلام ثم زلزل الانسان وقيد
وبانه بادنى سبب يكفر بنعمة الله تعالى فقال ولئن ارسلنا ريحا اي صادة باردة او حارة فراوه اي راوا اثر الرحمة وهو
النبات ومن قرا آثار فالضمير عائد الى المعنى لان آثار الرحمة النبات ايضا واسم النبات يقع على القليل والكثير وانما قال
مصفرا ولم يقل اصفر لان تلك الصفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد في تسلية رسوله
بقوله فانك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون وقد مر في اواخر النمل ثم عاد الى دلائل التوحيد دليلا آخر من الانفس وهو خلق
الآدمي وذكر احواله واطواره وتنقله من ضعف الطفولية الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى الضعف الهرم في قوله
خلقكم من ضعف اشارة الى ان اساس امر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اي من نطفة
وهذا الترديد في الاطوار المختلفة اظهر دليل على وجود الصانع القدير وقوله يخلق ما يشاء كقوله في دليل الآفاق
فيبسطه في السماء كيف يشاء والكل اشارة الى ابطال القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد واحوال القيامة
وذكر ان الكفار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث فان اهل العلم والايمان
من الملائكة والانبياء ويعرفهم حالهم بالعكس وذلك ان الموعود به عادة اذا ضرب له اجل يستقل المدة ويريد تاخيرها
فهم يؤفكون يصرفون عن الصدق والتحقيق اي هكذا كان امرهم في الدنيا مبنيا على الظن الكاذب وكانوا

وكانوا يغترون بمثله ويحتمل ان يكونوا ناسين او كاذبين ومعنى في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في علمه وقضائه او فيما كتب واوجب
وفيه رد قول الكفار واطلاع لهم على مصدوقية الحال قال الجار الله في الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا الا
نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه ولا ينقطع عذابهم والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب
شرط يدل عليه الكلام كانه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وفيه تبيين بطلان قولكم ولكنكم كنتم لا تعلمون انه
حق ثم بين ان ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر من اهل الشرك وسائر انواع الظلم ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم الرضا فلا
يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر في النحل ثم بين ان القرآن مشحون بقصص واخبار كلها كالمثل في غرابتها وحسن مواقعها
وان الرسول لو جاءهم بدليل انكروه لان الذي اجترءوا على العناد في دليل واحد فلا يتعذب ان يجترءوا على امثاله وهذا بسبب الطبع
والخذلان ولا علاج في مثل هذه القضية الا الصبر وتحمل اعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصرة واعلاء الدين ومعنى لا
يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق قوم شاكون فان امثال هذه الافعال والاقوال لا يتبع من اهل الريب والضلال فعلى المحق
ان لا يضجر ويشتغل بالدعاء الى الحق حتى ياتي اوان النصر والظفر

سورة لقمن مكية الا ثلث آيات ولو ان ما في الارض آياتها اربع وثلثون حروفها الفان ومائة وخمسة عشر كلمها خمسمائة وثمانية واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

الم تلك آيات الكتاب الحكيم ۝ هدى ورحمة للمحسنين ۝ الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ۝ أولئك على هدى
من ربهم وأولئك هم المفلحون ۝ ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ۝
وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه
وقرا فبشره بعذاب أليم ۝ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ۝
خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ۝ خلق السموات بغير
عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل
دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ۝ هذا

خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين

ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما

يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ۝ واذ قال لقمان

لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ۝

ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن

وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير ۝ وان

جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما

في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ۝ ثم الي مرجعكم فانبئكم

بما كنتم تعملون ۝ يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في

صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ۝

يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك

ان ذلك من عزم الامور ۝ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض

مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ۝ واقصد في مشيك واغضض

من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ۝

القراءة ورحمة بالرفع حمزة وابو عون عن قنبل ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ويتخذها بالنصب يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد يا بني لا تشرك بسكون الياء بالهمز البزي والقواس وقرأ حفص والمفضل بفتح الياء وكذا في قوله يا بني انها يا بني اقم الصلوة الباقون بكسر الياء مثقال بالرفع ابو جعفر

جعفر ونافع تصاعر بالالف ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي وخلف الآخرون بالتشديد **الوقوف** الم كوفي الحكيم ۝ ان قرأ ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قرأ بالنصب على الحال والمعنى عامل معنى الاشارة في تلك فلا وقف للمحسنين ۝ يوقنون ۝ المفلحون ۝ بغير علم ق وقد توقف لمن قرأ ويتخذها بالرفع والوصل احسن لانه وان لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف على يشتري هزوا ط مهين ۝ وقرأ لانقطاع النظم مع اتصال المعنى اليم ۝ النعيم لا للحال والعامل معنى الفعل في لهم فيها لان التقدير وعد الله وعدا حقا الحكيم ۝ دابة ۝ للعدول كريم ۝ دونه ط مبين ۝ نصف الجزء لله ط لنفسه ج حميد ۝ بالله ط وقد توقف على لا تشرك على جعل ان الشرك القسم وهو تكلف عظيم ۝ لانقطاع مع تعلق ان اشكر بوصينا ولوالديك ط المصير ۝ معروفا للعدول مع بعض الامور الى الكل مع اتفاق الجملتين الى لان ثم لترتيب الاخبار تعملون ۝ بها الله خبير اصابك الامور ۝ للاية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا ج فخور ۝ لما ذكرنا من صوتك الحمير ۝ **التفسير** لما قال في آخر السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان فيها اشارة الى اعجاز القرآن وقال ما بعده الى تمام السورة على انهم مصرون على كفرهم اكد ذلك المعاني في اول هذه السورة وتفسير الم الفلحون كما في اول البقرة الا قوله تلك آيات الكتاب الحكيم فانه مذكور في اول يونس وحيث زاد ههنا ورحمة قال للمحسنين فان الاحسان ثمرة فوق التقوى لقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولقوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين احسنوا الحسنى وزيادة ومما يؤيد ما قلنا انه لم يقل ههنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فان الاحسان لا مزيد عليه في باب العبادة ثم حكى حال المعرضين عن الحق بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاضافة بمعنى من اي الحديث الذي هو له ومنكر وجوز في الكشاف ان تكون من للتبعيض اي يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو وفيه نظر لانه يصح هذا التأويل في قولنا خاتم فضة وليس بشيء قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه فعلى هذا معنى ليضل بضم الياء ظاهر ومن قرأ بالفتح فمعناه الثبات على الضلال او الاضلال نوع من الضلال وقوله بغير علم متعلق بيشتري كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي بالتجارة قاله في الكشاف وغيره ولا يبعد عندي تعليقه بقوله ليضل كما قال ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون الحكم والاستعانة بحديث آخر قبيح واذا كان الحديث لهوا لا فائدة فيه كان اقبح وقد يسوغ بعض المشايخ بطريق الالهام كما ينقل عن ابن عباس انه قال اختصموا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الترويج بالمطايبة وان كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله يا بلال روحنا ثم قال انه اذا لم يقصد به الاحماض بل يقصد به الاضلال لم يكن عليه مزيد في القبح ولاسيما اذا كان مع اشتغاله بلهو الحديث مستكبرا عن آيات الله التي هي محض الحكمة كما قال واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا وهو كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا تنصب على الحال قال جار الله الاول حال من ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها قلت هذا بناء على تجويز الحال المتداخلة والاولى الجائز ان يكونا كلاهما من مستكبرا حال بعد حال او حالي مستكبرا متشابها من لم يسمعها متشابها لمن في اذنيه وقر ويجوز ان يكونا مستأنفين وتقدير كان المخففة كانه والضمير للشان قال اهل البرهان هذه الآية والتي في الجاثية نزلت باتفاق المفسرين في النضر الآية بالغ ههنا في ذمه لتركه استماع القرآن فقال بعد قوله كان لم يسمعها كان في

اذنيه وقرا اي صمما لا يقرع مسامعه صوت وان عدم السماع اعم من ان يكون بوقر الاذن او بنحو قوله وترك الجملة الثانية في الجاثيه
لانه لم يبن الكلام هنا كما في الجاثية بدليل قوله واذا علم من اياتنا شيئا والعلم لا يحصل الا بالسماع او ما يقوم مقامه من خط وغيره
وحين بين وعيد اعداء الدين بين حال اولياء الله بقوله ان الذين امنوا الاية وقد مر اوائل وفي قوله وهو العزيز الحكيم شأنه انه
لا غالب له ولا مدافع يعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء حسب ما يقتضيه حكمته وعدله ثم بين حكمته وعزته بقوله
خلق السموات بغير عمد وقد مر في اول الرعد وقوله والقى في الارض مذكور في اول النحل ومن كل زوج كريم ذكر في اول الشعراء
هذا الذي ذكر من السموات بكيفياتها والارض بهيأتها بسائطها ومركباتها خلق الله اي مخلوقاته فاروني ماذا خلق الذين من
دونه وهم الالهة بزعمهم وهذا امر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم بالضلال المبين ثم بين فساد معتقد اهل الشرك بانه مخالف
ايضا لعقيدة الحكماء الذين يعولون على المعقول الصرف منهم لقمن بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته او من اولاد
آزر عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل
له فقال الا اكتفي اذا كفيت واكثر الاقاويل انه كان حكيما عن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه
الله العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن وقيل خير بين النبوة والحكمة وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وروي انه
دخل على داود عليه الصلاة والسلام وهو يسرد وقد لين الله له الحديد فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها
لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه
امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين
فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا ثم فسر الحكمة بقوله ان
اشكر لله لان ايتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا امر تكويني اي جعلناه شاكرا فان امر التكليف يستوي فيه الجاهل
والحكيم وفيه تنبيه على ان شكر المعبود الحق راس العبادة وسنام الحكمة وفايدته ترجع الى العبد لا الى المعبود فانه غني عن
شكر الشاكرين مستحق للحمد وان لم يحمد كما قيل كريم على وجه الارض حامد ومن ثم بين كماله شرع في بيان تكميله وذلك لابنه المسمى انعم
او اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما ووجه كون الشرك ظلما عظيما انه وضع فيه اخس الاشياء
وهو العبد المطلق موضع اشرف الاشياء وهو الغني المطلق ثم وصى الله سبحانه الانسان بشكر انعام الوالدين وبطاعتهما
وان كانا كافرين الا في دعوتهما الى الاشراك بالله وهذه جملة معترضة سط باعتراضها غرضان احدهما انه طاعة
الابوين ثالثة لعبادة الله وثانيهما تاكيد كون الشرك امرا لعينا منكرا حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته وقوله
حملته امه وهنا على وهن اي حال كونها تهن وهنا على وهن اي ضعفا على ضعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا
وضعفا اعتراض في اعتراض غرضه التنبيه على رعاية حق الوالدة خصوصا روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه قال قلت يا
رسول الله من ابر قال امك ثم امك ثم اباك وقوله وفصاله في عامين تعيين للفطام كما مر في البقرة في قوله والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين وفيه تنبيه اخر على انها كابدت الالام من المشاق وصاحبهما في الدنيا معروفا اي مصاحبا معروفا
على ما يقتضيه العرف والشرع ثم اكد قوله واتبع سبيل من اناب الي اشارة اخرى الى انهما لو لم يكونا منيبين الى الله لم يتبع
سبيلهما في الدين وان لزم طاعتهما في باب الدنيا وفي باب حفظ الصحبة والعشرة واتفق المفسرون على ان هذه الاية ونظيرها
التي في العنكبوت وفي الاحقاف نزلت في سعد بن ابي وقاص وفي امه حمنة بنت سفين وذلك انه حين اسلم قالت يا
سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها
فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الايات فامره رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يترضاها بالاحسان واعلم انه لم يذكر في هذه السورة قوله حسنا لان قوله ان اشكر قام مقامه واما قال هنا وان
جاهداك على ان تشرك لانه اراد وان حملاك على الاشراك وقال في العنكبوت لتشرك موافقة لما قبله فانما يجاهد لنفسه
مع ان مبنى الكلام هناك على الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم في خاتمة الاية فانبئكم بما كنتم تعملون اتبعه ما يناسبه
من وصايا لقمن وهو قوله يا بني انها اي ان القصة ان تك اي الهنة من الاساءة والاحسان في الصغر كحبة الخردل ويجوز ان يقال
ان الهنة ان تك كحبة الخردل ومن قرأ مثقال بالرفع تعين ان يكون الضمير في انها للقصة وتانيث تك لاضافة المثقال الى
الحبة روي ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في
اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء سؤال الصخرة لابد ان تكون في السموات او في الارض فما الفائدة في ذكرها
الجواب على قول الظاهريين من المفسرين ظاهر لانهم قالوا الصخرة هي التي عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السماء وقال اهل
الادب فيه اضمار والمراد فتكن في صخرة او في موضع اخفى من السموات والارض ومثله قوله جاء الله اذا فكانت مع صغرها في اخفى
موضع او جوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي وقال اهل التحقيق ان خفاء الشيء يكون اما لغاية صغره
واما لاحتجابه واما لكونه بعيدا واما لكونه في ظلمة فاشار الى الاول بقوله مثقال حبة من خردل والى الثاني بقوله فتكن في
صخرة والى الثالث بقوله في السموات والى الرابع بقوله او في الارض وقوله يأت بها الله ابلغ من قول القائل يعلمها الله وفيه مع العلم
حكاية اظهار القدرة على الاتيان بها ان الله لطيف نافذ القدرة خبير ببواطن الامور وحين منع الله من الشرك وخوفه
بعلم الله وقدرته امره بمكارم الاخلاق والعادات واولها الصلوة ففيها تعظيم المعبود الحق وبعدها الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فيهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله واصبر على ما اصابك اي من اذيات الخلق في البابين او هو مطلق في كل
ما يصيبه من المصايب والمكاره ان ذلك المذكور من عزم الامور اي من معزوماتها من عزم الامر بالنصب اذا قطعه
وقطع ايجاب والزام ومنه العزيمة خلاف الرخصة او من عزم الامر بالرفع اي جد وقد مر في آل عمران وحين امره بان
يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى عليه ان يتكبر على الغير بسبب كونه مكملا له او يتبختر في النفس بسبب كونه
كاملا في نفسه قال ولا تصعر خدك للناس يقال اصعر خده وصعره وصاعره من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير
يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق الوجه كعادة المتكبرين ومعنى لا تمش في الارض مرحا مذكور
في سورة سبحان والمختال والفخور مذكوران في سورة النساء فالمختال هو الماشي لاجل الفرح والنشاط لا لمطلوب ديني
او دنيوي والفخور هو المصعر بين ان الله لا يحبهما فيجب الاجتناب عن الاتصاف بصفتهما ثم امره عند الاحتياج الى المشي
لضرورة بالمشي القصد اي الوسط بين السرعة والابطاء وعلى قياس ساير الاخلاق والاداب فخير الامور اوساطها ومثله
غض الصوت حين التكلم قال اهل البيان في تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ
باسمها في اغلب الاحوال وفي تمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن اداة التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة تنبيهات على
ان الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ولا فائدة مكروه عند الله حتى لمستحق ان يعد انكر من النكر ليكون على القياس لا نعم
المنكر والحمير جمع الحمار والمعلم بقل اصوات الحمير لان المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وانكر
اصوات هذه الاجناس صوت افراد هذا الجنس قال بعض العلماء من نكر صوت هذا الحيوان انه لو مات تحت الحمل لا
يصيح وفي اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق واما ساير الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة قال ومن فوايد عطف الامر بغض
الصوت على الامر بالقصد في المشي ان الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء كالغنم يطلب
السخلة ومنها ان الانسان له عقد ولسان وجوارح يحركها كسائر الحيوانات فاشار الى الاول بقوله انها ان تك مثقال

حسبه اى امره ضمير كما ان التجسس ونشاكله التوسط فى افعال الجوارح بقوله واقصد فى مشيك والى التوسط فى الاقوال بقوله واغضض من صوتك ولو تعددت اشار بقوله ان انكر الاصوات الى الاوصاف الملكية التى يجب ان تكون فى الانسان وبقوله وامثاله الى قوله مرحا الى الاوصاف التى يتدارك بها الانسان تشابه الحيوان والله تعالى اعلم **التاويل** ويؤتون الزكوة للعوام مقادير معينة من المال كربع العشر من عشرين وللخواص اخراج كل المال فى سبيل الله وللخص الخواص بذل الوجود لنيل المقصود لهو الحديث قال الجنيد السماع على اهل النفوس حرام على البقاء نفوسهم وعلى اهل القلوب مباح لوفور علومهم وصفاء قلوبهم وعلى اصحابنا واجب لفناء حظوظهم واذ قال لقمان القلب لابنه النفس المتولد من ازدواج الروح والقلب وهو يعظه ان لا يتوصف بصفات النفس الملائمة للشيطان والهوى والدنيا وغاليين بين يدي وطامعه عن مالوفات الدارين وان جاهداك على ان تشرك بي فلا ينبغى له ان يلتفت الى الروح والقلب اذا اشتغلا بغير الله فى اوقات الفترات فان الروح قد يشتغل بالمجالسة من الروحانيات والقلب عند تاره الى الروح ولحظه الى النفس وكنه يرجى الصلاح بعد الفترة اما النفس اذا زال عن طبيعته وهو الاخلاص فى التوحيد فاصلاح حاله ممكن بعيد واتبع سبيل من اناب الى وهو الخفى انها ان تك فعل القسمة الازلية من السعادة وضدها كصوت الحميد فالواهو الصوت فى ينتكم قبلا وانه

الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم

نعمة ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى

ولا كتاب منير ۝ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا

عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى

الله عاقبة الامور ۝ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم

فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور ۝ نمتعهم قليلا ثم

نضطرهم الى عذاب غليظ ۝ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ لله ما فى السموات

والارض ان الله هو الغنى الحميد ۝ ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر

يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز

حكيم ۝ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله

سميع بصير ۝ الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل

وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما

تعملون خبير ۝ ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه

الباطل وان الله هو العلى الكبير ۝ الم تر ان الفلك

تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان فى ذلك

لايات لكل صبار شكور ۝ واذا غشيهم موج كالظلل دعوا

الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد

باياتنا الا كل ختار كفور ۝ يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا

يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان

وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله

الغرور ۝ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم

ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما

تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير ۝

القراءة نعمه على الجمع ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب ابو عمرو ويعقوب عطفا على اسم ان الباقون بالرفع حملا على محل ان ... تدعون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحفص وسهل ويعقوب وترك

البعث بقشد يا ابن عمرو ونافع وابن عامر وعاصم **الوقوف** وباطنة ط مبين ه ابلدنا السعير ه الوثقى ط الامور ه
كفره ط علوا ه الصدور ه غليظ ه ليقولن الله ط لله لا يعلمون ه والارض الحميد ه كلمات الله ط حكيم ه واحدة ط بصير ه
والقمر ز لان قوله كل مبتدا مع عطف وان على ان الاولى خبير ه الباطل لا الكبير ه من اياته ط شكور ه الدين ه مقتصد ط
كفور ه عن ولده ز لعطف الجملتين المختلفتين لانقطاع صدق الاتصال معنى شيئا ط الدنيا ه وقف الفصل بين الموعظتين الغرور ه
الساعة ج لاختلاف الجملتين الغيث ولك اتفقت الجملتان للتفصيل بين غيث وغيث الارحام لابتداء جملة منفية
فيها استفهام غدا ط لابتداء نفي جزو مع تكرار نفي دون الاكتفاء بمصيرها تموت ط خبير ه **التفسير** لما ذكر ان
معرفة الصانع غير مختصة بالنبي ولكنها توافق الحكمة ايضا لما كانت تعبد اعضاء النعم فتبوذ كيف وانها توافق المعقول اعاد
الاستدلال بالامور المشاهدة الافاقية والانفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر في سورة ابرهيم من قوله وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين الاية ومعنى اسبغ اتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد بالحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها القوى انفسها والباطنة
ما لا يدرك الا بالحس الباطن او بالعقل ولا يبعد اصلا عن التفسير من يحقق حقيقة مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر
على الاعداء ظاهرا والباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء
والباطنة المعرفة والعلم وقيل النفس ثم ذكر ان بعض الناس يجادلون في الله بعد ظهور الدلائل على وحدانيته وقد
مر في اول الحج ثم ذكر انه لا مستند لهم في ذلك الا التقليد ثم وبخه على جهله وتقليده بانه يتبع سبيل الشيطان ولو
دعاهم الى النار قايلا او كانوا معناه اتبعوهم ولو كان كذا ثم اراد ان يفضح حال المؤمن والكافر يعني التفصيل
فقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو نظيره قوله في البقرة بلى من اسلم وجهه لله والفرق ان معناه مع الى يرجع التفويض
والتسليم ومع اللام يؤول الى الاخلاص والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيل كما مر في اية الكرسي وقوله
نمتعهم الا بمكتوله في البقرة ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وغلظ العذاب شدته ثم بين انهم معترفون بالمعبود
الحق الا انهم يشركون به وقد مر في اخر العنكبوت مثله الا انه قال هنا اكثرهم لا يعلمون وذلك انه زاد هناك قوله
وسخر الشمس والقمر فبالغ فان نفي العقل ابلغ من نفي العلم اذ كل عاقل عالم ولا ينعكس ثم ذكر ان الملك كله له وهو غني على
الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته اراد ان يبين انهم معترفون بالمعبود الحق الا انهم يشركون
به وهذه في اخر العنكبوت الا انه قال في اخر لا يعلمون وذلك انه زاد هناك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فان نفي العلم
اذ كل عالم عاقل ولا ينعكس ثم ذكر ان الملك كله له وهو غني على الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته
اراد ان يبين انه لا نهاية لعلمه فقال ولو انما في الارض الاية عن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود ان التوراة فيها
كل الحكمة وقيل هو جواب قول المشركين ان الوحي سينفد وتقدير الاية على قراءة الرفع لو ثبت كون الاشجار
اقلاما وثبت البحر ممدودا بالسبعة ابحر ويجوز ان يكون الجملة حالا واللام في البحر للجنس وجعل جنس البحار ممدودا بالسبعة
لا للتقييد فان كثيرا من الاشياء عدها سبعة كالسيارات السبعة والاقاليم السبعة وايام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء اراد الاكل الكثير وقال في الكشاف جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة
وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهو يصب فيه مدادها ابدا صبا لا انقطاع له فلتحمل الاية بجمعه بتقديرها ما في قوله ابدا
لا ينقطع واما لم يجعل للاقلام مددا لان نقصان المداد بالكتابة اظهر من نقصان القلم واما لم يقل كلم الله على جمع الكثرة
للمبالغة اذ يفهم منه ان كلماته لا يفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وقيل اراد بكلماته عجايب مصنوعاته الموجودة بكلمة كن وقد
مر نظير هذه الاية في اخر الكهف ثم بين انه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد والاعلام فان تعلق قدرته بعقد ورواحد

واحد كمثلها ابتعد ودت عن حصره لان اقتداره لا يتوقف على الة ومادة وانما ذلك كذاتي يكفي في الابادة ثم الكن ذلك بان
سمعه متعلق في زمان واحد بكل المسموعات وكذا بصره بكل المبصرات من غير ان يشغله شيء عن شيء ثم اعاد طرفا من دلائل
قدرته مع تذكير بعض نعمه فايلاء الليل ونحوه في النهار نظيره في الحج الحق الكبير معنى قوله هنا يجري الى اجل مسمى وقوله في فاطر
والزمر لاجل مسمى ان يبلغ بلعضو احدهما ان كان الطرفين متغايرا لان الاول معناه انهما يجريان الى وقت معلوم كما وصفنا وجهه
وهو الشمس اخر السنة وللقمر اخر الشهر وعن الحسن هو يوم القيمة لانه لا يجريهما لا ينقطع الا وقتيذ والثاني معناه اختصاص الجري
بادراك اجل معلوم كما وصفنا وجه لاختصاص هذه الطبقات بالى وغيره باللام والمشار اليه بذلك هو ما وصف من عجيب قدرته
او الدال الموحى اليه بسبب بيان ان الله هو الحق قال بعضهم العلي اشارة الى كونه تماما وهو انه حصل له ما ينبغي ان يكون له
والكبير اشارة الى كونه فوق التمام وهو انه يحصل لغيره ما احتاج اليه ثم اكد الاية السماوية بالاية الارضية ومعنى بنعمة الله
باحسانه ورحمته او بالريح الطيبة التي هي من اثر الله ان في ذلك لايات لكل صبار على الضرا شكور في السراء ووجه
المناسبة انه كلما الخايف قد يقع لراكب البحر او صبار على الملاهي والنهو كشكور في الافعال والاوامر عند الله ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر ان بعض الناس لا يخلص له الا عند الشدايد واما جد
الموج وجمع الظلل وهي كل ما اظلك من جبل او سحاب لان الموج الواحد يرى له صعود ونزول كالجبال المتلاصقة وانما قال
هنا فمنهم مقتصد وقد قال فيما قبله اذا هم يشركون لانه ذكر هنا الموج وعظمته ولا محالة يبقى لمثله اثر في الخيال فيخفي
شيا من غلواء الكفر والظلم وينزجر بعض الانزجار ويلزمه ان يكون متوسطا في الاخلاص ايضا لا غالبا فيه ومن ترقى فقد
ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والبر اسند الغدر ومنه قولهم لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر والختار
في مقابلة الصبار لان الختر لا يصدر من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله في دفع المكروه والكفور بطباق الشكور وحين
بين الدلايل وعظنا بالتقوى وخوف من هول يوم القيمة ومعنى لا يجزي لا يغني كما مر في اول البقرة وذكر تخصيص غاية
الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليلزم منه عدم الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ما جرت به العادة من ان الاب
يتحمل الاثام عن ابنه ما امكن والولد يتحمل الاهانة عن الاب ما امكن وكانه قال لا يجزي فيه والد عن ولده شيئا من الاثام
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا من اسباب الاهانة قال جار الله انما وردت الجملة الثانية اسمية لاجل التوكيد وذلك ان الخطاب
للمؤمنين فاراد حسم اطماعهم ان ينفعوا اباءهم الكفرة وفي توسط هو مزيد تاكيد وفي لفظ المولود دون ان يقول الولد
تاكيد اخر لان الولد يقع على ولد الولد ايضا بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكانه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب
الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه وقيل انما وردت الثانية اسمية لان الابن من شانه ان يكون
جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزي شفقته لا وجوبا ان وعد الله يعني ذلك اليوم حق او وعده بعدم اجزاء الوالد
عن الولد وبالعكس حق والغرور بناء مبالغة وهو الشيطان انه لا ينبغي ان يغرنكم الدنيا بنفسها او يزينها في اعينكم غار هو
الشيطان او النفس الامارة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخرها
وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء
في ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا
الله وانما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه قال في التفسير الكبير ليس مقصود الاية انه تعالى مختص بمعرفة هذه الامور فقط
فانه يعلم الجوهر الفرد اين هو وكيف هو حين ان خلق العالم الى يوم النشور ولكن المراد انه تعالى لما قال الناس من يوم
القيمة كان لقايل ان يقول متى الساعة فذكر ان هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كاين لا ريب ذكر بما مر اوله وهو ان

الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق الاجنه في الارحام وان القادر على الابتداء قادر على الاعاده بالاولى نزلت كانه قال لها
السايل ان تكسبينا اهم منها ولا تعلمها وانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع انه فعلك وزمانك ولا
تعلم اين تموت مع انه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعه والسر في اخفا الساعه وفي اخفاء وقت الموت بل مكانه
هو انه بيا في التكليف كما مر في لقمان وليعلم المكلف مكان الموت لا من الموت اذا كان في غيره والسر في اخفا الكسب في غير
الوقت الذي الخاص هو ان يكون للمكلف ابدا شغول السر بالله معتمدا عليه في اسباب الرزق وحينه وروي ان ملك الموت
مر على سليمن فجعل ينظر الى رجل من جلسايه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله
الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك قال الجار الله جعل العلم لله والدرايه للعبد لما في الدرايه من معنى الختل والحيله كانه قيل انها لا تعرف وان اعملت
حيلها وتوى بايه ارض وللا فصح عدم تانيثه **التاويل** واسبغ عليكم نعمه ظاهره هي تسخير ما في السموات وما في
الارض العلويه والسفليه والبسيط والمركبه وباطنه هي تسخير ما في السموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل
الصبر والعسكر وساير المقامات القلبيه والروحانيه بان يسر العبور عليها بالسكون المتدارك بالجد والاجتهاد والانتفاع
لنا فيها والاجتناب عن مضادها وتسخير ما في اضداد الاخلاق المذكوره بتبديلها بالحميده والتمتع بخواصها
والتنزه عن افاتها ثم يضطرهم لفساد استعدادهم بجري في البحر بنعمه الله سلامتهم في الظاهر معاشهم ولعا
في الباطن فنجاتهم بسفاين العصمه من بحار القدره او بسفينه الشريعه بملابسه
واذ تلاطمت عليهم امواج بحار التقديس عن ان يلفظهم بنفحات الالطاف في سواحل الالطاف

سورة السجدة حروفها الف وخمسمايه وثمانيه عشر كلمها ثلثمايه وثمانون ايها ثلثون وهي مكيه الا قوله افمن كان مومنا الى ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ۝ ام يقولون افتريه
بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون ۝ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ۝ الذي احسن

كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ۝ ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ۝ ثم سويه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون ۝ وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق
جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ۝ قل يتوفيكم ملك الموت الذي
وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ۝ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين ۝ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا
نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ۝ انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون ۝ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ۝ اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون ۝ واما الذين
فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا

ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ۝ ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ۝ ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ۝ ولقد
اتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى
لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون ۝ اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات افلا يسمعون ۝ اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه
انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين ۝ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون ۝ فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

القراءة خلقه بفتح اللام عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وسهل الاخرون بالسكون على البدل من كل شىء وعلى الاول يكون وضللنا اذا انا كما فى الرعد ما اخفى بسكون الياء على انه مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على انه فعل ماض مجهول لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم حمزة وعلى ورويس الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اولم نهد بالنون زيد عن يعقوب **الوقوف** الم كوفى ۝ العالمين ط لان ام الاستفهام نزع غير عاطفة بل هى منقطعة افتريه ج لعطف الجملتين المختلفتين يهتدون ۝ العرش ط شفيع ط يتذكرون ۝ تعدون ۝ الرحيم ۝ من طين ج لان ثم لترتيب الاخبار اى لذلك والافئدة ط تشكرون ۝ جديد ط كافرون ۝ ترجعون ۝ عند ربهم ط لحق القول المحذوف موقنون ۝ اجمعين ۝ هذا للابتداء بان مع تكلد وذوقوا تعملون ۝ لا يستكبرون ۝ سجدا ۝ وطمعا لانقطاع النظم بتقديم المفعول ينفقون ۝ اعين ج لاحتمال ان يكون مفعولا له وان يكون مصدرا لفعل محذوف تعملون ۝ فاسقا ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار لا يستوون ۝ الماوى ز لتمام الشرط فى جزاء تعملون ۝ النار ط يكذبون ۝ يرجعون ۝ عنها ۝

منتقمون ۝ اسرائيل ج وان اتفقت الجملتان للعدول عن ضمير المفعول الاول وهو لحمد الضمير الجمع فى الثانية صبروا والمنشد لما يوقنون ۝ يختلفون ۝ ديع الجرزوه مساكنهم ط لايات يسمعون ۝ وانفسهم ط يبصرون ۝ صادقين ۝ ينظرون ۝ منتظرون ۝ **التفسير** لما ذكر فى السورة المتقدمة دلائل الوحدانية ودلائل الحشر وهما الطرفان بدا فى هذه السورة ببيان الامر الاوسط وهو الرسالة المصححة ببرهان القران واعرابه فترتيب من قوله الم ذلك الكتاب وميل جار الله الى ان قوله تنزيل الكتاب مبتدا خبره من رب العالمين ولا ريب اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة اى لا ريب فى كونه منزلا من عنده ويمكن ان يقال فى وجه النظم لما عرف فى اول السورة المتقدمة ان القران هدى ورحمة قال ههنا من رب العالمين وذلك من عزة ذلك الكتاب لانه فى اى علم اخذ قيل انه فى الفقه او النحو ثالثا انه تصنيف اى شخص ففى تخصيص رب العالمين بالمقام اشارة الى ان كتاب الله رب العالمين يجب ان يكون فيه عجائب العالمين فيزعب النفوس فى مطالعته ثم اضرب عن ذكر قائلا ام يقولون افتريه وهو تعجيب عن قولهم لظهور امر القران فى تعجيز بلغائهم عن مثل سورة الكوثر ثم اضرب عن الانكار الى الاثبات انه ذكر قائلا ام يقولون افتريه وهو الحق من ربك ومعنى لتنذر قوما فقد تر نظيره فى القصص وينذرج فيهم اهل الكتاب اذ يصدق عليهم انهم بانهم ما اتاهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد ولو لم يندرجوا لم يضر فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل على نفيه عما عداهم كقوله وانذر عشيرتك الاقربين وحين بين الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد فقال الله وهو مبتدا خبره ما يتلوه وقد مر نظيره وقوله ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ايات لتولاية والشفاعة من الدعاء اى النصرة من عنده لما من عينه وفيه تجهيل العبدة الاصنام الزاعمين انها شفعاؤهم بعد اعترافهم بان خالق الكل هو الله سبحانه ولما بين الخلق شرع فى الامر فقال يدبر الامر اى المامور من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل فى يوم طويل وهو كناية عن قلة الاخلاص لانه لا يوصف بالصعود ولا تقوى على العروج الا العمل الصالح يؤيد هذا التفسير قوله فيما بعد قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة ثم يصعد اليه مكتوبا فى الصحف فى كل جزء من اجزاء ذلك اليوم الى اخره ثم يدبر الامر ليوم اخر مثله وهلم جرا او ينزل الوحى مع جبرائيل ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى ورده مع جبرائيل ايضا وتقدير الزمان بالف سنة لان ما بين السماء والارض خمسمائة عام وان الملك يقطعها فى يوم واحد من ايامنا وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر وان نفاذ الامر كما كان فى مدة الكثير كان الله على اى يدبر الامر فى زمان يوم منه الف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة وكم يكون دهر منه ولا فرق على هذا بين الف سنة وبين خمسين الف سنة كما فى المعارج وقيل ان هذه عبارة عن الشدة واستطالة اهلها اياها كالعادة فى استطالة ايام الشدة والحزن واستقصار ايام الراحة والسرور وخصت السورة بقوله الف سنة موافقة لما قبله وهو قوله فى ستة ايام وتلك الايام من جنس هذا اليوم وخصت سورة المعارج بقوله خمسين الف سنة لان فيها ذكر القيمة واهوالها فكان هو اللائق بها وعن عكرمة ان اليوم فى المعارج عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون الف سنة لا يدرى احد كم مضى وكم بقى الا الله عز وجل وبالجملة فالاية المتقدمة تدل على عظمة عالم الخلق وسعة مكانه والاية الثالثة تدل على عظمة عالم الامر وامتداد زمانه ثم بين انه مع غاية عظمة ملكه وملكوته عليم باحوال العالمين وكان ذلك عالم الغيب والشهادة وفى قوله العزيز الحكيم اشارة الى صفتى القهر واللطف اللتين ينبغى ان يكون الكل عليه وانما اخر الرحيم مع ان رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله الذى احسن كل شىء خلقه نظيره الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وقد

ثم فى ظ آدم وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو آدم بدليل قوله ثم جعل نسله ذريته لانها تنسل منه اى تنفصل
والسلالة الخلاصة كما ذكرنا فى اول المؤمنين وقوله من ماء بدل من سلالة والمهين الحقير ومعنى سواه قومه واداه فى الاطوار
الى حين صلح لنفخ الروح فيه ثم عدل من الغيبة الى الخطاب فى قوله وجعل لكم تنبيها على اجتماع نعم الجوارح وتوبيخا على قلة الشكر
عليها ثم بين عدم شكرهم بانكارهم المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى وليست الثانية باصعب منها والواو للعطف على ما سبق
كانهم قالوا ان محمدا مفترى وقالوا الله ليس بواحد وقالوا ءاذا معنى انهم واستلال فهم زعموا ان الحشر غير ممكن ومعنى ضللنا
فى الارض غبنا فيها اما بالدفن واما بتفرق الاجزاء وتلابسها والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله انا لفى خلق جديد وهو نبعث
او نجدد خلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق والقاء لقاء الجزاء الشامل لجميع احوال الاخرة ثم رد عليهم قولهم
بالفوت بانه يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الارواح ثم يرجعون الى حكم الله وحده ثم بين ما يكون من حالهم عند الرجوع
بقوله ولو ترى انت يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم خجلا وندامة قائلين ربنا ابصرنا
ما كنا شاكين فيه من وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون لو
للتمنى كانه جعل لنبيه تمنى ان يراهم على تلك الحالة العظيمة من الخجل والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه الزمهم والجمهم
بقوله ولو شئنا الاية وجهه انه لو ردهم الى الدنيا لم يهتدوا لانهم خلقوا للجحيم الذى وجدت نظيره فى اخر هود ثم اكد اهانتهم
بقوله فذوقوا وانتصب هذا على انه مفعول فذوقوا وقوله لقاء مفعول نسيتم اى ذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم
وذهلتم عنه بعد وضوح الدلائل وتركتم الفكر فيه ويجوز ان يكون هذا صفة يومكم ومفعول ذوقوا محذوفا وهو العذاب
ولقاء مفعول نسيتم او هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف اى تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول او محذوفه
وهو الفكر فى العاقبة وقوله انا نسيناكم من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم وقوله عذاب الخلد من باب
اضافة الموصوف الى الصفة فى الظاهر نحو رجل صدق قال ثم على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخزى والجزاء وفى العذاب
المخلد اعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر ان الايمان بايات الله من شان المخلص من عبادة الساجدين لله شكرا او تواضعا
حين وعظوا بايانه منزهين له عما لا يليق بجلاله متلبسين بحمده مستكبرين عن عبادته تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع
وتتنحى عن مواضع النوم داعين ربهم او عابدين له خوفا من اليم عقابه وطمعا فى عظيم ثوابه وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقيام الليل وهو التهجد قال اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من
اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين
كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن على
كرم الله وجهه جنوبهم تتجافى عن الوساد خوفا من النار والمعاد فمن يكن المنايا لم يدر بها لذة الرقاد قد بلغ
الزرع منتهاه لابد للزرع من حصاد عن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون صلاة
العتمة لا ينامون عنها وما فى قوله ما اخفى موصولة ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اى شئ والمعنى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك
مقرب ولا نبى مرسل اى نوع عظيم من الثواب ادخره الله لاولئك مما تقر به عيونهم حتى لا تطمح العين ولا يطلب الفرح بما عداه
عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله
ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا فى الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت قال المحققون انه يصدر من العبد اعمال صالحة وقد صدر من الاولياء سابقة من الخلق والرحمة
وعن الاولياء لا حصر من الثواب والاكرام فالله تعالى انه يقول انا احسنت اولا والعبد احسن فى مقابلته فالثواب تفضل من غير عوض

عوض ولا ان يقول الله لك فعلت لا لتفضل فاذا اتى العبد بالعمل الصالح فحينئذ يتجنى الامر جزاء الاحسان احسان وهذا الاعتبار
الثانى اليق بالكرم ليذيق العبد لذة الاجر والكسب والاعتبار اليق بالعبودية فيحمد من يرى النعم الله فى جانب الابد فاذن لا
ينقطع المعاملة بين الله وبين العبد ابدا ويكون العبادة لهم فى الاخرة بمنزلة التنفس كالملائكة ويروى انه شجر بين على بن ابى طالب
والوليد بن عقبة بن ابى معيط يوم بدر كلام فقال له اسكت فانك صبى فقال له على اسكت فانك فاسق وانزل الله تعالى فيهما خاصة
وفى امثالهما من الفريقين عامة افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثلث ايات او اربع ومعنى فى اول الاية محمول على اللفظ وفى قوله لا يستوون
محمول على المعنى ثم فصل عدم استوائهما بقوله فاما الذين امنوا واما الذين فسقوا وجنات المأوى نوع من الجنان تأوى اليها
ارواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم هى عن يمين العرش وفى لام التمليك فى لهم مزيد تشريف فايذان بانهم لا يخرجون
منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا لو قيل هذه الدار لزيد يفهم منه الملكية بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة
منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا قال تعالى لابينا ادم اسكن انت وزوجك الجنة لانه كان فى علمه انه يخرج منها وانما قيل هنا عذاب
النار الذى كنتم به وفى سبأ عذاب النار التى كنتم بها لان النار فى هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات
لا توصف فوصف العذاب وفى سبأ لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار وتكذيبهم العذاب هو انهم كانوا يقولون فى الدنيا انه
لا عذاب فى الاخرة ويحتمل ان يراد بالتكذيب انهم يقولون فى الاخرة اول ما يدخلون النار انه لا عذاب ابدا تماما هم فيه وعلى هذا يمكن ان
يراد بالخروج منها والاعادة اليها انهم كلما اذاقهم النار فقد الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول فيزيد بالمهم ومن
هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة حمى الدق اقل من الاحساس بحرارة الحمى البلغمية مع ان نسبة الدق الى البلغمية نسبة
الرصاص الى الماء السخن ونظيره ان الانسان يضع يده فى الماء البارد فيتألم اولا ثم اذا صبر زمانا طويلا ادى ذلك لبطلان حسه
ثم حتم على نفسه انه يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط قبل ان يصلوا الى عذاب الاخرة وعن مجاهد ان الادنى هو عذاب القبر
واما المقابل الاصغر فى مقابلة الاكبر والابعد لا فقط فى مقابلة الادنى لان الغرض هو التخويف والتهديد وذلك انما يطلب بالقرب
لا بالصغر ولا بالكبر لا بالبعد ومعنى قوله لعلهم يرجعون والترجى على الله محال انه يذيقهم على الوجه الذى يفعل الراجى من التلطف
او نذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون نسبه الناس حيث لا يلتفت اليه اصلا اى نذيقهم قال فى التفسير الكبير ان الرجاء فى اكثر
الامر يستعمل فيما لا يكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون انه لا يجوز اطلاقه فى حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة
انما يحصل لحقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزمه منه الرجوع لزوما بينا قلت هذا يرجع الى الثانى وبل الاول
فان الكلام فى نفس التعذيب هل هو يستدعى الرجوع على سبيل الرجاء ام لا وكون مطلق التعذيب مستعقبا له لكان يكفى
للسائل وقالت المعتزلة لعل من الله ارادة والمراد ان فعل المختار لا يقدح فى اقتدار الله اذا لم يحصل المختار مراد الله كما انهم لم يختاروا
التوبة والرجوع عن الكفر والا لم يكونوا ذاقوا العذاب الاكبر وانما يقدح فى اقتداره اذا تعلقت ارادته بفعل نفسه او بفعل المضطر
المسلوب لا يتخذ لكل الفعل وجوز فى الكشاف ان يراد لعلهم يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا
سميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله اذا قمتم الى الصلوة ثم بين انهم اذا ذكروا بدلالة اولا والنعم
ثانيا وهو العذاب الادنى ثم لم يؤمنوا فلا احد اظلم منهم ومعنى ثم انهم ذكروا مرات بالاخرة اعرض عنها وبعد ذلك فى سورة الكهف
يدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال اهل المعانى ثم هنا يدل على ان الاعراض بعد التذكير مستبعد فى المعقول
قال المحققون الذى لا يحتاج فى ذلك الى دلائل الافاق والانفس متوسط والذى هو عند الله ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذى سعى على الجحود والاعراض وان عذب فلا اظلم وحين جعله اظلم كل ظالم
توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال انا منتقم منه لم يكن بهذه

المحبته في الافاده ثم عاد الى تاكيد اصل الى ... مع تسليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب قال جار الله اللام للجنس ليتمل التعريه والفرقان والضمير في لقائه للكتاب اى اتينا موسى مثل ما اتيناك ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن في شك من انك لقيت مثله والقا بمعنى التلقين والاعطاء كقوله وانك لتلقى القران وقيل الضمير في لقائه لموسى اى من لقائك موسى ليلة المعراج او يوم القيمه او من لقاء موسى الكتاب وهو تلقيه بالرضى والقبول والضمير في جعلناه للكتاب على انه منزل على موسى واستدل به على ان الله تعالى جعل التوريه هدى لبنى اسرائيل خاصه ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ثم حكى ان منهم من اهتدى حتى صار من ائمة الهدى وذلك حين صبروا او لصبرهم على متاعب التكليف ومشاق الدعا الى الدين بعد ايقانهم به وفيه ان الله تعالى سيجعل الكتاب المنزل على نبينا ايضا سببا للاهتداء والهدايه كما اخبر ومثله اخبار النبي صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ولا يخفى ان من للتبعيض في قوله وجعلنا منهم كانت تدل على ان بعضهم ليسوا ائمة الهدى وفيه رمز الى ان بعضهم كانوا ائمة الضلال فلذلك قال ان ربك هو يفصل اى يقضى بينهم الايه وفيه اشاره الى انه سبحانه يميز المحق في كل دين من المبطل ثم اعاد اصل التوحيد مقرونا بالوعيد قائلا اولم يهد لهم وقد مر نظيره في اخر طه وانما قال في اخر الايه افلا يسمعون لانه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع وفي اول الايه اتى في ذلك الايات على الجمع ليناسب القرون والمساكن وانما قال افلا يبصرون لانه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع وفيه اشاره الى انه لا حظ لهم منه الا السماع وحين ذكر الاهلاك والتخريب اتبعه ذكر الاحياء والعماره وهو نسوق الماء بسوق السحاب وفيه اللام الى الارض الجرز وهي التى جرز نباتها اى قطع اما لعدم الماء واما لانه رعى وازيل قال جار الله ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز بدلالة قوله فنخرج به زرعا عن ابن عباس انها ارض اليمن والضمير في به للماء واما لانه قدم الانعام هنا على الانفس لان الزرع لا يصلح قوته الا للانعام وانما يحدث الحب في اخره وفائده ظ كلوا وارعوا انعامكم لان الارواح من النبات اعم من النوع وكثيرا ما يصلح للانسان في اول ظهوره مع ان الخطاب لهم فناسب ان يقدموا وانما ختم الايه بقوله افلا تبصرون لان التاليد للقوله في اول الايه ولم يروا ثم حكى نوعا من جهالاتهم منهم ومن استعجالهم العذاب قال المفسرون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين اى ينصرنا عليهم او يفتح بيننا وبينهم اى يفصل فاستعجل المشركون ذلك وقالوا متى هذا الفتح يوم القيمه الى اجنه جوابا عن سوالهم عن وقت الفتح فالجواب انهم سالوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لا تستهزئوا وكانا بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح بيوم بدر او بيوم فتح مكه فالمراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل والا فقد يصح الايمان الطلقا يوم فتح مكه وناسا يوم بدر ثم امر نبيه بالاعراض عنهم وانتظار النصره عليهم حين هلاكهم لا طريق منهم الا القتال نظره قوله قل تربصوا فانى معكم من المتربصين

التاويل الالف الف المحبوبين بقربتى واللام لام العارفين بتجيدى والميم ميم المريدين فلا يصبرون عنى ولا يستانسون بغيرى اللهم لا جابتى مد خرتها بى فلا ابالى اقاموا على وفاى ام قصروا في وفاى الميم تركا ويلا بى مرادهم لمرادى فلذلك كرامتهم على جميع عبادى تنزيل الكتاب اعز الاشيا على الاحباب كتاب الاحباب انزله رب العالمين لاهل الطاعه على ظاهرهم ولاهل الباطن في باطنهم فاستانسوا بنوره وتكلموا بالحق عن الحق فلم يعلمه اهل العزه والغفله فقالوا افتريه خلق سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر في سته احبابين في الجماد والمعدن والنبات والمعدن والحيوان والشيطان والملك ثم استوى على عرش الحق وهو لطيفه ربانيه قابله للفيض الربانى بلا واسطه افلا تتذكرون كيف خلقكم في اطوار مختلفه يدبر الامر من سما الروح الى ارض النفس والبدن ثم يعرج اليه العقل المخاطب بخطاب ارجعى الى ربك في يوم طلعت فيه شمس صدق الطلب واشرقت الارض بنور جذبات الحق كان مقداره في العروج بالجذبه كالف سنة مما تعدون من ايام كد النفس من غير جذبه كما قال صلى الله عليه وسلم جذبه من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وبداء خلق الانسان

الانسان من طين وهو جسد حيتى خمر بيده في اربعين صباحا واودع فيه كل صباح خاصيه نوع من انواع عالم الشهاده ثم جعل نسله من سلالة نسلها من اجناس عالم الشهاده ثم سواه بتسويه يخص الانسان وهو جديد والمراة ونفخ فيه من روحه فصار مراة قابله لاراءة صفات جماله وجلاله ثم جعل لها تجلى صفات السمعيه والبصريه والعالميه التى ثمراتها السمع والابصار والافئده ضللنا في ارض البشريه يتوفيكم ملك هو المحبه الالهيه تقبض الارواح من صفات الانسانيه ويميتها عن هوى بالجذبه ارجعى ناكسوا رؤسهم بالتجلى حضيض عالم الطبيعه كالانعام بعد ان كانوا رافعى الراس يوم الميثاق تتجافى جنوبهم هممهم عن مضاجع الدنيا وجنات المأوى التى هى ماوى الابرار تكون نزلا للمقربين السائرين الى الله كنتم تكذبون لانه لم يكن لكم به شعور في الدنيا لانكم كنتم في نوم الغفله والاشتغال بالمحسوسات العذاب الادنى اذا وقعت للسالك الى الله كنتم تكذبون فتره او وقفه لعجب تداخله او لملالة وسامة ابتلاه الله ببلاء في نفسه او ماله او مصيبه في اهاليه واقربائه واحبائه لعله ينتبه من نوم الغفله او تدارك ايام العطله قبل ان يذيقه العذاب الاكبر بالخذلان والهجران فلا تكن في مريه من لقائه اى محمد ان ربى الرويه كما بعثتك حين قال اللهم اجعلنى من امة محمد وان الرويه مخصوصه بك وبيعثتك لا منك ويجوز ان يكون الخطاب في فلا تكن لموسى القلب والضمير في لقائه لله وجعلنا موسى القلب هدى لبنى اسرائيل صفات القلب وجعلنا منهم ائمه هم السر والخفى ان ربك هو يفصل بينهم لانهم عنده اعز من ان يجعل حكمهم الى احد من المخلوقين ولانه اعلم باحوالهم من غيرهم دليلا يطلع على احوالهم غيره ولانهم بتخلقهم بالمحبه والرحمه فينظر في شانهم بنظر المحبه والرضاء ولانه عفو جواد يحب العفو والجود نسوق ماء الهدايه الى ارض القلوب الميته فيسقى حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال ماء الوصل عن معهودها فنخرج به زرعا من الواردات التى تصلح لتهذيب النفوس وهى الانعام ومن المشاهدات التى تصلح لتغذيه القلوب ويقول المنكرون لهذه الطائفه متى هذا الفتح اى الفتوح التى يدعونها قل لا ينفعكم ذلك اذ لم تستعدوا بهم ولم يهتدوا بهداهم فاعرض عنهم ايها الطالب بالاقبال علينا والله اعلم بالصواب

سورة الاحزاب مدنيه حروفها خمسة الاف وسبعمائة وتسعون كلمها الف ومائتان وثمانون اياتها ثلث وسبعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ۝ واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ۝ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ۝ ادعوهم لاباۤئهم هو اقسط عند
الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس
عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله
غفورا رحيما ۝ النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين
والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان في
الكتاب مسطورا ۝ واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ۝ ليسئل
الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما ۝ يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ۝ اذ جاءوكم
من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر وتظنون بالله الظنونا ۝ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا ۝ واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا ۝ واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبى يقولون ان

ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ۝ ولو دخلت
من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ۝ ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله
مسئولا ۝ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
فاذا لا تمتعون الا قليلا ۝ قل من الذى يعصمكم من الله ان
اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا ۝ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا ۝ اشحة
عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة
حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان
ذلك على الله يسيرا ۝ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت
الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون
عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا

القراءة بما يعملون بخبيرا على الغيبة والضمير للمنافقين ابو عمرو واللائى بهمزة بعدها ياء حمزة وعلى وخلف وعاصم
وابن عامر بهمزة مكسورة فقط اهل ويعقوب ونافع بغير ياء من طريق البخارى وابن مجاهد وابو عون عن قنبل اللاى بياء

مكسوره فقط ابو عمرو ويعقوب من طريق البخاري ويزيد وسائر الروايات عن ابن كثير وكذلك في المجادلة والطلاق تظاهرون من الظاهرة
عاصم تظاهرون بحذف احدى التائين حمزة وعلي وخلف مثله ولكن بادغام التاء في الظاء ابن عامر الباقون تظّهّرون بتشديد
الظاء والهاء بما تعملون بصيرا على الغيبة ابو عمرو وعباس مخير واذ زاغت مدغما ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة وفي رواية
ابن سعدان وخلاد وابي عمرو زاغت بامالة نصير وحمزة في رواية خلاد ورجاء الظنونا والرسولا والسبيلا في الحالين ابو جعفر
ونافع وابن عامر وعباس والمفضل وقتيبة وابو بكر وحماد والفضل وقرأ ابو عمرو عن جبلة وحمزة ويعقوب بغير الف في الحالين
الباقون بالالف في الوقف وبغير الف في الوصل لا مقام بضم الميم حفص الاخرون بفتحها لاتوها مقصورا من الاتيان ابو جعفر
ونافع وابن كثير الاخرون بالمد من الايتاء الاعطاء يسّاءلون بادغام التاء في السين من التفاعل يعقوب الباقون يسألون ثلاثيا

الوقوف والمنافقين ط حكيما ه ربك ط خبيرا ه على الله ط وكيلا ه في جوفه ج فصلا بين بيان الحالين المختلفين مع اتفاق
الجملتين امهاتكم ج لذلك ابناءكم ط بافواهكم ط السبيل ه عند الله للشرط مع العطف ومواليكم ط اخطأتم به لا لان التقدير ولكن
فيما تعمدت قلوبكم وكذا ان كان خبر مبتدأ نفي الجناح وذلك للاستدراك رحيما ه امهاتهم ط معروفا ط مسطورا ه وعيسى ابن مريم ص
للعطف غليظا ه صدقهم ج لان الماضي لا يعطف على المستقبل ولكن التقدير وقد اعد اليما ترونها ط بصيرا ه لاحتمال ان
يكون المراد واذكروا اذ جاؤكم ولاتصالها قراءة يعملون على الغيبة الظنونا ه شديدا ه وغرورا ه فارجعوا ج لظاهر
الواو وان كانت للاستئناف بعورة ط بناء على ان ما بعده ابتداء اخبار من الله ومن وقف على عورة جعل ابتداء الاخبار من هناك
لم يقف فرارا ه يسيرا ه الادبار ط مسئولا ه قليلا ه رحمة ط ولا نصيرا ه الينا ج لاحتمال كون ما بعده استئنافا او حالا قليلا ه لا لان
ما بعده حال عليكم ج لعطف الجملتين المختلفتين الموت ج فصلا بين ما تقتضيه الحالين الخير ط اعمالهم ط يسيرا ه لم يذهبوا ج انبائكم ط
قليلا ه

التفسير لما امره في اواخر السورة المتقدمة بانتظار الفرج والتضرع في اول هذه السورة بان لا يتقي غير الله
ولا يطيع سواه قال جار الله عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال
فو الذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن
فمن تأليفات المبتدعة ومن تشريفات الرسول صلى الله عليه وسلم انه نودي في جميع القرآن بالنبي او الرسول دون اسمه
كما جاء يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود واما ما جاء في الاخبار محمد رسول الله تعليما للناس وتلقينا لهم ان يسموه رسول الله وقد جاء
ما كان محمد ابا احد من رجالكم الا رسول قد خلت من قبله الرسل والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على
محمد لان المقام مقام تعيين وتخصيص وازالة اشتباه مع نصه ان لا يكون القرآن خاليا عن ذكر اسمه العلم حيث لم يقصد
هذا المعنى ذكره في الثناء كقوله لقد جاءكم رسول النبي اولى بالمؤمنين ولقد كان لكم في رسول الله اسوة والمراد بقوله اتق الله
واظب على ما انت عليه من التقوى ولو بدل الاتحاد جاز لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا يأمن احد ان يصدر عنه ما لا يوافق
التقوى ولا يطابق الدعوى ولهذا جاء قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني انما ارتفع على الحجاب فينكشف لي الوحي واذا ارخي لدى
الستر فاني كبشر مثلكم يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكانت تحت الاسلام يهود قريظة والنضير وغيرهم وقد
بايعهم ناس منهم على النفاق كان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم فاذا اتى منهم قبيح تركه وروي ان ابا سفيان بن حرب واشياعه
قدموا المدينة ايام المصالحة فقالوا يا رسول الله ارفض ذكر آلهتنا وندعك وربك فشق ذلك على المؤمنين فهموا بقتلهم فنزلت
اي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وكانوا يقولون ان له
يعطوه شطر اموالهم ان رجع عن دينه ان الله كان عليما بالصواب حكيما فيما امرك به من عدم اتباع آرائهم واهوائهم وحين

وحين نهاه عن اتباع الغير امره باتباع ما هو الاصلح وهو القرآن وبان يتق الله ويفوض اليه اموره فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه
ولما امر رسوله بالامر من اتقاء الله وحده وقد ابتدر منه صلى الله عليه وسلم في حكاية زينب زوجة زيد ما ابتدر قال
على سبيل التمثيل ما جعل الله لرجل من قلبين كانه قال يا ايها النبي اتق الله حق تقاته ومن حقه ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء
ليس له قلبان حتى يتقي باحدهما الله وبالآخر غيره كما جاء في قصة زيد وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم اراد ان يدفع عنه
قال الناس بانه تعالى لم يجعل دعي المرء ابنه فقدم على ذلك مقدمة وهي قوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اذ قلتم
لازواجكم انت علي كظهر امي لا يصرن امهات باجماع العلماء اما في الاسلام فلانه ظهار لا يحرم الوطء كما يجيء في سورة المجادلة واما في الجاهلية
فلانه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج ان يتزوج بها ثانيا فكذلك قول القائل للدعي انه ابني لا يوجب كونه ابنا فلا يصير زوجته
زوجة الابن فلم يبق لاحد ان يقول في ذلك شيئا فلم يبق لخوفك من الناس وجه ولو كان امرا محرما كما كانوا يخافون غيره
اما دليل ليس لك قلبان في الجوف والفائدة في ذكر هذا القيد كالفائدة في قوله التي في الصدور من زيادة التصور
للتأكيد ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت علي كظهر امي كانه قال تباعد منها بجهة الظهار عدي بمن لتضمين معنى التباعد
وانما كنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي يقارب الفرج فكنوا عنه بالظهر الذي يلازمه لانه عموده وبه قوامه
وقيل ان اتيان المرأة في قبلها من جانب ظهرها كان محذورا عندهم زعما منهم بان الولد حينئذ يجيء احول فلقصد التغليظ
شبهها المطلق بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو المدعو ولذا شبه بفعيل
الذي هو بمعنى فاعل كتقي واتقياء جمع على افعلاء واعلم ان زيد بن حارثة كان رجلا من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم
بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر
رجلا من احفظ العرب وكان يقال له ذو القلبين وقيل هو جميل الفهري كان يقول ان لي قلبين افهم بكل منهما اكثر مما
يفهم محمد فاكذبه الله قولهما وضربه مثلا في الظهار والتبني وقيل سهى في صلاته فقالت اليهود واهل النفاق لمحمد
قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في من يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني ومعنى التنكير في رجل وزيادة
من الاستغراق فيه التأكيد كانه قيل ما جعل الله لنوع الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة ذلكم النسب قولكم بافواهكم
اذ لا اصل له في الشرع العقل القائل هذا ابني وذلك اذا كان معروف النسب حرا اما ان كان مجهول النسب وان كان حرا ثبت نسبه
من المتبني ظاهرا ان امكن ذلك بحسب السن وان كان عبدا له عتق وثبت النسب وان كان العبد معروف النسب عتق ولم
يثبت النسب ثم بين ما هو الحق والهدى عند الله فقال ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم فان لم تعلموا آباءهم فهم اخوانكم
في الدين ومواليكم فقولوا هذا اخي او مولاي بمعنى الولاية في الدين ثم رفع الجناح اذا صدر القول المذكور خطأ على
سبيل سبق اللسان وكذا ما فعلوه من ذلك قبل ورود النهي ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ على طريق العموم فيتناول
لعمومه خطأ التبني وغيره وكان الله غفورا للخاطئ رحيما للعامد ولا سيما اذا تاب ثم انه كان لقائل ان يقول هب
ان النبي لا يسمى ابا اما اذا كان ادعيه شيء حسن فكيف يليق بالمروءة ان تطمح عينه اليه وخاصة اذا كان زوجته
فلذلك قال في جوابه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والمعنى انه راعي الناس ومربيهم فملاحظة خاصة والاعتناء بشأنه
اهم كما ان رعاية العضو الرئيس وحفظ صحته اولى من رعاية غيره والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ابدأ بنفسك
ثم بمن تعول ويعلم من اطلاق الآية انه اولى بهم من انفسهم في كل شيء من امور الدين والدنيا وتخلاه او لان معنى ادنى واعطف
لقوله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا وانا اولى به في امور الدين والدنيا اقرأوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم

فاما من هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا اي عيالا فالي وكما رفع قدره بتحليل ازواج
غيره له اذا تعلق قلبه باحديهن رفع شانه بتحريم ازواجه على امته ولو بعد وفاته فقال وازواجه امهاتهم اي في هذا
الحكم فانهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن ومن كمال اعتنايه سبحانه بنبيه محمد انه لم يقل وهو اب
لهم وان جاءت هذه الزيادة في قراءة ابن مسعود والاحرى زوجات المومنين عليهم ابدا الا ان يراد الاب والشفقة
في الدين كما قال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المومنون اخوة قال المفسرون كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية
في الدين وبالهجرة لا بالقرابة فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام الاية وجعل التوارث بمعنى القرابة وقوله في كتاب الله في اللوح او
في القرآن وهو هذه الاية او اية المواريث وقد سبق نظيره في اخر الانفال وقوله من المومنين اما ان يتعلق باولوا الارحام
بمعنى القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية الدينية ومن المهاجرين بحق الهجرة اشار الى الوصية بقوله الا ان تفعلوا اي الا
ان تسدوا او توصلوا الى اوليائكم في الدين وهم المومنون والمهاجرون معروفا برا بطريق التوصية والحاصل ان الاقارب احق
من الاجانب في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية فانه لا وصية لوارث قال اهل النظر كانه سبحانه
قال بينكم هذا التوارث والنبي لا توارث بينه وبينكم فاذن ربه فلذلك جعلنا له بدل هذا انه اولى في حيوته بما في ايديكم او لعله
اراد دليلا على قوله النبي اولى بالمومنين قد كان اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في نحو ولا ولد احد برابع صديقه صار ذلك
الصديق اولى من ذريته كان بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي لا ينتقل الا الى من اريد فالله تعالى كذلك جعل للصديق
من الدنيا ما اراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره كان ذلك الذي ذكر في الايتين في الكتاب وهو القرآن او اللوح مسطورا والجملة
مستانفة كالخاتمة للاحكام المذكورة ثم اكد الامر بالاتقاء بقوله واذ اخذنا اي واذكر وقت اخذنا في الازل من النبيين
ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم من غير تفريط وتوان وقد خص بالذكر خمسة لفضلهم وقدم نبينا صلى الله عليه
وسلم لافضليته وانما قدم نوحا في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك لان المقصود هنالك وصف دين
الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم ومحمد خاتم الانبياء
في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير وانما نسب الدين القديم الى نوح لا الى ادم لان نوحا كان اصلا
ثانيا للناس بعد الطوفان وخلق ادم كان كالعمارة ونبوته كانت ارشادا للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا
تعذيب كما في زمن نوح واساميهم وقال الاخرون هو سوالهم عما فعلوا كما قال ولنسئلن المرسلين وهذا لان الملك اذا ارسل رسولا
ولم يبق شيء او فعله كان ميثاقا فاذا علم انه يسال من حاله في افعاله واقواله يكون تغليظا في الميثاق عليه حتى لا يزيد ولا
ينقص في الرسالة وعلى هذا يجوز ان يقال قوله في سورة النساء واخذن منكم ميثاقا غليظا هو الاخبار بانهم مسئولون عنهن كما قال صلى
الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ثم بين الغاية من ارسال الرسل فقال ليسال الصادقين عن صدقهم الاية وفيه ان
عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق يحاسب والكاذب يعاقب كما قال علي كرم الله وجهه حلالها حساب وحرامها
عذاب والصادقون في هذا التفسير هم الذين صدقوا عهدهم يوم الميثاق حين قالوا بلى في جواب الست بربكم ثم اداموا على ذلك
في عالم الشهادة وهم المصدقون للانبياء فان من قال للصادق صدقت كان صادقا وفيه وجه آخر وهو ان يراد بهم الانبياء
فيكون كقوله ولنسئلن المرسلين وكقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وفايدة مسئلة الرسل تبكيت الكافرين كما
قال جار الله قوله واعد معطوف على اخذنا كانه قال اكد الله على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عليه
ليسئل كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين وفيه وجه آخر عرفت في الوقوف ثم اكد الامر بالاتقاء من الله وحده مرة اخرى
فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الاية وذلك انه في وقعة الاحزاب اشتد الامر على الاصحاب لاجتماع المشركين باسرهم واليهود باجمعهم

باجمعهم واسلمهم الله وهو معهم وهم قد ... فينبغي ان لا يخاف غير الله العبد البصير وذكروا قصته ان قريشا كانت مقبلة في عشرة
الاف من احزاب من كنانة واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان وقد خرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم
عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير فحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره وا
لخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق فيهم
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغايط ومضى على الفريقين قريب من شهر
لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر وذلك انه ارسل على اولئك الجنود المتحزبة ريح الصبا في ليلة باردة شاتية
فسفت التراب في وجوههم وارسل جنودا لم يروها وهم الملايكة وكانوا الفا فقلعوا الاوتاد وقطعوا الاطناب واطفاوا النيران
واكفاوا القدور وماجت الخيول وكبرت الملايكة في جوانب عسكرهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ومضى من فيهم قوم
من اعلى الوادي من قبل المشرق وهم بنو غطفان ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش تحزبوا وقالوا
سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا ومعنى زاغت الابصار مالت عن سننها واستوت ما حينا او عدلت عن كل شيء الا عن العدو
فزعا ورعبا والحناجر منتهى الحلقوم وبلوغ القلوب الحناجر اما ان يكون مثلا لاضطراب القلب ووجيبها وان لم يبلغها في
الحقيقة واما ان يكون تحقيقه لان القلب عند الخوف يجتمع فيتقلص ويلتصق بالحنجرة وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس
فيموت وانما جمع الظنون مع ان الظن مصدر لان المراد انواع مختلفة فظن المومنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
وظن المنافقون وضعفاء اليقين الذين في قلوبهم مرض وهم على حرف ما حكى الله عنهم وهو قوله ما وعدنا الله ورسوله الا
غرورا كما حكينا عن معتب ومن فوايد جمع الظن ان يعلم قطعا ان فيهم من اخطا الظن فان الظنون المختلفة لا يكون كلها صادقة
فاما ان يكون كلها صادقة واما ان يكون كلها كاذبة او بعضها فقط والمقام مقام تمييز بين الخبيث والطيب واذ قالت طايفة منهم
كعبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم للمدينة او ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم اي لا قرار لكم ولا مكان ههنا تقيمون
او تقيمون فيه على المرابطين فارجعوا الى المدينة وانهزموا عن عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او ارجعوا كفارا واتركوا محمدا والا فليست
لكم يثرب بمكان ثم ان السامعين عزموا على الرجوع واستاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم واعتلوا بان بيوتنا عورة اي ذات خلل
لا يامن اصحابها السراق على متاعهم وانها معرضة للعدو فاكذبهم الله بقوله وما هي بعورة ثم اظهر ما يكن صدورهم فقال ان
يريدون الا فرارا ثم بين مصداق ذلك بقوله ولو دخلت اي المدينة عليهم من اقطارها او دخلت عليهم بيوتهم من جوانبها او كما قال
ثم سئلوا الفتنة اي الارتداد والرجوع الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها والحاصل انهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة
رسول الله ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة التي يفرون منها بيتهم وبيوتهم من نواحيها كلها لاجل النهب والسبي ثم عرض
عليهم الكفر ومقاتلة المسلمين لسارعوا اليه والقبوه وما تعللوا بشيء ويحتمل ان يراد ان ذلك الفرار والرجوع ليس لاجل حفظ
البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فات الغرض لا يفعله كمن يبذل المال لكيلا يؤخذ منه بيته فاذا اخذت البيت لا يبذل
فاكذبهم الله تعالى بان الاحزاب لو دخلت بيوتهم واخذوها منهم لرجعوا عن نصرة المسلمين فبين ان رجوعهم عنك ليس الا للكفر
وبغضهم الاسلام والصبر قوله وما تلبثوا بها اي بالرجوع الى الفتنة اي لم يلبثوا باتيان الفتنة واعطايها الا زمانا يسيرا وربما يكون
السؤال والجواب او ما يصحبوها الا قليلا اي يزول ويكون العاقبة للمتقين ويحتمل عود الضمير الى المدينة اي وما لبثوا بالمدينة بعد
ارتدادهم الا قليلا فان الله يهلكهم وقيل ولقد كانوا الاية عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان
يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحاق عاهدوا

يراجعها ان لا يفر واتعبد ان يدبهم ما نزلت يوم كان عبد الله سهولة عنه وانما قضى اعتقده من الموت حتى اتفرادمن القتل فهو كانوا والفرار
منه عنه نافع ولئن فرضنا ان الفرار نافع فتمتع بالتأخير لم يكن ذلك التمتع في زمان الدنيا الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحايط
مائل فاسرع فتليت هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب من ذا الذي يعصمكم الاية قال جار الله لا عصمة الا من
السوء تقدير الكلام من يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا ومن يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كقوله متقلدا سيفا ورمحا
اى ومعتقلا رمحا حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع والمعوقين الذين يمنعون الناس من نصرة الرسول وهم المنافقون
واليهود هلم الينا بمعناه قربوا انفسكم الينا وقد مر في الانعام في قوله قل هلم شهداءكم وقوله ولا يأتون معطوف على القائلين
لانه في معنى الذين يقولون وقوله الا قليلا اي الا اتيانا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا لعلة الرغبة وعود الخوف والاشحة جمع شحيح
وقيل بمعناه اصابكم اي يظهرون الاشفاق على المسلمين فاذا اشتد القتال واذا جاء الناس ارتعدت فرائصهم وتدور اعينهم كدوران
عين من يغشى عليه من سكرات الموت وقبل ارادتهم يبخلون باموالهم وانفسهم فلا يبذلونها في سبيل الله فاذا ذهب الخوف وجمعت
الغنائم سلقوكم اي بسطوا اليكم السنتهم قائلين وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبنا نصرتم وبمكاننا غلبتم عدوكم
فهم الناس احين وقوم ولحذلهم لحق واما عند صارت الغنيمة ما شحهم وان قحتهم والحداد جمع حديد وكونها جمعا لان الاول مطلق
والثاني معبد بالخير وهو المال او الثواب او الدين او الكلام الجميل او شكا للسا فقون لم يؤمنوا حقيقة وان امنوا في الظاهر
احبط الله اعمالهم التي لها صورة الصلاح بانهم السلبين احوالهم الباطنة وكان ذلك الذي ذكر من اعمال اهل النفاق يسيرا على الله لا وزن
لها عنده او كان ذلك الاحباط عليه سهلا قال الكشاف لا اعمالهم حقيقة بالاحباط يدعوا اليه الدواعي ولا يصرفها عنه صارف
ويمكن ان يقال اعمالهم لم تكن حقيقة على الله فاعمالهم الصورية ولا اجتماعهم عدم اعتبار سلبهما او لي بان يكون هينا ثم وصف طرفا اخر
من جبنهم وهو انهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد ذهبوا فانصرف المنافقون الى المدينة ممن هو من بناء على هذا الحساب ومن
جملة جبنهم وضعف عقلهم انه ان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا انهم بادون اي خارجون الى البدو وحاصلون فيما بين الاعراب حذرا
من عيان القتال فيكونوا حالهم اذا ذكرنا انهم يسألون عن اخباركم فانهم عن العيان بالاثر ومن الحضور بالخبر ولو كانوا فيكم
ولم يفروا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قتالا قليلا او الا قليلا للعذر على سبيل الرياء والسمعة **التأويل** اي الله امس
الكون وكان منقلبا من الازل الى الابد وكذا الكلام فيما يتلى من النواهي والاوامر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه لان
القلب صدف درة المحبة ومحبة لا تجتمع مع محبة الدنيا والهوى ويمتزج القلب واحد كما ان المحبة واحدة والمحبوب واحد وما
جعل ازواجكم اللائي امهاتكم وادعياءكم ابناءكم وفيه ان الحقايق لا تنقلب عقلا ولا طبعا ولا شرعا وليس عليكم جناح اخطاء تربية
من جهة الانسان فان النسب حقيقي اجنب الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه النسب الباقي كما قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي
ونسبي نسبة الفقر ونسبة النبوة ولكن ما تعمدت قلوبكم بقطع الرحم عن النبي بترك سنته وسيرته النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم في توليدهم من صلبه وازواجه وهن قلوبهم امهاتهم لانه لا يتصرف في قلوبهم تصرف الا كونه لانهم لا يقدرون على توليد
انفسهم في النشاة الثانية كما لم يقدروا على توليد انفسهم في النشاة الاولى لو كان ابوهم احق بهم من انفسهم في توليدهم من صلبه
وازواجه قلوبهم امهاتهم لانه لا يتصرف في قلوبهم تصرف الا كونه في الاناث بشرط كمال التسليم ليقع من صلب النبوة نطفة
الولاية في ارحام القلوب واذا حملوا النطفة صانوها عن الافات لئلا يسقط بادنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها
ويزيد ولي اعقابهم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم سائر اقارب الدين بعضهم اولى ببعض لاجل التربية من المؤمنين بالنشاة الاخرى
والمهاجرين عن اوطان البشرية الا اذا تركت النفس بالاخلاق الحميدة وصارت من الاولياء بعد ان كانت من الاعداء فتعمل بعملها
معروفا من الارفاق واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم في الازل ومنك باعطاء الاجابة ومن نوح بالدعوة وهم

ابرهيم بالخلة ومن موسى بالكلام ومن عيسى بتم بره بالعبدية او غلظنا الميثاق بالتأييد والتوفيق ليسأل الصادقين سؤال
تشريف لا سؤال تعنيف والصدق ان لا تكون في اعمالك شوب ولا في اعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب ومن امارات وجود
الاخلاص من غير ملاحظة المخلوق وتصفية الاحوال من غير مداخلة الاعجاب وسلامة القول من المعاريض والتباعد عن
التلبيس فيما بين الناس وادامة التبري من الحول والقوة بل الخروج من الوجود المجازي شوقا الى الوجود الحقيقي اذ جاءتكم
جنود الشياطين وصفات النفس والدنيا وزينتها من فوقكم وهي الافات السماوية ومن اسفل منكم وهي المتولدات
البشرية او من فوقكم وهي الدواعي النفسانية في الدماغ ومن اسفل منكم هي الدواعي الشهوانية فارسلنا عليهم ريحا من نكبات
قهرنا وجنودا لم تروها من حفظنا وعصمتنا عاهد والله من قبل الشروع في الطلب انهم لا يولون
ادبارهم عند الجهاد مع الشيطان والنفس لانهم وهم الحواس والجوارح كونوا اتباعا لنا واسلحة

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر وذكر الله كثيرا ۝ ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ۝ ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان
غفورا رحيما ۝ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى
الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝ وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم
تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن

سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة
فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان
ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين
الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات
والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا وا

والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وما كان لمومن
ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من
امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي
انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج
في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين
خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد
ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما

القراءة اسوة بضم الهمزة حيث كان عاصم وعباس الاخرون بكسرها يضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وقرأه ابو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين مفتوح ورفع العذاب الاخرون تعمل ويكن بالالف من المضاعفة ويعمل صالحا نؤتها على التذكير والغيبة حمزة وعلي وخلف وافق المفضل ويعمل الباقون بالتاء الاول وبالنون في الثاني وقرن بفتح القاف ابو جعفر ونافع وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها ولا يتبرجن ان يبدل بتشديد الياء البزي وابن فليح ان يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها **الوقوف** كبيرا ط لابتداء القصة الاحزاب ط لان قالوا جواب لما رسوله الثاني لاحتمال الاستيناف والحال اوجه وتسليما ط عليه ج لابتداء التفصيل مع الفاء ينتظر لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفي اوضح تبديلا ج الا عند ابي حاتم عليهم ط رحيما ج للاية ولاحتمال الحال اي وقد رد خيرا ط القتال ط عزيزا ج للاية والعطف وزيقا ج لاحتمال ان يكون ما بعده استينافا او حالا تطؤها ط قديرا جميلا عظيما ضعفين ط يسيرا الجزو

الثاني والعشرون مرتين لا لان التقدير وقد اعتدنا كريما معروفا للعطف ورسوله نظهرا لو تقع العوارض بين المعطوفين والحكمة حبيرا عظيما منا امهم مبينا الناس لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال تحتا مبين وطرا مفعوله له من جبل معدو راه بالعلى ان الذين وصفنا و بدلا لله حسيبا النبيين علينا التفسير لما فرغ من توبيخ المنافقين حيث جع للتكفين على مواساة الرسول وموازرته كما اساهم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات فيه حتى لا فالم والاسوة القدوه وهو المؤتسى به او المقتدى به والمراد به في نفسه قدوه كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والمراد فيه ان خصلة هي المواساة بنفسه من حقها ان يؤتسى بها و يتبع وقال في الكشاف قوله لمن كان يرجو بدل من قوله لكم وضعف بان بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالاظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل او الخوف وقوله يرجو الله واليوم الاخر كقولك رجوت زيدا وفضله اي رجوت فضل زيد او اريد يرجو ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقوله وذكر معطوف على كان وفيه ان المقتدى برسول الله هو الذي واظب على ذكر الله وعمل ما يصلح لزاد المعاد ثم حكى حال المؤمنين وقت لقاء الاحزاب ساب بعد ما اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للمعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع وصدق الله ورسوله في كل ما وعد وما زادهم الا ايمانا بمواعيده وتسليما لقضائه وقيل هذا اشاره الى ما تقول عند الفزع الشديد يكون النصر والجنه كما قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما ياتكم مثل الذين خلوا الى اخره كان رجال من الصحابه نذروا انهم اذا لقوا العدو اخذوا باثبتوا مع رسول الله حتى يستشهدوا فمدحهم الله تعالى بانهم صدقوا ما عاهدوا الله اي صدقوا الله فيما عاهدوه عليه ويجوز ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا كانهم قالوا اللهم عليه سنفي بنذرنا ذلك فاذا وفوا به فقد صدقوه فمنهم من قضى نحبه اي نذره فقاتل حتى قتل كحمزه ومصعب وقد يقع قضاء النحب عبارة عن الموت لان كل حي لا بد من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته ومنهم من ينتظر الشهاده كعثمان وطلحه وما بدلوا تبديلا ما غيروا عهدهم وفيه تعريض بمن بدل من اهل النفاق ومرض القلب فكانه قال صدق المؤمنون ونكث المنافقون وكان عاقبة الصادق في الجزاء بالخير بواسطة صدقهم وعاقبة اهل النفاق التعذيب ان شاء الا ان يتوبوا وانما استثنى لانه امن منهم بعد ذلك ناس والى هذا اشار بقوله وكان الله غفورا رحيما حيث رحمهم ورزقهم الايمان ويجوز ان يراد ويعذب المنافقين مع انه كان غفورا رحيما الكثير ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لعفر لهم ورد الله الذين كفروا وهم الاحزاب فليتين بغيظهم لم ينالوا اي غيظا ونيلا من مطالبهم التي هي عندهم خير من كثرة واسلوب غنيمة وكفى الله المؤمنين القتال بواسطة ريح الصبا و بارسال الملائكة كما قصصنا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم والصيصية ما يحصن به ويستعار القرن الثور والظبي ولشوكة الديك التي في ساقه صيصيه لان كلا منهما سبب التحصن به وروي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظه وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمه فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظه فما صلى كثير من الناس العصر الا بها بعد العشاء الاخره فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير ولما قدم مفعول يقتلون لان القتل

على كل شي قديرا

القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتنا بحال الهم اشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتنا بل الاعتناء هنالك بالاسر اشد لانه ربما لا يقع وفريقا ياسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا ربما ظن انه يقال بعده يطلقونه او لا يقدرون على اسرهم فالذكر هنا لا يقال قدم قوله وانزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال لان الاهتمام والفرح بذلك الانزال اكبر فلو تكرر منكم التي استوليتم عليها ونزلتم فيها او لا وديارهم التي كانت في القلاع فسلموها اليكم وامو الهم التي كانت في تلك الديار وارضا لم تطؤها قيل هي القلاع نفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتاده كنا نحدث انها مكه وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمه كل ارض تفتح الى يوم القيمه وعن بعضهم اراد نساءهم وهو غريب ثم اكد الوعد بفتح البلاد بقوله وكان الله على كل شي قديرا ولاهل النظم ان مكارم الاخلاق يرجع اصولها الى امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله ارشده الى القسم الاخر وبدا بالزوجات لانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة ولنبين تفسير الاية على مسايل منها ان التخيير هل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فنقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة واما التخيير معنى فيبنى على ان الامر للوجوب ام لا ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها بما يانه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله فتعالين امتعكن واسرحكن وعلى هذا التقدير فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق والظاهر الوجوب لان خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الواحد منا فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ومنها ان المختاره بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره الظاهر نعم ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان المختارة منها الله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم بمعنى انه لو اتى بالطلاق لعوتب وفي تقديم اختيار الدنيا اشاره الى انه كان لا يلتفت اليهن كما ينبغي اشتغالا بعبادة ربه وكيفية المتعة بالطلاق ذكرناها في سورة البقره والسراح الجميل كما علمت وتسريح باحسان وفي ذكر الله والدار الاخرة حب ذكره الرسول وفي قوله المحسنات اشاره الى ان اختيار الرسول بسبب رضا الله وواسطة طهارة سعاده الاخره وانه اوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كونه بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم لا يطلق الا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب في الجهات في الامتدادات الثلثه واجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خالص عن جهات القبح كما في ماكولها من الضرر والثقل وكذلك في مشروبها وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منقضي بالانقطاع والزوال يروى انه حين نزلت الاية بدا بعايشه وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فراي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله فانزل الله لا يحل لك النساء من بعد وروي استقال العايشه اني ذاكر لك امرا و لا عليك ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة ثم قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا واما حكم التخيير في الطلاق فاذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في احدى الجانبين وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفه واصحابه اذا كان في المجلس ولم يشتغل بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي احسانها او هي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتاده والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي في الاتفاق لان عايشه اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا وعن علي رضي الله عنه مثلق في روايه وفي اخرى انه عند كل واحده رجعيه وان اخذت نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن النبي صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله ادبهن الله ورسوله وهددهن على الفاحشه التي هي اصعب على الزوج من كل ما ياتي به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب لان الزنى في نفسه قبيح

ومن زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ازواجا بمنصبه ولانها تكون حينئذ اختارت غير النبي على النبي فلا يكون النبي عندها الى حد المعتبر ولا يبعد ما
وقد اشار الى شرفهن فان الحرة لشرفها كان تعذيبها ضعف عذاب الامة وايضا نسبة النبي الى غيره من الرجال نسبة السادة الى العبيد لكونه
اولى بالمؤمنين من انفسهم فكذلك زوجاته اللاتي هن الفاحشة ويكن في خوفه وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولئن اتبعت اهواءهم ومن في قوله منكن للبيان
لا للتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة اريد بها كل الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه
ما يشق عليه وقوله وكان ذلك على الله يسيرا اشارة الى ان كونهن نساء النبي لا يغني عنهن شيئا كيف وانه سبب مضاعفة العذاب ومن يقنت
مضاعفة عذابهن ذكر زيادة ثوابهن في مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكريم لان رزق الدنيا لا ياتي بنفسه في العادة
وانما هو محتاج الى الغير عند كسب يسلمه الى الاعيان ورزق الآخرة بخلاف ذلك ثم صرح بتفضيلهن يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
كقولك ليس فلان كآحاد الناس اي ليس فيه مجرد كونه انسانا بل فيه وصف اخص يميزه ولا يوجد في اكثرهم كالعلم والعقل والنسب او الحسب
قال جار الله احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى اذا
استقريت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وقوله ان اتقيتن احتمل ان يتعلق بما قبله وهو
ظاهر واحتمل ان يتعلق بما بعده اي ان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول مثل كلام المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض
اي ريبة وفجور وحين منهن من الفاحشة ومن يعمل منهن ... الى ذلك ثم ... بالايذاء والتكبر على الناس بل القول
المعروف عند الحاجة هو ... وقرن بفتح القاف امر من القرار باسقاط احد حرفي
التضعيف كقوله فظلتم تفكهون واصله اقررن ومن قرا بكسرها فاما من وقر يقر وقارا او من قر يقر بكسر القاف وقيل
المفتوح من قار يقار اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر في قوله غير متبرجات بزينة وذلك في زمن نمرود والجاهلية
الاولى هي القديمة التي كانت في زمن ابراهيم صلوات الرحمن عليه او ما بين ادم ونوح او بين ادريس ونوح او في زمن داود
وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع في الاسلام
وقيل ان هذه اولى ليست لها اخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة وكانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال ثم امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم عاما في جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله انما يريد الله ليذهب
عنكم واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما اكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولا يطهر المحل بعد
واهل البيت نصب على النداء او على المدح وقد مر في اية المباهلة انهم اهل العباء النبي صلى الله عليه وسلم لانه اصل وفاطمة
لانها عليها السلام فرعه والحسن والحسين بالاتفاق والصحيح ان عليا منهم لمعاشرته بنت النبي وملازمته اياه وورود الاية في شان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهم والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبي وعلي وابناه غلبوا على فاطمة
وحدها ومع امهات المؤمنين ثم اكد التكاليف المذكورة بان ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي ومنازل الحكمة والشرائع الصادرة
من مشرع النبي ومعدن الرسالة ثم ختم الاية بقوله ان الله كان لطيفا خبيرا ايذانا بان تلك الاوامر والنواهي لطف منه
في شانهن وهو عالم بالمصطفين من عبيده المخصوصين بتائيده يروى ان ام سلمة او كل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا
رسول الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء فنحن نخاف ان لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات وذكر لهن عشر
مراتب الاولى الاسلام الانقياد لحكم الله والثانية الايمان بكل ما يجب ان يصدق به فان المكلف يعقد او لكن لا يعتبر الشارع
ذلك الا بقبوله فلهذا اسلم فاذا ابتدا بحكم تصدق معالمه ومحا اعتقاده ثم ان اعتقاده يصحح الا بالفعل الحسن والعمل الصالح
فقنت وتعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا امن وعمل صالحا كمل فيكمل غيره ويامر بالمعروف وينصح اخاه فيصدق في كلامه
عند النصيحة وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات ثم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يصيبه اذى الا

اذى فيصبر عليه كما قال في قصة لقمان واصبر على ما اصابك اي بسببه ثم اذا كمل في نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب
بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات وفيه اشارة الى الصلوة لان الخشوع لوازمها وقد افلح المؤمنون الذين هم في
صلوتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع عن شهوة البطن فضم اليه ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي
ممنوع منها في الصوم مطلقا في غير الصوم عما وراء الازواج والسراري ثم ختم الاوصاف بقوله والذاكرين الله كثيرا يعني انهم في جميع
الاحوال يذكرون الله ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم
لله وانما وصف الذكر بالكثرة في اكثر المواضع فقال في اول السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال في الاية والذاكرين
الله كثيرا وقال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الاعمال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من
الاشتغال بغيرها لطلب الاغلب ولكن لا مانع من ان يذكر الله وهو آكل او شارب او ماش او نائم او مشغول ببعض الصنائع والحرف
على ان يبعض جميع الاعمال صحتها الا كما الهابد كر الله تعالى وهي النية قال علماء العربية في الاية عطفان احدهما عطف الاناث على
الذكور والآخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع قبله والاول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الاسلام
في الاول والايمان في الثاني الى آخر الاوصاف والثاني من باب عطف الصفة على الصفة يؤول معناه الى ان الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات اعد الله لهم ومن انحاء الكلام من قصة زيد الى هنا عاد الى الحديث قال الراوي خطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت ام امها اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا
وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
وقال اهل النظم انه تعالى لما امر نبيه ان يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير
فعليه ان يترك حق نفسه لحظ غيره وذكر في هذه الاية انه لا ينبغي ان يظن ظان ان هوى نفسه متبع وان زمام الاختيار بيد
الانسان كما في حق زوجات النبي بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما امر الله هو المتبع وقضاء
الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لان المقصد هو الله والهادي هو النبي فمن ترك المقصد ولم يسمع قول
الدليل ضل ضلالا بعيدا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان
افارق صاحبتي فقال ما لك اراب اليك منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها فقال له امسك عليك زوجك
واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب لي زينب قال
زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها
فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها
ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى
امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله للذي يعني زيدا انعم الله عليه بالايمان الذي هو اجل النعم وبتوفيق
الاسباب حتى تبناه رسول الله وانعمت عليه اي بالاعتاق وبانواع التربية والاختصاص وقوله واتق الله اي في تطليقها
فلا تطلقها فهي تنزيه لا تحريم او اراد اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذي اخفى النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه
هو تعلق قلبه بها او مودة مفارقة زيد اياها او علمه بان زيدا سيطلقها او عن عائشة لو كتم رسول الله شيئا مما اوحى الله اليه لكتم

صه الايه دونكان فيه نوع مخالفة الظاهر والباطن في الظاهر وليس كذلك في الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الادمي
فلا يلام عليه كما هو معلوم بابتدائه والذي ابداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء فالذي قال الناس ان قلت النبي قال
الى زوجة عيسى بهذا القدر عوتب بقوله والله احق ان تخشاه فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبي ان
سكت عما امسكه بحد راى عتاب الله على ترك الاولى كما سكت عن نطلبه حياء من الناس قال جار الله الواوات في قوله وتخفي
وتخشى والله احق واو حال ويجوز ان يكن للعطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه
حتى لا تفعل مثل ذلك قوله فلما قضى زيد منها وطرا حاجته ولم يبق له فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها نفيا للحرج عن المؤمنين
في مثل هذه القصة فان الشرع كما يستفاد من قول النبي يستفاد من فعله فالنص الثاني يؤكد القول الاول اي ذكر ما فهم منه
حذا نصيبه لما تكلم بتوجه القول شي وجب الحكم بحكم الخطاب كلام مع انه لا يكاد في بعض الكلام وكذلك الامر [illegible] وقوله اذا قضوا منهن
وطرا بفهم منه نفي الحرج عند عدم قضاء الوطر بالطريق الاولى عن التحليل وقضاء الوطر بلوغ كل حاجة يكون فيها هم واراد بها في الاية
الشهوة وقيل التطليق فلا اعتماد على هذا وكان امر الله مفعولا مكونا لا محالة ومن جملة ذلك ما جرى من قصة زينب ثم نزه جانب
النبي عن قالة الناس بقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم واوجب له سنة الله مصدر مؤكد لما قبله اي سن الله
نفي الحرج سنة في الانبياء الذين خلوا وكان منهم من يحتاز ازواج كثيرة كداود وسليمان ويحيى قصتهما في سورة ص ومعنى
قدرا مقدورا قضاء مقضيا هكذا قال المفسرون ولعل قوله وكان امر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخر اشارة الى القدر
وقد عرفت الفرق بينهما اوفي قوله ولا يخشون احدا الا الله ثم يعني بما صرح به في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه والخشية
الكاف الخاوفا والحاسب الى الصحابة والكتابين فيهما ان لا يخشى الا هو ثم اكد مضمون الاية المتقدمة وهو ان زيدا لم يكن ابنا له
فقال ما كان محمد ابا احد وكان لما لم يتعود اما كان ابا الطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فكذلك قيل من رجالكم فخرج بهذا
القدر من جهتين احديهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين عن النبي لانهما لم يكونا بالغين حينئذ
والاخرى انه اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين واراد الاب اقرب معنى الاكبر [illegible] في قوله ولكن
رسول الله هو لمنا ثابت الابوة من هذه الجهة لان النبي كالاب لامته من حيث الشفقة والنصح ورعاية حقوق التعظيم وكذا المعنى
بقوله وخاتم النبيين لان النبي اذا علم ان بعده نبيا اخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم ان ختم النبوة عليه
وكان الله بكل شيء عليما ومن جملة معلوماته انه لا نبي بعد محمد ونزول عيسى في اخر الزمان لا ينافي ذلك لانه ممن نبي قبله وهو يجيء على شرع
نبينا مصليا الى قبلته فكانه بعض امته
لقد كان لكم في رسول الله اي كان في الازل
متابعة رسوله **التأويل** احتاج ارواحكم من العدم الى الوجود عقيب خراج روح الرسول من العدم الى الوجود
اول ما خلق الله روحي او نوري ويحسب القرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الشخص وكل ما يجري على الانسان من بداية عمره الى نهاية
عمره من الاعمال والاقوال والاخلاق والاحوال لمن كان يرجو الله يكون عمله خالصا لوجهه ومن كان يرجو اليوم الاخر يكون عمله للنوع لنعيم
الجنان وكل هذه المقامات مشروطة بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله ولما
راى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها والشيطان واتباعه قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله [illegible] ان البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل من المؤمنين رجال يتصرفون في
الموجودات بصرف المذكورة في الايات صدقوا ما عاهدوا الله انه لا يعبدوا غيره من الدنيا والعقبى فمنهم من قضى نحبه وصل
الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول [illegible] السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح القهر اذ هبت على
النفوس فابطلت شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فازالت زينتها وانزل الذين ظاهروهم اي اعانوا النفس

النفس والشيطان والهوى على القلوب من اهل الكتاب طالب الرخص لاهل الطلب المنكرين احوال اهل القلوب من صياصيهم من
حصون تكبرهم وتجبرهم وانزلوهم من حصول اعتقادهم ارباب الطلب كيلا يقتدوا بهم ولا يعتنوا واباتوا لهم
وقذف في قلوبهم في قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا يقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان واتباعه
وتأسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها ومالها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم لتنفقوا في سبيل الله ويجعلوها بذر مزرعة
الاخرة وارضا لم تطؤها اي الى مقامات وكمالات لم يبلغوها فبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا مصير
لانه يتصرف بالحق للحق قل لازواجك فيه اشارة الى ان حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لانه من محال النطفة
الانسانية في عالم الصورة فكيف لا يمنع حب الدنيا لاهل القلوب الذين ارحام قلوبهم محال النطفة الروحانية والاجر العظيم
هو لقاء الله العظيم فمن احب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك لا يحب النبي صلى الله عليه وسلم لان محبة الجنة بالحظ
دون الحق فيها ما تشتهي الانفس ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم بالحظ لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله يضاعفه
العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة كان الاجرين عبارة عن هذين وكان من دعاء السري السقطي اللهم
ان كنت تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب والرزق الكريم رزق المشاهدات الربانية بنساء النبي هم الذين هم اهل ارحام
قلوبهم لتصرفات ولاية الشيخ لستم كاحد من غيرهم في الخلوات ان اتقيتن بالله من غيره فلا تخضعن بالقول التي من
الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لارباب الدنيا الذين في قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا
في ورطة الهلاك والحجاب وقلن قولا معروفا وهو التوسط الذي لا يكون فيه الميل الكلي لاهل الدنيا [illegible]
وقرن في بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن في عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا كعادة الجهلة واقمن الصلوة التي هي
معراج المؤمن ترغيبه عما الدنيا ويكره عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام تكبر الانسان الى الخضوع ركوع [illegible]
ومنازل الخشوع سجود النبات ثم الى قعود [illegible] فانه بهذا الطريق اهبط الى اسفل السافلين ويكون رجوعه بهذا التابعه من
الاسفل الى مقام [illegible] في البداية الروحانية ثم ينتهي بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الاخرة
وما بها ثم عن شماله على الدنيا وما فيها واسباء الزكوة بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي الرجس لوث الحدث والبيت
لاهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه ايات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الازلية [illegible] بوجود المعارف
الحقيقية والقانتين الذين ثبتوا الوجود في الطاعة والعبودية وصدقوا في عهودهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الاوصاف
الذميمة وخشعوا الى الطرق واسرارهم عند سواد الحقيقة تصدقوا باموالهم واعراضهم حتى لم يبق لهم مع احد خصومة وصاموا
بالامساك عن الشهوات وعن رؤية الدرجات وحفظوا فروجهم في الظاهر عن الحرام وفي الباطن عن [illegible] وذكروا
الله بجميع اجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا صدر امر عن المكلف [illegible] عليه فان كان مخالفا للشرع
وجب عليه الانابة والاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا للطبع وجب عليه الشكر وان كان مخالفا للطبع وجب
ان يستقبله بالصبر والرضا وفي قوله والله احق ان تخشاه دلالة على ان المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يؤاخذون بميل
القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف اسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضى وطره سهم بين الخلق
الى قيام الساعة ما كان على النبي من حرج فيه انه ما هو نقصان في نظر الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق وكن رسول الله
فيه ان نسبة المتابعين الحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الاب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب منقطع الا حسبي ونسبي
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ٥ وسبحوه بكرة

واصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وكان بالمومنين رحيما ٥ تحيتهم يوم يلقونه سلام
واعد لهم اجرا كريما ٥ يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذيهم
وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ٥ يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ٥ يا ايها
النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن وما ملكت
يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك اللاتى هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى
ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ٥ ان اراد
قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا
يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ٥ ترجى من تشاء منهن
وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى
ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما فى

فى قلوبكم وكان الله عليما حليما ٥ لا يحل لك النساء من
بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت
يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا ٥ يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى
من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ٥ ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند
الله عظيما ٥ ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شىء
عليما ٥ لا جناح عليهن فى ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت
ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شىء شهيدا ٥ ان
الله وملائكته يصلون على النبى ٥ يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما ٥ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا

والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يا أيها النبي

قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في

المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما

ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل

ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند

الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد

لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم

تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا

وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم

ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين

آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا

وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا

سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن

يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما إنا عرضنا الأمانة على

السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين

والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على

المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

القراءات ترجي بغير همز أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والأعشى والمفضل وعباس لا تحل بتاء التأنيث أبو عمرو ويعقوب أماء بالإمالة وغيرها مثل الحوايا في الأنعام وافق لحمزة غير هشام بالإمالة سادتنا بالألف وكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجملة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة **الوقوف** كثيرا ه واصيلا ه النور ط رحيما ه سلام ج لاحتمال ما بعده حالا واستينافا كريما ه ونذيرا ه منيرا ه كبيرا ه على الله ط وكيلا ه تعتدونها ج لانقطاع النظم مع الفاء جميلا ه معك ز لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع انطول الكلام بين جانب الوقف يستنكحها ج للعدول لظ تقديره جعلناها خالصة المؤمنين حرج ط رحيما ه اليك من تشاء ط لأن ما بعده واو استيناف وخلاط الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ه يمينك ط رقيبا ه إناه لا للعطف مع الاستدراك لحديث منكم فصلا بين وصف الحق وحال الخلق مع اتفاق الجملتين من الحق لابتداء حكم آخر حجاب ط وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ه عليما ه أيمانهن ج والوقف أجوز ليكون الواو للاستيناف واتقين الله ط شهيدا ه النبي ط تسليما ه مهينا ه مبينا ه جلابيبهن ط يؤذين ط رحيما ه قليلا ج لأن قوله ملعونين يحتمل أن يكون حالا أو منصوبا على الشتم ملعونين ج لأن الجملة الشرطية تصلح وصفا واستينافا تقتيلا ه مثل تبديلا ه الساعة ط عند الله ط قريبا ه سعيرا لا أبدا ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف نصيرا ج لاحتمال تعلق الظرف بلا يجد وبخبر أو بيقولون أو باذكر الرسولا ه السبيلا ه كبيرا ه قالوا ط وجيها ه سديدا لا ذنوبكم ط عظيما ه الإنسان ط جهولا ه والمؤمنات ط رحيما ه **التفسير** اعلم أن مبنى هذه السورة على تأديب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله فأمر بعد ذلك عامة المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي أن النبي لكونه من المقربين لم يكن ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل أمر بالتقوى والمحافظة عليها فإنها تكاد لا تتناهى والتسبيح بكرة وأصيلا عبارة عن الدوام لأن ذكر العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم لو أن أولكم وآخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار فيه تنزيه ذاته عما يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله ويجوز أن يراد بالذكر الكثير الإقبال على العبادات كلها ويراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين العموم وصلاة الفجر والعشاء في

لانا داها الشوق ومن اعلمها التقدم حرض المؤمنين على ذكره بانه يصلي عليكم والصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله
اراد باللفظ المشترك كلا مفهوميه كما ذهب اليه الشافعي او في الكلام حذف اي ملائكته يصلون او المراد بصلوة الملائكة هي قولهم اللهم
صل على المؤمنين جعلوا لاستجابة دعوتهم كانهم فعلوا الرحمة او المراد القدر المشترك وهو العناية مجازا الرحمة والاستغفار واصل
الصلوة العطف وذلك ان المصلي يتعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوا او ترؤفا ثم بين غاية الصلوة وهي
اخراج المكلف من ظلمات الضلالة الى نور الهدى وفي قوله وكان بالمؤمنين رحيما بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى تلك الرحمة لا تختص
بالسامعين وقت الوحي ومعنى تحيتهم يوم يلقونه سلام مذكور في اول يونس وفي ابرهيم والمراد يوم اللقاء يوم القيمة كان الخلق مقبلون
على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والاجر الكريم هو ما يأتيه عفوا صفوا من غير شوب بعض ثم اشار الى ما ينبغي ان يكون عليه مع عامة الخلق فقال
انا ارسلناك شاهدا وهي حال مقدرة اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه ان الله تعالى جعل
النبي شاهدا على وجوده وعلى وحدانيته لان المدعي هو الذي يدعي شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس فلا ينبغي
ان يقال ان النبي مدع لها بل يقال انه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد وانه قد جازاه بشهادته تشهد الله شهادة على نبوته
كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الاخرة
باحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد واما قوله داعيا الى الله باذنه ولذلك قال الانذار والتبشير اذا قال من
يطع الملك فقد اطاع ومن عصاه فلم يرح اما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا الى جوابه احتاج الى رضاه ويمكن ان يكون قوله باذنه
متعلقا بمجموع الاحوال تسهيله وتيسيره ووصف النبي بالسراج لان ظلمات الضلال تنجلي به كما تنجلي ظلام الليل بالسراج وقد امد الله
بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار وانما لم يشبهه بالشمس لانه لا يوجد منه شيء ويوخذ من السراج سرج كثيرة وهم
الصحابة والتابعون فالتالي ولهذا قال الصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وصفهم بالنجم لانه لا يوخذ منه شيء والتابعي لا يوخذ
من الصحابي حقيقة وانما ياخذ من النبي ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون خافتا ومنير تفيهم نسبته يضيء [illegible]
بيتي وسراج لا يضيء وفائدة منتظر العاصي ويجي ويجوز ان يكون سراجا معطوفا على الكاف وسراجه القران ويجوز ان يكون المعنى وذا سراج
او تاليا سراجا وقوله ودع اذاهم اي لا تحد تظلمهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة اذاهم يحتمل ان يكون الى الفاعل
والى المفعول ثم امر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر المطلقات قبل المسيس لانه اذا لزم الاحسان
اليهن بغير العقد وهو المراد بالنكاح ههنا لا بالوطي يكون اولى وقد مرت حكمة في سورة البقرة في قوله ان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وذلك لاجل تشطير الصداق وانما اراد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر
دون الكتابيات ايذان بانهن اولى بتخيرهن للنطفة وفي قوله ثم طلقتموهن تنبيه على انه لا تفاوت في هذا الحكم بين تراخي
العهد من النكاح وبين بعيد العهد عنه فاذا لم تجب العدة على البعيدة العهد فلان لا تجب على القريبة العهد اولى وقد يستدل
الكلام على ان تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية ما في التراخي وفي قوله فما لكم عليهن دليل على ان العدة حق واجب للرجال
على النساء وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى ايضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم
فاعتدها نحو كلته فاكتاله ثم عاد الى تعليم النبي وفائدة قوله اللاتي اتيت اجورهن وقوله مما افاء الله عليك وقوله اللاتي
هاجرن معك هي ان الله تعالى اختار لرسوله الافضل الاولى وذلك ان سوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان
التعجيل ديدن السلف ومن الناس من قال النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر لان المرءة لها الامتناع الى ان تاخذ
مهرها والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستوفي ما لا يحل له كيف وانه اذا طلب شيئا حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر
ان طالب الوطي ولا سيما في الليلة الاولى يكون هو الرجل لحياء المرءة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم منها مع التمكين قبل المهر لزم

لزم ان يجب وان لا يجب ولا كذلك احد ناومما يؤكد هذا قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق
فتصير كالمستوفية مهرها والجارية اذا كانت سبية مالكها فحظوته سيفه ورمحه فانها [illegible] والطيب من المشتراة لكونها غنيمة على
الحلال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبة وهي ما سبي من اهل الحرب وسبي خبيثة وهي التي سبي ممن له عهد فعلى الحرم قال
مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث وكذلك التي هاجرن مع رسول الله من اقاربه عنوا المحارم افضل
من غير المهاجرات بيعة وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع ان جمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع اختين تحت
واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى ان التاء فيهما للوحدة وشرط في احلال الواهبة نفسها ارادة
استنكاح رسول الله كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها وفيه انه لا بد من قبول الهبة حتى يتم
النكاح وقد استدل ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحمله الشافعي على خصائص النبي وعن ابي الحسن الكرخي انه عقد
النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي اتيت اجورهن قال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر
ان خالصة حال من امرأة وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله اي خلص وذكر خلوصا وما يجيء منه الخالصة على مذهب الشافعي
ظاهرة وقال ابو حنيفة المراد انها تحل له من غير امهات المؤمنين فاورد عليه ان تحله كانت خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبة
فائدة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم جملة اعتراضية معناها ان الله قد علم ما يجب على المؤمنين في حق الازواج وفي الاماء وعلى اي حد وصفة
ينبغي ان يكون ثم بين غاية الاحلال بقوله لكيلا يكون عليك حرج اي لكيلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث احللنا لك اصناف
المنكوحات وكان الله غفورا للذي وقع في الحرج رحيما بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين انه اخذ له وجه المكاسرة بين من يجب
ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والارجاء التاخير والايواء
الضم ويجاز ان في بعض الامر ومن ابتغيت ممن عزلت يعني اذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شيء من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض
لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك فان ضاجع قسم او لم يقسم واذا اطلق او عزل فاما ان يترك المعزولة
او يبتغيها يروى انه ارجاء منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه
عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ويروى انه كان يسوي مع ما جرى له الا سودة فانه وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى
احشر في زمرة نسائك وقيل المراد ان تترك من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا عليه انه ضعيف بالنسبة الى مفهوم الاية فان المراد توسع
اذا شئت اذا لا يجب القسم في العزل والتزوج ان لا يمام عند احد منهن وان ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك في ذلك وابداء [illegible]
وتم الدور الاول اقوى ثم قال ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن والرضا هن جميعا لانه انهم يجب عليه
القسم انه يقسم بينهن حمل ذلك على التلطف وتحلفه وفي قوله والله يعلم ما في قلوبكم عند ائتمار يرضهن فادنوا الله وكان الله عليما
بذات الصدور حليما مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتح الباب للتوبة قوله كلهن بالرفع تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تاكيد
الضمير المنصوب في اتيتهن ثم انه سبحانه شكر الازواج رسول الله اختيارهن الله ورسوله فانزل لا يحل لك النساء من بعد قال
اكثر المفسرين اي من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن وانه تعالى
زاد في اكرامهن بقوله من ازواج وفائدة استغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى ان الاية ليس فيها تحريم
غيرهن ولا المنع من طلاقهن والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتي نص على احلالهن من الاجناس الاربعة واما غيرهن
من الكتابيات والاماء بالنكاح ومن الاعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهن وقوله ولا ان تبدل بهن منع من فعل الجاهلية
وهو قولهم بادلني امرأتك وابادلك بامرأتي وكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه يحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي

صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت
على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق
فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه
وقوله ولو اعجبك حسنهن في موضع الحال الاعم ومع اعجابك بهن قال جار الله والظاهر ان جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة
هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى من حرم عليه الاماء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا تحذيرا عن مجاوزة حدوده وتعليم ان
هذه الآية ناسخة لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم غوصته على زوجها وفيحله حمته وذلك الانبياء بشدة عليها رجاء الوحي
فاول الحكم ينزل ليتناسب بنسبه عليهم وهو يجدون مع اصحابهم وكان الحاجة الى تعريج بالنبي بكونه في اول الامر اكثر لوجود
القوة ولعدم الفقه بالوحي واذا تكاملت قوته وحصل الفقه نقاتل والوحي لم يبق له التفات الى غير الله فلم يحتج الى الاحلال التربيح
بن نوع نصرح عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني ان الآية قد نسخت ونسخها اما بالسنة
عند من يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى
ارشاد الامة وحالهم مع النبي اما حال الخلوة والواجب هناك احترام اهله بقوله لا تدخلوا واما حال الملاء والواجب حينئذ
التعظيم بكل ما امكن وذلك قوله ان الله وملائكته كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
فقيل لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا وقت الاذن اي الا مأذونين والا غير ناظرين واني الطعام ادراكه اي الطعام
اي تحينوا لاه فان قيل انما ذهب قد تبعض ان الاذن مشروط بكونه الى الطعام فلزم منه ان لا يجوز الدخول الا لمن يكن الاذن
الى الطعام كالدخول بالوجه لاذن لا استماع كلام مثلا فاجيب بان الخطاب مع قوم كانوا مخصوصين بالتحين للطعام فمنعوا من
الدخول في وقتهم بغير اذن وجوز بعضهم ان يكون في الكلام تقديم وتأخير اي لا تدخلوا الى الطعام الا ان يؤذن لكم ولا يكون منعا
من الدخول في غير وقت الطعام بغير الاذن والاولى والحق ولا يشترط في الاذن النص بل اذا حصل العلم بالرضا جاز
الدخول وكذا قيل قوله يؤذن على البناء للمفعول ليشمل اذن الله واذن الرسول او العقل المؤيد بالدليل وقوله فاذا طعمتم
فانتشروا لكم لو فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وذلك الدليل العقلي على ان بيوت الناس ما دعي لاجله الى الرب
النقلي وذلك ولا مستأنسين لحديث وهو مجرور معطوف على ناظرين او منصوب على الحال اي لا تدخلوها هاجمين ولا
مستأنسين يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا
ارسالا الى ان قال يا رسول الله حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا
فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت
اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله شديد الحياء وذلك قوله
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم او منعكم فلما حس خرجوا فرجع ونزلت الآية باهية للثقلاء ان يطيلوا
الجلوس يستأنس بعضهم لبعض لاجل حديث يحدثه به او يستأنسون بحديث اهل البيت واستماعه ومعنى لا يستحيي ولا
يترك كما مر في اوائل البقرة والضمير في اوائل البقرة والضمير في قوله سألتموهن لنساء النبي بقرينة الحال قال الراوي ان عمر كان
يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والمتاع
الماعون وما يحتاج اليه واي متعول ساه الوجس الوحش(?) وهو المتاع الدال عليه بما قبله ذلكم الذي ذكر من السؤال وراء
الحجاب اطهر لقلوبكم لان العين روزنة القلب ومنها تشاء الفتنة غالبا وروي ان بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا
الا من وراء حجاب لئن مات محمد لانزوجن فلانة يعني عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم بقوله وما كان اي وما صح لكم ان تؤذوا

رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم الايذاء والنكاح كان عند الله ذنبا عظيما الا ان حرمة الرسول
مسلكم من حياة وتمتن بقوله ان تبدوا شيئا الآية انهم لم يؤذوه في الحال ولكن عزموا على اتخاذه او نكاح ازواجه بعده فاعلم الله عالم
بكل شيء فمجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما انزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن بترك الاحتجاب من هؤلاء
قال في التفسير الكبير عند الحجاب امر الله الرجال بالسؤال من وراء حجاب فيفهم كون المرأة محجوبة عن الرجال الطريق الاولى في
وعند الاستثناء قال لا جناح عليهن فرفع الحجاب عنهن والرجال اولى بذلك وقدم الاباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر فقد
راوهن في حالة الصغر ثم الابناء ثم الاخوة وقدم بني الاخوة لان الاخوات اباؤهم ليسوا محارم حالات ابناؤهم فقد يصف
الابن خالته عند ابيه ففي ذلك نوع مفسدة فاوجب التأخر رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين او
لانهما قد يصفان لابنائهما وهما غير محارم وقد يستدل بقوله ولا نسائهن مصافقة المؤمنات انه لا يجوز التكشف للكافرات
في وجه واخر المماليك لان محرميتهم كالامر الضروري والاحتمال المفسدة في التكشف لهم ظاهر ولهذا عقبه بقوله واتقين الله
فان التكشف لهم مشروط بشرط سلامة العاقبة والخوف من الفتنة ومنهم من حمل الاولاد من كان منهم دون البلوغ قال
جار الله في نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب في قوله واتقين فضل تشديد وبعث على سلوك طريقة التقوى فيما امرتم به من الاحتجاب
كانه قيل وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليفضل سركن ثم اكد الكل بقوله ان الله كان على كل شيء
شهيدا وعيدا انه لا تتفاوت في علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم اجمل بيان حرمة النبي انه محترم في الملأ الاعلى فليكن واجب الاحترام في
الملأ الادنى وقد مر معنى الصلاة في السورة وانما قال هناك هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال ههنا ان الله وملائكته يصلون
ليلزم منه تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف
فكانه سبحانه شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلواتهم على النبي صلى الله عليه وسلم استدل الشافعي بقوله صلوا عليه
وظاهر الامر للوجوب ان الصلاة في التشهد واجبة وكذا التسليم لانه لا يجب في غير الصلاة بالاتفاق فيجب فيها وذكر
المصدر للتأكيد ليكمل السلام عليه وهو قول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد
لانها كانت مؤكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون وسئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من اوجب الصلاة كلما جرى ذكره لما روي في الحديث من
ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال الضحاك في اظهار الشهادتين
والاحوط هو الاول وهو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند كل ذكره واما الصلاة على غيره فقد مر الخلاف فيها في سورة
التوبة في قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز ان يكون ذكر الله ورسوله
توطئة وتشريفا وايذانا بان ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ايذاء الله كقوله فاتبعوني يحببكم الله ويجوز
ان يراد بايذاء الله الشرك به ونسبة ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق
الله وقيل اذى رسول الله قولهم انه ساحر او شاعر او كاهن او مجنون وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي الاخطم
النعيم وعن بعضهم ان اللعن في الدارين هو جزاء من يؤذي الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذي رسول الله
ولعل الفرق لاجل ترتب وعيد آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا لان الايذاء قد يصدر عن
احدهم ذنب فجاز ايذاؤه على الوجه الحد في الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولي لقوله فقد احتملوا بهتانا فان حمل ان

فقال الاحتمال البهتان شبيه الايذاء العقد واحتمال الاثم المبين شبيه الايذاء الفعلي ويحتمل ان يكون كلاهما وعيدا للايذاء القولي
وانما جمع الاكتفاء به لانه احرج للقلب ولامكان الاستدراك بعد الفعل ولان ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا اذا حمل السجود
للصنم ايذاء قيل نزلت في اناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا كرم الله وجهه وقيل في اذى عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات ثم اراد ان يدفع عن اهل بيته وعن امته المثالب التي هي مظان لصوق العار فقال يا ايها النبي
الاية ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يقال للمراة اذا زل الثوب عن وجهها ادني ثوبك على وجهك ومعنى التبعيض
في من جلابيبهن ان تكون للمراة جلابيب فيقتصر على واحد منها او اريد طرفا من الجلباب الذي عليها وكانت النساء في اول
الاسلام على عادتهن في الجاهلية متبذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة فامرن بلبس الاردية وا
لملاحف وستر الرؤوس والوجوه وذلك الادناء ادنى اقرب الى ان يعرفن انهن حرائر او انهن لسن بزانيات فان التي سترت
وجهها اولى بان تستر عورتها فلا يؤذين لاهن ولا رجالهن ضرارا بهم لان الكثير الايذاء والطعن انما يتعلق من جهة نساء
العشيرة اذا كن غير محصنات فضلا عن كونهن مريبات وكان الله غفورا لما قد سلف رحيما حين ارشدكم الى هذا الادب الجميل
ولما اوعدهم عذاب الاخرة خوفهم عذاب الدنيا فقال لئن لم ينته المنافقون عن الايذاء والذين في قلوبهم مرض وهم الضعفة
الايمان او الزناة واهل الفجور والمرجفون في مدينة الرسول وهم الخائضون في اخبار السوء من غير حقيقة سمي بذلك لكونه
خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة روي ان ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في
الناس انهم قتلوا وهزموا وكانوا يقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى لنغرينك بهم لنسلطنك عليهم وهو مجاز من قولهم اغريت
الجارح بالصيد والمراد لنامرنك بان تفعل بهم ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك في المدينة الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون
بانفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخي الرتبة كانه يحصل بهم فاعيل بنفسهم الى ان يبلغ حد الاضطرار في خروجهم ويجوز ان يكون قليلا
منصوبا على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين وقوله لا يجاورونك سنة الله اي سن الله في الذين
ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وقال مقاتل كما قتل واسر اهل بدر ولن تجد لسنة الله تبديلا اي ليست هذه
السنة مثل الحكم الذي يبدل او ينسخ فان النسخ يكون في الاحكام لا في الافعال والاخبار ثم ان المشركين واليهود كانوا
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة ابو ما او زمانا او عدم بما اعد لهم من عذاب السعير يوم
تقلب وجوههم تصريفهم في الجهات كاللحم يشوى بالنار حتى يشتوي او تغيرها عن احوالها وتحويلها عن هيأتها او نكسها
على رؤوسها والوجه عبارة عن الجملة او خص بالذكر لانه اشرف واكرم واذا كان الاشرف معرضا للخطاب فالاخر اولى
ثم حكى انهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلكم ثم يطلبون بعض التشفي بالدعاء على من اضلهم وقوله ضعفين اي
ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم من قرأ لعنا كبيرا بالباء الموحدة فالمراد اشد اللعن واقطعه ومن قرأ بالثاء المثلثة
اراد تكثير اعداد اللعائن وقد علموا ان العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن او عظمه
قوله كالذين اذوا موسى قال المفسرون نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وايذاء موسى هو حديث
المومسة ارادها قارون على قذف موسى او حديث الادرة او البرص الذي قذفوه بذلك فعراه بثوب بحجر حتى راوه عريانا فعرفوا
انه غير معلول او احياء الله عز وجل فاخبرهم براءة موسى ومعنى مما قالوا من مؤذى قولهم او من مضمون مقولهم
وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب ويدفع عنه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة
ورضى عن ميمون كان نصيب الله ثم اشار الى ما ينبغي ان يكون المؤمن عليه فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله والمعنى راقبوا الله
في حفظ السنتكم وتقويمها او قولا سديدا قولكم بتقوى الله يصلح العمل وبصلاح العمل يكفر السيئات ويرفع الدرجات امرهم

امرهم اولا بالتخلية وهي ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهي التقوى الموجبة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة
السماء بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة فقيل العرض حقيقة وقيل المراد المقابلة اي قابلنا الامانة بالسموات فرجحت الامانة
والعرض سهل من العرض ولهذا لم يتهم الابلين بالاباء ولم يكن هؤلاء عن الاباء كان هناك استكبارا وهاهنا استصغارا بدليل
قوله واشفقن وقد يقال المضاف محذوف اي عرضناها على اهل السموات والارض والجبال وانصرفوا الى هذا التكليف
لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعد اهل البيان لان المراد تصوير عظم الامانة وثقل حملها فمثلت حال
التكليف في صعوبته وثقل محمله بحال التخلية المفروض لو عرضت على هذه الاجرام العظام واعلم ان التكليف هو الامر بخلاف ما في
الطبيعة فهذا النوع من التكليف ليس في السموات والارض والجبال لان السماء لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا
يطلب منها السير وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمي التكليف امانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن اداه فله
الكرامة فعرض الامانة بهذا المعنى على هذه الاجرام وابائها عن حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر لعل المراد او التصور المذكور
وخص بعضهم التكليف بقول لا اله الا الله والاظهر عندي ان الامانة هي الاستعداد الذي يصلح كل نوع من المخلوقات
عليه وحمل الامانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ركبه الدين وكل من اخرج ما في قوته الى الفعل فهو مؤد للامانة
ومؤد حقها والا فهو حامل لها ولا ريب ان السموات مسخرات بامره كل يجري لاجل مسمى والارض ثابتة في مستقرها
والجبال راسخة في اماكنها وهكذا كل نوع من الانواع مما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام
معلوم الا الانسان فان كثيرا من الاشخاص بل اكثرها مائلة الى اسفل سافلين الطبع ولا جرم لم يقض حق الامانة واعطي
الى رتبة الانعام ووصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد في غير ما خلق لاجله وبالجهولية لانه جهل وخامة عاقبة افساد
الاستعداد او علم ولم يعمل بعلمه فنزل منزلة الجاهل لانتفاء ثمرته واللام في الانسان للجنس وحمل الشيء على بعض الشيء يكفي
في صدقه على الجنس وفيه لطيفة اخرى مذكورة في تاويل التنزيل ولا المحذور موجود في التكليف وايضا كان الزمان
زمان نهب وغارة اذ الارض كانت بعد خروج ادم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا في قصد المكلفين والعاقل
لا يقبل الوديعة في مثل ذلك الوقت وايضا قد لا يقبل الامانة لعسر رعايتها او لاحتياجها الى تعهد ومؤنة كالحيوان
المحتاج الى العلف والسقي والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربيته وتنميته بخلاف متاع يوضع في صندوق او بيت
في هذه الاشياء على ما في التكليف من التبعات وحمله الانسان فقبله وكان جهولا وقد ظلم ادم نفسه بالمخالفة وكان
ظلوما وكذا اولاده الذين ظلموا انفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن الانسان
انه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع عالم قادر لا يخرج الامانة الا الى اهلها واذا اودع لا يتركها بل يحفظها بعينه
وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئي فقط
كالبهايم يدرك الشعير ويأكله ولا يتفكر في عواقب الامور ولا ينظر في الدلائل ومنهم من يدرك الكلي دون الجزئي
كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك
الجزئيات ومنهم من يدرك الامرين وهو الانسان له اللذات بامور جزئية فيمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلية
الملائكة بعبادة الله ومعرفته فغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفة
ومشقة وفي قوله وحملها الانسان دون ان يقول وقبلها اشارة الى ما في التكليف من الثقل والحمل وما يستحقه
عليه من الاجر لو حمله كما امر والى حيث امر والامر فيه لطيفة الامانة عرضت على ادم فقبلها فكان امينا عليها

والقول قول الامين فهو فايز واما الولاده فاخذوا الامانه منه والاخذ من الامين ليس بمؤمن ولهذا لا يكون وارث المودع
مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان حتى يصير امينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لادم
من العوض ولهذا ذكر عاقبة حمل الامانه فقال ليعذب الى قوله ويتوب اشاره الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا
رحيما بازاء كون الانسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما في هذه الاشارة من البشاره **التاويل** اذكروا الله ذكرا كثيرا
فمن احب شيئا اكثر ذكره واهل المحبة هم الاحرار عن رق الكونين ولهم يكفيه الاشاره هو الذي يصلي اي لو لم اصلي
عليكم لما وفقتم لذكري كما انه لولا سابقة محبتي لما اهديتم الى محبتي وكان في الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا اخرجهم في الابد
من ظلمة الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي انا ارسلناك شاهدا بعث المحبوبيه ومبشرا للطالبين برعيه جمالنا
ونذيرا للبطالين الغافلين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا في اوقات
عدم الدعوة وذلك لان النظر الى وجه النبي كاف لمن له قلب مستنير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان في الهدايه غايه
فضلا كبيرا هو اهل القلب المستنير انا احللنا لك الازواج لك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى بصفة دنياه
بصفات الاخره فحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الاخره ان الله وملائكته يصلون صلوة تليق بتلك الحضره المقدسه مناسبه
لحضرة النبوه بحيث لا يفهم معناها غيرهما فمنها الرحمه ومنها المغفرة ومنها البركة ومنها الوارد ومنها الشواهد ومنها الكشوف
ومنها المشاهدة ومنها القربه ومنها الشرب ومنها الري ومنها السكر ومنها التجلي ومنها الفناء في الله ومنها البقاء به وهكذا
لامته بحسب ابتهم كقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانه هي قبول الفيض الالهي بلا واسطه ولهذا سمي امانه
لان الفيض من صفات الحق فلا يملكه احد وقد اختص الانسان به باصابة رشاش النور الالهي وكان عرض الفيض
عاما على المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات نسبة القلب الى الشخص فالروح
متعلق الى القلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى ساير البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافه انه
كان ظلوما لانه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لانه ظن انه خلق للطعم والشرب والنكح ولم يعلم ان هذه الصوره
فترة ولد لب وللندلب وهو محبوب الله فيعرف الظلوميه والجهوليه حمل الامانه ثم من حمل الفيض بساير الاعضاء ادى
حق الامانه فصارت الصفتان في حق حامل الامانه ومؤديها مدحا وفي حق الخائنين فيها ذما ولما لم يكن ليصلح
الملائكه ولغيرهم من الجمادات لحمله حملها بالقوه ابين منها واشفقن والمخاطبون اذن على ثلث طبقات طبقة يظهر
فيها جمال قهره صفة عدله وهم الملك والاجسام العلويه والسفليه سوى الثقلين لم يحملوا الامانه وتركوا نفعها الخفي
وطبقة يظهر فيها جمال قهره وهم المشركون والمنافقون حملوها طمعا في نفعها ثم لم يؤدوا حقها بان باعوها
بالاعراض الفانيه والطبقة الثالثه المؤمنون وهم الذين حملوها طوعا ورغبه وشوقا ومحبه وادوا حقها
بقدر وسعهم ولكن بحكم كل مولود كبوع يقع قدم صدقهم في بحر بلاء وابتلاء فيتوب الله عليهم بجذبات العنايه وهم مراتب جمال عفوه ولطفه

سورة سبأ حروفها ثلثة الاف وخمسماية واثنا عشر كلماتها ثمانماية وثلثه وثمانون اياتها اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم

الحكيم الخبير ۝ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ۝ وقال الذين كفروا لا
تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر إلا في كتاب مبين ۝ ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين سعوا في
آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ۝ ويرى الذين
أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز
الحميد ۝ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ۝ أفترى على الله كذبا
أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد ۝ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض
إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء
إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ۝ ولقد آتينا داود
منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ۝ أن اعمل سابغات

وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير

ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين

القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا

نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل

وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود

شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما

دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت

الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال

كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب

غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم

جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك

جزيناهم بما كفروا وهل يجازي الا الكفور وجعلنا

بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها

السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا باعد بين

اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل

ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين

وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة

ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ

القراءة عالم الغيب بالرفع ابو جعفر ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلي الباقون بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالالف وقد روي عن ابن كثير وابي عمرو معجزين بالتشديد رجز اليم بالرفع صفة لعذاب وكذلك في الجاثية ابن كثير وحفص ويعقوب الاخرون بالجر ان يشأ يخسف او يسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء على كسفا بفتح السين حفص غير الجر والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس الاخرون بالنصب حملا على المحل او لا مفعول معه او معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع ابو بكر وحماد والمفضل سدي ولسليمن الريح مسخرة او سخرت له الريح الرياح بالرفع ايضا لكن بالجمع عن يزيد الباقون محلا منصوبا كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالهاء لا غير منساته بالالف ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرأ ابن ذكوان ساكنة الهمزة الاخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبا غير منصرف ابو عمرو والبزي سبأ بهمزة ساكنة ابن مجاهد وابو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح ونعمة والقواس عن ابن مجاهد وابي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص بكسرها علي وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجنتيهم بضم الهاء سهل ويعقوب اكل خمط بضم الكاف وبالاضافة ابو عمرو وسهل ويعقوب كل بضم الياء بالتنوين نجازي بضم النون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص ويعقوب الاخرون بضم الياء وفتح الزاي ورفع الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضي من المفاعلة سهل ويعقوب الاخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد امر من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنا نحو فعلته جهدك **الوقوف** في الاخرة ط الخبير ه فيها ط الغفور ه الساعة ط لتاتينكم لمن قرأ عالم بالرفع اي هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربي ج فلا يعزب الغيب لان قوله لا يعزب يصلح حالا او استينافا مبين لتعلق اللام بحاتم يبعث الصحف كريم ه اليم ه الحق ط لان قوله ويهدي عطف على الحق اي يحيى قوله ويهدي الحميد ه ممزق لان ما بعده في حكم المفعول جديد ه للاية ولاتخاذ المفعول جنة البعيد ه والارض ط السماء ط منيب ه فضلا ط الطير ج لانه ما يلي يصلح حالا او استينافا الحديد لا لتعلق ان صالحا بصير ه ورواحها شهر ج لان قوله واسلنا عطف على محذوف اي وسخرنا لسليمن الريح القطر ط ربه ط السعير ه راسيات ط شكرا ط الشكور ه منساته ج المهين ه اية ج لاحتمال ان يكون التقدير هي جنتان او يكون بدلا من اية وشمال ه اي كلوا بلدة غفور ه قليل ه كفروا ط الكفور ه

سبأ مكية... شكور. السبع السادس. المؤمنين لشك حفيظ. التفسير قال في التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد
خمس ثنتان في النصف الاول الانعام والكهف وثنتان في النصف الاخير هذه والملائكة والخامسة وهي الفاتحة تقرأ مع النصف
الاول ومع النصف الاخير وذلك ان الحكمة فيه ان نعم الله علينا نوعان نعمة الايجاد ونعمة
الابقاء فاشار في اول الانعام الى نعمة الايجاد الاول بدليل قوله هو الذي خلقكم من طين واشار في اول الكهف الى نعمة الابقاء
الذي به يتم نظام العالم ويحصل قوله معاش بني ادم واشار في اول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل قوله وله
الحمد في الاخرة واشار باول سورة الملائكة الى نعمة الابقاء الابدي بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا والملائكة باجمعهم لا يكونون رسلا
الا يوم القيمة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حيث
اشتملت على نعمة الدنيا بقوله الحمد لله رب العالمين وعلى نعمة الاخرة بقوله مالك يوم الدين تقرأ في الافتتاح وفي الاختتام
واعلم ان الله تعالى وصف نفسه في اول هذه السورة بان له ما في السموات وما في الارض ايذانا بان كونه مالكا لكل الاشياء يوجب
كونه محمودا على كل لسان لان الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان منتفعا بنعمه ثم صرح بان له الحمد في الاخرة
تفضيلا لنعم الاخرة على نعم الدنيا وايذانا بانها هي النعمة الحقيقية التي يحق ان يحمد عليها وهي على من احلها مع افادة الاختصاص
بتقديم الظرف وهو الحكيم في الابتداء الخبير بالانتهاء ثم اكد علمه بقوله يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من المياه والحبات
والكنوز والاموات وما يخرج منها من الشجر والنبات ومياه الابار والجواهر المعدنيات وما ينزل من السماء من الامطار
وانواع البركات والوحي والملائكة وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وقد اشار بقوله فيها دون ان يقول اليها الى ان
الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهي الشيء الى الشيء ولا ينفذ فيه ولا يتصل به وهو الرحيم حين الانزال
الغفور وقت عروج الاعمال المفرطين في الاقوال والاعمال ثم بين انه نعمة الاخرة باتيان الساعة وقد انكرها قوم ثم رد
عليهم بقوله بلى واكد ذلك بقوله عالم الغيب والشهادة لان العالم بجميع الاشياء عالم باجزاء الاجساد قادر على جمعها كما بدأها
وفي قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اشارة الى ان الانسان له جسم ارضي وروح سماوي فالعالم
بما في العالمين القادر على انشائهما قادر على اعادتهما كما كانا عليه وانما ذكر الاكبر مع ان الاصغر ظاهر هو اللايق بالمبالغة
لئلا يتوهم متوهم ان الصغار تثبت لكونها في محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته بل المراد ان الصغير
والكبير مثبت في الكتاب وقدم ههنا نظيره في يونس وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما في السموات وما في الارض
بخلاف يونس فان المخاطبين في الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزي الى قوله من رجز اليم ومعنى سعوا في
اياتنا في ابطال اياتنا معاجزين مقدرين تعجيز النبي في التقريب والتبليغ او يعجزوننا من مناو قيل اي مسابقين يحسبون
انهم يفوتوننا قال ابن زيد جاحدين وهو قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعن قتادة الرجز السوء العذاب
وحين تبين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي المعجز علم منه حال غيرهما فالمؤمن الذي لم يعمل صالحا يكون له مغفرة
من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من اسوا انواعه ثم بين ان الذين اوتوا العلم لا
يغترون بشبهات اهل العناد ويرون ان الذي انزل اليك من ربك هو الحق ليس الحق الا هو والرابع فيه لو لم يحط بكون تشنيع وقال للمعاند
بوجه من وجوه اولوا العلم لا يغترون بشبهات اهل العناد ويرون ما انزل الى محمد هو الحق ليس الحق الا هو والرابع هم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وقيل علماء اهل الكتابين الذين اسلموا ويرى من فعل العلم يحصل
النكتة صلته والحق وهو فصل وقيل انه يرى معطوف على ليجزي فلا وقف على اليم اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء
الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان وليحتج به على المعاند وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق حين دارى

تنزيلا واحد والعزيز اشارة الى كونه منتقما من الساعين في التكذيب والحميد اشارة الى كونه يكافي من صدق وعمل صالحا
وقدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكري البعث ثم قص عناد اهل قريش وخصهم بالتعجب منه لانهم لانكم تجاهلوا
حين قالوا هل ندلكم على رجل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندهم اظهر من الشمس فقصدوا بذلك التطير والسخرية فاخرجوا الكلام
مخرج الحكاية لبعض الاضاحيك والاعاجيب كانه لم يكونوا قد عرفوا منه الا انه رجل ما ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم وصارت اجسامكم
كل تفريق ويجوز ان يكون اسم مكان فان الاموات ما حصل اجزاؤه في بطون الطير والسباع ومنها ما جرى به
السيول وذهبت به كل مذهب ومنها صفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل فيه اذا ما دل عليه قوله انكم لفي خلق جديد
وهو تبعثون او تخلقون ثم ترددوا في التجاهل قائلين افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة ان كان لا
يعتقد خلافه وفيه ان الكافر لا يعني بالكذب البحت فرد كلامه بين الامرين ولكنا اخطاء ابا اخصحا الشجر وترك
قسما ثالثا وهو انه عاقل صادق فلذلك رد الله عليهم بقوله الذين لا يؤمنون بالاخرة في الضلال البعيد جعل وقوعهم
في العذاب رسلا لوقوعهم في الضلال لان العقاب من لوازم الضلال وموجباته فا يلحق لهم مفترى بالعذاب
وقالهم برجب بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل اقل في باب الايذاء من باب نسبة الافتراء اليه ثم وقد
اسقطت همزة الوصل في قوله افترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وعلى القياس
وجوز بعضهم ان يكون هذا الاستفهام من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر بكونه عالم الغيب
اراد ان يذكر دليلا اخر على ذلك من قبيل كمال قدرته فقال افلم يروا ومعناه اعموا فلم ينظروا وخصت بالفاء ليس
عيره في القرآن تعجيلا للجواب وتعقيبا للحال الشبه نظيره قوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم ثم هددهم بانه قادر على ان يجعل عين المنافع مضار بالخسف واسقاط الكسف وقال الجار الله اذا فلم ينظروا الى
السماء والارض وانهما حيثما كانوا وايما ساروا امامهم وخلفهم محيطان بهم لا يقدرون ان يخرجوا من اقطارهما فلم
يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر
والاعتبار لانه لكل عبد منيب لان المنيب الحقيقي به وكما تخلوا من الاعتبار والاستبصار ثم ذكر من عبادة المنيبين اليه داود
وسليمان كما قال في ص فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وقال في سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وفي قوله منا
ثبوته بالفضل وشانه ثم بين الفضل بقوله يا جبال اوبي لان هذا القول نوع من انبياء الله لفضل ويجوز ان يكون النقدير
قلنا يا جبال اوبي اي رجعي معه التسبيح قيل كان نوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وقد مر تحقيقه في سورة الانبياء والتاديب السير كل النهار والنزول بالليل فكانه قال اداني النهار كله
بالتسبيح معه وفي خطاب الجمادات بقوله فضلا تاديب الجبال معه اشعار بانه ما من صامت وناطق الا وهو
منقاد لمشيئته وقد الانا الله الحديد كالشمع او لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وانه اول من عمل منه ولان
الانية الحديد له فمعنى الاية بان يعمل سابغات اي دروعا واسعة وهي من الصفات التي غلبت عليها الاسمية حتى نوى ذكر
موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه ان لا يجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فيفصم الحلق يروى انه
كان يخرج حتى ملك متخاما يسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا
في صورة ادمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود وساله فقال لولا انه يطعم عياله
من بيت المال فطلب عند ذلك من الله ان يغنيه عن الاكل من بيت المال فعلمه صنعة اللبوس واعتاد له ذلك لانه في قايم
للوقح ويحفظ للادمي المكرم عند الله من القتل والرماد مهملة من العواسي والسان وقيل ان التقدير في السرد اشارة الى

انه عن رماني به امر الحجاب اعما من كتاب والكسب بكون بقدر الحاجة الى القوت وباقي اليوم والليلة للعبادة بدليل قوله اعملوا
صالحا اي لست الدنيا آل داود بمخلوقين الا للعمل الصالح واكثروا منه وما كسب القوت فاقتصدوا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح
بقوله اني بما تعملون بصير فانه لم يعلم انه يرى من الملك اجتهد في حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر المنيب الآخر وهو سليمن
وحكى ما استعاد من نعمه بالانابة وهو تسخير الريح له كالمملوك المنقاد لامره غدوها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر ورواحها بالعشي كذلك
روي ان اصحاب سليمن كانوا يغدون من دمشق فيقيلون باصطخر وبينهما مسيرة شهر ويروحون من اصطخر فيبيتون بكابل وبينهما شهر وفي هذا
ونحن راحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس اساله الله كما الان الحديد لداود
فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر روي انه كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وزعم بعض المحققين ان المراد من تسخير
الجبال وتسبيحها مع داود انها كانت تسبح كما يسبح كل شيء بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحها فيسبح ومعنى تسخير الجبال والريح انه
راض الجبال هي كالريح ومعنى لسعد وها شبهه بالخيول في جريها في الذي يخرج المخرج لا يبرح العادة وكلاهما من سخر يخرج
والمراد بالانة الحديد واسالة القطر انهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعملوا الالات والمراد بالشياطين ناس اقوياء لا
يخفى ضعف هذه التأويلات فان قدرة الله في باب خوارق العادات اكمل من ان نحتاج الى هذه التكلفات وقال
المفسرون الكبير الجبال لما سخرت جعلها كالمملوكة ينقل الجبل في الهواء ينقل صلابته ويتحرك معه تبعا والريح لا ينحرك بل يتحرك
بل يتحرك مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمان بل لسليمان كان مع الريح وههنا نكتة وهي ان الله تعالى ذكر لداود اشياء وفي حق داود
وثلاثة في حق سليمن عليهما السلام فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان اذ كلاهما ثقيل مع خفيف والجبال الثقال من
الادمي والادمي اثقل من الريح وايضا تسخير الطير من جنس تسخير الطير من جنس تسخير الجن فان الطير تنفر من الادمي والادمي
ينفر من الجن والجن يطلب ابدا اصطياد الناس والانسان يطلب اصطياد الطير والانة الحديد شبيهة باسالة القطر
وفي قوله باذن ربه اشارة الى ان تسخير الجن بين يديه كان من الله لا من نفسه وفي قوله عن امرنا دون ان يقول عن امره اشارة
الى ان يقول الجن بصدد التعذيب عند زيغهم عن امر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع التكلم مقام الوحدة تنبئ عن الهيبة
قال ابن عباس عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث
لا يراه الجني ثم فصل عمل الجن بقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وهي المجالس والمساجد والقصور الشريفة المصونة عن الابتذال وتماثيل هي
الصور وقيل التماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين وكان يامر بان تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم قيل لعله لم يكن اتخاذ الصور في تلك الشرائع حراما ولعلها صور غير الحيوان من الاشجار وغيرها وقد روي
انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
وجفان وهي جمع جفنة وهي من ترتيب مسكنه وتحويه شرع في ترتيبات مجلسه فقدم ذكر الجفان التي بها يظهر عظمة السماط الممدود بينهم والجفنة
القصعة الكبيرة والجوابي الحياض الكبار لان الماء يجبي فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة وكان
يقعد على الجفنة الف رجل ومحيز ذكر الجفان كل يقع في النفوس ان هذه الاطعمة كيف يكون فقدورها فذكرها قدور راسيات ثابتات
على الاثافي لا ينزل عنها لعظمها ويعلم من ترتيب قصتي داود وسليمن ان اشتغال داود بالة الحرب كان اكثر لانه قتل جالوت ثم اراد
تسويه الملك والغلبة على الجبابرة واما في زمن سليمن فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض احد يقاومه وكان يغرق
الاموال في الاطعام والانعام ثم بين بقوله اعملوا آل داود شكرا وقليل ان الدنيا عرض زائل وان كان ملك سليمن فعلى العاقل
ان يبذل همته في طلب الآخرة وانتصب شكرا على انه مفعول له او حال اي شاكرين او مصدر لان اعملوا في معنى اشكروا ومفعول به
لان الشكر عمل صالح وقال جار الله على طريقة المشاكلة ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا وقلت

فلك وفي لفظ العمل اشارة الى ان الشكر اللساني غير كاف وانما المعتبر الشكر الفعلي او هو مع القولي روي ان داود عليه السلام جزأ
ساعات الليل والنهار على اهله فلم يكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي والشكور هو المتوفر على اداء
الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح في اكثر الاوقات والاحوال وانهم لقليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلني
من الاقلين وهذا شكر القليل لما هو بقدر الطاقة البشرية ولما الذي يناسب نعم الله فلا يقدر الانسان عليه الا ان
يقول الله عبدي ما اثبت به من الشكر قبلته منك مع قلته وكتبتك شاكرا لانعمي باسرها وهذا القبول نعمة عظيمة لا يكافئ
شكرها وحين بين عظمة سليمن وتسخير الريح والجن بين انه لم ينج من الموت وانه قضي عليه الموت ولو نجا احد منه لكان نبي
الله اولى بذلك يروى ان داود اسس بناء بيت المقدس فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين
باتمامه وكان من عادته ان يعتكف فيه احيانا فلما دنا اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله عز وجل
فيسالها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فراى الخرنوبة فسالها لاي شيء فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان
الله ليخربه وانا حي فقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني
فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام متكئا على عصاه
يصلي فقبض روحه وبقي كذلك وظن جنوده انه في العبادة وكانوا يطوفون حوله الاعمال الشاقة الى ان اكلت الارضة عصاه
فخر بنيانه فتفقدوه بعد سنة والارض مصدر ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة والمنساة العصا لانه ينسأ بها
اي يطرد ويؤخر وقد يترك همزها فيقال منساة اي طرف عصاه حيث سماه القوم على الاستعارة وتبينت الجن ظهرت
وانجلى وصلها بدل من الجن بدل الاشتمال نحو تبين زيد جهله وهو بمعنى علمت اي علم الجن كلهم فهو للتباس الامر
على عامتهم لان كبارهم لا يعلمون الغيب وكانوا ادعوا ذلك من قبل رؤساؤهم او المراد الجن الذين ادعوا منهم علم الغيب
اعترفوا لانعجازهم عن ما بهم كانوا في عذاب فلو كانوا عالمين بطل اقامتهم تبين انك مبطل وانت تعلم انه لم يترك شيئا الذي
وكان عمر سليمن ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقي في ملكه الى ان مات وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين
من ملكه ولما بين حال الشاكرين لانعمه ذكر حال الكافرين بالنعمة وسبا بصرف بناء على انه اسم للحي او للاب الاكبر ولا يصرف بتاويل
القبيلة وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ومن قرأ
مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم او موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم عن الضحاك
كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وعن كون الجنتين اية انه جعل قصتهما عبرة لاهل الكفران وعلامة دالة
على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة
عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها كل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او اراد بستاني كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وقوله كلوا من رزق ربكم حكاية لسان الحال او
لسان الانبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ما روي وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من الاكل ثمارها خوف ولا
مرض وكذا قوله واشكروا له لان الشكر لا يطلب الا على النعم المعتبرة وكذا قوله بلدة طيبة ورب غفور اي هذا الذي رزقكم
وطلب شكركم غفور لمن شكر بقدر طاقته لا يؤاخذه بالتقصير في اداء حق الشكر اذا توجه على الشكر وبذل وسعه فيه او اراد
غفران سائر الذنوب وكانوا عدموا سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اشكروا واعبدوا وحين بين ما كان من جانبهم ذكر
فاعرضوا عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله فارسلنا عليهم سيل العرم وهو الجرذ روي ان بلقيس الملكة عمدت الى الجبال فسدت
ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت بها ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه ثم تنبت بعضها فوق

بعض على مقدار ما يحتاجون اليه في اراضيهم فلما طغوا سلط الله على سدهم الجرذ فنقبه من اسفله فغرقهم قيل العرم جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة والمسناة التي عقدت سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة
وسوء الخلق ومنه قولهم صبي عارم بين العرام بالضم اي شرس ومن ذلك عرمت العظم عرما اذا اكلت ما عليه من اللحم ذواتي اكل
صاحبتي ثمر ذواتا ثنا الا ان المستعمل في التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك او كل شجر ذي شوك قال الزجاج كل نبت اخذ طعما من
مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمرة الا انه يكون منه الطلع والطلع يكون اصغر والسدر معروف
وهو من احسن الاشجار البادية فلذلك وصف هاهنا بالقلة عن الحسن قال السدر لا ما كثر ما يبقى فاد التحقيق فيه ان البساتين
اذا عمرت كانت وصفت من الحشائش كانت ثمارها زكية واشجارها عالية واذا تركت سنين صارت كالغيضة والاجمة والتفت
اشجارها بعضها ببعض فنقل الثمر ويكثر الحشائش والاشجار ذوات الشوك على انه لا يبعد التبديل بحقيقتها فيكون شبه البستي من
قرأ اكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف المضاف اي اكل اكل خمط او وصف الاكل بالخمط فان قيل ذواتا اكل
مشبع ونسميه البدل جنتين لاجل المشاكلة او للتهكم قال في الكشاف الاثل والسدر معطوفان على اكل الا على خمط لان
الاثل لا اكل له ذلك الارسال والتبديل جزيناهم بما كفروا النعمة وغمطوها وهل نجازي مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل الا
الكفور قال بعضهم المجازاة يقال في النعمة الا نعمة كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال الجاراني الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل
في المعاقبة تارة وفي الاثابة اخرى فلما استعمل في معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهي في الاكثر
بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء في حق الآخر في النعمة لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحينئذ كان حالهم وجنتيهم
وحكى تبديل الجنتين بالانتقام فيراد ان يذكر حال الخارج بلادهم حيث يعود اليها ثم فقال وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى من كل منها ما يليه لتقاربها او ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق وقدرنا فيها
السير يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في اخرى فمنازلها بين تلك القرى معدودة معلومة لا يجاوزها المسافر عن الحاجة الى الماء
والنيابات ميسر فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين ان تلك الطريق بعضها ببعض قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان
شئتم بالنهار قال اهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من السير وهيئت اسبابه من وجدان الزيادة والراحلة وعدم
المخاوف والضار فكانهم امروا بذلك والعصوص حين ذكر الليالي والايام تنبيها على كمال الامن ولذلك قدمت الليالي فانها مظنة
الآفات ومظنة المخافات ويحتمل ان يراد الامن بوجه آخر وهو ان يراد سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي
او يراد بالليالي والايام مدة اعماركم اي سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى انهم سئموا العيش الهنيء وملوا
اللذة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا ارادوا ان يجعل
الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فتمنوا لو كان جنى حسانا لبعد كان اشهى والدعد
ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربني شزرا بحكم الحالة لا يقدر عليه وقيل
قولهم على الابتداء والخبر والمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وظلموا انفسهم بوضع الكفر موضع
الشكر فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم كل تفريق فلاجرم اتخذ الناس حالهم مثلا قالوا ذهبوا ايدي سبا
اي في طرق شتى واليد في كلام العرب الطريق يقال سلك بهم يد البحر وقيل الايادي الاولاد لانه يعتضد بهم كما بالايدي والمعنى
ذهبوا تفرق الاولاد سبا فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك الجعل والتمزيق لآيات
لكل صبار شكور للنعم او صبار على النعم حتى لا يحمله البطر شكور لها بان يشكر الله فيها ثم اخبر عن ضعف عزم الانسان بقوله
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه بالتخفيف والتشديد على اهل سبا او الناس كلهم فقوله لاغوينهم او قوله احتنكن بدليل قوله فاتبعوه

فاتبعوه والمتبوع خير من التابع ولا ريب ان الكافر ودخل الامن البليس لانه خالف امر الله في سجدة آدم والكافر يجحد الصانع
او يشرك به ثم بين بقوله وما كان له عليهم من سلطان ان الشيطان ليس بملجئ ولكنه آية مصلحة يتميز بها من المسارعين في علمه من الظن والشاك
والحفيظ الحافظ ويدخل في مفهوم الحفظ العلم والقدرة اذ الجاهل لا يمكنه حفظ وكذا العاجز **التأويل** بعلم ما يلج في
ارض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام وما يخرج منها من الصفات المتولدة منها وما ينزل من سماء القلب من الفيض
والالهامات وما يعرج فيها من انوار التجويد والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى الى ما بين ايديهم وما خلفهم من سماء القلب
وارض النفس نخسف بهم ارض البشرية بغلبات صفاتها او يغلب عليهم صفة من صفات القلب الى الاخرة فيهلكهم بها كالسحاب
ما بها صفة حميدة لكنها اذا جاوزت حد الاعتدال صارت ذميمة ان المذكورين كانوا اخوان الشياطين يا جبال الى آخره وقد مر
تأويله في سورة الانبياء وقدر في السرد هو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس وسليمان القلب سخرت له ريح العناية وذلك انه ركب الفلك
في السير من الجذبات الالهية كما انه ركب التقى في البدن يروى ان سليمان بن داود في حين لا حظ ملكه يوما فمال الريح ببساطه
فقال سليمان للريح استوي فقالت الريح استوي حتى تستوي انت كذلك حال الروح القلب وريح العناية اذا ارتفع القلب الربح
اسرع ريح العناية الخذلان شأن الانسان الله لا يعني ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وسلنا له عين القطر الحقائق والعلم
وسخرنا له صفات الشيطنة ليعمل بين يديه على حسب امر الله ونواهيه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم شيطاني اسلم على يدي
بلا باس ان لا الجن من محاريب وهي كلها التي توجه الى الله بخاصية الاباء والاستكبار وابعد التمني جلت لغير الله ويوجد كل القلب
الخاصية الروحانية التي جبل الروح عليها ما كان ترغب في العبودية عن مقام الروحانية والملائكة قال جبرائيل لو دنوت انملة
لاحترقت وجفان كالجواب فيه اشارة الى مائدة الله التي يا كل منها الانبياء والاولياء اذ يعشون عنده اعملوا آل داود
شكرا ان آل الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع الاعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرائط التقوى والورع وشكر
القلب بمحبة الله ووحدته وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمعة وشكر الخفي بقبول
الفيض بلا واسطة في مقام الوحدة محتجبا بنور الوحدة عن نفسه والعوام شكرهم بالاقوال والخواص شكرهم بالاعمال وخواص
الخواص شكرهم بالاحوال وهو الانصاف بصفة الشكور بانه يعطي على عمل فان نعيم ثواب باق ولذلك وصفهم بالقلة ان الانسان
الكائن سليمان على عصاه فبعث الله من حذا به لابطال متكاه ووجد سبيا زوال ملكه وفوات روحه قيل ممنكأ على
فضل الله وانه ما لم يوت احد من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر
بلدة طيبة هي بلدة الانسان القابلة لبذر التوحيد ورب غفور لستر العيوب فاعرضوا عن الوفاء واقبلوا على الجفاء فارسلنا
عليهم سيل سطوات قهرنا وبدلناهم بجنتيهم البشريتين باشجار الاخلاق الحميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازي
وهل يكون للاشجار الخبيثة الا الثمار الخبيثة قرى ظاهرة هي منازل السالكين ومقامات العارفين من التوبة والزهد
والتوكل والتزكية والتخلية وقلنا لهم سيروا في ليالي البشرية وايام الروحانية امنين في حقارة الشريعة فطلبوا
البعد عن سبيل الى طلبه فمزقناهم في اودية الهلاك ودركات البعد وما كان له عليهم من سلطان
بيان ان السلطان انما يسلط على بني آدم لاستخراج جواهر النفوس من معادنها اعاذنا الله منه

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات

ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع

الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم
من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع
بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين
الحقتم به شركاء كلا بل هو العزيز الحكيم وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران
ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم
لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا

في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل
صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون
والذين يسعون في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما
هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا
ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا
الا سحر مبين وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم

وكذبوا رسلي فكيف كان نكير ۝ قل انما اعظكم
بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ۝ قل ما
سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد ۝ قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ۝ قل جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد ۝ قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ۝ ولو ترى اذ فزعوا فلا
فوت واخذوا من مكان قريب ۝ وقالوا آمنا به وانى لهم
التناوش من مكان بعيد ۝ وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد ۝ وحيل بينهم وبين ما يشتهون
كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب ۝

القراءة اذن له بضم الهمزة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والاعشى والبرجمي فزع على بناء الفاعل ابن عامر
ويعقوب جزاء بالنصب الضعف بالرفع رويس عن يعقوب في الغرفة على التوحيد حمزة يحشرهم ثم يقول على الغيبة حفص
ويعقوب الباقون بالنون ثم تتفكروا بتشديد التاء رويس اجري الا بفتح الياء ابو جعفر وابن عامر وابو عمرو وحفص ربي انه
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والتناوش مهموزا ابو عمرو وحفص ذلك انه بفتح الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى
حفص والشموني والبرجمي وحيل بضم الحاء وكسر الياء ابن عامر وعلي ورويس **الوقوف** من دون الله لاحتمال
الجملة بعده حالا واستينافا ظهير ۝ اذن له ط الحق ط الكبير ۝ والارض ط قل الله لا لاتصال المفعول مبين ۝ يعملون ۝ بالحق ط
العليم ط كلا ط الحكيم ۝ لا يعلمون ۝ صادقين ۝ ولا يستقدمون ۝ بعض القول ج بين يديه ط عند ربهم ج لانه يحتمل ان يكون
استينافا وحالا وهذا وجه القول مثل ذلك مومنين ۝ مجرمين ۝ اندادا ط العذاب ط كفروا ط يعملون ۝ كافرون ۝
بمعذبين ۝ لا يعلمون ۝ صالحا ز لان اولئك مبتدأ مع اتحاد القول الغاء امنون ۝ معجزين ۝ وتقديره لكم يخلفه ط

يخلفه ۝ لعطف الجملتين المختلفتين الرازقين ۝ تعبدون ۝ من دونهم ج لتنويع الكلام مع اتحاد القول الجن ج لان اكثر
مؤمنون ۝ ضرا ط تكذبون ۝ اباؤكم ج للعطف مع طول الكلام والتكرار مفترى ط مبين ۝ من نذير ط نكير ۝ بواحدة ج لان ما بعده
بدل او خبر اي هي ان تقوموا من جنة ط شديد ۝ نكم ط على الله ج شهيد ۝ بالحق ج لاحتمال ان ما بعده بدل من الضمير في يقذف
او خبر اي هو علام الغيوب ۝ بعيد ۝ على نفسي لعطف جملتي الشرط ربي ط قريب ۝ لان ما بعده معطوف على اخذوا وامنا به ج لاحتمال
الجملة الاستفهامية مبتدأ بها او حالا بعيد ۝ للاية ولاحتمال الاستيناف والحال بعده والعامل معنى الفعل في التناوش
من قبل للعطف على كفروا بناء على انه حال ماضية او للاستيناف اي وهم يقذفون بعيد ۝ من قبل ط مريب ۝ **التفسير**
لما فرغ من حكايتنا حال الشاكرين ولهل الكفران تمثيلا عاد الى مخاطبة كفار قريش وتقريعهم ومفعول زعمتم محذوف اي زعمتموهم
آلهة وسبب حذف الاول استحقاق عوده الى الموصول وسبب حذف الثاني اقامة الصفة وهي من دون الله مقام الموصوف
وتفسير الاية مبني على تفصيل هو ان مذاهب اهل الشرك اربعة **احدها** قول من قال انا نعبد الملائكة او الكواكب التي في السماء
فهم الهتنا والله الههم فالله تعالى في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم ولا في الارض على خلاف ما زعمتم
ان الارض والارضيات في حكمهم **ثانيها** قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن
بواسطة الكواكب وايضا لاتصالها ونظرا فاتها فابطل معتقد هؤلاء بقوله وما لهم فيهما من شرك اي الارض كالسماء لله ليس لغيره
فيه نصيب **وثالثها** قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض بعضها الى الكواكب واعانها فاشار الى ابطال معتقد
هؤلاء بقوله وما له منهم من ظهير **ورابعها** مذهب من زعم انا نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة
ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له من الشافعين والاول فتح الاذن للشفيع
لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع اي كشف
الفزع في القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا
ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته
اي ازلت قراده وسلخت جلده وقيل انه حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما
زعمتم وقلتم قالوا الحق ومنهم من ذهب الى ان التفزيع غاية الوحي المستفاد من قل فانه عند الوحي يفزع من في السموات كما جاء
في الحديث اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبرئيل
فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرئيل ماذا قال ربك فيقولون الحق الحق وجل اراد بالفزع هو انه تعالى لما اوحى الى محمد
صلى الله عليه وسلم فزع من في السموات من القيامة لان ارسال محمد من اشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال جبرئيل قالوا قال
الحق اي الوحي وقيل انه الفزع عند الموت يزيله الله عن القلوب فيعرف كل احد ان ما قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة اهل
الايمان ولا ينتفع بها اهل الكفر ومن بين يقوله قل ادعوا انه لا يدفع الضر الا هو اشار بقوله قل من يرزقكم الى جلب
النفع لا يملك الا هو وههنا نكتة هي انه قال في دفع الضر قالوا الحق وفي جلب النفع قال قل الله تنبيها على انهم في الضر معترفون
على الله معترفون به وفي السراء معرضون عنه غافلون لا ينتهون الا بتنبيه وقوله وانا او اياكم من الكلام المنصف الذي يتبين
قلة تعصب المتكلم وقد شوكته بالبرهان وفي التحقيق الحق في قوله لعلى هدى او في ضلال الاشارة الى ان اهل الحق ركبوا متن
الهدى مستعلون على متنها وان اهل الباطل منغمسون في ظلمة الضلال لا يدرون اين يتوجهون وانما وصف الضلال
بالمبين واطلق الهدى لان الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا تحصر فبعضها ادخل في
الضلالة من بعض والبين منه قوله عما اجرمنا الى قوله عما تعملون في اسلوب طريقة الانصاف حيث اسند الاجرام وهو الصغائر

بالدلالات اوهي مع الكتاب الناطق الايمان وعبر عن اجرام اهل الكفر بلفظ عام هو العمل وفيه ارشاد الى المناظرات الجارية في
العلوم وغيرها فاذا قال احد المناظرين للآخر انت مخطئ غضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم
فيفوت الغرض ومعنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار وحين حث في الاية الاولى
على وجوب النظر من حيث ان كل احد يواخذ بجرمه ولو كان البرئ يواخذ بالمجرم لم يكن كذلك اكد ذلك المعنى بالاية الثانية
وان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفي قوله العليم اشارة الى ان حكمه يكون مع
العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين ان غير الله لا يصلح لدفع الضر ولا لجلب النفع اراد ان يبين ان غير الله
لا ينبغي ان يعبد لاجل استحقاق فانه لا مستحق للعبادة الا هو ومعنى اروني وكان يريهم ويراهم الاستحقاق بهم والتنبيه
على الخطاء العظيم في الحاق الشركاء بالله او اراد اعلموني باي صفة الحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال
والعائد محذوف وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد كسره بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد في توبيخهم بقوله بل هو
العزيز الحكيم كانه قال اين الحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن انه يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة
وهو يحتمل ان يكون ضمير الشان وحين فرغ من التوحيد شرع في الرسالة ومعنى كافة عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم
ان يخرج منها احد الكف المنع كافة صفة رسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة وانه حال من الكاف اي
ارسلناك جامعا للناس في الابلاغ والتبشير والانذار او مانعا الناس من الكفر والمعاصي وبعض النحويين جعله حالا
من الناس وزيف بان حال المجرور لا يتقدم عليه ومنهم من جعل اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى بالى فضوعفت تخطئته
بان استعمال اللام بمعنى الى ضعيف ولا يخفى ان اي معقول ارسلنا على غير هذا التفسير محذوف والتقدير وما
ارسلناك الى الناس الا كافة لهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر
وذكر انهم استعجلوه تعنتا منهم فبني على طريق التهديد انه لا استعجال كما لا امهال وهذا شان كل امر ذي بال قال جار الله
ميعاد يوم كقولك سحق عمامة في ان الاضافة للتبيين ويؤيده قراءة من قرا ميعاد يوم بالرفع فيهما وابدل منه اليوم
ولما بين الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر انهم كافرون بالكل فانهم قالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي
بين يديه من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل روي ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة
محمد في كتبهم فاغضبهم ذلك فقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذي عام والذي بين يديه يوم القيامة وما جاء ذكره في
القرآن من تفاصيل الحشر وغيرها وان اهل الكتاب لو صدقوا بشيء من ذلك فليس لاجل مجيئه في القرآن ولكن لمجيئه في كتبهم
وحين وقع الياس من ايمانهم بقولهم لن نؤمن وعد نبيه بانه سيراهم على اذل حال من توقيفهم للسؤال عادين اهداب المجيء
كما يكون حال جماعة اخطأوا في تدبير امر وجانب لوحدهم فاى لقضية العجب وبدا بالاتباع لان المضل اولى بالتوبيخ و
قولهم لولا انتم اشارة الى ان كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضي قال الرسول قد جاءكم بمقتضى الايمان ثم ذكر جواب المستكبرين
وهم الرؤس والمتبوعين عطف بعد الاستيناف وفي ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات انهم هم الذين صدوا
بانفسهم من الهدى بكسبهم واختيارهم وان المانع لم يكن لهم الا على المقتضي ولا مساواة الله وأكدوا ذلك بقوله بل كنتم
مجرمين اي انتم الذين اطعتم امر الشهوة فكنتم كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قول الاخرين المستضعفين
على قولهم الاول والاضافة في مكر الليل والنهار من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به واصل الكلام بل مكركم
بالليل والنهار او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي فالاول اتساع لفظي والثاني معنوي انطلوا اضرابهم
باضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دائما دائبا بالليل والنهار او مخدم الليل لانه حتى الكون والدوام

والويل وقرى مكر الليل بالتشديد بدل اي سبب ذلك انكم مكرتم الاغواء مكرا دائبا والمعنى انهم اتبعوا الصارف القطعي والمانع القوي
ولكن انضم الى ذلك تسلط الملاء فصار قولهم كجزء السبب وفي قوله ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اشارة الى ان الشرك واثبات شيئا
لله في الظاهر ولكنه بان لدعي الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز ان يكون كل منهما قول طائفة اخرى فبعضهم كانوا نفوا
وجود الصانع وبعضهم بالاشراك به فقتضي قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب مذكور في سورة يونس والضمير يعود الى
جنس الظالمين الشامل المستضعفين والمستكبرين وقوله في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم من وضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على ما استحقوا به الاغلال وهي تجري على الظاهر وانجاز ان يراد بها العلائق وفي قوله هل يجزون ناشرة الى
انهم استحقوها ساعد لا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بان ايذاء الكفار للانبياء ليس بدعا وخص ذلك بجبابرتهم وانما خص
المترفين بالذكر لانهم اصل في الجحود والعناد وغيرهم اتباع ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد
لانهم اعتقدوا انهم لو لم يكونوا على الله لما رزقهم ثم قاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا فقالوا وما
نحن بمعذبين فبين الله خطاهم بان القابض الباسط هو الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لحكمة المشيئة لا لمكسب
ولا استحقاق فكم من شقي موسع وتقي معسر ثم زاد في البيان بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
زلفى اي قربا اسم من القربة وقع موقع المصدر كقوله انبتكم من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول في تقربكم قوله
الا من امن والمراد ان الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح ينفق امواله في سبيل الله ويعلم اولاده العلم والفقه
في الدين ويحتمل ان يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى ان شيئا من الاشياء لا تقرب احدا الا عمل المؤمن الصالح لانه ما سوى
ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على الغني به ومن لو جد الجنة وصل ومن طلب من الله شيئا حصل وجزاء الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ومعنى قراءة يعقوب اولئك لهم الضعف جزاء والضعف
يكون الى العشر والى سبعمائة واكثر كما عرف وللباقي الى قوله معجزين مر في سبأ وحين بين ان حصول الرزق لا يدل
على الشرف ثم ذكر ان بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين ثم رتب
وعدا لا خلاف فيه على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال او بالقناعة واما في الاخرة بالثواب لا يخلف فيه ولا مثله و
يؤكد الاية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط منفقا خلفا الحديث وقوله النفقة التي تعاطى في البحر وعلى ... ان الناجي ادا
على ان ما ادى من الاموال في صرح الفناء يتبعه نسبه ولهذا كان من الفقراء والانبياء الحفاظ وسخافة الدنيا ولا يمال السيد
من حيث الدولة اعنى الاغنياء قد طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف والاخلاف واي تجارة عند العاقل اربح من هذا
وهو خير الرازقين لانه مسبب الارزاق والرزق ينتهي اليه وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي
فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله ويوم يحشرهم وفي خطاب الملائكة تقريع للكفار وتقريب
لما يرومونه من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما مر في قوله لعيسى ءانت قلت للناس قال سبحانك بتنزيهك عن ان نعبد
غيرك انت الذي نواليك ونعادي غيرك في شان العبادة بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم في عبادة غيرك فهم
كانوا يطيعونهم وكما لحق كالقلد او صورت لهم الشياطين صورة قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها
او كانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها ولما قال اكثرهم بهم مؤمنون ولم يدع الاحاطة لان الذين
راوهم واطلعهم الله على احوالهم كانوا كذلك ولعل في الوجه من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار وايضا العبادة عمل
ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا لله وحده فراعوا الادب الجميل والحكم على الظاهر اكثري
ثم ذكر ان الامر في ذلك اليوم لله وحده والخطاب في قوله فاليوم لا يملك بعضكم للملائكة وللكفار وان كان الكفار عابدين كما يعو

لن يحضر عندك ولمن شاركك في امر سببه انهم قلتم كذا على معنى انت قلت وهم قالوا ويحتمل ان يكون الخطاب للكفار لا ذكر
اليوم لا يبدله على حضورهم اى لهم وللملائكة بعضا بعضهم التأويل وعلى الاول يكون قوله ونقول للذين ظلموا افراد للكفرة
بالذكر وعلى الوجه الاخر يكون تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وذكر الضر تاكيدا لعدم ملكهم شيئا فهو معتوه في ذلك اليوم وانما
قال ههنا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون وفي السجدة عذاب النار الذى كنتم به تكذبون لانهم هناك قد روا النار بدليل قوله كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا العذاب المؤبد الذى كنتم به تكذبون في قولكم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
وههنا لم يروا النار قبل لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال فناسب التوبيخ على تكذيبهم بالنار ثم حكى كلام كفرهم بقوله واذا تتلى
ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين ان ليس لهم من مستند الا محض التقليد فقال وما اتيناهم من كتب يدرسونها
والايات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك وكذب
الذين من قبلهم كعاد وثمود وما بلغوا معشار ما اتيناهم والمعشار كالمرباع وهو العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ
هؤلاء المشركون عشر ما اتينا المتقدمين من القوة والنعم وطول العمر ثم ان الله اخذهم وما نفعتهم محصولهم فكيف حال هؤلاء
الضعفاء وقال بعضهم المراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما اتيناهم يوم محمد من البيان والبرهان لان نبيهم افصح الرسل
وكتابه اوضح الكتب ثم ان المتقدمين الكرماء عليهم نكذيبهم فكيف لا يتكرر على هؤلاء قال جار الله قوله فكذبوا رسلي بعد قوله وكذب
الذين من قبلهم بخصيص بعد تعميم كانه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلي بتطبيقه ونظيره قول القايل اقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون معطوفا على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو
فيفضل عليه قلت ويحتمل هذا يكون الفاء للسببية والمعنى انه اذا ما بلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا في الاية يصير
المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار الاولين فكيف كذبوا فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذر رسلي مثله ويجوز عندي
ان يكون الثاني مكررا للاول لاجل ترتب النكير عليه كانه قيل فاذ قد صح انهم فعلوا ما ذكرنا فلاحظ ذاقوا بالاجرام
نظيره في كل ما يحض بك فعلت كذا وكذا وقد فعلت ذلك فتربص وبعد تقريرا لاصول الثلثة التوحيد والرسالة والحشر
كررها مجموعة بقوله قل انما اعظكم بواحدة اي بخصلة واحدة او بكلمة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على ان عطف بيان
لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبي متفرقين الى اوطانهم واما مجاز هو الاهتمام بالامر والنهوض له
بالعزم والجد فقوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما ان يكون مع غيره او لا فكانه قال ان تقوموا
لله مجتمعين ومتفردين لا يمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحكم الانفراد الحسن تعينكم على ذكر الله وقوله ثم تتفكروا يعني
اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعدما بان وظهر ثم تتفكروا فيما اقول بعده وهو الرسالة
المشار اليها بقوله ما بصاحبكم من جنة والحشر المشار اليه بين يدي عذاب شديد قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كانه
قال ينذركم بعذاب حاضر يمسكم مثل التهديد بمجموع الامور الثلثة شيء حاصل والمراد انه لا يامرهم فيما له الامر بغير التوحيد
لا تسابق على الكل لانه سابق على الكل لانه لا يامرهم في جميع العمر الا بشيء واحد وهو جار اسم الخصلة الواحدة هي فكرتي
امر محمد والمعنى اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا
واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الرأي فيعرض كل من الاثنين محصوله فكر على صاحبه من
غير عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة حتى يحدث الفكر بصيغة الى ان الامر المستتبع
لسعادة الدارين لا يتصدى لادعائه الى رجل الا مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وهو قائل احتباه
الله تبارك العقل والاحسان لتكميل نوع الانسان لكن محمدا بالاتفاق ارجح الناس عقلا واصدقهم قولا وادومهم حياء

حياء واما نته فما هو الا النبي المنتظر في اخر الزمان المبعوث بين يدي عذاب شديد هو القيمة واما قوله ما بصاحبكم
اما ان يكون كلاما مستانفا فيه تنبيه على كيفية النظر في امر النبي صلى الله عليه وسلم او المراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك ويجوز
بعضهم ان يكون ما استفهامية وجيء بذكر انه لا بد من جنس يلزم منه كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه صحة نبوته وهو
قوله ما سألتكم من اجر الاية وتقريره ان العاقل لا يرتكب العناء الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود هنا بل كل احد يعادي
ويقصده بالسوء او لغرض اجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق فان الكاذب معذب في الاخرة لا مثاب بهذا الذي يريد بقوله
فهو لكم نفي سؤال الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ويحتمل ان يراد بالاجر
قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما سألتكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لان الاول
في القربى قد انتظمته واياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نفعهم ونفعهم وعلى كل شيء شهيد يعلم اني لا
اطلب الاجر الا على نصحكم او يعلم ان فائدة النصح يعود عليكم قوله يقذف بالحق اي في قلوب المحقين وفيما التشابه استعار
الكلم مخصوص واحد منهم بانزال الذكر عليه فان الامر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء فانه علام الغيوب يعلم
مواقع الامور ومراتب الاستحقاق فيعطي على حسب ذلك لا كما يفعل العاجز الغافل او اراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه
وذلك ان براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين اجاد وعلام الغيوب عند حين ذكر انه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة
الاستقبال اخبر ان ذلك الحق قد جاء وهو القران او الاسلام وكلما ظهر على لسان النبي وعلى يده وقيل السيف وقوله لا يبدئ الباطل
ولا يعيد مثل في الهلاك لان الحي اما ان يبدئ فعلا ويعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه ان الحق هو الموجود
الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة ثابتا في نفسه مبينا لمن نظر اليه كان حقا اي قيل
الباطل المبين لانه صاحب الباطل او لانه هالك والمراد انه لا ينشئ خلقا ولا يعيده وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا
يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة ثم بين على نفسي لا يبتة والمعنى ان ضلالي على نفسي كضلالكم وانما اهتدي
يبدئ الرسالة بوجه اخر وهو قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الاية والمعنى ان ضلالي على نفسي كضلالكم وانما اهتدي
فليس التطرف والاهتداء الا كما هذا بكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل معنوي من حيث
المعنى والمراد ان كل ما هو وبال على النفس وضار لها فهو لها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه
وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع
قريب يدرك قول ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شيء وفيه ان رسول الله اذا دعاه على من يكذبه اجابه لسرعة انه سميع
من بعيد ولا يلحق الداعي ضرر عجب نبيه او كل راء من حال اهل الفساد بقوله ولو ترى وجوابه محذوف اي لرأيت
امرا عظيما وللافعال الماضية التي هي فزعوا واخذوا وقالوا وحيل كلها مستقبل ونادى وسبق ووقت الفزع وقت البعث
او الموت او يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف وهم ثمانون الفا ارادوا غزو الكعبة فخسف بهم حتى دخلوا
البيداء فلا فوت اي فلا يفوتون الله ولا يسبقونه والاخذ من مكان قريب هو من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها
او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم الى الارض ويجوز جار الله ان العطف واخذوا على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم
يفوتوا واخذوا ثم بين انهم سيؤمنون بمحمد وقيل ذكره في قوله ما بصاحبكم او بالقران او بالحق حين لا ينفع الايمان في ذلك
وقد واني لهم التناوش وهو تناول سهل لشيء قريب مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله
الاخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه او اراد انى تناولهم التوبة وايمانهم في الاخرة لا ينفع لان الاخرة من قريبنا والمهلا
لا تعب فيه او المراد تناولهم التوبة وايمانهم في الاخرة لا ينفع لان الاخرة بعيد عن الدنيا فان اسيال الدنيا لا يعود وان كانت
الاخرة قريبة من الدنيا ولهذا سماه الله الساعة وكل ما هو ات قريب وعن ابي عمرو التناوش بالهمز التناوش من بعد قولهم فانتش

بالعمران ابطال وتاخرت والاصح انه من النوش كما مر همزة الاولى المضموم كما همزت في احيى وقيل الساوش بلغة اليمن التذكير
قال ابو القسم الحسن بن محمد بن حبيب في كتاب المدخل في تفسير القران والصمعي فا في له وقد كفروا به عائدا الى ما يعود اليه
في قوله امنا به في له ويقذفون بالغيب وجوه احدها انه قولهم في رسول الله ساحر وهذا تكلم بالامر الخفي
وقد اتوا به من جهه بعيده عن حاله لانهم لم يعرفوا منه الامانة والصدق الا الكذب قاله ورد وثانيها اخذ والشريك
من حالهم في العجز فانهم محتاجون في الامور العظام الى التعاون فقاسوا الحق الالهي عليه وثالثها انهم قاسوا قدرة الله على
قدرتهم عجز واعن احياء الموتى فقالوا ان الله لا يقدر على البعث وقاسوا الخالق على المخلوق بعيد المأخذ ورابعها قاسوا امر
الاخرة على الدنيا قائلين ان كان الامر كما يصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب فنحن اكرم منكم لان يعذبنا
خامسها قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان في الاخرة او من الرد الى الدنيا كما فعل باشياعهم اي باشباههم من كفرة الامم لم ينفعهم ايمانهم لما
راوا باس الله وهو مريب موقع في الريب منقول من الاعيان اللفظي او ذو ريبة وذلك باعتبار صاحبه كلاهما مجاز وقد مر
وقدمنا في هود التاويل مثقال ذرة في سموات القلوب ولا في ارض النفوس من سعادة او شقاوة قال الحق يعني ما
فهموا من الغيب كلامه ولكن يعلمون انه لا يقول الا الحق قل ان ربي يقذف من سموات القلوب وارض النفوس ذات البين
سماء القلب ماء الغيث على ارض النفس وفيها بين المعاملات الشرعية الحقيقية بشركاء من الدنيا والهوى والشيطان
كافة للناس من اهل الاولين والاخرين عالم الاجسام وهو ظاهر وفي عالم الارواح بشيرا بان لها كمالا عند الاتصال
بالاشباح ونذيرا بالحرمان ان لم يتعلق بالاجسام وذلك ان الارواح علوية نورية والاشباح بشرها سفلية مظلمة
بينهما التعلق الا بالبشير والانذار على الروح بمثابة البذر والقالب كالارض وتحصل الانسان بمثابة الشجرة والتوحيد والعلم ثمرة
ثمرتها والشريعة كالماء والبشير والنذير كالامطار واذا انعمت النظر وجدت شجرة الموجودات نابتة من بذر روح محمد صلى
الله عليه وسلم وهو ثمرة هذه الشجرة مع جميع الانبياء والمرسلين ولكن بتبعية محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا حصل له
رتبة الشفاعة دونهم ويقولون يعني ارباب الطلب يستعجلون متى يصل الى الكمال الذي بشرنا به ثم بين ان الثمرة كل شجرة
وقتا معلوما لا يتجاوزه اكثرهم بهم مؤمنون اي اكثر مدعي الاسلام باهل الهوى مؤمنون ويقذفون بالغيب من ان معارف
الاسرار بعد ابتلاء الاحادة لا يصلح لهم هو ليس في الا بمكمات النفس وحيل بينهم لان الدين ليس بالتمني والله اعلم واستغفر

سورة فاطر حروفها ثلثة الاف وماية وثلثون كلمها سبعماية
وسبع وسبعون اياتها خمس واربعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملئكة رسلا أولى

أجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل

شىء قدير ۝ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا

فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ۝ يا أيها الناس اذكروا

نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم

من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ۝ فإن يكذبوك

فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ۝ يا أيها الناس إن

وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝

ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا

من أصحاب السعير ۝ الذين كفروا لهم عذاب شديد ۝ والذين

امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ۝ أفمن زين

له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

فلا تذهب نفسك عليهم حسرت ان الله عليم بما يصنعون ۝

والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا

به الأرض بعد موتها كذلك النشور ۝ من كان يريد العزة

فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ۝ ومكر

أولئك هو يبور ۝ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم

جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ۞ وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل
تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر
لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۞ يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ۞ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير ۞ يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد
ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
ولا تزر وازرة وزر اخرى ۞ وان تدع مثقلة الى حملها لا
يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
والى الله المصير ۞ وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور ۞ وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان

ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ۞ ان انت الا نذير
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير ۞
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ۞ ثم
اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ۞

القراءة غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلي الأخرون بالرفع على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسك منصوبا
يزيد الأخرون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف ولا
ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من عمره باختلاس الميم عباس والذين تدعون على الغيبة
قتيبة **الوقوف** ورباع ط شيء قدير ه لها ج بعده ط الحكيم ه عليكم ط والارض ط الا هو ز للاستفهام والفاء
التعقيب واتحاد المعنى يؤفكون ه قبلك ط الامور ه الغرور ه وعد ولا ط السعير ط لان الذين مبتدأ شديد ه كبير ه
حسنا ط لحذف الجواب حسرات ط تصنعون ه موتها ط النشور ه جميعا ط نرفعه ط شديد ه يبور ه ازواجا ط
بعلمه ط في كتاب ط يسير ه اجاج ط يلبسونها ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى تشكرون ه مسمى ط الملك ط قطمير ه دعاءكم
للشرط مع العطف لكم ط بشرككم ط خبير ه الى الله ج لاتفاق الجملتين مع حسن الفصل بين وصفي الخالق والمخلوق
الحميد ه جديد ه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بعزيز ه اخرى ط لاستيناف الشرط قربى ط الصلوة ط لنفسه ط
المصير ه والبصير ه ولا النور ه ولا الحرور ه للطول والكلام الاموات ط بشاء للعدول من الاثبات الى النفي مع
اتفاق الجملتين القبور ه الا نذير ه ونذيرا ط نذير ه من قبلهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف المنير ه نكير ه
التفسير لما بين في اخر السورة المتقدمة انقطاع رجاء الشاك وعدم قبول توبته في الاخرة ذكر في اول هذه السورة
حال الموقن المؤمن وبشره بارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين انه يفتح لهم ابواب الرحمة و فاطر السموات والارض
مبتدعهما او شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض يؤيد التفسير الثاني قوله جاعل الملائكة
رسلا العقول وتتلقيهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون واما الاجنحة اي اصحاب اجنحة اولي مثنى طائفة
منهم اجنحة كل منهم اثنان اثنان وبعضهم اجنحته ثلثة ثلاثة وبعضهم اجنحة كل اربعة اربعة قال جار الله الذين
اجنحتهم ثلثة ثلثة لعل الثالث منها في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فلقد رايت في بعض
الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من
امور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل
ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه اقبل الى اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان الامر على

كاهله وانه انصال الاجابين لعظم الله سبحانه وتعالى حتى يعود مثل الوضع ومنه العصفور الصغير ويجوز ان يكون الحال الملئكة حال
الطيور في الطيران كالحيوان الذي يدب بارجل كثيرة ويجوز ان يكون البعض اكثر اجنحة ويجوز ان لكل جناح ذا شعب وقال الحكيم
الجناحان اشارة الى الجهتين الجهتين جهة الاخذ من الله وجهة الاعطاء لمن دونهم باذن الله كقوله نزل به الروح الامين
على قلبك علمه شديد القوى والمدبرات امرا ومنهم من يفعل بواسطة فلهم ثلث جهات او اكثر على حساب الوسايط ثم بين كمال
قدرته بقوله يزيد في الخلق ما يشاء والظاهر انه عام يتناول كل زيادة في كل امر يعتبر في الصورة كحسن الوجه والخط والصوت
ومحاسنها او في المعنى كحصافة العقل وجزالة الراى وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم اكد نفاذ
امره ووجوبا للامر على وفق مشيته بقوله ما يفتح الله للناس الآية ومعناه لاجل ان رحمته سبقت غضبه من جهة بيان الضمير في
القرينة الاولى بقوله من رحمة والاطلاق في قوله وما يمسك فيشمل امساك الغضب وامساك الرحمة ومن جهة قوله من بعده اى من
بعد امساكه فيفيد ان الرحمة اذا جاءت لم يكن لها انقطاع وان ضدها قد ينقطع وان كان لا ينقطع الا بالله ولهذا لا يخرج اهل
الجنة من الجنة وقد يخرج اهل النار من النار وهو العزيز الغالب على ارسال الرحمة وامساكها الحكيم الذي لا يمسك ولا يرسل الا عن علم
كامل وصلاح شامل وحيث بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعم المستدعية للحمد على التفصيل امر المكلفين بتذكر النعمة على الاجمال لسانا
وقلبا وعملا ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل بموجبها وعن ابن عباس اذكروا نعمة الله على اهل
مكة اسكنهم حرمه ويتخطف الناس من حولهم وعنه ايضا انه اراد بالنعمة العافية والظاهر تعميم النعمة والمنعم عليهم ثم اشار الى نعمة
الايجاد بقوله هل من خالق غير الله والى نعمة الابقاء بقوله يرزقكم وهو نعت خالق او مستانف او تفسير لمضمر والتقدير هل يرزقكم
خالق يرزقكم قال جار الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستانفا ففيه دليل ان الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل واما على الوجهين الاخرين فلا
اذ لا يلزم من نفي خالق رازق غيره نفي خالق غيره مطلقا وقوله لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في غير وجه الوصف
اذ لو جعلت وصفا لزم التناقض لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله ولو جعلت المنفية وصفا صار تقدير الكلام هل من خالق اخر
سوى الله لا اله الا هو ذلك الخالق فلزم نقض الاثبات المذكور مع ان الكلام في نفسه يكون غير مستقيم فانى يؤفكون اى كيف يصرفون عن هذا
الظاهر ثم نبه على كونه المحجوب بما كالملك والملكوت وحين بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وان يكذبوك
الآية والمراد وان يكذبوك فتسل بهذا التعيين ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر بقوله يا ايها الناس وقد مر مثل الاية في اخر سورة لقمان
وقد سبق الكلام على الغرور وهو الشيطان لان عقيبه بقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا لان الجاهل لا يتقبل
قول العدو ولا يعتمد عليه ثم صرح بوجه تحقيق اتخاذه عدوا بان يعاديه بترك دعوته فقال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ثم
فصل ما لحزبه وحزب الله بقوله الذين كفروا الى قوله واجر كبير عن عطاء العقول انه لمستوى بين الحزبين والعمل عنوان زين له سوء
عمله من الفريقين كمن زين له ولاريب ان الذين ام علهم ام اهل الاهواء والبدع الذين لا مستند لهم فيما اخذوه سوى التقليد
واتباع الهوى ثم ابهم من ذلك بقوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك ان الناس متساوية الاقدام في الاتيان متفاوتة
الاحوال في الاعمال وبين انه لا استقلال لهم وان اعمال العباد مستندة الى الارادة مرجى القلوب والاحوال ثم رتب على عدم
الاستقلال قوله فلا تذهب اى فلا تهلك نفسك عليهم حسرات جمع حسرة كما تقول هلك عليه حبا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يتعلق
بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وجوز جار الله ان يكون حالا كان كل نفسه صارت حسرات لفرط التحسر ومن
الزجاج ان تقدير الاية افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فحذف لدلالة المذكور عليه او افمن زين له سوء عمله كمن
هداه الله لان قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يدل عليه ثم بين انه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما
يصنعون لو اراد منهم الايمان لامنوا وان كان لما بهم من الانداد فالله عليم بفعلهم فيجازيهم بذلك ثم الذكور فاعلا لمختار افادو

فادرا مها وامدا ما مبتدا بقوله والله الذي ارسل الرياح وهو من الالتفات الموجب للتهويل والتعظيم وقوله فتثير لفظ المستقبل لحكي
تلك الحالة العجيبة الشان عرف نفسه بفعل الارسال ثم قال فسقناه كانه قال انا الذي عرفتني بمثل هذه الدلالة الباهرة
وانعمت عليكم بهذه النعم الشاملة ثم شبه البعث والنشور بالصنع المذكور ووجهه ظاهر وحين بين برهان الايمان اشار الى
ما كان يمنع الكفار منه وهي العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمون من حيث انه معبودهم كما سبكت تحريرهم والرسول كان يدعوهم
الى الاذعان لطاعة الله وطاعة انبيائه وكانه قال ان كنتم تطلبون حقيقة العزة خالصة كلها فاطلبوها من عنده ومن عند اوليائه
نظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها من عنده عندهم فاعتبر بهذه الآية طرفا النهاية واما في قوله ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين فاعتبر الوسايط فالعزة للمؤمنين بواسطة الرسول وله من رب العزة ثم ان الكفار كانوا قالوا نحن لا نعبد من لا
نراه ولا نحضر عنده فان البعد من الملك ذلة فقال اليه يصعد اى ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب منها وذلك انه
العزة واما هذه الاصنام فلا يسمع عندها الذليل من العزيز اذ لا حيوة لها ولا شعور وهكذا العمل الصالح لا يراه هذه الاصنام
فلا يمكن لها مجازاة الانام وفاعل قوله يرفعه ان كان ضمير الله فظاهر وان كان الكلم اعني قول لا اله الا الله فمعناه انه لا يتقبل عمل
الا من موحد وان كان هو العمل فالمعنى ان الكلم وهو كلام فيه ذكر الله ورضاه يريد الصعود الى الله الا انه لا يستطيع الصعود الا بان يقع
موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالعمل الصالح عن النبي صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن
المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ولا يخفى ان القول هو الاصل والعمل يؤكده فلهذا قدم القول
وحين بين حال العمل الصالح ذكر ان المكرات السيئات بايرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله اشار بها الى مكرات قريش المذكورة
في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك جمع الله مكراتهم فقلبها عليهم حين اوقعهم في قليب بدر ولما ذكر
دليل الافاق اكده بدليل الانفس فقال والله خلقكم من تراب وفيه اشارة الى خلق ادم ثم من نطفة وفيه اشارة الى خلق اولاده
ثم جعلكم ازواجا اصنافا ذكرانا واناثا ثم اشار الى كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره [illegible] ولكنه سماه معمرا [illegible] وخلاف على شخص
واحد وانما المراد [illegible] التخصيص [illegible]
فيه قولان [illegible] ولا ينقص من عمره [illegible] لكل انسان بعينه [illegible]
في اللوح ان حج [illegible] فعمره اربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون [illegible]
[illegible] كما قالوا ان الصدقة والصلة يعمران
الديار ويزيدان في الاعمار [illegible] عن سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب [illegible]
بعد ذلك [illegible] ذهب يوم ذهب يومان [illegible] وعن قتادة [illegible]
الستين [illegible] والزيادة في الاعمار والنقصان منها [illegible]
ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر [illegible]
[illegible]
لا نشارك [illegible] استخراج الحلي واللؤلؤ وجرى الفلك [illegible]
الى قوله [illegible]
[illegible]

الى الكواكب بالذات لا الى تسخير مبدعها وقوله ذلكم الله اى الذى فعل الاشياء المذكورة من فطر السموات وارسال الرياح وخلق الانسان من
التراب وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله ربكم له الملك جاز ان يكون خبرا ثانيا ويجوز ان يكون الله وربكم خبرين وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى طباق
قوله والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير وذلك ان المشركين كانوا معترفين بان الاصنام ليسوا خالقين وانما كانوا
يقولون انه تعالى فوض امور الارضيات الى الكواكب التى هذه الاصنام صورها وطوالعها فاخبر الله تعالى انهم لا يملكون قطميرا
او هو القشرة الرقيقة للنواة فضلا عما فوقها قال جار الله يجوز ان يكون فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة او
عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى اباه فقيل لان ذلكم اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة او عطف يقتضى ان يكون فيه
ضرب ابهام قلت وفيه نظر اما اولا فلان اسم الله من قبيل الاعلام لا من قبيل اسماء الاجناس فكيف يجوز جعله صفة واما ثانيا فلانه على
تقدير التجويز يكون صفة مدح فلا بأس فى كون المشار اليه معلوما والوجه الصحيح فى اباء المعنى هو ان الوصف اذا كان معرفة
كان امرا محققا فى الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءنى تريد الرجل الذى يعرفه السامع انه كاتب جاءنى
لكن الخطاب هنا مع الكفار وهم يجحدون ان المعبود الحق ويجحدون ان العبادة لا تصلح الا له فلا يصلح ايقاع اسم الله صفة لذلكم وا
لخطاب معهم ثم زاد فى توبيخ الكفرة بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو فرض عليهم ما استجابوا لكم لما مر من انهم لا
يملكون شيئا ويوم القيمة ايضا يكفرون بشرككم قائلين ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك اى لا يطلعك على حقيقة الحال ايها النبى
او ايها السامع مثل خبير بواطن الامور والمعنى ان هذا الذى اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير عالم بحقيقته ولا
يخبرك بالامر مخبر هو مثل عالم به وفيه ان الخبير بالامر وحده وفيه انه تعالى خبير بالامر فى مجرد المصدق لولا اخبار الله سبحانه ثم بين ان
نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال يا ايها الناس انتم الفقراء ومعنى تعريف الخبر القصد الى انهم جنس الفقراء مبالغة وذلك انه
لكثرة افتقار الانسان الى الله عاجلا لامور المعاش واجلا لنعيم الاخرة بل فى اصل وجوده واستمرار بقائه فى الخلق حتى اليه وقيل ان كون الناس فقراء امر
ظاهر لا يخفى على احد فلهذا عرف كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا ثم بين انه هو الغنى لا الى الله فقابل الفقراء بقوله والله هو الغنى
وقابل قوله الله بقوله الحميد لانه اذا انعم عليهم يستحق الحمد منهم ثم ذكر انه غنى عن وجودهم ايضا لا بقيتهم فى ظهور اثر قدرته اليهم فقال
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وفيه نوع تهديد وحين بين الحق بالدليل الباهر اراد ان يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال ولا تزر
وازرة وزر اخرى يعنى ان النفس الوازرة لا تحمل وزر نفس اخرى واحدة من الاحمال وزرها الذى عليها لا يحمل فى هذا قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم لان وزر الاضلال هو وزر النفس الى انه وزرها ايضا وفيه ان كل نفس وازرة يوم القيمة وزرها بحيث يكون تحته ثم زاد
فى التهويل بقوله وان تدع مثقلة اى نفس ذات ثقل الى حملها لا يحمل منه شىء فان عدم قضاء الحاجة بعد السؤال افظع ثم زاد التأكيد بقوله ولو
كان ذا قربى اى المدعو ذا قرابة فان عدم القضاء بعد السؤال عن القريب من اب او ولد ادل على شدة الامر فيعلم منه ان لا غناء يومئذ اصلا
ثم بين ان هذه الانذارات انما يفيد اهل الخشية والطاهر حال كونهم غائبين عن العذاب او حال كون العذاب غائبا عنهم ثم انه كما بين
ان الوزر لا يتعدى الى الغير بين ان التطهر عن الذنوب لا يفيد الا نفس المتزكى والى الله المصير الكل فيجزيهم على حسب ذلك ثم ضرب
للكافر والمؤمن مثلا فقال وما يستوى الاعمى والبصير وقيل انه مثل للصنم وللمعبود الحق ثم ضرب للكفر والايمان مثلا فقال ولا
الظلمات ولا النور واذا كان الايمان نورا فالمؤمن بصير فلا يخفى عليه النور واذا كان الكفر ظلمة والكافر اعمى فقد صار فوق
ثم بين ما لهما من جهة ثوابهما وهو الظل والحرور والحرور قال اهل اللغة السموم يكون بالنهار والحرور يكون بالليل وقال بعضهم الحرور يكون بالليل
والمؤمن بايمانه فى ظل وراحة والكافر بكفره فى حر وتعب وفيه ههنا مسايل **الأولى** ضرب الامثال للكافر والمؤمن
ثم اعاد مثلهما بقوله وما يستوى الاحياء ولا الاموات وهذا ابلغ لان الاعمى والبصير قد يشتركان فى ادراك اشياء ولا كذلك الحى
والميت ولما كان هذه المبالغة اعاد الفعل **ثانيتها** كرر النافية فى الامثال الاخيرة دون الاولى لان المنافاة بين الاعمى والبصير

ليست ذاتية كما فى ضاد الحق وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى العينين اعمى بالاخرى **ثالثتها** قدم الاشرف فى مثلين وهو
الظل والحى واخره فى الاخرين ومنع اصل النظام اذ ذلك لرعاية الفواصل والمحققون قالوا انهم كانوا قبل البعث فى ظلمة الضلالة
فصار والنور والايمان فى زمانه محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر ما
لهما من المرجع قدم ما يتعلق بالرحمة لان رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات
فى عدم ادراك الحق فقال وما يستوى الاحياء اى المؤمنون الذين امنوا بما انزل الله والاموات الذين تليت عليهم الايات ولم ينجع فيهم
البينات فاحرمهم عن المؤمنين نوحى دعاباتهم قبل ممات الكافرين المعاندين **رابعتها** انما وحد الاعمى والبصير لان
المراد ان احد الجنسين لا يساوى الجنس الاخر من جهة العمى والبصر ولعل فرد احدهما ان يساوى الفرد من الاخر من جهة
اخرى وكذا الكلام فى افراد الظل والحرور واما جمع الظلمات ووحد النور فلما مر فى اول الانعام من ان الحق واحد والشبهات
كثيرة واما جمع الاحياء والاموات لان المراد ان احد الصنفين لا يساوى الاخر سواء قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد
بالفرد **خامستها** لا يخفى ان هذه الاوصاف بعضها صفت شخص وبعضها صفت ونزل الى وتن ثم سلى رسوله بقوله
ان الله يسمع من يشاء الاية وخلاصتها نظير قوله لك انك لا تسمع الموتى ولهذا اقتصر على ذلك بقوله ان انت الا نذير وكذا فى قوله
الا خلا فيها نذير ليحق الكلام وفرض التهديد مع ان ذكر البشير يدل عليه بل ذكر النذير يدل على مقابلة وللمراد
بالنذارة اثارها الثبوت زمان الفترة ثم زاد فى التسلية بقوله وان يكذبوك ونبه مثله فى اخر ال عمران واما حذف
الناس هنا لبناء الكلام هنالك على الاختصار ودليله انه قال فان يكذبوك فقد كذب فاقتصر على لفظ المضى ولم يتم الفاعل

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن

الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس

والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده

العلماء إن الله عزيز غفور ٥ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا

الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم

أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ٥ والذي أوحينا

إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده

لخبير بصير ٥ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم

ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو
الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله
عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم
خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
ام اتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من

احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير
ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق
المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد
لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة
وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان
عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

القراءة يدخلونها مجهولا ابو عمرو ويجزي مجهولا جهنما كل بالرفع ابو عمرو الباقون بالنون مبنيا للفاعل كلا بالنصب ومكر السيء بهمزة ساكنة حمزة استثقالا للحركات وجعلا المتحركين كالاختلاس واذا وقف يبدل من الهمزة ياء ساكنة

الوقوف مائة للعدد ولدالوانها الاولى ط سود كذلك كذلك العلماء ط غفور لن يتبور لا من فضله ط شكور يديه بصير عبادنا لنفسه مقتصد تفصيلا بين الجامع السبق باذن الله الكبير لانه ابعلة مبتداء لا بدل ولؤلؤا لاختلاف الجملتين حرير الحزن شكور فضله لاحتمال الاستيناف والحال لغوب جهنم لئلا ما قلنا عذابها كفور لاحتمال الواو فيها للقول المحذوف كنا نعمل النذير نصير والارض الصدور في الارض كفره مقتا وان انفقت الجملتان ولكن للتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول في الثاني خسارا من دون الله السموات لاحتمال ان ام منقطعة منه غرورا تزولا لابتداء ما في معنى القسم ومع الواو من بعده غفورا الامم نفورا ومكر السيء باهله الاولين لابتداء الاستفهام مع اتصال الفاء تبديلا تحويلا قوة في الارض قديرا مسمى ط بصيرا

التفسير لما بين دلائل الوحدانية بطريق الاجتهاد ذكر دليلا آخر بطريق الاعتبار لان الشيء اذا كان محتاجا الى بحث تكلفا به نعد وراما اذا كان بارزا منكشفا فانك تقول الا ما تراه والمخاطب اما كلا احدا والنبي لان السيد اذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ما ذكره مع الاول لا التفات فاخرجنا لان نزول الماء يمكن ان يقال انه بالطبع ولكن الاخراج لا يمكن ان يكون الا بالارادة اسند ايضا الاخراج الى نفسه ثم نعمة من الانزال

لان الانوار الغائية الاخراج واختلاف الوان الثمرات اختلاف اصنافها او هيئاتها والجدد الخطط والطرائق فعلة بمعنى مفعول كا
والجد القطع قال جار الله لابد من تقدير مضاف اى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف الوانها في البياض والحمرة لان الابيض
قد يكون على لون الجص وقد يكون ادون من ذلك الحمرة والغرابيب تاكيد للسود الا انه اضمر المؤكد ولا ثم اظهر ثانيا على طريق التفسير وقوله
والمولف العاديات الطيبين وابلغ ما يتصور لاختلاف الالوان فيهما لان السواد اذا كان في الغاية لم يكن تعددها الوان
يقال اسود غربيب للذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ويمكن ان يقال ان المختلف صفة الحمر فقط ومن فرغ
من دلائل النبات وما يشبه المعادن شرع في الاستدلال بالحيوان وقدم الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على العموم ثم خص
الانعام او الدابة الحية العرفى فخص لشرفه دون الانسان ودوا قوله مختلف اى بعض مختلف الوانه وذكر الضمير تغليبا
للانسان او نظرا الى المعنى وقوله كذلك اى كاختلاف الجبال والثمرات وفيه ان هذه الاجناس كما انها في انفسها دلائل فهي
باختلافها ايضا دلائل ومن خاطب نبيه بقوله الم تر بمعنى الم تعلم اتبعه بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال
انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن نظر في دلائله فعرفه حق معرفته او اراد ان يعرفه كنه معرفته لان الخشية على حسب العلم
بنعوت كماله وصفات جلاله وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية له وفائدة تقديم المفعول ان يعلم ان الذين يخشون الله
من بين عباده العلماء دون غيرهم ولو اخر المفعول كان معنا صحيحا وهو انهم لا يخشون احدا الا الله الا ان ذلك غير
مراد ههنا وعن عمر بن عبد العزيز وحكي عن ابي حنيفة انهما قراه برفع اسم الله ونصب العلماء فيكون الخشية مستعارة للتعظيم
اي لا يعظم الله ولا يجل الرجال الا العلماء ثم بين السبب الباعث على الخشية بقوله ان الله عزيز غفور فالعزة توجب الخوف من
اليم عقابه والمغفرة توجب الطمع في نعيمه وثوابه وفيه ان خوف ينبغي ان يكون مخلوطا برجاء ثم مدح العالمين العاملين
بقوله الذين يتلون الاية قال اهل التحقيق قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اى يداومون على
التلاوة اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلوة اشارة الى عمل الجوارح والكل اقسام التعظيم لامر الله ثم اشار الى الشفقة
على خلق الله بقوله وانفقوا مما رزقناهم وقوله يرجون وهو خبر ان اشارة الى الاخلاص في العقايد والاعمال اى ينفقون
في الاحوال لا لنيل اجر كثير او لغرض اخر بل تجارة لا يبار دنيا ولا يبور وهي طلب مرضات الله وقوله ليوفيهم متعلق بلن
تبور اى ينفق عند الله ليوفيهم ثوابا عنده اجورهم ومجوز جار الله ان يجعل يرجون في موضع الحال واللام متعلق بالافعال
المتقدمة اى فعلوا جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة والانفاق لغرض التوفية وخبر ان قوله انه غفور رحيم لهم شكور لاعمالهم
ومن ذكر دلائل الوحدانية اتبعه بيان الرسالة وذكر حقيقة الكتاب المتلو والكتاب الحق فمن للتبعيض وهو القرآن
ومن للتبيين او هو اللوح المحفوظ ومن للابتداء وقد مر في البقرة ان في قوله مصدقا حال مؤكدة وفي قوله ان الله بعباده لخبير
بصير تقرير لكونه مستحقا لان الذي يكون عالما بالبواطن والظواهر لم يمكن ان يكون في كلامه سوء باطل وفيه انه لم يختر محمدا
للرسالة جزافا على سبيل الاتفاق ولكن اختاره لعلمه بحيث يجعل رسالاته وقوله ثم اورثنا الكتاب زعم جمع من المفسرين ان الكتاب
للجنس بدليل قوله فيما قبل جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث الاعطاء والمصطفون بعينه هم الانبياء كانه قال
قد علمنا البواطن وابصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم اورثناهم الكتاب وعلى هذا فالمراد بالظلم على النفس وضع الشيء
في غير موضعه وان كان بترك الاولى ومنه قول ابينا ادم ربنا ظلمنا انفسنا وقول يونس اني كنت من الظالمين واذا كان
الظلم بهذا المعنى جايزا عليهم فالاقتصاد اولى ويجوز ان يعود الضمير في قوله فمنهم الى الامة كانه قيل ان الذي اوحينا
اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبا فمن قومك ظالم كفر بك وبما انزل الناس ومقتصد آمن به
ولم يأت بجميع ما امر به وسابق آمن وعمل صالحا واكثرهم انه القران والايراث الحكم بالتوريث او هو على عادة اخبار الله في

في التعبير عن المستقبل بالماضي لتحققه اى نريد ان نورثه والمصطفون هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم الى يوم
القيمة كقوله كنتم خير امة وكذلك جعلناكم امة وسطا وعلى هذا ففي تفسير الاصناف الثلثة اقوال **احدها** الظالم
راجح السيئات والمقتصد متساوي الحسنات والسيئات والسابق راجح الحسنات **وثانيها** الظالم من ظاهره خير من باطنه
والمقتصد المساوي والسابق من باطنه خير من ظاهره **وثالثها** الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة
والسابق المعصوم **ورابعها** عن علي كرم الله وجهه الظالم انا والمقتصد انا والسابق انا فقيل له وكيف ذلك قال انا
ظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتي **وخامسها** الظالم التالي للقرآن غير العالم به ولا العامل بموجبه وا
لمقتصد التالي العالم غير العامل والسابق التالي العالم العامل **وسادسها** الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وسابعها الظالم من يحاسب فيدخل النار والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة وهم اصحاب الميمنة والسابق من
يدخل الجنة بغير حساب **وثامنها** الظالم من خالف اوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف في غير موضعه وا
لمقتصد هو المجتهد في اداء التكليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذي تحكم بخالف
تكاليف الله بتوفيق الله ويدل عليه قوله في الخير باذن الله وذلك انه اذا وقع الخير في نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس
والمقتصد يقع في قلبه فيرده النفس والظالم يغلبه النفس وبعبارة اخرى من غلبته النفس الامارة وامرته فاطاعها فهو
ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب اخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق
في تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بان المقتصدين اقل من السابقين والظالمون اكثر الاقسام كما قال
وقليل من عبادي الشكور ذلك الذي ذكر من التوفيق او من السبق بالخيرات او من الايراث هو الفضل الكبير قال
جار الله ابدل قوله جنات عدن من الفضل لانها مسببة عنه وكانها هو قلت ويمكن ان يقال جنات عدن مبتدأ لانها
موصوفة بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ولئن سلم انها نكرة فلكن يدخلونها صفة له وخبرها يحلون ثم
ان ضمير يدخلون ان عاد الى الثلثة كما اخترنا اولا فلا اشكال والظالم يدخل النار والمقتصد يكون
امره موقوفا كقوله واخرون مرجون لامر الله او كقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وان
عاد الى الفرق الثلث فبشرط العفو او بشرط التوبة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وفي تقديم جنات عدن وبناء الكلام عليها دون ان يقول يدخلون جنات
عدن ايذان بان الاهتمام ببشارتها اكثر فان نظر السامع على المدخل فيه لا على نفس الدخول وقد مر تفسير العبارة
الاصلية في سورة الحج في قوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات الى قوله حرير وفي تفسير العبارات
في هذا المقام لم يبين هذه العبارة والله اعلم وفي قوله يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج
الجنة تأخير الدخول وفي تحليتهم بالسوار المشاهدة الى امرين **احدهما** الترفه والتنعم **والثاني** انهم لا يحتاجون
فيها الى عمل من الطبخ وتهيئة سائر الاسباب قال جار الله اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق
لساير الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين الذين منهما الحلي وقيل
ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ والحزن للجنس فيعم كل حزن من احزان الدنيا والدين كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون
من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقد خص جمع
من المفسرين بخوف سوء العاقبة او بحزن الافات او بحزن الموت او بهم المعاش حتى قال بعضهم كراء الدار والنعيم

الى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل التفضل وعند المعتزلة العطاء لان الثواب اجر مستحق واجب عندهم والنصب
التعب والمشقة التى تصيب المزاول للامر المنتصب له واللغوب ما يلحقه من الفتور والكلال بعد ذلك قال الاجلاء الله
وقال عزه ان الذى يباشر عملا من الاعمال لا يظهر عليه الاعياء الا بعد ان يستريح فالمراد انهم لا يخرجون من الجنة الى
موضع يتعبون بسبب ذلك ثم يلحقهم الاعياء بعد الرجوع ثم عطف قوله والذين كفروا على قوله ان الذين يتلون
وقوله فيموتوا جواب للنفى والتقدير لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا ويصطرخون يتفعلون من الصراخ وهو
الصياح بجهد وشدة كشان المستغيث وفائدة قوله غير الذى كنا نعمل زيادة التحسر على ما عملوا من غير الصالح
او المراد نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل نحسبه صالحا لانهم كانوا يحسبون انهم يحسنون وفيه اشارة الى انهم
فى الاخرة ايضا ضالون لم يهدهم الله فى الاخرة كما لم يهدهم فى الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا زدت المحسنين
حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن احوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب وافعل بنا ما انت اهله
الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن اهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك العاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وجد
خلاف حال المؤمن هداه فى العقبى كما هداه فى الدنيا حتى دعاه الى الاجابة واثنى عليه بالطيبات عند
الاثابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا لغفور اعترافا بتقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم والحاق الكل
الى فضله تصحيحا بانه لا عمل لهم بالنسبة الى المجازاة قوله اولم نعمركم استفهام فيه توبيخ والحاصل وهى متناول لكل
عمر يمكن فيه المكلف من اصلاح شانه الا ان التوبيخ فى العمر الطويل اعظم عن النبى صلى الله عليه وسلم العمر الذى اعذر الله
فيه الى ابن ادم ستون سنة وروى من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين
الى الستين وقيل ثمانى عشر وسبع عشر وقوله وجاءكم معطوف على المعنى كانه قد عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى وقيل
الشيب فتبين بالجملتين ان القابل موجود والفاعل حاصل والعذر غير مقبول فذوقوا العذاب فما للظالمين
الذين وضعوا اعمالهم فى غير موضعها واتوا بالمعذرة فى غير وقتها من نصير نفى الانصار والناصرين فى اخر ال عمران
وفى الروم ووحد ههنا كانهم فى النار قد ايسوا منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصر الا من نصير واحد
هو الله سبحانه ثم كان السائل ان يسال ما بال الكافر يعذب ابدا وانه ما كفر الا اياما معدودة فلا جرم قال ان الله
عالم غيب السموات والارض وكان يعلم من الكافر ان الكفر قد تمكن فى قلبه بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبده وذات
الصدور مصاحباتها من الظنون والعقايد ذات الصدور باعتبار انها تصحبها وحين ذكرهم بما قرر من انه
سوف يجزيهم بالتعيير وايتاء المعقول وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول وعظهم بانه هو الذى جعلكم
و فقد العاطف ههنا خلاف ما فى اخر الانعام للعدول من خطاب اهل الاخرة الى خطاب اهل الدنيا وقال
ههنا خلائف فى الارض بزيادة فى لفيده تمكن المطعون فى طرفيه لاجل المبالغة والترفع من الادنى الى الاعلى
كانه قيل امهلتهم وعمرتم وامرتم على لسان الرسل بما امرتم وجعلتم خلفاء الهالكين الماضين فاصبحتم
عالم راضين بى فمن كفر بعد هذا كله فعليه وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا فان
الكافر السابق ممقوت واللاحق الذى انذره الرسول ولم ينتبه امقت لانه راى عذاب من تقدمه ولم
يخش ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا فان العمر كراس مال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به
سخطه خسر ثم وبخ اهل الشرك بقوله قل ارايتم وابدل منه ارونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء
ارونى اى جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه ام لهم مع الله شركة فى خلق السموات ام معهم ام اتيناهم كتاب

كتاب من عند الله فهم على برهان من ذلك الكتاب والاضافة فى شركاءكم لملابسة العبادة او المراد
كونهم شركاءهم فى النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم بل ان يعد الظالمون بعضهم
وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم ان هؤلاء شفعاؤنا وحين بين الاصنام اراد ان يبين
كمال قدرته فقال ان الله يمسك السموات والارض اى يمنعهما من ان تزولا او كراهة زوالهما عن مقرهما
ومركزهما ولو فرض زوالهما بامر الله فلن يمسكهما احد بعد زوالهما او من بعد الله وقيل انهما كانتا جديرتين
بان تهدا لهذا العظم كلمة الشرك كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ويؤيد هذا الوجه قوله انه كان حليما
غير معاجل بالعقوبة غفورا لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى وزيف هذا النقل بان المشركين كانوا منكرين للرسالة والحشر
فكيف اعترفوا بان اليهود والنصارى جاءتهم رسل لكنهم كيف عرفوا تكذيب اليهود وتحريفهم
ولم يأتهم رسول ولا كتاب والوجه الصحيح فى سبب النزول انهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم نكذب
وانما ينكر كون محمد رسولا لانه كاذب ولو صح كونه رسولا لامنا وقوله من احدى الامم لتعريف العهد
اى امة محمد وموسى وعيسى او للعموم اى احدى ليس للتفضيل بل المراد انا نكون اهدى مما نحن عليه ونكون
من احدى الامم كقوله زيد من المسلمين او هو للتفضيل واللام لتعريف العهد اى امة محمد وموسى وعيسى او
للعموم اى احدى من كل امة ترتضى ويقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير هو محمد الذى صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة ما زادهم هو او مجيئه الا نفورا الا تباعدا سببا
فى نفارهم عن الحق عنادا وكبرا وانتصب استكبارا على انه مفعول لاجله او حال ويجوز ان يكون بدلا من نفورا
وقوله ومكر السيء من اضافة المصدر الى الصفة معموله اصله وان مكروا السيء اى المكر السيء والمكر هو
مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وهمهم بالقتل او الاخراج وقد حاق بهم يوم بدر او هو عام وعاقبة الماكر وضميمة
يصل اليه جزاؤه عاجلا او اجلا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وفى امثالهم من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وفى قوله باهله دون ان يقول الا
بالماكر اشارة الى ان الرضاء بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج صاحبه فى زمرة اهل المكر وقوله سنة الاولين
من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته الى الفاعل والمراد بها انزال العذاب على
امثالهم من مكذبى الرسل جعل استقبالهم لذلك واستعجالهم اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير
الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشيء من مكان الى مكان اخر خص هذه السورة بالجمع بين الوصفين
لان كثيرا من [illegible] النكرة جاءت ههنا مثناة كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله خسارا وكقوله الا نفورا
استكبارا [illegible] ومكر السيء ويحتمل انه يريد سنة الاولين استمرارهم على الانكار كانه قال انتم تريدون
الاتيان بسنة الاولين والله ياتى بسنته لا تبديل العذاب المعلوم بنوع اخر ولا يحوله عن مستحقه
الى من لا يستحقه ثم امرهم بالمسير ذكرهم ما راوه فى مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق
واليمن من اثار الهالكين الاولين ووفور قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه وتمام قدرته على
ايصال الاصناف الاستحقاقات بقوله وما كان الله ليعجزه اى ليسبقه ويفوته شيء ثم ختم

السورة المتقدمة بما يدل على غاية حلمه وهو انه لا يواخذ الناس بكل جرم الى اجل مسمى هو يوم القيمة
وهو يوم يصير العلم باحوالهم علما عيانيا فيجزى كلا منهم بحسب عمله وقد مر مثل الاية فى سورة
النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد فى الخلق من يؤمن او حين يجتمع الناس على الضلال
والله اعلم بحقايق الاحوال واليه المرجع والمآب

سورة يس آياتها اثنان وثمانون آية مكية حروفها ثلثة الاف كلماتها سبعمائة وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس ۝ والقرآن الحكيم ۝ إنك لمن المرسلين ۝ على صراط مستقيم ۝ تنزيل
العزيز الرحيم ۝ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ۝ لقد حق القول
على أكثرهم فهم لا يؤمنون ۝ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم
مقمحون ۝ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا
يبصرون ۝ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۝ إنما تنذر من
اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ۝ إنا نحن نحيي
الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ۝ واضرب
لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ۝ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ۝ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن
من شيء إن أنتم إلا تكذبون ۝ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ۝ وما علينا
إلا البلاغ المبين ۝ قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
أليم ۝ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ۝ وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ۝ اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ۝
وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ۝ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ۝ إني إذا لفي ضلال مبين ۝
إني آمنت بربكم فاسمعون ۝ قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون ۝ بما غفر
لي ربي وجعلني من المكرمين ۝ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من

الجزء الثالث والعشرون

السماء وما كنا منزلين ۝ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ۝ يا حسرة على العباد
ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ۝ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم
من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ۝ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ۝ وآية لهم
الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ۝ وجعلنا فيها جنات من
نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ۝ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ۝
سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ۝ وآية
لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ۝ والشمس تجري لمستقر لها ذلك
تقدير العزيز العليم ۝ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۝ لا
الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ۝
وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ۝ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ۝
وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون ۝ إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين ۝

القراءة يس بإظهار النون أبو عمرو وسهل ويعقوب غير رويس وابن كثير غير ابن فليح وحمزة وأبو جعفر ونافع غير البخاري عن ورش والحلواني عن قالون وعاصم وابن غالب وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد بالإمالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون بالرفع سدا بفتح السين في الحرفين حمزة وعلي وحفص وابن يزيد فعززنا بالتخفيف أبو بكر وحماد والمفضل أين بالمد والياء أبو عمرو وقالون ويزيد مثله إلى بالقصر ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ابنهم حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقرأ المفضل ابن علي وزن كيف أن يسكن النون وبالمد يزيد مثل أأنذرتهم ذكرتم بالتخفيف يزيد ومالي بسكون الياء حمزة ويعقوب وسهل ينقذون في الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل إني إذا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو إني آمنت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو إلا صيحة واحدة بالرفع وكذلك ما بعدها يزيد لما بالتشديد ابن عامر وحمزة وعاصم الميتة أبو جعفر ونافع عملت بغير هاء الضمير حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل لمستقر بكسر القاف زيد عن يعقوب والقمر بالرفع على الابتداء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ونافع ويعقوب غير رويس الآخرون بالنصب إضمارا على شريطة التفسير ذرياتهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب **الوقوف** يس كوفي الحكيم لا بجواب القسم المرسلين لا لأن الجار والمجرور خبر بعد خبر أو هو مفعول ثان لمعنى الفعل في المرسلين أي أرسلت على صراط مستقيم على القراءتين من نصب تنزيلا تنزيل أو لمعنى نزل ومن رفع فالتقدير هو تنزيل الرحيم لتعلق لام كي بمعنى التنزيل أو الإرسال غافلون لا يؤمنون مقمحون لا يبصرون بالغيب لانقطاع النظم مع دخول الكلام وآثارهم مبين القرية لا لأن إذ ليس ظرفا لاضرب بل التقدير واذكر إذ جاءها وجوز في الكشاف أن يكون إذ بدلا من أصحاب القرية فلا وقف المرسلون لا لاحتمال كون إذ بدلا أو

معقولا لعامل اخر مضمر هم يسلون شلنا من شي لاتخاذ القول نبيها يكذبون الم سلوا المبين الم للابتداء في معنى القسم
مع اتخاذ القول الم معكم ذكرتم مسرفون المرسلين لان اتبعوا بدل من الاول مهتدون الجزء الثالث والعشرون يرجعون
ولا ينقذون للالتباس بانه مع اذا ايمانهما اي ان اذا اتخذت الهة لفي ضلال مبين فاسمعون لان المتذنب فلم يسمعوا قوله
فقتلوه ثم قيل ادخل الجنة يعلمون لتعلق الباء المكرمين منزلين خامدون العباد لانه ما بعده يصلح السيئا وحالا لا
معنى الفعل في حسرة يستهزئون لا يرجعون محضرون تاكلون العيون ثمره لمن جعلها نافيه ومن جعلها موصولا لم يقف بايديهم
يشكرون لا يعلمون مظلمون لها العلم لمستقر والقمر بالرفع القديم النهار يسبحون المشحون يركبون ينقذون حين

التفسير الكلام الكلي في فواتح السور تقدم اول البقرة وغيرها والذي يختص بالمقام ما قيل ان معناه يا سيد او يا انسان
وانتصر على النقص رواه جابر الله عن ابن عباس ولا يخفى ان الذا على هذا يجي لمحمد صلعم ويؤيده قوله انك لمن المرسلين
ولكن انما يفعل القسم بعد الحلم القسم الا لد كيلا يقول انك ... تنزه جداك وانت في نفسك حتى يضعف مقالك وايضا الابتدا
بمجموعه النبي يدل على ان المقسم عليه امر عظيم والامر العظيم يبنى في الدواعي على الاصغاء اليه وكان العرب يتحرزون من
الايمان الفاجره ويقولون انها تدع الديار بلاقع وكان من المعلوم ان النبي واصحابه يعظمون القران غاية التعظيم وكان النبي
به موثوقا عليه عند الكفرة وقوله على صراط كالتاكيد لان المرسلين لا يكونون الا على النهج القويم وتنكير صراط للتعظيم ...
دليل على فساد قول المباحيه القائلين بان المكلف اذا اصاب واصلا لم يبق عليه تكليف فان المرسلين لم يستغنوا عن رعاية
الشريعة فكيف غيرهم قوله ما انذر اباؤهم كقوله في القصص لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقد مر انه يشمل اليهود
والنصارى لان اباءهم الادنين لم ينذروا بعد ما ضلوا فهم غافلون لهذا السبب وقد قال ان ما مصدريه او موصولة اي ابرسلت
لتنذرهم انذرة اباؤهم فانهم في غفلة فعلى هذا كونهم غافلين سبب باعث على الانذار وعلى الاول عدم الانذار سبب غفلتهم
ثم بين ان السبب الحقيقي للغفلة هو انه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم ومن زمرة اهل النار وهو قوله فيهم لاملان
جهنم منك وممن تبعك او اراد بالقول سبق علمه فيهم وفي امثالهم لا يؤمنون وقيل اراد ان القول بالدعوة بلغ اكثرهم ولكنهم
لا يؤمنون جحودا وعنادا او ذلك ان من يتوقف على استماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان اذا بان له البرهان اما بعد البيان
والوضوح فلا يكون عدم الايمان الا للمكابرة وحين بين انهم لا يؤمنون ذكر ان ذلك من الله تعالى فقال انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فيكون مثلا لتصميمهم على الكفر بالطبع والختم وقيل انه اشارة الى امساكهم وانهم لا ينفقون في سبيل الله كما قال
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وعلى هذا يمكن ان يكون معنى قوله فهم لا يؤمنون انهم لا يزكون كانه عبر بالايمان عن الزكاة
كما عبر به عن الصلوة قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا
يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد
فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله ... فان المعلوم بكون ايديهم مجموعة الى العنق ولذلك يسمى الغل جامعة
اي جامعا لليد والعنق وقالت الجامعة للمبالغه ادونا ويل الاية وقيل فاختاره في الكشاف انه يرجع الى الاغلال اي جعلنا
في اعناقهم اغلالا لا ثقالا غلاظا بحيث يبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطي راسه فلا يزال مقمحا الذي يرفع راسه
ويغض بصره ومنه اقمحت السويق اذا استففته والكانونان شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما
وكيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية قيل المغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحا رافع الراس لا يبصر
الطريق فضرب ذلك مثلا للذي يهدى به النبي الى الصراط المستقيم العقلي وهو لا يبصر بنظر بصيرة ويمكن ان يجعل الكناية عن عدم
التصدق بتحريك الراس ويقال بعير قامح اذا رفع راسه فلم يشرب الماء والايمان كالماء الزلال الذي به الحيوة ثم ضرب مثلا اخر لكمال
عمى مستقبحين سبيل الرشاد وذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا قال اهل التحقيق المانع اما ان يكون في النفس وهو الغل
فلا يرسل ايات الانفس واما ان يكون خارجا عنها وهو السد فلا ينتفع لهم دلايل الافاق ويمكن ان يقال السد من قدام اشارة الى
عدم العلوم النظريه ومن خلف اشارة الى عدم فطنتهم الغريزيه او الاول اشارة الى الغفلة عن احوال المعاد والثاني اشارة
الى الغفلة عن المبدا وفيه ان السالك اذا انسد عليه الطريق من قدامه ومن خلفه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة فانه
يهلك لا محالة ثم زاد في التاكيد بقوله فاغشيناهم اي جعلنا بعد ذلك كله على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا ويحتمل
ان يكون الاغشاء اشارة الى ان السد قريب منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة فان القرب القريب مانع من الروية لا يرون السد

ولا غيره ولذلك قال فهم لا يبصرون وعلى هذا يكون ذكر السد من خلف تاكيدا على تاكيد فان الذي جعل من بين يديه ومن
خلفه سدان ملتزقان لا يمكنه التحرك يمنة ويسرة ولا النظر الى السد ولا الى غيره ويمكن ان يقال فايدة لتعميم المنع من انتهاج
المسالك المستقيمة لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين او الى جانب الشمال صاروا متوجهين الى شي ومولين عن شي
وهكذا ان قصد الرجوع فهو ذو جهتين فان الشي من جانبي الجهتين عادة ثم صرح بالمقصود معطوفا على الذكريات قائلا وسواء عليهم الا
بيّن وتدبر اعرابه وسائر ما يتعلق بتفسيره في اول البقرة ولا يخفى ان الانذار وعدمه بالنسبة الى النبي صلعم غير مستويين فان الانذار
سبب لزيادة سيادته وسعادته عاجلا واجلا ثم بين بقوله انما تنذر ان عدم فايدة الانذار انما هو بالاضافة الى المطبوع على قلوبهم
الذين تقدم شرح حالهم وبيان ان امثالهم لا الى المنتفعين به والذكر القران او ما فيه من المواعظ والحكم والدلايل وفي ذكر الخشية
مع تعقيبه باسم الرحمن اشارة الى انه وان وصف بلطفه مع كونه ذا هيبة لا تنقطع رجاوكم والغيب ما غاب عنا من احوال
القيمة وغيرها فيتلى اي بالدليل وان لم ينته الى العيان فعند الانتهاء الى ذلك لم يبق للخشية فايدة ومعنى الفاء فبشره انك
انذرت وقفت فبشره بمغفرة واسعة واجر كريم لا يكتنه كنهه وكان المغفرة بازاء الايمان والاجر الكريم بازاء العمل الصالح او الاول
لاتباع الذكر والثاني للخشية وحين فرغ من بيان الرسالة شرع في اصل الحشر قائلا انا نحن نحي الموتى على ان البشارة بالمغفرة
والاجر لا يتم الا بعد ثبوت الاعاده وهكذا اخشية الرحمن بالغيب يناسب ذكر احياء الاموات والظاهر انه نحن لتاكيد
ضمير الفصل ويجوز ان يكون مبتدا والفعل خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون نحن خبر ان كقول القايل عند الافتخار بالسيرة انا انا
كان الله سبحانه قال انا نحن معروفون بادوصاف الكمال واذا عرفتنا انفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء الموتى وهذا التركيب ايضا اشارة
الى التوحيد اي ليس غيرنا احدا مثلنا حتى يقول انا كذا فمثلا ثم اشار الى العلم التام الذي يتوقف عليه المجازاة فقال
ونكتب ما قدموا اي اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وقيل بالارادة ما قدموا وما اخروا فاكتفى باحدهما كقوله
سرابيل تقيكم الحر والصحيح انه لا حاجة الى هذا التقدير لان قوله واثارهم يدل عليه والمراد بها ما هلكوا فيه من اثر حسن
كعلم علموه او كتاب صنفوه او تفعة خير عرفها او ترسي اكبد عة بطلانه والاثر مداه وقيل هي اثار المشائين الى المساجد
اراد بنو سلمة النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فقال لهم رسول الله صلعم عليكم دياركم فانما يكتب اثاركم وعن عمر بن عبد العزيز
لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي بعفيها الرياح اي يمحوها وقيل اراد ونكتب ما قدموا من نياتهم فانها قبل الاعمال
واثارهم اي اعمالهم سوال كيف قدم الكتابة على احياء الموتى ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم للاجل الجزاء الجواب لان
الكتابة ليست مقصودة بالذات وانما المقصود الاصلي هو الاحياء للجزاء ولم يكن احياء واعادة لم يكن للكتابة اثر وايضا
قوله انا نحن دال على العظمة وايضا اراد ان يرتب على كتابة الاعمال قوله وكل شي احصيناه ومعناه ان قيل هذه الكتابه
كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوا فيه بيان ان الكتابة مفردة
بالحفظ والاحصاء مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط ذهنيه يفهم بعد تخصيص كانه قال ليست الكتابه مختصة بافعالهم
وانما هي لكل شي والامام اللوح لان الملائكة يتبعون ما كتب فيه من اجل ورزق وامانة واحيا والمبين المظهر للامور والفارق
بين احوال الخلق وحين بين ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه لانه لا يؤمن قال لنبيه لا تاس واضرب
لنفسك ولقومك مثلا اصحاب القرية وهي انطاكية الروم والمرسلون رسل عيسى الى اهلها في قوله اذ ارسلنا اليهم دلالة
على ان رسول الرسول رسول وانه يد متسلة فقصيه لوحي انه لكل الوكيل بانه الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل
الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وكانه اراد ارسل اثنين ليكونا قولهما على قوم ما من عند عيسى حجة تامة وكان
رسولنا صلعم يكتفي بواحد في الاغلب كعاد وغيره فهمهما بعلم ترجع هذه الامة واسيا القصة ان عيسى عليه السلام
ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينه راما شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسالهما فاخبراه فقال اما ايتكما قالا نشفي
المريض ونبري الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما
خلق كثير ورفع خبرهما الى الملك فاحضرا فلما سمع قولهما قال الناالهاسوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فحبسهما حتى
ينظر في امرهما فبعث عيسى شمعون وذلك قوله سبحانه فعززنا بثالث من قرا بالتشديد فمعناه قوينا الرسول بثالث ومن
قرا بالتخفيف فمن العزة اي فغلبنا وقهرنا اهل القرية وانما ترك ذكر المفعول لان الغرض ذكر الثالث والعناية بذكره
اهم وان تطلبه فهو لك حكم السلطان اليوم بالحق العرض الذي يستفاد له الكلام تو كل بالحق فلذلك ترك ذكر المحكوم

له والمحكوم عليه واما باقي القصة فان شمعون دخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولان فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال
شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شي وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال وما آيتكما قالا ما تتمنى الملك فدعا
بغلام مطموس فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون
يا ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة ان تصنع مثل هذا فقال الملك انت لا يخفى عليك انها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا
تنفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم فقال شمعون فالحق اذا معهم فآمن الملك وبعض
حاشيته وبقي آخرون على الكفر فاهلكوا بالصيحة قال اهل البيان يجب زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار
من السامع فلهذا قال الرسل اولا انا اليكم مرسلون مقتصرين على ان وثانيا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون مجموعا بين ان واللام وما يجري
مجرى القسم ولا يخفى ان البيت بعد اظهار البينة والخام الخصم موكد قوي كانه في ادلة الحسن في قوله وما علينا الا البلاغ المبين
تسلية لانفسهم اي تخرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق الا التفكر منكم والتذكر وحيث اكد الرسل قولهم بالبيت اكد الكفار
قولهم بالتطير فمن عادة الجهال ان يتيمنوا بكل ما يوافق طباعهم وهواهم ويتشاءموا بكل ما كرهوه وكانهم قالوا في الاول كنتم كاذبين
وفي الثاني صرتم مغرورين على الكذب حالفين بالايمان الكاذبة التي تدع الديار بلاقع فتشاءمنا بكم ولئن كنتم كذلك لئن لم
تنتهوا لنرجمنكم بالقول او الحجارة وليمسنكم بعد ذلك او وبسبب الرجم بالحجارة المتوالية الى الموت عذاب اليم قالوا طائركم اي
سبب شؤمكم وهو كفركم ومعاصيكم اإن ذكرتم يعني انتطيرون ان ذكرتم ومن قرأ اين على ذكرتم كيف ذكرتم
بالتخفيف فالمراد شؤمكم حيث جرى ذكركم فضلا عن المكان الذي حللتم فيه ثم ان الرسل كانهم قالوا لهم انحن كاذبون ام
نحن مشؤمون بل انتم قوم مسرفون في عصيانكم او ضلالكم فمن ثم اتاكم الشؤم وجاء من اقصى المدينة رجل هو حبيب
النجار الذي مر ذكره نصح قومه فقتلوه وقبره في سوق انطاكيه وقيل كان في غار يعبد الله عز وجل فلما بلغه خبر
الرسل اتاهم واظهر دينه وداوم الكفرة فوثبوا عليه فقتلوه وعن رسول الله صلعم سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين
علي بن ابي طالب وصاحب يا سين ومؤمن آل فرعون ومن هنا انه قال امن بمحمد صلعم قبل ولادته وذلك انه سمع نعته من الكتب
والعلماء وتنكير رجل للتعظيم اي رجل كامل في الرجولية او ليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث امن بهم رجل
من الرجال لا معرفة لهم به وكان بعيدا من التواطؤ وقوله من اقصى المدينة ايضا يفيد مثل هذا او انهم افرطوا في التبليغ
والانذار حتى بلغ خبرهم الناس والاقاصي السعي يعني المشي او بمعنى القيام في الهام اي يهتم بشان المؤمنين ويسعى في
نصرتهم وهو انتم ونفعهم ثم حثهم على الرسل ولم يقل اتبعوني كما قال مومن آل فرعون اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
لانه جاءهم ونصحهم في اول مجيئه وما راوا سيرته بعد فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل
فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار الايمان وقدم النصيحة اظهارا للشفقة وقد روي انه كان يقبل ويقول
اللهم اهدي قومي ثم اكد وجوب الاتباع بانهم في انفسهم مهتدون ولا يبتغون اصلا في الدلالة ووجب اتباع الدليل
الذي ضل عن سواء السبيل مركوز في العقول ثم ابرز الكلام في معرض النصح لنفسه وهو يريد مناصحة
قومه فقال الحكيم الذي يطري اشارة الى وجوب المقتضي وقوله وما لي اشارة الى عدم المانع من جانبه فان كل امرء
علم بحال نفسه والمقتضي وان كان مقدما في الوضع والطبع على المانع الا ان المقتضي ههنا لظهوره كان مستغنيا
عن البيان لما تقدم على عدم المانع لاجل البيان ولهذا لم يقل وما لكم لا تعبدونه كيلا يذهب الوهم انه لعلة
يطلب العلة والبيان وانما عبد في سورة نوح مالكم لا ترجون لله وقارا لان القائل هناك داع لامة مجدو او كان
الرجل قال مالي لا اعبد الذي وقد طلب مني ذلك وفي قوله واليه ترجعون بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل واليه ارجع
كانه جعل نفسه ممن يعبد الله لذاته لا لرغبة او رهبة ثم اراد كمال التوحيد فقال أأتخذ من دونه الهة
نفي له مالي لا اعبد الذي فطرني فيه اقرار بوجود الصانع الناظر وقوله أأتخذ على سبيل الانكار نفي لغيره ممن يسمى الها
وبهاتين معنى لا اله الا الله ثم عرض على عقولهم جهل عابدي الاصنام بانهم لا تغن عني شيئا من ضر ولا على ايصال
نفع وفي ترتيب الكلام فيه على ترتيب ما يقع بين العقلاء فان الذي يريد ان يدفع الضر عن شخص يقدم على الشفاعة
له فان قبلت والا انقذه اي خلصه بوجه من الوجوه قال بعض المفسرين لما قتل القوم عليه بريده قتله اقبل هو على

اتباع

المرسلين

٤

المرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعون قولي لتشهدوا لي واما قال بربكم ولم يقل بربي ليتعين انه امن بالرب الذي دعوا
اليه وقال الكرخي الخطاب للكفار وعلى هذا فالمراد بيان التوحيد اي ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم فاسمعوا
قولي واطيعوني وفي قوله قيل ادخل الجنة وجهان احدهما انه قيل ثم لما كان فالاول سال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب
في نصرة الدين حتى بذل لها مهجته فقيل قيل ادخل والقائل هو الله سبحانه او الملائكة بامره قال جار الله لم يقل قيل له لانصباب
الغرض الى المقول وعظم لشأنه ولانه معلوم ثم كان سائلا آخر سال اي شي تمنى في الجنة فقيل قال يا ليت قومي يعلمون وانما تمنى
علمهم بحاله ليصير ذلك سببا لهم في التوبة والايمان ليفوزوا بما فاز به ماروي في حديث مرفوع انه نصح قومه
حيا وميتا ويحتمل ان يكون سبب التمني وهو ان ينتبهوا على خطائهم في امره وعلى صوابه في رايه وان عداوتهم
لم يعقبه الا استعادة وكرامة والثاني ان الرسل بشروه وهو حي بدخول الجنة فصدقهم وتمنى علم قومه بحاله فيؤمنوا
كما امن وما في قوله بما غفر مصدرية او موصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب او استفهامية يعني باي شي غفر لي اراد
ما جري بينه وبينهم من المصابرة والتعب من المدين الا ان طرح الالف اجود يقول القائل علمت بم صنعت هذا احسن من قوله
بما صنعت فقوله غفر لي ربي وجعلني من المكرمين باراد قوله بشر بمغفرة واجر كريم اشار الى كيفية اهلاك قومه
من بعده قائلا وما انزلنا على قومه قال المفسرون يحتمل ان يريد بقومه الذين بقوا من اهل القرية بعد المومنين منهم والذي بدت
به اذاية فلعل بعضهم من قوم الرسل امنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال وما كنا منزلين اي وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في
اهلاكهم جندا من السماء ومن هنا يعلم تفضيل نبينا صلعم على غيره فقد انزل الله لاجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق
وحنين وما انزلنا للعموم من بني مفضلا عن جنت فشتان بين حبيب النجار وبين حبيب الجبار والحاصل انه تعالى يقول المجد
صلعم ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يوهل لمثلها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك من قرأ الا صيحة بالنصب اراد ما كانت الاخذة
او العقوبة الا صيحة ومن قرأ بالرفع على كان التامة فمعناه ما وقعت الا صيحة قال جار الله ولكنه نظر الى ظاهر
اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل قلت يجوز ان يقدر ما حدثت عقوبة وقيل ان التانيث للمقول الواقعة ولهذا جاءت
اسماء الحشر كلها مونثة ووصف الصيحة بواحدة للتاكيد وقرأ ابن مسعود الا زقية وهي الصيحة ايضا ومنه المثل اثقل من
الزواقي والزاق صياح الديك ونحوه وذلك ان عند صياح الديكة يترك الانس ويتبدل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهي
صيرورتها رمادا لانهم كانوا كالنار المتوقد في القوة العصبية حيث قتلوا من نصحهم وتجروا على من اظهر المعجزة لديهم ثم بين
بقوله يا حسرة انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين ومن الله عز وجل على سبيل الاستعارة وذلك
لتعظيم ما صدر من نقصيرهم وبدر من تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله ما ياتيهم الاية ثم عجب من حالهم في عدم
الاعتبار بامثالهم من الامم الخالية وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا التقدير الم يعلموا القرون الكثيرة
المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم والبدل بدل الاشتمال لانه حال من احوال المهلكين اي اهلكناهم بحيث لا رجوع لهم
اليهم والرجوع حسي وهو ظاهر او معنوي وهو الرجوع بالنسب والولادة اي اهلكنا وقطعنا نسلهم ومن قرا بالتشديد
فبمعنى الا وان نافية ومن قرا بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وان كلهم لمحشرون مجموعون لمحضرون للحساب يوم
القيامة قال في الكشاف وكيف اخبر عن كل بجميع واجاب انهما ليسا بواحد بل الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام
وان المحشر بجمعهم ويحتمل ان يقال الغرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل ثم ذكر البرهان
على الحشر وعلى التوحيد ايضا مع تعداد النعم متذكريها قائلا واية لهم الارض الميتة قال المحققون انما قال لهم لان
الارض ليست اية للنبي ولغيره من اهل الاخلاص الذين عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله اولم يكف
بربك انه على كل شي شهيد وقوله احييناها استيناف بيان لكونها اية وكذلك نسلخ ونحوه ان يكونا
وصفين على نيا سنحوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون تقديم الجار للدلالة على ان الحب هو
معظم قوة الانسان وبه قوام معاشه عادة فنفس الارض اية فانها مهد الذي منه تحركهم ولسكانهم
والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم سواء كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم ثم احياؤها بخضرة
نعمة ثانية فانها احسن دارا ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فانه قوتهم اذا كانوا في مكانهم كما اجمع للقوة والفراغ
ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان مدار السماء

يعمل الوقوف بتردده في كل حين بذلك كالشي المدخر القريب التناول والضمير في قوله ثمره يعود الى الله تعالى بطريق الالتفات
ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار لا توجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل ان يعود الى المذكور وهو الجنات
او الى النخيل وترك ذكر الاعناب لان حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه بسياق الكلام اي ليأكلوا من فوائد التفجير
وهي اعم من الثمار ويشمل جميع ما ذكره في قوله انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وابا قوله وما عملته ايديهم من قرأ بغير
هاء الضمير فما موصوله او مصدريه اي ليأكلوا من ثمر المذكور ومن ثمر ما عملته ومن ثمر عمل ايديهم او نافيه اشارة الى ان الثمر
خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه ومن قرأ مع الضمير فما موصوله والضمير لها او نافية والضمير للتفجير
او للمذكور ومعنى عمل الايدي ما يتكلفه الناس من الحرث والسقي وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة فان كانت نافية
فالمراد الايجاد والخلق وقيل عمل الايدي التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله سبحان الذي خلق الازواج
اي الاصناف والمراد بقوله ومما لا يعلمون ازواجا لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة ومالا يعلم وجوده بحكمته
الا هو فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قلت الازواج عموم فيه دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله لان افعالهم
اعراض وهي داخلة تحت الاجناس وقوله مما تنبت لا يخرجه عن العموم لان قوله في حم الذي خلق الازواج كلها من غير تقييد
ثم حين فرغ من الاستدلال بالمكان شرع في الاستدلال بالزمان ومعنى نسلخ النهار من الليل نميزه منه قال جار الله اصله
من سلخ جلد الشاة اذا ازال الجلد عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه من مكان الليل موضع الكتاب ظلمه ومعنى مظلمون
داخلون في الظلام اي لا بد لهم ان يبقوا خلوا في الظلام اذ ذاك يفيد يدل على دفعه وفيه ان الليل كالعرض والمحل يطرا عليه
النور تارة ويزول عنه اخرى ثم لما كان لقائل ان يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال والشمس تجري
لمستقر لها وهو وقت تنتهي اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره الا ان المسافر له قرار بعد ذلك وهذا لا نهاية
الحصول في ذلك الحد ولكنها تستأنف الحركة منه وهو اول الحمل او احد الخافقين او احدي الغايتين في تباعدها فلك
يصف النهار وتارة لها ادعى ذلك من الاعتبارات وقيل المراد بالمستقر بيتها وهو الاسد وقيل المراد مستقرها وهو فلكها
اي هو الدائرة التي عليها حركتها الخاصة وقال الحكيم اراد لامر لو يجد لا تستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وقيل
المراد الوقت الذي ينقطع جريها وهو يوم القيامة وقيل انه اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه قال ان الشمس تجري
تطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو افق المغرب خاصة ذلك الجري على الوجه المذكور
تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم بمبادي الامور وغاياتها ثم ذكر من سير القمر وتقدم في اول
سورة يونس في قوله وقدره منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وهو فعلون من
الانعراج الانعطاف قال الزجاج والقديم ما تقادم عهده ويختلف بحسب الاعيان فلا يقال للمدينة بنيت من سنة وسنتين
هي قديمة وقد يقال بيت قديم وان لم يكن له سنه واطلاق القديم على العالم لا اعتقاد لانه موهم الاعم من يعتقد انه لا اول
وقال في الكشاف القديم المحول وهو اقل ما يوصف بالقديم فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته
عتق منهم من مضى له حول او اكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه القمر اخر الشهر به من الوجوه الثلاثة
ثم بين ان لكل واحد من النيرين حركة مقدرة وسلطانا في حاله فلا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ليبطل طرايبها عن سيره
فلا الليل اي ولا يسبق اية الليل وهو القمر اية النهار وهي الشمس اي لا يداخل القمر الشمس في سلطانها وقيل اي اذ
ان الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشارة الى الحركة اليومية التي بها يحدث الليل والنهار كان القمر لا يسبق الشمس
بهذه الحركة لانهما تشملهما على السواء وهكذا الجميع الكواكب فلا يقع بسببها تقدم ولا تأخر ولهذا لم يقل يسبق على قياس
يدرك اي ليس من شأنه السبق اذ الكواكب كانها كلها ساكنة بهذه الحركة واقول احتمل ان يراد لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا القمر ينبغي له ان يتخلف فحذف من احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وكذا الكلام
في قوله ولا الليل سابق النهار اراد ولا النهار سابق الليل اي لا يدخل شيء منهما في غير وقته سلمنا ان المراد
بالليل والنهار ايتهما لكنه يمكن ان يقال انه اشارة الى الحركة الدورية لانه لما قال ان الشمس لبطؤ سيرها لا تدرك
القمر فهم منه ان القمر يسبق الشمس بحركته واشار الى ان هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامة ولكنه
سبق هو بعينه موجب للقرب وهذا معنى قول اهل الهيئة ان الكواكب هاربة عن منطقة ما طالب لها بعينه واما قوله

وكل

وكل في فلك يسبحون فقد مر تفسيره في سورة الانبيا ولما بين ما هو كالضروري لوجود الانسان من المكان والزمان
وما يتبعه ولا يسبقه شرع في تقرير ما هو نافع لهم في احوال المعاش قال بعض المفسرين اراد بحمل الذرية حمل ابائهم وهم في اصلابهم
والفلك فلك نوح ومثله هو ما يركبون الان عليه من السفن والزوارق قال جار الله انما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان
عليهم فادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمه في سفينة نوح ولولا ذلك ما بقي للادمي نسل ومن فوائد
ذكر الذرية ان من الناس من لم يركب السفينه طول عمره ولكن في ذريته من يركبها غالبا وذهب اخرون ان المراد حمل اولادهم ومن يهمهم
حمله كالنسا فقد يقع اسم الذرية عليهن لان منهن مزارع الاولاد وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النسا وكانه قيل
انا كما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره وعلى هذا يكون قوله وخلقنا لهم من مثله اعم لما ومثل الفلك ما يركبون
من الابل لانها سفاين البر ووصف الفلك بالمشحون يزيد تقريرا للمقدم فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب في الماء
الطبيع ثم ذكر ما يؤكد كونه فاعلا مختارا فقال وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم وهو مصدر وصفه اي لا اغاثة او لا مغيث
وقوله الا رحمة اشارة الى ان الانقاذ رحمة بالنسبة الى المومن ومتاع الى حلول الاجل بالاضافة الى الكافر والمراد ان احدا
لا يتخلص عن الموت فان سلم من الافات فهو لله در القايل شعر ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام
التاويل يس اشارة الى انه بلغ في السياده مبلغا لم يبلغه احد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم وفيه انه لعزته لا يحتاج الى
تنزيل القران ولكن برحمته اقتضت ذلك نحيي الموتى ونكتب ما قدموا من الانفاس المتصاعدة ندما وشوقا واثارهم خطا
اقدام صدقهم واثار دموعهم على خدودهم اصحاب قرية القلوب اذ ارسلنا اليهم اثنين من الخواطر الروحانية والالهامات
الربانية بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبوهما النفوس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبات انا تطيرنا
بكم لان النفس وصفاتها لا توافقها ما يدعوا الالهام بالجذبة اليه طائركم معكم لان النفس خلقت من العدم على خاصيتها
المشؤمة رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا يسئلكم اجرا الا انه لا مشرب له من مشاربكم قيل ادخل الجنة وهي
عالم الارواح وهو كقوله يا ايتها النفس المطمئنة الى قوله وادخلي جنتي على قومه من بعده اي بعد رجوع الروح الى الحضرة
ما انزل الى النفس وصفاتها ملايكة من السماء لانهم لا يقدرون على النفس واصلاح حالها فان اصلاح حالها موتها بالموت
هو الله صيحة واحدة من وارد حق فاذا هي يعني النفس وصفاتها خامدون مبنون عن انانيته بهوينه الم يروا كم
اهلكنا اشارة الى ان هذه الامة خير الامم تشكل معهم من كل امة وما شاكلهم من غير شكايتهم واية لهم القلوب الميتة احييناها
بالطاعة ونخيل الاذكار واعناب الاشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الازواج
من الاباء العلوية والامهات السفلية مما تنبت الارض البشرية بازدواج المكان والنون ومن انفسهم بازدواج الروح والقلب
ومما لا يعلمون من تاثير العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رات ولا اذن سمعت واية لهم الليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية
فاذا هم مظلمون بظلمة الخلقة فان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وشمس نور الله تجري لمستقر لها وهو
قلب المستغرق فيه بنشاط سير نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القران واسامي هذه المقامات
الطلب والبر والتوبه والثبات والجهد والخلوة والدنانه والذلة والزانه والرافه والسلامة والشوق والصدق والصبر
والظما والعشق والغيرة والفتوة والقربه والكرم واللين والمروءة والنهي والولاية والهداية واليقين فاذا قطع كل المنازل
عاد كالعرجون القديم فعاد يتخلق بخلق القران كما قال لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وهو اخر المنازل للمقامات فان القائف بالالف الحق
وحكم ابتدائه يثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية وعلى هذا تعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص نوره
بحسب دنوه من شمس شهود الحق الى ان يتلاشى ويختفي وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا صلى بقوله الفقر
فخري ثم اشار بقوله لا الشمس ينبغي لها ان الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا ثم ذكر ان العوام محمولون في سفينة الشريعة والخواص
في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة ارباب الطريقة ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ وان نشا
نغرق العوام في بحر الدنيا والرخص والخواص في بحر الشبهات والاباحة والله اعلم بالصواب

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ
يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً
وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝
قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِنْ
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ۝ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ
رَبٍّ رَحِيمٍ ۝ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ
مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝
اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا
وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا
يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى
الْكَافِرِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝
وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ

نصرهم

نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝
أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ۝
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

القراءة يخصمون بفتحتين ثم كسر الصاد المشددة ابن كثير وورش وسهل ويعقوب واصله يختصمون ادغم التاء في الصاد بعد نقل حركتها الى الخاء وقرا ابو جعفر ونافع غير ورش بسكون الخاء وقرا ابو عمرو باشمام الفتحة قليلا وقرا حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من الخصم ثلاثيا الباقون بكسر الخاء للاتباع وتشديد الصاد وروى خلف عن يحيى اتباع الخاء والتشديد شغل بضمتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر ويزيد ويعقوب فكهون وبابه بغير الف يزيد ظلل بضم الظاء وفتح اللام حمزة وعلي وخلف على انه جمع ظلة الاخرون جمع ظل جبلا بضم الجيم وسكون الباء ابن عامر وابو عمرو وقرا ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل بكسرتين واللام مشددة وقرا يعقوب بضمتين والتشديد الباقي بضمتين والتخفيف ننكسه مشددا حمزة وعاصم غير المفضل الاخرون بالتخفيف من النكس تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب لتنذر على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب بقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي **الوقوف** ترحمون ه معرضين ه رزقكم الله لا لان ما بعده جواب اذا المعنى لاتحاد القول وليلا يبتدأ بما لا يقوله مسلم ومن جاز الله ان يكون قوله ان انتم قول الله او حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين صادقين يخصمون يرجعون ينسلون مرقدنا ليلا يوهم ان هذا صفة وما بعده منفي وفيه وجوه اخر نذكرها في التفسير المرسلون محضرون تعملون فاكهون لاحتمال ان هم تاكيد الضمير وازواجهم عطف عليه وفي ظلال ظرف فاكهون وللاحتمال ان ما بعده مبتدأ وخبر متكئون يدعون لانه امنى الحتمل ان يكون سلام اخبر محذوف اي عليهم سلام بقول قولا وان يكون سلام بدل مايدعون اي لهم ما يتمنون وهو سلام لحق الحذف رحيم المجرمون الشيطان لان التقدير فانه مبين للعطف اعبدوني مستقيم كثيرا تعقلون توعدون تكفرون تكسبون يبصرون يرجعون في الخلق له مبين الكافرين مالكون ياكلون ومشارب يشكرون ينصرون نصرهم لان الواو للحال محضرون قولهم ليلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار يعلنون مبين خلقه رميم مرة عليم لان الذي بدل الذي في توقدون مثلهم لانتهاء الاستفهام العليم فيكون ترجعون

التفسير لما بين الآيات المذكورة حكى انهم في غاية الجهالة ونهاية الضلالة لا يمتثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا كالعوام الذين يبنون امورهم على الاحوط اذا الذي يهم منكر وانتهوا عن ارتكاب المنهي حزنا من مضرته وطمعا في منفعته واليه الاشارة بقوله لعلكم ترحمون اي في ظنكم فان الذي لا ينقيه الايات يقينا فلا اقل من انه يحترز العذاب ويرجوا الثواب اخذا بطريقة الاحتياط ونظير الاية ما مر في اول سورة سبا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد اراد ما تقدم من ذنبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من وقائع الامم وما خلفكم من امر الساعة وقيل ما بين ايديكم الاخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها

ما بين ايديكم من انواع العذاب كالحرق والغرق المدلول عليه بقوله وان نشأ نغرقهم وما خلفكم الموت الطالب
لكم يدل عليه قوله ومتاعا الى حين وجواب اذا محذوف وهو لا يتقون او يعرضون يدل عليه ما بعده مع ما دونه
فائدة هي انه دابهم الاعراض عند كل اية ويحتمل ان يكون قوله وما تاتيهم متعلقا بما قبله وهو قوله يا حسرة على
العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا
جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا اتوا بالايات اعرضوا عنها وقوله الم يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعراض ثم اشار الى
انهم كانوا يخلون بجانب التعظيم لامر الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وبجانب الشفقة على خلق الله فلا ينفقون اذا
امروا بالانفاق على انهم خوطبوا بادنى الدرجات في التعظيم والاشفاق فان ادنى الاتقاء الاتقاء من العذاب وادنى
الاشفاق يعود انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فانك هم من معشر اقبلوا بالكلية على الله وبذلوا انفسهم واموالهم
في سبيل الله وفي قوله مما رزقكم الله اشارة الى ان الله قادر على اغناء الفقير ولعطائه ولكنه جعل الغني واسطة
في الانفاق على الفقير والسعيد من عرف حق التوسط فانتهز فرصة الامكان وعلم ان الانفاق سبب البركة في المال
ومجلبة للثواب في المآل وقوله قال الذين كفروا دون ان يقول قالوا ليسجل عليهم الكفر وقوله للذين امنوا مزيد تضليل
لجهالتهم حيث قالوا لهولاء الاشراف ما قالوا وقوله انطعم دون انفق اظهارا لغاية خستهم لان الطعام ادون من الانفاق
ومن بخل بالادون فهو بخيل بالاكثر اولى وقولهم لو يشاء الله اطعمه كلام حق في نفسه لكنهم ذكروه في معرض الدفع
ولهذا استوجبوا الذم وقد بين الله خطاهم بقوله مما رزقكم الله فان من في خزانته مال وله في يد العبد مال فانه مخير ان
اراد اعطى بيده اما في خزانته وان شاء اعطاه مما في يد العبد وليس لذلك العبد ان يقول لم احلته علي وقوله ان انتم الا في ضلال
مبين بنا على ان ما اعتقدوه ان الامر بالانفاق ضائع لانه سعي في ابطال مشية الله ولم يعلموا ان الضلال لا بعدهم ابي سلكوا
وذلك انهم لم ينظروا الى الامر والطلب وبادروا الى الاعتراض والطاعة وهو اتباع الامر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية
ومن جملة تعنتهم انهم استبطاوا الموعود على الاتقاء والانفاق فقالوا ان كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين فاخبرونا متى
يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب فاجابهم الله تعالى بقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة كانهم بالاستبطاء كانوا
منتظرين شيئا وتنكير صيحة للتهويل ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشانهم اي صيحة لا يحتاج معها الى ثانية
وفي قوله تاخذهم اي تعمهم بالاخذ مبالغة اخرى وكذا في قوله وهم يخصمون في امر البعث فاتين انه لا يكون لهم بالغ
في نشوة الاخذ بقوله فلا يستطيعون توصية نفي قوله لا يستطيعون دون ان يقول فلا يوصون مبالغة لان من لا يوصي قد
يستطيعها وكذا في تنكير توصية الدال على التقليل وفي نفس التوصية لانها بالقول والقول يوجد اسرع من الفعل من
اداء الواجبات وهذه المظالم قد يحصل التوصية بالاشارة والعاجز عنها عاجز عن غيرها وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون
بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذي يقطع بعدم الوصول الى اهله كان الى التوصية احوج وفيه تنبيه على ان
الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع له الى اهله مرة اخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والجدث
من القبر وبشهلان العدد وكيف صارت النفختان موثرتين في امرين متضادين الاماتة والاحياء بقول لا موثر
الا الله والنفخ علامة على ان الصوت يوجد التزلزل وانه قد يصير سببا لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة والاجتماع
المتفرقة اخرى ثم اجزاء الكل بدن قد يحصل في موضع هو بمنزلة حدثه او اعطي للاكثر حكم الكل وذكر الرب في هذا الوضع
وذكر الرب في هذا الموضع للتعجيل فان لن تشاؤوا اضطر الى الحضور عند من احسن اليه كان اشد الماء واكثر ندما
وفي قوله ينسلون لا ياتي في قوله في موضع اخر فاذا هم قيام ينظرون تامل ذلك في اول الحالة ثم يحصل لهم نشء عند
الشيء من غير اختيارهم ويمكن ان يقال اذا هيئة الانتصاب ليست بمنافية للمشي بل هو كله ومعينة عليه وفي اذا
المفاجاة اشارة الى ان الاحياء والتركيب القيام والعدد كلها يقع في زمان النفخ ثم بين انهم قبل النسلان قالوا يا
ويلنا من بعثنا من مرقدنا كانهم شكوا في انهم كانوا موتى فبعثوا او كانوا نياما فنبهوا فجمعوا بين السوالين الاول في
البعث والمرقد عن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا ذلك ثم اجابهم الملائكة
وفي رواية ابن عباس او المتقون على قول الحسن هذا ما وعد الرحمن كانه قيل ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث
النائم من مرقده حتى يهمكم السوال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر الذي وعده الرحمن في كتبه المنزلة على لسان رسله

امر محمد فانه حاضر عندهم وما خلفكم من امر الحشر فانكم اذا تعبتم تكذيب محمد والحشر برحمكم الله او ما بين ايديكم من الخ ع

اي يشتغلون بمتاجرهم ومعاملاتهم وقيل يتناصرون فيه ونحو ذلك يجمعون تاخذهم وهم يخصمون ع م

الصادقين والظاهر ان هذا مبتدأ وما وعد الى اخره خبره وما مصدرية اي هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على
تسمية الموعود والمصدوق فيه بالمصدر ويجوز ان يكون ما موصولة اي هذا الذي وعده الرحمن وصدقه المرسلون
اي صدقوا فيه ويجوز ان يكون هذا صفة المرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف
الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وقيل ان قوله هذا ما وعد الرحمن من كلام الكافرين كانهم تذكروا ما سمعوا
من الرسل فاجابوا به انفسهم او اجاب بعضهم بعضا على عظم شان الصيحة بالنسبة الى المكلفين نحو امرها بالاضافة
الى الجبار فقال ان كانت الا صيحة الاية وقدمت تحقيقه ثم بين ما يكون في ذلك اليوم فقال فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
ايها الكافرون الا ما كنتم تعملون وفيه اشارة الى ان عدله عام وفضله خاص باهل الايمان وفيه انهم اذا جمعوا لم يجمعوا
الا للعدل او الفضل والفاء فيه كما في قول القائل فوالي او القاضي جلست للعدل فلا تظلم اي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه
وقوله ما كنتم تعملون اشارة الى عدم الزيادة فان الشيء لا يزيد على عينه كقولك فلان يجازى بخيره وبشره اي لا
يترك شيئا ويجوز ان يراد الجنس اي لا تجزون الا جنس العمل حسنا او سيئا ثم فصل حال المحسن بطريق الحكاية في ذلك
اليوم تصويرا للموعود وترغيبا فيه فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل لا يكتنه كنهه وفيه وجوه اولها انهم
مشغولون عن هول ذلك اليوم بما لهم من الكرامات والدرجات وقوله فاكهون موكد لذلك المعنى اي شغلوا عنه باللذة لا
بالويل والثبور وثانيها انه بيان لحالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل المراد انهم في عمل ثم بين عملهم انه ليس بشاق
بل هو ملذ محبوب وثالثها انهم تصوروا في الدنيا امورا يطلبونها في الجنة فاذا رأوا فيها ما يخطر ببالهم اشتغلوا به عنها
وعن ابن عباس ان الشغل افتضاض الابكار وضرب الاوتار وقيل التزاور وقيل ضيافة الله وعن الكلبي هم في شغل
عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم بالفاكهة والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها
تؤكل للتلذذ لا للتغذي والفكاهة الحديث لاجل التلذذ لا الضحك وهو الا انه ملح ظاهرها نكح المرأة وزوجة الرجل وقيل
المراد اشكالهم في الاحسان او امثالهم في الايمان كقوله واخر من شكله ازواج فاما اهل الاوثان من شرائط السماع الزمان
والمكان والاخوان فقوله هم وازواجهم في ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وان لهم من ظل الله ما يغنيهم الا بدا
كقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله على الارائك متكئون دليل على القوة والفراغ والتمكن من انواع الملاذ
وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى سائر انواع الملاذ الزائدة على قدر الضرورة وقوله ولهم ما يدعون اشارة مع جميع حوائجهم
وما يخطر ببالهم قال الزجاج هو يفتعل من الدعاء الى ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم وقال جار الله هو الافتعال اي ما يدعونه
او ما يدعون لا نفسهم كقولك اشتوى اي اتخذ لنفسه سواء وهو بمعنى التداعي وعلى الوجهين اما ان يراد به كل ما يدعوه
احد وكل ما يطلبه من صاحبه فانه يجاب به بذلك او يراد ان كل ما يصح ان يدعى به ويطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب وقيل
معناه يتمنون من قولهم ادع ما شئت اي تمنه على وقيل هو من الدعوى وذلك انهم كانوا يدعون في الدنيا ان الله هو
مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم تنبيه قوله سلام يقال لهم قولا من رب رحيم اوسع جهته او بواسطة الملائكة وقيل
المراد لهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا اي عدة وعلى هذا يكون قوله لهم للبيان وما يدعون سلام مبتدا
وخبر كقولك لزيد السيوف وقال بعضهم يحتمل ان يكون قولا نصبا على التمييز لان السلام من المكلف يكون قولا
وقد يكون اشارة فاما البيان قوله وامتازوا معطوف على المعنى كانه قيل ودعي ايها المؤمنون في النعيم وامتازوا اليوم
ايها المجرمون وقلنا لاهل الجنة انكم في شغل وقلنا لاهل النار امتازوا وهو كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير
او تميزوا في انفسكم غيظا وحنقا فلا دواء لالمكم ولا شفاء لسقمكم كقوله في صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ او
انفردوا خلاف ما للمؤمنين من الاجتماع بالاخوان فلا عذاب كفرقة الاخوان يؤيده ما روي عن الضحاك لكل كافر بيت
من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وعن قتادة اراد اعتزلوا عن كل خير وجوز او امتازوا عن شفعائكم واقربائكم
اما المراد تمييزهم بسواد الوجه وزرقة العين وباخذ الكتاب بالشمال وخفة الميزان ونحو ذلك وقال صاحب
المفتاح قوله ان اصحاب الجنة الى اخر الايات خطاب اهل المحشر بدلالة الفاء في قوله فاليوم لا تظلم بعد قوله
ان كانت الا صيحة وقد جاء في التفاسير ان قوله اصحاب الجنة انما يقال لهم حين يسار بهم الى الجنة فنقول
معنى الكلام الى قول القائل ان اصحاب الجنة منكم يا اهل المحشر يؤول حالهم الى اسعد حال فلبنا زوا عنكم الى الجنة

وامتازوا عنهم ايها المجرمون ثم كان لسائل ان يقول ان الانسان خلق ظلوما جهولا والجاهل معذور فبين الله تعالى ان الاعذار زالت
الم اعهد اليكم والاية الى قوله افلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض فيه توبيخ لاهل النار وما ذلك العهد عن بعضهم انه الذي مر
ذكره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل وقيل هو الذي في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان
الرسل ومعنى لا تعبدوا لا تطيعوا ولا تنقادوا لوسوسته وتزيينه وقوله هذا اشارة الى ما عهد اليهم من مخالفة الشيطان
وعبادة الرحمن قال المعاني التنوين في قوله صراط مستقيم للتبعيض اذ الصراط اقوم منه اي للتنويع اي هذا بعض الطرق المستقيمة وفيه
توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ وهذا ابلغ في الزجر عن مخالفته وفي ذكر الصراط ههنا
اشارة الى ان الانسان في دار التكليف مسافر والمختار في تأدية ما يجادبها على نفسه ما له لا يكون منه تخلص من معرفة طريق
امنه ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وهو في الغاية كلها بمعنى الخلق من جبله الله على كذا اي
طبعه عليه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ جبلا بياء المنقوطة من تحت بنقطتين ثم اشار الى محل امتياز المجرمين
اليه بقوله هذه جهنم وقوله اصلوها امر اهانة وتنكيل نحو ذق وفي قوله اليوم اشارة الى ان اللذات قد مضت وايامها
قد انقضت وليس بعد ذلك الا العقاب ربك اهل التفسير انهم يجحدون يوم القيامة كفرهم في الدنيا حينئذ يختم على افواههم
وتتكلم جوارحهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا وسحقا فعنكن كنت اناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله انطاق كل جرم
من الاجرام انطاق السامع فهو فاعل لما يشاء وقال الحكيم ثم انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانهتاك استارهم فيقفون
ناكسي الرؤوس وقوف المتورط المبهوت وتكلم الاعضاء عبارة عن ظهور امارات الذنوب عليهم بحيث لا يبقى للانكار
مجال كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار اذا ظهرت امارة الحزن واسبابه ثم انه تعالى اسند الختم الى نفسه
واسند التكلم والشهادة الى الايدي والارجل كما يقال ان الاقرار بالاخبار عن مقبول وايضا انه اسند التكلم الى الايدي
والشهادة الى الارجل لان الاعمال تسند الى الايدي غالبا كقوله وما عملته ايديهم بما كسبت ايديهم فهي كالعاملة والشاهد
على العامل ينبغي ان يكون غيره وانما جعلت الشهادة عليهم منهم لانهم اما صالحون وهم اعداء المجرمين فلهم ان يقولوا
شهادتهم غير مقبولة واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا وههنا نكتة وهي ان الختم لازم الكفار
في الدارين ختم الله على قلوبهم في الدنيا وكان قولهم بافواههم كما قال يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ثم اذا ختم على افواههم
ايضا في الاخرة لزم ان يكون قولهم بسائر اعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا انه تعالى كلما يذكر تمسك الجبري يذكر عقيبه
تمسك القدري وبالعكس فكان للقدري ان يتمسك بقوله يكسبون يكفرون حيث اسند الكسب والكفر اليهم فلا جرم
عقبه بتمسك الجبري وهو قوله ولو نشاء لطمسنا ووجه التمسك ان اعماء البصائر يشبه اعماء الابصار وسلب القوة العقلية
كسلب القوة الجسمية فكما انه لو يشاء لطمس على ابصارهم حتى لا يهتدوا الى الطريق الظاهر فلو شاء لسلب قوتهم
بالمسخ حتى لا يقدروا على تقدم ولا تأخر فكذلك اذا شاء اعماء البصائر وسلب قواهم العقلية حتى لم يفهموا دليلا ولم
يتفكروا في اية والطمس محو اثر شق العين قال جار الله فاستبقوا الصراط اصله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع
الخافض والمعنى لو نشاء لمسحنا اعينهم ولو راموا ان يستبقوا الى الصراط الذي عهدوه واعتادوا سلوكه الى مساكنهم
لم يقدروا عليه او الصراط ظرف الاستباق او الاستباق مضمن معنى الابتداء فالمراد لو نشاء لاعميناهم حتى لو ارادوا ان
يمشوا مستبقين في الطريق المألوف … كما كانوا ذلك لهم انهم لم يستطيعوا او يجعل الصراط مسبوقا
اليه فالمعنى لو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوه لعجزوا ولم يهتدوا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون
فيما … المقاصد والجهات دون غيرها وعن ابن عباس اي اذ لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة
لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم والمكان والمكانة واحد اراد مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا منه مكانهم وانما قدم الطمس
على المسخ تدرجا من الاهون الى الاصعب فان الاعمى قد يهتدي الى وجوه التصرف بامارة عقلية او حسية غير البصر
واما الممسوخ على مكانه فلا يهتدي الى شيء اصلا ولمثل ما قلنا قدم المضي على الرجوع فان سلوك طريق قد سلكه مرة
يكون اهون مما لم يره اصلا فنفى اولا استطاعة الاصعب ثم نفى استطاعة الاهون ايضا لاجل المبالغة وحين قطع الاعذار
لسبق الانذار ذكر ذلك في قوله الم اعهد اليكم شرع في قطع عذر اخر للكافر وهو ان يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا

اعلم

في ختام

ولو عمرنا

٨

ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر افلا
تعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم وقد عمرتم ما تمكنتم فيه من النظر والعمل ولم يأت بالواجب في زمان الامكان
فكيف يأتي به في زمن الازمان نعى بعضهم شعر طول العمر ما ينشراه مني فابلى جدتي نشري وطي اذا لي كل يوم
في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيء وقال اخر ارى الايام تترك … وتقضي … انها تبقي وامضي
علامة ذاك شيب قد علاني وضعف عند ابرامي ونقضي وما كذب الذي قد قال قبلي اذا ما مر يوم مر بعضي
وحيث بين اصل الوحدانية والحشر في هذه السورة … قوله وان اعبدوني وفي قوله هذه جهنم الى اخرها اعاد اصل
الرسالة بقوله وما علمناه الشعر والكفار مع انهم ادعوا انه ساحر كاهن لانه ما تحداهم الا بالقول وانما نسبوه الى السحر عند
اظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة عند اخباره عن الغيوب وهي نوع خاص من الكلام من
غير اعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية قال جار الله معنى قوله وما ينبغي له انه لا يتأتى له ولا يتسهل كما جعلناه اميا
لا يهتدي للخط ويروى عن الخليل ان الشعر كان احب اليه من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له قال
وما يروى انه صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
كلام اتفاقي من غير قصد وتكلف والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد وقيل اراد نفي الشعر عن القران وما علمناه بتعليم
القران الشعر وما ينبغي للقران ان يكون شعرا وانا اقول الاحسن ان يقال ما ينبغي له معناه انه لا يليق بجلالة
منصبه لان الشعر مادته كلام يفيد تأثيرا دون التصديق وهو التخييل واما الوزن والقافية فيهما كالصورة وتفيد
انه تنويعا وتزيينا محل نبوته عن التخييل الذي هو ترتيب من المغالطة ولهذا امر بان يدعوا بها الى سبيل
ربه وانما امر بان يدعوا الى الدين باصناف الكلام حيث قيل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ونظيره قوله ههنا ان هو الا ذكر اي موعظة وقران مبين والبيان
او الابانة يشمل البرهان والجدل اما البرهان فظاهر واما الجدل فلان النتيجة اذا كانت في نفسها حقة فالرجل
العلمي المحق ليس غايته الا افحام الخصم الالد والزامه بمقدمات مسلمة او مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ما روي انه
صلى كان يتمثل قول طرفة شعر ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود هكذا ويأتيك
من لم تزود بالاخبار ولا ريب انه كان يتأتى له رواية الشعر ان لم يأت له قرضه وما ذاك الا التنزه عما يشبه ما
يشين رتبته ولا يوافق معوله ويروى انه صلى حين قال هل انت الا اصبع دميت انقطع الوحي اياما حتى قالت
الكفار ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا احد اسباب نزول تلك الاية ولمثل ما قلنا لم يرد عنه كلام منظوم
وان كان نحتا وصفا كالذي قاله بعض الشعراء في التوحيد والحقائق وقد اشار الى نحو ذلك بقوله صلى ان من الشعر
لحكما وقد مر في تفسير قوله سبحانه في اخر الشعراء الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذلك ان الشاعر يقصد لفظا
فيوافقه معنى حكمي وبالجملة لا يخلو الشعر عن تكلف وقد يدعوه بالنظم الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ واين
الشارع من الشاعر … لا غافلا كالميت ويجوز ان يكون الحياة عبارة عن الايمان والمراد بالحي من يؤول حاله الى الايمان
او المراد بالانذار الانتفاع به فهو كقوله هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله ويحق القول كقوله في اول السورة لقد
حق القول وقد مر ومعنا الكلام متطابق من حيث المعنى كانه قال لينذر من كان حيا ويحق العذاب على من كان ميتا لان
الكافر في عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلائل الوحدانية مع تعداد النعم فقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
فاستعمل عمل الايدي لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد على غرائب وعجائب حتى قال افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت وقوله فهم لها مالكون اشارة الى تمام الانعام في خلق الانعام وقوله وذللناها لهم اشارة
الى ما فوق التمام فقد يملك الشيء ولا يكون مسخرا ومن الذي يقدر على تذليل الابل لولا امر الله تعالى بتسخيرها
حتى قال بعضهم يقوده الصبي بكل وجهة ويحبسه عن الخسف الحرون ويضرب به الوليدة بالهراوة فلا غير لديه
ولا نكير والحرون جعل البعير بمنزلة العذاب للدابة ومن زعم ان الملك بمعنى الضبط من قوله لا املك راس
البعير ان نفرا يلزمه التكرار ثم فصل بعض منافعها بقوله فمنها ركوبهم والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب
والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل للوحدة والمنافع كالجلود والاوبار والاصواف ذكرها بالاسم العام لما في تفصيلها

[illegible]

من الطول والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب اي الاواني المتخذة من جلودها وهي الشرب او المشرب
كالمبان والاسمان وحين نعمهم على عدم الشكر بقوله افلا يشكرون زاد في توبيخهم بقوله واتخذوا من دون الله
الهة اي وضعوا الشرك مكان الشكر فلا جرم وفي قوله لعلهم ينصرون الي قوله محضرون وجهان احدهما انهم طمعوا
ان ينفق رايهم وينتصدوا بمكانهم والامر معكوس ذلك حيث هم جند لالهتهم معدون لحفظهم يذبون عنهم ويغضبون من غير
نفع في الهتهم وثانيهما اتخذوهم لينصرهم عند الله بالشفاعة والامر على خلاف ذلك حيث الهتهم انا يوم القيمه
جند محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار ووجه ثالث وهو ان يكون قوله وهم لهم جند محضرون
تاكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصر يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتاهب ولم يجمع
انصاره ثم عقب دليل التوحيد بالرسالة مسليا رسوله بقوله فلا يحزنك قولهم باتخاذ الشريك لله او بالطعن في
الرسالة وبالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله انا نعلم ما يسرون من النفاق وسائر العقائد الفاسدة وبما يعلنون
من الشرك وسائر الافعال القبيحة او يسرون من المعرفة بالله ويعلنون من العناد وجوز جار الله فتح ان على تقدير لام
التعليل بل جوز ان يكون المفتوحة بدلا من قولهم والمقصود منه لا قولهم ويكون نهي الرسول صلعم من ذلك كنهيه
عن الشرك في قوله ولا تكونوا من المشركين ثم اردف الرسالة بالحشر مع انه دليلا اخر على التوحيد ماخوذا من
الانفس فان الاول كان ماخوذا من الافاق وفي قوله فاذا هو خصيم مبين وجهان احدهما فاذا هو بعد ما كان ماء
مهينا رجل مميز منطيق معرب عما في ضميره كقوله او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقوله من
نطفة اشارة الي ادنى ما كان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الي اعلى ما حصل عليه الان لان
اعلى حال الناطق ان يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير من المفسرين انها
نزلت في جماعة من كفار قريش تكلموا في البعث فقال لهم ابي بن خلف الجمحي واللات والعزي لاصيرن الي محمد ولاخصمنه
ولاخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فقال صلعم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم قال اهل البيان سمي قولهم من يحيي العظام وهي رميم مثلا لان انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى
قصة عجيبة وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق ادنى بعوضة الجاهل بما يجري عليه من
الاهوال والرميم اسم لما بلي من العظام كالرمة والرفات ولا يبعد ان يكون صفة ولم يؤنث لتقدير موصوف محذوف
اي شي رميم او لانه بمعنى فاعل كقوله ان رحمة الله قريب وفي الاية دليل ظاهر على ان عظام الميت نجسة لان
الموت والحيوة يتعاقبان عليها وقال اصحاب ابي حنيفة انها طاهرة وان الحيوة لا تحل فيها فلا تتصور موتها وكذا الشعر
والعصب وتاولوا الاية بان المراد باحياء العظام ردها الي ما كانت عليه غضة طرية في بدن حي حساس واعلم
ان المنكرين للحشر منهم من اكتفى في انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيي العظام وهي رميم فازال استبعادهم بتصوير
الخلق الاول فان الذي قدر على جعل النطفة المتشابهة الاجزاء مختلفة الابعاض والاعضاء مودعا فيه الفهم والعقل
وسائر اسباب الزينة والفضل فهو على اعادته اقدر ومنهم من ذكر شبهة وهي كقولهم ان الانسان بعد العدم لم يبق شي
فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا او كقولهم ان الذي تفرقت اجزاؤه كيف يمكن اعادته اجاب الله سبحانه عن الاولى بقوله
يحييها الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيا مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيا وعن الثانية
بقوله وهو بكل خلق عليم فيجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع والسباع وهكذا يعلم للاصلي من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية
للاكل والماكول ثم اشبه خلق الانسان بل الحيوان قبل ابداع الحرارة الغريزية التي بها قوام الحيوة فجرم رطب طري
بانشاء الشجر الاخضر الذي يقدح منه النار قالت العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر
واستغزر يقطع الرجل منه غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فينقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك
يتخذ منه كذا اسنات القصارين قلت وفيه انه يكون كل شجر في غاية الصلابة هكذا في الا ان يكون له سبب خاص به
كما يروى انه شجرة موسى عليه السلام فانه قد راى النار فيها فلا ينبغي لغيره ان يراها فيها ثم اكد قدرته الكامل على خلق
الانسان ابتداء واعادة بتذكير خلق السموات والارض الذي هو اكبر من خلق الانسان ثم اثبت ما نفاه مستفهما التقرير

بقوله

بقوله بلى وهو الخلاق الكثير الخلق الكامل فيه العليم بكل جوهر وعرض وما ينطلق عليه اسم الشي ثم بين ان
ايجاده ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقد مر تفسيره في ابواب النقوس وعرضها قالت المعتزله في الاية
دلالة على ان المعدوم شي واجيب بان الاية دلت على انه حين تعلق بالارادة به شي اما انه قبل ذلك شي فكلا
ثم ختم السورة بتقرير المبدا والمعاد على الاجمال فقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي اشارة الي المبدا وقوله واليه ترجعون
اشارة الي المعاد واذا تقرر الطرفان فاوسطهما الوسط المشتمل على التكليف والرسالة فهذه الاية كالنتيجة للمقدمات
السابقة في السورة عن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شي قلبا وقلب القران يس ذكر الامام الغزالي رحمه الله ان الايمان صحته
بالاعتراف بالحشر وانه مقرر في هذه السورة بابلغ وجه فلذلك سماها قلب القران وقال غيره ان الاصول الثلاثة التي
تتعلق بها نصيب الجنان وهي التوحيد والرسالة والحشر مكررة في هذه السورة وليس فيها شي من الاعمال الظاهرة باللسان
ولا العمل بالاركان فلما كان فيها اعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد في الاخبار انها ينبغي ان تتلى على الميت حالة النزع
وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة تنتهي بساقطة القوة والقلب مقبل على الله معرض عما سواه ولنا
فيه وجه هو بالتاويل اشبه فلنذكره هناك التاويل اتقوا ما بين ايديكم من الدنيا وشهواتها وما خلفكم
من نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون بمشاهدة الجمال وانوار الكمال ونفخ في الصور اشارة الي نفخ اسرافيل المحبة في صور القلب
فاذا السر والروح والخفي من اجداث اوصاف البشرية الي ربهم يرجعون بعضها بالسير وبعضها بالطيران اصحاب
الجنة اليوم في شغل يشغلهم الله بالفاكهة عن الشاهد كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع
هولاء حشو الجنة وللمجالسة اقوام اخرون وهم النازعون من الالتفات الي الكونين كما قال تعالى فاذا فرغت من تعلقات
الكونين فانصب لطلب الوصال ويحكى ان الاية قريت في مجلس الشبلي فشهق شهقة وغاب فلما افاق قال مساكين
لو علموا عما شغلوا لهلكوا ويحتمل انهم اليوم اي في الدنيا في شغل بانواع الطاعات والعبادات عن طلب الحظوظ والشوق
الي لقائه كما يحكى عن يحيي بن معاذ انه قال اغتنب العزة في مناجاته الهي يا معاذ كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد
فانه يطلبني ويمكن ان يقال انهم اليوم في الدنيا في شغل بالطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات والفوايد وارتكاب
المحرمات والزنا ابدا ويقال انه خطاب للعصاة فان اهل الله هم المستغرقون في بحار عظمة الله واهل الجنة مشغولون باستيفاء
اللذات وليس للعصاة الا رحمة وكرمه كما قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونشهد
اي جلهم في بعض الاخبار والروايات انه عبدا يشهد عليه اعضاؤه بالزلة فتطاير شعره من جفن عينيه فتستاذن في الشهادة
له فيقول الله تعالى تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد
هذا عتيق الله بشعرة ومن عمره تكسه انه السالك اذا عمر صار في اخر الامر الي الفناء في الله حتى لا يبقى منه ما يسند
الفعل اليه في قوله وما علمناه الشعر اشارة الي ان العلوم والصنايع كلها من الله وبتعليمه والهامه من الشجر الاخضر وهي
شجرة البشرية نار المحبة توقد من مصباح قلوبكم وانما قال النبي صلعم ان قلب القران يس لانه ذكرها صلعم رمز
اليه في اول السورة في اخرها اما الاول فقد مر في تفسير لفظ يس واما الثاني فلان قوله فسبحان الي اخره يدل
على المبدا والمعاد نصا وعلى الرسالة ضمنا ولا ريب ان القلب خلاصة كل ذي قلب وانه صلوات الله عليه وسلم كان خلاصة
المخلوقات فكان خلقه القران الذي نزل على قلبه وكان فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ما ذكر منبئة
عن سره كالقلب في جوف صاحبه فلاجل هذه المناسبات اطلق على يس انه قلب القران والله ورسوله اعلم

سورة الصافات مكية وهي مائة وثمانون اية

حروفها ثلاثة الاف وثمانمائة وعشرون كلمها ثمانمائة وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ

لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق إنا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب
ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب بل
عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن
هذا إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون
قل نعم وأنتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون
ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا
إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم
إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين
إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما
تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه
وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من
معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات
الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم

إني

إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله
إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين
إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل
العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة
تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون
منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم إنهم
ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد
أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته
هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك
نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين

القراءة والصافات صفا وما بعدها مدغمات حمزة وأبو عمرو غير عباس بزينة منونا حفص وحمزة غير المفضل
الكواكب بالنصب أبو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم أصله لا يتسمعون حمزة وعلي وخلف الآخرون بالخفة
على الخطاب أئذا بالمد بالياء أئنا بهمزة واحدة مكسورة يزيد ونافع ويعقوب الباقون مثل التي في الرعد وأما الثانية فمثل
التي في الرعد أوآباؤنا مثل الذي من أهل القرى وكذلك في الواقعة لا تناصرون بالتشديد البزي وابن فليح أئنا لتاركوا أئنكما
مثل أئنكم في الأنعام ينزفون بضم الياء وكسر الزاي حمزة وعلي وخلف والمفضل الآخرون بفتح الياء لتردين بالياء في
الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل **الوقوف** صفا زجرا ذكرا الواحد المشارق الكواكب مارد
لاحتمال ما بعده الوصف والاستئناف قاله السجاوندي وعليه بحث يجيء في التفسير واصب ثاقب خلقنا لازب ويسخرون
لا يذكرون يستسخرون مبين لمبعوثون الأولون داخرون ينظرون الدين تكذبون يعبدون الجحيم مسؤولون
لأن المسؤول عنه قوله ما لكم لا تناصرون مستسلمون يتساءلون اليمين مؤمنين سلطان للعدول مع اتفاق الجملتين
طاغين لذائقون غاوين مشتركون بالمجرمين يستكبرون مجنون المرسلين الأليم يعملون المخلصين معلوم فواكه لاحتمال
الواو الحال والاستئناف مكرمون النعيم متقابلين معين للشاربين لأن ما بعده يصلح وصفا واستئنافا ينزفون
عين مكنون يتساءلون قرين المصدقين لمدينون مطلعون الجحيم لتردين المحضرين بميتين معذبين العظيم العاملون
الزقوم للظالمين الجحيم لأن ما بعده صفة لشجرة الشياطين البطون لأن ثم لترتيب الأخبار حميم الجحيم ضالين

للعطف مع اتصال المعنى بهم عون الاولين منذرين المذنبين المخلصين المحبوبين العظيم الباقين الاخرين الا ما بعد لها
مفعول وتركنا على سبيل الحكاية العالمين المحسنين المؤمنين الاخرين **التفسير** انه سبحانه بدأ في اول هذه
السورة بالتوحيد كما ختم السورة المتقدمة بذكر المعاد واقسم على المطلوب بثلاثة اشياء اما الحكمة في القسم فكما مر في
او ليس واما الاقسام بغير الله وصفا ثم نكلا نسلم انه لا يجوز لله سبحانه او على عادة العرب او المراد تعظيم هذه
الاشياء وتشريفها والمراد بهذه الاشياء محذوف الصافات قال الواحدي ادغام التاء في الصاد حسن وكذا التاء في الزاي وفي
الذال لتقارب مخارجها الا ترى ان التاء والصاد هما من طرف اللسان واصول الثنايا تجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم
والاطباق والصفير وادغام الانقص في الازيد حسن وايضا الزاي مجهورة وفيها زيادة صفير ثم المقسم بها في الايات
الا ان يكون صفات ثلث الموصوف واحدا وصفات لموصوفات متباينة اما التقدير الاول ففيه وجوه الاول
انها صفة الملائكة لانهم صفوف في السماء كصفوف المصلين في الارض او لانهم يصفون اجنحتهم في الهواء واقفين منتظرين
لامر الله تعالى والصف ترتيب الشيء على نسق الفاعل صاف والجماعة صافة والصافات جمع الجمع ولولا ذلك لقيل والصافين
قال الحكيم يشبه ان يكون معنى كونهم صفوفا ان لكل منهم مرتبة معينة في الشرف او بالعلية والزجر سوق السحاب قال ابن
عباس يعني الملائكة الموكلين بالسحاب وقال اخرون انه يزجرهم الناس عن المعاصي بالخواطر والالهامات او بدفع نزوغ
الشيطان عن بني ادم والتاليات هم الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل ان كونهم صافين اشارة الى استكمال
جواهر الملائكة في ذواتها اعني وقوفهم مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفية تأثيراتها
في ازالة ما لا ينبغي من جواهر الارواح البشرية وكونهم تالين اشارة الى كيفية تأثيراتها في افاضة الجلايا القدسية
والارواح الالهية على الارواح الانسانية الوجه الثاني انها صفات النفوس الانسانية المقبلة على عبودية
الله تعالى وعبادته وهم ملائكة الارض او اقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين انفسهم عن الشهوات
او عن الفناء ووساوس الشيطان في قلوبهم اثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة او برفع الاصوات التالين القران
في الصلوة وغيرها او اقسم بنفوس العلماء والصافات لاجل الدعوة الى دين الله الزاجرات عن الشبهات والمنهيات
بالمواعظ والنصايح التاليات ايات كتابه لوجه الله او اقسم بنفوس المجاهدين في سبيل الله كقوله ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيل الله كقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا والزجرة الصيحة سواء والمراد رفع
الصوت بزجر الخيل واما التاليات فذلك لانهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القران وذكر الله يحكى عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه انه كان يخرج من الصف وسيفه ينطف دما فاذا رنا في بادرة يا علي بالخطبة الغراء الوجه الثالث
انها صفات لايات القران وذلك انها انواع مختلفة بعضها دلايل التوحيد وبعضها دلايل العلم والقدرة وبعضها دلايل
النبوة وبعضها دلايل المعاد وبعضها بيان التكاليف والاحكام وبعضها تعليم الاخلاق الفاضلة وكلها متناسقة متناسبة
لا تتغير ولا تتبدل وكانها اجرام واقفة في صفوف معينة ولا ريب انها تزجر المكلفين عن المناهي والمنكرات واما
نسبة التلاوة اليها فمجاز كما يقال شعر شاعر والفاء في هذه الوجوه لترتيب الصفات وفي الفضل فالفضل للصف
ثم الزجر ثم التلاوة او بالعكس ولكل وجه يحتمل وان لم يذكره جار الله ان يكون لترتيب معانيها في الوجود
كقوله الصالح فالغانم فالآيب كانه قال الذي صبح فغنم فآب فتأمل المصلون يصفون اولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس
عنهم بالاستعاذة ثم يشتغلون بالقراءة واما التقدير الثاني وهو ان يكون المراد بهذه الامور الثلاثة موصوفات
متغايرة فالصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا
كتاب الله او الصافات طائفة من الملائكة او من الاشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طائفة
اخرى وقيل الصافات العالم الجسماني المنضود كرة فوق كرة من الارض الى الفلك الاعظم والزاجرات الارواح
المدبرة للاجسام بالتصريف والتحريك والتاليات الارواح المستغرقة في بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفاء
على هذه المعاني لترتيب الموصوفات في الفضل ثم انه سبحانه لم يقتصر في اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل
الباهر فقال رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فلكل كوكب مشرق ومغرب بل للشمس ولسائر السيارات
والثوابت في كل يوم مشرق اخر بحسب تباعدها عن منطقة المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها

ولدلالتها

ولدلالتها على المغارب كقوله سرابيل تقيكم الحر ثم بين انه جعل الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء
الدنيا وهي زينتها الادنى لمنفعتين الاول تحصيل الزينة الثاني الحفظ من الشيطان والزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به
الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ثم من قرأ بالاضافة فلها وجوه ان يكون مصدرا مضافا الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب
او الى المفعول اي بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها في انفسها فان النور والضوء احسن الصفات واكملها وكذا اشكالها
المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وسائر الصور المتوهمة من الخطوط التي ينتظم طائفة منها وقد تنتهي
الى نيف واربعين منها صور البروج الاثني عشر وبالجملة اشراق الجواهر والزواهر متلالية على بسيط الازرق
بنظام مخصوص مما يروق الناظر ويجوز ان تقع الكواكب بيانا للزينة وهي اسم لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها
مما يزان به ويجوز ان تكون فضة ويجوز ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب كما روي عن ابن عباس انه فسر الزينة
بالضوء ومن قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرأ بتنوين زينة ونصب الكواكب فعلى انه بدل من محل زينة
او من السماء او على ان المراد بتزييننا الكواكب فيه احد وجوه الاضافة قوله وحفظا فيه وجوه احدها انه محمول على المعنى
والتقدير انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين وثانيها ان يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كانه قيل
وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل اخر نصبت المصدر
لانه قد دل على فعله بما تقدم تقول افعل ذلك وكرامة اي واكرمك كرامة وذلك لما علم ان الاسماء لا تعطف على الافعال
فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون هم الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة
وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فاخبروا ضعفاءهم فجعل الله الكواكب قذفا من حولها بحيث يحرقهم ويحفظ اهل السماء
من اصغائهم قال الحكيم المراد بالكواكب الحافظة ليس الكواكب المذكورة في الافلاك والا لوقع نقصان ظاهر في
اعدادها بل المراد ما يضاهيها من الشهب الحادثة عند كثرة البخار من الابخرة المرتفعة وقد مر تحقيق ذلك في ارايت في
الحجر قال الامام فخر الدين الرازي ان الشياطين لهم حذق كامل في استخراج الصنائع الدقيقة فاذا عرفوا هذه الحالة
بالتجربة فلم لا يمتنعون منه وايضا انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر في النار وايضا مقر الملائكة السطح الظاهر
من الفلك الاعلى وانهم لا يصعدون الا الى قريب من الفلك الادنى فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب
انا لا نسلم حذقهم في كل الامور ولهذا جاء في نحوه تنجيم ما جاء على موضع الاستراق والا حتوا ان غير متعين
وبعد وقوع هذه الحالة ايضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير واقف عليه والنيران بعضها اقوى من البعض فليس
الشيطان نارا صرفا ولكن الناري غالب عليه ولا نسلم ان الملائكة لا ينزلون الى الفلك الادنى باذن الله والمارد الخارج
من الطاعة وقد مر اشتقاقه في قوله مردوا على النفاق والضمير في قوله لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى
الجمع والتسمع تكلف السماع سمع او لم يسمع قال جار الله هذه الجملة لا يصح ان تكون صفة لان الحفظ من
شياطين غير سامعين او مستمعين لا معنى له ولا يصح ان يكون استينافا من سائل لم يحفظ من الشياطين
فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا به لاقتصاص حال المسترقة للسمع قلت لو
كانت صفة لهم باعتبار ما يؤول اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستانفا كانه قيل لم يحفظ فاجيب لانهم يؤولون الى كذا
ومن هنا زعم بعضهم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام ثم ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى ورد عليه في الكشاف ان حذف اللام في قولك جئتك ان تكرمني او حذف ان في قول الشاعر جائز
فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات قلت ان القران حجة على غيره مع ان قول الشاعر ايضا لا يبعد ان يقدر باللام
ادمن مع ان الملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات وعن ابن عباس اراد اشراف الملائكة والقذف
الرمي تقول قذفته بحجر اي رميت اليه حجرا وقوله من كل جانب اي مرة من هذا الجانب ومرة من هذا الجانب
وقيل من كل الجوانب ودحورا اي طردا مع صغار مصدر من غير لفظ الفعل لان القذف والطرد متقاربان كانه قيل
يدحرون قذفا او يدحرون دحورا ويجوز ان يكون مفعولا له لاجله الدحر او مصدرا في موضع الحال اي مدحورين كقوله
مذموما مدحورا ولهم اي للشياطين عذاب واصب دائم وقد مر في النحل في قوله وله الدين واصبا يعني انهم
في الدنيا مرجومون بالشهب ولهم في الاخرة نوع من العذاب غير منقطع الا من خطف الخطفة في محل الرفع بدلا من الواو

لا يسمعون اي لا يسمع الا الشيطان الذي اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع جمع
فاتبعه اي تبعه ورمي في اثره شهاب ثاقب مضي او ماض فاذا قذفوا احترقوا وقيل لتصيبهم انه فلا يبقي دون
وقيل لا يقتلون بالشهب بل يحسن بذلك فلا يرجع ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك وقيل يصيبهم مرة ويسلمون مرة فصار
في ذلك كراكب السفينة للتجارة ومحق بين الوحدانية ودلائلها في اول السورة اراد ان يذكر ما يدل على الحشر والكلام
فيه من طريقين الاول ان تعالى قدر على الاصعب فيقدر على الاسهل بالاولي الثاني قد ثبت الاول الامر
فيقدر في الحالة الثانية الطريق الاول فاشار اليه بقوله فاستفتهم اي سل قومك او حاجتهم والمراد من خلقنا
ما ذكر من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب والشياطين وغلب اولي العقل على غيرهم
وقيل اراد عادا وثمود ومن قبلهم من الامم الخالية والقول الاول اقوي بدليل فاء التعقيب والاطلاق في قوله خلقنا
اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فاستفتهم اهم اشد خلقا ام هذه المخلوقات
ومن هان عليه خلق هذه الاشياء كان خلق البشر بل اعادتهم اهون عليه الطريق الثاني خالية الاشارة بقوله انا خلقناهم من طين
لازب لازم والباء بدل من الميم عند الكرام ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر وقال مجاهد والضحاك
هو المنتن ووجه الاستدلال ان هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحيوة لم يقبلها من اول الامر واذا قبلها اولا فلا يبقي
ريب في قبولها وحصولها ثانيا وقادرية الله تعالى باقية على حالها فالاعادة امر ممكن وقد اخبر الصادق عن
وقوعها فيجب وقوعها وفي هذا الطريق الثاني تقوية للطريق الاول فان خلقهم من الطين شهادة عليهم بالضعف
والرخاوة ثم بين انهم مع قيام الحجج الصريحة عليهم يصرون على الانكار فقال بل عجبت من قرا بفتح التاء فظاهر
اي عجبت يا محمد من تكذيبهم وانكارهم البعث وهم يسخرون من تعجبك او عجبت من القران حين انطقته ويسخر
اهل الكفر منه ومن قرا بالضم فاورد عليه ان التعجب على الله غير جائز لانه روعة يعتري الشخص عند استعظام
الشي وقيل حالة تحصل عند الجهل بصفة الشي واجيب ان معناه قل يا محمد بل عجبت سلمنا لكن العجب ان يري الانسان
ما ينكره والانكار من الله تعالى غير ممكن سلمنا لكن هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات كالمكر والاستهزاء
والمعنى بلغ من عظم اياتي وكثرة خلائقي اني استعظمتها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون
منها او استعظمت انكارهم البعث من هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه نظير الاية وان تعجب
فعجب قولهم عند من يري ان العجب من الله وفي الحديث عجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقال ايضا عجب
ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم والال التضرع ثم حكي عنهم انه كان دابهم السخرية عند ايراد البراهين
فكذلك دابهم انهم اذا وعظوا لا يتعظون به واذا راوا اية بينة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات يستسخرون
يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وينسبوها الي السحر فالحاصل انه لا يفيد معهم البراهين
الصدرية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات الدالة على صدقه اخباره بالبعث وقوله وآباؤنا من قرا بسكون الواو فعطف
على محل ان واسمها ومن قرا بفتحها فعلى انه او على الضمير في مبعوثون وحسن للفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا
يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد على الاول لها ورد انكارا ان يبعث واحد منهم او من ابائهم فازعمهم الله سبحانه بقوله قل نعم يبعثون
وانتم داخرون صاغرون اذلاء ولذا لانه ذكر انما هي اي البعثة او هو مبهم يوضحه خبره زجرة واحدة يعني صيحة النفخة
الثانية فاذا هم ينظرون ارادانهم احياء بصراء وانهم ينتظرون امر الله بهم وقالوا يا ويلنا الظاهر انه كلام بعضهم مع بعض الى عند
قوله يكذبون بقوله العزة فيما بينهم وقيل ان كلام بعضهم تم عند قوله يا ويلنا ثم قال الله او الملائكة هذا يوم
الدين الجزاء والحساب هذا يوم الفصل القضاء والفرق بين المحسن والمسي احشروا الذين ظلموا بالكفر والفسق
يعني هم سلام ومنه الحشر بمعنى الجمع لانه بعد البعث اي اجمعوهم وازواجهم اي اشكالهم التي على دينهم وسبيلهم
الزاني مع الزاني والسارق مع السارق والشارب مع الشارب وانواعهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي
على ملتهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام فاهدوهم ادعوهم وتقدموهم والسابق يسمي الهادي ادلوهم
الي صراط الجحيم وسطها او طريقها لانه قال بعد ذلك وقفوهم اي احبسوهم للسوال كانهم اذا انتهوا الي الجحيم سئلوا
تهكما وتوبيخا بالعجز عن التناصر ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وقد اسلم بعضهم بعضا وخذله وجنبه

بلغ

طلب كل واحد منهم سلامة نفسه قال المفسرون ان ابا جهل يوم بدر يحي جميع منتصر فنزع على ذلك يوم القيمة
ثم حكي انهم في جهنم يتساءلون بسؤال التخاصم وذلك ان اتباعهم قالوا لرؤسائهم انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وفيه وجوه
الاول انها استعارة عن الخيرات والسعادات وذلك ان الجانب الايمن اشرف من الايسر شرعا وعرفا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شي ولهذا امرت الشريعة بما شرف ان يتناول باليمين والاذى منها
بالشمال وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتي كتابه بيمينه والمسي
بالضد فما جعلت يمين اللاتين يمنا لكي يتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته
فصلوا عنه واضله فاستعار الله من المجاز ما عليه الاستعمال حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذاك لان اليمين كالحقيقة
في الخير ثم صار قولك اتاه عن اليمين مجازا اي المعنى المذكور الثاني انه يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده
بمنزلة رفيعة وكانهم قالوا انكم تخدعوننا وتوهمون انا عندكم بمحل رفيع فوثقنا بكم وقبلنا منكم الثالث اليمين الحلف
كان الكفار تحلفوا لهؤلاء الضعفة ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وتمسكوا بعهودهم الرابع
ان اليمين بالقوة والقهر بها يقع البطش فالمعنى اي كنتم تاتوننا عن القهر والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وكان
القهر في الاول كان عائدا الي الاتباع بقرينة الخطاب والضمير في قالوا الثاني يعود الي الرؤساء ومثل تلك القرينة
والمعنى بل انتم ابيتم الايمان واعرضتم عنه كما اعرضنا وما كان لنا عليكم من سلطان بل انتم قوما طاغين الطغيان وهذا مثل
محاجة ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فحق علينا قول ربنا انا لذائقون قال الشيخ نثل
اراد قوله لاملان جهنم والمعنى انه لما اعرض عن دعوتنا وكان حكم الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا في العذاب قال جار الله
لو حكي بالوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الي لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين
شايع فاغويناكم انا كنا غاوين اي اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية كانهم قالوا ان
اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء اخر لزم التسلسل فعلمنا ان غوايتنا ايضا بالغي
من الله كما مر في فحق علينا قول ربنا هذا تفسير اهل السنة واما المعتزلة فيفسرون الاية هكذا قالوا بل لم تكونوا
مومنين اي كنتم مختارين للكفر على الايمان وما سلطنا عليكم من تسلط بل اخترتم انتم الطغيان فحق علينا وعيد الله
انا لذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فاغويناكم فدعوناكم الي الغي لانا كنا غاوين
فاردنا اغواكم لتكونوا امثالنا وحين حكي كلام الاتباع والمتبوعين اتبع من ذلك قوله فانهم جميعا يومئذ اي يوم
القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية ولعل المتبوعين عذابا زائدا للاغواء ولكن الزيادة
لا تنافي الاشتراك في اصل الشي انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم اي كافر بدليل قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا
اله الا الله يستكبرون يانفون من قبوله فالجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر ان والفتية كان في الخبر
يستكبرون واذا ظرفه ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمد صلعم بين انهم منكرون للتوحيد والنبوة جميعا
ثم رد عليهم بقوله بل جاء ملتبسا بالحق وصدق المرسلين وفيه تنبيه على ان التوحيد هو دين كل الانبياء ثم صدقهم
في قولهم فحق علينا قول ربنا ونقل الكلام من الغيبة الي الحضور للمبالغة قائلا انكم لذائقوا العذاب الاليم ثم كان لقائل
ان يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرر ان يعذب عبيده فقال وما تجزون الا ما كنتم تعملون
فالحكمة اقتضت الامر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود منهما الا بالترغيب
والترهيب واذا وقع الاخبار وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب هذا ما يقتضيه المعتزلة اشبه والسني يقول لا
اعتراض عليه في شي ولا يسال عما يفعل قال جار الله الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي ولكن عباد الله المخلصين
اولئك لهم رزق قلت يجوز ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى وما تجزون الا ما كنتم تعملون من غير زيادة
الا المخلصين فان جزاءهم بالاضعاف ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله انكم للمكلفين جميعا فيصح الاستثناء
المتصل مطلقا اي لا يذوقون العذاب الا اياهم قوله معلوم قيل اي معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقيل معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم القدر
على حسب استحقاقهم وقيل اراد انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع ثم فسر ذلك الرزق

بانه فواكه فقيل ان الفاكهة عبارة عن ما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وارزاق اهل الجنة كلها كذلك لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانها اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه فهو فاكهة وقيل اريد به التنبيه
بالادنى على الاعلى فاذا كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الطعام اولى بالحضور وحيث بين الاكل ذكر ان ذلك حاصل
مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهائم وحين ذكر ماكولهم وصف مسكنهم
وهيئة جلوسهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين ثم وصف مشروبهم فقال يطاف عليهم بكاس من معين قال اهل اللغة لا يسمى
الاناء كاسا الا اذا كان فيه الخمر وقد يسمى الخمر نفسها كاسا قال الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير
ابن عباس والمعين النهر الجاري على وجه الارض واصله معيون لانه الظاهر للعيون او من عين الماء وقد يقال
عان الماء اذا ظهر جاريا فاله تقلب وقيل فعيل من المعن وهي المنفعة اي الماء الشديد الجري ومنه امعن في السير بالغ واشتد
وصف الخمر بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء وبيضاء صفة للكاس قال الحسن خمر الجنة اشد
بياضا من اللبن ولذة اما مصدر وصفت بها للمبالغة لانها نفس اللذة او هي تانيث اللذ واللذ واللذيذ واحد كالطب
والطيب ثم بين ان خمر الجنة لا تغتال العقول فقال لا فيها غول غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده وفيه تعريض بخمور الدنيا
ولهذا قدم الظرف وبني الكلام على الاسم في قوله ولا هم عنها ينزفون اي يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لانه اعظم
المفاسد في شرب الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله والتركيب يدل على الفناء والنفاد ومنه نزفت
الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وانزف مثله ومعناه صار ذا نزف وعن بعضهم ان معنى قوله ولا هم عنها ينزفون هو
ان الشراب لا ينقطع عنهم لئلا يلزم نوع التكرار والاولى حمله على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله وعندهم قاصرات
الطرف اي قصرن نظرهن على ازواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مؤنث الاعين وهي كبيرة العين ثم شبههن ببيض
النعام المكنون في وكناتها وذلك لان بيضها بياض مشوب بقليل من الصفرة واذا كانت مستورة في اماكنها كانت
مصونة عن الغبرة والتغير فكانت في غاية الحسن وبها يشبه العرب النساء فيسمونهن بيضات الخدور ثم عطف
على قوله يطاف قوله فاقبل وهو مضارع في المعنى الا انه عادة الله في الخطاب ولعل هذا التذكر عقيب طاف
الكاس فلهذا جيء بالفاء بخلاف ما مر في تخاصم اهل النار والمراد انهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة
اهل المنادمة والعشرة قال بعضهم شعر وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام وقد حكى من جملة
كلامهم تذكرهم انه كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالنعيم
المقيم وهذا ابتداء الحكاية قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين جليس او شريك في الدنيا يقول ائنك
لمن المصدقين اي بيوم الدين ائنا لمدينون لمجزيون من دان يدين اذا جزى وقيل لمسوسون مقهورون من دانه
اذا ساسه ومنه الحديث الكيس من دان نفسه وعن بعضهم ان المراد بالمتحادثين الرجلين المذكورين في الكهف
في قوله واضرب لهم مثلا رجلين فلما حكى ذلك القائل ... بعض الملائكة هل انتم مطلعون الى النار اي هل
تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم منهم عن ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار فاطلع على اهل
النار فراى قرينه في سواء الجحيم وسطها وقال لقرينه تالله ان كدت لتردين ان مخففة واللام فارقة والارداء الاهلاك
ذكره على انه كان يدعوه في الدنيا الى انكار البعث المتضمن للكفر المؤدي الى الهلاك الحقيقي والخطاب مع القرين اما
ان يكون بحيث يسمعه حقيقة وذلك لرفع الحجاب وتقريب المسافة اذا كان اراد الله بقدرته واما اذا يخاطبه وان لم يمكنه
السماع لبعده كما يخاطب الموتى ومن في حكمهم نظيره ما مر في قصة صالح فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم الى اخر الآية
والله اعلم ثم شكر المؤمن ... لنعمة الاسلام وارشاده الى الحق وعصمه عن الباطل فقال ولولا نعمة ربي لكنت من
المحضرين في النار مثلك ... لان الاحضار يستعمل في الشر غالبا وما سمي في اصطلاح القرآن حين تم كلامه
مع الرجل الذي كان قرينا له في الدنيا وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة قائلا افما نحن
بميتين وفيه قولان احدهما ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون والتقدير انحن مخلدون منعمون
فما من شاننا ان نموت ولا ان نعذب وثانيهما ان هذا مما يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله سبحانه واغتباطا بحاله فان
الذي يتم له خير وسعادة اذا عظم تعجبه بها قد يقول ايدوم هذا لي وانا على يقين من دوامه وايضا انه قال ذلك

يسمع

١٣

يسمع من قرينه ليكون توبيخا له وليحمله الله ويكون لنا لطفا وزاجرا ثم نفاة عذاب القبر بقوله الا موتتنا الاولى فانه يدل
على ان الانسان لا يموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلا مرتين واجيب بان المراد بالموتة
الاولى كل ما يقع في الدنيا وقوله ان هذا لهو الفوز العظيم يجوز ان يكون من تمام كلامه لقرينه تقريعا له وتوبيخا وان يكون من
قول اهل الجنة فيما بينهم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه او هو قول الله تقريرا لهم وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون
والاظهر ان قوله اذلك خير من كلام الله عز وجل كانه لما تمم قصة المؤمن رجع الى ذكر الرزق المعلوم فاستفهم
للتقرير اذلك الرزق خير نزلا ام شجرة الزقوم قال الزجاج اصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير
للحاصل من الشيء وحاصل الرزق العلوم واللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الالم والغم ويمكن ان يقال للضيف ومعلوم
انه لا خير في شجرة الزقوم ولكنهم ذكروا على ذلك وظاهر القرآن يدل على انها شجرة كريهة الطعم والرائحة ... التناول
صعبة الابتلاع الا ان المفسرين اختلفوا في ماهيتها فذكر قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة ... وانها ليس لها في الدنيا
وجود بدليل قوله انا جعلناها فتنة للظالمين وذلك انها خلاف المألوف والمعتاد فاذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله
واذا اعلى الزنديق توسل به الى الطعن في القرآن ويزيد في شبهته كقوله تعالى وما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وقيل انما كانت
فتنة لهم لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون وذكر المفسرون ان ابن الزبعرى قال لصناديد
قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافريقية الزبد والتمر وذكر ايضا ان ابا جهل ادخلهم بيته فقال
يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذي يوعدكم محمد به فانزل الله صفة الزقوم وذكر بقية اوصاف
الشجرة منها انها تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وفيه تكذيب للطاعنين فيه
كيف تكون في النار والنار تحرق الشجر ومنها طلعها كانه رؤوس الشياطين قال جار الله الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة
الزقوم من حملها اما استعارة لفظية وذلك ان يكون وجه الاستعارة مجرد الطلوع اي الظهور او معنوية وذلك اذا كان
يشبه الطلع شكلا ولونا وفي تشبيهه برؤوس الشياطين اقوال احدها وهو الاقوى انه تمثيل وتخييل وذلك
ان الشيطان مثل في القبح ونفرة الطباع كما ان الملك مثل في الحسن وميل النفوس اليه واذا كان الشيطان كله مستقبحا فرأسه
كذلك وتشبيه الثمر براسه اولى للاستدارة والتوسط في الحجم والثاني ان الشيطان ههنا نوع من الحيات ...
العرب ... لها اعراف ورؤوس قباح الثالث انه شجر معروف عند العرب قبيح الاعالي يسمى الاستن ...
يسمى رؤوس الشياطين الرابع قال مقاتل رؤوس الشياطين حجارة سود تكون حول مكة ولعل هذا بل الثاني والثالث
ايضا يؤول الى الاول الا انه بعد التسمية كانه صار اصلا يشبه به ثم علل جعل الشجرة فتنة للظالمين بقوله فانهم لآكلون
منها اي من طلعها فمالئون منها البطون اي بطونهم اما لان شدة الجوع تحملهم على تناول ذلك الشيء الكريه واما لان الزبانية
يقسرونهم على اكلها ليكون بابا من العذاب فاذا اشبعوا غلبهم العطش واخذتهم الغصة فيسقون من حميم وهو الماء الشديد
الحرارة وقد وصفه الله سبحانه في قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه والشوب المزج كما قال في صفة
اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد ان الطعام ممزوج بالحميم اذ يسقون صديدا وشرابا حارا ... احر
وهو الحميم ومعنى ثم التراخي بالزمان كانهم لا يسقون الا بعد ملء بطونهم تكميلا للتعذيب او التراخي بالرتبة كان الشراب
ابشع من الطعام بكثير قال مقاتل معنى ثم في قوله ثم ان مرجعهم انهم يخرجون من الجحيم ودركاتها الى موضع فيه
الزقوم والحميم بعد الاكل والشرب يردون الى موضع من الجحيم وكانهم في وقت الاكل والشرب لا يعذبون بالنار وقيل هو
كقولهم فلان يرجع الى مال ونعمة اي ... وقيل ثم للتراخي الاخباري اي تقدم ان مرجع الكفار الى النار وقيل ثم مع ...
قد يدل على التقديم اي وقيل ذلك كان ... الى الجحيم ثم بين ان سبب وقوعهم في اصناف العذاب المذكورة هو التقليد
والاهراع الاسراع الشديد كانهم يساقون سوقا ولو لم يوجد في ذم المقلدين سوى هذه الآية لكفى ثم اراد تسلية النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك اكثر الاولين ثم استثنى من قوله ولقد ضل ومن المنذرين المهلكين عباد الله
المخلصين فان عاقبتهم كانت جميلة ثم سلاه بوقايع الامم الخالية تفصيلا وقدم قصة نوح لكونه ابا ثانيا ونداؤه قوله
رب انصرني بما كذبون وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
او للابتداء والمخصوص بالمدح وهو نحن محذوف والجمع للتعظيم والكبرياء وفي فاء التعقيب في فلنعم دليل على

ان نداء العظم الكبير حقيق بان يكون مقرونا بالاجابة والكرب العظيم ما كان هو فيه من تطاول الطوفان او من
ايذاء قومه مع الياس من ايمانهم وهذا اقرب وفي قوله هم الباقين بصيغة الحصر دلالة على ان كل ما سواه وسوى
ذريته قد فنوا روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ذريته وهم سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان شرقا وغربا ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة
وهي سلام على نوح ومعنى في العالمين ثبتها الله تعالى فيهم يسلم الثقلان عليه الى يوم القيمة ثم بين ان هذه
التشريفات هو كونه محسنا وهذا جزاء كل محسن ثم بين ان احسانه كان مسبوقا بايمانه فعلى كل مومن ان يجتهد
حتى يصير محسنا وحينئذ مال اليه امر نوح وذريته ذكر عاقبة سائر قومه فقال ثم اغرقنا الآخرين اعاذنا الله
من الاغراق والاحراق وجعل فلكنا فلك نوح وسفرنا مستحصنا بالنصر والفتوح **التأويل** والصافات اشارة الى ما
جاء ان الارواح خلقت قبل الاجساد في اربعة صفوف الاول للانبياء الثاني للاولياء الثالث للمومنين الرابع لاهل الكفر
فالزاجرات هي الالهامات الربانية للعلم عن المناهي والخلاص عن بقية الاعمال وللخلاص عن الالتفات الى غير الله فالتاليات
ذكرا هم الذين يذكرون الله في الخلوات بخلوص النيات رب سماوات القلوب وارض النفوس وما بينهما من صفاتهما
ورب المشارق القلوب يطلع منها شموس الشواهد واقمار الطوالع ونجوم اللوامع السماء الدنيا هي الراس وكواكبها
الحواس والشهب هي الخواطر الرحمانية يرجم بها الوساوس الشيطانية طين لازب اي لاصق بكل ما يصادفه فقوم
لصقوا بالدنيا وقوم لصقوا بالآخرة وقوم لصقوا بنفحات الطاف الحق فاذابتهم وجذبتهم عن انانيتهم يريدونها كما
تذيب الشمس الثلج ويخرجهم عنه وقفوهم انهم مسؤلون السالك في كل مقام وقفة يناسب ذلك المقام وهو مسئول
عن اداء حقوق ذلك المقام فقوم يسالهم الملك والاولون لهم اعمال صالحة تقطع العرض والكشف
والاخرون قسمان قوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله فيسترها عليهم كما جاء في الحديث ان الله يدني المؤمن يوم القيمة
حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب ثم يقول اي عبد تعرف
ذنب كذا او كذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد
غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الاولى وهي الموتة الارادية عن الصفات النفسانية وبعد
ذلك لا موت بل ينتقل من دار الى دار لمثل هذا فليعمل العاملون بل لمثل هذه الامور تبذل الارواح وتفدى الاشباح
كما قيل على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان بات من ليلى على الياس والصد ثم اخذ بعد قصة الاولياء عن قصة
الاعداء بقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم وفي قوله كانه رؤس الشياطين دليل على ان افعالهم كانت في نفع
صفات الشياطين وكانت ثمارهم من جنس صورة الشياطين سلام على نوح في العالمين انه نغ سلام على
نوح الروح لانه محتاج الى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ولهذا
يكون دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم دائما اقتصروا بالصراط وبالعبور عليه ليودوا الامانة التي حملوها الى اهلها والله سبحانه وتعالى ۝

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝
فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ
يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُوا ابْنُوا لَهُ
بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ

[illegible marginal note]

إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا
بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ
قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا
أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ
بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝
وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝
ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ

إلى مائة ألف أو يزيدون ۝ فآمنوا فمتعناهم إلى حين ۝ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ۝ أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ۝ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ۝ ولد الله وإنهم لكاذبون ۝ أصطفى البنات على البنين ۝ ما لكم كيف تحكمون ۝ أفلا تذكرون ۝ أم لكم سلطان مبين ۝ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ۝ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ۝ سبحان الله عما يصفون ۝ إلا عباد الله المخلصين ۝ فإنكم وما تعبدون ۝ ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم ۝ وما منا إلا له مقام معلوم ۝ وإنا لنحن الصافون ۝ وإنا لنحن المسبحون ۝ وإن كانوا ليقولون ۝ لو أن عندنا ذكرا من الأولين ۝ لكنا عباد الله المخلصين ۝ فكفروا به فسوف يعلمون ۝ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ۝ إنهم لهم المنصورون ۝ وإن جندنا لهم الغالبون ۝ فتول عنهم حتى حين ۝ وأبصرهم فسوف يبصرون ۝ أفبعذابنا يستعجلون ۝ فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ۝ وتول عنهم حتى حين ۝ وأبصر فسوف يبصرون ۝ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ۝ وسلام على المرسلين ۝ والحمد لله رب العالمين ۝

القراءة يزيدون بضم الياء وكسر الزاي حمزة الباقون بفتح الياء والزاي اني اذبحك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترى بضم التاء وكسر الراء علي وخلف وحمزة ستجدني بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وان الياس موصولا لهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بكسر الهمزة الله ربكم ورب آبائكم بالنصب في ثلثتها سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين ابن عامر ونافع ورويس الآخرون الياسين كانه جمع الياسي الكاذبون اصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة يزيد واسمعيل والاصبهاني عن ورش الباقون بفتحها في الحالين **الوقوف** لابراهيم لان التقدير واذكر حين ... في الكشاف اذ يتعلق ... في الشيعة من معنى المتابعة فلا وقف سليم تعبدون للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القول تريدون لاستفهام آخر في العالمين في النجوم للتعقيب واتحاد المعنى سقيم مدبرين فالحرف للاستفهام مع الاتحاد كما لا تنطقون باليمين يزفون تنحتون لان الواو للحال يعملون في الجحيم الاسفلين سيهدين الصالحين حليم ماذا ترى ما تؤمر للتنبيه مع اتحاد القول الصابرين للجبين لاحتمال ان الواو مقحمة وناديناه جواب لما ولاحتمال ان الجواب محذوف اي قبلناه وناديناه يا ابراهيم الرؤيا لاحتمال ان ما بعده داخل في حكم النداء وما بعده المحسنين المبين عظيم الآخرين ابراهيم المحسنين المؤمنين الصالحين اسحق مبين وهو من

للآية

للآية مع العطف العظيم كذلك الغالبين المستبين المستقيم الآخرين وهرون المحسنين المؤمنين المرسلين لكون اذ ظرفا لمحذوف وهو اذكر ولكون نظرها المرسلين فيه محصحيح وان لم يكن مقصودا فلهذا لم يكن الوقف لانهما تتقوا الخالقين لمن قرأ بالنصب الأولين لمحضرون المخلصين الآخرين الياسين المحسنين المؤمنين المرسلين اجمعين الغابرين الآخرين مصبحين وبالليل تعقلون المرسلين المشحون المدحضين مليم للمحذوف مع الفاء علم من المسبحين نصف الجزء الرابع الرابع من القرآن يبعثون سقيم يقطين يزيدون الى حين البنون شاهدون ليقولون ولد الله تعجيلا لتكذيبهم لكاذبون البنين للابتداء باستفهام آخر تحكمون تذكرون لان ام يصلح استئنافا مبين للفصل بين الامر والنهي صادقين نسبا لمحضرون للعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون المخلصين تعبدون بفاتنين الجحيم معلوم الصافون للعطف مع الاتفاق المسبحون ليقولون من الاولين المخلصين يعلمون المرسلين لان ما بعده يصح ابتداء ومفعولا للكلمة المنصورين لعطف الجملتين المتفقتين الغالبون حين للعطف ولشدة اتصال المعنى يبصرون يستعجلون المنذرين حين يبصرون عما يصفون لعطف جملتين مختلفتين المرسلين للابتداء بالحمد الذي به يبتدأ الكلام واليه ينتهي مع اتفاق الجملتين العالمين

التفسير الضمير في شيعته يعود الى نوح والمراد ان ابراهيم سار سيرته والاول اظهر لتقدم ذكر نوح ولما روي عن ابن عباس من شيعته من اهل دينه وعلى سنته وكان بين نوح وابراهيم الانبياء هود وصالح وبين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة ومعنى جاء ربه اي اقبل على الله بقلبه واخلص العمل له والقلب السليم قد مر في الشعراء ثم ذكر جملة الآثار سلامة قلبه ان دعا اباه وقومه الى التوحيد ومعنى ماذا تعبدون اي شيء تعبدون وهو كقوله في الانبياء ما تعبدون سأله عن جنس معبودهم ثم وبخهم على ذلك بقوله ائفكا هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الاهم عنده ان يكافحهم ويعنفهم على شركهم وانهم على افك وباطل ويجوز ان يكون افكا حالا او مفعولا به والهة بدل منه على انها افك في نفسها فما ظنكم برب العالمين حتى جعلتم الجمادات اندادا له او حسبتم انه يهمل امركم ولا يجازيكم ومنه انه لا يقدر ... والظن ان ما يصد عن عبادته وفي قوله اني سقيم قولان الاول انه صدر منه كذب بالمصلحة ... جاء في الحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها اختي وقد مر تقرير ذلك في سورة الانبياء الثاني وهو الاقوى انه كلام صادق ولان الكذب قبيح وان اشتمل على مصلحة واما الحديث فنسبة الراوي الى الكذب اولى من نسبة نبي الله الى ذلك وفي التوجيه وجوه الاول ان النظر في النجوم يريد به في علم النجوم واحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولا سيما في ذلك الشرع فليس فيه الا اعتقاد انه تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه اي محصوص والانسان لا ينفك في اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة له اما في بدنه او في قلبه فلعل به سقما كالحمى النائبة او اراد به انه سيسقم لامارة نجومية او اراد به الموت الذي يلحقه لا محالة ولا داء اعظم منه الثاني ان المراد بالنجوم ما جاء في قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآيات اي تفكر فيها ليعرف احوالها وانها قديمة او محدثة وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ او سقيم النفس لتحرك الثالث ان النجوم النبات اي نظر فيها متى يدرك ثمرها ... سقيم او اراد ... ذلك او كان به ذلك الآن روي عن احمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما نبت ومنه نجوم الكتابة اي نظر في متفرقات كلامهم واحوالهم حتى يستخرج منها حيلة فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم قال المفسرون كان الطاعون اغلب الاسقام عليهم فظنوا ان به ذلك فتركوه في بيت الاصنام مخافة العدوى فانصرفوا الى عيدهم وذلك قوله سبحانه فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم ذهب اليها في خفية حتى لا يرى فكأنه رجع اليها مراوغا قومه من روغان الثعلب وقيل راغ نزل اني سقيم حتى خلا بها وسمى آلهة على زعمهم فقوله الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا انها تأكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه وهو ذي ان سدنتها كانوا يأكلون ما يوضع عندها من الطعام وينطقون عند الصنعة عن لسانها ويوهمون انها تأكل وتشرب ... تقديره فقربه اليهم فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون قال الا تأكلون فراغ عليهم عداه بعلى لان الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهنا كما يقال في المحبوب مال اليه وفي المكروه مال عليه وقوله ضربا مصدر راغ من غير لفظه او لفعل محذوف او حال اي يضرب ضربا او ضاربا ومعنى اليمين اي باليد اليمنى لانها اقوى على الاعمال

او بالقوة مجازاً امسيب الخالف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الي ابراهيم يزفون يمشون على سرعة
من زفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرأ بضم الياء فاما لازم من ازف اذا صار الي حال الزفيف او متعد والمفعول محذوف
اي يزفون دوابهم او بعضهم بعضا وقد مر نظيره في التوبة في قوله ولاوضعوا خلالكم قال بعض الطاعنين قوله
فاقبلوا اليه دل على انهم عرفوا الكاسر اصنامهم وقوله في الانبياء من فعل هذا بالهتنا يا ابراهيم دل على انهم لم يعرفوا الكاسر
فبينهما تناقض واجيب بان هولاء غير اولئك فالذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين لم يعرفوه بعد ما استخبروا عنه
على ان قوله فاقبلوا اليه لا دلالة له على انهم عرفوا ان الكاسر هو ابراهيم فلعلهم اقبلوا اليه لاجل السوال عن
الكاسر وحين عاتبوه على فعله اراد ان يبين لهم فساد طريقهم فقال اتعبدون ما تنحتون وذلك ان الناحت لم
يحدث فيه الا الصورة المعينة فيكون معناه ان الشيء الذي لم يكن معبودا الي صار بسبب تصرفي فيه معبودا الي وفساد
هذا معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان العبد ليس خالق اعماله لان المعنى
خلقكم وعملكم وزيف بان ما موصولة ليناسب قرينتها في قوله ما تنحتون وليتوجه التوبيخ ولكيلا يلزم التناقض بان
النحت عملهم اما الصحيح ان الاية كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام ثم ان ابراهيم
لما الزمهم الحجة بين التوكل والزمهم عدلوا الي طريقة الايذاء وقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله
في السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون وتقدير الاية ابنوا له بنيانا واملاوه نارا والقوه فيها والجحيم النار العظيم
بمعنى النار في قوله فارادوا كقوله اهلكناها فجاءها بأسنا كانه قيل بنوا البنيان وملاوه نارا والقوه فيها فنجيناه
منها فتقدم ثم انهم ارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين الاذلين واما في الانبياء فلم يقصد هذا الترتيب فاقتصر على الاول
الخاطفة فلما اختصت هذه السورة بقوله الاسفلين لانه ذكر انهم بنوا بنيانا ناسب ان كان ذكر السفل في ابانته
انسب ثم ذكر بقية قصة ابراهيم وقوله اني ذاهب الي ربي كقوله في العنكبوت اني مهاجر الي ربي وقد مر وانما
حكم بقوله سيهدين ربي الي ما فيه صلاحي في الدارين اعتمادا على فضل الله ومعرفة ذلك بالوحي وحين هاجر الي الارض
المقدسة اراد الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين والله تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه
بغلام حليم وصف الغلام بالعلم في سورة الحجر وبالحلم ههنا فذهب العلماء الي ان اراد بغلام عليم في صغره وفي كبره فان
الصبي لا يوصف بالحلم ومن ههنا انطوت البشارة على معان ثلثة احدها ان الولد ذكر الثاني انه يبلغ اوان الحلم والثالث
يكون حليما واي حلم اعظم من استسلامه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفيه
ان ولده تام مقاما في الشرف والفضيلة ووصفه في الحلم كما وصف ابراهيم في قوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب
وقيل العليم اسحق لقوله فاقبلت امرأته في صرة والحليم اسمعيل ثم حكيت ذبحه فقال فلما بلغ معه السعي اي قوي
على ان يمشي مع ابيه في حوائجه والظرف بيان كانه قال اولا فلما بلغ السعي فقيل مع من فاجيب وابيه ولا يجوز تعلقه
بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا وتعاهد السعي والمعنى في اختصاص الاب
اخراج الكلام مخرج الاغلب وقال جار الله السبب فيه ان الاب ارفق الناس به واعظمهم عليه وغيره ربما عنف به
في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ويروى انه كان يومئذ ابن ثلث عشرة سنة وقيل اراد السعي في المنافع
وفي طاعة الله واعلم ان الناس اختلفوا في الذبيح فعن ابي بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن
المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك انه اسمعيل لقوله صلعم انا ابن الذبيحين فاحدهما اسمعيل والاخر ابوه عبد الله وذلك
ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة اتى بهم البيت وضرب بينهم بالقداح فخرج
قدح عبد الله فمنعه اخواله ففداه بعشرة من الابل فخرج قدحه ففداه بعشرة اخرى وضرب مرة اخرى فخرج قدحه
وهكذا الي ان تمت مائة فخرج القدح على الجزور فنحرها ومن ذلك الدية مائة وفي رواية اخرى
ان اعرابيا قال للنبي صلعم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال عبد الله بن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم
نذر لله ان سهل الله امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على ولده عبد الله فمنعوه ففداه بمائة من الابل حجة اخرى
نقل عن الاصمعي انه قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان
اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه وسن النحر بمكة حجة اخرى وصف اسمعيل بالصبر في قوله واسمعيل واليسع وذا

الكفل

١٦

الكفل وكل من الصابرين وهو صبره على الذبح في قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد
وذلك انه وعد اباه الصبر على قضاء الله او على الذبح فوفى به حجة اخرى ومن وراء اسحق يعقوب فمن قرأ بالنصب لانه
اذا بشر بالولد من صلبه علم انه لم يؤمر بذبحه حجة اخرى اجمعوا على ان اسمعيل متقدم في الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب
لي من الصالحين ثم انه ذكر عقيبه قصة الذبح وايضا قوله وبشرناه باسحق يجب ان يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والا لزم
التكرار حجة اخرى ان قرني الكبش كانا ميراثا لولد اسمعيل عن ابيهم وكانا معلقين بالكعبة الي ان احترق البيت في ايام
ابن الزبير والحجاج وعن علي وابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب اهل الكتاب ان الذبيح اسحق لما يروى ان
النبي صلعم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
فاجابوا عن قوله وبشرناه باسحق اي بشر بالغلام اولا ثم بنبوته ثانيا وايضا صرح بالمبشر به في قوله فبشرناها باسحق
وفي قوله فبشرناه بغلام وايضا لا نسلم ان البشارة بيعقوب كانت متصلة ببشارة اسحق اعتبارا من قرأ يعقوب
بالرفع وايضا اجمعوا على ان المراد من قوله اني ذاهب الي ربي هو مهاجرته الي الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب ان يكون
الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لان اسمعيل قد نشأ بمكة وكان الزجاج يقول الله اعلم
ايهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين في الذبيح اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا ان الذبيح اسمعيل ذهبوا
الي ان الذبح كان بمنى وهذا اقرب والذين قالوا ان الذبيح كان بالشام وخصصه بعضهم ببيت المقدس اذا عرفت هذا
الاختلاف فقوله يا بني اني ارى في المنام انما قال بلفظ المستقبل لانه كان يرى ذلك في منامه ثلث ليال وان رؤيا
الانبياء وحي وحينئذ ذكر تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى انه راكب سفينة رأيت في المنام اني ناج من هذه المحنة
فكانه قال اني ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك ويحتمل ان يكون حكاية ما رآه وقال بعض المفسرين رأى ليلة التروية
كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فاصبح يروي في ذلك امن الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية
فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فسمي عرفة ثم رأى مثله في الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقال
بعضهم حين بشرته الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي مع ابيه قيل له اوف بنذرك
فانظر ماذا ترى من الرأي ومن قرأ ترى من الاراءة فالمعنى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وانما شاوره في امر هو حتم من الله ليعلم ان
جزع ويفرح بصبره ان ثبت او لئلا يفجأ الذبح مفاجأة من غير اعلام به وتمهيد ولتكون سنة في المشاورة فقد قيل
لو شاور آدم الملائكة في الاكل من الشجرة لما فرط منه ذلك قال يا ابت افعل ما تؤمر اي به فحذف الجار كقوله
امرتك الخير او امر على تسمية المأمور به بالمصدر ثم اضافته الي المفعول فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله قال قتادة
اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله اي صرعه واللام في للجبين كهي في قوله يخرون للاذقان والجبين احد جانبي
الجبهة وقيل كبه لوجهه لان الولد قال له اذبحني وانا ساجد يروى انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية
ننطلق الي الشعب ونحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني
ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع امرارها على حلقي
ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون لها
اسهل فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان فقال له كبني على وجهي
ولا تنظر الي حتى لا تدركك رقة تحول بينك وبين امر الله قال جار الله تقدير الكلام فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به البيان من استبشارهما وما انعم الله عليهما من دفع
البلاء وما اكتسبا في تضاعيف ذلك من الثواب والثناء وقد اشار الي جميع ذلك بقوله انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا
الامر الذي قد دفع لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص عن المدعي او المكروه الذي لا اصعب
على النفس منه يروى انه لما وصل موضع السجود منه الي الارض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه
فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرائيل معه كبش اقرن املح فكبر جبرائيل والكبش
وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه فذلك قوله سبحانه وفديناه بذبح والفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر
عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله عظيم اي سمين ضخم الجثة بالقياس الي امثاله وهي السنة في الاضاحي

اسحق

قال صلعم استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم حالا ستشرف جعلها مثنى بثنية كريمة وعن سعيد بن جبير حق له
ان يكون عظيما وقد رعي في الجنة اربعين خريفا يعني قوله ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في
الجنة الى ان فدي به اسمعيل وقيل سماه عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد خليله وقيل وصفه بالعظم
لبقاء اثره الى يوم القيمة فانه ما من سنة الا ويذبح بسبب ذلك من الابكار ما لا يحصيه الا الله تعالى وعن الحسن انه وعل
اهبط عليه من ثبير وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش املح ينحط من الجبل فقام عنده ابراهيم عليه السلام
فذبحه وخلى ابنه استدل بعض الاصوليين من اهل السنة بالاية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته وقالت
المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية بعدم الجواز لاستلزامه البداء او الجهل وزعموا ان الله تعالى امر ابراهيم في المنام
بمقدمات الذبح كاضجاع ابنه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل اذ لو ورد الامر سلمنا انه
امر بنفس الذبح لكن لم لا يجوز انه قطع الحلقوم الا انه كان يلتئم من الخلف بلا فصل قيل له قد صدقت الرؤيا والفدا فضل من
الله في حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع الذبح في الظاهر ولهذا قال وفديناه بذبح عظيم باسناد الفدا الى ذاته تعالى
والحق ان نسخ الحكم قبل وقته لا يدل على البداء والعبث كما انه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الامر
ان يعلم ان المامور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة ام لا فتصديق الرؤيا يكفي فيه الاتيان
بمثل هيئة الذابح من الرؤيا ما يكون تاويلها بالشبه كرؤيا يوسف والفدا زيادة تشريف وتكريم ووضع سنة مؤكدة
ويروى انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد
فبقي سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين وقد مر نظيره في قصة نوح الا انه لم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على
كذلك لانه سبق ذكر التاكيد في هذه القصة مرة فلم يحتج الى اعادته على انه قد بقي من القصة شي فناسب الاختصار
في الاعتراض وقوله وبشرناه باسحق من جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل ومن قال الذبيح اسحق
قال بشر بنبوته وقد كان بشر بمولده قوله نبيا من الصالحين كلاهما حال مقدرة من الفاعل اي بشرناه به مقدرا ادعا لما
او حالا بانه نبي صالح وقد اطنب صاحب الكشاف في هذا المقام حتى بنى الكلام على انه حال مقدرة من اسحق وهو عندي
تطويل بلا طائل قوله مباركا وباركنا عليه قيل اي على الغلام المبشر به وقيل على ابراهيم وعلى اسحق اي افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا ومن جملة ذلك ما روي انه اخرج من صلب اسحق الف نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى وهم المشار اليهم
بقوله ومن ذريتهما محسن ويعلم من قوله وظالم لنفسه ان البر قد يلد الفاجر ولا عار على الاب وان الشرف بالحسب لا
بالنسب واما قصة موسى فلا خفا بها والكرب العظيم تسلط فرعون وجنوده على قومه وقيل الغرق والضمير في نصرناهم
لهما ولقومهما والمستبين البليغ في بيانه وهو التورية بان هما ابان واستبانا بمعنى الا ان الثالث ابلغ والصراط المستقيم
دين الله الذي اشترك في اصوله جميع الرسل واما الياس فالجمهور على انه نبي من بني اسرائيل بعث بعد موسى وكان من
ولد هارون وقيل هو ادريس النبي وقد مر ذكره في سورة مريم اذ ظرف لمحذوف اي اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه
الا تتقون الله قال الكلبي اي الا تخافون عبادة غير الله وحين ضمنهم مجملا ذكر سببه فقال اتدعون بعلا وهو اسم صنم من ذهب
كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن
وجعلوهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس قال
الامام فخر الدين الرازي ولو جوزنا دخول الشيطان في جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا في كثير من المعجزات كحنين الجذع
وكلام الجمل قلت هذا الوهم يندفع بعد ثبوت النبوة بمعجزات اخر والله اعلم وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون
بعض البعول وتتركون عبادة احسن الخالقين ثم بين جزاء تكذيبهم انهم لمحضرون في العذاب غدا
وباقي القصة ظاهر الى قوله آل يس قرئ على الاضافة فعلى ان ادريس آل ياسين اي سلام على اهل ياسين
وقيل الياسين اسم القرآن وكانه قيل سلام على من امن بكتاب الله والوجه الاول هو الانسب الاقوى ومن قرأ
على صورة الجمع فقد قال الفراء اراد به الياس واتباعه من المؤمنين كقولهم المهلبون الاشعرون بتخفيف
ياء النسبة وقيل انه لغة في الياس قال الزجاج يقال ميكائيل وميكائين وكذا اصبهانا حكى الثعلبي وعنهم ان
الياس نبي من سبط هرون بعثه الى بني اسرائيل وكان فيهم ملك يقال له اخت اوله امرأة يقال لها ازبيل

وكانت

١٧

وكانت تقضي للناس كما يريد زوجها وتجلس للحكم كما يجلس فاتاهما الياس ودعاهما الى الله فابيا عليه وهما بقتله فاختفى
منهما بسبع سنين وكان اليسع خليفته فقال امره الى ان اوحى اليه اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف فجاءه فرس
من نار فوثب عليه وناداه خليفته ابن اخطوب ما تامرني فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك علامة استخلافه
اياه على بني اسرائيل ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا
ارضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار وهما اخر من يموت من بني ادم وكان الحسن يقول قد هلك الياس
والخضر لا نقول كما يقولون الياس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى مصبحين وبالليل ان مشركي العرب كانوا مسافرين الى الشام
فلعل اكثر مرورهم تلك البلاد كان في هذين الوقتين لا سيما بعض كراوعنهم وقصة يونس ايضا مما سبق ذكرها وفيها
مزيد تسلية وتثبيت للنبي صلعم قال بعضهم انه ارسله ملك زمانه الى اولئك القوم ليدعوهم الى الله تعالى فابى وذهب
هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والاظهر ان قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور في معرض التعظيم على قياس
وابتناء القصص ولن تتفيد هذه الفائدة الا اذا كان الارسال من الله واما الجواب عن اباقه فقد مر في قوله
وذا النون اذ ذهب مغاضبا قوله المشحون كالعلة لقوله فساهم والمساهمة المقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا
قال المبرد هي من السهام التي تجال للقرعة والمدحض المغلوب في الحجة ونحوها وحقيقته الزلق عن مقام الظفر
والغلبة يروى انه لما غضب على قومه خرج من بينهم حتى اتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها
فلما وصلت الى لجة البحر اشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح
ولا سبب ظاهر وقد زعم اهل البحر ان السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري فاقترعوا فخرج يونس فقالوا الخاطئ اولى
بالمعصية من نبي الله ثم عادوا ثانيا وثالثا فخرج سهمه فقال يا هؤلاء انا العاصي ورمى بنفسه الى الماء فالتقمه الحوت
اي ابتلعه كاللقمة وهو مليم داخل في الملامة من الثلاثي لا من مليم اي ملوم غيره وهو احق منه باللوم فلولا انه
كان من المسبحين قيل اي من المصلين عن قتادة كان كثير الصلوة في الرخا وقيل من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
والتقديس كما قيل اذكر الله في الخلوات يذكرك في الفلوات والاظهر ان المراد منه ما حكى الله تعالى في اية اخرى
انه كان يقول في تلك الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والضمير في يبعثون للخلائق بالقرينة
وكيف يلبث فيه اقوال احدها بقي هو والحوت الى يوم البعث والثاني يموت الحوت ويبقى هو في بطنه والثالث
يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت فعن الحسن انه لم يلبث الا قليلا وقيل ثلاثة
ايام وعن عطا سبعة وعن الضحاك عشرين وقال الكلبي اربعين ويروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا
انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد
الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل وحكى
بعض الثقات وان لم يطابقه راي اصحاب المسالك ان الحوت اخرجه الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى
البطائح ثم دجلة فلفظه بارض نصيبين ثم نبذه اي ان بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد فانبت الله عليه شجرة
من يقطين وذلك كالمعجزة له قال المبرد والزجاج هو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به فيشمل كل شجرة لا تقوم
على ساق كالدباء والبطيخ الا ان المفسرين خصصوه بالدباء قالوا لان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلعم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس قال القاضي في الاية دلالة على ان اليقطين لم يكن من قبل
فانبته الله عليه لاجله والا فان اليقطين كان قائما بجنبه يحصل له ظل قلت الثاني مسلم الا ان الاول ممنوع ان اريد
به النوع وان اريد به الشخص فمسلم وقيل هي التين وقيل هي شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها واغتذى
من ثمارها ويروى انه كان يستظل بالشجرة وكانت ظبية تاتيه فيشرب من لبنها ويروى انه مرت زمان على الشجرة
فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف او يزيدون ليس للشك وانما المراد وصفهم بالكثرة
في راي الناظر اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر ومن هذا التاويل ينتظم وجه العطف من حيث المعنى كانه قيل

وارسلناه الي قوم يزيدون والابهام في حق المخاطبين كما تقدم وقيل او للتخيير وكان الغرض عليه ان يدعوا ماية
الف ثم حيرهم في دعوى الزيادة ان شا الله وقيل او بمعنى بل والزيادة ثلثون الفا عن ابن عباس وقيل بضعة
وثلثون وقيل بضعة واربعون وقيل سبعون وجاء مرفوعا عشرون الفا ويحتمل ان يراد او يزيدون في نظر الرائي
لا يقع عليهم ملة كما قال فامنوا فمتعناهم الي حين هو انقضاء اجالهم وقيل القيامة وقد مر عطف قوله فاستفتهم على
مثله في اول السورة والوجه فيه انه امر رسوله باستفتاء قريش عن سبب مكان البعث ثم ساق الكلام متصلا بعضه
ببعض على ما عرفت في اثناء التفسير ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين اضافوا البنات الي الله تعالى في
قائلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووعيتهم في البنين دون استفتائهم على سبيل التوبيخ شرع في تزييف
معتقدهم نقلية عقلية وذلك ان سند الدعوى اما ان يكون حسيا او خبرا او نظرا اما الحس فمفقود لانهم ما شاهدوا
كيفية تخليق الله الملائكة اناثا وهم شاهدون اما الخبر فكذلك لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم انه صدق قطعا وهؤلاء
كذبة افاكون واشار اليه بقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود ايضا وبيانه
من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساده لان الله تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء الاخس لاجل نسله
وذلك قوله اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون من قرا اصطفى بفتح الهمزة فلانه استفهام بطريق الانكار
وقد حذفت همزة الوصل للتخفيف ومن قرا بكسرها فعلى الاخبار وجعله من جملة كلام الكفرة الثاني عدم الدليل
على صحة مذهبهم وهو قوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ونظيره ما مر في قوله ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الطائفة
الاولى والمعنى انهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبة بسبب قولهم انه بنات فان الولادة تقتضي الجنسية والمناسبة
وفيه توبيخ لهم على ان من صفته الاجتنان والاستار كيف يصلح ان يكون مناسبا لمن لا يجوز عليه صفات الاجرام وعلى
هذا فالضمير في قوله انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علمت الملائكة انهم في ذلك كاذبون
وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون وثانيهما انهم طائفة من الزنادقة قائلون بيزدان واهرمن كما مر في الانعام
في قوله وجعلوا لله شركا الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين وروي عن عكرمة انهم قالوا اشراف
الجن بنات الرحمن وقال الكلبي زعموا ان الله سبحانه تزوج الي الجن فخرج منها الملائكة والثاني الجنة الثانية لكي
وحقه قال جار الله الاستثناء في قوله الا عباد الله منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما اعتراض
دال على التنزيه ويجوز ان يكون الاستثناء من الضمير في يصفون اي يصفه هؤلاء وبذلك ولكن اهل الاخلاص براء
من وصفه بما لا ينبغي وحين بين المذاهب الفاسدة بعضها بين ان اهل الشرك ومعبودهم ليس لهم ان يفتنوا على الله
اي يحملوا غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والضلال الا من سبق علم الله انه من اهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق في علمه
انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وجوز جار الله ان يكون الواو وما تعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على
تعبدون كما في قولهم كل رجل وضيعته ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال الامام
ثم نظم هذه الايات ان يكون قوله سبحان الله الي قوله المسبحون من كلام الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة وشهدوا
ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباده المخلصين
وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانتم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه الا من كان مثلكم ممن
علم الله عز وجل لكفرهم انه من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلا بين يديه لكل منا مقام
من الطاعة لا يستطيع ان يتجاوزه ونحن الصافون كما مر في اول السورة ونحن المسبحون وقال في التفسير الكبير
هاتان الجملتان يدلان على الحصر وفيه اشارة الي ان طاعة البشر كالعدم بالنسبة الي طاعات الملك فكيف يجوز
ان يقال البشر يقرب درجتهم من درجة الملك فضلا عن دعوى الافضلية قلت لا شك ان هذا التركيب
يفيد الحصر الا انه لم يفرق بين نص الاول على الثاني كما في الاية وبين عكسه والذي يفيد مدعاه هو العكس لا
الاصل فافهم وقيل هذه الايات من قول رسول الله صلعم اي وما منا المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله
ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وبعد سوقه الي حكي ان مشركي قريش كانوا يقولون

لديهم

لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من جملة كتب الاولين اي نظيرها في بيان الشرايع والتكاليف لاخلصنا العبادة لله وان مخففة
واللام فارقة فكفروا به الفاء للربط اي فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار فكفروا به فسوف يعلمون خاتمة عاقبة
التكذيب وقيل ان ارادوا لو علمنا حال ابائنا وما ال اليه امرهم وكان ذلك كما يقول محمد لا منا به واخلصنا على شك منهم ثم بين
ان رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا واجلا والاول اكثري والثاني محقق يقيني ثم امر نبيه بالصفح
والاعراض الي اوان النصر والغلبة قائلا فتول عنهم اي اعرض عن اذاهم الي حين الامر بالقتال او الي يوم بدر او الي
السدي او الي الموت او القيامة وابصرهم وما يقضي عليهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرون
وما يؤل اليه امرك من النصر والثواب في الدارين وتسلية له كان الحالة الموعودة قدام عينيه ثم بالغ في تخويفهم وسوف
في الموضعين للوعيد لا للتبعيد وكانهم فهموا التشريف واستعجلوا العذاب فنزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وشبه نزول العذاب في ساحتهم بعد ما انذروه بجيش انذر
بعض النصحاء بهجومه قومه فلم يلتفتوا الي انذاره ولا اخذوا اهبتهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن الغارة عليهم فلما نزلت
في فتح مكة وعن انس لما اتى رسول الله صلعم خيبر وكانوا خارجين الي مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس
ورجعوا الي حصنهم فقال صلعم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين اي صباحهم فخصوص
بالذم واللام في المنذرين للجنس وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية اما الاول العذاب الدنيا والثاني
عذاب الاخرة واطلق الفعل الاول ايضا ليفاق الاول وليفيد فائدة زايدة هي انه يبصرون ما لا يحيط به
الوصف من صنوف المسرة وفنون المسار واعلم ان السورة اشتملت على قالة المشركين في الله وعلى ما عاناه المرسلون
من جهتهم وعلى ما يؤل اليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني
ورب العزة كقوله قل اللهم مالك الملك والمراد ذي العزة لانها صفته لا مربوبة عن ابن عباس انه سمع رجلا يقول
اللهم رب القران فانكر عليه وقال القران ليس بمربوب ولكنه كلام الله والظاهر ان قوله عما يصفون متعلق بسبحان
كما في قوله سبحان الله عما يصفون وقيل متعلق بالعزة اي امتنع عما وصفوه به وقد مر شي من تحقيق هذه
الخاتمة في اخر سورة يونس قال بعضهم انما لم يقل في اخر نظير لوط ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله في الخاتمة وسلام
على المرسلين عن علي من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية وهي ست وثمانون اية

حروفها ثلثة الاف وتسعة وستون كلماتها سبعمائة واثنان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا
من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء
عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم
في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز

الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند
ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه و
اتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا
على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا
له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه
اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير

عن

١٩

عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن

القراءة او نزل بالواو مثل او نبئكم في ال عمران عذابي وعقابي بالياء في الحالين يعقوب والمسيبي عن
قتيبة وافق سهل وعباس في الوصل ليكة مذكور في الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح ولي نعجة
بفتح الياء حفص والاعشى والبرجمي فتناه بتخفيف النون على انه مثنى والضمير للخصمين عباس ليدبروا بحذف احدى
التاءين على انه خطاب يزيد والاعشى والبرجمي الباقون على الغيبة وادغام تاء الفعل في الدال اني احببت بفتح الياء ابو جعفر
ونافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو الرياح بالجمع يزيد **الوقوف** ذي الذكر ط وشقاق
مناص منهم لتصحيح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد اتفقت الجملتان كذاب للاستفهام واتحاد القائل لحق
لمثلها من عجاب الحكم لما مر يراد كذلك الاخرة كذلك اختلاق لما قلنا من بيننا من ذكري لعطف الجملتين المختلفتين
والابتداء بالتهديد عذاب لان ام بمعنى الف استفهام الكلمى الوهاب لان ام يصلح ابتداء انكار الاسباب الاحزاب الاوتاد
الايكة الاحزاب عقاب فواق الحساب الايد للابتداء بان ولاحتمال التعليل اواب والاشراق اواب الخطاب الخصم
لان اذ ليس بظرف للاتيان ولتناهي الاستفهام الى الامر اي اذكر اذ تسوروا المحراب لان اذ بدل من الاولى لا تخف
الحذف اي نحن خصمان اعادة القول الصراط الخطاب نعاجه ما هم واناب ذلك ماب عن سبيل الله الاول الحساب
باطلا كفروا للابتداء بالتهديد مع فاء التعقيب النار لان ام استفهام انكار كالفجار الالباب سليمان العبد اواب والنعم
الوقف والتقدير اذكر فان اوبه عن معنى مطلق الجياد للعطف لاحتمال ان حتى للابتداء وان يكون انتهاء للحب
اي اثرت حب الخير حتى توارت بالحجاب تغفيه لحق الحذف تقديره قال ردها على الاعناق اناب بعدي لاحتمال
ان يكون التقدير فانك الوهاب اصاب وغواص الاصفاد حساب ماب **التفسير** عن ابن عباس ان صاد
بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد بن جبير بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد في كل ما اخبر به
عن الله وقيل صدق الكتاب عن قبول هذا الدين وقيل صاد محمد قلوب العباد وقيل هو من المصاداة المعارضة
ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الجبال وهذه قراءة من قرا صاد بالكسر ومعناه عارض القران بعملك فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة او الموعظة وجواب القسم محذوف كانه قيل بحق القران
كما يقول هذا حاتم والله يريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ثم بين ان الكفار في استكبار عن الاذعان للحق
في مخالفة الله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والاخذ في كلام اخر ولمن سلم انه للمغايرة ومعنى بل ترك كلام والاخذ
في كلام اخر ولمن سلم انه للمغايرة الكلية والكلام الاول هو كون محمد صادقا في تبليغ الرسالة او كون القران او
هذه السورة معجزة والحكم المذكور بعد بل هو المنازعة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلب ثم خوف الكفار
بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا اي رفع اصواتهم بالدعاء والاستغاثة لان نداء من نزل بها العذاب
لا يكون الا كذلك وعن الحسن نادوا بالتوبة نظيره فلما راوا باسنا قالوا امنا ولهذا قيل ولات حين مناص
اي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب او حين نداء ينفع قال سيبويه والخليل التاء في لات زائدة مثلها في ربت
وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا يدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا اسمها او خبرها وتقدير الاسم

ليس لحين حين مناص ولو رفع فكان تقديره وليس حين مناص حاصلا لهم وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها
التاء وخصت بنفي الاحيان كأنه قيل ولات حين مناص لهم وقيل اصل لات ليس قلبت الياء الفا والسين تاء وقيل التاء تزاد بالحين نحو
قوله شعر العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والى هذا ذهب ابو عبيدة وتأكد هذا الرأي عنده حتى
رأى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم انه في الامام كذلك بان خط المصحف غير مقيس عليه اما الوقف على لات
فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الاسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الافعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب او نجا
او فات ثم حكى سبحانه سوء صنيعهم فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم اي من جنسهم في حق النبي صلعم قائلا وقال الكافرون هذا ساحر في اظهار خوارق العادات كذاب
البشر ثم سجل عليهم بالكفر بوضع الظاهر موضع المضمر قائلا
على الله ولما قال في سورة ق فقال الكافرون بالفاء لان المقول هناك هذا شيء عجيب وهو نتيجة التعجب فاتصل الكلامان
لفظا ومعنى واما ههنا فلم يتصل الا معنى اجعل الآلهة اي صيرها وحكم الهاء بالوصل ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب
يروى انه لما اسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الاشراف
والرؤساء امشوا الى ابي طالب فأتوه وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين
ابن اخيك فدعا ابو طالب النبي صلعم وقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال لهم ماذا تسألوني
فقالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال صلعم اعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له
ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا اجعل
الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فأنزل الله هذه الآيات يعني من اول السورة الى قوله كذبت قبلهم وانطلق
الملأ منهم اي نهضوا من ذلك المجلس وان مفسرة اي امشوا من غير ان يتلفظوا به واصبروا على عبادة آلهتكم قال المحققون
الانطلاق ههنا متضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم وقيل وانطلق الملأ منهم وقال بعضهم
امشوا وقيل انطلقوا بان امشوا اي بهذا القول وليس المراد بالمشي المشي بل انما المراد المضي على الامر وقيل امشوا وتركوا محمدا وقيل
هي من مشت الماشية اذا كثر نسلها مشاء ومنه الماشية للتفاؤل وفي تهذيب اللغة عن الازهري مشى الرجل اذا استغنى
فكأنه دعا لهم بالبركة ان هذا الامر وهو استعلاء محمد لشيء يراد اي حكم الله فيه فلا حيلة في دفعه ولا ينفع الا الصبر
او انه لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا او ان دينكم لشيء يراد اي يوجد منكم وقيل ان عبادة الاصنام لشيء
يراد ويحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء والترفع لشيء يريده كل احد وكل ذي همة وقريب منه قول القفال ان هذا
كلمة تذكر للتهديد والتخويف ومعناها انه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين ولكن غرضه ان يستولي
علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد في الملة الآخرة اي فيما ادركنا عليه آباءنا او في
ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة قال جار الله يجوز ان يكون التقدير ما سمعنا بهذا كائنا في الملة
الآخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه من عنده ثم اظهر ما الحسد وما كان يعلق به صدورهم
قائلين ءانزل عليه الذكر من بيننا ونظيره في القمر أألقي عليه الذكر من بيننا الا انه استعمل هناك الالقاء لان اذكارهم
كانت صحفا مكتوبة والواحا مسطورة وقدم الظرف ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم وحنقهم فأجاب الله تعالى
عن شبهتهم بقوله بل هم في شك من ذكري اي من دلائلي التي لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع لاسلوب المسلك وقيل
اراد انهم لا يكذبونك ولكنهم جحدوا ما آباك ثم قال بل لما يذوقوا عذاب اي لم يذوقوه ولا قبلوا على اداء الملمات والا لما شكوا
عن المنهيات وقيل اراد ان النبي صلعم كان يخوفهم العذاب لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك
سببا لشكهم في صدقه فلا جرم قال تعالى انه لا يزول ذلك الشك الا بنزول العذاب ثم اجاب عن شبهتهم بوجه آخر
وهو قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك والمراد ان النبوة من جملة نعم الله يعطيها من يشاء من عباده ثم خصص
بعد التعميم قائلا ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ولا ريب ان هذه الاشياء بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين عن
البعض فعن الكل اولى ثم تهكم بهم بقوله فليرتقوا اي فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج
والطرق التي يتوصل بها الى المقصود وقيل اسباب السموات ابوابها والمعنى ان ادعوا ملك السموات وانهم يعلمون ما يجري
فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام في الاسباب اشارة الى ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى

والحواس اسباب حوادث العالم السفلي ثم حقرهم بقوله جند ما هو خبر مبتدأ محذوف وما مزيدة للاستعظام
جارية مجرى الصفة اي هم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله من الاحزاب اي ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على
رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح
مكة فان مكة هي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وقال اهل البيان هي اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ثم مثل حالهم بحال من قبلهم من الامم المكذبة وخصص
مذكورين سوالفها والذي يختص بالمقام هو انه وصف فرعون بذي الاوتاد فعن قتادة انه كانت له اوتاد وارسان وملاعب
يلعب بها عنده وقال المبرد هي ابنية طويلة محكمة صارت كالاوتاد لبقائها وقيل هي اوتاد اربعة كان يعذب الناس
بها على الارض او على رؤوس الخشب او بعضه وقيل اراد كثرة اوتاد خيام معسكره وقيل اراد انه ذو جموع كثيرة فالجمعة
تستند الملك كما يستند البناء بالاوتاد وهذا اقرب من قول اهل البيان انه اصله هذا البيت من ثبات البيت المطنب باوتاد
ثم استعير لثبات العز والملك والمقصود على الوجوه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم انه اهلك من
كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال ابو البقاء قوله اولئك الاحزاب مبتدأ وخبره ويجوز ان يكون خبرا والمبتدأ من قوله
وعاد وثمود وقوم لوط قلت ويحتمل ان يكون الاحزاب صفة اولئك بدلا من مجموع المعطوفات والمعطوف عليه قال
جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر
تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية اعني قوله ان كل الا كذب الرسل فبين ان كل واحد
من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا فحق اي ثبت او وجب لذلك عقابي اياهم
في الدنيا ثم في الآخرة وذلك قوله وما ينظر هؤلاء المذكورون وقيل اهل مكة الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى ما لها من فواق
مقدار فواق وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتي الحالب عن النبي صلعم العيادة قدر فواق الناقة ومعنى الآية انه اذا جاء وقتها
لم يمهل هذا القدر وقيل الفواق بالفتح الافاقة اي ما لها من رجوع وترداد لان الواحدة يكفي امرهم او ما لها رجوع الى
الحالة الاولى بل يبقى مدة الى ان يهلك كلهم واعلم ان القوم انما نحوا الشبهات ثلاثا ونفت لهم اولا ما في الالهيات وهو
قولهم اجعل الآلهة الها واحدا والثانية في النبوات وهي قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا والثالثة تتعلق بالمعاد وهي
قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو القسط من الشيء لانه قطعة اذا قطعه والقط ايضا صحيفة الجائزة وهو ههنا لانها قطعة من
القرطاس استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود او من اللذات العاجلة او من الجنة او من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء
منهم فلهذا امره بالصبر على ما يقولون ثم قال جار الله اراد اصبر على اذاهم وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم
واذكر اخاك داود كيف تزل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها فنسب الى البغي واصبر وعظم امر معصية الله في اعينهم
بذكر قصة داود وما ادى شأنه لذنبه من البكاء الدائم والحزن الواصب فقال غيره اصبر على اذى قومك فانك مبتلى بذلك
كما صبر سائر الانبياء على ما ابتلاهم ثم عدهم وبدأ بداود وذلك معنى منزلة اباه ابراهيم واسحق ويعقوب ناد في الله
انهم وجدوها بالصبر على البلايا فسال الابتلاء وفيه ان الدنيا لا تنفك من الهموم والاحزان واستحقاق الدرجات بقدر
الصبر على البليات ثم ان مجامع ما ذكر الله تعالى في قصة داود ثلاثة انواع من الكلام الاول تفصيل ما اتاه
الله من الفضائل الثاني شرح الواقعة التي وقعت له الثالث استخلاف الله اياه بعد ذلك والاول عشرة
اصناف احدها ذكر نبينا صلعم اياه ليقتدي به في الصبر وسائر اصول الاخلاق ثانيها تسميته بالعبد مضافا الى صيغة
جمع المتكلم للتعظيم والعبودية الصحيحة جامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ويمكن ان يكون التلفظ بذكر اسمه العلم ايضا
تشريفا له وثالثها قوله ذا الايد ذا القوة على الطاعات وعن المعاصي وكان يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد
الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل ان تكون الياء محذوفة اكتفاء بالكسرة فيكون جمع اليد بمعنى النعمة لان الله انعم عليه بما لم
ينعم على غيره ورابعها قوله انه اواب رجاع في الامور كلها الى طاعة الله ومرضاته من آب يؤوب وخامسها
تسخير الجبال معه وقوله يسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعد شروقها عند الضحى يقال شرقت
الشمس ولما تشرق واستدل به ابن عباس على وجوب صلاة الضحى عن ام هانئ دخل علينا
رسول الله صلعم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانئ هذه الصلوة صلوة الاشراق قال ابن عباس

وكانت صلوة يصليها داود عليه السلام ويحتمل ان يكون معنى الاشراق الدخول في وقت الشروق فيراد وقت صلوة
الضحى لتشابه بالشروق قاله جار الله وسادسها قوله والطير محشورة اي وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس
كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة في الانبيا وفي سبا
قال اهل البيان قوله يسبحن في مقابلة محشورة ولكنه اختير الفعل في احد الوصفين والاسم في الاخر لانه اريد في الاول الدلالة
على حدوث التسبيح من الجبال شيا بعد شي وحالا بعد حال حتى كان السامع يتصورها تلك الحالة واما الحاشر فهو الله تعالى
حشر الطيور جملة واحدة ادل على القدرة وسابعها قوله كل له اواب اي كل واحد من الجبال والطير لله مسبح رجاع الى فعله
مرة بعد مرة وهذا الوصف كالتاكيد للوصف الذي يتقدمه وهذا اخص لانه ادل على الموافقة وثامنها قوله وشددنا ملكه اي
قويناه بالجنود والاعوان وسائر الاسباب وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلثة وثلثون الف حرس وزاد بعضهم فقال اربعون
الفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه ان غلاما ادعى على رجل بقرة فانكر المدعى عليه ولطم الغلام لطمة فسال داود من الغلام
البينة فعجز فراى داود في المنام ان الله تعالى امره ان يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فاتاه
الوحي بذلك اليقظة فاخبر بذلك بني اسرائيل فجزعوا وقالوا انقتل رجلا بلطمة فقال داود هذا امر الله فسكنوا ثم احضر
الرجل واخبره ان الله امر بقتله فقال الرجل صدقت يا نبي الله اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فقتله وعظمت
هيبته واشتد ملكه وقالوا انه يقضي بالوحي من السما وتاسعها قوله واتيناه الحكمة وقد مر معناها مرارا وانها
محصورة في شيين وعاشرها العلم بالتصورات الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية والاول
العمل بالاخلاق الفاضلة المتضية الى السعادة الباقية وخصصها بعضهم بالنبوة وبعضهم بالعلم والفهم او بالزبور
والشرايع والثاني في فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعاني والتعبير عنها باقصى الغايات حتى تكون كاملا مكملا
فيهما معا قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين من الكلام الملخص الذي لا يلتبس ولا يختلط بغيره فلنت
ومن ذلك انه لا يخطي صاحبه مظان الفصل والوصل كما مر ذكره في الوقوف وعن علي كرم الله وجهه انه قوله البينة على
المدعي واليمين على من انكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم او العدد ويندرج فيه جميع كلامه في الاقضية والحكومات
وتدابير الملك والمستغربات يروى ان الله سبحانه علق لداود سلسلة من السما وامره ان يقضي بها بين الناس فمن كان
على الحق ياخذ السلسلة ومن كان على باطل لا يقدر على اخذها ثم ان رجلا غصب من اخر لولوة وجعلها في جوف عصا له
ثم خاصمه المدعي الى داود فقال المدعي ان هذا اخذ مني لولوة ولم يردها علي واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة
ثم قال المدعى خذ مني العصا فاخذ عصاه فقال اني رددت عليه اللولوة واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة
فتحير داود في ذلك فرفعت السلسلة وامره ان يقضي بالبينة واليمين وهو فصل الخطاب وقيل هو قوله اما بعد وهو
اول ما تكلم به وقيل هو انه اذا تكلم في الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير دليل والاولى ما قدمناه ثم انه
سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة اردفه بذكر واقعته قائلا وهل اتيك يا محمد نبؤ الخصم اي ما اتيك خبرهم وقد اتاك الان
وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها لكونه ادعى الى الاصغاء لها وللناس في هذه القصة
ثلثة اقوال اولها انها تقرير ما على وجه لا يدل على صدور ذنب عن نبي الله وثانيها المقرر يدل على وجه يدل على
وجوه صدور الصغيرة عنه وثالثها التقرير على وجه يدل على الكبيرة وتختلف تفسير بعض الالفاظ بحسب
اختلاف بعض المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة فاما المشترك فلا نفسره الا عند القول الاول يروى ان جماعة
من الاعدا طمعوا ان يقتلوا نبي الله داود وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك وتسوروا
المحراب اي تصعدوا واعتنقوه من سوره وفي قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى انهم بعد التسور نزلوا عليه قال الفراء يجاب
مرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علي واذ اجترأت علي مع انه يكون وقت الدخول وقت الاجترا
واحدا وحين راهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم انهما كانوا اعداء له فشرع يفزع منهم قالوا لا تخف خصمان والخصم
في الاصل مصدر فلذا لم يجمعه اولا نظرا الى اصله وثناه ثانيا نظرا الى خصمان ومرجع الضماير في قوله
اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لا تخف بناء على ان اقل الجمع اثنان او على ان تحت كل منهما من جماعتها والاول
اظهر لان القايلين كانا اثنين بالاتفاق بغى بعضنا على بعض اي بغى احدهما على الاخر وتعدى حد العدالة ثم قرر

مقصودهم

٢١

مقصودهم بثلث عبارات متلازمة احدها فاحكم بيننا بالحق اي بالعدل الذي هو حكم الله فينا والثانية ولا تشطط
وهو نهي عن الباطل بالتزام الحق والشطط البعد شط واشط لغتان اراد ولا تجر فالجور البعد عن الحق والثالثة واهدنا الى
سواء الصراط اي وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه وحين اخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا في التفصيل فقال
احدهما مشيرا الى الاخر ان هذا اخي اي في الدين والصداقة والخلطة او النسب له تسع وتسعون نعجة وهي الانثى من
الضان ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها اي ملكنيها فاكفلها كما يكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب اي غلبني في المخاطبة
وكان يتكلم ابين وبطشه اشد قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك اضاف المصدر الى المفعول الثاني وحذف الفاعل والمفعول
الاول اي بسواله اياك نعجتك وليس السوال هيهنا سوال مصنوع وتفضل وانما هو سوال مطالبة ومعاندة والى متعلقة بفعل
دل عليه السوال تقديره بسوال نعجتك لتضمها الى نعاجه او ضمن السوال معنى الاضافة كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على
وجه الطلب وان كثيرا من الخلطاء الشركا الذين خلطوا اموالهم والملع بسبب ذلك بعضهم على احوال البعض ليبغي بعضهم
على بعض وقد يغلب الخلطة في الماشية والشافعي يعتبرها في باب الزكوة اذا اتحد الفحل والراعي والمراح والمسقى وموضع
الحلب فان كانت للخليطين اربعون شاة فعليهما شاة وعند ابي حنيفة لا شي عليهما وان كانت لاحدهما اربعون وللاخر
تسع وتسعون فعلى الاول اداء جزء من مائة جزء من شاة واحدة وعلى الاخر الباقي هذا عند الشافعي وعند ابي حنيفة
لا شي على ذي النعجة ثم بين ان اكثر الخلطاء موسوم بسمة الظلم الا المومنين وانهم لقليل وما في قوله وقليل ما هم مزيدة للابهام
وفيه تعجب من قليلهم وقال ابو عيسى هي موصولة اي وقليل الذين هم كذلك وقصد نبي الله بذكر حال الخلطاء في هذا المقام
الموعظة الحسنة والترغيب في اجتناب عادة الخلطاء والصلحاء الا التي اكثرهم عليها من الظلم والاعتداء وفيه تسلية
للمظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وذلك ان القوم
لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوه وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل في قلبه شي
من العجب فحمله على الابتلاء فاستغفر ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه على تلك الحالة لم يكن الا بتوفيق
الله فغفر الله له ذلك الخاطر او لعله هم بايذاء القوم ثم تذكر انه لم يدل دليل قاطع على ان هولاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم
استغفر من تلك التهمة او لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم فاستغفر لاجلهم متضرعا الى الله فغفر
ذنبهم بسبب شفاعته ودعائه ومعنى خر راكعا سقط ساجدا قال الحسين لا يخر ساجدا حتى لا يركع
او المراد انه خر للسجود مصليا لان الركوع قد يعبر به عن الصلوة ومذهب الشافعي ان هذا الموضع ليس فيه
سجدة التلاوة لانه توبة نبي فلا يوجب على غيره سجدة ولا يستحب ايضا ومذهب ابي حنيفة بخلافه
وجوز مع ذلك ان يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد عليه الا ان داود كان ارفع منزلة
من ان يستولي عليه بعض احاد الرعية في حال تعبده او يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا تشطط فانه كيف يسارع
اي يتصوف احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلام الاول والاول استبعاد واجيب عن الثاني بانه ما كان
ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر في القران وما بعد هذا القول ختم ذكر الواقعة فان له عندنا لزلفى
وحسن ماب والزلفى القربة والماب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيمة يوتي بمنبر رفيع
ويوضع في الجنة ويقال يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا وحاصل
التفسير على هذا القول ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين في الغنم
او كان الخلطه خلطة الصداقة والجوار وكان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والعرب
تشبه المراة بالنعجة والظبية والثاني معسرا ماله الا امراة واحدة فاستنزله عنها كانت الانصار يواسون المهاجرين
بمثل ذلك كما كانوا يتقاسمون اموالهم ومنازلهم وما كان ذنب داود الا خطوبة هذه القول الثاني ان اهل زمان
داود كانوا يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته فاتفق ان نظر داود ووقع على امراة رجل
فقال له اوريا فاحبها فساله النزول عنها فاستحيى فنزل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انه مع عظم منزلتك وارتفاع
مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول لكان الواجب عليك مغالبة هواك
والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها وكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن

وتباع

مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز ان يكون الخصمان من الانس كما مر وحين وافق حالهما حال داود تنبه فاستغفر
وان يكون ملكين بعثهما الله لينبهه على خطابه فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا ان الملكين لو قالا نحن
خصمان بغى بعضنا على بعض لكذبا والملايكة لا يكذبون ولا يامرهم الله بالكذب والجواب ان التقدير خصمان
قالا بعضنا على بعض او ارادا ارايت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض الست تحكم بيننا بتصوير المسئلة وتمثيلها
بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون نعجة فاراد صاحبه تتمة المائة وحاجه في ذلك محاجة حريص
على بلوغ مراده عن الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون وانما هذا مثل القول الثالث وهو المشهور عند
الجمهور ان داود صلوات الله عليه جزا زمانه اربعة اجزا يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخواص اموره
ويوما يجمع بني اسرايل للوعظ والتذكير فاتاه الشيطان يوم العبادة والباب مغلق في صورة حمامة من ذهب فمد
يده ليأخذها لابن له صغير فطارت الى قريب منه وهكذا مرة ثانية وثالثة الى ان وقعت في كوة فتبعها فرأى تحتها
على امرأة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه منها ما اشغله عن الصلوة فنزل من محرابه
ولبست المرأة ثيابها وخرجت الى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسالها من انت فاخبرته فقال هل لك زوج فقالت نعم
قال اين هو قالت في جند كذا فرجع وكتب الى امير جيشه اذا جاءك كتابي هذا فقدم فلانا في اول التابوت وكان من
يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده فتحا او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة
اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء فتزوج امرأته فبعث الله اليه ملكين في صورة
انسانين وطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسورا المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه
جالسان ففزع منهما وحين وجد تضمنها مضايقة حاله علم انه مبتلى من الله ويروى انهما قالا حينئذ حكم على نفسه وقيل
ضحكا وعابا فعلم ان الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى ان ذنبه بهذا التقرير والتفسير كبيرة لانه يدل على الافراط في الشهوة وعلى
السعي في النفس المسلمة بغير حق ويروى انه سجد اربعين ليلة لم يرفع راسه الا للصلوة المكتوبة فلم يذق طعاما
ولا شرابا حتى اوحى الله اليه ان ارفع راسك فاني قد غفرت لك فقال يا رب كيف ان جبرايل قال له اذهب الى اوريا وهو زوج المرأة
واستحل منه فانك تسمع صوته في موضع كذا فاتاه واستحل منه فقال انت في حل فلما رجع قال له جبريل هل اخبرته بفعلك
فقال لا فانك لم تعمل شيا فارجع واخبره بالذي صنعت فرجع داود فاخبره بذلك فقال انا اخاصمك يوم القيمة فرجع
مغتما وبكى اربعين يوما فاتاه جبرايل وقال ان الله يقول انا استوهبك من عبدي فيهبك لي واجزيه على ذلك
افضل الجزا فسري عنه وكان حزينا في عمره باكيا على خطيئته ويروى انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها
والمحققون كعلي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة على هذا الوجه ويروى سعيد بن المسيب والحرث
بن الاعور ان علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وهو حد الفرية على الانبيا قلت لا يخفى ان الاحوط السكوت عما لا يرجع الى طائل ولا يحتمل ان يعود فائدة
الى يوم عاجل وعقاب اجل من الدلايل القوية التي اعتمد عليها فخر الدين الرازي رحمه الله في ضعف هذه الرواية
قوله سبحانه عقيب ذكر الواقعة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فمن البعيد جدا ان يوصف الرجل يكون
ساعيا في سفك دم اخيه المسلم بغير حق وبانتزاع زوجته منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندي ان
ذلك عليه لا له لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الى اخره وكانه قيل انا جعلناك خلف من
تقدمك من الانبيا في الدعا الى الله وفي سياسة المدن او خلفت كما يقال السلطان ظل الله في الارض فاللايق بهذا
المنصب السعي في اصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم واموالهم لا السعي في تحصيل هوى النفس باي
وجه يمكن فان صاحبه الملك عليه ضال معرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد حكي عن بعض خلفاء بني مروان انه قال
لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب
عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية وحين تمم واقعة داود نصحه بما فرض
عليه في شان الاستخلاف واشار الى ان الامور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف
ومقتضى الطبايع ولكن لها غاية صحيحة فاحفظ هذا العبق اولا لقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا

ذلك الذي ذكر من خلق هذه الاشياء بلا غاية ظن الذين كفروا لانهم لانكارهم البعث جحدوا الجزاء الذي هو غاية
التكليف فويل للذين كفروا من النار لانهم بجهلهم العقلية مغفوا في تالي البعد والقطيعة فلم يستدلوا بالافاق والانفس
على الصانع نظيره ما مر في اخر ال عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قائلا ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وام منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار والمراد انه لو بطل الجزاء لكان عاقبة الاستوت
حال الطايفتين التقي المصلح للارض بتهذيب الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق الشرع والفاجر
المفسد في الارض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه اقرب منه
الى الحكمة ولا يليق هذا امكان التسوية من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعاني اللطيفة والقواعد الشريفة
على من على رسوله بقوله كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك مبارك كثير المنافع والفوايد ليدبروا اياته لينا ملوانها
يستنبطوا الاسرار والحقايق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل حامل الدواء لوما يحرح على الحمار نب
قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في وجه النظم ان العقلا قالوا من ابتلي بخصم جاهل متعصب وجب ان يقطع
الكلام معه ويخوض في كلام اخر اجنبي حتى اذا اشتغل خاطره بالكلام الاجنبي ادرج في اثنايه مقدمة مناسبة للمطلوب
الاول فان ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب الاول ويصير الخصم مفحما
واذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بلغوا في انكار الحشر الى حيث قالوا في سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب فقال تعالى اصبر على ما يقولون واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في كلام اخر اجنبي في الظاهر
وهو قصة داود الى قوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث
امره بالحكم الحق ثم كانه تعالى قال ايها المكلف اني لا امرك مع اني رب العالمين الا بالحق فبينها الخصم يقول نعم ما فعل
حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يلزمه صحة القول بالحشر والا لزم التسوية بين من اصلح واتقى وبين من افسد وفجر
وذلك ضد الحكمة وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة في الزام المكذبين والخامهم وصف القران بالبركة والافادة والاسناد
لان هذه اللطايف لا تستفاد الا منه وبعد تتميم قصة داود شرع في قصة ابنه سليمن بقوله نعم العبد اي هو فحذف
المخصوص للعلم وفي قوله انه اواب كما مر في قصة داود اشارة الى انه كان شبيها بالاب في الفضيلة والكمال فلذلك
استويا في جهة المدح وفي القصة واقعتان ويمكن تقرير كل منهما كالتي واقعة ابيه على وجه لا يقدح في العصمة وهو المختار
عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الاشهر فلنفسر كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى اما الاول من الواقعة
الاولى فقوله اذ عرض عليه بالعشي الصافنات وهي جمع صافن وهو الذي يقوم على ثلث قوايم ويجعل طرف الرابعة
وهو نعت جيد الخيل وقيل الصافن الذي يجمع بين يديه وفي الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده
من النار اي واقفين مثل خدم الجبابرة والجياد جمع جواد وهو جيد الجري يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
على احسن الاشكال واذا اجريت كانت سراعا في جريها واذا اطلبت لم تلحق وروي ان رباط الخيل كان مندوبا
في شرعهم كما في شرعنا ثم ان سليمان سلام الله عليه احتاج الى الغزو فجلس بعد صلوة الظهر على كرسيه وامر باحضار
الخيل وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا وحظ النفس وانما احبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله اني احببت
حب الخير عن ذكر ربي سمى الخيل خيرا لتعلق الخير بها كما جاء في الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
اي ان ارادت حب الخير حاصل لانني في امر ربي بارتباطها ولم يصدر حب هذه المحبة الشديدة الا عن ذكر الله وامره لا عن الشهوة
قوله حتى توارت الخيل اي ما زالت تعرض عليه وياخذ باعرابها ويتمثل حالها الى ان غابت عن بصره ثم قال ردوها
ردوها على اي امر الرايضين بان يردوا الخيل عليه فلما عادت عليه طفق يمسح سوقها واعناقها تشريفا لها واظهارا
لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو ولانه كان اعلم باحوال الخيل وامراضه وعيوبه او اراد اظهار انه
بلغ في ضبط امور المملكة الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه وقيل مسح الغبار عن اعرافها وسوقها بيده وقيل
وسمها وقفها وارجلهن فجعلهن في سبيل الله واما الوجه الاخر في هذه الواقعة فروي ان سليمان غزا
اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه وكان ابوه اصابها من العمالقة وقيل اخرجها الشياطين
من مرج المروج او من البحر وكانت ذات اجنحة فقعد بها بعد الظهر واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت

الشمس وذلك قوله حتى توارت اي الشمس بدليل ذكر العشي بالحجاب حجاب الافق وقيل حتى توارت الخيل
بحجاب الليل وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
نعل بمعنى اي انبت حب الخيل عن ذكر ربي او جعلت حبها مغنيا عن ذكر ربي واعلم ان الفائه فاسترده
وعقرها مقربا لله وذلك قوله فطفق مسحا فالجار الله اي يمسح السيف سوقها واعناقها يعني يقطعها وقال
الجوهري مسحه بالسيف قطعه قلت نعلى هذا يكون الاصل مسح بالسيف سوقها واعناقها فقلت لامن الالتباس
كذا لهم عرضت الناقة على الحوض قال الزاوي تزينا الامامه فما في ايدي الناس الحيا ومن نسلها وحين عقرها ابدله
الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره وقيل الضمير في ردوها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله فرد الله
عليه الشمس فصلى العصر وبحكم المذبح في هذه الرواية هو نسبة سليمان الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلوة وضم
بعضهم الى ذلك ان قطع اعناق الخيل وعرقبة ابطالها هن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبح
الحيوان الا لماكله واجيب بانه فعل ذلك لانها منعته عن الصلوة او لانه ذبحها للفقراء والمساكين قال الزجاج
لم يفعل ذلك الا وقد اباح الله فليس بمنكر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ان الكفار لما بلغوا في الايذاء و
السفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال لنبيه اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة
سليمان وهذا الكلام انما يكون لايقا لو قلنا ان سليمن عليه السلام اي في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق
الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات فاما لو كان المقصود انه اقدم على الكبيرة ولم يكن ذكره مناسبا
هذا تمام الكلام في الواقعة الاولى واما الثانية فاليها الاشارة بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا فالمحققون يردونه على وجوه احدها ان سليمن ولد له ابن بعد ان ملك عشرين سنة فقالت الشياطين
ان عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم بذلك سليمن فامر السحاب ان تحفظه وتغذوه
خوفا من معرة الشياطين فاراعه الا وان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر
ربه واناب وروي عن النبي صلعم ان سليمان قال ذات ليلة لاطوفن الليلة على تسعين امراة وفي رواية على مائة
وفي رواية على الف كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة
جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله ولقد فتنا سليمان
والثالث قال ابو مسلم مرض سليمان مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى كما جاء في
المثل لحما على وضم وجسد بلا روح لان الجسد في الاكثر يطلق على ما لا روح له ثم اناب اي رجع الى حالة الصحة والمشهور
عند الجمهور ان الجسد الملقى على كرسيه كان شيطانا جلس على سرير ملكه اربعين يوما وذلك ان ملكه كان
في خاتمه فاخذه الشيطان وقال المجاهد قال سليمن للشيطان يقال له صخر كيف تفتنون الناس فاللريني خاتمك اخبرك
فلما اخذه نبذه اصف في البحر فذهب ملكه وقعد اصف على كرسيه وعن علي كرم الله وجهه انه قال بينا سليمان
جالس على شاطى البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط في البحر وقيل انه وطى امراة في الحيض فذلك ذنبه وفي
الكشاف وعنه حكى ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان فخرج اليه
تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس
وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل
كسوته وكانت تروح اليها وتغدو مع ولايدها يسجدون له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمن بذلك فكسر
الصورة وكانت له ام ولد يقال له امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وضعته عندها يوما
فاتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة
سليمان فقال يا امينة اعطيني خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس
وغير سليمن عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت
يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك اربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته وكان
ذلك الشيطان يقضي بين الناس ويتمكن من جميع ملكه ومن نشاطه وما يدع امراة في دمها لا يغتسل من جنابة

فلما

٢٣

فلما اراد الله ان يرد الملك اليه القى علماء بني اسرائيل فضيحة فقصاها الشيطان فاحضروا التورية فلما قراوها فر
الشيطان والقى الخاتم في البحر فابتلعه سمكة فتصادف فيها صايد ووهبها لسليمان واعطاها على اجرة عمله يوما فاخرج من بطنها الخاتم
ثم اناب اي رجع الى ملكه او تاب ودفع ساجدا ثم ان سليمان ظفر بالشيطان فجعله في تابوت وسده بالنحاس والقاه في البحر
والعلماء المتقنون ابو قبول هذه الرواية وقالوا انها من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل والا لم ينفع
الامان على الشرائع والاديان وكيف يسلطهم الله على احد من عباده فضلا عن انبيائه حتى يغيروا احكامهم ويظلموا انبيائهم
واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان يختلف فيه الشرائع والسجود للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليه وحكى الثعلبي من هذه
القصة بوجه اقرب الى النقل وهو ان سليمان افتتن باخذ التمثال في بيته سقط الخاتم من يده فاخذه سليمان فاعاده
الى يده فسقط فلما راه لا يثبت في اليد ايقن بالفتنة فقال له اصف انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وانا
اقوم مقامك الى ان يتوب الله عليك فقام اصف في ملكه اربعة عشر يوما وهو الجسد الذي القي على كرسيه ورد
الله اليه ملكه واثبت الخاتم في يده وعن سعيد بن المسيب ان سليمان احتجب عن الناس ثلثة ايام فاوحى الله يا
سليمان احتجبت عن عبادي وما انصفت مظلوما من ظالم ثم ذكر القصة واخذ الشيطان الخاتم ورده اليه ثم حكى الله
سبحانه ان سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم المغفرة على طلب الملك كما هو داب الصالحين تقديما لامر
الدين على امر الدنيا ولان الاستغفار نحو الرحمة فان الانسان قلما ينفك عن ترك الاولى فاذا ازال عنه شوم ذلك
ببركة الاستغفار فتح عليه ابواب الخيرات والذين حملوا الفتنة على صدور الذنب عنه فوجه الاستغفار عندهم
واضح وحملوا قوله لا ينبغي لاحد من بعدي على انه سال ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم مقامه البتة والاولون ذهبوا
الى انه لم يقل ذلك حسدا وانما قصد ان يكون معجزة له ومن شرط المعجزات لا يقدر غيره على معارضته ولا سيما انه الذي
بعث اليهم ولهذا قال بعضهم المراد غيري ممن بعثت اليهم ولم يرد من بعده الى يوم القيمة وحقيقته لا ينبغي لا ينتقل
من بعدي بالشي طلبته اي لا يصير مطلوبا لانه سماوي وفي طوق البشر او قصد الاحتراز عن طيبات الدنيا الذي
عليها اشق فاذا كان ملكه ابه كان ثوابه على الصبر عنه غاية ونهاية او اراد ان يظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من
خدمة المولى وان ملك سليمان اذا كان عرضة للفناء فالاولى بالعاقل ان يشتغل بالعبودية ولا يشتغل بالعبودية
ولا يلتفت الى الدنيا وما فيها وقيل انه لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا زايلة منتقلة الى الغير
بارث ونحوه فطلب ملكا لا يتصور انتقاله الى الغير وهو ملك الدين والحكمة وقال اهل البيان لم يقصد بذلك الا عظم
وسعته كما يقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك والله قوي هو الاول بدليل في
قوله عقيبه فسخرنا له الريح والشياطين ولا ريب انه معجزة وملك عجيب دال على نبوته وقوله ما في الحديث
اردت ان اربطه يعني الشيطان على سارية من سواري المسجد الا ان تذكرت دعوة اخي سليمان والضمير في بامره لسليمان
وقيل لله والرخاء الرخوة اللينة ولا تنافي هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها تختلف باختلاف الاحوال والاوقات
او هي طيبة في نفسها ولكنها عاصفة بالنسبة الى الرياح المعهودة ومعنى اصاب قصد واراد من اصابة السهم وقوله والشياطين
معطوف على الريح وقوله كل بناء وغواص بدل الكل من الشياطين كانوا يبنون لاجله الابنية الرفيعة ويستخرجون اللؤلؤ
من البحر وهو اول من استخرج الدر من البحر واخرين عطف على الشياطين او على كل داخلا في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين
بعضهم من بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد والصفد القيد والغل لانه اعتلا للمنع عليه
ومنه قول علي كرم الله وجهه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقيل حقيقته القبض على الجزء والتشر قال
الجبائي ان الشيطان كان كثيف الجسم في زمن سليمان ويشاهده الناس ثم انه لما توفي سليمان امات الله ذلك الجنس
وخلق نوعا اخر لطيف الجسم بحيث لا يرى ولا يقوى على الاعمال الشاقة قلت هذا اخبار بالغيب الا ان يكون ثابته بحجة
ولم لا يجوز ان تكون اجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التوزيع والتفرق هذا عطاؤنا
اي قلنا لسليمان هذا الملك عطاؤنا والاضافة للتعظيم وقوله بغير حساب متعلق بالعطاء يعني انه جم كثير لا يدخل تحت الضبط
والحصر واعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك تمام التصرف فيه فيجوز ان يتعلق بالامرين اي ليس عليك في ذلك حرج ولا
تحاسب على ما تعطي لم تبخل ويمنع يوم القيمة عن الحسن ان الله لم يعط احدا عطية الا جعل فيها حسابا سوى سليمان

فانه اعطاه عطاء هنيئا انا اعطي اجرد ان لم يعط لم يكن عليه تبعة ويحتمل ان يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا
فامنن على من شئت منهم بالاطلاق او امسك من شئت منهم في الوثاق فانت في سعة من ذلك لا تحاسب في الملك
من الملك وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيوية اردفه بالنعم عليه في الاخرة فقال وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب كما في قصة داود ودينه ان ابا كمال ثواب ابيه كما سبرائه والله اعلم **التأويل** بصاد صدية
في الازل وصاد تعسر في الوسط وصبي بهيته في الابداء اقسم بالقرآن ذي الذكر لان القرآن فانه معالجات
القلوب واعظم مرض القلب نسيان الله فاعظم علاجه ذكر الله ثم اشار الى انحراف مزاج الكفار بمرض نسيان الله
من اللين والسلامة الى الغلظ والقساوة ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب
ومن التوحيد الى تكثير الالهة وفي قوله واصبروا على الهتكم اشارة الى ان الكفار اذا تواصوا بينهم بالصبر
والثبات فالمؤمنون اولى بالثبات على قدم الصدق في طلب المحبوب الحقيقي ان هذا لشيء يراد في الازل من
المقبول والمردود بل لما يذوقوا عذاب لانهم في النوم فاذا ماتوا انتبهوا واحسوا بالالم فعاينوا الشر حين لا ينفع العا
ويزول الشك يوم لا يجدي البرهان محل تناقلنا النفوس الخبيثة تميل بطبعها الى السفليات العاجلة كما ان
النفوس الكريمة تميل طبعها الى العلويات الباقية ولكل من الصنفين جذبة بالخاصية الى شكله كجذب المغناطيس
الحديد له تسع وتسعون نعجة هي اثار بعض الصفات الربانية بحسب الاسماء التسعة والتسعين فلكل منها مظهر
في عالم الملك والخلق ولي نعجة واحدة هو ذات الله وحده تعالى اكفلنيها اي صيرني اجمع بين الدنيا وما سواه
ثم فيهما اسرار كثيرة نفهمها ان شاء الله وظن داود انما فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر ربه واناب
الى الله معرضا عما سواه وهذا التاويل مما خطر بالبال ارجو ان يكون مصاحبا للحق انا جعلناك خليفة في الارض فيه ان
الخلافة عطاء من الله وانها مخصوصة بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه ان الخليفة تتعلق بعالم المعنى كما ان
الخليفة تتعلق بعالم الصورة الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فاطر السموات والارض
جاعل الملائكة رسلا ووجه الخلافة هو ان الروح الانساني اول فيض بذاته وصفاته فذاته من ذات الله بلا واسطة
وصفاته من صفاته بلا واسطة فخلق الخليفة منزلا صالحا هو قالبه واعد له عرشا هو القلب ليكون محل استوائه ونصب
له خادما هو النفس فلو بقي الانسان على فطرة الله لكان روحه مستفيضا من الله قائما بخلافة الحق على
عرش الرحمن القلب قابض بخلافة الروح على خادم النفس والنفس قائمة بخلافة القلب على القالب والقالب
قابض بخلافة النفس على الدنيا وهي ارض الله فلا يجري شيء من الامور الا على نهج الحق وههنا لداود الروح سليمان
القلب اذ عرض عليه بالعشي وهو تغير حال الشمس التجلي الصافنات الجياد وهي مراكب الصفات الشهوية وفي قوله
فطفق مسحا اشارة الى ان كل محجوب سوى الله اذا حجبك منه لحظة يلزمك ان تقاتله بسيف لا اله الا الله واليه
الاشارة ثانيا بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا من الشهوات الحيوانية فافتتن به ثم اناب
يرجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغي لاحد من بعدي هل يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا ايتنا ولم بالصورة لا بالمعنى
فان الذي كان مطلوب سليمان من تزكية النفس عن محبة الدنيا مع القدرة عليها ومن تحلية القلب بعلو الهمة وبذل
المال والجاه وافشاء العدل بالنصفة ونحو ذلك كان حاصلا للنبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يجد ما يشبه صورة الملك والافتتان به عزة
ودلالا ولهذا قال في حديث تسلطه على الشيطان ودعوة اخي سليمان منعتني وكان تعرض عليه مفاتيح خزائن
فيقول الفقر فخري على انه صلى الله عليه وسلم قد تحصل له بعض امته كما قال سيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها والله اعلم

واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ۝
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ۝ ووهبنا له اهله ومثلهم معهم
رحمة منا وذكرى لاولي الالباب ۝ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا

وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ۝ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار ۝ انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ۝ وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار ۝ واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ۝ هذا ذكر وان للمتقين
لحسن مآب ۝ جنات عدن مفتحة لهم الابواب ۝ متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب ۝ وعندهم قاصرات الطرف اتراب ۝ هذا ما توعدون ليوم
الحساب ۝ ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ۝ هذا وان للطاغين لشر مآب ۝ جهنم
يصلونها فبئس المهاد ۝ هذا فليذوقوه حميم وغساق ۝ وآخر من شكله ازواج ۝
هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار ۝ قالوا بل انتم لا مرحبا بكم
انتم قدمتموه لنا فبئس القرار ۝ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في
النار ۝ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ۝ اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم
الابصار ۝ ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ۝ قل انما انا منذر وما من اله الا الله
الواحد القهار ۝ رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ۝ قل هو نبأ عظيم ۝
انتم عنه معرضون ۝ ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ۝ ان يوحى الي الا
انما انا نذير مبين ۝ اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ۝ فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ۝ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ۝
الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ۝ قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين ۝ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين ۝ قال فاخرج منها فانك رجيم ۝ وان عليك لعنتي الى يوم الدين ۝ قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون ۝ قال فانك من المنظرين ۝ الى يوم الوقت المعلوم ۝ قال

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝

القراءات مسني الشيطان بسكون الياء حمزة بنصب بضمتين يزيد وقرا يعقوب بفتحتين وقرا هبيرة بالفتح والسكون الباقون بالضم والسكون بخالصة من ذكرى على الاضافة ابو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابراهيم على التوحيد ابن كثير وهذا لكون ابراهيم وحده عطف بيان ما يوعدون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو غساق بالتشديد بحيث كان حمزة وعلي وخلف وحفص واخر بضم الهمزة على الجمع ابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالمد على التوحيد الاشرار بالامالة والتفخيم مثل الابرار عجبت ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاشرار بالامالة اتخذناهم موصولة والابتداء بكسر الالف ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الاخرون بفتح الهمزة على الاستفهام مالي اني بفتح الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتي بفتح الياء ابو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة ويعقوب غير رويس **الوقوف** ايوب الاذا جعل اوبدلا وعذاب التقدير العود الى فارسلنا اليه جبريل فقال له اركض برجلك لان هذا مستانف مع انه تمام القول وشراب الالباب ولا تحنث صابرا العبد اواب الانصار الدار للاية مع العطف الاخيار ذا الكفل من الاخيار ربع الجزو ذكر وان لانجات بدل او عطف بيان الابواب لاحتمال ان عامل متكئين محذوف اي يتنعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهي مقدرة لان الاتكاء لا يكون في حال فتح الابواب وشراب اتراب الحساب من نفاد هذا اي هذا بما تجزاه المتقين او الامر هذا ماب جهنم لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا يصلونها المهاد هذا لا نحن وحميم وقوله فليذوقوا اعتراض وغساق العطف ازواج معكم لاتصال المعنى مع الابتداء بما في معنى الدعاء بهم النار بئس القرار الثالث لاثر اي لمن قرا بالكسر الهمزة لاحتمال اضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرا به صفة لرجالا ومن صرح بالاستفهام وقفه مطلق الابصار النار القهار لان ما بعده يصلح بدلا وخبر المحذوف اي هو رب الغفار عظيم لان ما بعده وصف معرضون يختصمون مبين طين ساجدين اجمعون ابليس الكافرين بيدي للاستفهام العالين منه لان ما بعده جواب سؤال طين رجيم الدين يبعثون المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين فالحق على قراءة الرفع اي فهذا الحق مع اتحاد المقول اقول للاحتمال ان ما بعده قسم مستانف او بدل من قوله والحق اجمعين المتكلفين العالمين حين **التفسير** وجه النظم انه تعالى كانه يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر مالا وجاها من داود وسليمان ولم يكن اكثر بلاء ومحنة من ايوب ومع ذلك لم يتغير حالهما وحاله على التنق واحد فالصبر مفتاح الفرج وايوب عطف بيان واذ معمول تعالى اذكر وبدل اشتمال من ايوب اي نبهنا بالبلاء وكان معاصرا ليعقوب وامراته اشا بنت يعقوب ونداءه دعاءه والجار محذوف اي دعاه باني مسني على الحكاية والا لقال بانه مسه فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب بالفتح فالسكون على اصل المصدر نحو سمة الصاد للاتباع النون كشغل وشغل ومعنى الكل التعب والمشقة وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال وللناس في بلاء ايوب اقاويل الاول ان الذي نزل به كان من الشيطان وقد مر تقريره في الانبياء ومجمله ما روي ان ابليس سأل ربه فقال لهل في عبدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال نعم عبدي ايوب قال فسلطني على ماله وكان يحبه ويتقرب هلك من ماله كذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك اولاده بالكلية فجاءه فاخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب وحدث السقام عظيمه والالام شديدة فكث في ذلك البلاء سبع سنين او ثماني عشرة وصار بحيث استقذره اهل البلد فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امراته وقال ان اسجدت لي تخلصته

٢٥

من هذا البلاء فاشارت على ايوب بذلك فغضب لذلك او لوجه اخر سبق ذكره في سورة الانبياء وحلف ان عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا عنه كقول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله فاجاب دعاءه واوحى اليه اركض برجلك الارض عن قتادة هي ارض الجابية من قرى الشام فاظهر الله من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله القول الثاني ان الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس في الامراض والا لافنى الانام ولوقع في العالم مفاسد ولم يبق صالح الا اكثره وقد تقرر في القرآن انه لا سلطان له الا بالوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الاحزان لما حصل في قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء واغراء على الجزع من القنوط من روح الله في غير ذلك مما ذكر في سورة الانبياء والناس القول ان يقول سلمنا ان الشيطان باستقلاله لا يقدر على المفاسد ولكنه لم لا يجوز ان يقدر عليها بعد الاذن من الله بالتسليط ولنعد الى تفسيرها يختص بالمقام قوله مغتسل اي هذا مكان يغتسل فيه اي بماء به وتشرب منه والظاهر انها كانت عينا واحدة عذبة باردة وروي بعضهم انه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عينا حارة فاغتسل منها فبرا ظاهره وضرب برجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما في باطنه من القروح ومن زعم ان تقدير الكلام هذا مغتسل وشراب بارد فقوله ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل احياهم الله باعيانهم وزاد مثلهم من اولاده وقيل من اولاد اولاده وقيل كانوا قد غابوا عنه فرده الله اليه وقيل جمع الله شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والاول اصح وقوله رحمة منا وذكرى مفعول لهما وكانت الهبة رحمة له وتذكرة لذوي العقول حتى لا يتركوا الابتلاء به صبرا كما صبر فينوبوا بما ناب كما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع انه ابلغ اكتفاء بما سبق في سورة الانبياء وفي قوله وذكرى لاولي الالباب مع قوله في الانبياء وذكرى للعابدين اشارة الى ان اللبيب الذي يعبد الله ولخصيص كل من السورتين بما خص لعله النافلة فاضله قوله وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او سنبل قال مجاهد هو لايوب خاصة وعن قتادة هو عام في هذه الامة والصحيح انه باق في المريض والمعذور لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة حلل الله يمين ايوب بالهون عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها ومعنى وجدناه صابرا علمناه صابرا على الضر وههنا نكتة ذكرها بعض ارباب القلوب وهي انه لما نزل في حق سليمان نعم العبد تارة وفي حق ايوب اخرى اعلم انه محمود فقوله هذا التشريف عظيم وان كان سببه اتفاق مملكة بملكه سليمان فيحق لا يعتد عليه وان كان سببه تحمل البلاء مثل بلاء ايوب فيخشى لا يطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير فالمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضول فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني النصر والتوفيق قلت وصف انبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير امة فلا تشريف فوق هذا ثم اجمل ذكر طائفة من مشاهير الانبياء ومعنى اولي الايدي والابصار اولي العمل والعلم لان اليد الة لاكثر الاعمال والبصر الة لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يتفكرون افكار ذوي العرفان هم في حكم الزمنى والعميان ولو لازمته الابصار لكانت تحتمل ان الايدي جمع اليد النعمة ونحوه اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار الخالصة صفة او مصدر كالعافية والدار ظرف فهي الدنيا او مفعول به فهي الاخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى اسم جنة حيث لا يشوبون ذكرها بشيء من هموم الدنيا او هي تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها او بسبب حرص ذكرى الحية او بما خلص من ذكراها وجعلناهم مخلصين حالة صافية عن النقصان وهي الثناء الحسن في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم والمصطفين جمع مصطفى واصله مصطفين لانه في حالة الجر بالياء قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين الاخيار من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير بالتشديد او خير بالتخفيف كاموات في ميت او ميت واسمعيل واليسع وذا الكفل قد مر ذكرهم في سورة الانبياء وحين تم ذكر الصالحين وما لقي كل منهم من انواع الابتلاء تثبيتا لنبيه وهو باب من ابواب التنزيل وهو نوع من انواع القرآن واراد ان يذكر على عقبه بابا اخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم شرع في باب اخر ويحتمل ان يكون من تتمة صفات الانبياء اي هذا الذي قصصنا عليك من احوال هؤلاء الانبياء شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا قوله مفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين قال الزجاج الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اي الابواب

من معنى الفلاح

منها وقال غيره في مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب نظيره في بدل
البعض ضرب زيد اليد والرجل وكان اللام عوض الضمير الراجع والمعنى بان الملائكة الموكلين الجنان اذا راوا اصحاب الجنة فتحوا
لهم ابوابها وحيوهم بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتح ومعاناة الفتح وقيل اراد به وصف تلك المساكن بالسعة بحيث ان
الطرف فيها من غير حائل وقوله متكئين حال مقدرة من اهله كما مر او حال بعد حال او عامله موضع وهو يدعون اي يتحكمون
في ثمارها وشرابها فاذا قالوا الشيء منها اتى حصل عندهم وقيل يتمنون وقيل يسألون قال المفسرون اراد وشراب كثير
فحذف اكتفاء بالاول وحين بين امر المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح وقاصرات الطرف تفسيره في الصافات
ابن الوراق قصرن الطرف عن الالتفات الى غير ازواجهن والاتراب جمع ترب وهي اللذة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب
وقيل لان التراب مسهن في وقت واحد والسبب في اعتبار هذا الوصف ان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن وازواجهن واحدة
في الاسنان فقيل اراد انهن بتراب لا عجوز فلا صبية بل كلهن بنات ثلث وثلثين ومعنى ليوم الحساب قيل لاجل الحساب
لان الحساب علة الوصول الى جزاء العمل والظاهر ان اللام للوقت اي ما وعدتم تعطونه في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله
من نفاد انقطاع ونهاية ولا مزيد في ذلك فتمام النعم بدوامها ثم بين ان حال الطاغين مضادة لحال المتقين واكثر المفسرين
حملوا الطغيان هيهنا على الكفر لانه تعالى يحكي عنهم انهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المومن هزؤا ولان الطاغي
اسم ذم والاسم المطلق يحمل على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس المعنى ان الذين
طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مصير وحمله الجبائي على اصحاب الكبائر من اهل الايمان وعن بعضهم لان كل من تجاوز عن تكاليف
الله فقد طغى ومنه قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والمهاد الفراش وقد مر مرارا وقوله وهذا فذوقوه
اعرابه في الوقف ويحتمل ان يراد العذاب هذا ثم ومنه حميم ومنه غساق او هذا فليذوقوه معناه ليذوقوا هذا
فليذوقوه كقوله فاياي فارهبون وقيل حميم مبتدا وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتثقيل ما يغسق من صديد
اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وذكر الابهري ان الغساق البارد ولهذا قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار
فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وذكر الزجاج انه المنتن لو قطرت منه قطرة في المغرب لانتنت منه اهل المشرق
ويبلغ قول ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي سم
من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبته واخر من شكله اي ومذوقات اخر وعذاب
او مذوق اخر من جنس هذا المذوق في الشدة ازواج اي اجناس او مفتريات صفة للاخر لانه جاز ان يكون ضروبا مختلفات
او صفة للثلاثة المذكورة وهي حميم وغساق وشيء اخر من شكله والمجموع خبر هذا او ضرب هو وفوج مسكن
الطاغين وما لهم ومشربهم حكى احوالهم مع الذين كانوا يعبدونهم احبابهم في الدنيا ثم مع الذين كانوا يعبدونهم اعداء
اما الاول فقوله اي يقول الطاغون بعضهم من بعض وذلك اذا دخلت امة ثم تدخل اخرى والفوج الاول الرؤسا
والثاني الاتباع وقيل الاول ابليس وبنوه والثاني ابناء ادم هذا فوج اي جمع كثيف دخل النار مقتحم معكم والاقتحام الدخول في
الشدة ارادوا ان اتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلال وقوله لا مرحبا بهم دعا منهم على اتباعهم ومرحبا
نصب على انه مفعول به او مصدر اي اتيت رحبا لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه لا صار دعاء السوء
وبهم بيان للمدعو عليهم وقوله انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم اللعن فقيل انما قالوا ذلك ولم يصدر من الاتباع ذنب
في حق من قبلهم لان النار تحرق ملوك منهم او لان اتباعهم تضاعف بسببهم وقيل هو اخبار لا دعاء اي قد وجدوا لا رحبا
ولا سعة وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم وقيل هذا كله كلام الخزنة
قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اي من الدعا الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقوله انتم قدمتموه لنا
والضمير للعذاب اي الصلي اي كنتم السبب فيه العمل الذي هو جزاؤه فجعل الرؤساء سببا لان الاتباع هم الذين عملوا
السوء لا الرؤساء والعمل هو المقدم لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة زعم ان تقدير الكلام هنا الذي
دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم لما نحن فيه فبئس القرار اي المستقر
النار قالوا اي الفوج الثاني وهو كالبدل من قالوا الاول الضعف المضاعف كما مر في الاعراف واما الثاني فقولهم

ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اي في اعتقادنا لان دينهم على خلاف ديننا اراذل او انهم اراذل لا خير
فيهم يعنون فقراء المسلمين وعن بعضهم ان القائلين صناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وبلال
وصهيب وامثالهم ومن قرا اتخذناهم بفتح الهمزة فعلى انه انكار منهم على انفسهم وتانيب لها بالاستسخار منهم وكذا
فيمن قرا بكسر الهمزة وتقدير همزة الاستفهام محذوفة ومن جعلها صفة لرجالا فلا اشكال وحينئذ تتصل ام زاغت
بقوله ما لنا اي ما لنا لا نرى الرجال الموصوفين في النار كانهم ليسوا فيها بل زاغت عنهم ابصارنا وخفي علينا مكانهم
فلا نراهم وهم فيها فام منقطعة وكذا ان اتصل بقوله اتخذناهم على الاستفهام لان الاول للانكار والثاني للاستخبار
ويجوز ان يكون ام متصلة وكلاهما للانكار والثاني للاستخبار فيجوز ان يكون ام متصلة وكلاهما للانكار ومعنى
زيغ الابصار ازدراؤهم وتحقيرهم ويؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم الابصار محقرة لهم
واللام في الابصار عوض من المضاف اليه اي ابصارنا ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد من وقوعه لانهم مالوا الى عالم
التضاد فحسن بذلك ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار لان التلاعن والتشاتم نوع من انواع الخصومة واعلم
انه سبحانه لما بدا في اول السورة بان محمدا ابد عوا الى التوحيد ولان الكفار يستهزءون منه وينسبونه الى السحر تارة
والى الكذب اخرى ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء ليعلم ان الدنيا دار تكليف وابتلاء لا دار اقامة وبقاء ثم عقبه بشرح
نعيم الابرار ومصاب الاشرار عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي صحة نبوة محمد وصدق ما يدعوا
اليه من التوحيد والاخلاص فقال قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد من جميع الوجوه القهار لما دونه ثم اردف
القهر باللطف والتربية فقال رب السموات والارض وما بينهما ثم اكد صفتي القهر واللطف بقوله العزيز فهو بعزته
ادخل اهل الاستكبار النار والغفار لمغفرته اعد الجنة لاهل الاستغفار قل هو نبأ عظيم اي القول بان الاله واحد نبأ عظيم
والقول بالنبوة وباثبات الحشر والبعث كذلك لان هذه المطالب كانت مذكورة في اول السورة لاجلها سيق الكلام منجرا الى
هيهنا ويحتمل ان يراد كون القران معجزا كما مر في قوله كتاب انزلناه نبأ عظيم وهؤلاء الاقوام اعرضوا عن كل من هذه
الامور ثم بين حاصل من قبل الوحي بقوله ما كان لي من علم بالملاء الاعلى من الملائكة اذ يختصمون اي تقاولون
فيما بينهم بالوحي والظرف متعلق بمحذوف اي بكلامهم وقت اختصامهم نسبة التقاول بالتخاصم من حيث ان كل منهما
سوالا وجوابا والمشابهة علة الجواز المجازي ثم صرح بما عليه مدار الوحي قائلا ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي ما يوحى
الي الا هذا وهو اني نذير كامل في باب التبليغ ويؤيده قراءة كسر انما وقيل ان الجار محذوف اي لم يوح الي الا لاني نذير
ولا نقص روى ابن عباس عن النبي صلعم اتاني الليلة ات من ربي وفي رواية ربي في احسن صورة فقال لي يا محمد قلت
لبيك ربي وسعديك قال هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت
بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الدرجات
والكفارات فقيل الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات المكروهات اي في البرد الشديد وانتظار الصلوة
بعد الصلوة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته امه الحديث قال والدرجات
افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام واعلم ان اشراف قريش انما نازعوا محمدا بسبب الحسد
والكبر فختم الله تعالى السورة بذكر قصة ادم وما وقع بين ابليس من الرجم واللعن حين حسد ادم واستكبر ليصير
سماع القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ معمولا لمحذوف اي اذكر وقت قول ربك
للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص ادم والانباء به من غير سماع من احد فعلى هذا فالضمير يرجع الى ما بذكرها
قريب والمعنى ما احببه حصول شان للانسان من الوحي وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملاء الاعلى
اصحاب القصة الملائكة وادم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم حين قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء كانهم قالوها اولا فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم ان يكون الله تعالى
من الملأ الاعلى ويثبت له مكان فيقول المراد علو الرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملائكته وقال جار الله
كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط وقصة ادم مذكورة
في البقرة وفي غيرها مشروحة والتي في هذه السورة باتي اكثرها ما في الحجر فلا فائدة في اعادتها فلنذكر

ما يختص بالمقام قوله خلقت بيدي كلام المجسمة وفيه ظاهر وعنهم حملوه على وجوه منها انه ابدع عبارة عن القدرة يقال ما لي بهذا الامر يدان اي قوة وطاقة ومنها انها النعمة ومنها انها للتاكيد وليدل على عدم الواسطة كما مر في قوله ما عملته ايدينا وقد يقال في حق من حيي بلسانه وانه لم يكن له يد هذا ما كسبت يداك والحق فيه ان السلطان العظيم لا يقدم على عمل شي بيديه الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل بحيث كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد امكن لحمله مجازا عنها ومنها قول ارباب التاويل انه اشارة الى صفتي اللطف والقهر وذلك يشمل جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحدى الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف والشيطان فانه مظهر القهر الا الانسان فانه مظهر لكليتهما وبذلك استحق الخلافة ومسجودية الملائكة ولهذا جاء في الاحاديث القدسية لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان قوله استكبرت ام كنت من العالين اي الملتكبرين عن قبا استحقاق ام كنت ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين بانه قال انا خير وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المتكبرين ومعنى الفاء المقرب بقوله فالحق من ترا بالرفع فعلى انه خبر كما مر او مبتدا محذوف الخبر مثل لعمرك اي فالحق قسمي لاملانّ والحق الذي هو نقيض الباطل وقوله منك اي من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم اي من ذرية ادم واجمعين تاكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد في طلب هذا الدين لان النظر اما الى الداعي او الى المدعو اليه اما الداعي فلا يسال اجرا عليها يدعو اليه من القران والوحي او النبوة ومن الظاهر ان الكذاب لا ينقطع نظره عن المال البتة واما المدعو اليه فبقوله وما انا من المتكلفين الذين يتحلون ما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده بل العقل الصريح يشهد بصحته فاني ادعوكم الى الاقرار بالله اولا ثم الى تنزيهه عما لا يليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الجمال والجلال ثالثا ومن جملة ذلك التوحيد ونفي الانداد والاضداد ثم ادعوا الى تعظيم الارواح الطاهرة وهم الملائكة والانبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم ادعوا الى الاقرار بالبعث والقيمة سادسا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فهذه اصول معتبرة في دين الله الاسلام يشهد بحسنها بداية العقول ويحكم ببعدها عن الباطل كل من يرجع الى محصول وهو المراد بقوله ان هو الا ذكر للعالمين عن النبي صلعم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اي خبر حقيقة القران وما ادعوا اليه بعد حين هو الموت لان الناس يعلم ذلك اذا ماتوا واستيقنوا وقيل هو القيامة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولا يخفى ما فيه من التهديد والله اعلم بالصواب ۝

سورة تنزيل خمس وسبعون اية وهي مكية

حروفها اربعة الاف وسبعمائة وثمانية كلمها الف ومائة واثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ۝ الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ۝ ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ۝ لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ۝ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس

والقمر

٢٧

والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار ۝ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ۝ ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ۝ واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۝ امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ۝ قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ۝ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين ۝ وامرت لان اكون اول المسلمين ۝ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ قل الله اعبد مخلصا له ديني ۝ فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين ۝ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون ۝ والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي ۝ الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب ۝ افمن حق عليه كلمة العذ

افانت تنقذ من في النار ۝ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ۝ الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب ۝ افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين ۝ الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ۝ افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ۝ كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝ ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون ۝ قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ۝ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ انك ميت وانهم ميتون ۝ ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ۝

القراءة يرضه بالاشباع ابن كثير وعلي والفضل وعباس واسمعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس ضمة الهاء يزيد وسهل ويعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاس عن ابن ذكوان الباقون يرضه لكم بسكون الهاء ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم امن هو بتخفيف الميم نافع وابن كثير وحمزة وابو يزيد يا عبادي الذين بفتح الياء والشمني والبرجمي والوقف بالياء واني امرت بفتح عبادي بفتح ياء المتكلم فيها شجاع وابو شعيب وعباس والشموني والبرجمي والوقف بالياء اني اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو سالما بالالف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الاخرون بفتح السين واللام من غير الف **الوقف** الحكيم الدين الخالص اولياء لتقديم القول ولو وصل لادهم انه نصفهم احبارهم الله قاله السجاوندي وعندي انه هذا وهم لبعيد

والاولى ان لا يوقف لئلا ينفصل بين المبتدا والخبر من في الاحتمال ان خبر المبتدا هو ما بعده يختلفون كفار ما شاء التعطيل التنزيه سبحانه القهار بالحق لاحتمال كونه ما بعده حالا والاستيناف احسن والفرق مسمى العقاب انواج ثلث الملك نفوي الكفر لعطف جملتي الشرط مع دفع العارض لكم اخرى لان ثم لترتيب الاخبار يعلمون الصدور سبيله قليلا والاولى الوصل اذ التقدير فانك من الناس بحمد ربه لا يعلمون الالباب لم يحكم حسنه واسعة حساب له الدين المسلمين عظيم ديني حسنة يوم القيمة المبين ومن تحتهم ظلل عباده فاتقون البشرى لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عبادي احسنه الالباب العذاب في النار للاية مع الاستدراك مبينة لان ما بعده وصف الانهار وعد الله الميعاد حطاما الالباب بنوع به لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله مبين ربهم لان الجملة ليست من صفة الكتاب مع العطف ذكر الله من يشاء هاد يوم القيمة لحق الحذف كانوا تكسبون لا يشعرون الدنيا للام الابتداء مع العطف اكبر يعلمون يتذكرون لاحتمال كونه ثانيا نصبا على المدح او على الحال المؤكدة كما يجي يتقون متشاكسون لرجل مثلا لله للاضراب مع اتفاق الجملتين ميتون تختصمون

التفسير تنزيل الكتاب مبتدا خبره من الله وقيل اصله وهذا تنزيل الكتاب والجار صلة والاول اولى لان الاضمار خلاف الاصل ولانه يلزم مجاز اخر وهو كون التنزيل بمعنى المنزل فان هذا اشارة الى القران او الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما قال له المشركون من ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه وفي قوله من الله اشارة الى الذات المستحق للعبادة والطاعة كيف لك هذا الكتاب فلان تعظم شان الكتاب وفي قوله العزيز اشارة الى ان هذا الكتاب بحر بتعلمه كتاب العزيز عن دونه انه غني عن ارسال الكتاب والاستكمال به وانما ينتفع به المرسل اليهم وفي قوله الحكيم اشارة الى انه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لا على العبث والباطل وفي قوله انا انزلنا اليك ليس تكرارا من وجهين احدهما ان التنزيل للتدريج والانزال دفعي كما مر مرارا والثاني ان الاول كعنوان الكتاب والثاني بتقرير ما في الكتاب وفي قوله بالحق يعني انكل ما اودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يصدقه مؤيد بالبرهان العقلي وهو مطابقته للعقول الصحيحة وبالدليل الحسي وهو ان الفصحاء عجزوا عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص والالتفات عما سواه بالكلية اما الاول فهو قوله فاعبد الله اي انت وامتك مخلصا له الدين وثمرة الاخلاص ان يكون الداعي الى العبادة وهو محض الامر لا طلب مرغوب او هرب مكروه واما الثاني فذلك قوله الا لله الدين الخالص اي يجب اختصاصه بالطاعة من غير ان يشوب ذلك رياء او شرك ظاهر او خفي وخصصه قتادة فقال الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله بعث حث على التوحيد الاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال والذين اتخذوا الخبر للمشركين ولكن الموصول يحتمل ان يكون عبارة عن المشركين والخبر اما محذوف او هو قوله ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال او بدل فلا يكون له محل كالمبدل وان يكون عبارة عن الشركاء والخبر ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال او بدل والتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دون الله اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او المشركون الذين اتخذوا من دونه اولياء قائلين او يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم وعلى الثاني والشركاء الذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين او يقولون كذا ان الله يحكم بينهم واذا عرفت التقدير فنقول المراد بالاولياء ههنا الملائكة وعيسى واللات والعزى قال ابن عباس كانوا يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله اما الملائكة وعيسى فظاهر واما الاصنام فلانهم اعتقدوا انها تماثيل الكواكب او الارواح السماوية او الصالحين ومعنى حكم الله بينهم انه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام النار واختلافهم ان الملائكة وعيسى موحدون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيمة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم فيجوز ان يرجع الضمير في بينهم الى الفريقين المؤمن والمشرك ولا يخفى ما في الاية من التهديد ثم سجل عليهم بالخذلان والحرمان فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم هو زعمهم شفاعة الاصنام وكفرهم انهم اشركوا عبادة المنعم الحق واقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومما جملة كذبهم قولهم الملائكة بنات الله فلذلك بعد ما قررها فاحتج على ابطال معتقدهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وهو الا فضل يعني البنين لا الانقص وهن البنات وقال لو اراد الله اتخاذ الولد لم يرد على ما قرر من اصطفا اتخاذ الاولاد بل البنات ولو انه يصطفي اراد ابطال قولهم بطريق برهاني وهو

صورة قياس استثنائي كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى لاجل الاتخاذ مما يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج انه
لم يرد اما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته واما الثانية فما اشار اليها بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار
فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيئا لاجل اتخاذ الولد وقوله هو الله الواحد القهار اشارة الى البرهان على
استحالة ذلك وتقريره من ثلاثة اوجه الاول انه هو الله وهو اسم المعبود الواجب الذات الجامع لجميع نعوت الجمال
والجلال واتخاذ الولد يدل على الحاجة والغرض بقيام الولد مقامه بعده او على الاستيناس والالتذاذ بوجوده او لغير ذلك
من الاغراض وكل ذلك ينافي الوجوب الذاتي والاستغناء المطلق الثاني انه الواحد الحقيقي كما مر بيانه مرارا والولد
انما يحصل من جزء من اجزاء الوالد ومن شرطه ان يكون مماثلا للوالد في تمام الماهية حتى يكون حقيقته الواحدة حقيقة
نوعية محمولة على شخصين ويكون تعين كل منهما معلولا لسبب منفصل وكل ذلك ينافي التعين الذاتي والوحدة المطلقة
وايضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوجة عادة وهي الابدان تكون من جنس الزوج فلا يكون الزوج مما تمم نوعه
في تشخصه الثالث انه هو القهار والمحتاج الى الولد الذي يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لانا هو مثبت بهذه
الدلائل انه تعالى ما اصطفى شيئا ان يتخذه ولدا نتج انه لم يرد ذلك ونفي ارادة الاتخاذ ابلغ من نفي الاتخاذ فقد يراد ولا يتخذ
لمانع كعجز ونحوه وهذا ما وصل اليه فهمي في تفسير هذه الآية والله تعالى اعلم باسرار كلامه ومن طعن في الهيئة
الاصنام عدد الصفات التي بها يستدل على الالهية الحقة وهي اصناف اولها قوله خلق السموات والارض بالحق
اي ملتبسا بالغاية الصحيحة وقد مر مرارا الثاني يكور الليل على النهار والنهار على الليل والي هذا يقال كار العمامة
على راسه وكورها في التشبيه وجوه منها ان الليل والنهار يتعاقبان فاذا غشي احدهما مكان الاخر فكانما البسه
ولف عليه ومنها ان كلا منهما اذا غيب صاحبه يشبه ظاهرا لف عليه ما غيبه عن الابصار ومنها ان كلا منهما يكون
على الاخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة وقيل المراد به يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الاخر من قوله
صلعم نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الادبار بعد الاقبال الثالث قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وقد
مر مثله في فاطر وغيره بحيث كان الاجل المسمى شاملا للقيمة عقبه بقوله لا اله الا هو العزيز الغفار وفيه ترهيب
مع ترغيب الرابع والخامس قوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وهما آيتان اذ لا نهما تشعب الخلق الفائت
للحصر من نفس آدم والثانية خلق حوا من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الخطاب لان الاولى عادة مستمرة دون الثانية اذ ا
لم يخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واطلب لعجب السامع وقيل متعلق بواحدة في المعنى
كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج منها وقيل انه خلق آدم واخرج ذريته من ظهره ثم ذريهم مكانهم
ثم خلق بعد ذلك حوا وقيل ثم قد يأتي مع الجملة دالا على التقدم كقوله ثم اهتدى ثم كان من الذين آمنوا وكقوله
صلعم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير السادس قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اما الازواج فهي الذكور
لسوقه الانعام من الضان اثنين الذكر والانثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين واما وصفها بالانزال
فقيل انه انزلها من الجنة وقيل انه اراد انزال ما هو سبب في وجوده وهو المطر الذي به نبات النبات الذي به يعيش الحيوان وقيل
انزل بمعنى قضى وقسم لان قضاياه وقسمه مكتوبة في اللوح ومن هناك تنزل وفي هذه العبارة نوع فخامة وتعظيم
لان فيها معنى الرفعة والاعتلاء ولهذا يقال رفعت القصة الى الامير وان كان الامير في سرب وخصت هذه الازواج
الذكر لكثرة منافعها من اللبن واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك السابع قوله يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق والمقصود ذكر خلق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر خلق الانسان والانعام
الا انه غلب اولي العقل لشرفهم ويحتمل ان يكون ذكر الانعام اعتراضا حسن موقعه ذكر الازواج بعد قوله جعل منها
زوجها ليعلم ان كل حيوان ذو زوج وترتيب الخلق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الى قوله احسن الخالقين والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه
افعاله ربكم له الملك وقد مر اعرابه في فاطر لا اله الا هو اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو فانى تصرفون اي
كيف يعدل بكم عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين انه غني عن طاعات المطيعين وانها لا تفيد الا انفسهم فقال
ان تكفروا فان الله غني عنكم قالت المعتزلة في قوله ولا يرضى لعباده الكفر دليل على ان الكفر ليس بقضائه والا

لكان راضيا به واجابت الاشاعرة بانه قد علم من اصطلاح القرآن ان العباد المضافة الى الله او الى ضميره هم
المؤمنون قال وعباد الرحمن الذين يمشون عينا يشرب بها عباد الله فمعنى الآية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر
وهذا مما لا نزاع فيه او نقول سلمنا ان كفر الكافر ليس برضاء الله بمعنى انه يمدحه عليه ولا يترك اللوم والاعتراض الا انا
ندعي انه بارادته فليس في الآية دليل على ابطال ما ندعيه غاية كونه بقوله وان تشكروا يرضه لكم والسبب في كلا الحكمين ما جاء
في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وباقي الآية مذكور مرارا مع وضوحه ثم حكى نهاية ضعف الانسان وتناقض
ارائه بقوله واذا مس الانسان ضر الى آخره وقد مر نظيره ايضا وقيل ان الانسان هو الكافر الذي تقدم ذكره وقيل اراد ابا ام
معشوق كعتبة بن ربيعة وغيره ومعنى خوله اعطاه لا لاستجزاء العوض قال جار الله في حقيقته وجهان احدهما جعله
خايل مال من قولهم هو خايل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام ومنه ما يروى ان النبي صلعم كان يتخول اصحابه
بالموعظة اي يتعهد ويتكفل احوالهم ابرا منهم نشاطا في الوعظ عظيم الثاني ان جعله يخول اي يفتخر كما قيل ان الغني
طويل الذيل مياس ومعنى نسي ما كان يدعو اليه اي كشفه ادنى ربه الذي يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد انه نسي او لا
مفزوع وجعل لله سواءه وعاد الى اتخاذ الانداد مع الله واللام في ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله تمتع بكفرك قليلا اعملوا
ما شئتم وفيه ان الكافر لا يتمتع بالدنيا الا قليلا ثم ردفه بشرح حال المحققين الذين لا يرجع لهم الا الى الله
ولا اعتمادهم الا على فضله فقال امن هو قانت قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا اعلم القنوت الا قراءة
القرآن وطول القيام والمشهور انه الدعاء في الصلوة والقيام ما يجب عليه من الطاعة وعن قتادة آناء الليل اوله ووسطه واخره
وقت الراحة فالعبادة فيه اشق على النفس فيكون ثوابه اكثر والواو في قوله ساجدا وقائما للجمع بين الصفتين وفي قوله
يحذر الآخرة اي عذابها ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان العابد يتقلب بين الطرفين الخوف والرجاء ويتردد بين حال القبض
والبسط ولا يخفى ان في هذا الكلام حذفا فمن قرأ امن بالتخفيف والخبر محذوف والمعنى امن هو مطيع كغيره وانما حذف
لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم والجاهل بعده ومن قرأ بالتشديد فالمحذوف
جملة استفهامية فالمذكور معطوف على الابتداء والمعنى هذا افضل ام من هو قانت وقيل الهمزة على قراءة التخفيف
للنداء كما يقول فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من يصلي ويصوم ابشر وقيل المنادي هو رسول الله صلعم بدليل قوله قل هل يستوي
الذين يعلمون الآية قال جار الله اراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون وكأنه جعل من لا يعمل غير عالم
فيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة ويجوز ان يرد على وجه التشبيه اي كما لا يستوي العالمون
والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون نزلت في عمار بن ياسر وامثاله والظاهر العموم وفي قوله انما يتذكر اولوا
الالباب اشارة الى ان التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا ارباب العقول كما قيل انما يعرف ذا الفضل من
الناس ذووه قيل لبعض العلماء انكم تزعمون ان العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء مجتمعين على ابواب الملوك
دون العكس فاجاب بان هذا ايضا من فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما
في العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم ومن لا يعلم امر نبيه صلعم ان يخاطب المؤمنين بانواع من
الكلام النوع الاول قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم قال اهل السنة امر المؤمنين ان يضموا الى الايمان التقوى وفيه
دلالة على ان الايمان يبقى مع المعصية وقالت المعتزلة امرهم ليتقوا كي لا يحبطوا ايمانهم بارتكاب الكبائر بل يزيدوا
في الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقاء ثم بين المؤمنين فائدة الاتقاء قائلا للذين احسنوا الآية وقوله في هذه الدنيا
اما ان يكون صلة لما قبله او صلة لما بعده وهو قول السدي ومعناه على الاول الذين احسنوا في هذه الدنيا لهم حسنة
في الآخرة وهي الجنة والتنكير للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها وعلى الثاني الذين احسنوا فلهم
في هذه الدنيا حسنة قال جار الله الظرف بيان لمكان الحسنة ويحتمل انتقال انه نصب على الحال من المنكر قدم عليها
والثاني اوجه فهذا القول مشربا الحسنة بالصحة والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بانه لا يكون
قد تحصل للكفار على الوجه الاتم فكيف يجعل جزاء للمؤمن المتقي وقيل هي الثناء الجميل وقيل الظفر والغنيمة
وقيل نور القلب وبهاء الوجه وفي قوله وارض الله واسعة اشارة الى ان اسباب التقوى ان لم يتيسر في ارض فيجب
الهجرة الى ارض يتيسر ذلك فيها فيكون كقوله الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وعن ابي مسلم هي ارض الجنة

نيل

لانه حين بين ان المتقي له الجنه وصف ارض الجنه بالسعة ترغيبا فيها لها فقال لنبوئنهم من الجنه حيث نشا انما يوفي الصابرون
على مفارقة الاوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وتكاليفه اجرهم بغير حساب اي لا يحاسبون او
بغير حصر قال جار الله عن النبي صلعم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيوتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين
ويوتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر
ثم تلا الاية وقال حتى يتمنى اهل العافيه في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل النوع الثاني
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلعم ما حملك على هذا الدين الذي اتيت
به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فانزل الله الاية وكانه اشارة الى الامر المتكرر
في اول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله وامرت ان اكون ليس بتكرار لان اللام للعلة والمامور به محذوف بدليل عليه
ما قبله والمعنى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدارين فانتفى التكرار
الى ذكر التعليل مع نوع تاكيد وقيل اللام بدل من الباء اي امرت ان اكون من دعا نفسه الى ما دعى اليه غيره ليصح الاقتداء
بي في قولي وفعلي ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبي صلعم نشر الاسلام فجيء
جبرئيل بالاعمال الظاهرة ونبه انه صلعم ليس مثل الملوك الجبابرة والذين يامرون الناس باشياء ولا يفعلونها بل له سابقة
في كل ما يامر به وينهى عنه وحين بين ان الله امره باخلاص القلب وباعمال الجوارح وكان الامر يحتمل الوجوب فالندب بين
ان ذلك الامر للوجوب فقال قل اني اخاف الاية وذلك ان خوف العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبي صلعم
مع جلالة قدره خائفا من العصيان بغيره اولى وقيل المراد به امته وقيل نزلت قبل ان غفر الله له [illegible]
دليل على ان صاحب الكبيرة قد يعفى عنه لانه بين ان اللازم عند حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث
قل الله اعبد مخلصا له ديني وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن
الشرك الجلي والخفي وهذا اخبار بانه الذي امر به فانه تداب به على كل الوجوه ولهذا اخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد
بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه النوع الرابع قل ان الخاسرين من الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه
الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة الاخلاص بعدها وخسروا اهليهم لان اهلهم واولادهم ان كانوا في النار فلا فائدة
لهم منهم لانهم محجوبون عنهم او لان كلا منهم مشتغل بنفسه وان كانوا من اهل الجنه فقد ابعد بينهم وقيل اهلوهم الحور
العين في الجنة لو امنوا قال اهل البيان في قوله الا ذلك هو الخسران المبين تقطيع لشانه من حيث استانف الجملة
وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق فيه ان للانسان قوتين
يستكمل باحدهما علما وبالاخرى عملا والالة الواسطة في القسم الاول هي العلوم المسماة بالبديهيات وترتيبها على الوجه
المودي الى النتايج وهو بمنزلة الربح بعينه بصرف التاجر في راس المال بالبيع والشرى والالة في القسم العملي هي القوى
البدنيه وغيرها من الاسباب الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى في وجوه اعمال البر التي هي بمنزلة الربح بعينه
الثانية وكل من اعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم انه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فات
ربحه وضاع راس ماله ووقع في عذاب الجهل والم البعد عن عالمه والقرب بما يضادها ابد الابدين فلا خسران فوق
هذا ولا حرمان ابين منه وقد اشار الى هذا بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي اطباق من النار
هي ظلل للاخرين فان لجهنم دركات كما للجنة درجات قال المفسرون سمى النار ظلة لغلظها وكثافتها فصارت
محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة من النظر الى شيء اخر قلت ان كان اشتغال كون النار من جهة ظاهر ونظيره
في الاحوال النفسانيه احاطة نار الجهل والحرص وسائر الاخلاق الذميمة بالانسان وقد مر في قوله لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وتسمية الظلة لما على الانسان
نسمى ما تحتهم ظلل ظلة اطلاقا لاحد الضدين على الاخر او لان التحتانيه متشابهة للفوقانيه في الحرارة والاحراق
ذلك العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده المومنين وقد مر ان العباد في القران اذا كان مضافا الى الحضرة
اختص باهل الايمان عند اهل السنة وعندي انه لا مانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين
اجتنبوا الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله كما مر في اية الكرسي ان يعبدوها اشتمال منه وانابوا

الى

الى الله رجوعا بالكلية الى تحصيل رضاه فالاول تخليه وحقيقة الاعراض عما سوى الله والاقبال على الله هي ان كل ما سواه فانه
ممكن الوجود لذاته فقير في نفسه وهو سبحانه واجب الوجود لذاته غني على الاطلاق لا حكم الا له ولا تدبير الا له
او بامره لهم البشرى اي هم مخصوصون بالبشارة للطاعة وهي الخبر الاول الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول
الاماني ووقتها الموت الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنه والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعند لقاء الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارة في الدنيا على السنة
الرسل كما يخرج عن كونها بشارة في هذه الاوقات لانها في الاول عامة للمكلفين مبهمة فيهم ولا يتعين الا في
هذه الاحوال ويحتمل هذه انواع اخر من السعادات تفوق ما عرفوها وسمعوها نسال الله الفوز بها قال ابن زيد نزلت
في ثلثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعن ابن
عباس ان ابا بكر امن بالنبي صلعم فجاء عثمن وعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد وسعيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فنزل
فبشر عبادي الذين يستمعون القول اي من ابي بكر فيتبعون احسنه وهو لا اله الا الله قال اهل النظم لما بين ان الذين اجتنبوا
وانابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الاولون جعل الحكم اعم اظهارا للرحمة فقال كل من اختار
الاحسن في كل باب كان من زمرة السعداء اهل البشارة وقال جار الله اراد بعباده الذين يستمعون القول الذين
اجتنبوا وانابوا لا غيرهم اي هم الذين جمعوا هذه الخصلة الى تلك ولهذا وضع الظاهر موضع المضمر وفي الاية دلالة على
وجوب النظر والاستدلال وانه اذا عرض امران واجب فالاولى اختيار الواجب وكذا الكلام في المباح والندب
كالقصاص والعفو وكل ما هو احوط في الدين مثاله في الاصول القول بان للعالم صانعا حيا عليما قادرا متصفا
بنعوت الجلال والاكرام وصفات الكمال والتمام اولى واحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء احوط من
الانكار وفي الفروع الصلوة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الاركان والابعاض المختلف
فيها احوط من الصلوة الفارغة عنها او عن بعضها وقال العارفون يستمعون من النفس الدعوة الى الشهوات
ومن الشيطان الى قول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعاء الى دار السلام فيقبلون كلام الله
ورسوله والخواطر الحسنة دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي
فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الواقفين من يقف على قوله فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون
وخبره اولئك الذين هداهم الله وهو اشارة الى الفاعل فاولئكم اولوا الالباب اشارة الى ان جوهر نفوسهم
قابلة لفيض الهداية بخلاف من لم يكن لها قابلية ذلكم هو قوله افمن حق عليه كلمة العذاب قال جار الله امن حق
عليه كلمة العذاب فانت تنقذه فهي جملة شرطية دخل عليها الهمزة للانكار وكررت في الفاء الثانية للجزاء تاكيد
المعنى لانكار ووضع من في النار موضع الضمير مجازا بهم واما الفاء الاولى فللعطف على محذوف يدل عليه
سياق الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه ويجوز ان يكون الكلام بعد المحذوف جملتين شرطية حذف جزاؤها
محذوف ايضا ثم جملة والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تخلصه افانت تنقذ من في النار قلت فالكلام
على هذا التقدير مشتمل على اربع جمل بيانه تعدد حرف الانكار محذوفتان والباقيتان ظاهرتان ومن زعم ان الفاء
بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الاية الشرطية كما ذكرنا وهي مع جملته ثم صرح بجزاء المتقين فقال
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف وهو كالمقابل لما مر في وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى قوله مبنية والله
اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسوية وجعلت متفاوتة في اسباب النزاهة من الاشجار
والانهار لا مثل ابنية الدنيا فان الفوقاني منها يكون اضعف من التحتاني واخف والتحتاني قد يجري من تحتها الانهار
واما الفوقاني فلا يمكن فيها ذلك قال حكماء الاسلام الغرف المبنية بعضها فوق بعض هي العلوم المكتسبة المبنية
على الفطرات فانها تكون في المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية يجري وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة
فيها والدنيا بما يقتضي النفرة عنها فقدم المثل مقدمة يستدل بها على حقية الصانع ايضا فقال الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فسلكه اي ادخله في الارض حال كون ذلك الماء ينابيع مثل الدم في العروق والينابيع جمع ينبوع
وهو كل ما يخرج من الارض وقيل هو الموضع الذي يخرج منه الماء كالعيون والابار فيتصف على الطرفين قوله ثم يخرج

على لفظ المستقبل تصويرا لتلك الحالة العجيبة الشأن وهو اخراج النبت الالوان والاصناف والخواص بسبب الماء المخالط
للارض ثم يهيج اي يتم جفافه قال الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب ثم يجعله حطاما
فتاتا متكسرا ان في ذلك الذي ذكر من انزال الماء واخراج الزرع سبيله لذكرى لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع
لاولي الالباب وفيه ان الانسان وان طال عمره فلا بد له من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الاجزاء والاعضاء
بل الى الموت والفناء وانما قال فيهما ثم يجعله حطاما وفي الحديد ثم يكون حطاما لان الفعل هناك مسند الى النبات وهو
قوله اعجب الكفار نباته وههنا مسند الى الله من قوله انزل الى اخره وحسن بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب
الاقبال على طاعة الله والاعراض من الدنيا الفانية ثم بين ان في ذلك البيان لا لكل الانتفاع به الا اذا شرح الله صدره
ونور قلبه فقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ولا يخفى ما في لفظة على من فائدة الاستعلاء والتمكن
كما هو في قوله اولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا في قوله امن هو قانت يعني هذا الشخص المنشرح الصدر
كمن طبع الله على قلبه يدل عليه ما بعده فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل سماع القران وانما عدي بمن لان
قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القران ويجوز ان يكون للتعليل وذلك ان جواهر النفوس تختلف فبعضها
يكون مشرقة بنور الله تعدها نور القران بهاء وضياء وبعضها يكون مظلمة كدرة لا ينعكس نور الذكر اليها ولا ينطبع صور
الحق فيها كالمرآة الصدية ثم اكد وصف القران وكيفية تأثيره في النفوس بقوله الله نزل احسن الحديث عن ابن
مسعود ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت الاية والحديث كلام يتضمن الخبر عن حال متجدد منه
وصفه بالحدوث من حيث التنزيل لا ينافي قدمه من حيث انه كلام نفسي ووجه كونه احسن لفظا او معنى مما لا يخفى
على ذي طبع فضلا عن ذي لب وقوله كتابا بدل من احسن الحال لموطئة ومعنى متشابها انه يشبه بعضها بعضا
في الاعجاز اللفظي والمعنى والنظم الانيق والاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى اصول العلوم كما مر
في اول البقرة في تفسير قوله وان كنتم في ريب وقيل هو من قوله واخر متشابهات فيكون صفة لبعض القران
فقيل يشبه اللفظ اللفظ والمعنى يختلف وقوله مثاني جمع مثنى او مثنى لان القران كالقوافي للشعر وقد مر بعض هذه
الاقوال في مقدمات الكتاب وفي سورة الحجر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله
تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع ليكون رباعيا دالا على معنى زائد وهو تمثيل لشدة الخوف وهو
حقيقة بسبب الخوف قال المفسرون المراد انه عند سماع ايات العذاب يخافون فيقشعر جلودهم وعند سماع ايات الرحمة الا
ويذكرهم لرأفته ورحمته ينقلب خشيته تلين جلودهم وقلوبهم ومعنى الى في قوله الى ذكر الله كأنهم انتهوا لان معنى تسكن
وتطمئن وقال العارفون اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا وقال اهل البرهان اذا اعتبر
العقل موجودا لا اول له ولا اخر ولا جهة وقع في بادية التحير والهيبة واذا اعتبر الدلائل القاطعة على وجود موجود
واجب لذاته واحد في صفاته وافعاله اطمأن قلبه اليه قال جار الله انما ذكرت الجلود اولا وحدها لان الخشية تدل على
القلوب لانها محل الخشية وكأنه قيل تقشعر جلودهم من خشيته قلوبهم ثم اذا ذكروا الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ويحتمل ان يقال المكاشفة في مقام الرجاء اهل منها
في مقام الخوف ومحل المكاشفات هو القلب فلذلك اختص ذكر القلوب بجانب الرجاء ثم اشار الى الكتاب المذكور بقوله
ذلك هدى الله كقوله هدى للمتقين ثم بين ان للقاسية قلوبهم حالين اما في الدنيا فالضلال العام وهو قوله ومن يضلل
الله فما له من هاد واما في الاخرة فقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته والخبر محذوف وهو كمن امن العذاب
واتقاء العذاب بوجهه اما حقيقة وذلك بان يكون يداه مغلولة الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه واما ان يكون
كناية عن عجزه عن الاتقاء وذلك ان الانسان اذا وقع في نوع من العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه الذي هو
اشرف الاعضاء كأنه قيل لا يقدرون على الاتقاء الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا اتقاء اصلا وقيل للظالمين
القائلون هم خزنة النار قوله كذب الذين من قبلهم تصوير لحال امثالهم من الامم الخالية بينما هم امنون اذ اخذهم
العذاب والخزي في الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله ولقد ضربنا الى اخر الاية ان هذه البيانات بلغت
في الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من امثال القران مثلا يقبح طريقة اهل الشرك فهو رجل من المماليك فيه شركاء

٣١

فيه شركاء متشاكسون اي كلهم سيئ خلقهم في استخدامه او هم مختلفون في ذلك يأمره هذا بشيء وينهاه الاخر عن ذلك الشيء
بعينه والتشاكس سوء الخلق والاختلاف ورجلا سلما لرجل اي خالصا من الشركة من قرأ بغير الف فحذف المضاف اي
ذو سلامة او ذو خلوص من الشركة قال جار الله وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي
قد يغفلان عن ذلك قلت لا ريب ان الرجل اصل في كل باب فجعله مضرب المثل اولى نظيره وضرب لهم مثلا رجلين احدهما
ابكم ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله هل يستويان مثلا وهو تمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما واقتصر في التمييز
على الواحد لقصد الجنس والمراد تجهيل من يجعل المعبود متعددا فليس رضى واحد كطلب رضا جماعة مختلفين وحاصل
يرجع الى دليل التمانع كما مر في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال اهل العرفان المشرك كالمتنازع يجاذبه شغل الدنيا
وشغل العيال وغير ذلك من الاشتغالات والموحد كالرجل من ليس له في الدنيا نصيب ولا له في الخلق سبب وهو عن الاخرة
غريب والى الله قريب وقوله الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون كما مر في لقمن في قوله انك ميت وجه النظم انه سبحانه كأنه
قال ان هؤلاء الاقوام ان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا
فانك ستموت وهم ايضا يموتون الى الموت فلو انهم يتربصون بك الموت فان الموت يعم الكل فلا معنى لشماتة المرء بعلة
وفات صاحبه ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك قد بلغت وهم يعتذرون بما لا طائل تحته وقد
يخاصم الكفار بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي وقد يقع الاختصام بين اهل الملة الاتباع والظالم الذي بينهم

فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّٰهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ اِذْ جَاءَهُ اَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ اَسْوَأَ
الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ اَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَنْ
يَهْدِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ اَلَيْسَ اللّٰهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۝ وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلْ اَفَرَاَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللّٰهِ اِنْ اَرَادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اَوْ اَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ
اِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَنْ يَاْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ
اِنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدٰى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ

اعلم

جزو

تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان
في ذلك لايات لقوم يتفكرون ۝ ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون ۝ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون ۝ واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ۝ قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ۝ ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ۝ وبدا لهم سيئات ما كسبوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه
نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ قد قالها الذين
من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ فاصابهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ۝
اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون ۝ قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ۝ وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون ۝ واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ۝ ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ۝ او تقول لو ان الله هداني
لكنت من المتقين ۝ او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من
المحسنين ۝ بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ۝

٣٢

ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين ۝ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ۝
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ۝ له مقاليد السموات والارض والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون ۝ قل افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون ۝ ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين ۝ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ۝ وما قدروا الله حق
قدره والارض قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما
يشركون ۝ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ۝ واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ۝ ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون ۝ وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين ۝ قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ۝
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ۝ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ۝ وترى
الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي
بينهم بالحق ۝ وقيل الحمد لله رب العالمين ۝

القراءة عباده على الجمع يزيد وحمزة وعلي وخلف ارادني الله بسكون الياء حمزة كاشفات بالتنوين ضره بالنصب
وهكذا ممسكات رحمته ابو عمرو وسهل ويعقوب والباقون بالاضافة قضي عليها الموت بالرفع حمزة وعلي وخلف يا عبادي
الذين اسرفوا بسكون الياء حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وسهل ويعقوب والوقف للجميع بالياء لا غير يا حسرتاي بياء بعد الالف
يزيد يا حسرتي بالالف وحدها وينجي الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص
والمفضل تامروني بتشديد النون وفتح الياء ابن كثير تامرونني بنونين وسكون الياء ابن عامر تامروني بنون واحدة
وفتح الياء ابو جعفر ونافع الباقون بتشديد النون وسكون الياء ليحبطن بالنون من الاحباط عملك بالنصب يزيد الاعمش
على الغيبة وفتح الباء عملك بالرفع وسيق بضم السين وكسر الياء ابن عامر وعلي ورويس فتحت بالتخفيف حمزة
وعلي وخلف وعاصم غير المفضل في الحرفين **الوقوف** الجزء الرابع والعشرون اذ جاءه ط للكافرين المتقون عند
ربهم المحسنين لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كانه قيل يعلمون عبده ط من دونه ط من هاد ج مضل ط انتقام ط ليقولن الله ط رحمته ط
حسبي الله ط المتوكلون عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون لا مقيم بالحق ج لاختلاف الجملتين فلنفسه ج عليها ج الابتداء
بالنفي مع العطف بوكيل ج منامها ج مسمى ط يتفكرون شفعاء ط يعقلون جميعا ط والارض ط على ان ثم لترتيب الاخبار ترجعون
بالاخرة ج فصلا بين الجملتين مع اتفاقهما نظما يستبشرون يختلفون القيمة ط يحتسبون يستهزؤن دعانا ز فصلا بين
تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين مثلا ان ما بعد جواب على علم لا يعلمون يكسبون ما كسبوا الاولى الثانية لان الواو
للحال بمعجزين ويقدر يؤمنون رحمة الله جميعا الرحيم لا تنصرون لا تشعرون الساخرين المتقين المحسنين الكافرين
مسودة المتكبرين بمفازتهم لاحتمال الاستيناف والحال اوجه يحزنون كل شيء للفصل بين الوصفين نعظما
مع اتفاق الجملتين وكيل والارض الخاسرون الجاهلون من قبلك تحت القسم المحذوف الخاسرين الشاكرين
بيمينه يشركون شاء الله بيانا للتراخي النفخة الثانية عن الاولى مع اتفاق الجملتين ينظرون لا يظلمون يفعلون
زمرا هذا الكافرين فيها المتكبرين زمرا خالدين شاء العالمين ربهم لان الماضي لا يعطف على المستقبل
والحال جعله حالا اي وقد فتحت بين الزمر العالمين **التفسير** لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا اشار الى نوع
آخر من قبائح افعالهم وهو انهم يضمون الى كذبهم على الله باضافة الشريك والولد اليه تكذيبهم بالصدق يعني
الامر الذي هو الصدق بعينه اي القرآن ومعنى اذ جاءه انه لم يتوقف طريقة الانصاف والتدبير لكنه كما سمع به فاجأه
بالتكذيب واللام في قوله للكافرين لهؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال جار الله ويحتمل ان
يكون للعموم فيتناولهم وغيرهم من الكفرة ثم بين وعيدهم عقيبه بوعد الصادقين المصدقين وهم الرسول صلعم واصحابه
وقيل الرسول وابو بكر والتعميم اولى لقوله اولئكم المتقون قوله ليكفر ظاهر تعلقه بشاءون ويحتمل لام العاقبة
ويحتمل تعلقه بمحذوف اي جزاؤهم لاجل ذلك قال جار الله لا تتواهمن بيانا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم
الاشج اعدل بني مروان وفايدة صيغة التفضيل استعظامهم المعصية حتى ان الصغاير عندهم اسوأ اعمالهم وقال
بعض المفسرين اراد به الكفر السابق الذي محوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الاية فانها
تدل على ان من صدق الانبياء فانه تعالى يكفر عنه اسوأ الاعمال التي اتى بها بعد الايمان والوصف بالتقوى وفيه
نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبي صلعم بعض آلهتهم يروى انه صلى الله عليه وسلم بعث خالد
الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها لشدة فعمد خالد اليها فهشم انفها وانزل الله اليس
الله بكاف عبده ودليل قوله ويخوفونك ومن قرأ على الجمع عنى العموم والآيات الى قوله ويحل نظائرها مع
انها مما سبق ذكرها مرارا والعذاب المخزي يوم بدر والعذاب المقيم العذاب الدايم في الاخرة ومدار هذه
الاي على تسلية النبي صلعم ثم اكد حديث الهداية والضلال من الله تعالى بقوله الله يتوفى الانفس وذلك
ان الحيوة واليقظة تشبه الهداية والموت والنوم يضاهي الضلال فكما ان الحيوة والموت واليقظة والنوم لا يحصل
الا بتخليق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلال والعارف بهذه الدقيقة عارف بسر الله في القدر ومن عرف
سر الله في القدر هانت عليه المصائب ففيه تسلية اخرى للنبي صلعم وقيل وجه النظم انه تعالى اراد ان يذكر
حجة اخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم انه احق بالعبادة من كل ما سواه فضلا عن الاصنام

ومعنى

ومعنى الاية ان الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها قال جار الله اراد بالانفس الجملة كما هي لانها هي التي تنام
وتموت ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى كقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل والحاصل انه يتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها فيكون في متعلقه بيتوفى والتوفي مستعمل في الاول
حقيقة وفي الثاني مجاز ولم يجوزه كثير من ائمة الاصول وقال الفراء في متعلقة بالموت تقديره ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها عند انقضاء اجالها ثم ميز بين الحالين بقوله فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى من غير غلط وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر مشرق نوراني اذا تعلق بالبدن حصل
ضوءه في جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها وهو الحيوة واليقظة واما في وقت النوم فان ضوءه لا يقع الا على باطن
البدن وينقطع عن ظاهره فيبقى نفس الحيوة التي بها التنفس وعمل القوى البدنية في الباطن ويبقى ما به التمييز
والعقل واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا من
القادر الحكيم الذي لا شريك له في مملكته ولا نظير ولهذا ختم الاية بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
ثم كان للمشرك ان يقول انما نعبد الاصنام لانها تماثيل اشخاص كانوا عند الله مقربين فنحن نرجو شفاعتهم فابطل
الله عليهم بقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء والهمزة بمعنى بل والهمزة للانكار وتقرير الانكار ان هؤلاء
الكفار اما ان يطمعوا في شفاعة تلك التماثيل واما في شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم الاول باطل لان هذه الاصنام
جمادات لا تملك شيئا ولا تعقل واشار الى هذا المعنى بقوله اولو كانوا يعني ايشفعون ولو كانوا بحيث لا يملكون ولا يعقلون
والثاني ايضا مستحيل لانه يوم القيامة لا يشفع احد الا باذن الله برهن على ذلك بقوله له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون يوم القيامة ولا ملك في ذلك اليوم الا الله ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعال المشركين فقال واذا ذكر
الله وحده اي منفردا ذكره عن ذكر آلهتهم اشمأزت اي عزبت وانقبضت منه قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه سواء ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم يستبشرون اي فاجأوا وقت ذكر آلهتهم وقت
استبشارهم وفي الاية طباق ومقابلة لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر اثره في بشرته والاشمئزاز
ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه وذلك لانحباس الروح الحيواني في القلب وقيل معنى
الاية انه اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وفي بعض التفاسير ان هذا اشارة
الى ما روي انه صلعم لما قرأ سورة النجم ووسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى فاستبشر
المشركون وسجدوا كما حكي عنهم لهذا الجهل الغليظ والخوف الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره ناسب السعادات
وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر احسن الاشياء وهي الجمادات امر رسوله بهذا الدعاء اللهم فاطر السموات والارض
وهو وصفه بالقدرة التامة عالم الغيب والشهادة وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه
بالعلم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين في اصول الدين وقد اشرنا الى ذلك فيما سلف انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يعني ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم بالشرك امر معلوم الفساد ببديهة
العقل فلا حيلة في ازالته الا بالاستعانة بالقدير العليم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلعم كان يفتتح صلوته
بالليل فيقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم وعن الربيع بن
خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه
الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان النبي صلعم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ثم ذكر وعيدهم على ذلك المذهب الباطل
بقوله ولو ان للذين ظلموا اي بالشرك وقد مر نظير الاية مرارا اولها في آل عمران وقوله وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون نظير قوله في اهل الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات
فاذا هي سيئات يروى ان محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال اخشى آية من كتاب الله فتلاها فانا
اخشى ان يبدو لي من الله ما لم يكن في حسابي وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء ثم صح بها انهم
وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي ما موصولة او مصدرية اي ظهرت لهم سيئات اعمالهم التي اكتسبوها او سيئات

كسبهم وذلك عند عرض الصحايف او غير ذلك من المواقف وجوز اهل البيان ان يراد بالسيئات جزاء افعالهم كقوله
جزاء سيئة سيئة وانما قال في الجاثية سيئات ما عملوا لمناسبة الفاظ العمل وههنا قد وقع بين الفاظ الكسب فحكى
نوعا اخر من قبيح افعالهم فاذا مس الانسان وقد مر مثله في مواضع اقربها اول السورة الا انه ذكر ههنا بفاء التعقيب
لان هذا مناقض لما حكى عنهم عن كثب وهو انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده فكيف التجاوا اليه وحده عند نزول الضر بهم
ومعنى اوتيته على علم او تيته على علم الله بكوني مستحقا لذلك او على علم عندي مما رشيا لهذه النعمة من كسب وصنعة
ونحو ذلك ولا شك ان هذا نوع من الغرور فلهذا قال سبحانه بل هي فتنة بلاء واختبار يمتحن بها الشاكر عن الكافر ذكر
الضمير اولا بتاويل المخول وانثه ثانيا بتاويل النعمة ثم اشار بقوله قد قالها الى مجموع الكلمة التي صدرت عنهم والذين
من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ونحو ان يكون في
الامم الخالية قايلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الاموال ومن المعاصي واشار بقوله هولاء الى اهل مكة
اصابهم قتل في يوم بدر وغيره وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم الم
يعلموا ان الباسط والقابض هو الله وحده وذلك ان انتهاء الحوادث المتسلسلة تحت ارادته ومشيته ولا ينافي هذا
توسط عالم الاسباب وان يكون للكواكب كلها تاثيرات في عالمنا هذا باذن مبدعها وفاطرها وقول الشاعر
فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل ولكنه حكم رب السما وقاضي القضاء تعالى وجل
كلام من غير تنقيح واستبصار بشر الفقير والذي يشكل به الامام فخر الدين من انه قد يولد التوامان في طالع واحد
ثم يصير احدهما في غاية السعادة والاخر في غاية الشقاوة كلام غير محقق لانا لو سلمنا وقوع ذلك فالاختلاف القابل
وليس تاثير الفاعل السماوي في طالع ذلك الحادي وكذا الاختلافات اخرى لا نهاية لها نعم لو ادعى عشر ادعى جميع الخير
فلا نزاع في ذلك الا انا المتفقع مما سينفع به عليه ان يقنع بما يصل اليه فهمه فلكل شي حد وفوق كل ذي علم عليم
ومن اطنب في الوعيد اردفه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم عن ابن
عباس ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ونحن قد عبدنا
الاوثان وقتلنا الانفس فانزل الله هذه الاية وعن ابن عمر نزلت في عياش بن ابي ربيعة والوليد والى اولئك
النفر فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة في وحشي وقد سبق ثم قلنا العباد عام فالاسراف على النفس يعم الشرك
ولا نزاع ان عدم الياس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان وان قلنا العباد المضاف في عرف القران مختص بالمؤمنين
فالاسراف اما الصغائر فلا خلاف في انها مكفرة ما اجتنب الكبائر واما بالكبائر وحينئذ يبقى النزاع بين المؤمنين
فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا عن رسول الله صلعم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه
الاية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات رواه في الكشاف وعلى هذا
يكون مخصوصا بشرط الايمان وتحقيق في الاية من موكدات الرحمة اولها تسمية المذنب عبدا والعبودية
تشعر بالاختصاص مع الملاطفة واللايق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على المساكين وثانيها اضافتهم الى نفسه الضا
الموجبة للتشريف وثالثها من جهة وصفهم بقوله الذين اسرفوا على انفسهم كانه قال يكفيهم من تلك الذنوب
عود مضرتها عليهم لا علي ورابعها نهيهم عن القنوط فالكريم اذا امرنا بالرجاء فلا يليق به الا الكرم وخامسها
قوله من رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير بان يقول من رحمتي فاراد تشريف الاسم في هذا المقام ليدل على اعظم انواع
الكرم واللطف وسادسها تكرير اسم الله في قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وسابعها تصدير الجملة بان وتوقيع الراد
صيغة المضارع المنبية عن الاستمرار وثامنها تاكيد الذنوب بقوله جميعا اي حال كونها مجموعة وتاسعها
ارداف الجملة بقوله انه هو الغفور الرحيم مع ما فيه من انواع الموكدات ومع جميع ذلك لم يخل الترغيب عن
الترهيب ليكون رجاء المؤمن مقرونا بالخوف فقال وانيبوا الى ربكم واسلموا له وذلك ان الاشاعرة ايضا يجوزون
ان يدخل صاحب الكبيرة النار ثم يخرج منها ومع احتمال هذا العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص في العمل
على ان الخوف للتقصير في الطاعة يتحقق من الخوف للتضرع بالمعصية والمصيبين في الاول منه وحده عن الثاني
وقال بعضهم ان الكلام قد تم على الاية الاولى ثم خاطب الكفار بهذه الاية من قوله وانيبوا المراد بالعذاب في

المومنين

المومنين اما عذاب الدنيا كما للامم السالفة واما الموت لانه اول اهوال الاخرة وقوله احسن ما انزل اليكم كقوله يستمعون
القول فيتبعون احسنه وقد مر الاقوال فيه وحين خوفهم بالعذاب حكى عنهم انهم بتقدير نزول العذاب ماذا
يقولون فذكر ثلاثة انواع من الكلمات الاول ان تقول والتقدير انذركم العذاب المذكور كراهة ان تقول او لئلا
تقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر او نوع من الانفس متميزة باللجاج في
الكفر الشديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يكون التنكير للتكثير كقوله رب مقدم رقته يا حسرتا على ما فرطت والتفريط اهمال
ما ينبغي ان يقدم في جنب الله واعلم ان بعض اهل التجسيم تمسكوا بورود هذا اللفظ على اثبات هذا العضو لله تعالى
ولا بد بتنزيه الله بعد التسليم لا بمعنى التفريط فيه ما لم يصر الى التاويل والصحيح ما ذهب اليه علماء البيان ان هذا من باب
الكناية لانك اذا اثبت الشي في مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد اثبته فيه كقوله شعر
ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ويقول لمكانك فعلت هذا اي لاجلك وفي الحديث
من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل ولا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب او لم يذكر وللمفسرين عبارات
قال ابن عباس اي ضيعت من ثواب الله قال مقاتل ضيعت عن ذكر الله وقال مجاهد في امر الله وقال الحسن
في طاعة الله وعن سعيد بن جبير في حق الله وقيل في قرب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال
ابن عمر في جانب هدى الله لان الطريق منشعب الى الهدى والضلال وكل واحد من جانب وجنب والتحقيق
في المسلة ان الشي الذي يكون من لوازم الشي ومن توابعه كانه حد من حدوده وجانب من جوانبه فلما حصلت
المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشي وتابعا له جرى حسن اطلاق لفظ الجنب في
الاية على احد هذه المضافات قال الشاعر وهو سابق البربري شعر الا تتقين الله في جنب عاشق
له كبد حرى عليك تقطع ثم زاد في التحسر بقوله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بالقران والنبي والمومنين
ان المخففة واللام فارقة والواو يحتمل الحال والعطف قال قتادة لم يكفه ما ضيع الله حتى سخر من المصدقين و
النوع الثاني من كلمات النفس المعذبة لو ان الله هداني يجوز ان يتولى مرة هذا ومرة ذلك او يكون قايل كل من
الكلمتين نفسا اخرى والمعنى لو ارشدني الى دينه لكنت من المتقين النوع الثالث قوله عند رؤية العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين قال جار الله لا تخلو اقوال النفس اجاب من بينها عما اقتضى الجواب وهو الثاني وهو
ان تقع بلى جوابا له مع انه غير منفي لان قوله لو ان الله هداني في معنى ما هديت فلذا بلى صح جوابا للقول الثاني
والثالث اي بلى قد هديت بالوحي فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا فايدة في الرجعة فان عدم القابلية ذاتية
وافعالي جانب الهدى لن يزول عنه ثم صرح ببعض انواع العذاب فقال ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وحقيقة
وجوههم مسودة مستقل ثان ان كانت روية القلب والا فموضعه نصب على الحال فالظاهر ان الكذب على الله المثاب الله
في قوله فكذبت بها ويشمل الكذب على الله باتخاذ الشريك والولد ونسبته الى العجز عن الاعادة ونسبة القران الى الكون
مختلفا واما المسايل الاجتهادية التي يختلف فيها كل فرق اسلامي ولا سيما العز عنه فالظاهر انها لا تدخل فيها
والله اعلم واما اسوداد الوجه فانه كما يتبع الصفرة تظاهر وتكون كساير اوصاف اهل النار ومن يرث العين وغيرهم
فان كان المراد به الخجل وشدة الحيا فنحو ذلك والله تعالى اعلم بمراده ولا ريب ان الجهل والاصرار على خلاف ما علم
الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما ان العلم والصدق ونحوها انوار كلها وفي ذلك العالم يظهر
حقيقة كل شي على المكلف هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت ثم حكى حال المتقين بوعيد فقال وينجي الله
الذين اتقوا الشرك والمعاصي كبايرها وصغايرها بمفازتهم هي مفعلة من الفوز فمن وحد فلانه مصدر ومن جمع فلاختلاف
اجناسها فلكل متق مفازة هي الفلاح ولا شك ان الباء هي التي في نحو قولك كتبت بالقلم نعم قال جار الله تارة تفسير
المفازة هي قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم
ولا هم يحزنون فنالوا تمنا على ما فات وتارة يجوز ان يراد بسبب فلاحهم او امتحانهم وهو العمل الصالح وذلك
ان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة فيجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وعلى هذا
الوجه يكون قوله لا يمسهم منصوبا على الحال وعن الماوردي ان المفازة ههنا البرية اي بما سلكوا مفازة الطاعة

الشأنه وهو غريب وحيث تم الوعد اتبعه شيئا من دلايل الملكية تايلا الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل
وقد مر في الانعام تم اكده بقوله له مقاليد وهو كقوله في الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد والمفاتح فقيل لا واحد لها
من لفظها وقيل مقليد او مقلد او اقليد والظاهر انه في الاصل فارسي والتعريب جعله من قبيل المعرب ويروى انه سال
عثمان رسول الله صلعم عن تفسير الاية فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك تفسير المقاليد لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شي قدير قال العلما يعني ان هذه الكلمات مفاتيح خزاين السموات والارض وقد وحد الله بها ومجد
وقال اهل العرفان بيده مفاتيح خزاين اللطف والقهر فيفتح على من يشا ابواب خزاين لطفه في قلبه فيخرج منا ينبع
الحكمة وجوهر الاخلاق الحسنة وللآخر بالضد قال في الكشاف قوله والذين كفروا متصل بقوله وينجي وما بينهما
اعتراض دل على انه مالك الاشيا كلها بمن عليها لا يخفى عليه اعمال المكلفين وجزاؤها فانه كل شي في السموات
والارض فان مفاتيحه بيده والظاهر انه لا حاجة الى هذا التقدير البعيد حتى يعطف جملة اسمية على جملة فعلية
والاقرب انه انه لما وصف نفسه بصفات الملكية والقدرة ذكر بعده ان الذين كفروا بدلايل ملكه مع كونها
ظاهرة فلا احسن منهم لانهم عمي في الداريين فاقدون لاشرف المطالب ولذلك وبخ اهل الشرك بقوله قل افغير الله اي قل
لهم بعد هذا البيان افغير الله وهو منصوب باعبد وتامروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم وذلك ان
المشركين دعوه الى دين ابايه وحيث جاز الله اذ ينتصب بما بعده عليه حمل قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني
وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل ويمكن ان يعترض عليه بان صلة ان كيف
تتقدم عليه ويحتمل ان يجاب بان العامل هو ما دل عليه الجملة كما قلنا لا تزليه انا اعبد وقيل التقدير افتعبادة
غير الله تامروني وقوله ايها الجاهلون لا يكون البق بالمقام منه لانه لا اجهل ممن نهى عن عبادة اشرف الاشيا
وامر بعبادة اخس الاشيا ثم هدد الامة على الشرك مخاطبا نبيه بقوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
من الانبيا مثله لين اشركت فانتقر على الاول وتحرز ان يراد ولقد اوحي اليك والى كل واحد ممن قبلك لين
اشركت كما يقول كسانا حلة اي كل واحد منا وقد مر تحقيق هذه الاية كقوله ولين اتبعت اهواءهم ونبينا
ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة في صدقها فالمراد الامة كما قلنا في قوله ولتكونن من الخاسرين
اشارة الى ان منصب النبوة الذي هو اشرف المراتب الانسانية واقربها من الله اذا بدل بضده الذي هو البعد
عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراه ذلك ثم ردهم الى ما هو الحق الثابت في نفس الامر وهو تخصيص
الله بالعبادة فقال بل الله فاعبد وكن من الشاكرين له على ذلك لانه نفى العبادة منه ما حوله وكما جعله
منظورا للطف حتى صار ولد ادم ثم بين انهم لما جعلوا هذه الاشيا الخسيسة مشاركة في العبادة ما عرفوا
الله حق معرفته وقد مر في الانعام والحج ثم اردفه بما يدل على كمال عظمته فقال والارض جميعا قبضته قال جار
الله الغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب
بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود ان رجلا
من اهل الكتاب جا الى النبي صلعم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والا
رضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك
رسول الله صلعم تعجبا مما قال فانزل الله الاية تصديقا له قال جار الله وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم
منه الا ما يفهمه منه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شي من ذلك ولكن فهمه وقع اول
شي واخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة بان الافعال العظام التي لا يكتنهها
الاوهام هينة عليه ثم ذكر كلاما اخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي بان هذا الكلام الطويل
لا طايل تحته لانه هل يسلم ان الاصل في الكلام حمله على حقيقته ام لا وعلى الثاني يلزم خروج القران بكليته
عن كونه حجة فان لكل احد حينيذ ان يأول الاية بما شاء وعلى الاول هو الذي عليه الجمهور يلزم بيان انه
لا يمكن حمل اللفظ المذكور على معناه الحقيقي ليتعين المصير الى التاويل ثم ان كان هناك مجازات وجب اقامة

الوعدم

فاجتنابهم

الدليل على تعيين احدها ففي هذه الصورة لاشك ان لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا ان
الدلايل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح لله سبحانه فوجب المصير الى التاويل صونا للنص عن التعطيل
والتاويل الاتي يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان في قبضة فلان وقال تعالى او ما ملكت ايمانهم
ويقال هذه الدار في يد فلان وبيمينه وفلان صاحب اليد وانا اقول هذا الذي ذكره الامام طريق اصولي والذي
ذكره جار الله طريق بياني وانهم يحملون كثيرا من المسايل الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه
وقد مر لنا في هذا الكتاب الاصل الذي كان يعتقد به السلف في باب المتشابهات في مواضع منه فليتذكر ولنرجع
الى الاية قوله والارض قالوا ان المراد بها الارضون لوجهين احدهما قوله جميعا فانه يجعله في معنى الجمع كقوله
كل الطعام وقوله والنخل باسقات والثاني قوله والسموات ولقايل ان يقول كل ما هو ذو اجزا صح تأكيده فانه
يصح تأكيده بالجميع وعطف السموات على الارض في القران كثير نعم قد يقال ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم
فهو مقتضى المبالغة فليس ببعيد والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني والارضون جميعا مع عظمهن لا
يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته فهي ذوات قبضة وعندي ان المراد منه تغيره يوم القيمة فهو انسب
كقوله يوم تبدل الارض غير الارض وقوله والسموات مطويات كقوله يوم نطوي السماء كطي السجل وقيل
معنى مطويات كونها مستولى عليها استيلاءك على الشي المطوي عندك وقيل بيمينه اي بقسمه
لانه حلف ان يطويها ويفنيها وفي الاية اشارة الى كمال استغنائه وانه اذا حاول تخريب الارض والسموات
وتبديلها وذلك في يوم القيمة سهل عليه كل السهولة ولذلك نزه نفسه عن الشرك كما يليق له سبحانه وتعالى
عما يشركون ثم ذكر ساير اهوال القيمة واحوالها بقوله ونفخ في الصور فصعق الظاهر ان نفخ الصور مرتان
وبعضهم يروي انها ثلث نفخات الاولى للفزع كما جا في النمل والثانية للموت وهو معنى الصعق والثالثة
للاعادة والاصح ان الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات النفختين وقد مر في النمل تفسير باقي الاية
قال جار الله تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها
وكونها معلومة يذكرها في غير مكان ومعنى ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب
او ينتظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود تحيرا ثم وصف ارض القيمة بقوله واشرقت
الارض بنور ربها الظاهر ان هذا النور تجليه سبحانه وقد مر شرح هذا النور في تفسير قوله الله نور السموات
والارض وفي غيره من المواضع وقال علما البيان افتتح الاية بذكر العدل كما اختتم الاية بنفي الظلم ويقال
للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك وفي ضدها اظلمت الدنيا بجورك واهل الظاهر
من المفسرين لم يستبعدوا ان يخلق الله في ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل المراد ارض الجنة ثم ان اهل
البيان الذوقي لهم بانه اتبعه قوله ووضع الكتاب الى اخره وكل ذلك من لوازم الدلالة على غاية العدل والمراد
بالكتاب اما اللوح المحفوظ يقال به صحف الاعمال والصحف نفسها ولكنه اكتفى باسم الجنس وجي بالنبيين ليسالهم
ربهم عن تبليغ الرسالة فيجيب قومهم بما يجيبون والمراد بالشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والا
ومن الجوارح والمكان والزمان ايضا وقيل هم الذين قتلوا في سبيل الله لعله ليس في تخصيصهم بالذكر فايدة وحين
بين انه يحضر في محفل القيمة جميع ما يحتاج اليه في فصل الخصومات ذكر انه يوصل الكل حقه وهو اعلم بكل
ما هو لكل عامل ثم فصل حال اهل النار وختم السورة بذكر اهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة اخبار الله تعالى
والزمر الافواج المتفرقة واحدها زمرة وكذلك في صفة اهل الجنة وذلك انه يحشر امة بعد امة مع امامها
الى الجنة او النار او بعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب
ان الناس يحشرون او مسلمين فرقا ذاهبون في طرق شتى جماعة فالخزنة جمع خازن والمراد بكلمة العذاب
قوله لاملان جهنم او علم الله السابق وكان القياس التكلم الا انه عدل الى الظاهر فقيل على الكافرين ليعلم سبب
العذاب وسوق في الكفار له وجه لانهم اهل الطرد والعنف فاوجهه في اهل الجنة والجواب مما يجوز
قال جار الله المضاف هنا محذوف اي وسيق مراكب الذين اتقوا الاية لانه يذهب بهم الا راكبين كما لو اذنت على ملوك الدنيا وحقه

الكتاب

اسراع لهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل طباق وقيل اكثر اهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه
صلاحهم وقيل انهم يتوقفون لا ندخلها حتى يدخلها احبابي فيتاخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة وقال
اهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لله لا للجنة فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال والجلال مانعة لهم عن الرغبة
في الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم كل خصلة ذميمة او شريفة في الانسان فانه يجره من عنا اختياره
شاء ام ابى الى ما يناسبه حاله فذاك معنى السوق سوى الساخر لم قيل في صفة اهل النار فتحت ابوابها بغير واو وفي صفة
اهل الجنة وفتحت بالواو والجواب البحث عن مثل هذا الواو وقد يقال له واو الثمانية قد مر في قوله التائبون العابدون
وفي سورة الكهف الا ان الذي اختص بالمقام وهو ان بعضهم قالوا ان ابواب جهنم مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها
فيها واما ابواب الجنة فتتقدم فتحها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكانه قيل حتى اذا
جاؤها وقد فتحت ابوابها وعلى هذا الجواب حتى اذا محذوف وحتى موقعه ما بعد خالدين اي كان ما كان من اصناف
الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها ولاهل التاويل ان يقولوا ان ابواب
الجنة وهي اسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى انها غير ممنوع عنها بل مندوب اليها مرغب فيها وابواب جهنم
مغلقة بمعنى اسبابها ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم الخزنة الاكرام والتهنئة بانهم سلموا
من احزان الدنيا واهوال القيمة ومعنى طبتم احمدتم عن كونهم طيبين في الدنيا بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة
او طبتم نفسا بما تلقون من الجنة ونعيمها وقيل ان اهل الجنة اذا انتهوا الى بابها وجدوا عندها عينين يجريان من ساق شجرة
فيتطهرون من احدهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا يتغير ابشارهم بعدها ابدا ويشربون من الاخرى فينتهي ما في بطونهم
من اذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقيل طاب لله ارادوا طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وعقبه
بقوله فادخلوها خالدين ليعلم ان الطهارة عن المعاصي هي السبب في دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها
الله من كل دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها ورزقنا الله تعالى بعميم فضله وحسن توفيقه سنية نرجو
ذلك ثم حكى قول المتقين في الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي الوعد بدخول الجنة واورثنا الارض
ارض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وقد مر مرارا نتبوأ منها حيث نشاء لان كل متق له جنة لا توصف سعة
فيتبوأ من جنته كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية كذلك اما الروحانية فلا مانع فيها
من المشاركة وان يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف ماذب الملائكة المقربين بعد بعثهم فقال وترى
ايها الرائي او النبي الملائكة حافين محدقين وهو نصب على الحال وقال الفراء لا واحد له لانه لا بد فيه من الجمعية
واول لعله عني من حيث الاستعمال وقيل الحق بالشيء اللازم وقوله من حول العرش من زائدة او ابتدائية اي
مبدا حفوفهم من هناك الى حيث شاء الله وهو متصل بالرؤية يسبحون بحمد ربهم تلذذا لا تعبدا اوكان جوانب
العرش دار ثوابه الملائكة وانها بمثابة الجوانب الجنة والضمير في قوله وقضي بينهم للعباد كلهم لقرائن ذكر الفئة
فان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم الا بالحق والعدل وقيل بين الانبياء وامتهم
وقيل كذا لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل محال وقد تقدم معه اي يسبحون بحمد ربهم
وقد قضي بينهم يعني بين الملائكة على ان ثوابهم ليس على حسن واحد ويحتمل عندي ان يعود الضمير الى البشر
الملائكة جميعا والقضاء بينهم هو انزال البشر منازلهم من الجنة والنار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم
السورة بقوله وقيل الحمد لله والقائل المقضي بينهم وهم جميع العباد كما قال واخر دعواهم ان الحمد لله وجميع
الملائكة مع المتقين اهل الجنة حمدوا الله على انزال كل منزلته والله اعلم بالصواب

سورة غافر خمس وثمانون آية مكية حروفها اربعة الاف ... وتسع وتسعون كلماتها الف ومائة وتسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ما يجادل في آيات الله إلا الذين
كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم
وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم
فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته وذلك هو الفوز العظيم إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم
أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم
وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من
السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر
يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب
وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير أولم يسيروا في الأرض فينظروا

كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ۝ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ۝

القراءة حم بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرأ ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وذلك طبقا الا اختلاف عقابي مذكور في مكانه يهك على الجمع ابو جعفر نافع لتنذر بالتاء الفوقانية على ان الضمير للنبي وتذييث او على خطاب الرسول يعقوب غير ديس الباقي المخاطب ابن كثير ويعقوب داني بن يزيد ورش وسهل وعلي وعباس في الوصل والنبي تدعون على الخطاب نافع وهشام غير الرازي بحا ابن مجاهد والنقاش وان ذكوان اشد منكم ابن عامر الباقون منهم **الوقوف** حم كو في العليم الطول الا هو المصير البلاد من بعدهم لعطف الجملتين المتفقتين فأخذتهم للابتداء بالتهديد عقاب النار لئلا يوهم ان ما بعده صفة اصحاب النار امنوا الحق القول المحذوف الجحيم وذرياتهم الحكيم قد يوصل للعطف السيئات رحمته العظيم فتكفرون سبيل كونهم للابتداء بالشرط مع العطف تؤمنوا الكبير بكرنا بينات الكاذبون ذو العرش لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال التلاق بارزون لاحتمال الاستيناف وتعلقه بالظرف شيء اليوم تفصلا بين السؤال والجواب القهار كسبت اليوم الحساب كاظمين يطاع الصدور بالحق بشيء البصير من قبلهم واق فأخذهم الله العقاب **التفسير** قيل حم اسم الله الاعظم وقيل حم ما هو كائن اي وقد روي ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما حم فقال بدء اسماء وفواتح سور وقد تقدم القول في حوامي سوره تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم وقد مر نظيره في اول الزمر ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول قالت المعتزلة انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة ان كان كبيرا او طاعة اعظم منه ثوابا ان كان صغيرا وقال الاشعري انه قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله وقابل التوب وليفيد المدح المطلق وفي بيان ادخال الواو بين هذين الوصفين فقط كانه قيل الجامع بين المغفرة ان كانت بدون توبة وبين القبول ان كانت بتوبة فقد جمع للمذنب بين رحمتين بحسب الحالتين وقيل غافر الذنب الصغير وقابل التوب عن الكبير او غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله ام لا فيه بحث ايضا للفريقين والمعتزلة اوجبه والاشعري بقوله انه على سبيل التفضل والله يتمدح به والظاهر ان التوب مصدر وقيل جمع توبة اي ما ذنب تاب منه العبد الا قبل توبته وقد ذكر اهل الاعراب هاهنا سؤالا وهو ان غافر الذنب وقابل التوب يمكن توجيههما بانهما معرفتان كما سبق في مالك يوم الدين وهو انهما بمعنى الماضي او للاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا ان قوله شديد العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه في معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان قلنا انه بدل لزم سوء ظاهر النظم بدليل واحد فيما بين صفات كثيرة واجيب على تقدير ان لا يكون الكل ابدالا الا ان الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ما قبله مع الامن من اللبس ومن جهالة الموصوف ونعم نتيجته من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط التشديد ويجوز ان تكون هذه الكلمة سبب الجملة بدلا من بين سائر اخواتها هذا ما قاله صاحب الكشاف وعندي لا مانع من جعل شديد العقاب ايضا للاستمرار والدوام حتى يصير اضافته حقيقية قوله ذي الطول اي الفضل بسبب ترك العقاب وقد مر في قوله ومن لم يستطع منكم طولا وانما ورد هذا الوصف بعد وصفه بشديد العقاب ليعلم انه خاتمة امره مبنية على التفضيل كما ان فاتحته مبنية على الغفران وقبول التوبة وقد يقع عقوبته في الوسط اعاذنا الله منها الا انه لا يبقى مومن في النار خالدا ثم اكد ذلك بقوله لا اله الا هو وهو المبدأ بسبب علمه انه اليه المصير وهو المعاد وفيه ان من لم يشرف بالمبدأ والمعاد فان اخل في الوسط ببعض التكاليف كان مرجوا ان يغفر الله له ويقبل توبته ثم بين احوال

من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا والجدال في آياته نسبتها الى الشعر تارة والى السحر اخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام فاما البحث عنها لاستنباط حقائقها والوقوف على دقائقها وحل مشكلاتها فنوع من الجهاد في سبيل الله ولامكان الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر فنكر الجدال ليشمل احد نوعيه فقط وهو الجدال بالباطل كما يجيء من قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد ليعلم ان حد الهم الصادر عن البطر بالاثم والجاه والخدم لا اعتبار به وكذا تقلبهم في البلاد للتجارات والمكاسب فان قريشا كانت اصحاب اموال متجرين الى الشام واليمن متوكلين باموالهم مستكبرين عن قبول الحق لذلكم مثل حالهم بحال الامم السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا بقتلهم فاهلكهم الله ودمرهم ومعنى الرسل ثم بين بقوله وكذلك حقت انهم في الآخرة ايضا معذبون ومحل قوله انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم في الآخرة من اصحاب النار ويجوز ان يكون انهم في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل وقوله الذين كفروا قريش اي كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان العلة الجامعة وهي انهم اصحاب النار حاصلة في الفريقين ومن قرأ الكلمات على الجمع اراد بها علم الله السابق او معلوماته التي لا نهاية لها او الآيات الواردة في وعيد الكفار وحين بين ان الكفار بالغوا في اظهار عداوة المومنين حكى ان اشرف طبقات المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله بالغون في محبتهم ونصرتهم كانه قيل ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم فلا تبال بهم ولا يغرنهم فان الاشراف لها يوالهم روي صاحب الكشاف ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وهو طائر صغير الجثة كالعصفور وروي ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان تغدو وتروح بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عز وجل ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية اما في غير ذلك الوقت فلا يعلم عددهم الا الله واما الذين حول العرش فقيل سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام وقد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر هذه الآثار كلها منقولة من كتاب الكشاف سؤال ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى ان حملة العرش ومن حوله مومنون اجاب في الكشاف بان فائدته ان لا يؤمنون بالايمان الا الغائب فعلم ان ايمانهم كايمان اهل الارض والكل سواء في ان ايمانهم بطريق النظر والاستدلال واستحسن هذا الكلام الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير حتى ترحم عليه وقال لو لم يكن في كتابه الا هذه النكتة لكفى به فخرا وشرفا وانا اقول لا نسلم ان الايمان لا يكون الا بالغائب والا لم يكن الايمان بالنبي وقت تحديثه بالقرآن وان شئت فتأمل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب فلو لم يكن ايمانا بالشهادة لم يكن لقوله بالغيب فائدة على انه يحتمل ان يشاهد الرب ويمكن كونه غائبا ويمكن ان يكون محمول الشيء محجوبا عن ذلك الشيء فمن اين يلزم تكذيب المجسمة وقال بعضهم في الجواب اراد انهم يسبحون تنبيه دلالة اخرى على ابطال قول اهل التجسيم انه لا اله على العرش فانه لو كان كما زعموا وحامل الشيء حامل الكل على ذلك الشيء لزم ان يكون الملائكة حاملين له لا له الخالق حافظين له والحافظ اولى بالالهية من المحفوظ قلت لا شك ان هذه مغالطة فان الحمل لا لاجل العظمة واظهار الكبرياء على ما نزع الخصم كيف يلزم منه ذلك وهل يزعم عاقل ان الجمار اشرف من الانسان الراكب عليه من جهة التركيب عليه وانما ذكرت ما ذكرت لكونه دالا على كلام الامامين مع دفع فضلها وبعدهما لا لاني مائل في المسئلة الى غير معتقدهما قال جارالله وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه انهم بعد التعظيم لامر الله يقبلون على الشفقة على خلق الله ولا سيما المومنين لان الايمان جامع لا جرم منه بجذب السماوي الى الارضي والروحاني الى العنصري احتج كثير من العلماء بالآية على افضلية الملك قالوا لانها تدل على انه لا معصية للملائكة والا لزم بحكم ابتداء نفسك ان تستغفر لذنبك وللمؤمنين

والمومنات وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي ثلث لانزاع بالنسبة اليهم والي غير المعصومين من البشر فانما
النزاع بينهم وبين المعصومين فلا دليل في الايه ولا طلب الاستغفار لاحد لو سلم ان قوله للذين امنوا عام ان يكون المستغفر
له عاصيًا على انه قد حصل الاستغفار في قوله فاغفر للذين تابوا وهذه ابينه حجة في قولهم ربنا وسعت كل شي رحمة
ولو باعطاء الوجود وربيتني فاجعل كما ذكرنا في اخر العمران كان الداعي يقول انك كنت نفيا صرفا وعدما محضا فاخرجتني
الي الوجود وربيتني فاجعل تربيتك لي شفيعا اليك ولا ريب ان ذكر الله اول كل شي بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس ومن
حيث انه يقوي جوهر الروح ويكسبه استواءا وصفا وفي تقدم الرحمة على العلم فايدة هي ان مطلوب الملايكة في هذا
المقام صون نوح المومنين فكانهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الذين قالت علماء المعتزلة الفايدة في استغفار
لهم وهم تايبون مطلوبون طلب مزيد الكرامه والثواب فهو بمنزلة الشفاعه واذا ثبت ان شفاعة الملايكة لاهل
الطاعة فكذلك شفاعة الانبيا صلوات الله لا قايل بالفرق وقال علما السنه ان مراد الملايكة فاغفر للذين تابوا عن
الكفر واتبعوا سبيل الايمان وهذا لا ينافي كون المستغفر لهم مذنبين ومما يوكد ما قلنا ان الاستغفار طلب المغفره والمغفرة
لا تذكر الا في اسقاط العقاب اما طلب النفع الزايد فانه لا يسمى استغفارا قال اهل التحقيق هذا الاستغفار من الملايكة
يجري مجرى الاعتذار من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها اما قوله وقهم عذاب الجحيم فتصريح بالمطلوب بعد الرمز
لان دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال
الثواب اليهم بقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قال علماء اهل السنة كل اهل الايمان موعودون بالجنة وان كانوا
من اهل الكباير رعاية لذلك انهم يعذبون بالنار مدة ثم بكرم عفو او شفاعة ثم يرجعوا الي الجنة قال الفراء والزجاج قوله ومن
صلح يجوز ان يكون معطوفا على الضمير في وادخلهم فيكون دعاء الملايكة بادخال هولاء الانسان الجنة تكميلا لانس الاولين
وتتميما لابتهاجهم واشفاقا على هولاء وايضا يجوز ان يكون عطفا على محل الضمير في وعدتهم لانه تعالى قال في سورة الرعد
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وعلى هذا الاول دعا الملايكة هو
الاصناف اللهم الا اصناف اهل السنة المراد من صلح اهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كباير ثم ختم الايه بقوله انك
انت العزيز الحكيم لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما لم يمكن منه وضع
الشي في غير موضعه ثم قال وقهم السيات يعني العقوبات او عذاب السيات على حذف المضاف واعترض
بانهم قالوا مرة وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار واجيب بان الاول دعا للاصول وهذا للفروع منهم وهم الاصناف
الثلثه والاول مخصوص بعذاب النار وهذا شامل لعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السوال او المراد
بالسيات العقايد الفاسده والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يوميذ في قوله ومن تق السيات يوميذ اشارة
الي الدنيا وقوله فقد رحمته يجوز ان يكون في الدنيا الحالي الاخره وقال في الكشاف السيات هي الصغاير او الكباير
المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة ثم انه تعالى عاد الي شرح احوال الكفرة المجادلين في ايات الله
وانهم سيعترفون يوم القيمة بما كانوا ينكرونه في الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشاة الثانيه وتذكروا
النشاة الاولي فقال ان الذين كفروا اي يوم القيمة وفي التخصيص دونها تقديم وتاخير اما الحذف فالتقدير
لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغني بذكرها مرة واما التقديم والتاخير فهو ان قوله اذ يدعون منصوب
بالمقت الاول في المقتين وجوه الاول كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبيا عليهم السلام
يدعونكم الي الايمان فتابون فذلك اشد من مقتكم انفسكم اليوم في النار اذا اوقعتكم فيها باتباعكم هواها وثانيه
في يجوز ولا ريب ان سخط الله وبغضه الشديد لا نسبة له الي سخط غيره ولهذا اورده الناس الثاني
عن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودي لمقت الله خزنة جهنم لمقت الله وهو قريب من
الاول الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهو في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الي قوله
ولوموا انفسكم في هذه الحالة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض ومن
لعنه اياه واما قول الكفرة في الجواب ربنا امتنا اثنتين اي اماتتين اثنتين واحييتنا احياتين اثنتين
وللعلماء في تعيين كل من الاثنتين خلاف اما في الكشاف فذهب الي ان الاماتتين احداهما خلقهم اولا امواتا

نطفة ثم علقة الي اخرها كما في الايه الاخري تكفرون بالله وكنتم امواتا ونسب هذا القول الي ابن عباس ورد
بانه كيف يكون للجماد موت ثم الحكمة مدبر واسع اسفلها وليس تقل من كمن الي صعود وبالعكس وانما وردت الاشيا على هذه
الصفه والسبب في صحته ان كلا النعتين جاير على المصنوع الواحد والصانع ان يختار احدهما قلت ومما يويد قولنا انه بدا
بالاماتة والاحيان الاظهر ان يبدا بالاحياه ثم قال والاماتة الثانيه هي في الدنيا والاحياه الاولي هي التي في الدنيا
والثانيه هي التي بعد البعث واورد على هذا القول انه يلزم ان لا يكون الاحياه في القبر والاماتة فيه مذكورين في
القران بل يكونان متعينين بحيث يجي في الحديث اجاب بعضهم بان حيوة القبر ممنوعة لانه تعالى لم يذكرها والاحاد
الواردة فيها احاد ولان النبي اثر نسبة البيع ما عبد لزم نقصان شي من البيع وليس بمحسوس ولان الذي مات لو تركناه
ظاهرا بحيث يراه كل احد لم يحس منه حيوة يجي بن ذكر مع عدم الروية سفسطة وفتح لباب الجهالات ورد هذا الجواب
اهل الاعتبار بان عدم ذكر الشي لا يدل على عدمه والاحاديث في ذلك الباب صحيحة مقبوله واذا كان الانسان جوهرا نورانيا
مشرقا مدبرا للبدن في كل طور على حد معلوم كما ورد في الشريعة الحقه زالت سائر الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد
الموت على ما قبله وللشرع في احياه وهذه الامور عن المكلفين حكم لا ندريه حققنا ذلك مرات وقال بعضهم في الجواب
بعد الالزام الكفار فلا يكون حجة وضعف بانه لو لم يكن صادقا لانكر الله عليهم وقيل ان مقصودهم تعديد اوقات البلي
والمحنه وهي اربعة الموتة الاولي قبل الحيوة في القبر والموتة الثانيه والحيوة في القيمه واما الحيوة في الدنيا فانها وقت
ترفههم وتنعمهم فلهذا السبب لم يذكروها وقيل ما ذكر حيوة القبر لقصر مدتها او لانهم لم يذنبوا بعد ذلك بل بقوا
احياء في الشقاوة حتى اتصل بها حيوة القيمة وكانوا من جملة المستثنين في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ولا يخفي ان هذه الاقوال متكلفة ولا سيما الاخير فان قوله ان الذين كفروا عام ولو فرض انه مخصوص
بكفار معهودين فتخصيصهم بالحيوة في القبر حتى يكونوا من المستثنين مستبعد جدا فقد يرد في الخلد ان هذا
المبدا يحتمل ان يكون في القبر وعلى هذا لا يبقي اشكال لان الاماتة والاحياء التي بعد ذلك تخرج من غير تكلف ويثبت
سوال القبر كما جا في الحديث والله اعلم بمراده فهل الي خروج من سبيل اي الي نوع من الخروج والرده من القبر
الي الدنيا خروج سريع او بطي من سبيل نظام الياس الكلي واقع وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط وكان
الجواب الصحيح ان يقال لا او لا نوع الا انه سبحانه رمز الي عدم الخروج بقوله ذلكم اي ذلكم الياس وان لا سبيل لكم الي خروج
قط بسبب كفركم في وقت التمكن من التوحيد اوان التكليف فالحكم لله العلي الكبير حين حكم عليكم بالعذاب المويد
وكما ناسب عظمته وكبريائه قيل ان تحكم الحرورية وقولهم لا حكم الا الله ماخوذ من هذه الايه ثم اراد
ان يذكر طرفا من دلايل وحدانيته وكماله فقال هو الذي يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق وينزل لكم
من السماء ماء هو سبب الرزق وما يتذكر الا من ينيب اي ما يتعظ الا الذي اناب الي الله واعرض عن الشرك
لينفتح عليه ابواب الانوار والمكاشفات ثم قال للمنيبين فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
قال جار الله قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على الاول وهو قوله
الذي يريكم اياته مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا اوسطها معرفة ثم ان الرفيع اما ان يكون
بمعنى الرافع او بمعنى المرتفع وعلى الاول فاما ان يراد رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة كما قال
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكذا في الرزق والاجل جعل للملايكة مقامات معينة
وللاجسام البسيطة العلوية والسفلية درجات معينة كما يشهد به علم الهيئة وقد اشرنا الي ذلك في
اثنا الكتاب او يراد رافع درجات الانبيا والاوليا في الجنة واما على الثاني فلا ريب انه سبحانه اشرف
الموجودات واعلاهم رتبة من جهة استغنائه في وجوده وفي جميع صفات وجوده عن كل ما سواه و
افتقار كل ما سواه اليه في الوجود وفي توابع الوجود واعلم ان كمال كبرياء الله لا يصل اليه عقول البشر
لو قال بالطريق في تعريفه ان يزيد المعقول بنحو من المحسوس فلهذا عرف الله تعالى هذه الصفه بصفتين
اخريين وذلك ان ما سوي الله اما جسمانيات واما روحانيات اما الجسمانيات فاعظمها العرش فاشار
بقوله ذو العرش الي استيلائه على كليته عالم الاجسام واما الروحانيات فاشار اليه بكونها نحن مسخرة

تنزيله يلقي الروح اي الوحي من امره اي من عالم امره على من يشاء من عباده وقد مر نظير الاية في النحل وقيل من امره
لاجل امره بين الغرض من الالقاء بقوله لينذر يوم التلاق ومحله النصب ظاهرا لتلاقي الارواح والاجساد فيه او لتلاقي
اهل السماء والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او لان كل احد يلاقي
جزاء عمله وقال ميمون بن مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقي
واستضعف المظلوم ففي يوم القيمة لابد ان يتلاقيا وقوله يوم هم بارزون بدل من الاول ومعنى البروز ما مر في
سورة ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله لا يخفى على الله منهم شيء تاكيد
لذلك وهذا وان كان عاما في جميع الاحوال في الدنيا والاخرة الا انه خصص بالاخرة لانهم في الدنيا كانوا يظنون
ان بعض الاعمال تخفى على الله عند الاستتار بالحجب كما قال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فهو نظير
قوله مالك يوم الدين ثم انه تفرده في ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولا ريب
ان الكلام مشتمل على سؤال وجواب وليس في لفظ الاية ما يدل على تعيين السائل ولا المجيب فنقل عن المفسرين
ومن ارباب القلوب اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض يقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه
احد فهو سبحانه يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار واما اهل الظاهر والدين والخواص والمعقول من
اهل الاصول فقد انكروا هذا القول انكارا شديدا لانه تعالى بين هذا النداء في يوم التلاق والبروز يوم تجزى
كل نفس بما كسبت فهذا ينافي كون الخلق هالكين ومفنيين ولان التكلم من غير سامع ولا مجيب عبث الا ان يكون هناك
ملائكة يستمعون ذلك النداء لكن المفروض فناء كل المخلوقات فاما ان يكون حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم والمجاب
به وذلك ان ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل المحشر لله الواحد القهار ويقول المؤمنون تلذذا كانه
هوانا وتحسرا على انه فاتهم هذه المعرفة في الدنيا فان الملك كان له من الازل الى الابد وفائدة تخصيص هذا النداء
بيوم القيمة كما عرفت في تحرير مالك يوم الدين يحكى ان نصر بن احمد لما دخل نيسابور وضع التاج على راسه ودخل
الناس تخص بالله شيء فقال ليخبئكم من شرابة فقرا رجل قارئ رفيع الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله لمن
الملك اليوم نزل الامير عن سريره ورفع التاج عن راسه وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لي فلما توفي رؤي
في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال لي انك عظمت ملكي في عين عبيدي فلان يوم قرات تلك
الاية فغفرت لك ولهذه ومما يدل على تفرده سبحانه قوله لله الواحد القهار فان كل واحد من الاسماء الثلاثة ينبئ عن
غاية الجلال والعظمة كما مر مرارا وفي الاية ايضا ما سلف تفسيره مرات ثم وصف يوم القيمة بانواع اخر من الصفات
الهائلة فقال وانذرهم يوم الازفة وهي فاعلة من ازف الامر اذا قرب اي القيمة قريبة وان استبعد
الناس مداها الا ان كل ما هو ات فهو قريب قال جار الله ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي
مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع
الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل لانه تعالى ذكر يوم القيمة في قوله يوم
التلاق ويوم هم بارزون فناسب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولانه تعالى وصف يوم الموت بنحو هذه الصفة
في مواضع اخر قال فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقي ولا ريب ان الرجل عند معاينة امارات الموت
يعظم خوفه فلو جعلنا كون القلوب لدى الحناجر كناية عن تشدد الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره فلا باس
وقوله كاظمين اي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا قال عز من قائل والكاظمين الغيظ وانتصابه
على انه حال عن اصحاب القلوب كانه قيل اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها اذ وصف القلوب وجمع جمع
السلامة بناء على ان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين وعن ضمير المفعول في وانذرهم
اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفي قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع بحث
الاشاعرة والمعتزلة من حمله الاولين على اهل الشرك والاخرين على معنى اعم حتى يشمل اصحاب الكبائر وقد
مر مرارا ولا سيما في قوله وما للظالمين من انصار ومعنى قوله يطاع يجاب اي لا شفاعة ولا اجابة كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر وذلك انه لا يشفع احد في ذلك اليوم الا باذن الله فاذا اذن له فلا بد ان يجد شيئا من الامرين

والغاية

والغاية في ذكر هذه الصفة ان يعلم ان الغرض من التشفيع منتف في حقهم بان فرض تشفيع على ما يزعم اهل الشرك في
الاصنام يشفعون لهم قوله خائنة الاعين خبر اخر لقوله هو الذي يريكم الا انه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر وذكر وصف
القيمة استطرادا قال جار الله هي صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل
اهل الريب قال ولا يحسن ان يكون الخائنة صفة للاعين مسندا اليها مجازا كقطيعة اي يعلم الاعين الخائنة لان قوله وما
تخفي الصدور لا يساعد عليه قلت يعني ان عطف العرض على الجوهر والمعنى على العين غير مناسب وقيل هي قول الانسان
رايت ولم ير وما رايت وقد راى وما تخفي الصدور ومضمرات الصدور اي القلوب لانها فيها قيل هي ما يسره الانسان من امانة وخيانة وقيل
الوسوسة وقال ابن عباس ما تخفي الصدور بعد النظر اليها ايزني بها ام لا قلت والحاصل انه تعالى اراد ان يصف نفسه بكمال
العلم فان المجازاة تتوقف على ذلك ففي قوله يعلم خائنة الاعين اشارة الى انه عالم بجميع افعال الجوارح وفي قوله وما
تخفي الصدور دلالة على انه عالم بجميع افعال القلوب واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال
قدرته واستغنائه لم يبق شك في حقية قضائه فلذلك قال والله يقضي بالحق ثم نبه على عبادة من لا اقتضاء
له ولا سمع ولا بصر بقوله والذين يدعون الى اخره ثم وعظهم بالنظر في احوال الامم السالفة وقد مر نظير الاية في مواضع
وانما قال في هذه السورة ذلك بانهم كانت وفي التغابن ذلك بانه كانت موافقة لضمير الفعل في قوله كانوا هم اشد التاويل
الحاء والميم حرفان من وسط الرحمن ومن وسط اسم محمد ففي ذلك اشارة الى نسب بينه وبين حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم الجمعة
فيه ملك يتوب ولا يعني مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذي الطول للسابق
وقهم عذاب الجحيم اي عن موجباتها كالرياء واتباع الاهواء لمقت الله اياكم حين حكم عليكم بالبعد والحرمان اكبر من مقتكم
انفسكم ولو كنتم تمقتونها في الدنيا فانها اعدى عدوكم ومقتها منعها عن هواها ولا ريب ان عذاب البعد الابدي اعظم
اشد من رياضة ايام معدودة فلا بد ذو العرش وعرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله المستغرقون في بحر توحيد الله

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ۝ الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب ۝ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا
واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال ۝ وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض
الفساد ۝ وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب ۝ وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب ۝ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل

الرشاد ۝ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ۝ مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ۝ ويا قوم إني
أخاف عليكم يوم التناد ۝ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله
فما له من هاد ۝ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى
إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف
مرتاب ۝ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ۝ وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ۝ أسباب السموات فأطلع
إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ۝ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون
أهدكم سبيل الرشاد ۝ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي
دار القرار ۝ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ۝ ويا قوم
ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ۝ تدعونني لأكفر بالله وأشرك
به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ۝ لا جرم أنما تدعونني
إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن
المسرفين هم أصحاب النار ۝ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله
إن الله بصير بالعباد ۝ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون
سوء العذاب ۝ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا

آل

آل فرعون أشد العذاب ۝ وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ۝ قال الذين استكبروا إنا
كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ۝ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ۝ قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ۝

القراآت ذروني بفتح الياء ابن كثير إني أخاف بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وأن
بصيغة الرد عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون بواو العطف يظهر بضم الياء وكسر الهاء من الإظهار الفساد
بالنصب أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الآخرون بفتحهما ورفع الفساد عنت مدغما أبو جعفر
وحمزة وعلي وخلف ويزيد وإسمعيل وهشام التنادي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد ورش وسهل
وعباس في الوصل قلب متكبر بالتنوين بينهما على الوصف أبو عمرو وقتيبة وابن ذكوان الباقون على الإضافة لعلي أبلغ
بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فأطلع بالنصب حفص اتبعوني بالياء في الحالين سهل وابن
كثير ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد والأصبهاني عن ورش وإسمعيل وابن شنبوذ عن قالون في الوصل وإني بفتح الياء وأبو عمرو
وأبو جعفر ونافع وابن كثير أمري إلى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويقوم بتاء التأنيث المزادي عن هشام
أدخلوا من الإدخال أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلي وحفص وخلف وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية وانتصب
آل وأشد على أنهما مفعولا بهما وعلى القراءة الأخرى هو لآل فرعون وانتصب آل على النداء وأشد على أنه مفعول به

الوقوف مبين كتاب، شادهم ضلال، به لاحتمال اللام من تدبيل بناء على أن الجار متعلق بالفعل بعده
والوصل أصح لأنه كان من القبط ولو عرف أنه لو لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم لانتهاء الاستفهام إلى الابتداء
بالشرط كذبه للعطف والشرط بعدكم كذاب في الأرض لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لأجل المقصود الوعظ به جاءنا
الرشاد الأحزاب لا بعده بدل بعدهم للعباد التناد لأجل البدل مدبرين لأن ما بعده يصلح حالا أو استئنافا من عاصم لاحتمال
كون ما بعده ابتداء إخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن من هاد جاءكم به رسولا مرتاب لاحتمال البدل فإن
من معنى الجمع أو الاستئناف أي هم الذين أو أعني أنهم آمنوا جبار الأسباب كاذبا السبيل تباب الرشاد لأن النداء يبتدأ به
مع أنه تكرار للأول متاع للفصل بين تنافي الدارين مع اتفاق الجملتين القرار مثلها للعطف جملتي الشرط حساب
نصف الجزء ونصف السبع السادس النار لأنها والاستفهام أي الإخبار لاحتمال ابتداء استفهام أجزاء الغفار
النار لكم إلى الله بالعباد العذاب لاحتمال البدل والابتداء وعشيا لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف الساعة لحق القول
المحذوف أي يقال لهم أو للزبانية العذاب من النار العباد من العذاب بالبينات بلى فادعوا لاحتمال أن ما بعده من قول
الخزنة أو ابتداء إخبار من الله تعالى ضلال

التفسير لما وبخ الكفار بعدم السير في الأرض للنظر والاعتبار أو بعدم
النظر في أحوال الماضين مع السير في الأقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية أراد أن يصرح بقصة واحدة
من قصصهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم زيادة توبيخ وتنكير لهم وكان في قصة موسى مع فرعون من العجائب ما فيها فلا جرم
أورد ههنا مع ما أورده في المواضع الأخر منها ذكر مؤمن آل فرعون وما وعظ ونصح به قومه ولأن القصة قد
تكررت مرارا فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالمقام قوله بالحق أي بالمعجزات الظاهرة وقوله اقتلوا يريد إعادة
القتل كما مر في الأعراف في قوله سنقتل أبناءهم قوله إلا في ضلال أي في ضياع واضمحلال فإن كان اللام في
الكافرين للجنس فظاهر لأنه والكيد هو يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون بيد خلوة النار وإن كان للعهد وهو فرعون

وقومه فاظهر كما قص عليك من حديث اعراضهم واستيلاء موسى وقومه على ديارهم قوله ذروني اقتل موسى
ظاهره مشعر بان قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات الاول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فاتى بحيل
في منع فرعون الثاني قال الحسن ان اصحابه قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرتك وان
قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقيل انه كان محتجا عاجزا عن جوابه فتثلوه الثالث نعلى سواد اسراته ان يكون فرعون
مشغول القلب بامر موسى حتى يكون في امن وسعة قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا
للدماء في اهون شيء فكيف لا يقصد قتل من احسن بانه في وجوده هدم ملكه وتغيير ما هو عليه من عبادة اصنامه
ولكنه كان قد استيقن انه نبي وكان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك قال وقوله وليدع
ربه شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه وقاله عنه على سبيل الاستهزاء يعني ان اقتله فليقل لربه الذي يدعي
وجوده حتى يخلصه ومعنى تبديل الدين يعني عبادة الاصنام كما مر في الاعراف في قوله ويذرك والهتك والفساد
التهارج والتنازع باختلاف الاراء والاهواء اراد ان يحدث لا محالة من ابقائه فساد الدين والدنيا جميعا او احد الامرين
على الغرائب ثم حكى ما ذكره موسى في دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفي تقديم الخلد بان لا ذلا على ان الطرائق
المعتبرة في دفع الافات الاستعانة والاستعاذة برب الارض والسموات وفي قوله ربي وربكم اشارة الى ان الذي رباني
الى درجات الخير فانه سيعصمني من شر هذا الجبار وفي قوله وربكم احتراز عن ان يظن ان يريد بفرعون
لانه رباه صغيرا الم نربك فينا وليدا وفيه بعث لقوم موسى على ان يقتدوا به في الاستعاذة فان اجتماع النفوس
له تاثير وفي قوله من كل متكبر اي مستكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احدهما شمول الدعاء فيدخل
فيه فرعون بالمتضمنة والثانية ان فرعون رباه في الصغر فلعله راعى حسن الادب في عدم تعيينه وانما وصف
المتكبر بقوله لا يؤمن بيوم الحساب لان الموجب لايذاء الناس امران احدهما قسوة الطبع والثاني عدم اعتقاده بالجزاء
والحساب ولا ريب انه اذا اجتمع امران كان الخطب افظع الاجتماع المقتضي وارتفاع المؤمن ثم شرع في مؤمن آل فرعون
والاصح انه كان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا واسمه سمعان او حبيب او حزقيل وقيل كان اسرائيليا وزيف بان
المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا ابناء الذين امنوا معه فالوجه في تخصيصه ولقائل ان يقول
الوجه تخصيصه بالوعظ والنصيحة الا ان قوله فمن ينصرنا من باس الله وقوله يا قوم على راس كل نصيحة يغلب على
الظن انه ينتصح لقومه ومعنى ان يقول لاجل قوله او وقت ان يقول كانه قال منكرا عليهم اتقتلون الفعلة الشنعاء
وهي قتل نفس محرمة اي نفس كانت لاجل كلمة حقة هي قوله ربي الله والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات
وفي قوله من ربكم استدراج لهم الى الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلي انه لا يخلو من ان يكون صادقا او كاذبا
وعلى الاول يعود بالكذب عليه وعلى الثاني اصابكم ما يتوعدكم به من العقاب واعترض على الشق الاول بان
الكاذب يجب دفع شره بالمنع الى الحق او بقتله ولهذا اجمع العلماء على ان الزنديق يدعو الناس الى دينه يجب
قتله وعلى الشق الثاني بانه اذا عدهم باشياء والنبي الصادق في مقالته لا محالة له فلم قال يصبكم بعض الذي يعدكم
ولم يقل كل الذي يعدكم والجواب عن الاول انما ورد بيت الا مريب بناء على ان امره مشكوك فيما بينهم ذلك الزمان لانه كان
الفترة والحيرة فاين هذا من زماننا الذي وضح الحق فيه وصح الحجج الصادقة بل ظهور الشمس في محوة النهار
وعن الثاني انه من كلام المنصف كانه قال ان لم يصبكم كل ما اعد فلا اقل من ان يصيبكم بعضه او اراد عذاب الدنيا
وكان موسى اوعدهم عذاب الدنيا والاخرة جميعا وعن ابي عبيدة ان البعض ههنا بمعنى الكل وانشد قول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها وخطاء جار الله وكثير من اهل العربية وقالوا انه اراد ببعض النفوس
نفسه فقط ثم اكد حقية امر موسى بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وقد هداه الله الى المعجزات البا
فهو اذن ليس بمتجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستانف من الله عز وجل وفيه تعريض
بان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعاء الالهية فلا يهديه الله الى شيء من خيرات الدارين
وبين بل ملكه وبدفع شره وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها من المواعظ ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه
الى ان قصدوا قتل موسى وعند ذلك اظهر الايمان وترك التقية مجاهدا في سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم

وخوفهم زوالها بقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين على ارض مصر وهي منهامن بني اسرائيل
والقبطيين فمن ينصرنا من باس الله فيخلصنا من عذابه ان جاءنا وذلك بشؤم تكذيب نبيه قال فرعون ما اريكم الا ما ارى
اي ما اشير عليكم براي الا بما ارى من قتله وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد وصلاح الدين والدنيا او ما اعلمكم الا ما اعلم
من الصواب ولا اسر خلاف ما اظهر قال جار الله وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه
كان يتجلد وحكى ابو الليث ان الرشاد اسم من اسماء اصنامه قوله مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب لانه اكتفى
فاقتصر على الواحد لان جمعية المضاف اليه تدل على ذلك وقال الزجاج اراد يوم حزب حزب قوله مثل داب قال
جار الله صاحب الكشاف لا بد من حذف مضاف اي مثل جزاء دابهم وهو مثل عادتهم المستمرة في الكفر والتكذيب ثم قال
انه عطف بيان للاول لان اخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف
بيان لان الاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول المضافات قلت لا باس من جعله بدلا كاشق وقوله وما الله يريد
ظلما للعباد ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لان نفي الارادة ابلغ من نفي الفعل والتنكير ابلغ في سياق النفي وفيه ان
تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه انه لا يريد لهم ان يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين ثم خوفهم عذاب الحلول في
عذاب الاخرة ايضا فقال ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد اما اليوم فيمكن انتصابه على الظرفية فكانه اخبر عن خوفه
في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاظهر ان يكون مفعولا به اي حذركم عذاب ذلك اليوم وفي تسميته يوم القيمة بيوم التناد
وجوه منها ان اهل الجنة ينادون اهل النار وبالعكس كما مر في سورة الاعراف ومنها انه من قوله يوم ندعوا كل اناس
بامامهم ومنها ان بعض الظالمين ينادي بعضا بالويل والثبور قائلين يا ويلنا ومنها انهم ينادون الى المحشر ومنها
انه ينادي المؤمن هاؤم اقرءوا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه ومنها انه يجاء
بالموت على صورة كبش املح فيذبح وينادي في اهل القيمة لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا على فرح واهل النار حزنا على حزن
وقال ابو علي الفارسي التناد مخفف من التنادّ مشدد واصله من ند اذا هرب نظيره يوم يفر المرء من اخيه وامه
الاية ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بانهم يندون كما تند الابل وقوله بعد ذلك اليوم تولون مدبرين لانهم
اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا
فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهم عن موقف الحساب الى النار ثم اكد التهديد بقوله ما لكم من الله
من عاصم الاية ثم ذكر مثالا لمن لا يهديه الله بعد ضلاله وهو قوله ولقد جاءكم يوسف وفيه اقوال ثلاثة احدها انه يوسف بن
يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف والبينات اشارة الى ما روي انه مات لفرعون فرس قيمته الف دينار فدعا
يوسف فاحياه الله وايضا كسف الشمس فدعا فكشفها الله ومعجزاته في باب تعبير الرؤيا مشهورة فامن به فرعون
ثم عاد الى الكفر بعد موت يوسف والثاني هو يوسف بن يعقوب اقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال
النقاش في تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا من الجن اسمه يوسف ولم يرده ايضا والقضاة ابضا وفيه بعد فان
المشهور في قوله لن يبعث الله من بعده رسولا ليس اشارة الى انهم صدقوا يوسف لقوله فما زلتم في شك مما
الغرض بيان تكذيبهم بموسى مضموما الى تكذيب يوسف ولهذا ختم الاية بقوله كذلك يضل الله من هو مسرف
مرتاب قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون تعذ امره بانه لكنه مردي كما قلنا اللهم الا ان يقال لو تشكك في امره لما
كذب بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمير عائد الى من هو مسرف لانه موحد اللفظ وان كان مجموع المعنى ويجوز ان يكون
الذين يجادلون مبتدأ على تقدير حذف المضاف اي جدال الذين يجادلون كبر ويجوز ان يكون التقدير الذين
يجادلون كبر جدالهم على حذف الفاعل للقرينة وفي قوله وعند الذين امنوا اشارة الى ان شهادة المؤمنين عند الله
بمكان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام لجدالهم وخروجه عن حد اشكاله من الكبائر
يصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما او باعتبار صاحبه ومن قرا بالاضافة فظاهر الا انه قيل فيه قلب
والاصل على كل قلب متكبر كما يقال فلان يجمع كل يوم جمعة اي يوم كل جمعة قال بعضهم المتكبر هو المتحلي بالتعظيم لا مراد الله والجبار هو
الذي يحمل بالشفقة الى خلق الله ثم اخبر انه سبحانه عن تمادي فرعون ليطلع الى السماء وقد تقدم ذكره في سورة القصص فاكل اهل
اللغة الصرح مشتق من التصريح الاظهار واسباب السموات طرقها كما مر في والصح قوله فلم تغن في الاسباب وقالته بناه

يوم م

قلبه

الكلام على الابدال هي فائدة الاجمال ثم التفصيل والابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره من قرا فاطلع بالرفع
فعلى العطف اى لعلي ابلغ فاطلع ومن قرا بالنصب فعلى تشبيه الترجي بالتمني والتباب الخسران والاهلاك كما مر في قوله
وما زادوهم غير تتبيب استدل لكثير من المشبهة بالاية على ان الله في السماء وقالوا لان بديهية فرعون قد شهدت بانه
في ذلك الصوت وانه سمع من موسى انه يصف الله بذلك والا لم يرم بناء الصرح والجواب ان بديهة فرعون لا عبرة بها
وسماعه ذلك من موسى ممنوع وقد يطعن بعض اليهود بل كلهم في الاية بان في تاريخ بني اسرائيل ما يدل على هامان لم يكن
موجودا في زمان موسى وفرعون وانما وجد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا في عصرهما لتوفر الدواعي
على نقله والجواب ان الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة اولى من الطعن في القرآن المعجز المتواتر
اولا ووسطا واخيرا ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المؤمن وانه اجمل النصيحة اولا بقوله اتبعون اهدكم ثم استانف مفصلا
قائلا يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع يتمتع به ايام قلائل ثم تترك عند الموت ان لم يزل نعيمها قبل ذلك وان الاخرة هي
دار القرار المنزل الذي يستقر فيه ثم بين انه كيف يحصل المجازاة في الاخرة وفيه اشارة الى انه جانب الرحمة ارجح
ومعنى الرزق بغير حساب وانه لا نهاية لذلك الثواب وانه يعطي بعض الجزاء شيئا زائدا على سبيل التفضل غير مندرج
تحت الحساب ثم صرح بانهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص عنها وفسر هذه الجملة بقوله تدعونني لاكفر
بالله ليعلم ان الشرك بالله اعظم موجبات النار والتي جدا ضلة وفي قوله ما لي ادعوكم دون ان يقول ما لكم مع ان
الانكار توجه الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك الطريق والانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار بالمقام
انه غالب على ان الشرك به مغفور لمن تاب كفر بقوله لا جرم لابد لكلامهم وجرم بمعنى كسب ووجب اي لابد ووقعت
في هود والنحل ومعنى ليس له دعوة انه لا يبتدى في الدنيا على ان يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا في الاخرة لانه
اذا انطقه الله فيها يتبرأ من عابديه ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي ليس له استجابة دعوة كقوله والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة المسرفين هم المشركين عن مجاهد السفاكون للدماء
بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل الذين جاوزوا في المعصية حد الاعتدال كما بالدوام والاصرار وكيفا
بالشناعة وخلع العذار فستذكرون اي في الدنيا عند حلول العذاب او في الاخرة عند دخول النار وافوض امري الى الله
قاله لانهم توعدوه وخوفوه وفي قوله فوقيه الله دليل واضح على انه اظهر الايمان ووفيت هذه النصائح قال المقاتل لما تمم هذه
الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى جبل فطلبوه فلم يقدروا عليه قوله وحاق بال فرعون معناه انه رجع وبال مكرهم
عليهم فاغرقوا ثم ادخلوا النار ولا يلزم منه ان يكونوا قد غرقوا بابطال مثل هذه السوء اليه ولئن سلم ان الحيق يلزم منه
المماثلة فلعل فرعون قد هم باغراقه او باحراقه كما فعل نمرود وقوله يعرضون عليها اي يحرقون بها يقال عرض الامام
الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقوله غدوا وعشيا اما للدوام كما مر في صفة اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
واما لانه اكتفى في القبر بايصال العذاب اليهم في هذين الوقتين وفي سائر الاوقات اما ان يبقى اثر ذلك فاله عليهم واما
ان يكون منقطعا واما ان يعذبوا بنوع اخر من العذاب الله اعلم بحالهم وفي الاية دلالة ظاهرة على اثبات عذاب القبر لان
تعذيب يوم القيمة يجيء في قوله ويوم تقوم الساعة فان لم لا يجوز ان يكون المراد تعريض النار عرض النصائح عليهم في الدنيا
لان سماع الحق مر طعمه قلنا عدول عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح احوال اهل النار عقبه بذكر المناظرات
التي تجري بينها بين الاتباع والرؤساء والمعنى واذكر يا محمد وقت تحاجهم وقد مر نظير ذلك مرارا وفي قوله ان الله
قد حكم بين العباد اي قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلي ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين الى الالتماس
من خزنة النار ان يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم يوما تاما قال المفسرون انما لم يقل الذين فيها لان جهنم اسم لقعر النار
وكان لخزنتها قرب من الله وهي اعظم درجة من سائر الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب اما قول الخزنة لهم فادعوا وما دعاء
الكافرين لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على الناس كانهم قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له مؤمنا والشافع ماذونا
له فيها والامران انتفيا مفقودان على ان الجنة فذلك منهم البينة الجنتهم ثم التداء كبنوا لهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي اذا لم يأته الفئة

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع

الظالمين

٤٢

الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا
بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب ۝ فاصبر إن وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ۝ إن الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ
بالله إنه هو السميع البصير ۝ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ۝ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ۝ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون ۝ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين ۝ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ۝ ذلكم الله
ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ۝ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات
الله يجحدون ۝ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن
صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۝
هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ۝ قل إني
نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت
أن أسلم لرب العالمين ۝ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من
قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ۝ هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا
فإنما يقول له كن فيكون ۝ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون

الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ۝ إذ الأغلال في أعناقهم
والسلاسل يسحبون ۝ في الحميم ثم في النار يسجرون ۝ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون ۝
من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ۝
ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ۝ ادخلوا أبواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين ۝ فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض
الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون ۝ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي
بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ۝
الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ۝ ولكم فيها منافع
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ويريكم آياته
فأي آيات الله تنكرون ۝ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون ۝ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون ۝ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ۝
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

القراءة لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلي وخلف تتذكرون بتاء الخطاب عاصم وحمزة وعلي وخلف ادعوني
أستجب بفتح الياء ابن كثير سيدخلون من الادخال مجهولا ابن كثير ويزيد وعباس ورويس وحماد وأبو بكر غير الشموني
شيوخا بكسر الشين ابن كثير وابن عامر وحمزة وعلي وهبيرة والأعشى ويحيى وحماد **الوقوف** الاشهاد لا لأن يوم بدل
الدار الكتاب الألباب والإبكار أتيهم لأن ما بعده خبران بالغيه لا أصلات الجلتين بالله البصير لا يعلمون ولا المسيء
يتذكرون لا يؤمنون أستجب لكم داخرين مبصرا لا يشكرون شيء لا يقلبوهم أن ما بعده صفة شيء وخطوه ظاهر الاهم
لا تبدل الاستفهام ويرجحان الوصل لفائدة التعقيب ولتمام المقصود لكلام يو يتكون يجحدون الطيبات العالمين الدين العالمين
العالمين شيوخا الجلتين يغفلون ويجيب لأجل الفاء مع الشرط فيكون في آيات الله الاشهاد استفهام وابتداء أخبار تصرفون

لاحتمال كون الذين بدل الظاهر في تصرفون رسلنا أن اتفق على تصرفون يعلمون لتعلق الظرف والسلاسل لأن ما بعده
مستأنف وقيل والسلاسل مبتدأ والعائد محذوف أي والسلاسل يجرون بها في الحميم يسجرون لا للآية مع العطف من دون
الله شيئا الكافرين تمرحون خالدين فيها المتكبرين حتى للشرط مع الفاء يرجعون تقصص عليك بإذن الله المبطلون
تأكلون للآية مع العطف وتعلقا أيضا المعنى تحملون لأن ما بعده مستأنف ولا وجه للعطف تنكرون من قبلهم للفصل بين
الاستخبار والأخبار يكسبون يستهزئون مشركين بأسنا الثاني عباده لأن الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سن الكافرون

التفسير هذا تمام قصة موسى وعود إلى ما انجر الكلام منه وذلك أنه لما بالغ في ذلك كان المؤمن من أمة موسى
علم منه وما سلف من آثار موسى وسائر قومه تذكيرا وعلوا على فرعون وقومه فلا جرم صرح بذلك فقال إنا
لننصر رسلنا الآية ونصرتهم في الدنيا بإظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل باقتداء الناس بسيرتهم إلى حيث ما شاء الله
وقد ينصرون بعد موتهم كما أن يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفا وأما نصرتهم في الآخرة فمن بدائع الدرجات
والتعظيم على رؤوس الأشهاد من الحفظة والأنبياء والمؤمنين وقد مر في تفسير الأشهاد في أوائل هود ويوم بدل من يوم القيامة
لا اعتذار فيها لأهل الظلم بالغواية وإن فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة ثم أخبر عن إعطاء موسى التوراة
وإبقائها في قومه بعده والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل في نفسه وبكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشيء المنسي
وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر إن وعد الله بالنصر وإعلاء
كلمة الحق حق كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم أمره بالاستغفار لذنوبه وقد سبق البحث في مثله مرارا
والعشي والإبكار صلاة العصر والفجر أو المراد الدوام قوله إن الذين يجادلون عود إلى ما انجر الكلام إليه من أول السورة
إلى هنا وفيه بيان السبب الباعث للكفار على هذا الجدال وهو الكبر والحسد وحب الرياسة وأن يكون الناس تحت
تصرفهم وتسخيرهم لا أن يكونوا تحت تصرف غيرهم فإن النبي لا بد أن يكون الأمة تحت أمره ونهيه وذلك تخييل فاسد فإن
الغلبة لدين الإسلام ولهذا قال ما هم ببالغيه ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرهم بالله إنه هو السميع لأقوالهم البصير
بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم إنهم كانوا أكثر ما يجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله لخلق السماوات
والأرض أكبر من خلق الناس ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر فظهر أن هؤلاء الكفار
يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبر بل لا يعرفون ما البرهان فكيف طريق النظر والاستدلال
ولهذا قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند إلى العادة والتقليد وبين الجدال المستند إلى الحجة
والدليل قائلا وما يستوي الأعمى والبصير وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء
ثم قال قليلا ما تتذكرون التفاوت الأعمى والبصير ومن حيث إن المراد وفيه من بديع توبيخ وتقريع وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه
المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا متعصبا ثم صرح بوجود القيامة قائلا إن الساعة لآتية أدخل اللام في الخبر بخلاف
ما في طه لأن المخاطبين هاهنا شاكون بخلاف المخاطبة هناك فهو موسى وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ومعنى لا يؤمنون
لا يصدقون بالبعث ثم أدرك أنه هو المطلع أن الإنسان لا ينتفع في يوم القيامة إلا بالطاعة فلا جرم أشار إليها بقوله
قال ربكم ادعوني أستجب لكم المفسرون على أن الدعاء هاهنا بمعنى العبادة والاستجابة بمعنى الإثابة لقوله سبحانه
إن الذين يستكبرون عن عبادتي والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله إن تدعون من دونه إلا إناثا ثم روى
النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية وحجتها أضعف أن يكون الدعاء والاستجابة
على ظاهرها ويراد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب من العبادة يصدقه قول ابن عباس أفضل العبادة الدعاء وقد
مر تحقيق الدعاء في سورة البقرة في قوله أجيب دعوة الداع إذا دعان وقد فسر ابن عباس بمعنى الضر
قال وحدوني أغفر لكم قال جار الله وهذا التفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ومعنى داخرين صاغرين قال أهل
التحقيق كل من دعا الله وفي قلبه مثقال ذرة من حب المال والجاه وغير ذلك فدعاؤه لساني لا قلبي ولهذا لا استجاب لأنه
اعتمد على غير الله وعنه بشارة هي أن دعاء المؤمن وقت حلول أجله يكون مستجابا البتة لانقطاع تعلقه وتبتله
عما سوى الله ثم إنه تعالى ذكر نعمه على الخلائق بوجود الليل والنهار فقد مر نظير الآية مرارا ولا سيما في أواخر
يونس وأوسط البقرة وكرر ذكر الناس تعيينا عليهم وتخصيصا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات وأما

وجه النظم وكانه يقول اني انعمت عليك بهذه النعم الجليلة قبل السوال فكيف لا انعم عليك بما هو اقل منه بعد السوال ففيه تحريض على الدعا وايضا الاشتغال بالدعا مسبوق بمعرفة المدعو فلذلك ذكر في عقبه ايات دلايل ما هو من الافاق والانفس على وحدانيته وايضا فيه شعوب الكمال فوله ذلكم الله الى قوله اللطيف قد مر في الانعام قوله كذلك يوفك اي كل من جحد بايات الله ولم يكن طالبا للحق فانه مصروف عن الحق كما صرفوا قوله فاحسن صوركم كقوله ولقد كرمنا بني ادم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم قوله الحمد لله رب العالمين اما استيناف مدح من الله تعالى لنفسه واما بتقدير القول اي فادعوه مخلصين فاثنوا بالحمد لله قوله لما جاني من البينات ساير الادلة العقلية والنقل جميعا قوله ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بمحذوف اي ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما قوله ولتبلغوا اجلا مسمى فمتعلق بفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو الموت والقيمة ويجاد منكم ان تعقلوا ما في ذلك من العبر بحيث انجر الكلام الى ذكر الاجل وصف نفسه بان الاحياء والاماتة منه ثم اشار بقوله فاذا قضى الى اخره الى نفاذ قدرته في الكاينات من غير افتقار في شي منها الى الة ومعين او اشار الى ان الاحياء والاماتة ليسا من الاشيا التدريجية ولكنها من الامور الدفعية المتوقفة على امر كن فقط وذلك لان الحياة تحصل بتعلق النفس الناطقة بالبدن والموت يحدث بقطع ذلك التعلق وكل من الامرين يحصل في ان واحد ويمكن ان يكون فيه اشارة الى خلق الانسان الاول وهو ادم كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ثم عاد الى ذم المجادلين وكذبهم فايات الله الايه والكتاب القران وما ارسلنا به الرسل ساير الكتب وقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم ليس كقول القايل سوف اصوم امس بناء على ان سوف للاستقبال واذ للمضي الان اذ هيهنا بمعنى اذا على عادة اخبار الله تعالى عن سبق ونادى وقال المبرد اذ ها هنا بمنزلة اذا لان العلم يقع منهم بعد ثبوت الاغلال والمعنى علوا امس الاغلال الذي كانوا وعدوه بعد ان حق بالوجود ومعنى يسحبون قال جار الله هو من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بها مملوة اجوافهم منها والحاصل انهم يعذبون مرة بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال مقاتل في الحميم لعين حر النار ثم قيل لهم على سبيل التوبيخ اين ما كنتم ما موصولة مبتدا واين خبرها ومعنى ضلوا غابوا او ضاعوا ولم نصل اليها ما كنا نرجوه من النفع والشفاعة واكدوا هذا المعنى بقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيا ابعيد به كما يقول حسبت ان فلانا شي فاذا هو ليس بشي اي ليس عنده خير ومنهم من حمله على الكذب على الكفار لم يحتج الى هذا التاويل ثم انكروا عبادة الاصنام ثم قال كذلك يضل الله الكافرين وقالت الاشاعرة اي عن الحجة والايمان وقالت المعتزلة عن طريق الجنة بالخذلان وقال في الكشاف اي مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة اوطلبتهم الالهة لم يجد احدهما الاخر واعترض عليهم بانهم مقرونون والهتهم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فالجواب انه يكون الجميع في النار لا يلقى عينه احدهما عن الاخر واجاب في الكشاف باختلاف الزمان تعقبهم الضلال بعدم النفع ذلكم العذاب بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح الى النشاط بغير الحق وهو الشرك وعبادة الصنم يجوز ان يكون القول محذوفا اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكل طايفة مقدرين الخلود فيها فبيس مثوى المتكبرين يعني الذين مر ذكرهم في قوله ان في صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو مثواكم او جهنم قال جار الله وانما لم يقل فبيس مدخل المتكبرين حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقوله نعم دار المتقين لان الدخول الموقت بالخلود في معنى الثوا ثم عاد نحو نهف طريقة المجادلين مرة بعد مرة امر رسوله بالصبر على ايذايهم وايحاشهم الى انجاز الوعد بالنصرة ثم قال فاما نرينك بعض الذي نعدهم من عذاب الدنيا فذاك او نتوفينك قالينا يرجعون هذا المتقدير ذكره جار الله وقد مر في يونس مثله ولا باس بان يعطف قوله او نتوفينك على نرينك ويكون الرجوع الى الله جزا لهما جميعا ومعناه ان نجازيهم على اعمالهم يوم القيمة سواء عذبوا في الدنيا او لم يعذبوا ثم سلا عن حال الانبيا السالفة ليقتدي بهم في الصبر والثبات بقوله ولقد ارسلنا الاية ذهب بعض المفسرين الى ان عدد الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الفا وقيل ثمانية الف نص ذكره من بني اسرايل والباقي من ساير الناس ولعل الاصح ان عددهم لا يعلمه الا الله لقوله تعالى الم ياتكم نبوء الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب وعن علي كرم الله وجهه بعث الله نبيا اسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون ايات تعنتا كما مر في اخر سبحان واول الفرقان وغيرهما فلم يرهم

٤٤

قال تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله بعذاب الدنيا او بالقيمة وقال ابن عمر امر الله الايات التي اقترحوها وذلك انه يقع الاضطرار عندها وخسر هنالك اي وقت ذلك الوقت استغنى المكان للزمان المبطلون وهم اهل الاديان الباطلة ثم عاد الى نوع اخر من دلايل التوحيد فقال الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا قال جار الله ظاهر النظم يقتضي ادخال لام العوض في الغرايب الاربع او خلو الكل عنها فقال لتركبوا ولتاكلوا ولتصلوا الى منافع ولتبلغوا فقال منها تركبون ومنها تاكلون وتصلون وتبلغون الامانة وجه على ما ورد لان الركوب قد يجب كما في الحج والغزو وكذا السفر من بلد الى بلد لهجرة او طلب علم لا اقل من الندب فنجح ان يكون غرضا واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا تتعلق به ارادته كثير تعلق لشرعا وانما قال وعلى الفلك ولم يقل وفي الفلك مع صحته اذ هي كالوعا ازدواجا لقوله وعليها والحمل يحمل على الظاهر ويكون من قول العرب حملت فلانا على الفرس اذا وهب له فرسا ثم زجهم بقوله ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ثم جرهم وتزاد توبيخهم بقوله افلم يسيروا الايه وقد سبق وقوله فما اغنى عنهم ما نافية والثانية مبهمة ومحلها النصب وقوله ما كانوا ما مصدرية او موصولة اي كسبهم والذين كسبوا قوله وفرحوا الاضمر اما ان يكون الضمير عايدا الى الكفار والى الرسل وعلى الاول فيه وجوه منها انه تهكم بعلمهم الذي يزعمون كقولهم وما اظن الساعة قايمة أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لفي خلق جديد ومنها انه اراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا اسمعوا بوحي الله دفعوه وحقروا علم الانبيا بالنسبة الى علمهم كما حكي عن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وقريب ان جالينوس قال لعيسى عليه السلام بعثت لغيرنا ومنها ان يراد علمهم بظاهر المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فرحوا به واعرضوا عن علوم الديانات وعلى الثاني يكون معناه ان الرسل لما راوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزايهم ووجه اخر هو ان يكون ضمير فرحوا الكفار وضمير عندهم للرسل اي فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به ثم بين ان ايمان الياس وهو حالة عيان العذاب امارات نزول سلطان الموت غير نافع وقد مر مرارا والمعنى فلم يك ينفعهم لم يصح ولم يستقم لان الالجاء ينافي التكليف وترادف الفاآت في قوله فما اغنى فلما جاءتهم فلما راوا فلم يك لترتيب الاخبار وللتعاقب المعاني من جهة تراخ وقال جار الله فما اغنى نتيجة في قوله كانوا اكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقير وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك فلم يك تابع لايمانهم بعد الباس وقال اهل البرهان وانما قال هاهنا وخسر هنالك الكافرون وقبلها وخسر هنالك المبطلون لانه قال هناك قضي بالحق ونقيض الحق الباطل وههنا ذكر ان ايمان الباس غير مجد ونقيضه الكفر والله اعلم بالصواب

سورة فصلت ثلاث وخمسون اية وهي مكية كلامها سبعماية وست وتسعون حرفها ثلاثة الاف وثلثماية وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وهم بالاخرة

هم كافرون ۝ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ۝ قل أئنكم
لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ۝
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء
للسائلين ۝ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها
قالتا أتينا طائعين ۝ فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ۝ فإن أعرضوا فقل
أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ۝ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن
خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به
كافرون ۝ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم
يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ۝ فأرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب
الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ۝ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۝ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ۝ ويوم يحشر أعداء
الله إلى النار فهم يوزعون ۝ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون ۝ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق
كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ۝ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۝
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ۝ فإن يصبروا فالنار
مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ۝

القراءة سواء بالرفع يزيد وقرأ يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء ابن كثير وأبو عمرو ونافع
وسهل ويعقوب وأما ثمود بالنصب المفضل نحشر بالنون أعداء بالنصب نافع ويعقوب الآخرون بالياء مجهولا أعداء
مرفوعا **الوقوف** حم كوفي الرحيم لأن قوله كتاب يصلح أن يكون بدلا من تنزيل وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب
ويجوز أن يكون تنزيل مع وصفه مبتدأ وكتاب خبره يعلمون لأن بشيرا ونذيرا صفة أخرى لقرآنا ونذيرا لاختلاف الجملتين
لا يسمعون عاملون واستغفروه للمشركين كافرون ممنون ج الحدود أندادا العالمين للآية مع العطف أيام لمن نصب
سواء ورفع ومن خفض لم يقف للسائلين كرها طائعين أمرها العدول بمصابيح لمن الحذوف أي وحفظناها حفظا ولعل
الوصل أولى لما يجي وحفظا العليم ويؤذن بناء على أن إذ يتعلق بمحذوف هو اذكر ومعنى الفعل في الصاعقة أي يصعقون
إذ ذاك ويجوز أن يتعلق بأنذرتكم إلا الله كافرون منا قوة فوقهم للفصل بين الإخبار والاستخبار يجحدون
الدنيا لا يبصرون يكسبون يتقون يوزعون بعلمون علينا ترجعون تعلمون الخاسرين مثوى لهم المعتبين **التفسير**
قال بعضهم الحاء من الحكمة والميم من المنة أي من على عباده تنزيل الحكمة من الرحمن في الأزل الرحيم في الأبد وهو كتاب
فصلت آياته أي ميزت أمثالا ومواعظ وأحكاما وقصصا إلى غير ذلك ونذيرا ومتبوعا وانتصب قرآنا على المدح أو لا
اختصاص أو على الحال الموطية لقوم يعلمون أي لقوم عرب يفهمون معانيه بحق بالأصالة وللباقين بعدهم وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعوة يحصل إذ لا لهم والأظهر عندي أنه كقوله هدى للمتقين وذلك أنه لا ينتفع بالقرآن إلا أهل العلم به
قال أهل السنة الصفات المذكورة ههنا للقرآن توجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معانيه بيانه أن كونه
نازلا من الرحمن الرحيم دليل على أن تنزيله رحمة للعالمين وفيه شفاء لأمراض القلوب وكونه كتابا في التركيب يدل
على معنى الجمع كما سبق في أول الكتاب يدل على أن فيه علوم الأولين والآخرين وقوله فصلت آياته دليل على أنه في
غاية الكشف والبيان وكونه قرآنا عربيا ولغة العرب أفصح اللغات مما يوجب أن يتوفر على تعلمه الرغبات ولا سيما للعرب
ومن دانهم وكونه بشيرا ونذيرا على أن الاحتياج إليه من أهم المهمات لأنه يسعى في معرفته ما يوصل إلى الثواب الأبدي
ويخلص من العقاب السرمدي فإذا علم المخاطبون هذه النوايا ثم أعرض أكثرهم عن القرآن ولم يسمعوه سماع تقبل
دل ذلك على أن المهدي من هداه الله ومن يضلله فلا هادي له ثم ذكر بيان إعراضهم بقوله فقالوا قلوبنا في أكنة
ولا يخفى أنه سبحانه ذكر هذا في معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا هو أن الذم إنما توجه على اعتقادهم وأنهم إذا كانوا كذلك لم يجز تكليفهم ولا خطابهم بالأمر والنهي
أو أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء قال جار الله فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب دون أن يقول وبيننا
هي أن العبارة الثانية تدل على مطلق الحجاب ولكن العبارة الواردة في القرآن تفيد أن المسافة التي بينهم وبين رسول
الله مملوءة من الحجاب لا فراغ فيها كأنه قيل إن الحجاب ابتداء منا ثم حكى عنهم أنهم قالوا على سبيل التهديد والتخليد
فاعمل أي على دينك أو في إبطال ديننا إننا عاملون أي على ديننا أو في إبطال أمرك ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن
شبهتهم بقوله إنما أنا بشر مثلكم وتوجيه النظم أنه لا أقدر على أن أحملكم على الإيمان جبرا فإني بشر مثلكم ولا امتياز إلا
أنه أوحي إلي التوحيد والأمر به فعلي البلاغ وحده ثم إن قبلتم فزتم وإلا فأنتم في الكشاف أراد أنه لو جاء
صحة بالوحي وإذا صحت وجب اتباعي ومن جملة ذلك القول بالتوحيد ثم بين أن خلاصة الوحي ترجع إلى أمرين الاستقامة
والإقامة على التوحيد متوجهين إلى الله والاستغفار من تقصير يقع في الطاعة ثم هدد أهل الشرك بقوله وويل للمشركين
وقرن منع الزكاة بالكفر بالله أولا وبالآخرة ثانيا لأن المال شقيق الروح فإذا بذله في سبيل الله يعرف الواثق من المنافق
وفيه بعث وتشديد لأهل الإيمان على أداء الزكاة وفيه أن الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم لأمر الله وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ولا يطعمون المؤمنين فنزلت قاله الفراء وقيل أراد بالزكاة ههنا الإيمان لأنه يزكي النفس من دنس الشرك ثم ذكر
جزاء المطيعين وهو ظاهر والممنون المقطوع وقيل هو من المنة قال جمع من المفسرين نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون ثم حكى بعض قبائح المشركين وسائر الكفرة وأراد أن يورد دليلا على التوحيد
فأمر رسوله أن يوبخهم بقوله أئنكم لتكفرون بالذي ومنهم من يصد قومهم من أهل الكتاب وعن ابن عباس أنه خلق الأرض في
يومين وتجعلون له أندادا عمم الكفر أولا ثم خصص بنوع الشرك وجعل فيها رواسي من فوقها أي بالنسبة إلى سكانها

المعيشة تذكر لنعمة فوق نعمة فان الجبال منافعها اكثر من ان تحصى يعرف بعضها اهلها ولعلنا قد عددنا في اوائل البقرة طرفا منها
وبارك فيها بوضع الخيرات وفيها قال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج اليه
وقدر فيها اقواتها قال مجاهد يعني المطر فانه بمنزلة الغذاء للارض به حيوتها وعن محمد بن كعب اقوات اهلها ومعايشهم
وما يصلحهم وقيل للاضافة الى الاقوات فان الاضافة بجنس الادنى ملابسة اي وقدر فيها اقواتها التي تختص حدوثها بها
في اربعة ايام يعني مع اليومين الاولين فيكون ايجاد نفس الارض في يومين اخرين والمجموع اربعة ايام وخلق السماء
في تمام ستة فتكون هذه الاية موافقة لسائر الايات وقد سبق هذا المعنى في اول سورة البقرة من قرأ سواء بالرفع فعلى
انه خبر مبتدأ محذوف اي هو سواء ومن قرأ بالجر فعلى انه صفة للاربعة فمعناه ان تلك الايام مستوية في الطول والقصر كايام خط
الاستواء وهي تامة غير ناقصة بشيء فقد يطلق لفظ الكل على الاكثر وهذا اجود فوائد العدول عن العبارة الصريحة
وهي ان لو قال في يومين اخرين وقال بعضهم من فوائده انه لا يجوز عطف قوله وجعل على خلق لان قوله وتجعلون
معطوف على لتكفرون ولا يجوز ان يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه باجنبي لا يقال جاء الذي يكتب وجلس
ويقرأ فلا بد من اضمار فعل مثل الاول فتقدير الكلام ذلك رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وهو كلام لا يرد عليه سؤال اصلا ومن قرأ بالجر فعلى وصف الاربعة
بالاستواء والمعنى كاملة ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر اي استوت استواء ثم ان كان الضمير للاربعة فالمعنى كما قلنا
وان كان للاقوات فكذا في قراءة الرفع احتمل ان يكون للسائلين متعلقا به اي الاقوات والارزاق سواء لمن سال ولمن لم
يسال كما يروى عن ابن عباس قال سمعت النبي صلعم وانا ديبه يقول خلق الله الارواح قبل الاجسام باربعة الاف سنة وخلق
الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة سواء لمن سال ولمن لم يسال وانا من الذين لم يسالوا الله الرزق ومن سال فهو
جهل منه واحتمل ان يكون قوله للسائلين متعلقا بقوله وقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها وهم
في الاحتياج سواء وقيل انه متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر والبيان للمحتاجين سال في كم خلقت الارض وما فيها
لان اليهود سالوا رسول الله صلعم عن خلقه ثم استوى الى السماء اي توجه تواعي الحكمة بعد خلق الارض لاجل
الى خلق السماء وقد مر في اوائل البقرة وهي دخان ذكر اصحاب الاثر وجاء في اول توربة اليهود ان عرش الله
قبل خلق السموات والارض كان على الماء فاحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقي على
وجه الماء فخلق الله منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وزعم المتكلمون ان الله سبحانه
خلق الاجزاء التي لا تتجزى وكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة الضوء فيها
فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الاجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا انها اجزاء
متفرقة غير متواصلة عديمة النور واعلم ان ظاهر قوله ثم استوى يدل على ان خلق السماء متاخر عن خلق الارض
وقد جاء مثله في ايات النازعات وفي الانعام ان الواحدي نقل في البسيط عن مقاتل قال خلق الله السماء قبل الارض وتاول
الاية بان لفظة كان مضمرة اي ثم كان قد استوى كما في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اي ان يكن يسرق ويمكن ان
الجمع بين ثم الدال على التاخر وبين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين ويمكن ان يجاب بان ثم هيهنا لترتيب
الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله المختار عندي ان تكوين السماء متقدم على تكوين الارض والخلق الوارد في
الاية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الاية انه قضى بحدوث الارض
في يومين اي حكم بانه سيحدث كذا في ملف كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها الى قوله اربعة ايام
لكان لهذا التاويل وجه وقال بعض العرفية خلق ارض البشرية في يومي الهوى والطبيعة وجعل فيها رواسي الانداد وجعل لها
رواسخ العقل فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمس وقدر فيها اقواتها من سائر القوى البشرية في تتمة اربعة ايام يعني
في يومي الروح الحيواني والروح الطبيعي ثم استوى الى سماء القلب وهي دخان نار الروحانية فقضى سماء القلب اطوارا سبعة
لقوله خلقكم اطوارا سبعة كقوله خلقتكم اطوارا اولها الوسوسة ثم الهواجس ثم الرؤية ما كذب الفؤاد ما راى ثم الحكمة
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ثم ظهور المغيبات ثم المحبة ثم التجلي في يومي الروح والالهام الرباني قوله فقال لها وللارض
الاية للمفسرين فيه قولان الاول اجرى الكلام على ظاهره فانه ليس يستبعد من الله انطاق اي جسم فرض بل ابداع الحيوة

والعلم فيه ولهذا قال طائعين على لفظ الجمع المذكر السالم فان جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء ووجه الجمع ان اقل الجمع اثنان
او لان كل واحد منها سبع ومن هؤلاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما بحذائها فجعل الله لها حرمة على سائر
الارض وعلى هذا القول لا بد ان يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا معناه ائتيا بما خلقت فيكما اما انت يا سماء فاطلعي الشمس
والقمر والنجوم واما انت يا ارض فاخرجي ما خلقت فيك من النبات فقالتا اتينا بما احدثت فينا مستجيبين لامرك وفي الاتيان
الحصول والوقوع كما يقال اتى عمله مرضيا ويجوز ان يراد لياتِ كل منكما صاحبه الاتيان الذي تقتضيه الحكمة من كون الارض
قرارا والسماء سقفا فقوله طوعا او كرها اظهار لكمال القدرة والتقدير ائتيا اوثبتا كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا
شئت او ابيت وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او كارهين القول الثاني ان هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمه
وعلى هذا لا يبعد ان يكون المقصود ائتيا على وفق ارادته وهما في حيز العدم وان يكون المراد ما تقدم وقال بعضهم الطوع
يرجع الى السماء على نهج واحد لا يختلف فنسبة مكلفا بطوعا والكره يعود الى الارض لانها مكان تغير الاحوال ومحل الحوادث
والمكاره قلت لعل هذا في الوضعين لهما باعتبار سكانهما قوله فقضيهن تقضاء الشيء اتمامه والفراغ منه مع الاتقان
والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب سبع سموات على الحال واما مبهم مميز بما بعده يروى انه خلق
الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيهن في يوم الخميس
والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم واسكنه الجنة وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة واوحى في كل
سماء امرها اي امر اهلها من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم وقوف وبعضهم ركوع وبعضهم سجود وعلى هذا
احتمل ان يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها وقيل الايحاء هنا التكوين والايجاد وامرها شانها وما يصلحها وزينا السماء
الدنيا بمصابيح اي بالنيران المضيئة كالمصابيح وحفظا اي حفظناها من الشياطين المسترقة للسمع كما مر مرارا ويجوز
ان يكون حفظا مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فكمال العزة يدل على
خلق ما خلق ولشمول علمه ذلك فان اعرضوا عن التوحيد بعد هذا البيان الباهر والبرهان
القاهر فقل انذرتكم صاعقة لان الاصرار على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج للمعاند سوى التاديب بما يناسبه
يروى ان اباجهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة انا لذاك فاتاه فقال انت خير ام هاشم انت خير ام عبد
المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضللنا وعرض عليه الرياسة والنساء والاموال وانزلك ذكر فقال رسول
الله صلعم بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة بن ربيعة فذاك وناشده بالرحم ورجع
ولم يات قريشا فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه فقال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشدته بالرحم ان يكف ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا
لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فان قيل كيف يصح هذا الانذار وقد اخبر الله سبحانه في قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم ان هذه الامة امنون من التعذيب قلنا لا نبالي مدنية وهذه مكية قوله اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم قيل الضمير عائد الى الرسل اي جاءهم رسل بعد الرسل قيل من بين ايديهم اي حذرهم الدنيا ومن
خلفهم الاخرة وقيل من بين ايديهم هم الذين غابوا ومن خلفهم هم الذين وصل اليهم خبرهم وانسبهم وحقيقته بين
يديه يستعمل للشيء الحاضر ومجازه ان يستعمل للشيء الماضي بزمان قريب وقال بعض المحققين معناه اتاهم الرسل
من كل جهة واعملوا في ارشادهم كل حيلة ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا ويجوز ان يكون ان مفسرة او مخففة وضمير
الشان مقدر والفاء في قوله فانا للجزاء كانه قيل فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وقولهم بما
ارسلتم اي بزعمكم واستهزائهم ثم فصل حال كل فريق فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا اخلال
الاستعلاء على الخلق وقالوا من اشد منا قوة وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا رد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة لانه الفاعل ولعله اقوى من القابل والمعلول فالقوة في الانسان نتيجة صحة البنية
والاعتدال وحقيقتها زيادة القدرة فلذلك جاز ان يقال الله اقوى منهم كما صح ان يقال الله اكبر وان كان لا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي وقوله وكانوا باياتنا يجحدون معطوف على قوله فاستكبروا وقالوا الا ان التوبيخ المذكور

دفع اعتراضا في البين لم اخبر عن اهلاكهم والصرصر الريح الباردة الشديدة الصوت صرعفت من الصر بالكسر
وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او من صرير الباب والتركيب يدور على الضم والجمع عن ابن عباس ان الله تعالى ما
ارسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي ومع ذلك اهلكت الكل والايام النحسات هي التي نشرها الله سبحانه في الحاقة سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام والنحس بالسكون ضد السعد وهو اما مخفف نحس بالكسر او هو اصل في نفسه كصخر او كصعب
عندي واستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض الايام ينحس ووصفه بالسعادة وبعضها بضدها فاجاب بعض المتكلمين
بان المراد بالنحوسة كونها ذات غبار وتراب وبرد والانصاف انه تكلف خارج عن قانون اللغة والاضافة في قوله عذاب
الخزي كما في قوله بها وصف قوله ولعذاب الاخرة اخزى من الاسناد المجازي فان الذل والهوان لصاحبه قوله واما
ثمود من رفع على الابتداء وقوله فهديناهم خبره قال سيبويه هذا افصح لان اما من مظان دفع المبتداء ونصبه ومن قرأ
بالنصب اضمر على شريطة التفسير واتفقوا على ان المراد بالهداية ههنا الدلالة المجردة لقوله بعده فاستحبوا العمى
على الهدى الا ان المعتزلة استدلوا بانه انما ساغ استعماله في الدلالة المجردة لانه مكنهم وازاح عليهم فكانه حصل البغية
فيهم فحصل بوجبها ونقضها وقد مر هذا البحث في اول البقرة في قوله هدى للمتقين وصاعقة العذاب قارعته
وداهيته والهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه وكسبهم شركهم وتكذيبهم صالحا
وعقرهم الناقة ثم بين احوال الذين امنوا واتقوا المعاصي بقوله ونجينا الاية وحين بين عقوبتهم في الدنيا اخبر عن
عذابهم وعذاب امثالهم في الاخرة فقال ويوم يحشر الاية والعامل فيه اذكر محذوفا او ظرف لما دل عليه يوزعون
كانه قيل يمنعون يوم يحشر فيحبس اوائلهم حتى يلحق بهم اواخرهم قال جار الله هو عبارة عن كثرة اهل النار قلت وذلك لان
الانواع لا يحتاج اليه الا عند كثرة العدد كما مر في النمل وما الابهامية في قوله اذا ما جاءوها تفيد التاكيد وهو ان عند
مجيئهم لا بد ان يحصل منه الشهادة وشهادة الجلود ملامسة الحرام وقيل يخرج منه ذوق ما هو محرم وعن ابن عباس المراد
شهادة الفروج فيكون كناية وعن النبي صلعم اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وفيه وعيد شديد في فعل الزنى
لان معظمه يحصل بالكف ونهايته تكون بمساعدة الفخذ قوله انطق كل شيء من العمومات المخصوصة اي من يصح النطق
منه والمراد ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى في الابتداء خلقكم وانطاقكم مرة اخرى ثالثة في القبر
وفي القيامة كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء وقد مر تمام البحث فيه في يس وعن ابن مسعود قال كنت
مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال اخر اذا رفعنا اصواتنا
يسمع والا لم يسمع وقال اخر ان كان يسمع اذا رفعنا اصواتنا يسمع اذا اخفيناها فذكرت ذلك للنبي صلعم فنزل وما كنتم تستترون
الاية وذلك انهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبائح فقيل لهم ما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد
عليكم جوارحكم فهذا لان ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهي اعوانكم ومع ذلك لم يكن في اعتقادكم انها تشهد
عليكم ولكنكم استترتم ظنا منكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهي الخفيات من اعمالكم وفيه رد على بعض الجهلة
الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب عليه ان يكون في
اوقات خلواته اهيب لربه واحتشاما ومراقبة ثم اخبر ان ذلك الظن هو الذي اهلكهم وادخلهم في هاوية الهوان
والخسران والمعنى وان يصبروا فالنار مثوى لهم ولا ينفع الصبر لهم فرجا
وصلاحا وان يستعتبوا يطلبوا الرضى عنهم فما هم من المعتبين اي من المرضيين والمراد انهم ان اقدموا في مكروهم
انما سكتوا او نطقوا فلا ينفعهم ذلك قال ضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد من ظن انه يخفى بعض الاعمال من الله
بالاستتار والحجب فما ظنكم بمن جزم انه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من هذا الاعتقاد ووفقنا الله لاعتقاد اهل السنة

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا
تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا

شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا
دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمِنْ
آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

سجدة

وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا
مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ
عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَّا
يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ

من مكان بعيد ۝ ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ۝ من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد ۝ اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد ۝ وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص ۝ لا يسام الانسان من دعاء
الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ۝ ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ۝ فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ۝ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا
بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ۝ قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ۝ سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ۝ الا انهم في
مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ۝

جزو

القراءة ربنا ارنا بسكون الراء ابن كثير وابن عامر وابو بكر وحماد ويعقوب ابو عمرو بالاختلاس والاخرون بكسر الراء اللذين بتشديد النون ابن كثير بالجدون بفتح الباء ... والخارجون الباقون بضم الباء وكسر ... اعجمي بهمزة وحلة هشام وقرا بتخفيف الهمزتين حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص ... الباقون بالبيان على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل شركاي مثل ... وابي علي ... في سورة ... الى ربي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو ... **الوقوف** الانس لابتداء بان مع احتمال كونه جواب القسم في خاسرين يعلمون ... وحالا اي كافيا لهم ... الخلد يجحدون الاسفلين توعدون والاخرة لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون لاحتمال ... اي اصبتم او وجدتم نزلا رحيم المسلمين السيئة حميم صبروا لاتفاق الجملتين مع تكرارها للتوكيد عظيم ... العليم ... تعبدون ... يسامون ... نفسك ... الاعلى انه امر تهديد ... لما جاءهم لان خبران محذوف ... تبلك ... اليهم اياته وعربي ... عمى بعيد فيه ... بينهم ... للعبيد الجزو الخامس والعشرون الساعة ... شركاءي لان قالوا عامل يوم اذناك لان ... على الجملة بعده من شهيد ... مع العطف ... الخبر لاختلاف الجملتين الا ان مقصود الكلام ... هذا الى ... مسلم ... للحسنى لابتداء الامر بالتوكيد ...

البقف

التغييب عملوا امهالا للمتفكرين الحالتين مع اتفاق الجملتين غليظ بجانبه فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق
الجملتين عريض بعيد الحق شهيد بهم محيط **التفسير** لما ذكر وعيد الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا
في ذلك الكفر ومعنى قيضنا سببنا لهم من حيث لا يحتسبوا او قدرنا او سلطنا واصله من القيض وهو البدل والمقايضة
المعارضة كان القرينين يصلح كل منهما لان يقوم مقام الاخر وقرنا اخوانهم من الشياطين جمع قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم
وهو الدنيا وما فيها من الشهوات وما خلفهم وهو امر الاخرة بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل ما بين ايديهم اعمالهم
التي عملوها وما خلفهم ما عزموا على فعله او زينوا لهم تعليل معتقدي زمانهم والذين يقدمهم عصرهم والاية على مذهب
الاشاعرة واضحة والمعتزلة تعنا ما انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين
ومعنى في امم كائنين في جملة امم وقد مر في اوائل الاعراف كانوا يقولون اذا سمعتم القران من محمد فارفعوا اصواتكم بالغو
وهو الساقط من الكلام فذلك قوله وقال الذين كفروا الاية يقال لغي يلغي بالكسر لغي يلغي بالفتح ولغى يلغو فلهذا قرئ ايضا بالضم
ايضا والمقصود انهم علموا ان القران كلام لفظا ومعنى وكل من سمعه ووقف على معانيه وانصف حكم بانه واجب
القبول فدبروا هذا التدبير الفاسد وهو قول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران واذا قرئ فتشاغلوا عند
قراءته برفع الصوت بالمكاء والهذيان والرجز ولعلكم تغلبون القارئ على قراءته ولا يحصل غرضه من التفهيم
والارشاد وحين حكى جبلتهم ذكر وعيدهم بقوله فلنذيقن الاية والمضاف في قوله اسوا جزاء اسواء الذي
ولذلك اشار اليه بقوله ذلك جزاء اعداء الله وقوله النار بدل من الجزاء او خبر مبتدا مضمر دار الخلد موضع
المقام قال الزجاج هو كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها وقد وضع قوله بما كانوا باياتنا يجحدون
موضع ان لو قال بما كانوا يلغون اقامة للسبب مقام المسبب ثم حكى عنهم ما سيقولون في النار وهو قولهم ربنا اي ربنا
اي بصرنا الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس وذلك ان الشيطان ضربان جني وانسي وقد ورد في القران
كثيرا وقيل هما ابليس الذي سن الكفر وقابيل الذي سن القتل ومن قرا بالسكون فهو بمعنى الاعطاء ونظيره استهاب
الابناء في معنى الاعطاء واصله الاحضار بجعلهما تحت اقدامنا اي نطاهما اذلالا واهانة ليكونا من الاسفلين الاذلين
وقيل في الدرك الاسفل وتاوله بعض حكماء الاسلام بانهما الشهوة والغضب المشار اليهما في قوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء كانهم سالوا التوفيق ان يجعلوا القوتين تحت قدم النفس الناطقة وحين اطنب في الوعيد اردفه
بالوعد على العادة المستمرة فقوله ربنا الله اشارة الى العلوم النظرية التي هي المسئلة باسرها واصلها وقوله ثم استقاموا
اشارة الى الحكمة العلمية وجملتها الاستقامة على الوسط دون الميل الى احد شقي الافراط والتفريط كما سبق تقريب
ذلك في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومعنى ثم تراخي الاستقامة في الرتبة على الاقرار فعنه ان حصول العلوم النظرية
بدون القسم العملي كشجرة بلا ثمرة وقال اهل العرفان قالوا ربنا الله يوم الميثاق في عالم الارواح ثم استقاموا في عالم
الاشباح وعن ابي بكر الصديق معناه لم يلتفتوا الى اله غيره تتنزل عليهم الملائكة عند الموت او عنده وفي القبر
وفي القيامة وان مفسرة او مخففة والقول فسرنا الخوف والحزن مرارا الا ان قال الجوهري تعالى تبشرته بمولود
فابشر ابشارا قوله لا تخافوا ولا تحزنوا اشارة الى دفع المضار في المال وفي الحال وقوله وابشروا اشارة الى حصول
المنافع وقوله نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا مقابل نحن لهم وقيضنا لهم قرناء فالملائكة تاثيرات في الارواح بالالهامات
الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تاثيرات بالقاء الوساوس والهواجس وقد تقدم في اوائل الكتاب في تفسير
الاستعاذة وان كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة الروحية كانت بعد الموت اقوى واظهر لزوال العلائق
الجسمانية وقيل في الحفظة الدنيا بالاستغفار وفي الاخرة بالشفاعة وقيل كما نحفظكم في الدنيا ولا نتركم في
الاخرة حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم يعني الحظوظ الجسمانية ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون
من المواهب الروحانية وقد مر في يس سائر الوجوه والنزل ما هيئ للضيف وقد مر ذكر الغفور الرحيم هاهنا
مناسبة لا تخفى قال اهل النظم ان القوم لما تواتر بانواع السفاهة والايذاء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمعوا لهذا القران
حرض سبحانه نبيه صلعم على مواظبة التبليغ والدعوة واحتمال اعباء الرسالة والتزام السيرة الفاضلة اظهار
المرتبة على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما امكن فقال ومن احسن قولا الاية ووجه اخر في النظم وهو

الله لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزاءهم وهم اهل الكمال اراد ان يبين حال المشتغلين بتكميل
الناقصين زعم بعض المفسرين ان المراد بهذا الدعا الاذان والعمل الصالح الصلوة بين الاذانين والاقامة ورفعوه
الي عايشة والاصح انه عام لجميع الائمة والدعا الي طاعة الله دون تخصيصه ولا ريب ان مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله
صلعم ثم بعده العلما بالله وهم الحكما والمتالهون وبعدهم العلما بصفات الله وهم الاصوليون العلما باحكام الله وهم الفقهاء ثم الملوك
العادلون الذين يدعون الي الله بالسيف والسيف وفي الاستفهام الانكاري دلالة علي انه لا قول احسن من الدعا
الي الله ومن زعم انه الاذان ذهب الي انه طرح وقال لكان الواجب احسن منه ونقض بانا لا نعلم بالدلايل اليقينية
ان الدعوة الي الدين القويم بالحجة والسيف احسن من الاذان فلا يدخل الاذان تحت الاية قال جار الله ليس معني قوله وقال
انني من المسلمين انه تكلم بهذا الكلام ولكن المراد انه يجعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما يقول هذا قول ابي حنيفة
وقال اخرون اراد به التلفظ به تفاخرا بالاسلام وتمدحا وزعموا انه نبه ابطال قول من جوز انا مسلم ان شاء الله فانه كان
ذلك معتبرا لوجب في الاية كذلك ولا يخفي ضعفه فان التفويض غير الايجاب ثم صبر رسوله صلعم علي سفاهة الكفار وعلمه
الادب الحميد في باب الدعا الي الدين بل في مطلق امور التهذي فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا زايدة
لتاكيد نفي الاستوا والمعني لا تستوي الحسنة والسيئة فقط ومثالهما الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية
واللطف والعنف ثم انه كان سايلا كانه سال فكيف يصنع فاجيب ادفع بالتي هي احسن فان الحسنة احسن من السيئة
كما يقال الصيف احسن من الشتا وذهب صاحب الكشاف الي ان لا غير مزيدة والمعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان
في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل اساء اليك فالحسنة
ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته قال ومن حق الامر بلفظ القياس علي تقديره ان يقال
ادفع بالتي هي حسنة ولكنه وضع احسن مكان الحسنة ليكون ابلغ لان من دفع بالحسني هان عليه والدفع بما هو
دونها قال العارفون الحسنة التوجه الي الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الي غيره فاذا الذي
اي اذا فعلت ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت في ابي سفيان وكان موذيا للرسول صلعم فصار بجانب
بعد ذلك لما راي من لطف رسول الله وعطفه ثم مدح هذه السيرة واهلها فقال وما يلقيها الا الذين صبروا اي لا يعمل
بها الا اهل الصبر علي تجرع المكاره وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتاثر من الواردات
الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا اخر في دفع
الغضب والانتقام فقال واما ينزغنك وقد مر في الاعراف والمعني ان صرفك الشيطان عما امرت به فاستعذ بالله
من شره وانما قال ههنا انه هو السميع العليم بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله وما يلقيها
موكدا بالتكرار والنفي والاثبات ولم يكن هذا المقتضي في الاعراف فجاء علي الاصل الاسم معرفة والخبر منكر
وحين ذكر ان احسن الاقوال هي الدعوة الي الله بين الدلايل علي وجوده فقال ومن اياته الي اخره والضمير في خلقهن
للايات او لليل وما عطف عليه لم يغلب المذكر لان ذلك فيما ليس مع العقلا وفي قوله ان كنتم اياه تعبدون تعريض
لطريقة الصابيين وساير عبدة الكواكب حيث منهم من زعم انها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط
لان ذلك مظنة العبادة المستقلة لرفعة شانها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه في الصلوة الي القبلة
فان الحجر فلما يظن به انه معبود بالحق والحرم حاصل بانه التوحيد من جهات الصلوة عند صلوتهم مع المثبت شيا
ظاهرا في نفسه فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر فالذين عند ربك عند
بالشرف والرتبة وهم الملايكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار اي علي الدوام فالاستوا وهم لا يسامون ولا يشابه
الملالة والحاصل انهم لم يمتثلوا ما امروا به ونهوا عنه وان الا الواسطة فدعهم وشانهم فان ربك لا يعدم عابدا
مخلصا ولما فرغ من تقرير الايات السماوية شرع في الدلايل الارضية فقال ومن اياته انك تري الارض
خاشعة واصل الخشوع التذلل فاستعير للارض التي لا خضرة بها ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقد مر في
سورة الحج ذلك انها اذا اهتزت وربت اي انتفخت حين يهم النبت بالخروج منها كانت بمنزلة المختال في زيه
وهي قبل ذلك كالفقير الكاسف البال المتقشف بيوت الحال وبعد تقرير الدلايل الباهرة ذكر عبدة المحدثين في اياته

المنحرفين عن الجادة والوعيد في قوله لا يخفون علينا وكني به وعيدا ثم اكد الوعيد باستفهام علي سبيل التقرير وهو قوله افمن
يلقي الي اخره وقوله يوم القيمة ظرف لامنا او لياتي ثم هددهم بقوله اعملوا ما شئتم الي اخره ثم ابدل من قوله ان الذين كفروا
بالذكر اي القران لانهم الكفر به طعنوا وحرفوا تاويله وعلي هذا فالخبر هو ما تقدم من قوله لا يخفون وقيل هو كلام مستانف
وعلي هذا فاختلفوا في خبر ان فالاكثرون علي انه اولئك ينادون وما بينهما اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره ما يقال
اذ التقدير ما يقال لك قد قيل مثله لهم محذوف ثم اختلفوا فقال قوم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وقال اخرون هلكوا
او يجازون بكفرهم ونحو ذلك وهذا امكن تقديره بعد قوله لما جاءهم او بعد قوله من خلفه بعد قوله حميد العزيز معناه
الغالب والقاهر بقوة حجته علي ما سواه من الكتب والمراد انه عديم النظير لان الاولين والاخرين عجزوا عن معارضته
ثم اكد هذا الوصف بقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال جار الله هو تمثيل اي لا يتطرق البطلان
اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شي ولا يزاد عليه شي وقيل اراد انه لا يكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة
والانجيل ولن يجي بعده ما يخالفه وقد تمسك ابو مسلم بالاية علي عدم وقوع النسخ في القران وقد مر انه ان النسخ نوع
من البطلان ولا يخفي ضعفه فان بيان انتهاء حكم لا يقتضي ابطاله فانه حق في نفسه وما هو به للحق فيه تنزيل اي
هو منزل من الله حكيم في جميع افعاله حميد الي جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ثم سلي نبيه صلعم ما يقال لك الا في فيه
وجهان احدهما ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الطاعن فيهم وفي كتبهم ان ربك
لذو مغفرة للمحقين وذو عقاب اليم للمبطلين ففوض الامر الي الله واشتغل بما امرت به من الدعا الي دينه وثانيهما
ما يقول الله الا مثل ما قال لغيرك من الرسل من الصبر علي سفاهة الاقوام وايذايهم ثم بين تلك المقولة بقوله
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخشاه اهل عصيانه كانوا يقولون لولا انزل
القران بلغة العجم تعنتا منهم فاجابهم الله بقوله ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا معترضين منكرين لولا فصلت
اياته اي بينت بلسان نفقهه ااقران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وانما جاز هذا التقدير الثاني
مع ان المرسل اليهم كثيرون وهم امة العرب لان الغرض بيان تنافر حالتي القران والذي انزل الله عليهم القران
من العجمة والعربية لا بيان انهم جمع او واحد كما تقول وقد رايت لباسا طويلا علي امراة قصيرة اللباس طويل
واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو فضل ومن قرا بغير همزة الاستفهام فعلي حذفها او علي
الاخبار بان القران اعجمي والرسول او المرسل اليه عربي والغرض انهم لعنادهم لا ينفكون عن المرا فلا اعتراض لنفوا
كان القران عربيا او عجميا ومنه الاخيار وجواب عن قولهم قلوبنا في اكنة فان القران اذا كان بلغتهم وهم فصحاء
بلغا فكيف لا يفهمونه الا اذا كان هناك مانع الهي لذلك قال قل هو للذين امنوا هدي وشفا ولما جعل والذين
اي والذين لا يومنون في اذانهم وقر او هذا التقدير عند من يجوز العطف علي عاملين ومن لم يجوزه زعم ان الرابط
محذوف تقديره والذين لا يومنون هو في اذانهم وقر والذين لا يومنون لا يهتدون به الي اخره والحاصل انهم لعدم
انتفاعهم بالقران كانهم صم بكم ثم اكد هذا المعني بقوله اولئك ينادون من مكان بعيد فلهذا لا يسمعون النداء اي
مثلهم كمثل الشخص الذي ينادي من بعيد فلا يسمع وان سمع لم يفهم ثم شبه حال القران بحال الكتب المتقدمة في انها
اختلف فيها كما اختلف فيه الا انه خص كتاب موسي بالذكر لكثرة احكامه وعجيب قصصه والكلمة السابقة هي
العدة بالقيمة وتاخير العذاب والفصل بين المصدقين والمكذبين الي وقتئذ ثم ذكر ان جزاء كل احد يختص به سواء
كان له او عليه وان الله لا يظلم احدا ثم كان لسايل ان يسال متي القيمة التي يتعلق به الجزاء فقال اليه لا الي غيره يرد
علم الساعة اي اذا سيل عنها فليقل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص فذكر مثالين يعرف منهما ان علم
جميع الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا الله سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة ثم ذكر احوال القيمة
طرفا اخر فقال ويوم يناديهم اين شركاءي وهذا ابدا تهكم وتوبيخ كما مر مرارا قالوا اذناك ابن عباس اي
اسمعناك من اذن بالكسر اذنا بالفتح اذا استمع ومنه الكلبي اعلمناك قال الامام فخر الدين الرازي هو بعيد لان
اهل القيمة يعلمون ان الله يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام في حقه محال قلت لا يبعد اظهارا لمعاونة او الاستعطا
والمعني ظهر وحصل في الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا في علمك القديم انا نسقوله كقوله ولما يعلم الله الذين

جاهدوا اي لم يحصل بعد معلومه في الواقع وقد حقق قولهم اذ ناك ماض جي في معنى المستقبل على عادة القران وانشاء للايمان
واخبار عما قيل لهم قيل ذلك بانه يمكن ان يعاد عليهم هذا الاستفهام سوالت لتزيد معنى التوبيخ والمعنى ما منا شهيد ليس
منا من يشهد اليوم بانهم شركاؤك لا نا عرفنا عيانا انه لا شريك لك وهو كلام الشركاء احياها الله وانطقها ونحوه مما اضيف
اليها من المشركة او معنى الضلال على هذا التفسير عدم النفع ونحوه ان يراد ما منا احد يشاهدهم لانهم غابوا ومعنى يدعون
نعبدون الظن بمعني اليقين والمحيص المهرب وحين بين ان الكفار يتبرؤن في الاخرة من شركائهم بعد ان كانوا مصرين
في الدنيا على عبادتهم بين ان الكافر يبدل له في حالاته كلها او كثر في حالة الاقبال للابتسام مع طلب الجاه والمال في حالة
الادبار يصير في غاية الياس والانكسار وان عادت النعمة بعد ايا سه فلا بد ان يقول هذا انما وجدته باستحقاقي
وهذا الا يزول عني وسيبقي علي ويعلي عقبي وانكر البعث وعلى تقدير من بعوده يدعي بل جزم ان له عند الله الحسنى
ناسيا امر الاخرة على امر الدنيا ونظير الاية ما سبق في سورة الكهف ولين رددت الي ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فلا جرم
خيب الله امله وعكس بالصم بقوله فلننبئن الى اخره وحين حكى قول الكافر اخبر عن افعاله بقوله واذا انعمنا على الانسان
اعرض ونأى بجانبه اي تعظم وتجبر وقد سبق في سبحان واستعير العرض لكثرة الدعا ودوامه وقد يستعار الطول
لكثرة ايضا وان لم يكن الشي اداجهم كما استعير الغلظ لشدة العذاب فان قيل كيف قال اولا فيؤس قنوط ثم قال
فذو دعاء عريض قلنا انه يؤيس بالقلب ذعا باللسان وقنوط من الصنم دعا الله او الاول في قوم والثاني في اخرين
ولما ذكر من اول السورة مبالغة الكفار في العداوة والنفرة من اتباع الرسول والقران ارشدهم الى طريق احتياطهم
نيه فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم كما سمعتم القران اعرضتم عنه ثم كفرتم به حتى قلتم قلوبنا في اكنة فاسمعوا
لهذا القران ومنع العلوم ان هذا السكي بديهي لقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وفاسدا فحينئذ يلزم بعدم نزول العذاب
الابدي وقوله ممن هو في شقاق بعيد من وضع الظاهر مقام المضمر فهو منكم ليانا البعد سوطهم في الشقاق والخلاف
قاله في الكشاف وقوله جواب الشرط بالحقيقة محذوف وهو قوله مثلا فمن اضل منكم بانما قال في الاحقاف وذكر
ثم بالواو لان معناه من السورة فكان عاقبة امركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن دخول ثم انها تفيد التراخي في الرتبة
وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فحسن الاولا ثم بين ان الاسلام يعلو ولا يعلى وان الغلبة والنصر
يكون لدونه فقال سنريهم اياتنا في الافاق وهي الفتوح الواقعة على ايدي الخلفاء الراشدين والتي ستقع على ايدي
انصار دينه الى يوم القيامة وفي انفسهم وهي فتح مكة وسائر الفتوح التي وجدت في عصر النبي صلعم حتى يتبين لهم انه
اي محمد والقران او الدين الحق وجه التبيين ان هذا اخبار عن الغيب فاذا وقع منطابقا دل على صدق المخبر
بل اعجازه واحد الافاق افق وهو الناحية من نواحي الارض او السماء وعند المحققين الايات الافاقية هي الخارجة
عن حقيقة الانسان وبدنه كالافلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر والمواليد وسواه ولا ريب ان العجايب
المودعة في هذه الاشيا مما لا نهاية لها وانما نوقف عليها حينا بعد حين وقد اكثر الله سبحانه من تقرير تلك
الدلايل في القران بعضها في السورة المكيات وكثير منها في المدنيات والايات النفسية هي التي اودعها في
تركيب الانسان وفي ربط روحه العلوي ببدنه السفلي كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله سنريهم
دلالة على انه يريد الادلة انما تكون بارادة الله فلك جاز الله معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
هو ان هذه الايات الموعودة يكفيهم دلالة على ان القران منزل من عالم الغيب المطلع على كل شي وقال حكماء الاسلام
اراد بقوله اولم يكف توبيخ من لم يسلك لم يثبت الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين
واما غيرهم فانهم يستدلون بالممكن على الواجب فيفتقرون الى النظر في الافاق والانفس وقال اهل المعرفة
الايات الافاقية للعوام والانفس للخواص وقوله الانسان من الزاجر الرادع من المعاصي كونه شهيدا عليه وقيل اراد
انه يخلف ما وعد لاطلاعه في الاشيا كلها ثم ختم السورة بتوبيخ الشاكين في امر البعث والبعي عليهم باحاطة علمه بكل شي
بمجازي على حسب ما يستحقه والله اعلم

سورة حمعسق ثلاث وخمسون اية وهي مكية
كلامها ثمانمائة وست وستون حروفها ثلثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم
حمعسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من
فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله
هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت
عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء
الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم
الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء
عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل

بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
واليه المصير ۞ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند
ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ۞ الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
وما يدريك لعل الساعة قريب ۞ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا
مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال
بعيد ۞ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ۞ من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الاخرة من نصيب ۞ ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن
به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ۞ ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ۞ ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور

القراءة يوحي على البناء للمفعول ابن كثير وعباس بكاد بالياء الفتاتيه نافع وعلى يتفطرن بالنون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد والمفضل ابو حاتم كنظائره يبشر الله مخففا من البشارة ابن كثير وحمزة وابو عمرو وعلي

الوقوف حم عسق كوفي قبلك لمن قرا يوحي مجهولا لانه نزل من الوحي تعالى الله اي هو الله الحكيم و في الارض العظيم لمن في الارض الرحيم عليهم والوصل اوضح لان نفي ما بعده تقريبا بائبات ما قبله بوكيل لا ريب فيه السعير حمزة بصير اولياء للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء الموتى فصلا بين المقدور المخصوص وبيان القدرة على العموم مع اتفاق الجملتين قدير الى الله انيب والارض ازواجا الثاني لان ضمير فيه يحتمل ان يعود الى الازواج الذي هو مدلول الازواج اذا الى التذبير انه لم يسبق ذكر فيه شيء لعطف الجملتين المختلفتين البصير والارض لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال والعامل معنى الفعل في له اي في الملك ويقدر عليم فيه اليه انيب بينهم وكذلك بعده من ريب فادع كما امرت اهواءهم كتاب كل ذلك للترتيب في القراءة وان اتفقت الجملتان بينكم وربكم اعمالكم وبينكم بيننا المصير بتشديد والميزان قريب بها لعطف الجملتين منها للعطف او للحال الحق بعيد من يشاء لاحتمال عطف وهو على جملة قوله الله لطيف وجعلها متفقتان العزيز حرثه للعطف جملتي الشرط نصيب به الله بينهم اليم بهم للصاب للخمال ما بعده الاستيناف والحال

الكبير

الكبير للصالحات الذي بعدنا تشكره **التفسير** الكلام في حم كما سبق واما في عسق فقد قيل انه مع حم اسم للسورة وقيل يعني الى قتل كان علي كرم الله وجهه يعرفها وقيل الحاء حلم الله والميم ملكه والعين علمه والسين سناءه والقاف قدرته تقدير وعنه الافاديل ما لا معول عليها فقال اهل التفويض عاجته وهم محمد بن محمد ويخبر عنقه على سبيل ويقال فيه الى السبيله اقسم انه يوحي اليه والى سائر الانبياء قبله انه محبوبه في الازل وينبغي خلق الكائنات والاولتي بعض علمها الى الله كسائر الفواتح وانما فصل حم من عسق حتى عدا ايتين خلاف كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها بنفسها ولان جميعا ذكر الكتاب بعدها صريحا الا هذه فانها دلت عليه دلالة التضمن بذكر الوحي الذي يرجع الى الكتاب يروى عن ابن عباس انه لا نبي صاحب كتاب الا اوحى الله اليه حم عسق والله اعلم بصحة هذه الرواية والاظهر ان قال مثل الكتاب المسمى حم عسق يوحي الله اليك والى الانبياء قبلك والمراد الماثلة في اصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في الاخرة كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وفي ورود لفظ يوحي مستقبلا لا ماضيا اشارة الى ان الحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه واخبر عن غاية جلاله بقوله ما في السموات الى اخره ثم اخبر عن فظاعة ما ارتكبه اهل الشرك تعالى تكاد السموات يتفطرن وقد سبق في اخر سورة مريم ومعنى من فوقهن ان الانفطار يبتدي من اعلى السموات وما فوقها من العرش والكرسي الى ان ينتهي الى السفلى وفي الابتداء من جهة الفوق زيادة تقطيع وتهويل قال جار الله كانه قيل يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل معناه من الجهة التي حصلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القائل السما فوقنا وقيل الضمير للارض وقد تقدم ذكرها اي من فوق الارضين وروي عكرمة عن ابن عباس يتفطرن من ثقل الرحمن فان صحت الرواية كان في الظاهر دليل المجسمة ولاهل السنة ان يتاولوا الثقل بالهيبة والجلال ويقدروا مضافا محذوفا اي من ثقل جلال الرحمن كقوله صلى اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد ثم انتقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وان لهم بالوجه الذي الى عالم الارواح تسبيحات وبالوجه الذي لهم الى عالم الاجسام يستغفرون فقال والملائكة قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر في اول السورة المؤمن الا انه عمم ههنا فقال لمن في الارض اي يطلبون ان لا يعاجل الله اهل الارض بالعذاب طمعا في توبة الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بما مر ان يستغفرون للمؤمنين منهم ثم سلى نبيه صلعم بان المشركين انما يحاسبهم الله وما عليك الا البلاغ قوله وكذلك او حينا قال ابن بحر هذا الكلام الاول اعيد لما اعترض من الكلام بين ما اغترض وذلك جار الله الكاف مفعول به لاوحينا وذلك اشارة الى المذكور قبله من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت عليهم برقيب وقد كرر الله هذا المعنى في كتابه في مواضع وقرانا عربيا حال والمعنى مثل ذلك المذكور اوحينا اليك وهو قران عربي لا لبس فيه ليفهموا معناه ولا يتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ان الايحاء كما اوحينا الى الرسل فلذلك اوحينا اليك يعني ان تكون المماثلة بالحروف المؤدية وان تكون باصول الدين كما مر قال اهل اللغة يقال انذرته كذا وبكذا فمن الاستعمال الثاني قوله لتنذر ام القرى اي اهل مكة على حذف المضاف والمفعول الثاني وهو بالقران محذوف ومن الاستعمال الاول قوله وتنذر يوم الجمع والمفعول الاول محذوف اي وتنذر الناس يوم يجمع فيه الخلائق او يجمع بين الارواح والاجساد او بين كل عامل وعمله قلت من الجائز ان يكون الكل من الاستعمال الاول ولا حذف الا ان قوله وتنذر يكون تكريرا للمبالغة والتقدير الاصل لتنذر ام القرى يوم الجمع وقد مر في القصص في قوله حتى تبعث في امها رسولا اي مكة ثم سمي ام القرى وقوله من حولها يحتمل اطراف عموم الارض لان مكة في وسطها ويحتمل ان يكون المراد به سائر جزيرة العرب ولا خلل بما في الامم بالتبعية او بنص اخر كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله لا ريب فيه اعتراض لا محل له او صفة للجمع بناء على ان التعريف الجنسي قريب من التنكير وقوله فريق مبتدا محذوف الخبر اي منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا اي هذا ما لهم بعد الحشر للاجتماع ثم بين بقوله ولو شاء الله الى اخره ان السعادة والشقاوة والهداية والضلالة تتعلق بمشيئته وارادته وعلى هذا مذهب اهل السنة ظاهر وتاوله المعتزلة بمشيئة القسر والالجاء وقد مر نظائره مرارا والظاهر ان المراد لجعلهم امة واحدة ان يكونوا اهل ضلال بناء على قوله ولولا ان يكون الناس امة واحلة ثم انكر على اهل الشرك بام المنقطعة قائلا ام اتخذوا

من دونه أولياء بل الله هو الولي الذي يجب أن يعتقد أنه المولى والسيد لا ولي سواه ومن شأنه يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ وليا وحده منع الرسول من الحرص على من كفر أراد أن يمنع المؤمنين من
الاختلاف والتنازع فقال وما اختلفتم والتقدير قل يا محمد كذا بدليل قوله ذلكم الله ربي الآية والمراد أن الذي اختلفتم
أنتم والكفرة فيه من أمر الدين فحكم ذلك المختلف فيه إلى الله وهو إثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل وما اختلفتم
فيه من الآيات المتشابهات فارجعوا في بيانه إلى المحكمات أو إلى الظاهر من السنة وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التي تتصل بالتكاليف فقولوا الله أعلم به كمعرفة الروح وغيره قال في الكشاف ولا يندرج فيه اختلاف المجتهدين
لأن الاجتهاد لا يكون بحضرة الرسول قلت إن لم يكن بحضرته فإنه جائز بعده فيندرج فيه وما اختلفتم شامل لجميع الأمة إلى يوم
قيل يا أيها الناس ومثل أقيموا الصلاة والأظهر أن اختلافهم يدخل فيه وأن المراد بحكمه تعريف بيان الله سواء كان ذلك
البيان بالنص أو بالقياس أو بالاجتهاد فإن قيل المقصود من الكلام قطع الاختلاف ولا قطع مع القياس ولا مع الاجتهاد
قلنا إذا كان القياس مأمورا به فكذا الاجتهاد بل يكون كل مجتهد مصيب كانت المخالفة في حكم الموافقة ولهذا
قال اختلاف أمتي رحمة ثم يصف نفسه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال تأكيدا لصحة أحكامه تعالى فاطر
السموات والأرض وهو أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف ومعنى ومن الأنعام أزواجا أنه خلق للأنعام أيضا من
أنفسها أزواجا يذرؤكم فيه أي يكثركم في هذا التدبير وهو أن جعل للناس وللأنعام أزواجا حتى حصل بين الذكور
والإناث التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم راجع إلى المخاطبين وإلى الأنعام وهو من الأحكام ذوات العلتين وذلك
أن فيه تغليبين تغليب المخاطبين على الغائبين وهم من سيوجد إلى يوم القيامة وتغليب العقلاء على غيرهم وعلة
الأول الخطاب وعلة الثاني العقل وإنما قال يذرؤكم فيه ولم يقل به لأنه جعل التدبير منبعا ومعدنا للتكثير
كقوله ولكم في القصاص حياة أو لأن حروف الجر يقام بعضها مقام بعض ومعنى ليس كمثله شيء نفي التشبيه عنه بطريق الأولى
وذلك أنه لو كان له مثل والله تعالى شيء لكان مثل مثله شيء وهو خلاف نص المخبر الصادق وهذا المحال إنما لزم من
فرض وجود المثل له فوجود المثل محال وهو المطلوب ولعل هذا التقرير مختص بنا وقال في الكشاف إنه من باب
الكناية كقولك مثلك لا يبخل يعنون أنت لا تبخل فكذا ههنا يريد ليس الله شيء ويجوز أن يكون الكاف حرف التشبيه للتأكيد
وقد يستدل بالآية على نفي الجسمية ولوازمها عنه تعالى لأن الأجسام متماثلة في الحقيقة قوله تعالى له مقاليد السموات
والأرض أي مفاتيح خزائنها وقد مر في الزمر والباقي واضح وقد سبق أيضا وحين عظم وصيته إلى محمد صلعم
بقوله كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ذكر تفصيل ذلك فقال شرع لكم أي أوجب وبين لأجلكم من الدين ما وصى
به نوحا وهو أقدم الأديان بعد الطوفان والذي أوحينا إليك وهو خاتمها وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى
وهي الملل المعتبرة المتوسطة ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأكابر من رسله فيه بقوله أن أقيموا
الدين الحنيفي ومحله نصب بدلا من مفعول شرع أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل
هو إقامة الدين يعني أدامه أصوله من التوحيد والنبوة والمعاد ونحو ذلك الفروع التي تختلف بحسب الأوقات
كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفي بناء الكلام على الغيبة ثم الالتفات إلى التكلم في أوحينا
والخطاب في إليك تفخيم لشأن رسول الله صلعم ثم حكى حسد أهل الشرك بقوله كبر على المشركين أي شق وعظم
عليهم ما تدعوهم إليه من الدين الحق من عبادة غير الله ثم أجاب عن شبهتهم بأن الاجتباء والاصطفاء
يتعلق بمشيئة الله لا يتمكن أحد ولا بكثرة المال والجاه يقال اجتباه إليه أي اصطفاه لنفسه والتركيب
يدل على الجمع والضم ويحتمل أن يراد يجتبي إلى الدين ثم أخبر عن وقت تفرق كل أهل الكتاب وعن ذلك فقال
وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ببعثة محمد وصحة نبوته كقوله في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب
إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم أو قيل وما تفرق الأمم الذين تقدم ذكرهم إلا بعد العلم لصحة ما أمروا به قال
بعض أهل البرهان لما ذكر مبتدأ كفرهم وهو قوله إلا من بعد ما جاءهم العلم حسن ذكر نهايته وهو قوله إلى أجل
مسمى ليكون محدودا من الطرفين وإنما ذكر النهاية في السورة المتقدمة لعدم ذكر البداية وأن الذين أورثوا
الكتاب هم العرب ورثوا القرآن من بعد ما ورث أهل الكتابين كتابهما وهم أهل الكتاب المعاصرون

لرسول الله صلعم وقيل جاءهم أسباب العلم فلم ينظروا فيها لأنه حكم عليهم في أصل الآية بأنهم في شك على كتابهم
وهو من العلم غير مختلجين فلذلك أي فلأجل تشعب الملل وتفرق الكلم فادع إلى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى
إلى والإشارة في القرآن واستقم عليها كما أمرت ولا تتبع أهواءهم المختلفة وقل آمنت بما أنزل الله من أي كتاب كان
وأمرت لأعدل بينكم أي في التبليغ أو إذا تحاكمتم إلي حتى لا أؤثر على نفسي ونفسي غيري ثم أشار إلى ما هو أصل في
الدين فقال الله ربنا وربكم لنا أجزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم وليس المراد منه تحريم المحاجة فإنه
لولا الأدلة لما توجه التكليف بل المراد أنهم بعدما وقفوا على الحجج الباهرة والدلائل الظاهرة على حقية دين الإسلام
لم يبق معهم محاجة لمساينة وإنما بقي السيف وقيل إنه منسوخ بآية القتال وقوله الله يجمع بيننا إشارة إلى المهاجرة
التي اقتضتها إصرارهم على الباطل وتفويض للأمر إلى المجازي المنتقم ثم أخبر عن وعيد المحاجين في أمر دين الله
من بعد ما استجيب له أي بعد ما استجاب له الناس وقبلوا دينه أو بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر
حجتهم داحضة أي باطلة زائلة عند ربهم وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون كتابنا من قبل كتابكم ونبينا من قبل
نبيكم فأنتم أولى باتباعنا وأيضا إنكم تقولون الأخذ بالمتفق عليه أولى من الأخذ بالمختلف فيه ونبوة موسى
وحقية التوراة متفق عليها ونبوة محمد مختلف فيها والجواب بأن نبوة موسى إنما صحت بالمعجزة فإن كانت
المعجزة في حقه مصححة للنبوة ففي حق محمد كذلك وإلا فأنتم القادحون في نبوة نبيكم أيضا ثم حث على سلوك طريقة
العدل حذرا من عقاب يوم القيامة فقال الله الذي نزل الكتاب أي جنسه ملتبسا بالغرض الصحيح والميزان
أي أنزل العدل والسوية في كتبه أو ألهم اتخاذ الميزان وقيل العقل وقيل الميزان نفسه وذلك في زمن نوح وقيل هو
محمد صلعم يقضي بينهم بالكتاب وما يدريك يا محمد أو أيها المكلف لعل الساعة أي مجيئها قريب أو ذكر بناء على البعث
أو الحشر ويخوف أداءه الشيء قريب ومتى كان الأمر كذلك وجب على العاقل أن يجتهد في أداء ما عليه من التكاليف
ولا يتوانى في سلوك سبيل الإنصاف مع الخالق والخلق فإنه لا يعلم أن القيامة متى تفاجئه ثم نعى طريقة منكري الساعة
فقال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا
حقيقة الحال ثم مدح المؤمنين بأنهم يخافون القيامة هيبة من الله وإجلالا وحذرا من تقصير محل يقع في العمل الآن
خوفهم بحسب انكروا ممنوعا بالرجاء وقد مر تحقيقه مرارا ثم هدد الشاكين المجادلين في أمر البعث بقوله أن
الذين يمارون وأصله من المرية الشك في ضلال بعيد عن الصواب لأن أشنعها حق المظلوم من الظالم واجب على
فضله أو في حكمته ولا في إنكاره نسبة الله سبحانه إلى ضد العلم والقدرة ثم إنه لا مرية أن إنزال الكتاب من ألطاف
لطيف من الله على خلقه فلذلك قال الله لطيف بعباده عم البر ثم خصص بقوله يرزق من يشاء يعني الزائد على مقدار
الضرورة فلكل من إنسان فاق أقرانه في المال والجاه والأولاد أو في العلم وفي سائر أسباب المزية إلا أن أحدا منهم لا يخلو
بلطفه ثم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا وقد مر معناه في الأنعام بوجه آخر في قوله وهو اللطيف الخبير وأما قوله وهو
القوي العزيز ففيه إشارة إلى أن لطفه مقرون بقهره وحين ذكر أنه يرزق من يشاء الزائد على مقدار كفايته
وكان فيه كسر قلوب أرباب الفقر والضيق جبر كسرهم بقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه سماه حرثا
تشبيها للعامل الطالب لثواب الآخرة أضعافا مضاعفة بالزارع الذي يلقي البذر في الأرض طالبا للزيادة والنماء
ومن كان يريد حرث الدنيا هذا من قبيل المطابقة وإلا فلا حرث ههنا بالحقيقة لأن الذي يضيع من طالب الدنيا هو
العمر الذي يحصل به السعادة الباقية أشرف بكثير من الذي قد يحصل له من حظها بل حرث الآخرة إن طالبها تتحصل
له الدنيا بالتبعية ويربي ثواب عمله أضعافا مضاعفة وطالب الدنيا لا يحصل له المطالب بأسرها ولهذا قال نؤته منها
أي بعض ذلك وما له في الآخرة من نصيب قط وفي زيادة لفظ الحرث فائدة أخرى وهي أن يعلم أن أشياء المتمنى لا
يحصل إلا بتحمل المتاعب والمشاق وعن النبي صلعم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه همه فجعل فقره بين عينيه ولم يأته
من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع همه وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة هذا اللفظ أو لفظ هذا
معناه وعن قتادة إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا وظاهر اللفظ دلالة على أن من صلى
لطلب الثواب أو لدفع العقاب فإنه تنفع صلاته لأنه صلى لأجل ما يتعلق بالآخرة قال بعض أصحاب الشافعي إذا نوى

بغير بينة لم يجز لان هذا الانسان غفل عن الاخرة وعن ذكر الله والخروج من عهدة الصلوة من باب منافع الاصح فلا
يحصل بالوصف العاري عن النية وحيث بقي القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الدارين تنبه على احوال اهل
الضلال بقوله ام لهم شركاء وهي المنقطعة عند بعضهم وقال اخرون هي المعادلة لالف الاستفهام تقديره افتقبلون ما
شرع الله من الدين ام لهم الهة شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اي لم يامرهم به ولم يحله كقوله انبئون الله بما لا
يعلم والاذن بالفتح العلم بالمسموعات وتخفيفه شرعوا ما ليس بشئ يعتد به لو كان شريعة لعلم بالله ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتاخير الجزاء لقضي بينهم والضمير للمؤمنين والكافرين او للمشركين والشركاء ترى الظالمين في القيمة مشفقين
خائفين مما كسبوا من الجرائم وهو اي وبال ذلك واقع بهم واصل اليهم لا محالة والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات اي متنزهاتها قالت الاشاعرة فيه دليل على ان غيرها من الاماكن في الجنة لغير المتقين وغيرهم لمن الذي
امن ولم يعمل صالحا وهو الفاسق ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اضافة الروضات الى الجنات من اضافة العام الى الخاص
فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا تكون في الجنة كثيرها في الدنيا والفضل الكبير تقدم ذي تعلم
ذلك المذكور من الثواب هو التبشير هو الذي يبشر الله به عباده حذف الجار ثم الراجع الى الموصول ثم امر رسوله بان يقول
لا اسالكم عليه اي على هذا التبليغ اجرا الا المودة الكائنة في القربى جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى
او المودة للقربى وهي مصدر بمعنى القرابة اي في اهل القربى وفي حقهم فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على انه
طلب الاجر على تبليغ الوحي وذلك غير جائز لما حكى في قصص سائر الانبياء ولا سيما في الشعراء في حق نبينا انما قل ما
اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين قل ما سالتكم من اجر فهو لكم والمعقول فيه ان التبليغ واجب عليه وطلب الاجر على
اداء الواجب لا يليق بالمودة وايضا انه يوجب التهمة ونقصان الحشمة قلنا ان من جعل الاية منسوخة بالتي لا استناد
بينهما فلا اشكال عليه والا اما الاجرة فمنهم من الاستثناء متصل ولكنه من قبيل تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب ۝ والمعنى لا اطلب منكم اجرا الا هذا وهو في الحقيقة ليس اجرا
لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب ولا سيما في حق الاقارب كما قال عز من قائل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
ومنهم من قال الاستثناء منقطع اي لا اسالكم عليه اجرا البتة ولكن اذكركم المودة في القربى اي بعد اقوال الاول
قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نساله عن ذلك فاجابه بان رسول الله صلعم كان واسطة
النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد كان بينهم وبينه قرابة فقال الله قل لا اسالكم على ما ادعوكم اليه اجرا
الا ان تودوني لقرابتي منكم يعني في قريبي ما حق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى والتزودوني
ولا تهيجوا علي القول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس ان النبي صلعم كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة
فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من اموالكم ففعلوه
ثم اتوه فرد عليهم ونزلت الاية على مودة اقاربهم وصلة ارحامهم القول الثالث عن الحسن الا ان تودوا الى الله
وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح القول الرابع عن سعيد بن جبير لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله من هؤلاء
الذين وجب علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ولا ريب ان هذا فخر عظيم وشرف تام ويؤيده ما روي
ان عليا كرم الله وجهه شكا الى رسول الله صلعم حسد الناس له فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا
وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعنه صلعم حرمت الجنة على من ظلم اهل
بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا
لقيني يوم القيمة وكان يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر انه كان يحب عليا والحسن والحسين
واذا كان كذلك وجب علينا محبتهم لقوله فاتبعوني وكفى شرفا لان رسول الله صلعم ختم التشهد بذكرهم او الصلوة
عليهم في كل صلوة وقال بعض المذكرين ان النبي صلعم قال مثل
اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعنه صلعم قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فنحن
نركب سفينة حب آل محمد ونضع ابصارنا على الكواكب النيرة اعني اثار الصحابة لنتخلص في بحر التكليف وظلمة الجهالة
من موج الشبهة والضلال ثم اكد ايصال الثواب على المودة بقوله ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة قال بعض اهل اللغة الاقتراف

وقيل

مستعمل

مستعمل في الشر واستعاره هنا للخير عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلعم نزلت في ابي بكر الصديق رضه والظاهر
العموم في كل حسنة ولا شك ان هذه مواده فضل الباء لذكرها عقيبها ومعنى حسنا نضعف ثوابها ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع من عباده

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ
وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ
الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ
الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ
بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝
فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۝
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ

مِن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝
وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ۝ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ۝ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا
أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

القراءة ما تفعلون على الخطاب حمزة وخلف وعلي وحفص ينزل الغيث بالتشديد ابو جعفر ونافع وابن عامر
وعاصم تنزل نفوذي بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالكبت يدرون فالجزاء ولا يضمن معنى الشرط ما الابتداء ابو
جعفر ونافع وابن عامر الباقون فبما كسبت بالفاء الجواري بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو
بالوصل وقرأ قتيبة ونصير وابو عمرو بالامالة الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وابو جعفر ونافع
الباقون بالنصب كبائر الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف او يرسل بالرفع فيوحي بالاسكان نافع وابن مجاهد والنقاش عن
ابن ذكوان الاخرون بالنصب فيهما **الوقوف** كذبا للشرط مع فاء التعقيب قلبك لان ما بعده مستانف بكلماته الصدور
تفعلون فضله شديد بما نصيب رحمته الحميد دابة قدير كثير في الارض ولا نصير كالاعلام على ظهره شكور كثير لمن
ويعلم من نصيب في نفسه محيص اياتنا من محيص الدنيا لعطف جملتي الشرط ويحتمل ان يكون الوقف مطلقا بناء على ان التابع
اخبار مستانف يتوكلون يغفرون الصلوة لانقطاع النظم لانفصال المعنى واتحاد القول بينهم كذلك ينفقون ينتصرون مثلها

٥٦

على الله الظالمين سبيل الحق اليم الامور بعده من سبيل للاية العطف خفي القيمة مقيم من دون الله من سبيل من الله
نكير حفيظا البلاغ كفور والارض ما يشاء الذكور واناثا لاحتمال ما بعده العطف والاستيناف اي هو فيجعل عقيما قدير ما يشاء
حكيم امرنا عبادنا مستقيم وما في الارض الامور **التفسير** ولما ذكر في اول السورة ان هذا القرآن انما حصل بالوحي الله
وانجر الكلام اليه ههنا حكى شبهة القوم وهي زعمهم انه مفترى وليس بوحي فقال ام يقولون افترى قال جار الله ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى اعظم انواع الفرية وهو الافتراء على الله ثم اجابهم بقوله فان يشاء الله يختم
على قلبك اي يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان مثل حالهم والغرض المبالغة
في استبعاد الافتراء من مثله والتعريض بان من ينسبه الى الافتراء فهو مختوم على قلبه وقيل لا ينسيك ما اتاك من
القرآن ولكنه لم يفعل فاثبته عليه وقيل لا مالك فان ذلك المسيب كالمختوم عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله قتادة ومقاتل ومجاهد
ومقاتل يربط على قلبك بالصبر على اذاهم فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه ثم استانف فقال ويمح الله الباطل اي من عادته ذلك
ولو كان محمد مبطلا لفضحه وكشف عن باطله وحذف الواو من الخط لا للجزم كما في قوله ويدع الانسان سندع الزبانية وفي تفسير
الجاني ان الواو حذف للجزم والمعنى ان افتريت نختم على قلبك ويمح الباطل المفترى والاستيناف على هذا من قوله ويحق الحق
بكلماته اي يثبت ما هو الحق في نفسه بوحيه او بقضائه فيجب ان يكون وعدا لرسول الله بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من
البهت والتكذيب ويظهر الحق الذي انت عليه وهو القرآن بحكمه السابق وبعلمه القديم انه عليم بذات الصدور فيجازي
المبطل والمحق على حسب حاليهما وحين وبخهم على البهت والتكذيب دلهم على التوبة وعرفهم انه يقبلها من كل مسيء
والاية واضحة مما سلف فاراث ولاسيما في اول البقرة في قصة ادم اما الضمير في قوله ويستجيب فعائد الى الله سبحانه والمعنى
ويستجيب لهم بحذف الجار والمراد انه اذا دعوه استجاب لهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم تفضلا وقيل الضمير
فيه وانما الفاعل بعده فاعله قال سعيد بن جبير المراد ان المؤمنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم
انه قيل ما لنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا
وحيث وعد الاستجابة للمؤمنين كان لسائل ان يقول انا نرى المؤمن في شدة وبلية وفقر ثم انه يدعو الله فلا
يشاهد اثر الاجابة فلا جرم قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض اي لظلم بعضهم بعضا وعصوا الله
وهذه ليست نتيجة كلية دائمة ولكنها اكثرية فان المال معين قوي على تحصيل المطالب ودفع الالام النفسانية واذا
كانت الالة موجودة ودواعية الشر في طبع الانسان بحوله فقلما لا يقع مقتضاه في الخارج وايضا ان اكثر الناس انما
يخدم مثله وينخفض طمعا في ماله او حاجة التابع للمال غالبا فلو تساويا في المال استنكف كل منهما من الانقياد لصاحبه
فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الاية نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا وغار
بعضهم على بعض ولبعضهم قوم اذا انبت الربيع بارضهم نبتت عداوتهم مع البقل وقال محمد بن جرير نزلت في اصحاب
الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله بقدر اي على قدر المصلحة دون قدر حاجة الشخص كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم
وحين بين ان حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق اراد ان يبين انه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ
امرهم الى حد الياس والقنوط فقال وهو الذي ينزل الغيث الاية ونشر الرحمة عموم المطر الارض او هي عامة
في كل رحمة سوى المطر وهو الولي الذي يتولى امور عباده الحميد على ما يفعله ولا ريب ان هذا من جملة دلائل القدرة
فلذلك عطف عليها قوله ومن اياته خلق السموات والارض ومحل قوله وما بث اما مجرور عطفا على السموات او
مرفوع عطفا على خلق وانما قال فيهما من دابة مع ان الدواب في الارض وحدها لان الشيء قد ينسب الى المجموع الذي
وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو فلان فعلوا كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط ويحتمل ان يكون للملائكة مع الطيران
مشي فوصفوا بالدبيب كالانسان او يكون في السموات انواع اخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان في الارض
وهو على جمعهم اي احيائهم بعد الموت اذا يشاء قدير واذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي ومعنى الاستقبال في
يشاء يعود الى تعلق المشيئة لا الى نفس المشيئة القديمة ثم بين حال الكافرين وانما يصيبهم من المكروه والبلاء فهو عقوبة
للمعاصي التي اكتسبوها وان الله يعفو عن كثير من الذنوب او الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة واسند لحقا قال الحسن
المراد انه الحدود على المعاصي وانه لم يجعل لبعض الذنوب حدا فقيل ان هذا في التوبة فان الدنيا دار تكليف

لا دائم جزا ولقائل ان يقول كون الجزاء الادنى والاثم مخصوصا بالقيمة لا ينافي وصول بعض الجزاء الى المكلف في
الدنيا ولهذا قال علي كرم الله وجهه هذه اية لرجاء المؤمنين في كتاب الله وذلك انه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين
صنف يكفره عنهم بالمصايب وصنف يعفو عنهم وهو كريم لا يرجع في عفوه ثم لو علمت القضية وقيل ما كسبت ايديكم
فانه يصيبه به الم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الاخرة ولحصول العفو ايضا روي عن علي بن ابي طالب
ان النبي صلعم قرا هذه الاية فقال ما عفا الله عنه فهو اعز واكرم ان يعود اليه في الاخرة وما عاقب عليه في الدنيا
فالله اكرم من ان يعيد العذاب عليه في الاخرة قال اهل التناسخ لولا الاطفال والبهايم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه
الحالة ما كانوا ليتالموا فانهم لا ذنوب لهم الان واجيب بالتزام انهم لا يتالمون من المصايب والالام وقيل تعدو بان
الخطاب في الاية لذوي العقول البالغين وبانها في البالغين عقوبة او زيادة درجة وفي الاطفال المثوبة لهم او للوالد
ثم خاطب المشركين بقوله وما انتم بمعجزين الاية ثم ذكر دليلا اخر فقال ومن اياته الجواري اي السفن الجواري في
البحر كالاعلام اي كالجبال في العظم ولا ممسك لها الا هو لانها بسبب هبوب الرياح فلذلك قال ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره اي يبقين واقفة على ظهر ماء البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على البلاء شكور على الالاء
او صابر في السفينة شكور اذا خرج منها او ان يشا يوبقهن اي يهلك السفينة بما فيها بالغرق او بالكسر لعصوف
الريح وغيره بما كسبوا من كفران نعم الله وعصيانه ويعف عن كثير من الذنوب فلا يجازي عليها في الدنيا او لا فيها ولا في
الاخرة والحاصل انه ان يشاء ابتلى الريح فتنبعق الجواري واتفقت على متن البحر وان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على
طريقة العفو عنهم من رفع ويعلم فعلى الاستيناف ومن نصب فقد يعطف على تعليل محذوف اي لينتقم منهم ويعلم قال
في الكشاف فقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب باضمار ان لان قبلها جزاء يقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وجهه
ان هذا في تاويل المصدر معطوفا على مصدر اصنع مقدرا ثم استانف قوله ما لهم من محيص اي لا مهرب لهم او لا بد عن
عقابه ثم رغب المكلفين عن الدنيا وفي الاخرة وقد مر نظيره في القصص الا انه ذكر ههنا ان هذه الخيرية انما تحصل
للمؤمنين بصفات احديها الايمان والثانية التوكل على الرب والثالثة الاجتناب عن الكباير والفواحش كقوله
ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه انما حرم ربي الفواحش ومن قرا كبير على التوحيد فللجنس وفسرها ابن عباس بالشرك
والرابعة الغفران عند الغضب وهم تاكيد الضمير او مبتدا او يغفرون خبره قال بعض العلماء يحتمل ان يراد بالكباير
البدع والعقايد الفاسدة وهي من فساد القوة العقلية وبالفواحش فساد القوة الشهوية وبالاخيرة ما يتعلق بالقوة
العصبية قال المفسرون نزلت قوله والذين استجابوا لربهم في الانصار دعاهم الله ورسوله الى التوحيد فاطاعوا
وامنوا به وبقضايه وداوموا على الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام متشاورين في كل امر وهم عن منزه بن ابي الشورى
مصدر كالفتيا والقيان تحذف اي ذو التشاور وليس بين قوله هم ينتصرون اي ينتقمون وبين قوله يغفرون
منافاة فان هذا اخص من الاول اذ البغي هو الذي يودي الى الفساد ولا يصير عفوه سببا لتسكين ثايرة الفتنة
ولرجوع الجاني عن جنايته وتجريه ان يتوجه المدح في الانتصار الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه
حتى لو اعتدى عليهم لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس صفات اخرى للراغبين في الدار الاخرة ثم بين ان شرعية
الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها حتى لو قال اخزاه الله لا يزيد عليه في الجواب
شيئا وسمي الثاني سيئة لازدواج الكلام او لان السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص في القطع وسائر
الجنايات وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في قتل النفس بنفس واحدة وكقطع الايدي بيد واحدة اذا تعاونوا على قطعها
وتحقيق ذلك في الفقهية وانما عرف ذلك بنص اخر او بقيا ... ثم حث مع ذلك على العفو والصفح بقوله فمن عفا
واصلح ما بينه وبين خصمه بالاغضاء والعفو فاجره على الله فان الانتصار حسن في نفسه ولا سيما اذا كانت فيه
مصلحة دينية كزجر مارد فداع الا ان العفو احسن لانه لا يكاد يومن في الانتصار والتجاوز عن حد الاعتدال
لهذا حذر منه بقوله انه لا يحب الظالمين روي عن النبي صلعم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان
له اجر على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة باذن الله ثم كرر ان الانتصار لا يواخذ به ولا سبيل للوم اليه ليعلم انه لا يظن ان وعد الاجر على العفو يقتضي قبح الانتصار

في نفسه فقال ولمن انتصر الاية وقوله من بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول والباقي واضح الى قوله الامور
وانما ادخل اللام في الخبر جلاء تاكيد ليفيد ان الصبر على المكروه الذي هو ظلم اشد من الصبر على الذي ليس بظلم وفيه
الحث على الصبر لمزيد التاكيد ايضا ثم ذكر ان الضلال والهداية التي هي نقيضه انما تتعلق بمشيته والمعتزلة يأولون الاضلال
بالخذلان او بالاضلال عن طريق الجنة ثم حكى ان الكفار عند معاينة العذاب النار يتمنون الرجعة الى الدنيا ثم عقبه بذكر
حالهم حين يعرضون عليها والخشوع بمعنى الهوان ولهذا علق به قوله من الذل وقد تعلق بينظرون اي بهذا السبب
يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف فان الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها وقد تفسير الطرف الخفي بعين القلب
بناء على ان الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم والاكثرون اجابوا عنه بانه تعالى لعلهم يكونوا في الابتداء هكذا ثم
يجعلون عميا او لعل هذا في قوم وذلك في قوم ثم حكى قول المومنين فيهم يوم القيمة ظرف لخسروا وكما في الزمر يحتمل ان يكون
قول المومنين فيه او في الدنيا وقد مر في الكشاف انكم لتنظروا في الظالم والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص ولا من قدرة على ان
تنكروا شيئا مما تدونه في صحايف اعمالكم او ما لكم من منكر علينا حتى يغير شيا من احوالكم ثم سلى نبيه صلعم بقوله فان اعرضوا
ثم ذكر سبب اصرارهم على عنادهم لقاسيهم وهو الضعف الذي جبل عليه الانسان من البطر عند الغنى والفزع
عند نزول المصايب والاية وفي الكفوران وسيان نعم الله عند البلاء فانما جمع قوله وان تصبهم لان الانسان جنس يشمل
اهل الغفلة كلهم وفي قوله فان الانسان من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيه التسجيل على ان هذا الجنس من شانه
ذلك الا ادب النفس وراضها ثم بين كمال قدرته بقوله لله ملك السموات والارض الاية والمقصود ان لا يغتر
الانسان بما ملكه من الجاه والمال ولا يعتقد انه حصل بحوله وقوته فيعجب به ويعرض عن طاعته ثم ذكر من اقسام
تصرفه في ملكه انه يخص البعض من الحيوان بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين والبعض
يجعله عقيما والولد وقد ذكر الاناث تطييبا لقلوب ابائهن او لانهن مكروهات عند العرب فناسب ان يقرن اللفظ الدال
عليهن باللفظ الدال على البلاء او لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاوه لا ما يشاوه الانسان وكان ذكر الاناث التي هي
من جملة ما لا يشاوه الانسان اهم وفيه نقل الانسان من الغم الى الفرح ولا ريب ان هذا اولى من العكس وفيه ان
الانسان اذا رضي بالانثى فاذا اعطاه الذكر علم انه تفضل من الله وفيه ان الخير كلما كان اتم كانت عنايته الله بحال اوفى
ثم اراد ان يبدا بركنا اخيرهم ودفع لخفاء بالتقديم وعرف الذكور لانه مع رعاية الفاصلة تنويه وتشهير كانه قال ويهب
لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال او يزوجهم ذكرانا واناثا فاعطى كلا الجنسين حقه ونصبهما على الحال والضمير للاولاد
او على المفعولية والضمير لمن يشاء اي يجعل لهم كلا الصنفين متساويين في العدد ام لا وقيل معناه ان تلد اولادا
ثم جارية ثم غلاما وقيل ان تلد ذكرا وانثى في بطن واحد قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس ان
الاية نزلت في الانبياء وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم صلوات الرحمن عليه ذكورا ولمحمد صلعم ذكورا وهم القاسم
والطاهر وعبد الله وابراهيم واناثا وهن فاطمة وزينب ورقية وام كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق انه هذا
التقسيم وان كان منطبقا لحال هولاء الانبياء الا ان في التخصيص ضعف ولين صحت الرواية عن ابن عباس
فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحمل بعض اهل التاويل الاناث على امور الدنيا والذكور على امور الاخرة
والتزويج الصنفين على الجامع بين الامرين والعقيم على من لا دين له ولا دنيا ثم اكد كمال القدرة بقوله وما كان لبشر
اي وما صح لاحد ان يكلمه الله الا على احد ثلثة انحا الاول الوحي وهو الالهام او المنام كما اوحي الى ام موسى والى ابرهيم
صلوات الرحمن عليه في ذبح ولده وعن مجاهد ان داود عليه السلام الهم الزبور فكتبه حفظا الثاني التكليم
بلا واسطة ولكن من وراء حجاب والمجسمة استدلوا به على انه تعالى في جهة فان الاحتجاب لا يعقل الا من ذي
جهة ومكان واجيب بان هذا مثل لانه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص فانه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى
وكلم الملايكة وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث او يرسل رسولا كجبرئيل فيوحي الملك باذن الله الى النبي ما يشاء والاقسام
الثلثة كلها من قبيل الوحي ولكنه سبحانه جعل الوحي في الاية خاصة بالاول وتقدير الكلام وما صح ان يكلم احدا الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا او الا وحيا او اسماعا او ارسالا او الا ان يوحي او يستمع او يرسل ومن قرا بالرفع فعلى
الاستيناف بمعنى او هو يرسل وعلى الحال بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى موحيا وقيل الوحي هو الحجاب الى الرسل بواسطة

الملايكة وارسال الرسل ارسال الانبيا الي الامم فايدة الصحيح عند اهل الحق ان الشيطان لا يقدر على القا الباطل في اثنا الوحي وقد يقال ان يوجبه التكليف الي العبد لا يتم الا بثلث مرات من المعجزات وذلك ان التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله تعالى والمسطو فالملك يحتاج الي معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله فاذا بلغ الملك ذلك الكلام الي النبي فلا بد للنبي من مشاهدة معجزة تدل على صدقه فاذا بلغ الرسول الي امته فالامر كذلك وهذا الثالث مشهور متفق عليه واما الاولان فلعلها يعرفان بنوع الباطن ولا يفتقر الي المعجزة لا في اول الامر ولا في كل مرة قال اهل التصديق ان الاقسام الثلثة اجتمعت لنبينا صلعم لانه في بدو الاسلام يرى الرويا الصادقة كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء حجاب ليلة المعراج وكان ياتيه جبرائيل الي اخر عمره فلهذا قال عن قايل وكذلك اوحينا اليك يحتمل ان يراد كما اوحينا الي ساير الانبيا اوحينا اليك يعني بالطريق الكذب وهو القسم الثالث ومعنى روحا من امرنا قرانا من عندنا او مما لم امرنا كقوله يلقي الروح من امره ما كنت تدري في المهد او قبل البلوغ او قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان يعني ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكون في معرفته مجرد العقل والنظر ويتوقف على النقل واذن الشرع وقيل اراد اهل الايمان يعني من الذي يومن ومن الذي لا يومن والضمير في جعلناه للقران او للايمان او لهما جميعا او ما يتعلق له واذا اراد بالجارة الايه وهداية الله خاصة وحكاية النبي عامة في الدعوة وصراط الله دينه ومصير الكل اليه عبارة عن رجوعهم الي حيث لا حكم لاحد سواه والله اعلم بالصواب

سورة الزخرف تسع وثمانون اية مكية حروفها
ثلثة الاف واربع مائة كلماتها ثمان مائة وثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام

جبر

غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون

القراءة في ام الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلي ان كنتم بالكسر ابو جعفر ونافع وعلي وحمزة وخلف الاخرون بالفتح اي لان كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلي وخلف ويرج البا وزن مهادا مبنيا للمفعول يزيد ينشوا من الخروج حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان الاخرون من الاخراج ينشوا من باب التفعيل حمزة وعلي وحفص الباقون بتخفيف البا معنى خلو النون ساكنة عباد الرحمن جمع عبد او عابد ابو عمرو وعاصم وحمزة وخلف ونافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله عند ربك الاخرون عبيد الرحمن اوشهدوا بقلب همزة الاستشهاد واوا مضمومة وي بشي واسمعيل ونزا ويزيد وقالون مثله ولكن بالمد ونزا المفضل بتحقيق الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام والثاني مفتوحة قال اولو بالالف ابن عامر وحفص والمفضل جيتكم يزيد

الوقوف حم كوفي المبين ومن لم يقف على حم وقف على المبين لان القسم متعلق بما بعده وهو هله حم تعقلون حكيم مسرفين الاولين يستهزئون الاولين العليم بنا على ان ما بعده وصف ولو كان نصبا او رفعا على المدح والوقف بهتدون بقدر للالتفات مع الفاء مبتا لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه تخرجون تركبون مقرنين لا ان ما بعده من تمام المقول لمنقلبون جزءا مبين بالبنين كظيم مبين اناثا خلقهم ويسألون ما عبدناهم يخرصون مستمسكون مهتدون مقتدون اباوكم كافرون المكذبين تعبدون سيهدين يرجعون مبين كافرون

التفسير اقسم بالقران الظاهر الاعجاز او المبين عن كل حكم يحتاج المكلف اليه انه جعل القران بلغة العرب ليعقلوه وفي نسبة الجعل الي نفسه اشارة الي انه ليس بمخزي كمان عنه الكفرة وقيل ارادوا به الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ فقال ابن بحر هو الخط اقسم به تعظيما النعمة فيه وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر او السمع وذلك على خمسة اوجه لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة كالاعراض وتكليح الوجه وام الكتاب بكسر الهمزة وبضمها اللوح المحفوظ لانه اصل كل الكتاب والتقدير وانه لعلي حكيم في ام الكتاب لدينا والعلو علو الشان في البلاغة والارشاد وغير ذلك والحكيم المشتمل على الحكمة ثم انكر على مشركي قريش بقوله افنضرب قال جار الله اراد انهملكم فنضرب عنكم الذكر فعال ضرب عنه الذكر اذا امسك عنه واعرض عن ذكره من ضرب في الارض اذا ابعد وصفحا مصدر من غير لفظ الفعل والاصل فيه ان تولي الشي صفحة عنقك وجوز جار الله ان يكون بمعنى جانبا فتخرج اليه بصفح

وجهه ينتصب على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ والقرآن والمعنى افنمنعه عنكم جانبا وقيل ضرب الذكر رفع القرآن
عن الارض اي فنرفع القرآن من بينكم لاجل اسرافكم لا بشر الحكم مع علمنا بانه سيأتي من يقبله ويعمل به وقال السدي افنترككم
سدى لا نأمركم ولا ننهاكم وهو قريب من الاول وقيل الذكر هو ان تذكروا بالعقاب ولا يخلو من مناسبة
لقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا من نزلن كنتم بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقك عمك في كلامه
ان تفريطه في الخروج من عهدة الاجر يفعل من يشك في الاستحقاق مع تحققه في الخارج ثم سلى نبيه بقوله وكم ارسلنا
الايتين كقوله اشد منهم قوة من نزلن ابلة والمراد اشد بطشا لعاد وثمود وقيل الضمير للقوم المسرفين والاصل اشد منكم
الا انه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ومضى مثل الاولين اي سلف ذكرهم
وقصتهم العجيبة في القرآن غير مرة ويحتمل ان يكون معناه كقوله وقد خلت سنة الاولين ثم بقوله ولئن سألتهم
ان كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعرفون الله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف
من كلام الله لا حكاية قول الكفار بدليل قوله كم ولم يقل لنا ولقوله فانشرنا والمراد ليبتنى خلقها الى النبي هذه اوصافه
تقدمت في طه مثله وقوله يهتدون اي في الاسفار والى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله تبدي اي تبدل الحاجة
لا يجرما برناكاف الطوفان وفي لعميت تذكيره باويل المكان الازواج الاصناف وقد مر في قوله سبحان الذي خلق الازواج
والعائد الى ما في قوله ما تركبون محذوف تلك ان تقديره مذكرا اوموتنا باعتبار من قال في الكتاب فقال تركب
الانعام والتعلق في الفلك الا انه غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بواسطة تلك يجوز ان يكون كقوله ويوم تشهد
والضمير في ظهوره عائد الى ما والاستواء في الآية ومعنى التمكن والاستقرار وذكر النعمة بالقلب يحمل قوله بل باللسان وهو تقديم
الحمد لله يروى ان النبي صلعم كان اذا وضع رجله في الركاب قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله
لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا واذا ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم ومعنى مقرنين
مطيقين اي ما يطيق مع صعوبة خلقه وخلقته وقيل بنطيق ان يقرن بعضها ببعض حتى تسير الى حيث نريد وانا الى
ربنا لمنقلبون اي في آخر عمرنا كانه يتذكر الحيات او عثور الدابة او انكسار السفينة فيستعد للقاء الله عز وجل بخلاف
من يركب الحيوان او الزوارق لاجل التنزه والاشتغال بالملاهي والمناهي فيكون غافلا من المبداء والمعاد عن بعضهم
انه ادخل اللام في الخبر ههنا خلاف ما في الشعراء لان ركوب الدابة والسفينة والجنازة عام لكل احد وما في الشعراء
خاص بالسحرة ثم عاد الى ما انجر الكلام منه وهو قوله ولئن سألتهم والمقصود التنبيه على سخافة عقولهم وقلة تحصيلهم
فانهم مع الاقرار بان خالق السموات والارض هو الله جعلوا له من عباده جزءا اي اثبتوا له ولدا وذلك ان ولد الرجل
جزء منه قال صلعم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وفي قوله من عباده اشارة الى ان ما عداه ممكن الوجود فان الولد
متاخر في الوجود عن الاب والمتأخر عن الواجب ممكن وكل ممكن مفتقر الى الواجب في الوجود والبقاء والذات والصفات
وقيل هو انكار على مسمى الشركاء لانهم جعلوا العبادة لغير الله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ الكفر لانه يجحد به
وخالقه اولا بجحد في تنزيهه وتقديسه وحين يحكم على اثبات الولد فيجزيهم بتجهيلهم والتعجب من حالهم
حيث جعلوا ذلك الولد بنتا مع انها مكروهة عندهم فقال ام اتخذ مما يخلق وفائدة تنكير بنات وتعريف البنين كما مر
في آخر السورة المتقدمة في تنكير اناث وتعريف الذكور وقوله بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله شبيها
لله لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد انه اذا بشر بالانثى كما سبق في النحل اغبر لونه وجهه وملئ غيظا وكربا
ثم زاد في الانكار بتعديد طرف من نقصان الاناث قائلا او من ينشؤ والتقدير او جعلوا وقال الجبائي انه تقديره
او يجعل للرحمن من الولد من له هذه الصفة الذميمة يربى او ينشؤ في الزينة والنعومة وهو اذا احتاج الى
المخاصمة لا يبين ولا يعرب عما في ضميره لعجزه عن البيان لقلة عقله ناقصات العقل فلما تكلمت امرءة فارادت ان
تعرب عن حجتها الا نطقت بما هو حجة عليها وفيه ان التنشؤ في الزينة والامعان في التنعم من خصائص
ربات الحجال لا من خواص الرجال وانما ينبغي ان يكون تلبسهم بلباس التقوى وتزينهم باستعداد الزاد للدار الاخرى
ثم خصص ان البنات التي يبتي اليه نعم هن اي جنس هن بعد ما عمم فيه في قوله مما يخلق فقال وجعلوا اي
سموا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي اثبات العبودية لهم نفي الجزئية عنهم كما مر آنفا وقوله اشهدوا

خلقهم كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لانه لم يدل على ذلك عقل ولا نقل صحيح فلم يبق
الا الاخبار عن المشاهدة اخلق الله اياهم ومشاهدتهم صفة الملائكة ثم اوعدهم بقوله ستكتب شهادتهم على ان الملائكة
بنات ثم حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي الاصنام والملائكة وقد مر نظيره
في آخر الانعام سيقول الذين اشركوا الآية واستدلال المعتزلة به ظاهر لانه وبخهم بقوله ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون اجاب الزجاج عنه بان قوله ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم والملائكة بنات الله والمراد لو شاء
الرحمن ما امرنا بعبادتهم كقوله والله امرنا بها فلهذا انكر الله عليهم قاله الواحدي في بسيطه وقيل قالوها استهزاء
ولو نبيه جازاه الله بانه لا يمشي في اقواله المتقدمة والا كانوا صادقين مؤمنين ويحمل هذا الاخير مصدقا للعلي وحده
دون ما قبله ويتسع الكتاب فتمام البحث بين الفريقين مذكور في الانعام وانما ذكر في الجاثية انهم الا يظنون
ان هنا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب صدقوا في قولهم نموت ونحيا وكذبوا في قولهم وما يهلكنا الا
الدهر وكانوا شاكين في امر البعث ثم زاد في الانكار عليهم بقوله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن
او الرسول فهم به مستمسكون ثم اضرب عن ذلك واخبر انه لا مستند لهم في عقائدهم فانهم الا التقليد والامة
الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد ثم سلى نبيه صلعم بان هذه داب اسلافهم وداء قديم في جهال بني آدم وانما قال
اولا مهتدون وثانيا مقتدون لان العرب كانوا يتفاخرون ويدعون الاهتداء ولعل الامم قبلهم لم يدعوا الا الاقتداء
بالآباء دون الاهتداء ثم اجعوا ان النذير قال او لو جئتكم او محمد ان يقول او لو جئتكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم
بدين اهدى من دين آبائكم فاصروا على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم ثم ذكر قصة ابراهيم ان التوسل بالتقليد
المنع من التقليد وذلك ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه كان اشرف آباء العرب وانه ترك دين الآباء لاجل الدليل فلو كانوا
مقلدين لآبائهم وجب ان يتبعوه في الاعتماد على الدليل لا مجرد التقليد والبراء بالفتح مصدر اي ذو براءة وقوله
الا الذي فطرني قيل انه متصل وكانوا منهم من يعبد الله مع الاصنام وقيل منقطع بمعنى لكن ويحتمل ان يكون مجرورا
بدلا من ما اي الا من الذي وجوز في الكشاف ان يكون الا صفة بمعنى غير وما موصوفة تقديره انني براء من الهة
تعبد ونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي يثبتني على الهداية او يرشدني الى طريق الجنة ولا ريب ان قوله انني براء
مما تعبدون بمنزلة لا اله الا الله وقوله الا الذي فطرني بمثابة الا الله وهي كلمة التوحيد فلذلك كانت الضمير في قوله
وجعلها اي وجعل ابراهيم او الله كلمة التوحيد باقية في عقبه فلا تزال في ذريته من يوحد الله عز وجل ويدعو الى
توحيده تطيعه ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ايحاءهم لعل من اشرك منهم يرجع الى التوحيد او عن الشرك بدعاء الموحد
منهم ثم اضرب عن رجاء الرجوع منهم الى ان متعهم بالعمر وسعة الرزق وصار سببا لعظم كفرهم وشدة عنادهم
فالمعنى بل الله ابدا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها فحصل بهذه الغاية
انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبيه ثم ابتدا قصتهم عند مجيء الحق قائلا ولما جاءهم وابدا هو ما يسمى عن غفلتهم وضموا
الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول وانكار القرآن والله اعلم بالصواب

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ

الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ۝ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين ۝ وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ۝ حتى اذا
جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ۝ ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم في العذاب مشتركون ۝ افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ۝
فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ۝ او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ۝ فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم ۝ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ۝
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون ۝ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول
رب العالمين ۝ فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ۝ وما نريهم من آية الا هي اكبر
من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ۝ وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك
بما عهد عندك اننا لمهتدون ۝ فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ۝ ونادى
فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من
تحتي افلا تبصرون ۝ ام انا خير من هذا الذي هو مهين ۝ ولا يكاد يبين ۝ فلولا
القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين ۝ فاستخف قومه فاطاعوه
انهم كانوا قوما فاسقين ۝ فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ۝ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين

القراءة سقفا بالفتح والسكون ابن كثير وابو عمرو ويزيد الباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال ابو
عبيد ولا ثالث لهما لما بالتشديد عاصم وحمزة وبعض الروايات الاخرون بالتخفيف فان مخففة واللام فارقة كما مر في
الاخرون نقيض على الغيبة والضمير الرحمن يعقوب وحماد الاخرون بالنون جاءنا على الوحدة والضمير للعاشي حمزة وعلي
وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وابي عمرو ويعقوب الباقون بالف التثنية والضمير للعاشي وقرينه انكم
في العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ايه الساحر بضم الهاء مثل ايه المؤمنون وقد مر في النور تحتي
بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير ونافع وابو جعفر اسورة كاخربة حفص وسهل ويعقوب الاخرون اساورة كاشاعرة
وهي جمع اسوار بمعنى السوار واصله اساوير الا انه عوض من الياء هاء في اخره سلفا بضمتين حمزة وعلي جمع سليف

الباقون كخادم وخدم الوقوف عظيم ه نصف الجزء رحمة ربك ط سخريا ه يجمعون ه يظهرون ه يتكؤن ه وزخرفا ه الدنيا ط
للمتقين ه قرين ه مهتدون ه القرين ه مشتركون ه مبين ه منتقمون ه مقتدرون ه اليك ج لاحتمال التعليل مستقيم ج ولقومك للعطف مع سين
التهديد تسئلون ه نعبدون ه العالمين ه يضحكون ه من اختها لنوع عدول يرجعون ه لمهتدون ه ينكثون ه تحتي ج للاستفهام مع
اتحاد الكلام تبصرون ه بناء على ان تقطعه يبين ه مقترنين ه فاطاعوه ه فاسقين ه اجمعين ه للآخرين ه التفسير هذه حكاية
شبهة لكفار قريش وذلك انهم ظنوا ان الفضيلة في المال والجاه الدنيوي فقالوا لولا نزل هذا القرآن وفيه الاشارة صريحا الى
استخفافهم بكتاب الله على رجل من القريتين اي من احديهما يعنون مكة او الطائف قال المفسرون الذي بمكة
هو الوليد بن المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفي ومنهم من قال غير ذلك وارادوا بعظم الرجل رياسته
وتقدمه في الدنيا فالزمهم الله تعالى ما حرفه اولها على سبيل الانكار اهم يقسمون رحمة ربك اي النبوة فيضعونها
حيث شاؤا نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا اي خدما وتابعا ولعل كون اللام لام العاقبة فان الانسان خلق مرتبا بالطبع وقالت المعتزلة للغرض
واذا كانت المعايش الدنيوية مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون احد من خلقه
فالامور الدينية والمناصب الشريفة الاخروية اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الاية انكار الرزق منهم
فكيف تكون النبوة منهم واستدلال النبي بالاية ظاهر في كل الامر انى من الله حلالا كانت او حراما وقالت المعتزلة
الله تعالى قاسم ولكن الصادم الذين يكتسبونها صفة الحرمة لسوء مالهم والجواب انه كما قسم الرزق
الرزق وكل بتدبيره ونائبها قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون لان الدنيا منقضية فانية ودين الله وما يتبعه من
السعادات باق لا يزول فكيف يجعل العاقل ما هو الاخس افضل مما هو اشرف ثم اتبعها قوله ولولا ان يكون الناس
امة واحدة مجتمعين على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم هو بدل الاشتمال وقيل هي كقولك وهبت له ثوبا
لقميصه في ان اللام للعوض والمعارج المصاعد والمراقي جمع مرقى ومعرج كمحلب عليها اي على المعارج عليها يظهرون
يعلون السطوح والزخرف الزينة اي جعلنا لهم زينة عظيمة في كل باب وقيل الذهب اي جعلنا لهم مع ذلك ذهبا
كثيرا ووجه آخر على هذا التفسير وهو ان يكون على قوله من فضة الا انه نصب بنزع الخافض اي بعضها من
فضة وبعضها من ذهب والحاصل انه سبحانه انه وسع على الكافرين كل التوسعة لظن الناس الكفر يجمعهم الدنيا
ونيالهم عليها مع حقارة للدنيا عند الله تعالى وفي معناه قول نبينا صلعم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء وانما لم يوسع المسلمين كلهم لئلا يكون رغبة الناس في الاسلام لمحض الاغراض الاجل
الدنيا ثم بشر المؤمنين بقوله وان كل ذلك الى آخره وقالت المعتزلة في الاية دلالة على ان اللطف من الله تعالى
واجب وفيه انه تعالى لم يفعل بالناس التوسعة لئلا يجتمعوا على الكفر فلان لا يخلوا فيهم الكفر اولى والجواب
انه وقوع كل الناس في طريق الكفر محذور واما وقوع البعض فضروري فشتان بين الممتنع الوجود والضروري
الوجود فكيف يقاس احدهما على الآخر ثم بين ان مادة الآفات واصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون
الى اهلها فان ذلك بمنزلة الرمد للبصر ويصير بالتدريج كالعشى ثم العمى فقال ومن يعش عن ذكر الرحمن اي عن
القرآن اي يعرف انه الحق ولكنه يتجاهل قال جار الله يقال عشى يعشو بفتح السين ايضا والفرق انه اذا حصلت الآفة في بصره
يقال عشي بالكسر اي عمي يعشى بالفتح واذا نظر العشي ولا آفة به قيل عشى اي تعامى وفيه معنى الاعراض
فلهذا عدي بعن ومعنى نقيض نقدر كما مر في حم السجدة وانهم اي الشياطين ليصدونهم اي العاشين عن دين الله
ويحسبون اي الكفار ان الشياطين او الكافرين مهتدون وانما جمع الضمير لان من عام وشيطانا بالعكس ولا تشكل
ان هذا القرين ملازم له في الآخرة لقوله حتى اذا جاءنا واما اذا جاءنا واما في الدنيا فمحتمل بل لازم لقوله صلعم
كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وفيه دليل ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره اخذ شيطانا بيده فلم يفارقه
حتى يصيرهما الى النار فلذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب
بالقرين وقيل المغرب ايضا مشرق بالنسبة الى الحركة الثانية وهذا قول اهل الهيئة وقيل مشرق الصيف و
مشرق الشتاء وفيه ضعف لانه لا يبعد مبالغة ثم بين الله تعالى ان ذلك التمني لا ينفعهم وعلله بقوله انكم من

قرا بالكسر فظاهر ومن قرا بالفتح فعلى حذف اللام اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويحتمل ان يكون ان في قراءة الفتح فاعل ينفعوا اي لن ينفعكم كونكم مشتركين
في العذاب وان قيل المصيبة اذا عمت طابت وذلك لان كل احد مشتغل في ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه واذ
بدل من اليوم ومعناه اذ صح ظلمكم وتبين ووضح لكل احد ثم انه صلعم كان يتحزن على فقد الايمان منهم فسلاه
بقوله افانت الى اخره وقوله فاما نذهبن بك الاية به نقبض روحه كقوله او نتوفينك في يونس وفي المومن فانا منك
بعض الذي نعدهم ابتقمي منك والانتقام اما في الاخرة وهو قول الجمهور او في الدنيا عن جابر انه قال لما نزلت
فانا منهم منتقمون قال النبي صلعم لعلي بن ابي طالب اورده في تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا
منهم منتقمون يوم بدر والحاصل انه تعالى توعد الكفار بعذاب الدنيا والاخرة جميعا ثم قال للنبي سواء عجلنا
لك الظفر والغلبة او اخرناه الى الاخرة فكن متمسكا بما اوحينا اليك فان الدين الذي لا عوج له وانه شرف
لك ولقومك اي لجميع امتك ولقريش وسوف تسالون هل اديتم شكر هذه النعمة ام لا قال اهل التحقيق في الاية
دلالة على ان الذكر الجميل امر مرغوب فيه لعموم اثره وشموله كل مكان وكل زمان خلاف الحياة المستعارة فان اثرها
لا يجاوز مسكن الحي قلت الذكر الجميل جميل ولكن الذكر الحاصل من القران اجل رزقنا الله طرفا من ذلك
بعميم فضله ثم ان السبب الاقوى في بعض الكفار وعداوتهم للنبي صلعم كان انكار الاصنام فبين الله
تعالى انه غير مخصوص بهذه الدعوة وهذا الانكار ولكنه دين اطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفي الاية اقوال
احدها ان المضاف محذوف تقديره وسل يا محمد امم من ارسلنا فقال القفال الحذف صلة بالتقدير من ارسل
من ارسلنا اليهم من قبلك رسولا من رسلنا والمراد اهل الكتابين لانهم كانوا يرجعون اليهم في كثير من امورهم
نظيره فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وثانيها ان حقيقة السوال
ممتنعة ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم وثالثها ان التقدير وسل جبريل عمن ارسلنا ورابعها
ان النبي صلعم جمع له وسائر الانبياء ليلة المعراج في السماء او في بيت المقدس فامهم وقيل اسالهم فلم يسال وقال اني لا اشك
في ذلك قاله ابن عباس وعن ابن مسعود ان النبي صلعم قال اتاني ملك فقال يا محمد اسال من ارسلنا من
قبلك من رسلنا علام بعثوا قال قلت علام بعثوا قال على ولايتك وولاية علي ابن ابي طالب رواه الثعلبي ولكنه
لا يطابق قوله سبحانه اجعلنا الاية وجوز بعضهم ان يكون من مبتدا وما استفهامية خبره والعائد محذوف اي
على الشتم ومعنى الجعل التشبيه والحكم واعلم ان كفار قريش انما طعنوا في نبوة محمد من جهة كونه فقيرا خاملا وكان
فرعون اللعين قد طعن في موسى بمثل ذلك حيث قال اليس لي ملك مصر الى قوله مهين فلا جرم اورد قصة موسى
ههنا تسلية للنبي صلعم قوله فلما جاءهم معطوف على محذوف تقديره فقال اني رسول رب العالمين فطالبوه اقامة البينة
على دعواه فلما جاءهم الى اخره قال جار الله فعلى المفاجاة في اذا مقدرة وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم
باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم استهزاء وسخرية قوله وما نريهم حكاية حال ماضية وفي قوله هي اكبر من اختها وجهان
احدها ان كل منها مثل نظيرتها التي تقدمت وكل من راى واحدة منها حكم بانها اكبرها لتناهي كل منها في الكبر
فاذا كان الحكم صادقا على كل منها وكلها كبار كما قال الحماسي شعر من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري وثانيها ان يقال ان الاية الاولى كبيرة والتي تليها اكبر من الاولى والثالثة اكبر من الثانية وكذلك
ما بعدها هذا القدر مستفاد من الاية فاما تفصيل ذلك التفصيل فلعله لا يطلع عليه الا الله وسيظهرها واخذناهم بالعذاب
السنين ونقص من الثمرات الى سائر ما ابتلوا به قالت المعتزلة لعلهم يرجعون اي ارادة ان يرجعوا وورد عليهم ان الرجوع
عن غيهم لو كان واجبا انه لو اراد نفس الفعل ولكنه اراد مختارا ورد بانه لو اراد ان يقع بطريق الاختيار لزم
ان يقع ايضا مختارا واما الفرق فالصواب ان يقال لعل للترجي ولكن بالنسبة الى المكلف كما مر مرارا وقالوا يا ايه
الساحر اي العالم الماهر ولم يكن السحر عندهم ذما بل كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا انا لمهتدون وقيل كانوا لقلة عقلهم
كغرورهم فلهذا اسموه ساحرا وقولهم انا لمهتدون وعد منوي وقولهم ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده
عندك من ان دعوتك مستجابة وقد مر في الاعراف ونادى فرعون اي امر بالنداء في مجامع قومه او رفع صوته

بذلك

٩٩

بذلك فيما بين خواصه فانتشر منه في غيرهم والانهار انهار النيل قال المفسرون كانت معظمها اربعة وستين نهرا
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني وعن عبد الله ابن المبارك السوري في تفسيره انه اراد بالانهار الجياد من
الخيل وهو موافق لما جاء في الحديث في فرس ابي طلحة فان وجدناه لبحرا وقال الضحاك معناه وهذا القواد والجبابرة
تحت وابي قال النحويون اما ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال او الواو للحال وما بعده
جملة محلها نصب وفي ام اقوال منها قول سيبويه انها متصلة تقديره افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير
موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال المسبب منزلة المسبب لان الابصار سبب لهذا
القول بزعمه ومنها انها منقطعة لانه عدد عليهم اسباب الفضل ثم اضرب عن ذلك فابتدا انا خير عندكم اي خير منها
انه القدر بما فلا تبصرون ثم بل اخبركم ام ابصرتم ثم استانف فقال انا خير من هذا المهين من المهانة الحقارة والضعف
[illegible]
[illegible]
الملك او السياسة او لبس معه حليه وذي جنس كان الملوك يتميزون برسلهم بالخلع والكرامات وبا [illegible]
ولذلك قالوا او جاء معه الملائكة مقترنين او يقترن بعضهم ببعض فاستخف قومه فاطاعوه اي حملهم على ان يخفوا في الطاعة
او استخف عقولهم واستجهلهم وهذا من عادات الليام كما قيل العبد لا يردعه الا العصا وان انت اكرمت اللئيم تمردا ومعنى
اسفونا اغضبونا واغضبوا رسلنا فجعلناهم سلفا اي متقدمين وعبرة للمتاخرين ليعتبروا من حالهم فلا يقدموا على مثل افعالهم

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ
إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا
بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ۝
لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝ أَمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ
لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ۝ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي
فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

القراءة يا عبادي بالياء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وقرا حماد وابو بكر بفتح الياء و
الباقون بغير ياء في الحالين تشتهيه بهاء الضمير نافع وابو جعفر وابن عامر وحفص الاخرون بحذفها واليه ترجعون بياء الغيبة
ابن كثير وحمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسر حمزة وعاصم غير المفضل الاخرون بالنصب يعلمون على الخطاب
ابو جعفر ونافع وابن عامر **الوقوف** يصدون ام هو جدلا خصمون اسرائيل يخلفون واتبعون مستقيم الشيطان
للابتداء بان مع اتصال المعنى مبين فيه لعطف الجملتين المختلفتين مع الفاء واطيعون فاعبدوه مستقيم من بينهم للابتداء
مع الفاء اليم لايشعرون المتقين يحزنون لاحتمال كون ما بعده وصفا مسلمين لاحتمال ان يكون الذين الي اخر الاية مبتدا
وقوله ادخلوا الي اخره خبرا والقول محذوف لا محالة تحبرون واكواب الاعين للعدول مع العطف خالدون تعملون تاكلون
خالدون لاتصال ما بعده صفة او حالا لاستئنافا مبلسون لاتصال ان ما بعده مستانف او حال الظالمين ربك ماكثون
كارهون مبرمون لان ام يصلح استفهاما اخر ونجواهم يكتبون العابدين يصفون يوعدون وفي الارض اله العليم
بينهما الساعة ترجعون يعلمون يؤفكون فالوقف بناء على قراءة النصب والوصل بناء على قراءة الجر وسياتي تمام البحث عن
اعرابها لا يؤمنون لئلا يوهم ان ما بعده من قبل الرسول سلام للابتداء بالتهديد تا لسجاوندي ومن قرا يعلمون على
الخطاب وقف لانه لئلا يصير التهديد داخلا في الامر بقوله قل قلت لا تحذور فيه لان السلام سلام توديع
لا تعظيم **التفسير** هذا نوع اخر من قبائح اقوال الكفرة قريش وهي تفسير المثل وهو للمفسرين اخرها ان الكفار لما سمعوا
ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا جاز ان نعبد الملائكة بنات الله وانتصب مثلا على انه مفعول ثان لضرب اي جعل
مثلا فالضارب للمثل كافرا اذ انزل في المثل او من ضربه تعبدون اي تجوعون ويصيحون في الزاب

الكفار الهتنا خير ام هو يعنون الملائكة خير من عيسى فتأنيبها فامر في اخر الانبياء انه حين نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعري للنبي صلعم قد علمت ان النصارى يعبدون عيسى وامه وعزير يعبد وما
الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم فسكت النبي صلعم وفرح القوم وضحكوا فانزل الله ان
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الاية وايضا والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى بن مريم مثلا اذا قومك
قريش من هذا المثل يصدون بالكسر والضم اي يرتفع لهم جلبة وضجاج فرحا وسرورا لما راوا من سكوت رسول الله
فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الاخر الفرح وقالوا الهتنا خير وهي الاصنام خير ام عيسى
من حصب النار كان امر الهتنا اهون فتفسير نزا بالضم من الصدود اي من اجل هذا المثل يعرضون عن الحق وقيل انه
انه صلعم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وان مثله عند الله كمثل ادم قال كفار مكة فان كان محمد اي يريد
ان نتخذه الها كما اتخذ النصارى المسيح الها وضجروا وضحكوا وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون محمدا وغرضهم ان الهتهم
خير لانها مما عبدها اباؤهم واطبقوا عليها فابطل الله كلامهم بقوله ما ضربوه لك الا لم يضربوا هذا المثل لاجلك الا
لجدال والغلبة دون البحث عن الحق بل هم قوم من عادتهم الخصومة واللدد ثم قرر امر عيسى بقوله ان هو الا عبد
انعمنا عليه بانا خلقناه من غير اب وصيرناه عبرة وحالة عجيبة ولو نشاء لجعلنا منكم اي بدلا منكم ملائكة في الارض
يخلفون يقومون مقامكم وقيل لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم
والغرض بيان كمال القدرة وان كون الملائكة في السموات لا يوجب لهم الالهية فالانتساب من الله ثم بين ما هو حال عيسى
بقوله وانه يعني عيسى لعلم للساعة لعلامة من علامات القيامة كما جاء في الحديث ان اهل الناس بعيسى لينزل
بيني بيده بني وانه او كتابا له يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام وقيل انه اذا نزل عيسى رفع
التكليف وقيل ان عيسى كان يحيي الموتى فعلم به الساعة والبعث وقيل الضمير في وانه للقران اي القران يعلم منه
وفيه ثبوت الساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون هذا حكاية قول النبي صلعم او المراد واتبعوا رسولي او
شرعي والباقون واضح الى قوله هل ينظرون وتفسيره في ال عمران وفي مريم وقوله ما يأتيهم بدل من الساعة والاخلاء
جمع خليل وهو مبتدا وعدو وهو كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا الكن الخلة المتقين ثابتة لان المحبة في الله لا تزول ومعنى
تحبرون تسرون والحبرة السرور والصحاف جمع صحفة وهي القصعة فيها طعام والاكواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة
له وقد يدور في الخلد ان الهوية الكوزية ابدا على مصلحة الشرب ولما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وفيها
ايضا منع الشرب من هنالك واهل الجنة برآء من امثال ذلك فلهذا كانت اكوابها كوابا والله اعلم باسرارها وفيها
اي في الجنة فقال القفال جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم لبقائهم وانتم فيها
خالدون الى اخره وصف حال اهل الجرائم من الكفار او ومنهم من الفساق على اختلاف بين السني والمعتزلي وقوله
لا يفتر لا يخفف من الفتور ومبلسون ايسون ساكتون تحيرا ودهشا ولما ايسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو
اسم خازن النار ليقض علينا ربك اي ليمتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد اربعين عاما او بعد مائة او الف
او قال الله بدليل قوله لقد جئناكم فانه ظاهرا من كلام الله وان كان يحتمل ان يكون قول الملائكة قال اهل التحقيق سمي
خازن النار مالكا لان الملك علقة والتعلق من اسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم
الله سبب كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ قريش وتجهيلهم والتعجيب من حالهم فقال
ام ابرموا امرا والابرام الاحكام والمعنى انهم كلما احكموا امرا في المكر بمحمد صلعم فانا محكم امرا في مجازاتهم قال قتادة اجمعوا
على التكذيب واجمعنا على التعذيب وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة واجمع اهلها على الاغتيال لمحمد صلعم وتناجوا في ذلك
فكف عنهم شرهم واوعدهم عليه بانه يعلم سرهم وهو ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال ونجواهم وهو ما تكلموا به فيما
بينهم على سبيل الخفية ايضا ثم اكد علمه بان حفظة الاعمال يكتبونه ثم برهن على نفي الولد عن نفسه تعالى لتنبيه قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين وهذه قضية شرطية جزاؤها ممتنعان الا ان الملازمة صادقة تظهر تلك ان كانت الخمسة زوجا
فهي منقسمة بمتساويين وهذا على سبيل الفرض والتقدير وبيان الملازمة ان الولد تجب محبته وخدمته لرضى الوالد
وتعظيمه فلو كان المقدم حاصلا في الواقع لزم وقوع التالي عادة وانما ادعى الاولية في العبادة لان النبي مقدم في كل حكم

على امته حصوصا فيما يتعلق بالاصول لتعظيم المعبود وتنزيهه لكن الثاني غير واقع وكذا المقدم وهذا كلام ظاهر الالزام
واضح الافحام قريب من الافهام لا حاجة فيه الى تقريب المرام واما المفسرون الظاهريون من ذهبه لهم بالعقول تنذكروا
فيه وجوها متكلفة منها كان للرحمن ولد فانا اول من قاد بذلك وكجدتم نزهه عما لا يليق بذاته ثم امر نبيه ان يتركهم في باطلهم
واللعب بدنياهم حتى يلاقوا العقبة ثم مدح ذاته بقوله وهو الذي في السماء اله اي معبود كما مر في قوله وهو الله في السموات والارض
وهو الذي عنده الا انه حذف هو الذي يملك الشفاعة فيجوز ان يكون متصلا لان من جملة من يعبدونهم الملائكة وعيسى
وعزير اجيز ان يكون اللام محذوفا لان الشفاعة تقتضي مشفوعا له اي لمن شهد بالحق وهم المومنون فالبعض العالم في
قوله وهم يعلمون دلالة على ان ايمان المقلد وشهادته غير معتبرة كثيرا ما ذكر في اول السورة فالاولى سالتهم والغرض والتعجب
من حالهم انهم يعترفون بالصانع ثم يجعلون له اندادا وقيل الضمير في سالتهم للمعبودين من دونه وقيله بالنصب فعن الاخفش انه
معطوف على سرهم ونجواهم والمراد وقال قيله اي قوله والضمير للنبي صلعم لتقدم ذكره بالكناية في قوله ان كان وعن ابي علي
انه يعود على عيسى وفيه تسلية للنبي صلعم ويحتمل ان يكون النصب على محل الساعة اي وعنده علم الساعة
وعلم قيله كفرا من قرا بالجر ثم امر نبيه باعمال الخلق الحسن منهم الى اوان النصر وهو ظاهر والله اعلم

سورة الدخان تسع وخمسون اية وهي مكية حروفها الف واربعمائة واحدى وثلثون كلمها ثلثمائة وست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ والكتاب المبين ۝ انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ۝ فيها
يفرق كل امر حكيم ۝ امرا من عندنا انا كنا مرسلين ۝ رحمة من ربك انه هو
السميع العليم ۝ رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ۝ لا اله الا هو
يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين ۝ بل هم في شك يلعبون ۝ فارتقب يوم
تاتي السماء بدخان مبين ۝ يغشى الناس هذا عذاب اليم ۝ ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون ۝ انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ۝ ثم تولوا عنه وقالوا
معلم مجنون ۝ انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون ۝ يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون ۝ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ۝ ان ادوا
الي عباد الله اني لكم رسول امين ۝ وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين ۝ واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ۝
وان لم تومنوا لي فاعتزلون ۝ فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ۝ فاسر بعبادي
ليلا انكم متبعون ۝ واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون ۝ كم تركوا من جنات وعيون

وزروع ومقام كريم ۝ ونعمة كانوا فيها فاكهين ۝ كذلك واورثناها قوما اخرين ۝ فما
بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ۝ ولقد نجينا بني اسراءيل من العذاب
المهين ۝ من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ۝ ولقد اخترناهم على علم على
العالمين ۝ واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين ۝ ان هؤلاء ليقولون ۝ ان هي الا
موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين ۝ فاتوا باباءنا ان كنتم صادقين ۝ اهم خير ام قوم
تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين ۝ وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين ۝ ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ ان يوم الفصل ميقاتهم
اجمعين ۝ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ۝ الا من رحم الله
انه هو العزيز الرحيم ۝ ان شجرت الزقوم ۝ طعام الاثيم ۝ كالمهل يغلي في البطون ۝
كغلي الحميم ۝ خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ۝ ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم ۝ ذق انك انت العزيز الكريم ۝ ان هذا ما كنتم به تمترون ۝ ان المتقين
في مقام امين ۝ في جنات وعيون ۝ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ۝ كذلك
وزوجناهم بحور عين ۝ يدعون فيها بكل فاكهة امنين ۝ لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم ۝ فضلا من ربك ذلك هو الفوز
العظيم ۝ فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ۝ فارتقب انهم مرتقبون ۝

القراءة رب السموات بالجر على البدل من ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالرفع اني اتيكم بالفتح ابو جعفر
ونافع وابن كثير وابو عمرو ترجمون فاعتزلون بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل لي بالفتح ورش
مكيين بغير الالف يزيد يغلي على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص والمفضل ورويس ومجاهد عن ابن ذكوان الباقون
بتاء التانيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الاخرون بالكسر ذق انك بفتح
الهمزة على حذف لام التعليل في مقام بضم الميم الاقامة ابو جعفر ونافع وابن عامر **الوقوف** حم كوفي المبين وقد لم
يقف عليهم ووقف على المبين منذرين حكيم بناء على ان التقدير امرنا امرا من عندنا مرسلين لاحتمال ان رحمة مفعول
او بدل التقدير رحمة ربك العليم لمن خفض رب بينهما موقنين ويميت الاولين يلعبون مبين الناس اليم مومنون

سبق للعطف بمجنون لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار عايدون لئلا يظن ان ما بعده ظرف للعود الكبرى لاحتمال
التعليل منتقمون كريم عباد الله امين على الله مبين ترجمون فاعتزلون ان مجرمون متبعون رهوا مغرقون وعيون كريم
فاكهين لان المعنى تركوها مهيأة كما كانت اخرين منظرين المهين من فرعون المسرفين العالمين مبين لمبعوثين المنتشرين
صادقين تبعا للعطف من قبلهم لتبليغ الاستفهام الى الابتداء الاخبار اهلكناهم لان التعليل اوضح مجرمين لاعبين لابطال
اجمعين لان ما بعده بدل او ثالث ينصرون رحم الله الرحيم الاثيم للانفصال ان يكون كالمهل خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف في
البطون ما بعده لاستئناف والحال متقابلين لاحتمال بروا كما ذكرنا من حالهم من قبل او يكون التقدير الامر كذلك عين لئلا
يوهم ان ما بعده صفة للحور امنين لان ما بعده صفة فان الاستثناء الاية الاولى لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا باضمار
قد الجحيم لان فضلا مفعول له من ربك العظيم يتذكرون مرتقبون **التفسير** اقسم بالقرآن انا انزلناه في ليلة
مباركة لان من شاننا الانذار والتخويف من العقاب وانما انزل في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن اشرف
الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر ذي حكمة فالجملتان اعني قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم
كالتفسير لجواب القسم وقال صاحب النظم ليس من ما دابهم ان يفسروا انفسهم حتى اذا اخرنا عنه جواب
القسم انا كنا منذرين وقوله انا انزلناه اعتراضا والجمهور على الاول ولا باس لان المعنى انا انزلنا القرآن على
محمد صلعم ليسول ويحتمل ان القسم وقع على انزاله في ليلة مباركة واكثر المفسرين انها ليلة القدر لقوله انا انزلناه
في ليلة القدر والقدر عند الاكثرين من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال
نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان والتورية لست ليال منه والزبور لاثنتي عشرة والانجيل لثمان عشرة
والفرقان لاربع وعشرين مضت والليلة المباركة هي ليلة القدر وعن بعضهم كعكرمة وغيره انها ليلة النصف من
شعبان وما رأيت لهم دليلا يعول عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة ايضا وليلة الصك لان الله يكتب لعباده المؤمنين البراءة
من النار في هذه الليلة وروي ان النبي صلعم قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل اليه مائة ملك يبشرونه بالجنة
وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان
وقال ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا
لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنى وما اعطي فيها رسول الله صلعم تمام
الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر
منها فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل في
هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة وبعضهم اراد ان يجمع بين القولين فقال ابتدئ باستنساخ
القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد
منها الا انزال القرآن لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر من اقضية السنة وكل امر له شان من ارزاق
العباد وآجالهم وجميع امورهم الى العام القابل فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق
والخسوف الى جبرئيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب الصور سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت
وقيل يعطي كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفي انتصاب امرا وجوه ان يكون
حالا من امر حكيم لانه قرب من المعرفة بالوصف او من الهاء في انزلناه او من الفاعل اي آمرين او على المصدر
كما مر وعلى الاختصاص لان كونه من عندي يوجب مزيد شرف وفخامة او يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق
لانه اذا احكم بالشيء وفعله وكتبه فقد اوجبه وامر به قوله انا كنا مرسلين يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا
منذرين اي انزلنا القرآن لان من شاننا ارسال الرسل وانزال الكتب الى عبادنا لاجل الرحمة ويحتمل كونه تعليلا ليفرق
او لقوله امرا من عندنا وقوله من ربك وضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة ثم حقق ربوبيته
بقوله انه هو السميع الى قوله الاولين ومعنى الشرط في قوله ان كنتم موقنين تقليب ما مر في ذكر الشعراء وذلك انهم كانوا
مقرين بانه رب السموات والارض فقيل لهم ان كنتم على بصيرة ما تقرون به من ذلك فلا تشكوا فيه ان كنتم موقنين
بشيء فايقنوا بما اخبرتكم او ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل ان تابعه ثم رد ان يكونوا موقنين لقوله بل هم في

المقوم

شك يلعبون في الدنيا او يستهزءون بنا فالجرم او عدمه بقوله فارتقب ويوم مفعول به اي انتظر ولا كذبون على ان الدخان
من امارات القيمة ان الدنيا استحكم كسبب لاختصاص له علموه حانا يدخل في انوف الكفار وآذانهم ويكون كالذي يصيب
المؤمن منه كالزكام فيبقى ذلك اربعين يوما وعن حذيفة ان النبي صلعم قال اول الآيات الدخان يكون بالضحى اذا
خرجوا من قبورهم يحيط بالخلائق ويغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضين
الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم اللزام وهو القحط حتى اكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين
السماء والارض الدخان ويسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم
وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وذلك قوله هذا عذاب اي قائلين هذا
الى اخره ثم استبعد منهم الاتعاظ بقوله انى لهم الذكرى وقد جاءهم ما هو اعظم من كشف الدخان وهو القرآن والمعجز وغيره
فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بانه انما يعلمه بشر ونسبوه الى الجنون ومعلم ثم بالغ بعد الحالتين ثم بين انهم يعودون الى
الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا واعلم ان من ذهب الى الكفر امرا يمكن سوى ان يجعل الدخان من امارات
القيمة او قيل انه قد مضى والبطشة الكبرى القيمة او يوم بدر على التفسيرين ويوم ظرف لما دل عليه منتقمون
لا لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم تاتي السماء ثم سلى رسوله بقوله وقد فتنا قبلهم بقصة موسى ومعنى
فتنا امتحنا وقد وصفه بالكريم لانه كان حسيبا في قومه او المراد انهم لم يتشبهم في التبليغ كما قالوا لولا انزل الينا
وان مفسرة لان مجيء الرسول يتضمن القول مخففة من الثقيلة او مصدرية والباء محذوف وعباد الله مفعول به كقوله ان ارسل
معنا بني اسرائيل او منادى والمعنى ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان والطاعة والنصيحة مذكرة
في الشعراء وغيرها وان ترجمون ان تقتلون او تشتمون بالنسبة الى الكذب والسحر وان لم تؤمنوا لي اي ان لم تصدقوني
فاعتزلون وكونوا بمعزل عني ولا تدعوا به شاكيا ان هؤلاء قوم مجرمون مصرون على الكفر فاسر اي فاجبنا دعاءه وقلنا
له من دعا به اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل ان يكون الدعاء هو ما في يونس ربنا اطمس على اموالهم
وفي رهوا وجهان احدهما ساكنا اي لا تضربه ثانيا ولا تغيره على هيئته من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا وذلك ان
موسى اراد ان يضربه ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من ان يدركهم قوم فرعون فامره ان يتركه ليدخل القبط
البحر ثم يطبقه عليهم وثانيهما ان الرهو الفجوة الواسعة اي اتركه مفتوحا منفرجا على حاله والنعمة بفتح النون
التنعم والباقي مذكور في الشعراء قوله فما بكت كانوا اذا مات الرجل الخطير قالوا في تعظيم مصيبته بكت عليه السماء
والارض واظلمت الدنيا ومنه الحديث ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه الارض والسماء
وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم ان ماتوا لقال الناس فيهم ذلك فاخبرنا انهم
ما كانوا في هذا الحد بل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين ان تكون البكا حقيقة وجعلوا الكسوف والخسوف والحمرة
التي تحدث في السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدي في البسيط روى انس بن مالك ان النبي صلعم
قال ما من عبد الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه
الاية ثم اخبر ان هؤلاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد الى السماء فلا جرم لم تبك عليهم وعن الحسن اراد اهل السماء
والارض اي ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين وما كانوا منظرين اي لما جاء وقت هلاكهم
لم يمهلوا الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا قوله من فرعون بدل من العذاب جعل في نفسه عذابا مهينا لشدة شكيمته
وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف اي من عذابه وقيل تقديره المهين الصادر من فرعون وفي قراءة ابن عباس
من فرعون على الاستفهام اي ما ظنكم بعذاب من يعرفونه انه عال في العلو متجاوز حد الاعتدال ثم اثنى على بني
اسرائيل بقوله ولقد اخترناهم باتاء الملك والنبوة وعلى علم منا باستحقاقهم ذلك وقيل اسمهم بالشكر عليه على عالمي زمانهم
ولا ريب ان هذا افضل التخصيص وقيل اي على علم منا بانه سيكون منهم زلات وفرطات والبلاء النعمة او المحنة والآيات
في التسع وغيرها ثم عاد الى ما اخر الكلام منه وهو قوله بل هم في شك يلعبون فقال ان هؤلاء يعني كفار قريش
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى قال المفسرون معناه ليس الا ما حكي عنهم في موضع اخر ان هي الا حياتنا الدنيا وذلك

باسم

ان النزاع انما وقع في موتة بعقبها حيوة فانكروا ان يكون موته بعد الوصف الا الموتة الاولى وهو حال الكي بهم
نطفا ويحتمل ان يراد ما النهاية والحالة والعاقبة الا الموتة الاولى وليست اثبات الموتة ثابتة وانما يكفي لك
بح فلان الحجة الاولى ومات وما نحن بمنشرين انشر الله الموتى اي احياهم فاتوا بابائنا النبي والذين معه بابائنا ان كنتم
صادقين يروى انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم احياء الموتى فينشر كبيرهم قصي بن كلاب ليشاورونه
في صحة نبوة محمد وفي صحة البعث فلم يجبهم الله تعالى الى ذلك ولكنه اوعدهم بقوله اهم خير ام قوم تبع نبيا كان ام غير نبي
رواه الثعلبي عن عايشة كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه ولعله انما خصهم بالذكر لقربهم من
العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير انه كسا البيت وقال قتادة كان من حمير سار بالجيوش وسمر قند
قال ابو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم لكثرة تبعه اولانه يتبع صاحبه وهو بمنزلة الخليفة للمسلمين
وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الله الذي ملك برا وبحرا ثم برهن على صحة
البعث بقوله وما خلقنا الى اخره وتقدم في الانبياء وفي ص نظيره وانما جمع السموات هاهنا لموافقة
قوله في اول السورة رب السموات وسمي يوم القيمة يوم الفصل لانه يفصل من عباده في الحكم والقضا او يفصل
بين اهل الجنة واهل النار او يفصل المؤمنين بينهم وبين ما يكرهون والكافرين بينهم وبين ما يشتهون او يفصل
بين الوالد وولده والرجل وزوجته والمرء وخليله والمولى في الاية يحتمل الولي والناصر والمعتق وابن العم والمراد انه لا
منهم باي معنى فرض لا يدفع منه النصرة والعزة في ينصرون للمولى الثاني لانه جمع في المعنى لعمومه وشياعه وقوله
الا من رحم الله في محل الرفع على البدل او في محل النصب على الاستثناء انه هو العزيز الغالب على من عصى الرحيم
لمن اطاع ثم اراد ان يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الابرار فقال ان شجرة الزقوم وقد مر تفسيرها في الصافات
والاثيم مبالغة الاثم ولهذا امكن ان يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردي الزيت وقد مر في الكهف ولعل وجه
التشبيه وهو لشناعة المنظر كما ان الوجه في قوله طلعها كانه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة
قايلا تغلي الى اخره ثم اخبر انه يقول للزبانية خذوه اي خذوا الاثيم فاعتلوه جروه بعنف وغلظة كانه يوخذ
تلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة والغلظة ومنه العتل للجافي الغليظ وقوله من عذاب
الحميم دون ان يقول من الحميم فيه بل وسلوك بطريق الاستعارة لانه اذا اصب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه
وشدته يروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا امنع مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك
ان تفعلا بي شيا فنزلت الاية اي يقال له ذق انك انت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم ما فيه ان هذا العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون ثم شرع في وعد الابرار والمقام الامين ذو الامن واصله من الامانة لان المكان المخيف
كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قوله وزوجناهم اختلفوا في هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد
التزويج ام لا فالاكثرون على نفيه وان المراد قرناهم بهن وقيل زوجته امراة وزوجته بامراة لغتان وكذا
اختلفوا في الحور فعن الحسن هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا اخر وقال ابو هريرة لسن من نساء الدنيا اي
يحكمون ويامرون في الجنة باحضار ما يشتهون من الفواكه واي وقت ومكان امنين من التخم والتبعات ثم اخبر عن
خلودهم بقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم
ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقال اهل التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج
النفس وفرحها بمعرفة الله ومحبته فالانسان الكامل هو في الدنيا في الجنة وفي الاخرة في جنة الجنة فقد صح ان يقال في الجنة الا
الموتة الاولى ثم ختم الكلام بعد ذلك والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه بلسانك حيث انزلناه بلغتك ارادة تذكرهم فانتظر ما يحل بهم فانهم منتظرون
بك الدوائر والله اعلم

سورة الجاثية سبع وثلاثون اية مكية
حروفها الفان ومائة واحدى وسبعون كلماتها اربعمائة وثمانية وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات
للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
الرياح ايات لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث
بعد الله واياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم
يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
ثم الى ربكم ترجعون ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي
المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ۞ افرايت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ۞ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ۞ واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين ۞
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۞
ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ۞
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ۞
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ۞ فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ۞ واما الذين
كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ۞ واذا قيل
ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين ۞ وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن ۞ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار
وما لكم من ناصرين ۞ ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة
الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ۞ فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين ۞ وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۞

القراءة وفي خلقكم مدغما عباس ايات بالنصب في الموضعين حمزه وعلي ويعقوب الريح على
التوحيد حمزه وعلي وخلف يومنون على الغيبة ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل وحفص
اليم مذكور في سبا ليجزي بالنون ابن عامر وحمزه وعلي وخلف ليجزى بالياء مبنيا للمفعول قوما بالرفع يزيد

الباقون مبنيا للفاعل قوما بالنصب سواء بالنصب حمزه وعلي وخلف وحفص وروح وزيد عن يعقوب بفتح
الغين وسكون الشين من غير الف حمزه وعلي وخلف كل امة تدعى بالنصب على الابدال من الاول يعقوب والساعة
بالنصب حمزه لا يخرجون من الخروج حمزه وعلي وخلف **الوقوف** حم كوفي الحكيم للمومنين ومن نصب ايات الله ايقنون
لانه عطف المفردين وهما الخبر والاسم ايات يوقنون للعطف على عاملين كالتي يعقلون بالحق للاستفهام مع الفاء يومنون
اثيم بسبب الانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم هزوا مهين لانه لو وصل اشتبه انها صفة عذاب جهنم للعطف
المختلفين اوليا كذلك عظيم هذى لان ما بعده مبتدأ مع العطف اليم يشكرون للاية مع العطف منه
يتفكرون يكسبون فلنفسه فعليها للتم لترتيب الاخبار مع اتحاد القصة ترجعون العالمين للاية والعطف من
الامر لعطف المختلفين مع اتفاق الجملتين المتقين يوقنون الصالحات ومن نصب سواء لم يقف ومماتهم يحكمون
لا نظلمون غشاوة من بعد الله تذكرون الدهر لاحتمال الواو الحال من علم للانقطاع النظم مع الاتصال المعنى يظنون
صادقين لا يعلمون والارض المبطلون جاثية لمن قرا كل بالرفع كتابها تعملون بالحق تعملون رحمته المبين مجرمين
ما الساعة بمستيقنين الابتلاء ونقول الكتاب بمستيقنين يستهزؤن ناصرين الدنيا للعدول عن الخطاب الى
الغيبة يستعتبون العالمين والارض لعطف الجملتين المتفقتين الحكيم **التفسير** اعراب اول السورة وتفسيرها
كاعراب اول المومن وتفسيره وقوله ان في خلق السموات اما ان يكون على ظاهره واياتهما الشمس والقمر والنجوم
وحركاتها وارضاعها وكذا العناصر والمواليد التي في الارض مما يعجز الحاصر عن ادراك اعدادها واما ان يراد ان في خلق
السموات والارض والايات تشمل ما عددنا مع زيادة هي ما ذهبنا وما يتعلق بتشخيصها استدل الاخفش بالاية
الثالثة على جواز العطف على عاملين مختلفين وهما في قراءة النصب وان في ايتها الواو مقامها فعملت
الجر في اختلاف الليل والنصب في ايات وهما في قراءة الرفع على الابتداء وفي وخرج لسيبويه في جوابه وجهان
احدهما ان قوله ايات تكرار محض للتاكيد فقط من غير حاجة اي ذكرها كما تقول ان في الدار زيدا والحجرة
زيدا والمسجد زيدا وانت تريد ان في الدار زيدا وفي الحجرة والمسجد والثاني اضمار في الدلالة الاولى ويحتمل
ان ينتصب ايات على الاختصاص ويرتفع باضمار هي وتفسير هذه الايات قد مر في نظائرها مرارا ولا سيما
في اواسط البقرة ومما يختص بالمقام انه خص المومنين بالذكر اولا ثم قال لقوم يوقنون ثم لقوم يعقلون
وسبب هذا الترتيب قال الامام فخر الدين الرازي ان كنتم مومنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم
طلاب الجزم واليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المومنين ولا من الموقنين فلا اقل من ان تكونوا
من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل وقال جار الله معناه ان المنصفين من العباد اذا
نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها لا بد لها من صانع فامنوا به واقروا فاذا نظروا في خلق
انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما بث من الدواب على ظهر الارض ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى
عنهم اللبس فاذا نظروا الى سائر الحوادث كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار التي هي سبب الارزاق
وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا اعقلوا واستحكم علمهم وخلص
يقينهم واقول الدلائل المذكورة في هذه الايات قسمان نفسية وخارجية فالنفسية اولى بالايمان لانه لا شيء اقرب
الى الانسان من نفسه والخارجية بعضها فلكية وبعضها اثار علوية فالفلكية لبعدها عن الانسان اكتفى فيها
بمجرد التصديق واما الاثار العلوية فكانت اولى بالنظر والاستدلال لقربها ولا خاصية بها فلا جرم خصت بالعقل
والمذكور وانما تقديم السموات والارض فلشرفها ولتقدمها في الوجود والله اعلم تلك مبتدا والتبعد للتعظيم
والمشار اليها الايات المتقدمة ونتلوها في محل الحال وقوله بعد الله واياته كقولهم اعجبني زيد وكرمه والمعنى
بعد ايات الله والمعنى ان من لم يومن بكلام الله فلن يومن بحديث سواه وقيل معناه القران احسن كتب الله ومحمد
رسله فان لم تومنوا به فباي كتاب بعده يومنون ولا كتاب بعده ولا نبي ثم اوعد الكذابين المتبالغين في الاثم
وقد مر في الاية في سورة لقمن قوله واذا علم اي شعر واحس بانه من جملة القران المنزل خاص في الاستهزاء
واذا وقف على اية لها محمل في باب الطعن والقدح افترضه وحمله على الوجه الموجب للطعن كما تم امر ابن الزبعري

قوله انكم وما تعبدون من دون الله وانما انث الضمير في قوله اتخذها لان الشي في معنى الاية ولانه المراد ان
يتخذ جميع الايات هزوا ولا يقتصر على الاستهزاء بما بلغه قوله من ورائهم جهنم كما في قوله وكان وراءهم ملك فهي من امامهم ان تقدم
او تاخر وقد مر في سورة ابراهيم هذا هدى اي هذا القران كامل في باب الهداية والارشاد ثم ذكر دليلا اخر على
الوحدانية وهو تسخير البحر لبني ادم وقد سبق وجه الدلالة مرارا وقوله ولتبتغوا اي بسبب التجارات او بالغوص
على اللؤلؤ والمرجان او باستخراج اللحم الطري ثم عمم بعد التخصيص وقوله منه في موضع الحال اي سخر جميع ما في
السموات والارض كائنة منه او يرجع الى قوله اوجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي هذه النعم كلها منه عن ابن عباس برواية عطا ان الصحابة نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع
فارسل عبد الله بن ابي غلامه ليستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر على رأس البئر فما ترك
احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب ابي بكر وقرب لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك
ياكلك فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى للذين امنوا يعني عمر يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله لا يخافون وقائعه باعدائه او لا يأملون ثواب المؤمنين في ايام الله الموعودة لهم والمراد الصفح والاعراض
عن عبد الله بن ابي وفي رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قال اليهودي
فنحاص بن عازوراء احتاج رب محمد فبلغ ذلك عمر فاخذ سيفه وخرج في طلبه فجاء جبرائيل ونزل الاية
المقصود ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا حتى يلزم نسخها باية القتال كما ذهب اليه كثير من المفسرين ولكن الاولى ان يحمل على ترك
المنازعة في المحقرات وفي انعالهم الموحشة المؤذية وانما ذكر قوما مع ان المراد به الذين امنوا لانهم معارف لبدل على
مدحهم والثناء عليهم كانه قيل ليجزي قوما كاملين في الصبر والاغضاء على اذى الاعداء مما كانوا يكسبون من الثواب العظيم
بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل القوم هم الكاملون في النفاق ثم فصل الجزاء وعمم الحكم بقوله من عمل صالحا الاية ثم بين
التاخرين من الكفار اسوة بالمتقدمين منهم والكتاب والتوراة والحكم وبيان الشرائع والبينات من الامور الدالة على الدين
وقال ابن عباس يريد انه بين لهم من امر النبي صلعم وانه مهاجر من تهامة الى يثرب وقيل المعجزات القاهرة على صحة ما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم فيه احتمالان احدهما انهم عاندوا والثاني انهم جاءتهم اسباب المعرفة التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق
لكنهم اظهروا النزاع جهلا ثم جعلناك على شريعة اي منهاج وطريقة من الامر امر الدين وقيل الامر الذي امرنا به من قبلك
من رسلنا قال الكلبي رؤساء قريش قالوا للنبي صلعم وهو بمكة ارجع الى ملة ابائك فهم كانوا افضل منك واسن فنزل الله
عن ذلك بقوله ولا تتبع الخ اي لو ملت الى اديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفعه عنك ثم بين ان
وبين ولاة الظالمين وهم اشكالهم من الظلمة وبين ولي المتقين وهو الله ومن جملة اثار ولايته ودركات عنايته هذا القران وقيل
ما تقدم من اتباع الشريعة وترك طاعة الظالم وجعل القران مشاكا اليه اولى لقوله بصائر من ربكم الخ وقد مر في اخر الاعراف
مثله ثم بين الفرق بين الظالمين والمتقين من وجه اخر قائلا ام حسب قال جار الله ام منقطعة والاية نظيرة ما سلف
في ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين والاجتراح الاكتساب ومن قرا سواء بالنصب فمعناه مستويا
فالظاهر نجعله فاعله ومكتهم انتصاب على البدل لمن باب مفعولي جعل وهو الكاف ومن قرا بالرفع فهي مبتدا والجملة
بدل ايضا لان الجملة تقع مفعولا ثانيا والمعنى انكار ان يستوي الفريقان حياة وموتا لان المحسنين عاشوا على الطاعة
وانهم عاشوا على المعصية وماتوا اولئك على البشرى والرحمة ومات هؤلاء على الضد وقيل معناه انكار ان يستويا
في الممات كما استويا في الحياة من حيث الصحة والرزق بل قد يكون الكافر ارجح حالا من المؤمن فالفرق المقتضي
لسعادة المؤمن وشقاوة الكافر انما يظهر بعد الوفاة وقيل انه كلام مستانف والمراد كل من الفريقين يموت على حسب
ما عاش عليه كقوله صلعم كما تعيشون تموتون وتحشرون ثم اتى بان المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادات
استدل على صحة هذه الدعوى بقوله وخلق الله الاية قال جار الله ولتجزى معطوف على بالحق في معنى التعليل اي
للعدل او ليدلهما على قدرته وللجزاء فيجوز ان يكون المعلل محذوفا وهو فعلنا ونحوه والحاصل ان الغاية من خلق السماء
والارض كانه هو الانسان الكامل فكيف يترك الله جزاءه وجزاء من هو ضده والتمييز بينهما يوجب العدل ثم ذكر
اسباب ضلال الضالين قائلا افرايت من اتخذ الهه هواه اي يتبع ما تدعو اليه نفسه الامارة وقد مر في الفرقان

واضله الله على علم بحاله انه من اهل الخذلان والقهر او على علم بضلاله في سابق القضا او على علم بوجوه الهداية
واحاطة بالالطاف المحصلة لها وقيل اراد به العناد لان ضلاله عن علم فمن يهديه من بعد اضلال الله قال بعض العلماء
تقدم القلب على السمع في هذه الاية وبالعكس في البقرة لان كفار مكة كانوا يبغضون النبي بقلوبهم فاذا سمعوه
المدينة كانوا يلقون الى الناس ان النبي صلعم شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه
ونفرت قلوبهم عنه ففي هذه الصورة اعني هذه السورة كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الاولى كان
الاثر ينزل من جوهر النفس الى ظاهر البدن فرتب في كل سورة على ترتيبه ثم ذكر من اسباب الضلال سببا اخر وهو انكار
البعث معتقدين ان لا حياة الا هذه وليس قولهم الدنيا تسليما لان ثمة حياة اخرى وانما هو قول منهم على لسان العرف ونموت
ونحيا وفيه تقديم وتاخير على ان الواو لا توجب الترتيب وقيل يموت الاباء ويحيا الابناء بعدهم او الاباء يموت بعضهم
او انهم اراد انا تكون نطفا وعلى مذهب اهل التناسخ ان يموت الرجل ثم يجعل روحه في بدن اخر
ثم انهم لم يقتنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدا فقالوا وما يهلكنا الا الدهر اعتقدوا ان تولد الاشخاص وتلون
الممتزجات وفسادها ليس الا بسبب حركات الكواكب ولا حاجة في هذا الباب الى مبدا المبادي فاجاب الله عن
شبهتهم بقوله وما لهم بذلك من علم اي ليس لهم على ما قالوه دليل فانما ذكروا ذلك ظنا وتخمينا واستبعادا لما لا ينبغي
للعاقل ان يلتفت الى قولهم على ان الحجج قائمة على نقيض ذلك وهي دلائل المبدا والمعاد التي عددناها مرارا اما ما
وليس قولهم ائتوا بابائنا من الحجج في شي لانه لا يلزم من ان لا يحصل في الحال فانه ممتنع حصوله في الاستقبال بل لعل الحادث
الموقوف المتنع حصوله في الامس فوجه الاستثناء انه في اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع لكنهم وسمّاه
حجة تهكما الحق فقال قل الله يحييكم الى اخره ثم اراد ان يختم السورة بوصف القيامة وما يجري على الكفار فيه
فقال ويوم تقوم الساعة العامل فيه يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم وفيه تاكيد للحصر المستفاد من تقديم الظرف
قال ابن عباس الجاثية المجتمعة للحساب المترقبة لما يعمل بها وقيل بارك على الركب جلسة المدعي عند الحاكم وقيل مستوفزا لا
يصيب الارض الا ركبتاه واطراف اناملهم والجثو للكفار خاصة وقيل عام بدليل قوله بعد ذلك فاما الذين امنوا
واما الذين كفروا يدعى الى كتابها اي كتاب الحفظة ليقرأوه وقال الجاحظ الى كتاب نبيها فينظر هل عمل
به ام لا او يقال يا اهل التوراة يا اهل القران اليوم تجزون بتقدير القول وهو بدل القول الاول قوله هذا كتابنا الى
قوله انا كنا نستنسخ اي نامر بالنسخ فاضافة الكتاب تارة اليهم واخرى الى الله عز وجل صحيحة لان الاضافة
يكفي فيها ادنى ملابسة فاضيف اليهم لان اعمالهم مثبتة فيه واضيف الى الله سبحانه لانه امر ملائكته بكتبه قوله
افلم تكن القول فيه مقدر اي فيقال لهم ذلك قوله ان نظن الا ظنا قال ابو علي والاخفش هذا كلام جار على غير الظاهر
لا نحو من يظن وانه لا يظن الا الظن فتاويله انه ينوي به التقديم اي ما نحن الا نظن ظنا وقال المازني تقديره
ان نظن نحن الا ظنا منكم اي انتم شاكون فيما تدعون وما نحن بمستيقنين انكم الا تظنون وقال جار الله اصله نظن ظنا
ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل اداة الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفي ما سواه وقد ل الظن قد يطلق على ما تقرب من العلم فقد
يريد ان لهذا الرجحان مراتب وكانوا انفوا كل الظنون الا الذي لا يشوبه علم فيه فاكدوا هذا المعنى بقوله وما نحن بمستيقنين وباقي السورة

سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون اية كلامها ستمائة
واربع واربعون حروفها الفان وستمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني

ليس

ماسلف

بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ۝ ومن اضل ممن يدعوا من دون
الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون ۝ واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ۝ ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون لي من
الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم ۝
قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي
وما انا الا نذير مبين ۝ قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۝
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم ۝ ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق
لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ۝ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون ۝ ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح
لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين ۝ اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون ۝ والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون
من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير

الاولين ۝ اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين ۝ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ۝ ويوم
يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ۝

القراءة لتنذر على الخطاب ابوجعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون على الغيبة
والضمير للكتاب احسانا حمزة وعلي وخلف وعاصم الباقون حسنا كرها في الموضعين بالفتح ابوجعفر وابن كثير ونافع
وابو عمرو وحبله وهشام الباقون بالضم وفصله يعقوب الاخرون اوزعني بالفتح ابن كثير عن القواس والبخاري عن ورش
وتلون عن الحلواني نتقبل احسن بالنصب ونتجاوز بالنون حمزة وعلي وخلف وحفص الاخرون بيا والغيبة مبنيا للمفعول
في الفعلين احسن بالرفع اف بالجر والتنوين ابوجعفر ونافع وحفص والمفضل وقرا ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب
بالفتح غير تنوين الباقون بالكسر ولا تنوين اتعدانني ان بفتح اليا ابوجعفر وقرا نافع وقرا هشام مدغمة بالنون ولنوفيهم
بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الباقون بالنون اذهبتم بتخفيف الهمزتين ابن ذكوان اذهبتم بالمد
ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وهشام الباقون بهمزة واحدة **الوقوف** الجزء السادس والعشرون حم كوفي الحكيم
مسمى معرضون السموات لانتهاء الاستفهام الى الخطاب صادقين غافلون كافرين مبين للانام منقطع استفهام انكار
افتريته شيا فيه وبينكم الرحيم بكم مبين واستكبرتم الظالمين اليه قديم ورحمة للمحسنين يحزنون فيها لان جزاء
يصلح مفعولا له ومفعول فعل محذوف اي يجزون جزاء يعملون احسانا ووضعته كرها شهرا سنة لان ما بعده
جواب اذا ذريتي للابتداء بان مع اتحاد الكلام المسلمين الجنة لان التقدير وعد الله وعدا صدقا وهو مصدر
مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز في معنى الوعد يوعدون الاولين والانس خاسرين عملوا الا الواو وقد يكون مفتحه
وتنصل اللام بما قبله وقد يكون المعلل محذوفا كانه قيل ليوفيهم اعمالهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم لا يظلمون النار لتعذيب
القول وهو العامل في اليوم بها لابتداء التهديد مع النار تفسقون **التفسير** اما كون تنزيل الكتاب لانه مبين لمعنوان
الكتب ثم ذكر لما انزل فقال ما خلقنا الى قوله واجل مسمى وقد مر في اول الروم انه الوقت الذي عينه لافناء الدنيا وحين
بين الدليل على وجود الاله ودفع الحشر فرع عليه الرد على عبدة الاصنام بقوله قل ارايتم وقد مر في فاطر والمراد انهم
لا يستحقون العبادة اصلا لانهم ما خلقوا شيا في هذا العالم الا في الارض ولا في السماء ولم يدل وحي الله على عبادتهم لان الكتاب
القران ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب من قبله الا وهو ناطق بمثل ذلك فقوله ايتوني من باب ارخاء العنان
وتسبيح المحال على الخصم اي ان كنتم في شك مما قلت فقد امهلتكم حتى تاتوا في بعد الاستقراء بكتاب فيه شيء من ذلك
او اثارة من علم قال الواحدي كلام اهل اللغة في تفسير هذه الحروف يدور على ثلثة اوجه احدها البقية من قولهم
سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والثاني انه من الاثر بمعنى الرواية والاثر
ما يبقى تاثر دي عن اسلافهم ويرونه علما وعن ابن عباس مرفوعا انه الخط قال كان نبي من الانبياء يخط فمن صادف
مثل خطه علم ثم زاد في تنكيرهم في توبيخهم بقوله ومن اضل الاية وبالجملة فالدليل الاول دل على نفي القدرة عنهم من كل
الوجوه وهذا الدليل دل على نفي العلم عنهم من كل الوجوه واذا انتفى العلم والقدرة من الجسم لم يكن الحيا ذا دعادة
الجماد محض الضلال وقوله الى يوم القيمة تابيد على عادة العرب ويحتمل ان يكون توقيتا بدليل قوله واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وهذا التشريف والتعاطب نوع من الاستخدام ثم قرر غاية عنادهم بقوله واذا تتلى عليهم الاية ثم عجب
من حالهم بقوله ام يقولون افتريه اي ان كذبت على الله كما زعمتم عاجلني بالعقوبة فلا تقدرون على دفع عذابه
عني فاكيف اباشر الافتراء واتعرض لعقابه ومن امرهم الى الله فانه هو اعلم بما تفيضون اي تندفعون فيه من القدح في الحق

ونسميه سحرا تارة وافتراء اخرى وفي قوله وهو الغفور الرحيم اشارة الى انهم لو رجعوا الى الحق وتابوا عن الشرك قبل الله
توبتهم وفيه استعطاف لهم مع عظم ما ارتكبوه ثم اراد ان يزيل شبهتهم بنوع اخر من البيان فقال قل ما كنت بدعا من الرسل بدعا بمعنى
البديع كالخف بمعنى الخفيف اي لست باول رسول ارسله الله لاجيئكم بامر بديع لم يكن لي الى مثله سابق فيه انه اقتراح
الايات الغريبة منه غير موجبة لانه لا يتبع الا الوحي وما هو الا نذير وليس اليه ان ياتي بكلما يقترح عليه وفيه انه غير عالم
بالغيبات الا بتعليم الله فلا وجه لاستدعاء الغيوب عنه سواء تعلق باحوال الدنيا او باحوال الاخرة من الاحكام والتكاليف
وما يؤول امر المكلفين اليه وفيه انه لا وجه لتعييره بالفقر وباكل الطعام وبالمشي في الاسواق لان الرسل كلهم او جلهم
كانوا كذلك قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء على اصحاب رسول الله صلعم رأى في المنام انه يهاجر الى
ارض ذات نخل وشجر فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما
رأينا الذي قلت ومتى نهاجر فسكت رسول الله صلعم وانزل الله الاية وعنه في رواية اخرى انه لما نزلت هذه الاية فرح المشركون و
المنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بامته فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما فبين
الله ما يفعل به وبامته ونسخت هذه الاية والاصح عند العلماء انه لا حاجة الى التزام النسخ لان الدراية المفصلة غير حاصلة وفي
تقدير حصولها فانه لا يليق الاولى به من تلقاء نفسه وما يليق الدراية به من جهة الوحي قوله ولا بكم في حيز النفي اي ولا ادري ما يفعل
بكم وما موصولة او استفهامية ومحل الاولى النصب والثانية رفع ثم قرر انه لا اظلم منهم فقال قل ارأيتم الاية وتقدير نظيرهم في
حم السجدة الا انه زاد هنا حديث الشاهد وفيه اقوال الاول انه عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلعم المدينة
نظر الى وجهه وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فامن به وعن سعد بن ابي وقاص قال سمعت رسول الله صلعم يقول لاحد
يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي على مثل القران
في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة للقران من التوحيد والمعاد وعلى هذا فقوله على مثله يتعلق بشاهد
اي وشهد على صحة القران شاهد على مثل القران ويجوز ان يعود الضمير في مثله الى المذكور وهو كونه من عند الله فيكون
الجار متعلقا بشهد وقال جار الله الواو الاخير عاطفة لاستكبرتم على شهد واما الواو في وشهد فقد عطفت الجملة قوله
وشهد الى اخره على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع
شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه ثم اهل الناس بالظلم يدل على هذا الجواب المحذوف
قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قلت هذا كلام حسن ويجوز ان يكون وشهد واستكبرتم معطوفا على قوله فامن
ويجوز ان يكون الواو في وشهد للحال باضمار قد قال وقد جعل الايمان في قوله وامن مسببا عن الشهادة لانه لما علم انه مثل
انزل على موسى وانصف من نفسه اعترف بصحته وامن القول الثاني ما ذكر الشعبي وحجاجه ان السورة مكية وقد علم
ابن سلام بالمدينة فالشاهد هو نفس موسى وشهادته هو ما في التورية من نعت محمد صلعم وايمانه تصديقه ذلك
القول الثالث ان الشاهد ليس شخصا معينا وتقدير الكلام لو ان رجلا منصفا عارفا بالتوراة امن بذلك واعترف به
ثم انتم جحدوا واستكبرتم انتم الا ان تكونوا ظالمين ضالين والمقصود انه ثبت بالمعجز ان الظاهر ان هذا الكتاب هو من عند
الله فثبت المقال بشهادة الثقات ان التورية مشتملة على البشارة بمقدم النبي صلعم ومع ثبوت هذين الامرين كيف
يليق بالعاقل انكار نبوته ثم ذكر شبهة اخرى لهم وهي انهم قالوا للذين امنوا اي لاجلهم وفي حقهم لو كان ما اتى به محمد
خيرا ما سبقونا اليه وتبكيت الكلام كما في قولك قلت له فضعف بانه لو كان ذلك الفعل ما سبقني اليه واجيب بانه
وارد على طريقة الالتفات او المراد ان الكفار لما سمعوا ان جماعة امنوا برسول الله صلعم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين
بانه لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه اولئك الغائبون وقال المفسرون لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت
بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيرا ما سبقونا اليه ونحن اعز منهم حالا واكثر
مالا وهؤلاء رعاة الغنم وقيل قاله اغنياء قريش في فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود وقيل هم اليهود قالوه عند
اسلام عبد الله بن سلام واصحابه والعامل في قوله واذ لم يهتدوا به محذوف وهو ظهر عنادهم وذلك ان اذ للمضي والسين
للاستقبال وبينهما تدافع والافك القديم كقولهم اساطير الاولين فقيل كذب كذب عيسى قوله ومن قبله كتاب موسى خبر مبتدا
وقوله اماما اي مقتدى يؤتم به في اصول شرائع الله نصب على الحال كفى لمفعول الذي تقديره ماما وقوله لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب

٦٦

في مصدقا اي لما بين يديه وهو العامل فيه ويجوز ان يكون حالا من كتاب لانه موصوف والعامل معنى الاشارة ويجوز
ان يكون مفعولا لمصدق على حذف المضاف اي يصدق ذا لسان عربي هو الرسول وقوله وبشرى معطوف على محل لينذر لانه
مفعول له وحين قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهة المنكرين مع اجوبتها اراد ان يذكر طريقة المحقين فقال ان الذين
قالوا الاية وقد مر في حم السجدة الا انه رفع واسطة الملائكة ههنا من البين ثم انه اعظم انواع الاستقامة كان
هو الشفقة على خلق الله ولا سيما على الوالدين فلذلك قال ووصينا الاية وقد مر في الروم ولقمن الكره بالفتح والضم
المشقة اي ذات كره او حملا ذا كره والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمقصود بيان مدة الرضاع الا
انه لما كان مسببا بالفصال اصح التعبير عن اخر الرضاع بالفصال ما قابله وفيه الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال وقد يستدل
من هذه الاية ومن قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ان مدة الحمل ستة اشهر وعن عمر ان امراة ولدت
لستة اشهر فرفعت اليه فامر برجمها فاخبر علي كرم الله وجهه بذلك فدفع عنه محتجا بالاية فصدقه عمر وقال لولا علي
لهلك عمر قال جالينوس اني كنت شديد الفحص عن مقادير ازمنة الحمل فرايت امراة ولدت في المائة والاربع
والثمانين ليلة وزعم ابو علي بن سينا انه شاهد ذلك وذكر اهل التجارب ضابطة كلية قالوا ان تكون الجنين زمانا
مقدرا فاذا انضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم اذا انضاف الى المجموع مثلاه انفصل الجنين وعلى هذا لو تمت خلقة الجنين
في ثلثين يوما فاذا اتى عليه مثل ذلك اي بعد مدة على انه ستين تحرك فاذا اضيف الى هذا المقدار مثلاه وهو مائة وثمنون
وصار المجموع مائتين وثمانين انفصل ولو تمت خلقته في خمسة وثلثين يوما تحرك في سبعين وانفصل في مائتين وعشرة وهي
سبعة اشهر ولو تمت خلقته في اربعين تحرك في ثمانين وانفصل في مائتين واربعين وهو ثمانية اشهر فقلما يعيش مثل
هذا المولود الا في بلاد معينة مثل مصر وقد مر هذا البحث في هذا الكتاب ولو تمت في خمسة واربعين تحرك في
تسعين وانفصل في مائتين وسبعين وهي تسعة اشهر وهو الاكثر اما اكثر مدة الحمل فليس يعرف له دليل من القران
وذكر ابو علي سينا في كتاب الحيوان من الشفاء في الفصل السادس من المقالة التاسعة ان امراة ولدت بعد الرابع من سني
الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وعاش وعن انطاليس ان زمان الولادة لكل الحيوانات مضبوطة سوى هذا وقد روي الحديث
في البسيط عن علي رضه انه قال اذا حملت تسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا وعلى هذا فقس قوله حتى اذا بلغ
اشده اكثر المفسرين كما مر في الانعام واول يوسف والقصص على ان ثبت الاشد هو زمان الوصول الى اخر سن
النشو والنما وهو ثلث وثلثون سنة تقريبا وان في الاربعين يتم الشباب وتنحط القوي الطبيعية والحيوانية في الانتقاص
والقوة العقلية والنطقية في الاستكمال وهذا احد ما يدل على ان النفس غير البدن ومن جملة الكمال انه يقول حينئذ
رب اوزعني اي الهمني ووفقني كما مر في النمل قال علماء المعاني قوله في ذريتي كقوله يجرح في عراقيبها نصلي كانه
سال ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له وقوله احسن ما عملوا اما بمعنى الحسن او المراد الواجب والندب دون
المباح وقوله في اصحاب الجنة في موضع الحال اي معدودين فيهم عن ابن عباس ومجاهد غير من القرين ان الاية نزلت
في ابي بكر الصديق وفي ابيه ابي قحافة وفي امه ام الخير وفي اولاده واستجابة لدعائه فيهم ولم يكن احد من الصحابة
المهاجرين والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضه قالوا ومما يرد هذا القول انه سبحانه حكى عن ذلك
الانسان انه قال بعد اربعين سنة رب اوزعني الى اخره ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول والاظهر ان هذا
عام لهذا الجنس وان الانسان في الاغلب قد يقول هذا القول ولا اقل من ان يكون واردا على طريقة الارشاد والتعليم
سلمنا ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قوله والذي قال مبتدا خبره اولئك والمراد بالذي جنس القائل
لذلك او يراد الخبر مجموعا فيجوز ان يكون المخبر عنه في القائل وفي امثاله مندرج فيه والقائل ونقل تقديره واذكر
الذي ومن القائل عن الحسن وقتادة وهو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وذهب السدي الى ان الاية
نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وانه كان يقول لوالديه اف لكما وهي كلمة تضجر وتبرم كما مر في سبحان والابد
اتعدانني ان اخرج من القبر وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم اعني ابويه يستغيثان الله اي بالله
فحذف الجار واوصل الفعل والمراد بالدعاء له بالتوفيق للايمان ويقولان له ويلك امن بالبعث والمراد بالدعاء عليه الحث
والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك قال السدي فاستجاب الله دعوة ابي بكر فيه فاسلم وحسن اسلامه و

احزم

بالدمم

اسلم نزلت فيه ولكل درجات مما عملوا واكثر المفسرين ينكرون هذا القول لانه سبحانه قال بعده اولئك الذين حق عليهم
القول كما في امم الجاحدة وان عبد الرحمن لم يكن كافرا بل كان من سادات المسلمين وروي عن عائشة انكاره ايضا
وذلك انه حين كتب معوية الى مروان بن الحكم بن ابي العاص بان يبايع الناس ليزيد رد عليه عبد الرحمن فقال
مروان يا ايها الناس هو الذي قال فيه والذي قال لوالديه فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن
الله لعن اباك وانت في صلبه ثم بين حال المؤمن من حال الكافر بقوله فقال ولكل اي من الجنسين درجات منجز اي لعملوا
فقلت اهل الدرجات على اهل الدركات او الدرجات هي المراتب متصاعدة او متنازلة والباقي واضح مما مر والاستكبار عن
قبول الحق ذنب القلب والفسق عمل الجوارح والاول اولى بالتقديم لعظم موقعه وقد يحتج بالاية على ان الكفار مخاطبون
بالفروع قال مولف الكتاب الاشياء الطيبة اللذيذة غير منهي عليها لقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق ولكن التقشف وترك التكلف داب الصالحين لئلا يشتغل بغير المهم ولا ان ساعد الضروري لاجر
وقد يجر بعضه بعضا الى ان دفع المرء في حد البعد عن الله وفي الحديث ان رسول الله صلعم دخل على اهل الصفة
وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى
ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وعن عمر
لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي لان الله وصف قوما فقال اذهبتم طيباتكم وعنه انه
دعاه الى طعام فاكل ثم قدم شيا حلوا فامتنع وقال رايت الله نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم الاية فقال
الرجل اقرا يا امير المؤمنين ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا فلست منهم فاكل بيسره ما سمع والتحقيق ان المراد هو انه ما كتب
للكافر حظ من الطيبات الا الذي اصابه في دنياه وليس في الاية ان كل من اصاب الطيبات في الدنيا فانه لا يكون له منها حظ في الاخرة ثم

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ط وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝
قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا
الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ
عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝
وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا

عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا
أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَنْ لَا يُجِبْ
دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ
يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ
هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو
الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۝ ٤٥

القراءة اني اخاف بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والبزي بالياء التحتانية مبنيا للمفعول الا مساكنهم
بالرفع عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب المانون لا يرى على الخطاب كلهم الا مساكنهم بالنصب بل ضلوا بادغام اللام
في الضاد واذ صرفنا بادغام الذال في الصاد وكذا اما اثبته ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة في رواية خلف وابن سعدان
وابي عمرو يقدر فعلا مضارعا من القدرة سهل ويعقوب **الوقوف** هادا لان اذ يتعلق باذكر محذوفا وهو معمول به هذا
قول السجاوندي وعندي ان لا وقف وقوله اذ بدل الاشتمال من اخا عاد الا الله عظيم الهتنا لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء
الصادقين عند الله لاختلاف الجملتين لفظا ولكن المقدر وانا اراكم تجهلون ممطرنا لتقدير القول به لان التقدير بل هو ريح
اليم لان ما بعده صفة مساكنهم المجرمين وافئدة لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اولى لمكان الفاء واتحاد الكلام يستهزءون
يرجعون الهة لتمام الاستفهام عنهم لعطف الجملتين المختلفتين والوصل لعطف القران الكلمة المجازاة مع الفاء انصتوا
لذلك منذرين مستقيم اليم اولياء مبين الموتى فذوقوا النار لتقدير القول بالحق وربنا تكفرون لهم توعدون لا
ما بعده حين كانوا نهار لان التقدير هذا بلاغ للاستفهام مع الفاء الفاسقون **التفسير** انه سبحانه بعدما بين شبه
المكذبين والاجوبة عنها وبعد اتمام ما انجر الكلام اليه امر نبيه صلعم ان يذكر قومه بقصة هود على اخا عاد لانه
واحد منهم والاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج ويقال له الرمل من
بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير مصدرا وصفة فالواو في قوله وقد خلت اما ان يكون للحال والمعنى
انذرهم وهو عالم بانذار الرسل من قبله ومن بعده واما ان يكون اعتراضا والمعنى واذكر وقت انذاره قومه
ان لا تعبدوا الا الله وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك واذكرهم قوله لتافكنا اي تصرفنا عن
عبادة الهتنا قوله انما العلم اي لا علم لي ان الوقت الذي عينه الله لعذابكم ولا معنى لاستعجالكم ولهذا نسبهم
الى الجهل واي جهل اعظم من نسبة نبي الله الى الكذب ومن ترك طريقة الاحتياط ومن استعجال ما فيه هلاكهم

والضم في قوله فلما راوه عارضا الى الموعود او هو مبهم يوضحه قوله عارضا اي سحابا عرض في نواحي السماء والاضافة
في قوله مستقبل اوديتهم ممطرنا لفظية ولهذا صح وقوعها صفة للنكرة والتدمير الاهلاك والاستيصال وفي قوله بامر ربها
اشارة الى ابطال قول من زعم ان مثل هذه الاثار مستند الى تاثيرات الكواكب بالاستقلال ثم زاد في تخويفهم كفار مكة وذكر
فضل عاد في القوة الجسمانية وفي الاسباب الخارجية عليهم فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما موصولة
وان نافية اي في الذي لم نمكنكم فيه وقال ابن قتيبة ان زائدة وهذا فيه ضعف لان الاصل حمل الكلام على وجه لا يلزم
منه زيادة في اللفظ ولان المقصود فضل اولئك القوم على هؤلاء حتى يلزم المبالغة في التخويف وعند تساويهما يفوت هذا
المقصود وقيل ان الشرط والجزاء مضمر اي في الذي ان مكناكم فيه وان يعصكم قوله من شيء اي شيء من الاغناء وهو القليل
منه وقوله اذ كانوا ظرف لما اغني وفيه معنى التعليل كقولك ضربته اذ اساء قوله من القرى يريد قريات عاد وثمود ولوط
وغيرها بالشام والحجاز واليمن وتصريف الايات اي تكريرها وقيل للعرب المخاطبين والاظهر ان الماضين كقوله لعلهم
يرجعون عن شركهم والاقربون حملوه على الالتفات ثم وبخهم بان اصنامهم لم تقدر على نصرتهم وشفاعتهم فقوله
الهة مفعول ثان لاتخذوا المفعول الاول محذوف وهو الى الذين وقربانا حال او مفعول له اي متقربين الى الله ولا حل
القربة بزعمهم والقربان مصدر او اسم لما يتقرب الى الله عز وجل ويجوز ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا او بيانا
قوله وذلك افكهم اي عدم نصرة الهتهم وضلالهم عنهم وقت الحاجة محصول افكهم وافترائهم او عاقبة شركهم
وثمرة كذبهم على الله وجعل بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ان نوع الجن ايضا كذلك وفي كيفية
الواقعة قولان احدهما عن سعيد بن جبير وعليه الجمهور كانت الجن تسترق فلما رجموا قالوا انما حدث في السماء لشيء حدث
في الارض فذهبوا يطلبون السبب فراوا النبي صلعم ببطن نخلة يصلي باصحابه او منفردا فمنهم من قال صلوة العشاء الاخرة ومنهم
من قال صلوة العشاء الاخرة ومنهم من قال صلوة الصبح فقرا فيها سورة اقرا فاستمعوا القران وعرفوا ان ذلك هو السبب وعلى
هذا لم يكن ذلك بعلم منه صلعم حتى اوحى الله اليه القول الثاني انه صلعم امر بذلك فقال للصحابة اني امرت ان
اقرا القران على الجن فايكم يتبعني فاتبعه ابن مسعود فدخل رسول الله صلعم شعب الحجون وخط على ابن مسعود
وقال لا تبرح حتى اتيك قال فسمعت لغطا شديدا حتى خفت على النبي علا القران اصواتهم فلما رجع رسول الله صلعم
سالته عن اللغط فقال اختصموا الي في قتيل كان بينهم فقضيت بينهم وفي رواية اخرى عن ابن مسعود قال الجن لرسول
الله صلعم امعك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصب على يده فتوضا وقال تمرة طيبة
وماء طهور واختلفوا في عددهم عن ابن عباس كانوا تسعة من جن نصيبين او سبعة فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وعن
زر بن حبيش كانوا تسعة ومنهم زوبعة وقيل كانوا سبعين وقيل اثني عشر الفا والموجع الى التفسير
قوله واذ صرفنا معطوف على قوله واذكر اخا عاد اذ انذر ومعنى صرفنا املناهم اليك والنفر ما دون العشرة ويجمع
على انفار والضمير في حضروه للنبي صلعم او للقران قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا والانصات السكوت للاستماع
الكلام فلما قضي فرغ النبي من القراءة وانما قالوا انزل من بعد موسى لانهم كانوا يهودا او لانهم لم يسمعوا امر عيسى قال ابن
عباس اجيبوا داعي الله عنوا رسول الله وانفسهم بناء على انهم رسل رسول الله الى قومهم ومنهم من يعلم انه صلعم كان
مبعوثا الى الجن ايضا وهذا من جملة خصائصه ومعنى عموم الامر بالاجابة الداعي خصوصه بقوله وامنوا به لان
الايمان اشرف اقسام التكاليف ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كالمظالم وقد مر في
ابراهيم واختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم وهو قول
ابي حنيفة والصحيح انهم في حكم بني ادم يدخلون الجنة ياكلون ويشربون وقد جرى بين مالك وابي حنيفة مناظرة في
هذا الباب قوله فليس بمعجز اي لا يفوته هارب قوله ولم يعي يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله بقادر في محل الرفع
لانه خبر ان وانما دخلت الباء لاشتمال الاية على النفي لانه قيل اليس الله بقادر والمقصود تاكيد ما مر في اول السورة
من الاستدلال بالبعث والنبوة ثم سلى نبيه صلعم بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم قوله من الرسل بيانا لان جميع الرسل ارباب عزم
وجد في تبليغ ما امروا باداء او هو للتبعيض نوح صبر على اذى قومه وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب
على فراق الولد ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على سفاهة قومه وداود على الاثم فاما يونس فلم يصبر

على دعاء القوم فذهب مغاضبا فقال تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولا تستعجل اي لا تدع للكفار بنزول العذاب
فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر ولهذا سيغشاهم مدة لبثهم في الدنيا حتى ظنوا انهم ساعة من نهار هذا الذي وعظتم به كفاية فوق تبليغ في اخر
سورة ابراهيم صلوات الرحمن عليه

سورة محمد مكية وهي تسع وثلاثون اية حروفها الفان وثلثمائة وتسعة واربعون كلمها خمسمائة وتسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم
سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم
كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين
امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل
الانعام والنار مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً
حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۝ القراءة

والذين قتلوا مبنيا للمفعول ثلاثيا ابو عمرو سهل ويعقوب وحفص الباقون قاتلوا ويثبت من الاثبات المفضل الباقون
بالتشديد اسن بغير الف كحذر ابن كثير انفا بدون الالف كما قلنا ابن مجاهد وابو عون عن قنبل الوقوف اعمالهم بالهم
[illegible]

٨٩

[illegible]

الثاني شغلهم بدلالة التدمير فان كان المراد الدعا عليهم فاللام للعهد وهم كفار قريش ومن نحى نحوهم في سلفهم
فان كان المراد الاخبار جاز ان يراد هولاء القتل والاسر فيقع من التدمير وجاز ان يراد الكفار الاولين فكذلك النصر المغني بان
الله مولى الذين امنوا اي وليهم وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم بمعنى النصرة والعناية واما بمعنى الربوبية والمالكية فهو
مولى كل كقوله وردوا الى الله موليهم الحق ثم برهن على الحكم المذكور وهو ان ذلك بنيه مختصه بالمومنين فقال
ان الله يدخل الاية فشبه الكافرين بالانعام من جهة ان الكافر غرضه من الحيوة والتمتع والاكل وسائر اللذات المقوي
التي يسلي بالعدل الى الطاعة وعمل الاخرة ومن جهة انه لا يستدل بالنعم على خالقها ومن جهة غفلتهم من مآل حالهم
وان النار مثوى لهم ثم زاد في تهديد قريش بقوله وكاين من قرية اي اهل قرية هي اشد قوة من اهل قريتك التي اخرجتك
تسببوا في خروجك وقوله فلا ناصر لهم حكاية تلك الحال كقولهم كلبهم باسط ثم بين الفرق بين اهل الحق وحزب
الشيطان بقوله على طريق الانكار بقوله فمن كان على بينة معجزة ظاهرة وحجة باهرة من ربه بريد محمدا وامته بقوله كمن
يعول على من هو تاكيد للتزيين كما ان كون البينة من الرب تاكيد لها وحين ثبت الفرق بين الفريقين اراد ان يبين
الفرق بين جزائهما فقال مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان وفي اعرابه وجهان احدهما مر في الوقف
الثاني قول الزمخشري في الكشاف انه على حذف حرف الاستفهام والتقدير مثل الجنة واصحابها كمثل جزاء من هو خالد
في النار وكمثل من هو خالد فائدة التعرية عن حرف الاستفهام زيادة تصوير مكابرة من يسوي بين الفريقين وقوله
وقوله فيها انهار وكالبدل او الصلة او حال والاسن المتغير اللون والريح والطعم وحصره في الاسون فالنعت اسن
مغضوب والله صفة او مصدر وصف به كما مر في الصافات والنا في تما هرا قال بعض علماء التاويل لا شك
ان الاداع نفعا الخلائق من اللبن والخمر والعسل فهو بمنزلة العلوم الشرعية لعموم نفعها المكلفين كلهم واما اللبن
فهو ضروري للناس كلهم ولكن في اول التربية والنا فهو بمنزلة الغريزية الفطرية واما الخمر والعسل فليستا
من ضروريات العيش فهما بمنزلة العلوم الحقيقية الكسبية الا ان الخمر يمكن ان يخص بالعلوم المدونة والعسل
بسائرها وقد يبدوا في الخلد ان هذه الانهار الاربعة يمكن ان تحمل على المراتب الانسانية الاربعة فالعقل الهيولاني
بمنزلة الماء لشموله وبمنزلة الاثار والعقل بالملكة بمنزلة اللبن لكونه ضروريا في اوائل السن والتربية والعقل
بالفعل بمنزلة الخمر فان حصوله ليس بضروري لجميع الانسان الا انه اذا حصل فكان الشخص اطلاعية
على ملتفت اليه كان كالخمر الموجب للغفلة وعدم الحضور والعقل المستفاد بمنزلة العسل من جهة لذته ومن جهة شفائه
لمرض الجهل ومن قيل بانه في المذاق للزوجية ودسومته والتصاقه والله اعلم بمراده قوله ومغفرة من ربهم
ان قيل ولهم مغفرة من الله قبل ذلك فلا اشكال وان قدر والهم فيها مغفرة امكن ان يقال انهم مغفور لهم قبل دخول
الجنة فما معنى الغفران بعد ذلك والجواب ان المراد رفع التكليف بانهم لا من عن حساب ولا تبعة وانه بخلاف الدنيا
فان حلالها حساب وحرامها عذاب ثم ذكر نوعا اخر من فنيع خصال الكافرين وقيل اراد المنافقين
فقال ومنهم من يستمع اليك كانوا يحضرون مجالس النبي صلعم والجهاد ويسمعون كلامه ولا يعونه كما يعيه
المسلم حتى اذا خرجوا تفرقوا وخرج المسلمون من عندك يا محمد قال المنافقون للعلماء وهم بعض الصحابة كابن عباس وابن مسعود
وابي الدرداء رضي الله عنهم اي شيء قال محمد انفا اي في ساعتنا هذه وانف كل شيء ما تقدم منه ومنه قولهم استانفت
الامر ابتدائه ولا يستعمل منه فعل ثلاثي بهذا المعنى وانما توجه الذم عليهم لان سوالهم استهزاء واعلام انهم لم يلتفتوا
الى قوله ولو كان سوال يجب عالم بفهمه لم يكن كذلك على ان عدم الفهم دليل قلة الاكتراث بقوله ثم مدح اهل
الحق بقوله والذين اهتدوا بالايمان زادهم الله هدى بالتوفيق والتثبيت وشرح الصدر وبنور اليقين واتاهم تقواهم
اعانهم عليها واعطاهم جزاء تقويهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقيل الضمير في زادهم للاستهزاء والقول اولئك السوء
ثم خوف الكفر والنفاق وافتراء الفتنة وقوله ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة فقد جاء اشراطها الساعة امارات انتهاء القرون
وعلاماتها ومنه مبعث محمد صلعم فانه نبي اخر الزمان ولهذا قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى فانى لهم
من اين لهم اذا جاءتهم الساعة ذكراهم اي لا ينفعهم تذكرهم وايمانهم حينئذ فالذكرى مبتدا وانى لهم الخبر وقدم عليه لانه تضمن
بعود الى الذكرى يجوز ان يرتفع الذكرى بالفعل والمبتدا مقدر اي من اين لهم التذكر اذا جاءتهم التذكرى والقول هو الاول والله اعلم

فاعلم

فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم
ومثواكم ۝ ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم
طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ۝ فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ۝ اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم
واعمى ابصارهم ۝ افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ۝ ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ۝ ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا
ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم ۝ فكيف اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم ۝ ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط
اعمالهم ۝ ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ۝ ولو نشاء لاريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ۝ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ۝ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم ۝ يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ۝ ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ۝ فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم
الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم ۝ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ۝ ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم
ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ۝

كلهم

القراءة وتقطعوا بالتخفيف عن القطع سهل ويعقوب الاخرون بالتشديد من التقطيع واملي لهم مبنيا للمفعول
ماضيا ابو عمرو ويعقوب واملي مضارعا مبنيا للفاعل اسرارهم بكسر الهمزة علي المصدر حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر
وحماد لنبلونكم حتى نعلم ونبلو بالياءات ابو بكر وحماد الاخرون بالنون في الكل وقرا يعقوب ونبلو ساكنا بالنون مرفوعا السلام
بكسر السين حمزة وخلف وابو بكر وحماد الوقوف والمومنات ومثويكم نزلت سورة للشرط مع الفاء للقتال الموت للابتداء
بالدعاء عليهم لهم لاحتمال ان تكون الاولي بمعني الاقرب كما يجي معروف الامر لاحتمال ان التقدير فاذا عزم الامر كذبوا
وخالفوا خيرا لهم لابتداء الاستفهام مع الفاء ارحامكم ابصارهم اقفالها الهدي لان الجملة بعده خبر ان سول لهم لان فاعل
واملي ضمير اسم الله وتحتمل الوصل علي جعلها حالا اي وقد املي وعلي ان فاعله ضمير الشيطان من حيث انه يمنيهم
ويعدهم فالوقف اجوز واعزم والحال علي قراءة واملي بفتح الياء احوز والوقف فيه جائز ومن سكن الياء فالوقف
له البتة لان المستقبل لا يعطف علي الماضي ومع ذلك لو جعل حالا علي تقدير وانا املي جاز لهم الامر لان ما بعده يصلح
استئنافا وحالا والوقف اجوز لان الله يعلم اسرارهم في الاحوال كلها اسرارهم وادبارهم اعمالهم اضغانهم بسيماهم للابتداء
باضمار جواب القسم القول اعمالكم والصابرين لمن قرا ونبلو بسكون الواو ومن نبلوا اخباركم الهدي لان ما بعده خبر ان
شيئا اعمالهم اعمالكم لهم الي السلم قد قيل علي انه قوله وانتم مبتدا وجعله حالا اولي الاعلون كذلك اعمالكم ولهو
اموالكم اضغانكم بسبيل الله لانقطاع النظم مع الفاء ومن يبخل لابتداء الشرط مع العطف عن نفسه الفقراء
الشرط مع الفاء غيركم للعطف امثالكم التفسير لما ذكر حال الفريقين المومن والكافر من السعادة والشقاوة
قال لنبيه فاثبت علي ما انت عليه من التوحيد ومن هضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب امتك والمراد فاعلم علما
يقينا ما علمته نظرا او استدلالا او اراد فاذكر لا اله الا الله والهاء في له او للامر والثاني اولي اشارة الي
اصول الحكمة النظرية والثاني الي اصول الحكمة العملية عن سفين بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله فبدا به
نكتة وهي ان النبي صلعم له احوال ثلث حال مع الله وهي توحيده وحال مع نفسه وهي طلب العصمة من الذنوب
وان يستر الله عليه حتي لا يبلغ الاثام حتي لا يبلغ فيها وحال مع غيره وهو طلب ستر الذنوب عليهم بعد وقوعهم فيها او عم
ويندرج فيه الشفقة علي خلق الله تعالي ثم قال والله يعلم متقلبكم ومثواكم قيل المتقلب في الاسفار والمثوي
في الحضر وقيل اراد منتشركم في النهار ومستقركم بالليل وقيل الاول في الدنيا والثاني في الاخرة وقيل لكل
متقلب مثوي فينقلب من اصلاب الاباء الي ارحام الامهات ثم الي الدنيا ثم الي القبر ثم الي الجنة ثم الي النار
والمقصود بيان كمال علمه بحال الخلائق فعليهم ان لا يهملوا دقايق الطاعة والخشية ولا يتوانوا في طلب المغفرة خوفا
من التقصير في العبودية ثم ذكر طرفا اخر من قبائح اهل النفاق ومن ينخرط في سلكهم من ضعفة الاسلام وذلك
انهم كانوا يدعون الحرص علي الجهاد ويقولون بالسنتهم لولا نزلت سورة في باب القتال فاذا انزلت سورة محكمة
مبينة غير متشابهة لا يحتمل النسخ ذكر فيها القتال عن قتادة كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة وهي اشدها
علي المنافقين قال اهل البرهان نزلت بالتشديد ابلغ من انزل لتخصيصهم ليكون ادل علي حرصهم نكتة ابلغ من
باب التوبيخ قوله فاولي لهم كلمة تحذير اي اولي بك شر فاحذره هذه عبارة كثير من المفسرين وقال المبرد
يقال للانسان اذا كاد يعطب ثم افلت اولي لك اي قاربت العطب ثم نجوت وهو في القران بمعني التحذير وقال
الله هو وعيد معناه فويل لهم فالمراد الدعاء عليهم بان يليهم المكروه وقيل اراد طاعة وقول معروف اولي لهم
من الجزع عند الجهاد فلا يكون الوعيد وعلي هذا فلا وقف لهم كما اشار اليه في الوقوف واعترض عليه بان الافعل
ان يستعمل ويقترن بالباء لا باللام كما قال واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض والاصح انه تفعل من الولي وهو
القرب اي اولاه الله المكروه فاتصل لكثرة الاستعمال ويحتمل ان يكون فعلي من الويل امرك الي شر فاحذره ثم حثهم
علي الامتثال بقوله طاعة وقول معروف اي طاعة الله وقول حسن وما هو الا خير من الجزع عند فرض الجهاد
فهو مبتدا محذوف الخبر او امرنا طاعة فيكون خبر مبتداء محذوف كما مر في سورة النور في قوله طاعة معروفة
ويجوز ان يكون امثلا للمنافقين اي قولوا طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد وصار معزوما عليه وهو اسناد
مجازي لان العزم لاصحاب امر القتال ثم التفت وخاطب كفار قريش بقوله فهل عسيتم هو من افعال المقاربة وقد

ترجوه استعمالاته في القرآن في قوله وعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فنقل الكلام من الغيبة الي الخطاب
ليكون ابلغ في التوبيخ ومعناه هل يتوقع منكم ان توليتم واعرضتم عن الدين او توليتم امور الناس ان تفسدوا في
الارض بالمعاصي والافتراق بعد الاجتماع علي الاسلام وتقطعوا ارحامكم بالقتل والعقوق ووأد البنات وسائر ما كنتم
عليه في الجاهلية من انواع الافساد وفي سلوك طريقة الاستفهام المسمي في عرف القران بتجاهل العارف اشارة الي طريق
الانصاف وحث لهم علي التدبر وترك العصبية والجدال فقد كانوا يقولون كيف يامرنا النبي بالقتال والقتل افساد وقطع
ارحام وانا نهينا فعرض الله سبحانه بانهم ان ولوا امور الناس واعرضوا عن هذا الدين لم يصدر عنهم الا القتل والنهب
وسائر ابواب المفاسد كعادة اهل الجاهلية ثم صرح بما فعل الله بهم واستقر عليه حالهم فقال اولئك الذين لعنهم الله
ابعدهم عن رحمته ثم بين نتيجة اللعن قائلا فاصمهم اي عن قبول الحق بعد استماعه وعدا في الدنيا واعمي ابصارهم
اي في الاخرة وعن رؤية الحق والنظر الي المصنوعات قال بعض العلماء انما لم يقل فاصم اذانهم لان الاذن جارحة
عن الشحمة الملتصقة والسمع لا يتعلق بوجودها وعدمها وكذلك يسمع مقطوع الاذن واما الرؤية فتتعلق بالبصر
نفسها فلا تاكيد هناك انما يحصل بترك ذكر الاذن وجعلها تذكر الابصار والله اعلم قال جار الله يحتمل ان يريد بالذين
امنوا المومنين المخلصين الثابتين وذلك انهم كانوا ياتسون بالوحي فاذا ابطا عليهم اشتهوه فاذا انزلت سورة في معني
الجهاد رايت المنافقين يضجرون منها سوال لما اثبت لهم الصمم والعمي فكيف يعاتبهم بقوله افلا يتدبرون القران
واجيب علي مذهب اهل السنة بان تكليف ما لا يطاق جائز ويمكن ان يقال لما اخبر عنهم بما اخبر علم انهم بين امرين
اما ان لا يتدبروا القران لان الله ابعدهم عن الخير واما ان يتدبروا لكن لا يدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة
قال جار الله انما نكرت القلوب لانه اريد البعض وهو قلوب المنافقين او اريد علي قلوب قاسية مبهم امرها وانما اضيفت
الاقفال الي ضمير القلوب لانه اريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر والعناد التي استغلقت فلا تنفتح ثم اخبر عن حال
المنافقين واليهود الذين غيروا حالهم من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام او نعت محمد في التورية فقال ان الذين
ارتدوا الاية ذلك الاملاء والاضلال او الارتداد بسبب انهم قالوا للذين كرهوا اي قالوا اليهود للمنافقين او قال المنافقون
لليهود قريظة والنضير او قال اليهود او المنافقون للمشركين سنطيعكم في بعض الامر الذي يهمكم كالتظاهر علي عداوة
محمد والقعود عن الجهاد معه او في بعض ما تامرون وهو ما يتعلق بتكذيب محمد لا في اظهار الشرك واتخاذ الاصنام
وانكار المعاد والله يعلم اسرارهم فلذلك افشي الذي قالوه لذلك بينهم وسيجازيهم علي حسب ذلك يدل عليه قوله فكيف
يعملون وما حيلتهم حين توفتهم ملائكة الموت يضربون وجوههم وادبارهم التي كانوا يتقون ان يصيبها آفة في القتال
او يضربون عند الموت وادبارهم عند السوق الي النار وقيل يضربون وجوههم عند الطلب وادبارهم حين الهرب
ذلك الاذلال والاهانة لانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه كانهم ضربوا وجوههم لانهم اقبلوا علي موجب السخط
وضربوا ادبارهم لانهم اعرضوا عما فيه رضا الله وقد خص السخط بكتمان نعت الرسول ومعاونة اهل الشرك والرضي
بالايمان به والنصرة للمومنين وانما قال ما اسخط الله ولم يقل ما يرضي الله لان رحمته سبقت غضبه فالرضا كالامر الحاصل
والاسخاط كالامر المترتب علي شي ثم زاد في تعيير المنافقين بقوله ام حسب وهي منقطعة والضغن اصله
نتربص به امكان الفرصة واخراج الاضغان ابرازها للرسول وللمومنين كما قال ولو نشاء لاريناكهم اي لو نشاء لعرفناكهم
بامارات فلعرفتهم كررت لام جواب لو في المعطوف لاجل المبالغة بسيماهم بعلامة منهم عن انس رضي الله عنه ما خفي علي رسول
الله بعد هذه الاية شي من المنافقين ولقد كان في بعض الغزوات وفيها تسعة منهم يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا علي جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ومعني لحن القول نحوه واسلوبه وفحواه اي يقولون ما معناه النفاق
كقولهم لئن رجعنا الي المدينة اي يريدون ... او لتعرفنهم في فحوي كلامهم ... قال ما يعلم منه حال المنافق كقوله ومن
الناس من يقول ما معناه ومنهم من عاهد الله حقيقته فاللحن ذهاب الكلام الي خلاف جهته وقيل اللحن ان تميل كلامك
الي نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب
وقيل للمخطي لاحن لعدوله بالكلام عن الصواب وقال الكلبي لحن القول كذبه فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند رسول الله
الا عرفه وعن ابن عباس هو قولهم انا اذا اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب والله يعلم اعمالكم

فيميز خيرها من شرها واخلاصها من نفاقها ولنبلونكم اي لنامرنكم بما لا يكون مبينا للوقوع بل يحتمل الوقوع واللام دفع
كما تفعل المختبر حتى يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب ونبلوا اخباركم اي تجلى عنكم كقولكم امنا
واللام دفع كما تفعل المختبر حتى يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب امنا بالله واليوم الاخر لقوله ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار او اسرايركم او ما يستعملونه او اخباركم الا اراجيف كقوله والمرجفون في المدينة
عن الفضيل انه كان اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا
نزلت في اليهود من بني قريظة والنضير او في رؤساء قريش المطعمين يوم بدر الذين كفروا الاية واعمالهم طاعاتهم في
دينهم او مكايدهم التي نصبوها في عداوة الرسول واطاعتهم ثم امر المومنين بطاعته وطاعة رسوله بالتوحيد
والتصديق مع الاخلاص وان لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي والذنوب عن ابي العالية قال كان اصحاب
النبي صلعم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت الاية وكانوا يخافون الكبائر على
اعمالهم وعن قتادة رحمه الله يحبط عمله الصالح بعمله السيء ثم اراد ان يبين اعمال المكلف له اذا ابطلت فان فضل الله باق

[illegible]

للتراخي في الرتبة اي لا يكونون امثالكم في حال التولي بل يطيعون في جميع الاحوال وعن عكرمة شرط الاستبدال توليهم
اللهم ابق لنا فلم يستبدل قوما وهم العرب اهل اليمن او العجم قال الحسن وعكرمة لما روي ان رسول الله صلعم سئل عن ذلك وكان
سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس والله اعلم

سورة الفتح تسع وعشرون اية مدنية كلامها خمسماية وستون حروفها
الفان واربعماية وثمانية وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ۝ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم

نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ۝ وينصرك الله نصرا عزيزا ۝ هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عليما حكيما ۝ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ۝ ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم
دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ۝ ولله
جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ۝ انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا ۝ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ۝ ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ۝ سيقول لك المخلفون من
الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما
تعملون خبيرا ۝ بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ۝ ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ۝ ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ۝ سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال
الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ۝ قل للمخلفين من
الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا

يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ۝ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما ۝ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ۝ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ۝ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ۝ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ۝ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ۝ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ۝ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ۝ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ۝ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما ۝ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ۝ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ۝ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم

ركعا

ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ۝

القراءات ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بياءات الغيبة ابن كثير وابو عمرو عليه الله بضم الهاء حفص فسنؤتيه بالنون ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون بالياء والمختار بنيه والضمير لله سبحانه شغلتنا بالتشديد قتيبة ضرا بالضم كلام الله على الجمع حمزة وعلي وخلف بل ظننتم بالادغام هشام وعلي بل تحسدوننا مدغما حمزة وعلي وهشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر بما تعملون بصيرا بياء الغيبة ابو عمرو الرؤيا بالامالة ابو عمرو وعلي شطأه بفتح الطاء من غير مد ابن ذكوان والبزي والقواس الباقون ساكنة الطاء **الوقوف** مبينا مستقيما على احتمال اللام [illegible] إيمانهم والارض حكيما لتعلق اللام سيئاتهم عظيما للعطف ظن السوء دائرة السوء لعطف الجملتين المختلفتين جهنم مصيرا والارض حكيما نصف الجزء نذيرا وتوقروه للفصل من ضمير اسم الله وضمير الرسول في المعطوفين فمن لم يجعل الضمائر كلها لله واصيلا ايديهم ايديهم للشرط مع الفاء على نفسه للعطف مع الشرط عظيما فاستغفر لنا لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال قلوبهم [illegible] بورا سعيرا والارض من يشاء رحيما تتبعكم لان ما بعده حال عامله سيقولونه ام مستأنف كلام الله من قبل للسين مع الفاء تحسدوننا قليلا يسلمون حسنا اليما المريض حرج لان الواو للاستئناف الانهار اليما قريبا ياخذونها حكيما عنكم لان الواو مقحمة والمعلل محذوف والواو داخلة في الكلام المعترض وعاطفة على تعذبوا [illegible] لتستيقنوا او لتكون مستقيما للعطف بها قديرا نصيرا تبديلا عليهم بصيرا محله [illegible] المحذوف اي تدبر ليدخل من يشاء لاحتمال ان جواب لولا محذوف وان تكون هذه مع جوابه جوابا للاولى اليما واهلها عليما بالحق حذف القسم امنين مقصرين لانها احوال متتابعة لا تخافون لان قوله فعلم بيان حكمة الصدق كالاعتذار فلا ينعطف على قوله صدق الله قريبا كله شهيدا رسول الله لان ما بعده مستأنف ورضوانا لان سيماهم مبتدأ عنوان الجملة من حد الاولى في كون الكل خبرا والذين السجود الانجيل لاحتمال ان التقدير [illegible] الكفار عظيما ۝ **التفسير** الفتح في باب الجهاد هو الظفر بالبلد بصلح او حرب لانه حرب مغلوب لم يظفر به والجمهور على ان المراد به صلح يوم الحديبية عن انس قال لما رجعنا عن الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة انزل الله انا فتحنا فقال صلعم انزل علي آية هي احب الي من الدنيا كلها والحديبية بئر سمي المكان بها وكان غاص ماؤها فتمضمض فيه النبي صلعم فجاء بالماء حتى عمهم وعن ابن شهاب لم يكن في الاسلام فتح اعظم من فتح الحديبية وضعت الحرب وامن الناس وقال الشعبي اصاب النبي صلعم في تلك الغزوة ما لم يصب في غيرها بويع بيعة الرضوان تحت الشجرة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وكان [illegible] نخل خيبر [illegible] لكان رسول الله صلعم بعد [illegible] الى المدينة احب ان يزور بيت الله الحرام مكة فخرج [illegible] في سنة ست من الهجرة وخرج معه [illegible] من كان في قلبه مرض ظنا منه ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا واستصحب سبعين بدنة لينحرها بمكة فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعرها واحرم بالعمرة ليعلم قريش انه لم يأت لقتال وكانوا الفا واربعمائة او الفا وخمسمائة فبايعوه الا جد بن قيس فانه اختبى تحت ابط ناقته فجاء عروة بن مسعود لايقاع صلح فلما راى اصحاب النبي صلعم قال اي محمد ارأيت ان استأصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله على اني ارى وجوها واشوابا خلقا ان يفروا ويدعوك فشتمه ابو بكر فلما عاد الى قريش قال لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك وما رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلكها بوجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا

قد صاركادوا يقتتلون على وضوءه واذا انكلوا عنده خفضوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له فقد عرضت عليكم خطة رشد
فاقبلوها منه فلما اتفقوا على صلح جاء سهيل بن عمرو بالحديبية وتصالحوا على ان لا يدخل النبي صلعم مكة سنته بل يعود في القابل
ويقيم ثلثة ايام ثم ينصرف فلما كتب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل ما نعرف الرحمن الرحيم
اكتب في قضيتنا ما نعرف باسمك اللهم ولما كتب هذا ما صالح محمد رسول الله قال لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك اكتب
محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك وكادوا ان يابوا فمنعهم رسول الله صلعم وامرهم بالاجابة فكتب هذا ما صالح
محمد بن عبد الله قريشا على انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجا او معتمرا او يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله
ومن قدم المدينة من قريش مجتازا الى مصر او الشام يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله وعلى انه من جاء محمدا
من قريش فهو اليهم رد ومن جاءهم من اصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبي صلعم من جاءهم منا
فابعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فان علم الله الاسلام جعل له مخرجا فلما فرغوا من العقد نحر النبي صلعم وحلق
وفعل اصحابه ذلك فنزلت عليه في طريقه في هذا الشأن انا فتحنا لك فتحا مبينا يريد كما ان من امر الحديبية والفتح فيكون الصلح
وقيل كان هذا الفتح عن تراض بالحجارة ولم يكن قتالا شديدا وقيل المراد به فتح مكة وعده الله ذلك بلفظ الماضي على عادة
اخباره قال ابن عيسى الفتح الفرج المزيل الهم ومنه فتح المسألة اذا انفرجت عن بيان يؤدي الى البغية وقيل وهو قول
قتادة الفتح القضاء والحكم والفتاح القاضي والصاحب الحكومة اي حكمنا لك بهذه المهادنة اذ ان تشد بك الى الاسلام
ليغفر لك الله قال اهل النظر الاولى هذه السورة مناسبة بانه مع اواخر السورة المتقدمة وذلك انه قال ها انتم اولاء تدعون
لتنفقوا الى آخره ثم بين بعد ذلك انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوه ولو بخلوا لضاع عنهم
هذه الفوائد وايضا لما قال وانتم الاعلون بين برهانه بصلح الحديبية او بفتح مكة وكان في قوله ويدعوا الى السلم
اشارة الى ما جرى يوم الحديبية من المسلمين صبرا الى ان طلب المشركون الصلح وسؤالا ما المناسبة بين الفتح والمغفرة
حتى جعلت علة غاية له الجواب الغاية هي مجموع المغفرة وما عطف عليها كانه قيل يسرنا لك فتح مكة كان سببا
لتطهير البيت من رجس الاوثان فتطهير بيتك سبب لتطهير عبده وايضا بالفتح يحصل الحج وبالحج تحصل المغفرة
كما ورد في الاخبار حج كيوم ولدته امه وايضا ان الناس تدعوا ايام الفتل ان مكة لا يتسلط عليها عدو الله فلما فتحت
للرسول صلعم عرف انه حبيب الله المغفور له اما الذنب فقيل اراد به الذنب المؤمنين من امته او ما يريد به ترك الافضل
او الصغائر سهوا او عمدا او معنى ما تاخر اي من الفتح وما تقدم النبوة وما تاخر عنها وقيل ما تقدم ذنب ابيه آدم وحوى
وما تاخر من ذنب امته وقيل اراد جميع الذنب اولها واخرها وهو على وجه المبالغة كما تقول اعطى من راى
ومن لم ير وقيل ما تقدم من امر مارية وما تاخر من امر زينب وهو قول مخسف لعدم انتظام الكلام لما هو اولى الاولى
ان يقال ما تقدم النبوة بالعفا وما تاخر عنها بالعصمة ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك كقوله
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ومن الاتمام النعمة تكليف الحج وقد تم به مبدؤه ولم يبق للمشركين وجه
من فئ بنشد ان كثيرا منهم قد اصلحوا يوم بدر والباقين امنوا واستاسوا يوم الفتح وقيل اتمام النعمة في الدنيا باستجابة
الدعا في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول الشفاعة ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك ويدبك عليه فان الفتح لا يكون
الا لمن هو على صراط الله ولعل المراد بهذا الخطاب هو امته وينصرك الله نصرا عزيزا ذا العز وهو الذي لا ذل بعده وهو
بمعنى المعز او الممتنع على الغير وهو النصر الذي لا يناله كل احد وفي الآية تفخيم شان الفتح والنصر من وجوه
احدها لفظ انا الدال على التعظيم وثانيها لفظ لك الدال على الاختصاص وثالثها اعادة اسم الله في الوصفين
اولا واخرا ثم بين سبب النصر بقوله هو الذي انزل السكينة وهي السكون والوقار والطمانينة والثقة بوعد الله
كما مر في البقرة او في التي به ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا مع يقينهم وايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله عن
ابن عباس ان اول ما اتاهم النبي التوحيد فلما امنوا بالله وحده انزل الصلوة ثم الزكوة ثم الجهاد ثم الحج وازدادوا
ايمانا اسند لا للنامع ايمانهم الفطري وعلى هذه فائدة قوله مع ايمانهم ان الفطرة تشهد بالايمان فلا عبرة واضحة الايمان
بالفعل والاستدلال انضم هذا الثاني الى الاول ولله جنود السموات والارض ملايكتها لو يمكن ان يراد من في الارض
الثقلان والحيوان غير الانسان يحتمل ان يراد بالجنود معنى اعم وهو الاسباب الارضية والسماوية ليدخل بينهما

الصيحة والرجفة وظن السوء هو ظنهم اي ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم او ان الله لا ينصرهم على اعدائهم
او ان لله شريكا او انه لا يقدر على احياء الموتى ومعنى دائرة السوء ان ما يظنونه يعود اليهم ويدور عليهم وقد مر
في سورة التوبة قال بعض العلماء ضم المومنات هنا الى المومنين بخلاف قوله قد افلح المومنون وبشر المومنين ونحوه
والسر فيه ان كل موضع يوهم اختصاص الرجال به مع كون النساء مشاركات له ذكرهن صريحا نفيا لهذا التوهم وكل
موضع لا يوهم ذلك اكتفى فيه بذكر الرجال لانهم الاصل في اكثر الاحكام والتكاليف مثلا من المعلوم ان البشارة
والنذارة عامة للناس فالتبعية لم يحتج فيها الى ذكر النسا بخلاف هذه الآية فان ادخال الجنة يوهم انه لاجل الجهاد مع
العدو والفتح على يديهم والمراة لا جهاد عليها فكان يظن انهن لا يدخلن الجنات فنفى الله هذا الوهم وكذا الكلام في
تعذيب المنافقات والمشركات لكنه الجنود المذكورة اولا هي جنود الرحمة فكان سببا لادخال المومنين الجنة بالاكرام
والتعظيم ثم الباسهم خلع الكرامة لقوله ويكفر عنهم سيئاتهم ثم تثني بهم بالفوز العظيم من الله كما قال وكان
ذلك عند الله فوزا عظيما واما الكافر فعكس فيه الترتيب اخر بتعذيبهم اولا على الاطلاق ثم فصل بانه يغضب
عليهم اولا ثم نفيهم في حين البعد من الرحمة ثم سلط عليهم ملائكة العذاب الذين هم جنوده كما قال عليها ملائكة
غلاظ شداد ولا ريب ان كل ذلك على قانون الحكمة الا انه قرن العلم في الاول بالحكمة تنبيها على ان انزال السكينة
وازدياد ايمان المومنين وترتب الفتح على ذلك كان كلها ثابتة في علم الله جارية على وفق الحكمة وقرن العز بالحكمة
ثانيا لان العذاب والغضب وسلب الاموال والغنائم يناسب ذكر العزة والغلبة والقهر ثم اخبر الله اطلاعا على
اسرار قدرته الكريم وتقاته العظيم ثم مدح رسوله في كل فائدة تعينه لترتب عليه ذكر البيعة فقال انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا وقد مر في سورة الاحزاب صلعم الا ان قوله ليومنوا بالله ورسوله قائم مقام
قوله هناك وداعيا الى الله باذنه من الغيبة فخاطب ومن قرا على الخطاب فلتنزيل خطاب النبي منزلة خطاب المومنين
وقوله وتعزروه وتوقروه كلاهما بمعنى التعظيم من العزر والوقار يتوب مناب قوله هناك وسراجا منيرا وذلك
ان النور سبع والتبجيل والتعظيم دليل المنوع عبه وقال جار الله الضماير كلها لله عز وجل وتعظيم الله تعظيم دينه
ورسوله وقوله وتسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي صلوة التطوع بكرة واصيلا للدوام والمراد صلوة الفجر
والعصر وصحها اربع الظهر نا له ابن عباس ان الذين يبايعونك هي بيعة الرضوان تحت الشجرة كما يجي في السورة
وقيل ليلة العقبة وحقه بعد ومساها مبايعة لسببها لعقد البيع نظيره ان الله اشترى من المومنين انفسهم انما
يبايعون الله لان طاعة الرسول هي طاعة الله في الحقيقة ثم اكد هذا المعنى بقوله يد الله فوق ايديهم قال اهل المعاني
هذا تمثيل وتخييل ولا جارحة هناك وقيل اليد النعمة اي نعمة الله عليهم بالهداية فوق احسانهم الى الله باجابة البيعة كما
قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم قال القفال وهو من قوله صلعم اليد العليا
خير من اليد السفلى اي يد الله العليا المعطية اي يعطيهم ما يكون له الفضل عليهم وقيل القوة اي نصرته اياهم فوق نصرتهم اياه
وقيل يد الله بمعنى الحفظ فان المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يدهما فلا يترك ان يتفارق ايديهما حتى يتم البيع
والمراد ان الله تعالى يحفظهم على بيعتهم ثم حرصهم عن نقض العهد وحثهم على الوفاء بقوله فمن نكث الى آخره والنكث
النقض اخوان وقوله فانما ينكث على نفسه اي لا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله
صلعم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط ناقته ولم
يسر مع القوم ثم حكى ما يعلم منه اعجاز القرآن لانه اخبر عن الغيب وقد وقع مطابقا له في السورة تنبيها فقال سيقول
لك المخلفون هم اسلم ومزينة وجهينة وغفار وقيل سموا مخلفين لان الله تعالى خلفهم ولم يعتد بهم والظاهر انهم سموا
بذلك لانه صلعم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر الاعراب واهل البوادي حذرا من قريش ان
يصدوه عن البيت فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة فظنوا انه يهلك
فلا ينقلب الى المدينة فاعلما فلما رجع رسول الله صلعم اعتذروا وقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا هو جمع وهو نادر قياسا
استعملا اي لم يكن لنا من يخلفنا في اموالنا واهلنا خفنا الضياع عليها وعليهم فاستغفر لنا اسأل الله ان يغفر لنا تخلفنا
عنك وان كان عن عذر فكذبهم الله بقولهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والتكذيب راجع الى طلب الاستغفار

عن خلوص الطوية او الى الاعتذار لا عن حقيقة ثم ابى ان تغني لا يدفع عنهم شيئا من الضر كقتل وهزيمة ولا يوصل
اليهم نفعا الا ما شاء الله وانما قال هيهنا بزيادة لفظة لكم لانه علم في قوم باعيانهم بخلاف المائدة فانه عام لقوله فمن يملك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ثم رد قولهم الكاذب فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم رد اعتذارهم الواهي بقوله
بل ظننتم الاية والبور جمع بائر اي هالك والباقي واضح الى قوله رحيما وفيه بيان كما قدرته على تعذيب الكافرين مع ان
مغفرته دانية ورحمته سابقة قوله سيقول المخلفون انما لم يقل هيهنا لك لان المخاطبين هم المؤمنون كلهم لا النبي وحده
واجمع المفسرون على ان هؤلاء هم المخلفون المذكورون فيما تقدم قوله الى مغانم اي مغانم خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وعد اهل الحديبية ان غنائم اهل خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر بدل نفقات السفر في العمرة التي صدهم المشركون
عنها وزاد الزهري فقال لمن حضرها من غيرهم من الناس قالوا لم يغب منها احد الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله
صلعم كسهم من حضر وكان انصراف النبي صلعم من الحديبية في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج
الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة وجعلها لهم خاصة وكان قبل ذلك وعد النبي
صلعم اصحابه غنائم خيبر فسمع المنافقون ذلك فقالوا للمؤمنين ذرونا نتبعكم فمنعهم النبي صلعم لانه امر ان لا يخرج الى خيبر
الا اهل الحديبية وذلك قوله يريدون ان يبدلوا كلام الله فقال الله لنبيه قل لن تتبعونا اي الى خيبر وقيل عام في غزواته
كذلكم قال الله من قبل اي قبل انصرافهم الى المدينة فسيقولون ردا على النبي صلعم والمؤمنين ان الله يامركم به بل تحسدوننا
ان نشارككم في الغنيمة فرد الله عليهم ردعهم بقوله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون
الدين ومنهم من قوله لن تتبعونا محمولا على النهي فحملوه على الحسد ثم لعلهم ان المراد هو ان هذا الاتباع لا ينفع اصلا لان
الصادق اخبر بنفيه وذهب جماعة من المفسرين منهم الزجاج الى ان الكلام هيهنا هو قوله في سورة براءة لن تخرجوا
معي ابدا واعترض بان اتفاق قصة تبوك التي كانت بعد الحديبية بسنتين باجماع من اهل المغازي واجاب بعضهم بان
هذه الاية اعني سيقول المخلفون نزلت في غزوة تبوك ايضا وعندي ان الاعتراض غير وارد ولا حاجة الى الجواب المذكور
ثم ان الله سبحانه اخبر عن مخلفي الحديبية بانهم سيدعون الى قوم اولي قوة ونجدة في الحرب فقيل هوازن وغطفان
وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلعم في تبوك والاكثرون على ان القوم اولي الباس الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة واهل
الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق لانه تعالى قال تقاتلونهم او يسلمون ومشركو العرب المرتدون هم الذين لا يقبل
منهم الا الاسلام او السيف ومن عداهم ومشركو العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية هذا عند ابي حنيفة واما
الشافعي فعنده لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقد يستدل هذا على امامة ابي بكر
فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله ولكن بعد وفاته ولا سيما من يزعم انها نزلت فيهم لن تخرجوا معي ابدا اللهم الا ان
يقال المراد ان تخرجوا معي ما دمتم على حالكم من مرض القلوب والاضطراب في الدين او انهم لا يتبعون الرسول الا متطوعين
لا نصيب لهم في المغنم قاله مجاهد وقوله او يسلمون رفع الاستئناف يعني او هم يسلمون ويجوز ان يراد الى ان
يسلموا الحقيق حذف ان رفع الفعل وقيل الاسلام هيهنا الانقياد فيشمل اعطاء الجزية ايضا والاجر الحسن في
الدنيا الغنيمة وفي الاخرة الجنة وقيل الغنيمة فقط بناء على ان الاية في المنافقين وعلى هذا لا يتم الاستدلال على
امامة الخلفاء وقوله من قبل اي في الحديبية قال ابن عباس ان اهل الزمانة قالوا يا رسول الله كيف بنا فانزل الله
تعالى ليس على الاعمى حرج اي اثم في التخلف لانه كالطائر الذي نقص جناحه لا يمنع من تضلعه وقدم الاعمى لان
عذره مستمر لو حضر القتال والاعرج قد يمكنه الركوب والرمي وغير ذلك ثم يتعسر عليه الهرب ماشيا وكذا حكم
الكر والفر راكبا وقد يقاس الاقطع على الاعرج ويمكن ان لا يكون الاقطع معذورا لانه نادر الوجود والاعذار
المانعة من الجهاد واكثرها وقد ضبطها الفقهاء بان المانع اما عجز حسي واما عجز حكمي فمن الاول الصغر والجنون والانوثة
والمرض المانع من الركوب والقتال والفقر كالصداع ووجع السن ومنه العرج البين وان قدر على الركوب لان الله
قد نهلك وعند ابي حنيفة لا اثر للعرج في رجل واحدة ومنه فقد البصر لا يلحق به العور والعشى ومنه عدم وجدان
السلاح والات القتال ومن الثاني الرق والدين الحال بلا اذن رب الدين ومن احد ابويه في الحياة ليس له الجهاد الا باذنه
الا اذا كان كافرا والباقي واضح الى قوله لقد رضي الله وبه سميت بيعة الرضوان يبايعونك حكاية الحال الماضية والشجرة

كانت

كانت سمرة وقيل سدرة روي انها عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت وعن جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم
مكانها فعلم ما في قلوبهم من خلوص النية فانزل السكينة الطمانينة والامن عليهم واثابهم جازاهم من الاخلاص في
البيعة فتحا قريبا هو فتح خيبر عن انصرافه عن الحديبية كما ذكرنا وقيل هو فتح مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم
خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وعدكم الله مغانم كثيرة هي التي اصابوها مع النبي صلعم وبعده الى
يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني غنيمة خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان
جاءوا لنصرتهم فقذف الله الرعب في قلوبهم وقيل ايدي اهل مكة بالصلح وقيل ايدي اليهود حين خرجتم وخلفتم عيالكم بالمدينة
وهمت اليهود بهم فمنعهم الله منهم قوله ولتكون اية اي لتكون هذه الغنيمة المعجلة دلالة على ما وعدكم الله من الغنائم
او دلالة على صحة النبوة من حيث انه اخبر بالفتح القريب وقد وقع مطابقا وقيل الضمير للكف اي لتكون الكف اية للمؤمنين
الخبر او بتقدير الكفة ويهديكم ويثبتكم او يزيدكم بصيرة قوله واخرى اي وعدكم الله مغانم اخرى عن ابن عباس هي فتوح فارس
والروم وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين لم يظنوا ان يقدروا عليها لما شاهدوا التزعزع ثم الرجوع مرة بعد اخرى قد احاط
الله بها علما انه سيصيبكم قال جار الله يجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره باحاط ثم بين ان نصر الله اياهم
في صلح الحديبية او في فتح خيبر لم يكن اتفاقيا بل كان الهيا سماويا فقال ولو قاتلكم الى اخره والسنة انه الله كتب واوجب
عليه حزبه ونصر رسوله كما قال سنة الله التي عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلعم من جبل التنعيم
متسلحين يريدون غرة النبي صلعم واصحابه فاخذهم واستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة وهو الحديبية لانها من ارض الحرم وقيل هو التنعيم وقيل الطائف وقوله بلادهم من غير اذنهم وعن عبد الله
بن مغفل المزني قال كنا مع النبي صلعم بالحديبية في اصل الشجرة التي ذكرها الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا
ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلعم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال
لهم النبي صلعم هل كنتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله الاية وانما قدم كف ايدي
الكفار عن المؤمنين لانه اهم وقيل كف ايديكم بان امركم ان لا تحاربوا وكف ايديهم بالقاء الرعب او بالصلح وقيل ان
عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة رجل فقال النبي صلعم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد
انا سيف الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد فهزمه حتى ادخله جوف مكة فانزلت الاية وسمي خالد يومئذ سيف الله وروي ان كفار مكة خرجوا
يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم بيوت مكة ثم قرر شناعتهم بقوله هم الذين كفروا
وصدوكم يعني يوم الحديبية عن المسجد الحرام ان تطوفوا به للعمرة وصدوا الهدي او صدوكم مع الهدي وحال كونه
معكوفا اي محبوسا ممنوعا موقوفا عن ان يبلغ محله المعهود وهو منى وقد مر تفسير الهدي ومحله والبحث عنه في البقرة
ثم بين حكمة المصالحة بقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقوله لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا على جهة
التغليب وان تطؤهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والوطء كالدوس عبارة عن الايقاع والاهلاك
وقوله فتصيبكم جواب النفي او عطف على ان تطؤهم والمعرة مفعلة من العر العيب كالجرب وكذا قوله بغير علم متقدم في
النية متعلق بان تطؤهم والمعنى انه كان بمكة ناس من المسلمين مختلطون بالمشركين فقال سبحانه لولا كراهة ان تهلكوا
ناسا من المسلمين فيما بين وانتم غير عالمين بحالهم فيصيبكم باهلاكهم سبة في الدين كوجوب الدية والكفارة او عيب
قاله اهل الشرك انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا او اثم اذا جرى منكم بعض التقصير لما كف ايديكم عنهم والكلام يدل
على هذا الجواب وفي حذفه محاسن ذهاب للوهم كل مذهب ويعلم منه انه فعل بهم اذ ذاك ما لا يدخل تحت الوصف ويجوز
ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لقوله ولولا رجال لمرجعهما الى معنى واحد والترسل التنحي والمفارقة وكونه لعذبنا هو الجواب
وقوله ليدخل تعليل لما دلت عليه الاية من كف الايدي عن قريش صونا لاهل الايمان المختلطين بهم كانه قيل كان
الكف ومنع التعذيب ليدخل الله مؤمنيهم في جريمة الخير والطاعة ليدخل في الاسلام من يرغب فيه من المشركين
وحكى القفال ان اللام متصل بالمؤمنين والمؤمنات اي امنوا لكذا قوله اذ جعل يجوز ان ينتصب باضمار اذكر ويكون
ظرفا لعذبنا او لصدوكم وفاعل جعل يجوز ان يكون الله وقوله في قلوبهم بيان لمكان الجعل كما مر في قوله واشربوا في قلوبهم

الجهل ويجوز ان يكون الله وقوله في قلوبهم بيانا لمكان الجعل كما في قوله واشربوا في قلوبهم العجل فيجوز ان يكون الذين
كفروا او مفعولا الحمية والظرف فيكون جعلهم بازاء انزال الله والحمية في مقابلة السكينة والحمية الانفة والاستكبار اي التكاف
عليه اهل الجاهلية ومن ذلك عدم اقرارهم بمحمد صلعم ومنه ما جرى في قضية الحديبية من اباءهم ان يكتب في كتاب
العهد بسم الله الرحمن الرحيم وان يكتب محمد رسول الله يقال حميت انفي حمية كانها فعيلة بمعنى مفعول له من الحماية اسم اقيم
مقام المصدر كالسكينة بمعنى السكون فانزل الله على رسوله السكينة والوقار حتى اعطاهم ما ارادوا وكلمة التقوى
التسمية والتوحيد والاعتراف برسالة محمد اختارها الله للمومنين ومعنى الاضافة انها سبب التقوى واساسها والمراد
كلمة اهل التقوى الذين يتقون غضب الله وكانوا احق بها واهلها لانهم خيار الامم وقيل ارادوا كانوا يعني اهل مكة احق
بهذه الكلمة لتقدم انذارهم الا ان بعضهم سلبوا التوفيق وحكي المبرد ان الذين كانوا قبلنا لم يكن لاحد ان يقول لا اله الا الله
في اليوم والليلة الا مرة واحدة لا يستطيع ان يقول اكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها صوته الى ان ينقطع نفسه تبركا بذكر
الله وقد جعل الله لهذه الامة ان يقولوها متى شاءوا وهو قوله والزمهم كلمة التقوى اي يهديهم الى ذكرها ما استطاعوا
ثم قص رويا نبيه صلعم بيانا للاعجاز فان الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقصته انه راى في
المنام ان ملكا قال له لتدخلن الى قوله لا تخافون فاخبر اصحابه بها ففرحوا وحزموا بانهم داخلوها في عامهم فلما صدوا عن
البيت او سود الامر على الصلح قال بعض الضعفة اليس كان يعدنا النبي ان ياتي البيت فنطوف به فقال لهم اهل البصيرة
هل اخبركم انه ياتي به العام قالوا لا قال انما انكم تاتونه فتطوفون بالبيت فانزل الله تصديقه ومعنى صدق الله رسوله الرويا
صدقه في روياه ولم يكذبه وقوله بالحق اما ان يكون متعلقا بصدقه اي صدقه فيما راى صدقا ملتبسا بالحق وهو
ان يكون ما اراه واقعا او يكون حالا من الرويا اي ملتبسة بالحق يعني بالغرض الصحيح وهو الابتلاء وتمييز المومن المخلص
من المنافق المرتابي ويجوز ان يكون بالحق قسما لانه اسم من اسماء الله سبحانه او لان المراد به الذي هو نقيض الباطل
فيكون اللام في لتدخلن لجواب القسم لا للابتداء فيحسن الوقف على الرويا والبحث عن الحلق والتقصير سياتي في كتاب
الحج والعرف وشرائطها اسنو نشاء في سورة البقرة فليتذكر وفي ورود ان شاء الله في خبر الله عز وجل اقوال احدها
انه حكاية قول الملك كما رويناه والثاني ان ذلك خارج على عادة القران من ذكر المشية كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب
المنافقين ان شاء المعنى ان الله يفعل بالعباد ما هو الصلاح فيكون استثناء تحقيق لا تعليق والثالث انه الدليل على
جميعا ان شاء ولم تمت احدا ولم يعب والرابع انه تادب وارشاد الى استعمال الاستثناء في كل موضع كقوله صلى
وقد دخل البقيع وانا ان شاء الله بكم لاحقون ولبس في وقوع استثناء الخامس انه راجع الى حال الامن وعدم الخوف
ثم رتب على الصدق وعلى سوء الظن القوم قوله فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير الفتح الى العام القابل فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا وهو فتح خيبر ثم اكد صدق الرويا بالصدقه الرسول في كل شي بقوله الذي ارسل الاية وذلك انه لو كذب
رسوله كان مضلا فلم يكن ارساله سببا لظهور دينه وقوة ملته وقد مر نظير الاية في سورة التوبة من استعلاء
هذا الدين انه لا يترك اهل ملة الا والمسلم غالب عليه الى ان يشاء الله وقد يقال ان كمال العز والغلبة عند نزول عيسى ولا يبقى
على الارض كافر وكفى بالله شهيدا على ان هذا الدين يعلو ولا يعلى عليه ثم اكد الشهادة وارغم انف من يشي الذين
لم يرضوا بهذا التعريف في كتاب العهد فقال محمد رسول الله وهو مبتدا وخبره وجوز اهل الاعراب ان يكون
المبتدا محذوفا لتقدم ذكره في قوله ارسل اي هو محمد فيكون رسول الله صفة او عطفا بيان وجوزوا ان يكون
محمد مبتدا ورسول الله صفة او بيانا وقوله والذين معه وهم الصحابة عطفا على محمد وخبر الجميع اشداء على الكفار
جمع شديد كما قال واغلظ عليهم اعزة على الكافرين عن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم
ان تلزق بثيابهم فكيف بابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة
جائزة بالاتفاق لا المعانقة والتقبيل فقد كرههما ابو حنيفة وان كان التقبيل على اليد ومن حق المومنين ان يراعوا
هذه السنة ابدا فيتشددوا على مخالفيهم ويرحموا اهل دينهم تراهم يا محمد او يا من له اهلية الخطاب ركعا سجدا زاكعين
ساجدين يبتغون فضلا من الله بالعفو عن تقصيرهم ورضوانا منه على اعمالهم الصالحة بان يتقبلها الله منهم سيماهم
علامتهم في وجوههم من اثر السجود فيجوز ان تكون العلامة امرا محسوسا والسجود بمعنى حقيقة وضع الجبهة على

الارض وكان كل من علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان
كثرة السجود وها احدثت في مواضع السجود منهما اشباه ثفنات البعير والذي جاء في الحديث لا تعلموا صوركم انه
وعن ابن عمر انه راى رجلا انف وجهه السجود ان صورته انك وجهك فلا يعلب وجهك ولا تبس صورتك ميحو لعلي
التعمد رياء وسمعة وعن سعيد بن المسيب هي ندى الطهور وتراب الارض فيجوز ان يكون امرا معنويا عن ابن الملها والفي
عن عطا استنارة وجوههم من التهجد كما قيل من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وان الذي يقنت بتلها ابن ربيع
عند باب المسيب من الذي يقنت مصليا وفيه قال بعضهم عشاك فدمكنا مسك كيف كنت وكيف كان الرب
عين قد اي تك مبين صلاحها عيانا وقال المحققون ان من توجه الى شمس الدنيا لا بد ان يقع شعاعها على وجهه
فالذي اقبل على شمس عالم الوجود وهو الله سبحانه كيف لا يستنير ظاهره وباطنه ولا سيما يوم تبلى السرائر وتكشف
الغطا وذلك مثلهم اي ذلك الوصف وصفهم العجيب الشان في الكتابين ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت
بقوله كزرع الى اخره كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع وقد يقال تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم
في التوراة ثم ابتدى ومثلهم في الانجيل كزرع لما روي انه مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر خرجا الى بني اسرائيل بهذا الوصف ليعرفوهم اذا انصرهم والشطاء بالتسكين والتحريك فراخ
الزرع التي تنبت الى جانب الاصل ومنه شاطى النهر فازره من الموازرة المعاونة ويجوز ان يكون افعل من الازر القوة اي
اعان الزرع الشطاء او بالعكس فاستغلظ الزرع او الشطاء اي صار من الرقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام
على قصبه اي تناهى وصار كالاصل بحيث يعجب الزراعين والسوق جمع ساق وقد يخص الساق بالشجر فيكون ساق
الزرع مجازا مستعارا ووجه التشبيه ان النبي صلعم خرج وحده ثم اتبعه من صحبته قليل ومن صحبتهم قليل حتى كثروا وقوي
امرهم وقوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لجهة التشبيه او للتشبيه اي ضرب الله ذلك المثل وقضى بحكم بذلك ليغيظ بمحمد
باصحابه كفار مكة والعجم وقيل هنا الزرع ليغيظ باكبر به الكفار اي ساير الزراع الذين ليس لهم مثل زرعهم وتنبيه المعاني وان
لم يكن مقصودا ههنا وذهب بعض المفسرين الى ان قوله والذين معه ابو بكر اشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان
تريهم ركعا سجدا علي يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم في وجوههم سعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فازره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه
بعلي وقوله منهم لبيان الجنس ويجوز ان يكون قوله ليغيظ تعليلا للوعد لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في
الاخرة مع ما حصل لهم في الدنيا من الغلب والاستعلاء غاظهم ذلك والله اعلم بالصواب

سورة الحجرات ثمان عشرة ايات مدنية

حروفها الف واربعمائة وست وستون كلماتها ثلثمائة وثلث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ

صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون

عليك

عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

القراءة لا تقدموا بالفتحات من التقدم يعقوب الحجرات بفتح الجيم يزيد وابو بكر على الجمع يعقوب وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ولا تجسسوا ولا تنابزوا ولتعارفوا بالتشديدات للادغام البزي وابن فليح ميتا مشددا ابو جعفر ونافع بالكسر بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وعند لابين في رواية الاخرين بالخفت بما يعلمون على الغيبة ابن كثير **الوقوف** واتقوا الله عليم لا يشعرون التقوى عظيم لا يعقلون خيرا لهم رحيم نادمين رسول الله والعصيان الراشدون لان فضلا مفعول له ونعمة حكيم بينهما للشرط مع الفاء امر الله لذلك واقسطوا المقسطين ترحمون بع الجنود منهن للعدول عن الغيبة الى الخطاب بالالقاب بعد الايمان لابتداء الشرط مع اختلال ومن لم يتب ما ذكرنا من اللمز واللمز الظالمون من الظن للابتداء بان الا انه للتعليل اي فان بعضا منه فكرهتموه واتقوا الله رحيم لتعارفوا اتقيكم خبير امنا قلوبكم شيئا رحيم في سبيل الله الصادقون في الارض عليم اسلموا اسلامكم لان بل للاضراب عن الاول صادقين والارض يعملون **التفسير** لما بين محل النبي صلعم وعلو منصبه بقوله هو الذي ارسل رسوله الى اخر السورة افتتح الان بقوله لا تقدموا الاية نقيبة تاكيدا لما ذكر منعا لكمن وجب اتباعه والاذعان له والله ان هذا ارشاد عام وذكر المفسرون في اسباب النزول وجهان منها ما روي عن ابن ابي مليكة ان عبد الله بن الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلعم فقال ابو بكر لرسول الله صلعم امر القعقاع ابن معبد وقال عمر امر الاقرع ابن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله الاية وقال الحسن والزجاج نزلت في رجل ذبح الاضحية قبل الصلوة وعن عائشة انها نزلت في صوم يوم الشك ويروى انها في القتال اي لا تعجلوا على الكفار في الحرب قبل ان يامر النبي صلعم وتقدم اما متعد وحذف المفعول للعموم حتى يتناول كل فعل وقوله او ترك مفعوله كما في قولهم فلان يعطي ويمنع لان النظر على الفعل لا على المفعول كانه قيل يجب ان لا يصدر منكم تقدم اصلا في اي فعل كان واما لازم نحو بين وتبين بمعنى ويؤيده قراءة يعقوب قال جار الله حقيقة قولهم جلست بين يديه فلان اي تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله قريبا منه حتى نظر اليك من غير طلب حدقة وذكر الله للتعظيم ومنه ان التقدم بين يدي الله قال ابن عباس نهوا ان تتكلموا بين يدي كلامه بل عليهم ان يصغوا ولا يتكلموا بين يدي كلامه بل عليهم ان وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وعن الحسن في رواية اخرى لما استقر رسول الله صلعم بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه من المسائل فنهوا ان يبتدوه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ واتقوا الله اي في التقديم وامرهم بالتقوى لحملهم على ترك التقدمة فان حذر عن كل ما فيه تبعة ووبال ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وافعالكم ثم اعاد النداء عليهم مزيدا للتنبيه والتذكر وفيه نوع تفصيل بعد اجمال وتخصيص بعد تعميم عن ابن عباس ان ثابت ابن قيس بن شماس كان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا نادى رسول الله صلعم يتصوت اذا كلمه فلما نزلت الاية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلعم فاعتذر انه جهير الصوت يخاف ان تكون الاية نزلت به فقال رسول الله صلعم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وعن الحسن نزلت في المنافقين وكانوا يرفعون اصواتهم فوق صوت رسول الله صلعم استخفافا واستهانة ليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهي المؤمنون عن ذلك وعلى هذا فاما ان يكون الايمان اعم من ان يكون باللسان او به وبالقلب واما ان يكون الايمان حقيقة فيكون تاديب المؤمنين المخلص حتى يكون حالهم بخلاف حال اهل النفاق ويكون كلامهم لرسول الله صلعم احقق من كلامه لهم غاية لحشمته وصيانة على مهابته قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر اي جهرا مثل جهر بعضكم لبعض قيل تكرار لان المعنى الاول الاجل التاكيد فان الجهر هو رفع الصوت والجهوري على ان بين التنهيين فرقا اختلف فقيل الاول فيما اذا نطق ونطقوا في اثناء كلامه فنهوا ان يكون جهرهم باسر الجهر والثاني فيما اذا سكت ونطقوا فنهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم وهو الخالي عن مراعاة النبوة وقيل النهي الاول اعم ما اذا نطق ونطق

او انصت ونطقوا والمراد بالنهي الثاني ان لا ينادي وقت الخطاب باسمه او كنيته كما ينادي بعضهم لبعض فلا يقال يا احمد
يا محمد يا ابا القسم ولكن يا نبي الله يا رسول الله على كلا من المذهبين بقوله ان تحبط اعمالكم وذلك ان الرفع والجهر اذا
كان عن استخفاف واهانة كان كفرا محبطا للاعمال السابقة والمفعول له تتعلق بالفعل الاول في الظاهر عند الكوفيين و
بالعكس عند البصريين وجوز في الكشاف ان يتعدى الفعل الثاني مضمنا اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم نصب الفعل
عليهما جميعا صار واحدا والمعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه كان بصدد الاداء اليه فكان
سببا في ايجاده كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وفي قوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان ارتكاب المآثم يجر الاعمال الى الحبوط
من حيث لا يشعر المؤمن ومثله قول الحكيم ان كلا من الاخلاق الفاضلة والرذيلة تكون اولا حالا لا ثم تصير ملكة ثم تستحكم
وعادة مستمرة ومنه قول افلاطون لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق وانت لا تدري فالعاقل من يجتهد في الفضائل
ان تصير ملكات وفي الرذائل ان تزول عنه وفي احوال قال ابن عباس لما نزلت الاية قال ابو بكر رض يا رسول الله والله لا
اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله فانزل الله فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله هو افتعل من المحنة وهو اختبار بليغ يقال امتحن فلان لامر كذا اي جرب له ودرب فوجد في با
عليه او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره فكانه قيل عرف الله قلوبهم كائنة للتقوى فاللام متعلقة
بمحذوف كقولك انت لهذا الامر او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف لاجل التقوى وحصولها فيها سابقة
او لاحقة لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لطاعتهم وفي تنكير الوعد وعمر ذلك من مؤكدات الجملة تعريض بعظيم ما ارتكب
بعضهم واستحقاقهم اضداد ما استحق هؤلاء يروى انه كان اذا قدم على رسول الله صلعم وفد ارسل اليهم ابو بكر رض
من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار قال العلماء ان النهي لا يتناول رفع الصوت الذي ليس باختيار المكلف
كما مر في حديث ثابت بن قيس ولا الذي يناط به صلاح في حرب او جدال معاند او ارهاب عدو وفي الحديث انه صلعم
قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ الناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان
تابعه بن حجله زجر ابو عروة السباع اذا اتقى ان يختلطوا بالغنم وابو عروة كنية العباس زعمت الرواة انه كان يزجر
السباع عن الغنم فتفتق مرارة السبع في جوفه وروي ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة
صوته ثم علمهم ادبا اخص فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من جانب السر منها والخارج مناداة الاجلاف
بعضهم لبعض والحجرة ... تاركه فيه عنه من الحجر وهو المنع فعلة بمعنى مفعوله وجمعت لان كلا من
امهات المؤمنين لها حجرة يروى ان وفد بني تميم قدم على النبي صلعم وهم سبعون رجلا منهم الاقرع بن حابس وعيينة بن
حصين فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلعم من خارج حجراته كانهم تفرقوا على الحجرات اذ لم يعرفوا حجرته فنادوه من وراء
الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا له صلعم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم لان رضى الباقين
كالتولي له وحكى الاصم ان الذي ناداه عيينة والاقرع قالا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فنادى
رسول الله من ذلك فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقال لهم نحن جئتم نفاخر فجئنا
بخطيبنا وشاعرنا نفاخرك وشاعرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام خطيبهم فخطب
فقام شاعرهم فانشد فامر النبي صلعم ثابت بن قيس فخطب وامر حسانا فقام وانشد فلما فرغوا قام الاقرع وقال
والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وانشد شاعرنا وكان شاعرهم اشعر ثم دنا من رسول
الله صلعم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وعن زيد بن ارقم انهم قالوا لنمتحنه فان يكن ملكا
عشنا في جانبه وان يكن نبيا كان اولى بان يكون اسعد الناس به وقيل انهم وفد وشافعين في اسرى بني
العنبر ما اخبر الله عنهم بان اكثرهم لا يعقلون فاما لان الاكثر اقيم مقام الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام
واما لان الحكم بقلة العقلاء فيهم عبارة عن العدم فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم واما لان
فيهم من رجع وندم على صنيعتنا فاستثناه الله عز وجل وانما حكم عليهم بعدم العقل لانهم لم يعقلوا ان هذا النحو
من النداء خارج عن قانون الادب ومبني على عدم الوفاء والاناءة ولا سيما في حق النبي صلعم فانه لم يكن يحتجب عن
الناس الا عند الخلوة والاشتغال بمهام اهل البيت فلذلك قال ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم انه لو خرج لا لاجلهم

الصبر الى ان يخرج اليهم لكان الصبر خيرا لهم في دينهم وهو ظاهر وفي دنياهم بان ينسبوا الى وفور
العقل وكمال الادب ويبذل باطلاق اسرائهم جميعا فقد روي ان النبي صلعم اطلق النصف وفادى النصف والله غفور
مع ذلك لمن تاب رحيم في قبول التوبة سئل رسول الله صلعم عن وفد بني تميم فقال هم جفاة بني تميم ولولا انهم من
اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ويحكى عن ابي عبيد وهو المشهور بالعلم والزهادة
وثقة الرواية انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ثم ارشدهم الى ادب اخر وقد اجمع المفسرون
على انها نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلعم الى بني المصطلق مصدقا فكان بينهما احنة فلما سمعوا
به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع وقال ان القوم هموا بقتلي ومنعوا صدقاتهم فهم النبي بغزوهم فبينما هم في ذلك
قدم وفدهم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من الصدقة فاتهمهم النبي صلعم
وقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رض ثم
فقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع قال جار الله في تنكير الفاسق والنبأ عموم كانه قيل اي فاسق جاءكم باي نبأ
فتوقفوا فيه واطلبوا البيان لان مما يخل في جنس الفسوق لا يخل في بعض انواعه الذي هو الكذب والفسوق
الخروج عن الشيء والانسلاخ منه فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما
فيها ومن مقاليبه ايضا فقست الشيء تقدم القاف اذا اخرجته من يد مالكه غصبا والنبأ الخبر الذي يعظم وقعه
واختير لفظة ان الذي هي للشك دون اذ انها على انه صلعم ومن معه بمنزلة لا يجترئ احد ان يخبرهم بكذب الا على سبيل
الغرض والتقدير فعلى المؤمنين ان يكونوا على حيث لا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ثم علل الامر بقوله ان تصيبوا
اي كراهة ان تصيبوا قوما جاهلين بحقيقة الامر والندم ضرب من الغم وهو ان يغتم على ما وقع منك متمنيا
انه لم يقع ولا يخلو من دوام ولزام ومن معلوماته ادم من الامر اذا داوم عليه وامدن بالمكان اذا اقام به قال الاصوليون
من الاشاعرة انه خبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله تعالى امر بالتثبت في خبر الفاسق ولم يثبت في خبر
العدل لسوينا بينهما وضعف بانه من باب التمسك بالمفهوم واتفقوا على ان شهادة الفاسق لا تقبل لان باب الشهادة
اضيق من باب الخبر واكثر المفسرين على ان الوليد كان صادقا عند رسول الله فصار فاسقا بكذبه وقيل ان الوليد لم يقصد
الكذب ولكنه ظن حين اجتمعوا لاكرامه ان يكونوا هموا بقتله وللقائل ان يقول لفظ النزول وسبب النزول يدل على
خلافه نعم لو قيل انه تاب بعد ذلك لكان له وجه ارشدهم الى امر اخر فقال واعلموا ان فيكم رسول الله وليس هذا الامر مقصودا
لظاهره لانه معلوم مشاهد فلا حاجة الى التنبيه عليه وانما المراد ما يستلزم كونه فيهم كما يقال لمن يغلط في مسألة او يقول
فيها برايه اعلم ان الشيخ حاضر ثم قيل المراد لا تقولوا الباطل والكذب فان الله يخبره ويوحي اليه وقيل المراد ان الراي رايه وقد
صرح بهذا المعنى في قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لوقعتم في العسر والمشقة والحرج لانه اعلم منكم بالحنيفية
السهلة السمحاء ومن جملة ذلك قصة الوليد فانه لو اطاعه وقبل قوله لقتل وقتلتم واخذ المال فاخذتم نساءهم قال جار الله
الجملة المصدرة بلو ليس كلاما مستانفا لاخلال النظم حينئذ ولكنها حال من احد الضميرين في فيكم وهو المستتر المرفوع
او البارز المجرور والمعنى ان فيكم رسول الله صلعم على حالة يجب تغييرها وهي انكم تطلبون منه اتباع رايكم قلت قد ذكرنا
وجه النظم بيانا اخر ثم قال فائدة تقديم خبر ان هو ان يعلم ان التوبيخ منصب الى هذا الغرض وفائدة قوله يطيعكم
بلفظ الاستقبال الدلالة على ان ارادتهم استمرار طاعته لهم وانه لا يخالفهم في كثير مما عن لهم من الاراء والاهواء وفي قوله كثير
من الامر مراعاة لجانب المؤمنين حيث لم يثبت جميع اراءهم الخطاء وفيه ايضا تعليم حسن وتاديب جميل في باب المخالفة
ويمكن ان يكون اشارة الى تصويب راي بعضهم لا الى تصويب بعضهم بذاتهم فقد قيل انه لبعضهم زينوا الرسول صلعم الايقاع ببني
المصطلق وتصديق قول الوليد وبعضهم كانوا يرون التحرز عنهم الى ان يتبين امرهم وقد اشار الى هذا البعض بقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم والا لم يحسن الاستدراك فان من شرطه مخالفة ما بعدها لما قبلها فلو كان المخاطبون في الطرفين
واحدا لم يكن للاستدراك معنى بل يؤدي الى التناقض لانه يكون قد اثبت لهم في ثاني الحال محبة الايمان وذكر انهم
العصيان وذكر الا انه يجب اجابتهم لو وقع في العيب قال اهل اللغة الطاعة موافقة الامر عن تلك المستعمل في حق

الاكابر الاجابة في حق الاصاغر الطاعة وقد ورد القرآن على اصله اللغة استدلت الاشاعرة بقوله حبب وكره على مسئلة خلق الافعال وحملها المعتزلة على نصب الادلة واللطف والتوفيق والوعد والوعيد والمعنى ولكن الله حبب الكم الايمان فاطعتموه ونركم العيب والكفر والخ واما الفسوق والعصيان فقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر ويحتمل ان يكون هذا بل المتصف بالجنان والفسوق مقابل الاقرار باللسان ولان الفسق هيهنا امر توجب به لقبل قوله ان جاءكم فاسق بنبأ سماه فاسقا لكذبه والعصيان مقابل العمل بالاركان اولئك البعض المستثنون هم الراشدون وهذه جملة معترضة وقوله فضلا من الله ونعمة كلاهما مفعول له والعامل فيهما حبب وكره فيحتمل ان يكونا منصوبين عن الراشدون ولان الرشد عبارة عن التحبب والتكره المسندين الى الله فكان الرشد ايضا فعله فاتحد الفاعل في الفعل والمفعول له بهذا الاعتبار ويجوز ان يكونا مصدرين من غير لفظ الفعل معنى الرشد فكانه قيل فاولئكم الراشدون رشدا لان رشدهم افضال من الله وانعام منه قال بعض العلماء الفضل بالنظر الى جانب الله الغني والنعمة بالنظر الى جانب العبد المفتقر والله عليم باحوال الخلق وما بينهم من التفاضل والتفاضل حكيم في تدبيره وافضاله وانعامه ثم علمهم حكما آخر في الصحيحين عن انس انه قيل للنبي صلعم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق عليه على حمار وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فبال الحمار فقال اليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله لبول حماره اطيب منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما اصحابه فوقع بينهم حرب بالجريد والايدي والنعال فانزل الله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لان الطائفتين في معنى القوم والناس او لان اقل الجمع اثنان فرجع اليهم رسول الله صلعم فاصلح بينهم وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال والايدي وانما هذا في المنتظر من الزمان والطائفة الجماعة وهي اقل من الفرقة لقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وان شرطية يفسره ما بعده اي ان اقتتلت طائفتان واخرجت دون اذا مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على انه مما ينبغي ان لا يقع الا نادرا على سبيل الفرض والتقدير ولهذه النكتة قال طائفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للمقلل كما قلنا وفي تقديم الفاعل على الفعل اشارة ايضا الى هذا المعنى لان كونهما طائفتين مؤمنين يقتضي ان لا يقع القتال بينهما ولهذا اجيز التصريح بالفعل ولم يقل يقتتلون لئلا ينبئ عن الاستمرار فيه ايضا من القتال ملجئة وانما قدم الفعل في قوله ان جاءكم فاسق بنبأ ليعلم ان المجيء بالنبأ الكاذب يورث كون الجائي به فاسقا سواء كان ان قبل ذلك فاسقا ام لا ولواحق الفعل اثنا وثلاثة الا مشهورة الفسق قبل المجيء بالنبأ قال بعض العلماء انما قال اقتتلوا على الجمع ولم يقل فاصلحوا بينهم لان عند القتال يكون الكل منهم فعل برأسه عند العود الى الصلح فانه يتفق كلمة كل طائفة والا لم يتحقق الصلح فكان كلا من الطائفتين كنفس واحدة فكانت التثنية افعل والبغي الاستطالة واباء الصلح والفيء الرجوع وبه سمي الظل لانه يرجع بعد نسخ الشمس اولان الناس يرجعون اليه والغنيمة لانها ترجع من الكفار الى المسلمين ومعنى قوله الى امر الله قيل الى طاعة الرسول او من قام مقامه من ولاة الامر لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقيل الى الصلح لقوله واصلحوا ذات بينكم وقيل الى امر الله بالتقوى فان من خاف الله حق خشيته لا يبقى اعادة الا مع الاستطالة وانما قال فان فاءت ولم يقل فاذا بناء على ان يبقى احدهما اصلاح الاخرى كالنادر وكذا قوله فان تخاذلت لان فئة الفئة الباغية مع حملها وعنادها واصرارها على حقدها كالامر النادر نظيره قول القائل لعبده فان مت فانت حر مع ان الموت لا بد منه وذلك لان موته بحيث يكون العبد حيا باقيا في ملكه غير معلوم واعلم ان الباغية في اصطلاح الفقهاء فرقة خالفة الامام بتاويل باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع فيخرج المرتد لان تاويله باطل قطعا وكذا الخوارج وهم صنف من المبتدعة يكفرون من اتى بكبيرة ويسبون بعض الائمة وهكذا يخرج رافع حق الشرع لله وللعباد عنادا لانه لا تاويل له ولا بد ان يكون لهم شوكة وعدد ... يحتاج الامام في دفعهم الى كلفة ببذل مال واعداد رجال ان كانوا افرادا يسهل ضبطهم فليسوا باهل بغي والاكثرون على ان الباغين ليسوا بفسقة ولا كفرة لقوله وان طائفتان من المؤمنين وعن علي كرم الله وجهه اخواننا بغوا علينا ولكنهم مخطئون علينا بفعلهم عاجز اليه من التاويل لجماعة خارجة على علي حيث اعتقدوا انه يعرف قتلة عثمان ويقدر عليهم ولا يقتص لمواطأته اياهم وكما قال مانعوا الزكاة لابي بكر امرنا بدفع الزكوة الى من صلوته سكن لنا وصلوة غير النبي ليست سكنا لنا واتفق الحق ان معاوية ومن تابعه كانوا باغين للحديث المشهور ان

جمع

يتكلم

عمارا تقتله الفئة الباغية وقد يقال ان الباغية في حال بغيها تبقى مؤمنة وانما سماهم المؤمنين باعتبار ما قبل كقوله يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه والمرتد ليس بمؤمن بالاتفاق واما الذي يتلفه العادل فلا ضمان لانه مامور بالقتال ولا الباغي على الاصح لان في الوقائع التي جرت في عصر الصحابة والتابعين لم يطالب بعضهم بعضا بضمان نفس ومال ولانه لو وجبت الغرامة لنفرهم ذلك عن العود الى الطاعة والاموال المأخوذة في القتال ترد بعد انقضاء الحرب الى اربابها من الجانبين والمراد من متلف القتال ما يتلف بسبب القتال ويتولد منه هلاكه حتى لو فرض اتلاف في القتال من غير ضرورة القتال كان كالاتلاف في غير القتال والذين لهم تاويل بلا شوكة لزمهم ضمان ما اتلفوا من نفس ومال وان كان على صورة القتال وحكمهم حكم قطاع الطريق اذا قاتلوا ولو اسقطنا الضمان لادى كل شرذمة من اهل الفساد تاويلا وفعلت ما شاءت وفي ذلك ابطال السياسات ولهذه النكتة قرن بالاصلاح الثاني قوله بالعدل لان تضييع الانفس والمال يحتاج فيه الى سلوك سبيل العدل والنصفة لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة مرة اخرى واحتج الشافعي لوجوب الضمان اذا لم يكن قتال بان ابن ملجم قتل عليا كرم الله وجهه متاولا ان له شبهة وتاويلا فامر بحبسه وقال ان قتلتم فلا تمثلوا به فقتله الحسن بن علي وما انكر عليه احد واما الذين لهم شوكة ولا تاويل فالظاهر عند بعضهم نفي الضمان وعند آخرين الوجوب واما كيفية قتال الباغي فان امكن الاسر لم يقتلوا وان امكن الاثخان فلا يذفف عليه كدفع الصائل الا اذا التحم القتال وتعسر الضبط قوله واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما امر به في اصلاح ذات البين قال اهل اللغة القسط بالفتح والسكون الجور من القسط بفتحتين وهو اعوجاج في الرجلين وعود فاسط يابس والقسط بالكسر العدل والهمزة في اقسط للسلب اي ازال القسط وهو الجور ولما حض على اصلاح الخلل الواقع بين الطائفتين اراد ان يبين حكم الخلل الواقع بين اثنين بالتشاتم والسباب ونحو ذلك فقال انما المؤمنون اخوة اي حالهم لا تعدو الاخوة الدينية الى ما يضادها فاصلحوا بين اخويكم بايصال المظلوم الى حقه ودفع اذى الظالم عن الظالم والتثنية بحسب الاغلب ويحتمل ان يقال انه يتناول ما دون الطائفتين يروى ان النبي صلعم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيسد عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل واتقوا الله في سائر الابواب راجين ان يرحمكم ربكم ثم شرع في تاديبات اخر والقوم الرجال خاصة لقيامهم على الامور قال المفسرون ان ثابت ابن قيس بن شماس كان في اذنيه وقر فكان اذا اتى رسول الله اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوما وقد اخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يا فلان بن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فسكت الرجل استحياء فنزلت وقيل نزلت في الذين نادوا رسول الله صلعم من وراء الحجرات واستهزؤا بالفقراء وقيل في كعب ابن مالك قال لعبد الله يا اعرابي فقال عبد الله يا يهودي وقيل نزلت ولا نساء من نساء في عائشة وقد عابت ام سلمة بالقصر وروي انها ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفيه خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلعم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلعم هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد وتنكير القوم والنساء للتبعيض او لافادة الشياع وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة زيادة للتوبيخ وتنبيها على ان السخرية قلما تصدر عن واحد لكن يتشارك في ذلك جمع من الحاضرين لان ميل الطباع الى التلهي والدعابة والازدراء بالضعفاء واهل المسكنة اكثر وانما لم يقل رجل من امرأة وبالعكس لان سخرية الجنس من الجنس اكثر فاقتصر على ذلك ليعلم منه الباقي الاولى وقوله عسى ان يكونوا كلام مستأنف يفيد علة النهي عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا قوله سبحانه ولا تلمزوا تاديب آخر واللمز الطعن باللسان والمعنى خصوا انفسكم بالانتهاء عن الطعن في امثالكم من اهل هذا الدين ولا عليكم ان تعيبوا غير اهل دينكم فقيل اللمز العيب خلف الانسان والهمز العيب في وجه الانسان وقيل الامر بالعكس لان من تراكيب الهمز غمز وهو يدل على البعد ومن تقليب اللمز لزم وهو يدل على القرب فيشمل العيب بالاشارة ايضا وقيل معناه ولا يعب بعضكم بعضا لانهم كنفس واحدة فمن عاب مؤمنا فكانه عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تستحقون به العيب فمن فعل ما استحق به فقد لمز نفسه

فلا ضمان عليهم

اخو المسلم

فاجلسوا

ولا يخفي ان هذا اللزم معني صحيح لكنه لا يطابق المقدم قوله ولا تنابزوا تاديب اخر والنبز بالسكون القذف بالمعره من الالقا
والنبز من الاعلام مادل علي مدح اوذم فهو بالنبز بالفتح اللقب القبيح فهو اخص من اللقب كما ان اللقب اخص من العلم وانما قال
لا تنابزوا ولم يتنزوا علي منوال ولا تلمزوا لان النبز لا يعجز الانسان عن جوابه غالبا في نبز غيره بالجار كان لذلك العرابين ينبزه
بالمنبه مثلا ولا كذلك اللمز فان المسلوب كثيرا ما يغفل عن عيب اللامز فلا يحضره في الجواب شي فيقع اللمز من جانب واحد
فقطم الكد النهي عن التنابز بقوله بيس الاسم اي الذكر الفسوق وفي قوله بعد الايمان وجوه احدها استقباح الجمع بين
الامرين كما يقول بيس الشان الصبوه بعد الشيخوخه اي معها وثانيها بيس الذكر ان يذكروا الرجل بالكفر اي الذي دينه
بعد ايمانه وكانوا يقولون لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وثالثها ان يجعل الفاسق غير مومن كما يقال
للمحول عن التجارة الي الفلاحه بيست حرفة الفلاحه بعد التجارة فمعني بعد الايمان ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم
الظالمون لان الاصرار علي المنهي كفر اذ جعل المنهي كالمامور فوضع الشي في غير موضعه تاديب اخر ومعني اجتنبوا
كونه منه في جانب وانما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا لان منه ماهو واجب كحسن الظن بالله وبالمومنين كما جاء في
الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي وقال صلعم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالله وقال ان حسن الظن من الايمان
ومنه محظور وهو سوء الظن بالله وباهل الصلاح عن النبي صلعم الحزم سوء الظن وعن انس عن النبي صلعم ان الله حرم
من المسلمين دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء ومن الذي امر الله اجتنابه ومنه ماهو مندوب اليه وهو اذا كان المظنون
به ظاهر الفسق واليه الاشارة بقوله صلعم الحزم سوء الظن وعن انس عن النبي صلعم احترسوا من الناس بسوء الظن
ومنه المباح كالظن في المسايل الاجتهاديه قال اهل المعاني انما نكر كثيرا ليفيد معني البعضيه المصرح بها في قوله
ان بعض الظن اثم وليعرف ان المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والتي تتصف بالقلة بعضه والمنهي في
الاثم عوض عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه تاديب اخر ولا تجسسوا وقد يخص الذي بالحاء المهملة بطلب
الحرم والبحث عنه كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه بالجيم تفعل من الجس والحاء من الحس قال مجاهد معناه خذوا
ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلعم انه قال في خطبة يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الي قلبه لا
تتبعوا عورات المسلمين فان من يتتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته حتي يفضحه ولو كان في جوف بيته وهذا الذي
كالمسبب لما قبله فلما نهي عن ذلك نهي عن سببه ايضا تاديب اخر ولا تغتب وقال غابه واغتابه بمعني والاسم الغيبة
بالكسر وهي ذكر الغيب بظهر الغيب وسيل رسول الله صلعم عنها فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كنت صادقا اغتبته
وان كنت كاذبا فقد بهته ثم مثل ما يناله المغتاب من عرض صاحبه علي افظع وجه فقال ايحب الي اخره وفيه
انواع من المبالغه منها الاستفهام المقرر ومنها محبته المكروه ومنها اسناد الفعل الي احدكم ففيه اشعار بانه لا احد
يحب ذلك ومنها تقييد المكروه باكل لحم الانسان ومنها تقييد الانسان بالاخ ومنها جعل الاخ او اللحم ميتا فيه مزيد تنفر
الطبع وانما مثل بالاكل لان العرب تقول لمن ذكر بالسوء ان الناس ياكلون فلانا ويمضغونه وفلان مضغه للماضغ
وسمي اداره ذكره في الفم بالاكل والميت المزيد التشنيع كما قلنا ولان الغايب كالميت من حيث لا يشعر بما يقال فيه اما الفاء
في قوله فكرهتموه فتفصيلا وتنبيها لانها للالزام اي بل يا بتهه نفوسكم فكرهتموه او فتحققت بوجوب الاقرار بحكم
العقل وداعي الطبع كراهتكم للاكل او اللحم او للميت فليحقق ايضا ان يكرهوا ماهو نظيره وهي الغيبة قال ابن عباس
في ادم كلاب الناس وعنه ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابه ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه
الي رسول الله صلعم فقال ما عندي شي فاخبرها سلمان فقد ذلك قالا لو بعثناه الي بير سميحة لغار ماوها
فلما راحا الي رسول الله صلعم قال لهما مالي اري خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت
ثلث قد بين في الحديث ان في الايه مبالغه اخري وهي انه اراد باللحم الميت المدود المنتن الخضر وقد عبر رسول الله صلعم
بالامر الحسي عن الامر المعنوي الذي ادركه بنور النبوه منهما وا علم ان الغيبة وان كانت منهية الا انها مباحة في
حق الفاسق في الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وروي من القي جلباب الحيا فلا غيبة له واتقوا الله
فيما نهاكم وتوبوا فيما وجد منكم وهي علم المومنين تلك الاداب الجميله علم الخطاب متعانين التحزب والتزود ذلك علي
الاطلاق فقال يا ايها الناس الايه قال بعض الرواة ان ثابت بن قيس حين قال للفلان بن فلانه قال النبي صلعم من الذاكر

فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واسود واحمر فقال
انك لا تفضلهم الا بالتقوي والدين فانزل الله هذه الايه وعن مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر النبي صلعم بلالا حتي اذن علي
ظهر الكعبة فقال عتاب بن اسيد فقال الحمد لله الذي قبض ابي حتي لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد
غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله به شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر
به رب السما فاتي جبرئيل فاخبره فانزل الايه فزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقرا وروي
ان رسول الله صلعم اتي في سوق المدينه غلاما اسود يقول من اشتراني علي شرط لا يمنعني عن الصلوة الخمس خلف
النبي صلعم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلعم يراه عند كل صلوة ففقده يوما فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال
عنه بعد ايام فقيل هو في رمانه فجاءه وتولي غسله ودفنه فدخل علي المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت وقوله من ذكر
وانثي فيه وجهان احدهما من ادم وحوا فيدل علي انه لا تفاخر للبعض لكونهم اولاد رجل وامراة واحدة والثاني كل واحد منكم ابوه
المومن دون وقت النداء خلقناه من اب وام فالتفاوت في الجنس دون التفاوت بين الجنسين لان الكافر
كالانعام بل اضل والمومن هو الناس وغيرهم كالنسناس والحاصل ان النبي اما ان يترجح علي غيره بامر يحمد ويثني عليه
بعد وجوده واما ان يترجح عليه بامر هو قبله وهذا القسم اما ان يرجع الي القابل او الي الفاعل كما يقال كان نعلا من القصبه
او هذا عمل فلان وهذا عمل فلان وقد كرم الله سبحانه الله لا يرجح بحسب الاصل القابل لان كلكم من ذكر وانثي ولا يحسب الفاعل
فان الله هو الخالق فما كان نعلا من نبا من الحكمه واحسنها بالتميز هو التقوي لما قلنا ولهذا لا يصلح المناصب الدينيه
كالقضا والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح بشي منها فاسق وان كان قرشي النسب قارون في
النسب ثم بين الحكمة التي من اجلها جعلهم علي شعوب وقبايل وهي ان يعرف بعضهم نسب بعض فلا يعتزي الي غير
ابايه فقال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا اي ليقع بينكم التعارف بسبب ذلك لا ان تتفاخروا بالانساب
وقيل الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب وقال جار الله الشعب بالفتح الطبقة الاولي من الطبقات الست
بين يكم التي عليها العرب اولها شعب وهي اعم سمي بذلك لان القبايل تتشعب منها ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ
ثم فصيله وهي الاخص مثال ذلك خزيمه تتشعب وكنانه قبيله وقريش عماره وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيله لا ريب ان الخلق يستعمل في الاصول اكثر والجعل يستعمل فيما يتفرع عليه ولهذا قال خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور وقال في الايه خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا لكنه في موضع اخر وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فيبين ان الاصل في الخلق والغرض الاقدم هو العباده فيعلم منه اعتبار النسب
وغيره موضح عن اعتبار العباده ولهذا قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفيه معنيان احدهما ان التقوي تفيد
الاكرام والثاني ان الاكرام في خلق الله يورث التقوي والاول اشهر كما يقال الذي اطعمه احلاها اي اللذة تفيد
الحلاوه لان الحلاوه بتوليد اللذه عن النبي صلعم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثني عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب
عنكم عبية الجاهليه وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مومن تقي كريم علي الله وفاجر شقي هين علي الله ثم قرا
الايه وعنه صلعم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال ابن عباس كرم الله الدنيا الغني الناس علي
تقواه دنيع من في ايمانه ضعف قال ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينه في سنة جدبه واظهروا
الشهادتين ولم يكونوا مومنين في السر وافسدوا طرق المدينه بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله
صلعم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقه وجعلوا يمنون عليه فانزل الله هذه
الايات اي قالوا امنا بشرايطه فاطلع الله نبيه علي مكنون ضمايرهم وقال قل لم تومنوا ايها الاعراب لان الذي وافق
القلب فيه ما اللسان ولكن قولوا اسلمنا يعني لغويا هو الخضوع والانقياد خوفا من القتل وقوله في نهية اهل الايمان والسلم
واكد النفي المذكور بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم وفيه فايدة زايده وهي انه يعلم ان الايمان متوقع منهم لان لما حرف
فيه توقع وانتظار ثم حثهم علي الطاعه بقوله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم اي لا ينقصكم من ثواب اعمالكم شيا
يعني الثواب المضاعف الموعود في نحو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الت يالت بالهمزة اذا نقص وهي لغة غطفان
ويقال لاته السلطان حقه اشد الالاته ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وذلك تطرب ولاته يليته بمعني صرفه عن وجهه

فيكون بليكم على منه بعدكم وعلى الوجه المتقدم يعلكم ان الله عفو رحيم لمن تاب واخلص نيته ثم وصف المومنين
المحققين بقوله انما المومنون ومعنى ثم في قوله ثم لم يرتابوا كما في قوله ثم استقاموا وان تاب مطاوع يا به اذا
اوقعه في الشك مع التهمة اي لم يقع في قلوبهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه وذلك بتشكيك بعض شياطين الجن
والانس وقال جار الله في وجه اخر لمكان زوال الريب ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مزيته واشعارا
بانهم مستقرون على ذلك في الازمنة المتطاولة غضا جديدا في قوله اولئك هم الصادقون تعريضا بان الذين قالوا
الكاذبون ولهذا قال قل لم تومنوا اشارة الى كذبهم في دعواهم وبه تعريض لا يقاومه التصريح ثم اراد تجهيلهم بقوله
قل اتعلمون الله بدينكم والباء قيل للسببية والاظهر انه الذي في قولهم ما علمت به وكما اي ما شعرت ولا احطت به وذكر
في اسباب النزول انه لما نزلت الاية الاولى جاءت هولاء الاعراب وحلفوا انهم مومنون معتقدون فنزلت هذه
الاية والاستفهام للتوبيخ اي كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية والتعليم افادة العلم على التدريج والمعالجة ونيل
تعريض من لا يعلم بايهام الحق لا انه تعلم قوله يمنون عليك نزلت في المذكورين وفي امثالهم يقال من عليه صنيعه اذا اعتده
عليه منة وانعاما قال اهل العربية اشتقاق المنة من المن الذي هو القطع لانه انما يسدي النعمة اليه ليقطع بها حاجته
من غير ان يعد طلب مثوبته وعوض ثم قال بل الله يمن عليكم حيث هداكم للايمان الذي دعيتموه وفي اضافة الاسلام اليهم ايذان
باسلامهم وفي ايراد الايمان مطلقا غير مضاف اشارة الى الايمان المعهود الذي يجب ان يكون المكلف عليه وجواب الشرط محذوف
للدلالة ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان الحقيقي فلله المنة عليكم ثم عرض بانهم غير صادقين بقاله انه يعلم الاية والمراد انه لا يخفى عليه شيء

سورة ق خمس واربعون آية مكية

كلماتها ثلثمائة وخمس وسبعون حروفها الف واربعمائة واربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد ۝ بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۝
ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ۝ قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ ۝ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج ۝ افلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ۝ والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ۝ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ۝ ونزلنا من السماء
ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ۝ والنخل باسقات لها طلع نضيد ۝ رزقا
للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ۝ كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس
وثمود ۝ وعاد وفرعون واخوان لوط ۝ واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل
فحق وعيد ۝ افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ۝ ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ۝ اذ يتلقى المتلقيان

عن اليمين وعن الشمال قعيد ۝ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ۝ وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ۝ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ۝
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ۝ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد ۝ وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ۝ القيا في جهنم كل
كفار عنيد ۝ مناع للخير معتد مريب ۝ الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب
الشديد ۝ قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ۝ قال لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ۝ ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ۝
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ۝ وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد ۝ هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ ۝ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب ۝ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ۝ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ۝ وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ۝ ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ۝ ولقد خلقنا السماوات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ۝ فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ۝ ومن الليل فسبحه وادبار السجود ۝
واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ۝ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك
يوم الخروج ۝ انا نحن نحيي ونميت والينا المصير ۝ يوم تشقق الارض عنهم سراعا
ذلك حشر علينا يسير ۝ نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار ۝
فذكر ۝ بالقرآن ۝ من ۝ يخاف ۝ وعيد ۝

القراءة مثنا بالتشديد بد وعيدي وما بعده مثل التي في ابراهيم يوم يقول بالياء نافع وابو بكر وحماد

امتلأت بابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يوعدون على الغيبة
ابن كثير وادبار بكسر الهمزة ابو جعفر ونافع وابن كثير وحمزة وخلف وجبلة المنادي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل
ويعقوب وافق ابو جعفر وابو عمرو في الوصل **الوقوف** ق كوفي ولو جعل قسما لا يوقف للعطف المجيد لان بل قد
يجعل جواب القسم تشبيها بان في التحقيق وفي التوكيد ما بعده وقد يجعل جوابه محذوفا اي لتبعثن ترابا لان ذلك منها
الا ان المقول واحد بجيد شيئهم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف حفيظ مريج بهيج لان تبصرة مفعول لاجله منيب
الحصيد لان النخل معطوف على الجنات والحب نضيد لان تبصرة مفعول لاجله منيب المراد ابتنا لها لاجل الرزق للعباد
للعطف ميتا الخروج وثمود لوط تبع وعيد الاول جديد نفسه ويجعل ما بعده حالا اليق من الاستيناف ثم يوقف على الوريد
اذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر او بقوله ما يلفظ فلا يوقف على قعيد عتيد بالحق تحيد الصور الوعيد ومنشهيد حديد
عتيد لتقدير القول عتيد مريب بناء على ان ما بعده صفة اخرى ولو جعل مبتدأ متضمنا معنى الشرط او نصبا على الذم
بالوقف الشديد بعيد بالوعيد للعبيد مزيد بعيد حفيظ لاحتمال ان يكون من شرطية جوابها القول المقدر قبل ادخلوها
او موصولة بدلا لكل منيب بسلام الخلود مزيد البلاد للاستفهام … ويعني ان عدم الخفق اولى لان
التنقيب وهو البحث والتفتيش واقع على جملة الاستفهام محيص شهيد لغوب الغروب لاحتمال تعلق الجار بما قبله
وبما بعده السجود قريب لان ما بعده بدل بالحق الخروج المصير لتعلق الظرف سراعا يسير وعيد **التفسير** قيل ان ق
اسم جبل من زبرجد اخضر محيط بالارض وخضرة السماء منه وقيل قادر او قاهر او نحو ذلك من اسماء الله مما اوله قاف
وقيل قضي الامر وقيل قف يا محمد على اداء الرسالة والاقوال المشتركة من الفواتح مذكورة واعراب قيل المحققين
كاعراب اول ص وبينهما مناسبة اخرى من قبل وقوع الاضراب بعد القسم ووجهه ما مر ومن قبل ان اكثر مباحث تلك
السورة في المبدأ والتوحيد وفي اول خلق البشر واكثر مباحث هذه السورة في الحشر والخروج ولهذا سنت قراءتها في صلوة
العيد لانه يوم الاجتماع وخروج الناس الى الفضاء والمجيد والمجد حقيقة لانه اشرف من سائر الكتب واعجازها غيبيا
وعالمه والعامل به وعن منذر منهم اي من جنسهم او من بعضهم فتوجه العرب الى الانذار بالبعث اولا ثم الى كون المنذر منهم
ولعل الاول ادخل عندهم في استغراب العجب منهم ولهذا اشار اليه بقوله هذا المرجع او البعث شيء عجيب ابهم الضمير
اولا في عجبوا ثم فسره ثانيا في قوله فقال الكافرون واقتصر على الضمير للعلم بهم ثم وضع الظاهر موضع الضمير شهيدا
عليهم بالكفر ثم زيدا في التعجب والتعجيب بقولهم أئذا متنا والتقدير انبعث وقت الموت والصيرورة ترابا ذلك
الرجع اي البعث رجع بعيد مستبعد … وقيل لانه من كلام الله عز وجل والرجع بمعنى الجواب اي هؤلاء الكفار
ودعوى المنذر جواب بعيد من جنس العقل لدلالة البراهين الساطعة على وجود الحشر والنشر منها شمول علم الله
تعالى باجزاء الميت على التفصيل والى هذا اشير بقوله قد علمنا ما تنقص الارض من اجساد الموتى وما تاكل من
لحومهم وعظامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض
منهم بالموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب هو اللوح المحفوظ من التغير ومن الشياطين ثم اتبع الاضراب
الاول اضرابا اخر فقال بل كذبوا والمقصود ان تكذيبهم بالحق الذي هو محمد والقرآن والاخبار بالبعث في اوله
من عجبهم … اقطع من تعجبهم والمريج المضطرب المخلوط بالشبهات والشكوك ولهذا ينسبون
القرآن تارة الى السحر واخرى الى الشعر والكهانة وقالوا في حق محمد صلعم مثل ذلك ثم استدل على صحة المبدأ
والمعاد بوجوه اخر منها بناء السماء وتزيينها بلا عمد ولا فروج اي شقوق وفتوق ولكنها صحيحة الاستدارة متلاحمة الجوانب
وليس في الاية دلالة على امتناع الخرق على السماء لان الاخبار عن عدم الوقوع لا ينافي الامكان نعم انه مناف لوجود
الابواب فيها ظاهرا اللهم الا ان يدعى ان المغايرة بين الفروج بين الابواب وفي قوله … لهم ونداء عليهم
سعادة العبادة ومنها مد الارض اي دحوها ومنها خلق الجبال الرواسي ومنها خلق اصناف النبات اما يبتهج
به ويبتهج الناس لحسنه ونضرته كل ذلك ليتبصر به ويتذكر من يرجع الى ربه ويتفكر في بدائع المخلوقات ويرتقي الى الصانع
من المصنوعات ومنها انزال المطر الكثير النافع المنبت للجنات والحبات والحصيد صفة موصوف محذوف اي وحب الزرع
الذي من شأنه ان يحصد كالحنطة ونحوها من الاقوات والباسقات التي طالت في السماء والطلع اول ما يبدو من

ثمر النخل والنضيد الذي نضد بعضه فوق بعض والمراد كثرة الطلع وتراكمه المستتبع لكثرة الثمرة شبه باحياء الارض
خروج الموتى كما قال في الروم وكذلك تخرجون ثم هددهم باحوال الامم السالفة وقد مر تفصيلهم مرارا واما تبع واصحاب
الرس فلم يذكرا الا في الفرقان وحديث تبع في الدخان ما اراد بفرعون وقومه لان المعطوف عليه الزم فحق وعيد
… فحق عقاب وفيه تسلية للنبي صلعم ثم دل على الحشر بضرب اخر من البيان وهو ان الذي لم يعجز عن الخلق الاول بل انشاءه
الى اي مخلوق كيف يعجز عن الاعادة واللبس الخلط والشبهة وتنكير اللبس والخلق الجديد لتعظيمهما اي لبس عظيم
وخلق له شان من حق مثله ان يهتم به ولا يغفل عنه ثم شرع في تقرير بعض الاحوال للانسان الدالة على شمول علم الله سبحانه
وعظم قدرته على بدايته ومعادته والوسوسة الصوت الخفي والباء في به للتعدية وما مصدرية اي نعلم جعل نفسه اياه …
والقرب مجاز عن العلم التام كقولهم هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار وما في الاية ادل على الافراط في القرب لان الوريد
جزء من بدن الانسان يريد ان علمه ينفذ في بواطن الاشياء نفوذ الدم في العروق والوريد العرق الحامل للدم سوى
الشرايين سمي وريدا لان الروح والدم يرده والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها يتشعبان من الرأس
يتصلان بالوتين فالحبل العرق ايضا شبه بواحد الحبال والاضافة للبيان كاضافة العام الى الخاص قال جار الله اذ
منصوب باقرب والمراد انه قريب من الانسان من كل قريب حين يتلقى به وفيه ان كتبة الملكين لا حاجة اليها لعلام الغيوب
وانما هي لاغراض اخر كالزام العبد واستحيائه منهما عن النبي صلعم ان مقعد ملكيك على ثنيتك اي … ولسانك
قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري في ما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب فكانه
قيل لا يخفى عليه شيء لان حفظته موكلون به والتلقي والتلقن بالحفظ والكتبة والقعيد القاعد كالجليس بمعنى
المجالس والتقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واختصر والمقابلة اما بالنسبة الى الملك الاخر واما بالاضافة
الى الانسان والعتيد الحاضر قال اكثر المفسرين انهما يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان وقيل لا
يكتبان الا الحسنات او السيئات وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وحين حكى انكارهم
البعث واحتج عليهم بالدلائل الباهرة واخبر عن قرب القيامتين الصغرى والكبرى بان عبر عنهما بلفظ الماضي وهي
قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ في الصور وسكرات الموت حالاته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية
اي احضرت السكرة حقيقة الامر وعليه الحال من تحقق وقوع الموت او من سعادة الميت او ضدها كما نطق بها الكتاب
والسنة والمراد وجاءت ملتبسة بالغرض الصحيح الذي هو ترتب الجزاء على الاعمال ذلك الحق ما كنت منه تحيد اي تميل
وتهرب ايها الانسان ولا ريب ان هذا الهرب الناجي يكون بالحقيقة والمراد بحسب نفرة الطبع الا انه اذا فكر في امر نفسه
وما خلق هو لاجله علم ان الموت راحته وخلاص عن عالم الافات والبليات قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى النفخ
والمضاف محذوف اي وقت والنفخ الثاني زمان الوعيد والسائق والشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر او الى الجنة
والنار كما قال وسيق والاخر يشهد عليه بالاعمال ويجوز ان يكون ملكا واحدا جامعا بين الامرين ويجوز ان يكون الرقيب
المذكور والجملة حالية من كل لانه لعمومه كالمعرفة ثم يقال للانسان لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الامر فكشفنا
عنك بقطع العلائق الحسية ومفارقة النفس الناطقة غطاءك وهو الاشتغال بعالم المحسوسات فبصرك اليوم حديد
غير كليل منبسط غير نائم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلعم كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي كنت قبل الوحي
في غفلة من هذا العلم ثم بين ان الشيطان الذي هو قرين الكافر كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا يقول لاهل المحشر او لسائر القرناء هذا ما لدي عتيد من زبانية جهنم وهذا ناكرة ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها
وان جعلتها موصولة فعتيد بدل او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف ويحتمل ان يقول الشيطان لقرينه هذا البلاء النازل بك
مما عددته لك القيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد او للواحد على عادة العرب خليلي … وذلك ان اكثر الرفقاء
يكون اثنين وقال المبرد التثنية للتاكيد كانه قيل الق الق ثم نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما ويجوز
ان يكون الالف بدلا من نون التاكيد الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة الحسن القين عنيد ذي عناد
او معاند مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يمنع من بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم في الاسلام لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم مريب شاك

اوشاك في دين الله قوله قال قرينه جاء على طريق الاستيناف بخلاف ما تقدم فانه جاء على طريق العطف
كان قرينه وهو الكافر قال يا رب انما اطغاني واجاب القرين وهو الشيطان ربنا ما اطغيته ما اوقعته في الطغيان
ولكن كان في الازل في ضلال بعيد وقالت المعتزلة ولكنه اختار الضلالة على الهدى ثم ذكر كلاما اخر مستانف
كان سائل سال فما ذا قال الله فقيل قال لا تختصموا وهذا هو الذي دل على انه ثم مقاولة من الكافر لكنها طويت
لدلالة الاختصام عليها والمعنى لا تختصموا في موقف الحساب والحال اني قد قدمت اليكم وفيه انما اختصامهم كان ينبغي
ان يكون قبل ذلك في الدنيا كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والباء في بالوعيد اما مزيدة او للتعدية على ان
قدم بمعنى تقدم او هو حال والمفعول جملة قوله وقد قدمت حال من ضمير لا تختصموا فاجتماعهما في زمان واحد واجب وليس
كذلك لان التقديم في الدنيا والاختصام في الاخرة فلك معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد
وصحة ذلك عندهم في الاخرة داوّل لا حاجة الى هذا التكلف والسؤال ساقط بدونه لان معنى الماضي ثابت في اي
حال العرض بعده وقوله لدي اي ما يتعلق بالقول اي ما يبدل القول الذي هو لدي يعني القضا في جهنم لاملان جهنم
او الحكم الازلي بالسعادة والشقاوة واما ان يتعلق بقوله ما يبدل اي لا يقع التبديل عندي والعافي كما عرفت ويجوز
ان يراد لا تبديل للكفرة بالايمان فانا ايمان الباس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا لا نعبدك نعم يوم نقول منصوب بظلام
او باذكر قال في اهل المعاني سؤال جهنم وعدها انها من باب التخييل الذي يقصد به تقريب المعنى في النفس وقوله هل
من مزيد اي من زيادة او هو اسم مفعول كالمبيع لشان استكثار الداخلين كما ان يضرب غيره ضربا مبرحا او يشتمه شتما
فاحشا فيقول المضروب هل بقي شيء اخر يدل عليه قوله سبحانه لاملان جهنم فلا بد ان يحصل الامتلاء فكيف يبقى في
جهنم موضع خال حتى يطلب المزيد ويحتمل انها تطلب الزيادة بعد امتلائها غيظا على العصاة وتضييقا المكان عليهم
او لعل هذا الكلام يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهنم تغيظ على الكفار فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة
المسلمين فتطلب الامتلاء من الكفار كيلا ينقص ايمان العاصي حرها فاذا ادخل العصاة النار سكن غيظها وعند هذا
يقع ما ورد في الاخبار وان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار فيها قدمه والمؤمن جبار متكبر على ما سوى الله
تعالى ذليل متواضع لله خلقا يسكنون نفوس الجنة قلت لا ريب ان جهنم الحرص والشهوة والغضب لا تفنى ولا تسكن
ولا تنتهي الى حد معلوم بل تقول دائما بلسان الحال هل من مزيد الى ان يقبض الله سبحانه وتعالى عليها من سجال عنايته
ورحمته لشبه صلحها منتهى الفضول ويقف في حد معين ويقنع بما تيسر وكذا الترقي في مدارج الكمالات ليس
ينتهي الى حد معلوم الا اذا استغرق في بحر العرفان وكان هناك ما كان كما قال وازلفت الجنة اي قربت للمتقين
يحتمل ان يكون الواو للاستيناف وان يكون للعطف على نقول والمعنى لتحقق الوقوع المستدعي لمزيد البشارة ثم لكي
المذ… متكيين في الاية المتقدمة لم يحتج الى تحقيق الابتداء قوله غير بعيد نصبا على الظرف اي مكانا غير
بعيد عنهم او على الحال وتذكيره … كما تقرر في قوله ان رحمت الله قريب انه على زنة
المصادر كالزئير والصهيل او هو على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد قال جار الله معناه التوكيد كما تقول هو قريب
غير بعيد وعزيز غير ذليل انه لما ذكر الوهم وهذا في كل تاكيد فتعني الاية ان الجنة قريب منهم بكل الوجوه وجميع القابليات
وقال المحققون انه صفة مصدر محذوف اي ازلافا غير بعيد في قدرتنا … وذلك ان المكان لا يقرب
وانما تقرب منه فذكر الله سبحانه ان الازلاف ليس بعيد عن قدرتنا بطي المسافة او غير ذلك ويحتمل
ان يقال الازلاف يعني قرب الحصول كمن يطلب من الملك امرا خطيرا فيقول الملك بعيد عن ذلك او قريب منه ولا
ريب ان الجنة بعيدة الحصول للمكلف ولولا فضل الله ورحمته … قال صلى ما منكم احد يدخل الجنة الا بفضل الله
فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله غير بعيد يراد به القرب المكاني كانه تعالى
ينقل الجنة من السماء الى الارض فيحصل بينها المؤمن ومما سنح لهذا الضعيف وقت كتبة تفسير هذه الاية ان الشيء
ربما يقرب من شخص ولكن لا يوهب منه ولا يملكه ولكن لا يكون قريبا منه فذكر الله سبحانه في الاية ان الجنة
تقرب لاجل المتقين غير بعيد الحصول لهم بل كما قربت دخلوها وحصلوا فيها لا كما قيل على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي عهد ودوا في المثل المبعد القريب خير من القريب البعيد وذلك لانهم حصلوا السعاد

دخول

دخول الجنة وهو التقوى بخلاف الفاجر فانه لا ينفعه القرب من الجنة لان ملكاته الذميمة تحول بينه وبينها ولكن
يشبه حالهما بحال الكبريت الجيد والحطب الرطب اذا قربا من الجمر ولك ان تفرق عنه الحالة في الدنيا فان اهل الصلاح وارباب
النفوس المطمئنة يتقلون بل يستقلون كل خير يعرض عليهم واهل الشقا واصحاب النفوس الامارة تكون حالهم بالعكس
يفرون من الخيرات والكمالات ويالفون الشهوة واللذات الزائلات ووجه اخر وهو ان الجنة قربت لهم حال كونها كالواحد
منهم غير بعيد عن لقاء الله ورضاه وفيه ان المتقين هم اهل الله وخاصته ليسوا ممن شغلوا بالجنة عن الاستغراق
في لجة العرفان بل لهم من النعيم المقيم لقاء الرب الكريم قوله عز من قائل هذا ما توعدون قال جار الله انه جملة معترضة
وقوله لكل اواب حفيظ بدل من قوله للمتقين ثم ذكر الرجل خيرا ثانيا لهذا الرب بعد والمشار اليه الثواب والازلاف
والاواب الرجاع الى الله بالاعراض عما سواه والحفيظ الحافظ لحدود الله او الاوقات عمره او لما يحرزه من المقامات والاحوال
فلا ينقص على عقبيه فينتهي حينئذ مزيد الطريقة قوله من خشي بدل من … او ابه في الوقوف وجوز ان يكون
منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب والترحيب وقرن بالخشية اسمه الدال على وفور الرحمة
للثناء على الخاشي من جهة الخشية اولا ومن جهة خشيته مع علمه سعة وجوده ورحمته ومن جهة الخشية مع الغيب
وقد مر مرارا وقد يقال انها الخشية في الخلوة حيث لا يراه احد قال اهل الاشتقاق ان تركيب خ ش ي يلزمها الهيبة
ومنه الشيخ السيد والكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء فكل موضع ذكر فيه الخشية اريد بها
معنى عظمة المخشي عنه وكل موضع فيه الخوف فاذا اريد به ضعف الخائف كقوله يخافون ربهم من فوقهم او ضعف الخوف
منه كقوله لا تخف ولا تحزن يريد انه لا عظمة لهم فقال انا نخاف من ربنا يوما لان عظمة اليوم بالنسبة الى عظم الله هينة
ووصف القلب بالمنيب باعتبار صاحبه او لان الانابة المعتبرة هي الرجوع الى الله بالقلب لا باللسان والجوارح ادخلوها
بسلام اي سالمين من الافات او مع سلام من الله وملائكته وذلك اشارة الى قوله يوم يقول اي ذلك اليوم يوم تقدير
الخلود في النار او في الجنة ويجوز ان يكون اشارة الى وقت القول اي حين يقال لهم ادخلوها هو وقت تقدير الخلود
في الجنة ثم بين قوله بعده لهم فيها ما يشاؤون ولدينا مزيد مما لم يخطر ببال احد ويجوز ان يراد به الذي ذكره في قوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة يروى ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطر عليهم الحور فتقول الحور نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد
ثم عاد الى التهديد بتوجيه اجمال الحمل فابلاوكم اهلكنا الاية ومعنى الفاء في قوله فنقبوا انهم عاقبلة كقولك وهو اقوى منه
… بطشا اي بسلطته بطشهم … على الشعب … ذلك ساحوا في اقطار الارض وسالوا هل من محيص اي …
من الموت او من عذاب الله اعلموا ان لا مفر ان في ذلك الذي ذكر من اول السورة الى ها هنا او من حديث النار والجنة او من
اهلاك الامم الخالية لذكرى لمن كان له قلب واع فان الغافل في حكم عديم القلب والقاء السمع الاصغاء الى الكلام وفي قوله
وهو شهيد اشارة الى ان مجرد الاصغاء لا يفيد ما لم يكن المصغي حاضرا بفطنته وذهنه وفي الاية ترتيب حسن لانه كان
اذا طلب ذلك يستخرج المعاني بتدبيره وفكره فذاك والا فلا بد ان يكون مستمعا مصغيا الى كلام المنذر ليحصل له التذكر
قال المفسرون زعمت اليهود ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش فرد الله عليهم بقوله ولقد خلقنا الى قوله وما مسنا من لغوب اي اعياء ثم سلى رسوله فلم
بالصبر على اذى الكفار وفيه لطيفة وهي ان الله مع كمال قدرته واستغنائه صبر على اذى الجهلة الذين نسبوه الى
اللغوب والاحتياج الى الاستراحة فكيف لا يصبر رسوله على ابتداء لمنة بل كل لا يصبر احدنا على اذى امثالنا وما صحة
انه كانوا مسلطين علينا اللهم لا تكلنا الى انفسنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وادفع عنا تقديرك شر كل ذي شر واعوذ
واعوذ … وقد سبق نظير الاية في اخر طه ودلالتها على الصلوة الخمس ظاهرة وادبار السجود اعقاب الصلوات فان السجود
والركوع يعبر بهما عن الصلوة والاظهر انه الادعية والاذكار المشتملة على تنزيه الله وتقديسه وقيل النوافل بعد المكتوبات
وعن ابن عباس هو الوتر بعد العشاء ومن قرا بكسر الهمزة اراد انقضاء الصلوة واتمامها وهو مصدر وقع موقع الظرف
اي وقت انقضاء السجود كقولهم اتيك خفوق النجم قال اهل النظم ان النبي صلى الله عليه وسلم له شغلان احدهما عبادة الله والثاني هداية
الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اصبر واقبل على شغلك الاخر وهو العبادة ثم عين غاية التسبيح بقوله
واستمع يعني اشتغل بتنزيه الله وانتظر المنادي كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ومفعول استمع محذوف

ذكرهم

اي كن مستغفرا لما اخبرك من اهوال القيمه ولا يكن مثل هولاء المعرضين وقال جار الله في ترك المفعول وتقديم الامر بالاستماع تعظيم لشان المخبر والمحدث عنه كما روي ان النبي صلعم قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لكم ثم حدثه بعد ذلك فانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور والمنادي قيل الله كقوله يوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون والاظهر انه اسرافيل صاحب الصيحة ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان يجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر والمكان القريب صخرة بيت المقدس يقال انها اقرب الى السماء باثني عشر ميلا وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية وهذا يويد القول بان المنادي هو الله لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد والصيحة النفخة الثانية كما قال ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقوله بالحق يتعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء اي بسبب الحق الذي هو البعث ويجوز ان يتعلق بالسماع اي به يسمعونها باليقين وقيل الباء للقسم اي بالله الحق قوله سراعا حال من المجرور اي تتكشف عنهم مسرعين ذلك الشق او الحشر حشر علينا يسير اي علي غيرنا وهو رد على قولهم ذلك رجع بعيد نحن اعلم بما يقولون اي من المطاعن والانكار وعقيبه تهديد لهم وتسلية للنبي صلعم وما انت عليهم بجبار اي بمسلط حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع ولعل في تقديم الظرف اشارة الى انه كالمسلط على المومنين ولهذا نفعهم تهديد ما يتبعه بطن الجنة وقيل المراد انكر وفي رجم لست فظا غليظا والاظهر انه ذوي بدليل قوله فذكر اي ادخره اي اترك هولا ويتجلي على من ينتفع بتذكيرك تمت

سورة والذاريات ستون اية مكية

حروفها الف ومايتان وسبعه وثمانون كلمها ثلثمايه وستون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

والذاريات ذروا ۝ فالحاملات وقرا ۝ فالجاريات يسرا ۝ فالمقسمات امرا ۝
انما توعدون لصادق ۝ وان الدين لواقع ۝ والسماء ذات الحبك ۝ انكم لفي قول
مختلف ۝ يوفك عنه من افك ۝ قتل الخراصون ۝ الذين هم في غمرة ساهون ۝ يسألون
ايان يوم الدين ۝ يوم هم على النار يفتنون ۝ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ۝
ان المتقين في جنات وعيون ۝ اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ۝
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ۝ وبالاسحار هم يستغفرون ۝ وفي اموالهم حق
للسائل والمحروم ۝ وفي الارض ايات للموقنين ۝ وفي انفسكم افلا تبصرون ۝
وفي السماء رزقكم وما توعدون ۝ فورب السماء والارض انه لحق مثل ما
انكم تنطقون ۝ هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ۝ اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ۝ فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين ۝ فقربه

اليهم

اليهم قال الا تاكلون ۝ فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام
عليم ۝ فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ۝ قالوا كذلك
قال ربك انه هو الحكيم العليم ۝ قال فما خطبكم ايها المرسلون ۝ قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ۝ لنرسل عليهم حجارة من طين ۝ مسومة عند ربك للمسرفين ۝ فاخرجنا
من كان فيها من المومنين ۝ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ۝ وتركنا فيها اية للذين
يخافون العذاب الاليم ۝ وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين ۝ فتولى
بركنه وقال ساحر او مجنون ۝ فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم ۝ وفي
عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ۝ ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم ۝
وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ۝ فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم
ينظرون ۝ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ۝ وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ۝
والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون ۝ والارض فرشناها فنعم الماهدون ۝ ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ۝ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ۝ ولا
تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين ۝ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون ۝ اتواصوا به بل هم قوم طاغون ۝ فتول عنهم فما انت بملوم ۝
وذكر فان الذكرى تنفع المومنين ۝ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ۝ ما
اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ۝ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ۝ فان
للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون ۝ فويل للذين كفروا من يومهم
الذي كانوا يوعدون ۝ **القراءة** والذاريات ذروا بادغام التاء في الذال حمزة وابو عمرو
مثل ما بالضم حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون مثل بالفتح على البناء لاضافته الى غير متمكن او على انه حال
مثل نطقكم سلم بكسر السين وسكون اللام حمزة وعلي والمفضل الصعقة بسكون العين بلا الف علي وقوم نوح بالجر ابو عمرو

وحمزة وعلي وخلف **الوقف** ذروا وقرا يسرا امرا لصادق لواقع الحبك مختلف افك الخراصون ساهون الدين يسئلون
مهلة بغير صلة الدين بناء على ان عامل يوم منتظر ايعيا لهم ذوقوا فتنتكم يستعجلون وعيون بما محسنين يهجعون
يستغفرون والمحروم للموقنين للعطف انفسكم تبصرون توعدون تنطقون المكرمين لان عامل اذ محذوف وهو اذكر ولو وصل
لاوهم انه ظرف للاتيان سلاما سلام لحق الحذف مع اتحاد القايل اي انتم قوم منكرون سمين للعطف تاكلون للابتداء مع العطف
خيفة لا تخف عليم عقيم كذلك للتعلق بما بعده ربك العليم الجزء السابع والعشرون المرسلون مجرمين طين للمسرفين المؤمنين
للابتداء مع العطف بالفاء واتصال المعنى المسلمين لذلك الاليم لتناهي القصة وحكم العرفية الوصل للعطف على قوله وفي الارض
ايات مبين مجنون مليم تمامة العقيم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال اي عتت تامة كالرميم حين ينظرون منتصرين
على القرائن فيما بعده للعطف اي وفي قوم نوح او واهلكنا قوم نوح ولو قدر واذكر قوم نوح بالوقف ثم قيل فاسقين لموسعون
الماهدون تذكرون الى الله مبين للابتداء مع العطف اخر مبين او مجنون اتواصوا به لان بل للاضراب يعني مع العطف لفظا
طاغون بملوم للابتداء مع اتفاق الجملتين المؤمنين ليعبدون يطعمون المتين يستعجلون يوعدون **التفسير** لا ريب في ان الحق
انهم بعد ايراد البراهين الساطعة عليهم مصرون على انكار الحشر فهذا تسلية لنبيه صلعم بقوله نحن اعلم بما يقولون وما انت
عليهم بجبار ثم بني الامر على التاكيد الدعوى بالايمان فلذلك افتتح بذلك عن علي كرم الله وجهه انه قال على المنبر سلوني قبل
ان لا تسئلوني ولن تسئلوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح وقد مر في الكهف في قوله تذروه الرياح
قال فالحاملات وقرا قال السحاب لانها تحمل المطر ما لم ينزل او وقرا باعتبار جنس المطر وهو واحد قال فالجاريات يسرا
قال فالمقسمات امرا قال الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او بفصل التقسيم مامورة بذلك
فيكون مصدرا في موضع الحال ومعنى الفاء فيها ظاهر لانه تعالى اقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي
تجري بها كانها ما في الجو ونده من السحاب فلذلك اخر ثم اقسم بالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وغيرها
البر وقيل ان الاوصاف الاربعة كلها للرياح لانها تذرو التراب وغيره وانها تنشي السحاب وتحمله ولا ريب ان السحاب
حمل ثقيل ولا سيما اذا كان فيه مطر ثم تجري اعني الريح في الجو بنفسها سهلا في نفسها اي لا يصعب عليها الجري او بالنسبة
الينا بخلاف الصرصر والعاصف ونحوها فتستطف السماء ثم تقسم الامطار في الامصار بتصريف السحاب وقد وقع في
ذكر هذه الاوصاف لطيفة فان الحشر يتم امكانه بها لان اجزاء بدن المكلف ان كان في الارض فيجمع الريح فيها بالمدري
وان كانت في الهوا فتحملها بالثقل وان كانت في البحر فيجريها جهابا نشا السحاب منها او الذي مر على اجزاء السفن في السحاب
تقدر على اخراج تلك الاجزاء بينهما الى البر وبعد ذلك تقسم الملائكة ارواح الخلائق على اجسادها باذن الله تعالى وقيل
المقسمات الكواكب السبعة وجواب القسم انما توعدون وما مصدرية او موصولة لصادق في نفسه كما يقال خبر
صادق او ذو صدق كعيشة راضية ثم صرح بالوعد قائلا وان الدين اي الجزاء الواقع اي حاصل وحين اقسم على صدق
موعوده اقسم على جهلهم وعنادهم والحبك الطرائق كطرائق الرمل والماء اذا ضربته الريح وقال ان خلقه السماء كذلك
واحدها حباك وقال الحسن حبكها نجومها لانها تزينها كما تزين الوشي طرائق المتين وقيل حبكها صفاقها واحكامها يقال للثوب
الصفيق ما احسن حبكه وعلى القول الاول يكون بين المقسم والمقسم عليه مناسبة لان القول المختلف له ايضا طرائق
قال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا وانما هو متناقض مختلف ولهذا قالوا الرسول ساحر شاعر مجنون والقران
مثل ذلك وعن قتادة ان المراد منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر والضمير في يؤفك عنه للقرآن او للنبي اي يصرف عنه من
صرف الصرف الذي لا صرف بعده لانه غايته ونهايته ويمكن ان يقال يصرف عنه من صرف في سابق علم الله ويجوز ان يكون
الضمير للموعود اقسم بالذاريات وغيرها انه واقع ثم اقسم بالسماء انهم مختلفون في وقوعه يؤفك عن الاقرار
به من هو عديم الاستعداد متوغل في الجهل والعناد وجوز جار الله ان يرجع الضمير الى قول مختلف ويكون عن كما في
قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب كثرة الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن
عن الاكل والشرب وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف ثم دعا عليهم بقوله قتل الخراصون اي الكذابون المقدرون
ما لا يصح وهم المعهودون وانهم يقتلهم شخولا او اولياء ولا يراد بهذا الدعاء وقوع القتل بعينه بل اللعن وما يوجب
الهلاك باي وجه كان وقيل المراد الانقبيح حال المدعو كقوله قتل الانسان ما اكفره والمعنى كل ما يعرض الانسان اي انهم

في جهل غمرهم غافلون عما امروا به ايان يوم الدين اي ومتى وقوعه ثم اجاب بقوله يوم هم اي يقع في ذلك اليوم
ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ثم وبخهم وتهكم بهم قائلا ذوقوا الى اخره وحين حكى الحال الناجز الشقي اراد ان يبين
حال المؤمن التقي فقال ان المتقين في جنات وعيون اي في جنات فيها عيون حال كونهم اخذين ما اتيهم ربهم قال جار
الله اي قابلين لكل ما اعطاهم راضين به لا يكون ياخذ شيئا على سخط وكراهية وقال غيره اراد انهم ياخذونه شيئا
فشيئا ولا يستوفونه وذلك بكمالهم لامتناع استيفاء ما لا نهاية له وقيل الاخذ بمعنى التملك يقال بكم اخذت هذا اي تملكته
بانفسهم واموالهم واقول ان فيض الله تعالى لا ينقطع اصلا وانما يصل الى كل مكلف بقدر ما استعد له فكلما ازداد قبولا
ازداد نائلا من الفيض فالاخذ في هذا المقام لعله اشارة الى كمال قبولهم للفيوض الالهية وذلك لما اسلفوا من حسن
العبادة ووفور الطاعة ولهذا علله بقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي في الدنيا فظهر عليهم بعد التقطع المتعلق
اثار الاحسان ونتيجته وقوله ما اتيهم على المضي لتحقيق الايصال وتادي ونسيق وذلك اهل الغربان ما تاموا في الاية
يا حذون نتايجه في الابد ثم فسر احسانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما صلة اي كانوا ينامون في طايفة قليلة
من الليل ويهجعون هجوعا قليلا وجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة وارتفع ما مع الفعل على انه فاعل قليلا اي كانوا
قليلا من الليل هجوعهم او الذي يهجعون فيه وفيه اصناف المبالغة من جهة لفظ الهجوع وهو النوم اليسير ومن
جهة لفظ القلة ومن جهة التقييد بالليل لانه وقت الاستراحة فقلة النوم فيه اعرب منها في النهار ومن
جهة ما المزيدة على قول ولا يجوز ان يكون ما نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وصفهم بانهم يحيون اكثر الليل متهجد
فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم باتوا في معصية الملك الجبار وهذه سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه
الكرم ثم يستقله ويعتذر اللهم بالعكس ياتي باقل شيء ثم يمن به ويستكثره ومثله المطيع ياتي بغاية مجهوده
من الخدمة ثم ينسب نفسه الى التقصير فيستغفر ويمكن ان يقال انهم يستغفرون من الهجوع كانهم ارادوا ان يقوموا
على احياء الليل كله ويجوز ان يكون الاستغفار بمعنى الصلوة لقوله بعده وفي اموالهم حق فيكون كقوله يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ووجه اعرب وهو ان يكون المبني في استغفر مثله في استحصد الزرع اي حان ان يحصد فكان
وقت السحر هو اوان حصول المغفرة لهم وقال جار الله في قوله هم يستغفرون اشارة الى انهم هم المستغفرون على تناسي
الفعل السابق وحيث ذكر جدهم في التعظيم لامر الله اردفه بذكر شفقتهم على خلق الله والمشهور في الحق انه القدر
الذي علم اخراجه من المال شرعا وهو الزكوة وسئل انه على هذا لم يكن صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر
وذلك اذا قلنا انه مخاطب بالفروع الا انه اذا اسلم سقط عنه واجيب بان السائل من له الطلب شرعا والمحروم
من الحرمة وهو الذي منع الطلب فكانه قيل في اموالهم حق في اعتقادهم وسيرتهم كانهم اوجبوا على انفسهم ان
يعطوا من المال حقا معلوما وان لم يوجبه الشرع وفي السائل والمحروم وجوه احدها مر الثاني السائل هو
الناطق والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوان المحترم كما قال صلعم لكل كبد حرى اجر الثالث وهو الاظهر ان السائل
هو الذي يتكفف والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه قال صلعم ليس المسكين ترده الاكلة والاكلتان
واللقمة واللقمتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وتقديم السائل على ترتيب الواقع لانه يعرف حاله
بمقاله فيسد خلته واما المحروم فلا يندفع حاجته الا بعد الاستكشاف والبحث وقيل المحروم الذي لا ينمي له مال
وقيل هو المنقوص الحظ الذي لا يكاد يكسب ثم اكد وقوع الدلالة على قدرته بقوله وفي الارض ايات ومعنى اياته
انك ترى الارض خاشعة الى قوله ان الذي احياها لمحيي الموتى ومن عجائب الارض ما هي في جوفها من الاشياء
والالوان المختلفة وطبقاتها المتباينة ومنها ما لا يطلع عليها ومنها من الجبال والمواليد الثلثة ومنها ما هي طاردة عليها
من فوقها كالمطر وغيره وخص الايات الارضية بالذكر لقربها من الحواس وخص كونها ايات للموقنين لانهم هم
المنتفعون بذلك ومن لم يتامل في المصنوعات لم يرد تعيينه بالصانع ثم استدل بالانفس فقال وفي انفسكم
ايات وذلك ان الانسان عالم صغير فيه مثاله من العالم الكبير وقد مر تقرير ذلك مرارا وقيل هي الارواح اي
وفي نفوسكم التي بها حياتكم ايات وقال اهل النظم هذه الاية موكدة لما قبلها فان من وقف على هذه الايات الباهرة
يحمله جلال الله وعظمته فمنعه ويعبده ويستغفر من تقصيره ولا يهجع الا قليلا وكذا من عرف انه ينفق المال

لم يخل بماله ويعطيه السايل والمحروم عن الحسن انه كان اذا راي السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم يعني المطر
ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون هي الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش وقيل ان رزقكم في الدنيا وما توعدون
في العقبى كلها مقدرة مكتوبة في السماء ثم ابتع من الاخبار السالفة من اول السورة الي ههنا حقية القران او النبي
او الموعود واقسم عليه برب السماء والارض بان الادق دهي المرو بات كالذاريات وغيرها الي الرب تعالى ومامر بل
بنص الجليل حكاه جار الله يقال في الامر الظاهر غاية الظهور ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ها هنا قال
الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي علي قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع
يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الي ناقته فنحرها
ووزعها على الناس وعمد الي سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف لي بصوت
دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر وسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح وقال وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل
حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الي اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه ثم سلى نبيه صلعم بقصة ابراهيم وقد
مرت في هود والحجر وفي قوله هل اتيك تفخيم لشان الحديث والضيف واحد وجمع المكرمون اما باعتبار اكرامه
اياهم حتى خدمهم بنفسه وبامراته او لانهم اهل الاكرام عند الله كقوله بل عباد مكرمون وجوز ان يكون نصبا
دخلوا بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم او بما في ضيف من معنى الفعل قال المفسرون انكرهم السلام الذي هو
علم الاسلام او اراد ان يعرف حالهم لم يكونوا من معارفه فراغ الي اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه وهو نوع
ادب للضيف كيلا يستحيوا منه ولا يبادروا بالاعتذار والمنع من الضيافة وفي قوله فقربه اليهم دلالة على ان
نقل الطعام الي الضيف اولي بالعكس لئلا يتشوش المكان عليهم قال الا تاكلون سلوكا لطريقة الاستيناف
ولهذا حذف الفاء خلاف ما في الصافات وتذكر الاستفهام لانكار ترك الاكل والحث عليه فاوجس فاضمر وقد
تقدم ساير الابحاث في هود وفي الصافات واعلم انه سبحانه ذكر في هود لانه لما راي ايديهم لا تصل اليه نكرهم
وقال ههنا سلام قوم منكرون ولا تنافي بين الحديثين لانه انكرهم اولا بالسلام الذي لم يكن من عادة تلك
الشريعة ثم زاد انكاره حين راهم لا ياكلون الطعام فذكر احد الانكارين في تلك السورة والاخرة في هذه قوله فاقبلت
امراته في صرة اي في صيحة وعن صاحب الفلر قال الحسن كانت في زاوية تنظر اليهم ووجدت حرارة الدم فاقبلت
الي بيتها وصاحت ولطمت وجهها من الحياء والتعجب كعادة النسوان وقالت انا عجوز فاجابت الملائكة كذلك اي
مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك فلا تستبعدي بعد ان اجبرايل قال لها انظري الي سقف بيتك فنظرت
فاذا اجذوعه مورقة مثمرة وحين احس ابراهيم صلوات الرحمن عليه بانهم ملايكة قال فما خطبكم ايها المرسلون
فاجابوا بانهم ارسلوا الي قوم لوط ليرسلوا عليهم السجيل كما قصصنا في هود والضمير في قوله فيها للقرية وان لم
يجر لها ذكر لانه معلوم قالت المعتزلة في الاية دلالة على الايمان والاسلام واحد وقال غيرهم المسلم اعم من المومن
واطلاق العام على الخاص مما لا يمنع منه ولا يدل على اتحادهما وهذا كقول القايل من في البيت من الناس فيقول
له ما في البيت من الحيوانات احد غير زيد فيكون مخبرا له بخلو البيت عن كل انسان غير زيد قوله وتركنا فيها اية كقوله
في العنكبوت ولقد تركنا فيها اية بينة اي علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم وهي الحجارة المسومة
او ماء اسود قوله وفي موسى قيل الاقرب ان يكون معطوفا على قوله وتركنا فيها اي وجعلنا في موسى اية قال
جار الله كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا ويمكن ان يقال ان قصة موسى ايضا اية متروكة باقية على
وجه الدهر فلا حاجة الي هذا التكلف قوله فتولى بركنه كقوله ونادى بجانبه وقيل الباء للمصاحبة والركن
القوم الي فاني دن واعرض مع كان يتقوى به من جنوده وملكه وقيل بركنه هامان وقال العلماء وصف فرعون
بالمليم مع انه وصف يونس النبي صلعم به كما مر في الصافات لا يوجب الاشتراك فيما في استحقاق الملازمة لان موجبات
اللوم تختلف فراكب الكبيرة ملوم على قدرها ومقترف الصغيرة ملوم بحسبها وبينهما بون العظم ثم الحق
من انشا سطرا او العاج شجي والرميم مارم ونفيت قال في الكشاف تمتعوا حتى حين تفسيره في قوله تمتعوا في داركم

لانهم

ثلثة ايام قلت هذا سهو منه فان قوله فعتوا عن امر ربهم لا يطابقه اذ العتو لم يترتب على هذا الامر لحصوله قبله
انما الصواب ان يكون التمتع المامور به في هذه الاية هو الذي في قصة قوم يونس فامنوا فمتعناهم الي حين فكان قوم
ثمود امروا ان يومنوا الي ان يمهلوا الي انقضاء اجالهم الطبيعية والامر ايضا تكليف لا تكوين فعتوا عن امر ربهم بالاصرار على
كفرهم فقيل على سبيل التكوين تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وكان ذلك علامة العذاب والصاعقة النازلة نفسها
وهم ينظرون اي كانت نهارا يعاينونها او كانوا منتظرين لها اذ قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فما استطاعوا من
قيام عبارة عن جثومهم كما مر وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقصة نوح واخرة قد
مر اعرابه بالخوف ثم عاد الي دلايل القدرة فقال والسماء بنيناها بايد في لفظ البناء اشارة الي كونها محكمة البنيان
وفي قوله بايد اي بقوة تاكيد لذلك وفي قوله وانا لموسعون مزيد تاكيد والمعنى لقادرون من الوسع الطاقة والموسع
القوي على الانفاق ومنه قال الحسن انا لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينه وبين الارض سعة وانما
الملك الفرش على الارض ولم يطلق البناء لانها محل التغيرات كالبساط يفرش ويطوى ومن كل شيء من الحيوان خلقنا
زوجين ذكرا وانثى وعد الحسن اشياء كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة
وقال كلها اثنين منهما زوج والله تعالى فرد لا مثل له وقد بدوه في الحلقات الاية اشارة الي ان كل ما سوى الله تعالى فانه
مركب نوع تركيب لا اقل من الوجود والامكان او الجنس والفصل او المادة والصورة ولذلك قال لعلكم تذكرون
اي ارادة ان تعلموا من المركب الي البسيط من الممكن الي الواجب ومن المصنوع الي الصانع واذا عرفتم الله ففروا الي الله
اي التجيوا اليه ولا تعتمدوا على غيره امر بالاقبال عليه وبالاعراض عما سواه وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين للتاكيد
وبعد توضيح البيانات وذكر القصص ونقر بر الدلايل سلى رسوله صلعم بقوله كذلك اي الامر مثل الذي نقرر من
تكذيب الرسل واصرار الكفرة على الانكار والسبب ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتي الي اخره وقوله اتواصوا به استفهام
على سبيل التعجب من تطابق اراءهم على تكذيب انبيائهم ثم اضرب عن ذلك لانه يطابق المتقدم والمتاخر على امر
واحد غير ممكن فنبه على حقيقة الحال قايلا بل هم قوم طاغون يعني ان اشتراك علة التكذيب وهو الطغيان اشركهم
في المقول متولي عنهم بعد التبليغ فما انت بملوم على اعراضك عنهم لانك قد بذلت مجهودك واستفرغت وسعك
وذكر مع ذلك فان الذكرى تنفع المومنين اراد ان الاعراض عن طايفة معلومة لعدم قابليتهم لا يوجب ترك الدعوة
العامة ثم بين الغاية من خلق الثقلين وهي العبادة والمعتزلة فيه دليل ظاهر على ان افعال الله معللة بغرض واول
بعض اهل السنة العبادة بالمعرفة ولا خلاص له في ذلك فان المعرفة ايضا غاية محضة وانما الخلاص عن الاشكال بما سلف
لنا مرارا ان استتباع الغاية لا يوجب كون الفعل معللا بها واذا لم يكن الفعل معللا بذلك فقد يكون الفعل ويتخلف الغاية
لمانع كعدم قابلية ونحوه ثم ذكر ان الله خلقهم ليرجعوا عليه لا ليرجع هو عليهم والمتين الشديد القوي ثم هدد مشركي مكة
بان لهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم المهلكين والذنوب في الاصل الدلو العظيم
قال اهل البيان هذا تمثيل واصله من تقسيم الماء يكون لهذا دلو ولهذا دلو واليوم الموعود القيمة او يوم بدر والله اعلم

سورة والطور تسع واربعون اية مكية كلماتها ثلثماية وعشر حروفها الف وخمسماية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا
وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ

يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم
لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من
شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون
فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله
علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما
انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم
طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليات
مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من
مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون

ذلك

ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد
ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

القراءة فكهين مقصورا يزيد واتبعتهم من باب الافعال ابو عمرو ذرياتهم على التوحيد مرفوعا ذرياتهم على الجمع
ابو جعفر ونافع وقرا ابو عمرو وعلى الجمع ايضا ولكن برفع الاول الباقون على التوحيد فيهما الاول مرفوعا والثاني منصوبا التناهم
بكسر اللام ثلاثيا ابن كثير لولو بتليين الهمزة فالاولى شجاع ويزيد وابو بكر وحماد وحمزة في الوقف كما مر في الحج انه هو البر بفتح
الهمزة ابو جعفر ونافع وعلي اي كنا ندعوه لانه بر المسيطرون بالسين ابن كثير في رواية وابن عامر الاخرون بالصاد وقرا حمزة في
رواية باشمام الزاي ويصعقون مبنيا للمفعول ابن عامر وعاصم وادبار النجوم بالفتح يزيد عن يعقوب **الوقوف** والطور مسطور
منشور المعمور المرفوع المسجور لواقع من دافع مورا سيرا للمكذبين يلعبون دعا لان التقدير يقال لهم هذه النار تكذبون
لا تبصرون تصبروا لاختلاف الجملتين مع اتفاق المعنى عليكم تعملون ونعيم اتيهم ربهم لاحتمال العطف والاستئناف وحال الحال
اي وقد اتاهم الجحيم تعملون مصفوفة عين شيء رهين يشتهون ولا تاثيم مكنون يتساءلون مشفقين السموم ندعوه
لمن قرا انه بالكسر الرحيم مجنون لان ام ابتداء استفهام توبيخ المنون المتربصين لما قلنا فاطاعوه لاحتمال ابتداء الاستفهام
والجواب تقوله بل لا يؤمنون للاية مع الفاء صادقين الخالقون والارض لان بل للاضراب مع العطف لا يوقنون
المسيطرون فيه تامي الاستفهام مع فاء التعقيب مبين البنون مثقلون يكتبون كيدا المكيدون والضابط فيما تقدمه ان كل
ما يتصل ام فهو للجواب وما قطع فهو بمعنى الف الاستفهام عن الله يشركون مركوم يصعقون لان يوم بدل مما تقدمه
ينصرون لا يعلمون تقوم النجوم **التفسير** لما ختم السورة المتقدمة بوقوع اليوم الموعود اقسم على ذلك بالطور وهو الجبل
الذي مر ذكره مرارا في قصة موسى والكتاب المسطور التوراة ظاهرا لانه هو المناسب للطور وقيل اللوح المحفوظ
وقيل صحيفة الاعمال والرق الصحيفة او الجلد الذي يكتب عليه والمنشور خلاف المطوي كقوله ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا وقيل هو القرآن ونكره لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب والبيت المعمور الكعبة والضراح
في السماء الرابعة سمي معمورا لكثرة زواره من الحجاج والملائكة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء والموقد من
قوله واذا البحار سجرت وقد سبق في المؤمن في قوله ثم في النار يسجرون عن جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك بالحرمان عن انواع الاكرام لازدحام
ظلم الاثام لواقع يوم القيمة الصغرى اذ تمور سماء الارواح بقطع العلائق وحيلولة العوائق مورا وتسير جبال النفوس
الحيوانية الامارة التي قد اثقلت ظهر صاحبها لانتهاء سيرانها وانقضاء سلطانها سيرا والدع الدفع العنيف قال المفسرون
ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم
وزخا في اقفيتهم والاستفهام في قوله افسحر للتقريع والتهكم والفاء موكدة له اي كنتم تقولون للوحي انه سحر افهذا
ايضا سحر ام انتم لا تبصرون هذا المخبر عنه في الاخرة كما كنتم لا تصدقون المخبر عنه في الدنيا وقوله فاصبروا او لا
تصبروا كقوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا علل الاستواء بقوله انما تجزون يعني ان الجزاء لا بد من حصوله فلا مزية للصبر
على عدمه قوله ونعيم نعطونه على متعلق في قوله وجنات اي استقروا في جنات ونعيم اي وجنات نعيم ووقاهم
العذاب وجوز ان يعطف على اتاهم على ان ما مصدرية اي فاكهين بالايتاء والوقاية كلوا على ارادة القول اي يقال
لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا لا تنغيص فيه وقد مر في اول النساء وزعم جار الله ان يكون صفة
نعت المصدر القايم مقام الفعل اي هناكم الاكل والشرب بسبب ما عملتم او الباء مزيدة اي هناكم جزاء ما عملتم قوله
والذين امنوا قال جار الله مبتدا خبره الحقنا وقال الجار الله هو معطوف على حور عين اي قرناهم وزوجناهم بالذين امنوا
من رفقائهم وجلسائهم وانفسهم ذرياتهم كي يجتمع لهم انواع السرور بملاعبة الحور ومؤانسة الاخوان المؤمنين
وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وقوله بايمان اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم
ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كما جاء في الحديث ان الله يرفع المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقربهم

ذرياتهم

عنه ثم تلا هذه الاية وما التناهم اي وما انقصناهم ثوابهم نشيا بعطيه الابنا ولا ننسب غيرها ولكن دفرنا عليهم
جميع ماذكرنا تفضيلا واحسانا ثم بين ان الجزا بمقدار العمل فقال كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون فالجار الذكان
نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عنه بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها
والا اوبقها وقيل هذا يعود الى الكفار والرهين المرهون الماخوذ المحبس على امر يودي عنه وقيل بمعنى راهن وهو المقيم
اي كل انسان مقيم في جزا ما قدم وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وقتا بعد وقت يتنازعون فيها كاسا يتعاطون هو وندماوهم لا لغو فيها اي الخمر
باطل في اثناء شربها وفي اللغو لانتفا اللغو الذي هو من نواكبه ولا تاثيم اي لا يفعلون ما ينسب صاحبه الى الاثم
لو فعله في دار التكليف وانما يتكلمون بالكلام الحسن المفيد وذلك انهم حكما علماء بالعقل الخدام المختصون بهم كانهم لؤلؤ
المكنون المستور في الصدف او في الدرج وذلك انه اصفى وارطب وامن وقيل لقتاده هذا الخادم فكيف المخدوم فقال
قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه صلعم ان
ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه الف لسان لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون مشفقين ارقاء
القلوب من خشية الله وعذاب السموم عذاب النار لانها تدخل المسام ومنه التريح السموم من قبل اي في الدنيا فذكر فاثبت
على ما انت عليه من التذكرة الدعوى القامة فانت بنعمة ربك اي بسبب حمد الله وانعامه عليك بكاهن كما يزعمون ولا
مجنون فلعله كانهم في رسول الله اقوال فبعضهم ينسبونه الى الكهانة نظرا الى اخباره عن المغيبات وبعضهم يرمونه
بالجنون حيث لا يسمعون منه ما يوافق هواهم ويظنون معارضة وبعضهم يرمون انه تائه كلامه فيهم من باب التخييل لا الاعجاز
كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويزعجها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وفعول
من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سمي شعوب وخلاف فالانتظر به نوايب الزمان فيهلك كما هلك الشعراء
قبله والاحلام العقول وكانت قريش يدعون اهل النهى والاحلام امرهم بهذا لادانها الى تلك الاقوال الفاسدة وهو تقريع
تقريع وتوبيخ اذ لوكان لهم عقل تميزوا بين الحق والباطل والمعجز وغيره تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون جحودا
وعنادا اعلو صح عندهم اعجاز القرآن والا فليأتوا بحديث مثله ثم نبههم على انكار الصانع بقوله ام خلقوا من غير شيء
ام هم الخالقون انفسهم وقيل خلقوا من الاجل لا لشيء من جزاء وحساب واوله اقوى لقوله ام خلقوا السموات والارض
احتج عليهم بالانفس ثم بالافاق ثم قال بل لا يوقنون وذلك انه حكى عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فيعني انهم في هذا الاعتراف شاكون اذ لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا له ندا ولم يجحدوا ولما احتاروا الرسالة
كما يحكم عليه بقوله ام عندهم خزائن ربك حتى يختاروا للنبوة من ارادوه ام هم المسيطرون المسلطون الغالبون حتى
يدبروا امر العالم على حسب مشيئتهم ام لهم سلم يستمعون الوحي صاعدين فيه الى السماء عالمين بالحق والباطل وبمنزلة
العافية والنجم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه ام عندهم الغيب المحفوظ في اللوح فهم يكتبون ما فيه من احوال المبدا
والنبوة والمعاد فيحكمون بحسبها ام يريدون كيدا وهو كيدهم برسول الله صلعم في دار الندوة وفي غيرها فالذين كفروا
اللام لهولاء او للجنس فيشملهم هم المكيدون المغلوبون الذين يعود وبال الكيد عليهم فقتلوا ببدر واظهر الله دين الاسلام
ثم صرح بالمقصود الكلي فوبخهم على اشراكهم ونزه نفسه عن ذلك ثم اجاب عن بعض مقترحهم وهو قولهم او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا والمراد انهم لفرط عنادهم لا يفيد معهم شيء من الدلايل فلو اسقطنا عليهم قطعة من السماء
لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض ومعنى يصعقون يموتون وذلك عند النفخة الاولى ان كان المراد جميع
الكفار او حتف الموت الطبيعي ان كان المراد كل واحد منهم فعند الموت تظهر امارات العذاب ولا ريب ان الامتداد
على التقديرين اتم من الامتداد الى تمام الساعة وهو اليوم الموعود فلهذا ترك ذكر يخوضوا ويلعبوا في هذه السورة
خلاف ما في اخرى الزخرف والمعارج فانه اكتفى فيهما بزيادة المبالغة والعتاب لكثرة الامتداد وشدة الاهوال والله
اعلم بمراده قوله عذابا دون ذلك اي قبل يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر فاصبر لحكم ربك بامهالهم
وتبليغ الرسالة فاذكر فانك محفوظ باعيننا وهو مجاز عن الكلاءة التامة والجمع للتعظيم والمبالغة وحين تقوم اي من مكانك او من
ثقت اذ في من منامك وادبار النجوم بالكسر عقيبها من الليل وهي بالحقيقة للاسم بعد طلوع الصبح وبالفتح اعقابها والمعنى فاقتلنا
قبل التسبيح التهجد ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر او بالاقبال على طاعته بعد الفراغ من دعوة الامة فليس لمحسان الاخذ

سورة والنجم اثنتان وستون آية مكية كلماتها ثلثمائة وستون حروفها الف واربعمائة وخمسة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى ۝ ما ضل صاحبكم وما غوى ۝ وما ينطق عن الهوى ۝ ان هو الا وحي
يوحى ۝ علمه شديد القوى ۝ ذو مرة فاستوى ۝ وهو بالافق الاعلى ۝ ثم دنى فتدلى ۝
فكان قاب قوسين او ادنى ۝ فاوحى الى عبده ما اوحى ۝ ما كذب الفؤاد ما رأى ۝
افتمارونه على ما يرى ۝ ولقد رآه نزلة اخرى ۝ عند سدرة المنتهى ۝ عندها جنة المأوى ۝
اذ يغشى السدرة ما يغشى ۝ ما زاغ البصر وما طغى ۝ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ۝
افرأيتم اللات والعزى ۝ ومناة الثالثة الاخرى ۝ الكم الذكر وله الانثى ۝ تلك اذا
قسمة ضيزى ۝ ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ۝ ام للانسان
ما تمنى ۝ فلله الآخرة والاولى ۝ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ۝ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الانثى ۝ وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا ۝ فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ۝
ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ۝
ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى ۝ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة
هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى ۝ افرأيت الذي تولى ۝ واعطى قليلا واكدى ۝ اعنده علم الغيب

فهو يرى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباي آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله

القراءة هوى وسائر اياته بالامالة اللطيفة ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة المفرطة كما سبق في طه ما كذب بالتشديد يزيد وهشام ما زاغ البصر بالامالة حمزة ونصير ومناة بالمد ابن كثير والتنوين افتمارونه ثلاثيا يعقوب وحمزة وعلي وخلف ضيزى بالهمز ابن كثير في رواية كبائر الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف والمفضل ابراهيم هشام عادا الولى مدغما غير مهموز ابو عمرو ويزيد ويعقوب والبخاري عن ورش نحو اسمعيل والاصبهاني عن ورش وابن نشيط عن قالون باظهار الهمزة غير مهموز وكذلك روي عن ابي عمرو فعلى مذهبهم اذا وقف القارئ على عادا ابتدى الاولى وان شاء الاولى بتحقيق الهمزة والاول احسن وقفا قالون غير ابن نشيط بالهمز واظهار التنوين اذ وقف على عادا وابتدى لؤلى وان شاء الاولى الباقون عادا الاولى بالالف قبل اللام وبعد اللام في الحالين بغير تنوين حمزة وعاصم غير ابن غالب والبرجمي والمفضل وسهل ويعقوب ربك تتمارى بتشديد التاء روس عن يعقوب **الوقوف** هوى غوى لا لاية مع العطف على جواب القسم الهوى يوحى لان ما بعده صفة القوى لذلك ذو مرة لتمام الصفة فاستوى لان الواو للحال الاعلى تدلى لان ما بعده من تمام المقصود او ادنى وان النعقيب الجملتان لا نصر ما اوحى لله للنبي ما ادعى ما راى يرى اخرى المنتهى الماوى لان عامل اذا ما زاغ البصر فلا وقف على ما يغشى طغى الكبرى والعزى لا لاخرى الانثى ضيزى سلطان الانفس لاحتمال الواو والاستئناف الهدى لا ام ابتداء استفهام انكار ما تمنى لتناهي الاستفهام والوصل اولى للفاء واتصال المعنى والاولى ويرضى الانثى علم الا الظن لاختلاف الجملتين شيئا لا لدنيا من العلم اهتدى والارض الحسنى لان الذين يصلح مبتدأ وبدلا من الذين احسنوا اللمم المغفرة امهاتكم انفسكم اتقى تولى واكدى يرى موسى وفى اخرى سعى يرى لوقوع العارض بين المعطوفين على ان الاوفى المنتهى وابكى واحيا والانثى تمنى لا الاخرى واقنى الشعرى الاولى ابقى وقيل والطغى لان المؤتفكة منصوب بفعل اهوى ما غشى لابتداء الاستفهام مع الفاء تتمارى الاولى الازفة للاستئناف والحال كاشفة تعجبون ولا تبكون سامدون واعبدوا واسجدوا **التفسير** لما ختم السورة المتقدمة بالنجوم خص الاقسام في اول هذه السورة بالنجم واللام فيه للعهد او الجنس والاول قول من انه الثريا وهو اسم غالب لها وصورتها في السماء كعنقود عنب والمهر واكبها سبعة وهي المنزل الثالث من منازل القمر قال شعر اذا طلع النجم الثريا عشاء ابتغى الراعي كساء وذلك لان الشمس يكون في اوائل العقرب حينئذ في مقابلتها فتطلع بغروبها وعلى الثاني فيه وجوه احدها النجوم السماء وهويها غروبها وفائدة هذا القيد ان النجم اذا كان في وسط السماء لم يهتد به الساري لانه لا يعلم

المغرب من المشرق والجنوب من الشمال فاذا مال الى الافق عرف بهما الجهات والميل في افق الغرب اولى بالذكر لان الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبه على قوله في حق الامكان فيتم له اهتداء الدين مع اهتداء الدنيا وقيل هويها انتثارها يوم القيمة وثانيها النجم هو الذي يرجم به الشياطين وهويها انقضاضها وثالثها النجم النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وغاية نشوه ورابعها النجم اصحكم القران وقد نزل منجما في عشرين سنة فيكون كقوله والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وعلى الاقوال الاخر فالثريا اظهر النجم عند الناظرين واشهر المنازل للسائرين وانها تطلع عشاء في وقت ادراك الثمار والنبي صلعم تميز من سائر الانبياء بالمعجزات الباهرات ولاسيما القران وانه حين ظهر زال لبس الشكوك وحرارة الحمية الجاهلية فادركت ثمار الحكمة ويرجم به شياطين الانس المضلون لعباد الله في ارضه ونبت بوجوده اصناف الاعذية الروحانية تامة كاملة قوله **ما ضل** الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد والخطاب لقريش قيل هذا اصادق من حيث الاستعمال لقوله قد تبين الرشد من الغي من يضلل الله فلا هادي له الا انه بين الفرق بين الضلال والغواية فالظاهر ان الضلال اعم وعوان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون الى المقصد طريق ولهذا الافعال للمؤمن انه ظال او غير مهتد ولا يقال انه غوي غير رشيد قال عز من قائل فان انستم منهم رشدا فكانه سبحانه نفى الاغم اولا ونفى الاخص ليفيد انه على الجادة غير منحرف عنها اصلا ويحتمل ان يكون قوله ما ضل نفيا لقولهم هو كاهن او مجنون لان الكهانة ايضا من مس الجن وقوله وما غوى نفيا لقولهم هو شاعر والشعراء يتبعهم الغاوون ويحتمل ان يكون الاول عبارة عن صلاحه في امور المعاد والثاني اشارة الى رشده في امور المعاش ومنه يعلم ان اقواله كلها على سنن الصواب لانه كان يمكن ان تكون مستنبطة من العقل والعرف والعادة فاسندها الله سبحانه الى طريق اشرف وهو ان تكون مستندة الى الوحي فقال بصيغة تفيد الاستمرار **وما ينطق عن الهوى** اي ليس كل ما ينطق به اولا بعضه بصادر عن الراي والتشهي انما هو وحي يوحى اليه من الله واستدل به بعض من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام واجيب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان ذلك من قبل الوحي ايضا واما من خص النطق بالقران فلا اعتراض عليه قال اهل اللغة الهوى المحبة النفسانية والتركيب يدل على النزول والسقوط ومنه الهاوية ومحبة النفس الامارة لا اصل لها ولا تصدر الا عن خسته ودناءه وقوله ان هو الا وحي ابلغ مما لو قيل هو وحي وهو ظاهر وقوله يوحى لتحقيق الحقيقة كقوله ولا طائر يطير بجناحيه فان العرب الشديد العدو ربما يقال انه طائر فاذا قال يطير بجناحيه زال احتمال ذلك المجاز وكذلك هاهنا ربما يقال الكلام الصادق الفصيح هو وحي او سحر حلال فلما قيل يوحى اندفع التجوز ثم بين طريق الوحي بقوله **علمه** اي الوحي او محمد **شديد القوى** وهو جبرائيل اي قواه العقلية كلها شديدة ومدح المعلم ليلزم منه تفضيل المعلم ولو قال علمه جبرائيل لم يفهم منه فضل المعلم ظاهرا وفيه رد على من زعم انه يعلمه بشر لان الانسان خلق ضعيفا وما اوتيتم من العلم الا قليلا وفيه ان جبرائيل امين موثوق به من حيث قوته المدركة والحافظة ولما كان تحمل الذهن والحفظ لم يوثق بروايته وفيه تسلية للنبي صلعم كيلا يضيق صدره حين علم بواسطة الملك فكانه قيل له ليس لك في ذلك نقص لانه شديد القوى على انه قال في موضع اخر علمك ما لم تكن تعلم واخبر النبي صلعم عن حاله فقال ادبني ربي فاحسن تاديبي والمرة القوة والظاهر انها القوة الجسمانية كقوله وزاده بسطة في العلم والجسم ومن قوته انه قلع قريات قوم لوط وقلبها بجناحه وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان ينزل الى الانبياء ويصعد في لمحة ويجوز ان يراد بقوله شديد القوى قوة الجسمية وبقوله ذو مرة القوى العقلية والتسكين للتعظيم قوله فاستوى مشهور ان فاعله جبرائيل اذا استقام على صورته الحقيقية دون صورة دحية وذلك ان رسول الله صلعم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى اي الاشرف وهو الشرق ثم دنا جبرائيل من الرسول صلعم على الصورة فتدلى قيل فيه تقديم وتاخير اي فتعلق عليه في الهوى ثم دنا منه وقيل دنا اي قصد القرب من محمد وتحرك من المكان الذي فيه فنزل الى النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وقد يقال التدلي والدنو بمعنى واحد فلا يفيد الا التاكيد ثم ادنا تاكيدا بقوله فكان قاب في سبين قال اهل العربية هو من باب حذف المضاف اي فكان مقدار مسافة قرب جبرائيل مثل قاب قوسين والقاب والقاد والقيد والقيس كلها المقدار والعرب تقدر الاشياء بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه ما في الحديث لا صلوة الا ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وقال رسول الله صلعم لقاب قوس احدكم من الجنة او موضع قدم خير من الدنيا وما فيها

والقد الصوت ودنى له وادني في تقدير كم كقوله مائة الف او يزيدون وقال بعضهم الضمير في فاستوى لمحمد صلعم
ذلك انه تعلم جبرائيل اياه كان قبل كماله واستوائه فحين تكامل قواه النظرية والعملية وصار بالافق الاعلى اي الرتبة
العليا من المراتب الانسانية دنا من الامة فتدلى اي لان لهم ورفق بهم حتى قال انما انا بشر مثلكم يوحى الي وكان
العرف بينه وبين جبرائيل قليلا جدا وعلى هذا يمكن ان يكون الرجحان في الكمال للنبي صلعم كما يقول اكثر اهل السنة
او بالعكس كما يزعم طائفة منهم ومن غيرهم ويحتمل على هذا القول ان يكون الضمير في دنا لجبرائيل والمراد انه انتهى وانزال
عن الصفات البشرية من الشهوة والغضب والجهل وبلغ الافق الاعلى الانساني لكن لو غشيه لم تزل عنه وكذلك
جبرائيل وان ترك اللطافة المانعة من الروية وتدلى الى الافق الادنى من الاوقات الملكية ولكن لم يخرج عن كونه ملكا
فلم يبق بينهما الاختلاف حقيقتهما تطبيعه ولهذا قاله بالافق المبين اي راى جبرائيل وهو اي النبي بالافق الفارق بين درجة
الانسان ومنزلة الملك لقول القائل رايت الهلال على السطح اي وانا على السطح وقد يجعل ذكر القوس عبارة عن معنى
اخر وهو ان العرب كانوا اذا عاهدوا فيما بينهم طرحوا قوسا او قوسين لتاكيد العهد بين اثنين فاخبر الله سبحانه ان كان بين
جبرائيل ومحمد عليهما السلام من المحبة وقرب المنزلة مثل ما يعرفونه فيما بينكم عند المعاقدة وقيل الضمير لمحمد او لله والمراد
قرب المكان بينهما وهذا يشبه مذهب المجسمة الان يقال دنا ودنوا القرب لا دنو العز ودنا ودنوا كم لا دنوا اجسام
دنا دنو انس لا دنو نفس والقوسان احدهما صفة الحدوث والاخرى صفة القدم اخبر بالقصة الكريما والكرم
الاسراء اعظاما قوله فاوحى الى عبده ما اوحى الضمير في الفعلين اما لله او لجبرائيل والمراد بالعبد اما محمد او جبرائيل فيحصل
تقديرات احدها فاوحى الله الى محمد عبده ما اوحى وفيه تفخيم لشان الوحي وقيل اوحى اليه الصلوة وقيل اوحى اليه ان
الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك والظاهر انها اسرار بعضها ان ومعارف لا يعلمها الا الله ورسوله
ثانيها فاوحى الله الى محمد ما اوحى اليه او لا جبرائيل يعني ان الوحي كان ينزل عليه بلا واسطة جبرائيل وقد انقطعت الان تلك
الواسطة وعلى هذا يحتمل ان يقال ما قصد به اي اوحى الى محمد الاتحاد العلم بالا عما كى يفرق بين الملك والحق او كله انه
وحي وخلق فيه علما ضروريا ثالثها فاوحى الله الى عبده جبرائيل ما اوحى رابعها فاوحى الله الى جبرائيل الى محمد ما اوحى
من الانبياء قبله وفيه اشارة الى ان جبرائيل امين لم يخن قط في شيء مما اوحى الى الانبياء خامسها فاوحى جبرائيل الى عبده
محمد ما اوحى الله اليه سادسها فاوحى جبرائيل الى عبد الله ما اوحى وهو في هذين الوجهين لا يمكن ان يراد بالعبد الا محمد
قوله ما كذب الفواد ما راى الاشهر ان اللام للعهد وهو فواد محمد صلعم اي ما قال فواده ما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه ومن قرا بالتشديد فظاهر اي صدق فواده ما عاينه ولم يشك في ذلك وقيل اللام للجنس والمراد ان جنس
الفواد لا ينكر ذلك فان كان الوهم او الخيال ينكره والمقصود نفي الجواز لا نفي الوقوع كقوله لا تدركه الابصار وما يدريك وما يك
بغافل بخلاف قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين لا يغفر ان يشرك به فانه نفي الوقوع والظاهر ان فاعل راى محمد صلعم
وقيل الفواد او البصر اي ما راه الفواد لم يقل في صورته بالافق الشرقي ما اتاني الايات العجيبة الالهية والثالث الرب
تعالى والمسئلة مبنية على جواز الروية وقد تقدم البحث عن ذلك في قوله لا تدركه الابصار ثم على وقوع الروية وقد
تقدم خلاف الصحابة فيه في حديث معراج النبي صلعم في قوله سبحان ولعل القول الاول اصح بدليل انه ما راى جبرائيل
احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد صلعم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء واليه الاشارة بقوله افتمارونه
من المراء اي اتجادلونه على ما يرى ومن قرا افتمرونه فمعناه اتغلبونه في المراء يقال ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى وقيل معناه افتجحدونه ولا بد من تضمين معنى الغلبة ولقد راه نزلة اخرى فانتصب على الظرف
لان الفعلة صيغة المرة فكانت النزلة في حكم المرة اي نزل عليه جبرائيل في صورته تارة اخرى في ليلة المعراج ووجه
الاستفهام الانكاري انه لما راى وهو ببسيط الارض احتمل ان يقال انه كان من الجن احتمالا بعيدا فلما راه عند سدرة
المنتهى لم يحتمل ان يكون هناك جن ولا انس فلم يبق للجدال مجال واما القائل بالقول الثالث فزعم ان النبي صلعم راى بقلبه مرتين
والنزلة اما لله بمعنى الحركة والانتقال عند من يجوز ذلك او بمعنى قرب الرحمة والافضال واما للنبي صلعم لانه نزل
عن متن الهوى ومركب النفس وقيل اراد بالنزلة ضد ما هي العرجة واختير هذه العبارة ليعلم ان هذه عرجة تبعها
النزلة ليست عرجة لا نزلة لها وهي عرجة الاخرة وعلى القراءة الاولى ايضا يحتمل ان يكون النزلة لمحمد صلعم وذلك ان جبرائيل
تخلف عنه في مقام لو دنوت انملة لاحترقت ثم عاد النبي صلعم اليه بمعنى اخرى انه صلعم تردد في امر الصلاة مرارا فلعله

لان ينزل الى جبرائيل كل مرة لا الاول من نزلتين اما السدرة فالاكثرون على انها شجرة في السماء السابعة وقيل في
السادسة ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها وقد ورد الحديث بذلك هذا
عند طرف مكان ثم ان كان المرئي جبرائيل فلا اشكال وان كان هو الله تعالى فكقول القائل رايت الهلال على السطح فمعناه
وقال بعضهم عند طرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والمعنى راه عند الحيرة القصوى اي في وقت حار فيه عقول
العقلاء ولكنه ما حار ولم يعرض له سدرة واضافة السدرة الى المنتهى اما من اضافة الشيء الى مكانه كما يقال اشجار
البلدة الفلانية كذا اشجار الجنة لا ييبس ولا تخلو من الثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك او لا يعلم ما وراءه
محله كما يقال اشجار البلدة الفلانية يشكل الى منتهاها احد واليه تنتهي ارواح الشهداء واما من اضافة المحل الى الحال كما يقال طرف
المراد اي سدرة هي محل انتهاء الجنة واما من اضافة الملك الى مالكه كما يقال دار زيد واشجار عمرو فيكون التقدير سدرة
المنتهى اليه وهو الله سبحانه كما قال وان الى ربك المنتهى فالاضافة للتشريف كبيت الله وناقة الله وقال الحسن
جنة المأوى هي التي تصير اليها المتقون وقيل تاوي اليها ارواح الشهداء والظاهر ان الضمير في عندها للسدرة فمن قال
المنزلة من ذهب الى ان سدرة المنتهى معناها الحيرة القصوى قال اذ يغشى السدرة ما يغشى معناه ويرد حاله على حاله
اي طرا على محمد صلعم حين ما كان الفعل ناظرا من فضل الله ومن رحمته والاكثرون قالوا فيه تعظيم وتكثير لما يغشى الشجرة
من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله مما لا يحيط به الوصف وعن رسول الله صلعم رايت على كل ورقة من ورقها
ملكا قائما يسبح الله وعنه صلعم يغشاها رفرف من طير خضر والرفرف كل ما بسط من اعلى الى اسفل وعن ابن مسعود
وغيره يغشاها فراش وجراد من ذهب والمحققون على انها انوار الله تعالى تجلى للسدرة كما تجلى للجبل لكن السدرة كانت
اقوى من الجبل ومحمد صلعم كان اثبت من موسى فلم تضطرب الشجرة ولم يصعق محمد قوله ما زاغ البصر فيه وجهان اشهرها
ان محمد اي لم يلتفت الى ما يغشاها فان كان الغاشي هو الفراش والجراد من ذهب فمعناه ظاهر ويكون ذلك ابتلا وامتحانا
لمحمد صلعم بالامر الدنيوي به وان كان الغاشي انوار الله فالمراد انه لم يلتفت الى غير المقصود بالنور او المراد ما زاغ بصره اصلا
في ذلك الموضع هيبة واجلالا والظاهر ان الضمير في قوله وما طغى للبصر ما جاوز حده المعين المامور برويته ويحتمل
ان يكون لمحمد صلعم ما زاغ بصره بالميل الى غير المقصود وما طغى محمد بسبب الالتفات قال بعض العلما فيه بيان لوصول محمد
الى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه اذ لم ير الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف الناظر الى عين الشمس فانه اذا نظر
الى شيء ابيض راه اصفر او اخضر قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى الظاهر ان الكبرى صفة الايات اي لقد
راى بعض ايات ربه الكبرى وذلك البعض ما حير العلم صورته واما عجائب سائر الملكوت ويحتمل ان يكون صفة
لمحذوف اي لقد راى من ايات ربه اي هي الكبرى وعلى هذا لا يكون تلك الاية روية جبرائيل لما ورد في الخبر ان
لله ملائكة اعظم منه كالملك الذي يسمى بحامل العرش وقيل انها روية الله الاعظم كان له وجه عند من يقول بانه صلعم
راى الله ليلة المعراج وفيه خلاف تقدم قوله افرايتم اللات والعزى اي عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ
امره في الملأ الاعلى وان الذي سد الافق ببعض اجنحته يتخلف عند سدرة المنتهى هل تنظرون الى هذه الاصنام مع
ذلها وحقارتها حتى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعولتم عليه قال في الكشاف اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف واصله
فعلة من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون فكانه حذفت الياء
تخفيفا وحركت الواو فانقلبت الفا والوقف عليه بالتاء كيلا يشتبه باسم الله وقيل اصله اللات بالتشديد وذلك
به زعموا انه سمي برجل يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا
يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى تانيث الاعز وكانت لغطفان وهي شجرة سمرة بعث اليها رسول الله صلعم
خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة الشعر تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور
فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فرجع الى النبي صلعم
واخبره بما فعل فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واما مناة فهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة كانها سميت بذلك لان
دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومن قرا بالمد فلعلها مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء
تبركا بها والاخرى لا تطابق الا اذا كان الاول مشاركا للثاني فلا يقال رايت رجلا بامراة اخرى وانما يقال رايت رجلا ورجلا

اخرى وههنا لبست العزى ثالثة فكيف قال ومناة الثالثة الاخرى صفة ذم لها اي المتاخرة الوضيعة المقدار
كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى وذلك
ان الاول كان على صورة ادمي والعزى كانت من النبات ومناة من الجماد وقيل لاجل الكلام تقديم وتاخير اي ومناة الا
الثالثة وقيل ان الاصنام منها كثيرة فاذا اخذنا اللات والعزى مقدمتين كانت لها ثالثات كثيرة وهذه ثالثة اخرى وقيل
فيه حذف والتقدير افرايتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الاخرى ثم انه سبحانه حيث
وبخهم على الشرك فكانهم قالوا نحن لانشك في ان شيئا ليس مثلا لله تعالى ولكنا صورنا هذه الاشياء على صورة الملائكة المطهرين
الذين اعزهم الله تعالى وقالوا انهم يرتقون عند سدرة المنتهى ويردون عليهم الامر والنهي ونصبناها عندهم البنات فوبخهم
على قولهم ان هؤلاء الاصنام التي هي اناث انداد الله او على قولهم الملائكة بنات الله فاستفهم منكرا الكم الذكر
ترضون به وله الانثى التي تستنكفون عنها تلك القسمة اي اذا صح ما ذكرتم فقسمة ضيزى اي جائرة عادلة من
ضازه يضيزه اذا ضامه وهي فعلى بالضم وكان يمكن ان يقلب الياء واوا لتسلم الضمة الا انه فعل بالعكس اي قلبت الضمة
كسرة لتسلم الياء فان ابقاء الحرف اولى من ابقاء الحركة ومن قرأ بالهمز فمن ضازه بالمهموز والمعنى واحد لكنها تعلى بالكسر
قال بعضهم انهم ما قسموا ولم يقولوا لنا البنون وله البنات ولكنهم نسبوا الى الله البنات وكانوا يكرهونهن فلزم من هذه قسمة
جائرة فنقدير الكلام تلك النسبة قسمة غير عادلة اذ العدالة تقتضي ان يكون الشريف للشريف والوضيع للوضيع ان هي
يعني ليس الاصنام او الهيتها المذكورات الا اسماء سميتموها وقد مر في الاعراف وفي يوسف قال الامام فخر الدين
الرازي يحتمل ان يراد بقوله ما انزل الله بها من سلطان فان اطلاق الاسم على المسمى انما يجوز اذا لم يمنعه مانع ديني
وههنا يمكن ان يكون ابطالا لقولهم الملائكة بنات الله انهم اولاد الله من حيث انه لا واسطة بينهم وبينه في الايجاد
كما تقول الفلاسفة والعرب تستعمل البنت مكان الولد كما يقال بنت الجبل وبنت الشفة لما يظهر منها بغير واسطة خصوصا اذا
كان في اللفظ تاء التانيث كالملائكة الا انه لم يرد في الشرع اطلاق هذا اللفظ على الملائكة لانه يوهم النقص في حقه تعالى
ثم قال وهذا بحث يدق عن ادراك العوام اذ لم يكن عندهم من العلم حظ علم تلك هذا البحث الذي يوجب ان يكون
الذم راجعا الى ترك الادب فقط وليس الامر كذلك فان الذم انما يتوجه الى الشرك لا ينادي الالهية لما هو ابعد شيء منها
ما الملك به على تصحيح دعواه حجة عقلية ولا سمعية ومعنى ما انزل الله بها اي بتسميتها وبعضهم قال الرازي البارد المضاف
كقول القائل لا يدخل فلان بامحل ومتاعه اي انه لا يدخل بعضه الا اهل المتاع من قوله ان يتبعون على الخطاب فظاهر ومن قرا على
الغيبة فاما لان المضر للاباء او صيغة الاستقبال حكاية الحال الماضية وتحتمل ان يكون المراد دعاته الكفار وقوله وما تهوى
الانفس يجوز ان تكون ما مصدرية وفائدة العدول عن صريح المصدر الى الصفات الموجودة ان القائل اذا قال اعجبني
صنعك لم يعلم ان الاعجاب من امر قد تحقق او من امر هو فيه واذا قال اعجبني ما تصنع شمل الحال والاستقبال ويجوز
ان يكون ما موصولة والفرق ان المتبع في الاول الهوى وفي الثاني مقتضى الهوى وقوله الانفس من باب مقابلة
الجمع بالجمع والمعنى اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه كقولك خرج الناس باهلهم اي كل واحد باهله ولعل الظن يختص
بالاعتقاد وهوى النفس بالعمل ويجوز ان يكون الظن مقصودا به كل ما له محل مرجوح والهوى يراد به ما لا وجه له
اصلا ويحتمل ان يراد بالظن ما له محمل راجح ايضا وهو ان كان واجب العمل به في المسائل الاجتهادية الا انه مذموم عند القدرة
على اليقين والى هذا اشار بقوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو القرآن او المراد تمنيهم شفاعة الالهة وانه لهم
عند الله الحسنى على تقدير البعث او تمني اشرافهم ان يكون النبأ دون محمد صلعم في قوله فلله الاخرة والاولى وعليهم
اي هو مالكهما فهو المعطي والمانع ولا حكم لاحد عليه ومعنى الفاء انه اذا تقرر ان سببا من الاسباب ليس يتمنى الانسان
فلا حكم الا لله ثم بين ان الشفاعة عند الله تكون الا برضاه وفيه اصناف المبالغة من جهة ان كم للتكثير والعرب تستعمل الكثير ويريد
الكل كما قد يستعمل الكل ويريد به الكثير كقوله تدمر كل شيء ومن جهة لفظ الملك فانهم اشرف المخلوقات سوى الانبياء ومن
بعض ومن قبل انهم في السموات فانهم يدل على علو مرتبتهم ودنو منزلتهم ومن قبل الضمائر المدلول عليه بنفي الجمع
في شفاعتهم واذا كان حالهم هكذا فكيف تكون حال الجمادات وقوله لمن يشاء اي لمن يريد الشفاعة او يرضى اي ويراه
اهلا لان يشفع له فههنا ايضا انواع اخرى من المبالغة الاول توقيف الشفاعة على الاذن والثاني تعليقها

بالمـ

بالمشية فيفهم منه انه بعد ان يؤذن في مطلق الشفاعة يحتاج الاذن في كل صورة معينة والثالث يرضى الله الشفاعة فقد يشاء
ولكن لا يرضاه كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وهذا عند اهل السنة واضح ثم صرح بالتوبيخ على قولهم الملائكة بنات الله فقال ان
الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا جعلوا الكل بنات فقد جعلوا كل واحد بنتا
وبالعكس وههنا سؤالان احدهما ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعم من هؤلاء المسمين فكان الاولى ان يقال ان الذين يسمون لا يؤمنون
وثانيهما انه كيف يلزم من عدم الايمان بالاخرة هذه التسمية والجواب عن الاول ان اللام للعهدية فخرج الجواب عن الثاني
ايضا لانه يخبر عن جمع معهود انهم يسمون ولا يلزم من حمل شيء على شيء ان يكون بينهما ملازمة ولو سلم ان اللام للعموم فالمراد بمثل
هذا التركيب المبالغة والتوكيد كما يقول الانسان زيد وعلى هذا فان اريد بالحمل مجرد الاخبار فلا اشكال وان اريد الملازمة
فمعناه المبالغة ايضا لان غاية جهلهم بالاخرة وبالجزاء حملهم على ارتكاب مثل هذا الافتراء على الله والى هذا اشار بقوله
وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن واعلم ان الامام فخر الدين الرازي بحث مع هؤلاء المشركين الذين سموا الملائكة اناثا
بحثا طويلا بناه على ظنه انهم ارادوا في لفظ الملائكة تاء التانيث فجعلوه مؤنثا وحاصل ذلك البحث يرجع الى ان التاء لا يلزم ان يكون
للتانيث فقد يكون للتاكيد الجمع كالحجارة والصعوبة او لغير ذلك من المعاني ونحن قد اسقطنا تلك البحوث لعلمنا بانهم كانوا يعنون
عليه ثم بين الله سبحانه قاعدة كلية فقال وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي كل ما يجب ان يحصل منه الكلف على العلم واليقين
فلا ينفعه فيه الظن والتخمين ومن جملته مسائل المبدأ والمعاد التي يبنى الحق فيها على البراهين العقلية والدلائل السمعية
ومن يقنع في امثالها بالوهم والظن لعدم الاستعداد ولخفض بعض المنافع الدنيوية وجب الاعراض عنه كما قال فاعرض اي اذا
وقفت على تلك الاستعداد وعدم طلبهم للحق فاعرض بالجواب والطالب الحق عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ويجوز
ان يكون هذا الاعراض منسوخا بالامر بالقتال اي اعرض عن المقال واقبل على القتال وقوله ذلك الذي ذكر من التسمية او من
اعتقاد كون الاصنام شفعاء مبلغهم من العلم جملة معترضة ثم بين علة الاعراض فقال ان ربك هو اعلم الى اخره وفيه بيان
انه تعالى يجازي كل فريق بحسب ما يستحقه وفيه تسلية للنبي صلعم كيلا يتعب نفسه في تحصيل ما ليس يرجى حصوله وهو ايمان
اهل العناد الذين قنعوا بالظن بدل العلم ورضوا بالذي الباطل دون الحق ثم قرر انه اما سوى الملك والملكوت لغرض الجزاء والاثابة
والحسنى صفة المثوبة او الاعمال واضافة الكبائر الى الاثم اضافة النوع الى الجنس لان الاثم يشمل الكبائر والصغائر اختلف
في الكبائر وقد استقصينا القول في سورة النساء في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والفواحش ما تزايد قبحه من الكبائر
لانها مع كبر مقدار عقابها قبيحة في الصورة كالشرك بالله وحده والمراد باللمم الصغائر والتركيب يدل على القلة
ومنه اللمم المس من الجنون الم بالمكان قال المحيث تم قامت وودعت والاصفة كانه قيل كبائر الاثم وفواحشه غير
اللمم واستثناء منقطع لان اللمم ليس من الفواحش وعن ابي سعيد الخدري اللمم التقبيل والغمزة والنظرة وعن السدي
الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عز وجل عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء هو ما يعتاده المتقي حينا بعد حين
قال جار الله معنى قوله ان ربك واسع المغفرة انه يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ويكفر الكبائر بالتوبة واقول فيه
اشارة الى ان اللمم ما لا يمكن الاجتناب عنه لكل الناس او لاكثرهم فالعفو عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه اشارة
الى ان اللمم ما لا يمكن الاجتناب عنه لكل الناس او لاكثرهم فالعفو عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه بشارة ان الله سبحانه
يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك فلا يغفر ان اللمم لا يوجب الوصف بسعة المغفرة وانما يوجب ذلك ان لو غفر معها الكبائر وقوله
هو اعلم بكم الى اخره دليل على وجوب وقوع الغفران لانه اذا كان عالما باحوالهم بخزعهم كان عالما بضعفهم ونقصهم فلا يؤاخذهم
بما يصدر عنهم بما يقتضي جبلتهم وطبعهم فكل شيء يرجع الى الاصل والارض بطبعها يميل الى السفل والجنين اوله نطفة مذرة
واخره الاغتذاء بدم او تقذره فحاله كان مبدأ حاله هكذا وهو في وسط امره متصف بالظلم والجهل ما العاقبة عن معلوم
وجب عليه ان لا يزكي نفسه فان الله تعالى اعلم بالزكي والتقي اولا واخرا وباطنا وظاهرا وما احسن نسق هذه الجمل وقال بعض
بعض اهل النظم فقال لما ذكر انه اعلم بمن ضل كان للكافر ان يقول كيف يعلم الله امورا يفعلها في البيت الخالي وفي جوف
الليل المظلم فاجاب الله تعالى بانا نعلم اخفى من ذلك وهو احوالكم وقت كونكم اجنة وقوله في بطون امهاتكم
للتاكيد فانه اذا خرج من بطن الام يدعى سقطا او ولدا وقيل اراد الضال او المهتدي جعلا علمه بما عليه تقدير
الله وبانه كتب عليها في رحم امها انه ضال او مهتد وقيل فيه تقرير الجزاء وتحقيق الحشر فان العالم باحوال المكلف وهو

القادر على انشائه من الارض او لسره عالم باجزائه بعد التفرق قادر على جمعه بعد التمزق والعامل في اذ هو اذكر
او ما يدل عليه اعلم اي يعلمكم وقت الانشاء والخطاب للموجودين وقت نزول الاية والاجنة بالتبعية ويجوز ان يكون
الانشاء من الارض اشارة الى خلق ابينا ادم وقوله اذا انتم يكون خطابا لنا قوله افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين نزلت في
الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلعم وسمع وعظه واثرت الحكمة فيه تاثيرا مرضيا فقال له رجل لم تترك دين ابائكم قال
له لا تخف واعطني وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه ما التزمه وتولى عن الوعظ واستماع كلام النبي صلعم وقال بعضهم نزل
في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعطي ماله عطاء فقال له اخوه من امه عبد الله بن سعد ابن ابي سرح يوشك ان يفني ما
فقال له عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني ارجوا ان يغفرها الله بسبب العطا فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك
ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطا ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى خير من ذلك فقال اكدى
الحافر اذا لقيه كدية وهي ارض صلبة كالصخرة مثل الحافر واجبل الشاعر اذا افحم ثم مخبر بانه لا يعلم الغيب فكيف يعلم ان ما قاله
يحمل عنه وقيل نزلت في اهل الكتاب وذلك انه لما بين حال المشركين المعاندين شرع في تقبيح هؤلاء والمعنى افرايت
الذي تولى اي صار منقادا لكتاب الله واعطي قليلا من الزمان حق الله فيه ولما بلغ عصر محمد امسك عن العمل به فقالوا
يؤيد هذا التفسير قوله ام لم ينبا بما في صحف موسى عينها وجنسها وهي ما جاء به نبينا محمد صلعم وجمع الصحف اما لان
موسى له صحيفة وابراهيم له صحيفة فذكر التثنية بصيغة الجمع واما لان كل واحد منهما له صحف كقوله والقى الالواح فكل
لوح صحيفة وتقدم صحف موسى اما لانها اقرب واشهر واكثر واما لانه رتب وصف ابراهيم عليه السلام بالحسن بعبارة
الفاصلة وتدل على ان سبح اسم ربك هذا المعنى مع ترتيب الوجود والتشديد يدل قوله المبالغة في الوفاء والاتمام بمعنى
وفى واتم كقوله فاتمهن واطلق الفعل ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح
الولد وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه بنفسه روي انه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما رمي في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم
فلا فقيل له قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وروي في الكشاف عن النبي صلعم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر
النهار وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح واذا امسى فسبحان الله حين تمسون
الى وحين تظهرون وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم عليهما صلوات الرحمن يؤخذ الرجل بجريرة غيره
ويقتل الرجل بابيه وابنه والعبد بسيده فاول من خالف ابراهيم فمن هذا قال سبحانه الا تزر وازرة وهي مخففة من الثقيلة ولهذا لم ينصب
الفعل وضمير الشان محذوف ومحله الجر بدلا مما في صحف او الرفع كانه قيل ما في صحف موسى وابراهيم فقيل هو انه
لا تحمل نفس من ثقلها ان تحمل وزر نفس اخرى وان لم تحمل التي يتوقع منها ذلك فغيرها اولى ثم عطف على قوله الا تزر
قوله وان ليس للانسان ولو اراد الكافر لقال ليس على الانسان وهذا بالحقيقة فان اللام قد يستعمل في مثل هذا المعنى
قال تعالى وان اساتم فلها وما يرد على الاول ان الدعاء والصدقة والحج ينفع الميت كما ورد في الاخبار وايضا قال تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها والاضعاف فوق ما سعى واجاب بعضهم بان قوله ليس للانسان الا ما سعى كان في شرع من
تقدم ثم انه تعالى نسخه في شريعتنا وجعل للانسان ما سعى وما لم يسع وقال المحققون ان سعي غيره لما كان الاضعاف
لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا كان سعي غيره كانه سعي بنفسه الثاني ما مصدرية والمضاف
محذوف اي الا ثواب او جزاء سعيه ويجوز ان يكون موصولة اي للاجزاء الذي سعى فيه الثالث في صيغة الماضي اشارة
الى انه لا يفيد الانسان الا الذي قد حصل منه ووجد واما مجرد النية مع التواني والتراخي فذكرتها الاعتماد عليه ولعل ذلك
من مكايد الشيطان عنده ويعده الى ان يحل الاجل قوله وان سعيه سوف يرى ان كل من الرؤية تعلق له اعلم او بصري فالله
علمكم برسوله وان كان من الاراءة فالفائدة في ارائه وعرضه عليه ان يفرح به وهو كقوله الكفر والله قادر على اعادة كل
معدوم عرضا كان او جوهرا والمراد انه يريه الله اياه على صورة جميلة ان كان عملا صالحا او بالضد ان كان بالضد ويجوز ان يكون
مجازا عن الثواب كما يقال سترى احسانك عند الملك اي جزاءه الا ان القول الاول اقوى لقوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى
الضمير لا يراد تراخي الرتبة والغاية يعود الى الموصوف بالاوفى وهو الرتبة التي هي اوفى من كل واف اي يجزي العبد سعيه
الجزاء الاتم ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدل عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا

ومن لطائف الاية انه قال في حق المسيء لا تزر وازرة وزر اخرى ولا يلزم منه ان يبقى الوزر على المذنب بل يجوز ان
يسقط عنه بالمحو والعفو ولو قال لكل جازية نفس وزر نفسها لم يكن بد من بقاء وزرها عليها وقال في حق المحسن ليس له الا
ما سعى ولم يقل له ما لم يسع لان العبارة الثانية لا يلزم منها ان له ما سعى وان العبارة الاولى يلزم منها ذلك لانها في قوة كلا
ان سعيه سوف يرى وانه في حق المسيء بعبارة لا ينقطع رجاؤه وفي حق المحسن بعبارة يوجب رجاؤه كل ذلك لان رحمته
سبقت غضبه قوله وان الى ربك المنتهى المشهور انه بيان المعاد كقوله عز من قائل والى الله المصير اي للناس
بين يدي الله دفهم ونعيمه بيان وقت الجنة وقد يقال لان لام التوحيد وهو تاويل اهل العرفان والحكماء يستدلون به على وجود
الصانع فان المحكي لا بد ان ينتهي الى الواجب وقيل اراد ان البحث والادراك انه فا انتهى كما قيل اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا وعن
انس ان النبي صلعم قال اذا ذكر الرب فانتهوا او الخطاب عام لكل سامع تكلم ويؤيد للمسيء وعد المحسن وقيل الخطاب للنبي صلعم
وفيه تسلية له ثم بين غاية قدرته وهي ايجاده الضدين الضحك والنوم والاماتة والاحياء في شخص واحد وكذا الذكورة
والانوثة في مادة واحدة وهي النطفة واذا تمنى تدفق في الرحم يقال منى وامنى وقال الاخفش خلق وامنى والتقدم وفيه
ابطال قول الطبيعيين ان مبدا الضحك قوة التعجب ومبدا البكاء رقة للقلب وان الحيوة متشابهة الى الطبيعة كالملائكة
امر ضروري وهو تداعي الاجزاء الى الانفكاك بعد اجتماعها على سبيل الاتفاق ولا مقتضاه سبب تنافي من انفعال او انصراف
وذلك ان انتهاء كل ممكن الى الواجب قوله امات واحيا لاهل الفاضلة اولانه اعني حالة كون الانسان نطفة ميتة قالت
الاطباء الذكر اسخن واجف والانثى ابرد وارطب وقال الاولى تبانت تشعر الرجل ان الشعر يتكون من بخار دخاني يجذب الى المسام
فاذا كانت المسام في غاية الرطوبة والتخلخل كما في مزاج الصبي والمراة لا يثبت لخروج تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة
قبل ان يتكون شعرا واذا كان في غاية اليبوسة والتكاثف لم يثبت لعسر خروجه من المخرج الضيق وانما يندفع اكثر
تلك الابخرة الى الراس حتى راس المراة والصبي لانه مخلوق كقبة فوق الابخرة والادخنة فيتصاعد اليها واما في الرجل
فيندفع الى صدره لكثرة حرارة القلب والى قرب الات التناسل لحرارة الشهوة والى اللحيين لكثرة الحركة بسبب
الاكل والكلام مع غزارة الحرارة ومن شان الحرارة جذب الرطوبة كجذب السراج الزيت هذا اقرب ما قالوه في هذا الباب ويرد
عليه انه ما الذي يلزم شعر اللحية الة التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحية ولو سلم التلازم من حيث ان حرارة الخصا
تقل بسبب قطع الة الشهوة فلا بد ان يعترفوا بانتهاء جميع الممكنات الى الواجب الذات واعلم انه سبحانه في هذه الاي وسط
الفصل التوجهات المذكورة حتى قال نمرود انا احيي واميت واما خلق الذكر والانثى فلم يتوهم احد انه بفعل المخلوقين فلم يؤكد
بالفصل وعلى هذا القياس قوله وان عليه النشاة الاخرى ظاهر وجوب وقوع الحشر في الحكمة الالهية للمجازاة على الاحسان
والاساءة وقال في التفسير الكبير هو كقوله ثم انشاناه خلقا اخر اي بعد خلقه ذكرا او انثى نفخ فيه الروح الانساني ثم
اغناه بلبن الام وبنفقة الاب في صغره ثم اقناه بالكسب بعد كبره الى ان اعطاه القنية وهي المال الذي ما تلبه وعزمت
ان لا تخرجه من يدك والجملة فالاغناء بكل ما يدفع به الحاجة والاقناء بما زاد عليه وانما وسط الفصل لان كثيرا من الناس يزعم
ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وذهب بعضهم الى انه بالبخت او العلم
تعالى ذكرا عليهم وانه هو رب الشعرى وهما شعريان شامية ويمانية وهذه اليمانية وخصت بالذكر لان ابا كبشة احد اجداد
رسول الله صلعم من قبل امه قال لا ارى شيئا ما لا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها فليس شيء مثلها ما تعبدها وعبدتها خزاعة
فخالف قريشا في عبادة الاوثان وكانت قريش تقول لرسول الله صلعم ابن ابي كبشة تشبيها له لمخالفته اياهم في دينهم وحين
ذكر انه اغنى واقنى وذلك كان بفضل المولى لا بعطاء الشعرى ذكر حال الاقدمين الهلكى وعاد الاولى قوم هود والاخرى
ارم ميزا عن قوم كانوا بمكة وقيل اراد المتقدم في الدنيا او انهم كانوا اسلافا قوله وثمود عطف على عاد اي واهلك عادا
وثمود فما ابقى منهم عليهم ومن المفسرين من قال فما ابقى اي ما ترك احدا منهم كقوله فهل ترى لهم من باقية وبه يتمسك
الحجاج على من زعم ان ثقيفا من ثمود ولما وصف قوم نوح بانهم كانوا هم اظلم واطغى فبالغ بتوسيط الفصل وبلام التفضيل لان نوحا
عليه السلام كان اول الرسل الى اهل الارض فكان قومه اول من سن التكذيب وايذاء النبي صلعم والبادي اظلم ومن سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من يعمل بها ولانهم كانوا يحاربونه حتى الاعند ان يضربون بينهم حتى لم يبرح به حراك وينفرون
عنه الناس ويحذرون صبيانهم وما يجمع بينهم وعظه الف سنة الا خمسين عاما وليس قوله انهم كانوا قليلا للاهلاك حتى يرد

عليه ان عبرهم من الظالمين والطاغين لا يلزم ان يهلكوا وانما هي جملة معترضة بيانا لشدة طغيانهم وفرط ظلمهم والمؤتفكة
يعني قريات قوم لوط لانها ائتفكت باهلها اي انقلبت وقد مر في التوبة اهوى اي رفعها الى السماء على جناح جبرائيل فاسقطها
الى الارض فغشيها ما غشى من الحجارة المسومة وفيه تهويل وتفخيم لما صب عليهم من العذاب ويجوز ان تكون ما فاعلا
كقوله والسماء وما بناها هذه الكلمة حكاية ما في الصحف الاولى فان قرأوا الى ربك المنتهى بالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده
اما قوله فباي الاء ربك تتمارى فقد قيل هو ايضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب لكل سامع مكلف او لرسول
الله صلعم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمراد به لم يبق فيها امكان الشك وقد عد نعما ونقما وجعل كلها الاء لان النقم ايضا
نعم لمن اراد ان يعتبر ويحتمل ان يقال لما عد نعمه على الانسان من خلقه واغنائه واقنائه ثم ذكر انه اهلك من كفر بها فرع الانسان
على جحد شيء من نعمه فيصيبه مثل العذاب للمتماري او يقال لما حكى الاهلاك قال للشاك انت ما اصابك الذي اصابهم
وذلك بحفظ الله اياك فباي الاء ربك تتمارى وسيجيء له مزيد بيان في سورة الرحمن هذا القران او الرسول نذير
اي انذار ومنذر من جنس الانذارات او المنذرين وقال الاولى على تاويل الجماعة وحين فرغ من بيان التوحيد
والرسالة ختم السورة بذكر اقتراب الحشر فقال ازفت الازفة اي قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقترب للناس
حسابهم وما يدريك لعل الساعة قريب وفيه تنبيه على ان قرب الساعة يزداد كل يوم فلانها كالذي قوم ليس لها من دون
نفس كاشفة تكشف عن وقت مجيئها او تقدر على كشفها ودفعها اذا وقعت ولا يلزم من قدرة الدعي على دفعها وجوب وقوع
الدفع فان كل مقدور لا يلزم ان يكون دائما والهاء في كاشفة للمبالغة كما في راوية للمبالغ اي لا احد يكشف خفيها او هي مصدر
كالعافية بمعنى نايلة والتقدير ليس لها من دون الله كاشفة ويحتمل ان يراد ليس لها في الجد نفس يكشف عنها غير الله
بل انما يكشفها من عند الله ومن قبل علمه واخباره ثم وبخهم على التعجب من القران او من حديث القيامة وضحكهم منه
استهزاء وانكارا في قوله ولا يبكون تنبيه على ان البكاء والخشوع وحضور القلب حق عليهم عند سماع القران كما قال
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا والسجود الغفلة وقد يكون مع اللهو عن مجاهد كانوا يمرون بالنبي غضابا
مبرطمين وقال البرطمة الاعراض ثم انهم كانوا انصفوا من انفسهم وقالوا لا نعجب ولا نضحك ولا نسمد بل نبكي ونخشع فلا جرم
قال فاسجدوا اي اذا عرفتم الله بالعبودية فاخضعوا له واقتفوا مصائب العبادة وقد مر في سورة الحج في قوله الق الشيطان في امنيته
انه قرا رسول الله صلعم هذه السورة في الصلوة ثم سجد فسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس وذلك كما نبيه والله اعلم

سورة القمر خمس وخمسون آية مكية كلامها

ثلثمائة واثنان حروفها الف واربعمائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا
أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول
الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر
فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا

فالتقى

فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء
لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود
بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر
عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إنا مرسلوا الناقة
فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة
فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من
شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم
فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا
كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في
الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة أدهى وأمر إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا
أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر إن

المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥٥

في الجالين بالياء في الوصل فالاول البازي بغير ياء في الحالين الداعي الى الداعي بالياء في الحالين الي الداع في الوصل فالون البازي بغير ياء في الحالين

القراءة مستقر بالجر يزيد الداعي الى الداعي بالياء في الحالين ابي الداع في الوصل ... حشعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الاخرون خشعا نكر مقعصا بالتشديد

شي نكر بسكون الكاف ابن كثير خاشعا بالالف ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الاخرون خشعا نكر فقعصا بالتشديد

ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وفجرنا بالتخفيف ابو يزيد عن المفضل ونذري وما بعده بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش

وسهل وابن عباس في الوصل او القي ثقل اونبيكم سيعلمون على الخطاب ابن عامر وحمزة ويسهزم بالنون الجمع بالنصب روح وزيد عن

يعقوب **الوقوف** القمر ستمر مستقر مزدجر بناء على ان قوله حكمة بدل من ما او من مزدجر النذر للعطف مع انفصال

المعنى عنهم لانه لو وصل لاوهم ان الظرف متصل به وليس كذلك بل هو ظرف يخرجون تكر لاتصال الحال بالظرف من قبيل اتحاد عاملها

منتشر لانه مهطعين حال بعد حال الداع عسر وازدجر فانتصر منهمر للعطف مع اتحاد المقصود الكلام قدر العارض بين

الجملتين المتفقتين ولا به مع احتمال الحال اي وقد حملنا ودسر لان تجري صفة لها باعيننا لان جزاء مفعول او مصدر لفعل

محذوف كفر مدكر ونذر مستمر لان ما بعده صفة الناس لان كانهم حال منقعر ونذر مدكر بالنذر تتبعه لتعلق اذا بها

يسعوا اشر الاشر واصطبر للعطف بينهم لان كل مبتدأ مع ان الجملة من بيان ما تقدم محتضر فعقر ونذر المحتظر مدكر بالنذر

لوط لان الجملة لا تصلح صفة للمعرفة بسحر عندنا شكر بالنذر ونذر مستقر لفا اي فقيل لهم ذوقوا ونذر مدكر بالنذر

لاتصال المعنى بلا عطف مقتدر الزبر لان ما بعده يصلح استفهام انكار مستانف ويصلح بدلا عن ام فلم منتصر الدبر وامر

وسعر بناء على ان يوم ليس ظرفا للضلال وانما هو ظرف المحذوف اي قال لهم ذوقوا وجوههم سقر بقدر بالبصر مدكر الزبر مستطر

ونهر لان ما بعده بدل مقتدر **التفسير** اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة ازفت الآزفة الا ادبر وذكر هنا

دليلا على الاقتراب وهو انشقاق القمر في الصحيحين عن انس ان الكفار سالوا رسول الله صلعم اية فانشق القمر مرتين وعن

ابن عباس فلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وعن حذيفة انه خطب بالمدائن

ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم الكشاف المعنى ... وعن بعضهم ان المراد سينشق

القمر بصيغة الماضي على عادة اخبار الله وذلك ان انشقاق القمر من عظيم الوقع في النفوس وكان ينبغي ان يبلغ وقوعه

حد التواتر وليس كذلك واجيب بان الناقلين لعلهم اكتفوا باعجاز القرآن عن تشهير سائر المعجزات بحيث يبلغ التواتر

ايضا انه سبحانه عد انشقاق القمر اية من الآيات لرسوله ولو كانت مجرد علامة القيمة لم يكن معجزة كما لم يكن خروج

دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب ونحوها معجزات له مع كلها مشتركة في نوع الخرق من الاعجاز وهو الاخبار عن

الغيوب وزعم بعض اهل التنجيم ان ذلك كان حالة تشبه الخسوف ذهب بعض جرم القمر عن البصر وظهر في الجو شيء مثل

نصف جرم القمر ونحن نقول اخبار الصادق بان يتمسك به اولى من نقل الفلسفي هذا مع ان استدلاله على امتناع الخرق في

السماويات لا يتم كما بينا في الحكمة وكيف يدل انشقاق القمر على اقتراب الساعة نقول له من جهة ان ذلك بد لعله جواز

الخراب السماويات وهو انها خلاف ما يزعمه منكر الحشر من الفلاسفة وزعم ومن ضاهى بعضهم وللنبه ميل الامام فخر الدين

الرازي ان المراد باقتراب الساعة ليس هو القرب الزماني وانما المراد قربها الى العقول وفي الاذهان كانه لم يبق لعدم ظهور

هذه الآية المنكر مجال واستعمال لفظ الاقتراب ههنا مع انه مقطوع به كاستعمال لعل في قوله لعل الساعة ولا يبعد اطلاق

لفظ القرب على مثل هذا الزمان والجواب انكم ما هو ات قريب وزمان العالم مديد والباقي بالنسبة الى الماضي شيء يسير

وقال اهل اللغة في افتعل مزيد تجسم ومبالغة فمعنى اقترب دنا دنوا قريبا وكذلك اقتدر ابلغ من قدر ثم بين

ان ظهور آيات الساعة لا يؤثر فيهم بل يزيد في عنادهم وتمردهم حتى يسموها سحرا مستمرا اي دائما مطردا كانهم لما تواترت الآيات

وتتابع المعجزات باستمرار السحر وكان رسول الله صلعم ياتي كل اوان معجزة قولية او فعلية سماوية او ارضية وقيل هو

من قولهم حبل مرير اذا اتقن من المرة وهي الشدة اي سحر قوي محكم وقيل من المرارة يقال استمر الشيء مر اذ نه اي سحر

مستبشع مر في مذاقنا وقيل مستمر اي مار ذاهب زائل عما قريب علموا انفسهم بالاماني الفارغة فخيب الله امالهم باعلاء

الدين وتكامل قومه كل يوم بالظاهر ان قوله وان يروا الى اخر الآية جملة معترضة بيانا لما اعتادوه عند رؤية الآيات

وقوله وكذبوا عطف على قوله اقترب كانهم قابلوا الاقتراب والانشقاق بالتكذيب واتباع الاهواء والمعنى كذبوا

هذا نظام

بالاخبار عن اقتراب الساعة واتبعوا اهواءهم في ان محمدا سحر القمر او كاهن وكذبوا بانشقاق القمر واتبعوا اراءهم

الفاسدة في انه خسوف عرض للقمر وكذلك كل اية وكل امر مستقر صائر الى غاية وان امر محمد سيصير الى حد يعرف حقيقته

حقيقة وكذلك امرهم يستقر على حالة البطلان والخذلان ومن قرا بالجر فللعطف كل على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب

كل امر مستقر ويبين حاله ثم اشار بقوله ولقد جاءهم الى ان كل ما هو لعطف بالعباد وقد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب

الساعة واقام الدليل على صدقه ثم وعظهم باهلاك القرون الخالية وباحوال الامم الاخرى فكل ذلك امر تزجرهم اي ازدجار

وعظة اذكار بعدوا تشعر من الزجر قلبت التاء دالا وقوله حكمة يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هذا الترتيب في ارسال

الرسول وايضاح الدليل والانذار بمن مضى من القرون حكمة بالغة كاملة قد بلغت منتهى البيان فما تغني النذر استفهام انكار

معناه انك اتيت بما عليك من دعوى النبوة مقرونة بالادلة الباهرة وانذرتهم باحوال الامم فلم تفدهم فاي غنا يغني

النذر اي الانذارات بعد هذا فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يفيد فيهم ولا تظهر الحق لهم الا يوم البعث وما الثوب وداعي

اسرافيل وجبرائيل ينادي الى شيء نكر فظيع ينكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وتخصيص المدعوين

بالكافرين من حيث انهم الذين يكرهون ذلك اليوم من ضيق العطن قوله خاشعا حال من الخارجين والفعل للابصار

وليس قراءة من قرا خشعا على الجمع من الكوفي الراغب كما ظن في الكشاف ولكنه احسن من ذلك ولهذا تواترت قراءته لعدم

مشابهة الفواصل ثم تقول في السعة قام رجال تقعود غلمانه وضعف قاعد رجاله واضعف منه قعد وان لان زيادة

الحرف ليست في قوة زيادة الاسم ويجوز ان يكون في خشعا ضمير يقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن

هيبة لا يلتفت عنه ونحوه كقوله لا يرتد اليهم طرفهم والاجداث القبور شبههم بالجراد المنتشر للكثرة والتموج والذهاب

في كل مكان وقيل المنتشر مطاوع نشره اذا احياه فكانهم جراد يتحرك من الارض ويدب فيكون اشارة الى كيفية خروجهم

من الاجداث وضعف حالهم ومعنى مهطعين مسرعين وقد مر في ابراهيم ثم انه سبحانه اعاد بعض الانباء وقدم

قصة نوح على العادة وفائدة قوله فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح هي فائدة التخصيص بعد التعميم اي كذبوا

الرسل اجمعين فكذلك كذبوا نوحا ويجوز ان يكون المراد التكرير اي كذبوا عقيب تكذيب كلما مضى منهم قرن تبعه قرن اخر

مكذب وقوله عبدنا تشريف له وتنبيه على انه هو الذي حقق المقصود من الخلق وتبينوا ولم يكن على وجه الارض

حينئذ عابد لله سواه فكذبوه وقالوا مجنون وازدجر وداي استقبلوه بالضرب والشتم وغير ذلك من الزواجر عن تبليغ ما امر

به ويجوز ان يكون من جملة قولهم اي قالوا انه مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه قد عاينه اني مغلوب غلبني قومي

بالايذاء والتكذيب فغلبني نفسي بالدعاء عليهم حين ايست من اجابتهم لي فانتصر فانتقم لي اوانك نهيتني ان

ادعو على قومي كما بلغني فيخفف عني مغضبا عليهم فيفقني وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وابواب

السماء وفتحها حقيقة عند من يجوز لها ابوابا وفيها مياها وعند اهل البحث والتدقيق هي مجازية عن كثرة انصباب

الماء من ذلك الصوب كما يقال في المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتحت افواه القرب والباء للاله نحو فتحت الباب

بالمفتاح ونظيره قول القائل يفتح الله لك بخير وفيه لطيفة هي جعل المقصود مقدما في الوجود والتقدير يفيض الله

لك خيرا يأتي ويفتح لك الباب ويجوز ان يراد فتحنا ابواب السماء مقرونة بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع اربعين

يوما قال علماء البيان قوله وفجرنا الارض عيونا ابلغ من ان لو قال وفجرنا عيون الارض اي جعلنا الارض كلها كانها عيون

تنفجر نظيره واشتعل الراس شيبا وقد مر فالتقى الماء اي جنسه يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان على التثنية

الماء على امر قد قدر اي على حال قدرها الله عز وجل كيف شاء او على حالة جاءت مقدرة متساوية اي قدر ماء السماء

كقدر ماء الارض ولعله اشارة الى ان ماء الارض نبع من العيون حتى اذا ارتفع وعلا لقيه ماء السماء ويحتمل ان يقال

اجتمع الماء على امر هلاكهم وهو مقدر في اللوح وذات الواح ودسر هي السفينة وهي من الصفات التي يؤدي مؤدى

الموصوف فتنوب منابه وهذا الايجاز مخصوص الكلام وبديعه والدسر المسامير جمع دسار من دسره اذا دفعه لانه يدسر

به منفذه ونحنا كلما ذكرنا ذكرنا من فتح ابواب السماء وحرجزاء اي جزيناهم جزاء لمن كان كفر وهو نوح ان وجود النبي

نعمة من الله وتكذيبه كفرانها ويحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فسئل عن معناه فقال انت نعمة حمدت الله

عليها والضمير في تركناها للسفينة او الفعلة كما مر في العنكبوت فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية والمدكر

العشر واصله مذتكر افتعال من الذكر والاستفهام فيه وفي قوله فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري للتوبيخ
والتخويف ولقد يسرنا القران سهلناه للادكار والاتعاظ بسبب المواعظ الشافية والبيانات الوافية وقيل للحفظ والاول
انسب بالمقام وانه روي انه لم يكن شي من كتب الله محفوظا على ظهر القلب سوى القران سوال ما الحكمة في تكرير
ما كرر في هذه السورة من الاي والجواب ان فايدته تجديد التنبيه على الادكار والاتعاظ والتوبيخ على تكذيب
الامم السالفة لبعثهم بحالهم وتمثلها فرغنت القصص لذوي الحلوم واصحاب النهى وهذا حكم التكرير في سورة
الرحمن عند عد كل نعمة وفي سورة المرسلات عند كل اية ليكون موحدة للاذهان محفوظة في كل اوان وتفسير هذه القصص
كم كررت في القران بعبارات مختلفة اوجز واطنب لان التكرير يرجع المعنى والتذكر تنبيه الغافل على ان كل موضع
مختص بما يد فايدة لم تعرف من غيره وما ذكر من قوله فكيف كان عذابي ونذر مرتين في قصة عاد لان الاستفهام الاول
اورده للبيان كما يقول المعلم لمن لا يعرف كيف المسلة الفلانية ليحضر المسول سائلا فيقول كيف هي فيقول المعلم انها
كذا وكذا والاستفهام الثاني للتوبيخ والتخويف واما في قصة ثمود فاقتصر على الاول للاختصار وفي قصة نوح فاقتصر على
الثاني لذلك ولعله ذكر الاستفهامين معا في قصة عاد لفرط عتوهم وقولهم من اشد منا قوة وقد مر في حم السجدة
تفسير الصرصر والايام النحسات وانما وحد هيهنا لانه اراد مبدا الايام ووصفه بالمدعوا عن جمعه اي استمر عليهم ودام
حتى اهلكهم وقيل استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وقيل المستمر الشديد المرارة
تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم لكبكبهم وبدق رقابهم اعجاز نخل منقعر منقلع عن مغارسه وفي هذا التشبيه اشارة
الى جثثهم الطوال العظام قيل ان الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا بلا رؤوس كاعجاز النخل اصولا بلا فروع قال
النحويون اسم الجنس الذي يميز واحده بالتاء جاز في وصفه التذكير كهذه الاية والتانيث كما في قوله اعجاز نخل خاوية
هذا مع ان كلا من السورتين وردت على مقتضى الفواصل قوله ابشرا من باب اضمر عامله على شريطة التفسير وانما اولى
حرف الاستفهام ليعلم ان الانكار لم يقع على مجرد الاتباع ولكنه وقع على اتباع البشر الموصوف وانه من جهات احديها
كونه بشرا وذلك لزعمهم ان الرسول لا يكون بشرا الثانية كونه منهم وفيه بيان قوة المماثلة وفيه مزيد استنكار لانه يكون
لواحد منهم مختصا بالنبوة مع انهم اعرف بحاله الثالثة كونه واحدا اي كيف تتبع الامة رجلا واحدا اما مراده انه واحد من
الاحاد دون الاشراف والسعر النيران جمع سعير للمبالغة ولان جهنم دركات او كدوام العذاب كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في
ضلال عن الحق وفي سعر فعكسوا عليه قايلين ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال البعد عن الصواب
والسعر الجنون ومنه ناقة مسعورة وفي قوله االقي عليه الذكر من بيننا تصريح بما ذكرنا من انه واحد منهم كيف
اختص بالنبوة ونفي الالقاء ايضا نفيا اجزم منهم وذلك ان الالقاء انزال بسرعة فكانهم قالوا الملك جسم والسماء
بعيده نزل في لحظة واحدة انكر واصل القاء الالقاء عليه من بينهم والاشر البطر المتكبر اي حمله بطره وشرارته
على ادعاء ما ليس له ثم قال سبحانه تهديدا لهم ولامثالهم سيعلمون غدا اي فيما يستقبل من الزمان وهو وقت نزول
العذاب ويوم القيمة من الكذاب الاشر وقري الاشر بالتشديد اي الابلغ في الشرارة وحكى ابن الانباري ان
العرب تقول هو اخير واشر وذلك اصل مرفوض ومن قرا ستعلمون على الخطاب فاما حكاية جواب صالح وهو على طريق
الالتفات ثم انه تعالى خاطب صالحا بقوله انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الصخرة كما سالوا فتنة لهم فارتقبهم وتبصر
ما هم فاعلون بها واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة اي مقسوم بينهم حظ العقلاء وبالذكر تغليبا كل شرب محتضر
فيه يوم لها ويوم لهم كما قال عز من قايل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد مر في الشعراء وقال في الكشاف يحضرونهم
وللناقة وقيل الهام وقيل يحضرون الماء في نوبتهم والذين في شربها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف المشغب وكان اشجع
واهجم على الامر فكان رئيسهم فتعاطى فاجترا على الامر العظيم فتناول العقر واخذ به بيدها فتعاطى الناقة والسيف والآلة
والهشيم الشجر اليابس المتهشم اي المنكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة ووجه التشبيه ان ما يحظر به ييبس بطول الزمان
وتطاه البهايم فيتكسر وانهم صاروا موتى جاثمين ملقى بعضهم فوق بعض كالحطب الذي يكسر في الطرق والشوارع
ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم وقود الجحيم لقوله وكانوا لجهنم حطبا والحاصب الريح التي ترميهم بالحجارة وقد مر في العنكبوت
ولعل التذكير بتاويل العذاب والسحر القطعة من الليل وهو السدس الاخير كما مر في هود والحجر وصرف لانه نكرة واذا اريد سحر

بومك

بومك لم نصرفه والظاهر ان الاستثناء من الضمير في عليهم لانه اقرب ولانه المقصود وجوز ان يكون استثناء من فاعل
كذبت وهو بعيد نعمة مفعول له اي انعاما وقوله كذلك نجزي من شكر اكثر المفسرين على انه اشارة الى انه تعالى يخلص
من عذاب الدنيا كل من شكر نعمه امره بالطاعة والايمان وقيل انه وعد بثواب الاخرة كما نجاهم من عذاب الدنيا ينعم عليهم يوم
الحساب بالثواب وحين اجمل قصتهم فصلها بعض التفصيل قايلا ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذنا بالعذاب فتماروا
بالنذر تشاكوا في الانذارات ولعله اورده على صيغة معناها تفريب عن المطابقة كما مر في يونس والضمير للقوم باعتبار
البعض لان بعضهم راودوه وكان غرضهم راضين بذلك وكانوا جميعا على مذهب واحد فطمسنا اعينهم مسحناها وجعلناها
مع الوجه صفحة ملساء لا يرى لها شق وانما قال في يس ولو نشاء لطمسنا على اعينهم بزيادة حرف الجر لانه اراد به اطباق الجفنين
على العين وهو امر كثير الوقوع قريب من المكان بخلاف ما وقع للمراودين من قوم لوط فانه ابلغ وان عدوا الكل بالاضافة الى قدرة
الله واحدا لانه حين علق الطمس بالمشية ذكر ما هو اقرب الى الوقوع كيلا يكون الحكم مجازا كثيرا ونقل عن ابن عباس ان المراد
بالطمس المنع عن الادراك فلم يجعل على بصرهم شيا غير انهم خلوا ولم يروا هناك ولعل في هذا النقل خللا لانه لا يناسب قوله
عقيب ذكر الطمس فذوقوا عذابي ونذر اي فقلت لهم على السنة الملائكة ذوقوا اه عذابي ونتيجة انذاري ثم حكى العذاب
الذي عم الكل بقوله ولقد صبحهم بكرة ولقايل ان يسال ما الفايدة في قوله بكرة مع قوله صبحهم والجواب انه صبحهم يشمل
من اول الصبح الى اخر الاسفار وانه تعالى وعدهم اول الصبح كما قال ان موعدهم الصبح فاراد بقوله بكرة تحقيق ذلك
الوعد ويمكن ان يقال قد تذكر الوقت المبهم لبيان ان تعيين الوقت غير مقصود كما تقول خرجنا في بعض الاوقات
ولا فايدة فيه الا قطع العبارة فانه ربما يقول السامع متى خرجتم فيحتاج الى ان تقول في وقت كذا او في وقت من الاوقات
فاذا قال من اول الامر في وقت من الاوقات جاز ان غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته وبمثله اجيب عن قوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ويحتمل ان يقال صبحهم معناه قيل لهم بكرة عموا صباحا وهو بطريق التهكم كقوله
فبشرهم بعذاب اليم ويجوز ان يكون التصبيح بمعنى الاغارة من قولهم ياصباحاه والعذاب المستقر الثابت الذي لا مدفع
اما الذي استقر عليهم ودام الاستيصال الكلي ادالي القيامة وما بعدها وقوله ولقد جاء ال فرعون النذر يعني موسى وهارون
وغيرهما لانهما عرضا عليه ما انذر به المرسلون او بمعنى الانذارات باياتنا كلها يعني الايات التسع او جميع معجزات الانبيا
عليهم السلام لان تكذيب البعض تكذيب الكل العزيز المقتدر الغالب الذي لا يعجزه شي ثم خاطب اهل مكة بقوله اكفاركم
خير من اوليكم المذكورين وهو استفهام انكار لان الاقدمين كانوا اكثر عددا وقوة وبطشا ام لكم براءة في الزبر الكتب
المتقدمة امن لكفرتكم كانوا امنا من سخط الله فامنتم بتلك البراءة كان النداء وهو من في يد القانون اهل الخراج من
اهل كتابهم البراءة ام يقولون نحن جميع مجتمع امرنا منتصر ممتنع عن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في
الصف قائلا نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار عن عكرمة لما نزلت هذه الاية
قال عمر اي جمع يهزم فلما راى رسول الله صلعم يلبث في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفت تاويلها بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى من انواع عذاب الدنيا وادهى الداهية والداهية اسم فاعل من دهاه امر كذا اذا اصابه ويختص بامر صعب كالحادثة
والنازلة وامر من المرارة وقيل من المرة اي ادوم واكثر مرورا وقيل من المرة الشدة قوله ان المجرمين الاية روى الواحدي
في تفسيره عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلعم في القدر فانزل الله تعالى هذه الاية
الى قوله خلقناه بقدر وعن عائشة ان النبي صلعم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله في قوله
ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر نيران في الاخرة او في ضلال وجنون في الدنيا لا يهتدون ولا يعقلون
او في ضلال وسعر في الاخرة لانهم لا يجدون الى مقصودهم او الى الجنة سبيلا والنيران ظاهرانها في الاخرة وسعر
على الجهنم من سعرته النار وصوبوه ان الوجه ما اشتهر بناء على الحديث المذكور ان قوله انا كل شي متعلق بما قبله
كانه قيل ان مس النار حق لانه انكر هذا المعنى المقصود واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما كل شي فانه مخلوق بقدر
وهو يؤدي مودى النصب والاخر كل شي مخلوق لنا فانه بقدر وهذا غير مقصود بل فاسد اذ يفهم منه ان يكون من الاشيا
غير مخلوق لله ليس بقدر والقدر التقدير اي كل شي خلقناه مرتبا على وفق الحكمة ومقدرا مكتوبا في اللوح ثابتا في
سابق العلم الازلي واعلم انه قد مر في هذا الكتاب ان الجبري يقول القدرية التي ذمها النبي صلعم هو المعتزلي الذي

ينفي كون الطاعه والمعصيه بتقدير الله والمعتزله تقول انه الجبري الذي يدعي ان الزنا والسرقه وغيرهما من القبائح كلها بتقدير الله وكذا حال السني لانه وان كان يثبت للعبد كسبا الا انه يسند الخير والشر الي القضا والقدر وقال بعض العلما انكروا احد من الفريقين لا ينبغي اسم القدريه الا اذا كان النافي نافيا لقدرة الله لان يقول هو قادر على ان يلجي العبد الي الطاعه ولكن حكمته اقتضت بنا التكليف على الاختيار والا اذا كان المثبت منكرا للتكليف وهم اهل الاباحة القايلين بان الكل اذا كان بتقدير الله فلا فايدة في التكليف ولعل وجه تشبيههم بالمجوس هو انهم في انه مجوس كالمجوس نبايين الكفار المتقدمين وكما ان المجوس نوع من الكفرة اضعف شبهه واشد مخالفة للعقل فكذلك القدريه في هذه الامه ومن هذا ثبت الدليل لا يلزم الجزم بانهم من اهل النار فانما لعل اسم القدريه لاهل الاثبات او لاهل النفي كما يقال دهري لانه يقول بالدهر والتنزيه لا انابتهم الهين اثنين ادنون اوظلمة وقال بعضهم هذا الاسم باهل النفي اولى لان الايه نزلت في مكذب القدره وهم المشركون القايلون بان الحوادث كلها مستندة الي الاتصالات الكواكب وايضا اقربها لا قدره لله على شي من ذلك كخلقه او ما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة وهي كن تاكيد لاثبات القدره له وتقرير مثله في الفعل وقوله كلمح بالبصر تاكيد على تاكيد وهذا تمثيل والا فكونه بلا مادة ولا مدة وهو في الخلق والامر ايضا ثم من سنعا في الاعراف ثم هددهم مرة اخرى بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم ثم ذكر نوعا اخر من التهديد مع بيان كمال القدرة او العلم تعالى فكل شي فعلوه في الزبر اي في صحف الحفظة قال الطيبي هذا ما التزم فيه الرفع لان النصب يكون بضاف معني غير مقصود بل فاسد اذ يلزم منه ان يكون كل شي مفعولا في الزبر وهذا معني غير مستقيم لانه ترى واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما صحيح مقصود وان يقدر قوله فعلوه صفة لشي والظرف خبرا كل شي مفعول الناس فانه في الزبر والاخر ان يقدر الجملة جزا ويجعل الظرف لغوا فيؤدي الكلام حينئذ مؤدي النصب ولا ريب ان الوجه الذي يصح المعني فيه على احد الاحتمالين اولى من الذي يكون نصا في المعني الفاسد ثم اكد المعني المذكور بقوله وكل صغير وكبير من الاعمال بل كل ما وجد ويوجد مستطر اي مسطور في اللوح والمنهر جنس اريد به الانهار التي به للفاصله وما سلف مثله مرارا كقوله ان المتقين في جنات وعيون وقيل معناه السعه والضيا من الانهار في مقعد صدق في مكان مرضي من الجنه مقربين عند مليك مقتدر لا تكتنه كنه عظمته واقتداره نظيره قول القايل فلان في بلد كذا في دار كذا ويحتمل ان تكون الظرف صفة مقعد صدق كما يقال فلان عند ابن حجر يشير عند خاتمة العمل اللغة القعود يدل على المكث والجلوس ولهذا يقال للزمن مقعد دون مجلس ومنه قواعد البيت وكذا في ساير تقاليبه من نحو دفع ادلا الرق بالارض وعقد والاضافة في مقعد صدق الي في قولك رجل صدق كانه في قولك رجل صدق اي رجل صادق في الرجوليه كامل فيها ويجوز ان يكون سبب الاضافة ان الصادق قد اخبر عنه وهو الله ورسوله او الصادق اعتقد فيه وهو المكلف او يراد مقعد لا يوجد فيه كذب فان من وصل الي الله استحال عليه الا الصدق وهو اعلم بالصواب

سورة الرحمن ست وسبعون آية مكية كلامها ثلثمائة واحدى وخمسون حروفها الف وستمائة وثلثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ خَلَقَ الْإِنسَانَ

مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُدْهَامَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

القراءات والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما ابن عامر والحب ذو العصف بالرفع فيهما والريحان بالجر حمزة وعلي وخلف الباقون برفع الريحان يخرج مجهولا من الاخراج ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب اللؤلؤ كمثل ابو الحرث قتيبة والنصير وابو عمرو طريق ابن عبدوس المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى طريق الصريفيني سنفرغ بالياء حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون على طريقة الالتفات ايه الثقلان بضم الهاء مثل ايه المؤمنون وايه الساحر شواظ بكسر الشين ابن كثير ونحاس بالجر ابن كثير وابو عمرو وسهل يطمثهن بضم الميم في احديهما مخير لعلي وروى ابو الحرث عنه في الاولى بالضم انس بنقل حركة الهمزة الى النون ورش وحمزة في الوقف ذو الجلال بالرفع ابن عامر **الوقوف** الرحمن القرآن الانسان البيان بحسبان لعطف الجملتين المتفقتين يسجدان الميزان لتعلق ان الميزان الميزان للانام لان الجملة بعدها حال الاكمام والريحان لابتداء الاستفهام مع دخول الفاء التعقيب والوقف اجوز لان الابتداء بالاستفهام مبالغة في التنبيه وكذلك في جميع السورة تكذبان المغربين يلتقيان لان ما بعده حال ضرورة لا يبغيان حال البعد لحال تكذبان والمرجان تكذبان كالاعلام تكذبان فان لعطف الجملتين المختلفتين والاولى الوصل لان الكلام متصل بالثاني والاكرام تكذبان والارض تكذبان الثقلان تكذبان فانفذوا بسلطان تكذبان فلا تنتصران تكذبان كالدهان تكذبان ولا جان تكذبان والاقدام تكذبان المجرمون لانه لو وصل صار ما بعده حالا من المجرمين وليس كذلك تكذبان جنتان تكذبان لان قوله ذواتا صفة جنتان تكذبان تجريان تكذبان زوجان لانه متكئين حال الا ان الكلام قد تطاول واستبرق دان تكذبان الطرف لم يطمثهن حال بعد نصب جان تكذبان والمرجان تكذبان الا الاحسان تكذبان جنتان تكذبان مدهامتان تكذبان نضاختان تكذبان ورمان تكذبان حسان تكذبان الخيام تكذبان جان تكذبان حسان تكذبان والاكرام **التفسير** افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على الهيبة والعظمة وهي انشقاق القمر وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والعناية وهي القرآن الكريم الذي فيه شفاء القلوب والطهارة عن الذنوب وهي اسبق الآلاء قدرا واجل النعماء منصبا وبين السورتين مناسبة اخرى من جهة انه ذكر هناك ما يدل على الانتقام والغضب كقوله فذوقوا عذابي ونذر وقوله فكيف كان عذابي ونذر وذكر في هذه السورة بعد تعداد كل نعمة فبأي آلاء ربكما تكذبان مرة بعد مرة وتذكير النعمة على نعمة لانها مما يرقق اللسان ويبين اهل الغفلة والنسيان قال جار الله الرحمن مبتدأ والافعال بعده مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف لانها تقام على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعله احد باحد فما تنكر من احسانه قلت فعلى هذا الوجه فلعل نوقف على القرآن جاز ويكون الرحمن مبتدأ اي هو الرحمن ثم استأنف قائلا علم القرآن وما يفعل له الاول قيل هو متعد الى واحد والمعنى جعل القرآن علامة وآية النبوة وقيل هو جبرائيل القرآن حتى نزل به على محمد وقيل علم محمد والانسان القرآن كما يليق بفهمهم وعلى حسب استعدادهم ولعله يلزم من الوجه الاخير شبه تكرار من قوله خلق الانسان علمه البيان فالاول اشارة الى القوى البدنية والثاني اشارة الى القوى النطقية

ويلزم

ويلزم ايضا ان يكون التعليم قبل الخلق ظاهرا الا ان يكون تفصيلا لما اجمله وقد نقل عن ابن عباس ان الانسان آدم علمه الاسماء كلها او محمد عليه السلام علمه البيان القرآن وفيه بيان ما كان وما سيكون الى يوم القيامة قوله الشمس والقمر بحسبان اي بحسبان استغنى عن الوصل اللفظي بالربط المعنوي لرعاية الفاصلة يعني انهما يجريان في بروجهما ومنازلهما بحساب معلوم والنجم هو النبات بغير ساق والشجر يسجدان بالانقياد له وانما توسط العاطف بين هاتين الجملتين لما بين العلوي والسفلي من تناسب التقابل بين الحسبان والسجود من تناسب التجانس وذلك ان سبح بحسب تقدير معين وهو من جنس الانقياد لامر الله والسماء رفعها قال في الكشاف اي خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه قلت انه حمل الرفع على ارتفاع المنزلة ولعل المراد به الرفع الحسي ليطابق قوله والارض وضعها اي حفظها في مركز العالم مدحوة مخلوطة بالماء ثم لم جعل وضع الارض لانه لا ينتفع بالميزان الا اذا كان معلقا في الهواء بين الارض والسماء هذا امر حسي واما العقلي فهو انه ابتدأ اولا من النعم بذكر القرآن الذي فيه بيان الشرايع والتكاليف ثم اتبعه ذكر كيفية خلق الانسان وقواه النفسانية وما يتم به معاشه في السماويات والارضيات ثم ذكر انه خلق لاجلهم آلة الوزن بها يقيمون العدالة في معاملاتهم وامورهم فصل كما قال في حم عسق الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وكما جاء في الحديد وانزلنا معهم الكتاب والميزان وان في قوله وان لا تطغوا او تفسيرية ولا ناهية واقيموا الوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه نهيا عن الخسران والتطفيف وفي تكرير لفظ الميزان بل في ورود هذه الجمل المتناسبة الدالة على مكرر اشارة الى الاهتمام بامر العدل وندب اليه وتحريض عليه وقيل الاول ميزان الدنيا والثاني ميزان الآخرة والثالث ميزان العقل وقيل انزلت متفرقة فاقتضى الاظهار قوله للانام اي لكل ما على ظهر الارض من دابة وقيل للانسان وخص بالذكر لشرفه ولان الباقي خلق لاجله فيها فاكهة التنوين للتعظيم وهي كل ما يتفكه به وقد افرد النخل بالذكر للتفضيل ولانه فاكهة وغذاء ايضا والاكمام جمع كم وهو وعاء الثمرة ثم ذكر اقوات البهائم والانسان قائلا والحب ذو العصف وهو ورق الزرع والتبن وقال الفراء والسدي هو اول ما ينبت من الزرع والريحان الرزق ومن رفع فعلى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ذو الريحان وقال الحسن وابن زيد على هذه القراءة هو ريحانكم الذي يشم ثم خاطب الجن والانس بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال جار الله الخطاب في ربكما للثقلين بدلالة الانام عليهما قلت ما يرجح في قوله ايها الثقلان سيما وذلك لانهما ثقل الارض وبما سيذكر عقيبه من قوله خلق الانسان والجان خلقا وقيل التكذيب اما باللسان وبالقلب معا واما بالقلب دون اللسان كما للمنافقين فكانه قال يا ايها المكذبان بأي الآء ربكما تكذبان وقيل اراد يا ايها المكذبين بالدلائل السمعية والعقلية وبدلائل الآفاق ودلائل الانفس والاستفهام للتوبيخ والزجر وقوله خلق الانسان من صلصال قد مر في سورة الحجر الا انه تشبيه ههنا بالفخار وهو الخزف بيانا لغاية يبس طينه وكراهة التركيب بدل عليه ومنه الحجر ولولا يبس دماغه لم يفرح ومنه الفرح لانه يبيض البيضة منه وكل ما ينشق عرضه للتشقق ومنه الحرف لغاية يبوسته مزايله والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه من مرج اذا اضطرب ولعلها المخلوطة بسواد النار من مرج الشيء اختلط وقوله من نار بيان المارج كانه قيل من صاف من نار وتحوه ان يكون نارا مخصوصة فيكون صفة رب يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء والاول مطلع اول السرطان والثاني مطلع اول الجدي هذا في بلادنا الشمالية وفي الجنوبية بالعكس قوله مرج البحرين تقدم في الفرقان معناه ارسلهما ملحا وعذبا متلاقيين بينهما برزخ لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة يخرج منهما اي من كل منهما وقال في الكشاف اعاد الضمير الى البحرين لانهما كالخارج من العذب كانه خارج من الملح يقول خرجت من البلد ولم يخرج الا من محلة ومن دار وقال ابو علي الفارسي اراد احدهما فحذف المضاف كلك ونحن قد سمعنا ان الاصداف تخرج من البحر الملح ومن الامكنة التي فيها عيون عذبة في مواضع من البحر الملح ودبيه قوله سبحانه فمنها طري ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فلا حاجة الى هذه التكلفات قال الفراء وغيره من اهل اللغة اللؤلؤ الدر والمرجان ما صغر منه وعن مقاتل بالضد ويشبه ان يكون اللؤلؤ هذا الجنس المعروف والمرجان البسد تعالى انه ينبت في بحر الروم والافرنج كالشجر وهو الفصل المشترك بين المعدن والنبات والجواري السفن الجارية حذف الموصوف للعلم به من قرأ المنشآت بفتح الشين فمعناها المرفوعات الشرع والتي رفع خشبها بعضها على بعض وركب

حتى ارتفعت والقلوع بالكسر اراد المرتفعات الشرع والثاني يبتدئ السير وبتشبيه الامواج بجريهن والاعلام الجبال الطوال
شبههن في البحر بالجبال في البر والضمير في عليها للارض بدلالة المقال او الحال والوجه عبارة عن الذات كما مر في تفسير البسملة
وفي قوله كل شيء هالك الا وجهه ذو صفة للوجه وهو على القياس وفيه دلالة على ان الوجه والرب ذات واحد بخلاف قوله
في آخر السورة تبارك اسم ربك فان الاسم غير المسمى في الاصح فلهذا قال ذي الجلال والاكرام ومعناه ذو العظمة والتعظيم كما
سبق في البسملة والنعمة في بقائها على الارض هي محيي ميت الحياة يسأله من في السموات ومن في الارض الثقلين الملائكة
لمصالح الدين والثقلان لمصالح الدارين وعن مقاتل يسأل اهل الارض الرزق والمغفرة ويسأل الملائكة ايضا الرزق والمغفرة للناس
كل يوم هو في شأن سئل رسول الله صلعم عن ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويضع آخرين قلت هذا
التفسير يطابق ما قررنا في الحكمة وما ذكرنا في الكتاب مرارا من ان القضاء هو الحكم الكلي الواقع في الازل والقدر هو صدور تلك
الاحكام في اوقاتها المقدرة فبالاعتبار الاول قال جف القلم بما هو كائن وبالاعتبار الثاني قال كل يوم هو في شأن وهذا بالنسبة
الى المكونات ولا يتغير في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وبالجملة انها شيون يبديها لا شيون يبتديها وحكى الواحدي في
البسيط عن ابن عباس ان مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم
ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ومعنى ... انه كل مقلق لاجل الثقلان قال سنفرغ
لكم قال اهل البيان هو مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك والمراد التجرد والعناية للايقاع به والنكاية فيه والمراد ان تنتهي
شؤونه الى شأن الجزاء وقصد المحاسبة ثم هدد الثقلين بانهم لا يستطيعون الهرب من احكامه واقضيته فيها نفذ الشيء اذا خلص
منه كالسهم ينفذ من الرمية واقطار السموات والارض نواحيها واحدها قطر وهو في الهندسة عبارة عن الخط المنصف
للدائرة والسلطان القوة والغلبة اي الا بسلطان قام ولا سلطان لكم فلا نفوذ قال الواحدي اراد انه لا خلاص من
الموت ويحتمل ان يخص هذا بيوم الجزاء المشار اليه بقوله سنفرغ لكم ويؤيده ما يروى مرفوعا ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع
الخلائق فاذا هم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به ونحوه وقوله عقيبه يرسل عليكما
الآية جار في الخبر يحاط على الخلق بلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس الآية وذلك قوله يرسل عليكما شواظ
وهو اللهب الذي لا دخان معه وقرأ ابن كثير بكسر الشين لغة اهل مكة يقولون صوار من بقر وصوار بالضم والكسر والنحاس
الدخان ومن قرأ بالرفع فمعناه يرسل عليكما هذا مرة وهذا اخرى ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر ومن قرأ
بالجر فتقديره وشيء من نحاس وعن ابي عمرو ان الشواظ يكون من الدخان ايضا وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم
وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت السماء لنزول الملائكة
وكانت وردة اي حمراء كالدهان هي جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام شبهها بدهن الزيت كقوله كالمهل وهو دردي الزيت
وقيل الدهان الاديم الاحمر ابن عباس يصير كلون الفرس الورد وقيل تصير حمراء كالورد ثم تذوب مثل الدهن قال قتادة
هي اليوم خضراء ولها يوم القيامة لون آخر الى الحمرة والفاء في قوله فاذا للتعقيب وفي فكانت للعطف والجواب محذوف
كما يجيء في قوله اذا السماء انشقت والمراد انهما لا ينتصران حين ارسال الشواظ عليهما حين تنشق السماء وصارت
الارض والجو والهواء كلها نارا وتذوب السماء كما يذوب النحاس الاحمر كيف ينتصران ويمكن ان يكون وجه تشبيه السماء [illegible]
بالدهن هو الميعان والذوبان لسرعة وعدم رسوب الخبث كخبث الحديد ونحوه والغرض بيان سلطنة السماء وانه لا اطلاق
الخلائق فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وضع الجان الذي هو ابو الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والضمير في ذنبه
عائد الى الانس لان الفاعل في نية التقديم وكأنه قيل لا يسأل بعض الانس عن ذنبه ولا بعض الجن والجمع بين هذه الآية
وبين قوله فوربك لنسألنهم هو ما مر من ان المواطن مختلفة ولا يسأل سؤال استعلام وانما يسأل سؤال توبيخ وتقريع
وعندي انه بيان عدم احتياج المذنب الى السؤال عن حاله لانكشاف ما هو اليوم فيه كامن فذلك في يوم القيامة يظهر ويبرز
من ظلمة الطبيعة والعصيان او من نور الطاعة والايمان واليه الاشارة بقوله يعرف المجرمون بسيماهم من سواد الوجه وزرقة
العين فيؤخذ كل منهم او جنس المجرم بالنواصي اي بسببها ولعل المراد ان يجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف او قدام
ويلقون في النار وروى الحسن عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلعم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة
جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا من قبضوا عليه بالنواصي والاقدام ويجوز ان

يكون

يكون الفعل مسندا الى قوله بالنواصي نحو ذهب بزيد ثم ذكر انهم يخوفون بقول الملائكة لهم هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون والاصل المطابق ما الالتفات للتبعيد وللتسجيل عليهم بالاجرام والآني الذي بلغ منتهى حره قال الزجاج اني يأني
اناء اذا انتهى في النضج والحرارة والمعنى انهم لا يزالون طائفين بين عذاب الجحيم وبين الحميم وذلك حين ما يستغيثون
كقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال جار الله نعمة الله فيما ذكره من الاهوال وانواع التخالف هو نجاة الناجي منه وما في الانذار
به من اللطف ويمكن ان يقال باي الآلاء المعدودة في اول السورة تكذبان فيستحقان هذه الاشياء المذكورة من العذاب
ثم شرع في ثواب اهل الجنة والطاعة قائلا ولمن خاف مقام ربه وقد مر نظيره في ابراهيم في قوله ذلك لمن خاف مقامي قال المفسرون
جنتان احديهما للخائف الانسي والثانية للخائف الجني او احديهما لفعل الطاعات والثانية لترك المنكرات او احديهما
للجزاء والاخرى للزائد عليه تفضلا او هما جنة عدن وجنة النعيم او احديهما جسمانية والاخرى روحانية وقيل التثنية
للتأكيد كقوله ألقيا وهو ضعيف والافنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم طولا قاله مجاهد وعكرمة والكلبي وغيرهم
انما خصها بالذكر لانها هي التي تورق من الثمر وتظل والساق لاجل ضرورة القيام ولا ضرورة في الجنة ولا كلفة وعن
سعيد بن جبير هي جمع فن والمعنى انهما صاحبتا فنون والنوع وعلى هذا يكون قوله فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان
والتفصيل بعد اجمال الصنفان رطب ويابس او معروف وغريب فيهما اي في كل منهما عينان تجريان من جبل من مسك احديهما
في الاعالي والاخرى في الاسافل وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل متكئين حال من
الخائفين المذكورين في قوله لمن خاف ويجوز ان يكون نصبا على المدح قال المفسرون اذا كانت بطائنها من استبرق وهي
التي تحت الظهارة ما يلي الارض من استبرق فما ظنك بظهارتها السندس والتحقيق انه لا يعلمها الا الله كقوله فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم وجنى الجنتين اي ثمرهما دان قريب يناله القاعد والنائم قال جار الله فيهن اي في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش والجنى وقيل في الفرش اي عليها وقيل الجنان لان ذكر الجنتين يدل عليه ولانها اشتملت
على اماكن ومجالس ومتنزهات وهذا الوجه عندي اظهر ويستبعد بانه نوع آخر عن قريب قال الفراء الطمث الافتضاض
وهو النكاح بالتدمية وقبلهم اي قبل اصحاب الجنتين واللفظ يدل عليه قال مقاتل هن من حور الجنة وقال الكلبي والشعبي
هن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انسي ولا جني وقال الكسائي لم يطمث
الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قلت هذا التفصيل لعله لا حاجة اليه يعرف بادنى تأمل قال
الزجاج فيه دليل على ان الجن تطمث كما تطمث الانس ثم ذكر انهن في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ الصغار هل جزاء
الاحسان في العمل الا الاحسان في الجزاء وخص ابن عباس فقال هل جزاء من قال لا اله الا الله محمد رسول الله الا الجنة ومن
فرغ من نعت جنتي المقربين فشرع في وصف جنتين لاصحاب اليمين فقال ومن دونهما اي ومن اسفل منهما في المكان
او في التفضيل او دونهما وهو الاظهر وروى ابو موسى عن النبي صلعم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما مدهامتان هو من الادهيمام يقال ادهام فهو مدهام نحو اسواد فهو مسواد في اللفظ وفي المعنى وذلك
ان كل نبت اخضر فتمام خضرته من الذي ان يضرب الى السواد نضاختان فوارتان والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح وهو
الرش وقال ابن عباس ينضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وانما خص النخل والرمان بالذكر بعد انه داخل في
الفاكهة لفضلهما وشرفهما فالنخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء كاملا منه قال ابو حنيفة اذا حلف ان لا ياكل فاكهة
فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه ووافقهما الشافعي والخيرات مخففة خيرات لان الخير الذي هو بمعنى التفضيل
لا يجمع جمع السلامة والمعنى انهن فاضلات الاخلاق حسان الصور واعلم انه سبحانه قال في موضعين عند ذكر الحور فيهن
وفي سائر المواضع فيهما والسر فيه ان تمام اللذة عند اجتماع النسوان للرجل الواحد هو ان يكون لكل منهن مسكن على حدة
متباعد عن مسكن الاخرى واسع بحيث يسع ما يليق بحاله ومحالها من الجواري والغلمان وسائر الاسباب فيحصل هناك
متنزهات كثيرة منها جنة وكان في ضمن الجمع اشارة الى ذلك واما العيون والفواكه فلم يكن شيء منها بهذه المثابة من
كمال اللذة فاكتفى فيها بعود الضمير الى الجنتين فقط والمقصورات اللواتي قصرن اي حبسن في حجر وهن امراة
مقصورة اي مخدرة وعن قتادة عن ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من
ذهب وعن النبي صلعم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الآخرون

وقال أهل المعاني كنى عن الجماع في الدنيا بنحو قوله من قبل أن تمسوهن وذكر الجماع في الآخرة بلفظ يقرب من الصريح وهو
الطمث فما الحكمة في ذلك والجواب أن المباشرة في الدنيا قبيحة لما فيها من قضاء الشهوة وإسقاط القوة وهي في الآخرة بخلاف
ذلك فإنها داعية محبته ولذة حقيقية فلم يحتج إلى الكناية لأن الكنايات إنما تجري في القبائح قال جار الله متكئين
نصب على الاختصاص وقلت يجوز أن يكون حالا والعامل معنى يدل عليه قوله لم يطمثهن أنس قبلهم أي يطمثهن في حال
الاتكاء قال أبو عبيدة والضحاك ومقاتل والحسن الرفرف ضرب من البسط وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف
البسط وفضول الفسطاط رفارف وقال الزجاج الرفرف هاهنا رياض الجنة وقيل الوسائد قال جار الله العبقري منسوب
إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب وعن أبي عبيدة كل شيء من البسط عبقري وهو جمع
واحده عبقرية ومما يدل على أن صفات هاتين الجنتين تقاصرت عن الأوليين قوله مدهامتان فإنه دون قوله ذواتا
أفنان وذلك إن كان الخضرة لا توجب كون البستان ذا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة
الحور والمتكأ نقل أهل العلم كرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان إحدى وثلاثين مرة ثمانية منها ذكرها عقيب تعداد عجائب
خلقه وذكر المبدأ والمعاد ثم سبعة منها عقيب ذكر النار وأهوالها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة وهي ثمانية
في وصف الجنات وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمانية بعدها عقيب وصف الجنات التي دونها فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل
بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة ثم نزه نفسه بالإكرام كماله وختم السورة عليه ولا اسم
نختم بها بينا وفائدة هذا التوسط سلوك سبيل الكناية كما قال سامحه فلا [illegible] يزيد عن الثالث والله أعلم

سورة الواقعة سبع وتسعون آية مكية كلها ثلثمائة وثمان وسبعون حرف وفيها ألف وسبعمائة وثلثة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت
الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب
الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون
أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر
موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب
وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون
لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما
أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء

فجعلناهن

فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من
الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد
ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل إن الأولين
والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب
الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم
تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل
أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون
أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا
لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنشأتم شجرتها
أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم
فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب
مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم
صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان
من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

القراءة ينزفون من باب الافعال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتح الزاء وحور عين بجرهما يزيد وحمزة وعلي بجر
السكون حمزة وخلف ويحيى وحماد واسمعيل ابدا الكاف الى العدالة عامر فانه تابعا عاصما والابن يزيد فانه تابع نافعا شرب بضم
الشين ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وسهل الباقون بالفتح وكلاهما مصدر قدرنا بالتخفيف ابن كثير ابنا المخرجون بهمزتين
ابو بكر وحماد الاخرون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر لو قف على الوصل حمزة وعلي وخلف يكذبون بالتخفيف المفضل فروح
بضم الراء قتيبة ويعقوب **الوقوف** الواقعة بناء على ان العامل في الظرف هو ليس ولكان نصبها بالمضمر اذكر فكان الجواب
محذوفا اي اذا وقعت الواقعة كان كيت وكيت مع الوقف لذهبه لئلا يصير ما بعدها صفة رافعة لتعلق الظرف بخافضة او
لكونه بدلا من الاولى رجا بسا منبثا ثلثة فاصحاب الميمنة لتناهي استفهام التعجب ما اصحاب الشامة السابقون ثانية
على ان السابقون تاكيد والجملة بعده خبر المقربون لاحتمال انما بعده خبر مبتدأ محذوف اي هم في جنات النعيم الاولين الاخرين
موضونة متقابلين مخلدون معين ولا ينزفون يتخيرون يشتهون لمن قرأ وحور عين بالرفع المكنون يعملون تأثيما
سلاما ما اصحاب اليمين مخضود منضود ممدود مسكوب كثيرة ممنوعة مرفوعة انشاء ابكارا اترابا اليمين الاولين
والاخرين ما اصحاب الشمال وحميم يحموم ولا كريم مترفين العظيم لمبعوثون الاولون الاخرين معلوم المكذبون من زقوم البطون
والوقف اجوز لحكم الهيم الدين تصدقون تمنون الخالقون بمسبوقين لا تعلمون تذكرون تحرثون الزارعون تفكهون
لمغرمون محرومون تشربون المنزلون تشكرون تورون المقوين العظيم النجوم عظيم كريم مكنون المطهرون
العالمين مدهنون تكذبون الحلقوم تنظرون لا تبصرون مدينين صادقين المقربين نعيم اليمين الضالين
حميم جحيم اليقين العظيم **التفسير** اذا وقعت الواقعة نظيره وقد حدثت الحادثة وكانت الكائنة وهي القيمة التي تقع
لا محالة بنفخ الاولى ليس لوقعتها كاذبة اي نزول ما كنت ان تبت ترد له واللام في لوقعتها للوقت اي لا تكون حين تقع نفس
تكذب على الله لان الايمان حينئذ بما هو غائب الان ضروري الا انه غير نافع لانه ايمان البأس ويجوز ان يراد ليس
وقتئذ نفس يكذب بها وتقول لها لم تكوني لان انكار المحسوس غير معقول ويجوز ان يكون من قولهم كذبت فلانا
نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه فيكون المراد ان القيمة وقعة لا نفاق وشدة
وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وقيل هي مصدر كالعافية فيرد المعنى
الى الاول وقال في الكشاف هو من التكذيب من قولهم حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن اي وما جبن اي ثبت
وحققته فاكذب نفسه فيما حدثته به من طاقته له والحاصل من هذا التوجيه انها اذا وقعت لم يكن لها
رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة اي هي تخفض اقواما وترفع اخرين اما لان الوقعات العظام يكون كذلك كما قال **شعر**
وما ان طبنا حبن ولكن منايانا ودولة اخرينا واما لان الاشقيا الى الدركات والسعداء الى الدرجات واما لان زلزلة الساعة
تزيل الاشياء عن مقارها فتنتثر الكواكب وتسير الجبال في الجو ويؤيده قوله اذا رجت الارض اي حركت تحريكا
عنيفا حتى ينهدم كل بناء عليها وبست الجبال اي فتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها فكانت
اي صارت غبارا منبثا ثم ذكر احوال الناس يومئذ قائلا وكنتم بلفظ الماضي لتحقق الوقوع ازواجا ثلثة ثم فصلها
فقال فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وهو تعجب من شأنهم كقولك زيد ما زيد وسموا بذلك لانهم يؤتون صحائفهم
بايمانهم او لانهم اهل المنزلة السنية من قولهم فلان مني باليمين اذا وصفته بالرفعة عندك وذلك لتيمنهم بالميامن
دون الشمائل وتركهم باسلاع دون البارح ولعل اشتقاق اليمين من اليمن والشمال من الشوم والسعداء ميامين
على انفسهم والاشقياء مشائيم عليها ويروى ان اهل الجنة يؤخذ بهم الى جانب اليمين واهل النار يؤخذ بهم الى الشمال
والسابقون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه من التوحيد والاخلاص والطاعة هم السابقون عرفت حالهم المبالغة
كقوله وشعري شعري تريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم وعلى هذا يحسن الوقف على السابقون
اولئك المقربون الى مقامات لا يكتنف المقال عنها خبر الخيال والعارفون يقولون لهم انهم اهل الله وفي لفظ السبق
اشارة الى ذلك وفي جنات النعيم اخفاء حالهم تحل اجسادهم او في الجنة الروحانية ثلة من الاولين اي
جماعة كثيرة من الناس وقطعت منه اشتق الامام منه اذ يحصل الامة المنقطعة به وقليل من الاخرين اي من هذه
الامة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم اكثر ممن عاين النبي صلعم وهبنا سواد وهو انه كيف

قال ههنا وقليل من الاخرين وفيما بعده قال وثلة من الاخرين والجواب انه الثلثين في ابتداء اصحاب اليمين جماعة
من امة محمد قال الزجاج وهو قول مجاهد والضحاك يعني جماعة ممن تبع النبي صلعم وعاينه وجماعة ممن امن به وكانت
بعده وروى الواحدي في تفسيره باسناده عن ابن عباس ان النبي صلعم قال جميع الثلثين من امتي واجاب بعضهم بانه لما
نزلت الاية الاولى شق على المسلمين فما زال رسول الله صلعم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وزيف
هذه الرواية بطريقين ورود الاية الاولى في السابقين والثانية في اصحاب اليمين وبان النسخ لا يتصور بل لا يصح في الاخبار
وبان الاية الاولى لا توجب الحزن ولكنها تقتضي الفرح من حيث انه اذا كان السابقون في هذه الامة موجودة وان كانوا
قليلين وقد صح انه لا نبي بعد محمد لزم ان يكون بعض الامة مع محمد صلعم سابقين فيكونون في درجة الانبياء والرسل اللاضين
ولعل فيه قول علماء امتي كانبياء بني اسرائيل اشارة الى هذا اقول عندي ان الجواب الصحيح هو ان السابقين في الامة الفاضلة
يجب ان تكون الكثر لان بعث الله المقدس للنوع الانساني اذا وقع على اشخاص اقل يكون نصيب كل منهما اوفر والقسم على
اشخاص اكثر ولعلنا نذكر في هذا المعنى رسالة وعسى ان يكون هذا سببا الخاتمية نبينا صلعم واما اصحاب اليمين وهم
اهل الجنة كما قلنا فانهم كثيرون من هذه الامة لانهم كل من امن بالله ورسوله وعمل صالحا جواب اخر وهو ان الخطاب
في قوله وكنتم انما كان للامة محمد صلعم والاولون منهم هم الصحابة والتابعون لقوله والسابقون الاولون والاخرون منهم هم
الذين يلونهم الى يوم الدين ولا ريب ان السابقين يكونون في الاولين اكثر منهم في الاخرين واما اصحاب اليمين فيوجدون
في كلا القبيلتين كثيرا وعلى هذا يكون التزييف المذكور ساقطا ولا نسخ لامكان اجتماع معنى الخبرين في الواقع هذا
ناسخ في الوقت والله تعالى اعلم بمراده ثم وصف حال المقربين بقوله على سرر موضونة قال المفسرون اي منسوجة
بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت وقد دخل بعضها في بعض كما يوصف حلق الدرع استقروا على السرر متكئين
قوله ولدان مخلدون اي غلمان لا يهرمون ولا يتغيرون قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد قال ويقال
مخلدون مقرطون من الخلد وهو القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا
عليها قال جار الله روي هذا عن علي والحسن قال وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة والاكواب الاقداح المستديرة
الا اذان لها ولا عرى والاباريق ذات الخراطيم الواحد ابريق وهو الذي يبرق لونه من صفائه والباقي مفسر في الصافات
الى قوله مما يتخيرون اي يختارون تخيرت الشيء اخذت خيره قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه
على ما اشتهى من نزاه وحور عين بالرفع ولهم او عندهم حور ومن خفضها فعلى العطف المعنوي اي ينعمون او يتعنون
باكواب وبكذا او بكذا والكاف في قوله كامثال للمبالغة في التشبيه قوله جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله لاجل الجزاء
قوله ولا تأثيما اي لا يقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم وانتصب سلاما سلاما على البدل من قيلا او على
انه مفعول به اي لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما عقيبه سلاما ثم اعجب من شأن اصحاب اليمين والسدر شجر النبق
والمخضود الذي لا شوك له كانه حصد شوكه وقال مجاهد هو من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب كانه من كثرة حمله ثني
اغصانه والطلح شجر الموز وام غيلان كثير النوار طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من
العسل وفي الكشاف ان عليا رضي الله عنه انكره وقال ما شأن الطلح انما هو طلع وتلا قوله لها طلع نضيد فقيل او نحول لها
قال اي القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول قال وعن ابن عباس نحوه قلت في هذه الرواية نظر لا يخفى والمنضود الذي نضد بالحمل
من اوله الى اخره فليست له ساق بارزة وظل ممدود اي ممتد منبسط كظل ما بين الطلوع والغروب لا ساقص ويحتمل ان
يراد انه دائم باق لا يزول ولا ينسخه الشمس والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع انه ممدود والمسكوب المصبوب يسكب
لهم اين شاؤا وكيف شاؤا او يسكبه الله في مجاريه من غير انقطاع او اراد انه يجري على الارض في غير اخدود ولا مقطوعة
في بعض الاوقات ولا ممنوعة عن طالبيها بنحو حظيرة او ببذل ثمن كما هو شأن البساتين والفواكه في الدنيا موضوعة
الى نضدت حتى ارتفعت ومرفوعة على الاسرة قاله علي وقيل هي النساء والمرفوعة على الارائك والمراة تكنى
عنها بالفراش يدل على هذا قوله انا انشاناهن وعلى التفسير الاول جعل ذكر الفرش وهي المضاجع دليلا عليهن
ومعنى الانشاء انه ابتداء خلقهن من غير ولادة او اعاد خلقهن انشاء وروي الضحاك عن ابن عباس انهن نساء بني
العجز الشمط اي خلقهن الله بعد الكبر والهرم ابكارا عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات

سبحانه

في السن بنات ثلث وثلثين كان ازواجهن كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا سن عرب جمع وقوله لاصحاب اليمين متعلق
بانشانا وبجعلنا ثم عجب من اصحاب الشمال والعني في سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم الماء الكثير الحرارة واليحموم
الدخان الاسود يفعول من الحم وهو الاسود ثم نعت الظل بانه حار ضار لا منفعة فيه ولا بهجة لمن ياوي اليه قال ابن عباس
لا بارد المدخل ولا كريم المنظر ذلك الفؤاد العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء ينفي به المدح في الاثبات والذم في النفي نحو قوله وهي
نسبين كريم وماهذه الدار بواسعة ولا كريمة ثم ذكر اعمالهم الموجبة لهذا العقاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اي في الدنيا
مترفين منعمين متكبرين على التوحيد الطاعة والاخلاص وكانوا يصرون على الحنث وهو الذنب الكبير ووصفه
بالعظيم مبالغة على مبالغة يقال بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المواخذة بالماثم وحنث في يمينه خلاف بر فيها وقيل
من المفسرين يقال اعني به الشرك وعن الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون ويدل عليه
ما بعده وقد مر مثله في الصافات واعلم انه سبحانه ذكر في تفصيل الازواج الثلاثة نسقا عجيبا واسلوبا غريبا وذلك
انه لم يورد في التفصيل الا ذكر صنفين اصحاب الميمنة واصحاب المشامة بعد ان تعجب منها ثم بين حال الثلاثة السابقين
واصحاب اليمين واصحاب الشمال فاقول وبالله التوفيق هذا الكلام موجز محتو فيه لطائف خلت المقابر عنها منها انه
طوى ذكر السابقين في اصحاب الميمنة لانه كلا من اصحاب اليمين اصحاب اليمن والموكد كما ان اصحاب الشمال هم اهل الشوم
والنكد وكان في هذا الطي اشارة الى الحديث القدسي اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنها ان ذكر السابقين
وقع في الوسط باعتبار وجعل الاولى اوسطها وفي الاول باعتبار الاشرف بالتقديم امكن وفي الاخر باعتبار ليكون اشارة
الى قوله صلعم نحن الاخرون السابقون ومنها ان مفهوم السابق متعلق بمسبوق فلم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر
السابق من حيث هو سابق وهذا مما يسنح للخاطر يسمح به والله تعالى اعلم بمراده ثم امر نبيه صلعم ان يقرر لهم ما شكوا
فيه فقال ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات اي ينتهي الله بجمعهم الى وقت يوم معلوم عند الله ومنه مرجع
الى اول السورة وكم كرر ذكر المعاد فيها بعبارات شتى ثم ذكر طرفا من حال المكذبين المعاصرين وما صاحبهم فقال ثم انكم ايها
الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون اي في السموم المذكور من شجر هو الابتداء ومن زقوم هو البيان فمالئون منها
البطون انث الضمير لارادة الشجر وقال جار الله عطفا الشاربين على الشاربين لاختلافهما اعتبارا وذلك ان شرب الماء المتناهي
الحرارة عجيب وشربه كشرب الهيم اعجب والهيم الابل يشبهها بالهيام داء تشرب فلا تروى واحدها اهيم والمؤنث هيما
ووزنه فعل كبيض ويجوز ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل
بنحو جمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم الجوع حتى اضطروا الى اكل الزقوم ويسلط عليهم العطش الى ان يضطروا الى شرب
الحميم كالابل الهيم نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالبعث بعد الخلق فان من قدر على البدو كان على الاعادة اقدر ثم دل على انه
لا خالق الا هو فقال افرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام يقال امنى النطفة او امناها وقد مر في قوله من نطفة اذا تمنى
أانتم تخلقونه تقديره وتصويره ووجه الاستدلال ان المني انما يحصل من فضلة الهضم الرابع وهو كالطل المنبث في جميع الاعضاء
ولهذا تشترك كل الاعضاء في لذة الوقاع ويجب اغتسال كلها لحصول الانحلال عنها جميعا فالذي قدر على جمع تلك الاجزاء في
بدن الانسان ثم على جمع تلك الاجزاء الطيبة في اوعيتها ثم على تمكينها في الرحم الى ان يتكون انسانا كاملا يقدر على جمعها
بعد تفرقها بالموت المقدر بينهم بحيث لا يفوته شيء منها والى هذا اشار بقوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل اي عاجزين
على ذلك [illegible] سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه والامثال جمع المثل اي على ان نبدل
مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون اي في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها قد يدل على تساهم
في جملة خلق يماثلنا وخلق لا يماثلنا وجوز جار الله ان يكون جمع مثل بفتحتين والمعنى انا قادرون على تغيير صفاتكم
التي انتم عليها وانشائكم صفات لا تعلمونها ثم ذكر النشأة الاولى ليكون تذكيرا بعد تذكير فقال ولقد علمتم النشأة الاولى الاية
ثم دل على كمال عنايته ورحمته ثم بينه مع دليل اخر على قدرته فقال افرأيتم ما تحرثون من الطعام اي تبذرون حبه
أانتم تزرعونه اي تجعلونه يكون نباتا كاملا يستحق اسم الزرع وفي الكشاف عن رسول الله صلعم لا يقولن احدكم زرعت
وليقل حرثت والحطام ما تحطم وتكسر من الحشيش اليابس وقوله فظلتم اصله فظللتم حذفت احدى اللامين التخفيف
نحو ما جاء منقولا عن مقبس عليه ومعنى تفكهون تعجبون كانه تكلف الفكاهة وعن الحسن تندمون على

السابقين وسم

الانفاق

الانفاق عليه والتعب فيه او على المعاصي التي صارت سببا لذلك من قرانا بالجر نواضع تحسن تقدير القول او لا
بد منه ومن قرأ بالاستفهام فللتعجب ولا بد من تقدير القول ايضا ومعنى المغرمون لمهلكون من الغرام الهلاك لهلاك
الرزق او من الغرامة اي الملزمون غرامة ما انفقنا بل نحن قوم محرومون لا حظ لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا
ما جرى فيه نظرا التعجب من حالهم ثم اسند ذلك اليهما كتب عليهم في الازل من الادبار وسوء القضاء نعوذ بالله منها ثم ذكر
دليلا اخر مع كونه نعمة اخرى وهو انزال الماء من المزن وهو السحاب مطلقا او الابيض خاصة والاجاج الماء الملح اتى باللام
الاولى في جواب لو عن الثانية وهي ثابتة في المعنى لان شرطية لو عن واضحة فليس الا ان الثاني امتنع لامتناع الاول
وهذا اسمى وهي ناخبيج (?) في الربط الى اللام المفيدة للتاكيد وانما ختم الاية بقوله فلولا تشكرون لانه وصف الماء بقوله
الذي تشربون ولم يصف المطعوم بالاكل ايلالانه قال ءانتم انزلتموه من المزن وهذا الاعل للذي فيه اصلا لاختلاف
الحرث ايلان الشرب يقدحونها ويستخرجونها من الشجرة وقد سبق ذكرها في اخر يس واعلم انه سبحانه بدا في هذه
الدلائل بذكر خلق الانسان لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم اعقبه بذكر ما فيه قوام الناس وقيام معاشهم وهو الحب
ثم اتبعه الماء الذي هو به يتم العجين ثم ختم بالنار التي يحصل بها الخبز وذكر عقيب كل واحد ما ياتي عليه ويفسده فقال
في الاولى نحن قدرنا بينكم الموت وفي الثانية لو نشاء لجعلناه حطاما وفي الثالثة لو نشاء لجعلناه اجاجا ولم يقل في الرابعة
ما يفسدها بل قال نحن جعلناها تذكرة يتعظون بها ولا ينسون نار جهنم كما روي عن رسول الله صلعم ناركم هذه التي توقد
بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا وسبب تمتع ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهو القفر او للذين
خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من السفر من اقوى الرجل اذا لم يكن له شيء من ايام وفي سياق هذه الآيات بشارة
للمومنين وذلك انه سبحانه بدا بالوعيد الشديد وهو بعين ذات الانسان بالكلية في قوله فانحن بمسبوقين على ان
نبدل امثالكم ثم ترك ذلك المقام الى اسهل منه وهو بعينه قوته دائما فقال لو نشاء لجعلناه حطاما ثم عقبه باسهل وهو
يعين مشروبه نعتا لا ذاتا ولهذا حذف اللام في قوله لو نشاء جعلناه اجاجا ويحتمل عندي ان يكون سبب حذف
اللام هو كونه لو بمعنى ان وذلك ان الماء باق ههنا فيمكن ان يكون التعليق حقيقة بخلاف الزرع فانه بعد انحصاد
صار التعليق المذكور ضمنا فافهم ثم ختم بتذكير النار فيه وعد من وجه ووعيد من وجه اما الاول فلانه لم يبين ما
يفسدها كما قلنا فهذا يدل على ان الختم وقع على الرافة فالرحمة واما الثاني فلان عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها
في الاخرة وفي قوله تذكرة اشارة الى ما قلنا ثم امر بالتسبيح باحداث التسبيح بذكره او بذكر اسمه العظيم تنزيها له
عما يقول الكافرون به وبنعمته وتقديرته على البعث ثم عظم شان القرآن بقوله فلا اقسم اي فاقسم والعرب تزيد
لا قبل فعل اقسم كانه ينفي ما سوى المقسم عليه فيفيد التاكيد ومواقع النجوم مشارقها ومغاربها او لعل لها في الاواخر
الليل خواص شريفة ولهذا قال سبحانه والمستغفرين بالاسحار وعن سفين انه لله تعالى فيها نحب وقت الاسحار
محل الاذكار والاستغفار الى الملك الجبار وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض او وصل السائلها وسابقها
في اولها او هي اوقات نزول نجوم القرآن الكريم الحسن المرضي من بين جنس الكتب او كرمه نفعه المكلفين او هو
كرامة على الله عز وجل في كتاب مكنون مصون والاعلى من اراد الله تعالى اطلاعه على اسراره من ملائكته المقربين
وهو اللوح لا يمسه ان كان الضمير للكتاب والمعنى انه لا يصل الى ما فيه الا عبيده المطهرون من الادناس الجسمية وهم الكروبيون
وان كان للقرآن فالمراد انه لا ينبغي ان يمسه الا من هو على طهارة الباطنة والظاهرة فلا يمسه كافر ولا جنب ولا محدث
ومن الناس من حرم قراءة القرآن لمن به الحدث الاصغر ايضا وعن ابن عباس في رواية وهو مذهب الامامية اباحوها
في الجنابة الا في اربع سور منها سجدة التلاوة واجبة عندهم ثم وبخ المتهاونين بشان القرآن فقال افبهذا الحديث
اي بالقرآن او بهذا الكلام الدال على حقيقة القرآن انتم مدهنون متهاونون منها ودون من ادهن في الامر اذا لان جانبه و لا
يتصلب فيه وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون بالبعث وما دل عليه القرآن ومن اظلم ممن وضع
التكذيب موضع الشكر كانه عاد الى ما اخذ منه الكلام وهو ذكر تعداد النعم من قوله افرأيتم ما تمنون الى قوله
للمقوين وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم الامطار اليها يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون
بكونه من الله عز وجل وتنسبونه الى النجوم ثم زاد في توبيخ الانسان على جحده افعال الله واياته وترتيبه الاية

بالنظر الي اصل المعني هو ان يقال فلا يرجعون الارواح الي الابدان اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين نزادني الكلام
تركيبات منها تكرير فلولا المتخصصة لطول الفصل كما كرر في قوله فلا تحسبنهم بعد قوله لا تحسبن الذين يفرحون ومنها
تقديم الظرف وهو قوله اذا بلغت اي اي صرت للعطرية لقوله لما تركب علي قولها وانما قدم الظرف للعناية فانه لا وقت يكون
الانسان احوج الي النصرف والتدبير منه ولانه اراد ان ترتب الاعتراضات عليه ومنها زيادة الجمل المعترضة وهي
قوله وانتم يا اهل الميت حينئذ تنظرون اليه ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم اي بملائكة الموت ولكن لا
تبصرون لا بالبصر ولا بالبصيرة ومعني مدينين غير مربوبين مملوكين مقهورين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم
ومنها قوله ان كنتم صادقين فانه شرط زائد علي شرط اي ان كنتم صادقين ان كنتم غير مدينين فارجعوا الكم
الي ابدانكم ممتنعين عن الموت والحلقوم الحلق وهو مجري النفس الواو والميم زائدتان دونه فعلوم ولكن ان تعال
تقل فلولا الاولي محذوف يدل لعليه ما قبله والمعني تكذبون مكان شكركم عاجلين التكذيب رزقكم معاشكم
فلولا تكذبون وقت الموت وانتم في ذلك الوقت تغلبون الاحوال وتشاهدونها ويحتمل ان يكون معني مدينين مجزيين
من مدين اذا قام والمعني ان كنتم علي ما تزعمون من انكم الا تبقون في العذاب الا اياما معدودة فلم لا يرجعون انفسكم
الي الدنيا وانتم يمكن الاحوال اي الاقامة ويحتمل ان تكون من الدين بمعني الجزا والمعني يرد الي الاولي لان الجزاء نوع من القهر
والتسخير ويحتمل عندي ان يكون الضمير في ترجعونها عايدا الي الملائكة بدليل قوله ونحن اقرب والمعني فلولا تردون عن
عن ميتكم ملائكة الموت ان كنتم غير مقهورين تحت قدرتنا اي دننا وحيث يثبت انه لا قدرة لكم علي رجع الجنة والنفس
الي البدن وانتم مجبورون اذ كاعوة في طلب الاقامة فتفصيل حال المكلف بعد الموت قابلا فاما ان كان المتوفي من المقربين
اي من السابقين من الازواج الثلاثة فروح اي فله استراحة وهذا تربيع الروح بالبدن وريحان اي رزق وهذا
للبدن وجنة نعيم وهذا التربيع يتنعم بلقاء الملك المقتدر ويروي ان المؤمن لا يخرج من الدنيا الا ويؤتي اليه بريحان
من الجنة يشمه واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك ايها النبي من اصحاب اليمين اي انك سالم من تشاغلهم
هذا قول كثير من المفسرين وقال جار الله فسلام يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين كقولهم وتحيتهم فيها سلام
اي ان هذا القران او الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين وهو علم يحصل به ثلج الصدر ويسمي
برد اليقين وقد يسمي العلم الحاصل بالبرهان فالاضافة بمعني من وقوله حاتم فضة وهذا في الحقيقة لا يفيد سوي التاكيد
كقولك حق الحق وصواب الصواب اي غايته ونهايته التي لا وصول فوقه او المراد هذا هو اليقين حقا الا اليقين الذي
يظن انه يقين ولا يكون كذلك في نفس الامر هذا ما قال اكثر المفسرين وقيل الاضافة فيه كما في جانب الغربي ومسجد
الجامع اي حق الامر اليقين ويحتمل ان يكون الاضافة كما في قولنا حق النبي ان يصلي عليه وحق المال ان تؤدي زكوته
ومنه قوله صلعم امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها الا بحق
هذه الكلمة من حقها اداء الزكوة والصلوة فكذلك حق اليقين الاعتراف بما قال الله سبحانه في شان الازواج الثلثة
وعلي هذا يحتمل ان يكون اليقين بمعني الموت كقوله واعبد ربك حتي ياتيك اليقين قال اهل اليقين للعلم ثلث مراتب
ادناها علم اليقين وهي مرتبة البرهان وثانيها عين اليقين وهو ان يري المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينة وثالثها
حق اليقين وهو ان يصير العالم والمعلوم والعلم واحدا ولعله لا يعرف حق هذه المرتبة الا من وصل كما ان طعم العسل لا
يعرفه الا من ذاقه ولا ينكره الا ان يكون مزاجه وبذاته فاسدا بهدي جمع من المفسرين ان عثمان بن عفان دخل علي
ابن مسعود في مرضه الذي توفي فيه فقال ما تشتكي قال ذنوبي الله فقال ما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعوا
لك الطبيب قال له الطبيب امرضني فقال الا نامر بعطائك فقال لا حاجة لي به قال تكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه قد
امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا تمت

سورة الحديد تسع وعشرون ايه مكية كلماتها خمسمائة واربعة واربعون حروفها الفان واربعمائة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا
لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَنْ ذَا
الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ
بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ۝ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ۝ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد
موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ۝ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم ۝ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ۝ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ۝ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض
السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا
في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ۝ لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ۝ الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ۝ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ۝
ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد
وكثير منهم فاسقون ۝ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم

وآتيناه

وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين
آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله
غفور رحيم ۝ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝

القراءة أخذ مجهولا ميثاقكم بالرفع أبو عمرو ابن عامر انظرونا من الإنظار حمزة والأماني بسكون الياء يزيد ولا تؤخذ بالتأنيث ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وما نزل من التشديد مجهولا عباس نزل بالتخفيف من النزول نافع وحفص والمفضل ولا تكونوا على الخطاب رويس المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد ابن كثير وأبو بكر وحماد بما آتاكم مقصورا من الإتيان أبو عمرو فإن الله هو الغني الحميد بغير الفصل أبو جعفر ونافع وابن عامر إبراهام ابن عامر **الوقوف** الأرض لعطف الجملتين المختلفتين الحكيم لاحتمال أن يكون قوله يحيي مستأنفا لا محل له أو له محل بتقدير هو يحيي ولذا يكون حالا من المجرور في قوله والحال عاملا فيها والأرض ... تدبير والباطن عليم العرش فيها كنتم بصير والأرض والأمور في ليل الصدور ... كبير بالله مؤمنين إلى النور رحيم والأرض ذلك وقاتلوا الحسنى خبير كريم لاحتمال تعلق الظرف بقوله ولهم أجر أو بقوله بشراكم أي يقال لهم ذلك يوم ... أو هو مفعول اذكر ... العظيم ... باب العذاب ... العزيز كفروا ... النار ... المصير الحق ... فاسقون موتها تعقلون كريم الصديقون والصالحون ... ونورهم الجحيم والأولاد حطاما شديد ... ورضوان الغرور ورسله ... العظيم نبرأها يسير ... لكيلا ... أو محذوف أي ذلك لكيلا ... بالبخل الحميد بالقسط للعطف ... بالغيب عزيز ... والكتاب ... فاسقون ... ورحمة ... بانتفاء ... فاسقون ... برسوله ... رحيم ... العظيم

التفسير معنى تسبيح الموجودات قد تقدم في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده والآن نقول إنه بدأ في سورة بني إسرائيل بلفظ المصدر وهو سبحان وفي هذه السورة وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المستقبل وفي سورة الأعلى بلفظ الأمر استيعابا بالأقسام وذلك دليل على التسبيح لله تعالى مستمر دائم في الأوقات كلها من الأزل إلى الأبد وتفسير أسماء الله تعالى المذكورة في أول هذه السورة قد سبق في أسماء الله فلا حاجة إلى إعادة كلها إلا أنا نذكر ما أورده الإمام فخر الدين الرازي ... على سبيل الإيجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه قال هذا منصب والبحث فيه من وجوه الأول أن تقدم الشيء على الشيء ما يتقدم المؤثر كتقدم حركة الإصبع على حركة الخاتم وأما المتقدم بالحاجة لا بالتأثير كتقدم الإمام على المأموم أو معقول كما إذا جعلنا المبدأ الجنس العالي أما بالزمان فإن تقدم الزمان لا يقع في الزمان ولا يتسلسل فلذلك لم يحتج أن يكون له وجود سيال يعقب بعض أجزائه بعضا لا ينتهي النوبة إلى جزء مفروض منه إلا وقد انقضى منه جزء ومفروض على الاتصال قال إذا عرفت ذلك فنقول القرآن دل على أنه تعالى قبل كل شيء والبرهان أيضا يدل عليه لأن انتهاء الممكنات لا بد أن يكون إلى الواجب إلا أن تلك القبلية ليست بالتأثير لأن المؤثر من حيث

هو موثر مضاف الى الاثر من حيث هو موثر مضاف اليه والمضافان معا ابلغ لا تكون قبل ولا بالحاجة لانهما لو لم يكونا معا
كما قلنا ولا لمحض الشرف فان تلك القبلية ليست مراده ههنا ولا بالمكان وهو ظاهر ولا بالزمان لان الزمان بجميع اجزائه
ممكن الوجود والتقدم على جميع الازمنة لا يكون بالزمان فاذن تقدم الواجب تعالى على ما سواه خارج عن هذه الاقسام الخمسة
وكيفية لا يعلمها الا هو قلت انه سبحانه متقدم على ما سواه بجميع اقسام التقدمات الخمسة اما بالتاثير فظاهر لتوقف المضافات
معا كما قلنا ان اريدت من الخمسة المذكورة فمسلم ولا محذور وان اريدت مطلقا فممنوع واما بالطبع فلان ذات الواجب من حيث
هو لا يفتقر الى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف واما بالشرف فظاهر واما بالمكان فلانه اذا حل الممكن
ومعها كفى له ايضا ثم لو اتم رحمه الله وقد جاء في الحديث لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرا هو الاول والاخر
والظاهر والباطن وههنا سر لعلنا قد رمزنا اليه في هذا الكتاب تفهمه باذن السامعة ان كنت اهلا له ولكنا فطن قوله المتقدم
على الزمان لا يكون بالزمان قلنا ممنوع لان الزمان عند المحققين هو امر وهمي والزمان الذي يتكلم هو فيه انما هو مقدار حركة
الفلك الاعظم ولا ريب ان قبل هذه الحركة يوجد لها مقدار الان قبل كل شي يوجد امتداد وهمي يحصل فيه وجود الواجب
سبحانه ومن هذا التحقيق يرتفع ما اشكل على الامام من التفرقة بين الازل واللايزال فان المبادي الوهمية تتغير بتغير الاعتبارات
وباختلافها تختلف حاصرنا اذ ليس لها وجود سواها فقد يتصور ما هو في جانب الازل في جانب اللايزال والعكس اذا تغيرت
المبادي المفروضة قال اما البحث عن كونه تعالى اخرا بمعنى انه يبقى وكل شي يفنى فمنهم من اوجب ذلك حتى ينفرد بكونه
اخرا وهو مذهب جهم فانه زعم انه سبحانه يوصل الثواب الى اهل الثواب والعقاب الى اهل العقاب ثم يفني الجنة واهلها
والنار واهلها والعرش والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شي اصلا فهو ابد الاباد كما لم يكن قبله شي في ازل الازال قال
ومن حجج جهم انه تعالى اما ان يكون عالما بعدد حركات اهل الجنة والنار او لا فان كان عالما لزم تناهيها فان الاحاطة
بما لا تناهي مستحيلة وان لم يعلم لزم نسبة الجهل اليه تعالى وذلك محال وايضا الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان
وكل ما كان كذلك فهو متناهي اجاب عن الاول بان امكان استمرار هذه الاشياء حاصل الى الابد والدليل عليه ان هذه
الماهيات لو زالت امكاناتها لزم انقلاب الممكن الى الممتنع ولزم ان ينقلب قدرة الله من صلاحية التاثير الى امتناع
التاثير قلت هذه مغالطة فانه لا يلزم من الامكان الذاتي للشي وقوعه في الخارج ولا من عدم وقوعه في الخارج الامتناع
الذاتي واجاب عن الثاني بانه يعلم ان عددها ليس بمعين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل ان يكون له عدد معين ولا
يعلمه قلت الذي علمه متناه يجب ان يكون معلومه غير متناهيه واجاب عن الثالث بان الخارج منه الى الوجود
ابدا يكون متناهيا قلت الزيادة والنقصان لا يوجبان التناهي كتضعيف الالف والالف مرارا غير متناهيه قال
والمتكلمون حين اثبتوا امكان بقاء العالم يقولوا في ابدية الجنة والنار على اجماع المسلمين واختلفوا في معنى كونه
تعالى اخرا على وجوه احدها انه تعالى يفني جميع العالم ليتحقق كونه اخرا ثم انه يوجدها ويبقيها ابدا قلت
هذا حقيق بان لا يسمى اخرا به بل يسمى متوسطا وثانيها ان صحة اخرية كل الاشيا مختصة به فلا جرم وصف بكونه اخرا
قيل هذا اول المسئلة لان الكلام لم يقع في الاختصاص وعدمه وانما النزاع في معنى كونه اخرا وثالثها انه اول في
الوجود واخر في الاستدلال لان المقصود من جميع الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته واما سائر الاستدلالات
التي لا يراد بها معرفة الصانع فهي حقيرة خسيسة قلت اراد انه غاية الافكار ونهاية الانظار وهذا معنى
حسن في نفسه الا انه لا يطابق معنى الاول كل المطابقة ورابعها انه اول في المرتبة من الاشرف الى الاخس وعلى
الاخذ من الوحدة الى الكثرة ومما يلي الازل الى ما يلي الابد ومما يلي المحيط الى ما يقرب من المركز فهو سبحانه اول
بالترتيب الطبيعي اخر بالترتيب المنعكس فقد وضح بينا البيان صحة الثلاث المتقدمات الخمسة ومقابلاتها
عليه تعالى وهذا من غوامض الاسرار تقدم فحقق الله لحلها فاشكره على الايه اما تفسير الظاهر والباطن
فالمحققون قالوا انه الظاهر بالادلة الدالة على وجوده والباطن لانه جل عن ادراكات الحواس والعقول اياه اسلم الدنيا
ودينها او في الاخرة جميعا وقيل معنى الظاهر الغالب والباطن العالم بما بطن اي خفي قال الليث تقول انت ابطن
بهذا الامر اي اخبر به وباقي الايات قد سبق تفسيرها في مواضع الا قوله يعلم ما يلج فانه تقدم في اول سبأ وقوله وهو
معكم معية العلم والقدرة واستصحاب المكان عند بعض قوله تعالى له ملك السموات

والارض

والارض وبعده مثله ليس بتكرار لان الاول في الدنيا لقوله يحيي ويميت والثاني العزة لقوله والى الله ترجع الامور
قوله تعالى مستخلفين فيه اراد ان المال مال الله والعباد عباد الله الا انه قد جعلكم اي ينتم منذ اوله بيد حكمته متعلقة بالروابط
والروابط والمسعد من نقطة الدائرة حتى الاستخلاف فتتصرف فيما اتاه الله تعالى على وفق ما امره الله من الانفاق في سبيل
الله ثم قيل انه سينتقل منه الى غيره بارث او حادث كما انتقل من غيره اليه باحد السببين قوله لا تؤمنون حال من معنى الفعل
كقولك ما لك قائما اي ما تصنع والواو في قوله والرسول للحال من الضمير لا تؤمنون فيها حالان متداخلان واخذ ميثاقكم من بني
ادم من ظهورهم والمراد انه قد تعاضدت الدلايل الشرعية والبراهين العقلية على الايمان بالله تعالى فاي عذر لكم في تركه
ان كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا الموجب لا مزيد عليه ولا ريب ان الايمان بالله شامل للتصديق بجميع اوامره واحكامه ومن
جملتها الايمان بالرسول صلعم وبالقران وما فيه استنبط القاضي منه بقوله وما لكم على ان العبد قادر على الايمان وعلى ان الاستطاعة
قبل الفعل واللام يصح التوبيخ كما لا يقال ما لك لا تطول ولا تبيض والبحث في امثاله مذكور والضمير في قوله ليخرجكم
لله تعالى او لعبده والميراث مجاز عن بقائه بعد فناء الخلق وقد مر في ال عمران قال المفسرون ان ابا بكر اول من انفق في سبيل
الله تعالى فنزلت فيه وفي امثاله السابقين الاولين من المهاجرين والانصار لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح اي فتح
مكة وتمامه ان يقال ومن انفق بعد الفتح فحذف للدلالة قوله اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم الذين قال فيهم رسول
الله صلعم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وسبب
الفضل انهم انفقوا قبل عز الاسلام وقوة اهله فكانت الحاجة الى الانفاق حينئذ اشد مع انه كان اصدق ابتغاء لتقدم
صاحبه بهذا الدين وكلا وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ومن قرا بالرفع فتقدير وكل وعده
الله والقرض مجاز عن انفاق المال في سبيل الله تعالى وقد مر في اواخر البقرة قال اهل السنة انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ
ان كل من صدر عنه الفعل الفلاني فله كذا من الثواب وهو الاجر الكريم فاذا ضم الى ذلك مثله فهو المضاعفة وقال
الجبائي ان الاعواض تضم الى الثواب فهو المضاعفة وانما وصف الاجر بالكريم لانه حلت ذلك الضعف وبسببه حصلت
تلك الزيادة وكان كريما من هذا الوجه ثم اكد الايمان بالله ورسوله والانفاق في سبيله فذكر يوم المحاسبة فقال
يوم ترى يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وقد مر اعرابه عن ابن مسعود رضي وقتادة مرفوعا كل انسان فانه يحصل له
النور يوم القيمة على قدر ثوابه فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء
له نوره الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفي مرة ويتقد اخرى وقال مجاهد ما من عبد الا ينادى
يوم القيمة يا فلان ها نورك ويا فلان لا نور لك هذا وقد بينا لك في هذا الكتاب مرارا ان الكمالات والخيرات كلها انوار
والكمال الاول معرفة الله سبحانه وتعالى وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان ذلك محل امارة السعادة ولهذا يؤتون السعداء
يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتون من شمائلهم ومن وراء ظهورهم ومعنى تسعى النور بسعيهم
حيالهم ويتقدم ما وقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم جنات قوله يوم يقول بدل من قوله يوم ترى او منصوب
باذكر تقديرا قال جمع العلماء الناس كلهم يوم القيمة في الظلمة ثم انه تعالى يعطي المؤمنين هذه الانوار والمنافقون يطلبون
منهم ما يليق انظرونا فان كانت هذه الحالة عند الوقف فالمراد انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم والنور قدامهم استضاؤا
بتلك الانوار قال الفارسي ابو علي حذف الجار واوصل الفعل كما انشد ابو الحسن ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك
الظباء والمعنى ينظرن الى الاراك فان كانت هذه الحالة عند مسير المؤمنين الى الجنة احتمل ان يكون النظر بمعنى الانتظار
لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على الركاب وهولاء مشاة في القيود والسلاسل ومن قرا انظرونا اي امهلونا
جعل اتباءهم في المضي ان يلحقوا بهم امهالا لهم قال الحسن يعطى يوم القيمة كل احد نورا على قدر عمله ثم انه يؤخذ من حر
جهنم وما فيه من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق فتمضي زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة
اخرى كاضواء الكواكب في السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة فتطفي نور المنافقين فهنالك تقول المنافقون للمؤمنين ذرونا
نقتبس من نوركم والاقتباس اخذ القبس اي الشعلة من النار قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف حيث اعطينا هذا
النور فاطلبوا نورا او هو تهكم بهم او الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان والعمل الصالح واكتساب المعارف الالهية
والاخلاق الفاضلة وكانها خدعة خدع بها المنافقون كقوله يخادعون الله وهو خادعهم وعلى هذا فالسور امتناع العود

الي الدنيا وعلي الاولى قالوا انهم يرجعون الي المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيا فينصرفون اليهم فيجدون
السور مضروبا بينهم وبين المومنين قال الاخفش الباء في قوله بسور صلة وفايدته التوكيد والمراد بقوله الم
نكن معكم موافقتهم في الظاهر ومعنى فتنتم محنتم انفسكم بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمومنين الدواير وارتبتم
شككتم في وعيد الله او في نبوة محمد او في البعث او في كل ما هو من عند الله وغرتكم الاماني بكثرة الامال وطول
الامال حتى جاء امر الله بالموت علي النفاق ثم اوقعكم في النار وغركم بالله الشيطان الغرور فنفخ في حسبكم ان الله
عفو وان باب التوبة مفتوح فاليوم لا يوخذ منكم ايها المنافقون فدية بل اي زنة والاولى العموم ليشمل كل ما يفتدى
به ولا من الذين كفروا في الظاهر والحاصل انه لا فرق بين الذين اظهروا الكفر منكم وبين الذين اضمروه فان كلا
منكما ماواكم النار هي مولاكم قيل المراد انها تتولى امركم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار وقيل المراد هي اولى بكم قال جار
الله حقيقته هي محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم اي مكان لقول القايل
لكريم وقال في التفسير الكبير هذا المعنى وليس بتفسير اللفظ من حيث اللغة وعرضه ان الشريف المرتضى لما تمسك في
امامة علي رضي الله عنه بقوله صلعم من كنت مولاه فهذا علي مولاه احتج في قول الايمة بتفسير الاية ان المولى معناه الاولى واذا
ثبت ان اللفظ يحتمل وجب حمله عليه لان ما عداه بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر او بين الانتفا كالمعتق والمعتق
فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى التقدير الثاني كذبا قال واذا كان قول هولا لا معنى للنفس بحسب اللغة سقط الا
ستدلال قلت في هذا الاسقاط بحث لا يخفى وجوز ان يراد في الاية نفي الناصر لانه اذا قال هي ناصركم على سبيل التهكم
وليس لها النصر فلزم نفي الناصر ... الخذلان ومعنى ... الم يان
للذين امنوا من ان الامر اني اذا جاء اناه اي وقته قال جمع المفسرين نزل في المنافقين الذين اظهروا الايمان وفي قلوبهم
الباعث للخشوع وقال اخرون نزلت في المومنين المحققين يروي الاعمش ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا اساق العيش ورفاهيته
ففتروا ببعض ما كانوا عليه فعوتبوا بنحو انجده الاية وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الاية قريب بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة
فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عن ابن مسعود رض ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا
بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس انه عاتبهم على راس ثلث عشرة وقوله لذكر الله من اضافة المصدر الى الفاعل
اي يرق قلوبهم لمواعظ الله التي ذكرها في القران وما نزل من الحق اي القران جامع للوصفين الذكر والموعظة ولكونه
حقا نازلا من السماء ونحوه ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول اي لذكرهم الله والقران كقوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقيل ان يكون اللام للتعليل اي يجب ان يورثهم الذكر
خشوعا ولا تكونوا ... بالغفلة ... ومن قرا بالباء الفوقانية احتمل ان يكون
نهيا غايبا وان يكون منصوبا عطفا على ان يخشع والامد الاجل والاسل اي طالت المدة بين اليهود والنصارى وبين انبيايهم
او طالت اعمارهم في الغفلة والامل البعيد فحصلت القسوة في قلوبهم بسببه فاختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف
بالبدع وقال مقاتل بن سليمان طال عليهم امد خروج النبي صلعم او طال عهدهم بسماع التورية والانجيل فزال وقعها في
قلوبهم قاله القرطبي وقرا الاسد بالتشديد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في
الكتابين وفيه اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفساد في اخر الامر قال الحسن اما والله لقد استبطاهم
قلوب المومنين وهم يقرون من القران اقل مما انتم تقرون فانظروا في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق قوله
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل والمعنى ان القلوب التي ماتت بسبب القساوة فالمواظبة على الذكر
سبب لعود حيوة الخشوع اليها كما يحيي الله الارض بالغيث الثاني ترجو اهل القسوة ونرغب في الخشوع
لانه تذكير النعمة وبعث الامر ثم استانف وعد المنفقين ووعيد اضدادهم بقوله ان المصدقين والمصدقات واصله المتصدقين
وعطف عليه قوله واقرضوا لان الالف واللام بمعنى الذي كانه قال ان الذين تصدقوا واقرضوا والظاهر ان الاول هو الواجب
والثاني هو التطوع لان تشبيهه بالقرض كالدلالة على ذلك وايضا ذكر الاول بلفظ اسم الفاعل على الاستمرار يبنى على الثاني
والوجوب ومن قرا بتشديد الدال فقط فمعناه ان الذين صدقوا الله ورسوله وبذلوا بحسب التصديق الايمان وجميع الاعمال
الصالحات الا انه افرد الاتفاق بالذكر ... بفضلهم كانه افرد الايمان لتفضيله ولم يعب فيه فقال والذين امنوا

بالله

بالله ورسله اولئك هم الصديقون الكاملون والصدق اذ لا قول اصدق من التوحيد والاعتراف بالرسالة او هم
الكثير الصدق من حيث انهم ضموا صدقا الى صدق وهو الايمان بالله ورسله اوله ورسوله ثم حث على الجهاد
بقوله والشهداء وهو مبتدا خبره عند ربهم وفيه بيان انهم من الله بمنزلة سنيه وقد يتعلق بهم الحسابي بقوله لهم
اجرهم ونورهم ويجوز ان يكون قوله عند ربهم حالا او صفة للشهداء كقوله على الليم يسبني وما بعده خبره قال الفراء
والزجاج هم الانبيا لقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد ومن جعل الشهداء عطفا على ما قبله قال اراد انهم عند الله
منزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله فيه قال مجاهد كل مومن فهو صديق
او شهيد وقال جار الله المعنى ان الله يعطي المومنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك
وقيل يريد انهم شهدوا عند ربهم على اعمال عبادهم وعن الحسن كل مومن فانه يشهد كرامة ربه وعن الاصم ان المومن
قايم لله تعالى بالشهادة فيما يعتقدهم به من الايمان والطاعة ثم ذكر ما يدل على حقارة امور الدنيا وشبهها في سرعة تقضيها
مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث ورباه الى ان يتكامل نشوه ومعنى اعجاب الكفار انهم جحدوا نعمة الله فيه بعد ان
راق في نظرهم فبعث الله عليه العاهة فيصير كلا شي كما فعل باصحاب الجنتين في الكهف وفي سبا وباصحاب الجنة في ن
ومن جعل الكفار بمعنى الزراع فظاهر قاله ابن مسعود ويصير ورهنه حطاما هي عوده الى كماله حاله في النمو واليبس ثم عظم
امور الاخرة بتنويع المتكبر في قوله وفي الاخرة عذاب شديد للكافرين ومغفرة من الله ورضوان للمومنين قال سعيد
بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك على طلب رضوان الله تعالى ولقايه فنعما المتاع ونعم
الوسيلة ثم حث على المسابقة الى المغفرة والى الجنة وقد مر تطبيقه في ال عمران الا ان المشاركة ههنا اعم لانه قال هناك اعدت
للمتقين الذين ينفقون الى اخره وقال ههنا اعدت للذين امنوا بالله ورسله ولان هولاء ادون حالا من هولاء وادون
حالا من اولئك جعل عرض الجنة هذا اقل فقال وجنة عرضها كعرض السماء والارض فلم يجمع السماء وادخل حرف التشبيه
الدال على ان المشبه ادون حالا من المشبه به وفي لفظ سارعوا في الحبل وفي لفظ سارعوا هناك رمزا الى انهم مستويون
في القرب او متقاربون لان المرتبة العلية واحدة وهي مرتبة السابقين المقربين وانها غاية المراتب الانسانية فانهم هدف الاستباق
فاذ ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقال الزجاج لما امر بالمسابقة الى المغفرة بين ان الوصول الى الجنة والحصول في النار بالقضاء
والقدر فقال ما اصاب من مصيبة اي لا يوجد مصيبة في الارض من القحط والوبا والغلا ولا في انفسكم من الامراض
والفقر الا في كتاب هو مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ولما قيل المصايب يكون في الارض او الانفس لان الحوادث
المطلقة كلها ليست مكتوبة في اللوح لان حركات اهل الجنة وانا غير متناهية فاثباتها في الكتاب محال ولهذا ان الجنا العلم
بما هو كاين الى يوم الدين ولم يقل الى الابد وفي الاية تخصيص اخر وهو انه لم يذكر احوال اهل السموات وفيه سر قال اهل البرهان
نفصل في هذه السورة واجمل في التغابن فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله التفصيل بهذه السورة لانه فصل احوال
الدنيا والاخرة بقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا الى اخره قوله من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق المصايب والانفس والارض
او المخلوقات ان ذلك الاثبات او الحفظ على الله يسير وان كان عسيرا على غيره ثم بين وجه الحكمة في ذلك الاثبات فقال لكيلا
تاسوا اي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم نظيره ما مر في الحديث من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب
لانه لا علم نصيب ويتوقعه من حيث تعلق علم الله وحكمته وتقديرته به عرف ان الفايت لا بد له الجزع والمعطى لا ينكلد يثبت
ولا بد ومع ذلك انه عرضة للزوال فينهض للانتقال فلا يشتد به فرحه روي عكرمة عن ابن عباس ليس احد الا وهو يفرح ويحزن
ولكن اجعلوا المصيبة صبرا والخير شكرا والمراد انه لم ينه الاسى والفرح على الاطلاقات ولكنه نفي ما يبلغ حد الجزع والبطر وقوم
على ما لا يخلو منه البشر والمال في ظاهره قد مر في النساء والمقصود ان البخيل يفرح فرحا مطبقا لحبه المال ويفتخر ويتكبر على الناس
ويحمل عينه على امساك المال لمقتضى الى نتيجة الطبيعي ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولا يعرف حق الله فيما اعطاه وهو الغني
عن طاعة المطيعين الحميد في ذاته وان لم يحمده الحامدون وقيل ان الاية نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد صلعم بخلوا ببيان
نعته ثم اراد ان يبين الغرض من بعثة الرسل المويدين بالمعجزات ومن انزل الكتاب والميزان معهم يهديه انجيه انزل بالميزان
يدفعه الى نوح عليه السلام فقال مر قومك يتزنوا به وروي عن النبي صلعم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما الى الارض
انزل الحديد والنار والملح والماء وعن الحسن انزلناهما ... كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقال قطرب هو من النزل فقال

انزل الامر علي فلان نزل احسنا ومنهم من قال هو من باب علفتها تبنا وماء باردا وذكر العلما وجوه في المناسبة بين الكتاب
والميزان والحديد وجوه احدها ان مدار التكليف علي فعل ما ينبغي والثاني لا يتم الا بالحديد الذي فيه باس شديد
والاول اما ان يكون من باب الاعتقادات ولن يتم الا بالكتاب السماوي ولا سيما اذا كان محفوظا واما ان يكون من باب المعاملات
ولا ينتظم الا بالميزان فاشرف الاقسام ما يتعلق بالقوة النظرية الروحانية ثم ما يتعلق بالعملية الجسمانية ثم ما يتعلق بالزواجر
وقد روعي في الاية هذا النسق وثانيها المعاملة اما مع الخالق وطريقها الكتاب ومع الخلق اما الاحباب ويتحقق في نظام امورهم
بحديثهم الي الميزان واما اعداؤه فيدفعون بالسيف وثالثها السابقون فيعاملون بمقتضي الكتاب فينصفون ولا ينتصفون ويحترزون
عن مواضع الشبهات والمقتصدون ينصفون وينتصفون فلا بد لهم من الميزان والظالمون ينتصفون ولا ينصفون فلا بد لهم من السيف
الزاجر ورابعها الانسان في مقام الحقيقة وهو مقام النفس المطمئنة والمقربين لا يسكن الا بكتاب الا بذكر الله تطمئن القلوب
وهو في مقام الطريقة والنفس اللوامة واصحاب اليمين لا بد له من الميزان في معرفة الاخلاق المتوسطة عن الميل الي طرفي الافراط
والتفريط وهو في مقام الشريعة والنفس الامارة لا تنزجر الا بحديد المجاهدة وسيف الرياضة وخامسها السالك اما ان يكون
صاحب المكاشفة والوصول والسنة بالكتاب او صاحب الطلب والاستدلال فانه يتشبه بميزان الدليل والحجة وان كان صاحب
العناد واللجاج فلا بد له من الحديد وسادسها الاقوال تنضبط بالكتاب والاعمال تتقوم بالموازين ميزان العدل والاحوال بغير تحديد بد
الرياضة او نقول والمختص عن احد الموصوعين يدور بالسيف وسابعها الكتاب للعلما والميزان للعوام والسيف للملوك قال
اهل التجارب في منافع الحديد ما من صناعة الا والحديد الة فيها او ما يعمل بالحديد بيانه ان اصول الصناعات اربعة الزراعة والحياكة
والبنا والامارة اما الزراعة فتحتاج الي الحديد في كراب الارض واصلاحها وحفرها وتنقية اثارها ثم الحبوب لا بد من طحنها
وخبزها وكل منها يحتاج الي شي من حديد واكل الفواكه واللحوم وغيرها يفتقر ايضا الي التشريح والقطع الي الحديد واما الحياكة فيحتاج
الي الات الحراثة والي الات الغزل والي ادوات الحياكة والخياطة واما البنا فلا يكمل الحال فيه الا بالالات حديدية واما الامارة
فلا يتم الا باسباب الحرب والالات السياسة فظهر ان اكثر المصالح العالم لا يتم الا بالحديد ولا يقوم الذهب والجواهر في الرجحان مقام
الحديد فلو لم يوجد الذهب والجواهر في الدنيا لم يختل شي يكون حاجاتهم اليه التي يكون وجوده عليهم اسهل فقال بعضهم
سبحان من جعل العلم بعزه والناس مستغنون عن اجابته واذل انفاس الهوا وكل ذي نفس يحتاج الي انفاسه
نظرد الحاجة الي الطعام ثم الي الماء ثم الي الهوا فالطعام قلما يوجد الا بالثمن والماء قد يباع بالثمن في بعض الامكنة والازمان
والهوا لا يباع اصلا لان الحاجة الي التنفس امر وقال بعض المحققين هاهنا ان العلم انفع ما يحتاج الانسان اليه اذ به قوام روحه
وصلاح معاده فلا جرم فلا يقع في عرضة البيع وكثيرا ما يعطي الاجر علي تعلمه قوله وليعلم الله ظاهره انه معطوف
علي المعني التقديري وانزلت الحديد لاجل المنافع الدنيوية وهو ظاهر معلوم الله وتعلق علمه بما سيقع من نصر دينه و
رسله باستعمال السيوف والرماح وغيرها ويجوز ان يكون المعطوف محذوفا بدليل ما تقدمه اي وانزلنا الحديد ليقوم
الناس بالقسط خوفا من القتل وليعلم الله ومعني بالغيب غايبا عنهم وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
وفيه اشارة الي ان الجهاد المعتبر هو الذي يوجد عن اخلاص القلب خاليا عن النفاق والريا وفي قوله ان الله قوي
عزيز رمز الي انه تعالى قادر علي اهلاك اعداء الدين بكلمة بدون واسطة الجهاد ولكنه كلفهم ذلك ليتوسلوا
به الي نيل درجة الصديقين والشهداء ومن حكي قصة الرسل مجملة اعقبها بنوع من التفصيل في الكتاب نظامهم
الوحي وعن ابن عباس هو الخط بالقلم والضمير في فمنهم للذرية او للمرسل اليهم بدليل الارسال والفاسقون اما العاصي
بارتكاب الكباير واما الكافرون ولعل هذا اظهر لوقوعه في طباق المهتدين الا ان يحمل الفاسق علي الذي لا يهتدي لوجه
ثم قال نبا تقفينا المراد بالرافة والرحمة وهوما اوقع الله تعالي في قلوبهم من الوداد والتعاطف كما جاء في نعت اصحاب محمد
صلعم رحما بينهم قال ابو علي الفارسي الرهبانية لا تستقيم حملها علي جعلنا لما يبتدعونه لا يجوز ان يكون مجعولا لله قال في
التفسير الكبير هذا الكلام انما يتم لو ثبت امتناع مقدور بين قادرين وعن ابن النبي باني علي انه حجة في اسالمه الاشيا
قلت الظن بالعلما ينبغي ان يكون احسن من هذا ولا حاجة الي احالة تمام الكلام علي المسالة المذكورة ولكنه يرد علي ابي علي
انه اذا جاز ان يكون الكفر والفسوق وساير المعاصي الصادرة عن العبد منسوبة الي تخليق الله فلم لا يجوز ان يكون الابتداع
مع اضافة امرين عنده بنفسه لا علي السنة المرسل مجعولا لله سبحانه قال المفسرون ان الجبابرة ظهروا علي امة عيسى

الاثلاث مقام

نصفين م

بعد رفعه فقاتلهم ثلث مرات فقتلوا حتي لم يبق منهم الا القليل فرهبوا علي رؤس الجبال فارين من الفتنة مخلصين
كلفا ومشاق زايدة علي العبادات المكتوبة عليهم من الخلوة والاعتزال والتعبد في الغيران والكهوف روي ابن مسعود
ان النبي صلعم قال يا ابن مسعود اما علمت ان بني اسرايل تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا فرقة امنت بعيسى عليه السلام
وقاتلوا اعداء الله في نصرته حتي قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن
لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الي القفار والفيافي وهو قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة قال العلماء
لم يرد الله تعالى بقوله ابتدعوها طريقة الذم ولكن المراد انهم احدثوها من عند انفسهم ونذروها والرهبانية بفتح الراء مصدر
وهي الفعلة المنسوبة الي الرهبان بالفتح ايضا وهو الخايف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بالضم وهي نسبة الي الرهبان
جمع الراهب وقوله الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع عند الاكثر اي ما فرضناها عليهم ولكنهم ابتدعوها طلب رضوان
الله وقال اخرون انه متصل والمعني ما تعبدناهم بها الا علي وجه تحصيل مرضاة الله فيكون ذما ان اتي بها لا لقصد الله وان
لم يات بها فلا حرج وفي قوله فما رعوها حق رعايتها اقوال احدها انهم ما قاموا علي تلك السيرة ولكنهم ضموا اليها التثليث
والاتحاد وضيعوا الا اناسا منهم اقاموا علي دين عيسى عليه السلام حتي ادركوا محمدا صلعم فامنوا به وثانيها انا ما كتبناها لم يتوسلوا بها الي
طلب مرضاة الله تعالى ولكنهم جعلوها وسيلة الي المنافع الدنيوية وثالثها ان يكون في الكلام اضمار اي لم نفرضها او لا عليهم
لما كانت علي جهة الاستحباب ثم فرضناها عليهم فتركوها الا قليلا منهم امنوا بمحمد صلعم بعد ان استقاموا علي الطريقة
ورابعها ان الصالحين من قوم عيسى عليه السلام ابتدعوا الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء بعدهم من لم يرعها كما رعاها الحواريون ثم
خاطب المومنين منهم بقوله يا ايها الذين امنوا اي بعيسى عليه السلام اتقوا الله وامنوا برسوله محمد يؤتكم كفلين من رحمته
لايمانكم اولا بعيسى وثانيا بمحمد ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعي نورهم او النور المذكور في قوله
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ويجوز ان يكون الخطاب لامة محمد صلعم والمراد اثبتوا علي ايمانكم برسول الله
يؤتكم ما وعد موسي اهل الكتاب في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفيه انهم مثلهم في الايمانين
لانهم لا يفرقون بين احد من رسله علي انه يجوز ان يكون النصيب الواحد من الاجر ازيد من نصيبين فان المال اذا قسم نصفين كان
الكفل الواحد نصفا واذا قسم عشرة اقسام كان الكفل الاحد جزءا من عشرة ولا شك ان النصيب الواحد من القسمة الاولي
ازيد من النصيب الواحد من القسمة الثانية قوله لئلا يعلم الاية اكثر المفسرين والنحويين علي ان لا زايدة والمعني ليعلم اهل الكتاب
الذين لم يسلموا ان الشان لا ينالون ولا يقدرون علي شي من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا بمحمد صلعم فلم ينفعهم
ايمانهم بمن قبله او المراد انا بالغنا في هذا الثنا فاضعفنا في الوعد لهم والوعيد ليعلم اهل الكتاب ان الشان هو انهم لا
يقدرون علي تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الاجر في طايفة مخصوصين وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
وقيل غير زايدة والضمير في لا يقدرون للرسول واصحابه والعلم بمعني الاعتقاد والمعني لئلا يعتقد اهل الكتاب ان النبي صلعم والمومنين لا يقدرون
علي شي من فضل الله ولكنهم يعتقدون ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد خص به محمدا صلعم ومن امن به والله اعلم

سورة المجادلة اثنان وعشرون اية مدنية كلها

اربعمائة وثلثة وسبعون حروفها الف وسبعمائة واثنان وتسعون

الجزو

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الي الله والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع بصير ۝ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله
لعفو غفور ۝ الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير

رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد
الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما
لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير
يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم
واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا
الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم

ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا
انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب
مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم
على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله
ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

القراءة يظاهرون من المظاهرة عاصم يظهرون بتشديد الظاء والهاء من التظهر واصله يتظهرون ادغمت التاء
في الظاء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يظاهرون بتشديد الظاء وزيادة الالف من التظاهر
واصله يتظاهرون ما هن امهاتهم بالرفع المفضل الاخرون بكسر التاء على اعمال ما عمل ليس وهذه هي الفصحى ما تكون بتاء
التانيث يزيد وهو ظاهر الاخرون على التذكير بناء على ان التقدير ما يقع شيء من نجوى ولا اكثر بالرفع يعقوب اما على الابتداء
كقولك لا حول ولا قوة الا بالله او العطف على محل من نجوى الباقون بالنصب على ان لا لنفي الجنس او على انها مجرور ان
عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم او عطفا على العدد والتقدير ما يكون من نجوى ادنى
من ذلك العدد ومن نجوى اكثر من ذلك وينتجون من باب الافتعال حمزة ورويس فلا تنتجوا من الافتعال ايضا رويس
المجالس على الجمع عاصم انشزوا فانشزوا بضم الشين فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم غير يحيى وحماد الخزاز
الاخرون بالكسر فيهما وهما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ورسلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر عشيراتهم على الجمع
المفضل كتب مجهولا الايمان بالرفع المفضل **الوقوف** الجزء الثامن والعشرون تحاوركما ط بصير ما هن امهاتهم
ولدنهم ط وزورا ط غفور ط يتماسا ط خبير ط يتماسا ط مسكينا ط ورسوله ط الله اليم ط بينات ط مهين لاحتمال تعلق الظرف بما قبله
وكونه مفعولا لاذكر عملوا ط ونسوه ط شهيد ط وما في الارض ط كانوا ج للعطف ولان ثم لترتيب الاخبار القيمة عليم ط الرسول ز للعطف
المختلفين المتفقتين معنى مع ان جاءوك فعل ماض لفظا به الله لان ما بعده حال او عطف على جاءوك المستقبل معنى نقول ط
جهنم ج لاحتمال الحال وكونه مستانفا يصلونها ج المصير ط والتقوى ط تحشرون ط باذن الله ط المؤمنون ط يفسح الله لكم ج لابتداء
شرط اخر مع العطف منكم للعطف درجات ط خبير ط صدقة ط واطهر ط رحيم صدقات ط لتناهي الاستفهام الى الشرط

يسوله يعلمون علم لتتابع الاستفهام الى الاخبار منهم بناء على انما يعلمه حاله العامل معنى الفعل في الجار اي يوم يخلقون
قال السجاوندي ولا يبعد عندي ان يكون مستانفا فيحسن الوقف يعلمون شديدا تعملون تضمين شيا النار خالدون
على شي الكاذبون ذكر الله اولئك حزب الشيطان الخاسرون الاذلين ورسلي من يرغبتهم بروح منه للعدول عن
الماضي الى المستقبل فيها عنه اولئك حزب الله المفلحون ◦ التفسير عن عائشة رضه قالت الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلعم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع الله لها وعن عمر رضي الله عنه
ان النبي صلعم كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها اي اجاب وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت
اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة فظاهر منها فاتت رسول
الله صلعم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر منه ولدي جعلني عليه
كامه وفي رواية انها قالت لي صبية صغار ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال لها ما عندي في امرك
شي ويروي انه قال لها حرمت عليه وهي تقول اشكو الى الله فاقتي ووجدي فنزلت ومعنى في زوجها في
شانه ومعنى قد سمع التوقع لان رسول الله صلعم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها
وينزل في شانها ما يفرج عنها والتحاور التراجع في الكلام في الايه دلالة على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق كفاه
الله مهمه يروي انه صلعم ارسل الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم فقرا عليه
الايات الاربع وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين فقال لا والله يا رسول الله
تعينني منك بصدقة فاعانه بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين واعلم ان
الظهار كان اشد من طلاق الجاهلية لانه في التحريم غاية فاذا كان شرعا منعقدا فالايه ناسخة ولا سيما فيما يروى
انه صلعم قال لها حرمت عليه واذا كان عادة الجاهلية فلا نسخ لان النسخ لا يدخل في الشرايع ثم انه سبحانه وبخ
العرب اولا بقوله ◦ الذين يظاهرون منكم ثم بين الحكم العام في الاية الثانية ولهذا لم يورد لفظة منكم
نحن نبني تفسير على الام على ابحاث الاول في معنى الظهار وهو عبارة عن قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي ما اشتقاقه
من الظهر وقال صاحب النظم ليس الظهر بالذكر اولى في هذا المطلوب من ساير الاعضاء التي هي موضع التلذذ
فهو ماخوذ من ظهر اذا علا وغلب به يسمى المركوب لان راكبه يعلوه وكذلك امراة الرجل مركبه وظهر له والدليل
على هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي لفظ الظهار اضمار والتقدير
ظهورك علي اي علوي وركوبي عليك حرام علي كعلو امي ثم لانه قنتبه بين العلما في الطلاق ثم قال انت معي
او عندي او مني او لي كظهر امي صح ظهاره وكذا لو ترك الصلاة كلها فقال انت كظهر امي كما ان قوله انت طالق صريح وان
لم يقل مني اما لو اذا شبهها بغير الظهر فذهب الشافعي الى ان ذلك العضو ان كان مشعرا بالاكرام كقوله انت علي كروح
امي او عين امي صح ظهاره اذا اراد الظهار ولا الاكرام والانلا وان لم ينو شيا ففيه قولان وان لم يكن مشعرا بالكرامة
كقوله انت كرجل امي او كبدها او بطنها في الجديد ظهار وفي القديم لا وقد قرع هذا بالمراة الاصلية وقال ابو حنيفة
ان شبهها بعضو من الام يحل له النظر اليه كاليد او الراس وانه لم يكن ظهارا وان شبهها بعضو يحرم النظر اليه كالبطن
والفخذ كان ظهارا ولو في التشبيه بالمحرمات الاخر من النساء والرضاع سوى الام الجديد وابو حنيفة انه ظهار لعموم قوله
يظاهرون من نسائهم وقصر على الام احتج بقوله بعده ما هن امهاتهم وبان حرمة الام اشد البحث الثاني في الظاهر وفيه
مسايل الاولى قال الشافعي كل من صح طلاقه صح ظهاره ولو كان خصيا او مجبوبا ويتفرع عليه ان ظهار الذمي صحيح حجة الشافعي
عموم قوله تعالى والذين يظاهرون وايضا تاثير الظهار في التحريم والذمي اهل للتحريم بدليل صحة طلاقه وانما ايجاب
الكفارة للزجر عن هذا الفعل الذي هو منكر من القول وزورا وهذا المعنى قائم في حق الذمي وقال ابو حنيفة ومالك
لا يصح ظهاره واحتج ابو بكر الرازي لهما بان قوله الذين يظاهرون منكم خطاب المؤمنين وايضا من لوازم الظهار
يصح وجوب الصوم على العايد العاجز عن الاعتاق وايجاب الصوم على الذمي ممتنع لانه مع الكفر باطل وبعد الاسلام
غير لازم لانه يجب ما قبله واجيب عن الاول بان قوله منكم خطاب للحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين على ان المختص
بالذكر عندكم لا يدل على نفي ما عداه وايضا العام عندكم اذا ورد بعد الخاص كان ناسخا للخاص وعن الثاني ان من

لوازم الظهار وايضا انه من عجز عن الصوم اكتفى فيه بالاطعام فهيهنا ان تحقق العجز وجب ان يكتفى منه بالاطعام
وان لم يتحقق العجز زال السوال وايضا الصوم بدل عن الاعتاق والبدل لا اضعف من المبدل ثم ان العبد عاجز
عن الاعتاق مع انه يصح ظهاره بالاتفاق فاذا كان فوات اقوى اللازمين لا يوجب منع الظهار ففوات الاضعف
كيف يمنع وقال القاضي الحسين من اصحاب الشافعي في الجواب يحق لقول للذمي ان اردت الخلاص من
التحريم فاسلم وصم لقوله الاسلام يجب ما قبله قلنا انه عام والتكفير خاص والخاص مقدم على العام
الثانية قال مالك وابو حنيفة والشافعي لا يصح ظهار المراة عن زوجها وهو ظاهر وقال الاوزاعي
هو يمين يكفرها وحجتي بان المراة لا تملك التحريم بالطلاق فكذا بالظهار الثالثة لو قال انت علي كظهر امي
يوما او شهرا فقد قال ابو حنيفة والشافعي يبطل ظهاره بمضي المدة وكان قبل ذلك صحيحا الماوردي ان سلمة بن
صخر ظاهر من امراته حتى ينسلخ من رمضان ثم وطيها في المدة فامره النبي صلعم بتحرير رقبة واما بطلان
ظهاره بعد المدة فلمقتضى اللفظ كالايمان فاذا مضت المدة حل الوطي لارتفاع الظهار وبقيت الكفارة في ذمته
وقال مالك وابن ابي ليلى هو مظاهر ابدا البحث الثالث في المظاهر عنها ويصح الظهار عن الصغيرة
والمجنونة والامة المزوجة والذمية والرتقاء والحايض والنفساء ولا يصح عن الامة وام الولد عند ابي حنيفة والشافعي
لان قوله تعالى والذين يظاهرون من نسايهم يتناول الحراير دون الاماء كما في قوله او نسايهن بدليل انه عطف عليه قوله
او ما ملكت ايمانهن وقال مالك والاوزاعي يصح لان قوله من نسايهم يشمل ملك اليمين لغة في الايه سوال وهو ان الظاهر تشبيه
الزوجة بالام ولم يقل انها ام فكيف انكر الله عليه بقوله ما هن امهاتهم وحكم بانه منكر وزور والجواب ان قوله انت علي كظهر
امي ان اخبارا فهو كذب لان الزوجة حلال له والام حرام وتشبيه المحللة والمحرمة في وصف الحل والحرمة كذب وان كان انشاء
كان معناه ان الشرع جعله سببا في حصول الحرمة ولما لم يرد الشرع بهذا السبب كان الحكم به كذبا وزورا ولهذا اوجب
الله سبحانه الكفارة على صاحب هذا القول بعد العود سوال اخر قوله تعالى ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم ظاهره يقتضي
انه لا ام الا الوالدة لكنه قال في موضع اخر وامهاتكم من الرضاعة وقال وازواجه امهاتكم اجاب في الكشاف
بانه يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن بسبب الارضاع او لكونهن زوجة
النبي الذي هو ابو الامة واما الزوجات فابعد شي من احدى القبيلين فكان قول المظاهر منكرا لمخالفته الحقيقة وزورا لعدم
موافقته الشرع قوله ثم يعودون لما قالوا قال الفراء لا فرق في اللغة بين قولك عاد لما قال والى ما قال وفيما قال وقال ابو علي
الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان قال تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال اهل اللغة
اذا قال قائل عاد لما فعل جاز ان يريد ان فعله مرة اخرى وهذا ظاهر وجاز ان يريد انه نقض ما فعل لان المنصرف في
بالاعدام لا يمكن الا بالعود اليه والى هذا ذهب اكثر المجتهدين الا ان الشافعي قال معنى العود لما قالوا السكوت عن الطلاق
بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصل ذلك بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من
ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق دل على انه ندم على ما ابتدا به من التحريم فحينيذ يجب عليه
الكفارة اعترض ابو بكر الرازي في احكام القران عليه من وجهين الاول انه تعالى قال ثم يعودون وكلمة ثم تقتضي
التراخي وعلى قول الشافعي يكون المظاهر عايدا عقيب القول بلا تراخ وهذا خلاف مفهوم الايه الثاني ان شبهها بالام
والام لا يحرم امساكها فلا يكون امساك الزوجة نقضا لما قال واجيب عن الاول بانه يوجب ان لا يتمكن المظاهر من العود اليها
بهذا التفسير عقيب فراغه عن التلفظ بلفظ الظهار حتى يحصل التراخي مع ان الامة مجمعة على ان له ذلك والتحقيق ان العبرة
بالحكم ونحن لا نحكم بالعود ما لم ينقض زمان يمكنه ان يطلقها فيه فقد تاخر كونه عايدا عن كونه مظاهرا بهذا القدر وهذا يكفي في
العمل بمقتضى كلمة ثم وعن الثاني ان المراد امساكها على سبيل الزوجية واللفظ محتمل لهذا فامساك الام على هذا الوجه
محرم وقال ابو حنيفة معناه على استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة
هذه الاشياء ثم قصد استباحتها كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي وقال مالك العود اليها عبارة عن العزم على جماعها
وضعف بان العزم على الجماع لا يناقض كونها محرمة انما المناقض لكونها محرمة هو القصد الى استحلال جماعها فيرجع الى قول
ابي حنيفة ولا يرد عليه الا انه خص وجه التشبيه من غير دليل والذي ذكره الشافعي اعم واقل ما ينطلق عليه اسم العود

فكان اولى وعن طاوس والحسن ان العود اليها عبارة عن جماعها وحظي لقوله فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا واذا كان التكفير
قبل الجماع والتكفير لا يثبت الا بعد العود فالعود غير الجماع واما الاحتمال الاول فهو ان العود لما قالوا هو فعله مرة اخرى ففيه
ايضا وجوه الاول قول الثوري ان العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتزييفه بانه يرجع حاصل المعنى الى قوله والذين كانوا
يظاهرون من نسائهم في الجاهلية ثم يعودون لما قالوا في الاسلام فكفارته كذا وكذا وهو اضمار من غير دليل مع انه خلاف
الاصل الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فهو العود والا فلا وضعف بحديث اوس وحديث سلمة بن صخر
فان رسول الله صلعم الزمهما الكفارة مع انهما لم يكررا الظهار الثالث قال ابو مسلم الاصفهاني العود هو ان يحلف على ما قال
اولا من لفظ الظهار فاذا لم يحلف لم تلزمه الكفارة قياسا على ما لو قال في بعض الاطعمة فانه حرام علي كلحم الادمي فانه لا تلزمه
الكفارة الا اذا حلف عليه ويرد بان الكفارة قد تجب بالجماع في المناسك ولا يمين وكذا في قتل الخطا ولا يمين وعندي ان هذا
الرد مردود لانه لا يلزم من وجوب الكفارة في الصورتين من غير يمين وجوبها في كل صورة بلا يمين نعم يرد على ابي
مسلم ان تفسير العود بالحلف اثبات اللغة بالقياس ولا يخفى ان العود لما قالوا على هذا الاحتمال ظاهر لانه يريد بالقول
هو اللفظ واما الاحتمال الاخير فيحتاج الى تاويل القول بالمقول فيه وهو ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار كما في قوله
ونرثه ما يقول اي المال والولد مسايل الاولى الجديد وابو حنيفة ان الظهار يحرم جميع الاستمتاعات لانه في قوله
سبحانه من قبل ان يتماسا يعم جميع ضروب المسيس من لمس بيد وغيرها ويروى عكرمة ان رجلا ظاهر من امراته
ثم واقعها قبل ان يكفر فاتى النبي صلعم فاخبره بذلك فقال اعتزلها حتى تكفر الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال ابو
حنيفة والشافعي لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد وقال مالك من ظاهر من
في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة حجتهما انه تعالى رتب الكفارة على التلفظ بكلمة الظهار والمعلول
يتكرر بتكرر العلة ويتفرع عليه انه لو كانت تحته اربع نسوة فقال انتن علي كظهر امي لزمته اربع كفارات لان
الحكم يتكرر بتعدد المحل حجته انه رتب الكفارة على مطلق الظهار والمطلق شامل للمتعدد وينتقض باليمين وان
الكفارة لازمة في كل يمين الثالثة دلت الاية على ايجاب الكفارة قبل التماس فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة
واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي وسفيان واحمد واسحق لان سلمة ابن صخر قال لرسول الله صلعم
ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر وقال بعضهم
ومنهم عبد الرحمن بن مهدي اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان الرابعة لا ينبغي للمراة ان تدع الزوج يقرب منها حتى
يكفر فان تهاونا حال الامام بينهما ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء ولا شيء
من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها الخامسة
قد ذكرنا ان الاستمتاعات محرمة عليه الى ان يكفر وذلك صريح في تحرير الرقبة وفي الصيام واما ان نقول ان التكفير بالاطعام
ايضا كذلك وان لم يتعرض للتماس في قوله فاطعام ستين مسكينا حملا للمطلق على المقيد عند اتحاد الواقعة وحمل
للاقل وهو صورة واحدة على الاكثر وهذه من فصاحات القران السادسة ذهب ابو حنيفة الى ان هذه الرقبة
تجزي وان كانت كافرة لاطلاق الاية وقال الشافعي لا بد ان تكون مومنة قياسا على كفارة القتل والجامع ان الاعتاق
انعام والمومن اولى به ولان المشركين نجس وكل نجس خبيث بالاجماع وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث ولا يجزي ام الولد
ولا المكاتب عند الشافعي لضعف الملك فيه فلا يحصل التحرير بالخروج عن العهدة وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يودي
شيا جاز عن الكفارة لانه رقبة بدليل قوله وفي الرقاب وان اعتقه بعد ان ادى شيا لم يجز والمدبر يجزي عند الشافعي ولا يجزي
عند ابي حنيفة السابعة يعتبر في الرقبة بعد الايمان على خلاف فيه السلامة عن العيوب لا التي يثبت بها الرد في البيع
ولكن التي تخل بالعمل والاكتساب لان المقصود هناك المالية وههنا تكميل حاله ليتفرغ للعبادات والوظائف المخصوصة
بالاحرار فلا يجزي مقطوع اليدين او الرجلين او احداهما او المجنون وتجزي الاعور والاصم والاخرس ومقطوع الاذنين
والانف واصابع الرجلين لا اصابع اليد لان البطش والعمل يتعلق بها والعبد الغائب ان انقطع خبره لا يجزي ولو اعتق
عبدا عن كفارته بشرط ان يرد دينارا او عشرة لم يجز بل يجب ان يكون الاعتاق خالصا عن العوض الثامنة
كفارة الظهار مرتبة على ما في الاية وان كان في ملكه عبد فاضل عن حاجته فواجبه هو وان احتاج

الى خدمته لمرض او كبر او لان منصبه ياتي الى ان يخدم نفسه لم يكلف صرفه الى الكفارة ولو وجد ثمن العبد فكالعبد وانما
ان يفضل عن حاجة نفقته وكسوته ونفقة عياله وكسوتهم وعن المسكن وما لا بد له من الاثاث ولو كانت له ضيعة او
راس مال يتجر فيه ويفي ما يحصل منهما بكفايته بلا مزيد ولو باعهما لارتد الى حد المساكين لم يكلف بيعهما وان ماله غايبا
اولم يجد الرقبة في الحال لم يعدل الى الصوم فانه ينتقل الى الاطعام لانه تعالى قال فمن لم يستطع
والمال غير معلوم ولا هو متعلق باختياره بخلاف احضار المال او تحصيل الرقبة فان ذلك قد يمكنه التاسعة لو اطعم مسكينا
واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي لظاهر الاية ولان ادخال السرور في قلب ستين اجمع واقرب من رضا الله
وقال ابو حنيفة يجزي العاشرة النسق المرتب والعلة لها حجة عذر عند الاكثرين والانتقال الى الاطعام لما في قصة الاعرابي
وهل تثبت الامن قبل الصوم فاتاه النبي صلعم وقال اطعم وحمله اخرون على خاصة الاعرابي ولنكتف بهذا القدر من المسايل الفقهية
في تفسير اية الظهار قال الزجاج ذلكم توعظون اي ذلكم التغليظ وعظكم حتى تتركوا الظهار وحين ذكر حكم العاجز ختم الاية
بقوله ذلك ويحتمل ان يعود الى بيان كفارة الظهار ويحتمل ان يعود الى التخفيف والتوسع لتصدقوا بالله ورسوله فان
التخفيف مناسب للتصديق والعمل بالشريعة وللكافرين الذين استمروا على احكام الجاهلية عذاب اليم وانما قال
في الاية الثانية عذاب مهين لتناسب قوله كبتوا اي اخزوا واهلكوا وقيل اي يذلهم يوم الخندق والحدود والمحادة نوع
من التجانس والمحادة المشاقة من حد الظرف كان كلا من المتخاصمين في طرف اخر كالمشاقة من الشق وقال ابو مسلم هي من الحديد
كان كلا منهما يكاد يستعمل الحديد اي السيف مع المنافقين او الكافرين على الاطلاق قوله احصاه الله اي احاط بما عملوا كما هم كما او
كيفا او زمانا ومكانا ونسوه لكثرته او لقلة اكتراثهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات الامور ثم قرر كمال علمه بقوله ما يكون من نجوى
ثلثة نقرر حقيق ان يكون الثلثة وصفا للنجوى على حذف المضاف اي من اهل نجوى او لانهم جعلوا نجوى مبالغة وكذا كل مصدر
وصف به قال الزجاج هي مشتقة من النجوة المكان المرتفع لان الكلام المذكور سرا يجل عن استماع الغير سوال لم ذكر الثلثة والخمسة
واهمل ذكر الاثنين والاربعة والجواب المكان المرتفع لان الكلام المذكور من وجوه احدها ان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا
على التناجي مغايظة للمومنين وكانوا على هذين العددين فخصت صورة الواقعة بالذكر عن ابن عباس ان ربيعة وحبيبا ابني عمرو
وصفوان ابن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان
يعلم بعضا فهو يعلم كله فنزلت قلت الحق مع الثالث ولعل الاخر كان ممن لا ينبغي الاعتقاد القايل بانه لا يعلم الكليات دون الجزئيات
وثانيها ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله وتر يحب الوتر ولان الزوج يحتاج الى الوتر دون العكس كالواحد وثالثها ان المتشاورين
الاثنين كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد
يكون حكما فذكر سبحانه الفردين الاولين تنبيها على افراد العالية ورابعها ان هذا اشارة الى كمال الرحمة وذلك انه
اذا اخذ اثنان منهم في التناجي والمشاورة بقي الواحد ضايعا وحيدا فيضيق قلبه فيقول الله انا جليسك وانيسك وكذا
الخمسة اذا اجتمع اثنان اثنان منهم بقي الخامس منفردا فتفرد الله تعالى عنه بشاكلة المعية وهذا التاويل لا يتاتى الا
في الاثنين والاربعة فلهذا ذكرهما وفيه ان من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضايعا وخامسها وهو من اللوايح انه سبحانه
اراد تكميل الكلام بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر ولم يكن بد من الابتداء بالثلثة مع انها عدد الوتر في التشاور ثم بالخمسة ليكون
لكل من العددين طرفا قلة او كثرة وفيه ايضا من الفصاحة انه لم يقع حروف الاربعة مكررة اذ لو قال ولا اربعة الا هو
خامسهم على ما وقع في مصحف عبد الله لكان في ذكر الرابع والاربعة شبه تكرار ولعل في الاية اشارة الى التناجي لا ينبغي
ان يكون للاثنين اثنين الى ستة ليكون الزيادة على الخمسة نفيا احتمال المتضاد عن الثلثة وبعضهم ما يروى ان
عمر بن الخطاب ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع وهذا من نكت القران زادنا الله اطلاعا عليها
قال اكثر المفسرين كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين يريدون بذلك
غيظهم فنهاهم رسول الله صلعم عن ذلك فعادوا لمثله وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص بمخالفة الرسول وقوله
الم تر الى الذين الاية ومنهم من قال هم المنافقون ومنهم من قال هم الكفار والاول اقرب بدليل قوله واذا جاوك حيوك
بما لم يحيك به الله وذلك انهم كانوا يقولون السام عليك يا محمد والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها
الرسول ويا ايها النبي وحديث عايشة مع اليهودي في هذا المعنى مذكور مع شهرته وكانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو

علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فاجاب الله تعالى عن قولهم بان جهنم يكفيهم قال ابو علي التناجي والانتجاء بمعنى
نحو اصبروا واعتبروا في معنى تجاوروا وتحاوروا ونهى المؤمنين عن مثل تلك النجوى وهو ظاهر وقال جمع من المفسرين
هو خطاب المنافقين الذين آمنوا باللسان دون مواطاة القلب واعلم ان المناجاة لما كانت على طريقة البر والتقوى
فقلما يقع الداعية الى كتمانها فلا يكون النجوى ولا يتاذى بها احد اذا عرفت سنة المناجي فلهذا امر الله سبحانه ان لا يقع
التناجي الا على وجه البر قوله انما النجوى الالف واللام فيه لا يمكن ان يكون للاستغراق او للجنس فان النجوى ما يكون
مندوحة لا تنتهي لها على مصلحة دينية او دنيوية فهي اذن للعهد وهو التناجي بالاثم والعدوان ومن تزيين الشيطان لاجلهم ليحزن
الشيطان او التناجي المؤمنين وكانوا يقولون ما نراهم متناجين الا وقد بلغهم عن اقاربنا الذين خرجوا الى الغزوات انهم
قتلوا او هزموا ثم بين ان الشيطان والحزن لا يضر المؤمن الا بمشيئة الله فاراد به عن النبي صلعم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى
اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وفي رواية دون الثالثة وحين نهى عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر
حثهم على ما يوجب مزيد المحبة والالفة والتفسح في المجلس التوسع فيه والمراد مجلس رسول الله صلعم كانوا يتضامون
فيه تنافسا في القرب منه وحرصا على استماع كلامه ومن قرا على الجمع جعل لكل جالس مجلسا على حدة وقيل هو
المجلس من مجالس القتال الى مراكز الغزاة كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون حرصا على الشهادة والنزول الا
اصح قال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلعم يوم الجمعة في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والا
نصار فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلعم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله ما يحملهم
على القيام وشق ذلك على الرسول فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان فلم يزل يقيم بعدة النفر الذين هم قيام
بين يديه فعرفت الكراهية في وجه من اقيم في مجلسه وطعن المنافقون في ذلك وقالوا والله ما عدل على هولاء
ان قوما اخذوا مجالسهم فاحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا عنه فنزلت واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة
على المقبلين فانشزوا ولا تملوا رسول الله صلعم بالاتكاء فيه يرفع الله الذين آمنوا ايها الممتثلون والعاملون منهم
حاجة درجات قال بعض اهل العلم المراد به الرفعة في مجلس النبي صلعم وهو مناسب للمقام لقوله صلى الله عليه ليليني
منكم اولوا الاحلام والنهى والمشهور انه الرفعة في درجات ثواب الآخرة وقد ذكرنا في فضيلة العلم في اوائل البقرة
عند قوله وعلم آدم الاسماء كلها والامر ما يقتدى بالعالم في كل شيء ولا يقتدى بالجاهل في شيء من ذلك انه يعلم كيفية
الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير ويعلم كيفية التوبة واوقاتها وصفاتها ما يخفى
منه عنه ويحفظ فيما يلزمه من الحقوق ما لا يحفظ غيره ولكنه كما يعظم منزلته عند الطاعات ينبغي ان يعظم
عقابه عند التقصيرات حتى كاد يكون الصغير بالنسبة اليه كبيرا اللهم ثبتنا على صراطك المستقيم ووفقنا للعمل
بما فهمنا من كتابك الكريم قال ابن عباس كان المسلمون اكثروا المسائل على رسول الله صلعم حتى شقوا واراد الله ان يخفف عن
نبيه فلما نزلت آية النجوى شح كثير من الناس وكفوا عن المسئلة وقال مقاتل بن حيان ان الاغنياء غلبوا الفقراء في مجلس
النبي صلعم واكثروا مناجاته فامر الله بالصدقة عند المناجاة فانها دالة درجة الفقراء واغضبت رتبة الاغنياء وتمت
محبة الدنيا من محبة الآخرة قال بعضهم هذه الصدقة كانت مندوبة لقوله ذلك خير لكم ولانه ازيل العمل به بكلام متصل
وهو قوله أأشفقتم والاكثرون انها كانت واجبة لظاهر الامر والمندوب قد يوصف بكونه خيرا ولا يلزم من اتصال
الآيتين في القراءة اتصالهما في النزول وقد يكون الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ كما مر في آية الاعتداد
بالحول في البقرة واختلفوا في مقدار تاخير وقوع النسخ فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار وعن مقاتل
بقي عشرة ايام وعن علي رضي الله عنه لما نزلت الآية دعاني رسول الله صلعم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم
قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد اي انك لقليل المال فقدرت على حسب حالك وعنه ان في كتاب الله لآية ما
عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم
قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله صلعم قال القاضي هذا لا يدل على فضيلة دون اكابر الصحابة
لان الوقت لعله لم يتسع للعمل بهذا الفرض وقال فخر الدين الرازي سلمنا ان الوقت قد وسع الا ان الاقدام على هذا
العمل مما يضيق قلب الفقير الذي لا يجد شيئا ويوحش الرجل الغني فلم يكن في تركه مضرة لان الذي يكون سببا للالفة اولى

مما يكون

مما يكون سببا للوحشة وايضا الصدقة عند المناجاة واجبة اما المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة
بل الاولى ترك المناجاة كما بينا من انها كانت سببا لسامة النبي صلعم قلت هذا الكلام لا يخلو عن تعصب ما ومن اين يلزمنا
ان نثبت مفضولية علي كرم الله وجهه في كل خصلة ولم لا يجوز ان يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من اكابر الصحابة فقد روي
عن ابن عمر كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزوجه فاطمة واعطاه الراية يوم خيبر واية
النجوى وهل يقول منصف ان مناجاة النبي صلعم نقيصة على انه لم يرد في الآية نهي عن المناجاة وانما ورد تقديم الصدقة على
المناجاة فمن عمل بالآية حصلت له الفضيلة من جهتين من جهة سد خلة بعض الفقراء ومن جهة محبة نجوى الرسول
صلعم ففيها القرب منه وحل المسائل العويصة واظهار ان نجواه احب الى المناجي من المال والظاهر ان الآية منسوخة بما بعدها
وهو قوله أأشفقتم الى آخرها وكذا عن ابن عباس وقيل نسخت باية الزكوة اما ابو مسلم الذي يدعي ان لا نسخ في القرآن فانه
يقول كان هذا التكليف مقدرا بغاية مخصوصة لتمييز الموافق من المنافق والمخلص من المرائي فانتهاء امد الحكم لا يكون
نسخا له ومعنى الآية أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق المنقص للمال الذي هو احب الاشياء اليكم
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات
ومن زعم ان العمل باية النجوى لم يكن من الطاعات قال انه لا يمتنع ان الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من اعطاء
الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال اذ لم تفعلوا نادمين راجعين الى الله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فقد كفاكم
هذا التكليف قال المفسرون كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلعم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا
رسول الله صلعم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل
وكان ازرق فقال له النبي صلعم ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبي صلعم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا
بالله ما سبوه فنزل الم تر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود ما هم منكم لانهم ليسوا مسلمين
بالحقيقة ولا منهم لانهم كانوا مشركين في الاصل ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وفي قوله وهم يعلمون دلالة
على ابطال قول الجاحظ ان الخبر الكذب هو الذي يكون مخالفا للمخبر عنه مع ان المخبر يعلم تلك المخالفة وذلك انه لو كان كما زعم
لم يكن لقوله وهم يعلمون فائدة بل يكون تكرارا صرفا قال بعض المحققين العذاب الشديد هو عذاب القبر والعذاب
المهين الذي يجيء عقيبه هو عذاب الآخرة كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال جار
الله معنى قوله انهم ساء ما كانوا يعملون انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول مصرين على سوء العمل وهي حكاية ما يقال لهم
في الآخرة ومعنى الفاء في فصدوا انهم حين دخلوا في خزانة الايمان الكاذبة وامنوا على النفس والمال اشتغلوا بصد الناس
على الدخول في الاسلام بالقاء الشبهات وتقبيح حال المسلمين ويروى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا
واولادنا فنزل لن تغني عنهم الآية اخبر عن حالهم العجيبة الشنيعة وهو انهم يحلفون يوم الحشر لعلام الغيوب كما يحلفون لكم في الدنيا
وانتم بشر يخفى عليكم السرائر ويحسبون انهم على شيء من النفع والمراد انهم يحلفون في الآخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا
وتوله الا انهم هم الكاذبون في الدنيا ولا يخفى ما في هذا التاويل من التعسف وقد مر البحث في قوله والله ما كنا مشركين
ثم بين ان الشيطان هو الذي زين لهم ذلك ومعنى استحوذ استولى وغلب ومنه قول عايشة في حق عمر كان احوذيا نسيج وحده
غالبا على الامور وهذا احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اجمع القاضي به في خلق الاعمال بان ذلك النسيان
لو حصل بخلق الله لكانت اضافتها الى الشيطان كذبا ولكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان والجواب ظاهر مما
سلف مرارا فان الكلام في الاسناد الى الوسط قوله اولئك في الاذلين قال اهل المعاني ان اذل احد الخصمين تابع لعز خصم
الآخر ولما كانت عزة الله تعالى غير متناهية دل على اعلامه لا نهاية له فهم اذل خلق الله ثم دلهم بقوله كتب الله ما في اللوح
لاغلبن انا ورسلي اما بالحجة وحدها او بها وبالسيف قال مقاتل ان المسلمين قالوا انا لنرجو ان يظهرنا الله على فارس والروم
فقال عبد الله بن ابي اتظنون ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها كلا والله انهم اكثر عدد وعددا فنزلت
الآية ثم بين ان الجمع بين الايمان وبين الايمان الخالص وموادة من حاد الله ورسوله غير ممكن ولو كان المحادد ونا بعض الاقربين
قال جار الله هذا من باب التخييل والغرض انه لا ينبغي ان يكون وحقه ان يمتنع ولا يوجد بل لو اعتبر كل من الامرين من
حيث الحقيقة كان بينهما اشد التباين ولا حاجة الى هذا التكليف الآن يحمل على على الحقيقة والاخر على الظاهر فحينئذ قد

قتيبه

يجتمعا نحافي حق اهل النفاق وكما يوجد بعض اهل الايمان يخالط بعض الكفرة ويعاشرهم لاسباب دنيوية ضرورية
عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني احدا وجدت لا تجد قوما الاية نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة
سب رسول الله صلعم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلعم اوفعلته قال نعم قال لا تعد اليه فقال والله لو كان السيف قريبا
مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وقيل في كثير من الصحابة اعرضوا عن عشائرهم وقطعوهم
لحب الله ورسوله وذهب جمع من المفسرين الى انها نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة واخباره اهل مكة بمسير النبي صلعم اليهم عام الفتح
ويجي في الممتحنة والاظهر عندي نزولها في المومنين المخلصين لقوله اولئك كتب اي ثبت في قلوبهم الايمان اثبات المكتوب
في القرطاس وقيل معناه جمع التركيب [illegible] اي استكملوا اجزاء الايمان بحذافيرها ليسوا ممن يقولون نومن ببعض
ونكفر ببعض وايدهم بروح منه قال ابن عباس اي نصرهم على عدوهم وسمي النصرة روحا لان الامر يحيي بها او بالايمان [illegible]
يحيي حيوة ابدية فيحتمل ان يكون الضمير للايمان على انه في نفسه روح فيه حيوة القلوب والباقي ظاهر والله اعلم

سورة الحشر اربع وعشرون اية مدنية حروفها الف وتسعمائة وثلثة وعشرون كلماتها اربعمائة واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ۝ هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف
في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي
الابصار ۝ ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب
النار ۝ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ۝
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ۝
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ۝ ما افاء الله على رسوله من
اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا
يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واتقوا الله ان الله شديد العقاب ۝ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم

يبتغون

يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ۝
والذين تبوؤ الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۝ والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك
رءوف رحيم ۝ الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل
الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون ۝ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ۝ لانتم اشد رهبة في
صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ۝ لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة
او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۝
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ۝ كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ۝
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ۝ يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ۝
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ۝ لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ۝ لو انزلنا هذا القرآن على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون ۝ هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم

بابائهم

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

القراءة يخربون بالتشديد ابو عمرو الباقون بالتخفيف يزيد الاحزاب من الاحزاب تكون بالتاء الفوقانية دولة بالرفع على كان التامة يزيد الاحزاب على التذكير والنصب جدار ابالالف على التوحيد ابن كثير وابو عمرو الاحزاب فضيلين من غير الف اني اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو البارئ بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابن عبدوس **الوقوف** وما في الارض الحكيم الحشر الابصار في الدنيا النار لرسوله بناء على ان الشرط من جملة المذكور العقاب الفاسقين من بشاء قدير السبيل منكم فانتهوا لاتفاء امر بعد جزاء الشرط مع اتفاق النظم واتقوا الله العقاب للابتداء انه قوله للفقراء يتعلق شديد ورسوله الصادقون بناء على ان ما بعده مستانف او معطوف فانه يحبه كل منهما في النفس خصاصة قد يوقفه والاحسن الوصل لان الاعتراض موكل المفلحون كمثل الذي يرحيم ابدا الا ان ما نعده من تمام القول لننصرنكم لكاذبون معهم لا ينصرونهم للعطف بينها الادبار بالقسم لا ينصرون من الله لا يفقهون جدر شديد شتى لا يعقلون لتعلق الكاف بلا يعقلون اقتحم ذلك اي مثلهم كمثل امرهم لاختلاف الجملتين الى لما قلنا اكفر العالمين فيها الظالمين لغد لاعتراض حضوص بين العومين اي ان لم تتق الله كما حصكم ولتنظر لغد لها نفس واحسنكم واتقوا الله تعلمون انفسهم الفاسقون الجنة الاولى الفائزون من خشية الله يتفكرون الا هو لاحتمال كون ما بعده خبر مبتدا محذوف والشهادة لاحتمال كون الضمير بدلا من عالم او مبتدا الرحيم الا هو لما قلنا المتكبر يشركون الحسنى والارض الحكيم **التفسير** قال المفسرون صالح بني النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غلب المسلمون يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة فامر النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخا كعب من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فارسل اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فذهبوا الى اريحا واذرعات من الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله لاول الحشر يعني الوقت كقولك جئت ليوم كذا او هم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام فمعنى الحشر اخراج الجمع من مكان الى مكان ومعنى الاولية انه لم يصبهم قبل ذلك مثل هذا الذي لانهم كانوا اهل منعة هذا قول ابن عباس والاكثرين وقيل هذا اول حشرهم وآخر حشر يحشر الناس للساعة الى ناحية الشام كما جاء في الحديث نار تخرج من المشرق فتسوق الناس الى المغرب قاله قتادة وقيل آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل معناه لاول حشرهم لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الكشاف الفرق بين النظم الذي جاء عليه وبين قول القائل وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم هو ان في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على انهم اعتقدوا في انفسهم ومنعتها بحيث لا يمكن لاحد ان يتعرض لهم ثم ثلث حاصل كلامهم ان الحشر ومعنى اتاهم الله اتاهم امره وهو النصر ان عاد الضمير الى المومنين او العذاب ان عاد الى اليهود وهذا اظهر ليناسب قوله في قلوبهم ولاستعمال القرآن نظيره في مواضع اخر في معرض التهديد هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك ومعنى لم يحتسبوا انه لم يخطر ببالهم قتل كعب على يد اخيه وقذف الرعب

في قلوبهم وهذا من خواص نبينا صلى الله عليه وسلم كما مر في آل عمران سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وفي لفظ القذف زيادة تاكيد ولهذا قال الراغب في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه قال القراء يخربون بالتشديد يهدمون والتخفيف يخرجون منها ويتركونها وكان ابو عمرو يقول الاخراب ان يترك الشيء خرابا والتخريب الهدم ونحن نصحح ما قاله ابو عبيدة وغيره من ان معناهما واحد الا ان في بعض الكلام يخرب خربه واخربه حسنه الله واحسنه قال المفسرون انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا مساكنهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قلت يحتمل ان بعض التخريب لسد افواه الازقة بالخشب والحجارة ولينقلوا ما اراد حمله من جيد الخشب والساج واما المومنون فداعيهم الى ذلك ازالة تحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم بايدي المومنين انهم كانوا السبب فيه وانهم عرضوا المومنين لذلك ثم امر اهل الابصار الباطنة بالاعتبار وصل العبور والمجاوزة من شيء الى شيء ومنه العبرة لانها تنتقل من العين الى الخد والتعبير لانه ملحقه ينتقل من المتخيل الى المعقول والعبارات لانها تنقل المعاني من لسان القائل الى فهم المستمع والسعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه والقايس يعرض المقيس ومعنى الاعتبار في الآية انهم اعتمدوا على حصونهم وعدتهم فاسر الله دار باب العقول ان ينظروا في حالهم ولا يعتمدوا على شيء غير الله او المراد ان يعرف الانسان عاقبة الكفر والغدر والطعن في النبوة فان اولئك اليهود وقعوا بشوم الغدر والكفر في البلاء والجلاء واعترض بانه رب شخص غدر وكفر وما عذب في الدنيا ورب ممتحن مبتلى وهو بحق او ولي واجيب بان حاصل القياس والاعتبار يرجع الى ان القادر الكامل معذب اعداءه اما بالتخريب او بالقتل او في الدنيا او في الآخرة وبالعكس لا يلزم وقيل معنى الاعتبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم ان يورثهم ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما وعد فدل على صحة نبوته والجلاء ان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا فيهم منهم ديار وهذا عندهم اشد من الموت فلهذا قال ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل ولهم في الآخرة بعد ما عاينوا في الدنيا عذاب النار ذلك التخريب او الجلاء او العذاب بسبب مخالفتهم وتغضبا لهم الله ورسوله قالت الفقهاء وفيه دليل على ان تخصيص العلم المنصوص لا يقدح في صحتها فليس انما حصلت هذه المشاقة حصلت للتخريب وذي انه صلى الله عليه وسلم حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المومنين من ذلك شيء فانزل الله تعالى ما قطعتم محله نصب ومن لينة بيانه كانه قيل اي شيء قطعتم اللينة وهي النخل من الالوان ما خلا العجوة والبرنية وقال في الاصل لونة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقيل هي النخلة الكريمة من اللين فتكون الياء اصلية فبين الله تعالى ان ذلك جائز لغيظ القلوب الكفرة واخزاء الفساق وبها جوزوا هدم حصون الكفار وقطع اشجارهم وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي انه نخلتان كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسال نبيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه انت قطعتها غيظا للكفار وقد يستدل بها على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم على انه مجتهد مصيب في قوله وما افاء ادخل العاطف ههنا دون الاخرى لانه ليس بيان ولعله فيهي عن اجنبيه عنها والاولى معطوفة على ما قبلها ومعنى افاء جعله فيا من فاء اذا رجع ذلك لرجوعه من ملك الكفار الى ملك المسلمين والايجاف من الوجيف وهو السير السريع فما اوجفتم عليه اي على ما افاء والركاب ما يركب من الابل واحدتها راحلة لا واحد لها من لفظها ونقل ما يطلق العرب الراكب الا على راكب البعير بين الله سبحانه الفرق بين الغنيمة والفيء حين طلب الصحابة ان يقسم اموال اولئك اليهود بينهم اعترض بعضهم بان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقتلوا ثم صولحوا على الجلاء فوجب ان يكون تلك الاموال من الغنيمة لا من الفيء واجاب المفسرون من وجهين الاول انها لم تنزل في بني النضير وانما نزلت في فدك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على نفسه وعلى عياله من غلة فدك ويجعل الباقي في السلاح والكراع الثاني نسلم انها نزلت فيهم ولكن لم يكن للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا على ارجلهم ولم يركب الا رسول الله وكان على جمل فلما كانت المقاتلة قليلة ولم يكن خيل ولا ركاب اجراه الله مجرى ما لم يكن فيه قتال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال الواحدي الذي مضى ما في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله وكذا خمس الباقي والاسهم الاربعة من خمس الباقي لذي القربى بني هاشم والمطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيه قولان احدهما انه للمترصدين للقتال في الثغور لانهم قاموا مقام

الله صلعم في رباط الثغور والثاني من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر الاهم فالاهم بعد في الاربعة الاخماس
التي كانت له واما السهم الذي كان له من خمس الخمس التي فانه لمصالح المسلمين بلا خلاف وقد مر سابقا ما يتعلق بقسمة الغنائم في سورة
الانفال ثم بين الغرض من قسمة الفيء على الوجه المذكور فقال كيلا يكون دولة قال المبرد هي اسم للشيء الذي يتداوله الناس
بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة كالعرفة اسم ما يعترف والدولة بالفتح انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم وقال الحسن بالضم
الاثنان اي يدور من الحد يقال دالت له الدولة فعلى قول المبرد معناه كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء وعلى قول جار الله كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها ... الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون
الفيء دولة جاهلية كان الرؤساء منهم يستأثرون بالغنائم لانهم اهل الرياسة والجد والغلبة فكانوا يقولون من عز بز ومنه
قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به ومنها على كان التامة فالمعنى كيلا
يقع شيء متعاور بينهم غير خارج الى الفقراء او كيلا يقع دولة جاهلية وليقطع اثرها قوله وما آتاكم الرسول الاية ثم لما خصص
قسم الغنائم بان على المؤمنين ان يرضوا بما يعطيهم الرسول منها والاوجه عند المحققين العموم فكلمة للفقراء بدل من
قوله ولذي القربى الى اخر الاصناف الاربعة ولا يجوز ان يكون ابتداء البدل من قوله لله لانه مخل بتعظيم الله على ظاهر اللفظ
وان كان المعنى للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ايضا ان يكون الابتداء من قوله وللرسول لانه عليه السلام ارفع عن الفقراء
بقوله وينصرون الله ورسوله ليرتفع منصبه عن التسمية بالفقير ولئن صح انه صلعم قال الفقر فخري فهو الفقر الى الله وهو
تخلي القلب وانقطاع التعلق عما سوى الله ويجعل الهموم هما واحدا وهو الاهتمام بالكلية الى الله استدل بعض العلماء
بقوله اولئك هم الصادقون على امامة ابي بكر لان هؤلاء المهاجرين كانوا يقولون له يا خليفة رسول الله فلو لم تكن خلافته
حقا لزم كذبهم وهو خلاف الاية وقال الكشاف اراد صدقهم في ايمانهم وجهادهم قوله والذين تبوؤا معطوف على
المهاجرين وكذا قوله والذين جاؤوا وذلك عند من يجعل الغنائم حلا للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان او التابعين
لهم الى يوم القيامة وعلى هذا يكون قوله يحبون يقولون حالين اي الغنائم لهم محبين قائلين ومن جعل المراد بيان غنائم بني
النضير وتفرغ على هم الصادقون المفلحون جعل الفعلين خبرين وعلى هذا يكون الايات ثناء للانصار على الايثار وللتابعين
على الدعاء قال مقاتل اثنى على الانصار حين طابت انفسهم عن الفيء اذ جعله للمهاجرين دونهم وههنا سؤالان احدهما
انه لا يقال تبوؤا الايمان الثاني يقتضي التسليم ان الانصار تبوؤا الايمان قبل المهاجرين والجواب عن الاول ان المراد
تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او هو مجاز عن تمكنهم واستقامتهم على الايمان كانهم جعلوه
مستقرا لهم كالمدينة وهو مجاز بالنقصان والمعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف
اليه وحذف المضاف من الثاني او سمى المدينة بالايمان لانها مكان ظهور الايمان وهو تجوز لا بالحقيقة الى الوجه الذي تقدم
وعن الثاني ان المراد من قبل هجرتهم او هو من تمام تبوؤا الدار ولا شك ان الانصار سبقوهم في ذلك وان لم يسبقوهم في
الايمان ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حسدا وغيظا مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره واطلاق لفظ الحاجة على الحسد
والغيظ والحرارة من اطلاق اسم اللازم على الملزوم ولان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة وقال جار الله المحتاج اليه
يسمى حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة وهي من خصاص
البيت اي فرجة وكل خرق في منخل او باب او سحاب او برقع فهي خصاص الواحد خصاصة ومفعول يؤثرون محذوف
اي يؤثرونهم ويخصونهم باموالهم ومنازلهم على انفسهم وعن ابن عباس ان النبي صلعم قال للانصار ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من دياركم واموالكم وقسمت لكم من الفيء كما قسمت لهم وان شئتم كان لهم القسم ولكم دياركم واموالكم فقالوا
لا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم بها فنزلت والشح اللؤم الذاتي الذي تقتضيه الحالة
النفسانية ولهذا اضيف الى النفس والبخل المنع المطلق من غير ضرورة تقتضيه وملكه قال ابن زيد من لم يأخذ شيئا
نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقي شح نفسه وذكر المفسرون انها في ابي طلحة الانصاري اضاف الضيف
بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف والظاهر انها نزلت في الفيء كما مر ويدخل فيه غيره والذين جاؤوا من بعدهم اي جاؤوا
بعد المهاجرين الاولين وقيل هم التابعون لهم باحسان الى يوم الدين فيشمل الايات الثلث جميع المؤمنين ثم عجب من احوال
اهل النفاق من اهل المدينة كعبد الله بن ابي وعبد الله ابن نبتل وجماعة بني النضير كانوا في الظاهر من الانصار ولكنهم يوالون

اليهود

١١١

اليهود في السر فصلحوا اخوانهم في الكفر وقالوا لهم لا نطيع في قتالكم او خذلانكم احدا ثم يشهد الله عليهم بانهم كاذبون
ثم اكد ذلك قائلا لئن اخرجوا الى قوله ولئن نصروهم وهذا على سبيل الفرض لانه تعالى كما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان
كيف يكون والمعنى لو فرض نصر المنافقين اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي لا يمنعهم من عذاب الله
مانع لظهور كفرهم وقيل لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين وعلى هذا يكون ثم لترتيب الاخبار لقوله ثم اهتدى
ثم بين الحكمة في العزة فقال لانتم اشد رهبة قال في الكشاف اي مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله في صدورهم
دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وخوفا شديدا ومخافتكم في السر اشد من ذلك لانهم لا يتقون
عظمة الله فلا يخشونه حق خشيته ويحتمل ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله وكانوا يستحيون
المسلمين مع اضمار الخيفة في صدورهم قلت الاظهر ان المراد لا ترتيبهم اكثر مكانه من مواعظ الله او لنزاهة جهادكم معهم
او منهم نهوة رهبتهم بعقاب الله وذلك بانهم قوم لا يفقهون سر التكاليف وتبعة الكفر والعقاب في الاخرة فلا يتقون
الا خوفا من العقوبة العاجلة ومن هذا اخذ عمر ثم قال ما يزع السلطان اي يمنع الكفر مما يزع القرآن وقال المتنبي
السيف اصدق انباء من الكتب وقيل العبد لا يردعه الا العصا ثم شجع المسلمين بقوله لا يقاتلونكم اي لا يقدرون على قتالكم
مجتمعين الا في قرى محصنة غاية التحصين او من وراء جدار لا يبارزون مكشوفين في الاراضي المستوية باسهم بينهم شديد
لا بينكم لانكم منصورون بنصرة الله مؤيدون بتاييد الله او لانهم يحسبون في انفسهم وفيما بينهم اموة يعلم الله انها لا
تنفع في الخارج على دينهم تحسبهم وعن ابن عباس معناه بعضهم لبعض عدو ويؤيده قوله تحسبهم جميعا مجتمعين
ذوي الالف ومحاب وقلوبهم شتى متفرقة وهي فعلى من الشت وانما قال ههنا ذلك بانهم قوم لا يعقلون وفيما
قبل لا يفقهون لان الفقه معرفة ظاهر الشيء وغائله فنفى عنهم ذلك كما قلنا والمراد ههنا انهم لو عقلوا لاجتمعوا على الحق
ولم يتفرقوا فتشتتهم دليل عدم عقلهم لان العقل يحكم بان الاجتماع معين على المطلوب والتفرق يوهن القوى ولا سيما اذا
كانوا مبطلين ثم شبه حالهم بحال من قبلهم فقال قريبا قال جار الله انتصب قريبا بمحذوف اي كوجود
مثل اهل بدر ... قلت لا يبعد ان يتعلق بصلة الذين ثم ضرب مثلا اخر لاغراء المنافقين اليهود على القتال ووعدهم
اياهم النصر والمراد اما عموم دعوة الشيطان للانسان الى الكفر واما خصوص اغراء ابليس قريشا يوم بدر كما مر في
الانفال في قوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان الى قوله اني بريء منكم قال مقاتل فكان عاقبة اليهود والمنافقين مثل عاقبة
الشيطان والانسان حين صارا الى النار قال جار الله كرر الامر بالتقوى تاكيدا او لان الاول في اداء الواجبات لانه قرن بما هو
عمل والثاني في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد وسمى القيامة بالغد تقريبا لمجيئها عن الحسن لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد وقيل جعل مجموع زمان الدنيا يوما والاخرة غدا قال اهل المعاني تنكير نفس للتقليل كما مر في الوقف وتنكير
غد للتعظيم والتهويل قال مقاتل نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم حتى لم يسعوا لها بما ينفعها عند الله يوم القيامة من الاهوال
بما نسوا في انفسهم قلت يجوز ان يراد نسوا فنسيه انفسهم ويحتمل ان يراد نسوا ذكر الله فادى ذلك الى القسوة وفساد الاستعداد
بالكلية فيحيي نهى المؤمنين عن كونهم مثل الناسين الغافلين وذكرهم بانه لا استواء بين الفريقين وفيه تنبيه في ع
العصاة كانهم غفلوا عن هذا الواضح المبين كما يقول لمن يعق اباه هو ابوك استدل اصحاب الشافعي بالاية على ان المسلم لا يقتل
بالذمي والا استويا وان الكافر لا يملك مال المسلم بالقهر والا استويا واحتج بعض المعتزلة بها على ان صاحب الكبيرة لو دخل الجنة
وهو من اهل النار لزم خلاف الاية والجواب ظاهر لانه على تقدير امكان العفو لا يحكم بانه من اهل النار ثم عظم امر
القرآن الذي يعلم منه هذا البيان قال في الكشاف هو تمثيل وتخييل بدليل قوله وتلك الامثال يعني هذا وغيره من
امثال التنزيل وقال غيره المعنى لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم ثم انزل عليه القرآن لخضع وتشقق وعندي لا يبعد
حمله على الحقيقة وقوله وتلك الامثال اشارة الى قوله كمثل الذين كمثل الشيطان لا يستوي وكما وصف القرآن بما وصف عظم
شانه بوجه اخر وهو التنبيه على اوصاف منزله وقد سبق شرح اكثر هذه الاسماء في هذا الكتاب ولا سيما في البسملة
والقدوس مبالغة القدس وهو البليغ في الطهارة عما يستقبح وهذا بالنسبة الى زمان الماضي والحال والسلام اشارة
الى كونه سالما عن الآفات والعاهات والنقائص في زمان الاستقبال ويحتمل ان يراد انه المعطي للسلامة والمؤمن الواهب
الامن او المصدق لانبيائه بالمعجزات وقد مر معنى المهيمن واصل اشتقاقه في المائدة في قوله ومهيمنا عليه وان معناه الرقيب

الحافظ لكل شي ملكان فداد هذه الاوصاف كبر قوله يسبح له الخ السورة من عزته كان منزها عن النقائص لاجل التسبيح من حكمته امر المكلفين في السموات والارض بان يسبحوا له ليرجع عليه لا يرجع هو عليهم وهو تعالى اعلم بمراده

سورة الممتحنة ثلاث عشرة آية مدنية حروفها الف وخمسمائة وعشر كلمها ثلثمائة وثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون

يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور

القراءة يفصل ثلاثيا معلوما عاصم غير المفضل وسهل ويعقوب يفصل بالتشديد حمزة وعلي وخلف مثله ولكن مجهولا ابن ذكوان الآخرون ثلاثيا مجهولا في ابراهيم كنظائره اذ تولوهم بتشديد التاء البزي وابن فليح تمسكوا بالتشديد ابو عمرو وسهل ويعقوب **الوقوف** من الحق لان ما بعده يحتمل الحال من ضمير كفروا والاستئناف بالله ربكم مرضاتي اعلنتم السبيل تكفرون اولادكم لاحتمال تعلق الظرف وقد تعلق باذكر محذوفا باسوة من دون الله لان ما بعده مستأنف في النظم وان كان متصلا في المعنى من نفي المصير لنا ربنا للابتداء وبان مع ان التقدير فانك الحكيم الآخر الحميد مودة قدير رحيم اليهم المقسطين تولوهم للشرط مع العطف الظالمون فامتحنوهن بايمانهن الكفار لهن وانفقوا اجورهن ما انفقوا حكم الله بينكم حكيم انفقوا مؤمنون لهن الله رحيم القبور **التفسير** يروى ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلعم بالمدينة وهو يتجهز لفتح مكة فعرضت حاجتها فحث بني عبد المطلب على الاحسان اليها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة هذه نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وعمر وفرسانا آخرين وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلعم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها فقال رسول الله لحاطب ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم ونزلت السورة

ويلقون مستانف او حال من ضمير لا تتخذوا او صفة لاولياء ولا حاجة الى الضمير البارز وهو انتم ان جرى على غير من هو له
لان ذلك في الاسماء دون الافعال كما لو قلت مثلا اولياء ملقين انتم والالقاء عبارة عن الايصال التام والباء في بالمودة
اما زائدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم او للسببية ومفعول يلقون محذوف معناه يلقون اليهم اخبار الرسول بسبب المودة
وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم تاكيد متعلق بلا تتخذوا وجوابه مثله وانتصب
جهادا وابتغاء على العلة اي ان كنتم خرجتم من اوطانكم لاجل جهاد عدوي ولابتغاء مرضاتي فلا تتولوا اعدائي
وقوله تسرون مستانف والمقصود انه لا فائدة في الاسرار فان علام الغيوب لا يخفى عليه شيء من اخطاركم ثم نبه على وجه اخر
وهو انهم ان يظفروا بكم اظهروا العداوة ونقضوا عهدكم بكل سوء باللسان والسنان قال علماء المعاني انما عطف قوله وودوا
وهو ماض على تقديره وهو مضارع تنبيها على ان ودادتهم كفركم اسبق شيء عندهم لعلمهم ان الدين اعز على المؤمنين
من الارواح والاموال واهم شيء عند العدوان يقصد كل شيء عند صاحبه ثم بين خطاراتهم من وجه اخر وهو ان الموادة اذا لم تكن
لله لا ينفع في القيمة لانفصال كل اتصال يومئذ كما قال يوم يفر المرء من اخيه الاية فيجوز ان يكون الفصل بمعنى القضاء
والحكم ثم ذكر ان وجوب البغض في الله وان كان اخاه او اباه اسوة في ابراهيم والذين امنوا معه حيث جاهروا
قومهم بالعداوة والموالاة والمناداة مضافات والمقتضى معه استثنى الا قول ابراهيم من قوله اسوة كانه قال حق عليكم
ان تاسوا باقوالهم الا هذا القول الذي هو الاستغفار كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين اما
قوله وما املك لك من الله من شيء فليس بداخل في حكم الاستثناء لانه قوله حق وانما اورده اتماما لقصة ابراهيم مع ابيه
وقال في الكشاف هو مبني على الاستغفار وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما طاقتي الا الاستغفار ثم امر المؤمنين
بان يقولوا ربنا عليك توكلنا الاية ويجوز ان يكون من تتمة قول ابراهيم ومن معه وفيه مزيد توصية ثم اكد الامر بالائتساء
بقوله لقد كان فادخل لام الابتداء وابدل من قوله لكم لمن كان يرجوا وختم الاية بنوع من الوعيد ثم اطمع المؤمنين فيما
يتمنون من تبدل العداوة بالمودة والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال والله غفور رحيم لمن والاهم
قبل النهي ولمن اسلم من المشركين ففعل ذلك الله يوم فتح مكة اسلم كثير منهم ثم بينهم التحابب والتصافي ولما نزلت هذه الايات
تشدد المؤمنين في عداوة اقاربهم وعاداهم فقال لا ينهاكم الله فقوله ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذا قوله
ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن تولي هؤلاء ومعنى تقسطوا اليهم تحسنوا اليهم وتطعموهم مما تملكون من
طعام وغيره وعدى بالى لتضمنه معنى الاحسان وقال في الكشاف تقضوا اليهم بالقسط اي العدل ولا تظلموهم قيل اراد بهم
خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلعم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة وقيل هم النساء و
الصبيان وعن قتادة نسختها اية القتال قال المفسرون ان صلح الحديبية دار على ان اتاك من اهل مكة رد اليهم
ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلعم
بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا
من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية وكانت بيانا
لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلعم وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا
امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلعم من
الشرط مثل ذلك فاستحلفها رسول الله صلعم لقوله تعالى فامتحنوهن فحلفت فاعطى زوجها ما انفق ثم تزوجها عمر وفائدة قوله
الله اعلم بايمانهن انه لا سبيل لكم الى ما تسكن اليه النفس من اليقين الكامل لانهم تختبرونهن بالحلف والنظر في سائر
الامارات التي لا تفيد الا الظن واما الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما تفرد به علام الغيوب فان علمتموهن مؤمنات العلم
الذي يبلغ طاقتكم وهو الظن الغالب فلا ترجعوهن الى ازواجهم الكفار مثل ما انفقوا اشارة الى ما دفعوا اليهن من المهور لم يبق
عنهم الحرج في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اعطوهن مهورهن قال العلماء انما يريد بهذا الاجر ما كان يدفع اليهن ليدفعنه
الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجهن على
ذلك لم يكن به باس ولما ابان ان ذلك المدفوع لكونه حق الزوج لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق احتج ابو حنيفة
بالاية على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة

اعزم

على المهاجرة وينكح نكاحا الا ان يكون حاملا لا تمسكوا بعصم الكوافر وهي ما يعتصم به من عقد وسبب قال ابن عباس المراد
من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وحل عقدتها وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار
الحرب فتكفر وقال مجاهد هو امر بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسالوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار
وليسالوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات امر المؤمنين بالاداء ثم امر الكفار بالسؤال وهذه غاية العدل ونهاية الانصاف
ثم اكد ما ذكر من الاحكام بانها حكم الله قال جار الله يحكم بينكم كلام مستانف حال من حكم الله على حذف العائد اي يحكم الله
او جعل الحكم حاكما على المبالغة يروى ان بعض المشركين ابوا ان يردوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فانزل الله تعالى
وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن قال اهل المعاني فائدة ايقاع شيء في هذا التركيب التغليظ في الحكم
والتشديد فيه اي لا ينبغي ان يترك شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه ويجوز ان يراد وان فاتكم شيء من مهور ازواجكم
ومعنى تعاقبتم جاءت عقبتكم من اداء المهر والعقبة النوبة شبه اداء كل طائفة من المسلمين والكافرين المهر الى صاحبها
بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا اي مثل مهر هاتين من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر وقال الزجاج معنى تعاقبتم فاصبتموهم في القتال بالعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان
يعطى من الغنيمة المهر قال بعض المفسرين جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت
ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع
بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابي جهل
كانت تحت هشام ابن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر اعطاهم رسول الله صلعم مهور نسائهم من الغنيمة وفي
قوله واتقوا الله ندب الى سبيل التقوى ورعاية العدل ولو مع الكفار ثم نبه نبيه صلعم شروط المبايعة وهي المعاهدة
على ما يقع عليه اتفاق الاسلام والامارة والامانة والمراد بها المعاهدة على الاسلام واعطاء العهود به وشرائطه
وقتل الاولاد وأد البنات وكانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها
ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه هو بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين وقيل البهتان في الاية الكذب والغيبة
والمشي بالسعاية مختلقة من تلقاء انفسهن وقيل قذف المحصنين والمحصنات وقيل السحر والنوبة وقيل هو ان تحتمل الولد
من غير زوجها فتلحقه وقال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله تعالى للنساء والمعروف
كل ما ندب اليه الشرع ونهي عنه من المحسنات والمقبحات واختلف في كيفية مبايعته اياهن فقيل دعا بقدح من ماء
فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب وقيل كان عمر يصافحهن عنه وعن عائشة ما مست يد
رسول الله صلعم يد امراة لا يملكها انما كان كلاما وعن امية بنت رقيقة قالت اتيت رسول الله صلعم في نسوة من
الانصار نبايعه على الاسلام فقلنا نبايعك على ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان
نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما استطعتن واطقتن فقلنا
الله ورسوله ارحم منا بانفسنا هلم نبايعك يا رسول الله فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة امراة وانما
يروى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود طمعا في ثمارهم فنزلت لا تتولوا قوما الاية وسبب ياسهم من الاخرة علمهم
بصحة نبوة الرسول صلعم عنادا كما يئس الكفار من موتاهم ان يرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار
لانهم ايسوا من خير الاخرة ولكن معرفة المعبود بالحق كانهم موتى والله اعلم بالصواب

لمائة

سورة الصف اربع عشرة اية مدنية كلماتها مائتان واحدى وعشرون حروفها تسعمائة وستة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا

لا تفعلون إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص
وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ وإذ قال عيسى ابن مريم يا
بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۝
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا
يهدي القوم الظالمين ۝ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون ۝ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم ۝ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۝
وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۝ يا أيها الذين آمنوا
كونوا أنصارا لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ۝

القراءة ولعوا بالامالة مثل ادعي الحمص بعدي بفتح الياء ونافع وابن كثير وابو عمرو وحماد وابو بكر عن الفضل متم نوره بالاضافة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف وحفص الاخرون بالتنوين ونصب نوره تنجيكم بالتشديد ابن عامر انصارا لله بالتنوين لله جار ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الباقون بالاضافة انصاري الى الله بالفتح كما مر في آل عمران **الوقوف** وما في الارض الحكيم تفعلون مرصوص اليكم قلوبهم الفاسقين نصف الجزء احمد مبين الاسلام الظالمين الكافرون المشركون اليم وانفسكم تعلمون لا لان قوله يغفر لكم جواب تؤمنون على انه خبر في معنى الامر عدن العظيم للعطف تحبونها لحق

الحذف اي هي نصر قريب لانقطاع النظم واختلاف المعنى المؤمنين الى الله وكفرت طائفة لاتفاق الجملتين مع تخصيص التائب
ببيان حال احد الفريقين ثم هو من **التفسير** يروى ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله
لعملناه فدلهم الله على الجهاد فولوا يوم احد فعيرهم وروي ان الله تعالى حين اخبر بشهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه
وسعينا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن فانزل الله لم تقولون واللام الجارة اذا
دخلت ما الاستفهامية سقطت الالف لكثرة الاستعمال وقد عرفت مرارا ان خصوص سبب النزول لا ينافي عموم الحكم فهذا
التعيير يتناول اخلاف كل وعد وقال الحسن نزلت في الذين آمنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم عظم امر الاخلاف في قلوب السامعين
فقال كبر الاية وفيه اصناف من المبالغة من جهة صيغة التعجب والتعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله
من جهة اسناد الفعل الى ان يقولوا ونصب مقتا على تفسيره وقيل ان المقت اشد البغض ومن قبل وصفه بانه عند الله
لان الممقوت عنده ممقوت عنه كل ذي لب ثم حث على الجهاد بنوع آخر وذلك انه سبب ولا ترك الجهاد بعد تمنيه اي المقت
ثم نسب الجهاد الى الحب وانتصب صفا على المصدر بمعنى الحال وقوله كأنهم مع الاول حالان متداخلان الى صافين انفسهم
او مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض وصف وجوزوا ان يراد رص معنوي وهو
اتفاق كلمتهم واستواء نياتهم في الثبات وعلى الاول استدل بعضهم به على فضل القتال راجلا بناء على ان الفرسان لا
يصطفون من غير فرجة ثم ذكر قصة موسى مع قومه لئلا يفعلوا بنبيهم مثل ما فعلوا بنو اسرائيل به وتفسير الايذاء مذكور
في آخر الاحزاب وسائر اصناف الايذاء اما من عبادة العجل وطلب الرؤية والالتماسات المنكرة مشهورة وقد تعلمون
في موضع الحال وفائدته تأكيد العلم لا تقليله وفيه اشارة الى نهاية جهلهم اذ عكسوا القضية ووضعوا مكان تعظيمهم رسول
الله ايذاءه فلما زاغوا الميل عن الحق ازاغ الله الامالة وكأنهم نسبوا لم يريد الانحراف عن الجادة والطاعة نحو الطاعة والمعصية
الى المعصية قال بعض العلماء انما قال موسى يا قوم وعيسى قال الحواريين قوله مصدقا ومبشرا حالان والعامل فيهما معنى الارسال في الرسول
فلا يجوز ان يكون اليكم عاملا لانه ظرف لغو عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل قوله
وهو يدعى الى الاسلام تقريرها مر في قوله وقد تعلمون اني رسول الله فيها كل منهما تعكيس القضية ان جعل مكان
اجابة النبي الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين افتراء الكذب على الله وهو قوله للمعجزات هي سحر لان السحر كذب
وتمويه ولهذا عرف الكذب خلاف ما حر العنكبوت ثم عرضهم من الافتراء بقوله يريدون ليطفئوا نور الله ولهذا خص
هذه السورة باللام كأنه قال يريدون الافتراء لاجل هذا الغرض واما في سورة براءة فاوقع فعل الارادة على الاطفاء
فقال يريدون ان يطفئوا وقال في الكشاف اللام تأكيد لفعل الارادة كما زيدت اللام في لا اباك لتأكيد معنى الاضافة
وما في الاية سبق تفسيره في براءة وانما قال ههنا والله متم نوره لمكان الفصل بالعلة كأنه قال يريدون الافتراء لغرض
المقابلة واجحاده ان الله متم نوره واما هناك فانه عطف قوله ويأبى الله على قوله يريدون ثم دل اهل الايمان على
التجارة الرابحة عن وجدان الثواب على العمل كما قال ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم قال اهل المعاني فائدة
ايقاع الخبر موقع الامر هي التنبيه على وجوب الامتثال فكأنه امتثل فهو يخبر به وقال الفراء ان قوله يغفر جواب
هل ادلكم وتأويل ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد كأنه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد
يغفر لكم ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم لان نتيجة الخير انما تحصل بعد اعتقاد كونه خيرا
ثم قال ولكم الى هذه النعمة الآجلة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وهو فتح مكة كما قال واثابهم فتحا قريبا وعن الحسن فتح
فارس والروم قال في الكشاف في قوله تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل وعندي انه سبحانه رتب امرين
على امرين المغفرة وادخال الجنة على الايمان والنصر والفتح على الجهاد ومحبة النصر من الله والفتح القريب لا يقتضي التوبيخ
وانما ذلك مطلب كل ذي لب ودين وقد قال في قوله وبشر انه معطوف على تؤمنون لانه بمعنى الامر والاظهر عند علماء
المعاني انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الذين آمنوا يريد تقدير قل قوله هل ادلكم فان نسبة هذا الاستفهام
الى الرسول اولى من نسبته الى الله سبحانه على ما لا يخفى قوله كونوا انصار الله اي اعوان دينه كما قال عيسى فانه لا يبعد على
الظاهر لان الكون انما يشبه القول لان الكون وجهه ان يحمل التشبيه على المعنى وبيانه ان كون الحواريين انصار الله

يعرف من بيان الله لان ما بعدها وهو قال الحواريون نحن انصار الله وارد بطريق الاستيناف كان سائلا سال فاذا قال الحواريون
حينئذ فاجيب بما اجيب به قولهم لا يخالف كونهم فيقول معنى الاية الي قول القايل كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصار
عيسى حين قوله من انصاري على ان ما مصدرية والمصدر يستعمل مقام الظرف اتساعا كقولك جيتك مقدم الحاج و
النجم اي وقت القدوم والخفوق والبي في العدول عن العبارة الواضحة الى العبارة الموجودة وهو انسوق الكلام بطريق الكناية
حيث جعل المشبه به لازم وهو المشبه به ابلغ من التصريح وان بنا الكلام على السوال والجواب اوكد وبيان المجاز وهو
استفاد كونهم عن قولهم ابلغ في الحقيقة ولعل في الاية اسرار اخر لم نطلع عليها ومعنى غالبين عن زيد بن علي كانظهورهم بالحجة

سورة الجمعة احد عشر اية مدنية لحروفها سبعمائة وثمانية واربعون كلمها مائة وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

القراءة لمثل الحمار والتورية بالامالة قد سبق ذكرها **الوقوف** وما في الارض الحكيم مبين للعطف اي وفي اخرين
او يعلم اخرين منهم الحكيم من يشاء العظيم اسفارا بايات الله الظالمين صادقين ايديهم بالظالمين يعلمون البيع يعلمون
تفلحون قائما التجارة الرازقين **التفسير** في الاميين منسوب الى امة العرب او الى ام القرى وقد مر سائر الوجوه في الاعراف
في قوله النبي الامي وباقي الاية مذكور في البقرة وال عمران والمراد باخرين التابعون وحدهم او مع تبع التابعين الى القيمة ثم
شبه اليهود الطاعنين في نبوة محمد صلعم مع انهم حملة التوراة وحفاظها العارفون بما فيها من نعت نبي اخر الزمان بالحمار
الحامل للاسفار الكتب الكبار لانه لا يدري منها الا ما يمر بجنبه من الكد والتعب ومعنى حملوا كلفوا العمل بما فيها فيحمل
حرصفة للحمار كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وهذا مثل كل من علم علما يتعلق بعمل صالح ثم لم يعمل به ثم ذم مثلهم
بقوله بئس مثلا مثل القوم وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباوه فقيل لهم ان كان قولكم حقا فتمنوا الموت وذلك ان كلمتها
للنفي الان لن ابلغ وهي لنفي الاستقبال وكانت دعوتهم هناك قاطعة بالغة وهي كون الجنة بصفة الخلوص فخص الابلغ
بتلك السورة ثم بين ان الموت الذي لا يجسرون على تمنيه خيفة ان يواخذوا بوبال كفرهم فانه ملاقيهم لا محالة
قال اهل النظم قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث زعموا انهم اولياء الله فكذبهم بقوله فتمنوا الموت وافتخروا بانهم اهل
الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وتلقبوا بالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع لنا الجمعة
قال جار الله يوم الجمعة بالسكون يوم الفوج المجموع كضحكة للمضحوك منه وضم الميم يثقل لها كما قيل عشرة في عشر
ثلث ومما يدل على ان اصلها السكون جمعها على جمع كغرفة وغرف وفي الكشاف ان من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير
له واقول ان اليوم اعم من وقت النداء والعام لابهامه لا يصير بيانا ظاهرا فالاولى ان يكون من للتبعيض والنداء
الاذان في اول وقت الظهر وقد كان لرسول الله صلعم موذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب
المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس زاد موذنا اخر يوذن
على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن الموذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة وعن ابن عباس ان اول جمعة
في الاسلام بعد جمعة رسول الله صلعم بالمدينة لجمعة جمعت بجواثى قرية من قرى البحرين من قرى عبد القيس وروي
ان الانصار اجتمعوا الى زرارة وكنيته ابو امامة وقالوا هلم نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله ونصلي فان لليهود السبت
والنصارى الاحد فاجعلوه يوم العروبة فصلى بهم وحمد بو مبدى ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه
وانزل الله تعالى اية الجمعة فهي اول الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام قبل مقدم النبي صلعم واما اول جمعة جمعها
رسول الله صلعم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا
والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد
فخطب وصلى الجمعة وفضل صلوة الجمعة كثير منها ما ورد في الصحاح عن ابي هريرة اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة
على باب المسجد يكتبون الاول فالاول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة
ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم ويستمعون الذكر وعنه صلعم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي
فتنة القبر وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج
وقيل بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع وهو ما اقيمت
فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام وقد يقال ما يكون فيه نهر جار وسوق قائم ومفت ماهر وطبيب حاذق
وعنده ينعقد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي لا ينعقد الا باربعين متوطنين واعذار الجمعة مشهورة في
كتب الفقه ومعنى السعي القصد دون العدو ومنه قول الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات
والقلوب وعن ابن عمر انه سمع الاقامة وهو في البقيع فاسرع المشي قال العلماء وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه قوله الى ذكر
الله اي الى الخطبة والصلوة وهي تسمية للشيء باشرف اجزائه ومذهب ابي حنيفة انه لو اقتصر على كل ما يسمى ذكرا مثل
الحمد لله وسبحان الله جاز وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة وعن جابر كان رسول الله صلعم يقول
في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ان اصدق الحديث
كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة في النار وعنه ان النبي صلعم كان في

صلوته نضدًا وخطبته نضدًا وعن ابي وائل قال خطبنا عمار فاوجز وابلغ فلما نزل قال اني سمعت رسول الله صلعم يقول ان طول صلوة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاقصروا الخطبة واطيلوا الصلوة وان من البيان سحرا قوله وذروا البيع خاص ولكنه عام في الحقيقة لكل ما يذهل عن ذكر الله وسبب التخصيص ان اهل القرى وتبتد يجتمعون من كل اوب في السوق وتغلب اجتماعهم للبيع والشرى ولا خلاف بين العلما في تحريم البيع وقت النداء وهل يصح ذلك البيع اذا وقع الاكثرون نعم لان المنع غير متوجه نحو خصوص البيع فانما هو متوجه نحو خصوص البيع والشرى ولا خلاف بين العلما في تحريم البيع وقت النداء وهل يصح ذلك البيع ان وقع الاكثرون نعم لان المنع غير متوجه نحو خصوص البيع وانما هو متوجه نحو ترك الجمعة حتى لو تركها بسبب اخر فقد ارتكب النهي ولو باع في غير تلك الحالة لم يصادفه نهي قوله فانتشروا وابتغوا اباحة بعد حظر عن بعض السلف انه كان يستقبل نفسه بعد الجمعة بشي من امور الدنيا امتثالا للاية وعن ابن عباس لم يومروا بطلب شي من الدنيا انما هي عبادة المرض وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن بن سعيد بن مسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع ومعنى قوله واذكروا الله كثيرا اشارة الى ان المراد لا ينبغي ان يغفل عن ذكر ربه في كل حال كما قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن جابر قال بينما نحن نصلي مع النبي صلعم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلعم الا اثنا عشر رجلا فنزلت واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اي تفرقوا اليها وتركوك قائما في الصلوة او في الخطبة وفي رواية وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو فالتقدير اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه يروى انه صلعم قال والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي نارا ثم حث على تجارة الاخرة وعلى تيقن ان لا رزاق بالحقيقة الا هو سبحانه وقد مر مرارا والله اعلم

سورة المنافقون احدعشر اية مدنية غير قوله ليخرجن الاعز منها الاذل كلامها مائة وثمانون حروفها سبعمائة وستة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ

لئن

لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

القراءة خشب بالسكون ابو عمرو وعلي والمفضل وابن مجاهد وابو عون عن قنبل وابا التخفيف نافع والمفضل ويعقوب واكون بالنصب ابو عمرو يعملون على الغيبة يحيى وحماد **الوقوف** لرسول الله لئلا يوهم ان قوله والله يعلم من مقول المنافقين لرسوله لكاذبون لان ما بعده يصلح صفة واستينافا عن سبيل الله يعملون لا يفقهون اجسامهم لقولهم مسندة عليهم فاحذرهم قاتلهم الله للاستفهام مع اتصال المعنى يؤفكون مستكبرون لم يستغفر لهم لن يغفر الله لهم الفاسقين ينفضوا لا يفقهون الاذل لا يعلمون عن ذكر الله للشرط مع الواو الخاسرون قريب لتعلق الجواب الصالحين اجلها تعملون **التفسير** قال علماء المعاني نشهد انك لرسول الله شهادة واطاة فيها قلوبهم السنتهم كما ينبي عنه ان واللام وكون الجملة اسمية مع تصديرها بنشهد شهادة لهم دعوى الشهادة فكذبهم الله تعالى لدلالة على عدم المواطاة وجوز في الكشاف ان يراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه قلت هذا مذهب الجاحظ وانه خلاف ما عليه الجمهور وهو ان مرجع كون الخبر صدقا او كذبا الى طباق الحكم للواقع والى لا طباقه له ولهذا اولى الاية بما اولنا وهو ان التكذيب توجه الى ادعائهم ان قولهم قول عن صميم القلب ومما يدل على ان مرجع كون الخبر صدقا الى ما قلنا لا الى طباقه لاعتقاد المخبر او ظنه والى لا طباقه لذلك الاعتقاد والظن تكذيبنا اليهودي اذا قال الاسلام باطل مع انه مطابق لاعتقاده وتصديقنا له اذا قال الاسلام حق مع انه غير مطابق لاعتقاده ومما يؤيد ما قلنا قوله والله يعلم انك لرسوله المتوسط على التاويل المذكور وانه لو لا ذلك لذهب الوهم الى ان نفس قولهم انك لرسول الله كذب ثم اخبر عن استتارهم بالايمان الكاذبة كما مر في المجادلة وجوز في الكشاف ان يكون اليمين الكاذبة ههنا اشارة الى قولهم نشهد لان الشهادة تجري في افادة التاكيد مجرى الحلف وبه استدل ابو حنيفة على ان اشهد يمين ذلك الذي ذكر من اوصافهم او خلافهم او من التسجيل عليهم بانهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم امنوا باللسان ثم كفروا بالقلب او نطقوا بالاسلام عند المومنين ثم نطقوا بكلمة الكفر اذا خلوا الى شياطينهم ويجوز ان يراد اهل الردة منهم وكان عبد الله بن ابي رجلا جسيما فصيحا وكذا اضرابه من رؤساء النفاق يحضرون مجلس رسول الله صلعم فيستندون فيه وكان النبي صلعم والحاضرون يعجبون بهيا كلهم ويسمعون الى كلامهم فنزلت واذا رايتهم ايها الرسول او يا من له اهلية الخطاب ثم شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام فارغة عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ويجوز ان تكون الخشب اصناما نحتوا من خشب فشبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون وجه التشبيه مجرد عدم الانتفاع لان الخشب المنتفع به هو التي تكون في سقف او جدار او غيرهما واما المسندة الفارغة المتروكة فلا ينتفع بها فلذلك فعلى هذا لا يكون لتخصيص الخشب بالذكر فائدة لاشتراكها في هذا الباب مع الحجر والمدر المتروكين ومن قرا بالخشب جمع خشبة كبدنة وبدن ومحل الجملة رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف فلا محل له قوله عليهم ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبونها واقعة عليهم ضارة لهم لخبثهم وجبنهم والصيحة كنداء المنادي في العسكر ونحو ذلك او هي انهم كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ثم اخبر عنهم بانهم هم العدو اي هم الكاملون في العد

ولان اعدي الاعداء هو العدو المداجي المكاشر منبطنه جانبا اسكاشر صلوعد داولا دواء له ديقال ماذام الناس منذ البلح من قولهم فلان لا صديق له في السر ولا عدو له في العلانية وذلك ان هذه من ابا النفاق فاخذ بهم ولا تغتر بظاهرهم وجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني وعليهم لعودا ما لم يقل هي العدو نظرا الى الخبر او بتاويل اهل كل صيحة قاتلهم الله تعالى دعا عليهم باللعن والاخزاي اي احلهم الله محل من قاتله عدو قاهر ويجوز ان يكون تعليما للمومنين اي ادعوا عليهم يحكي ان رسول الله صلعم لما لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ما لهم وهزمهم وازدحم على الماء جمع من المهاجرين والانصار فاقتتلا فلطم احد فقراء المهاجرين سنانا حليفا لعبد الله بن ابي فبلغ ذلك عبد الله فقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا الا كما قال الاول اسمن كلبك ياكلك اما والله لان رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالاعز نفسه وبالاذل اصحاب محمد صلعم ثم قال لقومه لو امسكتم عن هولاء الفقراء فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولانفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد ابن ارقم وهو حديث فقال انت والله الذليل القليل فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلعم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولما انزل الله تعالى تصديق قول زيد وبان نفاق عبد الله قيل له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله ان يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا ايا ما قلايل حتى اشتكى ومات وقد تقدم قصة هذا المنافق في سورة براءة باكثر من هذه وقد نفى عن المنافقين الفقه اولا وهو معرفة غوامض الاشياء ثم نفى عنهم العلم ثانيا كان لاستالهم الاعلام او بغوله ان معرفة كون الخزاين لله مما يحتاج الى تدبر وتفقه لمكان الاسباب والوسايط والروابط المفتقرة في ربطها من الدين الى مزيد توحيد وكان نظر واما كون العلية والعزة للدين الا بذلك لظهور الامارات وسطوع الدلايل بلغ مبلغا لم يبق في وقوعه شك لمن به ادنى مسكه من عقل قلا جرم ادنى في خاتمة كل اية ما يليق بها وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة البت عز الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر بعده وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها فقال بتيه ولكنه عزة وتلا الاية وحيث المنافقين بما عزمت المومنين على ذكر الله في كل حال بحيث لا يشغلهم عنه التصرف في الاموال والسرور بالاولاد فكل ما سوى الله حقير في جنب ما عند الله فان تصرف في شيء من المال او صرف زمانه في طرف من امر الاولاد فلله وبالله وفي الله وقال الكلبي ذكر الله الجهاد مع رسول الله صلعم وعن الحسن جميع الفرايض وقيل القران وقيل الصلوات الخمس ومن يفعل ذلك اي ومن لم يشغله الدنيا عن الدين ثم حثهم على الانفاق اما على الاطلاق واما في طريق الجهاد واتيان الموت اتيان سلطانه وامارته حين لا يقبل توبة ولا ينفع عمل فيسال الله التاخير في الاجل ليتدارك ما فات ومن له بذلك كما قال ولن يوخر الله نفسا والمعنى هلا اخرت الموت الى زمان قليل فاصدق واكن من قرا بالنصب فظاهر ومن قرا بالجزم فعلى ان الاول مجزوم كانه قال ان اخرتني اصدق واكن وقيل هذا الوعيد لمانع الزكوة والله اعلم واحكم

سورة التغابن ثمان عشرة اية مدنية كلماتها مايتان واحدى واربعون حروفها الف وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ۝ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ۝ خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير ۝ يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ۝ الم ياتكم نبؤا

الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ۝ ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ۝ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ۝ فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير ۝ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ۝ والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ۝ ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ۝ واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين ۝ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ۝ انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم ۝ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۝ ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ۝ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۝

القراءة يوم يجمعكم بالنون روبس الباقون على الغيبة نكفر وندخله بالنون فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الاخرون على الغيبة **الوقوف** وما في الارض لاختلاف الجملتين وله الحمد لنوع الاختلاف قدير لتقديم الخبر على المبتدا في الاولى قدير بصير صوركم لعطف المختلفين المصير يعلنون الصدور من قبل لتناهي الاستفهام الى الاخبار مع صدق الاتصال بالفاء اليم يهدوننا لاعتراض الاستفهام بين المتفقين الله حميد يبعثوا علمتم يسير انزلنا خبير التغابن ابدا العظيم فيها المصير باذن الله قلبه عليم الرسول المبين الا هو المومنون فاحذروهم رحيم فتنة عظيم لانفسكم المفلحون ويغفر لكم حليم الحكيم **التفسير** قال في الكشاف قدم الظرفين في قوله له الملك وله الحمد لمكان الاختصاص وانه لا ملك بالحقيقة الا له ولا مستحق حمد في الحقيقة الا الله قلت لو عكس الترتيب افاد المخصوصية بجواز ان هذا الجنس هذه الطبيعة له من حيث جي كما مر في الفاتحة

هو الذي منكم فمنكم كافر ومنكم مومن بحسب الاسباب الخارجيه كقوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
وكل على ذلك المشبه وقالت المعتزله اراد هو الذي يتفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق فكان يجب عليكم ان تنظروا النظر
والشكر مجتمعين مطيعين لان يتفرقوا الكفر والجحود عليكم ولكان هذه للغلبه فلم الكافر بالعجب من صاحب الكشاف انه مسلم ان في
خلق الكافر قد يكون وجه حسن ولكنه يخفى علينا ولا يسلم ان داعيه الكفر في الكافر قد يكون وجه حسن يخفى عليه وقيل هو الذي
خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهريه ومنكم مومن به وقوله فاحسن صوركم كقوله في احسن تقويم وسيجي في التين ان شا الله العزيز
كل قبيح من الانسان فهو في نوعه كامل الا ان الله تعالى خلق الكل منه من نوعه واحسن فالعبد احكم بذمامته وقبحه ولهذا
قالت الحكماشيان لا غاية لهما الجمال والبيان وحين وصف نفسه بالقدرة الكامله والعلم الشامل اعم ثم اخص ثم اخفى
هدد كفار مكه بحال الامم الماضيه فقال الم ياتكم الايه ذلك الوبال الدنيوي والعذاب الاخروي بانه كان بان الشان كانت اي
كانت القصه وقد مر نظيره في حم المومن البشر فاعل فعل محذوف تفسيره يهدوننا ورجع الضمير لان البشر اسم جمع انما البشر ان يجي
الا بشر ان يجي الا بشر قال اهل المعاني لم يذكر المستغني عنه في قوله واستغنى الله ليتناول كل شي ومن جملته ايمانهم
وطاعتهم قال في الكشاف معناه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان مع قدرته على ذلك وانما ذهب الى هذا التاويل
لئلا يوهم ان وجود التولي والاستغناء معا ويلزم منه ان لا يكون الله في الازل غنيا قلت لو جعل الواو للحال اي وقد كان
الله مستغنيا فيما اورد الحال وجود استغنائه على الاطلاق لم يحتج الى التاويل وقوله زعم من افعال القلوب وفيه تقريع لكفار
مكة لان الزعم ادعا العلم مع ظهور امارات خلافه ويؤيد ما روي عن النبي صلعم انه قال زعموا مطية الكذب وانهم لم يبعثوا في
تقريب مفعولي الزعم مقام المفعولين قال جار الله يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن وبخبير لانه في معنى الوعد كانه قيل والله
معاقبكم يوم كذا وباضمار اذكر قلت يجوز ان يكون يوم مبنيا على الفتح ومحله ابتداء والخبر جملة قوله يوم التغابن سوال
ما الفايده في زيادة قوله ليوم الجمع جوابه ان كان الخطاب في يجمعكم لكفار مكة فظاهر اي اذكر ما وقت جمعكم الواقع
في وقت يجمع فيه الاولون والاخرون وان كان لعموم الناس فلعل اللام في الجمع للعهد الذي سلف في نحو قوله يوم يجمع
الله الرسل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وهذا اما مما
الفكر البالغ والله تعالى اعلم بمراده قال جار الله التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا
لنزول السعداء منازل الاشقيا التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا اشقيا قلت في تسمية القسم الاخير تغابنا نظر الا ان يعرض بنزول الشقي في ذلك المنزل مزيد عذاب للشقي
وزيادة العذاب بسبب تضييق المكان عليه واعتذر عنه جار الله بانه تهكم بالاشقيا لان خسران اهل الحق نقيب منتهي على نزع
الاخر ولا نزع في الحقيقة فيلزم التهكم مثل فبشرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري
مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ويجوز
ان يفسر التغابن باخذ المظلوم حسنات الظالم وحمل الظالم خطايا المظلوم وان صح مجي التغابن بمعنى الغبن فذلك واضح فيحق كل
مقتص صرف شيا من استعداده الفطري في غير المحل لاجله قوله ومن يومن بالله يهد قلبه كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والاول
باللسان والثاني بالجنان اي يهديه قلبه الى حقيقة الايمان وقال جار الله يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير
والتحقيق فيه ان نور الايمان ينبسط كل يوم بسبب الرسوخ والثبات وتكامل اليقينات وتزايد المعارف والطاعة الى ان يستوعب جميع
اجزاء القلب وينعكس منه الى كل الاعضاء والجوارح وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر والله بكل شي عليم يعلم درجات القلوب في الايمان والكمال
الذي مثل الناس وعن الطاعات والكمالات الحقيقيات لا حل صرف الزمان في هذه الامور الازواج والاسباب المعصيه المهن
والمعينه عليهن ثم اولاد الذين هم ثمرات الافئده وحبات القلوب وقرات الاعين بين الله سبحانه ان العاقل لا ينبغي ان يغتر
بالهوى في ذلك ويكون على حذر منهم ومن يكثر هم ويبيع الدين بالدنيا لاصلاحهم فمن الازواج ازواج يعادين بعولتهن ويخاصمن
عدوك هو الذي يعادي معك وهل سلك الوسنانا اذا كان في مضجعة ثم ان دين الاولاد اولاد يعقوب اباهم ويجرعونه الغصص
كما صبروا بابيهم فقطعها مودة في ابناها عيب وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على معاداة فان الله يجازيكم وقد روي ان ناسا ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فهاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا

ازواجهم واولادهم فنزلت وعن النبي صلعم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل
اليهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما وعن بعض
السلف العيال سوس الطاعات فقال بعض اهل التفسير اراد ان امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد ولا
ينبغي ان يمنع المكلف عن طاعة الله امر من ذلك الامر فاتقوا الله مقدار الوسع والطاقة وما الملك او المصدر وقوله خيرا لانفسكم
نصب بمحذوف هو افعلوا او ايتوا وقد مر نظيره في اخر النسا في قوله انتهوا خيرا لكم وفيه اشارة الى ان امتثال هذه الاوامر خير من
المهالك في امر الازواج والاولاد واعظم الذنب واقباب المعصيه لتكثير المال الذي يمنعه من لا يقدم لاجل نفسه شيا يستنقذ به
منه ثم انه مع شدة احتياجه الى ذلك بعد مماته ويوم احلها منه اموا لا عظيمة مع عدم وثوقه بانه هل يكون له انتفاع بها ام لا اللهم اشغلنا
بمن يغنينا عن لا يغنينا

سورة الطلاق ثلاث عشر ايه مدنيه كلامها مايتان وتسع واربعون حروفها الف وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله
ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود
الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل
منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان
يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن
يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع
له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف

اللّه نفساً الا ما آتاها سيجعل اللّه بعد عسرٍ يسراً ۞ وكاين من قرية عتت عن امر

ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ۞ فذاقت وبال امرها

وكان عاقبة امرها خسراً ۞ اعد اللّه لهم عذاباً شديداً فاتقوا اللّه يا اولي الالباب ۞

الذين آمنوا قد انزل اللّه اليكم ذكراً ۞ رسولاً يتلوا عليكم آيات اللّه مبينات ليخرج

الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن باللّه ويعمل صالحاً

يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً قد احسن اللّه له رزقاً ۞

اللّه الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان اللّه

على كل شيء قدير ۞ وان اللّه قد احاط بكل شيء علماً ۞ ۞ ۞

القراءة بالغ امره بالاضافة حفص الاخرون بالتنوين والنصب من وجدكم بكسر الواو روح ندخله بالنون ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل **الوقوف** نصف السبع العدة نفقط الامر الا بيانهم لا لاتصال المعنى مع عدم العطف مبينة وتلك حدود الله نفسه امر الله الامر مخرجا لا يحتسب حسبه امره قدرا انتهى للعطف اي واللاي لم يحضن كذلك لم يحض حملهن يسرا اليكم اجرا عليهن حملهن اجورهن بمعروف اخرى من سعته اتيه الله ما اتيها يسرا نكرا خسرا الالباب بالوصل هنا اولى على امتي المجري من العكس ذكرا لان ما بعده بدل او غيره كما يجيء الى النور ابدا رزقا بينهن علما **التفسير** لما بين في اخر السورة المتقدمة على معاداة بعض الازواج والمعاداة كثيرا ما يفضي الى الفراق بالطلاق ارشد في هذه السورة الى الطلاق السني الذي لا يحرم ايقاعه والى احكام اخر معتبرة كيف نادى نبيه صلعم ثم قال اذا طلقتم على الجمع انه كما يقول لرئيس القوم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه وانه من سواه من حيز منه تبع له في الخطاب وقيل الجمع للتعظيم والمراد بالخطاب النبي ايضا وقيل اراد يا ايها النبي والمؤمنون فحذف للدلالة وقيل يا ايها النبي وقل للمؤمنين ومعنى اذا طلقتم اذا اردتم تطليقهن لقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ واللام في قوله لعدتهن بمعنى الوقت اي الوقت الذي يمكنهن الشروع في العدة وهو الطهر الذي لم يجامعها فيه وقال جار الله فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من شهر كذا اي مستقبلا لها قال الفقها السني طلاق المدخول بها التي ليست بحامل ولا صغيرة ولا ايسة في حال البدعة والبدعي طلاق المدخول بها في حيض او نفاس او طهر جامعها فيه ولم يظهر حملها ولهم في الطلاق سببان احدهما وقوعه في حال الحيض اذا كانت المرأة ممن تعتد بالاقراء لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وطلق ابن عمر امرأته وهي حائض فسأل عمر النبي صلعم عن ذلك فقال مره فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر فيطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء والمعنى فيه ان بقية الحيض لا تحسب من العدة فتطول عليها مدة التربص وثانيهما اذا جامع امرأته في طهرها وهي ممن تحبل ولم يظهر حملها حرم عليه ان يطلقها في ذلك الطهر لقوله صلعم في قصة ابن عمر ثم ان شاء طلقها قبل ان يمسها ولانه ربما يندم على الطلاق لو ظهر الحمل هذا انقسم السنة والبدعة من جهة الوقت اما السنة والبدعة من جهة العدد فقال مالك لا يعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة او متفرقة على الاطهار وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله يكره ما زاد على الواحد في طهر واحد فاما متفرقا في الاطهار فلا لما روي في قصة ابن عمر انما السنة ان يستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وقال الشافعي لا بأس بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وقد يستدل

بما روي في حديث اللعان ان الملاعن قال هي طالق ثلثا فلم ينكر عليه النبي صلعم وقالت الشيعة اذا طلقها ثلثا تقع واحدة ومنهم من قال لا يقع شيء وهو قول سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين والاصح عند اكثر المجتهدين ان الطلاق البدعي واقع وان كان صاحبه اثما عاصيا وهذا مبني على ان النهي لا يوجب فساد المنهي عنه في قصة ابن عمر انه قال يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك قال العلماء المحرم هو الطلاق بغير عوض فاما اذا خلع الحائض او طلقها على مال فلا طلاق قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به ولان المنع كان لرعاية جانبها وبذل المال دليل على شدة الحاجة الى الخلاص بالمفارقة قال جار الله اللام في قوله النساء للجنس وقد علم بقوله فطلقوهن لعدتهن انه مطلق على البعض وهن ذوات الاقراء المدخول بهن فلا عموم ولا خصوص بل هي ما هو حكم عام لانه اذا وجد الشرط المذكور في هذا البعض لزم ان يكون طلاق كل النساء من الصغيرة والايسة والحامل وغير المدخول بها والمدخول بها بحيث يمكنهن ان يشرعن بعد الطلاق في العدة قوله واحصوا العدة اي اضبطوها واحفظوا عدد ايامها ثلثة اقراء كوامل لا تزيد ولا تنقص لا تخرجوهن من بيوتهن يعني من مساكن الفراق وهي بيوت الازواج اضيف اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى الى انقضاء العدة وكما ان البعولة لا ينبغي ان يخرجوهن غضبا عليهن او لحاجة لهم الى المساكن كذلك لا ينبغي لهن ان يخرجن بانفسهن وقوله الا ان يأتين استثناء من الجملة الاولى اي الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن او الا ان يطلقن على النشوز فان النشوز يسقط حقهن في السكنى او الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه والمعنى ان خرجت فقد اتت بفاحشة مبينة وعلى هذا يكون الاستثناء من الجملة الثانية قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي احصوا العدة ولا تخرجوهن من مساكنهن فلعلكم تندمون وتنقلب البغضة محبة والمقت مقتا والطلاقة رجعة والخطاب في لا تدري للنبي صلى الله عليه وسلم على نسق اول السورة او لكل مكلف فاذا بلغن اجلهن اي شارفن انقضاء عدتهن فانتم بالخيار ان شئتم فالامساك بالرجعة لا على وجه الضرار بل على الشرع والعرف وان شئتم فالفرقة بالمعروف كما مر في البقرة واشهدوا على الرجعة او الفرقة ذوي عدل منكم اي من جنسكم من المسلمين قاله الحسن وعن قتادة من احراركم وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمه الله واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة الاشهاد ان لا يقع التجاحد وان لا يتهم في امساكها او يموت احدهما فيدعي الاخر ثبوت الزوجية لاجل الميراث ثم حث الشهود على ان لا يشهدوا الا لوجه الله من غير شائبة عرض اخر او غرض دنيوي ذلكم الحث على اداء الشهادة لله يوعظ به من هو من اهل الايمان بالله والمعاد لان غيره لا ينتفع به ويجوز ان تكون الاشارة بذلكم الى امر بالامساك او بالفراق بالمعروف لا على وجه الضرار فيكون موافقا لما مر في البقرة الا انه وحد كاف الخطاب هنالك لانه اكد الكلام بزيادة منكم وههنا جمع فلم يحتج الى لفظ منكم والله اعلم باسرار كلامه ثم خص على التقصي في كل باب ولا سيما فيما سبق من امر الطلاق فكانه قال ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها فاحتاط فاشهد يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة ومن جملة ذلك هم الارتجاع ويرزقه من وجه لا يخطر بباله وللحسبة بدل ما ادى وبدل ما نقص من المهر والحقوق عن النبي صلعم اني لا اعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلعم فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت الاية قلت قد جرت الاية مجرى المثل فبيوت الكتب متفرجة بنفسه ومن اسرار القرآن ولطائفه انه سبحانه حث على التقوى في هذه السورة ثلث مرات تقوله ومن يتق الله وذلك على عدد الطلقات الثلث ووعد في كل مرة نوعا من الجزاء فالاول انه يخرجه مما دخل فيه وهو كاره ويتيح له حيث لا يظن والثاني اليسر في الامر والموافاة في المقاصد ما دام حيا والثالث افضل الجزاء وهو ما يكون في الاخرة من النعماء ثم رغب في التوكل ثلث جمل يتعاظم به الخطب الاول ومن يتوكل على الله فهو حسبه لان المعبود الحقيقي القادر على كل شيء الغني عن كل شيء الجواد بكل شيء اذا فوض عبده امره اليه لا يهمله البتة الثانية ان الله بالغ امره اي يبلغ كل ما يريد ولا يفوته مطلوب الثالثة قد جعل الله لكل شيء قدرا اي وقتا ومقدارا وهاتان الجملتان كل منهما بيان لوجوب التوكل عليه لانه اذا علم كونه قادرا على كل شيء وعلم انه قد بين وعين لكل شيء حدا ومقدارا لم يبق الا التسليم والتفويض

قال صاحب الكشاف قال المفسرون انه ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقرا فما عدة اللواتي لم يحضن فنزلت واللائي يئسن
فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف تعتدون فهذا حكمهن قلت في صحة هذه الرواية نظر فان السورة ليس
فيها عدد ذوات الاقرا وانما حالتها على ما في البقرة والمطلقات يتربصن ولا يجوز لان هذه مكية وتلك مدنية نعم لو ثبت ان هذه
متاخرة النزول كان له وجه كما روي عن عبد الله بن مسعود عن من شاء لاعنته ان السورة النساء القصرى نزلت بعد التي
في البقرة والجمهور على ان المراد ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الناس هو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر
واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب اولى ومن الياس قيل بعد الخمس وخمسين وستين وسبعين والمشهور
عند اكثر اصحاب الشافعي النظر الى نساء عشيرتها من الابوين فاذا بلغت السن التي ينقطع فيها حيضهن فقد بلغت سن
الياس واللائي لم يحضن عن الصغائر والتقدير فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر فحذف للدلالة قوله واولات الاحمال اي النساء
الحوامل اجلهن بعد الطلاق او بعد وفاة الزوج اي انقضاء عدتهن ان يضعن حملهن هذا قول اكثر الائمة والصحابة وانما
تنقضي العدة بوضع الحمل بتمامه فلو كانت حاملا لتوأمين لم تنقض العدة حتى ينفصل الثاني بتمامه ولتمام يكون التوأمان
توأمين اذا ولدا على التعاقب وبينهما دون ستة اشهر والا فالثاني حمل اخر وعن علي وابن عباس ان عدة الحامل
المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين من بقية الحمل ومن اربعة اشهر وعشر او وضع الحمل الا ان يكون حيا او ميتا
او سقطا او مضغة لا صورة فيها وصدقت المراة بيمينها لانهن مؤتمنات على ارحامهن ويحتمل كرر شرط التقوى كانه
لسائل ان يسال كيف يعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم
وقوله من وجدكم بيان ان مكان سكناكم الذي يطيقونه والوجد الوسع والطاقة قال قتادة وان لم يكن الا بيت واحد
فاسكنها في بعض جوانبه قال ابو حنيفة السكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند الشافعي ومالك ليس للمبتوتة
الا السكنى وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول
الله صلعم لا سكنى ولا نفقة وضعف بقول عمر لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت
النبي صلعم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن بانزال المسكن من لا يوافقهن او بغير ذلك من انواع المضار لتضطروهن
الى الخروج وقيل هو ان يراجعها كلما قرب انقضاء عدتها لتضيق عليها امرها وقد يلجئها الى ان تفتدي منه قوله
وان كن اولات حمل تخصيص الحامل بالنفقة لاجل الحمل وان كانت بائنة وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة
ففايدته ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم واما الحامل المتوفى
عنها فالاكثرون على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على انفاقه من امراة او ولد صغير لا يجب
ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة ومنهم الشافعي انهم اوجبوا نفقتها ثم لبن
الطفل قابلا فان ارضعن اي هولاء المطلقات لكم اي لاجلكم ولدا منهن او من غيرهن بعد انقضاء عرى الزوجية وهذا
الاستيجار لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه اذا كان الولد منهن ما لم يحصل البينونة وجوزه الشافعي مطلقا فاتوهن
الاباء والامهات جميعا بقوله وائتمروا وقال اهل اللغة الايتمار بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى التشاور اي امر بعضكم بعضا بالجميل
وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا يعاسر الام لانه ولدهما معا وان تعاسرتم اي اظهرتم من انفسكم العسر والشدة
من امر موونة الارضاع فسترضع اي الطفل له اي للاب مرضعة اخرى وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول
لمن تطلب منه حاجة فيتوانى فيها سيقضيها غيرك تريد لا تبقى غير مقضية وانت ملوم ثم بين ان ما امر به من
الانفاق على المطلقات والمرضعات هو لمقدار الوسع والطاقة كما قال في البقرة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الى ان يفتح
الله ابواب الرزق عليهم ثم هدد من خالف الاحكام المذكورة باحوال الامم العاتية فحاسبناها حسابا شديدا اي بالاستقصاء
والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا فظيعا ويحتمل ان يراد بهما حساب الدنيا وعذابها وهو احصاء صغائرهم في ديوان
الحفظة وما اصاب كل قوم من المحنة ونحوها عاجلا وحسابها ولفظ الماضي لتحقق الوقوع مثل ونادى وسبق وعلى هذا
يكون قوله اعد الله لهم تكريرا للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاحذروا مثله يا اولي الالباب
ويجوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله جوابا قوله رسولا قال الزجاج الله هو جبريل
ابدل من ذكر المكذبة وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف

كقوله

كقوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف
عند الله او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا الذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله
اليكم على ارسل فكانه قيل ارسل واعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفعول اي انزل الله ان ذكر رسولا قلت لم يبعد على
هذه الوجوه ان يكون المراد بالرسول هو محمد صلعم ثم ذكر غاية الانزال او التلاوة كقوله ليخرج والمعنى ليخرج الله او الرسول
الذين عرف منهم انهم سيؤمنون من ظلمات الكفر الى نور الايمان وليفقهم بعد الايمان والعمل الصالح لمزيد البيان والعيان الذي
يجلى به ظلم الشكوك والحساب وقوله قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم ثم ختم السورة بالتوحيد الذي
هو اجل المطالب وتفسيره ظاهر مما سلف مرارا الا ان ظاهر هذه الاية يدل على ان الارض متعددة وانها سبع كالسموات
وذهب بعضهم الى ان قوله مثلهن اي في الخلق لا في العدد وقيل من الاقاليم السبعة والدعوة شاملة لجميعها وقيل سبع
طبقات بعضها فوق بعض لا فرجة بينها وهذا يشبه قول الحكما منها طبقة هي ارض صرفة تجاور المركز ومنها طينية
تخالط سطح الماء من جانب التقعر ومنها طبقة معدنية يتولد منها المعادن ومنها طبقة تركبت بغيرها وقد انكشف بعضها
ومنها طبقة الادخنة والابخرة على اختلاف احوالها الى طبقة الزمهرير وقد تعد هذه الطبقات من الهواء وقيل انها
سبع ارضين بين كل واحد منها الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل ارض منها خلق حتى
قالوا في كل منها ادم وحواء ونوح وابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويستمدون الضياء منها وجعل الله
لهم نورا يستضيئون به وذكر الثعلبي في تفسيره فصلا في خلق السموات والارضين واشكالهم واسمائهم اعرضنا
عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات ومعنى يتنزل الامر بينهن ان حكم الله وامره يجري فيما بين السموات والارضين او فيما
بين كل منها ولا يعلم تلك الاجرام ولا تلك الاحكام ولا كيفية تنفيذها فيهن الا علام الغيوب تعالى وتقدس والله اعلم

سورة التحريم اثنا عشر اية مكية مدنية كلماتها مائتان وسبع واربعون
حروفها الف ومائة وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ۝ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ۝ واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير ۝ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير ۝ عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا ۝ يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ۝ يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا

ربع

اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ۝ يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير ۝ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير ۝ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ۝ وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ۝ ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ۝ ه

القراءة عرف بالتخفيف علي تقاصرا بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف ان يبدله بالتشديد ابو جعفر ونافع وابو عمرو نصوحا بضم النون يحيى وحماد وكتبه على الجمع ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص **الوقف** لك لاحتمال ان الجملة بعده حالا او استفهامية بحذف الحرف وهذا احسن لان التحريم الحلال غير ابتغاء مرضاتهن لا ينافي جائز انها لك رحيم ايمانكم لعطف الجملتين المختلفتين مولاكم للابتداء بذكرهما لم يرد من الوصفين مع اتفاق الجملتين الحكيم حديثا عن بعض هذا الخبير قلوبكما المومنين لتنافي الشرط الى الله جنا وظهير وابكارا ما يومرون اليوم تعملون نصوحا الانهار بناء على ان الظرف يتعلق بقوله ويدخلكم معه لاحتمال ان يوم متعلق بقوله يسعى واغفر لنا للابتداء بانه مع احتمال اللام او الفاء تدبر عليهم جهنم المصير لوط لانتهاء الحكاية الداخلين ز عرف للابتداء ان الظرف متعلق بضرب بل التقدير اذكر اذ الظالمين لان ما بعده معطوف على امراة فرعون القانتين **التفسير** اختلف في تحريم ما احل الرسول صلعم على قولين احدهما انه العسل وذلك انه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات عائشة وحفصة فقالت انا نشم منك ريح المغافير والمغفور والمغاثير شيء ينضجه العرفط بالحرث مثل الشمع وهو حلو كالعسل يوكل له ريح كريهة وكان رسول الله صلعم يكره الثقل فحرم لقولهما على نفسه العسل الثاني ان ما احل الله له من تلك البنت وهي مارية اثبات الاولى انه صلعم خلا بمارية القبطية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين انه خلا بمارية في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية فقال عمر لابنته لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة قال جمع من العلماء فلم يثبت عن رسول الله صلعم تحريم حلال بان يقول هو حرام علي ولكنه كان يمينا لقوله والله غفور رحيم بك والدليل عليه ظاهر قوله وقد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها

بيت م

بالكفارة وقيل قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك بان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والتحلة تفعلة بمعنى التحليل كالتكرمة بمعنى التكريم عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم لم يكفر عن يمينه لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمومنين وعن مقاتل انه اعتق رقبة في تحريم مارية وللحاكم في تحريم الحلال قال ابو حنيفة هو يمين على الانتفاع المقصود ولو حرم طعاما فهو يمين على الامتناع من اكله او امة فعلى الامتناع من وطيها او زوجة فعلى الامتناع من وطيها او زوجة فحمول على ما نوى وان نوى الظهارة فظهار والطلاق فطلاق باين وان لم ينو شيئا فعلى الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد ان الحرام يمين وقال الشافعي هو في النساء من صرايح الفاظ الطلاق وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلث وعن عثمان ظهار وعن مسروق والشعبي انه ليس بشيء قالا ما حرمه الله ليس لاحد ان يحرمه وما احله ليس لاحد ان يحرمه وقيل او الحكم من افصل وتحنثه انفع لكم من تمامكم لا تفكوا وهو العليم بما يصلحكم الحكيم فيما يامركم به وينهاكم عنه واذكر اذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا هو حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبات به حفصة عائشة اظهره الله عليه اي اطلعه على افشائه على لسان جبرائيل وقيل اظهر الله الحديث على النبي فيكون من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض الحديث ومن قرا بالتخفيف من العرفان فمعناه المجازاة منه لك المثنى لاعرفن لك ذلك وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وانما اعرض عن البعض تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها ابي فلما نبات به بعضهن وعرفها بعضه لان ذلك ليس بمقصود وانما الغرض ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وان رسول الله صلعم بكرم خلقه لم يوجد منه الا الاعلام بالبعض وهو حديث الامامة ولما كان المقصود في قوله من انباك هذا ذكر النبا به اتى بالمفعولين جميعا ثم وبخ عائشة وحفصة على طريقة الالتفات قائلا ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن اخلاص رسول الله صلعم من حب ما يحبه وبغض ما يكرهه والاصل قلوبكما مثله الجمع ما مر في قوله فاقطعوا ايديهما وان تظاهرا اي تتعاونا على ما يوجب غيظه فلن يعدم من يظاهره لكن والله مولاه اي ناصره وجبرائيل خاصة من بين الملائكة وصالح المومنين قال اكثر العلماء هو واحد في معنى الجمع لانه اريد به الجنس فيشمل كل من امن وعمل صالحا ويجوز ان يكون جمعا وقد اسقط الواو في الخط لسقوطه في اللفظ عن سعيد بن جبير هو كل من بري النفاق وقيل الانبياء او الصحابة او الخلفاء والملائكة على كثرة جمعهم بعد ذلك الذي عرف من نصرة المذكورين ظهير فوج متظاهر كانهم يد واحدة فاي دين لا تفاق امراتين بعد تظاهر هولاء على ضد مطلوبهما والحق ان الكلام مسوق للمبالغة في التظاهر والا فكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ثم خوفهما بنوع اخر وهو قوله عسى ربه ان طلقكن الاية والصالحات المسلمات تكا مر في اخر التوبة قال جار الله تشبه الصلح في اسكاف الى ان يجيء من بعد وقيل السايحات المهاجرات فانظر في شوم العصيان فان امهات المومنين وهن خير نساء العالمين يصير غيرهن بعرضهن عدم العصيان خيرا منهن بعرض العصيان لو طلقهن الرسول اياهن وقد عرفت في النظاير ان الواو في نحو قوله والناهون والبكار انها المهات واد الثمانية الا ان الواو في هذا المقام فايدة اخرى هي انه وصفي الثيابة والبكارة متنافيان ولا يكون احدهما بخلاف الصفات المتقدمة فانها ممكنة الاجتماع فالمراد ان اولئك النساء صباحكم وكونهم مستبقينكم بنتيمكم خيرا لكم ولعل الله يجمعهم معه في الجنة وتفسير نارا وقودها الناس والحجارة وقد مر في اول البقرة ودونها معد للكافرين للابد في تعذيب المومنين بالمعصية بها ان استحقوها ويجوز ان يكون امر بالتوقي من الارتداد وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم عليها ملائكة اي موكل على اهلها الزبانية التسعة عشر الموصوفون بالغلظة والشدة في الاجرام او في الافعال او فيهما لانه لا ياخذهم رافة في تنفيذ عقوبات الله وقوله ما امرهم نصب على البدل اي لا يعصون امر الله ولان عدم العصيان يستلزم امتثال الامر فصرح بما عرف ضمنا تاكيدا ويفعلون ما يومرون ويجوز ان يكون الاول عايدا الى الماضي والثاني الى المستقبل ثم وعظ المومنين بما يقال للكافرين عند دخولهم النار وهو قوله لا تعتذروا اليوم الاية لا عذر لكم او لا عذر مقبولا لكم ليس هذا من قبيل الظلم ولكنه جزاء اعمالكم ثم ارشد المومنين الى الطريق التي به وصف بالنصوح على الاسناد المجازي لان النصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا انفسهم بالتوبة لا يكون فيها ثبوت ريبة ولا نفاق وقيل هو من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وقيل خالصة عسل ناصح اذا اخلص

من الشمع وقيل توبة بنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها وعسى من الكريم اطماع وقيل تبكون قوله لا
يخزي تعريض عن اخزائهم من اهل النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته كانه استحمد المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم
قوله نورهم يسعى تقدم في الحديد قوله يقولون اتمم لنا نورنا اي نابتين ذلك اذا طفئ نور المنافقين حزنا منه والرعاية دون
البشرية اولان الاخلاص والتقات من صفات الباطن لا يعرفه الا الله سبحانه على انه يجوز ان يدعوا المؤمن بما هو حاصل مثل اهدنا
ويجوز ان يدعوه من هو ادنى منزلة لان النوم على قدر الاعمال فيسالون تمامه تفضلا لا مجازاة لانقطاع التكليف والعمل يومئذ
ثم امر نبيه بمجاهدة الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة او بافامة الحدود عليهم امر باستعمال الغلظة من الخشونة على الفريقين
هذا عذابهم في الدنيا ولهم في الاخرة جهنم وقد سبق نظير الاية في التوبة ثم ضرب مثلا لاهل الكفر امراة نوح واسمها قيل
واعلة وامراة لوط واسمها قيل واهلة ومثل لاهل الايمان امراة فرعون ومريم ابنت عمران وفي ضمن المثلين تعريض
بما مر في اول السورة من حال عايشة وحفصة واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين لا
كالكافرتين اللتين حين خانتا زوجيهما لم يغنيا عنهما من عذاب الله شيا وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار
مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء من قوم نوح وقوم لوط ادين كل قوم وفي قوله عبدين من
عبادنا اشارة الى ان سبب القربة والرجحان عند الله ليس الا الصلاح كاينا من كان وخيانة الزانيين ليست هي الفجور وانما
نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه
قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط عن ابي هريرة ان اسية امنت بموسى فتدها فرعون باربعة اوتاد واستقبل بها
الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها قال الحسن فنجاها الله اكرم نجاة رفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب
وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة بيني من درة ومعنى عندك بيتا في الجنة انها طلبت القرب من الله
والبعد من عدوه ثم بينت مكان القرب اي ارادا على موضع في الجنة وقولها من فرعون وعمله كقولك اعجبني زيد وكرمه
وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله من الاشرار اداب الصالحين والصبر في نيه للفرج وقيل هو حيث الدرع وقد مر في
الانبياء كلمات الله صحف ادريس وغيره او جميع ما كلم الله به او كتبه في اللوح وكتبه الكتب الاربعة وما وجد منها الانجيل
وقيل بكلمة الله اي بعيسى وكانت من القانتين من باب التغليب كما مر في قوله واركعي مع الراكعين وقيل من للابتدا اي ولدت
لانها من اعقاب هارون والله اعلم ۝

سورة الملك ثلثون اية مكية كلامها ثلثمائة وخمس وثلثون حروفها الف وثلثمائة وثلثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ۝ الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ۝ الذي خلق سبع سموات
طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ۝ ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ۝ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ۝ وللذين كفروا بربهم
عذاب جهنم وبئس المصير ۝ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ۝ تكاد تميز
من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۝ قالوا بلى قد

جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ۝ فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لأصحاب السعير ۝ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ۝ وأسروا
قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ۝ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ۝ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
وإليه النشور ۝ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ۝
أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ۝ ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير ۝ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ۝ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ۝ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك
رزقه بل لجوا في عتو ونفور ۝ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي
سويا على صراط مستقيم ۝ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
قليلا ما تشكرون ۝ قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ۝ ويقولون
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۝ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ۝ فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ۝ قل أرأيتم إن أهلكني
الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ۝ قل هو الرحمن آمنا
به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين ۝ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا
فمن يأتيكم بماء معين ۝

القراءة من تفوت من التفعل حمزة وعلي هل ترى بالادغام ابو
عمرو وحمزة وعلي وهشام ولكن يبادل الفدسع تكاد تميز البزي وابن فليح فسحقا بالضم يزيد وعلي الاخرون بالسكون
أأمنتم بهمزتين حمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون أأمنتم بمد الف بين الهمزتين نذيري ونكيري كلتاهما

بيت مثل ضربت محولا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويس بن عون بسكون الدال يعقوب اهلكني الله بسكون الياء حمزة
معي او بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وعاصم غير يحيى وحماد فسيعلمون على الغيبة علي **الوقوف**
الخبير ن التاسع والعشرون الملك لاختلاف بين الجملتين من حيث تقدم الظرف الاولي تدبر لان الذي بدل له محلا الغفور لا
بعد صفة او بدل طباقا تفاوت البصر في الموضعين لان ما بعدلا دل مفعول فانظر هل ترى وما بعد الثاني ط فرع ان الجواب
منتظر بعد حسير السعير جهنم المصير تفور لان ما بعده خبر اخر او بدل الغيظ نذير من شي لاحتمال ان ما بعده من تمام قول
الكفار وان يكون مقول قول محذوف الجرة كبير السعير بذنبهم لابتداء الشتم مع الفاء كبيرا اذا جهروا به الصدور بخلق الساهي
الاستفهام مع ان الواو تحسنها الاخير من رزقه النشور تمور لاحتمال الاء منتم حاصبا ابتداء التهديد نذير نكير ويقبضن
الرحمن بصير الرحمن عدوي ربه ومغرور مستقيم والابصار تشكرون تحشرون صادقين عند الله مبين تدعون رحما
لان ما بعده جواب الشرط اليم توكلنا ومن ترا فستعلمون بيلا الغيبة وقفه مطلق للعدول مبين معين **التفسير**
كثر خير من تحت تصرفه وتشخيص الملك الحقيقي وهو على ايجاد كل ممكن واعدامه قدير بيانه انه خالق الموت والحياة
وهما ضدان يتعاقبان كل من هو قابلهما ذلك والموت قطع الاعلام والحيوة في الاخرة دار الحيوان وان الله خلق الموت في صورة
كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا
يجد ريحها شئ الا حيي قال الحكماء الاسلاميون هذا على سبيل ولا فالعرض لا يكون جرما ولعل الاملح والبلقاء اشارة
الى انه من العرضين [illegible] في عالمنا هذا لا ينظر ان الاعلى ما [illegible] منتصاده فيكون نسبت ذلك تارة وتحسنه اخرى وقال
جار الله انما قدم الموت لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق
له للاية اهم عن الكعبي انه تعالى غير قادر على مثل مقدور العبد وقال ابو علي وابو هاشم انه تعالى لا يقدر على عين مقدور العبد
وقالت الاشاعرة انه قادر على الفضيلين خلافا لهم [illegible] على كل شئ قدير [illegible] خلاف الاية فلزمهم [illegible] وجود مقدور
بين قادرين وبهذا ابطلوا القول بالطبايع ما تقوله الفلاسفة بالمنع لذلك على ما تقوله المعتزلة بكون العبد موجد الافعال نفسه
ومعنى الغاية في قوله ليبلوكم انه اذا علم ان وراء الموت حيوة وحالة يستوي فيها الغني والفقير والمولى والعبد ولا ينفعه الا ما
قدم من خير صار ذلك داعيا له الى حسن العمل ومن اعراض [illegible] وكذا لو قيل ان الموت حالة كونه نطفة فالحياة نفخ الروح في
الجنين فانه اذا تفكر في امر نفسه علم ان وراء هذه الحياة موتا ينقطع به تداركه ما فات وان الدنيا مزرعة الاخرة
عن النبي صلعم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعنه صلعم
انه قال لقوم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما ارى والابتلاء مجاز كما مر في قوله واذ ابتلى ابراهيم وفي اول الكهف وقوله
ايكم احسن مفعول ثان ليبلوكم علي انه متضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لان التعليق هو ان يكون الاستفهام
سادا مسد المفعولين جميعا نحو علمت ا زيد منطلق نعم انه تعليق على قول الفراء والزجاج لانهما قالا تقديره ليبلوكم
فيعلم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة وهذا الوصفان ينبئ
على كمال القدرة والعلم ثم ذكر دليلهما بقوله الذي خلق سبع سموات طباقا اي ذات طباق او طوبقت طباقا او هو وصف
بالمصدر مبالغة اي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خرزها طبقا ثم اشار الى انها محكمة متقنة بقوله ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت وتفوت قال الفراء هما واحد ومعناه يرجع الى عدم التناسب والنظام بحيث يقول الناظر لو كان
كذا لكان احسن والخطاب لرسول الله صلعم او لكل ذي دراك والاصل ما ترى فيهن فعدل الى العبارة الموجودة تعظيما لخلقهن
وتنبيها على ان سبب سلامتهن كونه خلق الرحمن فلو علم المكلفين انفع من هذا الخلق لفعله نسب بعضهم التفاوت
بالفطور لقوله هل ترى من فطور اي صدوع وشقوق وخروق كل هذه من عبارات المفسرين وهو كقوله
في ق وما لها من فروج ثم امره برجع البصر لان النظرة الاولى [illegible] ثم امر بتكرير رجع البصر كرتين وهو
تثنية الكثرة مثل لبيك وسعديك اي ان يحسر ويعيي بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من الخلل والعيب
ومعنى خاسئا بعيدا عن اصابة الملتمس ثم قال ولقد زينا تذكرة بتفسيره في حم السجدة والرجوم جمع رجم مصدر سمي به
ما يرجم به قيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من اهل التنجيم وحكى عن انه عد
لهؤلاء عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا ثم اوعد بقوله وللذين كفروا الاية ثم وصف جهنم

وصفا

بصفات منها ان لها شهيقا شبهها لحسيسها المنكر الفظيع بصوت الحمار تكاد تميز ان يكون الشهيق لاهلها ممن تقدم طرحهم
او من انفسهم ومنها الفوران قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل ويجوز
ان يكون مما تغضب يريد تكاد تميز من الغيظ يقال فلان يتميز غيظا وغضبا وطار منه شقة في الارض وشقة
في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ولعل السبب في هذا المجاز هو ان الغضب حالة تحصل عند غليان دم القلب والدم عند
الغليان يصير اعظم حجما ومقدارا فيتمدد الاوعية حتى كادت تنشق وتتمزق فجعل ذلك هذا اللازم كناية عن شدة
الغضب وقيل الغيظ للزبانية احتجت المرجية بقوله كلما القي الاية على انه لا يدخل النار الا الكفار لانه تعالى حكى عن كل
من القي فيها انه كذب النذير اجاب القاضي بان النذير قد يطلق على ما في العقول من الادلة المحذرة من المعصية
فيشمل الفاسق القائلون بان معرفة الله وشكره لا يجبان الا بعد ورود الشرع احتجوا بانه تعالى حكى عن كل ما عذبهم
الا بعد مجئ النذير ثم حكى عن اهل النار انهم يقولون لخزنته لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق او نعقله عقل
متامل متفكر ما كنا في اصحاب السعير وانما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل احتج بالاية
من فضل السمع على البصر لانه تعالى جعل مناط الفوز للسمع ولم يذكر البصر القائل بان الدين لا يتم الا بالتعليم احتج بانه قدم
السمع على العقل تنبيها على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد وهداية الهادي واجيب ان سبب التقديم هو ان المكلف لا بد
ان يسمع قول الرسول ثم يتفكر فيه قال الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب
اصحاب الراي ثم قال في ابطاله كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين
قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة قلت الانصاف انه وان نزلت الاية قبل المذهبين لا ينافي ان يريد اهل
النار يوم القيمة بانهم لم يكونوا على تلك السيرة وكم من قصة تداخرت الله بوقوعها من قبل ان يقع هي احد انواع اعجاز القرآن
وايضا لا يلزم من كونهما ناجيين كون غيرهما من اهل الوعيد وايضا على هذا التقسيم لو صح يلزم كونهما من اهل النجاة قطعا
فينضم الى المبشرين افراد غير محصورة فضلا عن حادي عشر فيكون دعوى اختصاص المبشرين في العشرة مصادرة على
المطلوب والفاء في قوله فاعترفوا للسببية اي نصح بعد التامل انهم اعترفوا بذنبهم قال مقاتل يعني تكذيبهم الرسل
قال الفراء الذنب هاهنا في معنى الجمع لان فيه معنى الفعل كما يقال خرج عطاء الناس اي اعطيتهم ثم بين ان ذلك الاعتراف مما لا ينفع
فيه قائلا فسحقا اي فبعدا لهم عن رحمة الله اعتراف [illegible] والتخفيف والتثقيل لغتان والمعنى اسحقهم الله سحقا قال ابو
علي القياس اسحاقا الا ان المصدر جاء على الحذف كقولهم عمرك الله ثم اتبع الوعيد اتبع الوعد قائلا ان الذين [illegible]
[illegible] ثم عاد على العموم فقال واسروا قولكم او اجهروا به ثم علل ذلك بقوله انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس كانوا
ينالون منه فيخبره جبرئيل فقالوا اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فانزل الله تعالى الاية بيانا لجهلهم ثم استدل
على كمال علمه بنوع اخر قائلا الا يعلم من خلق [illegible] الا يعلم من خلق مخلوقه وذلك ان خلق الشئ يتوقف على معرفة
تفاصيل كميته وكيفياته وسائر احواله لئلا يقع الترجيح من غير مرجح وهذه مقدمة جلية او نصب اي الا يعلم الله
من خلقه [illegible] ان يكون من بمعنى ما ويكون اشارة الى سر الخلق [illegible] وهذا
يقتضي ان تكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى وقد يستدل بالوجهين الاولين ايضا على ذلك لان العبد لو كان موجد الافعال
نفسه لكان عالما بتفاصيلها بناء على الاية لكنه غير عالم بتفاصيلها لانه لا يعرف مقادير حركته وسكونه وكمية الجواهر
الفردة الواقعة على مسافته بل لا يعرف الاسباب السابقة واللاحقة بكلها ولا كرها في كل فعل من افعاله ولك ان تقول في
الكشاف ان يكون قوله الا يعلم متروك المفعول على تقدير كونه من مرفوع المحل غير ملان يعطى قال لان قوله وهو
اللطيف الخبير واحر احق بان [illegible] الشئ بنفسه بل المعنى الا يتصف الخالق بالعلم والحال انه وصل الى بواطن
الاشياء وخفايا الامور وذلك ان النعلق انه سبحانه يقول يا ايها الكافرون اني عالم بسركم وجهركم فكونوا خائفين من
تحذيري من عقابي فهذه الارض التي تمشون في مناكبها وتعتقدون انها ابعد الاشياء عن الاصابة انا الذي
ذللتها فان شئت خسفت بكم اياها والذلول من كل شئ المنقاد الذي يذل لك ومن ذلها انه ما جعلها حزنة بحيث يمتنع المشي
عليها ولا صلبة بحيث لا يمكن حفرها والبناء عليها ولا متحركة على الاستقامة او الاستدارة بل جعلها ساكنة فجعل الهوا
عند المركز قال جار الله المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل لان ملتقى المنكبين منا لعارب انبى شئ عن ان يطاها الراكب

معنى م

والغايات م

نفد منه ويعتمد عليه واذا كان هذا الموضع ذلولا فما ظنك بغيره وعن ابن عباس والضحاك وقتادة وان مناكب
الارض مناكبها جبالها واكامها واذا كانت هذه الامكنة مع شخوصها وارتفاعها مذللة فغيرها اولى وقال الحسن و
مجاهد والكلبي ومقاتل وهو رواية عطا عن ابن عباس واختيار الفراء وابن قتيبة مناكبها جوانبها وطرقها ومنكبا الرجل
جانباه فيكون كقوله والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وكلوا من رزقه الذي خلق لكم في الارض ولا
يخفى ان الامر بالمشي والاكل للاباحة ثم قال واليه النشور يعني ينبغي ان يكون مشيكم في الارض واكلكم من رزق الله
مشي من يعلم ان مرجعه الى الله والمراد التحذير من المعاصي سرا وجهارا ثم بين ان بقاءهم كسالمين عن حلول

سورة ن اثنا وخمسون اية مكية كلامها ثلثمائة
حروفها الف ومائتان وستة وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ۝ ما انت بنعمة ربك بمجنون ۝ وان لك لاجرا غير ممنون ۝ وانك لعلى خلق عظيم ۝ فستبصر ويبصرون ۝ بايكم المفتون ۝ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ فلا تطع المكذبين ۝ ودوا لو تدهن فيدهنون ۝ ولا تطع كل حلاف مهين ۝ هماز مشاء بنميم ۝ مناع للخير معتد اثيم ۝ عتل بعد ذلك زنيم ۝ ان كان ذا مال وبنين ۝ اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ۝ سنسمه على الخرطوم ۝ انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ۝ ولا يستثنون ۝ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ۝ فاصبحت كالصريم ۝ فتنادوا

مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن
محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين
فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا
خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم
كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة
إن لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم
إن كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون
خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي
متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وإن يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا
ذكر للعالمين

القراءات ن والقلم مظهر يزيد وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم
غير يحيى وحماد وابن غالب وهو الاصل للوقف وجه الاخفاء شبه الوصف كان نهمزين حمزة وابو بكر وحماد ان كان بقلب الثانية
الفا ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون بهمزة واحدة بيدلنا بالتشديد ابو جعفر ونافع وابو عمرو لما تخيرون بتشديد التاء البزي
وابن فليح ليزلقونك بفتح الياء ابو جعفر ونافع لا يزهد بالضم من الازهاد **الوقوف** يسطرون لان ما بعده جواب القسم
لمجنون لان ما بعده يصلح مستأنفا او عطفا على جواب القسم ممنون لذلك عظيم ويبصرون لان ما بعده مفعول المفتون سبيله
لاتفاق الجملتين بالمهتدين المكذبين يدهنون مهين بنميم اثيم زنيم لمن قرأ ان كان مستفهما وبنين ومن قرأ انه مفعول
يقف على بنين دون زنيم الاولين الخرطوم الجنة لاختلاف ان يكون اذ ظرفا لبلونا وان يكون مفعولا اذكر مخذوفا مصبحين

ولا يستثنون نائمون كالصريم مصبحين لتعلق ان للمفسرة صارمين يتخافتون مسكين قادرين لضالون لعطف بل والاتحاد
المقول محرومون تسبحون ظالمين يتلاومون طاغين راغبون العذاب اكبر يعلمون النعيم كالمجرمين ما لكم وقفة لطيفة لاستئنافها
اخر تحكمون تدرسون لان ما بعده مفعول تدرسون وانما كسرت ان لدخول اللام في خبرها تخيرون لان ام معادل الاستفهام
او بمعنى الف الاستفهام التنبيه لان جواب الايمان تحكمون زعيم لما مر في تخيرون شركائهم للابتداء باليوم التعجيز مع الفاء صادقين
فلا يستطيعون لان ما بعده حال ذلة سالمون بهذا الحديث لا يعلمون للعطف لهم متين مثقلون يكتبون الحوت بناء على
ان اذ مفعول لاذكر مكظوم مذموم الصالحين لمجنون ليلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار للعالمين **التفسير**
الاقوال المتركبة في فواتح عن هذه السورة مذكورة اما المختص بهذا المقام فعن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي والكلبي
ان النون السمكة اقسم بالحوت الذي على ظهره الارض وهو في بحر تحت الارض السفلى او بالحوت الذي لطخ يونس
ثم ذبدمه اقوال وعن ابن عباس في رواية الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة قال شعر اذا ما الشوق
برح بي اليهم القت النون بالدمع السجوم فيكون قسما بالدواة والقلم لعظم النفع منهما فان النفائس يحصل بالكتابة كما يحصل
بالعادة وعن بعض الثقات هو اصحاب البحر يستخرجون من بعض الحيوان شيئا اسود او اشد سوادا منه يكتبون به ويكون
وهو الحوت عبارة عن الدواة وبعضد ما روي ان النبي صلعم قال اول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال
اكتب ما هو كائن من عمل او اثر او رزق او اجل فكتب ما هو كائن وما كان الى يوم القيامة ثم ختم على القلم فلم ينطق الى
يوم القيامة ثم حتم عن معوية بن قرة مرفوعا ان النون لوح من نور يكتب الملائكة فيه ما يامرهم الله وقيل نهر في الجنة
اعترض المعربون على هذه الاقوال كلها ان لفظ ان كان جنسا الدم الجر والتنوين ولذا ان كان علما منصرفا او كان
علما غير منصرف لدم الفتح لتقدير حرف القسم وقيل نون اسم حرف من حروف الرحمن فانه يجمع من الر وحم ون هذا الاسم
الخاص اما القلم فالاكثرون على انه جنس اقسم الله سبحانه بكل قلم يكتب به في السماء وفي الارض وقال اخرون
هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر ان اول ما خلق الله القلم الحديث كما رويناه قال القاضي امر القلم بالكتابة غير معقول لانه
جماد ولكنه تمثيل يفهم منه الكلف ان الناس يجرون على امر قد فرغ منه ومن الناس من زعم ان القلم والعقل الذي جاء
في الخبر اول ما خلق الله العقل والجوهرة التي ورد في الحديث اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وتسخن
وارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض كلها واصله والملك تدويقت على تحقيق هذه
المعاني في هذا الكتاب وما في قوله وما يسطرون ما موصولة او مصدرية والضمير لكل من يسطر او الحفظة وقيل اراد
اصحاب القلم بحذف المضاف قال الزجاج انت اسم ما والخبر بمجنون وقوله بنعمة ربك كلام وقع في البين والمعنى انتفى عنك
الجنون بواسطة انعام ربك عليك او انتفى عنك الجنون ملتبسا بنعمة الله كما تقول انك عاقل بحمد الله اي ثبت لك
العقل حال كونك ملتبسا بالحمد واثبته لك حال التلبس بالحمد وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان
والنبوة وسائر الاخلاق الفاضلة وفيه اشارة الى ان نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة وكمال العقل
والانصاف تكل مكرمة واذا كانت هذه النعم ظاهرة وكان وجودها ينافي حصول الجنون وكلام العرب ضرب من
الهذيان وان لك على احتمال اعباء النبوة ومكابدة تبليغ الرسالة لاجرا غير ممنون قال الاكثرون اي غير مقطوع كقوله
عطاء غير مجذوذ وعن مجاهد ومقاتل والكلبي انه غير مكدر عليك بسبب المنة فقالت المعتزلة في تفسير هذا الوجه
انه لا يمن لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء فضعفا لم يلزم منه المن لان الاجر عندهم يبني عن
كونه غير ممنون والحاصل انه لا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الخطب الجسيم وهو دعاء الخلق الى
الدين القويم وان لك بسببه ثوابا عظيما وانك على خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تقتدر معها على الاتيان بالفعل
الجميل عن اناة وسهولة فاذا وصفه مع ذلك العظم هو كونه على الوصف الاجمل والنهج الافضل لمن يمكن خلق احسن منه وفيه
اشارة الى نفي الجنون عنه ودلالة على تكذيب الحساد لان المجنون لا خلق له يحمد او لا عليه يعتمد وانه
كان من احسن الخلق المتشابه بحيث كان يجمع اخلاق سائر الانبياء وكان يوجد فيه ما كان متفرقا فيهم والبه الاشارة
بقوله فبهداهم اقتده اي اقتد بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم وفي قوله لعلى اشارة الى انه مستول على
عن ان الاخلاق الفاضلة لا ينزعه منها نازع قال سعيد بن هشام قلت لعائشة اخبريني عن خلق رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن ويقال ولقد قرأت قد افلح المؤمنون وعن هشام بن عروة عن ابيه عن
عايشة قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقال
انس خدمت رسول الله صلعم عشر سنين فما قال لي في شي فعلته لم فعلت ولا في شي لم افعله هلا فعلته ثم سلى
نبيه صلعم ووعد اعداه بقوله فستبصر يا محمد ما فتنهم كل شي عن الدارين ويبصرون في الدنيا بالقتل والسبي وفي
بدر وذلك في الاخرة قوله بايكم المفتون قال الاخفش وابو عبيدة وابن قتيبة الباء صلة المعنى ايكم المفتون وهو
الذي فتن بالجنون وقال الفراء والمبرد وهو قول الحسن والضحاك عن ابن عباس المفتون مصدر بمعنى الجنون
كالمعقول والمجلود وقيل الباء بمعنى في وعلى هذا يجوز ان يكون المفتون بمعنى المجنون اي في اي الفريقين من تلبس
هذا الاسم او في ايهما الشيطان لان الشيطان مفتون في دينه وكانت العرب تزعم انه من تخييل الجن فقال تعالى سيعلمون
غدا بايهم الشيطان الذي يحصل منه مثل الجنون واختلاط العقل وفيه تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة
واضرابهما اما الكيفية الحال الى كمال علمه فقال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي لمن جن وهو اعلم بالمهتدين
وهم العقلاء والاظهر ان المراد الضلال والاهتداء في الدين وفيه وعيد ووعد قال المفسرون ان المشركين ارادوا
النبي صلعم ان يعبد الهتهم مدة وهم يعبدون الله مدة ويكفوا عنه غوايلهم فانزل الله تعالى فلا تطع المكذبين وهو كالنتيجة
لما تقدمه لانه سبحانه حين وعده ايضا العزة والرفعة في الدارين واوعد اعداه بضد ذلك وكان علمه شاملا بحال
الفريقين تهييجا لهم بين لطاعة الاعداء وجه ثم ذكر تمنيهم فقال ودوا لو تدهن تلين وتصانع فيدهنون اي فهم
يدهنون حينئذ لان النفاق ادهن ... فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك قال المبرد ادهن الرجل في دينه
وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما يضمره ثم خص النهي فقال ولا تطع كل حلاف مهين لانه ... الحلف بالله
لم يعرف قدر المعبود بالحق اذ له الله وفيه اشارة الى ان عزة النفس منوطة بتصحيح نسبة العبودية ومهانة النفس
منوطة بالغفلة عن سر الربوبية وايضا الحلاف يتفق له الكذب كثيرا والكذاب حقير عند الناس والهماز الذي
يذكر الناس بالمكروه وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم اي لاجل نسعاه والنميم مصدر
كالنميمة مناع للخير اي للمال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع فكانه قال مناع من
الخير معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثم عتل غليظ في الخلقة جاف في الخليقة والزنيم الدعي ومعنى بعد ذلك
التبعيد في الرتبة اي في الاوصاف المعدودة له هذا الوصف الذي هو اسمعها لان الغالب ان النطفة اذا خبثت
خبث جميع اخلاق الولد ولهذا روي عنه صلعم قال لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده واصل الزنيم من الزنمة وهي
الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله عن ابن عباس في رواية انها نزلت
في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان موسرا وله عشرة بنين يقول لهم من اسلم منكم منعته رفدي وفي رواية انه في
ابو جهل وعن مجاهد والاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في بني زهرة
وقيل كان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف
حتى نزلت الاية وقوله ان كان ذا مال وبنين تقديره لان كان اي لا يطيعه مع هذه المثالب لكونه ذا مال وذا اولاد ومن قرا
بهمزتين فمعناه الان كان ذا مال كذب فعلق الجار بمدلول قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال ذلك ان قال لا يصلح ان يعمل فيه
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولا قوله تتلى لانه مضاف اليه لا يعمل فيما قبله سنسمه على الخرطوم اي الانف وفيه
استخفاف به من جهة التعبير عن انف الادمي بالخرطوم الذي هو انف الحيوانات المكروهة كالخنزير والفيل
كما عبر عن شفاه الناس بالمشافر وعن ايديهم وارجلهم بالاظلاف والحوافر ثم الانف اكرم موضع من الوجه ولهذا اشتق الجمال
من الانف وله التقدم ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فالوسم في
الانف اهانة فوق اهانة ومعنى هذا الوسم منهم من قال في الدنيا فعن ابن عباس خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على
خرطومه وعن النضر بن شميل الخرطوم الخمر اي سنحده على شربها وتسمى الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير
العنب او لانها تطير في الخياشيم ويحتمل ومنهم من قال في الاخرة نعلمه بعلامة سوء يتبين بها عن ساير الكفرة
كما انه في الدنيا كان غاليا في عداوة الرسول والطعن في الاولى ويحتمل ان يعبر عن سواد الوجه كله بسواد الخرطوم وهم

حتى قال في القرآن اي سنشهره بهذه الشتيمة وهي انه خلا ... لا يخفى كما لا يخفى السمة على الخرطوم ولا شك
ان هذه الاوصاف الذميمة وتبعاتها بقيت في حق الوليد بن المغيرة في الدنيا والاخرة كالوسم على الانف والوسم على الجبهة
ثم بين انه انما اعطي ما اعطي من ماله وولده ليشكروا على شكر نعم الله تعالى والا صب عليهم بدل الالاء البلاء ومكان السرا
والضرا وهذه صورة الابتلاء كما انه كلف اصحاب الجنة ذات الثمار ان يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم يروى ان واحدا من
ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل منها نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه ثم قالوا
عيالنا كثير والمال قليل فلو فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها اي ليقطعوا ثمرتها في وقت الصباح ولا
يستثنون لا يقولون ان شاء الله واصله من الثني وهو الرد كان الحالف يرد انعقاد اليمين بالاستثناء ولعلهم انما لم يقولوا ان شاء الله
لوثوقهم بالتمكن من صرامها هذا قول الاكثرين وزعم اخرون ان المراد يصرمون كل ذلك ولا يستثنون للمساكين من جملته شيئا كما كان
الذي كان يدفع ابوهم اليهم فطاف عليها طائف من ربك اي بعض من عذاب ربك والطايف لا يكون الا ليلا قال الكلبي
ارسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نايمون فاصبحت الجنة كالصريم فعيل بمعنى فاعل او بمعنى مفعول والاول قول من
قال انها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم وتسمى الليل صريما لانه يصرم نور البصر فيقطعه او لانه ينقطع بظلمته عن التصرف
وقيل النهار ايضا صريم لان كل واحد من الدوين ينصرم بالاخر والصريم بمعنى الصارم ووجه التشبيه انها يبست وذهبت
خضرتها ولم يبق فيها شي من قولهم صرم الاناء اذا فرغه والثاني هو الاولى لان من قال انها لما احترقت كانت شبيهة بالمصروم
في هلاك الثمر وان كان من الالوان مغايرا لان الصريم وقال الحسن اي صرم عنها الخير وقيل الصريم من الرمل المنقطعة عن معظمه
عن سائر الرمال وجه الصرام تشبهت الجنة وهي محترقة ولا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال وهي لا تنبت شيئا
ينتفع به فتنادوا لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم وعنى بالحرث الزرع والثمار والاعناب ولذلك قال ان كنتم
صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من هذه الاشجار ومعنى الاقبال فلهذا عدي بعلى اي اقبلوا على حرثكم باكرين
او عن من الغدو لاجل الصرم بالعدو وعليه كما يقال عدا عليهم العدو فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم والنهي عن الدخول
للمسكين نهي لاصحاب الجنة عن تمكين المسكين منه كانهم قالوا فيما بينهم لا يمكنوه من الدخول قوله وغدوا على حرد وهو المنع
ومنه حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها اي قادرين على منع المساكين لا غير يعني انهم
عزموا على حرمان المساكين مع كونهم قادرين على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب ثم لا يقدرون فيها الا على النكد
والمنع وفيه انهم طلبوا حرمان الفقراء فوقعوا بنقيض مقصودهم فتعجلوا الحرمان والمسكنة ويجوز ان تكون الحادثة في
الجنة اي غدوا حاصلين على منع الجنة خيرها لا على اصابة النفع منها ويجوز ان يكون قوله على حرد قادرين ولكن
الكلام يعود الى قوله اذا اغدوا على حرثكم اي عاقبهم الله بان حاردت جنتهم فلم يعودوا على حرث وانما غدوا على حرد
فقوله قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وقيل الحرد بالتسكين وبالتحريك وهو الاكثر بمعنى الغضب
اي لم يقدروا الا على غضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة فقطا حراد اي سراع
يعني وغدوا على حالة سرعة ونشاط قادرين عند انفسهم على صرامها ومنع خيرها من المساكين وقيل حرد علم للجنة
اي تلك الجنة بعينها والمعنى كما تقدم الان قوله انا لضالون يحتمل ان يراد الضلال عن الطريق كانهم لما راوا جنتهم محترقة الى
ذهنهم انها ليست هي وانهم ضلوا الطريق فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بشوم عزمنا على
البخل ومنع المساكين ويحتمل ان يراد الضلال عن الدين لانه منع حق الله نوع من الضلال ومعنى بل انهم اعتقدوا كونهم قادرين
على الانتفاع بها ومنع الغير منها فقالوا بل الامر انقلب علينا فصرنا نحن المحرومين قال اوسطهم اي اعدلهم وخيرهم كما في
قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون قال الاكثرون معنى التسبيح ههنا الاستثناء لانه تعالى
تحكم بقوله ولا يستثنون والاستثناء نوع من التنزيه لانه لو دخل في الوجود شي على خلاف مشيئته كان نقصانا في كمال
القدرة وعن الصلاة كانهم قالوا يتكاسلون فيها والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر وقال الاخرون ان اوسطهم كان يقول
لهم عند عزمهم على منع حقوق الفقراء لولا تذكرون الله تتوبون اليه من هذه العزيمة الخبيثة فلم يلتفتوا الى قوله
الا بعد خراب البصرة فاينبوا سبحانه ربنا عن ان يجري في ملكه شي على خلاف مشيئته وقالت المعتزلة سبحانه
الله عن الظلم وعن كل قبيح انا كنا ظالمين بمنع المعروف وترك الاستثناء ومعنى يتلاومون يلوم بعضهم بعضا

صلة ع

الحسوم

يقول واحد لغيره انت اشرت علينا بهذا الرأي ويقول الآخر انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث انت الذي رغبتني في
جمع المال ثم قالوا جميعا يا ويلنا انا كنا طاغين اعترافا بالذنب ثم ترقوا رجاء فقالوا عسى ربنا الآية سئل قتادة عنهم اهم من
اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا كأنه توقف في المسألة وعن مجاهد ان هذه كانت توبة منهم فابدلوا خيرا
منها وعن ابن مسعود بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل
منه عنقودا ثم اكد التكليف بقوله كذلك العذاب اي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة من القحط والقتل بلونا اصحاب
الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ثم مزج وعيد الاشقياء بوعد السعداء فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم
ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه منغص كجنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم
في الدنيا فلا بد ان يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فنفى الله معتقدهم بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين قال القاضي
فيه دليل واضح على ان وصفي المسلم والمجرم متنافيان فلا يكون الفاسق مسلما واجيب بانه تعالى لم ينف المماثلة من كل الوجوه
لتماثلهما في الجوهرية والجسمية وسائر الاوصاف التي لا تكاد تحصى فاذن المراد نفي التسوية في اثري الاسلام والاجرام ولا
نزاع في ذلك فان اثر احدهما وعد وعلى اثر الآخر وعيد او نقول ثواب المسلم غير المجرم اكثر من ثواب المسلم المجرم على ان المجرم
في الآية يحتمل ان يراد به الكافر الذي ضرب مثل اصحاب الجنة في امثاله نظير الآية ام نجعل المتقين كالفجار وقد مر
في ص ثم قال لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم المعوج تحكم الشيء واختاره اذا اخذ حيره ام لكم
ايمان علينا يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به والمعنى بالغة مؤكدة مغلظة وقوله الى يوم
القيامة متعلق بالظرف وهو علينا اي هي ثابتة علينا الى يوم القيامة ويجوز ان يتعلق ببالغة اي هذه الايمان في قوتها وكمالها
يجب ان تنتهي الى يوم القيامة لم يبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه وهو قوله ان لكم لما تحكمون ثم قال لنبيه صلعم ازدياد لكل
من تبينا اهل الخطاب سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي كفيل بالاستدلال على صحته ام لهم ناس شركاء في هذا القول والمراد
من الآيات انه ليس لهم دليل عقلي في الاثبات منهم ولا نقلي وهو كتاب يدرسونه ولا عهد لهم به عند الله
لهم تقوم به ولا لهم من يوافقهم من العقلاء وبدل ذلك على باطل كل من الوجوه قوله يوم يكشف قيل منصوب بقوله
فليأتوا اي انهم كانوا صادقين في ان اشباههم كان طباق لها يوم القيامة لتشفعهم وتشفع لهم وقيل باضمار اذكر وقيل التقدير يوم
يكشف عن ساق كيت وكيت واحتجت المشبهة بالآية على ان لله تعالى ساقا وايدوه بما روي عن ابن مسعود مرفوعا
انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيامة ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف الرحمن عن
ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم كالطبق الواحد فذلك قوله ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون حال كونهم خاشعة ابصارهم يعني انهم لم يكونوا مواظبين على خدمة مولاهم في حال السلامة
ووجود الاصلاب والمفاصل على هيآتها الموانية للركوع والسجود قالت اهل السنة الدليل الدال على انه تعالى منزه عن
الجسمية وعن كل صفات الحدوث وسمات الامكان دل على ان الساق لم يرد بها الجارحة فاولوه بانه عبارة عن شدة
الامر وعظم الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن ومثله اقامة الحرب على ساق ومعنا
يوم يشتد الامر ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول الاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل
وهكذا في الحديث معناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله قال في الكشاف ثم كان من حق الساق وان يعرف على ما ذهب اليه
المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن وانما جاءت منكرة في التمثيل للدلالة على انه امر مبهم
هائل تلك الالفاظ ان هذا لا يرد على المشبهة فان له ان يقول انما نكر الساق لاجل التعظيم اي ساق لا يكتنه لغاية عظمها كما
يقوله غيره وقال ابو سعيد الضرير ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان ومعنى الآية يوم تظهر
حقائق الاشياء واصولها وقيل يكشف عن ساق جهنم او عن ساق العرش او عن ساق ملك مهيب وقال ابو مسلم
هذا في الدنيا لانه تعالى قال في وصف ذلك اليوم يدعون الى السجود وليس يوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف
بل المراد منه زمان الهرم والعجز او اخر ايام دنياه فانه في وقت النزع يرى الناس يدعون الى الصلوات بالجماعة وهو اذا حضرت اوقات
وهو لا يستطيع الصلوة لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها والتحقيق ان الذي ذكره محتمل الا ان تعليله ضعيف فانا
نوافقه ان يوم القيامة ليس وقت تعبد وتكليف ولكن لا مانع من الدعا الى السجود للتوبيخ والتفضيح على رؤس الاشهاد

قال الجبائي لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على انهم في الدنيا كانوا يستطيعون فيبطل بهذا قول من قال لا قدرة
له على الايمان وان القدرة على الايمان لا تحصل الا حال وجود الايمان واجيب بان علم الله بانه لا يؤمن مناف لوجود الايمان والجمع
بين المتنافيين محال فالاستطاعة في الدنيا ايضا حاصلة على قول الجبائي والجواب الصحيح عندي ان عدم الاستطاعة في
الدنيا لمانع آخر وهو انه تعالى لم يرد منهم الايمان وعلم منهم الكفر وقدره لهم وذلك وعدم الاستطاعة في الآخرة لمانع فقدان آلة
السجود وهي لين المفاصل ومطاوعة الاعصاب وسلامة الفقرات ثم خوفهم بنوع آخر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
وفيه تسلية للنبي صلعم كأنه قال حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وقوله سنستدرجهم الى قوله متين
قد مر في آخر الاعراف وقوله ام تسألهم الى ما يكتبون قد مر في الطور ثم امر نبيه صلعم بالصبر ونهاه عن الضجر في امر
التبليغ كحال يونس عليه السلام وقد تقدم مرارا قال بعض العلماء العامل في اذ معنى قوله كصاحب الحوت وذلك انه كان في ذلك
الوقت مكظوما او لا يوجد منك ما وجد منه في الضجر والمغاضبة قال جمع من المفسرين ان الآية نزلت باحد حين حل بالمؤمنين
ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل نزلت حين اراد ان يدعو على ثقيف والنعمة التي تداركت يونس الحقة به وسلخه
هي النبوة او عبادته السابقة او قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذه نعمة التوبة والحقيقة
وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم والمعنى ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء اي الفضاء
كما مر في الصافات ولولا توبته لكانت حالته حالة الذم وقيل المراد لولا هذه النعم لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء
يوم القيامة اي بعرصتها مذموما فاجتباه ربه بتقريب التوبة فجعله من الصالحين اي الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه
الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه ثم اخبر نبيه صلعم عن حسد قومه وحرصهم على ايقاع المكروه به بعد ان صرح
بتحقيقه تعالى وان يكاد هي مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها وزلق وازلق بمعنى يقال زلق الرأس وازلقه اي حلقه
قال جار الله يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك او يهلكونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد يأكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله ثم بين بقوله لما سمعوا الذكر ان
هذا النظر كان يشتد منهم في حال قراءة النبي صلعم القرآن حسدا على ما رزق من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره
وتنفيرا عنه مع علمهم بانه اعقلهم ثم قال تعالى وما هو اي القرآن الا ذكر وموعظة للعالمين وفيه استجهال لمن جعل من جاء
بمثله من الآداب والحكم واصول كل العلوم والمعارف واعلم ان للعقلاء خلافا في ان الاصابة بالعين هل لها في الجملة حقيقة
ام لا وبتقدير كونها حقة فهل الآية مشعرة بها ام لا اما المقام الاول فقد شرحناه في البقرة في قوله واتبعوا ما تتلوا
الشياطين وفي يوسف في قوله يا بني لا تدخلوا من باب واحد والذي نقول ههنا ان منهم من انكر ذلك بناء على ان
تأثير الجسم في الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة وهو ضعيف لان النفوس والامزجة لها تأثيرات خاصة وقد روي انه
صلعم قال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر واما المقام الثاني فقد قال بعض المفسرين كانت العين في بني اسد وكان
الرجل منهم يجوع ويرتاض ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فالتمس الكفار من بعض من كانت
له هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلعم ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وطعن الجبائي في هذا التأويل وقال
الاصابة بالعين مقرونة باستحسان الشيء والقوم كانوا يبغضون النبي صلعم واجيب بانهم كانوا يبغضونه من حيث الدين الا انهم كانوا
يستحسنون فصاحته وايراده الاعاجيب من الحجج والبينات بانواع المعجزات وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية

سورة الحاقة اثنتان وخمسون آية مكية كلماتها مائتان وست وخمسون حروفها الف واربع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَاقَّةُ ۝ مَا الحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ ۝
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا

عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل
خاوية ۝ فهل ترى لهم من باقية ۝ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ۝ فعصوا
رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية ۝ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ۝ لنجعلها
لكم تذكرة وتعيها اذن واعية ۝ فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ۝ وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة ۝ فيومئذ وقعت الواقعة ۝ وانشقت السماء فهي
يومئذ واهية ۝ والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ۝
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ۝ فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرءوا كتابيه ۝ اني ظننت اني ملاق حسابيه ۝ فهو في عيشة راضية ۝ في جنة عالية
قطوفها دانية ۝ كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ۝ واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ۝ ولم ادر ما حسابيه ۝ فهو في عيشة راضية
في جنة عالية ۝ قطوفها دانية ۝ كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ۝ واما
من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ۝ ولم ادر ما حسابيه ۝ يا
ليتها كانت القاضية ۝ ما اغنى عني ماليه ۝ هلك عني سلطانيه ۝ خذوه فغلوه ۝ ثم الجحيم
صلوه ۝ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ۝ انه كان لا يؤمن بالله
العظيم ۝ ولا يحض على طعام المسكين ۝ فليس له اليوم هاهنا حميم ۝ ولا طعام الا من
غسلين ۝ لا ياكله الا الخاطئون ۝ فلا اقسم بما تبصرون ۝ وما لا تبصرون ۝ انه لقول
رسول كريم ۝ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ۝ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ۝
تنزيل من رب العالمين ۝ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ۝ لاخذنا منه باليمين ۝
ثم لقطعنا منه الوتين ۝ فما منكم من احد عنه حاجزين ۝ وانه لتذكرة للمتقين ۝

وانا لنعلم ان منكم مكذبين ۝ وانه لحسرة على الكافرين ۝ وانه لحق اليقين ۝ فسبح باسم ربك
العظيم ۝

القراءة ادراك بالامالة حيث كان حمزة وعلي وخلف والخزاز عن هبيرة وابو عمرو والنجاري
عن ورش وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان فهل ترى كما في الملك ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء ابو عمرو وسهل ويعقوب
الاخرون بفتح القاف وسكون الباء وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف القاف عن خلف عن حمزة وخلف لنفسه والهاشمي عن قنبل والخزاز
عن ابن فليح وابو ربيعة عن اصحابه فهي يومئذ بالادغام شجاع وابو شعيب لا يخفى على التذكير حمزة وعلي وخلف كتابي حسابي
بغير هاء السكت في الوصل سهل ويعقوب وابن عامر **الوقوف** الحاقة لا لان ما بعدها خبرها ما الحاقة لاحتمال الا وبعده الحال الا استيناف
الحاقة بالقارعة بالطاغية عاتية ايام لان حسوما صفة الثمانية صرعى لان ما بعده كالحال او للاستيناف صفة خاوية
للاستفهام مع الفاء باقية بالخاطئة رابية الجارية واعية واحدة واحدة الواقعة للعطف واهية كذلك ارجائها لاختلاف النظم
ثمانية خافية كتابيه حسابيه راضية عالية دانية الخالية كتابيه حسابيه القاضية ماليه كلها جائزات تفصيلا
من الندامات مع اتحاد المقولات سلطانيه فغلوه للعطف صلوه لذلك فاسلكوه العظيم المسكين حميم غسلين الخاطئون
تبصرون وما لا تبصرون كريم شاعر تؤمنون كاهن تذكرون اي تنزيل العالمين باليمين الوتين والوصل جوز لدخول الفاء والحاجز
الكل حاجزين للمتقين مكذبين الكافرين اليقين العظيم **التفسير** الحاقة في الاتفاق الا انهم اختلفوا في سبب
التسمية فقيل ابو مسلم هي الفاعلة من حقت كلمة ربك اي الساعة الواجبة الوقوع التي لا ريب في مجيئها وقريب منه قول
الليث انها النار التي حقت فلا كاذبة لها وقيل انها التي تحقق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا
اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل هي التي توجد فيها حواق الامور وهي الواجبة الحصول من الثواب والعقاب
وغيرهما من احوال القيامة وهذا الوجه والذي تقدمه يشتركان في الاسناد المجازي الا ان الفاعل في الاول بمعنى المفعول وفي الثاني
على اصله وقريب منه قول الزجاج انها تحق اي تكون فيه جميع اثار اعمال المكلفين ولا تخرج عن حد الانتظار وقال الازهري تسميت
بذلك لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي تخاصم كل مخاصم وتغلبه وارد في التفسير الكبير وجوها اخرى الى تمام العشرة
وهي في التحقيق مكررة فلذلك حذفناها قوله ما الحاقة مبتدأ وخبر والمجموع خبر الحاقة والاصل ما هي يعني اي شيء هي في هذا
الاستفهام تهويل وتفخيم لشانها ووضع الظاهر موضع الضمير لمزيد التهويل ومثله في قوله وما ادراك ما الحاقة الثانية
في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام قلت ولهذا ذكر لنصب الجزئين على انها مفعول
ثان وثالث كقولك اعلمتك زيدا فاضلا ومعنى ذكر الحاقة على ابلغ وجوه التفخيم اتبعها ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب
تخويفا لاهل مكة فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة والاصل بها اي بالحاقة الا انه وضع القارعة موضع الضمير ليدل بذلك
على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولا ريب انها تقرع الناس بالافزاع والاهوال السماء بالانشقاق
والارض بالدك والنجوم بالطمس الى غير ذلك وكانت عادة القرآن جارية بتقديم قصة عاد على ثمود الا انه قلب ههنا
لان قصة ثمود بنيت على غاية الاختصار ومن عادتهم تقديم ما هو اخصر قوله بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي
الرجفة والصاعقة او الصيحة وقيل الطاغية مصدر اي بسبب طغيانهم واعترض بانه لا يطابق قصة عاد فاهلكوا
بريح ويمكن ان يجاب بان السبب الفاعلية والسبب الاولى كلاهما يشتركان في مطلق السببية وهذا القدر من المناسبة
كاف في الطباق وعلى هذا القول يحتمل ان تكون الطاغية صفة موصوف محذوف اي بشؤم الفرقة الطاغية التي كانت
على عقر الناقة ويجوز ان يراد بها عاقر الناقة وحده والتاء للمبالغة كالراوية والصرصر الشديدة الصوت او الكثيرة البرد
وسميت عاتية لشدة عصوفها قال جار الله العتو استعارة قلت لانه مستعمل في مجاوزة الانسان حد الطاعة والانقياد
وقال عطاء عن ابن عباس يريد ان الريح عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او استناد بجبل فانها
كانت تنزعهم من مكانهم وقال الكلبي عتت على خزانها كما جاء في الحديث ما ارسل سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من
مطر الا بمكيال الا يوم نوح ويوم عاد فان الماء يوم نوح طغى على الخزان والريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها
سبيل وقيل العاتية من عتت النبت اذا بلغ منتهاه ومنه قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي ريح بالغة
منتهاها في الشدة والقوة سخرها اي سلطها بدليل عليهم وقال الزجاج اقامها وقيل ارسلها قوله حسوما جمع حاسم

شهود والتركيب يدور على القطع والاستيصال ومنه الحسام لانه يحسم العدو عما يريد من بلوغ امله وذلك ان تلك
الريح حسمت كل خير واستاصلت كل بركة وقيل انها تباعا بعث من غير فتور ولا انقطاع حتى اتت عليهم فمثل تتابعها بتتابع
فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء مرة اخرى الى ان ينحسم ونحوه ان يكون حسوما مصدرا كالدخول والخروج وعلى
هذا ينتصب بفعل مضمر اي تستاصل استيصالا او يكون وصفا بالمصدر اي ذات حسوم او مفعولا له فقيل هي ايام
العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها والصحيح انها ايام العجز وهي
اخر الشتاء واساميها الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر ومطفي الجمر ومكفي الظعن والضمير فيها للمهاب او للليالي
والايام الخاوية الساقطة وقيل الخالية كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم وعلى هذا يحتمل ان تكون الخالية بمعنى البالية
لان النخل اذا يبست خلت اجوافها والباقية مصدر وقيل من نفس باقية وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء
في عذاب الله فلما كان اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم من قرا ومن قبله بالفتح فالسكون فظاهر اي ومن تقدمه من مرسل الكفر والضلال كنمرود ونحوه ومن قرا
بالكسر والفتح اراد من عنده من اتباعه وجنوده والخاطئة مصدر اي الخطا او صفة بالفعلة او الافعال ذوات الخطا
العظيم وقوله رابية من ربا الشي يربو اذا زاد اي زائدة في الشدة كما كانت فعلاتهم زائدة في القبح وقيل معنى الزيادة اتصال
عذابهم في الدنيا بعذاب الاخرة كما قال اغرقوا فادخلوا نارا ولا ريب ان عذاب الاخرة اشد فكان عذابهم يربو ويربو
الى حد ليس فوقه وقال الواحدي الوجه في قوله رسول ربهم ان يكون رسول الامم المذكورة كلهم اعني موسى ولوطا وغيرهما
من رسل من تقدم فرعون كقوله انا رسول رب العالمين ولو جعل عبارة عن موسى فقط لتوهم التخصيص بذكر قصة لبعض
من تقدم فرعون فقال انا لما طغى الماء قطعيان الماء كطغيان الريح وقد سبق في السورة فمعنى حملناكم حملنا اباءكم وانتم
في اصلابهم في الجارية في السفينة وهي سفينة نوح لجعلها قال الفراء الجارية لانها المذكورة والاظهر عوده الى
الواقعة والحالة هي نجاة المومنين واغراق الكافرين وانها العظة والعبرة لقوله وتعيها اذن واعية من شانها حفظ
كل ما تسمع لتعمل به قال اهل اللغة كل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته قال او عيت
العلم واوعيت المتاع في الوعاء قال شعر والشر اخبث ما اوعيت من زاد قال جار الله وانما قيل اذن واعية على
التوحيد والتنكير للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة
اذا وعت فهي عند الله لكان وما سواها لا يلتفت اليهم وان ملاوا العالم عن النبي صلعم انه قال لعلي عند نزول الاية
سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد ذلك وما كان لي ان انسى وهذا فرع من بيان
الحكمة والقدرة عاد الى ما ابتدا منه الكلام وهو حديث الحاقة والنفخة الواحدة عن ابن عباس انها الاولى ان يقول اليوم
اسم للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب كما يقول جئتك عام كذا وانما جئت في
وقت واحد من اوقاته وقوله نفخة واحدة صفة موكدة وقوله وحملت اي رفعت من جهاتها بريح شديدة اي بملك او بقدرة الله
من غير واسطة والضمير في ندكتا الجماعة الارضين والجبال والمراد انه ينفي الجملتين بضرب بعضها ببعض حتى تندك وتر
كثيبا مهيلا وهباء منثورا والدك ابلغ من الدق وقيل اراد فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا من قولك اندك
السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء وقوله فيومئذ جواب فاذا نفخ والواقعة النازلة وهي القيامة واهية مسترخية
بعد ان كانت مستمسكة والملك جنس ولهذا كان اعم من الملائكة لشموله الواحد والاثنين ودونها والارجاء الجوانب جمع رجا
مقصور والمعنى ان السماء اذا انشقت عدلت الملائكة من مواضع الشق الى جوانب السماء فان قيل الملائكة يموتون
في الصعقة الاولى فكيف يقفون على ارجاء السماء الجواب يقفون لحظة ثم يموتون او هم المستثنون بقوله الا من
شاء والضمير في فوقهم عائد الى الملك على المعنى لان التقدير الخلق الذي يقال له الملك والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكة
الذين هم حملة العرش وقال مقاتل الضمير للجملة اي فوق رؤسهم والاصح قيل الذكر جائز لانه بعده حكما كقوله في بيوت
يوم الحكم وعن الحسن لا ادري ثمانية اشخاص او ثمانية الاف او ثمانية صفوف او ثمانية الاف صفوف وعن الضحاك
ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله قال المفسرون الحمل على الاشخاص اولى لان هذا اقل ما يصدق اللفظ عليه
والزايد لا دليل له وكيف لا والمقام مقام تهويل وتعظيم فلو كان المراد ثمانية الاف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل

دبريله ما روي عن رسول الله صلعم هم اليوم اربعة واذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وروي ثمانية
املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان
وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولولا هذه الروايات
لجاز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر قالت المشبهة لو لم يكن الله على العرش لم يكن لحمله فائدة والجواب وقوله
يومئذ تعرضون للمحاسبة والمسائلة فلو لم يكن الا انه حاضر لم يكن للعرض معنى اجاب اهل السنة لان الدليل دل على محال الا لم
محال فلا بد من التاويل وهو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس ليسكن فيه وجعل في ذلك البيت
حجرا هو يمينه في الارض اذا كان من شانهم ان يقبلوا ايدي ساداتهم فيقبل ايمانهم ويجعل على العباد حفظة لان الشيطان يجوز عليه
لانه المتعارف فلذلك لما كان شان الملك اذا اراد محاسبة عماله ان يجلس لهم على سرير ويقف الاعوان حوله صور
الله تعالى تلك الصورة المهيبة لا لانه يقعد على السرير يروى ان في القيامة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج
وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب وقوله لا تخفى منكم خافية اي تعرضون على من لا يخفى عليه شيء اصلا وقيل اراد لا
يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا على غيرانه وذلك ليتكامل سرور المومنين ويعظم تهنية الذين ثم اخذ في تفصيل
عرض الكتب وهاوم صوت به فيفهم معنى خذ وله لغات واستعمالات مذكورة في اللغة منها ما ورد في الكتاب الكريم
وهو هاء مثل باع للواحد لمذكر او للمذكر بالضم الهمزة ولحاق الميم بعدها الف للتثنية هاوم بضم الهمزة بعدها ميم ساكنة للجمع
المذكر هاء بالكسر للمونثة هاون لجمعها وكتابيه هاوم عند الكوفيين ومفعول اقروا وعند البصريين لانه اقرب واصله
هاوم كتابي اقروا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال البصريون ولو كان العامل الاول لقيل اقروه اذ المختار اضمار
المفعول ليكون دليلا على المحذوف اجاب الكوفيين بان الظاهر قد اغنى عن الضمير كما في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
والهاء في كتابيه وغيرها للسكت ومن حقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل لكنه استحب المتلفظ بها في الوصل عند
جماعة اتباعا لرسم خط المصحف وانما قال مبادرا كتابيه بيمينه هاوم اقروا كتابيه ابتهاجا وفرحا وقيل يقول
ذلك لاهل بيته وقرابته وفي قوله اني ظننت اي وجدت كما مر في قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وما يختص بالمقام
قول بعضهم اني اراد الظن في الدنيا لان اهل الدنيا لا يقطعون بنيل الدرجات وفي هذا الوجه نظر لانهم وان كانوا غير
قاطعين بالجنة الا انهم يجب ان يقطعوا بالحساب والجزاء وعن ابي هريرة انه صلعم ان الرجل يوتى به فتكتب حسناته
في ظهر كفه فينظر الى سياته فيحزن فيقال له انقلب كفك فينظر فيه فيفرح ثم يقول هاوم اقروا كتابيه اني ظننت عند
النظرة الاولى اني ملاق حسابيه على سبيل الشدة واما الان فقد فرج الله عني ذلك الغم واما في حق الاشقياء فيكون
ذلك على الضد مما ذكرنا ثم بين عاقبة امره قائلا فهو في عيشة فعله من العيش للنوع راضية منصوبة الى الرضا
كالدارع والنابل المنسوب الى الدرع والنبل وهذه من النسبة بالصيغة كما ان قولك بصري وهاشمي من النسبة بالحرف
ويجوز ان يكون من الاسناد المجازي كقولك نهاره صائم جعل الصوم للنهار وهو لصاحبه كذلك جعل الرضا للعيشة وهي
لصاحبها رضي الله عنهم ورضوا عنه في جنة عالية درجاتها لانها فوق السموات على تفاوت الطبقات وفي جنة رفيعة البناء
والقصور والاشجار قطوفها دانية ثمارها قريبة التناول والقطوف جمع قطف بالكسر وهو المقطوف كالطحن بمعنى المطحون
روي ان ثمارها يقرب تناولها للقائم والجالس والمضطجع وان احب ان يدنو الى فيه دنا كلوا على ارادة القول وهنيئا مصدر
او صفة كما مر في والطور جمع الخطاب في كلوا مع انه وحد الضمير في قوله اوتي دعنى حملا على اللفظ ثم على معناه والامر
من هذا الامر التوقير والغرض لا التكليف ومن قال الاباحة لبث بتكليف ولا اشكال وقوله بما اسلفتم كقوله في الطور
بما كنتم تعملون ولا تسلان في اللغة تقدم ما يرجوان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف في كذا اذا قدم
فيه والمعنى بسبب ما عملتم من الاعمال الصالحة في ايام الدنيا الماضية وعن مجاهد والكلبي هي ايام الصيام فيكون الاكل والشرب
في الجنة بدل الامساك عنهما في الدنيا ثم اخذ في قصة الاشقياء وانما تمنى لانه لم يدر اي شيء حسابه لانه كل عليه ولا يعود منه
اليه سوى الضر والضمير في ياليتها عائد الى الموتة الاولى ويدل عليه سياق الكلام ولعل في قوله ثم اشارة اليها

اليها لانها حالة العدم المستلزمة لعدم الادراك اي الموتة منها ليتها كانت القاطعة لامري او المجوفة فلم ابعث بعدها وقيل
الضمير للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي قال الفضلاء تمنى الموت حين راى من الخجل وسوء المنقلب وهو
اشد واشنع من الموت قوله ما اغنى عني يجوز ان يكون استفهاما على سبيل الانكار ومعناه اي شيء اغنى عني ما كان لي من
اليسار فانه لم يبق منه الا الوبال هلك عني سلطانيه تسلطي على الناس او الحجة ما كنت الصورة حجة وبرهانا قال ابن عباس
ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد في الدنيا وقال مقاتل انما يقول هذه حين شهدت عليه الجوارح بالشرك حكي
عن عضد الدولة انه قال قصيدة مطلعها هذا ليس شرب الكاس الا في المطر وغناء من جوار في السحر غانيات سالبات
للنهى ناعمات في تضاعيف الوتر مبرزات الكاس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر عضد الدولة وابن ركنها
ملك الاملاك غلاب القدر يروى بضم القاف جمع القدرة قبحها الله وما قدر الله على عباده وقضى ولا ريب ان المصراع الاخير
فيها سوء الادب والجراة على الله تعالى احدهما انه سمى نفسه ملك الاملاك ولا يصلح هذا الاسم الا لله سبحانه ولهذا
جاء في الحديث اخنع الاسماء عند الله رجل يسمى ملك الاملاك ويقال له بالفارسية شاهنشاه والثاني انه زعم غلبته
على القدر او القدرة وهذا ايضا من اوصاف الله عز وجل وعلى لا يصلح لغيره فان زعم انه قال ذلك بالنسبة الى ملوك دنيه
فذلك قيد لا يدل عليه الاطلاق فسوء الادب باق في هذا يروى ان الله تعالى ابتلاه عقيب بالخبل وفساد الذهن وحبس
القوى فكان لا ينطق لسانه الا بتلاوة ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه على ارادة القول اي يقال له خذوه ايها
الزبانية يروى انه يبتدر اليه مائة الف ملك فيجمع يده الى عنقه والتصلية في الجحيم وهي النار العظمى اشارة الى انه كان
سلطانا يتعظم على الناس والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في اخرى وكل شيء مستمر بعضه على الولاء والنظام فهو مسلسل
والذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد وقوله سبعون ذراعا يجوز ان يكون محمولا على الظاهر وان يراد المبالغة
على عادة العرب وتقديم الجحيم على التصلية والسلسلة على السلك للحصر اي لا تصلوه الا في الجحيم ولا تسلكوه الا في
هذه السلسلة الطويلة لانها اذا طالت كانت الكلفة اشد قالوا كل ذراع سبعون باعا ابعد مما بين مكة والكوفة وقال
الحسن الله اعلم باي ذراع هو قال ابن عباس يدخل السلسلة في دبره ويخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه
وقال الكلبي كما يسلك الخيط في اللؤلؤ يجعل في عنقه سائرها وعن بعضهم ان جمعا من الكفار يقرنون في هذه السلسلة
الطويلة ليكون العذاب عليهم اشد وانما لم يقل فاسلكوا السلسلة فيه لان المراد ان السلسلة تكون ملتفة على جسده
بحيث لا يقدر على حركة وقيل هو كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي والخاتم في اصبعي ومعنى ثم للتراخي في الرتبة ثم
ذكر سبب هذا الوعيد الشديد بدا بعدم الايمان بالله العظيم ثم بعدم بذل المال للمساكين ولعل الاول اشارة الى فساد القوة
النظرية والثاني الى فساد القوة العملية وقال جار الله في عطف حرمان المسكين على الكفر تغليظ وفي ذكر الحض دون
الفعل تغليظ فوق تغليظ ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل عن ابي الدرداء انه كان يحض امراته
على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر والطعام اسم بمعنى الاطعام
كالعطاء بمعنى الاعطاء وفي الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع والحميم القريب الشافع وقوله ههنا اشارة الى
مكان عذابهم او الى مقام الوصول الى هذا الحد من العذاب يروى عن ابن عباس سئل عن الغسلين فقال لا ادري
وقال الكلبي هو ما يسيل من اهل النار من القيح والصديد والطعام ما هيء للاكل فيجوز ان يكون اطلاق الطعام عليه من باب
التهكم وهو مثل عتابك السيف قال ابن عباس الخاطئون في الاية هم المشركون ثم عظم شان القران بالاقسام بكل
الاشياء لانها اما مبصر او غير مبصر مثل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق او النعم الظاهرة
والباطنة والاكثرون على ان الرسول الكريم ههنا هو محمد صلعم لانه ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والقوم كانوا
يصفون جبرائيل بالشعر والكهانة ولما يصفون بهما محمدا صلعم واما في السورة التكوير فالاكثرون على انه جبرائيل عليه
لان الاوصاف التي بعده تناسبه كما يجيء وفي ذكر الرسول اشارة الى ان هذا القران ليس قولا من تلقاء نفسه وانما هو قول
المودي عن الله بطريق الرسالة وهكذا ان كان المراد جبرائيل وفي وصفه بالكريم اشارة الى امانته وانه ليس ممن يغير
الرسالة طمعا في اعراض الدنيا الخسيسة وايضا من كرمه انه اتى بافضل انواع المزايا والعطايا وهو المعرفة والارشاد
والهداية وانما قال عند نفي الشعر عنه قليلا ما تؤمنون وعند نفي الكهانة قليلا ما تذكرون لان انتفاء الشعرية عن

القران امر كالمحسوس اما من حيث اللفظ فظاهر لان الشعر كلام موزون مقفى والفاظ القران ليست كذلك الا ما هو
في غاية الندرة بطريق الاتفاق من غير تعمد واما من جهة المعنى فلان القران فيه اصول كل المعارف والحقائق والبراهين والدلائل
المفيدة للتصديق اذا كان المكلف ممن يصدق ولا يعاند واما الكهانة فعند امره يفتقر الى ادنى تامل يوقف على ان كلام
الكهانة اسجاع لا معاني تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها وايضا في القران سب الشياطين وذم شيمهم والكهان اخوان الشياطين
فكيف يرضى اظهار ربما يعم ثم صرح بالمقصود فقال تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل ثم بين ان المفتري لا يفلح وان خوض انه
نبي فقال ولو تقول والتقول تكلف القول من غير ان يكون له حقيقة والاقاويل جمع اقوال وفي الكشاف في اللفظ تصغير وتحقير
كالاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول ومعنى الاية لو نسب الينا قولا لم نقله لقتلناه اشنع قتلة وهو ان يعقد
بيمينه ويضرب رقبته وهو ينظر الى ذلك السيف وهذه فائدة تخصيص اليمين لان القتال اذا اخذ بيسار المقتول
وقع الضرب في قفاه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا التفسير
منقول عن الحسن البصري والوتين العرق المتصل من القلب بالراس فاذا انقطع مات الحيوان قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطع
بعينه بل المراد انه لو كذب لامتناه كما يفعل الملوك فكان كمن اخذ بيمينه فقطع وتينه ونظيره ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فهذا اوان انقطع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب اذا انقطعت مات صاحبه فكانه قال هذا اوان ان يقتلني السم وعن
المبرد والزجاج ان اليمين القوة وفيه كل شيء في مباينته بالبا زائدة ومعنى الاخذ السلب اي سلبنا عنه القدرة على التكلم
بذلك القول وهذا كانوا احب في حكمة الله تعالى كيلا يشتبه الصادق بالكاذب وقال مقاتل اليمين الحق كقوله انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين اي من قبل الحق والمعنى لمنعناه بواسطة اقامة الحجة ولقيضنا له من يعارضه وحينئذ يظهر للناس كذبه فما منكم
من احد عنه اي عن الرسول او عن القتل والخطاب للناس واحد في معنى الجمع لانه في سياق النفي فلذلك قال حاجزين
اي مانعين وحين بين ان القران تنزيل من عند الله بواسطة جبرائيل على محمد الذي من صفته انه ليس بشاعر ولا كذاب بين ان
القران ما هو الى اي صنف يعود نفعه فقال وانه لتذكرة للمتقين ثم اوعد على التكذيب قائلا وانا لنعلم ان منكم مكذبين ثم
بين ان التكذيب او القران نفسه حسرة الكافرين في القيامة اذا راوا ثواب المصدقين او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين لان
القران حق اليقين اي حق يقين لا ريب فيه فاضيف الى الاخر للتاكيد كقولك هو حق العالم ثم امره بالتسبيح شكرا لله على الايحاء اليه او على ما
عصمه من الافتراء عليه والله اعلم

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون اية كلامها مائتان وست عشر حروفها ثمانمائة واحدى وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ
صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ إِنَّ
الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا

المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ۝ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم ۝ والذين يصدقون بيوم الدين ۝ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ۝
إن عذاب ربهم غير مأمون ۝ والذين هم لفروجهم حافظون ۝ إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۝ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۝ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۝ والذين
هم على صلاتهم يحافظون ۝ أولئك في جنات مكرمون ۝ فمال الذين كفروا
قبلك مهطعين ۝ عن اليمين وعن الشمال عزين ۝ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل
جنة نعيم ۝ كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ۝ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين ۝ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون ۝ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب
يوفضون ۝ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ۝

القراءات سال بغير همز مثل باع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة تعرج على التذكير
علي ولا يسال بضم الياء البزي من طريق الهاشمي والبرجمي يرى ميد بالفتح على البناء ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعباس وعلي
والسوسي والبرجمي كذي وبه بغير همز يريد الاعشى وحمزة في الوقف نزاعة بالنصب حفص والمفضل لاماناتهم على التوحيد
ابن كثير بشهادتهم على الجمع حفص وعباس وسهل ويعقوب او يدخل من الدخول المفضل يخرجون من الخروج الاعشى الى
نصب بضمتين ابن عامر وسهل وحفص نصب بالضم فالسكون المفضل الباقون بالفتح فالسكون **الوقوف** واقع دافع المعارج
سنه جميلا بعيدا قريبا كالمهل كالعهن حميما لان ما بعده منقطع عنه مستانف ولكن اصطلحوا الوقف على يبصرونهم بنيه
ماخيه تؤويه جميعا للعطف ينجيه كلا لظى لان من قرا نزاعة بالرفع جاز ان يكون بدلا او خبر لظى والضمير في انها للقصة
او خبر مبتدا محذوف ومن نصب فعلى الحال المؤكدة وعلى الاختصاص للشوى لان تدعوا يصلح مستانفا او بدلا من نزاعة
وتولى فاوعى هلوعا جزوعا منوعا المصلين دائمون معلوم والمحروم الدين مشفقون مامون حافظون ملومين
العادون راعون قائمون يحافظون مكرمون لانقطاع المعنى مهطعين عزين نعيم كلا يعلمون لقادرون منهم بناء على ان الواو
للحال بمسبوقين يوعدون لان ما بعده بدل يوفضون لان ما بعده حال الضمير ذلة يوعدون **التفسير** من قرا سال
بالهمز ففيه وجهان الاول عن ابن عباس ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة الاية فانزل الله تعالى سال سائل اي دعا داع ولهذا عدي بالباء فقال ادعا بكذا اذا استدعاه وطلبه وقال ابن
الانباري الباء للتاكيد والتقدير سال سائل عذابا لا دافع له البتة اما في الاخرة واما في الدنيا كيوم بدر والثاني
قال الحسن وقتادة هو رسول الله صلعم استعجل بعذاب الكافرين وسال عن عذاب والباء بمعنى عن قاله ابن عباس

الانباري او عنى واهتم بعذاب انه على من ينزل وبمن يقع فبين الله تعالى هذا وانه يقع بهم فلا دافع له والذي يدل على صحة
هذا الوجه قوله في اخر الاية فاصبر صبرا جميلا ومن قرا بغير همز فله وجهان ايضا الاول ان يخفف سال وهي لغة قريش
بالمعاني كاسمه والثاني ان يكون من السيلان ويعضده قراءة ابن عباس سال سيل وهو مصدر في معنى سائل كقولهم الغور
بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم اما سائل فلا يجوز فيه الا الهمز وتالى الاول انه كان
من سال المهموز فظاهر وانه كان من غير المهموز فلقلب الواو همزة كاقائل وبائع وقوله للكافرين صفة اخرى للعذاب
اي بعذاب واقع لا محالة كائن للكافرين ويتعلق بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع ويتعلق بواقع اي نازل لاجلهم
وهو كلام مستانف جواب للسائل الذي يسال ان العذاب على من ينزل اي هو للكافرين ان قوله من الله يتعلق بدافع
اي لا دافع له من جهة الله لانه قضى بوقوعه ويجوز ان يتصل بواقع اي نازل من عنده والمعارج المصاعد وعن الكلبي
عن ابن عباس انها السموات لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة ذي الفواضل والنعم بحسب مراتب الاستحقاق والاستعداد
وقيل هي في الجنة للنهاد درجات وقال في التفسير الكبير هي مراتب الارواح الملائكة المختلفة بالشدة والضعف وبسببها
يتصل في اثار فيض الله الى العالم السفلي عادة او على عادة تلك الارواح كالمصاعد لمراتب الحاجات التي ترفع اليها وكالمنازل
لاثار الرحمة من ذلك العالم الينا قوله تعرج الملائكة والروح وفي موضع اخر يوم يقوم الروح والملائكة قيل ان الروح اعظم الملائكة
قدرا فهو اولى في درجة النزول كما في تلك الاية ولذلك قدم واخر باعتبار العروج كما في السورة فلهذا اخر قال بعض الكاملين
والروح نور عظيم هو اقرب الانوار الى جلال الله ومنه تنشعب ارواح سائر الملائكة والبشر في اخر درجات منازل الارواح
ومن الطريقين معارج مراتب ارواح الملائكة ومدارج منازل الانوار القدسية فلا يعلم تفصيلها الا الله واما المتكلمون فالجمهور
منهم قالوا ان الروح هو جبرائيل عليه السلام فلا استدلال لاهل التشبيه في لفظ المعارج فانا بينا انها المراتب وقوله اليه اي الى محل
او حكمه او الى حيث يهبط امره الى موضع العزة والكرامة والاكثرون على انه قوله في يوم من صلة تعرج اي تصاعد العروج
في مثل هذا اليوم وهو يوم القيمة قال الحسن يعني ان موقفهم للحساب الى حين يقضي بين العباد خمسين الف سنة
من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة الى الابد والاصح ان هذا الطول انما يكون للكافر لما
روي عن ابي سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلعم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن
حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا ومنهم من قال ان ذلك الموقف وان طال فقد يكون سببا لمزيد السرور
والراحة للمؤمن ومنهم من قال ان هذه المدة على سبيل التقدير لا على سبيل التحقيق والمعنى لو اشتغل بذلك القضاء والحكومة
اعقل الناس واذهم لبقي فيه خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا
وايضا الملائكة يعرجون الى موضع لو اراد واحد من اهل الدنيا ان يصعد اليها لبقي في ذلك الصعود خمسين الف سنة ثم انهم
يصعدون اليها في ساعة قاله وهب وجماعة من اهل التفسير وقال ابو مسلم ان هذا اليوم يوم الدنيا كلها من اول ما
خلق الله العالم الى يوم القيمة وفيه يقع عروج الملائكة ونزولهم ثم لا يلزم من هذا ان يصير وقت القيمة معلوما لانا لا ندري
كم مضى وقد بقي في الم السجدة وقال جمع من المفسرين قوله في يوم من صلة وقع اي يقع ذلك العذاب في يوم طويل مقداره
خمسون الف سنة لكن سنبكم وهو يوم القيمة ثم يحتمل ان تكون المراد منه استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار ويحتمل
ان العذاب الذي ساله السائل يكون مقدار هذه المدة ثم ينقله الله تعالى الى نوع اخر من العذاب يروى عن ابن ابي
مليكة عن ابن عباس سئل عن هذه الاية وعن قوله في يوم كان مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله وهو
اعلم بها كيف يكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم ثم قال ذهب في الجواب من اسفل العالم الى اعلى شرف العرش مسيرة
خمسين الف سنة ومن اعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة الف سنة لان عرض كل سماء من السموات السبع مسيرة
خمسمائة سنة وبين اسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة اخرى فالمراد مقدار الف سنة لو صعدوا الى السماء
الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعالي العرش وفي قوله فاصبر صبرا جميلا تسلية للنبي صلعم فقال انهم
يرون العذاب قريب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام قال الكلبي هذه الاية نزلت قبل ان يؤمر الرسول صلعم
بالقتال انهم يرون العذاب او يوم القيمة بعيدا الامد او بعيدا عن الامكان ونراه قريبا منه ثم قال يوم اي اذكر يوم
تكون السماء كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة وتكون الجبال المسبحة في الجو كالعهن اي الصوف المصبوغ

الوانا لقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود وجوز حالت الله ان ينتصب يوم تقربيا او بامار
يقع لدلالة واقع عليه او بدلا من يوم يكون السماء كالمهل ان كنت وكيف ادعو بدل من يوم المقدم فمن علقه بواقع قوله ولا يسال
من قرابيغ الما قاموا لا يسأله كيف حالك لاشتغال الكل بنفسه ومن قرأ بالضم فالمعنى لا يسأل حميم عن حميمه ليعرف شانه
من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه فيكون على حذف الجار وقال الفراء لا يقال لحميم اين حميمك ثم كان لسائل ان يقول
لعله لا يبصره فلهذا لا يسأله فقال يبصرونهم ولكنهم لشغلهم لم يتمكنوا من تسائلهم ويجوز ان يكون صفة اي حميما
مبصرين معرفين اياهم وانما جمع ضمير الحميم لانه في معنى الجمع حيث وقع في سياق النفي وقيل ان الجملة تتعلق بما بعدها والمعنى ان
المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود احدهم ان يفتدي نفسه بكل ما يمكنه فان الانسان اذا كان في البلاء ثم راى عدوه في الرخا
كان ذلك اشد عليه وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم وقد يقال تؤويه تضمه اليها للانتماء في النسب او عند النوائب ومعنى
ثم استبعاد الانجاء عن الافتداء ثم اكد الاستبعاد بقوله كلا وهو ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء وتنبيه على
انه لا ينفعه ذلك والضمير في انها للنفس كما ذكرنا او للنار وان لم يجر لها ذكر لدلالة العذاب والتانيث باعتبار الخبر لان لظى
علم للنار جهنم ولهذا لم ينصرف منقول من اللظى اللهب الخالص والشوى الاطراف وهي اليدان والرجلان والشوى ايضا جلد
الراس الواحد شواه وقال سعيد بن جبير العصب والعقب لحم الساقين واليدين ينتزعها ثم تعيد فسكبها ثم يعيدها الله
سبحانه في قوله تدعو وجوه منها انها تدعوهم بلسان الحال كما قيل سلي الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك
جوارا اجابتك اعتبارا وفيهما لما كان مرجع كل من الكفر اي ادركه من دركات جهنم فكانها تدعوه الى نفسها ومنها ان الله تعالى
يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحا فصيحا الي يا كافر الي ثم تلتقطهم التقاط الحب ومنها ان يكون على حذف
المضاف اي يدعو زبانيتها ومنها ان الدعاء بمعنى الاهلاك من قول العرب دعاه الله اي اهلكه من ادبر اي عن الطاعة
وتولى اي عن الايمان وجمع المال حرصا عليه فاوعى جعله في وعاء وكنزه ولم يؤد حقوق الله منه اسلاوهذه مجامع افات
النفس ثم بين ان الانسان بالطبع مايل الى الاخلاق الذميمة فقال ان الانسان هو الكافر عند بعضهم والاظهر العموم بدليل
الاستثناء عقيبه خلق هلوعا والهلع قلة الصبر وشدة الحرص كما فسره الله بقوله اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوه
من المضار كان جزوعا واذا مسه الخير اضداد ذلك كان منوعا عن النبي صلعم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع قال اهل
السنة الحالة النفسانية التي هي مصدر الافعال الاضطرارية كالجزع والمنع لا شك انها مخلوقة لله تعالى بل الجزع والمنع ايضا
من خلقه ولا اعتراض لاحد عليه خلق بعض الناس هلوعا وخلق المستثنين منهم غير هلوع بل مشغول القلب باحوال الاخرة
وجعل كل ذلك ضرب منه في ملكه وقالت المعتزلة ليس المراد انه مخلوق على هذا الوصف لانه تعالى ذكره في معرض
الذم والله تعالى لا يذم بجعله وفعله لانه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا انفسهم وطلقوها عن الشهوات ولو كانت
ضرورية لم يقدروا على تركها والجواب ان الذين خلقهم الله كذلك لم يقدروا على الترك والذين تركوها هم الذين لم يخلقوا
على ذلك تحصل برعاية لمهم سابقته على ان الصلوة كالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ونحوها حتى اذا حانوت الصلوة
لم يكن متعلق بشرائطها وامور مقارنة الصلوة كالخشوع والاحتراز عن الرياء والاتيان بالنوافل والمكملات وامور لاحقة
بالصلوة كالاحتراز عن اللغو ومايضاد الطاعة لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فارتكابه المعصية بعد الصلوة
دليل على ان تلك الصلوة لم تقع في حيز القبول الثالث الذين في اموالهم حق قال ابن عباس والحسن وابن سيرين
هي الزكوة المفروضة قلت الدليل عليه وصفه بانه معلوم واقترانه بادامة الصلوة وقال مجاهد وعطاء والنخعي هو ما
سوى الزكوة وانه على طريق الندب والاستحباب قلت هذا التفسير بما في الذاريات اشبه لانه لم يصف الحق هناك
بانه معلوم ولانه مدح هناك قوما بالتزام ما يلزمهم كقلة الهجوع والاستغفار بالاسحار الرابع والذين يصدقون
بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث والجزاء الخامس والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون والمؤمن خائف من التقصير
في الطاعة وبعض الفسقة لا يخافون من ارتكاب انواع الظلم واصناف المعصية ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم
غير مامون منه لان الامور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها السادس والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وقد مر
في المؤمنين السابع والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقد مر ايضا الثامن والذين هم بشهاداتهم قائمون من اوزد
فلا يهاسبه وممن جمع فللنظر الى اختلاف الشهادات وكثرة انواعها واكثر المفسرين قالوا هي الشهادات عند الحكام يقومون

بها بالحق ولا يكتمونها وهذه من جملة الامانات خصها الله بالذكر تنبيها على فضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وفي
تركها تضييعها لها وروي عن عطاء عن ابن عباس انها الشهادة بالله انه واحد لا شريك له التاسع والذين هم على
صلواتهم يحافظون وقد ذكرناه ثم عين مكان هؤلاء بقوله اولئك في جنات مكرمون قال المفسرون كان المشركون يحتفون
حول رسول الله صلعم فرقا يستهزؤون به وبالمؤمنين ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت فمال الذين
كفروا قبلك اي نحوه وفي مقابلك مهطعين مسرعين عادين اعناقهم اليك عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة ونحذوف المجز
واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون وجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف
كما مر في عضين قوله كلا ردع لهم عن الطمع الفاسد وذلك من وجهين احدهما انهم ينكرون البعث فمن اين لهم هذا الطمع
والثاني انهم لم يعدوا لها زادا من الايمان والعمل الصالح وفي قوله انا خلقناهم مما يعلمون رد عليهم من الوجهين فان من علم
اوله نطفة لم ينكر النشاءة الثانية او من علم ان اوله نطفة مذرة كسائر بني ادم لم يدع التقدم والشرف بلا توسل من
الايمان والعمل الصالح ثم بين كمال قدرته على الايجاد والاعدام مؤكدا ايا بالاقسام وانما لا يفوته شيء من الممكنات ومعنى المشارق
والمغارب قد تقدم في اول الصافات والرحمن ان الشمس في كل يوم من نصف السنة مشرقا ومغربا وقيل مشرق كل كوكب ومغربه
وقيل المراد انواع الهدايات والخذلانات والذي وصف الله نفسه بالقدرة عليه هو اخراج الى الفعل ام لا قال بعضهم بدل الله
بهم الانصار والمهاجرين وقال الحسن بدل الله قريشا بالايمان وقيل لم يقع التبديل بمعنى الهلاك الكلي لهم وايجاد اخرين مكانهم
ولكنه صدقهم بذلك حتى يؤمنوا ثم زاد في التهديد بان يخلوا وشانهم الى اوان لقاء الجزاء والاجداث القبور كما مر في
يس ثم شبه اسراعهم الى الداعي مستبقين باسراعهم الى انصابهم وهي كل ما ينصب فيعبد من دون الله وقد مر في
قوله وما ذبح على النصب ومعنى يوفضون يسرعون ونتحقق تغشاهم والباقي ظاهر والله اعلم واحكم

سورة نوح ثمان وعشرون اية مكية كلماتها مائتان واربع وعشرون
حروفها تسعماية وتسعة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ

نورا وجعل الشمس سراجا ۝ والله انبتكم من الارض نباتا ۝ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا ۝ والله جعل لكم الارض بساطا ۝ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ۝ قال نوح رب انهم
عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ۝ ومكروا مكرا كبارا ۝ وقالوا لا
تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ۝ وقد اضلوا كثيرا
ولا تزد الظالمين الا ضلالا ۝ مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من
دون الله انصارا ۝ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ۝ انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ۝ رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ۝

القراءة دعائي الاني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو اني اعلنت بالفتح ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير وولده بالضم والسكون ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتحتين ودا بالضم ابو جعفر ونافع الآخرون بالفتح خطاياهم على التكسير ابو عمرو وبيتي بالفتح حفص وهشام **الوقوف** الم مبين والطيعون مسمى لا تؤخر تعلمون ونهارا وكبارا استكبارا لا اذ ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القائل مدرارا لا انهارا ط اسراره للعطف مقصود الكلام غفارا الجزاء اوسم وقارا ط اطوارا ط لان ما بعده يحتمل الحال والاستيناف طباقا لا سراجا نباتا اخراجا بساطا لا فجاجا خسارا لا لانه مع العطف واتحاد الكلام كبارا ج كذلك ونسرا لان ما بعده ليس معطوف ولكنه حال من فاعل الواو ولذلك السجاوندي انه حال من مفعول لا تذرن وفيه نظر كبيرا لان قوله ولا تزد لا يصح عطفه ظاهرا ولكنه متصل بما قبله بطريق الحكاية اي قال نوح رب انهم عصوني وقال ولا تزد ضلالا انصارا ديارا كفارا والمؤمنات تبارا **التفسير** لما حذر الناس اهوال يوم القيامة ذكرهم قصة نوح وما جرى على قومه من الاغراق وتبديل الاحراق حتى عصوا رسولهم وان في ان انذر وان اعبدوا مفسرة لما في الارسال والانذار من معنى القول او ناصبة والجار محذوف اي ارسلنا بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ثم حكى انه امتثل الامر فامر قومه بعبادة ربه دينيا ولجميع الواجبات والمندوبات وتقواه ويشتمل على الزجر عن جميع المحظورات وطاعة نفسه تنبيها على ان طاعة الله هي طاعة نبيه وان الالهيات لا تكمل معرفتها الا بمعرفة النبوات ثم وعدهم على العبادة والتقوى والطاعة بشيئين احدهما نفع مضار الآخرة وهو غفران الذنوب والثاني تحصيل منافع الدنيا وهو تاخير الاجل الى اقصى الامكان وقد مر في سورة ابراهيم استدلال من جوز من في الاثبات بنظير هذه الآية وما اجيب عنه وللسدي مزيد هاهنا ما قيل انه للبيان يراد ان يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم فائدته عدم المواخذة بمجموع الذنوب ولا يلزم من ذلك انتفاء المواخذة بكل واحد منها لصدق قول القائل لا اطالبك بمجموع ذنوبك ولكني اطالبك بهذا الذنب الواحد وقوله يغفر لكم من ذنوبكم بمعنى لا اواخذكم قاله الامام فخر الدين الرازي وهو شبه مغالطة لانه يوجب استعمال مقتضى النفي مكان مقتضى الاثبات وبالعكس بناء على ان الاثبات نقيضه العكس مثلا اتفقوا على وجوب النصب في قولك جاءني القوم الا زيدا وعلى قوله يمكن رفعه على البدل تاويل لم يتخلف القوم الا زيد وهكذا في قولك جاءني رجل لا بل الجميع سواء ولو قلت ما جاءني رجل بل جاء الجميع لم يصح ثم قال هب انه يقتضي التبعيض لكن تحقق ان من آمن فانه يغفر ما تقدم من ذنوبه على ايمانه اما المتاخر عنه فانه لا يصير بذلك السبب مغفورا فثبت انه لا بد هاهنا من حرف

التبعيض قلت هذا التاويل جار في حق هذه الامة ايضا فوجب ان يذكر من في سورة الصف ايضا قوله ان اجل الله اشارة الى الاجل المسمى وفيه تنبيه على ان الاجل الاخر اي قد يوخر بتقديم الايمان والعبادة وفيه ان وقت الفرصة والامهال يجب ان يغتنم قبل حلول ما لا حيلة فيه وفي قوله لو كنتم تعلمون توبيخ لهم على ان تهالكهم في امور الدنيا بلغ الى حيث صيرهم شاكين في وقوع الموت ثم حكى شكوى نوح الى ربه بعد ان لم يجدوا في قومه طول دعوته ومعنى ليلا ونهارا دائما ذا تنافس غير وان وفتور وقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا لكن له ما زادهم الا تقريرا قوله لتغفر لهم ذكرها هو المقصود وترك ما هو الوسيلة واصل الكلام ليؤمنوا فتغفر لهم ذنوبهم السالفة هذا قول صاحب الكشاف ويمكن ان يقال انه وعدهم المغفرة على العبادة والتقوى والطاعة فكانه قال دعوتهم الى عبادتك وتقواك وطاعتي لتغفر لهم وهذا كلام مستمر مبني على الاول كما ترى ثم ذكر انهم عاملوه باشياء منها جعل الاصابع في الآذان كيلا يسمعوا قوله ومنها تغطيتهم ثيابهم تاكيدا لعدم سماع الحجة ولئلا يبصروا وجهه ومنها اصرارهم على مذهبهم واستكبارهم عن قبول الحق استكبارا بالغا نهايته ثم حكى نوح انه كانت لدعوته ثلاث مراتب بدا بالمناصحة في السر ليلا ونهارا فلما لم يقبلوه جاهرهم ثم بين الجهار والسر تعليظا فلم يوثر ونصب جهارا على المصدر لانه نوع من الدعوة او على انه صفة دعاء محذوف او الوصف بالمصدر مبالغة او على انه في موضع الحال ثم انه جمع بين الامرين كما يفعل الجنيد المتحير في التدبير فلم ينفع ثم فسر الدعوة بقوله فقلت استغفروا الى آخره وفيه ان الاستغفار يوجب زيادة البركة والنماء وله وجه معقول وهو ان الله سبحانه منبع الخيرات والبركات بالذات كما قال سبقت رحمتي غضبي فكل ما يصل الى العباد مما يضاد ذلك كالغرق والقحط والآلام والمخاوف فانما هو بشوم معاصيهم فاذا تابوا واستغفروا زال الشوم والبلاء وعاد الخير والنماء يروى انهم لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم نوح انهم ان آمنوا دفع الله عنهم البلاء وادر الكثير الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث ثم ذكر انه وبخهم بقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اصل الرجاء الامل والوقار والتوقير التعظيم يعني فتعجل مثل سراج يعني تستنزج وقد يستعمل الرجاء بمعنى الخوف فمعناه على هذا ما لكم لا تخافون عظمة الله وعلى الاول قال جار الله معناه اي شيء ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان اوحال على تاخر لكان صلة للوقار وعن ابن عباس يحتمل ان يكون الوقار فعلا للقوم وذلك انهم كانوا يستخفون برسول الله فحثهم على تعظيمه لاجل الله راجين ثوابه وعن ابن عباس ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر قال جار الله في تقريره اي لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب وقال غيره ثم الكلام عند قوله ما لكم ثم استفهم منكرا لا ترجون اي لا تعتقدون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ذلك لما اقدمتم على الاستخفاف برسوله قال البيت الطور التارة اي خلقكم من نطفة ثم من علقة الى آخرها وقال ابن الانباري اي الطور الحال فيجوز ان يراد الاصناف المختلفة التي لا يشبه بعضهم بعضا وهذا دليل التوحيد المأخوذ من الانفس ثم اشار الى دليل الآفاق بقوله الم تروا الآية وتحقيقها قد مر في اول الملك ولا يلزم منه ان لا يبقى للملائكة مساكن فيها فلعلها منافية لا متماسة واما على قول من يزعم ان الملائكة روحانية فلا اشكال وقوله فيهن اي في جملة من السموات وشبه الشمس بالسراج لانه نوره اقوى ان ادلال الليل عبارة عن ظل الارض نباتا يحتمل ان يكون من باب التفعل فيكون مصدرا متعديا فزيا من لفظ الفعل وان يكون ثلاثيا لانه يمكن ان يكون التقدير ان يراد انبتكم فنبتم نباتا قال جار الله استعير الانبات للانشاء ليكون ادل على الحدوث يعني قوله اخراجا تاكيدا اي يحرجكم حكما للاعادة ثم ذكر دليلا آخر افاقيا من حال الارض والفج الطريق الواسع ثم انه سال ماذا قال نوح بعدها فالشكوى فبين سبحانه انه قال نوح رب انهم عصوني مكان قولي والمعروف واتبعوا رؤساءهم بزدهم مالهم وولدهم الا خسارا في الآخرة كان النفع القليل في الدنيا كالعدم فالولد بالضم لغة في الولد فيجوز ان يكون جمعا كفلك ومكروا معطوف على لم يزده لان المتبوعين هم الذين مكروا وقيل للاتباع لا تذرن وجمع حملا على المعنى والكبار بالتشديد اكبر من الكبار بالتخفيف ولهذا لم يعرف تخفيفا الا في الشاذ وكلاهما مبالغة في الكثير بلا ريب ان رأس الخيرات هو الارشاد الى التوحيد فنقيضه وهو الدعاء الى الشرك يكون اعظم الكبائر فنظم انواع المكر وانما سمي مكرا لانهم دلسوا عليهم بانه دين آبائكم والآباء اعرف من الابناء وبان هذه الاصنام تعطيكم الخيرات والمنافع وانها شفعاء وكم خصوا الاصنام الخمسة بالذكر لانها كانت عندهم اكبر قالوا وقد انتقلت من قوم نوح الى العرب لاسباب لا يعلمها الا الله لانها كانت مما يغرق بالطوفان فكان ود لكلب

وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسرا لحمير وصورها ايضا كصورة النسر واما ود فعلى صورة رجل وسواع
على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس وانما دعا نوح عليهم بالضلال غضبا عليهم حين
عرف بالقرائن المفيدة للجزم انهم لا يكادون يؤمنون او المراد ضلال الخير طريق الجنة و ضلال مكرهم المذكور وعدم نجاح ارادة المراد
العذاب كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقالت المعتزلة اراد الخذلان ومنع الالطاف وخص هذا الموضع بالضلال
دون التبار لموافقة قوله وقد اضلوا قوله مما خطاياهم من التعليل كقولك جئتك من اجل كذا وما صلة للتوكيد وسبب
تقديم الجار بيان انه لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطاياهم وهي كفرهم والمعلوم الجموع انذار رسول
الله في مدة الف سنة الا خمسين عاما وقد يستدل بفاء التعقيب لا سيما وقد دخل باض معطوف على مثله على اثبات
عذاب القبر وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهكذا حال من مات من المجرمين في ماء او في نار او نحوه
يسبع اصابه ما يصيب المغرق من العذاب العظيم وهو ظاهر يمنى العذاب الحسي وهو غير بعيد في قدرة الله سبحانه وتنكير
النار مختص بهم وفي قوله فلم يجدوا لهم تهكم بهم وبالهتهم قوله وقال نوح معطوف على مثله ولهذا دخل العاطف كانه قيل جمع نوح
بين ذلك القول وبين هذا وانما وقع قوله مما خطاياهم الى اخر الاية اعتراضا في البين تنبيها على ان خطاياهم هي المقتضية ان في
الاية المتقدمة من عصيانهم رسول الله صلعم واتباع غيرهم والمكر الكبار والحث على التقليد والاشراك بالله خصوصا الاصنام
الخمسة وديار من الاسماء المستعملة في النفي العام فيقال بالدار ديار وهو فيعال من الدور او من الدار اي نازل دار قال ابن قتيبة
نعلم به ما فعل بقوم ابائهم ولو كان فعالا لقيل دوار قوله انك ان تذرهم الى اخره قال العلماء عرف ذلك بالوحي كما قال انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن او بالتجربة في المدة المتطاولة ومعنى لا يلدوا الا فاجرا لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يؤول اليه
حالهم اتفق الجمهور على ان صبيانهم لم يغرقوا على وجه العذاب قال الحسن علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب ولكن كما يموت
اكثر الناس باجالهم حتفا بانفه ومثله الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى ومنهم من قال ان الله سبحانه اعقم
ارحام نسائهم اربعين او سبعين سنة قبل الطوفان فلا اشكال ثم انه لما كان نوح قد نبه ان دعاءه عليهم بسبب الانتقام
وبعض حظ النفس فاستغفر الله من ترك الاولى ثم عقبه بذكر والديه وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت
انوش قال عطاء لم يكن بين نوح وادم من ابائه كافر وكان بينه وبين ادم عشرة اباء وقيل اراد بالوالدين ادم وحوا ولمن دخل بيتي
قيل مسجدي وقيل سفينتي وقيل ديني وعلى هذا يكون قوله مؤمنا احترازا من المنافق اي دخولا مع تصديق القلب ثم دعا للمؤمنين
والمؤمنات ثم دعا بالتبار لاهل الظلم والشرك الى يوم القيمة والتبار الهلاك ويجوز ان يراد بالظالمين قومه فقط ع

سورة الجن ثمان وعشرون اية مكية كلماتها مائتان وخمس وثمانون حروفها تسعمايه وتسعون وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا
وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد

منها

منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن
في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا
الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض
عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به
احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن
اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف
ناصرا واقل عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من
بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط
بما لديهم واحصى كل شيء عددا ۞ **القراءة** ۞ وانه تعالى الى قوله وانا منا المسلمون بالفتح يزيد
وابن عامر وحمزة وعلي وخلف وحفص والمشهور عن ابي جعفر انه كان يفتح الالف في سبعة مواضع واستثنى في قوله
وان لو استقاموا وان المساجد وهما بالفتح لا غير بالاتفاق تقول الانس بالتشديد من التفعل يعقوب يسلكه على الغيبة
عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون بالنون وانه لما قام بالكسر نافع وابو بكر وحماد لبدا بالضم هشام قل انما
ادعوا على الامر عاصم وحمزة ويزيد الاخرون قال على صيغة الماضي والضمير لعبد الله ربي امدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع
وابن كثير وابو عمرو ليعلم مبنيا للمفعول يعقوب ۞ **الوقوف** ۞ عجبا لا فامنا به للعدول عن الماضي المثبت الى منفي مستقبل الوقف
على الايات التي بعدها ان جاز ضرورة انقطاع النفس والوقف الضرورية في قراءة الكسر جوز احدا ولا ولدا شططا
كذبا رهقا احدا وشهبا السمع رصدا نصف الجزء ذلك قددا هربا امنا به رهقا وانا القاسطون للابتداء بالشرط
رشدا حطبا غدقا فيه صعدا احدا لمن قرا وانه بالفتح ابدا احدا رشدا ملتحدا ورسالاته ابدا لانه حتى لابتداء بما بعدها

يدعوه ٢

عدداً امداً احداً رصداً عدداً لا التفسير روى يونس وهارون عن ابي عمرو وحي بضم الواو من غير الف
والوحي والايحاء بمعنى وهو القاء المعنى الى النفس في خفاء وسرعة كالالهام وانزال الملك ونحو من مراتب ادق واخفى ثعلب
الواو قراءة والكلام في الجن اسماء وحقيقة قد سلف في الاستعاذة فلا حاجة الى الاعادة كذا بيان اختلاف الروايات
الله صلعم هل راى الجن ام لا انها مجردة كالنفوس الناطقة ثم تكون لكل واحد منها تعلق بجزء من اجزاء الهواء كما ان تعلق النفس
الناطقة هو الروح الحيواني في القلب بواسطة سريان ذلك الهواء في جسم آخر كثيف يحصل التدبير والتصرف فيه كما للنفس
الناطقة في البدن ومنهم من جوز ان يكون الجن عبارة عن النفوس الناطقة التي فارقت ابدان الانسان فتنصرف بما ناسبها
من الارواح البشرية التي لا تفارق بعد وتقويها بالالهام وان كانت خيرة وبالوسوسة ان كانت بالضد اما الذاهبون الى ان
الجن اجسام فمنهم الاشاعرة القائلون بان البنية ليست شرطا في الحياة وانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد
علما باموركثيرة وقدرة على اعمال شاقة فعندهم هنا يظهر القول بامكان وجود الجن سواء كانت اجسامهم لطيفة او كثيفة
وسواء كانت اجزاؤهم صغارا او كبارا ومنهم من قال البنية شرط فانه لابد من صلابة في البنية حتى يكون قادرا على الافعال
الشاقة ومن لا اولى من جوز ان يكون المرئي حاضرا اذا الشرائط حاصلة والموانع مرتفعة ثم انا لا نراه واعلم انا ذكرنا في تفسير
الاحقاف عن ابن عباس انه صلعم ما راى الجن وعن ابن مسعود انه راهم فالجمع بين القولين اما ما ذكره ابن عباس لجلالة وقع
اولا ثم اوحى الله اليه هذه السورة ثم امر بالخروج اليهم كما يحكي ابن مسعود وتقدير ان واقعة الجن كانت مرة واحدة فلعله صلعم
امر بالذهاب اليهم وقراءة القرآن عليهم الا انه ما راهم وما عرف جوابهم فانه تعالى اوحى اليه في هذه السورة انهم قالوا كذا وكذا او
رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم ذكروا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا الى آخره كقوله
في الاحقاف فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين اوحى الله تعالى الى نبيه محمد صلعم ما جرى بينهم وبين قومهم والفائدة فيه ان يعلم
انه مبعوث الى الثقلين وان الجن مكلفون كالانس وانهم يسمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا وان المؤمن منهم يدعوا سائرهم
الى الايمان اجمع القراء على فتح انه استمع لانه فاعل اوحي وكذا على فتح وان لو استقاموا وان المساجد لانه مما يعلم بالوحي فهما
معطوفان على انه استمع واجمعوا على كسر انا في قوله انا سمعنا لانه وقع بعد القول وفي البواقي خلاف فمن كسر فحمل على
مفعول القول وانه من جملة كلام الجن ومن فتح فعلى انه فاعل اوحي ولا بد من تقدير ما في معنى الحكاية ليكون حكاية كلام
الجن كانه قيل وحكي انه تعالى جد ربنا الى آخره الا قوله وانه لما قام فانه كالذي تقدمه بفتح وقوعه فاعل اوحي ولا بد من تقدير
ما في معنى الحكاية ليكون حكاية كلام الجن كانه قيل وجوه صاحب الكشاف فتح ان بعد القراءة في قوله فامنا به ان يكون عطفا
على محل الجار والمجرور في امنا به كانه قيل صدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي ثلث
فيه نظر لتبوءه عن الطبع في اكثر المواضع اذ لا معنى لقول القائل مثلا صدقنا وانا لمسنا السماء وصدقنا انا لما سمعنا الهدى
امنا به وبالجملة كلامه في هذا المقام غير واضح ولا لائق بفضله قوله سبحانه عجبا مصدر وضع موضع الوصف
للمبالغة اي قرآنا عجيبا بديعا خارجا عن حد اشكاله حسن مباينه ومحمه معانيه الهدى الرشد اي الصواب اي
التوحيد والايمان امنا به لان الايمان بالقرآن ايمان بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد ونحن ان يكون الضمير لله لان قوله
ولن نشرك بربنا احدا يدل على دلالة الحال والمراد ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك ذكر الحسن ان فيهم يهودا ونصارى
ومجوسا ومشركين قلت ومما يدل على ان فيهم نصارى قوله وانه تعالى جد ربنا اي عظمته من قولهم جد فلان في عيني
اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ويحتمل ان يراد ملكه وسلطانه
وغناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء المحدودون وفي الحديث لا ينفع ذا الجد
منك الجد قال ابو عبيدة لا ينفع ذا الغنى منك غناه وفي حديث اخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها
الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا اي ارتفع غناء ربنا عن الاحتياج الى الصاحبة والابناء
والولد كانهم بسماع القرآن تنبهوا على خطاء اهل الشرك من اهل الكتاب وغيرهم فقوله ما اتخذ بيان لذلك وقيل
الجد ابو الاب وان علا فهو مجاز عن الاصل اي تعالى اصل ربنا وهو حقيقته المخصوصة عن جهات التعلق بالغير قال
في التفسير الكبير النوع الثالث مما ذكره الحسن قوله وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا السفه خفة العقل
والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشتط في السوم اذا ابعد فيه ان يقول قولا هو في نفسه شطط وصف

بالصدر

بالمصدر للمبالغة والسفيه ابليس او غيره من مردة الجن الذي جاوز الحد في طرف النفي الى ان افضى الى التعطيل
او في طرف الاثبات الى ان ادى الى التشريك والصاحبة والولد السابع وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اي انما اخذنا قول الغير لانا ظننا اي لا يفتري الكذب على الله احد فلما سمعنا القرآن عرفنا انهم قد يكذبون قال جار الله
صفة اي قولا مكذوبا فيه او مصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرا بالتشديد وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة
لان التقول لا يكون الا كذبا قال بعض العلماء وفيه ذم بطريقة التقليد وحث على الاستدلال والنظر الخامس وانه كان
رجال من الانس الاية قال جمهور المفسرين ان الرجل في الجاهلية اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه قال اعوذ
بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت في جواره منهم حتى يصبح وقال اخرون كانوا اذا قحطوا بعثوا ان
ايدبهم فاذا وجد مكانا فيه كلاء وماء رجع الى اهله فيسير بهم واذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ برب هذا الوادي
ان يصيبنا آفة يعنون الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا بها وربما تفزعهم الجن فيرجعوا وقيل المراد انه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الانس ايضا لكن من شر الجن كان يقول مثلا اعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي وانما ذهبوا الى هذا
التاويل ظنا منهم بان الرجل اسم الانس لا اسم الجن فضعف بانه لم يقم دليل على ان الذكر من الجن لا يسمى رجلا اما قوله
فزادوهم رهقا فمعناه ان الانس لاستعاذتهم بالجن زادوهم اثما وجراءة وعصيانا وذلك انهم اذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا
الجن والانس وقيل ضمير الفاعل للجن اي فزاد الجن الانس جرءة وعصيانا شر الاغوائهم وضلالهم ادلالا انهم لما تعوذوا بهم ولم
يتعوذوا بالله استذلوهم واجترءوا عليهم السادس وانهم اي الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن قالوا بعضهم لبعض وقيل
هذه الاية والتي قبلها من جملة الوحي بلا تقدير الحكاية والضمير في وانهم للجن والخطاب في ظننتم للعلماء والاولى ان يكون
الكل من كلام الجن كيلا يقع كلام اجنبي في البين السابع وانا لمسنا السماء وقال اهل البيان اللمس المس فاستعير للطلب لان
الماس طالب متعرض والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم بمعنى
الخدام ولهذا لم يقل شدادا الثامن وانا كنا نقعد منها مقاعد الى آخره وفي قوله شهابا رصدا وجوه قال مقاتل يعني
رمينا بالشهب ورصدا من الملائكة وهو اسم جمع لها كما قلنا في حرس فقوله رصدا كالحرس قال الفراء هو فعل بمعنى مفعول
اي شهابا قد ارصد له ليرجم به وقيل بمعنى فاعل اي شهابا راصدا له لاجله واعلم انا قد بينا في هذا الكتاب ان هذه الشهب
كانت موجودة قبل مبعث نبينا صلعم وقد جاء ذكرها في اشعار الجاهلية وفي كتب الفلاسفة وانما غلظت وشدد
امرها عند المبعث لئلا يتشوش امر الوحي بسبب تخليط الكهنة وفي قوله كنا نقعد منها مقاعد اشارة الى ان الجن
كانوا يجدون بعض المقاعد خالية عن الشهب والحرس والان مليت المقاعد كلها التاسع وانا لا ندري الاية وفيه
قولان احدهما لا ندري ان المقصود من منع الاستراق شر اريد بمن في الارض ام خير وصلاح الثاني لا نعلم ان المقصود
من ارسال محمد الذي بعثه المنع من الاستراق لاجله هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك المكذبون من الامم ام ان يؤمنوا فيهتدوا وفيه
اعتراف من الجن بانهم لا يعلمون الغيب على الاطلاق العاشر وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك
في الصلاح من المذكورين حذف الموصوف والتقى بالصفة كما في قوله وما منا الا له مقام معلوم وهذا القسم يشمل المقتصدين
والصالحين وقوله كنا طرائق جمع الطريقة النيرة والمذهب والقدد جمع قدة من قد كالقطعة من قطع اي كنا قبل الاسلام
ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او على حذف الحال اي في طرائق مختلفة او على حذف المضاف اي كانت طرائقنا طرائق قددا
او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة الحادي عشر وانا ظننا اي تيقنا وقد يستعمل الظن الغالب مكان
اليقين ان لن نعجز الله في الارض اي اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا حال اي هاربين او بسبب الهرب وفيه اقرار منهم
بان الله غالب كل شيء الثاني عشر وانا لما سمعنا الهدى الاية يعنوا بسماعهم القرآن وايمانهم
الفائدة من هذا اللحاق تحقق ان المؤمن ناج لا محالة كانه واقع فاخبره لا يخاف وذلالة انه
هو المختص بذلك دون غيره اذ يعلم من بناء الكلام على الضمير ان غيره خائف وقوله بخسا ولا رهقا على حذف المضاف
اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا ولا رهق احد وفيه ان المؤمن ينبغي ان يكون غير باخس ولا رهق ظالما ويجوز
ان يراد فلا يخاف البخس من الله لانه يجزي الجزاء الاحسن الاوفر ولا ترهقه ذلة الثالث عشر وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون اي الجائرون عن طريق الحق بالكفر والعدوان وهذا قريب من العاشر الا ان في هذا النوع تفصيل جزاء الفريقين

فذكر الابعاد صريحا في الوعد اقتصر على ذكر سببه وهو تحري الرشد اي طلب الصواب المستتبع للثواب قال المبرد اصل التحري من قولهم ذلك احرى اي احق واقرب وقال ابو عبيدة تحروا توخوا وفي العدول عن الحقيقة الى المجاز في باب الوعد بشارة واشارة الى تحقيق الثواب لما عرفت مرارا ان المجاز ابلغ من الحقيقة وقوله وان لو استقاموا معطوف على انه استمع كما مر ومعناه واوحي الي ان الشان والحديث لو استقاموا الجن على الطريقة المثلى وجوز جمع من المفسرين ان يعود الضمير في استقاموا الى الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق انما يليق بهم لا بالجن ولان الاية نزلت بعدما حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين وزعم القاضي ان القائلين يدخلون في الاية لانه اثبت حكما معللا بعلة وهو الاستقامة فوجب ان يعم الحكم بعموم العلة اما على قول من يقول ان الضمير عائد الى الجن فله معنيان احدهما لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود لادم ولم يتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع لانه اصل البركات فتكون الاية نظير قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية وثانيهما لو استقام الجن الذين استمعوا القران على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق في الدنيا ليذهبوا طيباتهم في الحياة الدنيا الفانية نظيره ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية واما الذين قالوا الضمير عائد الى الانس والزجاج منهم فيجاب عنه بنحو ما مر وعن ابي مسلم ان المراد بالماء الغدق جنات تجري من تحتها الانهار نظيره في الجنة واحتج الاشاعرة بقوله لنفتنهم على انه سبحانه هو الذي يضل عباده ويوقعهم في الفتن والمحن ظاهرا والمعتزلة اجابوا بان الفتنة ههنا بمعنى الاختبار كقوله سنبلوكم ثم بين وعيد المعرض عن عبادة الله وذكره وانتصب عذابا صعدا على حذف الجار اي في عذاب صعد كقوله ما سلككم في سقر او على تضمين معنى الادخال والصعد مصدر بمعنى الصعود وصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقد روي عكرمة عن ابن عباس ان صعدا جبل في جهنم من صخرة ملساء يكلف الكافر صعودا ثم يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف الصعود مرة اخرى فكذلك ابدا ومن جملة الوحي قوله وان المساجد لله ذهب الخليل الى ان الجار محذوف ومتعلقه ما بعده ولاجل ان المساجد خاصة فلا تدعوا مع الله احدا فيها عن الحسن عني بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلعم مسجدا وهو مناسب لمدح النبي صلعم في هذا المقام اي كما انه مفضل على الانبياء ببعثته الى الثقلين نكذا اختص بهذا المعنى الاخر وقال جمع كثير من المفسرين انها كل موضع بني للصلوة ويشمل مساجد نا والبيع والكنايس ايضا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنايسهم اشركوا بالله فامرنا بالاخلاص والتوحيد وعن الحسن ايضا ان المساجد جمع مسجد بالفتح فيكون مصدرا بمعنى السجود ولهذا قال سعيد بن جبير المضاف محذوف اي مواضع السجود من الجسد لله وهي الاراب السبعة الوجه والكفان والركبتان والقدمان وقال عطاء عن ابن عباس هي مكة بجميع ما فيها من المساجد وانها قبلة الدنيا فكل احد يسجد اليها قال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله فلا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله ودعائه قوله سبحانه وانه لما قام عبد الله هو النبي صلعم باتفاق المفسرين ثم قال الواحدي هذا من كلام الجن لان الرسول لا يليق به ان يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة ولا يخفى ضعفه فانه وارد على طريق التواضع والاداب والافتخار بالانتساب الى عبودية المعبود الحق وهذا طريق مسلوك في المحاورات والمكاتبات يقول عبدك فعل كذا دون ان يقول انا فعلت كذا وفي هذا اللفظ بالمقام دون الرسول او النبي نكتة اخرى لطيفة وهي انه لما قبله النهي عن عبادة غير الله وما بعده ذكر عبادة النبي اياه فان فهمنا بمعنى العبادة فيفهم منه ان عبادة عبد الله لله لا لغيره امر واجب شرعا وطبعا وعرفا ثم ان كان هذا من جملة الوحي فلا اشكال في النسق وان كان من كلام الجن وفرض ان ما قبل قوله وان لو استقاموا ايضا من كلامهم كانت الايتان المتوسطتان كالاعتراض بين طايفتي كلام الجن ومناسبة الاستقامة على الطريقة وتخصيص المساجد بعبادة الله وحده لما قبلها ظاهرة فلا اعتراض على نفس الاعتراض وفي قوله كادوا ثلثة اوجه اظهرها ان الضمير للجن والقيام قيام النبي صلعم لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراته من دحمين عليه متراكبين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به والثاني ان الضمير للمشركين والمعنى لما قام رسوله يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون لتظاهرهم عليه يزدحمون على عداوته ودفعه

وتظاهرهم

تخصيصهم

علم

عليه ليطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ولبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد ... قل انما ادعوا ونظاهره قوله امر من الله تعالى لنبيه فاخبار من الله تعالى ان نبيه صلعم قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا

عن الله وحده في الكشاف ان يكون هذا من قول الجن لهم حكاية عن رسول الله صلعم ثم امره ان يخبر امته بكلا قاطعه للاسباب والوسايل سوى الايمان والعمل الصالح والرشد بمعنى النفع او الضر بمعنى الغي او كل منهما امارة على ضده ثم من ههنا الي قوله الا بلاغا اعتراض اكد به نفي الاستطاعة واثبات العجز ومعنى ان الله ان اراد به سوءا لن يجد من دون الله ملتحدا اي ملجا والملتحد المتقعود اي لا املك شيئا الا البلاغ من الله اي رسالاته والجار صفة لا صلة ان التبليغ انما يعدى بعن قال صلعم بلغوا عني ولو اية وقال الزجاج انتصب بلاغا على البدل اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به قلت على هذا جاز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الا معناه ان لا والمراد ان لا ابلغ بلاغا لم اجد ملتحدا كقولك ان لا قياما فقعودا استدل جمهور المعتزلة بقوله ومن يعص الله الاية على ان فساق اهل القبلة مخلدون في النار ولا يمكن حمل الخلود على المكث الطويل لاقترانه بقوله ابدا واجيب بان الحديث في التبليغ عن الله فلم لا يجوز ان يكون هذه القرينة مخصصة اي ومن يعص الله في تبليغ رسالته واداء وحيه ومما يقوي هذه القرينة مخصصة اي ومن يعص الله ورسوله في تبليغ رسالته واداء وحيه ومما يقوي هذه القرينة ان سائر عمومات الوعيد لم يقترن بها لفظة ابدا فلا بد لتخصيص المقام بها من فائدة وما هي الا ان التقصير في التبليغ اعظم الذنوب وقد يجاب ايضا بان قوله ومن يعص الله لا يجوز ان يجري على عمومه كان يراد ومن يعص الله بجميع انواع المعاصي لان المحال اذ قلما يتخصص احد بالكفر والتعطيل واذا صار هذا العام مخصصا بدليل العقل فلم لا يجوز ان ينطرق اليه تخصيص اخر كان يقال ومن يعص الله قولهم حتى اذا متعلق بقوله يكونون عليه لبدا اي متظاهرين عليه بالعداوة الى يوم بدر او الى يوم القيمة حين يعلم يقينا ان الكافر اضعف الفريقين وجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم العدد كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون امر بان يفوض علم تعيين الساعة الى الله لانه عالم الغيب ولكن رسول بيان لمن ارتضى وفيه ان الانسان المرتضى للنبوة خاصة قد يطلعه الله على بعض غيوبه وعلم الكهنة والمنجمين ظن وتخمين فلا يدخل فيه واعلم ان الاولياء والالهام لا يقوى قوة علوم الانبياء كنور القمر بالنسبة الى ضياء الشمس وفيهما اسرار اظهارها فلنرجع الى التفسير قوله فانه يسلك الا كرادون على ان الضمير لله سبحانه ويسلك بمعنى اسلك ورصدا مفعول اي يدخل الله من امام المرتضى ومن خلفه حفظة يحرسونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما يوحى اليه قال الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحفظونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك وفي الكلام اضمار التقدير الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على غيبه بطريق الوحي ثم يسلك وقيل الضمير للمرتضى ويسلك بمعنى يسير رصدا ملائكة رصدا حال قال في الكواشي ثم بين غاية الاظهار والسلك فقال ليعلم اي ليظهر معلوم الله كما هو الواقع من غير زيادة ولا نقص ومثل هذا التركيب قد مر مرارا قال قتادة ومقاتل اي ليعلم محمد ان قد ابلغوا اي الرسل وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبرايل ومن معه من الملائكة الوحي بلا تحريف وتغيير وفي قوله من بين يديه مع قوله ان قد ابلغوا كقوله فان له نار جهنم خالدين من الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى ثم اكد ما ذكرنا من ان المراد بالعلم الظهور بقوله واحاط بما لديهم من الحكم والشرايع لا يفوته منها شيء يتم العلم فقال واحصى كل شيء حتى ذرات الاشياء من بدء الايجاد ما انظار الامطار وعددا مصدر في معنى الاحصاء او حال اي ضبط كل شيء معدودا محصورا ومميزا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

للاصم

سورة المزمل تسع وعشرون اية مكية كلمها مايتان وخمس وثمانون حروفها ثمانمائة وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا
ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا
إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ
أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ
مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ
مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝
عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۝ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

القراءة أو انقص بكسر الواو للساكنين حمزة وعاصم وسهل الآخرون بضمها للاتباع ناشية بالياء يزيد والسوسي والأصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز وطاء بكسر الواو وسكون الطاء ابن عامر وأبو عمرو والآخرون بالمد مصدر واطأت وطاء رب المشرق بالخفض على البدل من ربك ابن عامر ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل والباقون بالرفع على المدح أي هو رب ونصفه وثلثه بالنصب فيهما عاصم وعلي وابن كثير وخلف **الوقوف** المزمل لا إلا قليلا لا ترتيلا ثقيلا قيلا طويلا تبتيلا لمن قرأ رب بالخفض وكيلا جميلا قليلا وجحيما لا لأن قوله يوم يتصل بما قبله على أن يوم ظرف الدنيا والوقف أجوز لأن ثبوت الأنكال للجنس بذلك اليوم على المراد اذكر يوم كذا أو يرون ما يرون مهيلا رسولا وبيلا شيبا بناء على ما بعده صفة يوما به مفعولا لا تذكرة للشرط مع الفاء سبيلا معك والنهار القرآن مرضى للعطف من فضل الله كذلك في سبيل الله لطول الكلام والوصل أولى بالتكرار فاقرءوا ما تيسر منه للعطف حسنا أجرا لاختلاف الجملتين الله رحيم **التفسير** المزمل هو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها وأدغم التاء في الزاي ونحوه المدثر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق إلا أنهم اختلفوا في سببه فعن ابن عباس أن أول ما جاءه جبرائيل عليه السلام خافه وظن أن به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا فقال زملوني فبينا هو كذلك إذ جاءه الملك وناداه يا أيها المزمل فهذه السورة على هذا القول

من أدائها ما نزل من القرآن وقال الكلبي إنما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيأ للصلاة فأمره بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه ومثله عن عائشة وقد سئلت عن تزمله فقالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي وقيل إنه صلى الله عليه وسلم كان نائما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة لأنها فعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل الموجب للاستثقال في النوم التشمر للعبادة وقال عكرمة اشتقاقه من الزمل الحمل ومنه ازدمله أي احتمله والمعنى يا أيها الذي احتمل أمرا عظيما يريد أعباء النبوة وما يناسب التكليف بعده بقيام الليل قال ابن عباس إنه كان فريضة عليه بناء على ظاهر الأمر ثم نسخ وقيل كان واجبا عليه وعلى أمته في صدر الإسلام فكانوا على ذلك سنة أو عشر سنين ثم نسخ بالصلوات الخمس قال جار الله قوله نصفه بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل أو انقص من النصف قليلا أو زد على النصف خيره بين أمرين بين أن تقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن تختار أحد الأمرين النقصان من النصف أو الزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا لأن النصف قليل بالنسبة إلى الكل ولأن الواجب إذا كان هو النصف لم يخرج صاحبه عن العهدة إلا بزيادة شيء فيصير الواجب بالحقيقة نصفا وشيئا فيكون الباقي أقل منه وكان تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه ولك أن تنزل على تقدير إبدال النصف من الليل أن الضمير في منه وعليه راجع إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم انقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف إلى الثلث مثلا وإن شئت على تقدير إبدال النصف من قليلا جعلت قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع كأنه قيل أو زد عليه أي على الربع قليلا نصفه وهو الثمن فيكون تخييرا بين النصف وحده وتجوز أن يجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الربع إلى الثلث وهي نصف السدس فيكون تخييرا بين النصف والربع كما قلنا والثلث هذا حاصل كلامه مع بعض الإيضاح وأما في التفسير الكبير فقد اختير أن المراد بقوله إلا قليلا الثلث لقوله تعالى في آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ففيه دليل على أن أكثر المقادير الواجبة كان الثلثين إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما تقع له خطأ بالاجتهاد أو النوم فينقص شيء منه إلى النصف أو إلى الثلث على قراءة الخفض وليس هذا مما يقدح في العصمة لعسر هذا الضبط على البشر ولا سيما عند استعمال النوم ولذلك قال علم أن لن تحصوه فيصير تقدير الآية قم الثلثين ثم نصف الليل أو انقص من النصف أو زد عليه والغرض التوسعة وأن أكثر الغرض هو الثلثان وأقله الثلث ليكون النقصان من النصف بقدر الزيادة عن الكلبي قال كان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ثم علمه أدب القراءة فقال ورتل القرآن ترتيلا وهو قراءته على تأن وتثبت فلا تعجل الأبنية الحروف وإشباع الحركات ومنه ثغر رتل إذا كان بين الثنايا افتراق ليس بالكثير ومنه قال الليث الترتيل تنسيق وثغر رتل حسن التنضيد وكذا الأنجح لا سئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وفي قوله ترتيلا زيادة تأكيد في الإيجاب وأنه لا بد للقارئ منه ليقع قراءته عن حضور القلب وتذكر المعاني فلا يكون كمن يعثر على كنز مملوء من الجواهر ثم عقله وعدم شعوره وحين أمره بقيام الليل وبتدبر القرآن فيه وعده بقوله إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا كأنه قال صبر نفسك بأنواع العبادة والتلاوة مستعدة لقبول الفيض الأعظم وهو القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة على نوع البشر وقيل ثقله أنه كان إذا نزل عليه الوحي يربد جلده وإنه ليرفض جبينه عرقا ومنه ثقل برحاء الوحي وقال الحسن أراد ثقله في الميزان وقال أبو علي الفارسي ثقيل على المنافقين من حيث أنه يهتك أستارهم وقال الفراء الكلام له وزن وموقع لأنه حكمة وبيان وليس بالسفساف ومما لا يعبأ به وقيل بالتعلي وجه الدهر لأن الثقيل من شأنه أن لا يزول عن حيزه وقيل يثقل إدراك معانيه وإحصاؤها والفرق بين أقسامها من المحكم والمتشابه أي تحدث واحدة بعد أخرى وأما الساعات الأول ما بين المغرب إلى العشاء وهو قول زين العابدين وسعيد بن جبير والضحاك والكسائي وذلك أنها مبادي نشوء الليل والثاني أنها عبارة عن الأمور التي تحدث في الليل وعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال هي النفس الناشئة بالليل التي تنشئ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ومنهم من قال هي مصدر كالعافية أي قيام الليل ولا بد من سبق النوم لما روي عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين

له قام ناشية قالت لا انما الناشية القيام بعد النوم وقد فسرها بعض اهل المعنى بالواردات الروحانية والخواطر النورانية
والانفعالات النفسانية للابتهاج بعالم القدس وفراغ النفس من الشواغل الحسية التي تكون بالنهار والوطاء المواطاة
والموافقة وذلك الحسن يعني النفس اشد مواطئة بين السر والعلانية او القلب واللسان لانقطاع رؤية الخلائق او يواطئ فيها
قلب القائم لسانه ولئن اردت الساعات او القيام ومن قرا وطاء بغير مد فالمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل
واغلظ على المصلي من صلوة النهار ومنه قوله صلعم اللهم اشدد وطاتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة
لهدو الاصوات وسكون الحركات فلا يكون بين القراءة وبين تفهم معانيها حائل ولا منشوش نقل في الكشاف عن انس انه قرا
واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي اقوم فقال هما واحد قال ابن جني وهذا يدله على ان القوم كانوا يعتبرون ولا يلتفتون نحو
الالفاظ قال العلماء الراسخون هذا النقل موجب القدح في القران فالواجب ان يحمل النقل لو صح انه فسر احد اللفظين بالاخر لانه زعم
ان يعتبر لفظ القران جائز ثم اكد قيام الليل بقوله ان لك في النهار سبحا طويلا قال المبرد اي تقلبا وتقلبا في مهامك فلا
تفرغ لخدمة الله الا بالليل ومنه السابح لتقليبه بيديه ورجليه وقال الزجاج اراد ان فاتك من الليل شئ فلك في النهار
مجالا للنوم والاستراحة وللتصرف في الحوائج ثم بين ان اشرف الاعمال عند قيام الليل ما هو فضبطه في شيئين ذكر اسم
الرب والتبتل اليه وهو الانقطاع الى الله بالكلية والتبتل القطع فالاول مقام السالك والثاني درجة الواصل والاول كالاثر
والثاني كالغرض وانما ابتل ونبتل تبتلك اليه تبتيلا لان المقصود بالذات وهو التبتل فبين اولا ما هو المقصود ثم اشار
اخيرا الى سببه تاكيدا مع رعاية الفاصلة ثم اشار الى الباعث الى التبتل فقال رب المشرق والمغرب ان التحمل والاحتمال
يوجب المحبة جبلة القلب على حب من احسن اليها والمحبة تقتضي الاقبال على المحبوب بالكلية لا اله الا هو وهو اشارة
الى كماله تعالى في ذاته والكمال محبوب لذاته وهو منتهى مقامات الطالبين وانه سيتدعي رفع الاختيار من البين و
تفويض الامر بالكلية الى المحبوب حتى لو كان رضاه في عدم التبتل اليه رضي المحب بذلك وان كان رضاه في التبتل
والتوجه نحوه فهو المطلوب لا من حيث انه تبتل بل من حيث انه مراد المحبوب الحق جل ذكره وقوله فاتخذه وكيلا
كالنتيجة لما قبله وفيه ان من لا يفوض كل الامور اليه لم يكن متخذا اياه معترفا بربوبيته وفيه تسلية للنبي صلعم انه
سيكفيه شر الكفار واعداء الدين ثم امره بالصبر عند الاختلاف وبالهجر الجميل اذ اراد ان يخالطهم والهجر الجميل ان يخالطهم
بقلبه ويداريهم بالاعضاء وترك المكافاة ومن المفسرين من قال انه منسوخ باية القتال وقد عرفت مرارا انه لا
ضرورة الى التزام النسخ في امثال هذه الاية ثم امره بان يخلي بينه وبين المكذبين اصحاب الترفه والنعمة بالفتح
التنعم وهم صناديد قريش ولم يكن هناك منع ولكنه سبحانه اجرى الكلام على عادة المحاورات والغرض انه سبحانه
يكفي في دفع شرهم الكفرة ويمنع ايذايهم ثم فصل ما سيعذب به اهل التكذيب مما يضاد تنعمهم والانكال جمع نكل بالكسر
نكل بالضم وهي القيود الثقال عن الشعبي اذ ارتفعوا استفلت بهم والطعام ذا الغصة هو الذي ينشب في الحلق
كالزقوم والضريع فلا ينساغ وقد يمكن حمل هذه الامور على العقوبات الروحانية فالانكال عبارة عن بقاء النفس
في قيود العلائق الجسمية والملكات الذميمة والجحيم نيران الحسرة والحرمان نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم انه
بتجرع غصة الحرمان والم الفراق ويتعذب مناقا المبعد عن حضرة الجلال والبقاء في ظلمة الضلال والتنوين في هذه
الالفاظ للتعظيم او للنوع ثم وصف اليوم الذي يحدث فيه هذه الاحوال والاهوال فقال يوم ترجف الارض والجبال
والرجفة الزلزلة والكثيب الرمل المجتمع فعيل بمعنى مفعول من كثب الشئ جمعه وذلك الكثيب الكثب نثر التراب او الشئ يرمي
وسمي الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق كانه نثر بعضه على بعض لرخاوته والمهيل السائل نثر اب مهيل ومهيول اي مصبوب
واتما لم يقل كثبانا مهيلة لانها باسرها تجتمع فتصير واحدا والمراد كل واحد منها وحين خوف المكذبين باهوال الاخرة
خوفهم باهوال الدنيا مثل ما جرى على الامم السالفة وللسامعين فرعون وجنوده وانما خص قصة موسى بالذكر لان امته
اكثر الامم الباقية ومعجزاته ابهر فكان تشبيه نبينا صلعم بحاله انسب ومعنى شاهدا عليكم كما مر في قوله ويكون
الرسول عليكم شهيدا وانما عرف الرسول ثانيا لانه ينصرف الى المعهود السابق في الذكر والاخذ الوبيل الثقيل الغليظ
ومنه الوابل للمطر العظيم وقال ابن زيد هو الذي لا يستمري لوخامته ومنه كلام مستوبل ثم عاد الى تخويفهم مرة اخرى قائلا
نكيف تتقون ان كفرتم يوما على انه مفعول به لتتقوا اي كيف تحذرون ذلك اليوم ان كفرتم اي ان جحدتم يوم الجزاء

ان المحبوب م

نكيف تتقون

نكيف تتقون عذابه وهول ذلك اليوم ويجوز ان يكون ظرفا لتتقون اي نكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا
ثم ذكر من هول ذلك شيئين الاول انه يجعل الولدان شيبا جمع اشيب نحو بيض جمع ابيض فقيل انه وصفه بالطول بحيث
يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب والاكثرون على انه مثل في الشدة كما قيل يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل
فيه ان الحكماء ان الهموم والاحزان يسرع الشيب لانها احتباس الروح الى داخل القلب المستتبع لانطفاء الحرارة الغريزية
المستعقب للجاحة والاخلاط واستيلاء البلغم المنكرج وليس المراد هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان ايصال
الالم والخوف الى الصبيان غير جائز وتجوزه بعضهم بناء على ان ذلك امر غير داخل تحت التكليف وقد حكى ان رجلا امسى فاصبح
حالك الشعر اصبح وهو ابيض الراس واللحية فقال رايت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل
الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون الثاني في قوله السماء منفطر به وانما ذكر السماء لان تانيثه غير حقيقي او بتاويل
السقف او بتاويل شئ منفطر او ذات انفطار وانما في به بمعنى عند الفراء وللالة نحو نظرت بالقدوم اي انها تنفطر بسبب
هول ذلك اليوم او مثقل به اثقالا يؤدي الى انفطارها كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده اي وعد الله وقيل
وعد اليوم فيكون من اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات المشتملة على التكاليف والتخاويف تذكرة موعظة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالالفاظ والاذكار والتوسل بالطاعة والتجنب عن المعصية قيل ان النبي
صلعم واصحابه نشطوا واجتهدوا في اول السورة عن ساق الجد في شان قيام الليل وتركوا الرقاد حتى انتفخت اقدامهم
واصفرت الوانهم فلا جرم رحمهم ربهم وخفف عنهم قائلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منها قال اهل
المعاني والبيان انما استعير الادنى للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ويقوم نصفه وثلثه وهذا
مطابق لما مر اولا من التخيير بين النصف وبين الناقص منه الى الثلث وبين الزائد على النصف الى قريب من الثلثين
ومن قرا بالجر فمعناه يقوم اقل من الثلثين وهو النصف واقل من النصف وهو الثلث واقل من الثلث وهو الربع وهو
مطابق للوجه الاخير من الكشاف قوله وطائفة عطف على المستتر في تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل والله يقدر الليل
والنهار فلا يعرف ما مضى من كل منها على الحقيقة في اي شئ ان يعرض الامر بحد الحصر يعني عنه بناء الكلام على اسم
الله دون الفعل ما اكد المعنى المذكور بقوله علم ان لن تحصوه اي لن يمكنكم ضبط اوقات الليل كما هي الا ان تاخذوا
بالاوسع والاحوط وذلك شاق عليكم فتاب عليكم بان رخص لكم في مساهلة حفظ الاوقات ورفع تبعيده عنكم فاقرءوا ما تيسر
من القران الاكثرون على ان القراءة ههنا عبارة عن الصلوة كما يعبر عنها بالقيام والركوع والسجود والمعنى فصلوا
ما تيسر عليكم بالليل فيكون هذا ناسخا للاول ثم انهما نسخا جميعا بالصلوات الخمس الى نسخ هذا وجه من دعن بعضهم
انها القراءة حقيقة وروي من قرا مائة اية او خمسين كتب من القانتين ثم بين الحكمة في هذا النسخ فقال علم وهو استيناف
على تقدير السؤال عن وجه النسخ فان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اسمها الشان وكانه قال اي سيوجد
منكم مرضى وهو جمع مريض واخرون عطف عليه في الموضعين سوى الله سبحانه بين المسافرين لكسب الحلال
والمجاهدين في سبيله فان المضعف من جانبه من العلماء مستكفا عنه الى طلب ما لا يعين له اخذ الاجرة عليه كالامامة
والقضاء والتدريس يدرك انه منصب من المناصب الدينية فيضيع دينه لكونه حبالته لا اعتداد بها عند العقلاء
عن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رجلي اضرب في
الارض ابتغي من فضل الله وعن عبد الله بن مسعود مرفوعا ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين
صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وظاهر ان المرضى لا يمكنهم الاشتغال بالتهجد وضعهم واما
المسافرون والمجاهدون فيشتغلون في النهار بالاعمال الشاقة فلو اشتغلوا بالعبادة في الليل لتوالت اسباب المشقة
عليهم وقوله فاقرءوا ما تيسر منه اعادة للكلام الاول تاكيدا للرخصة عن ابن عباس سقط عن اصحاب رسول الله
قيام الليل وصار تطوعا وبقي ذلك فرضا على رسول الله صلعم ثم امر باقامة الصلوة الخمس وايتاء الزكوة الواجبة وهذا
ايضا مما يغلب على الظن ان الاية مدنية وقيل هي زكوة الفطر ثم اشار الى صدقة التطوع بقوله واقرضوا الله ويحتمل
ان يعود هذا الى الزكوة واقرضوا الله بايتاء الزكوة وفيه ان اخراج الزكوة ينبغي ان يكون على احسن وجه من مراعاة
النية الخالصة والصرف الى المستحقين وكونها اطيب الاموال لا اقل من الوسط ثم حث على الانفاق مطلقا بقوله وما

الموعود

تقدم ما الابة وقوله هو صيغة الفصل وقوله خيرا ثاني مفعولي تجد وفيه تحريض على الاستغفار في جميع الاحوال وان كانت الطاعات للعاصي ان يقع فيها تفريط والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة المدثر مكية حروفها الف وعشر كلمها مائتان وخمس وخمسون اياتها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر ۝ قم فانذر ۝ وربك فكبر ۝ وثيابك فطهر ۝ والرجز فاهجر ۝ ولا تمنن
تستكثر ۝ ولربك فاصبر ۝ فاذا نقر في الناقور ۝ فذلك يومئذ يوم عسير ۝ على الكافرين
غير يسير ۝ ذرني ومن خلقت وحيدا ۝ وجعلت له مالا ممدودا ۝ وبنين شهودا ۝
ومهدت له تمهيدا ۝ ثم يطمع ان ازيد ۝ كلا انه كان لاياتنا عنيدا ۝ سارهقه
صعودا ۝ انه فكر وقدر ۝ فقتل كيف قدر ۝ ثم قتل كيف قدر ۝ ثم نظر ۝ ثم عبس
وبسر ۝ ثم ادبر واستكبر ۝ فقال ان هذا الا سحر يؤثر ۝ ان هذا الا قول البشر ۝ ساصليه
سقر ۝ وما ادراك ما سقر ۝ لا تبقي ولا تذر ۝ لواحة للبشر ۝ عليها تسعة عشر ۝ وما
جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو
وما هي الا ذكرى للبشر ۝ كلا والقمر ۝ والليل اذ ادبر ۝ والصبح اذا اسفر ۝ انها لاحدى
الكبر ۝ نذيرا للبشر ۝ لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ۝ كل نفس بما كسبت رهينة ۝
الا اصحاب اليمين ۝ في جنات يتساءلون ۝ عن المجرمين ۝ ما سلككم في سقر ۝ قالوا لم
نك من المصلين ۝ ولم نك نطعم المسكين ۝ وكنا نخوض مع الخائضين ۝ وكنا نكذب
بيوم الدين ۝ حتى اتانا اليقين ۝ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ۝ فما لهم عن التذكرة

معرضين ۝ كانهم حمر مستنفرة ۝ فرت من قسورة ۝ بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة ۝ كلا بل لا يخافون الاخرة ۝ كلا انه تذكرة ۝ فمن شاء ذكره ۝ وما
يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة ۝

القراءة والرجز بضم الراء يزيد وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالكسر تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات يزيد والخزاز عن هبيرة اذ بسكون الذال ادبر من الادبار نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل الباقون اذا بالالف دبر من الدبور مستنفرة بفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل تخاوزن بنار المطالب نافع ويعقوب

الوقوف المدثر فانذر فكبر فطهر فاهجر تستكثر فاصبر وقد يجوز الوقف على الايات قبلها الاعلى الاولى الناقور عسير يسير وحيدا ممدودا شهودا تمهيدا ان ازيد كلا عنيدا للابتداء بالتهديد صعودا للابتداء بان وقدر قدر نظر وبسر واستكبر يؤثر البشر سقر سقر لتناهي الاستفهام ولا تذر لان التقدير هي لواحة مع اتحاد المقصود للبشر للاية ولان ما بعده من تمام المقصود ملائكة لاتفاق الجملتين مع استقلال كل منهما بنفي فاستثناء كفروا لتعلق اللام والمؤمنون كذلك مثلا ويهدي من يشاء الا هو للبشر بتاخر تم هينة اليمين على تقديرهم في جنات والوقف على جنات اولى لعدم الاضمار سقر المصلين المسكين الخائضين الدين اليقين الشافعين للابتداء بالاستفهام معرضين لان ما بعده صفتهم مستنفرة قسورة منشرة كلا الردع عن الارادة الاخرة على جعل كلا بمعنى حقا انه تذكرة للشرط مع الفاء ذكره الله المغفرة ۝

التفسير عن يحيى عن جابر بن عبد الله ان النبي صلعم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبرئيل فقال يا ايها المدثر ورويت الزهري مثله وقريب منه ما قيل انه كان يختفي في غار حراء فقيل له يا ايها المدثر بدنا بالحول والاصعقا اشتغل بدعوة الخلق فالسورة على هذا من اوائل ما نزل وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا فامره ان لا يدع انذارهم ويصبر على اذاهم وقيل المراد يا ايها المدثر بدثار النبوة مثل لابس التقوى والدثار ما فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد قال صلعم الانصار شعار والناس دثار قوله قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم وقوله فانذر متروك المفعول لئلا يختص باحد نحو فلان يعطي اي فافعل الانذار واحذر وقيل اراد فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا قوله وربك فكبر اي عظم ربك مما يقوله عبدة الاوثان ادعن بامرك بالاذان غير من غير حلة وصلاح عام وعن مقاتل هو نفس التكبير انه لما نزل قال النبي صلعم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ولا يبعد ان يكون للنبي صلعم في اول الامر صلوات مخصوصة والفاءات في فكبر وما تلوها لبيان ترتيب ما قبلها وما بعدها كانه قيل كائنا منها كان من شيء فلا تدع تكبيره قوله وثيابك فطهر في تفسيره وجوه اربعة احدها ان يترك كلا منهما لتطهير الثياب والتطهير على ظاهره بمعنى الثاني ان المراد الاعلام بان الصلوة في الاثياب طاهرة من الانجاس والاقذار ولا ريب ان هذا هو الافضل الا ان هذا هو الاصل الا ان في غير حال الصلوة ايضا لا يجب استعمال النجس او لانه نجس فتقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبيثا ويروى انهم القوا على رسول الله صلعم سلا شاة فرجع الى بيته حزينا وتدثر بثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا تنتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والاقذار وثانيها الثياب حقيقة والتطهير كناية عن التقصير لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه قصر ثيابك فانه اتقى وانقى وابقى وقيل تطهيرها ان تكون من كسب حلال ولا محرمة بل تكون ملتبسة من وجه الثالث عكسه فعبر عن الجسد بالثياب لاشتماله على النفس وكان العرب لا يتنظفون وقت الاستنجاء فامر النبي صلعم بالتنظيف الرابع ان يكون كل من اللفظين مجازا قال القفال انهم لما لقبوه بالساحر شق عليه ذلك فرجع الى بيته وتدثر فكان ذلك اظهار جزع وقلة صبر فامر بتحسين الخلق وتهذيب الاخلاق اي طهر نفسك عن الصفات الذميمة كقطع الرحم وعزم الانتقام وسآمة من الدعوة الى دين الله

وهذا بعيد مناسبته لخطابه بالمدثر مجاز مستعمل يقال فلان طاهر الجيب نقي الذيل اذا كان بريا من المثالب ويقال المجد في ثوبيه
والكرم في بردية وذلك ان الثوب كالشي اللازم للانسان فجعل طهارته كطهارته ولان الغالب ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقيل
هو امر بالاحتراز عن الاثام والاوزار التي كان يقدم عليها قبل النبوة وهذا تاويل من جعل قوله ووضعنا عنك وزرك على
الاثام الجاهلية وقيل معناه نساءك طهرهن وقد يكنى عن النساء بالثياب هن لباس لكم قوله والرجز فاهجر هو بالضم والكسر
العذاب والمراد اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها اي اثبت على هجره مثل اهدنا وهذا اي كذا تاويل من جعل قوله
وثيابك فطهر على تحسين الاخلاق والاجتناب عن المعاصي قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تعط مستكثرا اي ما
اعطيته كثيرا بل يجب ان تستحقرها ويرى للاخذ منه عليك بقبول ذلك الانعام وهذه نهاية الكرام على ان الاستكثار
نهي عن المنة وهي مبطلة للعمل كما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قوله تستكثر مرفوع بالحال في موضع
الحال منصوبا ويجوز ان يكون الاصل لحذف اللام ثم وان ابطل عملها كما روي الا ايها الزاجري احضر الوغى بالرفع واختار
ابو علي الفارسي الوجه الاول الا انه قال تاويله لا تمنن مقدار الاستكثار كما في قول القائل مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا اي مقدرا الصيد غدا ثم عقب من المفسرين
الى انه نهي عن الاستعزاز وهو ان يهب شيئا طامعا في ان ياخذ اكثر منه فيكون نهي تنزيه لانه جاء في الحديث المستغزر
يثاب من هبته ان يعوض ويجوز ان يكون نهي تحريم خاصا برسول الله صلعم لان منصبه يجل عن طلب الدنيا خصوصا بهذا
الوجه ومنهم من حمله على الربا فيكون نهي تحريم للكل والمن بمعنى القرض وقال القفال يحتمل ان يكون المقصود النهي
عن طلب العوض مطلقا سواء كان العوض ابدا او مساويا او ناقصا اما الزائد فظاهر واما المساوي والناقص فلان طالب
العوض كاره ان ينتقص المال بسبب العطا فكانه يطلب الكثرة ويجوز ان يقال انما حسنت هذه الاستعارة لان الغالب ان
الثواب يكون زائدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله وهذا كما ان الاغلب ان المراة ذات
الولد انما تتزوج لحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا ثم اتسع فسمي ولد المراة ربيبا وان كان كبيرا خارجا عن حد
التربية امر صلعم ان يكون عطاؤه خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه كيف كان حتى يقع خالصا لوجه الله ويكون
صابرا محتسبا وعن الحسن وغيره ان الله امره بانذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثوب وهجر الرجز ثم قال لا تمنن على ربك
بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله وقد قوله بعد ذلك ولربك فاصبر اي استعمل الصبر في طاعته
خالصا لوجه ربك وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي كالمستكثر لذلك الاعلام فانك انما فعلت ذلك
بامر الله وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك استكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك وقال مجاهد ولا تمنن اي لا تضعف
من قولهم حبل منين اي ضعيف ومنه المنين اي اضعفه والمعنى لا تضعف ان تستكثر من هذه الاوامر ووجه الرفع ما مر
في قوله احضر الوغى قوله فاذا نقر الفاء للسببية كانه قال اصبر على التكاليف المعدودة وعلى اذى المشركين فبين ايديهم
يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك والفاء في فذلك للجزاء والعامل في اذا ما دل عليه الجزاء لان المعنى اذا
نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والناقور فاعول من النقر كالهاضوم من الهضم ويشبه ان يكون النقر الة لان
الهاضوم ما يهضم به فالناقور ما ينقر به وهو الصور باتفاق المفسرين فكانه اله النقر اي النفخ وذلك في ان النفخ سبب
حدوث الصوت في المزامير كما ان النقر سبب الحدوث في الالات ذوات الاوتار قال الجوهري في الصحاح واذا نقر
في الناقور اي نفخ في الصور وقد يلوح من كلام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير ان النقر غير النفخ وهكذا من كلام فخر الدين
الرازي في التفسير الكبير ان النقر غير النفخ وهكذا من كلام الحليمي في كتاب المنهاج وذلك انه قال جاء في الاخبار
ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها فاذا نفخ فيه للاصعاق يبقى النقر في النفخ ليكون الصيحة اهول واعظم واذا نفخ فيه
للاحياء لم ينقر فيه واقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها وظهر مما يحكى كلامه
انه حمل هذا النقر على انه مقرون بالنفخة الاولى بعدما اثبت المغايرة من المفسرين من ذهب الى انه النفخة الثانية
ادهو عندها لانه سبحانه احوانه ذلك الوقت شديد على الكافرين والاصعاق ليس بشديد عليهم ولذلك تمنوا ان
يا ليتها كانت القاضية اي ليتنا بقينا على الموتة الاولى قلت لا دليل له في هذا لان الاصعاق شديد عليهم لا محالة
ثم اذا جاءت النفخة الثانية زادوا من الاهوال تمنوا فيها حالة الاصعاق او نقول مبتداء الشدة في حين الاصعاق ثم يصير

الاثر

وذهبهم

الامر بعد ذلك اشد لانهم ينا قشون في الحساب ويسود وجوههم ويتكلم جوارحهم الى غير ذلك من الفضائح والاهوال
قوله فذلك يحتمل ان يكون اشارة الى النقر فيتم الكلام فيتقدر مضاف اي فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير فالعامل في يومئذ
النقر ويجوز ان يكون اشارة الى اليوم ويومئذ مبني على الفتح ولكنه مرفوع المحل بدلا منه كانه قيل فيوم النقر يوم عسير
وقوله غير يسير وقوله غير يسير تاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض او فايدته ان يعلم ان عسيره على الكافرين
لا يرجى زواله كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ويراد انه عسير على الكل لان الكل حتى الانبياء يقولون نفسي نفسي
والولدان يشيبون الا ان الكافرين يختص بمزيد العسر بحيث يكون اليسر منفيا عنه بالكلية ونعلم هذا من
بين تقدم الطرف وهو قوله ذرني ومن خلقت وحيدا المفسرين ان الوليد بن المغيرة المخزومي وجماعة من صناديد قريش كابي جهل وابي لهب
وابي سفيان والنضر بن الحرث وامية ابن خلف والعاص بن وائل اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج
ويسالوننا عن امر محمد فكل منا يجيب بجواب اخر فواحد يقول مجنون واخر يقول كاهن واخر يقول شاعر فتستدل العرب
باختلاف الاجوبة باطله فهلموا نجتمع على تسمية محمد باسم واحد فقال واحد انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيد
بن الابرص وكلام امية بن ابي الصلت وكلامه ما يشبه كلامهم فقال الاخر هو كاهن فقال الوليد ان الكاهن يصدق
تارة ويكذب اخرى ومحمد ما كذب قط فقال الاخر انه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد احدا
قط فقام الوليد وانصرف الى بيته فقال الناس صبا الوليد فدخل عليه ابو جهل وقال مالك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع
لك شيئا زعموا انك احتجت وصبات فقال الوليد مالي اليه حاجة ولكني تفكرت في امر محمد فقلت انه ساحر لانه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة عن اهل بابل فاجمعوا على تلقيب محمد
بهذا اللقب وخرجوا بذلك وتعجبوا من كياسته من فكره ونظره ثم انهم خرجوا ونادوا بمكة ان محمدا الساحر فلما سمع رسول
الله ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته حزينا فتدثر بقطيفة فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر الايات ثم هدد الوليد وسلى
نبيه صلعم بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهو كقوله في المزمل وذرني والمكذبين قوله وحيدا حال من مفعول ذرني
وحدي معه فانا اكفيكه هو من غير واسطة او من فاعل خلقت اي خلقته وحدي من غير شريك احدا ومن مفعول خلقت
المحذوف اي خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد ويجوز ان يكون نصبا على الذم والمراد من وحيدا بناء على ما روي
ان الوليد كان يلقب بالوحيد فان كان علما فلا اشكال وان كان صفة على ما روي انه كان يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في
العرب نظير ولا لابي نظير فهو استهزاء به وتهكم بحسب ظنه واعتقاده ونحوه ذق انك انت العزيز الكريم فيعتقد انه ليس
وحيدا في العلو والشرف لكنه وحيد في الخبث والدناءة والكفر وقيل انه وحيدا مفعول ثان قال ابو سعيد الضرير الوحيد
الذي لا اب له فيكون طعنا في نسبه كما في قوله عتل بعد ذلك زنيم في المال الممدود وجوه اظهرها انه المال الذي يكون له
مدد ياتي منه الجزء على الدوام كالزرع والضرع وانواع التجارات ولقد فسره عمر بن الخطاب رض بغلة شهر بشهر وقال ابن عباس
هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وعلى هذا يكون المال الممدود اما بمعنى المد كما قلنا وبمعنى امتداد
مكانه وقريب منه ما روي مقاتل انه كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء ومن المفسرين من قدر المال
الممدود فقيل الف دينار او اربعة الاف او تسعة الاف او الف الف وهذه تحكمات لا اصل لها الا ان يكون رواية صحيحة
ان مال الوليد كان على احد هذه الاعداد وحينئذ يمكن ان يقال العبرة للعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقوله
بنين شهودا وجوه احدها انهم حضور معه بمكة لا يفارقونه لاستغنائهم عن الكسب وطلب المعاش فهو مستانس
بهم غير محزون بفراقهم الثاني انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل الثالث انهم من اهل الشهادات في الحكومات
يسمع قولهم ويعتد بهم واما عددهم فعن مجاهد عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد
وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقال في الكشاف اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة قلت انه ابقي
الوليد بن الوليد في جريدة الكفرة وهو مسلم حسن الاسلام منهم من الصحابة كما ذكره سيد المحدثين الوطواط في رسالته
وذكر صاحب سير السلف سيد الحفاظ ابو القسم فيه ان الوليد بن الوليد بن المغيرة كان من المستضعفين حبسه
المشركين فدعا النبي صلعم في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هشام ثم قدم المدينة
فتوفي بها فكفنه رسول الله صلعم في قميصه وكانت ام سلمة تندبه شعر ابكي الوليد بن الوليد بن المغيرة ابكي الوليد بن الوليد

العشر

وقال ابن الاثير مولف كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول رحمه الله الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم القرشي اخو خالد بن الوليد اسر يوم بدر كافرا ففداه اخوه خالد وهشام فلما فداه اخواه خالد وهشام
فلما فدا اسلم فقال له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت ان تظنوا بي اسلمت جزعا من الاسار فحبسوه بمكة وكان
النبي صلعم يدعو له في القنوت مع من يدعو له من المستضعفين بمكة ثم من افلت اخوه ولحق بالمدينة والعجب من صاحب الكشاف
انه ذكر في سورة الزمر في تفسير قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا ان الوليد اسلم واسلم معه نفر وهاجروا ثم انما نقله
هاهنا في بقية الكفار ثم قوله سبحانه ومهدت له تمهيدا اي بسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي
المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا حتى جعلوه دعا الخير فيما بينهم فا يليق ادام الله تاييدك وتمهيدك اي بسطتك
وتصرفك في الامور وكان الوليد من وجها قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ومعنى ثم في قوله
ثم يطمع ان ازيد استبعاد وتعجب من طمعه وحرصه على الزيادة بعد انه لم يعرف حق بعض ما اوتي قال الكلبي ومقاتل
ثم يرجوا ان ازيد في مالي وولدي وقد كفرت وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة
الا لي ثم قال كلا وهو ردع له عن طمعه الفارغ قال المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات
فقيرا ثم علل الردع على وجه الاستيناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل لانه كان لاياتنا عنيدا معاندا والكافر لا يستحق المزيد
ولا سيما اذا كان كفره اخبث انواعه وهو كفر العناد ومما يدل على ان كفره كفر عناد بعد ما حكينا عنه ما روي
ان الوليد مر برسول الله صلعم وهو يقرا حم السجدة فرجع وقال لبني مخزوم والله لقد سمعت انفا من محمد كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى ولا ريب ان من عرف
هذا القدر ثم زعم ان القران سحر فانه يكون معاندا او العنيد هو الذي كان العناد خلقه ودينه فلعل … عناده وصفه
الله به وتقديم الظرف يدل على ان عناده كان مختصا بايات الله وان كان تاركا للعناد في سائر الامور وفي جمع الايات
اشارة الى انه كان منكرا للتوحيد والنبوة والبعث وغير ذلك من دلائل الدين ومعجزاته ولهذا اوعده الله سبحانه
اشد الوعيد فقال سارهقه صعودا اي سأغشيه عقبة شاقة المصعد وفيه قولان احدهما الظاهر وهو ما
روي عن النبي صلعم الصعود جبل من نار يصعد منه خمسين خريفا ثم يهوي به كذلك ابدا وعنه صلعم يكلف ان
يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت الثاني
انه مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق كقوله يسلكه عذابا صعدا ثم فسر كيفية عناده بقوله
انه فكر وقدر … هذا القران ودبر في نفسه كلاما فقيل له كيف قدر … الكلام مما ينطق به العرب عند
التعجب والاستعظام يقولون قتله الله ما اشجعه وقاتله الله ما اشعره فاجرا ما اظرفه والمراد انه قد بلغ المبلغ الذي حق
ان يحسد ويدعى عليه والمعنى في الاية التعجب من قوة خاطره انه كيف استنبط هذه الشبهة في امر محمد حيث … واوتي
عرض من يشك حكاية … دعي بالحقيقة ثنا على طريقة الاستهزاء ومعنى ثم الداخلة في تكرير الدعا الدلالة على ان
التعجب في الكرة الثانية ابلغ من الاولى وهي حكاية لما كرره من قوله فقتل كيف قدر وفي حرف ابن … التكون القدر ثم
الاخير نقد بدا للتدبر اي النظر فيه لتمام الاحتياط فهذا ما يتعلق باحوال قلبه ثم وصف احوال ظاهره فقال ثم نظر
في وجوه القوم ثم عبس وبسر قال الليث عبس عبوسا اذا قطب ما بين عينيه فان ابدى عن اسنانه في عبوسه
قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب مع ذلك قيل بسل ثم ادبر عن سائر الناس الى اهله واستكبر
عن الايمان ويحتمل انتقال … ثم نظر فيه احتياطا والدعا بينهما اعتراض ثم قطب في وجه رسول الله صلعم
ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه ومعنى ثم في هذه الافعال سوى فعلى الدعا الثاني المهلة والفا في قوله للدلالة على
انه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة او انها كلمة ما خطرت بباله بعد التفكر لم يتمالك ان نطق بها من غير تتاخر
وقوله يؤثر من الاثر بالسكون الرواية كما مر او من الايثار اي هو مختار على جميع انواع السحر وقوله ان هذا الا قول
البشر جار مجرى التوكيد من الجملة الاولى ولهذا لم يوسط العاطف بينهما اراد بذلك انه ملقوط من كلام غيره
ومن تامل في هاتين الجملتين عرف انه حكاية كلام متحير معترض ضاقت عليه وجوه الحيل في دفع الحق الصريح ولذلك
جازاه الله تعالى بقوله ساصليه سقر ولعله بدل من قوله سارهقه صعودا او ثم قوله سارهقه صعودا

ثم قال وما ادراك ما سقر والمراد التهويل ثم بينها بقوله لا تبقي ولا تذر وقال بعضهم معناهما واحد والتكرار
للمبالغة وقال اخرون لا بد من الفرق فروى عطا عن ابن عباس انها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئا فاذا
اعيدوا خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم وهكذا ابدا وقيل لا تبقي من المستحقين للعذاب الا احرقتهم ثم لا تذر من ابدان
اولئك المعذبين شيئا الا احرقته وقيل لا تبقي على شي ولا تذر من فوقها الا استطاله والتعذيب لا تبقي بدلا …
خبر لواحة ويجوز ان يكون هذا خبر المبتدا الاخر قال اكثر المفسرين هي من لاحه العطش ولوحه اي غيره وذلك
انها تسود البشرة وهي اعلى الجلود باحراقها واعترض الحسن والاصم بان وصفها بالتغيير لا يناسب بعد قوله لا تبقي
ولا تذر نعم ولو عكس الترتيب لا يتجه لانها تغير البشرة اولا ثم يفنيها فمعنى لواحة لامعة من لاح البرق ويلوح يلوح اذا لمع
والبشر يعني الانسان وذلك انها تظهر لهم من مسيرة خمسماية عام ثم بين ان عدد الخزنة الموكلين عليها تسعة عشر فقيل
المعنى نقيبا صنفا والاكثرون لتخصيصها مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي يخرجون اشعارهم
يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت الرافة
والرحمة منهم ياخذ احدهم سبعين الفا في كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم وذكر العلما في هذا العدد وجوها فقال
المتكلمون ان هذا امر لا يصل اليه عقول البشر كاعداد السموات والارضين والكواكب وايام السنة والشهور وكاعداد
الزكوات والكفارات والصلوات وقيل ان العدد على وجهين قليل وكثير فالواحد الى التسعة ومن العشرة الى ما لا نهاية
له فجمع بين نهاية القليل ونهاية الكثير وقيل ان ساعات اليوم بليلته اربع وعشرون خمس منها نزلت لاجل الصلوات
الخمس والباقية لكل منها ملك يعذب من يضيعها في غير حق الله وقيل ان ابواب جهنم للفساق ولمن بالنية واحد يطلب
ترك العمل لكل من الابواب الباقية ثلاثة املاك لان الكفار يعذبون لاجل امور ثلاثة ترك اعتقاد وترك الاقرار
وترك العمل وقال الحكيم اضداد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو سبب استعمال القوى الحيوانية والطبيعية
لا على وجهها اما القوى الحيوانية الشهوة والغضب والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة واما القوى الطبيعية
فالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فلما كانت منشا الافات هذه القوى التسع عشرة لا
جرم كان عدد الزبانية كذلك يروى انه لما نزلت الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فقال المنافقون ويحكم لا يقاس الملائكة بالحدادين اي السجانين وجرى مثل هذا امثالا في كل شيء لا يسوى بينهما
وانزل الله سبحانه وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ويرحمون فان الجنسية
مظنة الرافة ولذلك جعل النبي من جنس الامة ليكون بهم رؤوفا رحيما ولا استبعاد في كون الملائكة في النار غير معذبين بنارها
على القول بالفاعل المختار ولعلهم قد غلبت … هو بناءا على اصول المعتزلة فقال الجبائي المراد بالفتنة تشديد
التعبد ليستدلوا به على كمال قدرة الله وقال الكعبي هي الامتحان فهو من المتشابه ويفوض حكمة التخصيص بهذا العدد
الى علم الخالق والكافر يعترض عليه وقال بعضهم اراد ما يقولونه من الكفر بسبب انكارهم والتقدير الا فتنة على
الذين كفروا وحاصله يرجع الى ترك الالطاف واجيب عن هذه الحادثة بان انزال هذه المتشابهات لابد ان يكون
لها اثر في تقوية داعية الكفر والا كان انزالها كلا انزال ومع هذا الترجيح لا يحصل الايمان البتة فهو المعني بالاضلال والاغلال
ان في الاية دلالة على انه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانية سببا لامور الاربعة اولها ليستيقن ثانيها ويزداد
ثالثها ولا يرتاب رابعها وليقول وفيه اشكال فقال جار الله انه ما جعل افتتانهم بالعدة سببا ولكنه وضع فتنة موضع
تسعة عشر تعبيرا عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان هذا الاثر لو لم يكن ذلك الاثر وقال اخرون تقديره وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للكافرين والا ليستيقن كما قال فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك فالواو عاطفة تذكر في هذا الموضع
تارة وتحذف اخرى واما سبب استيقان اهل الكتاب فهو انهم قد وجدوا هذا العدد في كتابهم ولكنهم ما كانوا …
به لتطرق التحريف الى كتابهم من غير سابقة دراسة وتعلم ولانه اخبر كفار قريش بهذا الامر العزيز من غير ما لا تبالي
باستهزائهم وتكذيبهم فعرفوا انه من قبيل الوحي الالهي لا يجتري على التكلم به خوفا من السخرية واما زيادة ايمان المومنين
فمحمولة على اثار علوا امه ونتايجه واما نفي الارتياب عن اهل الكتاب والمومنين بعد اثبات الاستيقان وزيادة الايمان
لهم فمن باب التوكيد كانه قيل حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب لان الذي حصل له اليقين قد يغفل

عليهم

عن مقدمة من مقدمات الدليل فيوجد الشك وفيه ايضا تعريض بحال من علم كانه قيل ولتخالف حالهم حال المرتابين
من اهل الزيغ والكفر ولما الذين في قلوبهم مرض فهم اهل النفاق الذين حدثوا بعد ذلك لان السورة مكية ولم يكن
بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة ففي الاية اخبار بالغيب وقد وقع مطابقا فكان معجزا واما اللامات في الافعال الاربعة فللمقارنة عند
الاشاعرة والمعتزلة يسميها لام العاقبة وقد مر في مواضع قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا الى قوله من يشاء قد مر
في اول البقرة وسمي هذا العدد مثلا لغرابته حيث لم يقل عشرين سواء والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب مع انهم
منكرون له من اصله والكاف في كذلك منصوب على المحل اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل ويهدي قوله
وما يعلم جنود ربك الا هو اشارة الى ما عليه عدد الخزنة لا يعلم حكمة ما عليه كل صنف من العدد الخاص الا الله سبحانه كما قوله
اهل الحق وقد مر وقيل ان القوم استقلوا ذلك العدد فقال تعالى في جوابهم هب ان هؤلاء تسعة عشر الا ان لكل واحد منهم
الاعوان والجنود ما لا يحصيهم الا الله وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين واكثر
ولكن له في هذا العدد حكمة اختص هو بمعرفتها قوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر قوله وما جعلنا اصحاب النار
فيهما اعتراض اي وما سقر وصفتها الا موعظة للناس ويحتمل ان يعود الضمير الى هذه الايات المشتملة على هذه المتشابهات
وهي ذكرى لجميع العالمين وان لم ينتفع بها الا اهل الايمان قوله كلا ابطال انكار لان يكون لهم ذكرى ولانهم تتذكرون او ردع لمن
ينكر بان يكون احدى الكبر نذيرا او ردع لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة النار او ردع لهم عن الاستهزاء
بالعدد المخصوص وقيل انه يجوز ان يكون بمعنى حقا تاكيد القسم بحقيقة قال الفراء ودبر وادبر بمعنى واحد كقبل واقبل وروي ان بعضهم
ان ابن عباس كان يقرأ قراءة الثلاثة ويقول انما يدبر ظهر البعير وفي الصحاح في النهاية نظر لان القراءة السبع كلها متواترة قال
الواحدي والقراءتان عند اهل اللغة سواء ومنه امس الدابر على هذا يكون دبر الليل جاء دبارة واسفر الصبح اي اضاءته
كشفه واحد وقال ابو عبيدة وابن قتيبة وهو من دبر الليل النهار اذا خلفه وجاء بعده ثم قال انها اي ان سقر التي جرى
ذكرها لاحدى الكبر والواحدة هي الكبرى جمع الكبرى قال جار الله جعلت الف التانيث كتائها وكما جمعت فعلة على فعل
جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي جمع السافياء وهي التراب يسفيه الريح والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة قال
المفسرون المراد من الكبر دركات جهنم وهي سبع جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية فعلى هذا تكون سقر احدى
كما هي قال اهل المعاني المراد انها من بين الدواهي واحدة في العظم لا نظيرة لها ونذيرا تمييز من احدى اي انها لاحدى الدواهي
انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا او فيها نذيرا حال وهو من غريب التفسير اي نذيرا متصل باول السورة اي قم فانذر نذيرا
ثم قال لمن شاء منكم وهو حجر ومابعده وهو ان يتقدم او يتاخر منكم لمعنى له لمن توصفا اذ يصلح اي مطلق لمن شاء التقدم
الى الخير او التخلف عنه التقدم او التاخر وهو للتهديد كقوله لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء
بدلا من قوله للبشر اي انها منذرة للذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا واستدلال المعتزلة بها ان
العبد مختار ظاهر والاشاعرة يحملونه على التهديد او على انه فاعل شاء هو الله سبحانه اي لمن شاء منه التقدم والتاخر
سلمنا ان الفاعل ضمير عايد الى من لكن مشية العبد تابعة لمشية الله تعالى كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله ثم اكد بالوعيد
المتقدم بقوله كل نفس بما كسبت رهينة اي ليس لامرئ الا جزاء عمله كما مر نظيره في الطور قال النحويون ادخال في
رهينة ليست للتانيث لانه فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى
الشتم واقول يحتمل ايضا ان تكون التاء للمبالغة الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم عن الرهن بسبب اعمالهم الحسنة
كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق قال الكلبي هم الذين كانوا على يمين ادم فقال لهم الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال مقاتل
هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابن عباس هم الملائكة وعن علي كرم الله وجهه انهم اطفال المسلمين قال الفراء هذا القول
اشبه بالصواب لان الولدان لم يكتسبوا اثما يرتهنون به ولانه تعالى ذكر عنهم انهم يتساءلون عن حال المجرمين وهذا انما يليق
بالولدان الذين لا يعرفون موجب دخول النار فلا اولئك حملوا السؤال على التوبيخ والتخجيل قال في الكشاف معنى التساؤل
عنهم انه يسأل بعضهم بعضا عن حالهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه نحن ثم زعم ان الوجه قوله
ما سلككم على الخطاب مع ان سياق الكلام يقتضي الغيبة هو انه حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون
الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم وقال غيره المراد ان اصحاب اليمين كانوا يسألون

عن المجرمين اين هم فلما رأوهم قالوا لهم ما سلككم واقول لو فرض التكلم مع المجرمين زال الاشكال اي يتساءلون المجرمين
عن حال المجرمين عن حال انفسهم وليس فيه الا وضع المظهر مكان المضمر وهذا التكلم مما جاء في القرآن وغيره من فصيح
الكلام سابقا متتابعا كقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا ان تسأل الحق سألكم
واذا جاز ذلك مع التصريح بهما فكيف لا يجوز باحدهما محذوفة وقد عرفت من غرابة النظم القرآني وفصاحته عن بعيد والمعنى ما ادخلكم
في هذه الدركة من النار فاجابوا بان ذلك لامور اربعة احسنها ترك الصلوة الثاني ترك اطعام المساكين قال العلماء يجوز ان
يحمل هذان على الصلوة والصدقة الواجبتين والا لم يجز العذاب على تركهما الثالث الشروع في الاباطيل مع اهلها كابتداء اهل
الحق فكلما لا يعني المسلم الرابع التكذيب بالبعث والجزاء الى حين عيان الموت ومباديه ظهور نتايج اعمال المكلف
عليه وقد يستدل بالاية على ان الكفار معذبون بفروع الشريعة كما يعذبون باصولها كالتكذيب بيوم الدين وانما اخر لانه
اعظم الذنوب اي انهم بعد ذلك كله مكذبون بهذا الاصل كقوله ثم كان من الذين امنوا ويجوز ان يكون سبب التاخير
انه اخر الاصول واولها المبداء واخرها المعاد وليما اراد ابدربت عليه قوله حتى اتانا اليقين وهو اخر حالات المكلف ولو قدم
لم يحسن معنى ولا لفظا لوقوع الفصل بين المعطوفات قال في الكشاف يحتمل ان كل واحد منهم دخل النار لمجموع هذه الاربع او
دخلها بعضهم ببعضها والباقون بسائرها او يكل بالثلث انهم جميعا مستحقون في الدركة فالظاهر انهم كلهم دخلوها
بمجموع الامور ثم بين غاية خسرانهم بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وفيه دليل على ان غيرهم تنفعهم الشفاعة
وذلك لغيرهم من الفساق عند الاشاعرة والمرتضين عند المعتزلة وفائدة الشفاعة زيادة درجاتهم او العفو عن صغائرهم
ثم وبخهم بقوله فما لهم عن التذكرة اي عن القرآن الذي هو سبب الموعظة وقوله معرضين حال نحو ما لك قائما كانهم
حمر مستنفرة من قرأ بكسر الفاء فمعنى الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة
ونداء عليهم بالبلادة والعبادة وعدم التاثر عن مواعظ القرآن بالحمار ما هو سبب لاطمينان موجبا لتفرقهم وللاسد
مثل نفار حمر الوحش ولا سيما اذا عاينها سبب ولهذا وصف الحمر بقوله فرت من قسورة وهي اسم جمع للرماة او اسم
جنس للاسد من القسر والغلبة قال ابن عباس هي ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل من قرأ بفتح الفاء
فهي المحمولة على النفار ويشجع بعضهم قراءة الكسر بقوله على ان الغرائب ليس النفار واما التنفير فانه يناسب الطرد
ذكره المفسرون انهم قالوا لرسول الله صلعم لن نتبعك حتى يأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ويروى بعضهم انهم قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة
فيها براءة من النار فانكر الله تعالى عليهم بقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اي قراطيس تنشر وتقرا
ككتب الصحف او منشورة على ايدي الملائكة انزلت ساعة كتبت قبل ان تطوى وقيل كانوا يقولون بلغنا ان بني اسرائيل
كان الرجل منهم يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك فعلى هذا المراد من الصحف المنشرة الكتابات الظاهرة
المكشوفة ثم زجرهم على اقتراح الايات فقال كلا بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة ثم وصف
القرآن بانه موعظة بليغة وتذكرة شافية فمن شاء ذكره وتذكير الضمير ههنا لانه بتاويل الذكر او القرآن ثم بين
السبب الاصلي في عدم الذكر فقال وما يذكرون الا ان يشاء الله واستدلال الاشعري به ظاهر والمعتزلة حملوه على
مشية القسر والالجاء ختم السورة بذكر انه لما ينبئ عن كمال الهيبة وهو صفة القهر الذي بسببه يجب ان يتقى وصفة اللطف الذي باسطه
الحق ان يرجى والله اعلم

سورة القيمة اربعون اية مكية حروفها ستمائة واثنان وخمسون كلمها مائة وسبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ۞ ولا اقسم بالنفس اللوامة ۞ ايحسب الانسان الن نجمع عظامه ۞ بلى قادرين على ان نسوي بنانه ۞ بل يريد الانسان ليفجر امامه ۞ يسأل

أيان يوم القيامة ۝ فإذا برق البصر ۝ وخسف القمر ۝ وجمع الشمس والقمر ۝ يقول الإنسان يومئذ
أين المفر ۝ كلا لا وزر ۝ إلى ربك يومئذ المستقر ۝ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ۝ بل
الإنسان على نفسه بصيرة ۝ ولو ألقى معاذيره ۝ لا تحرك به لسانك لتعجل به ۝ إن علينا جمعه
وقرآنه ۝ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ۝ ثم إن علينا بيانه ۝ كلا بل تحبون العاجلة ۝ وتذرون
الآخرة ۝ وجوه يومئذ ناضرة ۝ إلى ربها ناظرة ۝ ووجوه يومئذ باسرة ۝ تظن أن يفعل بها
فاقرة ۝ كلا إذا بلغت التراقي ۝ وقيل من راق ۝ وظن أنه الفراق ۝ والتفت الساق بالساق ۝
إلى ربك يومئذ المساق ۝ فلا صدق ولا صلى ۝ ولكن كذب وتولى ۝ ثم ذهب إلى
أهله يتمطى ۝ أولى لك فأولى ۝ ثم أولى لك فأولى ۝ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ۝
ألم يك نطفة من مني يمنى ۝ ثم كان علقة فخلق فسوى ۝ فجعل منه
الزوجين الذكر والأنثى ۝ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ۝

القراءة روى الهاشمي وأبو ربيعة عن قنبل لأقسم على أن اللام حرف الابتداء ولا أقسم بالنفس اللوامة برق بفتح الراء أبو جعفر ونافع الآخرون بكسرها تحبون وتذرون على الخطاب أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف والصلي إلى آخر السورة بالإمالة اللطيفة أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وقرأ حمزة وعلي وخلف ولا صلى إلى آخر السورة بالإمالة اللطيفة أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وقرأ حمزة وعلي وخلف بالإمالة الشديدة يمنى على التذكير حفص والمفضل وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وهي رواية الباقين بتاء التأنيث **الوقوف** القيامة لا اللوامة ط عظامه ط لاستيفاء الجواب أي بلى نجمعها بنانه ط عن ابن ذكوان أمامه لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف القيمة ط البصر لا القمر لا المفر ج لأن كلا يصلح للردع عن الفرار والإحراز لا وزر ط المستقر ط وأخر ج بصيرة لا معاذيره ط لتعجل به ج وقرآنه لاحتمال ثم لترتيب الإخبار بيانه ط العاجلة لا الآخرة ط ناضرة لا ناظرة للفصل بين أهل السعادة والشقاوة باسرة لا فاقرة ط التراقي لا راق لا الفراق لا بالساق لا المساق ط ولا صلى لا وتولى لا يتمطى للعدول إلى الخطاب فأولى ط فأولى ط سدى ط يمنى لا فسوى لا والأنثى ط الموتى ط **التفسير** المشهور أن لا في قوله لا أقسم صلة زائدة كما مر في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم واعترض عليه بوجوه أحدها أنه يوجب الطعن في القرآن من حيث إنه لا يليق الوقوف بنفيه وإثباته قلت إذا عرف من استعمالات العرب زيادة لا في هذا الفعل المخصوص لم يبق للطاعن مجال على أن الحكم بزيادتها إنما هو بالنظر إلى أصل المعنى ولا لها في التركيب فائدة تأكيد النفي لأنها نفي الكلام قبل القسم وذلك أنهم أنكروا البعث كما أخبر الله سبحانه عنه في أوائل السورة المتقدمة فقيل ليس الأمر على ما ذكرتم ثم أقسم بكذا وكذا أنه الواقع والثاني أنه لا أقسم بالشيء إلا إعظاما له فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك الاعتراض الثالث أن هذا الحرف إنما يزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجيب بالمنع الآية حجة على الخصم كيف زادها في مستهل قصيدته لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر وفائدة الزيادة كما مر وقد أجاب بأن القرآن كله في حكم كلام واحد متصل بعضه ببعض ولا سيما أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة كما قلنا وقيل إنه لا غير زائدة والمنفي

على المنفي كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم وبتلك النفس لعظم شأنهما أو لظهور المقسم عليه ولكني أسألك غير مقسم أتظن أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون وقيل الغرض على الاستفهام الإنكاري والتقدير ألا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة على أن الحشر حق وهذا التأويل يعضده قراءة من قرأ لأقسم بالقيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأنها إما خاطئة بالقيامة مع عظم أمرها وإما فاسقة منهمكة في العمل أما تفسير النفس اللوامة فقد سبق لها في سورة يوسف في قوله إن النفس لأمارة بالسوء وبيان سبب تسمية النفس تارة بالأمارة وأخرى باللوامة ثم الملهمة ثم بالمطمئنة والذي ذكره المفسرون ههنا وجوه منها قال ابن عباس إن كل نفس فإنها تلوم نفسها يوم القيامة على ترك الازدياد من الطاعة إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة وضعف بعضهم هذا القول بناء على أن أهل الجنة لا يكون لهم مثل هذه الخواطر والآلام وعن الحسن أن هذا اللوم في الدنيا والمؤمن لا تراه إلا لائما نفسه وإن الكافر يمضي على سيرته ولا يعاتب نفسه ومنها النفوس المتقية التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة بسبب أنها تركت التقوى ولا يخفى وجه المناسبة بين القسمين أعني بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة على هذا الوجه وقد خص النفس اللوامة بعضهم بآدم عليه السلام وذلك أنه لم يزل يتلوم على فعله الذي خرج به من الجنة وقيل إن الإنسان خلق هلوعا فأي شيء طلبه فإذا وجده مله فيلوم نفسه على أنه لم طلبه فلكثرة هذا العمل سميت اللوامة والجمهور على أن جواب القسم محذوف وهو لتبعثن يدل عليه قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وفي الإقسام بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة مزيد تقرير وتأكيد لوقوعه فإن الإقسام بالمعدوم لا يعقل معناه وفي ضم النفس اللوامة إليه تنبيه على أن الغرض من يوم القيامة هو إظهار أحوال النفوس ومراتبها في السعادة وضدها قال الجمهور من الأصوليين الإنسان في الآية هو المكذب بالبعث على الإطلاق وقال ابن عباس يريد أبا جهل وقال آخرون إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلعم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال يا محمد حدثني عن يوم القيامة كيف أمرها فأخبره النبي صلعم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد أو يجمع الله العظام فأنزل الله سبحانه أيحسب الإنسان الآية قوله قادرين حال أي بل نجمعها قادرين على جمع العظام وبدون القدرة الكاملة التي نبه عليها بقوله أن نسوي بنانه لأنه من قدر على ضم سلاميات الأصابع مع صغرها ولطافتها كما كانت أولا كان على ضم العظام الكبار أقدر وإنما خص البنان وهو الأنامل بالذكر لأنه آخر ما يتم به خلقه فذكرها يدل على تمام الأصابع وتمام الأصابع يدل على تمام سائر الأعضاء التي هي أطرافها وقيل معنى التسوية جعلها شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار بحيث لا يقدر على البطش والمراد أنه قادر على رد العظام والمفاصل إلى هيئاتها الأولى وعلى ضد ذلك قوله بل يريد إضراب عن قوله أيحسب والظاهر أنه إيجاب نحو أنه لكون استفهاما والمعنى ليفجر أمامه ليدوم على فجوره في الأوقات التي بين يديه وهي المستقبلة وهو الخبر قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة حتى يأتيه الموت على شر أحواله قال أهل النظم إن إنكار البعث يتولد تارة من الشبهة بأن يستبعد اجتماع الأجزاء بعد تفرقها وتلاشيها وأخرى من الشهوة بأن ينكر المعاد ليستمر سيال الطبع والميل إلى الفجور فأشار إلى الجواب عن الشبهة بقوله أيحسب الإنسان إلى قوله بنانه وأنكر على الثاني بقوله بل يريد أي يكذب بما أمامه من البعث والحساب لئلا ينتقص عليه اللذات العاجلة يسأل سؤال متعنت أيان يوم ثم ذكر من أمارات الساعة أمورا أولها فإذا برق البصر أي تحير فزعا وأصله من برق الرجل بالكسر إذا نظر إلى البرق ثم استعمل في كل حيرة أو دهش وقرئ بفتح الراء وهو من البريق أي لمع من شدة شخوصه كقوله إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وثانيها وخسف القمر أذهب ضوءه كما يشاهد في الدنيا وقت خسوفه أو ذهب بنفسه من قوله فخسفنا به وبداره الأرض وهذا القسم عندي لا يلائم ما بعده لأن الجمع بينه وبين الشمس بعد إعدامه غير معقول ظاهرا وثالثها وجمع الشمس والقمر قيل أي في طلوعهما من المغرب وقيل في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار جاء في الحديث ولعل ذلك لأنهما عبدا من دون الله والمراد مثل الذل والبلادة فإن كان عقيرا أي جريحا كان أبلغ في ذلك وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى طعن بعض الملاحدة في الآية بأن خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر وأجيب بأنه تعالى قادر على خسف القمر في غير حالة المقابلة وحيلولة الأرض والأولى عندي أن

بان اجتماعهما في الابد بمعنى احدهما غير ما هو المعهود بين اهل التنجيم كما مر في الاقوال ولئن سلم ان المراد هو الاجتماع المعهود
والقمر حينئذ في المحاق وهو خسفه او لعل القمر ينخسف في وسط القمر والاجتماع يكون في اخره فان اتحاد الزمان في هذه الامور
غير مذكور ومنهم من جعل هذه الامور علامات الموت اما شخوص البصر وبحثوه حين الموت نظام بالخسوف القمر فمعناه
ذهاب ضوء البصر بعد الحيرة بقلاعين خاسفة اذا نفيت وغارت حدقتها في الراس واما جمع الشمس والقمر كانه عن اتصال
الروح بعالم الاخرة فالروح كالقمر وعالم الاخرة هو عالم الانوار والكشوف كالشمس كما ان القمر يقبل النور من الشمس فالروح
يقبل نور المعارف من ذلك العالم وهذا التفسير بالتاويل اشبه قال الفراء انما قال جمع ولم يقل جمعت مع ان التانيث احسن
لان المراد انه جمع بينهما في زمان وقال الكسائي المعنى جمع النوران والضياءان وقال ابو عبيدة القمر شارك الشمس في
الجمع فغلب جانب التذكير يقول الانسان يومئذ اين المفر والاستفهام على اصله وهو امر منه بانه لا مفر كما اذا ايس
من وجدان زيد فيقول اين زيد كلا ردع عن طلب مكان هذا اصح عند اهل اللغة قال الاخفش والزجاج المصدر من فعل
بكسر العين ومفتوح العين بالكسر المكان وجوز بعضهم ان يكون المفتوح موضعا واصل الوزر الجبل المنيع ثم استعمل لكل
ما التجات اليه وتحصنت به والمعنى انه لا شيء يعتصم به ولا يتقي من امر الله الا الله فلذلك قال الى ربك اي خاصة دون
غيره يومئذ المستقر اي استقرار العباد لابد من تقدير مضاف اي الى حكم ربك او الى جنته او ناره ينبأ الانسان
يومئذ بما قدم من عمل وما اخر فلم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وما اخر فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وما اخر
من سنة حسنة او سيئة وعن مجاهد باول عمله واخره ان يجمع اعماله والاظهر ان هذا الانباء انما هو يوم القيمة وجوز ان
يكون عند الموت حين يرى مقعده من الجنة او النار ثم بين ان الانسان ينبئه لاعماله وان لم ينبأ فقال بل الانسان على
نفسه بصيرة اي حجة بينة وقال ابو عبيدة الهاء للمبالغة كعلامة قال الاخفش جعله في نفسه بصيرة كما يقال
فلان جود وكرم وذلك انه يعلم بالضرورة متى رجع الى عقله بان طاعته خالقه واجبة وعصيانه منكر فهو حجة على
نفسه بعقله السليم وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير ومقاتل ان المراد شهادة جوارحه عليه قوله ولو القى معاذيره
تاكيد اي ولو جاء بكل معذرة يحاج بها عن نفسه فانها لا تنفعه لانها لا يخفى شيئا من افعاله فان نفسه واعضاءه تشهد
عليه قال الواحدي والزمخشري والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير للمنكر ولو كان جمعا لقيل معاذر بغير ياء وعن الضحاك
والسدي ان المعاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى انه وان اسبل الستور لن يخفى شيء من عمله قال جار الله ان صح هذا
النقل فالسبب في التسمية ان الستر يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب فدار التركيب على الحجب والمنع
ومنه العذار قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله زعم قوم من قدماء الشيعة ان هذا القرآن مغير بالزيادة والنقصان
ومن جملة استدلالاتهم انه لا مناسبة بين هذه الاية وبين قوله عقيبها لا تحرك به اي بالقرآن تتلوه عليك لسانك لتعجل به
اي باخذه روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلعم كان يشتد عليه حفظ التنزيل فكان اذا نزل عليه
الوحي حرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبرائيل مخافة النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك ونظيره ما مر في طه ولا
تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا اشبه بقبيل ترك الاولى او لعل هذا ما دونه اولا ثم ورد النهي
فاستحاله ان علينا بحكم الوعد او بالنظر الى الحكمة جمعه في صدرك وقراءته سعيد عليك جبرائيل او نثبتك لدراسته
وحفظه كقوله سنقرئك فلا تنسى فالقاري على الاول جبرائيل وعلى الثاني وقيل اراد بالجمع ترتيبه على ما هو
عليه في الخارج وبالقرآن جمعه في ذهنه بالترتيب بدل على الضم ومنه القراءة فاذا قرأناه بقراءة جبرائيل فاتبع قرآنه
قال قتادة اي حلاله وحرامه وضعف بان هذا ليس موضع الامر باتباع الحلال والحرام بل المراد انه لا ينبغي ان يكون
قراءتك مقارنة لقراءة جبرائيل لكن يجب ان تسكت حتى يتم جبرائيل القراءة ثم تاخذ انت في القراءة قال ابن عباس
فكان النبي صلعم بعد ذلك اذا نزل عليه جبرائيل اطرق واستمع فاذا ذهب قرأه ثم انه صلعم كان حريصا على التلاوة حتى
لا ينسى لفظة كان حريصا على فهم المعنى وكان يسال جبرائيل في اثناء الوحي عن المعاني المشكلة فنهي عن هذا ايضا
بوعد البيان وهو قوله ان علينا بيانه قال بعضهم وفيه دليل على ان تاخير البيان عن وقت الخطاب جائز اذا عرفت تفسير
الاية فاعلم ان العلماء استنبطوا للنظم وجوها منها ان هذا الاستعجال لعله اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الايات
فلا جرم نهي عن ذلك في الوقت كما ان المدرس اذا كان يلقي على تلميذه شيئا من العلم فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا

فيتعلق الروح

فيقول المدرس في اثناء درسه لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في
اثناء التنبيه وجه المناسبة على من لا يعرف الواقعة ومنها انه ملك كلما اخبر عن الانسان انه يحب السعادة العاجلة بقوله بل يريد الانسان ليفجر
امامه فبين بعد ذلك ان التعجيل مذموم مطلقا ولو في امور الدين لا تحرك به لسانك ورتب على ذم الاستعجال قوله كلا
بل تحبون العاجلة ومنها انه حين قال ولو القى معاذيره كان النبي صلعم يظهر التعجيل في القراءة ويقبل العذر فيه خوف النسيان
قيل له انك ان اتيت بهذا العذر لكنك يجب ان تعلم ان الحفظ لا يحصل الا بتوفيق الله واعانته فاترك هذا التعجيل واعتمد
علينا هنا بينا ما لا ينبغي في طلب الحفظ بالتكرار وفيه ان الكافر كان يفر من الله الى غيره حين قال اين المفر فعلى المؤمن ان يضاده
ويفر من غير الله الى الله ولا يستعين في كل امره الا بالله ومنها انه تعالى كانه قال يا محمد ان غرضك من هذا التعجيل هو التبليغ
لكنه لا حاجة اليه فان الانسان على نفسه بصيرة يعرف قبح الكفر مهما رجع الى نفسه وقال القفال يجوز ان يكون الخاطب
هو الانسان المذكور في قوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر كانه حين عرض عليه كتابه ويقال له اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة تساوره قبح اعماله فتلجلج لسانه من الفزع وسرعة القراءة فيقال لا تحرك به
لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقرأها عليك فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه
بالاعتراف ثم ان علينا بيانه اي ومشرح مراتب عقوبته قوله سبحانه كلا بل تحبون قال بعضهم هو بمعنى حقا وقال جار الله
هو ردع لرسول الله صلعم عن عادة العجلة وحث له على الاناءة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة
كانه قال بل انتم يا بني ادم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة ثم وصف اليوم الاخر بقوله
وجوه يومئذ ناضرة ذات نضارة وبها الوجه عبارة عن الجملة قال في الكشاف والاولى عندي تعليلا بالمجاز ان
يراد بالوجوه العيون ليكون من اطلاق الكل على الجزء عكسه الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس تظن
ان يفعل بها فاقرة فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة اي داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة ان يفعل بها كل خير وقال
الاصمعي الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او يقرب منه ثم يجعل فيه حبل يجر البعير بها وقيل علت به الفاقرة وقال
الكلبي هي ان تحجب عن رؤية ربها فلا تنظر اليه واعلم ان اهل السنة طالما استدلوا بالاية على امكان رؤية الله تعالى في
الاخرة بل على وجوبها بحكم وحاصل كلامهم ان النظر ان كان بمعنى الرؤية فهو المطلوب وان كان بمعنى التقليب الحدقة نحو
المرئي فهذا في حقه تعالى لانه منزه عن الجهة والمكان فوجب حمله على مسببه وهو الرؤية وهذا مجاز مشهور واما
المعتزلة فزعموا ان النظر المقرون بالى انما يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته فقد تحصل الرؤية وقد لا تحصل كما قال
سبحانه وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وتقول دوري فلان متناظرة اي متقابلة ولا ريب ان تقليب الحدقة نحو الشيء
يستدعي جهة لذلك الشيء وهذا في الله سبحانه محال فوجب حمل النظر على الانتظار اي منتظرة ثواب ربها كقولك انا
ناظر الى فلان ما يصنع بي والانتظار اذا كان في شيء متيقن الوقوع لا يوجب الغم والحزن بل يزيد اللذة والفرح
فان اعترض بان النظر اذا كان بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون الا تاويله
اجيب بان ذلك انما يكون اذا منتظر للشخص اما اذا كان منتظرا له لوفده ومعونته فانه يتعدى مقرونا بالى كقول
الرجل انما نظري الى الله ثم اليك وقد يقول الاعمى عيني ناظرة اليك سلمنا لكن لا يجوز ان يكون الى واحد الالاء اي نعمة ربها منتظرة
وتقديم المفعول لاجل الفاصلة او للاختصاص اي لا ينتظرون الا الله ورحمته قال في الكشاف وهذا المعنى اعني افادة
الاختصاص احد الدلائل الدالة على ان النظر هاهنا ليس بمعنى تقليب الحدقة ولا بمعنى الرؤية لانهم ينظرون الى اشياء
ويرون اشياء لا تدخل تحت الحصر فلابد من حمل النظر على معنى يصح معه الاختصاص وهو التوقع والرجاء وحين وصف القيمة
اتبعه بعث القيمة الصغرى فردعهم عن ايثار العاجلة على الاجلة وذكرهم حالة الموت الذي هو اول منزل من منازل الاخرة
والضمير في بلغت للنفس بدلالة قرينة الحال والمقال كما في قوله فلولا اذا والتراقي العظام المكتنفة بثغرة النحر من الجانبين
واحدها ترقوة واذا بلغت النفس الناطقة او قوة تدبيرها وتصرفها الى هذا الحد كان اخر عهد الانسان بالحياة وقرب
حدوث خروج الروح ولان متعلق النفس هو الروح الحيواني الذي منبعه القلب فاذا فارق البدن لم يبق من اثاره في حواليه
الا قليل كما اذا عادت العين لم يبق في نواحيها الا اثر قليل من البداوة وقيل من كتب قوله وقيل من راق لن كان من الرقية
تقال تارة برقية اذا عوذه بما يشفيه ومنه بسم الله ارقيك من كل ما يؤذيك فالقائل بهم بعض اصحاب الميت واقاربه

والاستفهام اما علي اصله لان العادة جارية لطلب الطبيب والراقي وقت ما يشتد المرض واما بمعني الانكار اي من الذي يقدر ان يبقي هذا الانسان المشرف علي الموت وان كان اشتقاقه من الرقي الصعود ومنه المرقاة قال النفاني ولن نؤمن لرقيك فالمعنا بل بعض الملائكة يقول ايكم يرقي بروح هذا المحتضر ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وعن ابن عباس ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول لملك الموت من يرقي بروح هذا الكافر وقال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الي بعض ايهم يرقي بروحه الي السما وظن المحتضر اي تيقن انه وقت الفراق عن الدنيا وان النظام عن مالوفاتها وفي التعبير عن اليقين ههنا بالظن تهكم بالميت واشارة الي ان الانسان لانهماكه عن الدنيا وحرصه علي الحياة العاجلة لا يكاد يقطع بحلول الاجل وان لم يبق منه الا حشاشة بشر اغاثته انه يغلب علي ظنه الموت مع رجاء الحياة قال بعض حكماء الاسلام في الاية دلالة علي ان الروح جوهر يجرد قائم بنفسه باق بعد خراب البدن لان الله تعالي سمي الموت فراقا والفراق والوصال والصفة يستدعي وجود الموصوف والتفت الساق فيه وجهان احدهما انه كناية عن الشدة كما مر في قوله يوم يكشف عن ساق اي انفلت شدة فراق الدنيا وترك الاهل والولد والمال والجاه وشماتة الاعداء وحزن الاوليا وغير ذلك بشدة الاقبال علي احوال الاخرة واهوالها الثاني ان الساق هو العضو المخصوص قال الشعبي اما رايته في النزع كيف يضرب احدي رجليه علي الاخري وقال الحسن وسعيد بن المسيب هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقيل النفاف ساقيه هو انه اذا مات يبست ساقاه فلصقت احدهما بالاخري وقريب منه قول قتاده ماتت رجلاه فلا يحملانه وقد كان عليهما جوالا الي ربك اي الي حكمه يومئذ المساق اي السوق وقيل اراد ان سوقه وتقيده مفوض الي الله دون غيره والعزاب ان الرب اي حكمه في الاولي هو المسوق اليه وهو في الثاني سائق لسوقه الي الجنة او الي النار قوله فلا صدق الضمير فيه عائد الي الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع وقد سبق ان بعينه صفتي في شخصي اخبر الله سبحانه عن اختلال حال اعمام فيما يتعلق باصول الدين وبفروعه فلا بلا فلا صدق بالرسول او بالقران او البعث ولا صلي ولكن كذب بالحق وتولي عن الطاعة ثم ذهب الي اهله يتمطي يتبختر في مشيه ابذلك واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فقلبت الطاء الاخيرة كما في تقضي البازي ويحتمل ان يكون من المطا الظهر لانه يلويه ظهره وقال اهل العربية وضعها بمعني لم وقلما يقع لا الداخلة علي الماضي الا مكررة ومنه الحديث لا اكل ولا اشرب ولا استهل اما قوله عن من قابل فلذ انتخم العقله فيسمي ما قبل فيه ان شا الله العزيز قال قتادة والكلبي وغيرهم اخذ رسول الله صلي بيد ابي جهل ثم قال له اولي ثم اولي فاولي يتوعده ويدعو عليه بالهلاك والبعد عن الخير والقرب من المكان وقد مر في قوله فاولي لهم وذلك في سورة القتال فقال ابو جهل باي شي تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لا عز اهل هذا الوادي ثم نزلت اياها فانزل الله تعالي كما قال له رسول الله صلي وقال القفال هذا يحتمل ويحتمل ايضا ان يكون وعيدا مبتدا من الله للكافر علي طريقة الالتفات ويحتمل ان يكون امرا من الله لنبيه بان يقول لعدو الله فيكون القول مقدرا اي فقلنا لك يا محمد قل هذا ثم انه ختم دليلين علي صحة الحشر الاول ايحسب الانسان ان يترك سدي اي هملا لا يكلف ولا يحاسب بعمله وهذا خلاف الحكمة لنظيره افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الثاني الاستدلال بالخلق الاول علي الاعادة ومعني يمني يراق في الرحم من ذكر فعلي في انت فللنطفة والنطفة اسم لما ينطف كالقبضة لما يقبض والغرفة لما يغرف الا انها غلبت علي الماء المخصوص الذي هو للحيوان بمنزلة البذر للنبات والمني فعيل بمعني مفعول من المني بالسكون وهو الدفق غلب ايضا علي الماء المخصوص فقوله من مني اي من هذا الجنس كالتاكيد لها وقوله يمني تاكيد علي التاكيد وفيه اشارة الي حقارة الانسان في ذاته وانه لا يليق به التمطي والفخر والاستكبار عن طاعة خالقه فانه مخلوق من المني الذي يجري علي مجري النجاسة نظيره في عبس فانه كانا يا كلان الطعام مالم يحتضا الحاجة قوله فخلق فسوي اي قدره فعدله كانه ونفخ فيه الروح ونصب اعضاه متناسبة فجعل منه اي من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه كان اذا قرا خاتمة هذه السورة قال سبحانك بلي والله اعلم ۵

سورة الدهر احدي وثلثون اية مدنية حروفها الف واربعمائة وخمسون كلمها مائتان واثنتان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۵ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۵ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۵ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۵ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۵ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۵ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۵ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۵ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۵ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۵ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۵ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۵ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۵ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۵ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۵ قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۵ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۵ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۵ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ۵ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۵ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۵ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۵ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۵ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۵ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۵ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۵ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۵ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ۵ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۵ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۵ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۵

القراءة سلاسلًا بالتنوين والوقف بالالف ابو جعفر ونافع وعلي وابو بكر وحماد وهشام سلاسل في الحالين ابن كثير

وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون يصلون بغير الف ويقفون بالالف قواريرا قواريرا من فضة بصرف الاول وحده ويقف بالالف ابن كثير وخلف لنفسه الاول بالتنوين في الوصل والوقف بالالف كلاهما بالتنوين والوقف بالالف ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد وقرأ ابن كثير وخلف لنفسه الاول بالتنوين في الوصل والوقف بالالف
والثاني بغير الف في الحالين الباقون كلاهما بغير تنوين والوقف على الاول بالالف لو افق الاول نحجاء وبريد وابو بكر وحماد اللحون
بهم نبي عاليهم بسكون اليا وكسر الهاء ابو جعفر ونافع وحمزة والمفضل الباقون بفتح اليا وضم الهاء حضر بالتنوين وبالرفع فيهما
نافع وحفص حضر بالرفع واستبرق بالخفض ابن كثير وابن عامر وابو عمرو

الوقف

مذكورا لا امشاج وقد قيل يوقف عليه لئلا
يوهم ان نبتليه صفة له وليس بذاك لانه حال من خلقناه من بدء الابتلاء والوهم المذكور باطل لا يضر المعقول في نبتليه
واحد والامشاج جمع بصيرا كفورا وسعيرا كافورا لاحتمال ان يكون عينا بدلا تفجيرا مستطيرا واسيرا شكورا قمطريرا وسرورا
للاية مع العطف وحريرا الارائك لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف زمهريرا لا تغرق في القفس تذليلا كانت قوارير اذ قيل يوقف
عليه وليس به لان الثانية بدل من الاولى تقديرا زنجبيلا كما مر في كافورا سلسبيلا مخلدون بناء على ان حسبتهم صفة الولدان
والظرف عارض منثورا كبيرا واستبرق لاحتمال ان الجملتين مع ان وجه الحال في الاولى واضح اي وقد حلوا فضة لان الواو يحتمل الحال
والاستيناف وهذا اولى الاثرا ذهب النعمة العظيمة عن سائر النعم طهورا شكورا تنزيلا للاية مع الفاء او كفورا واصيلا لما ذكرنا
طويلا ثقيلا اسرهم تبديلا تذكرة سبيلا ان يشاء الله حكيما والوصل اوجه بناء على ان الجملة صفة في رحمته اليما

التفسير

اتفقوا على ان هل طبيعتها في الغاشية بمعنى قد وهذا ما ذهب اليه سيبويه قال وانها تفيد معنى الاستفهام حيث تفيد
لتقدير الهمزة وانما حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال والدليل على تقدير الهمزة جواز الظهار معها هل كقوله شعر سائل فوارس يربوع
اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فهو بمعنى اي هل حي من تميم ومعنى الاية اقد اتى فالاستفهام تقيد التقرير وقد تقيد التقريب فتكون
حاصلة انه اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر وهو طائفة من الزمان غير محدود وعن ابن عباس وابن مسعود
ان الانسان هاهنا ادم والحين محدود وكذلك انه مكث اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حمإ مسنون اربعين
ثم من خلقه بعد مائة وعشرين سنة واطلاق الانسان على ما قبل نفخ الروح فيه من باب اطلاق الخمر على العصير ونحوه ان يراد
قد اتى على هذا الذي هو الان انسان بالفعل زمان لم يكن فيه انسانا الا بالقوة وهذا صادق على ادم كما قلنا وعلى بنيه
ايضا عند الاكثرين ولعل هذه الاية كالمقدمة والتوطئة للتي تعقبها وكالتاكيد والتقرير لخاتمة السورة المتقدمة وقوله
لم يكن محله رفع على انه نعت حين او نصب على الحال من الانسان لانه في تقدير المفعول يروى ان الصديق لما سمع هذه
الاية قال ليتها تمت اي ليت تلك الحالة تمت وهي كونه غير مذكور لم يخلق ولم يكلف وقيل ان الانسان ادم كما ذكرنا ولكن
الحين مدة لبثه في بطن امه قال ابن الاعرابي وطائفة من اهل اللغة الامشاج جمع مشج كالخلط اخلاط لفظا ومعنى
الجمع اخلاط وقال الاكثرون هو مفرد كالمشيج ويلبس بتكثير له ولهذا يقال نطفة مشج وامشاج فهو صفة المفرد جميعا نحو
برمة اعشار الفدر المتكسر قطعا وثوب اكياس للذي قد غزله مرتين يقال علمك بالثوب الاكياس فانه من لباس الاكياس
والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان ماء الرجل وهو ابيض غليظ وماء المرأة وهو اصفر رقيق والاول يخرج من الصلب والثاني
من الترائب فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وعن ابن مسعود هي عروق
النطفة وقال الحسن اي مزجت بدم الحيض الذي منه غذاء الجنين وعن قتادة هي اطوارها نطفة ثم علقة ثم مضغة
وذهب الحكيم الى انها العناصر وبالجملة فانها عبارة عن انتقال النطفة من حال الى حال كما لهذا فسر الابتلاء بعضهم بهذا الانتقال
ومنه قول ابن عباس نبتليه اي نغيره في بطن امه نطفة ثم علقة ثم مضغة والاظهر ان حاصل المعنى
خلقناه من امشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر اللذان هما اشرف
الحواس ولهذا خصا بالذكر وفيه اشارة الى ان الحواس السليمة اسباب كلية لتحصيل الكمالات النفسية فمن قال الحسا ثقل عليا
وقيل في الاية تقديم وتاخير ونبتليه معناه لنبتليه كقول الرجل جئتك اقتضي حقك اي لاقتضي حقك والمعنى فجعلناه سميعا
بصيرا لنبتليه اخراله بعد ان ركبه والحواس الظاهرة والباطنة اوضح له بوساطة ان اداه العقل السليم سبيل الهدى والضلال
فقوله شاكرا او كفورا وفيه جهة الوعيد اي فان شاء فليكفر وان شاء فليشكر فانا اعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين
كذا وجوز اهل العربية ان يكونا حالين من السبيل على الاسناد المجازي لانه وصف السبيل بالشكر والكفر مجازا وهذه الاقاويل
يناسب اصول المعتزلة اما الذي اختاره الفراء وهو مطابق لمذهب اهل السنة ان اما في هذه الاية كما في قوله واخرون مرجون

لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والمعنى هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا والمراد بالشكر الاقرار بالله
وبالكفران انكاره حتى لا يكون بين القسمين واسطة وجوزنا ان يراد بالشاكر المطيع وباهل الكفران كلاهما سواء سواء كان كفران مطلقا
وهو الكافر بالله او ببعض المعاصي وهو الفاسق قوله سلاسلا من قرأه بالتنوين فانه صرفه للمناسبة قال الاخفش سمعنا
من العرب صرف جميع ما لا ينصرف وهو لغة الشعراء اضطروا اليه في الشعر فجرت السنتهم على ذلك في النثر ايضا وقيل انه
مختص بهذا الجمع لانها اشبهت الاحاد ولهذا جاز صواحبات يوسف وجوز في الكشاف ان يكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق
ويجري الوصف مجرى الوقف ومثله قواريرا من قرأ بالتنوين والاعتاد والاعداد والسلاسل للارجل والاغلال للايدي والسعير
لاحراق الابدان والابرار جمع بر او بار عن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر من كاس اي من اناء فيه الشراب وقال ابن
عباس ومقاتل هي الخمر بعينها والمزاج ما يمزج به والكافور اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن
لا يكون فيه طعم الكافور ولا مضرته والمضاف محذوف ماء كافور والحاصل ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذا العين قيل كان زائد
والاظهر انها مثله ولكنها مسلوب الدلالة على المعنى كقوله وكان الله عليما حكيما عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك
وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور قال الجار الله قوله عينا على هذين القولين بدل من محل كاس
على تقدير حذف مضاف كانه قال يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص ولا خلاف بين العقلاء ان عباد الله في الاية مختص
بالمؤمنين الابرار فغلب على ظنهم ان العباد المضاف الى اسم الله سبحانه مخصوص في اصطلاح القران بالاخيار وعلى هذا
يسقط استدلال المعتزلة بقوله ولا يرضى لعباده الكفر كما مر في اول الزمر وانما قال يشرب بها من كاس وانما يشرب بها
لان الكاس مبدأ شربهم واما العين فانهم يمزجون بها شرابهم فالباء بمعنى مع مثل شربنا الماء بالعسل يفجرونها حيث شاؤا
من منازلهم تفجيرا سهلا قال الضعيف مؤلف الكتاب لا يبعد ان يكون الخمر عبارة عن العلوم اللدنية الحاصلة بالذوق والكافور
والكافور عبارة عن المعارف الحاصلة بوساطة القوى البدنية ومزجها تركيبها على الوجه الموصل الى تحصيل اللذات والكمالات
اخر وتفجيرها اشارة الى ايصالها الى اهلها من النفوس المستعدة لذلك قال اهل النظم حين وصف سعادة الابرار كان لسائل
ان يسأل بما نالوا هذه الدرجات فقال يوفون بالنذر وفيه ان الذي وفى بما اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ذكر الواحدي
في تفسيره البسيط والزمخشري في الكشاف وكذا الامامية اطبقوا على ان السورة نزلت في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
ولا سيما هذه الاية روي عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اناس معه
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون اليهودي ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة واختبزت خمسة اقراص على عددهم
ووضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم
الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم
فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوؤني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة
وروي ان السائل في الليالي الثلث كان جبرائيل اراد بذلك ابتلاءهم باذن الله سبحانه ووصفهم الله تعالى بالخوف من اهوال
القيامة في موضعين اولاهما قوله ويخافون يوما كان شره اي مكروهه مستطيرا فاشيا منتشرا من استطار الحريق ومثله الفجر
المستطيل واصل مستطار والغرض انه بلغ مكانه في ذلك اليوم جميع المكلفين حتى الانبياء يقولون نفسي نفسي الا نبينا فانه
يقول امتي امتي والسموات تنفطر والكواكب تنتثر الى غير ذلك من المكاره والاهوال العامة في هذا من المسلمين بالاعم
على ما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وثانيهما في قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا واذا كان حال اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
او حال الابرار على العموم الخوف من الله الى هذه الغاية فغيرهم اولى بالخوف اما الضمير في حبه فللطعام اي مع اشتهائه
والحاجة اليه كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال الفضيل بن
عياض اي على حب الله عز وجل نظيره الاية قوله وآتى المال على حبه ومعنى المسكين واليتيم قد عرفت مرارا واما الاسير
فعن سعيد بن جبير وعطاء الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول

الله صلعم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وقد سمي الزوجة ايضا اسيرا فقال اتقوا الله في النساء
فانهن عوان عندكم اي اسراء وعن الحسن كان رسول الله صلعم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف
اليهم الواجبات والاحسان اليهم في الحال لانه يرى الامام فيهم ما يرى من قتل او فداء او استرقاق لا ينافي احتمال حكم الامام
عليهم بالقتل فانا لا ان نستخفهم بالاطعام واجب على الغير بذلك يحتمل التراخي كما في حق من يلزمه القصاص فلم يكن له مال
ثم هذا الاطعام يجب اولا على الامام فان لم يفعله وجب على المسلمين قال قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان
تطعمه الاطعام ليس بواجب على الغير ولكن الواجب مواساتهم باي وجه كان وانما عبر عن ذلك بالاطعام لان سبب
الترفه كان كذلك ولان المقصود الاعظم من انواع الاحسان الطعام الذي هو قوام الابدان فيتناول الاكل فلان مال فلان اتلفه باي
وجه كان وان لم يكن الاكل بنفسه قوله انما نطعمكم لوجه الله لرضاه خاصة ولابد من اضمار القول حالا قائلين ويجوز ان يكون نطق
الحال قال مجاهد اما انهم ما تكلموا بذلك ولكن علم الله ذلك منهم فكشف عن نيتهم واثنى عليهم وفيه تنبيه على ما ينبغي
ان يكون عليه كل مطعم بل كل عامل من اخلاص عمله لله عن عايشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال
الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا والشكور مصدر كالكفور ولعل اوله عادا
تعيين مبالغة تسلك وكافي قوله انا نخاف ظاهره انه تعليل للاطعام ويجوز ان يكون تعليلا لعدم ارادة المجازاة ووصف
اليوم بالعبوس مجاز وذلك بطريقين احدهما ان يشبه في ضرره وشدته بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل الثاني ان يوصف
بصفة اهله من الاشقياء يروى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والقمطرير
اشد ما يكون من الايام واطوله بلاء واصله الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه والتركيب يدل على الجمع ومنه القمطر
خريطة فيها الكتب وانقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها قال الزجاج فاشتقاقه من القطر وجعل
الميم زائدة والظاهر انها اصلية وحيث اخبر عن اعمال الابرار واخلاصهم ذكر ما يجزيهم على ذلك واكد تحقق الوعد بان عبر
عنه بصيغة الماضي قائلا فوقاهم الله شر ذلك اي مكروهه فان كل ما يشق على النفس وتكرهه فهو شر بالاضافة اليها
وان كان خيرا في نفس الامر لما فيه من الحكم والفوائد كالقصاص وسائر الحدود ولقيهم اي اعطاهم نضرة في الوجوه وسرورا
في القلوب بدل عبوس الكفار وحزنهم وجزاهم بما صبروا على التكليف او الايثار المؤدي الى الفاقة او المستتبع الجوع والعري
جنة وحريرا اي بستانا فيه ما كل هني ولباسا لهم بهيا قال الاخفش والزجاج متكئين فيها حال والزمهرير شدة البرد والاظهر
ان الميم والياء اصليتان لعدم النظير لو جعل احدهما زائدا ووجود تعليل والمعنى ان هواءها معتدل وفي الحديث هواء الجنة
سجسج لا حر ولا قر وعن ثعلب ان الزمهرير القمر بلغة طي واشتقاقه من الزهر والمراد ان الجنة لضيائها لا يحتاج الى شمس
ولا قمر قوله ودانية ذكر الاخفش والكسائي والفراء والزجاج انه معطوف على متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا
ومرسلة عليه الحجال وان جعلنا قوله لا يرون حالا صارت الاحوال ثلثا والتقدير جزاهم جنة متكئين فيها على
الارائك غير راءين فيها حرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو في الثالثة للدلالة على الاجتماع كانه قيل
وجزاهم جنة متكئين فيها على الارائك جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد وبين الدنو من الظلال ويجوز ان يكون
دانية معطوفا على جنة كانهم وعدوا جنتين لانهم وصفوا بالخوف وقد قال سبحانه ولمن خاف مقام ربه جنتان والتقدير وجزاهم جنة
اخرى دانية عليهم ظلالها وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا من باب علفتها تبنا وماء باردا وذلك ان الزمهرير
لا يرى فالمراد ولا يتالمون زمهريرا وان اريد القمر فلمكانه شعاعها فالمعنى لا يرون ولا يتالمون ولا يخفى ان هذا الظل ليس
بالمعنى المصطلح في الدنيا وهو الضوء الثاني فانه لا شمس هناك بل المعنى ان اشجار الجنة خلقت بحيث
لو كانت هناك شمس لكانت تلك الاشجار قريبة الاظلال على اهل الجنة وقد اكد هذا المعنى بقوله وذللت قطوفها
تذليلا اي لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا وقال ابن قتيبة ذللت اي ادنيت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قال البراء
ابن عازب من اكل قائما ناله ومن اكل جالسا او مضطجعا امكنه وحين وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم واعد الفواكه
وهيئة جلوسهم فيه اخبر عن شرابهم وقدم ذكر الاواني ومعنى قوارير من فضة ان جنس الانية من الفضة الا ان تلك الفضة
في صفاء القوارير وشفيفها حتى يرى باطنها من ظاهرها واذا كانت قوارير الدنيا واصلها من الحجر في غاية الصفاء والرقة

عجيب يحكي ما في جوفها فما ظنك بقوارير الجنة واصلها من الفضة ومعنى كما مر في قوله كان مزاجها كافورا فقال في كانت
هو من قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله اراد تفخيم تلك الخلقة العجيبة الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين والضمير في قدروها للسقاة اي على مقدار اي كل واحد من غير زيادة ونقص وقريب منه قول مجاهد لا يفيض ولا
يغيض وقال الربيع بن انس ان تلك الاواني تكون بقدر ملء الكف لم تعظم فيثقل حملها قوله عينا كلمة ويسقون
فيها اي في الجنة كاسا اي اناء مملوءا من خمر ويجوز ان يكون الضمير في الاواني والكاس الخمر نفسها والعرب يعجبها طعم الزنجبيل في المشروب
وتستلذه وقال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا فلذلك وصف الله شراب اهل الاخرة بذلك قال ابن عباس
وكل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة ليس منه في الدنيا الا الاسم اما السلسبيل فقد قال ابن الاعرابي لم اسمعه الا في القرآن
وقال الاكثرون اشتقاقه من السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل اي عذب سهل المساغ فكان الباء واللام زيدتا للمبالغة
حتى صارت الكلمة خماسية ودل عليه ان الباء ليست من حروف الزيادة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية
السلاسة والغالب في تسميتها بالزنجبيل هي انها في طعم الزنجبيل ولذته ولكن ليس فيها اللذع الذي هو مناف للسلاسة وقد نسب
الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان معناه سل سبيلا ووجهه ان صحت الرواية انها جملة سمي بها كتابط شرا وسبب
التسمية في الاصل انه لا يشرب منها الا من سال اليه سبيلا بالايمان والعمل الصالح او في شعر بعض المتاخرين سل سبيلا فيها
الى راحة النفس براح كانها سلسبيل والظاهر منع صرفه للعلمية والتانيث ولكن لم يقرا به الا في الشواذ والمتواتر التنوين ووجهه
ما مر في سلاسلا على ان رعاية المشاكلة هنا اولى لكونه راس اية ثم وصف خدمهم بقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون
ويجوز ان يكون هذا بيانا للطائفين في قوله ويطاف عليهم بانية وقد صرح به في الواقعة وزاد هاهنا تشبيههم بحسنهم
وصفائهم وتفاوتهم وتفرقهم في المجلس لاصناف الخدمة باللؤلؤ المنثور يحكى ان المامون ليلة زفت اليه بوران بنت
الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط
فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه شاهد مجلسنا هذا حيث قال كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على
ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا انتثر من صدفه لانه حينئذ احسن واكثر ماء ثم اجمل نعيمهم لانه مما لا
يحصى ولا يخطر ببال احد ما دام في الدنيا فخاطب نبيه او كل راء قائلا واذا رايت قال الفراء مفعوله وهو الموصول المضمر
تقديره واذا رايت ما ثم كقوله ولقد تقطع بينكم يريد ما بينكم وانكر الزجاج وغيره حذف الموصول والاكتفاء بالصلة
والذي اختاره اصحاب المعاني ان يكون الفعل متروكا ليشيع وهم والمعنى ان الرائي اينما وقع رؤيته لم يتعلق ادراكه الا
بنعيم كثير وملك كبير اي واسع هني وثم ظرف مكان اشير به الى الجنة يروى ان ادنى منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام
يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل الملك الكبير هو الذي لا زوال له وقيل هو انه اذا ارادوا شيئا كان ومنهم من حمله على التعظيم
وهو ان ياتي الرسول بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن عليه ولا
يدخل عليه رسول العزة وان كان من الملائكة المقربين الا بعد الاستيذان قاله الكلبي وقال اهل العرفان الملك الكبير
هو اللذات الحقيقية والمعارف الالهية والاسرار الربانية التي يستحقر عندها اللذات البدنية وعن علي كرم الله وجهه
انه قرا وملكا بفتح الميم وكسر اللام والملك هو الله سبحانه من قرا عاليهم بسكون الياء فعلى انه مبتدا وثياب سندس خبره
اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس ومن قرا بالنصب فعلى انه ظرف بمعنى فوق فيكون خبرا مقدما ويجوز ان يكون
نصبا على الحال من ضمير الابرار ولقيهم نضرة وسرورا حال كون عاليهم ثياب سندس ويحتمل ان يكون العامل رايت
والمضاف محذوف والتقدير رايت اهل النعيم وملك عاليهم ثياب من قرا خضر فظاهر ومن خفض بالجر فعلى الجوار وعلى صفة سندس
بالاستقلال لانه جنس فكان في معنى الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار الصفر والدراهم البيض واما الرفع في استبرق فللعطف
على ثياب والجر للعطف على سندس وكلاهما ظاهر قوله وحلوا اساور من فضة ان كان الضمير للولدان فلا اشكال لان اساور
المخدومين يكون ذهبا كما قال سبحانه في مواضع يحلون فيها من اساور من ذهب واساور الخدام تكون من فضة وان كان
الضمير للابرار فلا اشكال ايضا فلعلهم يسورون بالجنسين اما على الجمع واما على التعاقب وما احسن بالمعصم ان يكون فيه
سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وايضا فالطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة ورب
انسان يكون استحسانه لصفرة الذهب فالله تعالى يعطي كل احد بفضله ما يكون رغبته فيه اتم وقال بعض اهل التاويل

اسا در البداعمالها ما كسابها التي صارت ملكات نورانية بها يتوسل الى الحيوان الحضرة الصمدية كما ان الذهب والفضة في الدنيا
وسائل الى تحصيل المطالب العاجلة ثم ختم جزاء الابرار بقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا اما في اللغة فظاهر والمراد انها
ليست بنجسة كخمر الدنيا ولا مستقذرة بالطبع لمساس الايدي الوضرة والاقدام النجسة الدنسة ولا تؤول الى النجاسة ولكنها
ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك واما في الحقيقة فقد قال ابو قلابة يؤتون بالطعام والشراب ممزوجا بالكافور والزنجبيل
فاذا كان في اخر ذلك سقوا هذا الشراب فيطهر بذلك بطونهم ويفيض عرق من جلودهم كريح المسك ثم ذكر اصحاب
التأويل ان الانوار النازلة من العالم العلوي متفاوتة في الصفاء والقوة والتأثير فبعضها كافوري طبعها البرد واليبس
ويكون صاحبها في الدنيا مقام العري والبكاء والقبض وبعضها زنجبيلي على طبع الحر واليبس ويكون صاحبها قليل الالتفات الى
ما سوى الله قليل المبالاة بالجسمانيات ثم لا تزال الروح الانسانية تنتقل من نوع ومن مقام الى مقام الى ان تنتهي
الى حضرة نور الانوار فيضمحل في نوره تجليه ساير الانوار وهذا اخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم في الارتقاء [illegible]
قلهذا اضاف السقي الى نفسه قائلا وسقاهم ربهم ثم ختم الوعد بقوله ان هذا كان لكم جزاء وعن ابن عباس لهذا
المعنى انما يقال لهم بعد دخولهم الجنة والقول مقدر والغرض اعلامهم ان كل ما تقدم من اصناف العطاء انما هو جزاء اعمالهم والغرض اعلامهم
ان كل ما تقدم من اصناف العطاء انما هو جزاء اعمالهم والغرض كلمة الاخرة فان سعيهم [illegible] بذلك وقال اخرون انه ابتداء خبر من الله تعالى
لعباده في الدنيا ليعلموا في دار التكليف ان هذه الاشياء معدة في الاخرة لمن بر واطاع واعلم انه سبحانه بين في اول السورة ان الانسان
وجد بعد العدم ثم ذكر انه خلق من امشاج وهي العناصر والاخلاط والماءان ماء الرجل وماء المرأة او الاطوار المتعاقبة
على النطفة او النفس والبدن وعلى جميع التقادير فذلك يدل على كونه [illegible] احكم انه ما خلقه لاجل العبث عاطلا
باطلا ولكنه خلقه للابتلاء والامتحان فاعطاه كل ما هو محتاج اليه من العقل والحواس ثم ان ما له بعده المجبرة الهدى الى الشكر او الكفر
اما الكافر فله السلاسل والاغلال واما الشاكر فله النعيم والضلال واختصر في العقاب واطنب في ذكر الثواب اشارة الى
ان رحمته سبقت غضبه وحين فرغ من شرح احوال الاخرة بدأ بكيفية صدور القرآن الذي منه يعلم هذه العلوم والحقائق
فقال انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا وفيه انواع من المبالغة من قبل ايقاع الضمير اسما لان ثم تكريره ومن جهة صيغة الجمع
ومن جهة ذكر المصدر بعد الفعل ومن جهة لفظ التنزيل دون الانزال لان تنزيل القرآن منجما مفرقا اقرب الى تسلية النبي
وتثبيت به فؤاده وحيث سلى قلبه امره بالصبر على اذى الكفار الى اوان تنزيل اية القتال ونهاه عن طاعة كل اثم منهم
وخصوص الكفور لان الكفر اعظم الاثام قال النحويون كلمة او معناها لاحد الشيئين او الاشياء فاذا دخلت عليه النهي لزم
في الاية انه لا يجوز طاعة الاثم والكفور اذا تخالفا اما اذا توافقا فانه يجوز طاعتهما اذ لا يبعد ان يقول السيد لعبده اذا
امرك احد هذين الرجلين فخالفه اما اذا توافقا فلا تخالفهما والجواب انه لا ريب ان قولك لا تضرب زيدا او عمرا معناه
في الاظهر لا تضرب زيدا او لا عمرا ويحتمل احتمالا مرجوحا لا تضرب احدهما واضرب الاخر الا ان هذا الاحتمال مدفوع في
الاية لقرينة الاثم والكفر فان احدهما اذا كان منهيا عنه فكلاهما معا اولى لان زيادة الشر شر ولهذا قال الفراء
معناه ولا تطع واحدا منهما سواء كان اثما او كفورا ولو كان العطف بالواو وكان نصا في النهي عن طاعتهما معا ولا
يلزم منه النهي عن طاعة كل واحد منهما على الانفراد فنقضان الشرح وقد خص بعض المفسرين فقال الاثم هو عتبة
لانه كان متعاطيا لانواع الفسوق والكفور هو الوليد لانه كان شديد الشكيمة في الكفر روي ان عتبة بن ربيعة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك
من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع وقال الحسن الاثم
هو المنافق والكفور مشركو العرب امره بالصبر على التكاليف مطلقا ثم قسمها الى نهي وامر وها على هذا الترتيب ان التخلية
مقدمة على التحلية اما النهي فقد مر واما الامر فان له ذكر اسم الله ولا سيما في الصلوات اول النهار واخره وهو المراد بقوله
بكرة واصيلا ويشمل صلوات الفجر والظهر والعصر ومن الليل وهو المراد بقوله ومن الليل فاسجد له اي في بعض الليل فصلي
يعني صلوة المغرب والعشاء وسبحه وهو المعنى بقوله وسبحه اي وتهجد له طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه
كما مر في المزمل ثم شرع في توبيخ المتمردين عن طاعته مستخفا ايام قائلا ان هؤلاء يحبون الدار العاجلة ونعيمها

ويقعنها الزائل ويذرون وراءهم يوما ثقيلا اي شديدا لقوله ثقلت في السموات والارض ثم بين كمال قدرته قائلا نحن
خلقناهم وشددنا اسرهم اي ربطهم وتوثيقهم ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد ومنه سمي الاسير والمعنى احكمنا تركيبهم
وتوثيقنا مفاصلهم بالاعصاب والروابط والاوتار حسب ما يحتاجون اليه في التصرف لوجوه الحوائج واذا شئنا اهلكناهم بالنفخة وبدلنا
امثالهم في شدة الاسر عند النفخة الثانية وقال جار الله قيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام كالطعن في لفظ القرآن وهو
ضعيف لان كل واحد من اذا وان حرف الشرط قلت ما ذكره جار الله ليس طعنا في القرآن وانما هو طعن في تفسير ذلك القول
بناء على ان اذا لا يستعمل الا فيما كان مقطوعا به فلهذا لا يحسن تفسير اللفظ به وتعين التفسير الاول والمبادرة بالاعتراض قبل
الفهم التام ليس من اداب العلماء المتقين ثم عجب في مثله ذلك فقال ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا المقصود من عادتهم ان هذه
السورة باحوالها التي [illegible] المتخذين الكرامة الى ربه سبيلا بالطاعة [illegible] دليل القدرية في قوله وما تشاؤون الا ان يشاء
الله الى اخر السورة دليل الجبرية والتوفيق بينهما مفوض الى نظم اهل التوفيق وقد سلف منا [illegible] التحقيق وانتصب الظالمين بفعل يفسره ما بعد
لهم نحو اوعد وعذب ونحو ذلك

سورة المرسلات خمسون اية مكية حروفها ثمانماية وست عشر كلماتها مايه واحدى وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال
نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل
يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين
ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم
فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالت صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين
فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي

المحسنين ○ ويل يومئذ للمكذبين ○ كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ○ ويل يومئذ للمكذبين ○ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ○ ويل يومئذ للمكذبين ○ فبأي حديث بعده يؤمنون ○

القراءات فالملقيات ذكرا بتشديد الدال للادغام أبو عمرو وحمزة في رواية عنهما بخلاف السوسي والبرجمي أو نذرا بالسكون أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد وقتت بالتشديد وبالواو أبو عمرو ويعقوب وبالتخفيف يزيد وفي رواية عنه بإبدال الواو همزة كقولهم أجوه في وجوه الباقون بالابدال والتشديد ألم نخلقكم مظهرا أو يدغم النقاش عن أبي ربيعة عن أصحابه والحلواني عن قالون وحفص والبخاري عن ورش فقدرنا مشددا أبو جعفر ونافع وعلي انطلقوا إلى ظل بفتح اللام رويس جمالة بالتوحيد حمزة وعلي وخلف وحفص جمالات بضم الجيم مجموعة يعقوب الآخرون بالكسر مجموعا **الوقوف** عرفا عصفا نشرا فرقا ذكرا أو نذرا لواقع طمست فرجت نسفت أقتت بناء على أن عامل إذا محذوف أي إذا كانت هذه الأمور يفصل بين الخلق أجلت للفصل بين الجواب والسؤال الفصل للمكذبين الأولين لأن ما بعده مستأنف أي ثم نحن نتبعهم الآخرين بالمجرمين للمكذبين مهين مكين معلوم القادرون للمكذبين كفاتا وأمواتا فراتا للمكذبين تكذبون للتكرار مع الآية ووجه الوقف لمن قرأ بفتح اللام أوضح لأنه ابتداء إخبار عن موجب علمهم بما أمروا به شعب اللهب كالقصر لأن ما بعده وصف لشرر لا للقصر صفر المكذبين لا ينطقون فيعتذرون للمكذبين الفصل لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أي انتهوا إلى يوم مجموعا فيه والأولين فكيدون للمكذبين وعيون يشتهون يعملون المحسنين المكذبين مجرمون المكذبين لا يركعون المكذبين يؤمنون **التفسير** الكلمات الخمس في أول السورة يحتمل أن يكون المراد جنسا واحدا أو أجناسا مختلفة أما الاحتمال الأول ففيه وجوه الأول أنها الملائكة أقسم رب العزة بطوائف الملائكة الذين أرسلهم بأوامره حال كونهن عرفا أي متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا اجتمعوا عليه ويجوز أن يكون العرف بمعنى خلاف النكر أي أرسلهن للإحسان والمعروف وأن هؤلاء الملائكة إن كانوا بعثوا للرحمة فمعنى الإحسان ظاهر ولئن كانوا قد بعثوا لأجل العذاب فذلك إن لم يكن معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله من الكفار لأجلهم ومعنى الفاء في العاصفات عقيب الأمر عصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تبادرا إلى امتثال الأمر وقيل هو من قولهم عصف الحرب بالقوم أي ذهبت بهم وأهلكتهم ويقال ناقة عصوف أي عصفت براكبها فمضت كأنها ريح من السرعة فالمراد بهن حين أرسلن للعذاب طرن بروح الكافر ثم أقسم من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض وأحيين نفوس الميتة أو بما أوعين تفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين قال الأخفش والزجاج هما بالسكون مصدران كالشكر والكفر وبالضم في كل منهما كالنكر والنكر والمعنى أعذر أي أو إنذار وكل منهما بدل من ذكرا أو مفعول له وقال أبو عبيدة المثقل جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الإنذار ومعنى القادر والمنذر فيكونان حالين من الالقاء أي عاذرين أو منذرين الوجه الثاني أنها رياح أقسم الله سبحانه برياح عذاب أرسلهن متتابعة فعصفن عصفا وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا أي صرن سببا في حصول الذكر لأن الإنسان إذا شاهد تلك الرياح الجائية إلى ذكر الله والتضرع إليه فيكون عذرا للذين يعتذرون إلى الله عز وجل بالتوبة والاستغفار أو إنذارا للذين يغفلون عن الله ويغفلون عن شكره إذ ينسبونها إلى الأنواء الوجه الثالث أنها القرآن وآياته أرسلت متتابعة أو بكل عرف وخير فعصفت أي ذهبت بسائر الملل والأديان والكتب أي ابتداء بالمنهج والنسخ عقيب الإرسال ونشرت بعد ذلك بالتدريج آثار الحكم وأنوار الهداية في قلوب العالمين ففرقت بين الحق والباطل فالقت الذكر والشرف إلى أمته كأنه لذكر لك ولقومك الرابع أنها طوائف الأنبياء أرسلوا بالوحي المستعقب لكل خير ومفتاحه لا إله إلا الله فأخذ أمرهم في العصوف والاشتداد إلى أن بلغ غايته وانتشرت دعوتهم ففرقوا بين المؤمن والكافر والموحد والجاحد وألقوا الذكر والتوحيد إلى الناس كأنه أدى إلى طائفة معينة والخامس وهو بالتأويل أشبه المرسلات هي الدواعي والإلهامات الربانية أرسلت فأخذت في العصوف والاشتداد بحيث أزالت عن

القلب حب ما سوى الله وانتشر آثارها في سائر الأعضاء والجوارح فلا يسمع إلا بالله ولا يبصر إلا بالله وكذا البطش والمشي وسائر الحركات والسكنات ففرقت بين الوجود المجازي وهو ما سوى الله وبين الوجود الحقيقي وهو الثابت بالله فألقت الذكر على كل الجوارح فلم يذكر غير الله وأما الاحتمال الآخر ففيه وجوه أيضا أحدها وهو المنقول عن الزجاج واختاره القاضي أن الثلاثة الأول هي الرياح كما في الوجه الثاني من الوجوه المتقدمة والباقيات الملائكة كما مر في الوجه الأول منها ووجه الجمع بينهما أعني الرياح والملائكة وهي اللطافة وسرعة الحركة وثانيها أن الأوليين هما الرياح والثلاثة الأخيرة الملائكة لأنها تنشر الوحي ثم بعقبه الإلقاء ظهر الفرق بين أولياء الله وأعدائه ودوران ذكر الله على القلوب والألسنة وقد يتأيد هذا الوجه بعطف الثانية على الأولى بالفاء المنبئ عن التعقيب والتسبيب ثم السين بالواو وعطف الباقيتين عليها بالفاء وثالثها أن الأولى ملائكة الرحمة والثانية ملائكة العذاب والباقية آيات القرآن على منوال ما سبق قوله عز اسمه إنما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه على ما قال الكلبي ما توعدون به من الخير والشر لواقع والأكثرون يخصونه بمجيء القيامة بدليل ذكر أماراتها بعدها وهو قوله فإذا النجوم طمست أي أزيلت عن أماكنها بالانتثار أو أذهب ضوءها بالانكدار وقد مر ذكر منهما وإذا الكواكب انتثرت وإذا النجوم انكدرت فذكروا في وجه الجمع بينهما أنه يجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور وفسر الانتثار في الكشاف بمحق الذوات وفيه بعد لأن الانتثار غير الانعدام وإن أراد بالمحق غير هذا فعليه البيان قوله وإذا السماء فرجت أي فتحت كقوله وفتحت السماء فكانت أبوابا وإذا الجبال نسفت أي سيرت أجزاؤها في الهواء كالحب إذا نسفت بالمنسف وقد مر في طه في قوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال مجاهد والزجاج أقتت الرسل تبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وكان هذا الوقت مبهما عليهم قبل ذلك وقريب منه قول جار الله إن معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره في يوم القيامة ثم عجب العباد من هول ذلك اليوم فقال لأي يوم أجلت الأمور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من صدقهم وظهور ما كانوا يدعون الأمم إليه ليجيئوا بهم من العرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين ثم أجاب بأنهم أجلوا ليوم الفصل بين الخلائق ثم عظم ذلك ثانيا فقال وما أدراك ما يوم الفصل أي شيء شدته ومهابته ثم عقبه بتهويل ثالث فقال ويل يومئذ أي يوم إذ كان كذا أي كذا من الأهوال للمكذبين وإعرابه كإعراب سلام عليكم وقد سبق وقد كرر هذا التهويل في تسعة مواضع أخر لمزيد التأكيد والتقرير كما مر في سورة الرحمن عدد ثم بقوله ألم نهلك الأولين كعاد وثمود وغيرهما إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم ثم نتبعهم الآخرين نحو كفار مكة أهلكهم الله يوم بدر وفي غير ما من المواطن قوله كذلك أي مثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بكل مجرم ثم تحسر بتعديد النعم وآثار القدرة عليهم فقال ألم نخلقكم من ماء مهين حقير لا يعبأ به وهو النطفة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم وأنه لم ينمق فيه لم تكون إلى قدر معلوم من الزمان لم يعلمه سواه ولهذا قال فقدرنا بالتشديد فنعم القادرون أي نعم المقدرون له ومن قرأ بالتخفيف فمعنى التقدير أيضا لتوافق القراءتان قال الفراء تقدر وتقدر بالتخفيف والتشديد لغتان ويجوز أن يكون التخفيف من القدرة أي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم أصحاب القدرة نحن حيث خلقناه في أحسن تقويم وفي قوله ويل للمكذبين توبيخ من وجهين أحدهما أن النعمة كلما كانت أعظم كان الكفر بها أفحش والثاني أن القادر على الابتداء أقدر على الإعادة فالمنكر لهذا الدليل الواضح يستحق غاية التوبيخ ثم عدد عليهم نعم الآفاق بعد ذكر الأنفس والكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع فيجوز أن يكون اسما لما يكفت به مبنيا للمفعول كالشداد والصمام لما يشد به ورأس القارورة وانتصب أحياء وأمواتا بفعل مضمر دل عليه نفس الاسم عليه أنه تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا على بطنها والتنكير للتفخيم أي أحياء وأمواتا بفعل بعض الأبعد ولا يحصى وجوز انتصابهما على الحال والضمير الذي هو ذو الحال محذوف للعلم به أي تكفتكم في حال حياتكم وفي حال مماتكم وقيل معنى كونها كفات الأحياء أنها تجمع ما ينفصل من المستقذرات وقيل معناه أنها جامعة لما يحتاجون إليه في التعيش وكفتها إياهم أن الأرض يعني ما ينبت فيها وما لا ينبت والكل يكفت والوجه هو الأول والباقي في الآية ظاهر بما سلف مرارا ثم أخبر عما يقال للمكذبين في يوم الفصل فقال انطلقوا أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب ثم بين ما أجمل بقوله انطلقوا يريد أن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس فتلحقهم الشمس وتسفعهم وتأخذ بأنفاسهم وينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظلاله فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا إلى ظل قال الحسن ما أدري ما هذا الظل ولا سمعت فيه بشيء وقال قوم تسمى النار بالظل مجازا وأوسعها الثلث

كونها من فوقهم ومن تحت ارجلهم محيطة بهم وعن قتادة وهو الدخان تشعبة عن يمينهم واخرى عن يسارهم والثالثة من فوقهم تظلهم حتى يفرغ من حسابهم والموصوف في ظل العرش وقال في الكشاف هو عبارة عن عظم الدخان فالدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب وقال اهل التاويل الشعب الثلث هي القوة الغضبية ومنشاها القلب في الجانب الايسر والشهوية ومنشاها الكبد في الجانب الايمن والشيطانية ومنشاها الدماغ من فوق فيتولد من هذه الينابيع الثلثة ثلثة انواع من الظلمات وقال ابو مسلم هي الاوصاف المثلثة التي ذكرها الله تعالى عقيبها وهي لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر وفيه تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين اي ذلك الظل غير مانع حر الشمس وغير مغن من حر اللهب شيا اي لا روح كما قال في الواقعة لا بارد ولا كريم يقال اغنى عني وجهك اي ابعده لان الغني عن الشي يتباعد عنه كما ان المحتاج اليه يقاربه وانما عدي في الاية بمن لانه اراد ان ابتداء الاغناء منه وعن قطرب ان اللهب ههنا هو العطش ثم شبه الشرر وهو ما يتطاير من النار متبددا في كل جهة بالقصر والاكثرون على انه واحد القصور وعن سعيد بن جبير ومقاتل والضحاك انه الغليظ من اصول الشجر العظام الواحدة قصرة كجمرة وجمر وعن ابن عباس انه سئل عن القصر فقال خشب كنا ندخره للشتاء ثم زاد في البيان بان اتبعه تشبيها اخر فقال كانه جمالات صفر هي جمع جمالة بمعنى جمل ونحو ان يكون جمع جمال جمع جمل كرجالات وقال ابو علي النار في حالتها تلك اجمع تحجارة اما الجمالة بالضم فهي قلوس سفن البحر اي حبالها كما روي قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وعن علي ابن ابي طالب وابن عباس انها قطع النحاس ومعظم اهل اللغة لا يعرفونه فقال الفراء يجوز ان يكون الجمالات بالضم من الشي المجمل يقال اجملت الحساب وجاء القوم جملة اي مجتمعين والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شي مجموع غليظ اصفر والاكثرون على ان المراد بهذه الصفرة سواد تعلوه صفرة وقال الفراء لا ترى اسود من الابل الا وهو مشرب بصفرة فالشرر اذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار كان اشبه بالجمل الاسود الذي يشوبه شي من الصفرة وقال الحربي الشرر انما يسمى شررا ما دام مرتفعا وحينئذ يكون نائرا فاذا كان نائرا كان ناصعا واعلم انه عز اسمه شبه الشرر في العظم والارتفاع بالقصر ثم شبه مع ذلك في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر ثم نقل عن ابن عباس انه قال هذا التشبيه انما ورد على ما هو المعتاد في بلاد العرب وقصورهم قصيرة السمك جارية مجرى الخيمة فسمع ابو العلاء ذلك فشبه الشرر بالطراف وهو الخيمة من الادم فقال شعر

حمراء ساطعة الذوايب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

فزعم صاحب الكشاف انه اراد معارضة المعجز قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله كان الاولى بصاحب الكشاف ان لا يذكر ذلك لان احتقار الاعجاز المعجز اظهار حال الاجل منصاصا ان يتصدى لمعارضته احد بعد استقرار امره او يلتفت الى المعارضة واذ اقد ذكر صاحب الكشاف ذلك فلنذكر التفاوت بين القرآن وبين كلام ابي العلاء وذلك من وجوه الاول هب ان لون الادم قريب من لون الشرارة الا ان الجمالات متحركة كالشرارة دون الخيمة الثاني ان القصر موضع الامن فتشبيه الشرار به اشارة الى الكافر انما توقع انه من الموضع الذي يتوقع منه الامن وهو دينه ودنياه التي ظن انه منها على شي وليست الخيمة موضع الامن الكلي الثالث ان الشرر متتابعة كالجمالات ولا كذلك الطراف الرابع ان العرب اعتقدوا ان الجمال ملك الجمال وتمام النعم في حصول النعم وهذا التهكم موجود في الشعر الخامس ان الابل اذا انفردت وشردت متتابعة نال من يقع فيها بينها بلاء شديدا فتشبيه الشرارات بها تقييد كالقصر والطراف لا يكون كذلك السادس ان القصر يكون اعظم غالبا من الطراف والجمالات وهي جمع الجمع يكون اكثر عددا من الطراف والعرض والتوكيد فيكون تشبيه القرآن ابلغ في المعنى المقصود السابع ان التشبيه بشيئين كالقصر والجمالات في اثبات وصفين كالعظم والصفرة اقوى في ثبوت الوصفين من التشبيه بشي واحد للوصفين بعينيهما لان الاول كالمبين المفصل والثاني كالمجمل المبهم اذ يحتمل ان يكون وجه التشبيه واحدا منهما فقط الثامن ان الانسان انما يكون طيب العيش اذا كان وقت الانطلاق الى الظل وقت النزول وانه في الظل فكانه قيل في الاية على سبيل التهكم مركبكم هذه الجمالات من الشرر وظلكم في مثل هذا القصر ولو شبه بالطراف لم يحصل هذا المقصود التاسع ان نظائر القصر وهي الابنية والحجر والخشب في الهواء اغرب عن نظائر الخيمة وهي حقيقة في الحجم والعاشر ان سقوط القصر افظع واهول من سقوط الطراف هذا محصول كلام الامام في هذا المقام اوردناها لئلا يكون كتابنا خاليا عن شي من فوائد تفسيره قوله علت كلمته وهذا يوم لا ينطقون يروى ان نافع بن الازرق سال ابن عباس عن الجمع بين هذه الاية وبين نحو قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فاجاب بتغاير الزمان وتباين الموطنين

وقال الحسن المراد لا ينطقون بحجة صحيحة وعذر واضح فكانهم لا ينطقون ولم يعتذروا قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون انما لم يقل فيعتذروا بسقوط النون للنصب كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا لانه لو نصب لادعوا انهم انما لم يعتذروا لاجل انهم لم يؤذنوا في الاعتذار ولولا المنع لاعتذروا هذا اعن جانب ولكن المراد انه لا عذر لهم في نفس الامر كما لا اذن لهم فالمراد المطلق النفي لان النصب مانع ان فيه رعاية الفاصلة وهي من جملة الفصاحة اللفظية ولهذا لم يترك في سورة اقتربت الى شي نكر الاشتغلا وترك قوله في اخر الكهف والطلاق عذابا نكرا بالوجهين قالوا انما قال لا يؤذن لهم في الاعتذار لانه سبحانه ازاح الاعذار في الدنيا بتقديم الانذار بدليل قوله فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا ولهذا في اخر الاخبار ويل يومئذ للمكذبين ثم اشار لمزيد التهديد والتوبيخ الى اليوم المذكور بقوله هذا يوم الفصل ثم اوضح هذه الجملة بقوله جمعناكم ايها الناس والاولين لان الفصل بين الخلائق لا يمكن الا باحضار الكل وقد يستدل به على عدم جواز القضاء على الغايب ثم عجزهم وحقرهم بقوله فان كان لكم كيد فكيدون يعني ان الحيلة لهم في دفع البلاء عن انفسهم يومئذ كما كانوا يحتالون في الدنيا في ايذاء انبياء الله واوليائه وهذا التعجيز والتخجيل من جنس العذاب الروحاني فلهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين ثم زاد في حسرتهم وغمهم بتعديد ما اعد للمطيعين المتقين من الظلال والعيون والفواكه بدل ظلالهم التي لا تروح فيها ولا تغني عن الحر والعطش استقروا في النعيم مقولا لهم كلوا واشربوا وهذا امر اكرام لا امر تكليف وهذا ايضا من جنس العذاب الروحاني بالنسبة الى الكافرين وحين ربيت الذين اتقوا الشرك في النعيم المقيم ولهذا اردفه بقوله ويل يومئذ للمكذبين ثم ذكر بعد التذييل ثانيا لهم في حال ما يقال لهم في الاخرة كلوا وتمتعوا قال جار الله هذا في طريقة قوله التابل اخوي لا تبعدا ابدا وبلى والله قد بعدا اي انتم احقاء في سوئكم بان يدعى لكم بهذا وفيه توبيخ لهم وتذكير بحالهم السمجة بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم على ذلك بكونهم مجرمين بعاقبة الكل مجرم وجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا ثم ذمهم على ترك الخشوع والتواضع لله بقوله وحبه وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود يروى انه وفد ثقيف امرهم رسول الله بالصلوة فقالوا لا نجبي اي لا نركع ولا نسجد فانها مسبة علينا فقال صلعم لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود وانزل الله الاية ثم ختم السورة بالتعجب من حال الكفار واصرارهم على ضلالتهم وضلالهم بعد القرآن وبيانه وقد مر في اول الجاثية نظيره

سورة النبأ احدى واربعون اية مكية حروفها سبعماية وسبعون كلامها مايه وثلث وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا

كلا سيعلمون ثم

الجزء الثلاثون

ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا
كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

القراءة كلا ستعلمون بتاء الخطاب في الموضعين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفتحت بالتخفيف
عاصم وحمزة وعلي وخلف لبثين مقصورا حمزة ولا كذابا مخففا علي رب بالرفع بتقدير هو رب ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو
والمفضل الباقون بالجر على البدل الرحمن بالجر على البدل او البيان ابن عامر وسهل ويعقوب وعاصم غير المفضل الآخرون بالرفع على انه الرحمن
وعلي [illegible] **الوقوف** يتساءلون لاحتمال ان الجار متصل بالفصل المذكور والمراد التهديد قال الفراء اي بمعنى اللام اي لاي شيء
ومتصل بمحذوف كأن سائلا سأل عن اي شيء يتساءلون فاجيب عن النبأ العظيم مختلفون لا على ان معناه كلا سيعلمون سيعلمون
مهادا اوتادا ازواجا سباتا لباسا معاشا شدادا وهاجا ثجاجا ونباتا الفافا ميقاتا لا لان ما بعده بدل افواجا ابوابا وسرابا
مرصادا مآبا احقابا لان ما بعده يصلح استئنافا او حالا ويجوز ان يكون صفة لاحقابا والمكان عود والضمير في فيها الى الاحقاب
وغساقا وفاقا حسابا كذابا لان التقدير وحصينا كل شيء احصيناه كتابا عذابا مفازا لا وأعنابا اترابا دهاقا لانه لو وصل اشتبه
بالصفة وللوصف وجه يجيء في التفسير كذابا لان جزاء يصلح مصدرا ومفعولا له حسابا لمن قرأ رب بالرفع رب بالجر على
الرحمن وقف على الوجوه الاخر جعله مبتدأ لا يملكون خبره خطابا بناء على ان يوم ظرف لا يملكون صفا بناء على ان ظرف لا
يتكلمون صوابا الحق اذ الشرط مع الفاء مآبا قريبا لان يوم متعلق باذكر او بعذابا ترابا **التفسير** حرف الجر اذا دخل
على ما الاستفهامية تحذف الفاء نحو عم وفيم وعلام ولام لشدة الاتصال وكثرة الاستعمال ثم ان كان الكلام مبنيا على السؤال
والجواب والسائل والمجيب واحدا وهو الله فالفائدة في هذا الاسلوب ان يكون الى التفهيم اقرب ومعنى هذا الاستفهام
تفخيم شان ما وقع فيه التساؤل كأنه لفخامته مطلب ما وضع للسؤال عن حقائق الاشياء المجهولة والشيء العظيم الذي يعجز العقول
عن ادراكه او يدعي فيه العجز يكون مجهولا ثم بين المسؤول بانه هو النبأ العظيم مشابها من هذه الجهة والتأبيد احد اسباب
المجاز والنبأ العظيم القيمة بدليل الردع عن الاختلاف والتهديد بعده وتقديم الضمير وبناء الكلام عليه ليفيد الحكم للاختصاص فان
غير قريش ايضا المختلفون في امر البعث فمنهم من يثبت المعاد الروحاني فقط ومنهم من يشك فيه كقوله وما اظن الساعة
قائمة ومنهم من يقطع بعدم البعث ان هي الا حياتنا الدنيا الذي كان يسأل بعضهم بعضا عن القيمة ويتحدثون عنها متعجبين من
وقوعها ويجوز ان يكون المفعول محذوفا اي يتساءلون النبي والمؤمنين نحو رأينا العلال فيكون التساؤل بطريق الاستهزاء ويحتمل
ان يكون الضمير للمسلمين والكافرين جميعا فقد كانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فيزداد خشية واستعدادا واما الكافر فلاجل
الاستهزاء وقيل النبأ العظيم القرآن واختلافهم فيه ان بعضهم جعله سحرا وبعضهم شعرا او كهانة وقيل نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم كانوا يقولون هذا الذي حدث ويحسبوا انه جاء منه منهم وقالت الشيعة هو علي كرم الله وجهه قال القائل وتحقيقه
هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب قال اهل المعاني تكرير الردع مع الوعيد دليل على غاية التهديد وفيه
اشعار بان الوعيد الثاني ابلغ ويجوز ان يكون الاول في الدنيا والثاني في الآخرة وقيل الاول للكفار والثاني للمؤمنين وقيل
الاول ردع عن الاختلاف والثاني عن الكفر وحذف المفعول للعلم به اي سيعلمون ان ما يتساءلون عنه مختلفين فيه حق
وصدق وذلك اذا اتصل العيان بالخبر ومن قرأ بتاء الخطاب فقد سلك سبيل الالتفات ثم عدد دلائل القدرة على البعث

ودلايل

ودلائل الحكمة في الجزاء على ان كلا منها نعمة يجب ان تشكر بالتوفر على الطاعة وان لا تكفر بالاقدام على المعصية والمهاد الفراش
والاوتاد ما يشد بها اطناب الخيمة شبهت الجبال الراسيات بها لانها تحفظ الارض ان تميل باهلها وقد سبق تقريره والازواج
الاصناف والمتقابلات الصبح بازاء الحسن والطويل بحذاء القصير ونحو ذلك من الاضداد والسبات الراحة والتركيب يدل على القطع
والازالة ومنه سبت الرجل راسه اذا حلقه فالنوم يزيل التعب عن الانسان فيستعقب الراحة قال ابن الاعرابي والمبرد
وقال الزجاج وغيره هو الموت وهذا التفسير لا يناسب المقام تعدد النعم واللباس ما يتغطى به والليل ساتر كاللباس **شعر** وكم لظلام الليل
عندكم من يد تخبر ان المانوية تكذب والمعاش مصدر او اسم زمان لان الناس يتقلبون فيه لوجوه معايشهم والشداد المحكمة
التي لا يتطرق اليها الشق والخرق الا ما شاء الله والوهاج المتلالي الوقاد وفي كتاب الخليل الوهج حر النار ولا شك ان الشمس
جامعة للنور والحرارة والمعصرات السحاب بلغة قريش من اعصرت اذا شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد
الزرع اي حان ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وهذا القول مروي عن ابن عباس واختاره ابو العالية
والربيع والضحاك وقال مجاهد والكلبي ومقاتل وقتادة هي الرياح التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فكأنها مبادي الانزال
والثجاج المنصب بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج صب
دماء الهدي بين غاية الانزال وهي اخراج الحب للانسان والنبات للانعام غالبا والجنات الملتفة لاجل التفكه والتلذذ
قال الكسائي والاخفش الالفاف جمع لف بالكسر ويحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف وقال في الكشاف انه لا واحد
له كالاوزاع للجماعات المتفرقة ومثله قولهم اخوة اخياف اي مختلفة واعلم ان هذه الاشياء التسعة نظرا الى حدوثها
او امكانها تدل على الفاعل المختار ونظرا الى ما فيها من الاحكام والاتقان تدل على كمال علمه وحكمته الذاتية وبعد
ثبوت كماله في هذه الاوصاف لم يبق للعاقل شك في امكان الحشر وقد اخبر الصادق عن وقوع هذا الممكن
فوجب الجزم به على ان في اخراج النبات بعد جفافه ويبسه دليلا ظاهرا على امكان اخراج الموتى من القبور بعد
خرابهم فلهذا رتب على هذه البيانات قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا اي اجلا موقتا به الدنيا او حدا تفصل الخلائق
تنتهي الخلائق اليه والنفخ هاهنا هي الثانية التي تكون عنها الحياة بدليل قوله فتاتون افواجا اي طوائف الى ان تكامل
اجتماعهم وقال عطاء كل نبي يأتي مع امته وروى صاحب الكشاف ان معاذا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم
صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة
من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون رؤوسهم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران
واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين
يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء
وفتح السماء شقها وانفطارها ومعنى اخر معاني اللفظ فكانت السماء كلها لكثرة ابوابها المفتوحة لنزول الملائكة
صارت كأنها ابوابا كقوله وفجرنا الارض عيونا ويحتمل ان يعود الى معنى دل عليه الكلام اي فكانت تلك المواضع
المفتوحة ابوابا وذلك الواحد المضاف محذوف اي فكانت ذات ابواب واما الجبال فانه سبحانه ذكر احوالها بعبارات
مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اولا وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم تصير كالعهن المنفوش وتكون الجبال
كالعهن ثم تصير كالهباء وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وهي في كل هذه الاحوال باقية في مواضعها ثم تنسف بارسال
الرياح عليها واذا الجبال نسفت ثم تطيرها [illegible] احوال احدها الارض اذا برزت من تحتها فيوم نسير الجبال وترى
الارض بارزة والثاني للجبال سيرها في الهواء كالهباء فمن نظر اليها حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي بالحقيقة
مارة تتحرك في الهواء قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب والثالث لها باعتبار اماكنها الاصلية [illegible]

الى تلك المواضع من بعيد يظن ان الجبل هناك حتى اذا دنا منها لم يجد بها شيئا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا وقد اشار الى هذه الحالة وسيرت الجبال فكانت سرابا ثم اخبر عن احوال الاشقياء والسعداء بوعيد
وقدم ذكر الاشقيا لان الكلام بنى في السورة على التهديد بدليل قوله ان جهنم كانت في علم الله او هي مسلوكة الدلالة على المضي
والمرصاد اما اسم المكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه
والمعنى ان خزنة جهنم يرصدون الكفار هناك او خزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عندها لان مجازهم عليها بدليل قوله وان
منكم الا واردها ولهذا قال الحسن وقتادة يعني طريقا وممرا الى الجنة واما صيغة نحو مقدام يعني انها ترصد اعداء الله وقوله
للطاغين متعلق بما بعده او بما قبله وعلى التقديرين لابد من اضمار وهو لفظة لهم او لاهل الجنة ثم ذكر كمية استقرار
هناك فقال لابثين وحمزة لبثين فيها احقابا وهو ادل على الثبات قال جار الله اللابث من وجد منه اللبث واللبث الذي من
شانه اللبث لا يكاد يبرح بالمكان اما الاحقاب فزعم الفراء ان مثله الترادف والتتابع اي دهرا بعد دهر متواترة لا تكاد
تتناهى كلما مضت حقب تبعه اخر وقال الحسن الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة
اليوم منها كالف سنة مما تعدون وسأل هلال الهجري عليا رضي الله عنه فقال الحقب مائة سنة والسنة اثنا عشر شهرا
والشهر ثلثون يوما واليوم الف سنة وقال عطا والكلبي ومقاتل عن ابن عباس الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة
ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا ونحو هذا روي عن ابن عمر مرفوعا فان قيل عذاب اهل النار لا نهاية له (?)
غير متناه والاحقاب في التفاسير المذكورة وان كثرت فظاهرها متناهية فما وجه الجمع بينهما قلنا الحقب متناه ولكن
الاحقاب لا نسلم انها متناهية فان الجمع لا يلزم تناهي احاده فيجوز ان يكون المعنى كلما مضى حقب تبعه اخر كما قال الفراء سلمنا ان
الاحقاب تفيد التناهي لكن بالمفهوم والنصوص الدالة على التأبيد تنفي له بدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
حتى يدل المنطوق نافع (?) قال الزجاج المعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون
الى جنس اخر غير الحميم والغساق وذكر في الكشاف وجها اخر وهو ان يكون احقابا من حقب عامنا اذا قل خيره وحقب فلان
اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم اي نكدين وقيل سوء حال والبرد معروف اي لا يجدون
هواء باردا ولا ماء باردا وقال الاخفش والكسائي والفراء وقطرب هو النوم وذلك ان البرد لازم النوم ولهذا يسكن
العطش وسببه توجه الحرارة الغريزية الى الباطن عند نوم الحواس الظاهرة والحركات الاختيارية ومن امثالهم
منع البرد البرد اي اصابني من البرد ما منعني من النوم وقد يعضد هذا القول بانهم لا يذوقون وقت البرد ويقولون ذقت الكرى
وبانهم يجدون الزمهرير فكيف يصح نفي البرد عنهم وقد يجاب عن الاول بان الذوق في الصورتين مجاز واي ترجيح لاحدهما
على الاخر وعن الثاني بان المراد برد له روح لا الذي فيه عذاب والحميم الماء البالغ في الحرارة والغساق صديد اهل
النار وقد مر في سورة ص قوله جزاء نصب على المصدر اي جوزوا جزاء وانتصب وفاقا على الوصف اي ذا وفاق
او موافقا للعلم في القبح والفظاعة والدوام ثم ذكر علة التأبيد فقال انهم كانوا لا يرجون لا يخافون او لا يتوقعون حسابا
وهذه اشارة الى نقصانهم بحسب القوة العلمية فان الذي اعتقد انه لا حشر ولا حساب لا يبالي اي لاي شيء فعل
من القبائح والمظالم او اي شيء ترك من الخيرات والفضائل وقوله وكذبوا باياتنا كذابا اشارة الى فساد عقائدهم حتى جحدوا
الحق وكذبوا الرسل ومصدر كذب فعل مشدد العين يجيء على فعال بالتشديد وهو الاكثر وبالتخفيف عند بعضهم ولهذا
لم يقرأ به الا في الشواذ قال جار الله هو مصدر كذب بدليل قوله شعر فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله
انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب
وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين
بينهم مكاذبة فلانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ منه اقصى جهده او لانه اراد بهذا الوجه
المعنى ان باب المغالبة يبنى على المفاعلة فيمكن ان يستدل بالمفاعلة على المغالبة بطريق العكس لجري قوله وكل شيء
احصيناه من باب الاضمار على شريطة التفسير وقوله كتابا مصدر لانه والاحصاء يتلاقيان في معنى الضبط والتحصيل ويجوز
ان يكون حالا اي مكتوبة في اللوح او في صحف الحفظة قال جار الله وهذه جملة معترضة واقول انها من تمام التعليل المذكور اي انهم
فعلوا كذا وكذا وكنا نحن عالمين بجميع الكليات والجزئيات فلهذا امكنا جزاء العاصين على وفق اعمالهم ثم انتهى غاية

السخط

السخط بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب والتعقيب بناء الجزاء الدال على ان المذكور مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالايات وزيادة العذاب يحتمل ان يكون لاجل ان المؤثر اذا استمر ودام ازداد الاحساس باثره ويحتمل ان يكون لانهم كلما (?)
حينا بعد حين كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ويحتمل ان يكون زيادة العذاب عبارة عن نفس استمراره لانه يتزايد
بمرور الزمان والمراد انكم لن تتخلصوا من العذاب الى خلافه ثم شرع في شرح احوال السعداء قائلا ان للمتقين مفازا فوزا
وظفرا بالمطالب والاماني او موضع فوز ثم فسره بقوله حدائق الى اخره والحدائق البساتين فيها انواع الشجر وقد مر في
قوله حدائق ذات بهجة وخص منها الاعناب لما انها مرتبة على سائر الفواكه والكواعب النواهد واحدها كاعب كانها
وطامت ثديها التي ظهرت بها كالكعب لها ابو نبيل (?) والاتراب اللدات والدهاق المترعة المملوءة وهذا قول ائمة اللغة كابي
عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد يروى ان ابن عباس دعا غلاما فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا
هو الدهاق وهو مشتق (?) لتلاصقها ودخول بعضها في بعض وعن عكرمة دهاقا اي صافية والدهاق على هذا القول يجوز
ان يكون جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والكاس الخمر اي خمرا ذات دهاق وهي التي عصرت وصفيت بالدهاق لا يسمعون
فيها اي في الجنة وهو الاظهر او في الكاس وشربها لغوا ولا كذابا باطلا ولا كذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا لانهم اخوان
الصفا واخوان الوفا وقرئ بالتخفيف فمعناه انه لا يجري بينهم كذب او مكاذبة قال جار الله جزاء مصدر مؤكد منصوب
بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وقال الزجاج
المعنى جازاهم بذلك جزاء واعطاهم عطاء ومعنى حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل اي على
حسب اعمالهم فمعنى الحساب العدد والتقدير لبعضهم عشر ولبعضهم سبعمائة والكل وقال ابن قتيبة وهو من احسبت
فلانا اي اكثرت له يعني عطاء كثيرا (?) فالاول جزاء وفاقا لان جزاء السيئة مثلها اي موافقة لها واما ههنا فالمراد
ثواب المؤمنين وليس ذلك تقدير العمل فقط لكن يتقدم ابتداء بما فيه ثم مدح نفسه بقوله رب السموات والارض وما بينهما الرحمن
وقد تقدم اعراب في الوقف والضمير في لا يملكون وقيل للكافرين نقله عطا عن ابن عباس يريد لا يخاطب المشركون
الله واما المؤمنون فيشفعون ويتقبل الله ذلك منهم وقيل للمؤمنين لان ذكرهم اقرب من ذكر الكفار والمراد انه لا يحسن منهم
في اي سبب يخاطبونه والاكثرون على ان الضمير لاهل السموات والارض وان احدا من المخلوقين لا يملك مخاطبة الله
ومكالمته ولا يرد عليه الشفاعة ولانها بالاذن لا بالملك والذي يدل على العقل على ان احدا لا يملك خطابا من جهة الله
انه كلما سواه فهو مملوكه والمملوك لا يملك من جهة مالكه شيئا والا لم يكن لمالكه وقالت المعتزلة انه عالم بقبح القبيح
عن نفله وعالم بغناه فلا يفعل الا الحسن فلا وجه للمطالبة والمخاطبة ثم اكد المعنى المذكور بقوله يوم يقوم الروح وهو
اعظم المخلوقات قدرا كما مر في سورة سبحان في تفسير قوله ويسئلونك عن الروح والصف مصدر في الاصل لا يثنى
ولا يجمع غالبا ولهذا جاز ان يكون المراد بهم يقومون صفين الروح وحده صف والملائكة باسرهم صف ويجوز ان يراد انهم
يقومون مصطفين كقوله وجاء ربك والملك صفا صفا ثم بين انهم مع جلالة قدرهم لا يتكلمون الا بشرطين احدهما الاذن
من الله والضمير في له اما للشافع والمراد انهم لا ينطقون الا بعد ورود الاذن في الكلام لمن بعد الاذن يجتهدون ويتكلمون
الا بالحق والصواب واما للمشفوع والقول الصواب على هذا التفسير شهادة ان لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اي لا باطل
فيه ولا ظلم او هو الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ بالطاعة الى ربه مآبا ومرجعا والظاهر ان الضمير في شاء عائدا
الى من دليله دليل التذييل وروى الحربي (?) عن ابن عباس ان الضمير لله عذابا قريبا هو عذاب الاخرة لان ما هو ات قريب
وفي المرء (?) وعن عطا انه الكافر لتقدم ذكر الانذار وقوله الكافر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وعن الحسن وقتادة
انه المؤمن ليجيء ذكر الكافر بعده ولان المؤمن لما قدم الخير والشر فهو منتظر لامر الله كيف يحدث واما الكافر فانه قاطع بالعقاب
ومع القطع لا يحصل الانتظار والاظهر انه عام في كل مكلف وما استفهامية منصوبة بقدمت او منصوبة بينظر فيلزم
اضمارا ان حذف العائد من قدمته وحذف الجار لان الاصل ان ينظر اليه قوله كنت ترابا فيه وجوه احدها ياليتني لم اكن
شيئا كما قال الثاني ليتني لم ابعث ولم احشر الثالث ما ورد في الاخبار ان البهائم يحشرون فيقتص للجماء من القرناء ثم ترد
ترابا فيود لو كان مثلها ليتخلص من العذاب وانكر بعض المعتزلة ذلك لانه تعالى اذا اعادها فهو بين معوض وبين متفضل عليها
التفضل عليه لا يجوز ان يقطعها عن المنافع لان ذلك كالاضرار بها وقال القاضي اذا وفر الله تعالى اعواضها وهي غير كاملة العقل

لم يبعد ان يبدل الله حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبح الصورة عقابا لاهل النار الرابع
قال بعض الصوفية اذا اراد ليتني كنت متواضعا في طاعة الله كالتراب لا مترفعا كالنار الخامس قيل الكافر ابليس يرى
ادم وثواب اولاده ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين والله اعلم

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون اية حروفها
سبعمائة وثلثة وخمسون كلمها مائة وتسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة
ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك
اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتاك حديث موسى
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى
ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى
فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها
واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها
متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى
وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسئلونك عن
الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من
يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها

القراءة والسابحات سبحا فالسابقات سبقا بالادغام فيهما ابو عمرو غير عباس ايذا كنا بالاستفهام في الرعد الا ابن عامر ونافع

الكسائي باخره بالالف حمزة وعلي غير نصير وقتيبة وخلف ويزيد وعاصم غير المفضل وحفص طوى كما في طه وكذا ما بعدها
الا حمزة وخلف في اختياره فانهما يفتحان وجهها تزكى بتشديد الزاي ابو جعفر ونافع وابن كثير وعباس ويعقوب مخير من بالتنوين
ابن يزيد وعباس الاخرون بالاضافة للتخفيف الوقوف غرقا نشطا سبحا سبقا امرا لان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن
ولانه لو وصل لا وهم ان ظرف المدبرات وليس كذلك لان تدبير الملائكة قد انقضى وقيل بل عامل يوم تتبعها او غير الراجفة
الرادفة واجفة خاشعة لتناهي وصف القيمة وابتداء حكاية قولهم في الدنيا في الحافرة لمن قرأ استفهاما نخرة خاسرة
لتناهي قولهم بالانكار وابتداء اخبار الله واجله بالساهرة موسى لان اذ لا يكون ظرفا الا اذكر قاله السجاوندي ويحتمل
عندي تعلقها بالحديث وان لم يجز تعلقه باتيان الحديث طوى لا احتمال ان يكون مفعول القول المحذوف طغى الاية مع اتفاق
الجملتين والصلة وجه للعاد لترتيب العطف فتخشى الاية وانتهاء الاستفهام مع العطف بفاء التعقيب الكبرى وانما كان اوصل
الى القارئ اتصال المقصود وعصى لذلك يسعى فنادى الاعلى والوصل هيها الزم للعبرة بتعجيل المواخذة والاولى يخشى
لتبدد الكلام لفظا ومعنى وابتداء الاستفهام ام السماء بناها على الجملة لا تقع صفة للمعرفة وتقدير حذف المضاف لو وصل
من ضيق العطف فاعرفه بناها فسواها ضحيها لحجبها بناء على ان ما بعده كالتفسير الزجر وهو تمهيد لها لا اصل السكني ويجوز ان
يكون احوالا حالا باضمار قد فلا وقف مرعيها ارسيها ولانعامكم الكبرى لان يوم ظرف جاءت وعامل اذ مقدر بعد يرى اي
يرون مما ترون لكان ما كان ويجوز ان يكون يوم مفعول اذكر وعامل اذا مقدرا قبل يوم ويجوز ان يكون مجموع القسم طوى الجزاء
وهو قوله فاما من طغى الى اخره جوابا لقوله فاذا جاءت سعى لمن يرى طغى لا الدنيا الماوى الهوى الماوى مرسيها ذكريها منتهيها
يخشيها ضحيها التفسير في الكلمات الخمس المذكورة في اول هذه السورة وجوه على نسق ما سبق في اول المرسلات احدها
انها صفات طوائف الملائكة اقسم سبحانه بطوائف الملائكة الذين ينزعون نفوس الكفرة من بني ادم غرقا اي نزعا شديدا من
اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها والغرق والاغراق في اللغة واحد يقال نزع في القوس فاغرق اي بلغ غايته حتى انتهى الى
النصل وبالذين يجذبون النفوس المؤمنين برفق ولين كما ينشط الدلو من البئر وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع
فتسبق الى ما امروا به فتدبر باذن الله امرا من امور العباد او بحسب الامر قال مقاتل يعني بهذه الطوائف جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل واعوانهم فجبرائيل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات واسرافيل بنفخ الصور وملك
الموت بقبض الارواح قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله النازعات هم الذين نزعوا انفسهم عن الصفات البشرية والاخلاق
الذميمة من الشهوة والغضب والموت والهموم والسفه لانهم جواهر روحانية مجردة والناشطات اشارة الى انه خروجهم من عالم
الاجسام ليس على سبيل الكلفة والمشقة ولكنه بمقتضى الطبيعة والماهية والسابحات هم الذين يسبحون في بحار جلال الله
يسبق بعضهم بعضا في ميدان العرفان وحلبة الرهان فتدبر امر العالم العلوي والعالم السفلي باذن مبدعهم الثاني انه يمكن
حمل هذه الامور على مراتب النفس الانسانية مثل التقرير المذكور الوجه الثاني وهو قول الحسن البصري انها النجوم
وتلخيص ذلك على وجه المطابق للغة والهيئة انها تغرق في النزع من المشرق الى المغرب بالحركة اليومية وتنشط نشطا
اي تخرج من برج الى برج من فولك ثور ناشط اي خرج من بلد الى بلد وهذا بحركته البطيئة الثانية ولما كانت السابحات تعني
السيارة لقوله كل في فلك يسبحون ولان سيرها المتفاوت يصير سببا لسبق بعضها وتترتب على السبق الاتصالات
والانصرافات معرفة الفصول والاوقات وتقدمة العلم بالكائنات في العالم السفلي وتدبيرانها بارتباط تلك الحركات
باذن خالق الارض وفاطر السموات فلهذا ادخل الفاء في الرابع والخامس دون الاوليات الوجه الثالث انها صفات خيل
الغزاة تنزع في عنانها نزعا تغرق الاعنة فيه لطول اعناقها لانها عراب وهي ناشطات تخرج من الاسلام الى دار الحرب
وهي سابحات تسبح في جريها وتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر ويتسبب فيه الوجه الرابع وهو اختيار ابي مسلم
النازعات ايدي الغزاة تنزع القسي باغراق السهام والناشطات السهام الخارجة من ايديهم او قسيهم
والسابحات الخيل العاديات او الابل والمدبرات بمعنى المعقبات لانها تاتي في ادبارها هذه الافاعيل بامر الغلبة
والنصر قال الجار الله يوم ترجف الراجفة منصوب بجواب القسم المحذوف وهو لتبعثن وقوله تتبعها حال ثم اورد على نفسه
انه هذا يوجب ان يكون البعث عند النفخة الاولى واجاب عنه بانهم يبعثون في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان
كما قال ذلك عام كذا وانما ابنه في ساعة منها والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى

فهي من الاسناد المجازي الرادفه بجنبة اخري تتبع الاولي فتضطرب الارض لاحياء الموتي كما اضطربت في الاولي
لموت الاحياء وقد ورد في الحديث ان ما بين النفختين اربعون عاما ويروي انه تعالي يمطر الارض في هذه الاربعين ويصير ذلك
الماء عليها كالنطف فيكون سببا للاحياء ولله تعالي ان يفعل ما يشا وقيل الراجفه من النفخة الاولي والرادفه قيام الساعه
من قوله تعالي عسي ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وقيل الراجفه الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال
والرادفه السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر علي اثر ذلك وقيل الراجفه هي الارض تتحرك وتتزلزل والرادفه زلزلة ثانيه
تتبع الاولي حتي تنقطع الارض وتفني وقال ابو مسلم بناء علي تفسيره الذي روينا عنه ان كلا من الراجفه والرادفه
هي خيل المشركين وامتدت بها طائفتان من المشركين لحاربوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فسبقت احديهما الاخري والقلوب
الواجفه اي المقلقه والابصار الخاشعه هي ابصار المنافقين وعلي الاول القلوب الموصوفه ابتداء وقوله ابصارها
خاشعة خبره في الكلام اضمار اي ابصار اصحابها خاشعه بدليل قوله يقولون ائنا لمردودون في الحافرة اي في الحالة الاولي
وهي الحياة واصله من قولهم رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها جعل اثر قدمه حفرا فالطريقه في الحقيقه محفورة
الا انها سميت حافرة علي الاسناد المجازي او علي معني النسبة اي ذات حفر كما قلنا في عيشة راضيه ونحوه كرة خاسرة
كانهم تم تحدوا في الانكار مع الاشارة الي وجه الانكار فقالوا ءاذا كنا عظاما نخرة نرد او نبعث يقال نخر العظم ونخر
فالنخر مثل حذر وحاذر وهو الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير وهما لغتان فصيحتان لان النخر وان كان ابلغ في المعني
الا ان الناخرة بالالف اشبه باخواتها من رؤس الاي اخوانهم قالوا علي سبيل الاستهزاء تلك الكرة اذا اي نحن نرد ونرجع
كرة خاسرة رجعة ذات خسران لانا كذبنا بها ثم المخبرين بقوله فانما هي زجرة اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة علي الله عز وجل
فاني الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه وهي صيحة اسرافيل في النفخة الثانيه يروي انه تعالي يحييهم في بطون
الارض فيسمعونها ويقومون والساهرة الارض البيضا المستويه سميت بذلك لان سالكها لا ينام خوف الهلاك او لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جاريه والاظهر انها ارض الاخرة وقيل هي ارض الدنيا ثم ذكرهم بقصة موسي لانه
اجر الانبيا المتقدمين بمعجزة وفيها تسلية للنبي صلعم فان فرعون كان اكثر جمعا واشد قوة من كفار قريش والوادي المقدس
المبارك المطهر وطوي اسم واد بالشام عند الطور وقد مر في طه قوله هل لك الي ان تزكي خبر مبتدا محذوف اي هل
لك من حاجة او ميل الي التزكي ونحو ذلك وهذه كلمة جامعة لمراتب التكاليف لان المكلف لا يصير زكيا الا بالتخليه عن
كل ما لا ينبغي فيجوز ان يكون التزكي اشارة الي تطهير النفس عن النقوش الفاسدة وقوله واهديك اشارة الي التحلي
بالاخلاق الفاضله التي اولها وافضلها التوحيد المرتب عليه الخشيه التي منها ينشي جوامع الخيرات ولهذا قال صلي الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل وعن بعض الحكما اعرفوا الله فمن عرفه لم يقدر ان يعصيه طرفة عين ثم ههنا اضمار كانه
قال فذهب موسي الي فرعون فقال له ما امر به فلم يصدقه فرعون وجحد نبوته وفي ابتدائه المخاطبه بالاستفهام الذي معناه
العرض من التلطف والمداراة ما لا يخفي فهو كقوله في طه فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبري العصا او اليد او هما كما مر في طه
فكذب بالقلب واللسان اذ انسب المعجز الي السحر وعصي باظهار التمرد والطغيان ثم ادبر خوفا من الثعبان يسعي هاربا
او تجبل في رفع موسي او تولي عن موسي اظهارا للجحود وحينئذ يكون ادبر موضوعا موضع اقبل كما يقال اقبل فلان يفعل كذا
بمعني طفق يفعل فكني عن الاقبال بالادبار اظهارا للسخط والقصد التفاول عليه ومعني الفاء في فكذب انه لم يلبث
عقيب روية الايه الكبري بان بادرها بنقيض مقتضاها لفرط عتوه ورسوخ تفرعنه ومعني ثم في ادبر تراخي الزينه فان
المهرب من الحية معادعاد الربوبيه مما لا يجتمعان وكذا السعادة فالمكبر بين الناس فحشر جنوده للتشاور او لجمع السحرة
فنادي في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا وقيل قام فيهم خطيبا فقال ما قال وانتصب نكال علي انه مصدر مؤكد
كانه قيل نكل الله به نكال وهو مصدر كالتنكيل مثل السلام والتسليم قال الحسن وقتاده عذاب الاخرة والاولي وعذاب
الاولي الاغراق وقيل الاخرة والاولي صفتان لكلمتي فرعون ثم اختلفوا فعن مجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل ورواية
عطا والكلبي عن ابن عباس ان كلمة الاولي ما علمت لكم من اله غيري وكلمة الاخرة انا ربكم الاعلي وروي بينهما اربعون
سنة او عشرون وفيه دليل علي انه اي يمهل ولا يهمل وذكر قوم واستحسنه القفال ان كلمة الاولي تكذيب موسي
حين اراه الاية الاخري وهي قوله انا ربكم الاعلي وقد يبعد في الخلد ان كلمة الاولي هي قوله انا ربكم والاخرة هي صفة

بالاعلي

بالاعلي فانه لو اقتصر علي الاولي ثم لم يكن كفر بدليل قول يوسف ارجع الي ربك انه ربي احسن مثواي لكنه لما وصفه
بالاعلي صار كفرا فاخذ عليه بالاولي والاخرة قال الامام فخر الدين الرازي ان العاقل لا يشك في نفسه انه ليس خالق السموات
والارض وما بينهما فالوجه ان يقال ان فرعون كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزا وكان يقول ليس لكم امر ولا نهي
سوائي فانا ربكم بمعني مربيكم ومحسن اليكم واقول كما ان نسبة الانسان خلق العالم الي نفسه يوجب حكم عليه بالجنون وسخافة
العقل فالقول بنفي الصانع ونسبة وجود الاشياء الي ذواتها مع تغيرها في انفسها يوجب الحكم عليه بعدم العقل وما الفرق بين
الامرين فاي استبعاد في ذلك وقد قال عز من قائل ان الانسان ليطغي ان راه استغني وسكر الدنيا اشد من سكر الخمر
فان المتمل من الخمر يرجي صحوه والمتمل من شراب حب المال والجاه الطامح من خيال الرياسه قلما يرجي افاقته ثم ختم القصه
بقوله ان في هذا الحديث او النكال وهو في العرف يقع علي ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به المعتبر لعبرة لمن يخشي اي لمن كان من اهل
الخشيه لا القسوة ثم خاطب منكري البعث بقوله ءانتم اشد خلقا اي اصعب خلقا ام السما بناها فنبههم علي امر معلوم بالمشاهدة
وهو ان خلق السما اعظم وابلغ في القدرة واذا كان كذلك فالقادر علي انشاء العالم الاكبر يكون علي خلق العالم الاصغر بل علي
اعادته اقدر ثم بين كيفية خلق السما فكان بناها وفيه تصوير الامر المعقول وهو الابداع والاختراع بالامر المحسوس وهو
البناء ثم ذكر نحو البنا فقال رفع سمكها وهو الامتداد الطول والعرض فاذا اعتبر من السفل الي العلو يسمي سمكا واذا اعتبر بالعكس
يسمي عمقا وذكر اهل التفسير ان ما بين كل سماء مسيرة خمسماية عام ولاهل الهيئة طريقة اخري قد برهنوا عليها في كتبهم وقوله
فسواها زعم اصحاب الهيئة ان المراد به الكروية جعلها كرية ولا ضرر في هذا الا انه منهم لا اعتقادا وحملها المفسرون علي
تمام التكاليف او علي نفي الفطور عنها وانواع الخلل ان اراد بها جعلها طبقات متسقة كقوله فسويهن سبع سموات
الغطش الظلمة يقال غطش الليل واغطشه الله ويقال اغطش الليل ايضا مثل اضاء واظلم وعبر بالضحي عن ما جاءها في الضوء
والضوء وانما اضاف الليل والنهار الي السما لانهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها الحادثين بسبب الفلك قوله والارض بعد
ذلك دحاها قد مر تفسير الدحو في اول سورة البقرة وانه بعده دحو الارض لا ينافي تقدم خلق الارض علي السما في قوله
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوي الي السماء قال اهل اللغة دحوت الارض دحوا ودحيتها دحيا لغتان
وفي حديث علي رضي الله عنه اللهم يا داحي المدحيات يا باسط الارضين السبع وقد روي عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وابن جريج ان قوله بعد ذلك في معني بعد ذلك كقوله فك رقبة الي قوله ثم كان من الذين امنوا اي كان مع هذا من
اهل الايمان بالله ونصب الارض والجبال فيهما يجي باضمار دحا وارسي علي شريطة التفسير قال المفسرون اراد بالمرعي
جميع ما ياكل الناس والانعام فيكون الرعي مستعارا للانسان ولهذا قال المحكم متاعا اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
وحين فرغ من دلائل القدرة علي البعث رتب عليه شرح يوم القيمه والطامة الداهيه التي لا تنطاف من قولهم طم الفرس
طميما اذا استفرغ جهده في الجري فاذا وصفت بالكبري كانت في غاية الفظاعه ونهاية الشدة في امثالهم جري
الوادي فطم علي القري وهو نعت ومجمعه اتي به ورثيان وهي الجداول والانهار واصل الطم الدفن والعلو وكل ما غلب شيئا
ودفنه واخفاه فقد طم وقيل الطامه النفخة الثانيه عن الحسن وقيل هي الساعة التي يساق بها اهل الجنة الي الجنة واهل
النار الي النار وقال الحاكم يوم يتذكر بدل من اذا جاءت لانه اذا راي اعماله مدونة مكتوبة يذكرها وكان قد نسيها
قوله وبرزت الجحيم لمن يري كقولهم تبين الصبح لذي عينين وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفي علي احد
فعلي هذا الكون استعارة ولا يجب ان يراه كل احد الا ان المومنين يردن عليها كالبرق الخاطف واما الكافر فيبقون فيها فكانهم
برزت لاجلهم فقط وبهذا الاعتبار قال في موضع اخر وبرزت الجحيم للغاوين قوله طغي اشارة الي فساد
قوته النظرية فان من عرف الله بالكمال عرف نفسه بالنقصان فلم يصدر عنه الطغيان وقوله واثر الحياة الدنيا اشارة الي
اختلال القوة العمليه فان حب الدنيا راس كل خطيئة واللام في الماوي للعهد الذهني اي ماواه اللايق به ولهذا
استغني العائد ولا حاجة الي التكليف لان الالف واللام بدل من الاضافة وقوله خاف مقام ربه نقيض طغي وقوله ونهي
النفس الامارة عن الهوي نقيض قوله واثر الحياة الدنيا فهذا الشخص اذ كامل في قوته النظرية والعملية وتقسيم
خاف مقام ربه قد مر في سورة الرحمن ونهي النفس ضبطها وتوطينها علي متاعب التكاليف من الافعال والتروك ثم ان
المشركين كانوا يسمعون النبي صلعم يذكر الطامة والحاقة ونحوهما من اسماء القيمة فيسالونه ايان مرساها اي متي ارساها وهو

اقامة ايامًا ونحن في اخر الاعراف وعن عايشة لم يزل رسول الله صلعم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فيم انت
انت على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسوال عنها حرصا على جوابهم الى ربك
منتهى علمها الى ربه لا حد من خلقه ويجوز ان يكون قوله فيم انت منذرها من تتمة السوال اي يسالونك فيم انت من العلم بها
ويحتمل ان يكون نفيهم انكار السوال اي فيم هذا السوال ثم قيل انت من ذكرها اي ارسالك وانت اخر الرسل وخاتم الانبيا
وذكر من اذكارها وعلامة من علاماتها فلا حاجة الى الاستفهام عن وقتها بعد العلم باقترابها وان هذا القدر من العلم يكفي في وجوب
الاستعداد لها بل لا يتم الغرض من التكليف الا باخفاء وقتها كالموت انما انت منذر لا تبعثا الى علم الغيب الذي علم بالساعة
حتى يمنعه وخص الانذار باهل الخشية لانهم هم المنتفعون بذلك ثم اخبر انهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة لبثهم
في الدنيا وقيل في القبور يروى عطا عن ابن عباس ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقال الفرا
فيه اضافة والتقدير الا عشية او ضحى يوم تلك العشية على ان الاضافة وحدها فالوجه ان يقال فايدة الاضافة ان يعلم
ان مجموع مدة الدنيا في ظنهم كبعض مواضع من زمان لبثهم في الدنيا كساعة منه وعشية او ضحيها نظيره قول القايل ما سرت
الا عشية او ضحى فانه لا يفهم منه الا السير في بعض يوم ما وقد يكون العشية من يوم اخر ولو قال الا عشية او ضحيها
لم يمكن ان يكون السير الا في احد هذين الوقتين من يوم واحد قال بعضهم فايدة التزويد انه يمكن الحمل على العشية
وزمان الراحة يعبر عنه بالضحى فكانه قيل ما كان عمرنا في الدنيا الا ساعتين اول وتحمل ان يقال ان مبدا اليوم
بليلة كان يكل شيعاني الذي الاذيان ومن نصف النهار وقد صلى المبدا من شيعانا من ارك الخر فكانهم حين اعادوا التعيين
عن بعض اليوم قالوا انكان المبدا من نصف النهار فحين لم نلبث الا عشية وهو ما بعد الزوال الى الغروب وانكان المبدا من اول
الفجر الى الضحى ولعل هذا هو السر في تقديم العشية على الضحى مع رعاية الفاصلة والله تعالى اعلم باسراره كلامه

سورة عبس اثنان واربعون اية مكية حروفها خمسمايه وثلثه وثلثون كلماتها مايه وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝
أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۝ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
إِلَى طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا

قَتَرَةٌ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝ القراءة كل ايات هذه السورة في الامالة والتفخيم مثل سورة طه
فتنفعه بالنصب على انه جواب لعل عاصم غير الاعشى تصدى بتشديد الصاد للادغام ابو جعفر ونافع وابن كثير الا حرف
بتخفيفها بناء على حذف تاء الفعل او الخطاب عنه تلهى اشباع ضمة الهاء وتشديد التاء البزي وابن فليح انا بالفتح على البدل
من الطعام عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف وتولى الاعمى يزكى الذكرى استغنى تصدى يزكى يسعى يخشى تلهى
لان كلا للردع فلا يوقف ويعني حقا لخفي ذكره للشرط بعده مع الفاء ذكره لان الظرف لا يجوز ان يتعلق بما قبله مكرمة
حتى مبتدا محذوف اي هو في صحف مكرمة مطهرة سفرة بررة اكفره خلقه لان الجواب محذوف اي خلقه من نطفة فقدره
يسره فاقبره انشره بناء على ان كلا بمعنى حقا ولا يصلح للردع دخيل كما يجي امره الى طعامه الا لمن قرا انا بالفتح مباشقا
حبا وقضبا ونخلا غلبا وابا ولانعامكم الصاخة كانما كان اخيه وابيه وبنيه يغنيه مسفرة تصلى بين حالي الغيبتين
مع اتفاق الجملتين غبرة قترة الفجرة التفسير اتفق المفسرون على ان الذي عبس هو الرسول صلى الله عليه وسلم
والاعمى هو ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك ابن ربيع الفهري وذلك انه اتى رسول الله صلعم وعنده صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم
غيرهم فقال يا رسول الله اقريني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم بشغله بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلعم بعد ذلك يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول
له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سودا وقوله ان جاءه
محذوف على القياس متعلق بعبس او بتولى على اختلاف في باب تنازع الفعلين للكوفيين والبصريين والتقدير
عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك يروى انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى
لغني قال اهل المعاني في الالتفات من الغيبة الى الخطاب دلالة على مزيد الانكار كمن يشكو اجانبا بطريق الغيبة
وهو حاضر ثم يقبل على الجاني مواجها بالتوبيخ قالوا وفي ذكر الاعمى نحو من الانكار ايضا لان العمى يوجب التعطف والرقة عند
ذوي الالباب قالوا ما كان ذلك الا التولي والعبوس ولا يخفى ان نظر النبي صلعم كان على امر كلي هو رجاء اسلام اشراف قريش
فانه في الظاهر اهم من اجابة رجل اعمى على القوم الا انه سبحانه عد هذا الجزئي كليا من جهة اخرى وهي تطييب قلوب
الفقرا والضعفا واظهار الجانب اهل الغنى والثروة فانه هذا ادخل في الاخلاص وابتغاء رضوان الله وذلك مظنة النهي
والريا ويحكى عن سفيان الثوري ان الفقرا كانوا في مجلسه امراء وايضا فايدة الارشاد والتعليم بالنسبة الى هذا الاعمى
امر معلوم وبالنسبة الى اولئك امر موهوم لانه جاء طالبا مسترشدا وانهم جاؤوا مستهزئين معاندين وترك المعلوم للموهوم
خارج عن طريق الاحتياط والى هذا المعنى اشار بقوله وما يدريك لعله يزكى اي لعل الاعمى يزكى عما لا ينبغي او يذكر
يتعظ فتنفعه الذكرى فيفعل ما ينبغي وقيل الضمير في لعله للكافر يعني اي شي ادراك بحال كل من اولئك الكفرة حتى طمعت
في تطهيرهم عن الاوثان وانتفاعهم بالاذكار ثم زاد تصريحا لمن فضل قائلا اما من استغنى اي بالمال وقال عطا اي
عن الايمان وقال الكلبي اي عن الله والاول اولى لانهم كانوا اغنياء وما توجه العتاب الا من هذه الجهة وان كان
اسلامهم موهوما فانت له تصدى تتعرض من الصدد وهو ما استقبلك فانك وما عليك يحتمل ان تكون ما استفهامية
ونافية يعني اي وبال يعود عليك او ليس عليك بأس في انه لا يزكى بالاسلام وذلك المستغني ان عليك الا البلاغ
فالموجب للحرص والتهالك على اسلامه حتى تكسر قلوب الفقرا بالعبوس والاعراض وهذا معنى قوله واما من جاءك
يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى او يخشى الكفار يا ذاهم في اتيانك وقيل يخشى الكبوة لانه اعمى وما كان له قايد
فانت عنه تلهى اي تتشاغل قال اهل المعاني في بناء الكلامين على ضمير المخاطب تقوية انكار التصدي والتلهي عليه اي
مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير قوله كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله اي لا
تفعل مثل ذلك ثم قال انها يعني ايات القران وهو قول مقاتل او هذه السورة وهو قول الكلبي واختيار الاخفش
تذكرة وهي في معنى الذكر والوعظ فلذلك قال فمن شاء ذكره والمراد ان هذا القران وهذا التاديب الذي عرفناك في
اجلال الفقرا وعدم الالتفات الى اهل الدنيا مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه اكابر الملايكة وفيه ان القران
الذي بلغ في العظمة الى هذا الحد اي حاجة له الى ان يقبله هولاء الكفرة سواء قبلوه او لا فلا يلتفت اليهم لجنتهم

مسترة

في تطييب نفوس الفقراء الذين هم اهل الاخلاص وحزب الله ثم وصف الصحف بانها مكرمة عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة عن الخبائث لا يمسها الا المطهرون من الملائكة وتلك الصحف بايدي سفرة قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وهم الكتبة من الملائكة واحدها سافر مثل كتبة وكاتب وقد مر في اول البقرة ان التركيب يدل على الكشف فالكاتب يبين ما في الضمير ويفصح وقال الفراء اشتقاق السفرة من السفارة لان الملك يبين الله وبين رسوله ولا يخفى ما في السفارة من معنى الكشف ايضا كرام على ربهم وقال عطا ان اراد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة بررة اتقياء واحدها بار وقيل هي صحف الانبيا فيكون كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل الصحابة ثم تعجب من صناديد قريش وامثالهم من اهل العجب والكبر والترفع على الفقراء مع ان اولهم نطفة مذرة واخرهم جيفة قذرة وهم فيما بين الوقتين حملة عذرة فقال قتل الانسان هو دعاء عليه اشنع دعوة لانه لا افظع من القتل وما اكفره تعجيب من حال افراطه في الكفران ونلقى ثم خالفه بالجحود والطغيان وهذا فادور دعلي اسلوب كلام العرب وانه لا يمكن ان يحمل في حقه تعالى الا على ارادة اتصال العقاب الشديد بذ ولكونه لطفا للمعتبرين المتعجبين المتاملين في مراتب حدوثهم التي اولها نطفة واشارة اليها بقوله من اي شيء خلقه من نطفة الى وقت انشائه خلقا اخر وعلى احواله من كونه ذكرا او انثى وشقيا او سعيدا وقال الزجاج قدره على الاستواء كقوله ثم سويك رجلا ويحتمل ان يراد مقدار كل عضو في الكمية والكيفية على القدر اللائق لمصلحته واما المرتبة الوسطى فاليها الاشارة بقوله ثم السبيل يسره وهو مبنية على شريطة التفسير في فسل التشديد بالاطوار تفسير السبيل بمخرج الولد من بطن امه قال ان راس المولود في بطن امه يكون من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت التخريج انقلب بالهام من الله تعالى اياه على ان نفس خروج الولد حيا من ذلك المنفذ الضيق من اعجب العجائب وعلى التفاسير الاخر فالمراد تسهيل الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل واشار الى المرتبة الاخيرة بقوله ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر تكون متغيبا اجاد محتمل ان يكون الثاني محذوفا اي فاقبر غيره يقال قبر الميت اذا دفنه بنفسه واقبر غيره الميت اذا امر بدفنه والمراد ان الله سبحانه امر بدفن الاموات الانسية تكرمة لهم دون ان يطرحوا على وجه الارض طعمة للسباع كسائر الحيوان ثم ان كل هذه الانتقالات دلالات واضحة على انه سبحانه اذا شاء ان ينشر الانسان في نشاة من نشاته قوله كلا يجوز ان يكون ردعا للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره وانكاره المعاد وقال في الكشاف هو ردع الانسان عما هو عليه وهذا قول مجاهد ان شاء لم يقض ما يقضي قط فلم يعص احد من لدن ادم الى هذه الغاية جميع ما كان مفروضا عليه وقال اخرون معناه ان الانسان الكافر لم يقض بعد ما امر الله تعالى به من التامل في دلائل التوحيد والبعث وقال الاستاذ ابو بكر بن فورك القضاء بمعنى الحكم والمعنى ان الله لم يقض لهذا المكان ما امره به من الايمان وترك التكبر بل امر بما لم يقض به وحين فرغ من دلائل الانفس ابدل منها بدلائل الافاق قائلا فلينظر الانسان نظر استدلال وتدبر الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره من انزال الماء من السماء ثم تشق الارض بالنبات او بالكراب على البقر فيكون اسناد الفعل الى السبب والحب يصلح للقوت كالحنطة والشعير والقضب العلف الرطب لغنمه قاله الحسن وقال الكلبي المعروف انه القت لانه تقضب اي يقطع والغلب الغلاظ في الاعناق في الاصل يقال اسد اغلب ثم استعير للحدائق انفسها لتكاثف اشجارها او لاشجارها لعظمها وغلظها ثم اجمل الفاكهة ليعم الكل وخص العلف بقوله وابا للعموم وهو المرعى لانه يؤب اي يؤم ويسرح الاب والام اخوان قاله جار الله وقيل الاب الفاكهة اليابسة المعدة للشتاء والفاء في قوله فاذا جاءت مثل ما مر في النازعات والصاخة النفخة الاخيرة قال الزجاج اصل الصخ الطعن والصك صخ راسه بالحجر اي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير اي يطعن والنفخة تشد بها يصك الاذان وقال جار الله صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصف النفخة بالصاخة مجاز لان الناس يصخون لها اي يسمعون وفرار المرء من الجماعة المذكورين اما بالصورة وذلك للاحتراز عن المطالبة بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك ويقول الابوان قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت كذا وكذا والبنون يقولون لم تعلمنا ولم ترشدنا قال جار الله انما بدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه والفرار انما يقع من الابعد ثم من الاقرب واخر الصاحبة والبنين لان البنين اقرب واحب فكانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه واول هذا القول يستلزم ان تكون الصاحبة اقرب

واحب من الابوين ولعله خلاف العقل والشرع والاصوب ان يقال المراد ان يذكر بعض من هو متعلق بالمرء في الدنيا من اقاربه في طرفي الصعود والنزول فبدا بطرف الصعود لان تقديم الاصل اولى من تقديم الفرع وذكر اولا في كل من الطرفين من هو معه في درجة واحدة وهو الاخ في الاول والصاحبة في الثاني على ان وجود البنين موقوف على وجود الصاحبة فكانت بالتقديم اولى وقيل اول من يفر من اخيه هابيل وقد جاء هكذا في بعض الروايات والاظهر ان الفرار هو بالمعنى وهو قلة الاهتمام بشان هؤلاء بدليل قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يصرفه ويصده عن قرابته قاله ابن قتيبة ويقال اغن عني وجهك اي اصرفه وعندي ان اشتقاقه من الغنى وذلك ان اغناك فقد صرفك عن نفسه او عن طلب حاجته ثم انه ذكر ان الناس فريقان وان اهل الكمال من اسفر المنح اذا اضا ويستبشرون بانواع المسار ويضحكون بدل ما كانوا يبكون في الدنيا خوفا من عقاب الله تعالى وان اهل النقائص يظهر على وجوههم سواد مع غبرة كوجوه الزنج مثلا اذا اغبرت والقترة سواد كالدخان ثم اللائح في وجوههم ظلمة الضلال والكفر مع غبارها من الفجور والفسق ولهذا نبه عليهم بقوله اولئك هم الكفرة الفجرة اعاذنا الله تعالى في الدارين من مثل احوالهم

عليهم

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية وحروفها خمسمائة وثلث وثلثون كلامها مائة واربع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

القراءة سجرت بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب قتلت بالتشديد يزيد بن بشرت مخففا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب سعرت بالتشديد ابو جعفر ونافع وابن عامر غير الحلواني عن هشام ورويس وعاصم غير يحيى وحماد الجمال مما لقتيبة ونصير وابو عمرو في رواية بظنين بالظاء ابن كثير وعلي وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضاد **الوقوف** كورت انكدرت سيرت عطلت حشرت سجرت زوجت سئلت قتلت لاعتراض الاستفهام بين الشرط والجزاء نشرت كشطت سعرت ازلفت احضرت لتمام الشرط والجزاء والتقدير اذا كورت الشمس كورت ارتفعت الشمس بفعل مضمر تفسيره الظاهر وكذلك ما بعدها وقوله علمت نفس جواب عن الكل وهو العامل في اذا وما عطف عليها بالخنس الكنس تنفس كريم مكين امين بناء على ان ما بعدها منفي مستانف ومن جعل وما صاحبكم بمجنون وما بعدها معطوفا على جواب القسم

عسعس

لم يقف على الغيب الى قوله فاين تذهبون لمجنون المبين بضنين رجيم تذهبون العالمين لان ما بعده بدل البعض مستقر العالمين
التفسير انه سبحانه لما ذكر الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين اردفهما بذكر سورتين مشتملتين على امارات
القيمه وعلامات يوم الجزا ما هذه السورة ففيها اثنا عشر شيا اولها تكوير الشمس وفيه وجهان احدهما ان اللف الذي هو من
التكوير الذي هو من التلفيف على جهة الاستداره كتكوير العامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت
بعد الالفه والاجتماع ومنه كارة القصار هي ثوب واحد يجمع ثيابه فيه ولا يخفى ان الشي الذي يلف يصير مختفيا عن الاعين
فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وصيرورتها غايبة عن الاعين بالتكوير والثاني ان يكون من قولهم طعنه فكوره
اذا القاه اي الشمس تسقط عن الفلك وثانيها انكدار النجوم اي تساقطها وتناثرها والاصل في الانكدار الانصباب وكل منكب
فقد انكدر وهذا قال الخليل انكدر عليهم القوم اذا جاوا ارسالا فانصبوا عليهم قال الكلبي تمطر السما يوميذ
نجوما قال عطا وذلك انها في قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من النور تلك السلاسل في ايدي الملائكة فاذا مات
من في السما والارض تساقطت تلك السلاسل من ايدي الملائكة ويحكي في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها
وثالثها تسيير الجبال وقد مر في سورة عم ورابعها تعطيل العشار وهي جمع عشراء كالنفاس والنفساء وهي الحامل الناقة
التي اتى عليها من يوم ارسل فيها الفحل عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع الحمل لتمام السنه وهي انفس ما يكون عند اهلها
واعز المال عليهم عطلوها لاشتغالهم بانفسهم حتى تعطلت في ادهانهم مفقوده من خزانة خيالهم والغرض بيان مشبه الاستقبال بانفسهم
وكم العرب يحيى طوبا بالمواهر كون في ادهانهم مفقوده في خزانة خيالهم ولعله مجاز من حيث ان العرب تسمي السحاب
بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا وهي السحاب تعطلت عما فيها من الما وخامسها حشر الوحوش والوحشي ضد ما يستانس به من ذوات الزبر والعقادة
ويحشر كل شي حتى الذباب للقصاص وفيه انه سبحانه اذا كان لا يهمل امر الوحوش فكيف يهمل امر المكلفين قال الامام فخر الدين
الرازي ويحتمل ان يكون الحشر عبارة عن جمعها اي اذا الوحوش على شراستها ونفورها اجتمعت مع الناس ومع
العداوة الطبيعية بين بعض الاصناف فيها دليل على انه هو ذلك اليوم ابلغ مبلغا لا يفزع الوحوش للنفار عن الانسان ولا بعضها للاحتراز عن بعض
قلت هذا استدلال ضعيف فان الوحوش في الدنيا ايضا مجتمعة مع الناس مع
اضدادها لكن في امكنة مختلفة فلم لا يجوز ان يكون في القيمه ايضا كذلك وعن ابن عباس في رواية ان حشر الوحوش
عبارة عن موتها وذلك اذا اقضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه
ويقال اذا اجحفت السنه الناس واموالهم حشرتهم السنة اي اماتتهم السادس تسجير البحار اي تنشيف ما فيها من
الرطوبه حتى لا يبقى فيها شي من المياه وقد سبق في الطور السابع تزويج النفوس وهو اقتران الارواح بالاجساد وقال
الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة اي صنفت اصنافا ثلثا وقريب منه قول من قال هو ان يضم كل واحد الى من
يجانسه ويكون في طبقته من خير او شر وقول من قال هو ان يعرف بين الرجل وبين من كان ملازما معه في الدنيا من ملك
او سلطان وقال ابن عباس زوجت نفوس المومنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين وتقرن منه
قال الزجاج هو ان يقرن النفوس باعمالها الثامن سوال الموءدة قال جار الله واد يئد مقلوب من ان يوود اذا دخل
لانه اثقال بالتراب وكان احدهم يدفن بناته في الارض احياء حوفا من الفقر او من لحوق العار كما مر في النحل وغيره ومعنى
هذا السوال تبكيت قاتلها كما يكبت عيسى بقوله انت قلت للناس والغرض نبكيت النصارى وقيل الموءدة التي هي
تسال لنفسها وهي السايله والمسوول عنهما ولها قتل قلت ما اصنا مجهولا غالبا بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما
خوطبت به حين سيلت لقيل قتلت منكلا مجهولا وبه قرا ابن عباس قالت المعتزله وبه احتج صاحب الكشاف
ان في الايه دلالة على ان اطفال المشركين لا يعذبون لانه تعالى اذا بكت الكافر بسببها فلان لا يعذبها اولى ويمكن ان يجاب بان
يعذب الوابد للواد من جهته انه يصرف في ملك الله تعالى بغير حق حتى لا ينافي تعذيب الموده من جهة اخرى وهي ان حكمها
حكم الاسلام الكفر التاسع نشر صحف الاعمال عن قتاده هي صحيفتك يا ابن ادم يطوي على عملك ثم
تنشر يوم القيمه فلينظر رجل ما يملي في صحيفته ويجوز ان يراد نشر بين اصحابها اي فرقت بينها وعن مرثد
واذا كان يوم القيمه تطايرت الصحف من تحت العرش تقع صحيفة المومن في جنة عاليه وتقع صحيفة الكافر
بيده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال قاله في الكشاف العاشر كشط السما كالسلخ
الاهاب عن الذبيحه والغطاء عن الشي اي كشفت وازيلت عما فوقها وهو الجنه وعرش الله تعالى الحادي عشر

والثاني

والثاني عشر تسعير الجحيم اي من اتقادها وازلاف الجنه اي ادنايها استدل بعضهم بالايه على ان النار غير مخلوقة الان
لانه علق تسعيرها بيوم القيمه ويمكن المعارضه بانها تدل على ان الجنه مخلوقة والا لم يمكن ازلافها على ان تعليق تسعير الجحيم
بيوم القيمه لا ينافي وجودها قبل ذلك غير متقده اتقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني ادم وقوله
علمت نفس ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا والتنوين في نفس
للتقليل على انه مفيد للتكثير بحسب المقام كقوله ربما يود الذين كفروا ويجوز عندي ان يكون للتعظيم او للنوع
يعني النفس الانسانيه لا النباتيه والحيوانيه ولا الفلكيه عند القايلين بها واسناد الاحضار الى النفس مجاز لان الملائكه
احضروها في الصحف او في الموازين الا انها انسب منها فلذلك اسند اليها اذ اثار اعمالها دايما يلوح عليها قال اهل التاويل هذه
الاحوال يمكن اعتبارها في وقت القيمة الصغرى وهي حالة الموت فالشمس النفس الناطقه وتكويرها قطع تعلقها وانكدار
النجوم تساقط القوى وتسيير الجبال انعزال الاعضاء الرييسه عن افعالها والعشار البدن يهمل امره وحشر الوحوش
ظهور نتايج الافعال البهيميه والسبعيه على الشخص وتسجير البحار نفاد الاوهام الباطلة الا ما في القارعه فانها
لا ساحل له دون الموت الاختياري او الاضطراري وتزويج النفوس انضمام كل ملكه الى جنسها الظلمة الى الظلمة
والنور الى النور والموده القوه التي ضيعها المكلف في غير ما خلقت لاجله وسمعت بعض المحققين من اساتذتي
انها كل مسيلة سحب الخاطر ولم يقيد بالكتابه حتى غابت والسما سما الارواح والباقي ظاهر ومعنى انك العاد يشرع
في البنوات فاكدها بالحلف والخنس جمع خانس والكنس جمع كانس والاكثرون على انها السيارات الخمسة الجاريات
مع التزيين في افلاكها بالارتباط العلومه من الهيئة وقد ذكرنا طرفا منها في البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض
وفي قوله فسويهن سبع سموات وخنوسها رجوعها ومنه الخناس للشيطان وكنوسها اختفاوها تحت ضوء الشمس
من كنس الوحشي اذا دخل المجرة يسمون زحل والمشتري والمريخ والزهره وعطارد متحيرة لما فيها من الوقوف والرجوع
عنها بعد الاستقامه وهي حركتها الخاص من المغرب الى المشرق على توالي البروج اي من الحمل الى الثور ثم الى الجوزا وهكذا
على الترتيب فاذا تحركه الفلك العكس هذا الترتيب نشبه الحركه اليوميه فقال انها لحركه اشم لها بهالات احوالها اغرب
وربا طاتها مع الشمس اعجب كما بين في ذلك العلم وعن علي وهو قول عطا ومقاتل وقتاده انها هي جميع الكواكب وخنوسها
غيبتها عن البصر بالنهار وكنوسها ظهورها للبصر في الليل كما يظهر الوحشي في كناسه وعن ابي مسعود فالنخعي انها بقر الوحش
وخنوسها صفة لازمة لها وسه رجل اخنس وامراة خنساء وفي هذا القول بعد لخستية المقسم بها ولانه لا يناسب ما بعده
وقال اهل التاويل هي الحواس الخمس تظهر اثارها تارة وتغيب اخرى ثم اقسم بالليل والنهار ومعنى عسعس اقبل
او ادبر فهو من الاضداد وتنفس الصبح عبارة عن تخلصه من ظلمة الليل كتنفس المكروب اذا وجد راحة اوفاقه
عن ما يكون عنده من روح ونسيم والضمير في انه للقرآن والرسول الكريم جبرايل عليه السلام وكرمه على ربه اي جعله
واسطة بينه وبين اشرف عباده وهم الانبيا وكرمه في نفسه انه لا يبدل الا على الخير والكمال ومعنى كون القرآن قول
جبرايل انه وصل منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان النزاع وقع من الكفرة في انه قول محمد او هو من السما فاثبت
الثاني ليلزم نفي الاول وفي لفظ رسول دلالة على انه ليس بقوله باستقلال وقوله ذي قوة ذو مرة وقد مر في النجم وقوله
عند ذي العرش اي عندية بالقرب كقوله ومن عنده وقوله مكين ذو الجاه الذي يعطي ما سال يقال مكن فلان عند فلان بضم الكاف
مكانة وفي لفظ ثم اشارة الى الظرف المذكور اي مطاع عند الله في ملايكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه
امين على الوحي والسفاره قد عصمه الله من الخيانة والزلل استدل في الكشاف بالايات على تفضيل الملايكة على الانبيا قال لانه
وصف جبرايل بصفات الكرامه ثم وصف النبي صلعم بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان ما بين الوصفين قلت امثال هذه التعليظ
من باب المجونه ولهذا اسا من سماع لفظ المجنون والتحقيق انه ذكر جبرايل ومدحه وقع استطرادا لبيان مدح النبي صلعم والمبالغة في مدح
فان الكفرة زعموا ان القران افك افتراه او لجنون به واعانه عليه قوم اخرون فلم يكن بد من نفي الجنون عنه ووصف جبرايل بالامانه
والنكايه وغيرهما فان شرف الرسول يدل على شرف المرسل اليه وصدقه فلا يحسن من الزمخشري انه كلما سمع لفظ المجنون فاغتنم ومدح
استدل به على مفضولية اشرف المخلوقات ولم يعلم انه ذكر جبرايل ووصفه باوصاف الكمال اتفق بعرض عرض تزكية النبي صلعم
والعجب من الامام فخر الدين الرازي ايضا انه كيف اورد حجته الاجنبية في تفسيره ولم يتعرض الجواب وعنه مع كمال حرمته

على تزييف ادلتهم ثم حكى انه صلى الله عليه وسلم رآه اي جبرائيل على صورته الاصلية بحيث حصل عنده علم ضروري
بانه ملك مقرب لا شيطان رجيم فقال ولقد رآه بالافق المبين وهو افق الشمس كما مر في النجم ثم اخبر عن صدقه وامانته فقال
وما هو على الغيب بظنين من قرأ بالظاء والذي يخرجه من طرف اللسان واصول الثنايا العليا كالذال والثاء فهو من الظنة التهمة اي ليس
بمتهم بل هو موثوق به فيما يؤدي عن الله تعالى بواسطة جبرائيل ومن قرأ بالضاد الذي يخرجه من اصل حافة اللسان وما يليها
من الاضراس من يمين اللسان او يساره واخراجه من الجانب الايسر اسهل وقد يسهل على بعض الناس كلاهما فمعناه انه لا يبخل
بالوحي اي لا يبخل من الحق الفضل وفيه انه لا يكتم شيئا من الوحي مما امر باظهاره وانه لا يمنع المستعدين من الارشاد والاكمال
فاين تذهبون بعد هذه البيانات وفيه استضلال لهم كقولك لتارك الجادة اين تذهب مثلت حالهم في ترك الحق
والعدول عنه الى الباطل بحال التعاسيف الذي ليس له انتقال اي تذهبون ثم بين ان التذكير يعود اليهم كانه عم
الوعظ به والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ولا يخفى ما بينهما وبين قوله اين تذهبون
من التناسب والتطابق وفيه دليل للقدرية الا ان قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله فيه دليل الجبرية كما مر في اخر هل اتى والله اعلم

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة اية حروفها ثلثمائة وسبعة وعشرون كلمها ثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝

القراءات فجرت بالتخفيف ابن شنبوذ عن اهل مكة فعدلك مخففا يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل يكذبون غير
عمرو وقتيبة وفي رواية عنه تكذبون على الغيبة يزيد يوم لا بالرفع ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالفتح

الوقوف انفطرت انتثرت فجرت بعثرت واخرت الكريم فعدلك بناء على الظرف بعده متعلق به ومن خفف فعدلك لم يقف
بناء على انه جعل في بمعنى الى اي املك الى اي صورة شاء فيجوز ان يكون المخفف بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض
حتى اعتدلت فصارت معدلة ركبك بناء على ان كلا لتحقيق بل ومن جعله ردعا من الاغترار لم يقف بالدين لاحتمال
ما بعده الحال والاستيناف والوصل اجوز الا ان يجعل تكذبون على الغيبة فانه يقف مطلقا للعدول لحافظين كاتبين تفعلون
نعيم جحيم لاحتمال ان ما بعده مستانفا وصفة جحيم الدين يوم الدين لمن قرأ يوم بالنصب اي ذلك في يوم ومن رفعه على انه بدل
من يوم الدين فلا وقف شيئا لله **التفسير** انه سبحانه ذكر طرفا اخر من اشراط الساعة في هذه السورة فاولها انفطار السماء
انشقاقها كقوله في الفرقان ويوم تشقق السماء بالغمام وكما يجيء من قوله اذا السماء انشقت وفيه وكذا في قوله واذا الكواكب انتثرت
ابطال قول من يزعم ان الفلكيات لا تخرق واما الدليل المعقول الذي للامام فخر الدين الرازي في تقسيمهم وهو ان الاجسام متماثلة

في الجسمية فيصح على كل واحد منها ما يصح على الباقي لكن السفليات يصح عليها الافتراق فيصح على العلويات ايضا فغير
مفيد ولا مقنع لان الخصم لا يسلم الصحة فلعله انه ثنا نزع في الوضع لمانع كالصورة الفلكية او غيرها واما تفجير البحار فقد فسر ها
بفتح بعضها الى بعض حتى تصير البحار كلها بحرا واحدا وذلك لتزلزل الارض وتصدعها حتى يرتفع الحاجز الذي بين البحار الشرقية وبين
البحار الغربية وقد فسر في الكشاف ثم زال البرزخ بين العذب والملح حتى يختلطا وهي تفصيل فاسد بناء على تجرد سماع لفظ ارتفاع
البرزخ وعن الحسن ان الارض تنشف الماء لعدم امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عنده كما مر في التكوير المتقدمة
قال جار الله بعثر بمعنى بحث وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مزيد فيهما والمعنى بحثت القبور فاخرج موتاها وهل انا وبل
ان يحملوا بعثر القبور على كشف الاسرار والاحوال الخفية ومعنى التقدم والتاخر قد سبق في القيمة في قوله ينبأ الانسان
يومئذ بما قدم واخر والمراد جميع اعمالها واما ما يحصل به العلم الاجمالي عندنا الموت او في اوائل اشراط الساعة ثم زيد
تشافهنا الى حين مطالعة صحيفة العمل ولما اخبر عن وقوع الحشر بين ما يدل عليه عقلا فقال يا ايها الانسان وهو الكافر
المنكر للبعث عند طائفة لقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين وقد خص بعضهم وهو يحكى عن ابن عباس انها نزلت في
الوليد بن المغيرة وعن الكلبي ومقاتل انها في الاسود بن كلدة وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله فانزل الاية والاقرب
انه تنبيه لجميع العصاة وخصوص السبب لا يقدح في العموم وفيها سؤال وهو انه وصف نفسه في هذا المقام بالكرم وهذا الوصف
يقتضي الاغترار به حتى قالت الفضلاء من كرم الرجل سوء ادب غلمانه وسمع المؤبد في مجلس انوشروان ضحك الخدم فقال اما
يهاب هؤلاء الغلمان فقال انما يهابنا اعداؤنا وعن علي كرم الله وجهه انه دعا غلاما له مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب
فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه فاعتقه قال الضعيف مؤلف الكتاب اني في عنفوان
الشباب رايت فيما يرى النائم ان القيمة قد قامت وقد دار في خلدي ان الله تعالى لو خاطبني يقول لي يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم فماذا اقول ثم الهمني الله تعالى في المنام ان اقول غرني كرمك يا رب ثم اني قد وجدت هذا المعنى مذكورا في بعض
التفاسير وعن الفضيل بن عياض انه قال اقول في الجواب غرتني ستورك المرخاة واذا ثبت ان الكرم يقتضي ان يغتر به
فكيف وقع الانكار عليه والجواب من وجهين الاول ان كل كريم فانه حليم لان ايصال النعمة الى الغير لم يكن مبنيا على داعية
الحكمة كان تبذيرا لا كرما فكانه سبحانه قال كيف اغتررت بكرمي وحقيقته صادرة عن الحكمة وهي تقتضي ان لا تهمل وان
امهل وان ينتقم للمظلوم من الظالم ولو بعد حين ولا يعتقد الناس لاجل المجازاة حتى يظهر المحسن من المسيء في الزمن القادم
ولا يضيع حقوق الناس والحاصل ان الكريم بالخلق والتسوية وهي انتصاب القامة او سلامة الاعضاء وبالتعديل وهو تناسبهم
وجعله مستعدا لقبول الكمالات لا يقتضي ان لا يعيده الى الحالة الاولى لاجل المجازاة بل يجب ان لا يعيده ليتم النعمة وليظهر اثر
الحكمة الثاني ان كرمه السابق بالخلق وغيره لا يوجب كرما لاحقا بالعفو والغفران لجميع المعاصي لان غاية الكرم هي ان يتبرع
بالنعم من غير عوض ولا غرض اما ان الكريم اذا امر المنعم عليه بشيء فانه يتلقاه بالعصيان فليس عن الكرم ان يعفو عن جريمته
بل قد يعد ذلك ضعفا وذلة ولا سيما اذا كان المامور به هو معرفة المنعم ولهذا يروى عن عمر رضي الله عنه غره جهله وعن الحسن
غره والله شيطانه الخبيث حتى طمع في الكرم اللاحق لاجل الكرم السابق خصوصا اذا لم يكن ممن حصل له معرفة ربه في الدنيا
قال المفسرون ما في قوله ما شاء من بلاغة قلت وذلك بالنظر الى اصل المعنى والا فهي مقبلة للتاكيد اي في كل صورة من الصور
شاء كقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وانما لم يقل في صورة بالفاء العاطفة على نسق ما تقدمها لانها
كالبيان لعدلك والجار متعلق بركبك اي فعدلك في صورة اقتضتها حكمته انه مخروف اي حاملا في بعض الصور المرادة
وحينئذ جاز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي بمعنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء اي ركبك ما شاء
من التراكيب قال الحسن منهم من صوره ليستخلصه له ومنهم من صوره ليشتغل بغيره قلت الاول لاستظهار اللطف والجمال
والاخرون لمظاهر القهر والجلال ثم زجرهم عن الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره اي ليس
الامر كما تقولون من السلامة ولا تبعث ولئن فرض بعث فانه كريم غفار للذنوب ولئن قدر انه معاقب فلعله غير عالم بالجريات
فكيف يجاسر فنبههم الله تعالى على خطاياهم بان تكذيبهم بالجزاء انما وقع في حال تسليط الحفظة عليهم وهذا التكذيب
ايضا من جملة ما يكتبونه او يقول لا يردعهم عن الطمع الفارغ والامل المنكر ثم اضرب عنهم الى ما هو شر منه وهو انكار الجزاء
اصلا وفي تعظيم الكتبة الشاهد عليهم اشارة الى ان امر الجزاء عند الله من عظائم الامور قال بعضهم لم يرد الحفاظ اصلا

وفي تعظيم الكتبة عن المعاصي مراقبة الله اياه كيف يردعه عن الكرام الكاتبين قلت لا ريب ان الاول اصل والثاني فرع الا ان
المكلف لالفه بالمحسوسات يرجوه ما هو اقرب الى عالم الحس اكثر مما يرجوه ما هو اقرب الى عالم الارواح ولهذا اكثر نفع
الوعاظ في المدينة الفاضلة ثم ذكر نادرة كتابة الحفظة ومما شانها ان الابرار لفي نعيم يحكى ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة
وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا فقال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على
مولاه قال فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال في قوله ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم قال جعفر الصادق النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم الاشتغال بما سواه وقوله وما هم عنها بغائبين
كقوله وما هم بخارجين منها او يراد وما كانوا بغائبين عنها قبل ذلك اي في قبورهم فيكون قد تبين حال البرزخ كما شرح
حال المبدا والمنتهى ثم نبه بقوله وما ادراك مرتين ان يوم الدين مما لا يكتنه كنهه وقد تقدم الخطاب للنبي صلعم انه لا يعرفه الا بالوحي بل
الكافر ثم وصفه مجملا بقوله يوم لا تملك نفس لنفس اي اني لا املك ولا اتصرف في ذلك اليوم ظاهرا وحقيقة الا الله تعالى

سورة المطففين مكية وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين ۝ الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ۝ واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون ۝ الا يظن اولئك انهم مبعوثون ۝ ليوم عظيم ۝ يوم يقوم الناس لرب
العالمين ۝ كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ۝ وما ادراك ما سجين ۝ كتاب مرقوم ۝
ويل يومئذ للمكذبين ۝ الذين يكذبون بيوم الدين ۝ وما يكذب به الا كل معتد
اثيم ۝ اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ۝ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ۝
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ۝ ثم انهم لصالوا الجحيم ۝ ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون ۝ كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ۝ وما ادراك ما عليون ۝ كتاب
مرقوم ۝ يشهده المقربون ۝ ان الابرار لفي نعيم ۝ على الارائك ينظرون ۝ تعرف في وجوههم
نضرة النعيم ۝ يسقون من رحيق مختوم ۝ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ۝
ومزاجه من تسنيم ۝ عينا يشرب بها المقربون ۝ ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون ۝ واذا مروا بهم يتغامزون ۝ واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ۝ واذا راوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون ۝ وما ارسلوا عليهم حافظين ۝ فاليوم الذين امنوا من الكفار

يضحكون

يضحكون ۝ على الارائك ينظرون ۝ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۝

القراآت بل ران حفص يقف على بل وقفة يسيرة ومع ذلك يصل وقرأ الحلواني عن قالون مظهرا ران بالامالة حمزة
وعلي وخلف وحماد ويحيى تعرف مبنيا للمفعول نضرة النعيم بالرفع يزيد ويعقوب خاتمه بالالف بعد الخاء والتاء مفتوحة علي
على اهلهم انقلبوا بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا حمزة وعلي وخلف بضمهما الباقون بضم ميم الجمع فقط فكهين
مقصورا يزيد وحفص هل ثوب الكفار بالادغام حمزة وعلي وهشام **الوقوف** للمطففين يستوفون للفصل بين تناقض الحالين
ولكن يلزم تفريق الصفتين مع اتفاق الجملتين يخسرون للاستفهام عظيم لان التقدير لاجل يوم عظيم في لان يوم كذا بل يبنى على
الفتح للاضافة الى الجملة لرب العالمين لان كلا لتحقيق ان بمعنى الا التنبيه او ضدها ردع عن التطفيف وكذا اخواتها في السورة
سجين ما سجين للحذف اي هو كتاب مرقوم لان ويل يومئذ للمكذبين الذين للابتداء لنفي اثيم لان الشرطية بعد صفة
اخرى له الاولين والوقف كما تكون يكسبون لمحجوبون لانه لترتيب الاخبار لاختلاف الجملتين تكذبون عليين على
مرقوم لانها بعد صفة المقربين النعيم لانما بعده حال او صفة ينظرون كذلك النعيم لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا
مختوم لان ما بعده وصف مسك المتنافسون تسنيم بناء على ان عينا حال كما قال الزجاج وان اريد النصب على المدح جاز
الوقف المقربون يضحكون للاية ولكن اتمام الكلام يتغامزون فكهين لضالون لان التقدير حالا حافظين لتبدل
الكلام معنى يضحكون لا ينظرون يفعلون **التفسير** انه سبحانه لما ذكر في السورة المتقدمة بعض اشراط الساعة نجز
عن طرف من احوالها صدر في هذه السورة بالنعي على قوم اثروا الحياة الدنيا الزائلة على الحيوة الباقية ونهاية الحرص
على استيفاء اسبابها حتى تسموا باخس السمات وهي التطفيف والتركيب يدل على التقليل وطف الشي جانبه
وحرفه وطف الوادي والاناء اذا بلغ الشي الذي فيه حرفه ولم يمتلي وقال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان
مطفف لانه لا يكون الذي يسرق في المكيال الا الشي اليسير الطفيف يحكى ان رسول الله صلعم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس
كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل قلت ان كانت مدنية فظاهر وان كانت مكية فلعل النبي صلعم حين قدم المدينة قراء عليهم
وهكذا الوجه فيما يروى ان اهل المدينة كانوا تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة يعني بيع الغرر
كالطير في الهواء فنزلت فخرج رسول الله صلعم فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال
ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله فيهم الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن
علي كرم الله وجهه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية
اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل ولا يلتبس الحاج ممن يزنه في مدس المكيال والميزان الاكتيال الاخذ
بالكيل والاتزان الاخذ بالوزن قال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع فمعنى اكتلت عليك اخذت ما عليك
وهو معنى اكتلت منك وقال اهل البيان وضع على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه
ضرر يجوز ان يتعلق الجار بيستوفون والتقديم للتخصيص اي يستوفون على الناس خاصة واما انفسهم فيستوفون
لها والضمير في كالوهم او وزنوهم منصوب راجع الى الناس والاصل كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل قال الكسائي
والفراء هذه لغة الحجاز ومنه المثل الحريص يصيدك لا الجواد اي الحريص يصيد لك الفرس الجواد ويجوز ان يكون
على حذف المضاف والتقدير واذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم وعن عيسى وحمزة انهما كانا يجعلان الضمير للمطففين
على انه تاكيد للمرفوع ويقفان على الواوين وقفة يبين بها ما ارادا وخطاهما بعضهم بان الالف التي تكون بعد واو
الجمع ثابتة وفيه ان لو كان الضمير للتاكيد لم يكن بد من الالف ورد بعض الخطبة بان خط المصحف لا يقاس
لكثير من اسائه خارجة عن اصطلاح الخط وقد ذكر الزمخشري في ابطال قولهما ان المعنى حينئذ يوله قول القائل فاذا
تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص بانفسهم اخسروا اي نقصوا وهذا مسلم لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر
لكن النظر على قولهما باق على حالته من الاعجاف والفصاحة لانه يفيد ضربا من التوبيخ فانهم اذا اخسروا وقد تولوا
الوزن والكيل بانفسهم ولم يمنعهم من ذلك مانع من الديانة والمروة فلا رضوا بالاجارة وقد تولاه الاجلهم بعض من يتعلق

تكون ادل على قلة مروتهم ودينهم وكانوا متمكنين في الاعطاء من البخس في الكيل والوزن جميعا لهذا قال
سبحانه واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اما في الاخذ فالميزان غالبا بيد البائع فلا يتمكن المشتري من التصرف فيه بالزيادة المعتد
بها فان الكفة تترجح بادنى ثقل وانما يتمكن في الاكتيال بان يتحامل في ملائه بالتحريك ويضع اليد عليه بقوله فلهذا لم ينقل
هناك او اتزنوا وليعلم ان امر الكيل والميزان عظيم لان مدار معاملات الخلق عليهما ولهذا جرى على قوم شعيب بسببه
ما جرى وذهب بعض العلماء الى ان المطفف لا يتناوله الوعيد الا اذا بلغ تطفيفه نصاب السرقة فالاكثرون على ان قليله
وكثيره موجب الوعيد وبالغ بعضهم حتى عد العزم عليه من الكبائر قال الاستاذ ابو القسم القشيري لفظ المطفف يتناول
التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب الانصاف والانتصاف ومن لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه
لنفسه فليس بمنصف والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس
ولا يطلب من احد لنفسه حقا ويحكى ان اعرابيا قال لعبد الملك بن مروان قد توجه عليه الوعيد المعظم الذي سمعت به
فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ثم زاد في توبيخهم بقوله الا يظن فان كانوا من اهل الاسلام
كما روي ان اهل المدينة كانوا يفعلون ذلك فالظن بمعنى العلم وان كانوا كفارا منكري البعث فالظن بمعناه الاصلي
والمراد انهم لا يخطرون البعث ببالهم فلا يظنون انه كقوله وان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين نفي الاستيقان اليهم
بالبتة وقد ذكرهم حافوا من بعدهم عن رتبة الاعتقاد بل عن درجة الاستيقان وفي هذا الانكار وصف بالعلو ويقوم الناس
فيه لرب العالمين بيان بليغ لعظم هذا الذنب كما ان ذكر الطالب الغالب الحي القيوم فيه تعظيم
لشان المقسم عليه عن النبي صلى يقوم الناس ثلثمائة سنة من الدنيا لا يومر فيهم بامر وقال ابن عباس هو في حق المومنين
قدر انصرافهم من الصلوة وفيه انه اذا اظهر التطفيف الذي يظن به انه حقير فكيف بسائر الطامات وحمل بعضهم
هذا القيام على رد الارواح الى اجسادها حتى يقوموا من مراقدهم وعن ابن عباس اراد به الخضوع التام
كقوله وقوموا لله قانتين ثم بين ان كل ما يعمله من شر او خير فانه مكتوب عند الله وقدم ذكر اهل الشر
لانه مذكور قبله وهو بعيد اهل الخير سجين وقيل من السجن هو الحبس والتضييق جعل علما لديوان الشر الجامع لاعمال الكفرة
والفسقة والشياطين وهو منصرف لانه ليس فيه الا العلمية وانه كتاب مرقوم مسطور فيه تفاصيل احوال الاشقيا وقيل
معلم يعلم من راه انه لا خير فيه وقال الواحدي مختوم لان الختم علامة والحاصل ان كتاب الفجار موضوع عن ديوان الشر
الذي هو الاصل اليه وقال القفال ان قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل التقدير كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
وان كتاب الفجار مرقوم ووقع قوله وما ادراك ما سجين اعتراضا لامر السجين بل التقدير كلا اولان ذلك ان كتابا
كانت العرب تعرفه اي ليس ذلك مما كانت تعلمه انت ولا قومك وقيل مرقوم مطروح وعلى هذا يكون سجين اسم مكان ثم
اختلفوا عن ابن عباس في رواية عطا وقتادة ومجاهد والضحاك عن البراء مرفوعا انه اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته
وعن ابي هريرة مرفوعا انه جب في جهنم وقال الكلبي صخرة تحت الارض والتحقيق انه سبحانه اجرى امور عباده
على ما تعارفوه بينهم ولا شك ان السفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملاعين من صفات النقص فوصف كتاب الفجار
بانه في هذا الموضع استهانة لهم ولاعمالهم كما انه وصف كتاب الابرار في عليين ويشهده الملائكة المقربون تعظيما لحالهم ثم
اوعد المكذبين عامة ووصفهم بقوله الذين يكذبون للذم لا للبيان ولان كل مكذب فالوعيد ثابت له سواء كان مكذبا
بالبعث او بسائر ايات الله فهو كقولك فعل فلان الفاسق الخبيث واما التكذيب لتقدم ذكره ما يتعلق ثم بالغ في الذم
بقوله وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن الاعتدال في استعمال القوة النظرية اما في طرف الافراط وهو الجربزة حتى
عد الممكن محالا واقدم على التكذيب واما في طرف التفريط وهو البله والعادة حتى قنع بالاستبعاد المحض واعرض عن النظر
في دلائل البعث من الخلق الاول وغيره اثيم في اعمال القوى البدنية في غير موضعها حتى اعتزله الباطل برد الحق وحكم على ايات
الله بانها اساطير الاولين وفيه انكار للنبوة ايضا ثم اضرب عن ان يكون لهم حجة في قولهم او يكون لهم مزاغة اي ما
عادتهم بكونه لانه ما كسبوه قد ران على قلوبهم اي ركبها كما يركب الصدا او غلب عليها قال اهل اللغة ران النعاس والخمر
في الراس يرين رينا وريونا واذا رسخ فيه ولهذا قال الحسن هو الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب قلب العين يحجو
الحجاب الى نفس الذي يرد عن كتب ومثله الغيم والرين هو الغليظ الذي لا يرجى زواله ولهذا جاء في الحديث انه ليغان

على قلبي واما الراسخون في صفة الكفار الذين صارت ملكاتهم الذميمة في غاية الرسوخ حتى اظلم سطح قلوبهم بل دخلت الظلمة
اجوافها وبلغت الكدر شغافها ثم قال كلا اي حقا او هو ردع عن الكسب الرائن على القلب انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك
ان النور لا يرى الا بالنور فاذا كانت نفوسهم في غاية الظلمة الذاتية والعرضية الحاصلة من الملكات الردية احتجبوا عن نور
الله ومعرفته ورؤيته قال اهل السنة وفي تخصيصهم بالحجب دلالة على ان اهل الايمان والاعمال الصالحة لا يكونون محجوبين عن ربهم
وقالت المعتزلة المضاف محذوف اي عن رحمة ربهم وكرامته وقال في الكشاف هو تمثيل للاستخفاف بهم لانه لا يوذن على الملوك
الا الوجهاء المكرمين ثم اخبر بقوله ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوها عن نفسه احوالهم ولا يتركون على حجب الحرمان بل يعذبون بنار
الطبيعة والبحران لانهما متلازمان ثم يقال في معرض التوبيخ هذا الذي كنتم به تكذبون ثم عاكس عذاب الرحل بعذاب
الخلائم شرع في شرح قصة الابرار وعليون جمع على فعيل من العلو واعرابه كاعراب الجمع لانه على صيغته وان صار معر
لقصية ين من حيث انه جعل علما لديوان الخير الذي فيه اعمال الملائكة وصلحاء الثقلين لانه سبب للارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة
واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث تحضره الملائكة المقربون قال مقاتل هو ساق العرش عن ابن عباس هو لوح من زبرجد
معلق تحت العرش وبالجملة كتاب الابرار ضد كتاب الفجار بجميع معانيه كما عرفت ثم اخبر عن بعض حال الابرار بقوله
ينظرون محذوف ليشمل انواع نعيمهم في الجنة من الحور العين والاطعمة والاشربة والملابس والمراكب والمساكن وكل ما اعد الله
لهم قال صلى الله عليه وسلم يلحظ المومن فيحيط بكل ما اتاه الله وان ادناهم يتراى له مثل سعة الدنيا وقال مقاتل ينظرون
الى عدوهم حين يعذبون ولا يحجب الجدار ابصارهم عن الادراك وقال بعضهم ينظرون الى الله تعالى بدليل تعرف في وجوههم
وسرورهم كالضحك والاستبشار بل بتجلي الانوار والاثار والرحيق الخمر الصافية التي لا غش فيها مختوم ختامه اي ما يختم
به مسك بدل مكان الطبيعة الشمعية وانما ختم تكريما له وصيانة على ما جرت به العادة فكانها اشرف من الخمر الجاري في انهار
من الجنة وقيل ختامه اي مقطعه رائحة مسك اذا شرب وهذا قول علقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة وقال
الفرا الختام اخر كل شيء ومنه تعالى ختمت القران والاعمال بخواتيمها ومنه خاتم النبيين والتركيب يدل على القطع ولا
نبيا وبجميع معانيه عن ابي الدرداء مرفوعا هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل
الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح الطيبة قال بعضهم مزج ماء لا تاوية الحار به مما يعين على الهضم
وتقوية الشهوة ولعل فيه اشارة الى قوة شهوتهم ودوامها انهم ثم رغب في العمل الموجب لهذه الكرامة قائلا وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال اهل اللغة نفست على الشيء انفسه نفاسة اذا ضننت
به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به لما يظهر من نفسه من الجد والاجتهاد
في طاعة العبودية والجملة معترضة وفي تقديم الجار اشارة الى ان السعي والاجتهاد يجب ان يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الزايل
وتسنيم علم لعين بعينها في الجنة من سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب هنالك ولانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري من
الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم ولانها لكثرة مائها تعلو على كل شيء تمر به ابدي فيها ارتفاع والحفاظ والتركيب يدل على الارتفاع
ومنه سنام البعير عن ابن عباس اشرف شراب اهل الجنة هو التسنيم فالمقربون يشربونها صرفا ويمزج لاصحاب اليمين فقال
بعض اهل العرفان وذلك ان المقربين السابقين لا يشتغلون الا بمطالعة وجه الله الكريم واما اهل اليمين فانه يكون شرابهم ممزوجا
لانهم تارة الى الله وتارة الى المخلوق ثم حكى قبايح اعمال الكافرين على ان التكلم واقع في يوم القيمة بدليل قوله عقيبه فاليوم
قال المفسرون هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء
المومنين وقيل جاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا
الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الاية قبل ان يصل الى الرسول صلى الله عليه وسلم والتغامز تفاعل
من الغمز وهو الاشارة بالعين والحاجب او الشفة ولكن ذلك انما يكون على سبيل الخبث ومعنى فكهين متلذذين بذكرهم
والسخرية منهم قوله وما ارسلوا حال معترضة انكارا من الله عليهم وتهكما بهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال والحال انهم
لم يرسلوا على المسلمين موكلين لهم حافظين عليهم احوالهم ويجوز في الكشاف ان يكون التهكم من جملة قول الكفار فيكون انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام قلت لو كان من جملة قولهم لكان الظاهر ان يقال وما ارسلوا الا ان المسلمين علينا
يروى ان يفتح للكفار باب من الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها اغلق الباب دونهم يفعل ذلك مرارا فيضحك المومنون منهم ناظرين

اليهم على الارائك ولا يخفى ما في هذه الاخبار والحكايات من تسلية المومنين وتثبيتهم على الاسلام والمغيظين على متاعب التكاليف واذية الاعداء في الايام المعدودات لنيل ثواب لا نهاية له ولا غاية قال المبرد ثوب واثاب بمعنى وقد يستعمل الاثابة في الشر كالمجازاة ويجوز ان يراد به التهكم بهم فبشرهم بعذاب وفي هذا القول مزيد غيظ وتوبيخ للكافرين وتنفيس للمومنين ويحتمل ان يكون الاستفهام للتقرير اي هل قدرنا على الاثابة فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والله اعلم

سورة الانشقاق مكية وهي ثلاث او خمس وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت ۝ واذنت لربها وحقت ۝ واذا الارض مدت ۝ والقت ما فيها وتخلت ۝ واذنت لربها وحقت ۝ يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ۝ فاما من اوتي كتابه بيمينه ۝ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ۝ وينقلب الى اهله مسرورا ۝ واما من اوتي كتابه وراء ظهره ۝ فسوف يدعوا ثبورا ۝ ويصلى سعيرا ۝ انه كان في اهله مسرورا ۝ انه ظن ان لن يحور ۝ بلى ان ربه كان به بصيرا ۝ فلا اقسم بالشفق ۝ والليل وما وسق ۝ والقمر اذا اتسق ۝ لتركبن طبقا عن طبق ۝ فما لهم لا يومنون ۝ واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ۝ بل الذين كفروا يكذبون ۝ والله اعلم بما يوعون ۝ فبشرهم بعذاب اليم ۝ الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ۝

القراءة ويصلى ثلاثيا مفتوح العين مبنيا للفاعل ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وحمزة وعاصم وخلف الباقون يصلى بالتشديد مبنيا للمفعول لتركبن بفتح الباء للتوحيد والخطاب للانسان ابن كثير وابن حمزة وعلي وخلف والاخرون بالضم على الخطاب افراد الجنس **الوقوف** انشقت مدت ٥ وتخلت وحقت لان الجواب محذوف اي اذا كانت هذه الاشياء ظهر ما ظهر فملاقيه وقد يقال عامل ان فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاق الانسان كدحه فلا وقف الى فملاقيه وفيه تكليف نقل قوله واما من اوتي الشرط جواب للشرط الاول وقوله يا ايها الانسان الى قوله فملاقيه اعتراض فلا وقف الى فملاقيه وفيه تكليف وقيل بيمينه يسيرا مسرورا ظهره ثبورا سعيرا مسرورا يحور بلى يتعلق بلى بما قبله وبما بعده فيصلح للابتداء بالقسم بالشفق وسق اتسق طبق لا يومنون لا يسجدون ه يكذبون للابتداء والوصل اوجب لان الواو للحال يوعون لفاء التعقيب اليم **التفسير** عن علي كرم الله وجهه ان السماء تنشق من المجرة ومعنى اذنت لربها استمعت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران والمراد انها لم يمتنع عن تنفيذ ما اريد بها من الانشقاق والانقياد فعل المامور المطاع الذي اصغى لحديث امره وحقت بذلك لان الممكن لا بد له ان يقع بحسب قدرة الواجب لذاته ومد الارض تسوية جبالها واكامها بحيث لا يبقى فيها عوج عن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال ما فيه من الانثناء واستوى وقيل من مده بمعنى امده اي زيدت في سعته وبسطته ليكفي لوقوف الخلائق الاولين والاخرين عليها

والقت

والقت ما فيها اي رمت بما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت اي خلت غاية الخلو كانها تكلفت اقصى ما يمكنها من الفراغ قوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرير لان الاول في السماء وهذا في الارض وحذف جواب اذا ليذهب الوهم كل مذهب واكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت والاقرب ان الانسان للجنس بدليل التفصيل بعده وقيل هو رجل بعينه وهو اما محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح تكدح في تبليغ رسالات الله فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل واما امية بن خلف وكان مجتهدا في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس والكدح اي كدح انه يريد به التفصيل الذي بعده عن عائشة ان الحساب اليسير هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض من نوقش في الحساب عذب اقول سوف من الكريم للطماع فيمكن ان يقال الفايدة في ارادته ان يكون المومن على ثقة واطمئنان بالوعيد ويمكن ان يكون اشارة الى طول الامتداد بين مواقف لذلك اليوم وينقلب الى اهله من الحور العين في الجنة او الى قرنائه من المومنين او الى عشيرته كمن له جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ومعنى وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره ولكن يوتى كتابه بشماله من وراء ظهره بل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره وقيل تحول وجوههم الى الخلف فيكون الكتاب قد اوتي من جانب ظهره ولكن بشماله فما في الحاقة فالوراء فيهما بمعنى الجانب وهو بمعنى قدام والثبور الهلاك ودعاه ان يقول واثبوراه وسمي المواظبة على التمني بدعاء الثبور كانه يريد ان يهلك نفسه في طلبه والنفس تمنعه عن ذلك لانه كان في الدنيا مسرورا في اهله كقوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين وفيه ان الفرح في الدنيا يستعقب الغم في الاخرة كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن كان في الدنيا حزينا متفكرا في امر الاخرة كان حاله بالعكس والفرح المنهي هو الذي يتولد من البطر والترفه الا الذي يكون من الرضا بالقضا ومن حصول بعض الكمالات والفضائل النفسية كقوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم بين ان سروره انما كان لان البعث والنشور لم يكن متيقنا عنده قال انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الى الله والى حاله من السرور والتنعم عن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي ثم بين منطوقه بقوله بلى يحور وفي قوله ان ربه كان به بصيرا اشارة الى ان العلم التام باحوال المكلفين يوجب ايصال الجزاء اليهم فلا بد من دار سوى دار التكليف والا كان قدحا في القدرة والحكمة قال الكلبي كان بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقاء الذي وقع القسم وما بينهما من الاقوال بقوله فلا اقسم بالشفق وكان احمد وعن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروي انه رجع عنه لان البياض يمتد وقته فلا يصلح ولان التركيب يدل على الرقة ومنه الشفقة لرقة القلب ثم انه الضوء الاحمر من عند غيبة الشمس الرقة والضعف وعن مجاهد ان الشفق هاهنا النهار كله في التركيب من الرقة واللطافة كما ان في الظلمة الغلظة والكثافة ولان القسم بالنهار يناسب القسم بالليل في قوله والليل وما وسق والتركيب يدل على الاجتماع والضم ومنه الوسق لانه جامع بستين صاعا ووسقت الابل اذا اجتمعت والليل في قوله والليل والضمت وقد وسقها اي الراعي جمعها ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين لفعل اتسع واستوسع اقسم الله سبحانه بجميع ما ضمه الليل واواه وستره من النجوم والدواب وغيرها ويمكن ان يكون من جملة اعمال العباد الصالحين ثم اقسم بالقمر اذا اتسق اي اجتمع نوره وتكامل كما يقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة والطبق ما يطابق غيره ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق وقوله عن طبق حال من فاعل لتركبن او صفة اي طبقا مجاوزا للطبق ومعنى تقييدا البعدية والمجاوزة اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة اي احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من احوال القيامة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله سبحانه انه لكائن وان الناس يلقون بعد الموت شدائد مسوغة واهوالا متراتبة حتى يتبين السعيد من الشقي والمحسن من المسيء وقيل لتركبن سنة الاولين من المكذبين المهلكين عن مكحول كل عشرين يوما يجدون امرا لم يكونوا عليه والركوب على هذه التفاسير مجاز اعني الحصول على تلك الحالة وقد يقال على قراءة فتح التاء انها صيغة الغائبة والضمير للسماء واحوالها المختلفة انشقاقها ثم انفطارها ولعل هذا لكمال الايجاز ثم صيرورتها كالدهان او كالمهل وهذا قول مناسب لاول السورة وهو مروي عن ابن مسعود وقيل

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد اعباء الرسالة وانه يجب عليه ان يتلقاه بالصبر والتحمل الى اوان الظفر والغلبة كقوله
لتبلون في اموالكم وانفسكم وابن عباس عن ابن مسعود ان المراد حديث الاسراء وان النبي صلعم ركب طبقات السماء وبين المقسم والمقسم
مناسبة لانه اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك والعناصر على ايجاد سائر التغايير ومن احوال القيامة وغيرها ولا شك ان القادر
على بعض التقادير المعتبرة قادر على امثالها فلا جرم قال على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون وتاويل الاية ان النفس اذا
استغرقت في نحو المجهولات التصورية والتصديقية كانت شبيهة بالنفس العادية فاذا ابتلت على تحصيل قضية من تلك القضايا
المجهولة فلا عليها ان من النفس ما يرجح بها عندها احد طرفي النقيض على الاخر لكنها لم تكن جازمة به فكذلك النور
كالشفق بالنسبة الى ضياء الشمس ثم اذا استحثت في لجة المعلومات المناسبة لها طالبة للحد الاوسط عرض هناك شبهة
شبيهة في الليل وما وسقه فاذا حصل الحد الاوسط بالتحقيق وانتقل الذهن منه الى النتيجة الحقة صارت المسئلة كالبدر
التام المستفاد من ضوء النفس الناطقة القدسية التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وطبقا عن طبق هي مراتب
العلوم النظرية من اولها الى انتهائها وهي كونها عقلا هيولانيا الى ان يبلغ الى كونها عقلا مستفادا فكانه سبحانه اقسم
باحوال المعلومات المتحصلة على امكان حصول العلم بها ثم وبخهم على انهم لا ينظرون في الدلائل حتى يحصل لهم الايمان
والسجود عند تلاوة القران وقوله لا يؤمنون ولا يسجدون في موضع الحال والعامل معنى الفعل ما لهم وعن ابن عباس والحسن
وعطاء الكلبي ومقاتل المراد من السجود ههنا الصلوة وقال ابو مسلم وغيره اراد به الخضوع والاستكانة والاكثرون
على انه السجود نفسه ثم اختلفوا فعن ابي حنيفة انه واجب لانه ذمهم على الترك وعن الحسن وهو قول الشافعي انه سنة
كسائر سجدات التلاوة عندهم ثم بين لقوله بل الذين كفروا يكذبون الدلائل الموجبة للايمان دون انهما كانت جلية
ظاهرة لكن الكفار يكذبون بها تقليدا للاسلاف او عنادا ثم اجلوا عيدهم والله اعلم بما يوعون اي يجمعون ويضمرون في صدورهم
من الشرك والعناد وسائر العقائد الفاسدة والنيات الخبيثة فهو مجازيهم على ذلك وقيل انما يجمعون في صحفهم من اعمال
ثم صرح بالوعيد قائلا فبشرهم بعذاب اليم ودفع له الا الذين امنوا استثناء منقطع عند الزمخشري ولا باس بكونه متصلا كانه قال الا
من امن منهم فله اجر غير مقطوع او غير ممنون المنة هي الكلام ههنا على الاستيناف فلم يحتج الى الفاء وعلى التعقيب في البني
تاديره الفاء والاستيناف اجود وقد مر والله اعلم

الشرح

سورة البروج مكية وهي اثنان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ

وثمود

وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

القراءة المجيد بالجر صفة العرش حمزة وعلي وخلف والمفضل الاخرون بالرفع خبر بعد خبر محفوظ بالرفع صفة القران
نافع **الوقوف** البروج الموعود ومشهود بناء على ان جواب القسم محذوف وان معنى قتل لعن واصحاب الاخدود
هم اهل الظلم وان جعل قتل بمعنى الاصلي واصحاب الاخدود هم المظلومين صح جعله جواب القسم بتقدير لقد قتل و لا
وقف الاخدود لان النار بدل اشتمال منه والوقود شهود الحميد والارض شهيد الحريق الانهار الكبير الا لمن جعله ان بطش
ربك جواب القسم وساوا الوقوف بينهما لا بد منها لطول الكلام لشديد ويعيد لاختلاف الجملتين الودود المجيد بريد لابتداء
الاستفهام الجنود لان ما بعدها بدل وثمود للاضراب تكذيب لان الواو للحال محيط مجيد **التفسير** لما اخبر سبحانه في خاتمة
السورة المتقدمة ان في الامة مكذبين سلى نبيه صلى الله عليه وسلم ان سائر الامم السالفة كانوا كذلك كاصحاب الاخدود
وفرعون وثمود اما البروج فالمشهور انها الاقسام الاثنا عشرة من الفلك الحمل والثور الى اخرها وانما اقسم بها لشرفها
حيث نيطت بها تغيرات العالم السفلي بحلول الكواكب فيها وقيل هي منازل القمر الثمانية والعشرون وقيل هي المستترات من الكواكب
العظام سميت بذلك لتبرجها وظهورها واليوم الموعود يوم القيمة وقيل وقت انشقاق الفلك السماوي انفطارها وبطلان بروجها
اما الشاهد والمشهود ففي اقوال المفسرين فيهما كثرة لا تنضبط الا بالقال لزم بان لتشاقيهما اما من الشهود والحضور واما
من الشهادة والصلة محذوفة اي مشهود به او عليه والاحتمال الاول فيه وجوه الاول وهو مروي عن ابن عباس
والضحاك ومجاهد والحسن بن علي رضي الله عنه وابن المسيب والثوري والنخعي ان المشهود يوم القيمة والشاهد الجمع الذي
يحضر فيه من الملائكة والثقلين الاولين والاخرين كقوله ذلك يوم مشهود يوم عظيم ذلك يوم مجموع له الناس قال جار الله وطريق
تنكيرهما ما مر في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود ويجوز ان يكون للتعظيم اي شاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما وانما حسن القسم بيوم الدين لانه يوم الفصل والجزاء وتفرد الله بالحكم والقضاء الثاني
وهو ابن عمر وابن الزبير ان المشهود يوم الجمعة وروى ابو الدرداء ان رسول الله صلعم قال اكثروا الصلوة يوم الجمعة فانه
يوم مشهود تشهده الملائكة الثالث انه يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج قال تعالى يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا اني قد غفرت لهم وان ابليس يصرخ ويضع التراب على راسه لما يرى في ذلك اليوم من نزول الرحمة الرابع انه يوم
النحر لان اهل الدنيا يحضرون في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة الخامس انها كل يوم فيه اجتماع عظيم للناس فتناول الاقوال المذكورة
كلها والدليل عليه تنكيرهما لانه القصد لم يقع فيه الى يوم بعينه والاحتمال الثاني ففيه وجوه احدها ان الشاهد هو
الله تعالى والمشهود هو التوحيد لقوله شهد الله انه لا اله الا هو وثانيها الشاهد هو الانبياء والمشهود عليه النبي صلعم
لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وثالثها بالعكس كقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ورابعها الشاهد
الحفظة والمشهود عليه المكلفون لقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وان عليكم لحافظين وخامسها وهو قول
عطاء الخراساني الشاهد الجوارح والمشهود عليه الانسان يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وسادسها
الشاهد والمشهود عيسى وامته وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وسابعها امة محمد صلعم وسائر الامم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وثامنها قال في التفسير الشاهد جميع الممكنات والمشهود واجب الوجود
واحسن قول الاصوليين استدلالا بالشاهد على الغائب وتاسعها الحجر الاسود والحجيج لحديث الحجر الاسود يمين الله
في ارضه يأتي يوم القيمة وله عينان يبصر بهما يشهد على من زاره ولفظ هذا معناه وعاشرها الايام والليالي واعمال
بني ادم كما يروى عن الحسن ما من يوم الا ينادي اني يوم جديد واني على ما تعمل فيه شهيد اما جواب القسم فعن الاخفش
انه قتل واللام مقدر او الكلام على التقديم والتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وعن ابن مسعود
وقتادة واختاره الزجاج ان الجواب هو قوله ان بطش ربك وقيل ان الذين فتنوا المؤمنين وما بينهما اعتراض واحتباس
الى مختشري وطائفة من المتقدمين انه محذوف ثم اختلفوا فقال المتقدمون المحذوف هو ان الامر حق في الجزاء على الاعمال
وقال في الكشاف وهو ما دل عليه قتل كانه اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود وذلك
ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان

حتى يعتد وابهم وبصر واعلى اذى فيهم ويعلمون ان كفارهم احقا بان تعال نبيهم فتلت في بشى انما يعني الجماعة اصحاب الاخدود وهو الخد اي الشق في الارض يحفر مستطيلا ونحوه بناءً ومعنى الخق والصوف بالحاء الغرفانية ومنه الحديث فسلف توابه في اخاقيق جرذان عني به قريش ان سراقة حين تبع رسول الله صلعم لعود نحسه من الفار والعنز ومن قصص اصحاب الاخدود ما جاء في الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر افلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب يتكلم بالمواعظ لاجل الناس ثم القلب الغلام الى حديثه فراى في طريقه ذات يوم دابة او حية قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها بهذا الحجر فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يتعلم من الراهب الى ان صار بحيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الاذى وعمي جليس الملك فابرئ فابصر الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب الملك فعذبه حتى دله على الغلام والغلام عذبه حتى دله على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فنشر الراهب بالمنشار فاتى بالغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهبوا به الى قرقور وهي سفينة صغيرة ليلجج به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى اذا جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي كرم الله وجهه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال ملوكهم هم اهل كانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها فسكر فوقع على اخته فلما صحي ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله عز وجل احل لكم نكاح الاخت ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها وقيل وقع الى نجران ممن كان على دين عيسى فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنا عشر الفا من الآحاد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر وقد اشار سبحانه الى عظم النار اشارة مجملة بقوله ذات الوقود لها ما يرتفع من لهيبها من الحطب الكثير اذ ان الناس وهذه الروايات لا تعارض بينها ولا منافاة فيحتمل ان يكون الكل وانفاذ الجمع مراد الله وبعضه والله اعلم وعن النبي صلعم انه كان اذا وصل الى ذكر اصحاب الاخدود يتعوذ من جهد البلاء ثم ضرب قتلا عابدا الى الاصحاب وقعود جمع قاعد فانهم كانوا متمكنين نفعي فقعودهم على النار طرحوا عليها وقعدوا حولها للاحراق وذلك انهم كانوا يعرضون المؤمنين على النار فكل من ترك دينه تركوه ومن صبر على دينه القوه في النار وان كانوا قابلين فلما ان يراد انه اذا ارتفع لها النار سرت اليهم فهلكوا بنفس ما فعلوا وحرموا الدنيا والآخرة واما ان يكون على معنى عند كقوله ولهم علي ذنب اي عندي فالمراد بالقتل على هذا التقدير اللعن وبعضده قوله وهم اي الكفار على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي حضور ودينه وصفهم بقسوة القلب ووصف المؤمنين بالصلابة في دينهم حيث لا يلتفتوا اليهم وبقوا مصرين على الحق او هو من الشهادة والمعنى انهم وكلوا بذلك وحصلوا شهود الشهداء بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به من التعذيب ويجوز ان يراد شهادة جوارحهم على ذلك يوم القيامة ثم ذم اولئك الجبابرة بما في ضمنه مدح المؤمنين فقال وما نقموا منهم اي وما عابوا وما انكروا عليهم الا ان يؤمنوا وانما خص بناء الاستقبال لان ما اليهم كانوا يطلبون منهم ترك الايمان في المستقبل ولم يعد بهم على الايمان في الماضي اي عذبوهم على ثباتهم وصبرهم على ايمانهم بمن يستحق ان يؤمن به لكونه الها قادرا لا يغالب بليغا في الكمال بحيث استبهل الحمد كله مالكا لجميع المخلوقات وفيه اشارة انه لو شاء لمنعهم عن ذلك التعذيب لكنه اخرهم الى يوم الجزاء وكل علم بقوله والله على كل شيء شهيد ثم عمم الوعيد فقال ان الذين فتنوا اي احرقوا بالفتنة والبلى والابتلاء وهو الاحراق وفي قوله ثم لم يتوبوا دلالة على ان توبة القاتل عمدا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس وعذاب جهنم وعذاب الحريق اما متلازمان كقوله الى الملك القرم وابن الهمام والغرض التاكيد واما مختلفان في الدرك الاول لكفرهم والثاني لانهم فتنوا اهل الايمان ويجوز ان يكون الحريق في الدنيا لما روي ان النار تسلطت عليهم فاحرقتهم ثم ذهب ومضى بوجه آخر في آيات الله والمطلوب

داوود علم

الاخذ بالعنف فاذا وصف البطش بالشدة كان في نهايته ثم اكده بقوله انه هو يبدئ ويعيد اي يبطش بالجبابرة في الدنيا والآخرة او يدل على الابداء والاعادة على شدة بطشه وقوته وقيل يبدئ ويعيد للكفرة لانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذا كفروا بنعمة الابتداء وكذبوا بالاعادة قال ابن عباس ان اهل جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا الآية فيكون كقوله كلما نضجت جلودهم الآية وان شئت قلت وهو بمعنى مفعول فيكون كقوله يحبهم ويحبونه وقال القفال قد يكون بمعنى الحليم من قولهم فرس ودود وهو المطيع العنان قال في الكشاف فعال خبر مبتدا محذوف قلت الاصل عدم الاضمار والاولى ان يكون خبرا بعد الاخبار السابقة ولم حمله على ذلك وما قبله معارف والعذر عنه من وجهين احدهما عطف النسق بقوله ذو العرش ولا سيما عند من يجعل المجيد صفة العرش والثاني تخصص فعال بقوله لما يريد فانه يصير معارضا للمضاف قال وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة قلت يجوز ان يكون المعنى ان ما يريده فانه يفعله البتة لا يصرفه عنه صارف ثم ذكرهم وسلى نبيه صلعم بقصة فرعون وثمود من متاخري الكفار ومتقدميهم والمراد بفرعون هو وجنوده ثم اضرب عن التكلم الى التوبيخ بتكذيبهم كفار قريش والتنبيه على انه محيط عالم بهم فيجازيهم ويجوز ان يكون مثلا لغاية اقتداره عليهم وانهم في قبضته كالمحاط اذا احيط به وسد عليه مسلكه بحيث لا يجد مهربا ويجوز ان يكون بمعنى الهلاك كقوله وظنوا انهم احيط بهم ثم سلى رسول الله صلعم بوجه آخر وهو ان هذا القرآن الذي كذبوا به شريف على رتبته في نظمه واسلوبه حتى بلغ حد الاعجاز وهو مصون عن التغيير والتحريف كقوله وانا له لحافظون قال بعض المتكلمين اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه وامثال هذه الحقائق مما يجب به التصديق سمعا حسبي الله ونعم الوكيل

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝

القراءة لما بالتشديد ابن عامر وعاصم وحمزة ويزيد **الوقوف** الطارق الطارق الثاقب حافظ مم خلق للفصل بين الاستخبار والاخبار دافق والترائب لقادر بناء على ان الظرف مفعول اذكر ومن جعل يوم ظرفا للرجوع وهو اولى ثم تبلى السرائر ولا ناصر الرجع نصل بالهزل كيدا كيدا رويدا **التفسير** انه سبحانه اكثر في كتابه الكريم الاقسام بالسماوات لان احوالها في مطالعها ومغاربها وسيرها عجيبة اما الطارق فهو ما يترك بالليل ولهذا جاء في الحديث التعوذ من الخلاف طوارق الليل وذكر طرق الجبال في اشعار العرب كثيرة لان تلك الاحلام تحصل في الاغلب ليلا رسول الله صلعم بان اهل طرقنا ثم انه تعالى بين انه اراد بالطارق في الآية النجم الثاقب اي هو طارق عظيم الشان رفيع القدر وهو جنس النجم يهتدى به في ظلمات البر والبحر قال علماء اللغة سمي ثاقبا لانه يثقب الظلام بضوئه كما سمي درءا لانه يدرؤه اي يدفعه او لانه يطلع من المشرق نافذا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء او لانه اذا رمي به الشيطان ثقبه اي نفذ فيه واحرقه وقد خصه بعضهم بزحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سماوات وقال ابن زيد هو الثريا وروي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينا هو جالس اذا انحط

احطتم يري به وهو ابه من ايات الله فعجب ابو طالب ونزلت السورة وهي من قرأ لما مشددة بمعنى الا فان نافية ومن خففها
مخففة على ان ما صلة كالتي في قوله فبما رحمة من الله فان مخففة من الثقيلة واللام على هذا التقدير جواب القسم والحافظ هو
الله تعالى والملك الذي يحصي اعمال العباد كقوله وان عليكم لحافظين والذي يحفظ الانسان من المكاره حتى يسلمه
الى القدر عن النبي صلعم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين والذي يحفظ عليه رزقه واجله حتى يستوفيهما وحين ذكر ان على كل نفس حافظا يتبعه
بتوصية الانسان بالنظر في مبدأه ومعاده والدفق صب فيه دفع ولا شك ان الصب فعل الشخص فهو من الاسناد المجازي
او على النسبة اي ماء ذي دفق كلابن في مبدأه ومعاده اي عيشة راضية ومعنى خروجه من بين الصلب والترائب اذ اكثره
ينفصل من هذين الموضعين لاحاطتهما بسائر البدن والذي ينفصل من البدن ومن الدماغ ايضا يمر عليهما وقد يعطى
للاكثر حكم الكل هذا المعنى يشمل ماء الرجل وماء المرأة ويحتمل ان يقال المراد ماء الرجل فقط اما بحكم التغليب بناء على مذهب من لا
يرى للمرأة ماء ولا سيما دافقا وذهب بعضهم الى ان الذي يخرج من بين الصلب وما ذكر من النخاع الآتي من الدماغ
وهو ماء الرجل الذي يخرج من الترائب وهو عظام الصدر الواحدة تريبة هو ماء المرأة وانما لم يقل بائن لاختلاطهما في الرحم
واتحادهما عند ابتداء خلق الجنين وقد يقال العظم والعصب من ماء الرجل واللحم والدم من ماء المرأة وقد ورد في الخبر
اي ان الابن اذا علا وغلب فان التشبيه يكون منه ثم بين قدرته على الاعادة بقوله انه على رجعه يعود الى الماء والمراد قادر
على رد الماء الى الاحليل وقيل الى الصلب والترائب وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان ان شئت رددته من
الكبر الى الشاب ومن الشاب الى الصبي ومن الصبي الى النطفة والقول هو الاول بدليل قوله يوم تبلى السرائر يبحث ما استتر
في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال الحسنة والقبيحة وحقيقة البلى في صفة تعالى يرجع الى الكشف
والاظهار كقوله ونبلوا اخباركم ويحتمل ان يعود البلى الى المكلف كقوله هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت ومنه قول عمر
رضي الله عنه يبدي الله يوم القيامة كل شيء فيكون زينا في الوجود يعني من اداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه
مغبرا ثم نفى القوة الذاتية والقوة العرضية الخارجية عن الانسان بقوله فما له من قوة ولا ناصر ثم اكد
حقيقة القرآن وهذه البيانات الثابتة والمواعظ الوافية فقال والسماء ذات الرجع الى المطر لان الله يرجعه وقتا فوقتا
على سبيل التعاقب اذ من عادتهم الضحاك يحمل الماء من البحار ثم يرجعها اليها والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات
وقيل الرجع الشمس والقمر يرجعان بعد مغيبهما والصدع الجبلان بينهما شق وطريق والضمير في انه للقرآن والفصل الفاصل
بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وقال القفال المراد الذي اخبركم به من قدرته على الرجع لقد يجب على الابداء قول
حق ثم اكد حقيقته بقوله وما هو بالهزل لان البيان الفصل قد يذكر على سبيل الجد والاهتمام بشأنه وفيه انه تارك القرآن
ادنى مرتبته في القرآن ان يكون غير هازل واعلاها ان يكون خاشعا باكيا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ثم سلى
نبيه صلى الله عليه وسلم وحثه على الصبر الجميل فقال انهم يعني اشراف مكة يكيدون كيدا في اطفاء نور الحق وذلك بالقاء
الشبهات والطعن في النبوة والتشاور في قتل النبي كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا واكيد كيدا سمي جزاء الكيد بالاستدراج
والامهال المؤدي الى زيادة الاثم الموجب لتضاعف العذاب كيدا ثم انه من ذكر ذلك قوله فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم
ولا تستعجل بهم ثم كرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين ولوصف الامهال بقوله رويدا اي امهالا يسيرا والتركيب يدل على الرفق والتأني
ومنه قولهم في باب اسماء الافعال رويد زيدا اي امهله ارود ارواداً اذا رفق به وكانه سبحانه قال امهلهم امهالا ثلاث مرات
بثلاث عبارات وهذه نهاية الاعجاز واجمال الامهال ليعلم بمن ادى يوم القيامة وهذا ادل على المبالغة في التحذير عن مثل سيرتهم وفي تتميم الترغيب في خلاف طريقتهم والله اعلم

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ

الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا
يَخْفَى ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا
الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ
اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى
صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝ **القراءة** فسوى وجميع اياتها ممالة وكذلك في سورة والشمس والليل والضحى
واقرأ باسم ربك الى قوله ارأيت الذي ينهى الى اخر السورة قدر بالتخفيف بل تؤثرون على الغيبة قتيبة وابو عمرو ويعقوب
الوقوف الاعلى فسوى فهدى المرعى احوى فلا تنسى الله يخفى الاشقى الكبرى لان ثم لترتيب الاخبار ولا يحيى لان ما بعده
مستأنف تزكى فصلى لان بل للاضراب الدنيا بناء على ان الواو للاستئناف والحال اوجه وابقى الاولى وموسى **التفسير**
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحب هذه السورة وان السلف كانوا يواظبون على قراءتها في التهجد وتتعرفون بركتها
وعن عقبة بن عامر لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلعم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل
قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم ومن الناس من تمسك بالآية في ان الاسم نفس المسمى لان التسبيح
اي التنزيه انما يكون للمسمى لا للاسم واجاب المحققون عنه بان الاسم اصله كقوله اسم السلام عليكما سلمنا انه غير صلة ولكن
لتسبيح اسمه تنزيهه عما لا يليق معناه بذاته تعالى او بصفاته او بافعاله او باحكامه فان العقائد الباطلة والمذاهب
الفاسدة ثم تنشأ الا من هنا ومن جملة ذلك ان يصان اسمه عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم وان
كان لا يسمى غيره باسمائه الحسنى وان لا يطلق من الاسامي الا ما ورد به الاذن الشرعي وان بعض العلماء الذين نقل عنهم
ان الاسم نفس المسمى ارادوا به ان الاسم حده بانه ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان وهو نفس
مدلول هذا الحد قال القفال لا فرق بين سبح اسم ربك وبين سبح ربك واعترض عليه بان الفرق بين ان الاول معناه
نزه الاسم من السوء والثاني معناه سبح الله اي نزهه بسبب ذكره اسمائه العظام او ملتبسا بذكرها اي ان تجعل الباء صلة
في الثاني نحو ولا تلقوا بايديكم ومقحم في الاول نحو واختار موسى قومه نعم لو زعم الفراء ان التسبيح ان يلازمان معقولا
ومن الملحدة من طعن في القرآن لانه يقتضي ان يكون للعالم رب اعظم منه في قوله فسبح باسم ربك العظيم والآخر اعلى
منه وهو قوله في اول هذه السورة والجواب انه عظيم في نفسه واعلى واجل من جميع الممكنات والصفة كاشفة لا
مميزة ونظيره وصفه بالكبرى تارة وبالاكرم اخرى والمراد بالعظم والعلو عظم الشرف وعلو القدر فلا استبعاد فيه للشبهة
ثم شرع في بعض اوصافه الكمالية فقال الذي خلق فسوى وقد مر تفسيره في الانفطار اي خلق الانسان فجعله منتصب
القامة في احسن تقويم او خلق كل حيوان بل كل ممكن فجعله مستعدا للكمال اللائق بحاله والذي قدر لكل مخلوق ما يصلح له فهداه
اليه وعرفه وجه الانتفاع به كما يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج
الرطب فتطلبه الى ان تجده فيعود نورها والهامات البهائم والطيور مشروحة مسطورة في كتب العجائب وقال الحكماء
كل مزاج مستعد لقوة خاصة وكل قوة فانها لا تصلح الا لفعل معين والتقدير عبارة عن التصرف في الاجزاء الجسمية وتركيبها
على وجه خاص لاجله تستعد لقبول تلك القوى والهداية عبارة عن خلق تلك الاعضاء بحيث يكون كل قوة مصدرا
لفعل معين فيحصل من مجموعها تمام المصلحة وقد خصه بعض المفسرين فقال معناه هدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال
غيره قدر المعيشة ومرعاه وقيل هداه سبيل الخير والشر وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم وهداه للخروج وقال الفراء
قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل الهداية بمعنى الدعاء الى الايمان قدر ودعا الكل الى
الايمان ودعاهم اليه وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقيل دلهم بافعاله على توحيده وكونه بانه في كل شيء له آية تدل على
انه واحد من جملة ذلك اخراج المرعى وهو الكلأ الاخضر ثم جعله غثاء وهو ما يبس من النبات فحملته الاودية والمراد انه

فاطردته الرياح والظاهر ان احوى صفة للغثاء والحوة السواد والعشب اذا يبس واستولى البرد عليه جعل يضرب الى
السواد وقد يحمله السيل فليضربه اصفر اكدر وقال الفراء وابو عبيدة والاحوى هو الاسود لشدة خضرته وعلى هذا يكون
حالا من المرعى اي اخرجه من اسود من الخضرة الري فجعله غثاء بعد حين فصار الحال احوى في حال حيوة غثاء
عثاء وصبره وامره بالتسبيح وبشره ونشرفه باتيا اية باهرة وهي ان نقرا عليه حبريل مما نقرا من الوحي الذي هو اشرف انواع
الذكر فيحفظه ولا تنسى الا ما شاء الله ان ينساه وهو احد طريق النسخ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نزل عليه القران اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسا فقيل له لا تعجل بالقراة فان جبريل مامور بان يكرره عليك الى انه
تحفظه ثم نظيره ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وعلى هذا يحتمل ان يراد بالقلم والاقرا شرح الصدر بحيث تقوته
الحفظ بحيث يبقى القران محفوظا له من غير دراسة مع انه امي فيكون اعجازا مع اعجاز وعن بعضهم ان قوله فلا
تنسى نهي لا خبر والالف مزيدة للفاصلة نحو الظنونا والسبيلا وضعف بان الزيادة خلاف الاصل فلا يصار اليها الا بدليل
ظاهر ويانا اذا جعلناه خبرا كان معنى الاية البشارة بانا جعلناك بحيث لا تنسى واما ان جعلناه نهيا كان امرا
بالمواظبة على الاسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة والقراة والبحث ولا يكون من البشارة فانا جعلناه
شي وايضا النسيان لا يتعلق بقدرة العبد فيلزم ان يحمل النهي عنه الامر بالاسباب المانعة منه وهو خلاف
الظاهر اما الاستثناء ففيه فوائد الاول انه لا يبقى على حقيقة فقد روي عن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم
لم ينس بعد نزول هذه الاية شيا وعلى هذا فالمقصود من الاستثناء اما نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد
استثناء شي وهو من استعمال القلة في معنى النفي وفائدة التعليم ان يتبرك بذكر الله وتعليم العباد ان لا يتركوها في كل ما يخبرون عنه وتنبيه ان تعالى قادر على نسيانه الا انه لا
العلم واما التبرك بذكر هذه الكلمة وتعليم العباد ان لا يتركوها في كل ما يخبرون عنه وتنبيه ان تعالى قادر على نسيانه الا انه لا
بنساه بفضله واحسانه وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم ان يكون منطبعا بالغا في دراسة كل ما ينزل عليه من الوحي قليلا
كان او كثيرا فان كل جزء من اجزائه يحتمل ان يكون هو المستثنى الثاني انه حقيقة ثم حمله مقاتل على النسخ اي الا ما
وقال الزجاج اراد الا ان شاء الله فينساه ثم تذكره بعد النسيان كما روي انه اسقط في قراة اية في الصلوة فحسب
اي انها نسخت فساله فقال فنسيتها وقيل ابهد القلة والندرة الا في الواجبات فانه يورث الخلل في الشرع ولكن
في غيرها ثم علل حسن النسخ بقوله انه يعلم الجهر وما يخفى واذا كان كذلك كان الوضع الحكم ومنعه وافقا بحسب مصالح
المكلفين وقيل اراد والله اعلم انك تجهر بقراتك مع قراة جبريل مخافة النسيان والله يعلم ما في نفسك من الحرص على تحفظ الوحي
فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه ثم بشره ببشارة اخرى وهي تيسيره وهي توفيقه للطريقة التي هي ايسر وهي حفظ القران
او الشريعة والسهلة السمحة وعن ابن مسعود هي الجنة يعني العمل المؤدي اليها والعبادة في الميسر ان يقال اجعل
الفعل الفلاني ميسرا لفلان وانما عكس الترتيب في الاية الدقيقة هي ان الفاعل ما لم يوجد فيه قابلية لصدور الفعل
عنه امتنع حصوله منه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ففي الاية دلالة على انه سبحانه فتح عليه من
ابواب قبول الفيض ما لم يفتح على غيره حتى صار بنفسه ابو طالب قدوة للعالمين وهاديا للخلق اجمعين ثم قال فذكر ان نفعت
الذكرى ولئن لم ينفع فحذف احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وهو بناء على الاغلب فان التذكير انما
يكون غالبا اذا كان رجاء التذكير حاصلا كقوله ولا تنكر هو افتنا ثم على البقاء ان اردن تحصنا وفيه حث
على الانتفاع بالذكرى كما يقول المراد لغيره اذا بين له الحق قد اوضحت لك ان كنت تسمع وتقبل فيكون مراده الحث
على السماع ويقول اوتنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم على ان التذكير لا ينفعهم كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى انه لا يجيبك
ووجه اخر وهو ان التذكير العام واجب على اول الامر واما التكرير والضابط عند العرب لعل انما يجب عند رجاء حصول
المقصود فلهذا اردفه بالشرط مثل التعلق بالشرط انما يحسن في حق من يكون جاهلا لعواقب الامور والجواب ان امر
الدعوة والبعثة مبني على الظاهر لا على الخفيات ومر في الكتب ان تعالى كان يقول لموسى فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى وانما سمي الوعظ بالتذكير لان حسن هذا الدين مركوز في العقول فطرة الله التي فطر الناس عليها فكان
هذا العلم كان حاصلا في نفسه بالقوة ثم زال عنها العوائق والغواشي وعن بعض العقلاء ان النفوس قبل تعلقها بالابدان
عالمة بالها ان تعلم الا انها نسيتها لاشتغالها بتدبير القران ومن هنا قال افلاطون ليست اعلمكم بما كنتم تجهلون ولكن اذكركم
بما كنتم تعلمون ثم انه تعالى بين المنتفع بالذكر منهم فقال سيذكر من يخشى وقال في التفسير الكبير ان الناس في امر المعاد

ثلاثة اقسام القاطع في صحته والمتردد فيه والجاحد له والفريقان الاولان ينتفعان بالتذكير والتخويف وكثير من المعاندين
انما يجحدون باللسان فقد تبين انه اكثر الخلق ينتفعون بالوعظ والمعرض نادر وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
فلهذا وجب تعميم التذكير قلت هذا خلاف المنقول حيث قال عز من قائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقليل من
عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين وخلاف الحديث حيث قال صلى الله عليه وسلم بعث النار من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعون وخلاف المعقول فانه لو سلم ان قسمين من الاقسام الثلاثة ينتفعان بالتذكير وينضاف اليه
من القسم الثالث بعض اخر فقيل لا يلزم ان يكون الباقي اقل من المجموع المفروض لجواز اختلاف الاقسام بل السبب
في تعميم التذكير انتفاع المنتفعين به وهم اهل الخشية اعني العلماء بالله والزام الحجة لغيرهم والسعي في سيذكر اما مجرد
الاطلاع كان سوف من الله واجب ولما كان التذكير متراخيا عن التذكر غالبا لتخلل زمان النظر والتامل غالبا قيل نزلت الاية
في عثمان ابن عفان وقيل في ابن ام مكتوم ونزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة قوله ويتجنبها الاشقى الذي
يصلى النار الكبرى اي السفلى من اطباق النار لان الاشقى الكفرة واشد عتوا وعن الحسن النار الكبرى نار جهنم
والنار الصغرى نار الدنيا والاشقى هو الكافر على الاطلاق وذلك ان الكافر اشقى من الفساق ولا يلزم من تخصيص ذكر
الكافر بدخول جهنم النار ان لا يدخلها غيره وان يكون الاشقى بمعنى الشقي كقوله وهو اهون عليه اي هين فيدخل فيه الفاسق
لانه يجتنب بوجه لمن الوجوه وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد مر تفسيره في طه ومعنى ثم تراخي الرتبة لان هذا النوع من
الحيوة افظع من نفس الدخول في النار ثم ذكر وعد السعداء بعد وعد الاشقياء ومعنى تزكى تطهر من ادناس الشرك
والمعاصي والعقايد الفاسدة وذكر اسم ربه بالتوحيد والاخلاص فصلى اي اشتغل بالخدمة والطاعة حتى يكون
كاملا بحسب قوتيه النظرية والعملية بعد تخليته لوح الضمير عن النقوش الفاسدة وقال الزجاج تزكى اي تكثر من التقوى
واصله من الزكاء النامي ويكون متصله في قوله قد افلح المؤمنون الى اخر الايات وفي اول البقرة الى قوله هم المفلحون وقال
بعض تزكى من الزكوة كتصدق من الصدقة قد افلح من تصدق من ماله فذكر ربه بالتوحيد والصلوة فصلى له وحمد
ثم تصلوة العيد وصدقة الفطر اي افلح من تزكى قبل من خرجه الى المصلى وذكر اسم ربه في طريق المصلى او تكبيرة
الافتتاح فصلى العيد وهذا قول عكرمة وابي العالية وابن سيرين وابن عمر وعلي رضي الله عنهم وقد روي مرفوعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وضعف بانه خلاف ما ورد في مواضع اخر من القران من تقدم الصلوة على الزكوة والجواب ورد هكذا لان زكوة
الفطر مقدمة على صلوة واعترض الثعلبي بان السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة واجاب الواحدي
بانه لا يمتنع ان يقال لما كان في معلوم الله ان ذلك سيكون اثنى على من فعل استدل بعض الفقهاء بالاية على وجوب تكبيرة
الافتتاح واحتج بعض اصحاب ابي حنيفة بها على ان الاولى ليست من صلب الصلوة لعطف الصلوة عليها وعلى ان
الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه واجيب بما روي عن ابن عباس ان المراد ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى به
وبانه قد يقال اكرمني فزرتني وبالعكس من غير فرق وقد ينسب هذا الجواب الثاني بانه خلاف الظاهر وبانه خصوصية
المراد بلفظه فلا يلزم من عدم الفرق في الامثال المضروبة عدم الفرق فيما يتعلق به حكم شرعي ثم رجحهم بقوله بل تؤثرون
الى اخر ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة والوعيد والوعد كانت بالله في صحف الانبياء الاقدمين لانها لو اعتكلنه لا
تتغير بتغير الزمان فهو كقوله وانه لفي زبر الاولين وقيل المشار اليه بهذا هو قوله بل تؤثرون الاية لانه اقرب المذكورات
ولان حاصل جميع الكتب السماوية فالزجر عن الدنيا والاقبال على الاخرة وفي الكشاف روي عن ابي ذر انه سال ابي
موسى الاشعري رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب قال مائة واربع كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين
وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان فتفسير الاية ان هذا في الصحف
الاولى التي منها صحف ابراهيم وموسى قالوا في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه الحديث

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝

القراءات يصلى بضم التاء من الاصلاء ابو عمرو ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وقرأ نافع بتاء التانيث والرفع الآخرون بفتح تاء التانيث والخطاب لكل سامع لاغية بالنصب بمصيطر بالصاد ابو جعفر ونافع وعاصم وعلي وخلف وقرأ حمزة في رواية باشمام الزاء الباقون بالسين ايابهم بالتشديد يزيد **الوقوف** الغاشية ط خاشعة ناصبة حامية آنية ط الهيام الاوصاف نصف الجزء ضريع جوع للاتباء وتعلق ناعمة راضية عالية لئلا يتوهم ان بعدها صفة للعين الجارية سورة للسرر كذلك مرفوعة مصفوفة مبثوثة خلقت رفعت نصبت سطحت وهذا يوقف على الآيات الاربع لاجل مهلة النظر والا فلا لكل عطف مذكر بمصيطر وكفر الاكبر ايابهم حسابهم **التفسير** لما انجز الكلام في السورة المتقدمة الى ذكر الآخرة شرح في هذه السورة بعض احوال المكلفين فيها والغاشية القيامة لانها تغشى الناس بشدائدها وكل ما احاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال تغشى وجوههم النار اي بالتكرار هل اتاك حديث هذه الداهية وقلما اتاك الا انه استفهم وتم وصف الاستقبال لانه مبني السورة انفى على التفريع كما ينبئ عنه لفظ الغاشية والمراد بالوجه الذات ووجه حسن هذا المجاز ان الخشوع والاذلال واضدادها يتبين اثرها في الوجه كقوله ترهقهم ذلة عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي والعمل والنصب يتناول كلاهما في الآخرة وهو الظاهر لقوله يومئذ اي تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار خوض الابل في الوحل وترددها في صعود من نار وهبوط منها قال الحسن كان يجب عليها ان تعمل لله في الدنيا خاشعة ناصبة فلما لم تفعل ذلك وقع في مثله بعد المفارقة الى ان يشاء الله ليكون معارضا بنقيض قوله مقصوده وقيل كلاهما في الدنيا وهم اصحاب الصوامع خشعت وجوههم لله وعملت ونصبت في اعمالها من غير نفع لهم في الآخرة لان اعمالهم مبنية على غير اساس في الدين الحنيف وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء فهي في نصب منها في الأخرى ثم شرح مكانهم وهو النار الشديد الحر ومشربهم وهو من عين آنية اي متناهية في الحرارة ومطعومهم وهو الضريع وانما قدم المشروب على المطعوم لان الماء يناسب النار مناسبة الضدين والتشبيه من حيث سالمهما ولانه اذا اشتد حر النار غلب عليهم العطش فكان الماء عندهم اهم ثم اذا فيهم الحرارات ارادوا ان يدفعوا الم الاحشاء بها بايراد الغذا الملبي البدن مع ان الواو ليس للترتيب قال الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من الصحابة وقد يروى انه فعيل بمعنى مفعل كالاليم والقعيد بمعنى الامن طعام يحملهم على الضراعة والذل عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وعن سعيد بن جبير انه الشجر ذات شوك قال ابو الجوزاء وكيف يسمن من ياكل الشوك وفي الخبر الضريع شيء يكون في النار شبيه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال العلماء ان النار دركات واهلها على

طبقات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه من غسلين ومنهم من طعامهم من ضريع ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم وجمهور البيت اي النار ليس ببدع من قدرة الله تعالى كوجود بدن الانسان في العقارب والحيات فيها وقوله لا يسمن ولا يغني من جوع صفة الطعام او الضريع وفيه ان طعامهم ليس من جنس طعام الانس ولكن من جنس الشوك الذي ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامت عنه لانه اسم قاتل ويحتمل ان يراد انه لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس فهو كقولك ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد ويروى ان كفار قريش قالوا لما نزلت الآية ان الضريع يسمن ابلنا فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وفي تعلقه تسليم اذ هم يعتقدون على ان ضريع النار ليس كذلك لان كل ما في النار يجب ان يكون خاليا عن النفع ثم اخذ في وصف السعداء فقال وجوه وانما لم يعطف خلافا لما في سورة القيامة لانه اراد هاهنا تفصيل ما اجمل في قوله هل اتاك حديث الغاشية ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن او متنعمة وقوله لسعيها راضية اي رضيت بما عملت في الدنيا واثنت عليها بحق فولها ما احسن ما عملت ذلك اذا رأت ثوابها وكنز لها في الكرامة والثواب الجزاء سعيها حين رأت ما لا مزيد عليه واللاغية اللغو مصدر كالعاقبة والباقية وجوز ان صفة لمحذوف اي كلمة ذات لغو وقوله عين جارية على وجه الارض في غير اخدود وتجري لهم كما ارادوا مرفوعة من الرتبة او مرتفعة عن الارض ليرى المؤمن في الحال الله يريد عينا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس قال الكلبي لا ادري جرت بماء او غيره وقال القفال عين شراب مجلوسه عليه جميع ما آتاه الله من الخدم والملك واذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث اراد الله وقد وصفها ابن عباس ان الواحد منها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وقيل موضوعة اي مخبوة لهم من رفع الشيء اذا خبأه والاكواب الكيزان التي لا عرى لها كلما ارادوا وجدوها موضوعة بين ايديهم حاضرة او موضوعة على حافات العيون مملوءة مهيأة للشرب وفي الكشاف انه اراد موضوعة عن الكبر الى التوسط والاعتدال والنمارق الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وهي الفرائش كلها ايضا مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما ارادوا ان يجلسوا جلسوا على واحدة واستندوا الى الاخرى والزرابي البسط العراض الفاخرة واحدها زربية بكسر الزاي وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق ومبثوثة اي مبسوطة او مفرقة في المجالس ولما ذكر احوال المعاد وعاد الى الاستدلال على المبدأ فان من عادة كتاب الله الكريم انه يرجع الى تقرير الاصول ويعود على بدء وللمحققين في نسق الآية في تناسب هذه الامور وجوه منها في قول الكل ان اهل المعاني قالوا انما انزل بلغة العرب فيجب ان يخاطبهم بحسب ما هو مركوز في خزائن خيالهم فلا ريب ان جل همهم مصروفة بشان الابل فيها بالكون ويشربون ومن اصوافها واوبارها ينتفعون عليها في متاجرهم ومسافراتهم يحملون فحيث اراد سبحانه ان يحصل لهم دليلا من مصنوعاته يمكنهم الاستدلال به على كمال الحكمة الصانع وكمال قدرته لم يكن شيء احضر صورة في متخيلهم من الابل فنصبها لهم ولا ريب انها من اعاجيب الله تعالى صورة وسيرة لما ركب فيها من القوة على دوام السير مع كثرة الاثقال بحمل الثقيل وحب النهوض بما حملت ومن الصبر على العطش ويجتزئ بالعلف القليل اياما ثم تشرب الماء الكثير اذا وجدت ومنه تذللها ومنه انقيادها للصبي الضعيف قال الامام فخر الدين الرازي كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل الى تل ومن جانب الى جانب حتى وصل الى الطريق فتعجبنا من قوة تخيله وعن بعض اهل الفراسة انه حدث عن البعير وبديع خلقه في بروكه ونهوضه عنه مثقلا وقد نشأ في بلاد الابل فيها فتفكر ثم قال يوشك ان لا يكون الا طوال الاعناق وذلك ان طول العنق يسهل عليه النهوض ثم ان اصحاب المواشي لا حتياجهم الى المستعصب الكلأ صار جل نظرهم الى السماء التي منها نزول المطر الى الجبال التي هي اقرب الى السماء واسرع الى وقوع المطر عليها واحفظ للثلج الذي منه مادة العيون والآثار عند انقلاع الامطار على انها مأوى منهم ومسكنهم في الاغلب الناجل لحاملسه من نجح منيع يرد الطرف وهو كمثل ثم الى الارض التي فيها نبت العشب وعليها منقلبهم ومجمعهم فبين كيف وردت منتظمة حسب ما انتظم في خزانة خيال العرب بحسب الاغلب ومنها ان جميع المخلوقات متساوية في دليل التوحيد غير ممكن وكل طائفة منها تختص بالذكر ورد هذا السؤال وجب الحكم بسقوطه ولعل في ذكره هذه الاشياء التي لا تتناسب في الظاهر بينها تنبيها على ان هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل ومنها ان المراد بالابل السحاب تمن طرفي التشبيه والمجاز فان العرب كثيرا ما تشبه السحاب بالابل في اشعارهم ومنها

ان تخصيص الانسان بالاستدلال منه على التوحيد بيستتبع الوقوع في الشهوة والفتنة وكذا الفكر في السابق التوحيد والصورة الحسنة فخص الابل بالذكر لان التفكر فيها متخصص لداعية الحكمة وليس للشهوة فيها نصيب على ان الف العرب بها اكثر كما مر وكذا السما والجبال والارض دلايل الحدوث فيها ظاهرة وليس فيها نصيب للشهوة والمراد بالنظر الحقيقي الاشارة هو النص المودي الى الاستدلال بدليل قوله كيف خلقت كيف رفعت كيف نصبت كيف سطحت وليس في السطح دلالة على عدم كرية الارض لانها في النظر مسطحة وقد يكون في الحقيقة كرويه الا انها لعظمها لا تدرك تجد بها تم تبينه صلعم تذكر الامه بهذه الدلالة وامثالها لامره منصوص على كونه متذكرا على ان لا انحطاط الى كونه مسيطرا اي مسلطا عليهم فان اراد التسليط او الاكبر بمعنى خلق الهدايه فيهم فالاية ثابتة لان ذلك لا يقدر عليه الا الله سبحانه وعلى هذا فالاظهر ان يكون الاستثناء منقطعا وان اراد القتال معهم ان لم يومنوا فالاية منسوخة وهذا قول كثير من المفسرين وعلى هذا الاستثناء ... متصلا باعتبار الحال فان السورة مكية ولكن بالنظر الى الاستقبال فالاظهر ان يكون الاستثناء في قوله الا من تولى وكفر منقطعا اي لكن من تولى وكفر فانك مستصحب ماموا بقتالهم مسلطا عليهم بالغلبة والقهر وقيل هو استثناء متصل اي الا المصرين على الاعراض والكفر فانه يعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو القتل والسبي اي لست بمتولي عليهم ولكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر فالاستثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى او عذاب جهنم او عذاب الدرك الاسفل وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويرد عليه انه صلعم لا ينقطع ايمانه عن الكفرة ما داموا احياء الا انه يعلم بذلك وعلى تقدير الاعلام ايضا لا يجوز له ان يقطع التذكير والدعوة لان الدعوة عامة في الاصل ولو جعلت خاصة لم تبق مضبوطة كرخصة المسافر مبلا ولقابل ان يلزم اذا السيف منع حد التذكير عن مشروع في حقه ثم ختم السورة بما يصلح للوعد والوعيد والترغيب والترهيب ثم ان ايابهم بالتشديد فاما ان يكون فاعلا مصدر ايب فيعل من الاياب واما ان يكون اصله او بافعالا من اوب ثم قلبت احد الواوين ياء ثم الاخرى كما سيد قال جار الله وفايدة تقديم الظرف في الموضعين الحصر اي ليس يرجع انهم مرجعهم الا الى الجبار المقتدر على ترتيبه جزا كل طايفة ولا ان يكون حسابهم واجبا الا على حكمه ... الحاكمين رب العالمين

سورة الفجر مكية وهي ثلاثون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۝ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝

القراءة روي ابن مهران وابن الاسكندري عن ابن عمر انه كان يقف على الفجر واشباهها من ذوات الرا وينقل حركة الرا الى ما قبلها كراهة اجتماع الساكنين نظيره ما روي خلف عن الكسائي انه كان يقف على عشر منه بنقل حركة الها الى ما قبلها والوتر بكسر الواو حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالفتح يسري بالوادي فالكرماني واهاني بالياء في الحالين يعقوب والهاشمي عن البزي والقواس وابو ربيعة عن اصحابه ويزيد ابو جعفر وابو عمرو ونافع وسهل يسري والكرمني واهانني بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف بالوادي بالياء في الوصل ورش وسهل وعباس الباقون كلها بغير ياء فقدر بالتشديد ابن عامر ويزيد يكرمون بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو يكرمون ولا يحضون ويا كلون ويحبون كلها على الغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بتاء الخطاب تحاضون بفتح الحا الموقانيه والالف من التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء علي والمفضل وسهل ويعقوب الاخرون بكسرهما **الوقوف** والفجر عشر والوتر يسر لحجر ان يكون جواب القسم المحذوف وهو لتبعثن او لتعذبن منادرا فمثل هلا وبعد حجر تم الوقف على المطلق على لبالمرصاد وما قبله وقف ضرورة لعاد العماد البلاد بالواد الاوتاد البلاد الفساد عذاب لاحتمال التعليل لما قبل انه جواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض لبالمرصاد اكرمن لانتداء شرطا من اهانن لانكلا يحتمل معنى الا وحقا ومعنى الردع اليتيم المسكين لما جما دكا دكا صفا صفا بجهنم الذكرى لانا بعده مستانف كانه قيل كيف يتذكر لحياتي احد احد المطمئنة مرضية عبادي جنتي **التفسير** اقسم الله تعالى في هذه السورة بستة اشيا نشرتها ولا نتيها وابتدا ... اما الفجر فعن بعضهم انه العيون التي تنفجر منها المياه والاظهر ما روي عن ابن عباس انه الصبح الصادق وقد انفتق في المدين والصبح اذا اسفر وفي كرمه والصبح اذا تنفس وذلك ان فيه عبرة للتامل لما يحصل من انفجار الضوء من بين الظلام وانتشار الحيوانات من اوكارها لطلب المعاش تشبيه الموتى من قبورهم وقيل المضاف محذوف اي ورب الفجر او اقسم بصلوة الفجر وخصه بعضهم بفجر يوم النحر لان يوم الضحايا والقرابين وبعضهم بفجر المحرم لانه يوم من السنة وبعضهم بفجر ذي الحجة لقوله بعده وليال عشر والتنكير لانها ليال معدودة من ليالي السنة ولانها مخصوصة بفضايل كما جاء في الخبر ما من ايام العمل الصالح فيهن افضل من عشر ذي الحجة قال اهل المعاني لو عرفت بناء على انها ليال معلومة فات الدلالة على التعظيم المستفاد من التنكير بقوت حينئذ كما يفوت التناسب بين الايات اذ ذاك تتقدم اللام حرفين وحروف ... فالياتية وقيل انها عشر المحرم وقيل العشر الاخيرة من رمضان ولهذا سن فيها الاعتكاف وفيها ليلة القدر وقال صلعم اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ اهله اي كف عن الجماع وامر اهله بالتهجد واما الشفع والوتر فمعناهما الزوج والفرد والوتر بالفتح لغة اهل العالية وبالكسر لغة تميم ما اختلف المفسرون فيهما اختلافا عظيما فمنهم من حملها على الاشيا كلها لان الموجودات لا تخلو من هذين القسمين فيكون كقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقيل الشفع صفات الخلق كالعلم والقدرة والحيوة تقابلها الجهل والعجز والموت والوتر صفات الحق وجود بلا عدم وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وحيوة بلا موت وقيل الشفع والوتر نفس العدد فكانه تعالى اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه فهو في معرض الامتنان بمنزلة العلم والبيان لقوله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الرابع الشفع الممكنات ومن كل شي خلقنا زوجين والوتر الواجب تعالى وتقدس الخامس الشفع الصلوات الثنايية والرباعية والوتر الثلاثية عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلوة منها شفع ومنها وتر السادس الشفع درجات الجنة وابوابها وهي ثمانية والوتر دركات النار وابوابها وهي سبعة السابع الشفع البروج الاثنا عشر والوتر الكواكب السبعة الثامن الشفع الشهر يكون ثلثين والوتر تسعة وعشرين التاسع الشفع السجدتان والوتر الركوع العاشر الشفع العيون الاثنا عشر لموسى وانفجرت منه اثنتا عشرة عينا والوتر معجزته ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات والاظهر الاقرب ما روي عن النبي صلعم ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة لانه تاسع ايام الليالي المذكورة وحينئذ اقسم بالليالي المخصوصة اقسم على العموم بالليل اذا يسر اي اذا

بمعنى كقوله والليل اذ ادبر وعن مقاتل هو ليل المزدلفه وعلى هذا يجوز ان يراد بالسري الاسناد المجازي لان الساري فيه
هو الحاج يروى انه صلعم كان يقدم ضعفة اهله في هذه الليله والحجر بالكسر العقل سمي بذلك لانه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي
كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة لانه يحصي اي يضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمراد
بالاستفهام تقرير ان هذه المذكورات لشرفها وعظم شانها حقيق بان يقسم بها المقسم عليه لكن ذكر محذوف باهر ثم قال هل فيما ذكرته
لمن له حجر اي هل في هذه الاشياء ما يكون غاية في القسم ومقابل
عنه يريد انه لا يخفى ذلك ومن هنا قال بعضهم فيه دليل على انه تعالى اراد ورب هذه الاشياء
ان تقول المقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه ما بعده الى قوله والنهاية ثم انه تعالى ذكر للعبرة ولتسلية نبيه صلعم قصة ثلث فرق على سبيل الاجمال الا انهم
اعلام في القوه والشوكة والبطش ومعنى الم تر الم يبلغك علم اليقين ورتب الشاهده لتقاصله بالوحي والتواتر والخطاب
للنبي صلعم او لكل راء والمراد بعاد وهو عقب عاد الاولى القديمة ولهذا بين باسم لانهم اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
قيل ارم اسم جدهم وقيل ارم بلدهم وارضهم التي كانوا فيها ولم ينصرف قبيلة او ارضا للعلمية والتانيث وقيل الارم العلم لانهم
كانوا يبنون اعلاما كهيئة المناره كقوله اتبنون بكل ريع اية وعلى هذين الوجهين يكون المضاف محذوفا اي اهل البلده
او الاعلام وعلى الوجه الاخر الكون ممنوع الصرف وجه ظاهر لكونه اسم جنس والعماد يعني العمود لانه بما يعمد وهو جمع عمد ثم
انهم كانت صفة القبيلة فالمعنى انهم كانوا ابدويين اهل عمد او كانوا طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت ذات
البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين ثم قيل هذه المدينة اسكندرية وقيل دمشق وعن بعضهم ان
بلاد عاد كانت فيما بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف يروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها
فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وروي انه وضع احدى قدميه فيها ولم
يضع الاخرى حتى اتاه ملك الموت وروي ان النبي صلعم سال ملك الموت حين عرج به الى السماء فسأله هل رقت لاحد من الخلائق
ملك الموت بقبض روحه فقال نعم اثنان احدهما طفل ولد بالمفازة ثم امرت بقبض روح امه ولم يكن هناك انسان يتعهد الطفل والثاني
الذي قبض روحه قبل ان يدخل جنته التي احتهد في بناء مدينة لم يخلق مثلها في البلاد ثم لم يرزق دخولها بعد ان جمع جملة فيها يعني شداد فدعا الله نبينا
صلعم ان يخبره بذلك فاوحى اليه ان ذلك الملك هو ذلك الطفل الذي ربيناه ما بيناه مملكة الدنيا وحين قابل النعم والملك
بالكفران دمرنا الجنان التي هي من مخترعات الرحمن حين بناه بالجنة والحسبان هكذا وجدت الحكاية في بعض التفاسير
وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع على تلك المدينة فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب الاحبار فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن ابي قلابة فقال هذا والله
ذلك الرجل والضمير في مثلها للقبيلة لانهم اطول الناس واشدهم قوة او للمدينة اي لا اعلام على اختلاف الاقوال وجوب
الصخر اي الحجر العظيم تقطعه كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا والوادي وادي القرى قال مقاتل وقيل لفرعون ذو الاوتاد
لكثرة جنوده او لتعذيب الناس بالاوتاد الاربعة وقد مر في ص وصب السوط كناية عن التعذيب المتواتر وفيه
اشارة الى ان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة بالنسبة الى القتل مثلا وقد اشار الى عذاب الاخرة والى
عذاب الدنيا بقوله ان ربك لبالمرصاد اي يمهل ولكنه لا يهمل والمرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد فالباء بمعنى في وهو
مثل لعدم الاهمال وقيل لبعض العرب اين ربك قال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ السورة عند المنصور حتى بلغ
الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه من الجبابرة الذين ادعوا بها قال الفراء معناه
اليه المصير فيكون وعيدا ووعدا للمؤمن والكافر قال اهل النظم لما ذكر انه تعالى بالمرصاد من اعمال بني ادم عقبه بتوبيخ
الانسان على قلة اهتمامه بامر الاخرة وفرط تماديه في اصلاح المعاش كانه قيل نحن متيقنون بمجازاة الانسان
على ما سعى واما هو فانه لا يهمه الا الدنيا وطيباتها فان وصل اليه منها شيء فرح بها وان مسه الضر قنط وكذا الظاهر
ان الانسان للجنس وعن ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وعن الكلبي هو امية ابن خلف ومعنى الابتلاء في البسط

والتضييق هو انه سبحانه يعامل المكلف معاملة المختبر ليظهر انه هل يتلقى النعمة بالشكر والضيق بالصبر ام لا كقوله ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وتقدير الكلام فاما الانسان فيقول ربي اكرمن اذا ما ابتليه فاكرمه واما هو فيقول ربي اهانن اذا ما ابتليه فقدر
اي ضيق عليه رزقه بقوله فيقول خبر المبتدا في الموضعين فاما اذا ما ابتليه ظرف لقوله واما قال في جانب البسط فاكرمه ونعمه
اي جعله ذا نعمة وثروة ولم يقل في طرف القبض فاهانه وقدر عليه لانه جمعه سبقت غضبه فلم يرد ان يصرح باهانة عبده ولئلا
يكون الكلام نصا في ان القبض دليل الاهانة من الله فقد يكون سببا لصلاح معاش العبد ومعاده واما البسط فهي اكرام من الله
الغالب والبسط لا لاجل الاستدراج قليل وعلى تلته فهو خير من خسران الدنيا والاخرة جميعا وعلام توجه الانكار والذم فيه
وجهان احدهما على قوله ربي اهانن فقط لانه سمى ترك التفضل اهانة وقد لا يكون كذلك والثاني على مجموع الامرين لا من حيث
مجموعهما بل على كل منهما اما على دعوى الاهانة فكما قلنا واما على دعوى الاكرام فلانه اعتقد حصول الاستحقاق في ذلك
الاكرام كقوله انما اوتيته على علم عندي وكان عليه ان يرى ذلك محض الفضل والعناية منه تعالى اولانه قال ذلك كبرا او
فخرا او لانه كان اولان هذا القول ينبئ عن قلة من لا يرى السعادة الا في اللذات العاجلة او عقل عن الاستدراج والمكر ويحتمل
ان يتوجه الذم على مجموع الامرين من حيث المجموع حتى لو قال في البسط اكرمني ربي بنعمة الله وفي القبض لم يقل اهانني بل قال
الحمد لله على كل حال لم يكن مذموما ثم ردع الانسان عن تلك المقالة بقوله كلا اي لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولا بالفقر
لهوانه لدي ولكنهما من محض المشية وعلى حسب المصالح ثم نبه بالاضراب في قوله بل لا تكرمون اليتيم على ان هناك شرا من
ذلك القول وهو انه يكرمهم بكثرة المال لا يودون ما يلزمهم فيه نحو ما روي عن مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف وكان
يدفعه عن حقه وقرئ بالياء والتاء والتراث اصله الوراث نحو تجاه ووجاه واللم الجمع الشديد ومنه كتيبة ملمومة مصدر جعل
نعتا اي اكلا جامعا لجميع اجزائه كقوله ولا تاكلوها اسرافا وقال الحسن اي يجمعون نصيب اليتامى الى نصيبهم كقوله
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني جامعا بين حلال ما جمعه الميت وبين حرامه وقيل جامعا من الوان المشتهيات من الاطعمة
والاشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما يفعل اهل البطالة من الوارث والجم الكثير جم الماء يجم جموما اذا كثر في مجامه وحج
نهي عن التهالك والشره على جمع المال ونفي نعت الحب بالجم دلالة على ان حب المال وتعلق القلب بتحصيل ما يسد الخلة منه
غير منكر فيه بل مندوب اليه لبقاء نظام العالم على ان كل السلامه ومحل الفراغ في الترك كما هو شان المتوكلين ان السلامة من ليلى
وجارتها ان لا تمر على حال بواديها والابنيك مثل خبرتم ثم ردعهم عن الفعل المذكور ذكر تحسر العصاة في طاعة الله يوم
القيمة وجواب اذا محذوف بعد صفا او بعد قوله يحضهم ليذهب الوهم كل مذهب اي كان ما كان من الاهوال الى انه عطف
وجيء يومئذ او عطف على ما قبله ويوقف على التقديرين على قوله بجهنم ويكون يومئذ الثانية متعلقا
بما بعده ويجوز ان يكون اذ منصوبا بيتذكر ويومئذ الثانية بدل منه ومعنى دكا دكا بعد دك كما قيل في لبيك اي كرر عليها
بالدك حتى صارت هباء منبثا وقال المبرد استوت الافراس فذهب دورها ومضى وها دحبالها وتلالها حتى يصير
قاعا صفصفا ولعل هذا الدك بعد الزلزلة بقوله وجاء ربك اي امره بالجزاء والحساب او قهره او دلائل قدرته ويجيء ان
يكون تمثيلا لهول ذلك اليوم كما اذا احضر الملك بنفسه وجنوده كان اهيب وينزل الملائكة كل سماء صفا صفا اي مصطفين
صفوفا مرتبة يروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلعم حتى اشتد على اصحابه فجاء علي كرم الله وجهه مما خصه وقبل
ما بين عينيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم حتى غيرك فتلا عليه الاية فقال علي كيف يجاء بجهنم
قال يجاء بجهنم قال يجيء بسبعين الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع
قال الاصوليون معنى مجيء بجهنم برزت وظهرت فان جهنم لا تنتقل من مكان الى مكان قوله وانى له الذكرى وانما قدر بالمضاف
احتراز من التناقض والا فلا وجه للاستفهام الانكاري بعد اثبات التذكر ثم فسر التذكر بانه يقول يا ليتني قدمت جزاء
او عملا صالحا لحياتي هذه وهي حياة الاخرة او اللام بمعنى الوقت اي وقت حيوتي في الدنيا وقد تمنع هذا الوقت لاهل
النار لا حياة لهم في الحقيقة كما قال لا يموت فيها ولا يحيى ويمكن ان يجاب بان الحيوة الصاحبة للموت اوالتي هي اشد
من الموت حياة ايضا وبان حياة الاخرة يراد بها البقاء المستمر الدائم وهذا المعنى شامل لاهل النار ولاهل الجنة جميعا قالت
المعتزلة في هذا التمني دليل واضح على ان الاختيار كان في زمانه في الدنيا بيده ويحتمل ان يجاب بان استحالته متمناة قد يكون
من جهة ان الاختيار في الدنيا لم يكن اليه فيتحسر على ذلك يقال في القبس الكبير فيه دليل على ان قبول التوبة لا يجب عقلا

ومن ابن المقفع

ويرد عليه انه لا يلزم من عدم قبولها في دار الجزا عدم قبولها في دار التكليف كايمان الناس من الخلق وضعف بان يوم
القيمة لا يعذب احد سوا الله فلا يتصور العذاب الذي نا بربه ويجيب بان المراد لا ينجلي يوم القيمة عذاب الله احد للذلك الامر
يومئذ لله وحده ولا يعذب احد في الدنيا ولا يوثق مثل عذاب الله الكافر ومثل ايثاقه اياه في الشده والايلام وقال ابو علي الفارسي
تقديره لا يعذب احد من الزبانية احدا مثل عذاب هذا الانسان وهو امية بن خلف ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في كفره وفساده ومن قرا على بناء الفعل للمفعول فيهما فظاهر والضمير في عذابه ووثاقه للانسان
ويمكن ان يراد انه لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الواحدي وهذا اولى الاقوال
ثم ذكر بشارة الابرار وهو ان القول للمومن بدا ابه او على لسان ملك يا ايتها النفس المطمئنة اي بذكر الله وتحصيل الاخلاق
الفاضلة والعقائد الصحيحة التي تسكن النفس اليها ارجعي الى ربك الى حيث لا مالك سواه اذ الى ثوابه راضية بما حكم
عليك وقدر لك مرضية عند الله نظيره رضي الله عنهم ورضوا عنه وهذه صفة ارباب النفوس الكاملة وان كانوا
بعد في دار التكليف ولهذا رتب على هذه الصفة قوله وادخلي في عبادي اي في جملة الصالحين فادخلي جنتي
وهي من الدنيا مقام الرضا والتسليم اذا كانت قوله النفس متحليه بالكمالات الحقيقية والمعارف اليقينية في صورة العاملة
كانت اهلا لهذه البشارة عند الموت وعند البعث وفي كل المواطن الى دخول الجنة وقيل انما يقال له هذا عند البعث والعنى
فادخلي في اجساد عبادي ويؤيده قراة ابن مسعود في جسد عبدي قال نزلت في حمزة بن عبد المطلب او في خبيب بن عدي
الذي صلبه اهل مكه وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه
نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم ولو سلم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والله تعالى اعلم

سورة البلد مكية وهي عشرون اية حروفها مايتان و[ستة] وثلثون كلامها ثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيَحْسَبُ أَنْ
لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ

القراءة لبدا بالتشديد يزيد فك رقبة او اطعم على الفعلين نصب رقبة ابن كثير وابو عمرو وعلي الباقون على المصدرين ناصبوا الاول ونونوا الثاني اي هي الفك او الاطعام موصدة بالهمز ابو عمرو ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل **الوقوف** البلد البلد ولد كبد احد لبدا لا يبعد ان ما بعده صفة لبدا احد عينين وشفتين النجدين لا مع الفاء العقبة العقبة رقبة مسغبة مقربة متربة لان ثم لترتيب الاخبار بالمرحمة الميمنة المشامة موصدة **التفسير** انه سبحانه قرر في هذه السورة وفي الكثير مما يتلوها من السور مراتب النفوس الانسانية واحوالها في السعادة وضدها

تاكد ذلك بالاقسام بالبلد الحرام وهو مكة التي جعلها الله تعالى منشأ كل بركة ومحط نزوله وانت حل بهذا البلد اعتراض
بين القسمين كانه تعالى عظم مكة من جهة انه صلى الله عليه وسلم حل بها واقام بها وقيل الحل بمعنى الحلال كانه
سبحانه تعجب من اعتقاد اهل مكة كيف يوذون اشرف الخلق في موضع محرم عن شهر وقيل يحرمون ان يصطادوا بها صيدا وينفروا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وقال قتادة وانت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت كما جاء في
الحديث فلم تحل الا ساعة من نهار فان كانت السورة مكية او مدنية قبل الفتح فقوله حل بمعنى الاستقبال يعني انك ميت
وانهم ميتون وكثيرا ما يرد الافعال المستقبلة في القران في صيغ الماضي لتحقق الوقوع واذا كان حال الفتح او بعده فنظام
وعلى الاول يكون فيه اخبار بالغيب وتبشير له بفتح مكة كما وعد فيكون معجزا اما الوالد والولد فقيل ادم وذريته ذكر اسمهم
على الله ولقد كرمنا بني ادم وقيل كل والد ومولود وقد يخص الاقسام بالصالحين لان حرمة لهم وان ذلك كالانعام بل هم اضل والاكثرون
على ان الوالد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والولد محمد صلعم كانه اقسم ببلده ثم بوالده ثم به والتنكير للتعظيم واما لم يقل
ومن ولد للفائدة المذكورة في قوله والله اعلم بما وضعت اي بشيء وضعته وهو موصوف بعجيب الشان والكبد المشقة والتعب
كقوله انك كادح الى ربك كدحا بالكسر كبدا بالفتح فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ولا يخفى الشدائد الواردة على الانسان
من وقت اجتنانه في الرحم الى انفصاله ثم الى زمان رضاعه ثم الى بلوغه ثم ورود طوارق السرا وبوارق الضرا وعلائق
التكاليف وعوائق التمدن والتعيش عليه الى الموت ثم الى البعث من المسائلة وظلمة القبر ووحشته الى الاستقرار بالجنة او
النار من الحساب والعقاب والحيرة والحسرة والوقوف بين يدي الجبار اللهم سهل علينا هذه الشدائد بفضلك يا كريم
ووفقنا للعمل بما يستعقب الخلاص منها الى النعيم المقيم وقيل الكبد مرض القلب وفساد العقل والمراد به الذين علم الله
انهم لا يومنون وقيل الكبد هو الاستواء والاستقامة اي خلقناه منتصب القامة وقيل الكبد الشدة والغلظ ثم اشتق منه
اسم العضو لانه دم غليظ وقد يخص الانسان على هذا التفسير لشخص واحد من بني جمح يكنى ابا الاشد كان يجعل تحت
قدمه الاديم العكاظي ثم يجذب من تحت قدميه فيتمزق الاديم ولم تزل قدمه ويعضد
هذا التفسير قوله ايحسب يعني ذلك الانسان المتشدد ان لن يقدر عليه احد بسبب شدته وقوته وعلى الاول
معناه لن يقدر على بعثته ومجازاته او على تغيير احواله والظاهر يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا بعضه فوق بعض وهو
جمع لبدة بالضم ولبدا قاله الفراء وعن الزجاج انه مفرد يا لبنا للمبالغة والكثرة نحو حطم اذا كان كثير الحطم ومن قرا بالتشديد
فهو جمع لابد بن بد كثرة ما انفقه في الجاهلية يتمدح على ذلك بقوله ايحسب ان لم يره احد يعني انه تعالى كان عالما بتفصيله
حين ينفق رياء وافتخارا وبعثا للانتساب الى المكارم والمعالي ولعله يعاند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
اتظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه وفي اي شئ انفقه وقال الكلبي كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله
اتزعم ان الله ما راى ذلك منه ولو كان قد انفق لعلمه الله ثم دل على كمال قدرته مع اشارة الى الاستعداد الفطري بقوله
الم نجعل له عينين يبصر بهما المصنوعات ولسانا يعبر عما في ضميره وشفتين يستعين بهما على الافصاح بالنطق وهديناه
النجدين سبيلي الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا هذا قول عامة المفسرين والنجد في اللغة المكان
المرتفع جعل الدلائل لارتفاع شانها وعلو مكانها كالطرق المرتفعة العالية التي لا تخفى على ذوي الابصار وقال الحسن
يقول اهلكت مالا لبدا فمن الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على ان خلق لك الاعضاء قادر على محاسبتك وعن ابن
عباس وسعيد بن المسيب هما الثديان لانهما كالطريقين لحيوة الولد ورزقه هدى الله الطفل الصغير حتى لم تضعها قال
القفال والتفسير هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على ان خلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قوالا
فهو على اهلاك ما خلق اقدر فما الحجة في الكفر بالله مع تظاهر نعمه وما العلة في التعزز على الله واوليائه بالمال وانفاقه
وهو المعطي والمكره عن الانتفاع به ثم عرف عباده وجوه الانفاق الفاضلة تعريضا بان ذلك الكافر لم يكن انفاقه في
وجه مرضي وعلى وجه معتد به الاكتساب بالطاعات على الايمان الذي هو اصل الخيرات والاقتحام الدخول بشدة ولهذا يستعمل
في الاخطار والاهوال والعقبة في الجبل نعت عن ابن عمر هي جبل زلال في جهنم وعن مجاهد والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهو
معنى قول الكلبي عقبة بين الجنة والنار وزيف الواحدي وغيره هاتين الروايتين بانه من المعلوم ان هذه الاشياء
وغيرهم لم تحو العقبة بهذا المعنى ان تفسير الله سبحانه العقبة عقبية بانواعه عن الحسن عقبة والله شديد فجاهدوا

الانسان نفسه بعوادة وعدوه الشيطان قال المحيي بن فلا يوجد لا الداخلة على الماضي الا مكررة كقوله فلا صدق ولا صلى ويقول
الحبيبي ولا دم بنى والقرآن افصح الكلام فهو اولى برعاية هذه القاعدة والجواب ان القرآن محمة كانه قيل وسلم فهي متكررة
في المعنى قال الزجاج الترمذي انه ذكر العقبة بفك الرقبة والاطعام فكانه قيل فلا فك ولا اطعم مسكينا ولا اسباب في قرانك
واطعم على الابدال انتهى وجعل ما بينهما اعتراضا وجوز ان يراد فلا اقتحم ولا امن بدليل قوله ثم كان من الذين امنوا
ومن قرأ فك او اطعام على المصدر فالفاعل محذوف وهو من خواص المصدر لا يجوز حذف الفاعل عنده والتقدير فك رقبة
واطعام مطعم يتيما والمسغبة مصدر على مفعلة ومن سغب اذا جاع وكذا المقربة من قرب في النسب والمتربة في ترب اذا افتقر
والتصق بالتراب فليس فوقه ما يستره ولا يجنه ما ووطئه من النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي ماواه المزابك ووصف اليوم
بذي مسغبة مجازا باعتبار صاحبه نحو نهاره صايم وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال اعتق النسمة وفك الرقبة فقال او ليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها
وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم وقد استدل ابو حنيفة من تقديم على انه افضل من الصدقة وعند بعضهم بالعكس
لان في الصدقة تخليص النفس من الاشراف على الهلاك فان قوام البدن بالغذاء وفي الفك تخليصها من البندق او العذاب
وايضا فلعل الامر في الاول اصعب ولان اطعام اليتيم القريب افضل من اليتيم الاجنبي وقد يستدل الشافعي بان المسكين
احسن حالا من الفقير وانه قد يكون بحيث يملك شيئا والا وقع قوله ذا متربة تكرارا وقال اهل التاويل فك الرقبة ان يعين
المرء نفسه على اقامة الوظايف الشرعية ليتخلص بها عن النار وعندي من ان يفك رقبته على تعلق الكونين ليلزم عنه
زوال ملكه الحرص المنتج لمواتاة النفس على الاطعام والايثار وفي قوله ثم كان وجوه اصحها ان هذا التراخي في الذكر
لا في الوجود بان الايمان متقدم على جميع الخصال المعتد بها شرعا فهو كقوله شعر ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل
ذلك جده اي ثم تذكر انه ساد ابوه وثانيها التاويل العاقبة ثم كان في عاقبة امره ممن يموت على الايمان وثالثها ان الاية
نزلت في ابي … الخصال قبل ايمانه بمحمد صلعم ثم امن به بعد مبعثه فعند بعضهم يثاب على تلك الطاعات بدليل
ما روي ان حكيم بن حزام بعدما اسلم قال لرسول الله صلعم انا كنا ناتي باعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شيء فقال صلعم اسلمت
على ما قدمت من الخير ورابعها وهو اولى الوجوه عند اصحاب المعاني ان المراد تراخي الرتبة والفضيلة لان ثواب الايمان
اكثر من ثواب العتق والصدقة وقد توجه البيت المذكور على هذا بان المراد ثم ساد ابوه مع ذلك وثم ساد جده ما ذكر ولا شك
ان مجموع الامرين او الامور اشرف من ان ساد هو بنفسه فقط وحين ذكر خصال الكمال عقبه بما يدل على التكميل قال
وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على التكاليف الشرعية وعلى البلايا والمحن التي قلما يخلو المؤمن عنها وتواصوا
بالمرحمة اي التعاطف والتراحم كما قال نبينا صلعم لا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا اخوانا متعاضدين وفي الاية
نكتة لطيفة وهي انه سبحانه ذكر في باب الكمال امرين فك الرقبة والاطعام ثم الايمان وذكر في باب التكميل شيئين التواصي
بالصبر على الوظايف الدينية والتواصي بالتراحم وكل من النوعين مشتمل على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله الا انه
في الاول قدم جانب الخلق وفي الثاني قدم جانب الحق ففي الاول اشارة الى كمال رحمته ونهاية عنايته بالمخلوق ان كان
وغاية مصالحهم عنده هم وفي الاخرة … الى حسن الادب وتعليم المكلفين ان يعرفوا ان امام الاقدم الاهم في نفس الامر
الله اطلاعا على دقائق هذا الكتاب الكريم فلما اصحاب الميمنة اصحاب المشأمة وقد مر في اول الواقعة تفسيرها قال اهل اللغة
اوصدت الباب واصدته اي اطبقته واغلقته قال مقاتل فلا يخرج احد منها ولا يدخل فيها روح … والايصاد بالحقيقة صفة
ابواب النار اي مطبقة ابوابها فهو من الاسناد المجازي وقيل اراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب نعوذ بالله منها ٥

سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة اية حروفها مايتان وستة وايعوت كلامها اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ

وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ
فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

القراءة تليها وطحيها مثل دحيها في النازعات فلا يخاف بالفاء
وضم الباء ابو جعفر ونافع وابن كثير **الوقوف** ضحيها تليها جليها يغشيها بنيها طحيها سويها تقويها على ان قد افلح
جواب القسم واللام محذوف اي لقد افلح ومن قال ان جواب القسم محذوف قبل قد افلح وهو ليعذبن او ليدمدمن بدلالة فدمدم عود
فله ان يقف زكيها دسيها بطغويها لان الظرف يتعلق بتكذيب ابا الطغوى اشقيها فسويها عقبيها **التفسير** قال النحويون ان في
ناصب اذا في قوله اذا تليها وما بعده اشكالا لان ما سوى الواو الاولى ان كن للقسم لزم اجتماع اقسام كثيرة على مقسم
به واحد وهو مستكره عند الخليل وسيبويه لان استيناف قسم اخر دليل على ان القسم الاول قد استوفى حقه من الجواب
فيلزم التعليق وان كن عاطفة لزم العطف على عاملين بحرف واحد وذلك ان حرف العطف نائب عن واو القسم المقتضي للجر
وعن الفعل الذي يقتضي انتصاب الظرف والجواب انا نختار الثاني ولزوم العطف على عاملين ممنوع لان حرف العطف نائب
عن واو القسم النائب عن الفعل المتعدي بالباء فكما ان واو القسم تعمل الجر في المقسم والنصب في الظرف اذا قلت مثلا اذا
والليل اذا يغشى لقيامه مقام قولك اقسم بالليل اذا يغشى فكذا حرف العطف النائب مناب نظيره في قولك ضرب زيد عمرا وبكر
خالدا ارتفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب قال بعض المتكلمين المعاني في هذه الاقسام محذوف تقديره ورب الشمس
الى اخرها ويبطله لزوم التكرار في قوله وما بناها وما بعده واجيب بان ما في بناها وما بعده مصدرية واعترض عليه في الكشاف
بانه يلزم من عطف قوله فالهمها على قوله وما سويها فساد النظم فالوجه ان يكون ما موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى
الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الذي سويها على ان فيها وصفا مستعملا في من كقولهم
سبحان من سخركن لنا اما الذين لم يقدروا المضاف فاورد عليهم انه يلزم تاخير القسم برب السماء وما بناها عن القسم
بالسماء والجواب ان الله عز وجل اراد ان يتدرج من المحسوسات الى المعقولات ومن المصنوعات الى الصانع ولا يخفى ان
اعظم المحسوسات واظهرها هو الشمس فذكرها سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة على عظمتها فاول الاوصاف الضوء الحاصل
منها عند ارتفاع النهار وثانيها تلو القمر لها عامة في منتصف الشهر او تلوه لها في اخذ الضوء عنها او في غروبه ليلة الهلال
بعدها قاله قتادة والكلبي متعلق بكون الجرم بحسب الحس وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته والثالث والرابع بروزها
بجلي النهار واختفاؤها بغشي الليل ثم ذكر ذاته المقدسة وعقبه بانواع تدابيره في السماء والارض وفي البسائط وما يتركب
منها واشرفها النفس ولنشتغل بتفسير بعض الالفاظ قال الليث الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالمد اذا
امتد النهار وقرب ان ينتصف وتلاها تبعها باحد المعاني المذكورة والتجلية والكشف والعيان والضمير في جليها للشمس في الظاهر
على ما قال الزجاج وغيره لان النهار كلما كان اصفى كانت الشمس اجلى ظهورا فانه قوة الاثر وكماله يدل على قوة المؤثر فكان
فكان النهار يبين الشمس ويظهرها وذهب جم غفير الى ان الضمير يعود الى الظلمة او الدنيا او الارض بدلالة قرائن الاحوال
وسياق الكلام ولعل الوجه الاول اولى لان عود الضمير الى المذكور اقرب منه الى المقدر ولانه يلزم تفريق الضماير
فان الضمير في يغشاها للشمس بالاتفاق وكذا في ضحيها وتليها لان غشيان الليل الشمس مجاز عن ذهاب الضوء
وحصول الظلمة بسبب غيبة الشمس في الافق وكذا تجلية النهار اياها يجب ان يكون اشارة الى كمال الضوء وظهور الحس
بواسطة ظهور الشمس فوق الافق والحاصل ان الذهن كما ينتقل من عدم الاثر الى عدم المؤثر فجعل كان لعدم الاثر تاثيرا
في عدم المؤثر فكذلك ينتقل وجود الاثر علة للعلم بوجود المؤثر وهذا معنى كون النهار مجليا للشمس والطحو مثل الدحو وقد
مر في النازعات اي بسطها على الماء وتنكير النفس اما للتنويع اي نفسا خاصة من بين النفوس وهي النفس
القدسية النبوية التي تصلح لرياسة ما سواها من النفوس واما للتكثير على الوجه المذكور في قوله علمت نفس ما احضرت

ونسويها اعطاء قواها بحسب حاجتها الى تدبير البدن وهي الحواس الظاهرة والباطنة والقوى الطبيعية المخدومة
والخادمة وعرفها ان لها ما لها من خيرها وشرها فالهمها فجورها وتقواها قالت المعتزلة هو كقوله وهديناه النجدين اي علمناه وعرفناه سلوك طريق الخير
والشر وبعضده ما بعده قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها والتدسية ضد التزكية واصل دسي دسس قلبت احدى
حروف التضعيف ياء كما في تقضي وتظنى والتدسيس مبالغة الدس وهو الاخفاء في التراب قال عز من قائل ام يدسه في التراب
والضمير في زكيها ودسيها لمن وقال اهل السنة الضمير لله تعالى يعني عباده عن النفس والمعنى قد سعدت نفس زكيها
الله تعالى وخلقها طاهرة وخابت نفس دسيها الله وخلقها كافرة فاجرة وقد يرجح هذا الوجه عن سعيد بن جبير وعطاء
وعكرمة ومقاتل والكلبي قال اصل الالهام من قولهم لهم الشيء والتهمه اذا ابتلعه والهمته اياه اي ابلغته ذلك فالالهام الابلاغ
اي وضع الايمان في قلب المؤمن والكفر في قلب الكافر ثم عظم بقصة ثمود لتقربهم من ديارهم ولعل التاويل ان يقول الحق
هذه القصة لا ينافيه الله هي البدن وعبر بصالح عن الروح فلما كانت قصة ثمود مناسبة لاحوال النفس الانسانية كما مر
في التاويلات وكانت هذه السورة مسوقة لبيان مراتب النفس في السعادة والشقاوة ختمت القصة بالذكر لذلك وعلى
هذا التاويل قد يراد بالشمس تجلي النفس الناطقة على البدن بالتدبير الكامل وبالقمر الروح الحيواني وشمس المعرفة وقمر
المكاشفة ونهار العمر وليل الحيوة سماء الروح وارض القلب كما مر مرارا والطغوى اسم من الطغيان كالتقوى من الوقاية
قلبت ياءه واوا فرقا بين ما هي اسم وبين ما هي صفة في قولهم امرأة خزيا وصديا والباء للآلة اي فعلت التكذيب
بواسطة طغيانها وقيل المضاف محذوف والجميع صفة العذاب والباء للالصاق اي كذبت ثمود بما اوعدت من العذاب
ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية والاول اصح لئلا يكون قوله فكذبوه تكرارا ومعنى انبعث تحركت داعيته
وقوي عزمه على العقر واشقاها عاقر الناقة قدار بن سالف او هو ومن ساعده على ذلك فان افعل التفضيل يجوز ان لا
يفرق فيه بين الواحد والجمع وعلى هذا يجوز ان يكون الضمير في لهم عائدا الى الجماعة الاشقيا وعلى الاول يكون عائدا
الى قوم صالح وناقة الله نصب على التحذير اي احذروا عقرها وسقياها فلا يتعدوا فيها فان لها شربا ولكم شرب يوم
فكذبوه فيما اوعدهم به من نزول العذاب اي فعلوا فعقروا الناقة فندم اي فاطبق عليهم العذاب قال الدمدمة حكاية صوت
في لهم ناقة مدمومة اذا البست الشحم والباء في بذنبهم للسببية فسويها الدمدمة بينهم بحيث لم يهرب منها احد ولا يخاف
عاقبتها كما يخاف الملوك عاقبة ما يفعلونه فيحجزه ذلك عن استيفاء العقوبة وفي نسخة والضمير لثمود اي فسويها بالارض او في الهلاك ولا يخاف تبعة هلاكهم

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية وحروفها ثلثمائة وعشرة وكلمها احدى وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝

القراءة نارا تلظى بتشديد التاء للادغام البزي وابن فليح **الوقوف** يغشى تجلى والانثى لشتى واتقى بالحسنى

لليسرى واستغنى بالحسنى للعسرى تردى للهدى للعطف مع رعاية جانب ان الوصل اجوز لتمام الكلام والاولى تلظى
لان ما بعده صفة او استيناف الاشقى وتولى الاتقى يتزكى لان ما بعده استيناف او حال تجزى الاعلى لان الضلال المجلس يرضى
التفسير هذه السورة باتفاق كثير من المفسرين نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي سفيان بن حرب او امية بن خلف الا ان المعنى
على العموم لقوله تعالى ان سعيكم لشتى فانه يعمكم ومفعول يغشى محذوف وهو اما الشمس كقوله والليل اذا يغشيها او الظلمة
او كل شيء يجن بواريه بالظلام اقسم سبحانه بالليل والنهار اللذين بمعاقبتهما يتم امر المعاش والراحة مع انهما آيتان في انفسهما
ومعنى تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس ثم بذاته الذي خلق كل شيء ذي روح لان ذا الروح اما ذكر او انثى والخنثى
المشكل يتعين في علم الله وان كان مبهما في علمنا ولهذا قال الفقهاء لو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا
حنث وقيل هما آدم وحوا وشتى جمع شتيت وهو المتفرق المختلف ثم بين اختلاف الاعمال في ذاتها وفيما يرجع اليها في العاقبة
من الثواب والعقاب او التوفيق والخذلان عن علي رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلعم في جنازة فقعد رسول الله
وقعدنا حوله فقال ما منكم نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة او النار فقلنا يا رسول الله افلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له ثم قرأ فاما من اعطى يعني حقوق ماله واتقى المحارم وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او كلمة الشهادة او بالملة
الحسنى او بالمثوبة فسنيسره فسنهيئه للطريقة اليسرى من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومعنى استغنى انه
رغب عما عند الله كانه مستغن واستغنى بالذات العاجلة عن الآجلة والتحقيق فيه ان الاعمال الفاضلة اذا واظب المكلف
عليها حصلت في نفسه ملكة قوية يسهل بها عليه سلوك سبيل الخيرات ويصير الطاعة طبعا والطبع يأخذ والتكلف
عادة ولا تحصل الملكة الا بالتدريج فلا جرم ادخل الفاء في فسنيسره ومن فسر اليسرى بالجنة فمعنى الاستقبال عنده
واضح والرذائل بالضد حتى يصير النفس من الكسل بحيث لا تواتي صاحبها الا في مواجب الكسل يجذب الرحمان العاجلة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى ويقرب مما ذكرنا قول القفال رحمه الله كل ما ادت
عاقبته الى يسر وراحة وامور محموده فان ذلك من اليسرى وذلك وصف كل الطاعات وكلما ادت عاقبته الى عسر
وتعب فهو من العسرى وذلك وصف كل الطاعات وكلما ادت عاقبته الى عسر وتعب فهو من العسرى وذلك وصف
كل المعاصي وجملة اليسرى الجنة يسرنا الله نعيمها ومن جملة العسرى النار اعاذنا الله منها استدل بعض الاشاعرة
بقوله فسنيسره للعسرى على انه تعالى قد يخلق القبائح في المكلف ويقوي دواعيه على فعلها والمعتزلة عبروا عن
النفس بالخذلان لانه وعن الاول بمنح الالطاف والتوفيق ثم وقع هذا الكافر بقوله وما يغني عنه ماله وهو استفهام
في معنى الانكار او نفي اي لا ينفعه ماله الذي بخل به اذا تردى اي مات في الردى وهو الهلاك ويجوز ان يكون من قولهم
تردى من الجبل اي تردى في الحفرة اذا قبر او في جهنم استدل المعتزلة بقوله ان علينا للهدى على انه تعالى ازاح الاعذار
ما كلف المكلف الا في وسعه وطاقته وعلى انه يجب على الله الهداية وعلى ان العبد لو لم يكن مستقلا بالايجاد
لكان في وضع الدلائل فائدة واجوبة اهل السنة عن المسائل معلومة ونقل الواحدي عن الفراء انه قال فهو
ان المراد ان علينا الهدى والاضلال فاقتصر كقوله سرابيل تقيكم الحر والبرد ذلك بما روى عن ابن عباس في رواية
عطا ان معنى الاية ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي ثم بين بقوله وان لنا للآخرة
والاولى انه لله ما في الدنيا والآخرة فلا يضره عصيان العاصين ولا ينفعه طاعة المطيعين وانما يعود ضررا ونفع
اليهم ويمكن ان يراد ان سعادة الدارين تتعلق بمشيئته وارادته فيعطي الهداية من يشاء ويمنعها من يشاء والاول
اوفق للمعتزلة والثاني للاشاعرة ثم ذكر نتيجة المواعظ المذكورة فقال فانذرتكم يعني اذا عرفتم هذه الغايات الوهبية
والقربات الثانية فقد صح اني انذرتكم ويجوز ان يراد المعنى تحقيق الوقوع والتعين على الاستقبال اي اذا تقررت
مراتب النفوس الانسانية وعرفتم درجاتها ودركاتها فاني انذرتكم نارا تلظى تلتهب وتتوقد واصله تتلظى حذف
احدى التائين ثم ان كان المراد بالاشقى هو سفيان او امية وبالاتقى هو ابو بكر رضي الله عنه فلا اشكال ويتناول الاية
غيرهما من الاشقياء والاتقياء بالتبعية اذ لا عبرة بخصوص السبب اذا كان المراد عاما فان اريد بهم الشقي والتقي فلا اشكال
ايضا ان اريد حقيقة افعل التفضيل فاما ان يراد نار مخصوصة بدلالة التنكير واما ان يراد بالاشقى الكافر على الاطلاق
لانه اشقى من الفاسق واما الكلام في الاتقى فبقوله انه لا يلزم من تخصيصه بالذكر نفي ما عداه وقال صلب

الكشاف هذا الكلام وارد على سبيل المبالغة فجعل الاشقى مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وجعل الاتقى مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقوله يتزكى يطلب ان يكون عند الله زاكيا او هو من الزكوة لا محل له لانه بدل من يؤتي او الصلة لا محل لها لانها كبعض الكلمة او هو منصوب المحل على الحال قال المفسرون انه لما كان يعذب في الله وهو يقول احد احد فسمع بذلك ابو بكر رضي الله عنه فحمل رطلا من الذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر رضي الله عنه الا ليد كانت لبلال عنده فنزل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وقال اكثر النحويين هذا الاستثناء منقطع لان الابتغاء ليس من جنس النعمة وقال الفراء هو مفعول له على المعنى لا ينفق ماله الا ابتغاء رضوان الله لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى على الوعد من الله عنه فيكون راضيا مرضيا واعلم ان الشيعة زعموا ان السورة نزلت في علي كرم الله وجهه لقوله تزكي وقال اهل السنة انها لا تدل على افضلية ابي بكر رضي الله عنه لانه قال في وصف علي ويسال اهل البيت موضع اخر ويؤتون الزكوة وهم راكعون وقال ويطعمون الطعام الى قوله ولا نخاف وذكر في صفة ابي بكر انه لا يبتغي الا وجه الله من غير شائبة رغبة او رهبة وهذا المقام اعلى واجل وعندي ان مثل هذه الدلايل لا تصلح لترجيح اهل البيت بعضهم على بعض وان نزول السورة في الشخص المعين لا يبنى على الرواية ولا سبيل للاستدلال اليه والله اعلم

سورة والضحى مكية وهي احدى عشر اية وحروفها مائة واثنان وسبعون وكلماتها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

القراءة سجا مثل ضحيها في النازعات **الوقوف** والضحى سجا قلى الاولى ترضى فاوى فهدى فاغنى فلا تقهر فلا تنهر فحدث

التفسير الاكثرون على ان المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر سلطانها وقيل هو النهار كله لانه قابل بالليل في القسم وهو ضعيف لان معنى سجى سكن واستقر ظلامه او سكن الناس فيه فيكون الاسناد مجازيا يقال سجا البحر اذا سكنت امواجه وطرف ساج اي ساكن فاتر ولا ريب ان سجو الليل وقت استيلاء الظلام منه لا كله فهو بمنزلة الضحى من النهار وهاهنا لطائف الاولى تقدم ذكر الليل في السورة المتقدمة وعكس هاهنا ليفيد كل منهما بفضيلة مخصوصة فالليل للراحة والنهار لانتظام امر المعاش فتقدم هذا عن ذاك تارة وبالعكس اخرى لئلا يخلو شيء من النوعين من فضيلة التقدم وايضا تلك سورة ابي بكر وقد سبقه كفر يشبه الليل في الظلمة وهذه سورة محمد ولم يسبقه كفر طرفة عين ولا اقل من ذلك فبدا بالنهار الذي هو مشابه للايمان فان ذكرت الليل اولا وهو ابو بكر رضي الله عنه صعدت فوجدت بعده النهار وهو محمد وان ذكرت الضحى اولا وهو محمد ثم نزلت وجدت بعده الليل وهو ابو بكر من غير واسطة بينهما كما يقع في بعض الامور وكانت من نعمة الهادي الثانية ما الحكمة في تخصيص القسم في اول هذه السورة بالضحى والليل الجواب لان ساعات النهار كلما تنتقص فان ساعات الليل تزداد وبالعكس فلا تلك الزيادة لهوى ولا ذاك النقصان لقلى بل للحكمة فكذا الرسالة وانزال الوحي بحسب المصالح فترة انزاله ومرة حبسه لا عن الهوى ولا على القلى واما السبب في الاقسام نفسه فلان الكفار لما ادعوا انه ربه ودعه وقلاه وقد ثبت ان البينة على المدعي واليمين على المنكر قال لهم هاتوا الحجة فلزمه اليمين بانه ما ودعه وما قلاه وفيه ان الليل والنهار لا يسلمان من الزيادة والنقصان فكيف الطمع انسان على وفيه ان الليل زمان الاستيحاش والنهار وقت الاجتماع والمعاش فكانه قبل الاستبشار فان بعد الاستيحاش بسبب انقطاع الوحي يظهر ضحى نزول الوحي وفيه ان الضحى لما كان وقت وعد موسى لمعارضة السحرة كما قال موعدكم يوم الزينة

وان يحشر الناس ضحى شرفه الله بان اقسم فيعلم منه ان فضيلة الانسان لا تضيع ثمرتها وفيه بشارة للنبي صلعم ان الذي قلب قلوب السحرة حتى سجدوا لقلب قلوب اعدائك حتى يسلموا وفيه ان الضحى وهو ساعة من النهار يوازي جميع الليل كما ان محمدا وامته يوازي جميع الانبياء والامم وفيه ان النهار وقت السرور والاجتماع والليل وقت الغموم والوحشة ففي الاقتصار على ذكر الضحى اشارة الى ان هموم الدنيا ادوم من سرورها يروى ان الله تعالى حين خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء فنادت ماذا امطر فاجيبت امطري ساعة فلهذا السبب ترى الهموم دائمة والافراح نادرة وفي تقديم الضحى على الليل اشارة الى ان الحبيب اولى للمؤمن من الموت الى ان يحصل كماله الممكنة له وايضا انه ذكر الضحى حتى لا يحصل اليأس من رحمته ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل الامن من مكره الثالثة لا استبعاد فيما يذكره الوعاظ من تشبيه وجه محمد بالضحى وشعره بالليل ومنهم من قال الضحى ذكور اهل بيته والليل اناثهم والضحى رسالته والليل زمان احتباس الوحي كما مر ويحتمل ان يقال الضحى نور علمه الذي به يعرف المستور من الغيب والليل عفوه الذي به يستر جميع العيوب والضحى ان حال الاسلام بعد ان كان غريبا والليل اشارة الى انه سيعود غريبا والضحى كمال العقل والليل وقت السكون في القبر او اراد اقسم بعلانيتك التي لا يرى عليها الخلق عيبا وبسرك الذي لا يعلم عليه عالم الغيب عيبا قال المفسرون ابطا جبرائيل عن النبي صلعم اثنى عشر يوما عن ابن جريج او خمسة عشر عن الكلبي او خمسة وعشرين يوما عن ابن عباس او اربعين عن السدي ومقاتل والسبب فيه ان اليهود سألوا عن ثلث كما مر في الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله او لان جروا للحسن والحسين كان في بيته او لانه كان فيهم من لا يقلم الاظفار فزعم المشركون ان ربه ودعه وقلاه ويروى ان ام جميل امرأة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت السورة والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك فقد بالغ في تركك والقلى البغض وحذف المفعول من قلاك واوى وهدى لك واغناك للفاصلة مع دلالة قرينة الحال والمقال والذي يقال ان النبي صلعم شكا الى خديجة ان ربي ودعني وقلاني وان صح فمحمول على انه اراد امتحان خديجة ليعلم بعد عذرها في المعرفة والعلم كما يروى انها قالت والذي بعثك بالحق ما ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد ان يتمها لك ثم زاده تشريفا بقوله وللاخرة خير لك من الاولى يعني ان هذا التشريف وهو اعلام ان ما قاله الحساد فيما بينهم من التوديع والقلى ليس بحق وان كان تشريفا عظيما الا ان الذي اعد لك في الاخرة اشرف واسنى وعلى تقدير انقطاع الوحي بالحقيقة فذلك العزل عن النبوة فانه عن جانب ولكنه يدل على قرب الوفاة المستعقبة للقرب من ابيه فلا يكون كما ظنه الاعداء ويحتمل ان يراد وللاحوال الاتية خير لك من الماضية فيكون غدا اتمام نوره واعلاؤه وفي تخصيص الخطاب اشارة الى ان في امته من كانت الاخرة شرا له الا ان يمن الله عليهم وتطبيقه قول موسى ان معي ربي سيهدين لانه كان في قومه من لم يكن كذلك فيهم المنصب وحين لم يكن في الغار الا نبي وصديق قال نبينا صلعم لا تحزن ان الله معنا يروى ان موسى خرج للاستسقاء ومعه الوف ثلاثة ايام فلم يجدوا الاجابة فسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك فقال لان في قومك نماما فقال موسى من هو فقال تعالى اني ابغضه فكيف اعمل عمله فما مضت من ساعة حتى نزل الوحي بان ذلك النمام قد مات وهذه جنازته في الموضع الفلاني فذهب موسى الى ذلك الموضع فاذا فيها سبعون من الجنائز فهذا ستره على اعدائه فكيف على اوليائه وفيها لطيفة وهي انه تعالى رد الوفا من المطيعين لمذنب واحد وهبهنا يرحم الوفا من المذنبين لمطيع واحد دليله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فلعله يتق ان الاخرة خير له وهي رتبة الشفاعة يروى عن علي رضي الله عنه انه قال اذن ولا ارضى واحد من امتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه رضى جدي ان لا يدخل النار موحد وقال ابن عباس هو الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك الاذفر وفيها ما يليق بها واللام في ولسوف خالصة للتاكيد دون الحال كانه قيل الموعود كائن لا محالة وان تاخر زمانه بحسب المصلحة وقال في الكشاف تقديره ولانت سوف يعطيك لان اللام لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد وفيه نظر ثم عدد بعض نعمه التي انعم بها عليه قبل الرسالة فكانه قال لما تركناك وما قليناك قبل ان اخترناك واصطفناك اتظن انا بعد الرسالة نتركك مخذولا قال اهل الاخبار ان عبد الله بن عبد المطلب توفي وام رسول الله صلعم حامل به ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع امه

امنه فهلكت امه وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم هلك جده بعد سنتين فتكفل ابو طالب رسول الله الى ان بعثه
الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك قوله فآوى اي جعل لك من يأوي اليك وهو
ابو طالب وفي تفسير الضلال قولان الاول انه الضلال عن الدين قال السدي والكلبي كان على دين قومه اربعين سنة والثاني
وعليه الجمهور انه ما كفر بالله طرفة عين والمراد الضلال عن معالم الشريعة الحنيفية كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فاتى ابو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لا ندري ماذا نرى من ابنك
فقال عبد المطلب ولم قال لاني انخت الناقة فاركبته خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة فكانت الناقة
تقول يا احمق هو الامام فكيف يكون خلف المقتدي قال ابن عباس رده الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين رباه على يد
عدوه وقيل اضلته حليمة عند باب مكة فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب حتى دخلت هبل وشكت اليه فتساقطت
الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبي وروي مرفوعا انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضائع كاد
الجوع يقتلني فهداني الله يعني حديث ابي جهل المنكر وقيل ضالا اي مغمورا بين الكفار من ضل الماء في اللبن وقيل جاء
في الاسناد والمعنى وجد قومك ضالا فهداهم بك وقيل كنت منفردا عن اختلاط اهل الضلال فهداك الى الاختلاط بهم والى
دعوتهم وقيل ضالا عن الهجرة والقبلة وعن معرفة جبرائيل اول امره او عن امور الدنيا او عن طريق السموات فهداك ليلة المعراج
وقيل الضلال المحبة الكبري فضلالك القديم فهداك الحوجه الوصول الى المحبوب وهو المراد بالسلوك روي عن علي رضه انه قال ما
هممت بما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي
باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان فلما اتيت اول دار من دور مكة سمعت الدفوف والمزامير
فقالوا فلان بن فلان تزوج بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى
مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس فما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله برسالته والعائل في الاصل
كثير العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال لان الفقر من لوازم العول اغناه الله بتربية ابي طالب اولا ولما اختلفت احوال
ابي طالب اغناه الله بمال خديجة روي انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له ما لك فقال الزمان
زمان قحط فان انا بذلت المال انفد مالك فاستحيي منك وان انا لم ابذل اخاف الله فدعت قريشا وفيهم الصديق قال الصديق
فاخرجت دنانير حتى بلغت مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامي ثم قالت اشهدوا ان هذا المال ماله ان شاء فرقه
وان شاء امسكه واما في زمان الرسالة فاغناه بمال ابي بكر ثم امره بالهجرة واغناه بمعاونة الانصار ثم بسبب من اتبعك من
المومنين ثم اغناه بما افاء عليه من الغنايم قال صلعم جعلت ظلي رزقي وبعض هذه الامور وان كان بعد نزول السورة الا انه
معلوم الوقوع فيكون من قبيل الاخبار بالغيب وقد وقع فيكون معجزا وقيل الغنا هو القناعة وعن الفلس كان صلعم يستعيذ
عنه الحجر والذهب قال اهل التحقيق الحكمة في يتم النبي صلعم ان يعرف قدر الايتام فيقوم بامرهم وان يكون اليتيم مشاركا
له في الاسم كما قال صلعم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه واوسعوا له في المجلس وفيه انه لا نعمة لاحد عليه الا الله تعالى
الله فيحصل له فضيلة التوكل كما قال جده ابراهيم صلوات الرحمن عليه حسبي من سؤالي علمه بحالي وفيه ان اليتيم ينقصه
ومذله فاذا صار اكرم الخلق كان من جنس المعجزات يروى انه صلعم قال سالت ربي مسألة لوددت اني لم اسألها قلت
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال واعطيت سليمان كذا وكذا فقال الم اجدك يتيما
فآويتك الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى فقال الم نشرح لك صدرك الى اخره قلت بلى اقول ان صح اسناد هذا الحديث وجب
حمله على الشكاية مع الله والى الله لا عن الله فان الاول قد يتفق للعارفين في مقام الانبساط او القبض دون
الثالث وحين ذكره الله تعالى نعمه لا تنسى نعمته اوصاه بان يعامل مع الخلق مثل معاملة الله معه فقال فاما اليتيم فلا
تقهر اي فلا تغلبه على ماله وحقه لضعف حاله وانتصب اليتيم بالفعل بعده والفاء ليلائم ما بعدها لما قبلها وقرئ فلا
تكهر اي لا تعبس في وجهه يروى انها نزلت حين صاح النبي صلعم على يتيم واذا كان هذا العتاب لمجرد الصياح او العبوس
فكيف اذا اذاه او اكل ماله عن انس مرفوعا اذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن فيقول الله من ابكى هذا اليتيم الذي وارت
والده في التراب من اسكته فله الجنة وروي انه صلعم كان جالسا فجاءه عثمان بعذق من تمر ووضعه بين يديه فاراد ان
ياكل فوقف سايل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فامر بدفعه الى السايل فكره عثمان ذلك واراد ان ياكله النبي فخرج واشتراه

من السايل ثم رجع السايل ففعل ذلك ثلث مرات الى ان قال النبي صلعم اسايل انت ام بايع فنزلت واما السايل فلا تنهر
اي فلا تزجره عن النبي صلعم اذا رددت السايل ثلثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره قال العلما اما انه ليس بالسايل المستجدي
ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره ثم امره بان يحدث الناس بما انعم الله به عليه من الايواء والهداية والاغناء وغيرها فاعلم انه تع
نهاه عن شيئين وامره بواحد فنهاه عن قهر اليتيم جزاء لما انعم به عليه في قوله الم يجدك يتيما فآوى ونهاه عن السايل في مقابلة
قوله ووجدك عائلا فاغنى وامره بتحديث النعمة ربه وهو في مقابلة قوله ووجدك ضالا فهدى قال الانسب ان يكون المراد التبليغ
واداء الرسالة وتكميل الناقصين بالدعاء الى الدين كما قال مجاهد ولقد روعي في الترتيب نكتة لطيفة فقدم في معرض المنة
النعمة الدينية وهي الهداية على النعمة الدنيوية وهي الاغناء واما في معرض الارشاد فقدم الاشفاق على الخلق واخر
التحديث لكونه ادخل في الاستمالة واجلب للدواعي فانه ما لم ينتظم امر المعاش لم يفرغ الخواطر لقبول التكاليف والتزام اعبائها وقد
قال المحققون التحديث بنعم الله تعالى جائز مطلقا بل مندوب اليه اذا كان الغرض ان يقتدي به غيره او ان يستوجب شكره
بلسانه واذا لم يامن على نفسه الفتنة والاعجاب فالستر افضل قالوا وانما اخر التحديث تقديما لحظ الخلق على حظه لانه غني
وهم المحتاجون ولهذا ارضى نفسه بالقول فقط ولان الاستغراق في بحر الشكر ومعرفة المنعم غاية الغايات وخاتمة الطاعات
نسالها وروي عن البزي انه قال قرأت على عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين
فلما بلغت والضحى قال لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فاني قرأت على عبد الله بن كثير فامرني بذلك واخبرني ابن كثير انه قرأ على
مجاهد فامره بذلك واخبره مجاهد انه قرأ على عبد الله بن عباس تسع عشرة ختمة فامره بذلك كلها واخبره ابن عباس انه
قرأ على ابي بن كعب فامره بذلك ويحكى عن الشافعي انه رأى التكبير سنة من خاتمة والضحى الى اخر القرآن وهكذا روي
عن قنبل والسبب انه حين انقطع الوحي على ما سبق ذكره ونزلت السورة قال رسول الله صلعم كبر تصديقا لما اتي به تكذيبا
للكفار قال العلما لا يقول انه لا بد لمن ختم ان يفعله ولكنه من فعله فقد احسن ومن تركه فلا حرج واختلفوا في لفظ التكبير
فكان بعضهم يقول الله اكبر لا غير واخرون يقولون لا اله الا الله والله اكبر فيهللون قبل التكبير واما كيفية الاداء فاعلم ان القارئ
اذا وصل التكبير باخر السورة فان كان اخرها ساكنا كسره لالتقاء الساكنين فانحرف الوصل من اول اسم الله يسقط في الدرج
وذلك ثلاثة مواضع فحدث الله اكبر فارغب الله اكبر وان كان منونا كسره ايضا سواء كان المنون مفتوحا وهو توابا الله اكبر او
مضموما وهي ثلاثة لخبير الله اكبر بحامية الله اكبر واحد الله اكبر او مكسورا وهو اربعة حمية الله اكبر وماكول الله اكبر
وقريش الله اكبر ومسد الله اكبر وان كان اخر السورة متحركا غير منون بقي الحركة على حالها فالمفتوح ثلثة الحاكمين الله اكبر والماعون
الله اكبر وحسد الله اكبر والمضموم ثلثة ربه الله اكبر ودين الله اكبر والابتر الله اكبر والمكسور خمسة مطلع الفجر الله اكبر وعن النعيم الله اكبر
او بالصبر الله اكبر ولي دين الله اكبر

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات وفيها مائة وثلث كلماتها سبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب

الوقوف صدرك ووزرك ظهرك ذكرك يسرا يسرا فانصب فارغب **التفسير** روي عن طاوس وعمر بن عبد
العزيز انهما كانا يقولان هذه السورة وسورة الضحى واحدة وكانا يقرانهما في الركعة الواحدة من غير فصل بالبسملة والذي
دعاهما الى ذلك ما رايا من المناسبة في معرض تعديد النعم بين قوله الم يجدك يتيما وبين قوله الم نشرح وفيه ضعف والله اعلم
لان القرآن كله في حكم كلام واحد فلو كان هذا القدر يوجب طرح البسملة بين اليتيم لزم ذلك في كل السور واكثرها على ان الاستفهام
الاول وارد بصيغة الغيبة والثاني بصيغة التكلم وهذا مما يوجب المباينة لا المناسبة وقال في الكشاف استفهم عن انتفاء

الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى قلت اعتبار المعنى من جانب وضعنا اصوب او انسب ليكون الكل داخلا في الاستفهام الانكاري كانه قيل الم نشرح ولم نضع ولم نرفع ومثله ما مر في والضحى الم يجدك يتيما ولم يجدك ضالا اوتقول معنى الم نشرح اما شرحنا فيصح العطف عليه بهذا الاعتبار ويشمل الاستفهام مجموع الافعال وكذا في والضحى وفائدة العدول من التكلم الواحد الى الجمع اما تعظيم حال الشرح واما الاعلام بتبسيط الملك في ذلك الفعل كما روي جبريل اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملأه علما وايمانا ووضعه في صدره وطعن القاضي فيه من جهة ان هذه الواقعة من قبيل الاعجاز فكيف يكون يتقدم قبل النبوة ومن جهة ان الامور محسوسة لا تناسبها الامور المعنوية واجيب عن الاول بان الارهاص جائز عندنا وعن الثاني بان يفعل ما يشاء ولا يبعد انه تعالى جعل ذلك الفعل والتنقية علامة يعرف بها الملائكة عصمته عن الخطايا والاكثر يحملون المراد من الشرح امر معنوي وهو اما تفسيح صدره للعطف بحيث لا يتاذى من كل مكروه وايحاشه لحمله من كفار قومه فيسمع لاعباء الرسالة كلها ولا يتضجر من علائق الدنيا يا سرها فاما خلاف الضلال واتهمه حتى لا يرى الا الحق ولا ينطق الا بالحق ولا يفعل الا الحق قال المحققون ليس للشيطان الى القلب سبيل ولهذا لم يقل الم نشرح قلبك وانما الشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فينفث فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للايمان حلاوة ولا على الاسلام طلاوة فاذا طرد العدو بذكر الله والاعراض عما لا يعنيه حصل الامن وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية وفوائد الختام لك دون ان يقتصر على قوله الم نشرح صدرك مثل ما مر في قوله رب اشرح لي صدري من الاجمال ثم التفصيل ومن ارادة الاختصاص وذكره لمن قال اهل المعاني ومنهم صاحب الكشاف والوزر الذي انقض ظهره اي اثقله مثل لما صدر عنه من بعض الصغائر قبل النبوة ولما جهله من الاحكام والشرائع ولما كان يتهالك عليه من اسلام اولي العناد ويغتم بسبب ذلك ووضعه عند الله ان يغفر له او انزل عليه الكتاب او قيل له ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر والاصل في الانقاض ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض او صوت خفي كصوت المحامل والرحال وكل ما فيه انتقاض انفكاك وقيل المراد بالوزر اعباء الرسالة وبوضعه تسهيل الله تعالى ذلك عليه ومحملها انه كان نوع الاوائل حتى كاد يرمي نفسه من الجبل فتقوى ما لف بالوحي حتى كاد يرى بنفسه اذا فتر الوحي وقيل اراد ازالة الحيرة التي كانت له قبل البعث كان يريد ان يعبد به وما كانت نفسه تسكن الى الشرائع المتقدمة لوقوع التحريف فيها ورفع ذكره ان كان اسم الله في الشهادة والاذان والتشهد والخطب وجاء ذكره في القران مقرونا بذكر الله في غير موضع وعبر عنه بالتعظيم مثل النبي والرسول ومن رفع الذكر ان جاء نعته في الكتب السماوية كلها واخذ على امم الانبياء كلهم ان يؤمنوا به ثم انهم كانوا يعيرون رسول الله صلعم بالفقر فقيل لا يحزنك قولهم فان مع العسر يسرا اي بعد العسر الذي انتم فيه يسر ذي بسهل الحال القريب كالمتصل والمقارن زيادة في التسلية وتوة الرجا روي مقاتل عن النبي صلعم انه خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قال الفرا والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فينصرف الى الحقيقة فيكون المراد بالعسر في الموضعين شيا واحدا فاما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الاخر ورده الجرجاني بانه من المعلوم ان القايل اذا قال ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا لم يلزم منه ان يكون هناك فارس واحد معه سيفان واقول اذا كان المراد بالعسر الجنس لا العهد لزم اتحاد العسر في الصورتين واما اليسر فمنكر فان حمل الكلام الثاني على التكرار مثل فباي الاء ربكما تكذبان وجحوه كان اليسر ان واحدا فان حمل على انه عدة مستانفة لزم ان يكون اليسر الثاني غير الاول فانما كان تكرارا او المفروض خلافه وان كان المراد بالعسر المعهود فان كان المعهود واحدا وكان الثاني تكرارا كان اليسران ايضا واحدا وان كان مستانفا كانا اثنين والازم خلاف المفروض وان كان المعهود اثنين فالظاهر اختلاف اليسرين والازم حسن ان يعاد اليسر الثاني معرفا بلام العهد فاذا عرفت هذه الاحتمالات فان ثبت صحة الحديث الكل حمل الاية على جميعها ان ثبت صحته وجب حملها على وجه يلزم منه اتحاد العسر واختلاف اليسر حينئذ يكون فيه قوة الرجا ومزيد الاستظهار بمحض الكرم واما اليسران على تقدير اختلافهما فقيل يسر الدنيا ويسر الاخرة اي ان مع العسر الذي انتم فيه يسر العاجل الذي انتم فيه يسر الاجل وقيل ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلعم وفي ايام الخلفاء الراشدين والاظهر ان العسر للجنس ليكون وعدا عاما لجميع المكلفين في عصر وحين فهو واحد والكلام

في اليسر

التاني

الثاني تكرير للاول لتقريره في النفوس الا انه يحسن ان يجعل اليسر فيه مغايرا للاول لعدم اللام العهدي ولعل هذا هو معنى الحديث ان ثبت والله تعالى اعلم وحين عدد عليه نعمه السابقة ووعده بالنعم اللاحقة لمن اليسر بالظفر رتب عليه قوله فاذا فرغت فانصب قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب اي انصب للدعاء وارغب الى ربك في اعانة للاولى لا الى غيره بعطك ضي الله عنهم عن الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وعن مجاهد اذا فرغت من امور دنياك فانصب للعبادة وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب لقيام الليل وعن الحسن اذا فرغت من الجهاد فاجتهد في العبادة والدعوة وعن شريح انه مر برجلين يتصارعان فقال ما بهذا امر الفارغ وتقدير الجل فارغا من غير شغل قريب من العبث والاشتغال بما لا يعني فعلى العاقل ان لا يضيع اوقاته في الكسل والدعة ويقبل بجميع قواه على تحصيل ما ينفعه في الدارين والله اعلم

در س ...

سورة والتين مكية وهي ثمان ايات وحروفها مائة وخمسون كلماتها اربع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝

الوقوف الزيتون لا سينين لا الامين لا تقويم لا للعطف سافلين لا بناء على ان المراد بالرد هو الخذ لان الى الكفر ولو حمل على الرد الى ارذل العمر كان الاستثناء منقطعا وجاز الوقف حينئذ عند قوم ممنون ط بالدين ط الحاكمين ه **التفسير** انه النبي صلعم لم اقسم الله بهما من بين سائر المخلوقات الشريفة للمفسرين فيه قولان نعن ابن عباس هو تينكم هذا ودكر من خواص التين انه غذاء وفاكهة ودواء لانه طعام لطيف سريع الهضم بلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن ويفتح مسام الكبد والطحال وروي انه اهدي لرسول الله صلعم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج ومنها حسن صورته ابن طاهر بالمنه ماله عنش ولذلوانها شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى تاتيك بالثمرة ثم بالورق خلافا للمشتق بالوعد من سائر الاشجار كما في باب المعاملات في قوله صلعم ابدا بنفسك ثم بمن تعول لانها تلبس نفسها اولا تورد ادني بهم تم نطهر ثمرها وشجرة التين كالمصطفى صلى الله عليه وسلم كان يبدأ بغيره ثم بنفسه كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وانها تثمر مرتين في العام مرة اخرى وانها في المنام رجل خير غني فمن نالها في منامه نال خيرا وسعة ومن اكلها رزقه الله اولادا وروي ان ادم تستر بورقها حين نزع عنه ثيابه فلما نزل كان مستورا بورق التين استوحش نطاف الظباء حوله فاستانس لها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال والملاحة صورة والمسك طيبة معنى وحين تفرقت الظباء ورأى غيرهن منهن ما اعجبها جاءت من الغد على اثرهن فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال والملاحة دون طيب المسك وذلك ان الطائفة الاولى جاءت الى ادم لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت لاجل الطمع سرا الى ادم ظاهرا فلاجرم غير ظاهرها دون باطنها واما الزيتون فانه من الشجرة المباركة وهو فاكهة من وجه وادم من وجه كما تقدم وصفه في سورة النور قال مريض لابن سيرين رأيت في المنام كانه قيل لي كل اللائين تشف فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقيل من اخذ ورق الزيتون في النوم استمسك بالعروة الوثقى فهذه المصالح والمنافع هي التي حوت الاقسام بهما القول الثاني انه ليس المراد بهما هذين الشيئين ثم اختلفوا فعن ابن عباس في رواية هما جبلان في الارض المقدسة

يقال له طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وهما منشا عيسى ومبعثه ومبعث اكثر انبياء بني اسرائيل كالطور
سينين مبعث موسى والبلد الامين مبعث محمد صلعم وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل
التين مسجد الكهف والزيتون بيت المقدس وعن شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام وعن الربيع هما جبلان بين همدان
وحلوان واما طور سينين فالطور جبل موسى عليه السلام وسينين الحسن بلغة الحبشة وقال مجاهد المبارك وقال الكلبي وقتادة الجبل
فيه شجر مثمر وسينين وسينا بلغة النبط وقال الواحدي الاولى ان يكون سينين اسما للمكان الذي فيه الطور سمي بذلك لحسنه
او لكونه ثم اضيف اليه الطور للبيان ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه وسميت مكة امينا لانه يحفظ من دخله كما يحفظ
الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول لانه مأمون الغوائل كما جعل امنا لكونه ذا امن قال الضعيف مؤلف
الكتاب ومن المعلوم ان الاقسام ينبغي في باب البلاغة ان تكون متناسبة وكذا القسم والمقسم عليه فكان الله سبحانه
اقسم بالمراتب الاربع التي للنفس الانسانية من العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد ان الانسان
خلق في احسن تقويم وهو كونه مستعدا للوصول الى المرتبة الرابعة في العلم والعمل ثم اذا لم يجتهد في الوصول الى كمالاته اللائقة
به فكانه رد الى اسفل سافلين الطبيعة وانما عبر عن العقل الهيولاني بالتين لضعف شجرته ولانه زمان الصبي واللهو واللعب
والاشتغال بالامور التي لا طائل تحتها ولا يدرك منها طائل وعن زمان العقل بالملكة لقوة المعقولات فيها وكونه يحتاج الى
الاشتغال والمعاني بمنزلة الزيت وفي زمان العقل بالفعل يكون تمام دارت المثانية سوحاما صارت كالجبل المبارك
الفاضل ولعلنا قد كتبنا في هذا المعنى رسالة مفردة
وفي آخر المراتب اجتمعت عنده صور الحقائق دفعة بمنزله
فلنقتصر في التفسير على هذا المقدار من التأويل ثم ان اكثر المفسرين قالوا معنى في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله
وانتصاب قامته وقال الحسن في الجمال عقل وفهم وبيان والاولون قالوا لو حلف انسان ان زوجته احسن من القمر يحنث لانه تعالى
اعلم بخلقه وقد قال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاول احسن الاشكال
فاعطنا في الآخر احسن الخصال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب ومعنى اسفل سافلين قال ابن عباس
ارذل العمر ومثله قول ابن قتيبة السافلون هم الضعفاء والزمنى ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد سبيلا قال الفراء ولو قيل
اسفل سافل جاز حملا على لفظ الانسان كان صوابا ايضا وقال مجاهد والحسن هو النار ومثله ما قال علي رضي الله عنه ان ابواب
جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدأ بالاسفل فيملأ وعلى القول الثاني تقدير الكلام رددناه الى اسفل سافلين او في اسفل سافلين
ثم قال الا الذين الآية اي الا الذين استكملوا بحسب القوتين النظرية والعملية فلهم ثواب دائم غير منقطع او بسبب صبرهم
على ما ابتلاهم الله من الشيخوخة والهرم والمواظبة على الطاعات بقدر الامكان مع ضعف البنية وفتور الآلات او بواسطة
حصول الكمالات لهم فهذا الاستثناء على القول الاول منقطع بمعنى لكن وعلى الثاني متصل ولا يبعد ان يكون على
الاول ايضا متصلا والمعنى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال القوة والاستطاعة فلهم ثواب حسن بل في حال
الشيخوخة والضعف وان لم يقدروا على مثل تلك الاعمال فكانهم لم يردوا الى اسفل سافلين ثم خاطب الانسان بقوله فما يكذبك
بعد بالدين يعني فاي شيء يحملك ايها الانسان بعد هذه البيانات الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء لان كل مكذب بالحق
فهو كاذب ولا ريب ان خلق الانسان من نطفة الى ان يصير كاملا في الخلق والخلق ثم الكمال الحاصل القوي
وتنكيسه الظهر وابيضاض الشعر وتناثره اوضح دليل على قدرة الصانع وحكمته فمن قدر على هذا كله لم يعجز عن اعادة
مخلوق باجزائه هذا بالنظر الى القدرة واما بالنظر الى الحكمة والعدل فايصال الجزاء الى المحسن والمسيء والفرق
بين الصنفين واجب واشار الى هذا الدليل بقوله أليس الله باحكم الحاكمين فامر المعاد بالنظر الى القدرة ممكن الوقوع
وبالنظر الى الحكمة والعدل واجب الوقوع وقال الفراء الخطاب للنبي صلعم والمعنى فمن يكذبك بالجزاء ايها الرسول بعد
ظهور هذه الدلائل قالت المعتزلة في قوله في احسن تقويم دليل على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد مع
ما فيها من السفه والظلم ولو خلق ذلك لكان هو اولى بان يدعى سفيها وظالما واجيب بان خلق السفه لا يلزم منه
الاتصاف بالسفه كما ان ايجاد الحركة لا يلزم منه الاتصاف بالحركة يمكن ان يقال نحن لا ندعي لزوم الاتصاف به ولكن ندعي
ان خلق السفه في نفسه نوع سفاهة والجواب الصحيح بعد المعارضة بالعلم والداعي ان يعارض بقوله ثم رددناه فانه
دليل على اضافة الشر الى ذاته عن رسول الله صلى الله عليه انه كان اذا قرأ السورة قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية حروفها مائتان وثمانون كلماتها اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الانسان من علق ۝ اقرأ وربك الاكرم ۝ الذي علم
بالقلم ۝ علم الانسان ما لم يعلم ۝ كلا ان الانسان ليطغى ۝ ان رآه استغنى ۝ ان الى ربك
الرجعى ۝ أرأيت الذي ينهى ۝ عبدا اذا صلى ۝ أرأيت ان كان على الهدى ۝ او امر
بالتقوى ۝ أرأيت ان كذب وتولى ۝ ألم يعلم بان الله يرى ۝ كلا لئن لم ينته
لنسفعا بالناصية ۝ ناصية كاذبة خاطئة ۝ فليدع ناديه ۝ سندع الزبانية ۝ كلا لا تطعه واسجد

القراآت قرأ بالالف الاولى والاعشى وحمزة في الوقف ان رآه ممالة مكسورة الراء حمزة وعلي وخلف ويحيى وعلي
والخزاز وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرأ ابو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش بفتح الراء وكسر الهمزة وروى ابن مجاهد
وابن عون عن قنبل مفتوحة الراء مقصورة على وزن رعه **الوقوف** الذي خلق لا لاتباع صلة مثله بلا عطف فان الجملة
الثانية مفسرة للاولى المبهمة ولو جعل المعنى الذي خلق كل شيء ثم خص خلق الانسان ازداد الوقف حسنا علق ج لان اقرأ
يصلح مستأنفا وتكرارا للاول الاكرم لا بالقلم لا يعلم ط ليطغى لا استغنى ط الرجعى ط ينهى لا صلى ط بالتقوى ط تولى ط يرى ط بالناصية لا
خاطئة ج ناديه لا الزبانية لا كلا على الردع واقترب **التفسير** قد مر في اوائل الكتاب ان اكثر المفسرين زعموا ان هذه السورة
اول ما نزل من السماء وفي الباء وجهان الاول انها زائدة وزيف بانه خلاف الاصل وبان معناه حينئذ يكون اذكر اسم ربك فلا
يحسن من النبي صلعم ان يقول ما انا بقارئ كما جاء في الحديث وبانه تحصيل الحاصل لانه لم يكن له شغل سوى ذكر الله والثاني
وهو الاصح انه نصب على الحال اي اقرأ القرآن مفتتحا او متلبسا باسم ربك او قل بسم الله ثم اقرأ وقد مر وجهه في تفسير
البسملة وكذا وجه من جعله متعلقا باقرأ الثانية اي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك وقيل
هي بمنزلة اللام اي احمل هذا الفعل لله تعالى كقولك بنيت الدار باسم الامير صنفت الكتاب باسم الوزير فالعبادة اذا
صارت لله تعالى لم يكن للشيطان فيها نصيب وفي تخصيص الرب بالذكر في هذا الموضع معنيان الاول كأنه قيل ربك قد ربك
القضاء والشكر فلا تكاسل والثاني ان الشروع ملزم ومن رباك منذ كذا فكيف اضيعك بعد هذا فلا تردد ثم دل على كونه
ربا بقوله الذي خلق ما خلق الخلق اولا ليتناول كل المخلوقات ثم خص خلق الانسان بالذكر لشرفه او لعجب فطرته او لان التنزيل
اليه لاجله ويجوز ان يكون الاول منزل المفعول اشارة الى انه لا خالق سواه ولا يتصف بهذا الاسم غيره وحينئذ يستدل
به على ابطال مذهب المعتزلة في ان العبد خالق افعال نفسه قال اهل العلم ان الحكيم اذا اراد بنا امرا استعمل فيه التدريج كما يحكى
ان ابن فرحين بعثه ابو حنيفة الى المعرة لتقرير مذهبه لم يلتفت الى قوله وابوا عن قبوله فرجع الى ابي حنيفة واخبره
بذلك فقال انك لم تعرف طريق التبليغ ولكن ارجع اليهم واذكر في المسألة اقاويل الائمة ثم بين ضعفها ثم قال بعد ذلك
هاهنا قول آخر واذكر قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم قل هذا قول ابي حنيفة فانهم يقبلونه حينئذ والمقصود من الحكاية
ان الله تعالى كان يريد تنبيه هؤلاء عبدة الاوثان والفطام من المالوف شديد فلو خالفهم اول مرة وصرح عن محض
الحق ابوا ان يقلدوه فاذكر لهم اولا انهم المخلوقون من العلقة فلا يمكنهم انكاره ثم قل ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا
ذلك الى الوثن لعلمهم بانهم ينحتونه فاذا تأملوا انصفوا ان من لم يخلق لم يكن الها والعلق جمع العلقة وانما لم يقل علقة لان الانسان
في معنى الجمع وفي تكرار اقرأ وجوه اقرأ بنفسك ثم اقرأ للتبليغ واقرأ في صلاتك ثم اقرأ خارج صلاتك او الاول

قوله باسم ربك متعلقا باقرأ
المتعلم والثاني للتعليم وهذا قريب من الاول والاوجه ان يراد بالاول اوجد القراءة ويكون قوله باسم ربك متعلقا باقرأ الثانية كما مر في تفسير البسملة قلت ويمكن ان يكون الاول اشارة الى كونه قاريا بالقوة ولهذا رتب عليه خلق الانسان
من علق و الثاني اشارة الى كونه قاريا بالفعل ولهذا وصف نفسه بالاكرمية ورتب عليهم تعلم الخط والعلم وفضايل
الخط كثيرة حتى مدح بالرسايل والاشعار وكفاك في مدحه انه تعالى حين عدد على الانسان نعمة الخلق والتسوية ونقد بل
الاعضاء الظاهرة والباطنة وصف نفسه بالكريم قايلا ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك وحث عن
عليه بالخط والتعليم مدح ذاته بالاكرمية فقال معترضا وربك الاكرم الذي علم بالقلم اي علم الانسان بواسطة القلم ادم
الكتابة بالقلم يروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال ما قيده قال الكتابة والقلم
صياد يصيد العلوم يبكي تارة ويضحك اخرى بركوعه ويسجد الانام وبحركته يبقى العلوم على ممر الليالي والايام وقوله
علم الانسان ما لم يعلم يجوز ان يكون بيانا للاول اي علمه بالقلم ما لم يعلم كقول القايل احسنت اليك ملكتك الاموال وليتك
الولايات ويحتمل ان يراد علم بالقلم وعلمه ايضا غير ذلك وفي الاية اشارة الى اثبات العلوم السمعية الموقوفة على النقل
والكتابة بل الى اثبات النبوة كما ان اول السورة يدل على الاوصاف الالهية قوله سبحانه كلا ذكر بعض العلماء انه بمعنى
حقا لانه ليس قبله ولا بعده شي يتوجه اليه الردع وقال صاحب الكشاف انه ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان
لم يذكر لدلالة الكلام عليه وقال مقاتل كلا لا يعلم الانسان انه خلق من علق وصار عالما بعد ان كان جاهلا
معلوم من سياق الكلام وان لم يتذكر وقال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان لانه راى نفسه فحذف حرف الجر على القياس
وكلا للاستغراق فيحب المال والجاه فلا يتامل في هذه الاحوال ومعنى ان راه لان راى نفسه فحذف حرف الجر على القياس
وحذف النفس لخاصية فعل القلب وهي جواز الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول فيه واكثر المفسرين على ان المراد بالانسان
ههنا انسان واحد هو ابو جهل ومنهم من يقول خمس ايات من اول هذه السورة نزلت اولا ثم نزلت باقيها في ابي جهل
بعد ذلك بزمان فضم اليها وقيل نزلت فيه من قوله ارايت الذي ينهى الى اخر السورة والانسان عام فان قيل لم قال
في حق فرعون انه طغى وفي حق ابي جهل ليطغى قلنا انما اجيب بذلك عن فرعون قبل ان يلقاه موسى وقبل ان يعرض
عليه الادلة واما هذه الاية فنزلت تسلية للنبي صلعم حين رد ابو جهل عليه اقبح الرد وايضا ان فرعون مع كمال سلطنته
ما كان يؤذي موسى الا بالقول وابو جهل مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي صلعم وفرعون كان قد احسن الى موسى اولا وقال
اخرا امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل واما ابو جهل فكان يحسد النبي في صباه وقال اخر عمره بلغوا
عني محمدا اني اموت ولا احد ابغض الي منه وايضا انهما كانا رسولين لكن الحبيب في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين
والعاقل يصون عينه فوق ما يصون به بل يصون عينه باليد فلهذا كانت المبالغة ههنا اكثر واعلم ان ان الملبس
سبب للطغيان على الاطلاق ولهذا ذهب جم غفير الى ان الانسان في الاية مخصوص وكيف لا وانه لم يزد لسليمان
الا تواضعا وعبودية ويروى انه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكان عبد الرحمن ابن عوف من كبار
الصحابة كثير المال وقال صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح ولو انصف العاقل وتامل وجد نفسه في حال الغنى اشد
افتقارا الى الله لان الفقير لا يتمنى الا سلامة نفسه والغني يتمنى سلامة نفسه وماله واهله وجاهه وقيل السين
في استغنى للطلب والمعنى ان الانسان قد ينسى فضل الرب ويغفل عنه بحاله ان راه طلب الغنى فان الغني يسب الجهد
والكد فينسب ذلك الى كفايته لا الى عناية الله فلم يدر انه كم باذل وسعه في الحرص والطلب لم يحصل الا على حقي
حسين والله تعالى قد يرجع الغني الى اخر الامر الى حالة الفقر ليتحقق ان ذلك الغنى لم يكن بفعله وكسبه وانما ذلك
بحول الله وقوته وههنا نكتة وهي ان اول السورة دلت على فضيلة العلم وبعدها دل على مذمة المال الغني وكفى ذلك
مرغبا في العلم ومنفرا عن الدنيا وفي قوله ان الى ربك يا انسان الرجعى اي الرجوع وعيد وتذكير كانه قيل مصيرك الى الله
والى حيث يلدغ عنك المال والكسب فاهلك الحيلة والعصيان والتكبر والطغيان يروى ان ابا جهل قال لرسول الله
صلعم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
فنزل جبرايل فقال يقول الله ان شئت فعلنا ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلعم
عن الدعا ابقاء عليهم ويروى ان ابا جهل لعنه الله قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لين رايته
لاوطين عنقه فجاءه وهو يصلي الله عليه في الصلوة ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم ان بيني وبينه لخندقا

من نار نزلت ارايت الذي ينهى عبدا اي اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله وهذا خطاب للرسول صلعم على وجه التعجب
وفيه انه صلعم كان يقول اللهم اعز الاسلام بعمر او بابي جهل بن هشام فكانه تعالى قال له يا محمد كنت تظن انه تعز به الاسلام
وهو ينهى عن الصلوة التي هي اول اركان الاسلام وكان يلقب بابي الحكم فقيل كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة
ربه ويامره بعبادة الجماد وفي تنكير العبد دلالة على التفخيم كانه قال هو عبد لا يكتنه كنه اخلاصه في العبودية ولا يوصف
شرح اخلاقه بالكلية يروى ان يهوديا من فصحاء اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته وقال اخبرني اخلاق رسولكم فقال
عمر اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالا دل على فاطمة وهي دلته على علي كرم الله وجهه فلما سال عليا عنه قال صف
لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه فقال اليهودي هذا لا يتيسر لي فقال علي عجزت عن وصف الدنيا وقد حكم الله بقليله
حين قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف اخلاق النبي وقد شهد الله بانه عظيم في قوله وانك لعلى خلق عظيم والحاصل
انه سبحانه كانه قال ما احمق من ينهى اشد الخلق عبودية عن الصلوة والنهي عن الصلوة مذموم عند العقلاء يروى ان
عليا رضي الله عنه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله يفعل ذلك فقيل له الا
تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
ومنه هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف انقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي فقال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي
عن الدعا ويحتمل ان يراد بالتنكير الوحدة كانه قيل لا يظن ابو جهل انه لو لم يسجد محمد لي وهو عبد واحد الا احد ساجدا غيره
فلي من الملايكة المقربين ما لا يحصيهم الا الله وفيه تفخيم شان النبي كانه من شهرته بالعبودية لا يحتاج الى تسميته
المذكور كقوله اسرى بعبده فاوحى الى عبده وعن الحسن ان الناهي امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة اما الخطاب
في قوله ارايت ان كان على الهدى والاكثرون على انه للنبي صلعم ايضا الكلام كله على نسق واحد قال في الكشاف معناه
اخبرني ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة
الاوثان كما يعتقد او كان على سيرة التكذيب والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على
احواله فيهديه ويضله فيجازيه على حسب ذلك وهو وعيد فقوله الذي ينهى مفعول اول لرايت وارايت الثاني مكرر للتاكيد
ولطول الكلام وقوله ان كان على الهدى مع ما عطف عليه مفعول ثان له وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب الشرط
الثاني وهو قوله الم يعلم ويجوز ان يكون ارايت الثالث ايضا مكررا والجواب بالحقيقة هو ما يدل عليه هذه الجملة
الاستفهامية كانه قيل ان كان على الهدى او امر بالتقوى اي كذب وتولى فان الله مجازيه وقيل ان جواب الشرط
الاول شي اخر يدل عليه سياق الكلام فالمراد ارايت ان صار هذا الكافر على حالة الهدى او امرا بالتقوى بدل النهي عن
عبادة الله اما كان يليق به ذلك اذ هو رجل عاقل ذو ثروة وفيه تعجب من حاله انه كيف فوت على نفسه مراتب الكمال
والاكمال واختار بدلهما طريقة الضلال والاضلال وقيل الخطاب في ارايت الثاني للكافر كان الظالم والمظلوم عبدان قاما
بين يدي مولاهما او هما اللذان حضرا عند الحاكم احدهما المدعي والاخر المدعى عليه فيخاطب هذا مرة وهذا مرة فلما قال للنبي
صلعم ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى التفت الى الكافر وقال ارايت يا كافر ان كانت صلوته هذه ودعاوه الى الدين امرا
بالتقوى اتنهاه مع ذلك ثم ان كان الخطاب في ارايت الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى ارايت يا محمد ان كذب
هذا الكافر تلك الدلايل الواضحة وتولى عن خدمة خالقه الم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة حتى يصير
مراعيا عنها وان كان الخطاب للكافر فالمراد ان كان محمدا كاذبا او متوليا الا يعلم ان خالقه يراه حتى ينتهي فلا يحتاج الى نهيك
قالت العلماء هذه الاية وان نزلت في حق ابي جهل الا ان كل من ينهى عن طاعة الله فهو شريك في وعيد ابي جهل ولا
يرد عليه المنع عن الصلوة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة ومنع المولى عبده عن قيام الليل وصلوة التطوع ومنع
عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصالح اخرى باذن الله وصلوته ثم ردع ابا جهل عن نهيه او عن عدم علمه باحاطة الله تعالى بجميع
الكاينات او عن عزمه على ان يقتل محمدا او يطا رقبته فانه تهديد محمد هو الذي يقتله ويطا صدره والسفع القبض على
الشي وجذبه بشدة ومنه سفع الناس بوجهها كانها تاخذ من الجسد بناصيته وطرافته وقد كتب لنسفعن في المصحف
بالالف على حكم الوقف لان النون الخفيفة المؤكدة اذا وقف عليها بالالف واللام في قوله بالناصية للعهد والمراد لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار ثم ان هذا السفع اما ان يكون الى نار الاخرة فهو ظاهر واما ان يكون في الدنيا كما روي

انه عاد الى النبي فمكن الله المسلمين يوم بدر حتى جره بالناصية يحكى انه لما نزلت سورة الرحمن قال النبي صلعم من يقراها على رؤسا قريش فتثاقل القوم مخافة اذيتهم فقام ابن مسعود فقال انا فاجلسه النبي صلعم لما كان يعلم من ضعفه ثم قال من يقرا عليهم فلم يقم الا ابن مسعود فاجلسه ثم قال في الثالث كذلك فلم يقم الا هو فاذن له فجاء حتى دخل عليهم وكانوا مجتمعين حول الكعبة فقرا السورة فقام ابو جهل فلطمه فاستاذنه ودماه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي صلعم رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبرئيل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرئيل تضحك وابن مسعود يبكي فقال ستعلم فلما كان يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال صلعم خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى اليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى ثم قال ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي منه في حال حياتي ولا احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهذا زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسي بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع راسه لم يقدر على حمله قال اهل العلم ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا لاجل ان لا يقوى على الحمل لوجوه منها انه كلب والكلب يجر والثاني لشق اذنه فيقتص الاذن بالاذن والثالث تحقيق الوعد المذكور في قوله لنسفعا فان ابن مسعود لما لم يطقه شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلعم وجبرئيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الراس هاهنا مع الاذن والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكانه ناصية وقد كني هاهنا عن الوجه والراس بالناصية قالوا والسبب فيه ان ابا جهل كان يرجل الناصية ويطيبها فلقاه الله بغيض المقصود حين اعرض عن حكم المعبود ثم وصف الناصية بانها كاذبة خاطئة والمراد كذب صاحبها وخطاه حين سمى النبي الصادق ساحرا كذابا وحين زعم انه اكثر اهل الوادي ناديا والخاطئ ابلغ من المخطئ ولهذا قال لا ياكله الا الخاطئون فالخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ لا يكون ماخوذا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقوله ناصية بدل الكل من الاول وزينة حسنها كونها موصوفة كما علم من قواعد النحو يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا عليه هذه الآيات قال يا محمد بمن تهددني فاني اكثر هذا الوادي ناديا اي اهل مجلس لاملان عليك هذا الوادي خيلا جردا ورجالا مردا فرد الله سبحانه في تهديده فقال فليدع ناديه سندع الزبانية والزبني كل متمرد من انس او جن ومثله زبنية بتخفيف الباء كعفرية وعفرية واصله من الزبن الدفع ولعل كسر الزاي لتعيين النسب عن النبي صلعم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا قال مقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء وقال قتادة الزبانية الشرط بلغة العرب اي الحرس فقيل جمع لا واحد له ثم ردع ابا جهل من قبائح اقواله وافعاله بقوله كلا وشجع النبي صلعم بقوله لا تطعه ثم قال واسجد واقترب اي دم على سجودك وتقرب به الى ربك ومنه قوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد وقيل صل وتوفر على عبادة الله فعلا وابلاغا وقيل اسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل ودنوا قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول بنفسه وهذا تهكم به وتعريض بان الله عاصم نبيه وحافظه وناصره

الشعر

سورة القدر مكية وهي خمس آيات حروفها مائة وعشرون كلماتها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

القراءة تنزل بتشديد التاء البزي وابن فليح مطلع الفجر بكسر اللام علي وخلف الوقوف في ليلة القدر

للنفي او الاستفهام والوصل اولى لاتصال المبالغة في التعظيم به ما ليلة القدر لان ما بعدها مبتدا شهر لان ما بعده مستانف ربهم لاحتمال تعلق من كل بقوله تنزل ولاحتمال تعلقه بقوله سلام اي كل عقوبة سلام او من كل واحد من الملائكة سلام على المؤمنين قاله ابن عباس وعلى هذا لا وقف على امر ويوقف على سلام ايضا القدر هي سلام من كل امر الى مطلع الفجر

التفسير الضمير في انزلناه للقرآن اما لان القرآن كله في حكم سورة واحدة واما للشهرة كانه من شانه مستغن عن التصريح بذكره وقد عظم القرآن في الآية من وجوه اخر هي اسناد انزاله الى نفسه دون غيره كجبرئيل مثلا وصيغة الجمع الدال على عظم رتبة المنزل اذ هو واحد في نفسه عقلا ونقلا والرفع من مقداره الوقت الذي انزل فيه وهو ليلة القدر وههنا مسائل الاولى كيف حكم بانه انزل في هذه الليلة مع انه انزل نجوما في ثلث وعشرين سنة والجواب كما مر في البقرة في قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اي انزل فيها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا جملة ثم منها الى الارض نجوما ووجه حسن المجاز انه اذا انزل الى السماء الدنيا فقد شارف النزول الى الارض فيكون من فوائده التشويق كما قيل

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام من الخيام

وقال الشعبي ابتدي بانزاله في هذه الليلة لان المبعث كان في رمضان وقيل المراد انا انزلنا القرآن يعني هذه السورة في فضل ليلة القدر والقدر بمعنى التقدير قال عطا عن ابن عباس ان الله قدر كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحيا واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية ونظيره فيها يفرق كل امر حكيم في احد الوجوه والمراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة فان المقادير من قولهم الازل الى الابد ثابتة في اللوح المحفوظ وهذا قول اكثر العلما ونقل عن الزهري انه قال ليلة القدر يعني ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزلة وخطر ويؤيد هذا التاويل قوله ليلة القدر خير من الف شهر ثم هذا الشرف اما ان يرجع الى الفاعل اي من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف واما ان يرجع الى الفعل لان الطاعة فيها اكثر ثوابا وقبولا وعن ابي بكر الوراق من شرفها انه نزل كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر الى امة ذوي قدر ولعل الله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا السبب وقيل القدر الضيق وذلك ان الارض في هذه الليلة تضيق عن الملائكة الثانية وهذه الليلة هل تضاف الى يومها الذي بعدها قال الشعبي نعم يومها كليلها لقوله ثلث ليال سويا وفي موضع ثلثة ايام ولهذا لو نذر ان يعتكف الليلتين لزمه يومهما الثالثة قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرة والجمهور على انها باقية ثم انه روي عن ابن مسعود انها في جميع السنة فمن حافظ على الليالي كلها ادركها وعن عكرمة انها ليلة البراة والاكثرون على انها في رمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر فيجب ان يكون من الآيتين ان تكون ليلة القدر في رمضان ثم في تعيينها خلاف فقال ابن رزين هي الليلة الاولى من رمضان لما روي عن وهب ان كتب الانبياء كلهم لما نزلت في رمضان كانت الليلة الاولى منها في غاية الشرف وعن الحسن البصري السابعة عشر لان وقعة بدر في صبيحتها وعن انس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق انها الحادية والعشرون لما روي من حديث الماء والطين ومعظم الاقوال انها السابع والعشرون وذكروا فيه امارات ضعيفة منها ان السورة ثلثون كلمة وهي قوله هي السابعة والعشرون ومنها ما روي عن ابن عباس وعنه ايضا انه ليلة القدر تسعة احرف وهي مذكورة ثلث مرات وروي انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر فقال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وستماية من هجرة النبي صلعم ولعل الله سبحانه فيها سرا لا يطلع عليه الا هو وانا ارجوا ان يجعل ذلك سببا للبركات الدارين لي ولمن نظر في هذا الكتاب من اخواني في الدين واما الاعتصام الاجود فهي الليلة الاخيرة لان الطاعات في الشهر تتم وقيل بل اول رمضان كآدم واخره كمحمد وقد جاء في الحديث يعتق في اخر رمضان بعدد ما اعتق من اول الشهر واول الليالي ليلة شكر واخرها ليلة فراق وصبر وكم بين الشكر والصبر فان الصبر امر من الشكر ورابعها الحكمة في اخفاء ليلة القدر في الليالي كالحكمة في اخفاء وقت الوفاة ويوم القيامة حتى يرغب المكلف في الطاعة ويزيد في الاجتهاد ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل روي انه صلعم دخل المسجد فراى نائما فقال يا علي نبهه ليتوضا فايقظه علي ثم قال يا رسول الله انك سباق الى الخيرات فلم لا تنبهه بنفسك فقال لان رده علي كفر ورده عليك ليس بكفر ففعلت ذلك لتخف جنايته لو رد فاذا كان هذا رحمة الرسول فقس عليه رحمة الله فكانه سبحانه يقول اذا عرفت ليلة القدر فان اطعت فيه اكتسبت ثواب الف شهر وان عصيت فيه اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى من جلب الثواب ولا اشفاق

ان لا يعرفها المكلف بعينها لئلا يكون بالمعصية خاطئا متعمدا وايضا اذا اجتهد في طلب ليلة القدر باحياء الليالي المظنونه باهي الله تعالى ملائكته وتقول كنتم تقولون فيهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فهذا جدهم في الامر المظنون فكيف لو جعلها معلومة لهم فهنالك يظهر سر قوله اني اعلم ما لا تعلمون الخامسة معنى كونه ليلة القدر خيرا من الف شهر ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة وذلك لما فيها من الخيرات والبركات وتقدير الارزاق والمنافع الدينية والدنيوية قيل لمجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلعم من ذلك فانزل الله تعالى الاية فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وثانيها ما روي عن مالك بن انس ان رسول الله صلعم اري اعمار الناس فاستقصرها وخاف ان لا يبلغوا من الاعمال ما بلغه سائر الامم فاعطاه الله ليلة هي خير من الف شهر لسائر الامم وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يستحق اسم العابد حتى يعبد الله الف شهر وذكر القسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن علي يا مسود وجوه المؤمنين عمدت الى هذا الرجل فبايعته يعني معوية فقال ان رسول الله صلعم اري في منامه بني امية يطاؤون منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى انا انزلناه الى قوله خير من الف شهر يعني ملك بني امية قال القسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر لا يزيد ولا ينقص وزيف بان ايامهم كانت مذمومة فكيف تذكر في مقام التعظيم واجيب بانها كانت اياما عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله تعالى اني اعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية افضل من الايام في بابها السادسة في الاية بشارة عظيمة للمطيعين وتهديد بليغ للعاصين اما الاول فلانه ذكر ان هذه الليلة خير من الف شهر ولم يبين قدر الخيرية وهذا كقوله صلعم لمبارزة علي مع عمرو بن ود افضل من عمل امتي الى يوم القيمة فكانه قال هذا لك بذاك والثواب على ما اعطيتك به ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن احيى ليلة القدر فكانه عبد الله نيفا وثمانين سنة ومن احياها كل سنة فكانه رزق اعمارا كثيرة ومن احيى ليالي الشهر لينالها بيقين فكانه احيى ثلثين قدرا وروي انه يجاء يوم القيمة بالاسرائيلي الذي عبد الله اربعمائة سنة ويجاء برجل من هذه الامة قد عبد الله اربعين سنة فيكون ثوابه اكثر فيقول الاسرائيلي انت العدل وارى ثوابه اكثر فيقول لانكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون وامة محمد كانوا امنين بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم انهم كانوا يعبدون فلهذا السبب كانت عباداتهم افضل واما التهديد فلان الظالم لا يخلصه من المظلوم احد وان احيى مائة ليلة من القدر وكذا من عنده مظلمة لاحد وان كانت بتطفيف حبة السابعة انه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اجرك على قدر نصبك ومن المعلوم ان الطاعة في الف شهر اشق من الطاعة في ليلة واحدة فما التوفيق بين الحديث والاية والجواب لان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الاعتبارات الشرعية او العقلية فصلوة الجماعة تفضل على صلوة الفرد بكذا درجة لاجل شرف الاجتماع ولو قلت لمن يرجم اما يرجم لانه زان فهو في قول حسن ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو موجب للحد ولو قلته في حق عائشة رضي الله عنها كان كفرا وجهنا ناعظما وذلك لانه طعن في حق عائشة التي كانت رحلة العلم لقوله خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء او طعن في صفوان وهو رجل بدري وطعن في كافة المؤمنين لانها ام المؤمنين وللولد حق المطالبة بقذف الام وان كان كافرا بل طعن في النبي صلعم الذي هو اشرف المخلوقات بل طعن في حكمة الله اذ لا يجوز ان يتركه حتى يتزوج بامرأة زانية فتبين ان الافعال تختلف اثارها في الثواب والعقاب باختلاف الجهات بحسب الازمنة والامكنة وذلك من فضل الله وعنايته بمخلوقاته على حسب مشيئته وارادته قوله سبحانه تنزل الملائكة ظاهره يقتضي نزول كل الملائكة اما الى السماء الدنيا واما الى الارض وهو قول الاكثرين وعلى التقديرين فان المكان لا يسعهم الا على سبيل التناوب والنزول فوجا فوجا كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة افواجا عن كعب ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة وساقها في الجنة واغصانها تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبرائيل ليلة القدر فلا يبقى بقعة في الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبرائيل لا يدع احدا من الناس الا صافحه وعلامة ذلك يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه ومن قال فيها لا اله الا الله ثلث مرات غفر له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة واول من يصعد جبرائيل حتى يصعد جبرائيل امام الشمس فيبسط جناحي

احضر بين اليدين فيها الا انك الساعة من تلك الليلة ثم يدعو ملكا فيصعد الكل فيجتمع نور الملائكة ونور جناح جبرائيل فيقيم جبرائيل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام رمضان احتسابا فيسألهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة حتى يقولوا ما فعل فلان كيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا وفي بعضهم بالعكس فيدعو للاول دون الاخر ويقولون وجدنا فلانا تاليا وكلنا نحن ساجدا ثم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا الى السدرة فتقول لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله وتقول الجنة عجل اللهم الي والملائكة واهل السدرة يقولون امين ولنا دل تنزل الملائكة على فضيلة هذه الليلة لان الجماعة كلما كانت اكثر كان نزول الرحمة اوفر والطاعة في حضور الملائكة الذين هم العلماء بالله والعباد له تكون ادخل في الاخلاص واجلب لاسباب القبول اما الروح فالظاهر انه جبرائيل عليه السلام خص بالذكر لزيادة شرفه وقيل ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا وقيل طائفة من الملك لا يراهم الملائكة الا في هذه الليلة وقيل خلق من خلق ياكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل عيسى عليه السلام ينزل في جماعة الملائكة ليطالع امة محمد صلعم وقيل القرآن وكذلك اوحينا اليك روحا وقيل الرحمة وقيل هم كرام الكاتبين يروى انهم يطالعون اللوح فيرون فيها طاعة المكلفين بتفصيله فاذا وصلوا الى معاصيهم ارخى الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر على القبيح فيشتاقون الى لقائهم فينزلون لذلك ومن فوائد نزولهم انهم يرون في الارض من انواع الطاعات ما لم يروها في سكان السموات ويسمعون انين العصاة الذي هو احب الى الله من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نسمع صوتا هو احب الى ربنا من تسبيحنا ولعل الطاعة في الارض خاصة في هذه الليلة فالملائكة ايضا يطلبونها طمعا في مزيد الثواب كما ان الرجل يذهب الى مكة لتكون طاعاته هناك اكثر ثوابا وفي قوله باذن ربهم اشارة الى انهم لا يفعلون شيئا الا باذن الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وفي قوله ربهم توبيخ للعصاة وتعظيم لشان الملائكة كانه قال لو كانوا الي لكنت لهم يروى ان داود عليه السلام في مرض الموت قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي قل لسليمان فليكن لي كما كنت لي وقوله من كل امر اشارة عند الاكثرين الى علة نزولهم اي من اجل امر قدر في تلك السنة الى قابل بمعنى العدد لام التعليل الى من ان السائل كانه يقول من اين جئتم فيقولون ما لكم وهذا السؤال ولكن قولوا لاي امر جئتم لانه حظكم وقيل من كل امر اي من اجل كل امر مهم فبعضهم للركوع وبعضهم للتسبيح وبعضهم للدعاء وبعضهم للتسليم يروى انهم لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقدر المقادير في ليلة البراءة فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى اربابها وقيل يقدر في ليلة البراءة الاجال والارزاق وفي ليلة القدر الخير والبركة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به صلاح معاش المكلف ومعاده ويكتب في ليلة البراءة اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت ومعنى سلام هي ان هذه الليلة ما هي الا سلامة وخير واما سائر الليالي فيكون فيها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة سلام الملائكة على المؤمنين فقال ابو مسلم يعني ان هذه الاية سالمة عن الرياح المزعجة والصواعق ونحوها او هي سالمة عن تسلط الشيطان وتخبيثه او سالمة عن تفاوت العبادة في شيء من اجزائها بخلاف سائر الليالي فان الفرض فيها يستحب في الثلث الاول والنفل في الاوسط والدعاء في السحر والمطلع بالفتح المصدر بمعنى الطلوع وبالكسر اسم زمان او مصدر عند بعضهم ومنهم ابو علي هذا ما تقرر عندنا وعند سائر العلماء في تفسير هذه السورة الشريفة واقول ايضا في تاويله يمكن ان يفهم من ليلة القدر طرف الازل من الامتداد الوهمي الزماني الذي قدر فيه ما كان وما سيكون الى يوم الدين بل الى الابد وانما عبر عنه بالليلة لان الاشياء كلها اذ ذاك في حيز العدم او الخفاء كنت كنزا مخفيا ولما كانت خيرا من الف شهر بل من ثلثين الف ليلة بل من ثلثين الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فهي البدء التي ثبت بالبراهين العقلية والاصول ان العناية الازلية هي الكفاية الابدية ولهذا الكنت الاموي بحذافيرها وكل ميسر لما خلق له فلو لم يكن للشخص سعادة مقدرة في الازل لم ينفعه طاعة ثلثين الف سنة واكثر ما نزل القرآن في هذه الليلة عبارة عن اجماله في اللوح المحفوظ والامام المبين وهو في وقت نزول الروح الاعظم والملائكة المقربين بسبب كل امر هو كون من غير توسط مادة ومدة ولكنها سالمة عن الشوائب الجسمانية والعلائق الجزئية الى طلوع فجر عالم الاشباح الظاهرة للحواس المعرضة للعهد والقوى

سورة البينة مكية وهي تسع ايات حروفها ثلثمائة وستة وتسعون كلماتها اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ۝ رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة ۝ فيها كتب قيمة ۝ وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ۝ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ۝ ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ۝ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ۝

القراءة البريه بالهمزة نافع وابن ذكوان الوقوف البينة مطهرة قيمة البينة القيمة فيها البريه الصالحات البريه ابدا عنه ربه التفسير استصعب بعض العلماء منهم الواحدي حل هذه الاية لانه تعالى لم يبين انهم منفكون عن اي شي الا ان الظاهر انه يريد انفكاكهم عن كفرهم ثم انه فسر البينة بالرسول ومعلوم ان حتى لانتهاء الغاية فالاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول وهذا ينافي قوله وما تفرق الاية والجواب اما قال صاحب الكشاف ان هذه حكاية لكلام الكفار وتقريره ان الكفار من الفريقين اهل الكتب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن فيه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره من الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بممتنع مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فلما رزقه الله الغنى ازداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما لان الذي وقع كان خلاف ما ادعى وقيل ان حتى للمبالغة وتنزيل المعنى الى فكك مثلا لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وقال قوم انا لا نحمل قوله منفكين على ما مر بل نحمله على كونهم منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل ثم لما جاءهم محمد تفرقوا وقال كل واحد فيه قولا اخر رديا فتكون الاية كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولا يبعد في هذا الوجه ان يكون بعضهم قد قال في محمد قولا حسنا وامن به لان النفي يحصل بان لا يكون الجميع باقين على حالهم الاولى فاذا صار بعضهم مومنا وبعضهم كافرا على اختلاف طرق الكفر حصل التفرقة ولا يبعد ايضا ان يراد انهم لم يكونوا منفكين عن اتفاق كلمتهم على كفرهم حتى جاءهم الرسول فحينئذ تفرقوا وما بقوا على ذلك الايتلاف واضطربت اقوالهم في قوله منفكين اشارة الى هذا لان انفكاك الشي عن الشي هو انفصاله عنه بعد التحامه والتيامه كالعظم اذا انفك من مفصله فالمعنى ان تلويحهم ما خلت عن تلك العقايد وعن الجزم بصحتها الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وقوله من اهل الكتاب والمشركين بيان الذين كفروا والمراد ان الكفار فريقان بعضهم اهل الكتاب ومن يجري مجراهم كالمجوس وبعضهم مشركون وقيل المشركون

هم اهل الكتاب ايضا وذلك ان النصارى هم اهل التثليث واليهود هم اهل التشبيه وقد يقال القائل جاءني العقلاء والظرفاء ويراد قوم باعيانهم وفائدة الواو انهم جامعون بين الوصفين ويتايد بهذا الوجه انه لم يعد الا ذكر اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب والاولى ان يعتذر عن ذلك بانهم انما خصوا بالذكر لفضلهم وبركة علمهم او لمزيد توبيخهم فان العصيان والعناد من العالم اقبح ولعل هذا هو السبب في تقديم ذكرهم اولا والبينة الحجة الواضحة واطلاقها على الرسول كاطلاق النور والسراج عليه والصحف القراطيس الذي يكتب فيها القران المطهرة من النقايص ومس المحدث اياه ومعنى تلاوته الصحف املاوه اياها وعن جعفر الصادق انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب ولعل هذا من معجزاته والكتب المكتوبات والقيمة المستقيمة او المستقلة بالدلالة من قولهم قام فلان بامر كذا وقال ابو مسلم البينة مطلق الرسل وهم الملايكة اي رسل من السماء ويتلون عليهم صحفا كقوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وكقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قال الجبائي في قوله وما تفرقوا الا من بعد كذا دلالة على ان الشقاوة والسعادة لم يثبتا في الازل ولا في اصلاب الاباء وزيف بان المراد ظهور التفرق منهم لا حصوله في علم الله وهو ظاهر قوله وما امروا بما امروا به في التورية والانجيل الا لاجل ان يعبدوا الله على حالة الاخلاص والميل عن الاديان الباطلة فقوله حنفاء حال مرادفة او متداخلة وذلك دين القيمة موصوفها محذوف اي دين الملة القيمة ويعلم من هذا الاحتجاج ان الامر المذكور ثابت في شرعنا ايضا كما في شرعهم ويحتمل ان يراد وما امروا على لسان محمد قال مقاتل استدل بالاية فقال ان الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل بيانه انه تعالى ذكر العبادة المقرونة بالاخلاص وهو التوحيد ثم عطف عليه اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ثم اشار الى المجموع بقوله وذلك دين القيمة ورد بالمنع من ان المشار اليه هو المجموع ولم لا يجوز ان يكون اشارة الى التوحيد فقط سلمنا لكن لم لا يجوز ان يراد بدين القيمة الدين الكامل المستقل بنفسه وهو اصل الدين مع تابعه ثم ذكر وعيد الكفار ووعد الابرار قدم في الوعيد اهل الكتاب على المشركين والسر فيه بعدما مر انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه ولهذا حين كسرت رباعيته قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وحين فاتته صلوة العصر يوم الخندق قال ملا الله بطونهم وقبورهم نارا فقال الله تعالى كما انت مستحق على الخلق فانا ايضا اقدم حقك على حقي فمن ترك الصلوة طول عمره لا يكفر ومن طعن فيك ادنى طعن يكفر ثم ان اهل الكتاب طعنوا فيك فقدمهم في الوعيد على المشركين الذين طعنوا في وايضا المشركون راوه صغيرا يتيما بينهم ثم انه بعد النبوة سفه احلامهم وكسر اوثانهم وهذا امور توجب العداوة الشديدة عند اهل الظاهر واما اهل الكتاب فقد كانوا يعرفونه نبي اخر الزمان وكان النبي مصدقا لنبيهم وكتابهم فلم يوجب لهم ذلك عداوة شديدة وطعنهم في محمد طعن في نبوتهم فاستحقوا التقديم في الوعيد لذلك وكانوا شر البرية وهي جملة يطول تفصيلها اشر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا على سفلتهم طريق الحق وشر من الجهال لان العناد اقبح انواع الكفر وفيه دليل على ان وعيد العلماء السوء افظع قوله تعالى في هذه الاية خالدين فيها وفي اية الوعد خالدين فيها ابدا اشارة الى كمال كرمه وسعة رحمته كما قال سبقت رحمتي غضبي وقال العلماء هذه الاية مخصوصة في صورتين احدهما ان من تاب منهم واسلم خرج من الوعيد والثاني ان من نفى من الكفرة يجوز ان لا يدخل فيها لان من عرف كان نشا منهم قوله وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا مكلف ياتي بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ بحسب العناية الاعطاء واخذ الفقه الاحتجاج بعضهم بقوله اولئك هم خير البرية على تفضيل البشر على الملك قالوا روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اتعجبون من منزلة الملايكة من الله والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المومن عند الله يوم القيمة اعظم من ذلك واقرؤا ان شئتم الاية اجاب المنكرون بان الملك ايضا داخل في الذين امنوا وعملوا الصالحات والمراد بالبرية بنو ادم لان اشتقاقها من البرا وهو التراب لا من براه الله الخلق وتمام البحث في المسالة قد سبق في اول البقرة قوله سبحانه ذلك لمن خشي ربه مع قوله انما يخشى الله من عباده العلماء يدل على انهم خير البرية اللهم اجعلنا منهم امين رب العالمين

سورة زلزلت مكية وهي تسع ايات حروفها مائة وتسعة واربعون كلماتها خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝

القراءة يره ساكن الهاء في الحرفين الحلواني عن هشام **الوقوف** زلزالها اثقالها مالها لا لان اذا عامل حذف عامل اذا اي اذا كانت هذه الامور ترى ما ترى اخبارها لتكون العامل يحدث يومئذ بدلا من اذا اخبارها لها اعمالهم يره ترة **التفسير** لما ختم السورة المتقدمة بالوعيد والوعد اتبعه ذكر وقت الجزاء وعدد من امارات الزلزلة الشديدة التي يبتلي بها اهل الارض وهي معنى اضافة الزلزال الى ضمير الارض وقال اهل المعاني هو كقولك اكرم التقي كرامة واهن الفاسق اهانته يريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة وقريب منه قول من قال المراد زلزالها كل الزلزال وجميع ما هو ممكن منه اي يوجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل وقيل زلزالها الموعود والمكتوب عليها لما انها قدرت تقدير الحي يروى انها تزلزل من نفخة صوت اسرافيل عليه السلام ومن امارات الساعة اخراج الارض اثقالها اي ما في جوفها من الدفائن والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وسمي الجن والانس بالثقلين لذلك يروى انها تخرج كنوزها فتملأ ظهر الارض ذهبا ولا احد يلتفت اليه وكان الذهب يصيح ويقول انا كنت تخرب ذلك ودنياك لاجلي ويمكن ان تكون الفائدة في اخراجها ان يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها الجباه والجنوب والظهور قالوا انها عند النفخة الاولى تتزلزل فتلفظ بالكنوز والدفائن وعند النفخة الثانية ترجف فتخرج الاموات احياء كالام تلد الولد حيا وقيل تلفظهم امواتا ثم يحييهم الله تعالى وقيل اثقالها اسرارها فيومئذ تنكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها اي تشهد لك او عليك وقال الانسان ما لها يعني حالها وقيل الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فيقول من بعثنا من مرقدنا واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والباء في قوله بان ربك اما ان يتعلق بتحدث والايحاء بمعنى الامر اي تحدث بسبب ان ربك امرها بالتحديث ومفعول يحدث محذوف اي تحدث اي تحدث الناس او متروك لان المقصود تحديثها لا من تحدثه وقيل يحدثها بان ربك اوحى لها تحدث اخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة انك نصحتني في الدين وقيل بدل من اخبارها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز عند بعضهم كصاحب الكشاف وابي مسلم كانها بلسان الحال تبين لكل احد جزاء عمله او تحدث ان الدنيا قد انقضت والاخرة قد اقبلت والجمهور على ان الله تعالى يجعل الارض ذات فهم ونطق ويعرفها جميع ما عمل عليها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى وكان علي كرم الله وجهه اذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول اشهدي اني ملأتك بحق وفرغتك بحق وقيل لفظ التحديث يفيد الاستئناس فلعل الارض تبث شكواها الى اولياء الله وملائكته قالت المعتزلة ان الله تعالى يخلق في الارض وهي جماد اصواتا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى قوله يصدر الناس ضد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف واشتاتا اي متفرقين جمع شت او شتيت اي يذهبون من مخارج قبورهم الى الموقف بعضهم راكبين مع الثياب الحسنة وبياض الوجه وينادي مناد بين يديه هذا ولي الله وبعضهم مشاة حفاة عراة سود الوجوه مقيدين بالسلاسل والاغلال والمنادي ينادي هذا عدو الله وقيل اشتاتا اي كل فريق مع شكله اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني وقيل من كل قطر من اقطار الارض ليروا صحائف اعمالهم وجزاء اعمالهم وهو الجنة او النار وما يناسب كلا منهما والذرة اصغر النمل او هي الهباء وعن ابن عباس اذا وضعت راحتك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من عبد عمل خيرا او شرا قليلا كان او كثيرا الا اراه الله تعالى اياه قال مقاتل نزلت هذه الآية في ان احدهم كان يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويقول ما هذا بشيء انما نؤجر على ما نعطي وكان احدهم يتهاون بالذنب الصغير ويقول لا شيء علي من هذا فرغب الله تعالى في القليل من الخير لانه يوشك ان يكثر وحذرهم الذنب اليسير فانه

ان يعظم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة والتحقيق ان المقصود النية فان كان العمل قليلا والنية خالصة حصل المطلوب وان كان العمل كثيرا والنية فاسدة فالمقصود فائت ولهذا قال كعب لا تحقروا شيئا من المعروف فان رجلا دخل الجنة باعارة ابرة في سبيل الله وان امرأة اعانت بحبة في بناء بيت المقدس دخلت الجنة وعن عائشة كان بين يديها عنب قدمته الى نسوة بحضرتها فجاءها سائل فامرت له بحبة من ذلك فضحك بعض من كان عندها فقالت فيما ترون مثاقيل ذر كثير وتلت هذه الآية قال في الكشاف ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر واجاب على مذهبه بان المعنى فمن يعمل من فريق السعداء مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل من فريق الاشقياء مثقال ذرة شرا يره وذلك ان الحكم جاء بعد قوله ليصدر الناس اشتاتا والاولى في جوابه ما روي عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثاب بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته وقيل ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بكفره لكن الموازنة معتبرة فيقدر تلك الحسنات انحطت من عقاب كفره وكذا القول في الجانب الآخر وعن محمد ابن كعب القرظي معناه فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن فانه يرى عقوبته تلك في الدنيا في نفسه او اهله او ماله حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شيء وهذا مروي عن ابن عباس ايضا ويؤيده ما روي انه صلعم قال لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها يوم القيامة فان قيل ان كان الامر الى هذا الحد فاين الكرم قلنا هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت ففيها استخفاف والكريم لا يحتمل والطاعة تعظيم فان قلت فالكريم لا يضيعه وقال اهل العرفان كانه تعالى يقول ابن آدم اتكلم ضعفك وعجزك فتضيع ذرة من مخلوق خلقت بل نظرت فيها واعتبرت منها واستدللت بوجودها على وجود الصانع فانا مع كمال الغنى وكرمي كيف اضيع ذرة من ذلك الكريم حسبي

سورة والعاديات مكية وهي احدى عشرة آية حروفها مائة وثلاثة وستون كلماتها اربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

القراءة والعاديات ضبحا بالادغام ابو عمرو غير عباس فالمغيرات صبحا ابو عمرو غير عباس بخلاد وحمزة **الوقوف** ضبحا قدحا صبحا نقعا لكنود لان ما بعده يصلح عطفا واستئنافا لشهيد لذلك لشديد القبور الصدور **التفسير** انه سبحانه ذكر في هذه السورة ما عليه جبلة الانسان من قلة الصبر والشكر والحرص على المال بحيث يكاد يشغله عن تحصيل الكمال الحقيقي وعن المعاد الذي اليه مآل العباد فاقسم على ذلك بالتي هي مركوزة في خزانة خيالهم ولا يكاد يخلو في الاغلب عن الخطور ببالهم وفي تفسيرها قولان روي ان العاديات هي الابل روي عن ابن عباس انه بينا جالس في الحجر اذ جاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له قولي فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام يعني بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل تعدو من عرفة الى مزدلفة ومن المزدلفة الى منى والصبح على هذا مستعار

لان الاصل استعماله في الخيل وهو صوت انفاسها اذا عدون وهذا الصوت غير الصهيل وغير الحمحمة وانتصابه على يضبحن ضبحا
وبالعاديات لان العدو لا يخلو من الضبح او على الحال وهكذا القول في الموريات قدحا لان الايل فلا يردي احتفافها بالقدح
ما يردي ونقدح فاصله فالمغيرات اي المسرعات يندفعون صبحة يوم الغزو وعنى الي منافاتون من الاثار اي يهيجن وهو
حكاية الماضي او هو محمول نادى وسبق به اي بالعدو او بتلك الوقت نقعا غبارا فوسطن اي توسطن بذلك الوقت او بالعدو
او ملتبسة بالنقع جمعا وهو الجمع ولا لاجتماع الناس بها القول الثاني من مجاهد وقتادة والضحاك واكثر المحققين ان
العاديات مر روي ذلك مرفوعا قال الكلبي بعث رسول الله صلعم سرية الى ناس من كنانة فكث ما شاء الله ان يمكث لا ياتيه
منهم خبر فتخوف عليها فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها وعلى هذا اللام في العاديات للعهد ويحتمل ان يكون للجنس
فتدخل خيل السرية فيها دخولا اوليا وقوله فالمغيرات على هذا يكون من اغار على العدو اذا شن عليهم الغارة والجمع
جمع الغزاة او الكفر وقيل الايرا عبارة عن سبب نيران الحرب وايقادها كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب وقيل هي نيران واياقدها
كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب وقيل هي نيران الغزاة بالليل لحاجة طعامهم او غيره وعن عكرمة هي الالسنة وقيل هي النجات
في الامور فيحتمل ان يكون الخيل او الابل لانه وحدها المقصود من الحج او الغزو فيحتمل انها جماعة الغزاة بانفسهم فقال الحج
فحاجته وروي ندة وفي اقسام الله بالابل دلالة على عظم شانها ودكثرة منافعها دينا ودنيا كما قال افلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت وذللها لهم فمنها ركوبهم وكذا في الاقسام بالخيل وكذلك المشاهدين عدوها وكرها وفرها بحسب شأنه
الراكب وللامر وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها الخيل معقود بنواصيها الخير وقالت العقلاء ظهورها حرز وبطونها كنز قال الواحدي
اصل الكنود منع الحق والجحود ولهذا فسره ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة بالكفور فالى امنة يسمى الرجل المشهور
بكنده لانه كند اباه وفارقه وعن الكلبي الكنده بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفر
وروى ابو امامة عن النبي صلعم ان الكنود الكفور الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده وفي تقديم الظرف مزيد
تقريع يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران فكيف نعمة غيره من الابوين ونحوهما وقال الحسن الكنود اللوام لربه
يعد المحن والمصائب لانه ينسى النعم والراحات والاكثرون على ان الانسان هو الكافر لقوله بعد ذلك افلا يعلم ويحتمل ان يراد
ان جنس الانسان مفطور على ذلك الا من عصمه الله بلطفه وتوفيقه وقوله افلا يعلم يجوز ان يكون توبيخا على انه لا يعلم
بعلمه والضمير في قوله وانه على ذلك اما ان يعود الى الرب وهو اقرب فيكون كالوعيد من حيث ان الله يحصي عليه
اعماله واما ان يعود الى الانسان اي انه على كنوده لشهيد ولا يقدر ان يجحده لظهور اماراته عليه وقد يرجح هذا
الوجه بان الضمير في قوله وانه لحب الخير للانسان فناسب ان يكون الاول له ايضا لئلا يلزم التفكك والخير المال لقوله
ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يريد انه لاجل حب المال البخيل وقيل الشديد القوي اي انه لاجل ايثار الدنيا
وطلب ما فيها مطيق قوي ولاجل عبادة ربه عاجز ضعيف وانه لحب الخيرات الحقيقية غير هش منبسط ولكنه شديد
منقبض وقال الفراء اراد انه لحب الخيرات لشديد الحب اي انه يحب المال ويحب كونه محبا له فاكتفى بالحب الاول
من الثاني وقال قطرب اللام بمنزلة في لانه لشديد بحب الخير ثم وبخه وخوفه بالعلم التام الازلي الابدي الشامل
لاحوال مبدأ الانسان ومعاده وبعثر مثل بحثر كما مر في انفطرت فاما لم يقل من في القبور بل قال ما في القبور
على التغليب فان اكثر ما في الارض ليسوا مكلفين والذين هم مكلفون يجوز ان يكون الحال البعثرة اموانا
غير عقلاء ثم يصيرون احياء بعد البعثرة قال ابو عبيدة وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من كل احد
من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور حكما حكم خاص وقيل معناه جمع ما في الصدور في الصحف اي اظهر محصلا
مجموعا وقيل يكشف ما في البواطن من الاخبار وما في الاستار من الاسرار وقد يرجح فيه اعمال الجوارح بتعلقها فانها تبع لما في القلوب
لان القلب مطية الروح وهو بالطبع يحب المعرفة الله تعالى اما المانع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر
وانما جمع الضمير في قوله ان ربهم بهم حملا على معنى الانسان ومعنى تقييد العلم بذلك الزمان حيث قال يومئذ وهو عالم بأحوالهم
لا مزيد للتوبيخ فكانه تعالى قال انه لم يكن عالما في الازل فانه يصير بعد الاختبار عالما فان الذي هو عالم في الازل كيف لا يكون خبيرا
بهم في الابد وجوز ان يكون سبب التقييد هو ان ذلك وقت المجازاة على حسب العلم بالاحوال والاقوال والاعمال

سورة القارعة مكية وهي ثمان ايات حروفها مائة واثنان وخمسون كلماتها ست وثلثون

تم الى القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم
الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝

القراءة ما هي نار بغير هاء السكت في الوصل حمزة وسهل ويعقوب والا فبالهاء وان كانت وصلا اتباعا لخط
المصحف الوقوف القارعة ما القارعة ما القارعة المبثوث لا لاية العطف المنفوش لا للابتداء بالشرط موازينه لا لان
بعده جواب راضية موازينه هاوية ماهية حامية التفسير لما ختم السورة المتقدمة باحوال المعاد ذكر في هذه السورة
بعض اهوال الاخرة والقرع الاصطكاك بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة الهائلة قارعة والمراد ههنا القيامة ولا هول منها
ولذلك قال في الاخبار عنها ما القارعة لانه يفيد زيادة التهويل ثم قال وما ادراك ما القارعة وانتصب يوم بفعل
محذوف دل عليه القارعة اي يقرع الناس يوم كذا وهذا القرع عبارة عن الصيحة التي تموت فيها الخلائق ثم يحييهم
الله عند النفخة الثانية كما روي ان الصور فيه ثقب على عدة الارواح لكل واحد ثقبة معلومة فيحيي الله تلك
النفخة الواصلة اليه من تلك الثقبة المعينة وقيل القرع هو اصطكاك الاجرام العلوية والسفلية حتى التخريب والتبديل
او هو نفس انفطارها وانتشارها واندكاكها قال الكلبي وقال مقاتل انها تقرع اعداء الله بالعذاب فاما اولياؤه فهم من الفزع
امنون والفراش اسم لهذه الدواب التي تتهافت وتقع في النار سمي فراشا لتفرشه وانتشاره والمراد بالمعنى بقوله
المبثوث وشبه الناس يومئذ بها لكثرتهم وانتشارهم ذاهبين في كل اوب كما شبههم بالجراد المنتشر في موضع اخر
لذلك لا لصغر بالجثة والهول والضعف وجوز بعضهم ان يكون ذلك الا في المرحلة فتشبيههم ثم بالجراد ثم وكمالهم
الى الهزال والضعف لحر الشمس ولسائر اصناف المتاعب فتشبيههم بالفراش ويمكن ان يكون وجه التشبيه الذلة
والضعف كقوله صلعم الناس اثنان عالم ومتعلم وسائر الناس همج وشبه الجبال بالعهن لاختلاف اجزائها في الحمرة والبياض
والسواد كما مر في المعارج ثم زادها وصفه بالمنفوش لتفرق اجزائها ثم قال تالي هذا قسم الناس فيه الى قسمين
بحسب ثقل موازين اعمالهم وخفتها وقد مر تحقيقه مرارا ولا سيما في اول الاعراف وقوله فامه
الحاوية واما قوله فامه هاوية ففيه وجوه احدها ان الام هي المعرفة والهاوية الهالكة وهي ادعوها
وسقطت بعنوان الدعاء عليه بالويل والثبور والخزي والهوان وقال الاخفش والكلبي وقتادة المراد انهم يهوون في النار على امهات رؤوسهم
هي النار وعلى هذا الوجه قوله ماهيه اي ما الهاوية هذا هو الظاهر والاولون قالوا الضمير للداهية التي دل عليها قوله
فامه هاوية وفي قوله نار حامية اشارة الى ان نيران الدنيا بالنسبة الى الاخرة غير حامية ثم والله اعلم

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات حروفها مائة واثنان وعشرون كلماتها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم
أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

القراءة لترون بضم التاء من الاراءة مجهولا ابن عامر وعلي الوقوف التكاثر المقابر لا لان كلا بمعنى حقا وقد يجعل

الناس على رؤوسهم وقيل الام الاصل والهاوية من اسماء النار لانها نار والاوى مأوى

علي الردع عن التكاثر سوف تعلمون اليقين لان جواب لو محذوف وقوله لترون جواب قسم الجحيم اليقين
النعيم **التفسير** لما ذكر القارعة واهوالها قال الهاكم التكاثر وهو المغالبة بالكثرة او تكلف الافتخار بها لا وجه لها
عن التدبر في امر المعاد فنسيتم القبر حتى زرتموه يروى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا انهم اكثر عددا فكثرهم
اي عليهم بالكثرة بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات اي عدوا مجموع احيا
وانا انا مع مجموع احيائكم واموتكم ففعلوا فزاد بنو سهم فنزلت الايه وهذه الرواية شديدة الطباق لظاهر الايه لقوله
زرتم بصيغة الماضي وفيه تعجب من حالهم انهم زاروا القبور في معرض المفاخرة والاستغراق في حب ما لا طائل تحته من
التباهي بالكثرة ولا التباري فيها مع ان زيارة القبور مظنة ترقيق القلب وازالة القساوة كما قال صلى الله عليه وسلم كنت
نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فزوروها فان زيارتها تذكرة ومن هنا قال بعضهم ان الحرص على المال قد شغلكم
عن الدين فلا يلتفتون اليه الا اذا زرتم المقابر فحينئذ ترق قلوبكم بعض من ان خطركم دينكم ليس الا هذا القدر ونظيره
قوله قليلا ما تشكرون اي لا اقنع منكم بهذا القدر من الشكر وقيل معنى الايه الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة
ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك على طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك ويندرج فيه من يمنع الحقوق المالية
الى حين الموت ثم يقول اوصيت لفلان بكذا ولفلان بكذا واستدلوا عليه بما روى مطرف بن عبد الله الشخير عن ابيه
انه صلى الله عليه وسلم قال ابن ادم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت او تصدقت
فامضيت ثم قرا الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اي حتى متم واورد عليه ان الزائر هو الذي يجي ساعة ثم ينصرف والميت
يبقى في قبره مدة مديدة وايضا ان قوله زرتم صيغة الماضي فكيف يحمل على المستقبل ويمكن ان يجاب عن الاول
بان مدة اللبث في القبر بالنسبة الى الابد اقل من لحظة كما قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او
بعض يوم وعن الثاني بان المشرف على الموت كانه على شفير القبر او هو خطاب عن تقدم منهم والخبر عنهم كالخبر عن متاخريهم
لانهم كانوا على طريقتهم وقال ابو مسلم انه تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة بعتاب الكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة
القبور والمقابر جمع المقبرة بفتح الباء وضمها فقالت العلما التكاثر مطلقا ليس بمذموم لان التكاثر مطلقا ليس
بمذموم لان التكاثر في العلم والطاعة والاخلاق الحميدة ليس بمذموم اذا كان المراد ان يقتدي غيره به كما مر في قوله واما بنعمة
ربك فحدث وانما المذموم ما يكون الباعث عليه الاستكثار وحب الجاه والعظمة والفخر بما لا سعادة حقيقية فيه فليست
السعادة الحقيقية الا فيما يرجع الى العلم والعمل لا فيما يعين عليهما من الامور الخارجية عن الحسن لا تزكيك كثرة من
ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك وتكرير الوعد وهو سوف تعلمون للتاكيد وقيل الاول عند القبر
حين يقال للاشقى والثاني بسؤال القبر اذ يقال من ربك وفيه دليل على عذاب القبر على ما روي عن علي كرم الله وجهه او حين ينادي
المنادي فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا او حين يقال وامتازوا اليوم وعن الضحاك الاول سوف تعلمون ايها الكفار
ثم كلا سوف تعلمون ايها المومنون فالاول وعيد والثاني وعد وقيل ان كل احد يعلم قبح الكذب والظلم وحسن الصدق
والعدل لكن لا يعرف مقدار اثامها ومنافعها فالله تعالى يقول سوف تعلمون عما تتصفون به اولا عند الموت ثم عند البعث
ثم في النار ثم في الجنة قوله سبحانه لو تعلمون علم اليقين اتفقوا على ان جواب لو محذوف لان قوله ثم لتسألن امر واقع قطعا فلو كان قوله
لترون جوابا للشرط كانت الرؤية مشكوكا فيها فيلزم المخالفة بين المعطوفات او التشكيك فيما هو واقع قطعا وكلاهما عن سد بدلهم في تقدير
الجواب وجوه قال الاخفش لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم التكاثر وقال ابو مسلم لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لاجله لاشتغلتم
به وقال اهل البيان الاولى ان يقدر ما هو عام في كل شي وهو للفظية ما لا يوصف ولا يكتنه كنهه ولكنكم ضلال جهلة ومعنى علم اليقين
علم يقيني فاضيف الموصوف الى الصفة نحو ولدار الاخرة ويحتمل ان يكون اليقين هو الموت كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
فان الشك حينئذ يزول والاحوال الى اليقين بالانسان اذا علم ما يلقاه حين الموت ولعله لم يلهه التكاثر وامانة
العلم الى بعض انواعه جائزة كعلم الطب وعلم الحساب وفي الايه تعنيف للعلماء على انهم لو اهملوا العلم لكان بعد فوات ايان
العمل سوى الحسرة والندامة وروي ان ذا القرنين لما دخل الظلمات امر من معه بان ياخذوا من الحجر الذي كانت عنده فاخذ بعضهم
وترك بعضهم فلما خرجوا من الظلمات وجدوا الحجر جواهر فكان للاخذين فرحا وحسرة للتاركين عامحسرة اما لكم لترون الجحيم
فقيل ان الاول رويتها من بعيد كما قال اذا راتهم من مكان بعيد والثاني رويتها من قريب الى سعيرها وقيل الاولى عند الورود والثانية

بعد الدخول ماورد قوله ثم لتسألن فان السوال قبل الدخول وقيل السنة التكلم والمراد تتابع الرؤية واتصالها كانه قيل لهم ان كنتم
شاكين فيها فلن تزولوا رويته دائمة متصلة فيجوز ان يكون قوله علم اليقين متعلقا بالرويتين جميعا ويجوز ان يكون متعلقا
بالثانيه لان علمهم بها وبالحيتها والاعيان يزداد شيئا فشيئا حتى يصير الخبر عيانا ومعنى علم اليقين معنى اليقين وحق اليقين كامر
في اخر الواقعة وفي السوال عن النعيم وجهان الاول ان الكفار لما روى ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت الايه قال يا رسول الله ارايت
اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب ايكون من النعيم الذي نسال عنه فقال انما
ذلك للكفار ثم قرا وهل نجازي الا الكفور ولان الخطاب في اول السورة للذين الهاكم التكاثر عن المعاد فناسب ان يكون
الخطاب في اخر السورة ايضا لهم ويكون من الغرض من السوال التقريع حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه سبب السعادة هو من اعظم
اسباب الشقاء لهم الثاني العموم لوجوه منها رواية ابي هريرة عن النبي صلعم ان كل ما يسال العبد عنه يوم القيمة النعم فيقال له
الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ومنها قول محمد بن لبيد لما نزلت السورة قالوا يا رسول الله انما هو الماء والتمر وسيوفنا
على عواتقنا والعدو حاضر فعن اي نعيم نسال فقال اما انه سيكون وعن انس لما نزلت الايه قام محتاج فقال هل علي من النعمة
شي قال الظل والنعلان والماء البارد وعن النبي صلعم لا تزول قدما العبد يوم القيمة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن
شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به وعن الباقر ان النعيم العافية وعنه ان الله تعالى
اكرم من ان يطعم عبدا ويسقيه ثم يساله عنه وانما النعيم الذي يسال عنه هو رسول الله صلعم ما انعمت قوله تعالى لقد من الله
على المومنين اذ بعث فيهم رسولا وقيل هو الزايد على الكفاية وقيل خمس شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم واظلال
المساكن واعتدال الخلق وعن ابن مسعود الامن والصحة والفراغ وعن ابن عباس ملاذ الماكول والمشروب وقيل التمتع
بالحواس السليمة وعن الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القران وقال ابن عمر الماء البارد والظاهر العموم لان ال
لام الجنس الا ان سوال الكافر للتوبيخ لانه عصى وكفر وسوال المومن للتشريف بانه اطاع وشكر والظاهر ان السوال في الموقف
وهو متقدم على مشاهدة جهنم فمعنى ثم الترتيب في الاخبار اي ثم اخبركم انكم تسالون يوم القيمة عن النعيم وقيل هو في النار
توبيخا لهم كقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير وقوله ما سلككم ونحوه والله اعلم

سورة العصر مكية وهي ثلاث ايات وحروفها ثمانية وستون كلماتها اربع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

الوقوف والعصر لا لفي خسر لا بالصبر ط **التفسير** لما بين في السورة المتقدمة ان الاشتغال بامور الدنيا والتهالك
عليها مذموم اراد ان يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الايمان والاعمال الصالحات وهو حظ الادمي من جهة الكمال
ومن التواصي بالخيرات يكمل النفس عن المناهي وهو حظه من حيث الكمال ماكلا ما اراد بقوله والعصر وللمفسرين فيه اقوال الاول
انه الدهر لوجوه منها ما جاء في القراة الشاذة انه صلعم كان يقرا والعصر ونوايب الدهر وحمله العلما انه مع على التفسير لا على انه من القران
ولهذا لا تجوز قراته في الصلوة ومنها ان الدهر يشتمل على الاعاجيب الدالة على كمال قدرة خالقها من تعاقب الليل والنهار وسائر الاحوال
الكلية والجزئية بل نفس الدهر من اعجب الاشيا لانه موجود يشبه المعدوم ومتحرك ايضا يشبه الساكن واري الزمان سفينة تجري
بنا نحو الموت ولا نري حركاتها ومنها ان عمر الانسان كبعض منه قال اذا ما مر يوم مر بعضي ولا شي انفس من العمر
وفي تخصيص القسم به اشارة الى ان الانسان يضيف المكاره والنوايب اليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه فاقسم الله
تعالى به دلالة على شرفه وان الشقا والخسران انما لزم الانسان لعيب فيه لا في الدهر ولذلك قال لا تسبوا الدهر فان الدهر
الدهر القول الثاني وهو قول ابي مسلم ان العصر هو اخر النهار اقسم الله به كما اقسم بالفجر والضحى لان اخر النهار يشبه تخريب
العالم واماتة الاحيا كما ان اول النهار يشبه بعث الاموات وعمارة العالم فعند ذلك اقامة الاسواق ونصب الموازين

ووضع المعاملات وفيه اشارة الى ان عمر الدنيا ما بقي الا بقدر ما بين العصر الى المغرب فعلى الانسان ان يشتغل بتجارة
لا خسران فيها فان الوقت قد ضاق وقد لا يمكن تدارك ما فات وقال قتادة انه صلوة العصر لشرفها وفضلها ولهذا تسمى الصلوة الوسطى
عند كثير وقد مر في البقرة وقيل اقسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم او بزمانه الذي هو نهاية الدنيا كما جاء في حديث طويل
وقد اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وبحيوته في قوله لعمرك وكل ذلك تشريف له وتوبيخ لمن لم يوقره حق توقيره واما
اللام في الانسان فاما للعهد كما روي عن ابن عباس انه اراد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن عبد المطلب وعن مقاتل انه ابو لهب وفي خبر مرفوع انه ابو جهل كانوا يقولون ان محمدا لفي خسر فاقسم الله تعالى
ان الامر بالضد مما توهموه وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا والاكثرون على ان اللام للجنس ثم ان كان المراد بالخسر اي
الخسران كالكفر والكفران هو الهلاك كان المراد جنس الانس على الاطلاق فان كان المعنى بالخسر الضلال والكفر كان
المراد جنس الكافر هكذا قال بعضهم ولقائل ان يمنع الفرق ولا يخفى ما في ان واللام للتاكيد ومن كلمة في وتنكير خسر من المبالغات
فكانه ابتلته جهات الخسر كلها واعظمها حرمانه عن جناب ربه قال بعضهم ان الانسان لا ينفك من خسر لان عمره راس ماله
فان فناء العمر فيما يمكن ان يكون خيرا منه عبارة عن الخسران ووجهه انه ان افنى عمره في المعصية فخسره وخسر ظاهر وان
كان مشتغله بالمباحات فكذلك لانه يمكنه ان يعمل فيه عملا يبقى اثره ولذته دائما وان كانت مشغولة بالطاعات فلا طاعة
الا ويمكن الاتيان بها على وجه احسن لان مراتب الخضوع والعبادة غير متناهية كما ان جلال الله وجماله ليس لهما نهاية وفي التحقيق
منه ان الانسان لا يكلف الا بما هو وسعه وطوقه لا بالنسبة الى وسعه بل بالنسبة الى شخصه فاذا اجتنب المعاصي بقدر
الامكان واستعمل المباح بمقدار الضرورة والحاجة واتى بالطاعة على حسب امكانه لم يسم خاسرا ولكنه يكون محل الاستخلاص
الشريف فلهذا استثناه الله تعالى بقوله الا الذين الى اخره وعن بعضهم انه قال في التين لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فابتدا من الكمال الى النقصان وقال ههنا في خسر الا الذين فعكس القضية لان ذلك
الذكر في احوال البدن وهذا مذكور في احوال النفس قلت ويمكن ان يقال ان كلتا الايتين في شان النفس الا انه اراد في
التين ذكر استعداده الفطري وهو كراس المال وههنا اراد حكاية معاملته بعدما اعطي راس المال ولا ريب ان النزوع منه الى
طلب اللذات العاجلة المضيعة للاستعداد الاصلي الا الموفقين الموصوفين بالكمال والاكمال وفي الكمال الخسر وكشر نحو
الى نفعه الابهام ثم في تفصيل الربح بانه منوط بالايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر دليل على غاية السخاء والكرم
بان رحمته سبقت غضبه وفي لفظ التواصي دون الدعاء والنصيحة تاكيد بليغ كانه امر مهتم به كالوصية وفيه ايهام ما توا
بالارادة عن الشهوات الفانية يكون اموع وفضحهم بمنزلة قول من اشرف على الوفاة والحق خلاف الباطل ويستعمل جميع الخيرات وابجى
تعلقه والصبر يشتمل على جميع المناهي فهم بالحقيقة امرون بالمعروف ناهون عن المنكر وفي لفظ المضي اشارة الى تحقق وقوعه منهم ط م

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات حروفها ثمانية وستون كلماتها اربع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

القراءة جمع بالتشديد ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف عمد بضمتين جمع عماد حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بفتحتين جمع عمود

الوقوف لمزة لا بناء على ان الذي وصف ولو كان منصوبا على الذم او مرفوعا على الذم فالوقف وعدده وا اخلده ج وان وصل وقف على كلا الحطمة ط الحطمة ط الموقدة لا الافئدة لا موصدة ط ممددة ط

التفسير لما ذكر حكم جنس الانسان في خسر عقبه

بمثال

بمثال واحد قال عطاء والكلبي نزلت في الاخنس بن شريق كان يكثر من اعراض الناس ويكثر الطعن منهم والتركيب يدل
على الكسر ومثله اللمز باللسان وقال ابو العالية الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقد يكون يشير بالحاجب او العين وقيل نزلت
في الوليد ابن المغيرة كانت عادته الغيبة والوقيعة وبناء فعلة يدل على ان ذلك كان عادته واما فعلة بسكون العين فهو للمفعول
وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان السورة نزلت في امية بن خلف والمحققون على ان خصوص السبب لا ينافي عموم النهي
يحتمل ان يكون النهي عاما ويدخل فيه شخص معين دخولا اوليا كما قال لك انسان لا ازورك ابدا فيقول كل من لم يزرني
لا ازوره وتعريضا به ومثله يسمى في اصول الفقه تخصيص العام بقرينة العرف ولا يخفى ان الهمز واللمز من اقبح الاشياء
وخاصة في حق من اجل منصبا واعلى قدرا من كل المخلوقات وهو النبي صلعم فلا جرم اوعده بالويل وهو كلمة جامعة لكل شر
ومكروه او هو واد في جهنم وقد تقدم مرارا ثم وصفه بقوله الذي وكانه سبب للهمز واللمز ولان الغنى مما يورث الاعجاب
والكبر والتشديد في جمع للتكثير في المفعول ويوافقه تنكير مالا وكذا التشديد في عدده ولا يبعد ان يكون التكثير
في الفعل ولا ريب ان عد المال في غير ضرورة وضبطه ازيد من المعتاد يوجب للنفس شغلا عن السعادات الباقية
وحرصا على الزخارف الدنية وعلى التمتع بتلك الاسباب ولهذا قال يحسب ان طول المال امله ومناه حتى
اصبح لفرط غفلته يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا وقيل عدده اي امسكه وجعله عدة وذخيرة لحوادث
الدهر قيل اراد بقوله يحسب تشييد البنيان واحكامه بالجص والاجر وغرس الاشجار وعمارة الاراضي عمل من يظن ان ماله ابقاه
حيا وهو تعريض بالعمل الصالح المخلد لصاحبه الاجر الجزيل بالثناء الجميل واما المال فبمعزل عن ذلك لانه للحوادث وللوارث وقيل
احب حبا شديدا حتى اعتقد انه ان انتقص مالي اموت فلذلك يحفظه عن النقصان ليبقى حيا وهذا غير بعيد من اعتقاد
كلا ردع له عن حسبانه اي ليس الامر كما يظن ان المال المخلد بل العلم والعمل كما قال علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون
ما بقي الدهر عن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لماذا
قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا ندعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك
قوله لينبذن جواب قسم محذوف او جواب حسبان لانه في معنى القسم والنبذ الطرح وفيه اشعار باهانته وفي قوله
في الحطمة وهي النار التي من شانها ان تحطم اي تكسر كل ما يلقى فيها اشارة الى غاية تعذيبه ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
ودي بها فعله لهمزة لمزة فقابلناك بالحطمة ايضا في الحطم معنى الكسر الهمزة واللمزة يكسر الناس بالاغتياب والعيب
او باكل لحمهم كما ياكل الرجل الاكول ثم كان لقائل ان يسال كيف قوبل الوصفان بوصف واحد فقيل انك لا تعرف ذلك الواحد ما
ادراك ما هذه الحطمة نار الله هي اضافة تعظيم كبيت الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اي تدخل في اجوافهم حتى تصل
الى صدورهم وتطلع على جنانهم وخباياها ولا شيء في الانسان الطف منه ولا اشد تالما فلا يجوز ان يكون في تخصيص الافئدة
اشارة الى زيادة تعذيب القلب لانه محل الكفر والعقائد الفاسدة وعند اهل التاويل اذا كانت النار امرا معنويا فلا ريب
انه لا يتالم بها الا الفؤاد الذي هو محل الكفر والعقائد الفاسدة وعند اهل التاويل اذا كانت النار معنى فلا ريب انه لا يتالم
الاركان والعقائد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم اي تعلوها وتغلبها
انتهت ثم ان الله تعالى اعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى والموصدة المطبقة الابواب اوصدت الباب واصدته اغلقته والمعنى موصدة
عليهم الابواب ومدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق وجوز ان يراد ان ابواب النار عليهم موصدة حال كونهم
موثقين في عمد مقطوعة الفطرة خشبية فيها خروق يدخل فيها رجل المحبوس من اللصوص ونحوهم قال المبرد العمد بفتحتين جمع عمود
على غير واحده اما الجمع على واحده فهي العمد بضمتين مثل زبور وزبر ورسول ورسل وقال الفراء العماد والعمد كالاهاب
والاهب وانما التانيث لانه اسم جمع ادبيا وبل الاسطوانة والله اعلم

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات حروفها ستة وتسعون كلماتها ثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

الوقوف الفيل تضليل ابابيل سجيل ماكول

التفسير يروي ان ابرهه ملك اليمن من قبل اسمه النجاشي بنى كنيسة بصنعا واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وقيل كان معه اثنا عشر فيلا وقيل الف فيل فلما بلغ ذا المجاز [illegible] مكة خرج اليه عبد المطلب [illegible]

[illegible]

عليهم الطير

[illegible]

سورة قريش مكية وهي اربع ايات حروفها ثلاثة وسبعون كلامها سبع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ۝ الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

القراءة لِيلاف بتخفيف الهمز [illegible]

الوقوف [illegible]

التفسير في هذا اللام ثلاثة اقوال الاول [illegible]

[illegible]

الكلام في تفسير الامام الرازي لسورة الفيل اخر كتاب تفسير مفاتيح الغيب

ويجوز ان يكون معنا فلما اهلكوا لاجل كفرهم ايضا ويجوز ان يكون الاهلاك لاجل الايلاف فقط ويكون جزاء الكفر مؤخرا الى يوم القيمة
اللام لام العاقبة ويحتمل ان يتعلق اللام بقوله فعل ربك كانه قال كل ما فعلنا بهم من تضليل كيدهم وارسال الطير عليهم حتى تلاشوا
انما كان لاجل ايلاف قريش ولا يبعد ان يكون اللام بمعنى الى اي فعلنا كل ما فعلنا مضمومة الى نعمة اخرى وهي ايلافهم الرحلتين
تقول نعمة الى نعمة ونعمة لنعمة قال الفراء ومما يؤيد هذا القول الثالث ما روي ان ابي ابن كعب جعلهما في مصحفه سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر رضي الله عنه انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب من غير فصل بينهما بالبسملة والمشهور المستفيض هو الفصل بينهما
بالبسملة فان لم يكن اللام متعلقة بما قبلها من السورة فالوجه فيه ان القران كله بمنزلة كلام واحد والفصل بين طايفة طايفة منه
لا يوجب انقطاع احدى الطايفتين عن الاخرى بالكلية ثم ان هولاء قالوا لا شك ان مكة كانت خالية عن الزرع والضرع وكان
اشراف مكة يرحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لانفسهم ولاهل بلدهم بما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وان ملوك النواحي
كانوا يعظمونهم ويقولون هولاء جيران بيت الله وقطان حرمه فلا يجترئ احدهم عليهم ثم لما قصد اهل الحبشة ما عزموا عليه من هدم
الكعبة لزال عنهم هذا العز وصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون ويغار عليهم ولا يتيسر لهم تجارة ولا ربح فلما
اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم ازداد وقع اهل مكة في القلوب واحترمهم الملوك فضل احترام وان دامت تلك
المنافع والمتاجر قال علماء اللغة الفت الشيء والفته الفا وايلافا بمعنى لزمته وعلى هذا يكون قوله لايلاف قريش من اضافة
المصدر الى الفاعل وترك مفعوله الاول ثم جعل مفعولا ثانيا في قوله ايلافهم رحلة اما لان المقيد بدل من ذلك المطلق تفخيما لامر
الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه واما لان الاول عام في كل مؤانسة وموافقة كان بسببهم ينتظم معاشهم ومصالحهم وسائر
احوالهم ثم خص ايلافهم الرحلة بالذكر كما في قوله وجبريل وميكال لانه قوام معاشهم وبه يتم امرهم وله العطف اليه على انه
كل النعمة والالزام ضربان الزام بالتكليف والامر والزام بالمودة والمؤانسة فانه اذا احب المرء شيئا الزمه لقوة الداعي اليه ومنه
والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء قد يكون للضرب كالهرب مع السبع وقد يكون لجلب النفع العظيم كمن وجد كنزا ولا مانع من اخذه
لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه ياخذه البتة كالملجأ وقال الفراء وابن الاعرابي الايلاف التجهيز والتهيئة والمعنى تجهيز
قريش رحلتها حتى يتصلا ولا ينقطعا وعلى هذا القول يكون المصدر مضافا الى الفاعل ايضا وقيل الف كذا لزمه والفه غيره
اياه فيكون الايلاف متعديا الى اثنين فالاضافة في ايلافهم اضافة المصدر الى المفعول والمعنى ان هذه الالفة انما حصلت
في قريش بتدبير الله ولطفه وذلك بانهزام اصحاب الفيل واتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة عن معوية انه سال ابن عباس
لم سميت قريش قال لدابة البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وهي التي تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وانشد شعر
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وكانوا ابن القرش وقيل القرش الكسب لانهم كانوا
اهل كسب وتجارة فسموا بذلك وقال الليث كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا فسموا
قريشا لان القرش التجمع اجتمعوا ولذلك سمي قصي مجمعا قال بعضهم شعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل
من فهر ❊ وقيل القرشي التفتيش قال ابن حلزة شعر ايها الشامت المقرش عنا ❊ عند عمرو وهل لذاك بقاء ❊
وكانت قريش يتفحصون عن حال الفقراء ويسدون خلة المحاويج والرحلة اسم من الارتحال قال اكثر المفسرين كانت لقريش
رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن لانه ادفى ورحلة الصيف الى الشام وكان معاشهم قد استقر على ذلك كما قررنا وقال اخرون
الرحلتان رحلة الناس الى مكة احداهما في رجب للعمرة واما في ذي الحجة للحج وكان احدهما يقع في الشتاء والاخر في الصيف
وموسم منافع مكة يكون بهما فلو كان تم لاصحاب الفيل ما ارادوه لتعطلت هذه المنفعة والتقدير رحلتي الشتاء والصيف
او رحلة الصيف فاقتصر للالتباس وفي قوله فليعبدوا وجهان احدهما ان العبادة مامورة بها شكرا لما فعل باعدائهم وللحصول
لهم من ايلافهم الذي هو سبب للاطعام ومن في من جوع للتعدية يقال امنه الله الخوف الوجه الثاني ان معناه فليتركوا رحلة
الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ولعل في تخصيص لفظ الرب
اشارة الى ما قال الابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا في ذلك على الاصنام فلزمهم لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول لما عولتم
في الحفظ فاصرفوا العبادة الى وفي الاطعام وجوه احدها ما مر الثاني قول مقاتل انه شق عليهم الذهاب الى اليمن والشام في الشتاء
والصيف لطلب الرزق فقذف الله في قلوب الحبشة ان يحملوا الطعام الى مكة حتى خرجوا اليهم بالابل والحمر واشتروا طعامهم من جدة
الى مسيرة الليلتين وتتابع ذلك وكفاهم الله مؤنة الرحلتين الثالث قال الكلبي معنى الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم

دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله فانا
مؤمنون فدعا رسول الله صلعم واخصبت اهل مكة فذلك قوله اطعمهم من جوع وعن المنة بالاطعام مع انه ليس من اصول النعم
في الظاهر انه سبب الفراغ للعبادة وفيه ان البهيمة تطيع من يعلفها ولا يليق بالانسان ان يكون دون الانعام على انه يندرج
في الاطعام النعم السابقة التي لا تحصل الغذاء الا بعد وجودها كالافلاك والعناصر وغيرها والنعم اللاحقة التي لا يتم الانتفاع
بالاكل الا بها من القوى والالات البدنية والخارجية وفي قوله من جوع اشارة الى انه قد يرزق الطعام بعد بعثة اصحاب الفيل
بغطرهم ولا يتعرضون لهم وذلك الضحاك والربيع امنهم في خوف الجذام وقيل اشارة الى ما دعا به ابرهيم صلوات الرحمن عليه
في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم فاجاب الله تعالى بقوله ومن كفر والتنكير في جوع
وخوف للتعظيم تقديري انه اصابهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظم المحرقة واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل
ويحتمل ان يكون المراد التقليل اي اطعمهم من جوع دون جوع ليكون الجوع الباقي والخوف الباقي مذكرا لما كانوا فيه
الا فيكونوا شاكرين تارة وصابرين اخرى فيستحقوا ثواب المخلصين والله تعالى اعلم بالصواب ❊

سورة الدين مكية وهي سبع ايات حروفها مائة وخمسة عشر كلماتها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ❊

ارايت الذي يكذب بالدين ❊ فذلك الذي يدع اليتيم ❊ ولا يحض على طعام المسكين ❊ فويل للمصلين ❊ الذين هم عن صلاتهم ساهون ❊ الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ❊

الوقوف بالدين لا لان قوله فذلك كالجزاء لشرط محذوف اي ان لم تعرفه فهو فلان اليتيم لا المسكين ط المصلين لا ساهون لا يراءون لا الماعون

التفسير هذا شأن اخر لكون الانسان في خسر قال ابن جريج نزلت في ابي سفين كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم
فساله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت في العاص بن وايل السهمي وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمة والاتيان
بالافعال القبيحة وعن السدي نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي جهل الماوردي انه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان
يساله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فايس الصبي فقال له اكابر قريش استهزاء قل لمحمد يشفع لك فجاء الى النبي والتمس
منه الشفاعة وكان صلعم لا يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش
فقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة انا لم اجبه لطعنها في وقال كثير من
المفسرين انه عام لكل من كان مكذبا بيوم الدين والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو فان لم تعرفه فهو الذي يدع
اليتيم وذلك لان اقدام الانسان على الطاعات واحجامه عن المحظورات انما يكون للرغبة في الثواب والرهبة من العقاب
فاذا كان منكرا للقيمة لم يترك شيئا من المشتهيات واللذات فانكار المعاد كالاصل لجميع انواع الكفر والمعاصي والغرض منه
التعجيب كقولك ارايت غلاما اذا ركب والخطاب لكل عاقل او للرسول صلعم وقيل الدين ههنا الاسلام لا المعتقد الا ملة
يقع عليه وسائر الاديان كلا دين او دينا ولها مع التقييد كقولك دين النصارى او اليهود والدع الدفع بالعنف كما مر في الطور
ذكر شيئين من قبائح افعال المكذب بالجزاء على سبيل التمثيل وسبب تخصيصها انهما منكران بحسب الشرع وبحسب العقل
والمروة ايضا وفي لفظ الدع بالتشديد رحمة الله على عباده واشارة الى انه صدر ذلك استحقارا له او شيء مما يكون الطبع دون
الاستحقاق التام ولهذا جر العنيف كان معفوا عند الله ولا سيما اذا كان بغير اختيار والحض الحث وقد مر في الفجر ولما كان ايذاء
اليتيم والمنع من الاطعام دليلا على النفاق والصلوة لا مع الخشوع كانت اولى بان يدل على النفاق قال فويل للمصلين وتحقيق
الفا انه يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت الذي تمام معناه محذوف
لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع او اخبرني

وما بنول في وصف هذين الشخصين ارض ذلك ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسئ فويل لهم فوضع صفتهم موضع
ضميرهم وجمع لان المراد بالذي هو الجنس ودرجة الاتصال انهم كانوا مع التكذيب كما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين
غير مزكين اموالهم وفيه انهم لما قصروا في شان الخلوق حيث نهروا اليتيم ولم يحضوا على طعام المسكين فاصلوا وما زكوا
فالسهو عن الصلوة تركها رأسا او فعلها مع قلة مبالات بها كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وهو قول سعيد
بن ابي وقاص ومسروق والحسن ومقاتل وقتادة عن المغيرة للبعد والمجاوزة احدى واما السهو في الصلوة فذلك امر غير
اختياري فلا يدخل تحت التكليف وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم في الصلوة وقد اثبت الفقهاء سجود السهو بابا في كتبهم
وعن انس الحمد لله الذي لم يقل في صلوتهم ولعل في اضافة الصلوة اليهم اشارة الى ان تلك الصلوة لا يليق الا بهم لانها كالا
صلوة من حيث انهم تركوا شرائطها واركانها فلم يكن هناك الا صورة صلوة صح باعتبارها اطلاق المصلين عليهم في الظاهر
ويجوز ان يطلق لفظ المصلين على تاركي الصلوة بناء على انهم من جملة المكلفين في الصلوة ومعنى المراءة ان
يرى الناس عمله وهم يرونه الثنا عليه والاعجاب به وقد مر في قوله رياء الناس مراءت الناس بالاداء اذا كان
العرض الاقتداء او نفي التهمة فاجتناب الرياء صعب الا على من راض نفسه وملكها الاخلاص ومن هنا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود وفي الماعون اقوال اكثر المفسرين على انه اسم جامع
لما لا يمنع في العادة ويسأله الفقير والغني في اغلب الاحوال ولا ينسب الى يوم بل ينسب مانعه الى اللوم والبخل كالفاس والقدر
والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الماء والملح والنار لما روي ثلثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك
ان يلتمس جارك الخبز في تنورك او ان تضع متاعك عنده يوما او نصف يوم قالوا هو فاعول من المعن وهو الشيء القليل ومنه
ماله سعنة ولا معنة اي كثير وقليل وفي تسمية الزكوة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر فهو قليل من كثير قال العلماء
ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على قدر الضرورة وقد يكون منع
هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وعن ابي بكر وعلي وابن عباس وابن الحنفية وابن
عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو الزكوة لانه تعالى ذكره عقيب الصلوة وقال الفراء سمعت
بعض العرب يقول الماعون هو الماء ولعله خص بالذكر لانه اعز مفقود واهون موجود ولهذا اول ما يطلب اهل النار ان افيضوا علينا
من الماء واول لذات اهل الجنة وسقيهم ربهم شرابا وقيل هو حسن الانقياد والطاعة وفي الاية اشارة الى ان الصلوة
لي والماعون للخلق فالذي يجب ان يفعل لاجلي يرونه الناس والذي هو حق الخلق يمنعونه منهم فلا يراعون
جانب التعظيم لامر الله ولا جانب الشفقة على خلق الله هذا كمال الشقاوة نعوذ بالله منها ۞

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات حروفها اثنان واربعون كلماتها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۞

القراءة شانيك بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف وقرا انبتيه ينصير من محمد اماله الوقوف الكوثر ط وانحر ط
الابتر ه التفسير هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة لان تلك مثال لكون الانسان في خسر وهذه للمستثنين منهم بل
لاشرفهم وافضلهم وهو النبي صلعم بل له ولتابعيه فكانها مثال للفريقين جميعا هذا وجه اجمالي واما وجه التفصيل فقوله انا
اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير وقع في مقابلة الدع والمنع من الاطعام وقوله فصل اي دم على الصلوة وقع بازاء قوله
عن صلوتهم ساهون وقوله لربك مكان قوله يراءون وقوله وانحر والمراد به التصدق بلحوم الاضاحي بحذاء قوله ويمنعون
الماعون ثم ختم السورة بقوله ان شانئك هو الابتر اي الذي يضاد طريقته ويبغضه على ما يفتخر به من المال والجاه والاصحاب
والانساب ويلقى لك ولتابعك الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى بل يجتمع لك النسب الصوري بسبب اولاد الشا

والنسب المعنوي بواسطة اتباعك العلماء في الاية اصناف من المبالغة منها والتصدير بان ومنها الجمع المفيد للتعظيم
ومنها لفظ الاعطاء دون الايتاء وفي الاعطاء دليل التمليك دون الايتاء ولهذا حين قال ولقد اتيناك سبعا من المثاني
كان امته مشاركين له في فوائدها ولم يكن له منعهم منها ومنها صيغة المضي الدالة على التحقق في وعد الله تعالى كما في
عادة القران ومنها لفظ الكوثر وهو مبالغة في الكثرة بزيادة الواو كجدول فيشمل خيرات الدنيا والاخرة الى ان اكثر المفسرين
خصوه وحملوه على انه اسم نهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف فضرب بيده الى مجرى الماء فاذا انا بمسك اذفر فقلت
ما هذا قيل هو الكوثر الذي اعطاك الله وفي رواية ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور خضر لها اعناق كاعناق
البخت من اكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز برضوان قال اهل المعنى ولعله انما سمي كوثرا لانه اكثر انهار الجنة
ماء وخيرا او لان انهار الجنة تنفجر منها كما روي انه ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار او لكثرة شاربيه وقد يقال
ان الكوثر حوض في الجنة على ما ورد في الاخبار فلعل منه حوض ومنه تسيل الانهار والقول الثالث ان الكوثر اولاده
لان هذه السورة نزلت ردا على من زعم انه الابتر كما يجيء والمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على الزمان فانظر كم قتل من اهل
البيت ثم العالم مملوء منهم ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبأ به والعلماء الاكابر منهم لا حد لهم ولا حصر منهم الباقر والصادق
والكاظم والرضا والتقي والنقي والزكي وعن ثم الكوثر علماء امته لانهم كانبياء بني اسرائيل واختلافهم في فروع الشريعة
بوجه كما كان اختلاف الانبياء في الفروع مع اتفاقهم على الاصول فانهم يجمعون النبوة والمعاد كاصول الشجرة والاديان الانبيا
كشعبها الكبار والمذاهب كالاغصان المتفرعة من الشعب فتسبل الكوثر النبوة ولا يخفى ما فيها من الخير الكثير لانها نائبة
مرتبة الربوبية ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة الله ثم رسولنا الحظ الاوفر من هذه الفضيلة لان المذكور قبل سائر الانبيا والمبعوث
بعدهم ثم هو مبعوث الى الثقلين ولن يصير شرعه منسوخا وله كل معجزة كانت لغيره من الانبيا المشهورين فكتاب ادم كان كلمات
كما قال فتلقى ادم من ربه كلمات وكتاب ابراهيم وموسى كان كلمات وصحفا واذ ابتلى ابراهيم بكلمات صحف ابراهيم وموسى وكتاب
محمد صلعم مهيمن على الكل كما قال رحمة منا عليه فان ادم عليه السلام تحدى بالكلمات والاسماء انبئوني باسماء هؤلاء ومحمد صلعم
تحدى بالمنظوم قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية واما نوح عليه السلام فان الله اكرمه ان امسك سفينته على الماء وفي
محمد صلعم وقف الحجر على الماء روي انه صلعم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك
الحجر الذي هو في الجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فاشار الرسول اليه فانقلع من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
وشهد له بالرسالة فقال النبي يكفيك هذا قال حتى ترجع الى مكانه فامره النبي صلعم الى مكانه واكرم ابراهيم فجعل النار عليه بردا وسلاما
وروي محمد بن الحاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على النار فاحترق جلدي كله فحملتني امي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس
رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واكرم موسى ففلق البحر في الارض واكرم محمدا صلعم ففلق له القمر فوق السماء وفجر له
الماء من الحجر وفجر لمحمد اصابعه عيونا واكرم موسى بتظليل الغمام في تيه بني اسرائيل واكرم محمدا ابذلك قبل ظهور نبوته واكرم موسى
باليد البيضاء واكرم محمدا بالقران العظيم الذي هو نور من الله وبرهان وقلب الله عصى موسى ثعبانا ولما اراد ابو جهل
ان يرميه بالحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا وسبحت الجبال مع داود وسبحت الاحجار في يده وفي يد اصحابه
وكان داود اذا مسح الحديد لان وكان النبي صلعم حين مسح الشاة الجرباء درت واكرم داود بالطير المحشورة ومحمد بالبراق
واكرم عيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص واكرمه باحياء الشاة المسمومة وتكلمه انها مسمومة وروي ان معاذ بن عفراء
كانت له امراة برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلعم فمسح عليها بغصن فاذهب الله عنها البرص حين سقطت حدقة الرجل
يوم احد فرفعها رسول الله صلعم فردها الى مكانها وكان عيسى يخبر بما في بيوت الناس والنبي والرسول عرف ما اخفاه ام الفضل
فاسلم العباس لذلك ورد الشمس لسليمان مرة وللرسول صلى الله عليه وسلم كان نائما ورأسه في حجر علي فانتبه وقد غربت
الشمس فردها حتى صلى وردها مرة اخرى لعلي فصلى العصر لوقته وعلم سليمان منطق الطير ففعل ذلك في محمد روي ان
طائرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه فقال ايكم فجع هذه بولدها فقال رجل انا يا رسول الله فقال اردد ولدها وكلام
الذئب والناقة معه مشهور واكرم سليمان بمسيره الى بيت المقدس في ساعة وكان يبعث برسله الى من يريد فيجيء
به وارسل معاذا الى بعض النواحي فلما وصل الى المفازة فاذا اسد جاثم فهاله ذلك ولم يستجرئ ان يرجع فتقدم وقال اني رسول

برسول الله صلى الله عليه وسلم فبصبص وكما انقاد الجن لسليمان كذا انقاد لمحمد وحين جاء بالاعرابي بالظب تكلم الظب معترفا
برسالته وحين كفل للصبية حتى ارسلها الاعرابي رجعت تعدو وحين اخرجته من الكفالة وحين لسعت الحية عقب الصديق
في الغار قالت كنت مشتاقا اليه منذ كذا سنين فلم حجبتني عنه واطعم الخلق الكثير من الطعام القليل ومعجزاته اكثر من ان تحصى
خصوصا في هذا المقام فثبت صحة قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر وقيل هو القرآن لان فوائده اعديدة الحصر وقيل الاسلام والنبوة
او رفع الذكر او العلم والعمل سالم لكن نعلم او الخلق الحسن وانك لعلى خلق عظيم ثم فيه اقوال وقد يقال ان هذه السورة لانها
مع قصرها معجزة من وجوه لما فيها من الاخبار بالغيوب وهو الوعد بكثرة الاتباع والاولاد وبزوال الفقر حتى عرضها بدنه في يوم
واحد وقد وقع سلطانها الانهم عجزوا عن معارضتها مع قصرها فانها اقصر سورة في القرآن قوله سبحانه فصل لربك وانحر في الصلوة
اقوال نعن مجاهد وعكرمة معناه اشكر لربك وفايدة الفاء ان شكر النعمة يجب على الفور لا على التراخي وقيل هي الدعاء
قيل انا قبل سوالك ودعائك ما جعلنا عليك بالكوثر فكيف بعد سوالك فسل نعط واشفع تشفع وذلك انه كان ابدا في هم
امته والاقرب وعليه الاكثرون انها الصلوات ذات الهيئات والاركان لانها مشتملة على الدعاء والشكر وعلى سائر المعاني
المبنية على التواضع والخدمة ولان حمله على الشكر يوهم انه ما كان شاكرا قبل ذلك لكنه كان ابدا مستغرقا مطيعا لربه شاكرا النعمة
اما الصلوة فانه انما عرفها بالوحي يروى انه حين امر بالصلوة قال كيف اصلي ولست على الوضوء فقال الله انا اعطيناك الكوثر
وضرب جبرائيل بجناحه على الارض فنبع ماء الكوثر فتوضأ فقيل له عند ذلك فصل وان حمل الكوثر على الرسالة اي المعنى اعطيتك
الرسالة لتامر نفسك وسائر الخلق بالطاعات فصل وفي قوله لربك ايماء الى وجوب مخالفة عبدة الاوثان وانهم لم يقل لنا تسلكوا الطريقة
بالفائدة لنوع من التعظيم كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا ولان الجمعية في هذا المقام توهم الاشتراك فالعدول الى الوحدة اولى
لئلا ينقطع النظم ولانه يفيد ان سبب العبادة هو التربية الدين فقسروا الصلوة بما عرف في الشرع اختلفوا فالاكثرون على انها
جنس الصلوة لاطلاق اللفظ ولما لم يذكر الكيفية لانها كانت معلومة قبل ذلك وقال اخرون انها صلوة عيد الاضحى لاقترانها
بقوله وانحر وكانوا يقدمون الاضحية على الصلوة وامروا بتأخيرها عنها والفاء يفيد الترتيب استحسانا
قطعا وقال سعيد بن جبير صل الفجر بالمزدلفة وانحر بمنى والمناسبة بين نحر البدن ومن جنس الصلوة ان المشركين كانت
صلواتهم ونحرهم للاصنام فامر بان تكون صلوته ونحره لله تعالى وكان النحر واجبا على النبي صلعم قال ثلث كتبت علي ولم تكتب
على امتي الضحى والاضحى والوتر وانما لم يقل ضح وان كان اشمل لان اعز الاموال عند العرب هو الابل فامر بنحرها وصرفها الى طاعة
الله تعالى ففي ذلك قطع العلائق الجسمانية ودفع العوائق النفسانية يروى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من الذهب فنحر هو صلى الله عليه وسلم حتى عي ثم امر عليا بذلك وكانت النوق يزدحمن على رسول
الله صلعم فلما اخذ على السكين تباعدت عنه قالت عائشة اكثر المفسرين كابن عباس ومقاتل والكلبي ان العاص بن وائل
صناديد قريش كانوا يقولون ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحنا منه وقد كان مات
ابنه عبد الله من خديجة فانزل الله هذه السورة والشانئ المبغض كما مر في اول المائدة والثاني البغض والبتر في اللغة
استيصال القطع ومنه الابتر لمقطوع الذنب فاستعير للذي لا عقب له ولمن انقطع خيره وذكره فبين الله تعالى بهذه
الصيغة المفيدة للحصر ان اولئك الكفرة هم الذين ينقطع نسلهم وذكرهم وان نسل محمد باق الى يوم القيمة كما اخبر عنه كل حسب
ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي فان دين الاسلام لا يزال يعلو ولا يعلى وان الكفر يعلى ويتهى الى ان يبلغ الدين مشارق
الارض ومغاربها كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قال بعض اهل العلم ان الكفار لما شتموه بانه ابتر اجاب
الله تعالى عنه بواسطة فقال ان شانئك هو الابتر وهكذا سنة الاحباب اذا سمعوا من يشتم حبيبهم تولوا الجواب
ونظيره في القرآن كثير قالوا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم الى قوله ام به جنة فقال سبحانه بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد وقالوا انه لمجنون فاقسم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون
وقالوا لست مرسلا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
فرد عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين ثم ذكر وعيد خصمائه بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم وحين قال
حاكيا ام يقولون شاعر قال وما علمناه الشعر وقالوا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فاجابهم بقوله
فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين قال قل انزله الذي يعلم السر وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق

فاجابهم بقوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فاحل هذه الكرامة وقال اهل
التحقيق السالكون بل الواصلون لهم ثلث درجات اعلاها ان يكونوا مستغرقين في الكثرة عن سائر الارواح البشرية
فاشار اليها بقوله فصل لربك وادناها ان يكون في مقام منع النفس عن الانصباب الى اللذات العاجلة وهي قوله وانحر فان منع
النفس الشهوانية جار مجرى الذبح والنحر ومن البين ان ترتيب السالك هو الاخذ من الادون الى الاعلى ولما ورد القرآن بما
ورد تنبيها على انه صلعم كان في نهاية الوصول فان هذا الترتيب بالنسبة اليه ينعكس لانه جاء من الحق الى الخلق ثم اشار بقوله
ان شانئك هو الابتر الى ان عدو النفس التي هي اعدى الاعداء ولا بقاء لها وانما هي الذات تخييلات فانية والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا صدق الله العظيم

سورة الكافرون مكية وهي ثلاث ايات حروفها اربعة وتسعون كلمها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

القراءات عابدون معا بعده بالامالة قتيبة والحلواني عن هشام ولي دين بفتح الياء نافع واسمعيل وحفص والمفضل وهشام
ومعه عن ابن كثير ديني بالاسكان في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل **الوقوف** الكافرون لا ما تعبدون لا اعبد للتكرار
مع العطف عبدتم اعبد ديني

التفسير هذه السورة تسمى ايضا سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة وروي
ان من قرأها فكانما قرأ ربع القرآن قال العلماء لان القرآن فيه مأمورات ومنهيات وكل منها اما ان يتعلق بالقلب واما ان يتعلق بالجوارح
وهذه السورة تتضمن القسم الثالث اعني المنهي المتعلق بالقلب فكانت ربع التكاليف كما قال سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
روي ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف قالوا يا رسول الله تعال حتى نعبد الهك
سنة وتعبد الهتنا سنة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان امرك رشيدا اخذنا منه حظا وان كان امرنا
رشيدا اخذت منه حظا فنزلت هذه السورة ونزل قوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل وتارة
خاطبهم بالكفر والجهل كالشجر والكفر كالثمر ولكن الكفر اشنع فقد يكون الجهل غير ضار كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
في علم الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر ولهذا اخصت السورة بهذا الخطاب لانها باسرهم فيهم عن علي كرم الله وجهه ان يا نداء
النفس واي نداء القلب وهاء نداء الروح ويوجه آخر يا للغائب واي للحاضر وهاء للتنبيه كان الله تعالى يقول ادعوك ثلثا ولا تجيبني
مرة ما هذا الا لجهلك بحقي ثم الجمع مع الكفار ادع بعضهم وعلى الاول يدخل التخصيص لانه منهم من يعبد الله كاهل
الكتاب فلا يجوز ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون وفيهم من آمن بعد ذلك فلا يجوز ان يخبر عنهم بقوله ولا انتم عابدون ما اعبد
وعلى الثاني يكون خطابا لبعض الكفرة المعهودين الحاضرين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة ولا يلزم
التخصيص فيكون اولى اما ظاهر التكرار الذي وقع في هذه السورة فقبيح ولا نزاع
من هذا المقام فانهم لما اجمعوا رسول الله صلعم فيما طلبوا منه مرارا وسكت الرسول عن الجواب
بعض المبلغ تعبد الهتنا مدة ونعبد الهك مدة فاجيبوا بكرر على وفق قولهم وهو نوع من التهكم
فان من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد قد يجاب بنسبة تكرار للاستخفاف وحسم مادة الطمع القول الثاني
ان الاول للمستقبل وعلله منه لا التي هي للاستقبال بدليل ان لن لنفي الاستقبال على سبيل التوكيد والتأبيد وزعم الخليل ان اصله لا
ان والثاني للحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة
الهي ثم قال ولا انا عابد في الحال ما عبدتم ولا انتم في الحال بعابدين لمعبودي وعلى هذا القول ثم زعم بعضهم ان الامر بالعكس

ادا الزنبيب ان ينفي الحال اولكاية الاستقبال و للاولي ان يجيبوا فكان لا ابدا ابد اهم فانرق الاخبار عن الحال وكان معلوما

انه كان بعبد الصنم د الظاهر كانوا بعبدون الله في بعض الاحوال وهي ان لا ينزع احد يعبد غير الله سرا وجهارا طمعا وعبادة الكفار

لم تكن معتدا بها لاجل الشرك ولابي مسلم قول ثالث وهو انه ما في الاوليين بمعنى واما في الاخريين فمصدرية اي ولا انا عابد عبادتكم

المبنية على الاشراك ولا انتم عابدون عبادتي المبنية على اليقين ومنه رابع وهو ان يحمل الاول على نفي الالتماس الصادر

منهم والامر على النفي المطلق العام المتناول لجميع الجهات كمن يدعوا غيره الي الظلم لجهة التنعم فيقول لا اظلم لغرض التنعم بل لا اظلم

رأسا لاجل هذا الغرض ولا لساير الاغراض قوله ما تعبدون لم يقل من تعبدون اشكال اما الاشكال في قوله ما اعبد فاجيب بعد تسليم ان ما

ليست اعم بان المراد به الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولكن اعبد الحق او هي ما المصدرية على نحو ما ذا وهي لمطابقة كقوله لم يقل

شبه سبيلة فان قيل لما كان المقام مقام التاكيد او المبالغة ولهذا كرر ما كرر فلم لم يقل لن اعبد كما قال اصحاب الكهف لن ندعوا من دونه

الها قلنا ان اصحاب الكهف كانوا متهمين بعبادة الاصنام لانه قد وجد منهم ذلك قبل ان يتبرؤا من الله وان محمدا لم يكن متهما

بذلك قط فلم يحتج الي المبالغة بلى ثم ان اول السورة اشتمل على التشديد البليغ وهو النداء بالكفر والتكرير فاشتمل اخره على اللطف

من بعض الوجوه كانه قال قد بالغت في منعكم عن هذا الامر القبيح فان لم تقبلوا قولي فاتركوني سواء بسواء قال ابن عباس لكم دينكم

بالله ولي التوحيد والاخلاص ومن هنا ذهب بعضهم الى ان السورة منسوخة باية القتال والمحققون على انه لا نسخ بل المراد التهديد كقوله

اعملوا ما شئتم وقيل الدين الجزاء وقيل المضاف محذوف جزاء دينكم ولي جزاء ديني وقيل الدين العبادة والله اعلم بمراده

سورة الفتح مدنية وهي ثلاث آيات حروفها تسعة وسبعون كلماتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

الوقوف والفتح لا افواجا لا واستغفره ط توابا **التفسير** السورة المتقدمة اشتملت على بعض الله بقوله يا ايها الكافرون

وعلى فتح مكة وعلى تسخير جميع القوى البدنية في طاعة خالقها بقوة الارادة عن الاديان الباطلة كلها فقال الله سبحانه نصر نبيك

وكان جزاؤه اذا جاء نصر الله وفتحت مكة فلك فكان جزاؤه فتح مكة في الظاهر وتسخيرك قواك بطاعتي وتجانبك بتحول الناس

في الدين افواجا انك قابلت هذه الخلع الثلاث بحكم ثناؤه واتحافا ثلاثة انواع من العبودية ان تسبح تنزيها لفعل عن

مشابهة المحدثات وتنبيها على انه لا يستحق احد على شيئا واذا انعت ملة واحد لان النعمة يجب مقابلتها بالحمد اذا امانت

الناس قد اطاعوك فاستغفر لذلك وهو الاشتغال بما عسى ان يقع من قلة ايجاد والقبول وللمؤمنين والمؤمنات لانهم كما

كانوا اكثر كان الحق فكان احتياجهم الي الاستغفار اشد وقوله اذا جاء نصر الله معناه لا تذهب الي النصر بل النصر يجئ اليك

نظيره زويت لي الارض يعني لا تذهب الي الارض بل يجئ الارض اليك ولا ترحل الالي مقام ثاب قوسين سبحان الذي

بعبده بل انه يدل علي هذا فاضل فقراء امتك على اغنياء بعم امر الاغنياء الصبحا بان يحفظ وخاطبا باذا في الفقراء

مطلة انوف الجنة اليهم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وانما قال في السورة المتقدمة ما اعبد وههنا قال نصر الله

اشارة الي انه لا يجب ان لا اذكر اسمي مع الاعداء حتى لا يهينوه فلكن اذكر اسمي مع الاحباب حتى تكرهوه والفرق بين

النصر والفتح ان النصر هو الاعانة على تحصيل المطلوب هو الطريق والفتح هو المقصود ولهذا قدم الاول على الثاني وقيل النصر كمال الدين

والفتح الاقبال الدنيوي له ولامته كقوله اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقيل النصر هو الظفر على الناس في الدنيا والفتح في الاخر

وفتحت ابوابها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا منصورا بالدلائل والمعجزات الا ان الغلبة على خير بشرى بل على اكثر العرب المصطفى في

هذا التاريخ مع التقييد به تم ان جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس ذكروا ان الفتح هو فتح مكة الذي يقال له فتح الفتوح وروي

ان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت السورة سنة عشر ولم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها الا سبعين يوما ولذلك تسمى سورة التوديع

وقد اتفق اكثر الصحابة على انها دلت على نعي الرسول صلى الله عليه وسلم ودونه بعض الصحابة منها فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد نزولها ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه في الاخرة فاختار لقاء الله قالوا وما يدل عليه انه ذكر مقرونا بالنصر وقد

كان يجد النصر دون الفتح كبدر والفتح دون النصر كاجلاء بني النضير فانه فتح البلد لكن لم يأخذ القوم اما يوم فتح مكة فاجتمع الامران

وصار الخلق له كالارقاء حتى اعتقهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم وقف على باب المسجد فقال لا اله الا الله وحده صدق

وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم

الطلقاء فسموا بذلك وقيل فتح خيبر وقيل فتح الطائف وعن ابي مسلم النصر على الكفار وفتح بلاد الشرك على الاطلاق وقيل النصر

الصدر بالحجة والاعمال الفاضلة والفتح الفتاح ابواب المعارف والكشوف اما الذين قالوا ان الفتح فتح مكة وكان نزول السورة قبله على

ما يدل عليه ظاهر صيغة اذا فالاية من جملة المعجزات لانها اخبار بالغيب وقد وقع فاللام في الفتح بدل من الاضافة كانه قيل وفتح

الله قوله ورأيت فاعرف انها رؤية القلب وجوز ان يكون رؤية البصر فيكون يدخلون حالا وظاهر لفظ الناس يقتضي العموم فيجب ان

لا يبقى غيرهم كالمسلمين فدل قوله اولئك كالانعام وسئل الحسن بن علي عنه فقال نحن الناس واتباعنا اشباه الناس واعداؤنا

النسناس فقبل علي بين يديه فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته قيل انهم لما دخلوا في الاسلام بعد مدة طويلة وتقصير كثير فكيف

استحقوا المدح بانهم الناس واجيب بانه اشارة الي سعة رحمة الله فان العبد بعد ان اتى بالكفر والمعصية سبعين سنة فاذا

اتى بالايمان اخر عمره قبل ايمانه كان الرب تعالى يقول ربيته سبعين سنة وان مات على كفره وقع في النار وضاع احساني

اليه في سبعين سنة ويروى ان الملائكة تقول لمثل هذا الانسان انت وان كنت قد ابيت وعن النبي صلى الله عليه وسلم لله ابرح بتوبة

احدكم من الضال الواجد والضمان الوارد فيجوز ان يكون المراد بالناس اهل اليمن على ما يروى عن ابي هريرة انه لما نزلت السورة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اني

لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن قال جمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح لانه تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج

وجعله من اعظم المنن على نبيه ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدلائل ولا صفات الكمال ونعوت الجلال

وكونه سبحانه متصفا بها منزها عن ضدها ولا ثبت المعجز التام على نبوة محمد ولا وجه دلالة المعجزة على النبوة وعن الحسن لما

فتح رسول الله مكة قالت العرب لا يدي لنا به فقد ظفر باهل مكة وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من اراد بهم سوءا

فاخذوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال ولا شك ان هذا القدر مما يفيد غلبة الظن فقط والفوج الجماعة الكثيرة كانت تدخل

فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين واثنين وروي ان جابر بن عبد الله بكى ذات يوم فقيل

له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا انه امره بالتسبيح ثم بالحمد

ثم بالاستغفار كان صلى الله عليه وسلم صافي قلبه عن ناحية الغضب كما قال ودت لو اخذت بقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله

نامره بالتسبيح تنزيها لله عما لا يليق بكماله وحكمته ورعايته بخلقته وامره ان يكون التسبيح مقرونا بالحمد لان المقام يستدعي ذكر

النعمة وهي الفتح والنصر ودخول الناس في الدين عن متاعب الجهاد ومؤن القتال ثم امره بالاستغفار كفارة لما عسى ان يبدر

بدوره في الخلد من ملاحظة حاله بعين الكمال وكما ان التسبيح المقرون بالحمد نظر من الحق الى الخلق فالاستغفار حكمته ومن الالتفات

من الخلق الى الحق وانما فهمت الصحابة من السورة نعي النبي صلى الله عليه وسلم لان كماله يدل على زواله كما قيل اذا تم امر دنا نقصه

ترقب زوالا اذا قيل تم ويمكن ان يقال اذا امر بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا ولا يخفى ان الاشتغال بهذه الاعمال يمنع من

الاشتغال باعباء التبليغ واداء ما كان يواظب عليه من رعاية مصالح الامة فكان هذا التنبيه على ان امر الرسالة قد تم وتحمل بسبب

الموت والالزم العزل وروت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة كان يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك

واتوب اليك وفي رواية كان يكثر ان يقول في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية اخرى كان نبي الله في اخر امره

لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده فقال يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال اني

امرت بها وقرأ السورة وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم

اغفر لي انك انت التواب وفي الاية تنبيه على ان العاقل اذا قرب اجله واشتد به السبب اقبل على التوبة والاستغفار وتدارك

بعض ما فات في ايام الغفلة والاعتزاز وفي معنى الباء في فسبح بحمد ربك وجوه للمفسرين منها ان المراد قل سبحان الله والحمد لله

تعجبا مما ادركك من مقصودك يقال شربت اللبن بالعسل اي خلطتها فشربت المخلوط ومنها ان الباء للالة اي سبحه بواسطة تحميده
تحميده لان التسبيح يتضمن التنزيه عن النقائص والدليل عليه انه صلعم عند فتح مكة بدا بالتحميد قائلا الحمد لله الذي نصر عبده ومنها ان
المراد سبح ملتبسا بالحمد لا يتاتى لك الجمع بينهما لفظا فاجمعهما نية وقيل سبحه مقرونا بحمده على ما هداك الى تسبيحه كما يقال
اصلي كان تقول الحمد لله على الحمد لله وقيل الباء للبدل اي ائت بالتسبيح بدل الحمد الواجب عليك في مقابلة نعمة النصر والفتح لان الحمد
لا حصر له وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقيل فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد امران لا يمكن تاخير احدهما عن الاخر لوجوب الاتيان بكل
منهما على الفور كما لو ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول اجزت الشفعة في ذلك البيع وقيل الباء صلة اي
طهر محامد ربك على النقائص او الزيادة في تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان التنزيه هو الموجب للحمد اما الاستغفار فانه كان
لاجل الامة فلا اشكال وان كان لاجل نفسه فاما للاتيان باما الترك الاولى والافضل واما بالنظر الى المرتبة المتجاوز عنها فان السالك
يلزمه عند الارتقاء في كمال الكمال بمرتبة يحصل الهيبان ان يستغفر عما خلفها وفي قوله توابا دون ان يقول غفارا كما في سورة نوح اشارة الى انه يل
خص الامة امتثالا فاستغفروا وتابوا توجب على فضل الله قبول توبتهم بخلاف نوح والله اعلم

سورة تبت مكية وهي خمس آيات حروفها احدى وثمانون كلماتها ثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

القراءة ابي لهب بسكون الهاء ابن كثير سيصلى بضم الياء البرجمي حمالة حمالة بالنصب عاصم جيدها ما له نضير
الوقوف وتب كسب لهب لا لاتصال كون وامرأته مبتدأ خبره حمالة الحطب لمن في جيدها الى اخره واحتمال كونه عطفا على ضمير يصلى
باللاوجه الوصل لمن قرأ حمالة بالنصب فله ان يصل ذات لهب بما بعده ويقف على مسد **التفسير** لما اخبر عن الفتح الالهي وعن
التوصل به على ما آل اليه حال العدو في الدارين قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول البعث يصلي في شعاب مكة
ثلث سنين الى ان نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال ابو لهب
هذه غالب قد اتتك فما عندك ثم قال يا آل لؤي ثم قال يا آل قصي فقال ابو لهب هذه قصي قد اتتك فما عندك فقال ان الله امرني
ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد لكم
بها عند ربكم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما
في صحفة فاستحقروه فقالوا ان احدنا ياكل الشاة فقال كلوا فشبعوا ولم ينقص من الطعام الا القليل ثم قالوا فما عندك فدعاهم الى الاسلام
فقال ابو لهب ما قال وروي انه قال ابو لهب فما لي ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل عليهم فقال النبي صلعم وبماذا تفضل فقال تبا لهذا
الدين يستوي فيه انا وغيري فنزل تبت يدا ابي لهب والتباب الهلاك كقوله وما كيد فرعون الا في تباب وقيل الخسران المفضي
الى الهلاك وقيل الخيبة قال ابن عباس لانه كان يدفع القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلا انه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه
لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم فلما نزلت السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة فصار متهما فلم
يقبل قوله في الرسول بعد ذلك فكانه خاب سعيه وبطل غرضه فاما ذكر اليد فلانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه
فيقول انصرف راشدا فانه مجنون وروي انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طارق المحاربي انه
قال رأيت رسول الله صلعم في السوق يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد ادمى عقبيه
ويقول لا تطيعوه انه كذاب فقلت من هذا فقالوا محمد وعمه ابو لهب وقال اهل المعاني انه اراد باليدين الجملة كقوله ذلك بما قدمت يداك لان
اكثر الاعمال انما تعمل باليد فاليمين كالسلاح واليسار كالجنة فبالاولى يجر المنفعة وبالاخرى يدفع المضرة وروي انه صلعم لما دعاه نهارا
فابى ذهب الى داره ليلا مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال له جئتني معتذرا فجلس النبي صلعم

امامه

امامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فاجبني في هذا الوقت واسكت فقال لا اومن بك حتى يومن بك هذا
الجدي فقال النبي صلعم للجدي من انا فقال انت رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلق لسانه يثني عليه فاستولى الحسد على ابي لهب واخذ
يدي الجدي ومزقه وقال له تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدي بل تبت يداك فنزلت السورة وفي ذلك ليتحقق قول الجدي الحيوان
الشاهد بالحق الناطق بالصدق وفي ذكر ابي لهب بالكنية الدالة على التعظيم المنبئة عن شبه الكذب اذ لم يبق له ولد مسمى
بلهب وجوه منها ان الكنية قد تصير اسما بالغلبة فلا تدل على التعظيم وايهام الكذب منتف لانهم يريدون بها التفاؤل فلا يلزم
منه ان يحصل له ولد مسمى بلهب ومنها ان اسمه كان عبد العزى فكان الاحتراز عن ذكره اولى ومنها انه اشارة الى انه
من اهل النار كما يقال ابن الخير لمن يلازمه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه يا ابا تراب لاجل
التراب لمن يظهره وقيل سمي بذلك لتلهب في وجهه فسماه الله تعالى بذلك تهكما ورمزا الى ما له لحاله يقول له سيصلى نارا
ذات لهب قال اهل الخطابة انما لم يقل في اول هذه السورة قل تبت كما قال قل يا ايها الكافرون لئلا يسد على عمه بما يشتد غضبه
رعاية للحرمة وتخفيفا لقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وايضا ان الكفار في تلك السورة طعنوا في الله فقال الله يا محمد
اجبهم عني قل يا ايها الكافرون وفي هذه السورة طعنوا في حق محمد فقال الله تعالى اسكت انت فانهم اشتموك تبت يدا ابي لهب
وفيه تنبيه على ان الذي لا يشانه السفيه كان الله ذابا عنه وناصرا له يروى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يؤذيه واحد
وهو ساكت فجعل الرسول يذب عنه ومن جرد ذلك المؤذي فشرع ابو بكر بالجواب فسكت الرسول فقال ابو بكر ما السبب في ذلك
فقال لانك حين كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان وقال ابو علي اللهب
واللهب القتال كالنهر والنهر ولكن الفتح ادحه ولهذا قرأه اكثر القراء واجمعوا في قوله ذات لهب على الفتح رعاية للفاصلة
وفي دفع التكرار عن قوله وتب وجوه منها ان الاول دعاء والثاني اخبار ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب ومنها ان
الاول اخبار عن هلاك عمله لان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه باليد والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل ان الاول هلاك ماله
فقد يقال لماله ذات اليد والاخر هلاك نفسه وهو قول مسلم وقيل الاول نفسه والثاني ولده عتيبة على ما روي ان عتيبة
ابن ابي لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتيبة بلغوا محمدا اني كفرت بالنجم اذا هوى وروي
انه قال ذلك في وجه رسول الله صلعم وتفل في وجهه وكان مبالغا في عداوته فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فوقع
الرعب في قلب عتيبة وكانوا يحترزون دائما فنام ليلة من الليالي قريب من الصبح فقال له اصحابه هلكت الركاب فانزل الا
به حتى ترده وهو مرعوب واناخ الابل حوله كالسرادق فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخلل حتى
انتزعه بقوله تب قبل هذه الواقعة على عادة اخبار الله تعالى المستقبل كالماضي المحقق والفرق بين المال والكسب من وجوه
احدها ان المال يعني به راس المال والمكسوب هو الربح وثانيها ان المال الماشية والذي كسبه من نسلها وكان صاحب النعم
والنتاج وثالثها اريد ماله الموروث والذي كسبه بنفسه وعن ابن عباس المكسوب الولد كقوله صلى الله عليه وسلم ان
اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة محمد الرسول
كانت به خانوا اعداءها وقال الضحاك وقتادة ما ينفعه ماله وعمله وفي قوله اغنى بلفظ الماضي تاكيد وتحقيق على عادة
صلعم وسائر اعماله التي ظن انه سينفعه على شي كقوله وقدمنا الى ما عملوا وفي قوله ... ومما استدل به اهل السنة في وقوع تكليف ما لا يطاق
اخباره تعالى وقت نزوله تاكيدا بقوله سيصلى نارا ذات لهب وهذا مما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يومن وانه من
اهل النار فقد صار مكلفا بانه يؤمن وبانه لا يؤمن وهو تكليف بالجمع بين النقيضين واجيب بانه كلف بتصديق
فائلين بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله في كل ما اخبر عنه ... وغايته ذلك انهم كلفوا بالايمان بعد علمه بانهم لا
الرسول فقط لا بتصديقه وعدم تصديقه حتى يجمع النقيضان ... التكليف بما علم الله انه لا يكون هو الابتداء والزام الحجة
يؤمنون وليس فيه الا انتفاء فائدة التكليف لان فائدة التكليف من عجز فانه جائز عندكم لان انعالم
وهذا الانتصور لعدم بعلم المكلف حاله من امتناع صدور الفعل عنه والتكليف من ... ثم ان امرأة ابي لهب هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة
تعالى عن معلله بغرض وفائدة على معتقدكم ... قال المفسرين من قال كانت تحمل الشوك والحطب وتلقيه
معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... اما كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك
بالليل في طريق رسول الله صلعم فلعلها مع كونها من بيت العز كانت خسيسة

والحطب ثم لقيه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء من زعم ان الحبل اشتد في جيدها فانت بسبب الاضافات
نقوله في جيدها حبل من مسد يحمل على هذا ان يكون دعاؤه عليها وقع كما اريد فكان معجزا ومنهم من قال عبرها بذلك تشبيها
لها بالحطابات ايذاء لها ولزوجها وعن قتادة انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرت بانها كانت
تحطب والاكثرون على ان المراد بقوله حمالة الحطب انها كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس
انه يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويقال للمكثار هو كحاطب الليل وقال ابو مسلم وسعيد بن جبير اراد ما حملت من الاثام
في عداوة الرسول لانه كالحطب في مصيرها الى النار تطيعه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وليحملن اثقالهم يروي عن اسما انه
لما نزلت السورة جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر وهي تقول مذمما
قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا فقال ابو بكر يا رسول الله قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك فقال صلى الله عليه وسلم لا تراني وقرأ واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا فقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب البيت ما
هجاك فولت وهي تقول لعل ابا بكر عنى بذلك ان الله قد هجاها ولم يهجها الرسول واعتقد ان القرآن لا يسمى هجاء ثم ان ام جميل ولت وهي
تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل
ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد بالتحريك ما مسد اي فتل من اي شيء كان كالليف والخوص وجلود الابل والحديد وقد عرفت
معنى قوله تعالى في جيدها حبل من مسد على راي بعض اهل التفسير وقال الاخرون والمعنى ان حالها يكون في نار جهنم على
الصورة التي كانت عليها في المعنى عند النميمة وفي الظاهر حين كانت تحمل الحزمة من الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار
من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار ❁

سورة الاخلاص مكية وهي اربع ايات حروفها سبعة واربعون كلماتها خمس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن له كفوا احد ۝

القراءة كان ابو عمرو يستحب الوقوف على قوله قل هو الله احد واذا وصل كان له وجهان من القراءة احدهما التنوين وكسره
الثاني حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله لاجتماع الساكنين وكل صواب كفوا بالسكون والهمز حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل
ويزيد عن يعقوب وكان حمزة يقف ساكنة الفاء ملينة الهمزة ويجعلها شبه الواو اتباعا للمصحف وقرأ حفص عن الخراز مثقلا
غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا **الوقوف** احد لاحتمال ان ما بعده جملة اخرى او خبر ان اخبار الصمد ثم ذلك ولم يولد لا احد

التفسير قد وردت الاخبار الكثيرة بفضل سورة الاخلاص وانها تعدل ثلث القرآن فاستنبط اهل العلم لذلك وجها مناسبا وهو ان
القرآن مع غزارة فوائده اشتمل على ثلثة معان فقط معرفة ذات الله تعالى وتقدسه ومعرفة صفاته واسمائه ومعرفة
افعاله وسننه مع عباده ولما تضمنت سورة الاخلاص احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلث القرآن وعن انس ان رجلا كان يقرأ في جميع صلواته قل هو الله احد فسأله الرسول عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها
فقال حبك اياها يدخلك الجنة اما سبب نزولها فعن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله
هذه السورة وعن عطاء عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقال صف لنا ربك امن زبرجد او ياقوت ام ذهب ام فضة فقال ان ربي
ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزلت قل هو الله احد فقالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء قالوا زدنا من الصفة
فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد ولم يولد كما ولدت مريم عيسى ولم يكن له كفوا احد
يريد نظير من خلقه واشرف هذه السورة سميت باسام كثيرة اشهرها الاخلاص لانه يخلص العبد من الشرك او من النار وقد
يقال لها سورة التفريد والتجريد او التوحيد او النجاة او الولاية لان من قرأها صار من اولياء الله او المعرفة لما روي جابر ان رجلا صلى فقرأ
قل هو الله احد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا عبد عرف ربه او الجمال لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ومن كمالات الجميل
كونه عديم النظير او الاساس لقوله صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد وهذا معقول لان القول

بالتثليث يوجب خراب السموات والارض كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا
للرحمن ولدا فوجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة العالم وقد تسمى سورة النسبة لما مر انها نزلت عند قول المشركين انسب لنا ربك فكانه
قيل نسبة الله هذا او المانعة لرواية ابن عباس انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخائر كنوز
عرشي وهي المانعة تمنع فتان القبر ولفحات النيران او المحضر لان الملائكة يحضرون لاستماعها اذا قرئت او المنفرة اي للشيطان
والبراءة اي عن الشرك وسورة النور لقوله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء نورا ونور القرآن قل هو الله احد قلت وكذلك لان الله
تعالى نور السموات والارض وكما ان نور الانسان في اصغر اعضائه وهي الحدقة فنور القرآن في اقصر السورة وسورة الكهف ثم ان
العلماء اجمعوا على الوحدانية مما يمكن معرفتها بطريق السمع والعقل جميعا وليست كمعرفة ذات الصانع حيث لا يمكن معرفته الا بطريق
العقل فقال اهل البرهان في بيانه ان العقل يريد عالما مملا امينا يودع عنده الحسنات والشهوة يريد غنيا يطلب منه المستلذات
بل العقل كالانسان الذي له همة عليه لا ينقاد الا لمولاه والهوى كالمتبجح الذي يطلب غنيا ليتكدى منه بل العقل يطلب معرفة المولى
ليشكره على النعم السالفة والهوى يطلبها ليستفيد منه النعم اللاحقة فلا عرفاه كما اراده تعلقا بذيل عنايته فقال العقل لا اشكر
احدا سواك وقالت الشهوة لا اسأل احدا الا اياك فجاءت الشهوة فقالت يا عقل كيف افردته بالشكر ولعل له مثلا
ويا شهوة كيف اقتصرت عنه ولعل ها هنا بابا اخر فبقي العقل متحيرا وتعصت عليه راحة المعرفة حين اراد ان يسافر في عالم
الاستدلال لتحصيل نتيجة التوحيد ويغوص في بحر الفكر ليغوص بجوهرة اليقين وادركته عناية المولى وقال كيف انقص على عبدي
لذة الاشتغال بخدمتي وشكري فبعث الله رسولا صادقا وقال لا تتكلم من عند نفسك ينوعك الوهم في الشك ولكن
اقبله من الصادق الامين قل هو الله احد الضمير للشأن اي الشأن والحديث الله الواحد هذا قول جمهور النحاة وقريب منه قول
الزجاج ان المراد هذا الذي سألتم عنه الله احد وقيل هو كناية عن الله تعالى فيكون كقولك ان يدا اخوك قائم قال الازهري لا يوصف
شيء بالاحدية غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد وقال غيره الفرق بين الواحد والاحد من ثلاثة اوجه احدها
ان الواحد يدخل في الاحد والاحد لا يدخل فيه وثانيها انك اذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكن يقاومه اثنان
وثالثها ان الواحد يستعمل في الاثبات كقولك رأيت رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفي نحو ما رأيت احدا فيفيد العموم
قلت ولعل وجه تخصيص الله بالاحد هو هذا المعنى وذلك انه ابسط الاشياء فكانك قلت انه لا جزء له اصلا بوجه من
الوجوه ومن هنا قال بعضهم من الاحد لا يدل على جميع المعاني السلبية لكونه ليس بجوهر ولا عرض ولا متحيز وغيره
كما ان اسم الله يدل على مجامع الصفات الاضافية لان الله اسم للمعبود بالحق واستحقاق العبادة لا يحصل الا اذا كان مبدا
لجميع ما سواه عالما قادرا الى غير ذلك واما لفظة هو فانها تدل على نفس الذات والصفات جميعا وفيها المبالغة وهي
ان قوله هو اشارة الى مرتبة السابقين الذين لا يرون معه شيئا اخر فيكفي الكناية بالنسبة اليهم واما اسم الله فاشارة
الى مرتبة اصحاب اليمين وهم الذين عرفوه بالبرهان مستدلين على الوجوب بالامكان فهم ينظرون الى الحق والى الخلق
جميعا فيما دون في التنبيه الى سمة العلم واما الاحد فرمز الى ادون المراتب الانسانية وهم اصحاب الشمال الذين يشركون
مع الله الها اخر فوجب التنبيه على ابطال معتقدهم بان الله احد لا شريك له ولا جزء له بوجه من الوجوه وبعبارة
اخرى هو للاخص والله للخواص واحد للعوام اما الصمد فقيل انه فعل بمعنى مفعول من صمده اذا قصده اي هو السيد المقصود
اليه في الحوائج كما مر في الحديث الوارد في سبب النزول وقيل هو الذي لا جوف له ومنه قولهم لسداد القارورة صماد
وشيء مصمد اي صلب ليس فيه رخاوة قال ابن قتيبة يجوز على هذا التفسير ان يكون الدال بدل التاء في مصمت وقال
بعض المتأخرين من اهل اللغة الصمد هو الاملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء فلا يخفى ان هذين المعنيين من صفات
الاجسام حقيقة الا ان مقدمة الاية وهي الله احد يمنع من حملها على حقيقتها لان كل جسم مركب فوجب الحمل على
المجاز وهو انه لوجوب ذاته ممتنع التغير في وجوده وبقائه وسائر صفاته ومن هنا اختلفت عبارات المفسرين فعن ابن مسعود
وبعضهم الصمد هو العالم بجميع المعلومات لان كونه سيدا مرجوعا اليه في قضاء الحاجات لا يتم الا بذلك وعن ابن السدي هو
والضحاك هو السيد الذي انتهى اليه سؤدده وقال الاصم هو الخالق للاشياء لان السبب الحقيقي هو هو وقال السدي هو
المقصود في الرغائب المستغاث عند المصائب وقال الحسين بن الفضل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال
قتادة لا يأكل ولا يشرب هو يطعم ولا يطعم وعن جعفر الصادق انه يغلب ولا يغلب وسائر عبارتهم كلها منقاد

تدبر حول ما ذكرنا سؤال لم جاء الخبر ههنا معرفات في قوله احد منكر الجواب لانه كان معلوما عندهم انه غني على الاطلاق مرجوع اليه في الحوائج فاذا مس الانسان ضر دعا به اما التوحيد فلم يكن ثابتا في اذهانهم بل ذكر في اذهانهم العامة ان كل موجود فانه محسوس وكل محسوس فهو منقسم فلا جرم جاء لفظ احد منكرا او لفظ الصمد معرفا آخر لم كرر اسم الله ثم نبه على ضربه ثانيا الجواب لان تلك هي المسكة ماكرهته ينضوع ولانه قد سبق ضمير الشان فكان يلزم الاشتراك ولان ان البشارة باللفظ هو مرتبة الضيعتين والخطاب بقوله الله الصمد لعموم الخلائق والسابقون منهم قيل باعتبار الاغلب الى واحسن كون الشخص مولودا اقدم من كونه والدا فلم قدم لم يلد على قوله لم يولد اجيب بان النزاع انما وقع في كونه والدا فان النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله بل الفلاسفة الذين قالوا انه يتولد عن واجب الوجود عقل وعن العقل عقل آخر ونفس الى تمام العقول العشرة والنفوس وهو العقل الفعال المدبر لما تحت فلك القمر فكان نفي كونه والدا الاهم ثم اشار الى طريق الاستدلال بقوله ولم يولد كانه قال الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره وانا قولك كون الشخص مولودا اعتبار لمعلوليته وكونه والدا اعتبار لعليته والترتيب ان اعتبار العلية مقدم على اعتبار المعلولية كما ان العلة بالذات متقدمة على المعلول فالسؤال مدفوع قالوا وانما انتظم على لفظ الماضي لان النزاع كان واقعا في المسيح وعزير مخرجا فوقع قوله لم يلد جوابا لما ادعوه اليه واما قوله ولم يولد فلم يكن مفتقرا الى هذا التوجيه لان كل موجود اذ لم يكن مولودا اي مبدا لكونه فلن يكون مولودا بعد ذلك واقول لعل المراد بقوله ولم يولد نفي ان يكون هو من شانه الولادة وهذا المعنى يشتمل كل زمان وبهذا التفسير لا يبعد على العاقل انه لا يلد ويصح انه يلد واعلم انه سبحانه بين كونه في ذاته وحقيقته منزها عن جميع انحاء التراكيب بقوله هو الله احد ثم بين كونه ممتنع التغير عما هو عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال بقوله الله الصمد ثم اراد ان يشير الى نفي من يماثله وهو اما الاصل واما الفرع نفاه بقوله لم يلد واما مساو واحالة بقوله ولم يولد واما مقارن له في الوجود ونفيه بقوله ولم يكن له كفوا احد ويجوز ان يكون الاولان اشارة الى نفي من يماثله بطريق التولد والثالث تعميما بعد التخصيص ويحتمل ان يراد بالاخير نفي الصاحبة لان المصاهرة تستدعي الكفاءة شرعا وعقلا فيكون ردا على من حكى الله عنهم في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قاله مجاهد سؤال قد نص سيبويه في كتابه على ان الخبر قد يتقدم على الاسم في باب كان ولكن يتعلق الخبر حينئذ لا يتقدم على الخبر كيلا يلزم العدول عن الاصل من شيئين فكيف قدم الظرف وهو له على الاسم وعلى الخبر جميعا اجاب المحققون عنه بان هذا الظرف وقع بيانا للمحذوف كانه قال ولم يكن له كفوا احد فقيل لمن فاجيب بقوله له نظيره قوله وكانوا فيه من الزاهدين وقوله فلما بلغ معه السعي والله اعلم

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات حروفها تسعة وسبعون كلماتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

الوقوف الفلق خلق وقب العقد حسد **التفسير** لما امره بقراءة سورة الاخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من اشرف الطاعات امره ان يستعيذ به من شر من يصده عن ذلك كالمشركين وكسائر شياطين الانس والجن يروى ان جبريل اتاه وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فقل اذا اتيت على فراشك قل اعوذ برب الفلق اعوذ برب الناس وعن سعيد بن المسيب ان قريشا قالوا تعالوا نتجوع فنعين محمدا ثم قالوا يا اشد عينك فانزل الله المعوذتين وقال جمهور المفسرين ان لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر ذي اروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل

عليا وطلحة وجاؤا به وقال جبريل اقرأ السورتين فكان كلما يقرأ آية تنحل عقدة ويجد بعض الراحة والخفة حتى اذا انحلت كانما انشط من عقال طعنت المعتزلة في هذه الرواية بانها موجبة لتجويز تسليط الكفار والاشرار على الانبياء وايضا المسحور هو الذي لم يتبعون الا رجلا مسحورا والجواب ان التسليط الكلي بحيث يمنعه عن تبليغ الرسالة لا يجوز ولكن لا نسلم ان بعض الاضرار في البدن لا سيما وقد تداركه الله بلطفه وخصوصا اذا كان فيه لطف لغيره من امته حتى يفعلوا في مثل تلك الواقعة كما فعل ولهذا استدل اكثر العلماء على انه يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ ويدل عليه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك والله يشفيك وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابي ابراهيم يقول لابنه اسمعيل واسحق وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الحمى ومن الاوجاع كلها بسم الله الكريم اعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار وعن علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض قال اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت ويروى انه صلى الله عليه وسلم اذا اسافر فنزل منزلا كان يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يخرج منك ومن شر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح المكان الذي يشتكي ويروى انه صلى الله عليه وسلم دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بقل هو الله احد وبهاتين السورتين ثم قال تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها واما قول الكفار انه مسحور فانما ارادوا به الجنون والسحر الذي اثر في عقله ودام معه فلذلك وقع الانكار عليهم ومن الناس من لم يرخص في الرقى لرواية جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى وقال ان لله عبادا لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون واجيب بان النهي وارد على الرقى المجهولة التي لا يفهم معناها واما ما ذكرنا فلا مخالفة في التعليق يروى انه صلى الله عليه وسلم قال من علق شيئا وكل اليه وعن ابن مسعود انه راى على ام ولده تميمة مربوطة بعضدها فجذبها جذبا عنيفا فقطعها ومنهم من جوزه سئل الباقر رضي الله عنه عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه واختلفوا في النفث ايضا روي عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه اذا اشتكى بالمعوذات ويمسح بيده فلما اشتكى رسول الله وجعه الذي توفي فيه طفقت انفث بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اخذ مضجعه نفث في يديه وقرا فيهما بالمعوذات ثم مسح بهما جسده ومنهم من انكر النفث عن عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وعن ابراهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث فعوذته بالمعوذتين وقال بعض العلماء لعلهم كرهوا النفث لان الله تعالى جعل النفث مما يستعاذ منه فوجب ان يكون منهيا عنه وقال بعضهم النفث في العقد المنهي هو الذي يكون سحرا مضرا بالارواح والابدان واما الذي يكون لاصلاح الارواح والابدان فيجب ان لا يكون حراما سؤال كيف في افتتاح القراءة فاستعذ بالله وقال ههنا اعوذ بالرب دون ان يقول بالله واجيب بان المهم الاول اعظم من حفظ النفس والبدن عن السحر والوسوسة فلا جرم ذكره هناك الاسم الاعظم وايضا الشيطان يبالغ في منع الطاعة اكثر مما يبالغ في ايصال الضرر الى النفس وايضا كان العبد يجعل تربيته السابقة وسيلة في التربية اللاحقة والفلق بحوه والاكثرون على انه الصبح من قوله فالق الاصباح وخصها بالذكر لانه انموذج من صبح القيامة ولانه وقت الصلوة والجماعة والاستغفار ان قرآن الفجر كان مشهودا وفيه اشارة الى ان القادر على ازالة الظلمة عن وجه الارض قادر على دفع ظلمة الشرور والآفات عن العبد بصباح النجاح ويروى ان يوسف عليه السلام حين القي في الجب وجعت ركبته وحشا ثديا وبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام يسليه ويامره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واومن انا فدعا جبريل فامن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر فلما حصل له الراحة قال يا جبريل انا ادعو وامن انت فسال يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل ويروى دعاؤه في الجب يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحدتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات ان الله فالق الحب والنوى والجبال عن العيون وان منها لما يتفجر منه الانهار والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والقبض عن البسط والتسلي عن الغم والقلوب عن المعارف وقيل هو واد في جهنم اذا فتح صاح جميع من في جهنم من شدة حره كان العبد قال يا صاحب العذاب الشديد

اعوذ برب الفلق من شر ما خلق اي من شدائد ما خلق وصاحب هذا القول يزعم ان المراد من شر ما خلق اي من شدائد ما خلق
اعوذ برحمتك التي هي اعظم واكمل ماسبق واقدم من عذابك وصاحب هذا القول يزعم ان الله تعالى لم يخلق خلقا هو شر محض ولا يبطل فيه الاستعاذة من الشر منهم عوائد
فيها وعن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق خلقا هو شر منه ولا يبطل فيه الاستعاذة
وجنوده وقيل اراد اصناف الحيوانات المؤذيه من الهوام والسباع وقيل الاسقام والافات والمحن فانها شرور بالاضافه وان جازان
يكون خيرات باعتبارات لجود الكل بقدر كما مر في مقدمة الكتاب في تفسير الاستعاذه وذكر في الغاسق وجوه فعن الفراء وابي عبيدة
هو الليل اذا اشتد ظلامه ومنه غسقت العين اذا امتلات دمعا او دما وقال الزجاج هو البارد وسمي الليل غاسقا
لانه ابرد من النهار وعلى هذه العلة اراد به الزمهرير وقال قائل هو السائل من قولهم غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت بالماء
البارد وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض قلت ولعل الاستعاذه على هذا التفسير انما تكون من الغساق في قوله
الاحميما وغساقا والوقوب الدخول في الشي بحيث يغيب عن العين هذا من حيث اللغة ثم ان الغاسق اذا فسر بالليل فوقوبه
دخوله وهو ظاهر ووجه التعوذ من شره ان السباع تخرج من اجامها والهوام عن مكانها واهل الفتنة والشر من اماكنها ويقل فيه
الغوث ولهذا قالت الفقها لو شهر احد سلاحا على انسان ليلا فقتله المشهور عليه لم يلزمه قصاص ولو كان نهارا لزمه لوجود الغوث
وقد يقال انه ينتشر في الليل الارواح المؤذيه المسماة بالجن والشياطين وذلك لان قوة الشمس وشعاعها كانما يقهرهم فيحصل لهم نوع
استقلال وعن ابن عباس هو ظلمة الشهوة البهيمية اذا غلبت داعي العقل وقال ابن قتيبة الغاسق القمر لانه يذهب ضوءه
عند الكسوف ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد وعن عايشة ان رسول الله صلعم اخذ بيدها فقال استعيذي بالله من شر
هذا فان هذا الغاسق اذا وقب وعلى هذا التفسير يمكن تصحيح قول الحكيم ان القمر جرم كثيف مظلم في ذاته لكنه يقبل الضوء عن الشمس
ويختلف حاله في ذلك بحسب قربه منه وبعده عنه ووقوبه اما دخوله في دايرة الظلام في الخسوفات واما دخوله تحت شعاع
الشمس في اخر كل شهر وحينئذ يكون محقا يستقبل القوه ولذلك تختار السحرة ذلك الوقت للتمريض والاضرار والتفريق ونحوها
وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت في المغرب قال ابن زيد وكانت الاسقام تكثر حينئذ وقال في الكشاف يجوز ان يراد به الاسود من الحيات
ووقبه ضربه ونقبه وقيل هي الشمس اذا غابت وسميت غاسقا لسيلانها ودوام حركتها واما النفث فهو النفخ بريق وقيل
النفخ فقط والعقد جمع عقدة والسبب فيه ان الساحر اذا اخذ في قراءة الرقية اخذ خيطا ولا يزال يعقد عليه عقدا بعد عقد
وينفث في تلك العقد ودخله التانيث اما الجماعه لان اجتماع السحرة على عمل واحد ابلغ تاثيرا واما لان هذه الصناعة انما تعرف
بالنساء لانهن يعقدن وينفثن وذلك ان الاصل الكلي في ذلك الفن هو ربط القلب وتعليق الوهم بذلك الامر وانه في النساء اوفر لقلة
علمهن وشدة شهوتهن وقال ابو عبيدة انهن بنات لبيد بن الاعصم اليهودي اللاتي سحرن النبي صلعم وقال ابو مسلم العقد
عزايم الرجال والنفث حلها لان من يريد حل عقدة الحبل ينفث بريق يقذفه عليه ليصير حله سهلا والمعنى ان النسا لمكرهن يتصرفن
في عزايم الرجال يحولنهم من راي الى راي ومن عزيمة الى عزيمة فامر الله رسوله بالتعوذ من شرهن وهذا القول مناسب
لما جاء في مواضع اخر من القران ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ان كيدكن عظيم والاستعاذه من ام عليها
اوس فتنتهن الناس بسحرهن اومن اطعامهن الاطعمة الرديه المورثه للجنون او الموت والحاسد هو الذي تخسد بحمة لازالة
نعمة الغير اليه حتى لو تمكن من ذلك بالحيل لفعل فلذلك امر الله رسوله بالتعوذ منه وقد دخل في هذه السورة كل شي يتقي
منه دينا ودنيا فلذلك لما نزلت فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها لكونها مع اختصارها جامعة في التعوذ من كل شي بل في قوله من
شر ما خلق والبواقي تخصيص بعد تعميم تنبيها على انها اعظم الشرور واهم شي يستعاذ منه وعرفت النفاثات لان كل نفاثه
شريره ونكر غاسق وحاسد لانه ليس كل غاسق يشر بل الليل الغاسق منير وليس كل حسد مذموما بل منه ما هو خير
كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله القران فقام به اناء الليل واناء النهار ورجل اعطاه الله مالا
فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار وقد يراد الظرف وهو قوله اذا حسد انه لا يستعاذ من حاسد من جهات اخرى ولكن من هذه
الجهة ولو جعل الحاسد بمعنى الغابط او بمعنى اعم وقوله حسد بالمعنى المذموم كان له وجه والله اعلم ۞

سورة الناس مدنية وهي ست ايات حروفها تسعة وسبعون كلماتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَٰهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۞

القراءة الناس وما بعدها بالامالة

الوقوف الناس ۞ الناس ۞ الناس ۞ الوسواس الخناس بناء على ان الفصل بين الصفة والموصوف لا يصلح الا للضرورة وقيل ان محل النصب
او الرفع على الذم حسن الوقف الناس والناس **التفسير** انه تعالى رب جميع المحدثات ولكنه خص الناس ههنا بالذكر للتشريف
ولان الاستعاذة لاجلهم وكانه قيل اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم
كما يستغيث بعض الموالي اذا دهمهم امر هم بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم وقوله ملك الناس اله الناس عطفا بيان لان الرب
قد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار والملك قد لا يكون الها وفي هذا الترتيب لطف اخر وذلك انه قدم اوائل نعمه الى ان تم تربيته وركب
فيه العقل فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك وهو ملكه يفتقر كل الاشياء اليه وهو غني عنهم ثم علم بالدلائل العقلية والنقلية
ان العبادة لازمة له وانه معبود مستحق العبادة ويمكن ان يقال اول ما يعرف العبد من ربه هو كونه منعما عليه بالنعم الظاهرة
والباطنة ثم لا يزال يتنقل من معرفة هذه الصفة الى صفات جلاله ونعوت كبريائه فيعرف كونه ملكا قيوما ثم اذا خاض في بحر العرفان
وغرق في تيار كماله عقله وتاه لبه فيعرف انه فوق وصف الواصفين فيسميه الها من اله اذا تحير وتكرير لفظ الناس في السورة
للتشريف كانه عرف ذاته في خاتمة كتابه الكريم بكونه ربا وملكا والها لهم او لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الكشف والتوضيح وقد
قيل ان الثاني بدل الكل من الاول فالاحسن ايضا وضع المظهر مقام المضمر كيلا يكون المقصود مفتقرا الى ما ليس بمقصود في الظاهر
مع رعاية فواصل الاي وقيل لا تكرار في السورة لان المراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه لشدة احتياجهم الى التربية
وبالثاني الشبان ولفظ الملك المبني على السياسة يدل عليه لمزيد احتياجهم الى الزجر لقوة دواعي الشهوة والغضب فيهم مع ان
العقل الصارف لم يقو بعد ولم يستحكم وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المبني على استحقاق العبادة يدل عليه لفتور دواعي الذكر
وقتيئذ وتوجه النفس الى تحصيل ما يزلفه الى الله تداركا لما فات والمراد بالرابع الصالحون الابرار فان الشيطان مولع
باغوائهم والخامس المفسدون الاشرار لانه بيان الموسوس فان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس كما قال شياطين
الانس والجن والخناس هو الذي من شانه ان يخنس اي يتاخر وقد مر في قوله فلا اقسم بالخنس وعن سعيد بن جبير اذا ذكر
الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه وكما ان شيطان الجن يوسوس تارة ويخنس اخرى وكذلك
شيطان الانس يري نفسه كالناصح المشفق فان زجره السامع خنس وترك الوسوسة وان تلقى كلامه بالقبول بالغ فيه حتى تاله
وقال قوم الناس الرابع يراد به الجن والانس جميعا وهو اسم للقدر المشترك بين النوعين كما يروى انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من انتم
فقالوا اناس من الجن وقد سماهم الله رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن والناس الخامس هو
المخصص
فعلى هذا التقدير ان هذا الوسواس الخناس لا يتفق

ويتساعدان على تسليم بعض المقدمات ثم اذا آل الامر الى النتيجة ساعد العقل عليها دون الوهم وكان الوهم حينئذ ابى ويرجع على
تسليم المقدمة فلهذا امر الله سبحانه بالاستعاذة من شره وقد ورد في الحديث مثله روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
احدكم فيقول من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وهذا اخر درجات النفس الكاملة الانسانية
فلا جرم وقع ختم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه ونحن ايضا نختم التفسير بهذا التحقيق والله ولي التوفيق
والهادي في العلم والعمل الى سواء الطريق قال الضعيف مؤلف الكتاب احوج خلق الله تعالى الى رحمته ورضاه الحسن بن
محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله المعروف باعلاء عواقبه المجد المشغوف
باقتنا وسالك الجد الكامل شحذه الى فهم غرائب الفرقان والقرآن كلهم غرائب لم تقرن غرائب الفرقان والقرآن باسره غائب
عقائل مسائل لم يجيزها فطنة من كابد الشدائد كاملة وزوائد فوائد نظمها فريدة من صنوف الصحف جامعة قد نطقت بها عنى
خريتا بالاد بحوثها وتحركت بها لا جلية لاه طالما عفر حولها على انامل سوادها سقط من بينها البيض الخلال ودمع سال مذاق بها في
لحسنها حلوة المباني بهجة المثال والذي تدرج في جامع غوصة ما فيها عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات يبكي ويضحك
ويملك ويهلك ويفقر ويغني ويبئس ويرضي ويمنع ويعطي ولولا الله لذكرت انه بحيث تبكي في رتبها اذنه ويمح طلا دونها حلاوة
فاذا ثبتت قراءته فيها انزاعم وابوب منه من الحكم واسلوب اي اسلوب وكيف لا وقد اشتملت مطاوي ما رسمته على مجاري كتاب
الله الكريم واصبت ما في ما فيه على معاني القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء وصب ابراد واسعا بحثه لعزم للخلل
في ادمغتهم وادفو مسامع اولي العناد من العباد في البلاد لجهلهم لا لصمم في اصمختهم صيحة يولج عليها اثالف والجنة يخرج منها
عنق الصدق بضاعة يحملها اهل النهي في سفر الربح الى مكان وتجارة ارباب جاءت النعم واجارة اوضاعها الغر بلدي اب الهرشي
العظيم وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير الجامع لاكثر التفاسير وتضمن معاني الكشاف الذي يروى المتحلي من اسانده
الاكثار في الاطراف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة العزيزة والتاويلات المحكمة العجيبة مما لم يوجد في سائر تفاسير الاصحاب
او وجدت متفرقة الاسباب منفرقة الانساب او مجموعة طويلة الذنب والاذناب اما الاحاديث فالمتن الكتب المعتبرة
المشهورة كجامع الاصول والمصابيح وغيرهما واما من كتاب الكشاف والتفسير الكبير نحوها الا الاحاديث الموردة في الكتاب
في فضائل سورة سورة فانا قد اسقطناها لان النقاد زيفها الا ما شذ منها واما الوقوف فللامام السجاوندي بعد ما ادع اختصار
لبعض تعليلا واثبات للآيات لم توقفها على التوقيف واسا

ومن اسباب حبا الذي رزقني الله تعالى ببركة اتمام هذا الكتاب زيارة هذا المقام ويشرفني بوضع الخد على عتبة مزار نبيه المصطفى
محمد عليه الصلوة والسلام فاسمع واستجب بالتدبر وباعلام واعلى اموانى رحمنا الله واياكم وجعل الجنة مثواي ومثواكم
ان لكل مجتهد نصيبا ان ابكاكم ملكا النفس عالم فسطا تنقص او كمل وانما الاعمال بالنيات فربما يجلب البركات ويرفع الدرجات وان المرء ما نوى به
وكل عاقل من بني ادم سوى الخبر كل عليه والذي نفسي بيده وناصيتي بحكمه ومشيئته عالم بسري ومحيط بنيتي اني لم اقصد في تأليف هذا التفسير
تحصيل جلب نفع عاجل لان هذا الغرض عرض زائل الفقر به غافل عما ليس يختم طائل شبحا صيف لبس لم يرجى دوامها وهل شريت الى الامور
الفانية او يستلذ بها من وهن سنه عصام غنائها وكاد يغفر من قواه اكثرها فضلا عن تمامها وانما كان المقصود جمع المتفرق وضبط المنتشر
وتنبيه بعض وجوه الاعجاز الحاصل في كلام رب العالمين وحل الالغاز الحل الواقع في كتب بعض المفسرين ندبه وسعى وجد
على وعلي حسب ما وصل اليه استعدادي وتنبهي فالقرآن اجل ما وقف عليه الذهن والخاطر واشرف ما صرف اليه الفكر والناظر اعنى
بذلك يغاص على دره ومرجانه واعرف ذكاء يكد في تحصيل حسه ومغتنامه ولهم لم يكن العلوم الادبية بانواعها والاصولية بفروعها والحكمية
بجملها وتفاصيلها وسيلة الى فهم معاني كتاب الله العزيز او استنباط نكتها من معادنها واستخراج خباياها من مكامنها لكنت منها سنفا
على ما رجيت من العمر في بحث تلك الغوالي سوامك من الذكر في تأليف ما الفت في كل اسلوب من اولئك الاساليب ولكن الحالة
التي وكل ارب سبب وطالما اغلبت المهوى لعقائل وطلبت الوسائل للاصائل شعر امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب
الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا وكان من معاظم المقاصد من العمل ان شاء هذا التفسير ان يكون جليسي ومدة حياتي
وانيسي في وحشة مماتي حين لا انيس لحي الا ما اسلف من عمل ينفع الانسان الا ما قدم من خير ولعمري انه للمنزل المنيب الاداه نعم العون
على تلاوة كتاب الله لان الكتاب العزيز يحضره مع التلاوة ووجهها اذا اشتبه عليه شي منها ومع الاي والوقوف اذا ذهل عن اماكنها
ومظانها ومع الترجمة بالفارسية ان لم يكن اهلا لالفها او التبس عليه المعنى بالفارسية في مواقع مجازاتها وكناياتها وكذا التفسير
بتمامه ان اراد البحث عن الحقائق او غرب عنه شي من تلك الوجوه وكذا التاويل اذا كان مائلا الى بطون القرآن وسالكا سبيل الذوق
والعرفان واني ارجو من فضل الله العظيم واتوسل اليه بوجهه الكريم ثم بنبيه القرشي الابطحي وبوليه العظيم العلي وسائر اهله الغر الكرام
واصحابه الزهر العظام وبكل من له عنده مكان ولديه قبول وشان ان ينفعني بتلاوة كتابه في كل حين واوان من تفسير غرائب القرآن
ورغائب الفرقان على الوجه الذي يريده ولاجل هذا لقيت في تاليفه من عرق الجبين وكد اليمين ما لقيت وان يعم النفع به لسائر
اخواني المؤمنين ورفقائي في طلب اليقين ثم ان يجعله علقة في ليلة يرجع عن قبره العشائر والاهلون وذخرة في يوم لا
ينفع مال ولا بنون والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين
وعلى رسوله المصطفى الامين محمد واله واصحابه الطيبين الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين